دليل المعاصرين

شرح

رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين

للإمام الحافظ المحدث/ مُحْيِي الدِّين أَبِي زَكَرِيَّا النَّوَوِيِّ

(٦٣١- ٦٧٦هـ)

اعتنىٰ به وقام بالتعليق علىٰ أحاديثه وشرح أبوابه

د/ محمد وسام الدين

الطبعة الرابعة

١٤٤٣هـ- ٢٠٢٢م

دليل المعاصرين

شرح

رياض الصالحين

من كلام سيد المرسلين

جميع الحقوق محفوظة للشارح

ودار الوسام للنشر

يحظر طبع أو نشر أو تصوير أي جزء من هذا الكتاب، بأية وسيلة إلكترونية

أو ميكانيكية أو بالتصوير أو خلاف ذلك إلا بإذن كتابي صريح

يطلب من:

دار الوسام

الترقيم الدولي	رقم الإيداع
٩٧٨-٩٧٧-٧١٦-٩٣٠-١	٢٠١٢/١٤٧٥٧

طبع بمطابع زمزم

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد عمر هاشم

أستاذ الحديث وعلومه، وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر الشريف، والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، سيدِنا محمدٍ وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

فإن للسنة النبوية منزلتَها ومكانتها في الإسلام، فهي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد القرآن الكريم، فهي المُفصِّلة لمُجمَلِه، والمُقيِّدة لمُطلَقه، والمُخصِّصة لعامه، والشارحة لأحكامه. بل جاءت ببعض أحكامٍ لم ترد صراحةً في القرآن، كتحريم زواج المرأة علىٰ عمَّتها أو خالتها، وأَمَرَ ربُّ العزة سبحانه أن نأخذ ما آتانا به الرسول، وأن ننتهي عما نهانا عنه: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ﴾ [الحشر: ٧].

ومن أجل ذلك عُني المسلمون منذ العهد الأول بحفظها وتدوينها وشرحها وتبويبها.

ومن أعلام أئمة الحديث النبوي: **الإمام النووي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فقد دوَّن في كتابه النفيس «**رياض الصالحين**» الأحاديث الصحيحة التي تدلُّ قارئها علىٰ ما يكون طريقًا إلىٰ الآخرة، واشتملت علىٰ أحاديث في الترغيب والترهيب، وعلىٰ آداب السالكين، وأحاديث الزهد والأخلاق.

والتزم الإمام النووي في كتابه: «**رياض الصالحين**» ألا يذكر إلا الأحاديث

الصحيحة، وصدَّر الأبواب بآياتٍ من القرآن الكريم، وقدَّم توضيحًا لما يحتاج إلىٰ توضيحٍ أو شرح.

وتتضح منزلةُ هذا الكتاب حيث سار في العالم مسيرَ الضوء في الآفاق، وانتشر وذاع، وكَثُرت شروحه وطَبَعاته؛ لأن اللهَ تعالىٰ بارك فيه؛ لصحة نية صاحبه وإخلاصه ووَرَعِه وتقواه.

يقول الشيخ قُطْب الدين اليُونيني: كان أَوْحدَ زمانه في العلم والورع والعبادة، وكان علماءُ عصره يعرفون له قَدْره، حتىٰ إن الإمامَ السُّبْكيَّ عندما سَكَن في قاعة دار الحديث الأشرفيَّة سنة اثنتين وأربعين وسبعمائة (٧٤٢هـ) كان يَخْرُج في الليل إلىٰ إيوانها فيتهجَّد ويُمرِّغ وَجْهَه علىٰ البِسَاط الذي كان يجلس عليه النَّوَاوِيُّ وَقْتَ الدرس، ويقول في ذلك:

وفي دار الحديث لطيفُ مَعْنًىٰ ... علىٰ بُسُطٍ لها أَصْبو وآوِي
عَسَىٰ أني أمسُّ بِحرِّ وجهي ... مكانًا مَسَّه قَدَمُ النَّوَاوِي

وقد تناول هذا الكتابَ القيِّمَ «رياض الصالحين»، **الأخُ الفاضلُ الأستاذ الدكتور محمد وسام الدين**، أكرمه الله، الذي سمَّاه «**دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**».

فقام بالتعليق علىٰ أحاديثه، وشَرْح أبوابه؛ ليُقرِّب معانِيَه، ويُوضِّحَ مَرَامِيَه، وينتفعَ به كلُّ قارئٍ من المُتخصِّصين في علوم الدين، ومن غيرِهم المتعطشين للهَدْيِ النبويِّ الذي رأوا فيه سعادتهم دنيا وأخرىٰ.

مع حرصٍ جميلٍ منه في تقديم الأمر بتنسيق حَسَنٍ، فسَهَّل بذلك علىٰ عموم الناسِ الاطلاعَ والفَهْمَ المُيَسَّر لكتب التراث المباركة، وملأ بذلك الفجوةَ التي نشأت بين عمومِ الناس وتلك الكتب العظيمة.

أدعو اللهَ تعالىٰ أن يُبارِكَ في الكتاب، وفي الشَّرْح والتَّعليق، وفي الأستاذ الدكتور محمد وسام الدين، وأن ينفع به، وأن يَجْزِيَه خيرَ الجزاء، علىٰ ما قَدَّم من جُهْدٍ يُذكر فَيُشْكر.

ونسأل اللهَ تعالىٰ أن ينفعنا جميعًا بحديثِ رسول الله ﷺ، وأن يُشفِّعَه فينا، وأن يَغْفر اللهُ لنا ولوالدينا، ولسائر المسلمين؛ إنه سميعٌ مُجيب.

وصلىٰ اللهُ علىٰ سيِّدِنا محمدٍ، وعلىٰ آلِه وصَحْبه أجمعين.

أ. د/ أحمد عمر هاشم

أستاذ الحديث وعلومه وعضو هيئة كبار العلماء بالأزهر

والرئيس الأسبق لجامعة الأزهر الشريف

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور

عبد الغفار حامد هلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ

العميد الأسبق لكلية اللغة العربية جامعة الأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين، سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين. وبعد:

لقد قرأتُ الكتاب المسمىٰ «**دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين**»، لمؤلِّفه المهندس **الدكتور محمد وسام الدين**، حفظه الله.

الكتاب دُرَّة فريدة من نوعها في التأليف والتصنيف، حول شرح الأحاديث النبوية.

وكتاب «رياض الصالحين» هو للعلامة يحيي بن شرف النَّوَوي، التي كانت حياته قصيرة المدة لكنها كثيرة العمل، وكان من الصالحين، حتىٰ رُوي عنه أنه كان لا يتناول في اليوم إلا طعامَ العشاء فحسب، وكان وقته للقراءة.

وكذلك رأيت في المهندس الدكتور محمد وسام الدين، طابع الصلاح والتقوىٰ إن شاء الله، أحسبه كذلك، بَذَل جُهدًا في الشرح بما يُناسب الناس، فهيَّأ للرجل العادي أن يقرأ في كتب العلم.

ونحن نُحب أن يقرأ الناس في كتب العلم؛ ليعرفوا الصحيح من الفاسد.

وعلاجًا لبُعْد الزمن بيننا وبين أرباب العلم الفحول السابقين، بَرَع المؤلِّف محمد وسام الدين، في تذليل صعوبات النصوص القديمة التي لا يعرفها إلا العلماء الفحول ذوو الخبرة الطويلة في فَهْم نصوص العلم القديم.

وقد بَرَع أيضًا في شرح النصوص الغامضة علىٰ القارئ العاديِّ بأسلوب العَصْر، وهو أمرٌ ليس سهلًا، ويحتاج إلىٰ مِراسٍ طويل؛ لكي يستطيع أن يَنْزل من البرج العاجِيِّ إلىٰ المستوىٰ العادي.

فوجدتُ شَرْحًا مُيسَّرًا للحديث وَضَع فيه الشرحَ داخل النص، مما سَهَّل علىٰ القارئ أن يعرف المرادَ بسرعةٍ، لا أن يبحث عنه في التعليقات والهوامش والحواشي.

ثم لاحظتُ أنه يُعقِّب علىٰ كلِّ بابٍ من أبواب الكتاب بشَرْح فكرة الباب شرحًا وافيًا، مُعتمِدًا علىٰ القرآن والحديثِ وصحيحِ النصوص، مما يجعل الرجلَ العاديَّ يفهم الموضوعَ فهمًا دقيقًا، ويستطيع أن يقرأ في الكتاب بسهولةٍ، ولا يحتاج إلىٰ مُساعِدٍ.

وعليك أيها القارئ الكريم، أن تنظر كثيرًا في الأحاديث التي يُضمُّها الكتاب فستجد ذلك واضحًا ملموسًا.

ثم إن المُؤلِّف ضَبَط النصوص الحديثيَّة ضبطًا كاملًا وصحيحًا مُحَقَّقًا غايةَ التحقيق، ومَيَّز الحديثَ الصحيحَ مِن غيرِه، ورَكَّز علىٰ صحيحي البخاري ومسلم في صَدْر الأحاديث، وثَنَّىٰ بالكتب الصحاح الأخرىٰ، كالترمذي والنَّسائي وابن ماجَهْ وأبي داود وغيرها.

واستطاع أن يصل إلىٰ المهم، وهو قلب القارئ وعَقْله، لا إلىٰ سَمْعه فقط. فالكتاب في الواقع ثمينٌ، لا أقول الثمن الدنيوي، ولكنه ثمينٌ الثمن العلمي والأخروي.

وأرجو أن ينتفع القارئ به، وبما بُذِل فيه من إخلاصٍ وجهدٍ لا يتوافر إلا للقليل من أصحاب النيات السليمة؛ فقد قال ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**».

ويظهر- كما سمعتُ من شارح هذا الكتاب- أنه هو الذي صَمَّم طريقةَ الطَّبْع، بما فيها من جُهْدٍ يستعصي علىٰ كثيرٍ؛ لأنه قلَّما تجد طباعةً بهذا المستوىٰ الناجح الصحيح الذي قد لا يحتوي علىٰ خطأ واحد، وجَلَّ مَن لا يسهو.

ولكن فيما قرأتُ خَلَا الكتابُ من الأخطاء، وامتاز بحُسْن التنسيق، وحُسن اختيار الألوان، مما يُنسب إلىٰ نوعٍ دقيقٍ من الفن، فحينما علمتُ أن الشارحَ هو صاحبُ الجُهد أدركتُ أنه يجمع بين فنِّ العِلم وفن الإخراج، وهذا لا يتوافر لكثيرٍ من الناس.

أ. د/ عبد الغفار حامد هلال

العميد الأسبق لكلية اللغة العربيَّة، جامعة الأزهر الشريف

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور

وهبة الزحيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

رئيس قسم الفقه الإسلامي بكلية الشريعة جامعة دمشق

عضو مجلس الإفتاء الأعلى بسوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

الأخ الفاضل، السيد الدكتور/ **محمد وسام الدين.**

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وبعد:

بمناسبة حلول شهر رمضان المبارك، أُقدِّم أَخْلَصَ التهاني والتباريك، سائلًا المولىٰ عَزَّوَجَلَّ أن يُعيده عليكم وعلىٰ أمتنا بالخير والسعادة والنصر، وأن يَشُدَّ أَزْرَكم في متابعةِ طريق الدعوة إلىٰ الله بالحكمة والموعظة الحسنة.

وأُكرِّر الشكرَ والتقدير لشخصكم الكريم، ولقائكم الكريم في رحاب القاهرة، حيث غمرتني بالفضل والإحسان الكبير.

فأرجو منكم تخصيص صفحتين لتقديم كتابكم القيم «**دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين**».

مع تكرار الدعوة لزيارة دمشق في أي وقت.

زادكم الله تعالىٰ قربًا من جنابه، ومحبة لأهل العلم، والله يحب المحسنين.

الجمعة، آخر شعبان سنة ١٤٢٧هـ= ٢٢/ ١٠/ ٢٠٠٦م.

أ. د/ وهبة مصطفى الزحيلي

رئيس قسم الفقه الإسلامي بكلية الشريعة جامعة دمشق

عضو مجلس الإفتاء الأعلى بسوريا

عضو مجمع الفقه الإسلامي بجدة

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور

سيد السيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ

أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر، وعميد كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاةُ والسلام علىٰ المبعوث رحمةً للعالمين، وعلىٰ آلِه وصَحْبه ومَن اهتدىٰ بهَدْيه ودعا بدَعْوته إلىٰ يومِ الدينِ. وبعدُ:

فهذه شروحٌ وتعليقاتٌ علىٰ كتابِ «**رياض الصالحين**»، الذي كتب اللهُ له الذُّيوعَ والانتشارَ حتىٰ كاد كلُّ بيتٍ أن يقتنيَه، ولا يكاد مُطالِعٌ له إلا ويستفيد مما فيه.

وقد تناولته الأقلامُ بالشرح والتفصيل، ولكنها كانت في معظمها بين التقصير والتطويل، وفي دنيا الناس اليوم ما يَشْغَلُهم عن الهوامش والحواشي.

فتدارك الشارحُ- جزاه اللهُ خيرًا- حاجةَ الناس إلىٰ وسطيةٍ متميزةٍ في الشرحِ، وطريقةٍ مُميَّزةٍ في العرض، تدفع القارئَ في شَغَفٍ وشَوْقٍ، إلىٰ أن يغترفَ من هذا المنبع العذب، ويستفيدَ من هذا المنهل السهل.

فجاء الكتابُ في ثوبه القَشِيب، مع هذه الشروحِ والتعليقات، وَسَطًا بين الإسهاب المُمِلِّ والإيجازِ المُخِلِّ، وأصبح له مَذَاقٌ خاصٌّ لدىٰ المُطالِعين، يجدون حلاوتَه في مُطالَعته، ويجدون متعتَه في سهولتِه وسلاستِه.

وقد وضع الشارحُ بصماتِه الواضحةَ، التي جاءت بالجديد من التنسيق والشرح والتعليق، فقام بشرح الأبواب شرحًا مُيسَّرًا مُلحَقًا بالباب الذي يتعلق به، وقام بضَبْط النصوص، وتوضيح الكلمات التي تحتاج إلىٰ توضيحٍ، واعتنىٰ بعَزْو الأحاديث التي ساقها في شروحه علىٰ خطىٰ الإمام النوويِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ذلك.

فكان الشرحُ واضحًا، والتعليقُ علميًّا، والتنسيقُ منطقيًّا، كلُّ ذلك خطَّه مُحِبٌّ للصالحين، ومُبلِّغٌ للدين، وداعيةٌ إلىٰ دين ربِّ العالمين.

فسَلِمَتْ يمينُه، وقوي بالله يقينُه، وأحسن اللهُ عملَه، وحقَّق أملَه، وأجرىٰ الخيرَ علىٰ يديه، وبارك اللهُ فيه، وبارك عليه، جزاءَ ما بذل من جهدٍ مشكورٍ، وخيرٍ موفور، زاد من علم العلماء، ويسَّر الفهمَ علىٰ البسطاء.

وقد أعطىٰ عصارةَ قلمه، وخلاصةَ فكره، حتىٰ صارت بفضل الله نورًا علىٰ الدَّرْب لإرشاد السالكين وتنويرِ السائرين إلىٰ رياض الصالحين، علىٰ طريق سيد الأولين والآخرين، صلوات الله عليه وعليهم أجمعين.

أ. د/ سيد عبد العزيز السيلي

أستاذ العقيدة بجامعة الأزهر

عميد كلية الدراسات الإسلامية بالجامعة الإسلامية

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور

أحمد ربيع يوسف

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان علىٰ أشرف المرسلين، سيدِنا محمد. اللهم صل علىٰ سيدنا محمد البشير النذير وسلم تسليمًا يا مولانا يُهوِّن كل عسير. وبعد:

فلقد اتفقت كلمة الأمة الإسلامية علىٰ مكانة السنة النبوية في نفوس المسلمين، وموقعها من قلوبهم، وذلك باعتبارها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، يضاف إلىٰ مصدره الأول وعماده الأساس: القرآن الكريم، حيث تُفصِّل مُجْمَله، وتُوضِّح غامِضَه، وتُقيِّد مُطلَقَه، وتُخصِّص عامَّه، وذلك فضلًا عن كون السنة المطهرة تُمثِّل المرآة العاكسة بصدقٍ لحياةِ أشرف الخلق سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، وطريقة تعاطيه لشئون دنياه العامة والخاصة.

ولما كان للسنة النبوية تلك المكانة؛ فقد عُني أوائل هذه الأمة بها أيَّما عناية، جمعًا وتدوينًا، وتنسيقًا وتبويبًا، وشرحًا وتحليلًا، ثم نالت تلك المؤلفات القديمة لاسيما كتب المتون عناية المُحدَثين بالشرح والتحليل، وذلك علىٰ نحو ما صنع علماؤنا مع «صحيح البخاري» الذي تلقَّتْه الأمة بالقبول واهتمَّت به، وعكف علىٰ شرحه كثيرون في القديم والحديث، منهم: القَسْطِلَّاني، والعَيْني، وابن المُلَقِّن، وابن حجر، وغيرهم. وما زالت الدراسات تقوم حوله.

ومثل ذلك فعلت الأمة مع «صحيح الإمام مسلم»؛ حيث شرحه النووي، والسيوطي، وغيرهما، وما زالت الدراسات تقوم حوله، خاصة في بلاد المغرب.

ولعل من أهم كتب السنة المباركة التي حظيت بعناية الشراح قديمًا وحديثًا، كتاب

«**رياض الصالحين**» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والذي لا يكاد بيت من بيوت المسلمين يخلو منه، وذلك باعتباره كتابًا جامعًا لأمهات الأصول في العبادات والتشريعات والأخلاق.

ولقد كان من توفيق الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ هذا الجهد الطيب المبارك للأخ العزيز المهندس الدكتور **محمد وسام الدين**، أن قصد هذا الأمر في العناية بكتاب «رياض الصالحين»، بعد معايشة وعلم وعمل، واقتداء وتخلُّق، بماء جاء في الكتاب، فكان هذا النتاج «**دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين**».

وقد جاء جهده في هذا الباب متميزًا بعدم التكلف، متسمًا بطرح أفكاره بلغةٍ عصرية تواكب مقتضيات العصر، بحيث يستفيد منها القراء وإن اختلفت مشاربهم أو تنوعت معارفهم. ثم إنه اعتمد أسلوب القصة كثيرًا؛ لبيان فكرته وتوضيح مغزاها، مما جعل الأسلوب معه مُشوِّقًا، وهو بهذا الأسلوب وتلك العناية بالتحليل قد جاء كتابه جيدًا في بابه أنيقًا في إخراجه مشوقًا في طريقة عرضه.

أسأل الله العلي القدير أن ينفع به، وأن يجعله في موازين حسناته، وأن يفتح له قلوبَ قارئيه، ويرزقهم العمل بما يعلمون، ويكون لسان صدق في الآخرين.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم.

أ. د/ أحمد ربيع يوسف

عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق بالأزهر الشريف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة الشارح

مُقدِّمةُ الطبعةِ الرابعة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، حمدًا يليق بجلال وجهه وعظيم سلطانه.

والصلاة والسلام علىٰ أشرف المرسلين الهادي المصطفىٰ البشير النذير، سيدنا محمدٍ صلىٰ الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا، وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين. وبعد:

فإنه لا تكاد تخلو مكتبةٌ إسلامية من كتاب «**رياض الصالحين**»، بل لا يكاد يخلو منه بيتٌ من بيوت المسلمين؛ ذلك أن الإمام النوويَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أراد أن يحملَ عوامَّ المسلمين- ممن لا طاقة لهم علىٰ تصفُّح أُمَّهات الكتب لاستخراج المفاهيم والمعاني والمطلوبات الشرعية- علىٰ معرفة الأوامر الربَّانية والأحكام الشرعية والصفات الإيمانية والأخلاق والآداب النبوية، فألَّف هذا المُؤلَّفَ السهلَ البسيط لتشجيعهم علىٰ تصفُّحه وتعلُّم مراد الله منه.

ولا يخفىٰ علينا أن ذلك قد تمَّ منذ قُرابة ثمانمائة عام؛ حيث وافق ذلك فصاحةَ الناس آنذاك وسهولة فَهْمهم لغة القرآن والسُّنَّة بقليل من الشرح لبعض كلماته وألفاظه.

وقد قامت علىٰ مَرِّ هذه السنوات الثمانمائة كوكبةٌ من أهل العلم والفضل بشرح أحاديثه والتعليقِ والتفصيل لبعض أو كلِّ أحكامه. فقدَّمَتْ بذلك خدمةً عظيمةً لعموم الأمة، علمائها وعوامِّها.

بَيْد أن طولَ الزمان وصعوبة فهم العامة من الناس لغتهم العربية الفصيحة-

أضاع قَصْدَ مُؤلِّفِ الكتاب وشُرَّاحِه أيضًا من أن يكون الكتابُ مَرْجِعًا لهم يسيرًا فَهْمه عليهم، يُمكِنهم الاستفادةُ منه والرجوعُ إليه والاطلاعُ علىٰ أبوابه في كلِّ كبيرة وصغيرة في حياتهم اليومية.

من أجل ذلك عَزَمتُ بتوفيقٍ من الله وَحْده علىٰ أن أُكمل ما بدأه الإمام النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ من العناية بكتاب «**رياض الصالحين**»؛ لكي يكون كتابًا مرجعيًّا بسيطًا وسهلًا لعموم الأمة، يُفيدهم في معرفة الأوامر الربانية والأحكام الشرعية والصفات الإيمانية والأخلاق والآداب النبوية.

وكنتُ قد استرعىٰ انتباهي أن معظمَ ما نُشِر من نُسَخ وطَبَعات لكتاب «رياض الصالحين» قد رَكَّز علىٰ شَرْح أحاديثه شَرْحًا موجزًا أو مُفصَّلًا، يُناسب طلبة العلم والراغبين أكثر من مناسبته العوام، ولم يُتنبَّه إلىٰ شَرْح الأبواب شَرْحًا مُفصَّلًا يُناسب عقولَ العوام وعمومَ الأمة؛ تحقيقًا واستكمالًا لمراد مُؤلِّفه النوويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الذي وجَّه انتباهنا إلىٰ قيمة هذه الأبواب في حياة كلِّ مسلمٍ، عالمًا كان أو عاميًّا.

لذلك كان مِن توفيق الله لنا أن تنبَّهنا لضَعْف إقبال العوامِّ علىٰ الاطلاع الدائم والمستمر علىٰ تلك النُّسَخ والطَّبَعات؛ لما ذكرناه سابقًا مِن صعوبة فهم العامة لمصطلحات أهل العلم ولغتهم البليغة.

فقمنا بالاهتمام بشَرْح أبوابه شرحًا بسيطًا مُيسَّرًا، أدرجنا فيه شيئًا من كلام الله تعالىٰ وأحاديث المصطفىٰ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وآثار السلف الصالح رضي الله عنهم أجمعين، مما يزيد الأمر إيضاحًا، وألحقنا كلَّ شرحٍ بالباب الذي يتعلَّق به.

وقد استعملنا في ذلك أحسنَ طُرُق العَرْض التي تفتح القلوب علىٰ الاطلاع اليومي، وذلك كله لكي يكون في متناول العامة فَهْمُه والقيامُ علىٰ دينهم من خلاله قيامًا صحيحًا.

وإنما أردنا بذلك أن نملأ الفجوةَ الموجودةَ بين كتب العلم- ببلاغتها وفصاحتها- وبين عامة الناس المُنشغِلين بالكَسْب والمعاش مع صعوبة فَهْمهم اللُّغةَ وانصرافهم عن طلب العلم.

ولقد سرنا أن نال كتاب «دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين» استحسانًا كبيرًا، وأنه قد حاز القبول حتىٰ أصبح في متناول الخاصة والعامة، كما أنه خُص بتقديم وتقريظ ومدح أهل العلم الأكابر، وتشجيعهم علىٰ إعادة طبعه مرات ومرات، مع مراعاة جَبْر الأخطاء البشرية التي لا يخلو منها كتاب.

وإني بذلك أضع بين أيديكم **الطبعة الرابعة** من كتاب «دليل المعاصرين شرح رياض الصالحين» للإمام النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ثوبٍ جديد مبسط؛ كي يستطيع القارئ عاميًّا كان أو عالمًا الاستفادةَ منه أفضلَ استفادةٍ، آملًا من الله عَزَّ وَجَلَّ أن يُحقِّق رجائي، وأن يجعله ذُخرًا لي عنده، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الموفق.

وقد نفدت الطبعة الأولىٰ للكتاب والتي تم الفراغ منها في ليلة السبت التاسع من ذي الحجة ١٤٣٢هـ الموافق ٥ نوفمبر ٢٠١١م.

فقمت بطبعه طبعتين أخريين فيما بعد (الطبعة الثانية والثالثة)، ونفدتا أيضًا؛ ذلك أن كثيرًا من أهل الفضل أقبلوا علىٰ توزيعه بين ذويهم ومعارفهم محتسبين في ذلك الأجر من الله تعالىٰ، وذلك من بركات الإمام النووي في حياته التي امتدت وتمتد إلىٰ زمن بعيد.

وهذا مما دفعنا إلىٰ السير قدمًا نحو إعادة طَبْعِه في طبعة جديدة، وهي (**الطبعة الرابعة**)، تحوي موضوعات أخرىٰ كثيرة مهمة، مما يحتاجه المسلم في يومه وليلته ولا غنىٰ له عنه، لزيادة مساحة المعرفة والتعلم من خلاله، وحتىٰ يلجأ إليه القارئ

فيسعد بشموله لأكثر مناحي الحياة. فقمنا في الطبعة الأخيرة بإضافة بعض المعاني، وإعادة صياغة بعضٍ آخر منها، وإعادة صياغة بعض الكلمات في شرحنا والتي رأينا صعوبتها أو غرابتها علىٰ بعض القراء؛ تيسيرًا عليهم؛ لوصول الرسالة المطلوبة من الفهم والعمل الصحيح.

وقد آثرنا في ذلك عدم التكلف، وطرح أفكاره بلغةٍ يسيرة تواكب العصر، بحيث يستفيد منه جميع القراء وإن اختلفت مشاربهم أو تنوعت معارفهم.

وقد ذكرنا بعض الأمور المتعلقة بالفتاوىٰ، التي تساعد البسطاء والعوام علىٰ القيام بالعبادات في المساجد بطريقة لا تحدث خلافًا ولا تربك حياتهم.

نسأل الله العلي القدير أن ينفع به كل من يقوم علىٰ نشره وتوزيعه، وجميع قارئيه، وأن يجعله في موازين حسناتنا أجمعين، وأن يفتح له قلوبَ مُطَالِعِيه، ويرزقهم العمل بما يعلمون، ويكون ذلك لهم لسان صدق في الآخرين.

وصلىٰ الله علىٰ سيدنا محمد، وعلىٰ آله وصحبه وسلم أجمعين.

كتبه وفرغ من الطبعة الرابعة

العبد الفقير إلىٰ رحمة ربِّه

د/ محمد وسام الدين

غفر الله له ولوالديه

في يوم الثلاثاء **ذكرى المولد النبوي الشريف**

الثاني عشر من شهر ربيع الأول ١٤٤٣ هجريًّا

الموافق التاسع عشر من شهر أكتوبر ٢٠٢١ ميلاديًّا

عَمَلُنا في الكتاب

اشتمل عملنا في الكتاب علىٰ أمرين:

أولا- تحقيقُ كتابِ «رياضِ الصالحين» للإمام النوويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وذلك بما يلي:

١- ضبط نص الكتاب ضبطًا تامًّا؛ حتىٰ يتمكَّن القارئُ للكتاب من قراءته قراءةً صحيحة.

٢- شَرْح الكلمات الغريبة ببنط صغير بين قوسين هكذا (أي: مكان بين مكة والمدينة) من دون تعرُّضٍ لما قام الإمام النووي بشرحه؛ وذلك حتىٰ يستطيعَ القارئُ للكتاب فهمَ النصِّ فهمًا صحيحًا كما أراده مُصنِّفه، من دون إدراج حواش تثقل علىٰ القارئ وقد يهملها.

٣- ضبط القول النبوي ضبطًا تامًّا.

٤- تخريج الأحاديث التي وردت في شروحنا والتي لم ترد في نص كتاب «رياض الصالحين»، بتنسيقها ببُنط صغيرٍ.

٥- تنسيق الكتاب، حيث اشتمل كتاب «رياض الصالحين» علىٰ تسعة عشر كتابًا، وأبوابٍ متنوعة أتىٰ المُصنِّفُ علىٰ ذِكرها قبل أو خلال بعض الكتب.

وقد اعتمدنا في تنسيق الكتاب علىٰ أحسن طرق العرض التي تُيسِّر علىٰ القارئ تَصَفُّحَه الكتاب بسهولة ويُسر، ويتمثل ذلك في الآتي:

- ترقيم الكتب، وتبدأ بكتاب «الأدب» برقم (١)، وكتاب أدب الطعام برقم (٢)، وهكذا، وفصلنا بين كل كتاب والذي يليه بفاصل من ثلاث نجمات في وسط السطر.
- ترقيم الأبواب المتنوعة، مثل باب (الإخلاص) برقم (١)، وباب التوبة برقم (٢).
- ترقيم الأحاديث المندرجة تحت كل باب.
- الآيات القرآنية قد رسمناها بالرسم العثماني بين أقواس مُزهَّرة ﴿﴾، ووضعنا

بجوارها عَزْوَ الآية- اسم السورة ورقم الآية- ببنط صغير بين معقوفين [ ].

- وضعنا القولَ النبويَّ بين قوسين «» ببنط عريض.

- وضعنا شَرْح الكلمات الغريبة في الكتاب بين قوسين () ببنط صغير، من دون إدراج حواشٍ تثقل علىٰ القارئ وقد يُهملها.

- جعلنا نصَّ الآيات والأحاديث والآثار ببنط كبير.

ثانيًا- شَرْحُ أبوابِ «رياض الصالحين» للإمامِ النوويِّ رَحِمَهُ اللَّهُ، الذي سَمَّيناه (دليل المعاصرين شرح أبواب رياض الصالحين) وذلك بما يلي:

١- إضافة كلِّ شرح تلو الباب الخاص به في «رياض الصالحين».

٢- إدراج بعض الآيات والأحاديث التي تزيد الشرح وضوحًا وجلاءً، من دون أن نُكرِّر ما قد أتىٰ المُصنِّفُ علىٰ ذِكْره منها قدر المستطاع، إلا إذا دعت ضرورةٌ إلىٰ ذلك.

٣- أدرجنا قَصَصًا في الشَّرْح تيسيرًا لإيصال المعاني المطلوبة إلىٰ القارئ، تحت عنوان **قصة** باللون الأحمر؛ تمييزًا لها لسهولة العثور عليها.

٤- ضبط نَصِّ الشَّرح ضبطًا جماليًّا خفيفًا، مع ضبط ما يُشْكِل من الكلمات الصعبة أو التي بنيت للمجهول ونحو ذلك.

٥- شَرْح الكلمات الغريبة بين قوسين ببنط صغير (أي:)؛ وذلك حتىٰ يستطيعَ القارئُ فهمَ النصِّ فهمًا صحيحًا.

٦- ضبط وتشكيل القول النبوي ضبطًا تامًّا.

٧- تنسيق شرح الأبواب: وقد اعتمدنا في ذلك علىٰ أحسن طرق العرض التي تُيسِّر علىٰ القارئِ تَصَفُّحَ شَرْحِ كلِّ باب بسهولةٍ ويُسْر، ويتمثل ذلك في الآتي:

- أدرجنا ثلاثَ نجمات في وسط السطر بعد انتهاء الباب وقبل الشروع في شَرْحه، مع وَضْع عنوان الشرح أسفل النجوم بين قوسين باللون الأحمر هكذا ( ).

- وبعد انتهاء الشرح وضعنا ثلاثَ نجماتٍ في وسط السطر؛ لتنبيه القارئ علىٰ انتهاء الشرح؛ وحتىٰ يستطيع القارئُ التمييزَ بين الشرح وأصل الكتاب ❋ ❋ ❋

- الآيات القرآنية قد أدرجناها بالرسم العثماني بين أقواس مُزَهَّرة باللون الأحمر وببنط عريضٍ ﴿ ﴾، ووضعنا بجوارها عَزْوَ الآية- اسم السورة ورقم الآية- ببنط صغير بين معقوفين [ ].

- وضعنا القولَ النبويَّ بين قوسين باللون الأحمر وببنط عريض « ».

- وضعنا الآثارَ من أقوال السلف والعلماء المتقدمين باللون الأزرق.

ولم نلجأ إلىٰ ذكر توثيق تلك الآثار من الأحاديث وأقوال أهل العلم وحتىٰ المراجع، بين دَفَّتَي الكتاب؛ ذلك لأن الهدفَ منه هو تبسيط العلم للراغبين فيه؛ ولإعطاء مساحة أكبر لتناول موضوعات أخرىٰ في حاجة ماسة إلىٰ الشرح والتوضيح؛ لما لها من وثيق الصلة بالواقع المعيش.

ورغبة منا في عدم تضخيم حجم الكتاب عما هو عليه؛ فقد اعتمدنا في ذلك علىٰ ما يوجد من آليات وتقنيات حديثة تُيسِّر للباحث وعلىٰ من أراد أن يبحث ويُحقِّق في الأحاديث والآثار المذكورة في الكتاب، الوصولَ إلىٰ توثيقها بسهولة وسرعةٍ عما كان في الماضي، وذلك من خلال وسائل التكنولوجيا الحديثة، من الإنترنت، والموسوعات الإلكترونية، وغيرها من الوسائل الحديثة التي لم تكن متوفرة من قبل، والتي بات أمر البحث من خلالها والوصول إلىٰ أدق المعلومات أيسر من الماضي، وموصلًا مباشرة إلىٰ النتيجة المرجوة من البحث.

وقد قمنا بالإحالة في بعض الموضوعات، إلىٰ بعض مؤلفاتنا ليزداد الأمر وضوحًا في الشرح وذلك باللون الأحمر هكذا: (تنبيه: ينظر في كتاب «**نفحات الرحمن في شهر رمضان**» للمؤلف).

- وضعنا شرحنا باللون الأسود.

- وضعنا شَرْح الكلمات الغريبة بين قوسين ببنط صغير (أي:)، من دون إدراج حواشٍ تثقل علىٰ القارئ وقد يهملها.

وقد لجأنا في شرح تلك الكلمات، إلىٰ استخراج معانيها من المعاجم المتخصصة في كل فن بعينه، ثم أعدنا صياغة الشرح بعبارات بسيطة ويسيرة، مناسبة للسياق ومفسرة له.

كي يتمكن القارئ المبتدئ من أن يستوعبها ويفهمها بيسر وسهولة؛ حيث إن الهدف من الكتاب كما ذكرنا من قبل هو تبسيط العلم علىٰ الراغبين فيه من المبتدئين والعامة؛ ولذلك لم نقم بتوثيق تلك المعاجم؛ لسهولة ويسر توثيق تلك المعاجم للباحث الراغب في التحقيق والتعمق.

ثالثًا- منهجُ العملِ في الأحاديثِ المتعلقةِ بالشرح:

الحديث الذي رُوي في الصحيحين أو في أحدهما يُكتفَىٰ بذكر موضعه فيهما؛ لشهرتهما ولاتفاق العلماء علىٰ صحة ما ورد فيهما.

قال الإمام النووي في شرح مسلم (١/ ١٤): «اتفق العلماء علىٰ أن أصحَّ الكتبِ بعد القرآن الكريم الصحيحان: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وتلقتهما الأمة بالقبول».

وقال الإمام الجويني: «لو حلَف إنسانٌ بطلاق امرأته أن ما في كتابي البخاري ومسلم مما حكما بصحته من قول النبي ﷺ؛ لما ألزمته الطلاق ولا حنثته لإجماع علماء المسلمين علىٰ صحتهما». صيانة صحيح مسلم، ابن الصلاح (١/ ٨٦).

١- ما روي في غير الصحيحين كـ: أبي داود، الترمذي، النسائي، ابن ماجه، الموطأ، المسند لأحمد، سنن الدارمي، أو غير ذلك- اعتمدتُ في ذكر الحكم عليه من صحةٍ أو ضعفٍ علىٰ علماء الحديث (المتقدمين أو المتأخرين)؛ تقليدًا لأهل الاختصاص والمعرفة بذلك من علماء الحديث، مع الاقتصار علىٰ نقل أقوالهم تصحيحًا وتضعيفًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ٤٣﴾ [النحل: ٤٣] وقال ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ٥٩﴾ [الفرقان: ٥٩].

٢-ولا غرو في ذلك؛ فالإمام الشافعي العالم المجتهد الفقيه قال للإمام أحمد يومًا: «أنتم أعلمُ بالحديث والرجال مني، فإذا صحَّ الحديثُ فأخبرني به حتىٰ أذهب إليه شاميًّا أو بصريًّا أو كوفيًّا». وهذا من كمال دين الشافعي وعقله حيث سلَّم هذا

العلم لأهله. [الانتقاء في فضائل الثلاثة، ابن عبد البر (١/ ٧٥)].

ومن الواضح لدىٰ المنشغلين بالعلم أن تصحيح الحديث وتضعيفه خاضع للاجتهاد، وفيه تفاوت بين العلماء في العلم بأحوال الرجال وطرق الحديث، فما يعرفه بعضهم من حالٍ للراوي قد يخفىٰ علىٰ غيره، وما يقف عليه آخر من شواهد ومتابعات قد لا يتيسر لغيره، فيختلف حكمهم علىٰ الحديث الواحد تبعًا لذلك، ويختلف ترجيحهم تصحيحًا وتضعيفًا تبعًا لاجتهادهم في الراجح من حال الراوي، وفي الراجح من خلو طرق الحديث من الشذوذ والعلة... وهكذا.

يقول الإمام الترمذي: «وقد اختلف الأئمة من أهل العلم في تضعيف الرجال كما اختلفوا في سوىٰ ذلك من العلم». [شرح علل الترمذي (٢/ ٥٥٨)].

وقال الذهبي: «فكم مِن حديثٍ تردَّد فيه الحفَّاظُ: هل هو حسن أو ضعيف أو صحيح؟ بل الحافظ الواحد يتغيَّر اجتهادُه في الحديث الواحد، فيومًا يصفه بالصحة ويومًا يصفه بالحسن ولربما استضعفه». [الموقظة ص (٢٨)].

أما الحديث الضعيف فأذكره بصيغة التمريض لا بالجزم، وقد اتفق المحدِّثون أنه لا يسوغ رواية الضعيف بصيغة جازمة تؤكِّد نسبة الحديث إلىٰ النبي ﷺ كأن يقال في رواية الحديث الضعيف: قال رسول الله ﷺ كذا...، أو فَعَل، أو أَمَرَ، وما أشبه ذلك من الألفاظ الجازمة بصدوره عنه ﷺ. وإنما يقال فيه: روي عن رسول الله ﷺ، أو يُروىٰ، أو ورَد، أو يُحكىٰ، أو يُنقَل... وهكذا.

يقول الدكتور نور الدين عتر: «أما مجرد رواية الحديث الضعيف في غير العقائد وأحكام الحلال والحرام، كأن يروي في الترغيب والترهيب والقصص والمواعظ ونحو ذلك فقد أجاز العلماء المحدِّثون رواية ما سوىٰ الحديث الموضوع وما يشابهه من غير اهتمام ببيان ضعفه، والآثار عنهم في ذلك كثيرة مستفيضة ذكر الخطيب البغدادي جملة منها في كفايته». (منهج النقد في علوم الحديث، ص(٢٩٦)).

- أدرجنا في نهاية الكتاب الفهرس الخاص به، ويشتمل علىٰ ما يلي:

• فهرس كتب وأبواب كتاب رياض الصالحين للإمام النووي (المتن الأصلي)،

وميزناه باللون الأسود.

• شروح كتبه وأبوابه، والمسمىٰ بـ(**دليل المعاصرين**)، وميزنا شروحنا باللون الأحمر، ليسهل العثور عليها.

لاحظ أخي الكريم- يا من له باعٌ في اللغة وطلب العلم- أننا تعمَّدنا في شَرْحنا أبواب الكتاب التبسيطَ الشديد قَدْر وُسْعنا.

ليسهل علىٰ القارئ العامي البسيط- الذي لا يملك رصيدًا لغويًّا يُتيح له فهم الألفاظ الرصينة والتراكيب اللغوية المعقدة- فهم وإدراك شرح الأبواب.

لذا آثرنا التبسيط الشديد لتوصيل المعلومة بسهولة ويسر علىٰ حساب الصياغات الفصيحة الموجزة التي قد لا يستطيع القارئ العاميُّ البسيط أن يُدرِكَ مَرَاميها.

وإني لأتقدَّم بالشكر إلىٰ كلِّ مَن مدَّ يَدَ الجهد والمعونة والنُّصح في هذا الجهد المتواضع، فمن لا يَشكُر الناسَ لا يشكر الله. وألتمس من القارئ الكريم غضَّ الطَّرْف عما قد يقع فيه القلم من سَقَطات أو زَلَّات؛ ذلك أن الكمالَ لله تعالىٰ وحده.

قال الثَّعَالِبِيُّ: لا يَكتُب أحدٌ كتابًا فيَبيتُ عنده ليلةً إلا أَحَبَّ في غيرِها أن يزيدَ أو ينقص منه، هذا في ليلة، فكيف في سنينَ معدودةٍ؟!

وقال العِمادُ الأصبهانيُّ: إني رأيتُ أنه لا يكتب إنسانٌ كتابًا في يومه إلا قال في غَدِه: لو غُيِّر هذا لكان أَحسَنَ، ولو قُدِّم هذا لكان أَفْضَلَ، ولو تُرِكَ هذا لكان أَجْمَلَ، وهذا مِن أعظم العِبَر، وهو دليلٌ علىٰ استيلاء النقص علىٰ جملة البشر.

وقال العَتَّابيُّ: مَن قَرَض شعرًا أو وَضَع كتابًا فقد استُهدِف للخصوم واستُشرِف للألسن (أي: أصبح هدفا للنقد)، إلا عند مَن نَظَر فيه بعين العدل، وحَكَم فيه بغير الهوىٰ، وقليلٌ ما هم.

نسأل الله ﷻ أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يقبله عنده، وأن يجزيَ كلَّ من شارك فيه خيرَ الجزاء؛ فإنه نعم المولىٰ ونعم النصير، وهو حسبنا ونعم الوكيل، والله الموفق.

مُقدِّمةُ المؤلِّفِ (الإمام النوويِّ)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الواحد القهار، العَزيزِ الغَفَّار، مُكوِّرِ اللَّيْلِ علىٰ النَّهارِ؛ تَذْكِرَةً لأُولي القُلُوب والأبصارِ، وتَبْصرَةً لِذَوي الألبَابِ والاعتِبَارِ، الَّذي أَيقَظَ مِنْ خَلقِهِ مَن اصطفَاهُ فزَهَّدَهُمْ في هذهِ الدَّارِ، وشَغَلَهُمْ بمُراقبَتِهِ وإدَامَةِ الإفكارِ (أي: التفكر)، ومُلازَمَةِ الاتِّعاظِ والادِّكَارِ (أي: التذكر)، ووَفَّقَهُمْ للدَّأْبِ (أي: الاستمرار) في طاعَتِهِ، والتَّأهُّبِ لِدَارِ القَرارِ، والحَذَرِ مِمَّا يُسْخِطُهُ ويُوجِبُ دَارَ البَوارِ (أي: الهلاك)، والمُحافَظَةِ علىٰ ذلِكَ مَعَ تَغايُرِ الأَحْوَالِ والأَطْوَارِ، أَحْمَدُهُ أَبلَغَ حمْدٍ وأزكَاهُ، وَأشملَهُ (أي: أعمَّه) وأَنْمَاهُ، وأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللهُ البَرُّ الكَريمُ، الرءوفُ الرَّحيمُ، وأشهَدُ أَنَّ سَيِّدَنا مُحمَّدًا عَبدُهُ ورَسُولُهُ، وحبيبُهُ وخليلُهُ، الهَادِي إلىٰ صِراطٍ مُسْتَقيمٍ، والدَّاعِي إِلَىٰ دِينٍ قَويمٍ، صَلَوَاتُ الله وسَلامُهُ عليهِ، وَعَلَىٰ سَائِرِ النَّبيِّينَ، وَآلِ كُلٍّ، وسَائِرِ الصَّالِحِينَ.

أما بعد، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧﴾ [الذاريات:٥٦، ٥٧]، وهَذا تَصريحٌ بأَنَّهُم خُلقوا للعِبادَةِ، فَحقَّ عَلَيْهِمُ الاعْتِنَاءُ بِمَا خُلِقُوا لَهُ وَالإعْراضُ (أي: البعد) عَنْ حُظُوظِ الدُّنْيا بالزَّهادَةِ؛ فَإنَّهَا دَارُ نَفَادٍ (أي: فناء وزوال) لَا مَحَلُّ إخْلَادٍ، وَمَرْكَبُ عُبُورٍ لَا مَنْزِلُ حُبُورٍ (أي: سرور)، وَمَشْرَعُ انْفِصَامٍ لَا مَوْطِنُ دَوَامٍ، فلِهذا كَانَ الأَيقَاظُ مِنْ أَهلِهَا هُمُ العُبَّادَ، وَأَعْقَلُ النَّاسِ فيهَا هُمُ الزُّهَّادَ؛ قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝٢٤﴾ [يونس: ٢٤]. والآياتُ في هذا المعنىٰ كثيرةٌ. ولقد أَحْسَنَ القَائِلُ:

إنَّ لله عِبَادًا فُطَنَا ... طَلَّقوا الدُّنيا وخافوا الفِتَنَا

نظروا فيها فلَمَّا عَلِمُوا ... أنها لَيسَتْ لِحَيٍّ وَطَنَا

جَعَلُوها لُجَّةً (أي: بحرًا) واتَّخَذوا ... صالحَ الأعمالِ فيها سُفُنَا

فإذا كَانَ حالُـها ما وصَفْتُهُ، وحالُنَا وَمَا خُلِقْنَا لَـهُ مَا قَدَّمْتُهُ؛ فَحَقٌّ عَلَىٰ المُكلَّفِ أَنْ يَذْهَبَ بنفسِهِ مَذْهَبَ الأخْيارِ، وَيَسلُكَ مَسْلَكَ أُولي النُّهَىٰ (أي: العقول) وَالأَبْصَارِ، وَيَتَأَهَّبَ (أي: يستعد) لِمَا أَشَرْتُ إليهِ، وَيَهتَمَّ لِمَا نَبَّهتُ عليهِ، وأَصْوَبُ طريقٍ لهُ في ذَلِكَ، وَأَرشَدُ مَا يَسْلُكُهُ مِنَ المَسالِكِ، التَّأَدُّبُ بمَا صَحَّ عَنْ نَبِيِّنَا سَيِّدِ الأَوَّلينَ والآخرينَ، وَأَكْرَمِ السَّابقينَ واللَّاحِقينَ، صَلَواتُ الله وسَلامُهُ عَلَيهِ وَعَلَىٰ سَائِرِ النَّبيِّينَ؛ وقدْ قالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿**وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ**﴾ [المائدة: ٢].

وقد صَحَّ عَنْ رسولِ الله ﷺ أَنَّهُ قالَ: «**واللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخيهِ**». [مسلم برقم (٢٦٩٩)]، وَأَنَّهُ قالَ: «**مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ**». [مسلم برقم (١٨٩٣)]، وأَنَّهُ قالَ: «**مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لَا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئًا**». [مسلم برقم (٢٦٧٤)]، وأَنَّهُ قالَ لِعَليٍّ رضي الله عنه: «**فَوَاللهِ، لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ** (أي: الإبل الحمر)». [متفق عليه].

فَرَأَيتُ أَنْ أَجْمَعَ مُخْتَصَرًا مِنَ الأَحاديثِ الصَّحيحَةِ، مشْتَمِلًا عَلَىٰ مَا يكُونُ طَرِيقًا لِصَاحِبِهِ إِلَىٰ الآخِرَةِ، ومُحَصِّلًا لآدَابِهِ البَاطِنَةِ وَالظَّاهِرَةِ، جَامِعًا للترغيب والترهيب وسائر أنواعِ آدابِ السالكين: من أحاديث الزهد ورياضات النُّفُوسِ، وتَهْذِيبِ الأَخْلاقِ، وطَهَارَاتِ القُلُوبِ وَعِلاجِهَا، وصِيانَةِ الجَوَارِحِ وَإِزَالَةِ اعوِجَاجِهَا، وغيرِ ذلِكَ مِنْ مَقَاصِدِ الْعارفِينَ.

وَأَلتزِمُ فيهِ أَلَّا أَذْكُرَ إلا حَدِيثًا صَحِيحًا مِنَ الْوَاضِحاتِ، مُضَافًا إِلَىٰ الْكُتُبِ الصَّحِيحَةِ المَشْهُوراتِ، وأُصَدِّرُ الأَبْوَابَ مِنَ الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ بِآياتٍ كَرِيماتٍ، وَأُوشِّحُ مَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ ضَبْطٍ أَوْ شَرْحِ مَعْنًىٰ خَفِيٍّ بِنَفَائِسَ مِنَ التَّنْبِيهاتِ، وإِذا قُلْتُ في آخِرِ حَدِيث: «متفق عليه». فمعناه: رواه البخاريُّ ومسلمٌ.

وَأَرجُو إِنْ تَمَّ هذَا الْكِتَابُ أَنْ يَكُونَ سَائِقًا لِلمُعْتَنِي بِهِ إِلَىٰ الخَيْرَاتِ، حَاجِزًا لَهُ عَنْ أَنْواعِ الْقَبَائِحِ والمُهْلِكَاتِ، وأَنَا سَائِلٌ أَخًا انْتَفَعَ بِشَيءٍ مِنْهُ أَنْ يَدْعُوَ لِي، وَلِوَالِدَيَّ وَمَشَايِخي وَسَائِرِ أَحْبَابِنَا، وَالمُسْلِمِينَ أجْمَعِينَ. وعَلَىٰ الله الكَرِيم اعْتِمادِي، وَإِلَيْهِ تَفْوِيضي وَاسْتِنَادِي، وَحَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ الْعَزِيزِ الحَكِيمِ.

بسم الله الرحمن الرحيم

١- باب الإخلاص وإحضار النيّة في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفيّة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿لَن يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٢٩].

(١/١) وعن أمير المؤمنين أبي حَفْص عمرَ بن الخطاب بن نُفَيْل بن عبد العُزَّى بن رِيَاح بن عبد الله بن قُرْط بن رَزَاح بن عَدِيِّ بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غَالِب القُرشيِّ العَدَوِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق على صحته؛ رَوَاهُ إِمَامَا المُحَدِّثِينَ، أَبُو عبد الله مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيل بْن إبراهِيمَ بْن المُغِيرَة بن بَرْدِزْبه الجُعْفِيُّ البُخَارِيُّ، وأبو الحسين مسلم بن الحجاج ابن مسلم القشيري النيسابوري رضي الله عنه في صحيحيهما اللَّذَيْنِ هما أَصَحُّ الكُتبِ المصنفة.

(٢/١) وعن أُمِّ المؤمنينَ أُمِّ عبد الله، عائشةَ رضي الله عنها قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَغْزُو جَيْشٌ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا كَانُوا بِبَيْدَاءَ (أي: مكان بين مكة والمدينة) مِنَ الأَرْضِ يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ». قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ يُخْسَفُ بأَوَّلِهم وَآخِرِهِمْ وَفِيهِمْ أَسْوَاقُهُمْ (أي: الرعية وأوساط الناس) وَمَنْ لَيْسَ مِنْهُمْ؟! قَالَ: «يُخْسَفُ بِأَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ ثُمَّ يُبْعَثُونَ عَلَى نِيَّاتِهِمْ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٣/١) وعن عائشةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ النبي ﷺ: «لَا هِجْرَةَ بَعْدَ الفَتْحِ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا (أي: إذا طلب منكم النصرة والعون فأجيبوا واخرجوا للإعانة)». متفق عليه.

وَمَعناهُ: لا هِجْرَةَ مِنْ مَكَّةَ؛ لأَنَّها صَارَتْ دَارَ إسلام.

(٤/١) وعن أبي عبد الله جابر بن عبد الله الأنصاريِّ رضي الله عنهما قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ». وَفِي رِوَايَةٍ: «إِلَّا شَرِكُوكُمْ فِي الأَجْرِ». رواه مسلم.

وروَاهُ البخاريُّ عن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: رَجَعْنَا مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فقال: «إِنَّ أَقْوَامًا خَلْفَنَا بِالْمَدِينَةِ، مَا سَلَكْنَا شِعْبًا (أي: وهو الطريق بين جبلين) وَلَا وَادِيًا إِلَّا وَهُمْ مَعَنَا، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ».

(١/٥) وعن أبي يَزيدَ مَعْنِ بنِ يَزيدَ بنِ الأخنسِ رضي الله عنهم، وهو وأبوه وَجَدُّه صحابيُّون، قَالَ: كَانَ أَبِي - يَزِيدُ - أَخرَجَ دَنَانِيرَ يَتَصَدَّقُ بِهَا، فَوَضَعَهَا عِنْدَ رَجُلٍ فِي المَسْجِدِ، فَجِئْتُ فَأَخَذْتُها فَأَتَيْتُهُ بِهَا، فقَالَ: واللهِ، مَا إِيَّاكَ أَرَدْتُ. فَخَاصَمْتُهُ إِلىٰ رسولِ اللهِ ﷺ، فقَالَ: «لَكَ مَا نَوَيْتَ يَا يَزِيدُ، وَلَكَ مَا أَخَذْتَ يَا مَعْنُ». رواه البخاري.

(١/٦) وعن أبي إسحاقَ سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ مالِكِ بنِ أُهَيْب بنِ عبدِ منافِ بنِ زُهْرَةَ بنِ كِلَابِ ابنِ مُرَّةَ بنِ كعبِ بنِ لُؤَيٍّ، القُرشِيِّ الزُّهريِّ رضي الله عنه، أَحَدِ العَشَرَةِ المشهودِ لهم بالجنة، قَالَ: جاءَنِي رسولُ اللهِ ﷺ يَعُودُنِي (أي: يزورني وأنا مريض) عَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي قَدْ بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَىٰ، وَأَنَا ذُو مَالٍ وَلَا يَرِثُنِي إلا ابْنَةٌ لِي، أفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟ قَالَ: «لَا». قُلْتُ: فَالشَّطْرُ (أي: النصف) يَا رَسُولَ اللهِ؟ فقَالَ: «لَا». قُلْتُ: فالثُّلُثُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «الثُّلُثُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ - أو كَبِيرٌ - إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ (أي: تترك) وَرَثَتَكَ أَغْنِيَاءَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً (أي: فقراء) يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ (أي: يطلبون حاجاتهم من الناس)، وَإِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللهِ إِلَّا أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ فِي فِي (أي: فم) امْرَأَتِكَ». قَالَ: فَقُلتُ: يَا رسولَ الله، أُخلَّفُ (أي: أُترَك) بعدَ أصْحَابي (أي: سأل سعدٌ النبيَّ ﷺ ذلك السؤال لأنه كره أن يتخلَّف فيموت في مكة وقد خرج منها مهاجرًا إلىٰ الله ورسوله)؟ قَالَ: «إِنَّكَ لَنْ تُخَلَّفَ فَتَعْمَلَ عَمَلًا تَبْتَغِي بِهِ وَجْهَ اللهِ إِلَّا ازْدَدْتَ بِهِ دَرَجَةً وَرِفْعَةً، وَلَعَلَّكَ أَنْ تُخَلَّفَ حَتَّىٰ يَنْتَفِعَ بِكَ أَقْوَامٌ وَيُضَرَّ بِكَ آخَرُونَ. اللَّهُمَّ أَمْضِ (أي: تمّم) لِأَصْحَابِي هِجْرَتَهُمْ، وَلَا تَرُدَّهُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِهِمْ، لَكِنِ الْبَائِسُ سَعْدُ بْنُ خَوْلَةَ». يَرْثِي لَهُ (أي: يحزن عليه) رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ مات بِمَكَّةَ. متفق عليه.

(١/٧) وعن أبي هريرةَ عبدِ الرحمنِ بنِ صخرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالىٰ لَا يَنْظُرُ إِلَىٰ أَجْسَامِكُمْ وَلَا إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ». رواه مسلم.

(١/٨) وعن أبي موسىٰ عبدِ اللهِ بنِ قيسٍ الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ اللهِ ﷺ عَنِ الرَّجُلِ يُقاتِلُ شَجَاعَةً ويُقَاتِلُ حَمِيَّةً (أي: تعصبًا لقومه) ويُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلِكَ فِي سبيلِ اللهِ؟ فقال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفق عليه.

(٩/ ١) وعن أبي بَكْرَة نُفَيع بن الحارثِ الثقفيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا الْتَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ». قُلتُ: يا رَسُولَ الله، هذا القَاتِلُ فَما بَالُ المقْتُولِ؟ قَالَ: «إِنَّهُ كَانَ حَرِيصًا عَلَىٰ قَتْلِ صَاحِبِهِ». متفق عليه.

(١٠/ ١) وعن أبي هريرة ﷺ قالَ: قالَ رَسُول الله ﷺ: «صَلَاةُ الرَّجُلِ فِي جَمَاعَةٍ تَزِيدُ عَلَىٰ صَلَاتِهِ فِي سُوقِهِ وَبَيْتِهِ بِضْعًا (أي: وهو عدد بين الثلاث إلىٰ التسع) وَعِشْرِينَ دَرَجَةً؛ وَذَلِكَ أَنَّ أَحَدَهُمْ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ لَا يُرِيدُ إِلَّا الصَّلَاةَ، لَا يَنْهَزُهُ إِلَّا الصَّلَاةُ: لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ حَتَّىٰ يَدْخُلَ الْمَسْجِدَ، فإذا دَخَلَ الْمَسْجِدَ كَانَ فِي الصَّلَاةِ مَا كَانَتِ الصَّلَاةُ هِيَ تَحْبِسُهُ، وَالْمَلَائِكَةُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مَجْلِسِهِ الَّذِي صَلَّىٰ فِيهِ، يَقُولُونَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ تُبْ عَلَيْهِ. مَا لَمْ يُؤْذِ فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ فِيهِ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. وقوله ﷺ: «يَنْهَزُهُ» هُوَ بِفَتْحِ اليَاءِ والهَاءِ وبالزَّاي، أَيْ: يُخْرِجُهُ ويُنْهِضُهُ.

(١١/ ١) وعن أبي العبَّاس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب ﷺ: عن رَسُول الله ﷺ فيما يروي عن ربهِ تبارك وتعالىٰ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْحَسَنَاتِ والسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ (أي: عزم علىٰ فعلها) فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَها اللهُ تَبَارَكَ وتَعَالىٰ عِنْدَهُ حَسَنَةً كامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ عَشْرَ حَسَناتٍ إِلَىٰ سَبْعِمائَةِ ضِعْفٍ إِلَىٰ أَضْعَافٍ كَثِيرةٍ، وإِنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا (أي: خوفًا من الله) كَتَبَهَا اللهُ تَعَالَىٰ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، وَإِنْ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً». متفق عليه.

(١٢/ ١) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بنِ عمرَ بن الخطاب ﷺ قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «انْطَلَقَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ (أي: وهو اسم يُطلق علىٰ جماعة الرجال ما بين الثلاثة والعشرة) مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّىٰ آوَاهُمُ الْمَبِيتُ إِلَىٰ غَارٍ فَدَخَلُوهُ، فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الْجَبَلِ فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لَا يُنْجِيكُمْ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ. قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لَا أَغْبِقُ (أي: ما كنت أُقدِّم عليهما أحدًا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح) قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ (أي: بَعُد) بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ (أي: أرجع) عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَين، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أو مالًا، فَلَبِثْتُ

والْقَدَحُ عَلَىٰ يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّىٰ بَرَقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ (أي: يبكون ويصيحون) عِنْدَ قَدَمَيَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِك ابتِغاءَ وَجْهِك فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ. فانْفَرَجتْ شَيْئًا لا يَسْتَطيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ. قَالَ الآخر: اللَّهُمَّ إِنَّهُ كانَتْ لِيَ ابْنَةُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحبَّ النَّاسِ إليَّ».

وفي رواية: «كُنْتُ أُحِبُّها كأَشَدِّ مَا يُحِبُّ الرِّجَالُ النساءَ- فَأَرَدْتُها عَلَىٰ نَفْسِهَا (أي: أردت أن أغصبها نفسها لأُجامِعها) فامْتَنَعَتْ مني، حَتَّىٰ أَلَمَّتْ بها سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ (أي: وقعت في ضائقة وشدة) فَجَاءتْنِي فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمائةَ دينارٍ عَلَىٰ أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا فَفعلَتْ، حَتَّىٰ إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا».

وفي رواية: «فَلَمَّا قَعَدْتُ بَينَ رِجْلَيْهَا- قالَتْ: اتَّقِ اللهَ وَلَا تَفُضَّ الخَاتَمَ (أي: كناية عن الفرج والبكارة) إِلَّا بِحَقِّهِ (أي: بالزواج المشروع)، فَانصَرفْتُ عَنْهَا وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إليَّ وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أعْطَيْتُها. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذلِكَ ابْتِغاءَ وَجْهِك فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فيهِ. فانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا. وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ وأَعْطَيْتُهُمْ أجْرَهُمْ غيرَ رَجُلٍ واحدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّىٰ كَثُرَتْ مِنهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءنِي بَعدَ حِينٍ، فَقَالَ: يَا عبدَ الله، أَدِّ إِلَيَّ أجْرِي. فَقُلْتُ: كُلُّ مَا تَرَىٰ مِنْ أَجْرِكَ: مِنَ الإبلِ وَالبَقَرِ والْغَنَمِ والرَّقِيقِ. فَقَالَ: يَا عبدَ الله، لَا تَسْتَهْزِئ بي! فَقُلْتُ: لَا أَسْتَهزِئُ بِكَ. فَأَخَذَهُ كُلَّهُ فاسْتَاقَهُ فَلَمْ يتْرُكْ مِنهُ شَيئًا. اللَّهُمَّ إِنْ كُنتُ فَعَلْتُ ذِلكَ ابتِغاءَ وَجْهِكَ فافْرُجْ عَنَّا مَا نَحنُ فِيهِ. فانْفَرَجَتِ الصَّخْرةُ فَخَرَجُوا يَمْشُونَ». متفق عليه.

❃ ❃ ❃

(الإخــــلاص)

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٣]. **وقال تعالى:** ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ۝١١٠﴾ [الكهف: ١١٠]. وعن أبي أُمامة رضي الله عنه قال: جاء رجلٌ إلىٰ النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسولَ الله، أرأيتَ رجلًا غزا يلتمسُ الأجرَ والذِّكر (أي: يطلب به الثواب من الله والاشتهار بين الناس): ما له؟ قال: «لا شَيْءَ له». فأعادها الرجلُ ثلاثًا، كلَّ

ذلك يقول النبيُّ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ». ثم قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ». النسائي برقم (٣١٤٠)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٥٦).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، مَن أَسْعَدُ الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ أَنَّهُ لَا يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الْحَدِيثِ أَحَدٌ قَبْلَكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الْحَدِيثِ. يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي مَنْ قَالَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ خَالِصًا مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ». البخاري برقم (٦٥٧٠). قال مَكْحُولٌ رحمه الله: ما أخلص عبدٌ قطُّ أربعين يومًا إلا ظهرت ينابيعُ الحكمة من قلبه ولسانه. وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: إذا أخلص العبدُ انقطعت عنه كثرةُ الوساوس والرِّياء (أي: انشغاله بنظرة الناس إليه).

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: العملُ بغير إخلاص ولا اقتداء (أي: بهَدْي النبيِّ ﷺ) كالمُسافِر يملأ جِرَابه رملًا ينقله ولا ينفعه. (والجراب: إناء من الجلد يضع فيه المسافر ما لديه من زاد للسفر).

قال أحد الأولياء: أخلِصِ النِّيَّةَ في أعمالك يَكْفِكَ القليلُ من العمل. وقال يحيى بن مُعاذ رحمه الله: الإخلاص يُميِّز العملَ (أي: ينقيه) من العيوب كتمييز اللَّبَن من الفَرْث (أي: الأمعاء والأحشاء) والدَّم.

وقال بعضُ الصالحين: في إخلاصِ ساعةٍ نجاةُ الأبد، ولكن الإخلاص عزيزٌ (أي: قليل وصعب). وقال أيضا: العلم بَذْرٌ، والعمل زَرْعٌ وماؤه الإخلاص.

وقال أيضا: * مُرَاد الله من عمل الخلائق الإخلاصُ فقط. وقال الجُنَيد رحمه الله: إن لله عبادًا عَقَلوا (أي: فهموا مراد الله تعالى)، فلما عَقَلوا عَمِلوا، فلما عملوا أخلصوا، فاستدعاهم الإخلاص إلى أبواب البرِّ أجمعَ.

وقال أيضًا: إذا أبغض اللهُ عبدًا أعطاه ثلاثًا ومنعه ثلاثًا: أعطاه صُحبة الصالحين ومنعه القبولَ منهم، وأعطاه الأعمال الصالحة ومنعه الإخلاص فيها، وأعطاه الحكمة ومنعه الصدق فيها.

وقال ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ». النسائي برقم (٣١٧٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٣٨٨). وقال ﷺ: «بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالتَّيْسِيرِ وَالسَّنَاءِ (أي: ارتفاع المنزلة)، وَالرِّفْعَةِ بِالدِّينِ وَالتَّمْكِينِ فِي الْبِلَادِ وَالنَّصْرِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ بِعَمَلِ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا فَلَيْسَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ». أحمد (٥/ ١٣٤) برقم (٢١٢٥٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٢٥).

وقال ابن قُتيبة في كتابه «عيون الأخبار»: حاصَرَ مَسْلمةُ بن عبد الملك حِصنًا، وكان في

ذلك الحصن نَقْبٌ (أي: ثَقْبٌ في الحائط) فندب (أي: شجع) الناسَ إلىٰ دخوله فما دخله أحدٌ، فجاء رجلٌ من عُرُضِ الجيش (أي: من عامَّته غير معروف) فدخله ففتح الله عليه الحِصنَ، فنادىٰ مَسْلمةُ: أين صاحبُ النَّقب؟ فما جاءه أحدٌ، فنادىٰ: إني قد أمرتُ الآذن بإدخاله ساعةَ يأتي، فعزمتُ عليه (أي: فأقسمت عليه ورجوته) إلا جاء. فجاء رجلٌ إلىٰ الآذن فقال: استأذِن لي علىٰ الأمير. فقال له: أنت صاحب النَّقب؟ قال: أنا أُخبركم عنه. فأتىٰ الآذنُ إلىٰ مَسْلمة فأخبره عنه فأذن له، فقال الرجلُ لمسلمة: إن صاحبَ النَّقب يأخذ عليكم (أي: يشترط) ثلاثًا: ألا تُسَوِّدوا اسمه (أي: لا تكتبوه في صحيفةٍ إلىٰ الخليفة)، ولا تأمروا له بشيءٍ (أي: كمنحة)، ولا تسألوه ممن هو (أي: من أيِّ قبيلةٍ هو). قال مَسْلمة: فذاك له. قال الرجل: أنا هو. فكان مَسْلمة بعد هذه لا يُصلِّي صلاةً إلا قال: اللهم اجعلني مع صاحب النَّقْب.

إخلاصُ النيةِ لله تعالى: قال عمر بن الخطَّاب ﷺ في كتابٍ أرسله إلىٰ أبي موسىٰ الأشعريِّ ﷺ: مَن خلُصت نيَّته كَفاه اللهُ ما بينه وما بين الناس (أي: فلا ينشغل بمداهنتهم وطلب الأجر منهم)، ومَن تزيَّن بما ليس في نفسه شانَه (أي: عابه) الله؛ فإن اللهَ تعالىٰ لا يقبل من العباد إلا ما كان خالصًا، فما ظنُّك بثوابٍ عند الله في عاجلِ رزقه وخزائن رحمته.

فإذا خَلُصت نيةُ العبد لله تعالىٰ، وكان قَصْدُه وهمُّه في عمله ابتغاءَ مرضاة الله تعالىٰ أيَّده الله وأعانه. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحۡسِنُونَ ١٢٨﴾ [النحل: ١٢٨].

فرأسُ التقوىٰ والإحسان هو إخلاص النية لله تعالىٰ في إقامة الحق، واللهُ ﷻ لا غالب له، فمن كان الله في عونه ونصره فمن ذا الذي يغلبه أو يناله بسوء؟! وممن يخاف؟! وإن لم يكن الله في عونه فمَن يرجو؟! وبِمَن يثق؟! وبمن ينتصر؟! فإذا قام العبدُ بالحقِّ علىٰ نفسه وغيره، وكان مخلصًا في ذلك لله تعالىٰ، لم تقف أمامه عقبة، ولو كاده خلائقُ عِظَامٌ لكفاه اللهُ وجعل له مخرجًا من كلِّ كرب. أما إذا كان قيامه في نفسه وغيره بالباطل لم يُمكَّن له في الأرض ولم ينصر، وحتىٰ لو نُصِر ظاهرًا فهو نصرٌ زائف لا عاقبة له.

وإن قام العبدُ في نفسه وغيره بالحقِّ من دون إخلاصٍ، وإنما لطلب الحمد والجزاء من الناس، أو للوصول إلىٰ غرضٍ دنيويٍّ محض، وكان القيامُ بذلك الحقِّ هو السبيلَ إليه- فلا يضمن نصر الله؛ فإن اللهَ تعالىٰ ضمن النصرة لمن جاهد في سبيله وقاتل لتكون

كلمةُ الله هي العليا، فمن كان وُسِم واتصف بذلك خرج من المتقين والمحسنين وكان من المرائين المنافقين. وحتىٰ لو قُدِّر له النصرُ فإنه يكون بحَسَبِ القَدْر الذي هو عليه من الحق، فيكون النصر علىٰ حَسَبه. وعلىٰ هذا فإذا عزم العبدُ علىٰ فِعْل أمرٍ ما فعليه أوّلًا أن يعلم هل هو طاعةٌ لله أم لا، فإن لم يكن طاعةً لله فلا يفعله، إلا أن يكون عملًا مباحًا فيستعين به علىٰ الطاعة، ومن ثم يُحتسب عندئذٍ طاعةً؛ لأن حكم الأمور عند الله بمقاصدها، وهذه قاعدة عظيمة مُفرَّع عليها من الأحكام ما لا يمكن حَصْره.

وقول عمر رضي الله عنه: فَمَن تزيَّن (أي: ادَّعَىٰ) بما ليس فيه شَانَهُ اللهُ (أي: جعله معيبًا بين الناس)، فهذا هو المنافق الذي يُظهِر للناس أمرًا ويُبطِن في سرِّه خلافَه؛ ولذلك فإن الجزاء من جنس العمل: فالمُخلِص يُعجَّل له ثوابُ إخلاصه في عمله حلاوةً يجدها في قلبه ومحبةً ومهابةً في قلوب الناس، وأما المُتزيِّن بما ليس فيه وهو المنافق فعقوبتُه أن اللهَ يفضحه بين الناس؛ لأنه خالف سرُّه علانيتَه، فأبطن لله خلافَ ما يُظهر للناس، فكان جزاؤه أن أظهر اللهُ عيوبَه للناس جزاءً من جنس عمله. والإخلاص في الطاعة كما قال العلماء: تَرْكُ الرياء. وقالوا أيضًا: الإخلاص هو تخليص القلب من كلِّ شائبة تُفسد صفاءه.

وحقيقةُ الإخلاص هو التبرؤ من كلِّ ما دون الله تعالىٰ، فالإخلاص في الدين هو التبرؤ مما يدعيه اليهودُ من التشبيه، وما يدعيه النصارىٰ من التثليث؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَأَخۡلَصُواْ دِينَهُمۡ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٤٦].

قال ابن تيميَّة رحمه الله: فالإخلاص لله هو أصل الدين، وقاعدته هي أصل الأصول، وقاعدة الدين في سورتي «الإخلاص» و«الكافرون»؛ قال الله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ١﴾ [الكافرون:١].

فهي - أي سورة «الكافرون» - متضمِّنة توحيد الأعمال (أي: نية وقصد العبد) والعبودية لله وحده، فجميع الأعمال يجب أن تكونَ لله وحده، كالصلاة والدعاء والحج والذبح والنذر، وغيرها من الأعمال. وهي إخلاص الدين لله بالقصد والإرادة (أي: بأن يقصد بالعمل إرضاء الله فقط لا غيره)، فهي توحيد العمل والنية توحيدًا عمليًّا. أما سورة الإخلاص فهي توحيد الله بالعلم والقول (أي: أن يعلم ذلك يقينًا بقلبه ويتلفظ به قولا بلسانه)، فالسورة تتضمن التوحيد القولي والعِلميَّ.

حقيقة الإخلاص: كل شيء يُتصور أن تشوبه الشوائب، فإذا صفا وتخلَّص من الشوائب خلص وسمي خالصًا، فالشيء الخالص هو الشيء الصافي الذي لا تشوبه الشوائب ولا يُخالطه شيءٌ آخر؛ قال الله تعالىٰ: ﴿مِنۢ بَيۡنِ فَرۡثٖ وَدَمٖ لَّبَنًا خَالِصٗا سَآئِغٗا لِّلشَّٰرِبِينَ ٦٦﴾ [النحل: ٦٦]. والصافي هو الذي لا شائبة فيه، أما الخالصُ فهو الذي كانت فيه شوائبُ ثم زالت عنه فسمي خالصًا بعد ذلك.

الفرق بين المُخلَص والمُخلِص: أما المُخلَص فقد قال تعالىٰ: ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٤٠﴾ [الحجر: ٤٠]، فالمُخلَصون هم الذين اختارهم الله ﷻ، فهم المختارون، كالأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مُوسَىٰٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ مُخۡلَصٗا وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥١﴾ [مريم: ٥١].

أما المُخلِص فهو المُوحِّد الله ﷻ في عبادته؛ ولهذا سُمِّيت كلمة التوحيد كلمة الإخلاص، ومنها سُمِّيَت سورة ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ سورة الإخلاص؛ لأنها خالصة في صفة الله تعالىٰ؛ ولأن المتلفظ بها قد أخلص في توحيده الله ﷻ.

قال أبو بكر المَرْوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ رجلًا يقول لأحمد بن حنبل وذَكَر له الصدق والإخلاص، فقال له ابن حنبل: بهذا ارتفع القوم.

وسُئل ذو النون المصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ يومًا: فيمَ يجد العبد الخلاص؟ فقال: الخلاص في الإخلاص، فإذا أخلص تَخلَّص. وقال: من صحح (أي: اتبع السنة) استراح، ومن صَفَّىٰ (أي: أخلص) صُفِيَ له.

وقال سفيان بن عُيينة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما أخلص عبدٌ لله أربعين يومًا إلا أنبت الله الحكمة في قلبه نباتًا، وأنطق لسانَه بها، وبصَّره عيوبَ الدنيا داءها ودواءها.

وقال أبو يزيد: مَن سمع الكلام ليتكلم مع الناس رزقه الله فهمًا يُكلِّم به الناس، ومَن سمعه ليُعامل به الله رزقه الله فهمًا يُناجي به ربَّه.

وقال سَهْل التُّسْتَري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما مِن عبد دخل في شيء من السُّنَّة (أي: من أعمال الشريعة الصحيحة) وكانت نيَّته متقدمة (أي: تسبق العمل) في دخوله لله إلا خرج الجهل من سرِّه، شاء أم أبىٰ، ولا يعرف الجهلَ إلا فقيه زاهد عابد حكيم، ولا يبلغ العبدُ حقيقة علم النية حتى

يُدخله الله في ديوان أهل الصدق ويكون عالمًا بعلم الكتاب وعلم الآثار (أي: أقوال الصحابة وأهل العلم) وعلم الاقتداء (أي: السنة الصحيحة).

وقال يحيىٰ بن معاذ الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أشخص (أي: توجه خالصًا) بقلبه إلىٰ الله انفتحت ينابيع الحكمة من قلبه وجرت علىٰ لسانه.

وقيل لحمدون بن أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما بالُ كلام السلف أنفع من كلامنا؟ قال: لأنهم تكلَّموا لعزِّ الإسلام ونجاة النفوس ورضا الرحمن، ونحن نتكلَّم لعز النفوس وطلب الدنيا ورضا الخلق.

الأعمال المُتعلِّقةُ بالنيةِ: حينما يسمع الإنسان حديثَ النبيِّ ﷺ: «**إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ**» [متفق عليه] يتبادر إلىٰ الذهن أن جميعَ الأعمال تندرج تحت هذا الحديث، ومن ثم يستفيد العبد من كلِّ عملٍ حسَب نيته في ذلك.

والحقيقة أن جميعَ الأعمال يُمكن تقسيمها إلىٰ: **معاصٍ**، **وطاعات**، **ومباحات**.

١- المعاصي: فأما المعاصي فلا تنقلب إلىٰ طاعة أبدًا، مهما تغيرت النية. مثال ذلك: من أراد أن يغتاب إنسانًا لإدخال السرور علىٰ قلب غيره من الناس، أو أن يُطعم فقيرًا من مال مسروق، أو أن يبني مسجدًا بمالٍ حرام قاصدًا وناويًا الخير، فهذا من الجهل، فإذا كان عارفًا ومدركًا لذلك صار من المعاندين والمستهزئين بالشرع الحكيم، فالخير لا يُعرف إلا عن طريق الشرع، وليس بهوىٰ النفس، فلا يكون الشرُّ خيرًا أبدًا حتىٰ ولو كانت النية حسنة.

يقول سَهْلٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما عُصي الله بمعصية أعظم من الجهل (أي: يعني: مع الإصرار عليه). فسُئل: هل تعرف شيئًا أشدَّ من الجهل؟ قال: نعم، الجهل بالجهل (أي: يجهل الجاهل أنه جاهل)؛ وذلك لأن الجهلَ بالجهل يَسُدُّ طلب التعلم بالكلية علىٰ الإنسان، فكيف يطلب العلم من ظنَّ بنفسه أنه عالم؟! ولهذا فإن أفضل ما أطيع الله به هو العلم، ورأسُ العلمِ العلمُ بالعلم (أي: يعلم العبد قيمة العلم).

ولهذا قيل: إن من قَصَد الخير بمعصيةٍ عن جهل فهو غير معذور، إلا إذا كان قريب العهد بالإسلام ولم يجد بعدُ مهلةً للتعلم.

وقد قال الله تعالىٰ: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [النحل: ٤٣].

وقيل في الأثر: «**لَا يَنْبَغِي لِلْجَاهِلِ أَنْ يَسْكُتَ عَلَىٰ جَهْلِهِ**». رواه الطبراني في الأوسط.

ولهذا فقول النبي ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» إنما يختص بالطاعات والمباحات دون المعاصي، فالطاعة قد تنقلب إلىٰ معصية بالقصد والإرادة، والمباح قد ينقلب إلىٰ معصية أو إلىٰ طاعة كذلك بالقصد والإرادة. أما المعصية فلا تنقلب إلىٰ طاعة أبدًا، حتىٰ ولو قصدنا ذلك، والنية فيها قد تُضاعِف الضرر والإثم، وقد تدخل فيها نِيَّاتٌ أخرىٰ سيئة من استهزاءٍ بالشرع الحنيف وما إلىٰ ذلك.

٢-الطاعات: هنا أمران يجب التنبُّه إليهما:

أ- أن الأصل في الطاعات أن يقصد بها العبد وينوي عبادةَ الله تعالىٰ، بأن يقصد بها إرضاء وجهه الكريم لا غير. كقول رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ الله وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنيا يُصِيبُهَا أَو امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه.

فإذا قصد ونوىٰ مراءاة الناس انقلبت والعياذ بالله إلىٰ معصية.

ب- أن الطاعاتِ من الممكن مضاعفتُها إلىٰ أضعافٍ كثيرة إذا استطاع العبدُ أن ينويَ بالطاعة الواحدةِ خيراتٍ كثيرةً، فيكون له بكل نيةٍ ثوابٌ، وكلُّ ثوابٍ يُضاعَف عشرةَ أمثالِه. مثال ذلك: الجلوس في داخل المسجد، فهو طاعة، ولكن يمكن للمرء أن ينوي به نياتٍ كثيرةً حتىٰ يصير بها من المقربين إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، من ذلك:

أ- أن ينويَ أن هذا بيتُ الله، فيقصد به زيارةَ ربِّه فيه. فعن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ تَوَضَّأَ فِي بَيْتِهِ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ فَهو زائر الله، وحقٌّ علىٰ المزور أن يُكرم الزائر». ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٧/ ١١٥) برقم (٣٤٦١٧)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١١٦٩).

ب- أن ينويَ انتظارَ الصلاة بعد الصلاة، كما قال في الحديث: «فذلكمُ الرِّباط». مسلم برقم (٢٥١).

جـ- أن ينويَ الاعتكاف، ليكف أعضاءه عن المعصية أو الغفلة.

د- أن ينوي أن يختليَ بربِّه؛ ليذكره وليتفكر في نعمه وآلائه.

هـ- أن ينويَ أن يستفيدَ من العلم إن كان هناك تعليمٌ.

و- أن ينويَ أن يُعلِّم غيرَه ممن يحتاجون إلىٰ تعلُّم علمٍ ما من الفرائض مثلًا، كالصلاة والطهارة، أو إرشادٍ لخير أو حلٍّ لمشكلة إن كان يستطيع ذلك.

ز- أن ينويَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ح- أن ينويَ أن يتحصل أخًا في الله أو صاحبًا صالحًا؛ فإن المسجدَ بيتُ كلِّ تقيٍّ.

ط- أن ينويَ بذلك تَرْك الذنوب بالانقطاع في المسجد.

فقال الحسنُ بن عليٍّ رضي الله عنهما: من أدمن الاختلافَ إلىٰ المسجد (أي: الذهاب والإياب) رزقه الله إحدىٰ سبع خصال: أخًا مستفادًا في الله، أو رحمةً مستنزلة، أو علمًا مستظرفًا، أو كلمةً تدلُّ علىٰ هدًىٰ أو تصرفه عن رَدًىٰ (أي: هلاك)، أو يترك الذنوب خشيةً أو حياء.

فهذا طريق تكثير النيات، وتسير علىٰ هذا سائرُ الطاعات؛ إذ ما من طاعة إلا وتحمل نياتٍ كثيرة، وإنما يأتي هذا في العبد بعلمٍ وتعلُّمٍ، وبالصبر والاجتهاد في طلب الخير.

وروي عن أبي سعيد الخدري مرفوعًا قال: «لَنْ يشبعَ مؤمنٌ من خيرٍ حتَّىٰ يكونَ مُنْتهاه الجنة». الترمذي برقم (٢٦٨٦) وحسنه، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ١٤٤) برقم (٧١٧٥).

٣-المباحات: ما من شيءٍ من المباحات إلا وقد يحمل أكثرَ من نيةٍ، فيصير بها من أفضل القُرُبات عند الله. ولا ينبغي للعبد أن يتعامل مع المباحات تعامُلَ البهائم والأنعام، فيتعاطاها عن سهوٍ وغفلةٍ، فالتلذُّذ والتنعم في الدنيا ليس بمعصيةٍ، إلا أن العبدَ يُسأل عنه، والمباح قد ينقلب إلىٰ معصيةٍ أو إلىٰ طاعةٍ بحَسَب النية والقصد.

مثال ذلك: استعمالُ العطور للرجال عند الخروج من البيت مثلًا، فقد يَقصِد به العبدُ التلذُّذَ والتنعم، وهذا كما قلنا ليس بمعصيةٍ، ولكنه يُسأل عنه، وقد ضاع عليه الكثيرُ من الفُرَص للثواب والأجر. وقد يَقصِد بهذا المباح- وهو التطيُّب والتعطر- إظهارَ التفاخر علىٰ الناس ليدلَّ علىٰ كثرة ماله فيحسده أصحابه علىٰ ذلك، أو يقصد به الرِّياءَ والسُّمعة، بأن يُذكَر بينهم بطِيب الرائحة لتعلو مكانتُه بينهم، أو ينوي به التودُّدَ والتقرب إلىٰ النساء

الأجنبيات اللاتي لا يحللن له، فيصير فعله- وهو التطيُّب المباح- معصيةً؛ لسوء القصد والنية، فيصير بذلك وبالًا علىٰ صاحبه عند الله تعالىٰ.

وقد يقصد به نِيَّاتٍ حسنةً، كأن ينويَ به اتِّباعَ سُنَّة النبي ﷺ؛ حيث كان أطيبَ الناس ريحًا، وأن ينوي به تعظيمَ المسجد إذا دخل للصلاة واحترامَ بيت الله؛ كما قال تعالىٰ: ﴿خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾[الأعراف: ٣١]، فلا يدخل إلا طيِّبَ الرائحة، وأن ينوي به إدخال السرور علىٰ جيرانه في المسجد مثلًا، أو أصدقائه في العمل بمجاورتهم بتلك الرائحة الطيبة فيسعدون بها، وأن ينوي بذلك أن يدفع الرائحة الكريهة عن نفسه من أثر العرق والتعب الذي قد يضايق مُخالطيه، ويكف شرَّه عن الناس- فإنها صدقةٌ منه علىٰ نفسه. فعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسولَ الله، أيُّ الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان بالله، والجهاد في سبيله». قال: قلتُ: أيُّ الرقاب أفضل؟ قال: «أَنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِها وأكثرها ثمنًا». قال: قلتُ: فإن لم أفعل؟ قال: «تُعِينُ صَانِعًا أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ (أي: لشخص لا يستطيع صنع الأشياء بنفسه)». قال: قلتُ: يا رسول الله، أرأيت إن ضعفتُ عن بعض العمل؟ قال: «تكفُّ شرَّك عن الناسِ؛ فإنها صَدَقَةٌ مِنْك علىٰ نَفْسِكَ». متفق عليه.

وقد يقصد به العبد أن يُغلِق باب الغِيبة علىٰ المغتابين الذين قد يغتابونه بالرائحة الكريهة، فيكون ذلك سببًا لمعصيتهم لله؛ فإن المتسبِّب إلىٰ الشرِّ قد يُعَدُّ شريكًا فيه بحسب نيته، كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ﴾[الأنعام: ١٠٨]. وقد يقصد به معالجة رأسه وزيادة عقله؛ فإن الرائحةَ الزكية مفيدة للعقل، كما قال الشافعي رحمه الله: من طاب رِيحُه زاد عقله.

وهكذا يستطيع صاحبُ العلم والفَهْم والفقه ومن يُكثر الاستماع إلىٰ الفضائل والترغيب والترهيب أن يُكثر النوايا في المباحات، كما قال النبي ﷺ في الحديث: «حتَّىٰ اللُّقْمَةُ تَضَعُهَا فِي فِي (أي: فَم) امْرَأَتِكَ لَكَ بِهَا صَدَقَةٌ». متفق عليه. وعن رسول الله ﷺ قال: «إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجهَ الله إِلَّا أُجِرتَ عَلَيْهَا، حَتَّىٰ مَا تَجعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ». متفق عليه. وقال أيضًا ﷺ: «فِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ» (أي: جماع الرجل زوجته). مسلم برقم (١٠٠٦).

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أن ناسًا من أصحاب النبي ﷺ قالوا للنبيِّ ﷺ: يا رسول الله، ذهب أهلُ الدُّثور (أي: الأموال) بالأجور؛ يُصلُّون كما نُصلِّي، ويصومون كما نصوم، ويتصدَّقون بفضول (أي: الفضل ما زاد عن الحاجة) أموالهم. قال: «أَوَ لَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ، إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَكلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنْ مُنكَرٍ صَدَقَةٌ. وفِي بُضْعِ أَحَدِكُم صدقةٌ». قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدُنا شهوتَه ويكون له فيها أجرٌ؟ قال: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَام أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ، فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ له أَجْرٌ». مسلم برقم(١٠٠٦). وهذا أيضًا مرتبط بالتفكر في الآخرة، فمن غلب علىٰ قلبه تجارة الآخرة حضرته النيات الطيبة، وإلا فلا.

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله في كتاب «الروح»: أنه قد تتشابه صورُ الأعمال الصالحة مع غير الصالحة، فمن ذلك: صورة التوكل علىٰ الله كأنها صورةُ العجز أو الضعف، وصورة النصح كأنها صورةُ التأديب أو التأنيب، وصورة حبِّ الدعوة إلىٰ الله وعلوِّ أمرِه تعالىٰ كأنها صورةُ حبِّ الرياسة والعلوِّ في الأرض والمكانة في قلوب الناس، وصورة العفو تُشبه صورةَ الذل، وصورة التواضع تُشبه صورةَ المهانة، وصورة الهدية تُشبه صورةَ الرِّشوة، وصورة الإخبار بالحال تُشبه صورةَ الشكوىٰ، فإن الأولَ من كلِّ ما ذُكر من الصور محمودٌ، والثاني من الصور مذمومٌ، فالصورة واحدة ولا فارق بينهما إلا القصد والنية.

وقال ابن المبارك رحمه الله: رُبَّ عملٍ صغير تُعظِّمه النية، ورُبَّ عملٍ كبير تُصغِّره النية.

❋ ❋ ❋

٢- بابُ التوبةِ

قَالَ العلماءُ: التَّوْبَةُ وَاجبَةٌ مِنْ كُلِّ ذَنْب، فإنْ كَانتِ المَعْصِيَةُ بَيْنَ العَبْدِ وبَيْنَ الله تَعَالَىٰ لَا تَتعلَّقُ بحقِّ آدَمِيٍّ، فَلَهَا ثَلاثَةُ شُرُوط:

أحدها: أَنْ يُقلعَ عَنِ المَعصِيَةِ.

والثاني: أَنْ يَنْدَمَ عَلَىٰ فِعْلِهَا.

والثالث: أنْ يَعْزِمَ ألا يعُودَ إلَيْهَا أبَدًا. فإنْ فُقِدَ أحَدُ الثَّلاثَةِ لَمْ تَصِحَّ توبتُهُ.

وإنْ كَانَتِ المَعْصِيةُ تَتعلَقُ بآدَميٍّ فَشُرُوطُها أرْبَعَةٌ: هذِهِ الثَّلاثَةُ، وأنْ يَبْرَأ مِنْ حَقِّ صَاحِبِها، فإنْ كَانَتْ مالًا أوْ نَحْوَهُ رَدَّهُ إلَيْه، وإنْ كَانَت حَدَّ قَذْفٍ ونَحْوَهُ مكَّنَهُ مِنْهُ أوْ طَلَبَ عَفْوَهُ، وإنْ كَانْت غِيبَةً استَحَلَّهُ مِنهَا. ويجِبُ أنْ يَتُوبَ مِنْ جميعِ الذُّنُوبِ، فإنْ تابَ مِنْ بَعْضِها صَحَّتْ تَوْبَتُهُ عِنْدَ أهْلِ الحَقِّ مِنْ ذلِكَ الذَّنْبِ وبَقِيَ عَلَيهِ البَاقي. وَقَدْ تظَاهَرَتْ دَلائِلُ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وإجْماعِ الأُمَّةِ عَلَىٰ وُجوبِ التَّوبةِ:

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود: ٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوۡبَةً نَّصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

(١٣/ ٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سمعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**والله إنِّي لأَسْتَغْفِرُ الله وأَتُوبُ إليْه في اليَوْمِ أكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً**». رواه البخاري.

(١٤/ ٢) وعن الأغَرِّ بن يسار المُزنيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إلىٰ الله واسْتَغْفِرُوهُ، فإنِّي أَتُوبُ فِي اليَومِ إلَيْه مِائَةَ مَرَّةٍ**». رواه مسلم.

(٢/١٥) وعن أبي حمزَةَ أنسِ بن مالكٍ الأنصاريِّ- خادمِ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم- رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**لَـلَّهُ أفْرَحُ بتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحدِكُمْ سَقَطَ عَلَىٰ بَعِيرِهِ وَقَدْ أَضَلَّهُ فِي أَرْضٍ فَلاةٍ**». (أي: الفلاة: وهي الصحراء المهلكة) متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**لَـلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بتوبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يتوبُ إلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَىٰ رَاحِلَتِهِ** (أي: الراحلة: ما يصلح من الإبل للأسفار والأحمال) **بأرضِ فَلاةٍ، فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طعَامُهُ وَشَرَابُهُ فأيِسَ** (أي: يئس) **مِنْهَا، فَأَتَىٰ شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا وَقَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِه، فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ، فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا** (أي: الحبل الذي تُقاد به) **ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الفَرَحِ: اللَّهُمَّ أنت عَبْدِي وأنا رَبُّك! أَخْطأَ مِنْ شِدَّةِ الفَرحِ**».

(١٦/ ٢) وعن أبي موسَىٰ عبد الله بن قَيسٍ الأشْعريِّ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». رواه مسلم.

(١٧/ ٢) وعن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِها تَابَ اللهُ عَلَيهِ». رواه مسلم.

(١٨/ ٢) وعن أبي عبد الرحمن عبد الله بن عمَرَ بن الخطاب رضي الله عنهما: عن النَّبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ عز وجل يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَـمْ يُغَرْغِرْ». (أي: ما لم تبلغ روحه الحلقوم). رواه الترمذي وقال: «حديث حسن».

(١٩/ ٢) وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ قالَ: أَتيْتُ صَفْوانَ بْنَ عَسَّالٍ رضي الله عنه أَسْأَلُهُ عَنِ المَسْحِ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ، فَقالَ: ما جاءَ بكَ يَا زِرُّ؟ فقُلْتُ: ابتِغاء العِلْم. فقالَ: إنَّ المَلائكَةَ تَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يطْلُبُ. فقلتُ: إِنَّهُ قَدْ حَكَّ فِي صَدْرِي المَسْحُ عَلَىٰ الخُفَّيْنِ بَعْدَ الغَائِطِ والبَولِ (أي: لم ينشرح صدري لأمر المسح علىٰ الخفين بعد الغائط والبول وشككت فيه)، وكُنْتَ امْرَأً مِنْ أَصْحَابِ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم؛ فَجِئتُ أَسْأَلُكَ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذكُرُ فِي ذلِكَ شَيئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كَانَ يَأْمُرُنا إِذَا كُنَّا سَفْرًا- أَوْ مُسَافِرِينَ- ألا نَنْزِعَ خِفافَنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيالِيهِنَّ إِلَّا مِنْ جَنابَةٍ، لكنْ مِنْ غَائطٍ وبَولٍ ونَوْمٍ. فقُلْتُ: هَلْ سَمِعْتَهُ يَذْكرُ فِي الهَوَىٰ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ، كُنَّا مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فِي سَفَرٍ، فَبَيْنَا نَحْنُ عِندَهُ إِذْ نَادَاه أعرابيٌّ بِصَوْتٍ لَهُ جَهْوَرِيٍّ (أي: عالٍ): يَا مُحَمَّدُ. فأجابهُ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم نَحْوًا مِنْ صَوْتِه: «هَاؤُمْ (أي: تعالَ)». (أي: وإنما رفع النبي صلى الله عليه وسلم صوته شفقة عليه؛ لئلا يحبط عمله؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ﴾ [الحجرات: ٢] فعذره لجهله، ورفع النبي صلى الله عليه وسلم صوته حتىٰ كان مثل صوته أو فوقه، لفرط رأفته به). فقُلْتُ لَهُ: وَيْحَكَ (أي: كلمة ترحُّم وتوجع، تُقال لمن وقع في هلكة لا يستحقها، وقد تقال في المدح والتعجب)! اغْضُضْ مِنْ صَوتِكَ؛ فإِنَّكَ عِنْدَ النَّبي صلى الله عليه وسلم وَقَدْ نُهيتَ عَنْ هذَا! فقالَ: واللهِ لَا أَغْضُضُ. قَالَ الأعرابيُّ: المَرْءُ يُحِبُّ القَوْمَ وَلَـمَّا يلْحَقْ بِهِمْ؟ قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «الـمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ يومَ القِيَامَةِ». فَمَا زَالَ يُحَدِّثُنَا حَتَّىٰ ذَكَرَ بَابًا مِنَ المَغْرِبِ مَسِيرَةُ عَرْضِهِ- أَوْ يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي عَرْضِهِ- أَرْبَعِينَ أَوْ سَبعينَ عامًا. قَالَ سُفْيانُ أَحدُ الرُّواةِ: قِبَلَ الشَّامِ، خَلَقَهُ اللهُ تَعالَىٰ يَوْمَ خَلَقَ السَّمواتِ والأرْضَ مَفْتوحًا للتَّوْبَةِ لا يُغْلَقُ حَتَّىٰ تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْهُ. رواه الترمذي وغيره، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٠/ ٢) وعن أبي سَعيد سَعْدِ بن مالكِ بن سِنَانٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ نَبِيَّ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وتِسْعينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أعْلَمِ أَهْلِ الأرض، فَدُلَّ عَلَىٰ رَاهِبٍ فَأَتَاه، فقال: إنَّهُ قَتَلَ تِسعةً وتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوبَةٍ؟ فقالَ: لا. فَقَتَلهُ فكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الأرضِ، فَدُلَّ عَلَىٰ رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، ومَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَىٰ أرضِ كَذَا وكَذَا؛ فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا

يَعْبُدُونَ الله تَعَالَىٰ، فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَىٰ أَرْضِكَ؛ فَإِنَّهَا أَرْضُ سُوءٍ. فانْطَلَق، حَتَّىٰ إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ (أي: سار نصف الطريق) أَتَاهُ المَوْتُ، فاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ ومَلائِكَةُ العَذَابِ: فَقَالَتْ مَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقلبِهِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ العَذَابِ: إِنَّهُ لم يَعْمَلْ خيرًا قطُّ. فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ - أي: حَكَمًا - فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الأَرْضَيْنِ، فَإِلَىٰ أَيَّتِهِما كَانَ أَدْنَىٰ فَهُوَ لَهُ. فَقَاسُوا فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَىٰ الأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلائِكَةُ الرَّحمةِ». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَكَانَ إِلَىٰ القَرْيَةِ الصَّالِحَةِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَجُعِلَ مِنْ أَهلِهَا».

وفي رواية في الصحيح: «فَأَوحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ هَذِهِ أَنْ تَبَاعَدِي، وَإِلَىٰ هذِهِ أَنْ تَقَرَّبِي. وقَالَ: قِيسُوا مَا بيْنَهُما، فَوَجَدُوهُ إِلَىٰ هَذِهِ أَقْرَبَ بِشِبْرٍ فَغُفِرَ لَهُ».

وفي رواية: «فَنَأَىٰ بِصَدْرِهِ نَحْوَهَا».

(٢١/٢) وعن **عبد الله بن كعب بن مالك**، وكان قائِدَ كعبٍ رضي الله عنه مِنْ بَنِيهِ حِينَ عمِيَ، قالَ: سَمِعتُ كَعْبَ بنَ مالكٍ رضي الله عنه يُحدِّثُ بحديثِهِ حينَ تَخلَّفَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوةِ تَبُوكَ. قَالَ كعبٌ: لَمْ أَتخلَّفْ عَنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةٍ غزاها قط إلا في غزوة تَبُوكَ، غَيْرَ أَنِّي قَدْ تَخلَّفْتُ في غَزْوَةِ بَدْرٍ، ولَمْ يُعاتَبْ أَحَدٌ تَخَلَّفَ عَنْهُ؛ إِنَّمَا خَرَجَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم والمُسلِمُونَ يُرِيدُونَ عِيرَ (أي: العير: الإبل بأحمالها) قُرَيْشٍ، حَتَّىٰ جَمَعَ الله تَعالَىٰ بَيْنَهُمْ وبَيْنَ عَدُوِّهِم عَلَىٰ غَيْرِ مِيعادٍ. ولَقَدْ شَهِدْتُ مَعَ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم لَيلَةَ العَقَبَةِ حِينَ تَوَاثَقْنَا عَلَىٰ الإِسْلامِ، وما أُحِبُّ أَنَّ لي بِهَا مَشْهَدَ بَدْرٍ، وإِنْ كَانَتْ بدرٌ أَذْكَرَ في النَّاسِ مِنْهَا، وكانَ مِنْ خَبَرِي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم في غَزْوَةِ تَبُوكَ أَنِّي لم أَكُنْ قَطُّ أَقْوىٰ ولا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عنهُ في تِلكَ الغَزْوَةِ، وَاللهِ ما جَمَعْتُ قَبْلَهَا رَاحِلَتَيْنِ قَطُّ حَتَّىٰ جَمَعْتُهُمَا في تِلْكَ الغَزْوَةِ، وَلَمْ يَكُنْ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يُرِيدُ غَزْوَةً إِلَّا وَرَّىٰ بِغَيرِها (أي: أوهم أنه يريد غيرها) حَتَّىٰ كَانَتْ تلْكَ الغَزْوَةُ، فَغَزَاها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم في حَرٍّ شَدِيدٍ، واسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا (أي: صحراء يُخاف فيها الهلاك)، واستَقْبَلَ عَدَدًا كَثِيرًا، فَجَلَّىٰ (أي: أوضح) لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ غَزْوِهِمْ (أي: ليستعدوا لما هم مُقبِلون عليه من الغزو)، فَأَخْبَرَهُمْ بوَجْهِهِمُ الَّذِي يُرِيدُ (أي: المكان الذي يقصده)، والمُسلِمونَ مَعَ رسولِ الله كثيرٌ وَلَا يَجْمَعُهُمْ كِتَابٌ حَافِظٌ. يريد بذلك

الديوان (أي: وهو دفتر يُكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء). قَالَ كَعْبٌ: فَقَلَّ رَجُلٌ يُرِيدُ أنْ يَتَغَيَّبَ إِلَّا ظَنَّ أنَّ ذلِكَ سيخْفَىٰ بِهِ ما لَمْ يَنْزِلْ فِيهِ وَحْيٌ مِنَ اللهِ، وَغزا رَسُول الله ﷺ تِلْكَ الغَزوَةَ حِينَ طَابَت الثِّمَارُ وَالظِّلالُ، فَأنَا إلَيْها أصْعَرُ (أي: أميل)، فَتَجَهَّزَ رسولُ الله ﷺ وَالمُسْلِمُونَ مَعَهُ وطَفِقْتُ (أي: شَرَعْتُ) أغْدُو لكَيْ أتَجَهَّزَ مَعَهُ، فأَرْجِعُ وَلَمْ أقْضِ شَيْئًا، وأقُولُ فِي نفسي: أنَا قَادِرٌ عَلَىٰ ذلِكَ إِذَا أَرَدْتُ. فَلَمْ يَزَلْ يَتَمادَىٰ بِي حَتَّىٰ اسْتَمَرَّ بالنَّاسِ الجِدُّ (أي: العمل والاجتهاد) فأصْبَحَ رسولُ الله ﷺ غَادِيًا والمُسْلِمُونَ مَعَهُ وَلَمْ أقْضِ مِنْ جِهَازِي شَيْئًا، ثُمَّ غَدَوْتُ فَرَجَعْتُ وَلَمْ أقْضِ شَيئًا، فَلَمْ يَزَلْ ذَلِكَ يَتَمادَىٰ بِي حَتَّىٰ أسْرَعُوا وتَفَارَطَ (أي: تقدم الغزاة وسبقوا) الغَزْوُ، فَهَمَمْتُ أنْ أرْتَحِلَ فَأُدْرِكَهُمْ، فَيَا لَيْتَنِي فَعَلْتُ، ثُمَّ لم يُقَدَّرْ ذلِكَ لِي، فَطَفِقْتُ إذَا خَرَجْتُ فِي النَّاسِ بَعْدَ خُرُوجِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَحْزُنُنِي أنِّي لا أرَىٰ لِي أُسْوَةً إِلَّا رَجُلًا مَغْمُوصًا عَلَيْهِ فِي النِّفَاقِ (أي: مطعونًا في دينه متهمًا بالنفاق)، أوْ رَجُلًا مِمَّنْ عَذَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَ الضُّعَفَاءِ. وَلَمْ يَذْكُرْنِي رَسُولُ الله ﷺ حَتَّىٰ بَلَغَ تَبُوكَ، فَقَالَ وَهُوَ جَالِسٌ فِي القَوْمِ بِتَبُوكَ: «**مَا فَعَلَ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ؟**». فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ: يا رَسُولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ فِي عِطْفَيْهِ (أي: كناية عن تكبره وافتخاره بنفسه) فَقَالَ لَهُ مُعَاذُ ابْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ، واللهِ يا رَسُولَ اللهِ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ إِلَّا خَيرًا. فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ، فَبَيْنَا هُوَ عَلَىٰ ذَلِكَ رَأَىٰ رَجُلًا مُبْيِضًا (أي: يلبس ثيابًا بيضاء) يَزُولُ بِهِ (أي: يتحرك به) السَّرَابُ (أي: السراب: ما يظهر في الصحاري للإنسان في وقت الظهيرة وقت اشتداد الحر كأنه ماء)، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**كُنْ أَبَا خَيْثَمَةَ**». فَإذَا هُوَ أبُو خَيْثَمَةَ الأنْصَارِيُّ وَهُوَ الَّذِي تَصَدَّقَ بِصَاعِ التَّمْرِ حِينَ لَمَزَهُ (أي: عاب عليه) المُنَافِقُونَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا بَلَغَنِي أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ تَوَجَّهَ قَافِلًا (أي: راجعًا) مِنْ تَبُوكَ حَضَرَنِي بَثِّي (أي: حزني)، فَطَفِقْتُ أتَذَكَّرُ الكَذِبَ وأقُولُ: بِمَ أخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ غَدًا؟ وأسْتَعِينُ عَلَىٰ ذَلِكَ بِكُلِّ ذِي رَأْيٍ مِنْ أهْلِي. فَلَمَّا قِيلَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أظَلَّ قَادِمًا (أي: اقترب قدومه)، زَاحَ (أي: زال) عَنِّي البَاطِلُ حَتَّىٰ عَرَفْتُ أنِّي لَنْ أنْجُوَ مِنْهُ بِشَيءٍ أبَدًا، فَأجْمَعْتُ صِدْقَهُ (أي: عزمت علىٰ ألا أكذب عليه).

وأَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ قَادِمًا، وَكَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ لِلنَّاسِ، فَلَمَّا فَعَلَ ذلِكَ جَاءهُ المُخَلَّفُونَ (أي: الذين لم يذهبوا معه للقتال) يَعْتَذِرُونَ إِلَيْهِ

ويَحْلِفُونَ لَهُ، وَكَانُوا بِضْعًا وَثَمانينَ رَجُلًا، فَقَبِلَ مِنْهُم عَلانِيَتَهُمْ وَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لَهُم وَوَكَلَ سَرَائِرَهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، حَتَّىٰ جِئْتُ، فَلَمَّا سَلَّمْتُ تَبَسَّمَ تَبَسُّمَ المُغْضَبِ ثُمَّ قَالَ: «**تَعَالَ**». فَجِئْتُ أَمْشِي حَتَّىٰ جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فقالَ لي: «**مَا خَلَّفَكَ؟ أَلَمْ تَكُنْ قَدِ ابْتَعْتَ ظَهْرَكَ** (أي: اشتريت الإبل التي تركب عليها)؟». قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إِنِّي واللهِ لَوْ جَلَسْتُ عِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا لَرَأَيتُ أَنِّي سَأَخْرُجُ مِنْ سَخَطِهِ بِعُذْرٍ؛ لَقَدْ أُعْطِيتُ جَدَلًا (أي: فصاحة وبراعة)، ولَكِنِّي واللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ لَئِنْ حَدَّثْتُكَ اليوم حَدِيثَ كَذِبٍ تَرْضَىٰ به عنِّي لَيُوشِكَنَّ اللهُ أن يُسْخِطَكَ عَلَيَّ، وإِنْ حَدَّثْتُكَ حَدِيثَ صِدقٍ تَجِدُ (أي: تغضب) عَلَيَّ فِيهِ إِنِّي لَأَرْجُو فِيهِ عُقْبَىٰ اللهِ ﷻ (أي: أن يخلفه الله خيرًا)، واللهِ ما كَانَ لي مِنْ عُذْرٍ، واللهِ مَا كُنْتُ قَطُّ أَقْوَىٰ وَلَا أَيْسَرَ مِنِّي حِينَ تَخَلَّفْتُ عَنْكَ. قَالَ: فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «**أَمَّا هَذَا فَقَدْ صَدَقَ، فَقُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِيكَ**». وَسَارَ رِجَالٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ فَاتَّبَعُونِي فَقالُوا لِي: واللهِ مَا عَلِمْنَاكَ أَذْنَبْتَ ذَنْبًا قَبْلَ هذا، لَقَدْ عَجَزْتَ في ألا تكونَ اعتَذَرْتَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ بما اعْتَذَرَ إليهِ المُخَلَّفُونَ، فَقَدْ كَانَ كَافِيَكَ ذَنْبَكَ اسْتِغْفَارُ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَكَ. قَالَ: فَواللهِ ما زَالُوا يُؤَنِّبُونَنِي حَتَّىٰ أَرَدْتُ أَنْ أَرْجِعَ إِلَىٰ رسولِ اللهِ ﷺ فأُكَذِّبَ نَفْسِي، ثُمَّ قُلْتُ لَهُمْ: هَلْ لَقِيَ هذا مَعِيَ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالُوا: نَعَمْ، لَقِيَهُ مَعَكَ رَجُلانِ قَالَا مِثْلَ مَا قُلْتَ، وَقِيلَ لَهُمَا مِثْلَ مَا قِيلَ لَكَ. قَالَ: قُلْتُ: مَنْ هُما؟ قَالُوا: مُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ الْعَمْرِيُّ، وهِلَالُ بنُ أُمَيَّةَ الوَاقِفِيُّ. قَالَ: فَذَكَرُوا لِي رَجُلَيْنِ صَالِحَيْنِ قَدْ شَهِدَا بَدْرًا، فيهما أُسْوَةٌ. قَالَ: فَمَضَيْتُ حِينَ ذَكَرُوهُما لِي، ونَهَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ عَنْ كَلامِنا أَيُّها الثَّلاثَةُ مِن بَيْنِ مَن تَخَلَّفَ عَنْهُ، فاجْتَنَبَنَا النَّاسُ - أَوْ قَالَ: تَغَيَّرُوا لَنَا - حَتَّىٰ تَنَكَّرَتْ (أي: تغيرت) لي في نَفْسي الأَرْضُ، فَمَا هِيَ بِالأَرْضِ الَّتِي أَعْرِفُ، فَلَبِثْنَا عَلَىٰ ذلِكَ خَمْسِينَ لَيْلَةً، فَأَمَّا صَاحِبَايَ فَاسْتَكَانَا (أي: خضعا) وقَعَدَا في بُيُوتِهِمَا يَبْكِيَانِ، وأَمَّا أَنا فَكُنْتُ أَشَبَّ الْقَوم (أي: أصغرهم سنًّا) وأَجْلَدَهُمْ، فَكُنْتُ أَخْرُجُ فَأَشْهَدُ الصَّلاةَ مَعَ المُسْلِمِينَ، وأَطُوفُ فِي الأَسْوَاقِ وَلا يُكَلِّمُنِي أَحَدٌ، وَآتِي رسولَ اللهِ ﷺ فَأُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي مَجْلِسِهِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَأَقُولُ فِي نَفسِي: هَلْ حَرَّكَ شَفَتَيْهِ بِرَدِّ السَّلامِ أَمْ لَا؟ ثُمَّ أُصَلِّي قَرِيبًا مِنْهُ وَأُسَارِقُهُ النَّظَرَ (أي: أنظر إليه في خفية)، فَإِذَا أَقْبَلْتُ عَلَىٰ صَلاتِي نَظَرَ إِلَيَّ وَإِذَا الْتَفَتُّ نَحْوَهُ أَعْرَضَ عَنِّي.

حَتَّىٰ إِذَا طَال ذلِكَ عَلَيَّ مِنْ جَفْوَةِ المُسْلِمينَ (أي: إعراضهم) مَشَيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ جِدارَ حائِطِ أبي قَتَادَةَ (أي: علوته وصعدت سوره)، وَهُوَ ابْنُ عَمِّي وأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ فَوَاللهِ مَا رَدَّ عَلَيَّ السَّلامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا قَتَادَةَ، أَنْشُدُكَ بِاللهِ هَلْ تَعْلَمُنِي أُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ ﷺ؟ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَسَكَتَ، فَعُدْتُ فَنَاشَدْتُهُ فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَفَاضَتْ عَيْنَايَ (أي: بكيت)، وَتَوَلَّيْتُ حَتَّىٰ تَسَوَّرْتُ الجِدَارَ.

فَبَيْنَا أَنَا أَمْشِي فِي سُوقِ المَدِينَةِ إِذَا نَبَطِيٌّ (أي: النبط: فلاحو العجَم) مِنْ نَبَطِ أَهْلِ الشَّامِ مِمَّنْ قَدِمَ بِالطَّعَامِ يَبِيعُهُ بِالمَدِينَةِ يَقُولُ: مَنْ يَدُلُّ عَلَىٰ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ؟ فَطَفِقَ (أي: أخذ) النَّاسُ يُشِيرُونَ لَهُ إِلَيَّ، حَتَّىٰ جَاءَنِي فَدَفَعَ إِلَيَّ كِتَابًا مِنْ مَلِكِ غَسَّانَ، وَكُنْتُ كَاتِبًا، فَقَرَأْتُهُ فَإِذَا فِيهِ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنَا أَنَّ صَاحِبَكَ قَدْ جَفَاكَ وَلَمْ يَجْعَلْكَ اللهُ بِدَارِ هَوَانٍ وَلَا مَضْيَعَةٍ، فَالْحَقْ بِنَا نُوَاسِكَ. فَقُلْتُ حِينَ قَرَأْتُهَا: وَهَذِهِ أَيْضًا مِنَ البَلَاءِ، فَتَيَمَّمْتُ (أي: قصدت) بِهَا التَّنُّورَ (أي: الفرن) فَسَجَرْتُهَا (أي: أحرقتها)، حَتَّىٰ إِذَا مَضَتْ أَرْبَعُونَ مِنَ الخَمْسِينَ وَاسْتَلْبَثَ (أي: أبطأ) الْوَحْيُ إِذَا رسولُ رسولِ اللهِ ﷺ يَأْتِينِي، فَقَالَ: إِنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يَأْمُرُكَ أَنْ تَعْتَزِلَ امْرَأَتَكَ. فَقُلْتُ: أُطَلِّقُهَا أَمْ مَاذَا أَفْعَلُ؟ فَقَالَ: لَا، بَلِ اعْتَزِلْهَا فَلَا تَقْرَبَنَّهَا. وَأَرْسَلَ إِلَىٰ صَاحِبَيَّ بِمِثْلِ ذلِكَ، فَقُلْتُ لِامْرَأَتِي: الْحَقِي بِأَهْلِكِ فَكُونِي عِنْدَهُمْ حَتَّىٰ يَقْضِيَ اللهُ فِي هَذَا الأَمْرِ. فَجَاءَتِ امْرَأَةُ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ رسولَ اللهِ ﷺ فَقَالَتْ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هِلَالَ بْنَ أُمَيَّةَ شَيْخٌ ضَائِعٌ لَيْسَ لَهُ خَادِمٌ، فَهَلْ تَكْرَهُ أَنْ أَخْدُمَهُ؟ قَالَ: «**لَا، وَلَكِنْ لَا يَقْرَبَنَّكِ**». فَقَالَتْ: إِنَّهُ واللهِ مَا بِهِ مِنْ حَرَكَةٍ إِلَىٰ شَيْءٍ، وَوَاللهِ مَا زَالَ يَبْكِي مُنْذُ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ إِلَىٰ يَوْمِهِ هَذَا.

فَقَالَ لِي بَعْضُ أَهْلِي: لَوِ اسْتَأْذَنْتَ رسولَ اللهِ ﷺ فِي امْرَأَتِكَ؛ فَقَدْ أَذِنَ لِامْرَأَةِ هِلَالِ بْنِ أُمَيَّةَ أَنْ تَخْدُمَهُ؟ فَقُلْتُ: لَا أَسْتَأْذِنُ فِيهَا رسولَ اللهِ ﷺ، وَمَا يُدْرِينِي مَاذَا يَقُولُ رسولُ اللهِ ﷺ إِذَا اسْتَأْذَنْتُهُ وَأَنَا رَجُلٌ شَابٌّ! فَلَبِثْتُ بِذَلِكَ عَشْرَ لَيَالٍ فَكَمُلَ لَنَا خَمْسُونَ لَيْلَةً مِنْ حِينَ نُهِيَ عَنْ كَلَامِنَا، ثُمَّ صَلَّيْتُ صَلَاةَ الْفَجْرِ صَبَاحَ خَمْسِينَ لَيْلَةً عَلَىٰ ظَهْرِ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِنَا، فَبَيْنَا أَنَا جَالِسٌ عَلَىٰ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ مِنَّا، قَدْ ضَاقَتْ عَلَيَّ نَفْسِي وَضَاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ سَمِعْتُ صَوْتَ صَارِخٍ أَوفَىٰ عَلَىٰ سَلْعٍ (أي:

صعد جبلًا معروفًا بالمدينة) يَقُولُ بأعلَىٰ صَوتِهِ: يَا كَعْبَ ابْنَ مَالِكٍ، أَبْشِرْ. فَخَرَرْتُ سَاجِدًا، وَعَرَفْتُ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فَرَجٌ. فآذَنَ (أي: أخبر) رسولُ الله ﷺ النَّاسَ بتَوْبَةِ الله ﷻ عَلَيْنَا حِينَ صَلَّىٰ صلاةَ الفَجْرِ، فَذَهَبَ النَّاسُ يُبَشِّرُونَنَا، فَذَهَبَ قِبَلَ صَاحِبَيَّ مُبَشِّرونَ وَرَكَضَ رَجُلٌ إِلَيَّ فَرَسًا وَسَعَىٰ سَاعٍ مِنْ أَسْلَمَ قِبَلِي، وَأَوْفَىٰ (أي: صعد) عَلَىٰ الجَبَلِ، فَكَانَ الصَّوْتُ أَسْرَعَ مِنَ الفَرَسِ، فَلَمَّا جَاءَنِي الَّذِي سَمِعْتُ صَوْتَهُ يُبَشِّرُنِي نَزَعْتُ لَهُ ثَوْبَيَّ فَكَسَوْتُهُمَا إِيَّاهُ ببشارته، والله مَا أَمْلِكُ غَيْرَهُمَا يَوْمَئِذٍ، وَاسْتَعَرْتُ ثَوْبَيْنِ فَلَبِسْتُهُمَا، وَانْطَلَقْتُ أَتَأَمَّمُ (أي: أقصد) رسولَ الله ﷺ يَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا يُهَنِّئُونَنِي بالتَّوْبَةِ وَيَقُولُونَ لِي: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ الله عَلَيْكَ. حَتَّىٰ دَخَلْتُ المَسْجِدَ فَإِذَا رسولُ الله ﷺ جَالِسٌ حَوْلَه النَّاسُ، فَقَامَ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ الله رضي الله عنه يُهَرْوِلُ حَتَّىٰ صَافَحَنِي وَهَنَّأَنِي، والله مَا قَامَ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرُهُ، فَكَانَ كَعْبٌ لَا يَنْسَاهَا لِطَلْحَةَ. قَالَ كَعْبٌ: فَلَمَّا سَلَّمْتُ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْرُقُ وَجْهُهُ مِنَ السُّرُورِ: «**أَبْشِرْ بِخَيْرِ يَوم مَرَّ عَلَيْكَ مُنْذُ وَلَدَتْكَ أُمُّكَ**». فَقُلْتُ: أَمِنْ عِنْدِكَ يَا رَسُول الله أَمْ مِنْ عِنْدِ الله؟ قَالَ: «**لَا، بَلْ مِنْ عِنْدِ الله ﷻ**». وَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَأَنَّ وَجْهَهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذلِكَ مِنْهُ، فَلَمَّا جَلَسْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ قُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ مِنْ تَوْبَتِي أَنْ أَنْخَلِعَ (أي: أخرج) مِنْ مَالِي صَدَقَةً إِلَىٰ الله وَإِلَىٰ رَسُولِهِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ بَعْضَ مَالِكَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**». فقلتُ: إِنِّي أُمْسِكُ سَهْمِي الَّذِي بِخَيبَر. وَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، إنَّ الله تَعَالَىٰ إِنَّمَا أَنْجَانِي بالصِّدْقِ، وإنَّ مِنْ تَوْبَتِي ألا أُحَدِّثَ إِلَّا صِدْقًا مَا بَقِيتُ، فَوالله مَا عَلِمْتُ أَحَدًا مِنَ المُسْلِمينَ أَبْلاهُ الله تَعَالَىٰ فِي صِدْقِ الحَدِيثِ مُنْذُ ذَكَرْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ أَحْسَنَ مِمَّا أَبلانِي الله تَعَالَىٰ، والله مَا تَعَمَّدْتُ كَذْبَةً مُنْذُ قُلْتُ ذلِكَ لِرسولِ الله ﷺ إِلَىٰ يَومِي هَذَا، وإنِّي لأرْجُو أنْ يَحْفَظَنِي الله تَعَالَىٰ فيما بَقِيَ.

قَالَ: فَأَنْزَلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿**لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ**﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿**إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ**﴾ حتىٰ بلغ ﴿**ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾**﴾ [التوبة: ١١٧- ١١٩].

قَالَ كَعْبٌ: واللهِ ما أنْعَمَ اللهُ عليَّ مِنْ نعمةٍ قطُّ بَعْدَ إذْ هَدَاني اللهُ للإِسْلام أَعْظَمَ في نَفْسِي مِنْ صِدقِي رسولَ الله ﷺ ألا أكونَ كَذَبْتُهُ فَأَهْلِكَ كما هَلَكَ الَّذينَ كَذَبُوا؛ إنَّ اللهَ تعالَىٰ قالَ للَّذِينَ كَذَبُوا حِينَ أنْزَلَ الوَحْيَ شَرَّ ما قَالَ لأحدٍ، فقال الله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ ۖ فَإِن تَرْضَوْا۟ عَنْهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة: ٩٥، ٩٦].

قَالَ كَعْبٌ: كُنَّا خُلِّفْنَا أَيُّها الثَّلاثَةُ عَنْ أمرِ أُولئكَ الذينَ قَبِلَ مِنْهُمْ رسولُ الله ﷺ حِينَ حَلَفُوا لَهُ فَبَايَعَهُمْ واسْتَغْفَرَ لَهُمْ وأرجأَ رسولُ الله ﷺ أَمْرَنَا حَتَّىٰ قَضَىٰ اللهُ تعالَىٰ فِيهِ بذلكَ؛ قَالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]، ليسَ الَّذِي ذَكَرَ مِمَّا خُلِّفْنَا تَخلُّفَنَا عن الغَزْوِ، وإنَّما هُوَ تَخْلِيفُهُ إيَّانا وإرْجاؤُهُ أمْرَنا عَمَّنْ حَلَفَ لَهُ واعْتَذَرَ إلَيْهِ فقبِلَ مِنْهُ. متفق عليه.

وفي رواية: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تبوكَ يومَ الخَميسِ، وكانَ يُحِبُّ أنْ يخْرُجَ يومَ الخَمِيسِ.

وفي رواية: وكانَ لا يَقْدَمُ مِنْ سَفَرٍ إلَّا نَهارًا في الضُّحَىٰ، فإذَا قَدِمَ بَدَأَ بالمَسْجِدِ فَصَلَّىٰ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ فِيهِ.

(٢/٢٢) وعَنْ أبي نُجَيد - بضمِّ النُّونِ وفتح الجيم - عِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ الخُزَاعِيِّ رضي الله عنهما: أَنَّ امْرَأةً مِنْ جُهَيْنَةَ أَتَتْ رسولَ الله ﷺ وَهِيَ حُبْلَىٰ مِنَ الزِّنا، فقالَتْ: يَا رسولَ اللهِ، أَصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْهُ عَلَيَّ. فَدَعَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ وَلِيَّها، فقالَ: «**أَحْسِنْ إلَيْهَا، فَإذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي**». فَفَعَلَ، فَأَمَرَ بِهَا نَبِيُّ اللهِ ﷺ فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أَمَرَ بِهَا فَرُجِمَتْ، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا. فقالَ لَهُ عُمَرُ: تُصَلِّي عَلَيْهَا يا رَسُولَ اللهِ وقَدْ زَنَتْ؟ قَالَ: «**لَقَدْ تَابَتْ تَوْبَةً لَوْ قُسِمَتْ بَيْنَ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ لَوَسِعَتْهُمْ، وَهَلْ وَجَدْتَ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ جَادَتْ بِنَفْسِها للهِ عَزَّ وَجَلَّ؟!**». رواه مسلم.

(٢/٢٣) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**لَوْ أَنَّ لابنِ آدَمَ وَادِيًا مِنْ ذَهَبٍ أَحَبَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَادِيَانِ، وَلَنْ يَمْلَأَ فَاهُ إلَّا التُّرابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ**». متفق عليه.

(٢/٢٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَضْحَكُ اللهُ - إلَىٰ رَجُلَيْنِ يَقْتُلُ أَحَدُهُما**

الآخَرَ يَدْخُلانِ الجَنَّةَ، يُقَاتِلُ هَذَا فِي سَبيلِ الله فَيُقْتَلُ، ثُمَّ يَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ القَاتِلِ فَيُسْلِمُ فَيُسْتَشْهَدُ». متفق عليه.

* * *

(التوبة)

اعلم أن الخير والشر مختلطان في خلق الإنسان اختلاطًا شديدًا، بحيث لا يُخلِّصه إلا إحدىٰ النارين: نار الندم في الدنيا، أو نار جهنم في الآخرة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٧، ٨].

وقال رسول الله ﷺ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْـخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ». أحمد في «مسنده» (٣/ ١٩٨) برقم (١٣٠٧٢). ولهذا كان الرجوعُ إلىٰ الخير بعد الوقوع في الشر حاجةً ضرورية للناس جميعًا، والمبادرة إلىٰ نار الندم في الحياة الدنيا أخف الشرين قبل فوات الأوان. والعبد تدور عبوديَّته لله بين ثلاثٍ: الصبر علىٰ المصائب، والشكر علىٰ النعم، والتوبة والإنابة من الذنوب والمعاصي. فالتوبة هي الرجوع من معصية الله إلىٰ طاعته، فمَن أساء في الفعل فعليه الاعتذارُ بواحدةٍ من ثلاثٍ: إما أن يُنكِرَ الفِعلَ ويكذب ويقول: لم أفعل وهي مصيبة. أو أن يُبرِّر فِعلَه ويقول: قد فعلتُ لأجل كذا وكذا. أو يقول: فعلتُ وأسأت، وقد أقلعتُ عن الذنب. وهذا القول الأخير هو معنىٰ التوبة.

والتائب هو الذي يترك الذنب لقُبحه، ويندم علىٰ ما فرَّط فيه، ويعزم علىٰ ترك العودة إلىٰ الذنب، بل يتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال الصالحة بالإعادة لها، والله تعالىٰ يقول: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝١٦٠﴾ [البقرة: ١٦٠]. فالعبد التائبُ إلىٰ الله، يتوب اللهُ عليه، أي يقبل توبتَه ويُوفِّقه للتوبة ويتفضَّل عليه بالمغفرة، وليس في الوجود مِن آدميٍّ إلا وشهوتُه سابقةٌ علىٰ عقله، فغريزته التي هي وسيلة الشيطان سابقة علىٰ عقله. ولهذا فالتوبة فرضُ عينٍ في حقِّ كلِّ مسلم، وهي واجبةٌ شرعًا بجميع شروطها، كالعلم بسوء فعله، وترك هذا الفعل، والندم عليه، والعزم علىٰ عدم العودة إليه مجددًا مرة أخرىٰ أبدًا.

فعلىٰ العبد أن يعرف بذنوبه، ويندم علىٰ فعلها، ويعزم علىٰ تَركها.

فحينما يقول الرسول ﷺ: «لَا يَزْنِي الزَّانِي حِينَ يَزْنِي وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلَا يَشْرَبُ الْخَمْرَ حِينَ يَشْرَبُ وَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَلا يَسْرِقُ حِينَ يَسْرِقُ وَهو مُؤْمِنٌ، وَلا يَنْتَهِبُ نُهْبَةً يَرْفَعُ النَّاسُ إِلَيْهِ فِيهَا أَبْصَارَهُمْ حِينَ يَنْتَهِبُهَا وَهو مُؤْمِنٌ» [متفق عليه]، فهو لا ينفي عنه العِلمَ بوَحْدانية الله وصفاته وكتبه ورسله؛ لأن المعاصيَ غير الشرك والكفر والإلحاد، وإنما أراد به أن العاصيَ غيرُ مؤمن بأن الذنوبَ مُهلِكةٌ للعبد، وأن الزنا مُبعِدٌ عن الله تعالىٰ ومُوجِب لِـمَقْتِه وغضبه، وهذا هو الذي قَصَده الرسولُ ﷺ بقوله: «وَهُوَ مُؤْمِنٌ». [كما في الإحياء].

فالعاصي بالضرورة ناقص الإيمان، والإيمان بضع وسبعون شعبة كما ورد عن النبي ﷺ، والمعاصي مُضِرَّة بالإيمان كالمأكولات المضرة بالأبدان، فإذا اجتمعت في البطن أفسدتها وأمرضت صاحبها، وقد تدفعه إلىٰ الموت دفعًا. وكذلك المعاصي، فهي سمومٌ ضارَّةٌ بالدين والدنيا، فيجب علىٰ العبد الابتعادُ عن تناولها حمايةً لحياته وأخراه ما دام في العمر مهلةٌ. وهذا معنىٰ وجوب التوبة علىٰ الفور.

فإن كنت أيها العبد لا تبكي علىٰ معصيتك؛ فذلك لجهلك بمصيبة المعاصي، ومصيبتُك بجهلك أعظمُ من كلِّ مصيبةٍ، فالجهلُ مصيبةٌ كبيرة، وياللأسف لا يعرف من أُصيبَ به أنه صاحبُ مصيبة! وأكثرُ صياحِ أهل النار من التسويف؛ لأن العاصيَ قد فعل المعصيةَ الآن وجَعَل التوبةَ منها مؤجلة إلىٰ حين. والقلب والعمر وسائر أسباب الطاعة أمانة الله تعالىٰ عند العبد، فمن خان الأمانةَ ولم يتدارك الخيانة فأمره إلىٰ خطرٍ عظيم، ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ۝٨٩﴾ [الشعراء: ٨٩]، والقلب المظلم لا يقبله الله تعالىٰ ليتنعَّم بجواره في الجنة. فالثوب يتَّسخ بالأعمال الدنيئة والخسيسة، وكذلك استعمالُ القلب في الشهوات يُقذِّر القلبَ ويُدنِّسه، وتكون نظافته بماء الدموع وحرقة الندم.

شروط التوبة: وللتوبة ثلاثةُ شروط كما قال النوويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ، وزاد عليها ابنُ عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ شرطين فصارت شروطُ التوبة خمسةً:

الشرطُ الأول: الإخلاص في التوبة لله، فلا يقصد بذلك الرِّياءَ والتقرب للناس من دون الله،

وإنما يقصد وجهَ الله والدار الآخرة وأن يعفوَ اللهُ عن ذنوبه.

الشرطُ الثاني: الندم علىٰ ما فعل من المعاصي، وهو دليلُ الصدق في التوبة، بحيث لا يرىٰ أنه في حِلٍّ من الذنب حتىٰ يتوب منه إلىٰ الله.

الشرطُ الثالثُ: أن يُقلع عن الذنب الذي هو فيه، ويتركه ويبتعد عنه، وهذا أهمُّ شروطه، فعلىٰ العبد مثلًا أن يترك عقوقَ الوالدين ويقوم ببرِّهما، ويترك قطيعةَ الأهل والأحباب والجيران ويصل الأرحام، ويترك أَكْل الربا والمال الحرام، ويترك الغِشَّ والكذب والخداع وخيانة الأمانة، ويترك الغِيبة والنميمة، والتكلُّم في أعراض الناس.

أما المُصِرُّ علىٰ المعاصي ويقول إنه تائب إلىٰ الله، فهذا مستهزئ بالله ﷻ.

وعلىٰ كلِّ حال فالإنسان لابد أن يُقلع عن الذنب الذي تاب منه، فإن لم يُقلع فتوبته مرفوضة ومردودة عليه. فإن كان الذنب يتعلق بحقٍّ من حقوق الله: كترك الصلاة أو الصيام مثلًا، فيكفي أن تتوبَ بينك وبين الله، وترجع إلىٰ الفقهاء لتعويض ما فاتك.

ولا يجوز أن تُحدِّث الناسَ بما صنعتَ من الحرام أو تركتَ من الواجب؛ لأن اللهَ قد منَّ عليك بالستر عن العباد؛ فلا تُحدِّث أحدًا لئلا يكون هذا من المجاهرة، وقد جاء في الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ، فَيَقُولُ: يَا فُلانُ، عَمِلتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا. وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصبِحُ يَكْشِفُ سترَ الله عَنْه». متفق عليه.

أما إن كان الذنب بينك وبين الخلق: فلا تُقبَل التوبة إلا بأداء الحقوق، كردِّ المال المسروق أو المُغتصَب، وأما إن كانت غِيبةً لأحدٍ أو سبًّا له بين الناس فالأفضل إن علم بها أن تذهب إليه وتَسْتَحِلَّه منها، وإن لم يكن عَلِم فلا تذهب إليه، بل استغفر له، وتحدَّث بمحاسنه في المجالس التي اغتبتَه فيها؛ فإن الحسناتِ يُذهبن السيئات، وكما رُوِيَ عن ابن المبارك: «إِذَا اغْتَابَ رَجُلٌ رَجُلًا فَلَا يُخبِرْهُ؛ ولَكِن يَسْتَغْفِرُ اللهَ». البيهقي في (شعب الإيمان٩/ ١٢٣).

الشرطُ الرابعُ: وهو العزم علىٰ ألا تعود في المستقبل إلىٰ هذه المعصية وهذا الإثم؛ فإن

التوبةَ لا تصح إن كُنتَ تنوي الرجوعَ إلىٰ المعصية حينما تأتي إليك الفرصة. فلعل عاصيًا يتوب من الإنفاق في الحرام بسببِ فَقرٍ أصابه، وكان في نيَّته أنه إذا عادت الأمور إلىٰ مجاريها الأولىٰ عاد للحرام، فهذا لا توبة له؛ لأنه كاذبٌ، وتُسمَّىٰ توبتُه تلك توبةَ العاجز؛ لأنه ليس بقادر علىٰ فعل المعصية.

الشرطُ الخامسُ: أن تأتي التوبة في زمن تُقبَل فيه، وإلا لم تنفعه توبتُه، فلا بد أن تكونَ التوبة قبل حلول الأجل، فإن الإنسانَ إذا حضرته الوفاةُ وأيس من حياته فات وقتُ التوبة، قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوبَةَ العَبْدِ مَا لَمْ يُغَرْغِرْ». [أحمد في «مسنده» (٢/ ١٣٢) برقم (٦١٦٠)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٩٠٣)]؛ فهذه توبة المضطر الذي لا حيلة له في طاعة أو معصية. وأن تأتي التوبة قبل أن تطلع الشمس من مغربها.

كما في الحديث: «مَنْ تَابَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللهُ عَلَيْهِ». مسلم برقم (٤٨٧٢).

والذنب يَعظُم بقدر عِلْمِ ومعرفة صاحبه، فَتعظُم المعصية إذا صدرت من العالم، بما لا يكون من الجاهل؛ ولهذا يُزاد في عذاب العالم الفاجر علىٰ عذاب الجاهل الفاجر. وما ارتكب المرءُ ضد أخيه ذنبًا أعظمَ من أن يُساعده علىٰ معصية ثم يُهوِّنها عليه. وطوبىٰ لمن إذا مات ماتت ذنوبُه معه.

ولهذا قال ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: ويلٌ للعالم من الأتباع؛ يزلُّ زَلَّةً ثم يرجع عنها، ويحملها الناس، فيذهبون بها في الآفاق. وقال بعضهم: مَثَل زَلَّة العالم مثل انكسار السفينة، تغرق ويغرق أهلها. فعلىٰ العلماء تَرْكُ الذنوب أو إخفاؤها، فكما تتضاعف أوزارهم علىٰ الذنوب تتضاعف حسناتهم علىٰ الأعمال الصالحة إذا اتُّبعوا. واعلم أن حقوقَ الله أعظمُ من أن يقوم بها العباد، وأن نِعَم الله أكثرُ من أن تُحصىٰ، ولكن إذا أصبح العبدُ تائبًا وأمسىٰ تائبًا فقد نجا، فيبدأ يومه بالتوبة عما كان بالليل، ويختمه بتوبة عما كان بالنهار. فالتوبة تُكمل النقص في الأعمال وتُطهِّر العبد من الذنوب.

وفي هذا قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مَن ذكر خطيئةً ألَمَّ بها (أي: وقع فيها) فوَجِل منها قلبُه مُحِيَتْ عنه في أمِّ الكتاب. وقال: إن العبد قد يُذنِب الذنبَ فلا يزال نادمًا آسفًا عليه طيلةَ حياته حتىٰ يَدخُلَ الجنة، ويقول إبليس: ليتني لم أُوقعه في الذنب.

وقال ابن عطاء الله السكندري: رُبَّ معصيةٍ أورثت صاحبَها ذلًّا وانكسارًا (أي: كلما تذكَّرها) أدخله الجنة.

وإذا تأملنا توبةَ الكافر في قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨]؛ نرجو أن يكونَ المسلمُ عند الله أحسنَ حالًا، ولعل اللهَ يقبل توبته كإسلام بعد إسلام، كما يقبل توبة الكافر عند إسلامه. وقال بعضُ الصالحين: أنا أعلم متىٰ يغفر الله لي. قيل له: ومتىٰ؟ قال: إذا تاب عليَّ. يقصد: إذا وفَّقني للتوبة.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: اجلسوا إلىٰ التوابين؛ فإنهم أرقُّ أفئدةً.

التوبةُ النَّصُوحُ: التوبة النصوح هي إعمالُ القلوب قبل الجوارح، وتُعنَىٰ بتنزيهِ القلب عن الذنوب، وعلامتُها أن يَكْره العبدُ المعصيةَ ويستقبحها، فلا تخطر له علىٰ بالٍ ولا تَرِدُ في خاطرٍ أصلًا، وتأكيد العزم علىٰ ألا يعود للمعصية لا سرًّا ولا جهرًا. وهذه التوبة هي التي تُورث صاحبَها الفلاحَ عاجلًا وآجلًا. ولا يُمكن للعبد تَرْكُ الذنب إلا إذا عرف أنه ذنبٌ وإثم، فمعرفة الذنوب إِذَنْ واجبةٌ شرعًا. والإنسان لا يخلو من معصية: إما بالجوارح، وإما بالقلب؛ ولهذا أُمرنا بالتوبة المستمرة، فإنه لا يسلم أحدٌ من النقص.

والذنبُ هو ما خالف أَمْر الشرع الحكيم في أداء فعلٍ أو تركه.

الصفاتُ المُثيرةُ للذنوبِ في الإنسانِ: وهي أربعٌ:

الصفاتُ البهيميَّةُ في الإنسانِ: فمنها يتشعَّب الشَّرَهُ والحرص علىٰ قضاء شهوة البطن والفرج، والزنا، واللواطة، والسرقة، وأَكْل مال اليتيم، وجَمْع حُطام الدنيا بأيَّة وسيلةٍ. وهذا ظاهرٌ في صفات البهائم.

الصفاتُ السَّبُعيَّةُ: حيث تظهر في الإنسان صفاتُ السِّباعِ الحيوانية، كالذئاب والثعالب والكلاب وسائر أنواع السباع، فيتشعَّب منها الغضب، والحقد، والتهجم علىٰ الناس بالضرب والشتم والقتل ونهب الأموال وغَصْبها.

الصفاتُ الشيطانيَّةُ: فإذا اجتمعت في الإنسان الصفات البهيمية والسبعية فاستخدم بعد ذلك عقله وحيلته في فعل السيئات يخرج منه الحسد والبغي والحيلة والخداع والمكر والغش والنفاق والأمر بالفساد والإفساد، وغير ذلك من سمات الشياطين.

الصفاتُ الاستعلائيَّةُ أو الرُّبُوبيَّةُ: أي: التشبه بالأرباب، حيث يأتي منها الكِبر والفخر والعُجْب وحبُّ المدح والثناء، وطلب الغنىٰ وطلب الاستعلاء عمومًا علىٰ الخلق، كأنه يريد أن يقول: أنا ربكم الأعلىٰ. ويتشعَّب من هذه الصفة كبائر الذنوب؛ وقد قال تعالىٰ في وَصْف من لا يستكبرون: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣]، فهذه أُمَّهات الذنوب.

الكبائرُ: والكبائر هي الذنوب العظام التي يترتَّب علىٰ إتيانها إقامةُ عقوبة الحدِّ علىٰ صاحبها، وقد توعَّد الشرع عليها بعذاب النار واللعن والطرد من رحمة الله تعالىٰ، أما من اجتنب الكبائر فقد قال الله تعالىٰ فيه: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ [النساء: ٣١].

والكبائر كثيرة، وقد حصرها أبو طالب المكي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: الكبائر سبع عشرة، وهي:

أربعٌ في القلب: وهي الشرك بالله تعالىٰ، والإصرار علىٰ المعصية، والقنوط من الرحمة، والأَمْن مِن مَكْر الله.

وأربعٌ في اللسان: وهي شهادة الزُّور، وقَذْف المُحصَن، واليمين الغَمُوس (أي: وهي التي يترتب عليها بطلان حق أو إحقاق باطل في المال أو العِرْض)، وسُمِّيت غموسًا لأنها تغمس صاحبها في النار. ثم السِّحر.

وثلاثٌ في البطن: وهي شُرب الخمر والمُسكِر من كلِّ شرابٍ، وأَكْل مال اليتيم ظلمًا، وأَكْل الربا مع العلم به.

واثنتان في الفرج: وهما: الزنا، واللواطة.

واثنتان في اليدين: وهما: القتل، والسرقة.

وواحدةٌ في الرجلين: وهي الفرار من الزحف.

وواحدةٌ في جميع الجسد: وهي عقوق الوالدين. والعقوق أن يُقسم الأبوان علىٰ ابنهما في حقٍّ فلا يَبرُّ قَسَمَهما، وإن سألاه حاجةً فلا يُطيعهما، وإن سبَّاه لسبب أو لآخر يضربهما، وقد يجوعان فلا يُطعمهما.

وعددُ الكبائر لا يمكن حصره، ولعلَّ الشرع قصد ذلك ليكون العبادُ علىٰ وَجَلٍ وخوف. **ويُقسِّم بعضُ أهلِ العلم الكبائرَ إلىٰ ثلاث مراتب:**

فالمرتبة الأولىٰ: هي كلُّ معصية أو ذنب يمنع أو يصد عن معرفة الله تعالىٰ وعبوديته، فهذه مرتبةُ أكبر الكبائر التي تُوصل صاحبها للكفر والجحود.

والمرتبة الثانية: هي كلُّ معصية أو ذنب يمنع ويسدُّ باب المحافظة علىٰ النفوس، كالقتل وغيره.

والمرتبة الثالثة: هي كلُّ معصية أو ذنب يمنع الكسب والمعايش التي بها حياة الناس، كالسرقة والغش والخداع. فكان حِفظُ المعرفة بالله أولًا، والحفاظُ علىٰ حياة الناس ثانيًا، والحفاظ علىٰ أموال الناس ثالثًا، كلها أمور ضرورية في مقصود الشريعة.

أقسامُ الناسِ في الآخرة: **يقول الإمام الغَزَاليُّ في «الإحياء»:** إن الناسَ في الآخرة علىٰ أربعةِ أقسام: هالكين، ومُعذَّبين، وناجين، وفائزين.

فأما **الهالكون**: فهم الجاحدون والمُعرِضون والمُكذِّبون اللهَ ورسلَه، وهم الكُفَّار والمشركون والملحدون.

وأما **المُعذَّبون**: فأولئك عندهم أصلُ الإيمان والتوحيد ولكن قصَّروا في أداء الأعمال، فمنهم من هو ظالمٌ لنفسه أو ظالمٌ للعباد.

وأما **الناجون**: فهم الذين سَلِمُوا من العذاب، ولكن مِن دون مرتبةِ الفوز والسعادة الحقيقية، إنما كان فوزُهم في النجاة فقط من العذاب، فلعل هذا حالُ مَن مات من المجانين وصبيان الكفار والمعتوهين، والذين لم تبلغهم دعوةُ الله في أقاصي البلاد؛ حيث لا معرفة لهم ولا جحود بشرع ولا طاعة ولا معصية، فلا وسيلة تُقرِّبهم إلىٰ الله، ولا جناية تُبعدهم عنه، فهم ليسوا من أهل الصلاح ولا من أهل الفساد، وهم أصحاب الأعراف. والله أعلم.

وأما **الفائزون**: فهم المُقرَّبون والسابقون والعلماء العارفون، وفي حقِّهم قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ١٧﴾ [السجدة ١٧].

وينبغي أن يُعالج المرض بدواءٍ مضادٍّ، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤]، فينبغي أن تُمحىٰ كلُّ سيئةٍ بحسنةٍ من جنسها، فالبياضُ يُداوَىٰ بالسواد لا بالحرارة والبرودة؛ إذ لا مسلم إلا وهو جامعٌ بين طاعةِ الله ومعصيته.

وإذا أُتبِع الذنب بثمانية أعمال كان العفوُ مَرْجُوًّا:

أربعةٌ من أعمال القلوب: وهي العزم علىٰ التوبة، والإقلاع عن الذنب، وخوف العقاب عليه، ورجاء المغفرة له.

وأربعةٌ من أعمال الجوارح: كأن يُصلِّي التائبُ عقيب ذنبه ركعتين، ثم يستغفر الله تعالىٰ بعدهما سبعين مرة، ويقول: «سبحان الله العظيم وبحمده» مائةَ مرة، ثم يتصدَّق بصدقة، ثم يصوم. وقال رسول الله ﷺ: «اتَّقِ الله حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». أحمد في «مسنده» (٥/ ١٥٣) برقم (٢١٣٩٢)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٩٧). ولهذا قيل: صدقةُ السِّرِّ تُكفِّر ذنوبَ الليل، وصدقة الجهر تُكفِّر ذنوبَ النهار. وللتوبة ثمرتان: إحداهما تكفيرُ السيئات حتىٰ يصيرَ التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والثانية نَيْلُ الدرجات حتىٰ يصير حبيبًا لرب العالمين.

وسُئِل أحد الصالحين: إن لساني في بعض الأحوال يجري بالذكر والقرآن، ولكن قلبي غافل؟ فقال: اشكر الله؛ إذ استعمل جارحةً من جوارحك في الخير وعوَّدها علىٰ الذكر والقرآن، ولم يستعملها في الشر ولم يُعوِّدها فُضُولَ وسيئ الكلام.

وإياك أن تنظر فقط في الطاعات إلىٰ مجرد العيوب والآفات، كالرياء والغفلة مما يُفتر ويُضعف رغبتك في العبادات. وقد قالت رابعةُ العَدَويَّةُ رحمها الله: استغفارُنا يحتاج إلىٰ استغفارٍ كبير. فهي لا تَذُمُّ حركةَ اللسان من حيث ذِكْرُ الله، بل تَذُمُّ غَفْلَةَ القلب الذي يحتاج إلىٰ استغفارين: واحدٍ للقلب، وآخَرَ لِلِّسَان، فلا تَحْقِرْ ذَرَّاتِ الطاعات والمعاصي. فهذا جعفرٌ الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: إن اللهَ خبَّأ ثلاثةَ أشياءَ في ثلاثة أشياء: خبَّأ رضاه في طاعته؛ فلا تحقرن من الطاعة شيئًا فلعل رضاءه فيه، وخبَّأ سخطه في معصيته؛ فلا تحقرن من المعصية شيئًا فلعل سخطه فيه، وخبَّأ أولياءه في خلقه، فلا تحقرن أحدًا فلعله ذلك الوليُّ.

ودواء التوبة خليط من حلاوة العلم ومرارة الصبر، ولكلِّ داء دواء. وينبغي علىٰ أهل العلم أن يقوموا بدعوة الناس وتعليمهم؛ لأنهم ورثةُ الأنبياء، فالأنبياء ما تركوا الناسَ علىٰ

جهلهم، بل كانوا يدعونهم في مجامعهم وأنديتهم ويدورون علىٰ أبوابهم وبيوتهم ويرشدونهم؛ ذلك أن مرضىٰ القلوب لا يعرفون مرضهم، ومن لا ينظر في المرآة لا يرىٰ ما بوجهه. فعليك أن تجتهد في إرضاء خالقك فوق ما تجتهد في إرضاء نفسك، واعلم أن الدنيا عدوٌّ لأولياء الله ولأعداء الله أيضًا؛ فأما أولياؤه فغمتهم بالابتلاءات، وأما أعداؤه فغرَّتهم بالمعاصي.

فالتوبة إِذَنْ هي تَرْك الذنب لقبحه، والندم علىٰ ما سبق منه، والعزيمة علىٰ ترك المعاودة إليه مجددًا، وتدارك ما أمكنه أن يتداركه من الأعمال بالإعادة والتكرار.

التوبةُ والإنابةُ والإيابةُ: يُقال لمن خاف العقاب وكفَّ عن المعصية: هو صاحب توبة. كما قال تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١]. ويُقال لمن يتوب ويطمع في ثواب ربه إنه صاحبُ إنابة. كما وصفهم الله تعالىٰ في كتابه الكريم بقوله: ﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾ [ق: ٣٣]؛ لأن **الإنابةَ** ليست فقط الكفَّ عن المعاصي، بل هي أيضًا الرجوعُ من الغفلة إلىٰ الذكر، ومن الوَحْشة والابتعاد إلىٰ الأُنْس والقُرْب. وأما **الإيابة** فهي الأعلىٰ منهما، فهي صفة الأنبياء والمرسلين؛ قال الله تعالىٰ: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾ [ص: ٣٠]؛ فالأنبياء ليسوا بأهل معاصٍ، فهم معصومون، بل هم أهل الطاعة والتوجه إلىٰ الذكر والأنس بالله.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «النَّدَمُ تَوْبَةٌ». أحمد في مسنده (١/ ٣٧٦) برقم (٣٥٦٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٨٠٢). ورُوي أن امرأةً سَرقت في غزوة الفتح، فأُتي بها رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فأمر بها فقُطعت يدها. قالت عائشة رضي الله عنها: فحَسُنَت توبتها، وتزوَّجت، وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلىٰ رسول الله صلى الله عليه وسلم. متفق عليه.

قال محمد بن كعب القُرَظي رحمه الله: التوبة يجمعها أربعةُ أشياء: الاستغفارُ باللسان، والإقلاعُ بالأبدان، وإضمارُ تَرْك العَوْد بالجنان (أي: القلب)، ومُهاجَرة سيِّئ الإخوان.

وقال يحيىٰ بن معاذ رحمه الله: الذي حَجَب الناسَ عن التوبة: طولُ الأمل. وعلامة التائب: إسبالُ الدمعة، وحبُّ الخَلْوَة، والمحاسبة للنفس عند كلِّ هَمَّة (أي: إذا همَّ بفعل ما).

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: إن التوبةَ هي حقيقةُ الإسلام؛ لأن الدِّينَ كلَّه داخلٌ في مسمَّىٰ التوبة، وبهذا استحقَّ التائبُ أن يكونَ حبيبَ الله، فإن الله يُحب التوابين ويحب المتطهرين.

فإذن تتحقَّقُ التوبة باجتناب ما يُغضِب اللهَ، ظاهرًا وباطنًا، وإتيان ما يحبه، ظاهرًا وباطنًا؛ ولهذا كانت التوبةُ غايةَ كل مؤمن، فهي بداية الأمر وخاتمته، وهي الغاية التي وُجد لأجلها الخلق، بل إن التوحيدَ هو جزءٌ منها.

وأكثرُ الناس لا يعرفون قدر التوبة ولا حقيقتها، فضلًا عن القيام بها علمًا وعملًا، ولم يجعل اللهُ تعالىٰ محبَّته للتوابين إلا لأنهم خواصُّ الخلق لديه، ولولا أن التوبةَ اسمٌ جامع لشرائع الإسلام وحقائق الإيمان لم يكن الربُّ تعالىٰ يفرح بتوبة عبده ذلك الفرح العظيم.

ومن فضائل التوبة أن الله يتجلىٰ برضوانه وإحسانه علىٰ التائب ويُقبل إليه أضعاف إقباله علىٰ العبد المطيع؛ لسعة رحمته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وحبِّه لتوبة العباد، وتيسير التوبة عليهم.

* * *

٣- بابُ الصبر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزمر: ١٠].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾﴾ [البقرة: ١٥٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [محمد: ٣١].

وَالآياتُ فِي الأمرِ بالصَّبْرِ وَبيانِ فَضْلِهِ كَثيرةٌ مَعْرُوفةٌ.

(٢٥/ ٣) وعن أبي مالكٍ الحارث بن عاصم الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الطُّهُورُ شَطْرُ الإيمانِ، وَالْـحَمْدُ لله تَمْلأُ الْـمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ الله وَالْـحَمْدُ لله تَـمْلآنِ- أو: تَمْلأُ- مَا بَيْنَ

السَّموات وَالأرْضِ، والصَّلاةُ نُورٌ، والصَّدقةُ بُرهَانٌ، والصَّبرُ ضِياءٌ، والقُرْآنُ حُجةٌ لَكَ أَوْ عَلَيْكَ (أي: حجة لك إذا امتثلت أوامره واجتنبت نواهيه، وحجة عليك إن لم تمتثل أوامره ولم تجتنب نواهيه، وهذا ليس خاصًّا بالقرآن وحده، بل يشمل كل العلوم)، كُلُّ النَّاسِ يَغْدُو، فَبَائعٌ نَفسَهُ فَمُعْتِقُهَا أَوْ مُوبِقُها (أي: إن كُلّ إنسان يسعىٰ بنفسه، فمنهم مَن يبيعها لله تعالىٰ بطاعته فيُعتِقها من العذاب، ومنهم مَن يبيعها للشيطان والهوىٰ باتّباعهما فيُهلكها)». رواه مسلم.

(٢٦/ ٣) وعن أبي سَعيد سعدِ بن مالكِ بن سنانٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ نَاسًا مِنَ الأنْصَارِ سَأَلوا رسولَ الله ﷺ فَأعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَألوهُ فَأعْطَاهُمْ، حَتَّىٰ نَفِدَ مَا عِندَهُ، فَقَالَ لَهُمْ حِينَ أنْفَقَ كُلَّ شَيءٍ بِيَدِهِ: «مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ. وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». متفق عليه.

(٢٧/ ٣) وعن أبي يحيىٰ صهيب بن سنانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لأمْرِ المُؤمنِ؛ إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيرٌ، وَلَيسَ ذلِكَ لأَحَدٍ إلَّا للمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ (أي: ما يسره) شَكَرَ فَكَانَ خَيرًا لَهُ، وإنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ (أي: ما يضره) صَبَرَ فَكانَ خَيْرًا لَهُ». رواه مسلم.

(٢٨/ ٣) وعن أَنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَـمَّا ثَقُلَ النَّبيُّ ﷺ (أي: اشتد مرضه وكبرت سِنُّه) جعلَ يَتَغَشَّاهُ (أي: يصيبه) الكَرْبُ، فَقَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَاكَربَ أَبَتَاهُ! فقَالَ: «لَيسَ عَلَىٰ أَبيكِ كَرْبٌ بَعْدَ اليَوْمِ». فَلَمَّا مَاتَ، قَالَتْ: يَا أَبَتَاهُ، أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، جَنَّةُ الفِردَوسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ، إلَىٰ جبْريلَ نَنْعَاهُ! فَلَمَّا دُفِنَ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَطَابَتْ أَنْفُسُكُمْ أنْ تَحْثُوا (أي: أن تضعوا) عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ التُّرَابَ؟! رواه البخاري.

(٢٩/ ٣) وعن أبي زَيدٍ أُسَامَةَ بنِ زيدِ بنِ حارثةَ، مَوْلَىٰ رسولِ الله ﷺ وحِبِّه وابن حِبِّه رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: أرْسَلَتْ بْنتُ النَّبيِّ ﷺ: إنَّ ابْنِي قَد احْتُضِرَ (أي: حضرته الوفاة) فَاشْهَدنَا. فَأَرْسَلَ يُقْرِئ السَّلامَ ويقُولُ: «إنَّ للهِ مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعطَىٰ، وَكُلُّ شَيءٍ عِندَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّىٰ؛ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ». فَأَرسَلَتْ إلَيْهِ تُقْسِمُ عَلَيهِ لَيَأتِيَنَّهَا، فقامَ وَمَعَهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَزَيْدُ ابْنُ ثَابتٍ، وَرِجَالٌ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فَرُفعَ إلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ الصَّبيُّ، فَأقْعَدَهُ فِي حِجْرِهِ وَنَفْسُهُ تَقَعْقَعُ، فَفَاضَتْ عَيناهُ (أي: سالت عيناه بالدموع)، فَقَالَ سَعدٌ: يَا رسولَ الله، مَا هَذَا؟ فَقَالَ: «هذِهِ رَحمَةٌ جَعَلَها اللهُ تَعَالَىٰ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ».

وفي رواية: «فِي قُلُوبِ مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، وَإِنَّما يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبادِهِ الرُّحَماءَ». متفق عليه.

وَمَعنَىٰ «تَقَعْقَعُ»: تَتحرَّكُ وتَضْطَرِبُ.

(٣٠/ ٣) وَعنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبلَكمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ قَالَ لِلْمَلِكِ: إنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إلَيَّ غُلامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ. فَبعثَ إلَيْهِ غُلامًا يُعَلِّمُهُ، وَكانَ فِي طَرِيقِهِ إذَا سَلَكَ رَاهِبٌ، فَقعدَ إلَيْه وسَمِعَ كَلامَهُ فَأعْجَبَهُ، وَكانَ إذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ مَرَّ بالرَّاهِب وَقَعَدَ إلَيه، فَإذَا أَتَىٰ السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَىٰ الرَّاهِب، فَقَالَ: إذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ. فَبَيْنَما هُوَ عَلَىٰ ذلِكَ إذْ أَتَىٰ عَلَىٰ دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ. فَقَالَ: اليَوْمَ أَعْلَمُ السَّاحرُ أفْضَلُ أم الرَّاهِبُ أفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هذِهِ الدَّابَّةَ حَتَّىٰ يَمضِيَ النَّاسُ. فَرَمَاهَا فَقتَلَها ومَضَىٰ النَّاسُ، فَأَتَىٰ الرَّاهبَ فَأَخبَرَهُ.

فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ اليومَ أَفْضَلُ منِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَىٰ، وَإنَّكَ سَتُبْتَلَىٰ، فَإنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ. وَكانَ الغُلامُ يُبْرِئُ الأَكْمَهَ (أي: الذي وُلد أعمىٰ) وَالأَبْرَصَ (أي: المصاب بالبرص، وهو بياض يظهر علىٰ الجلد)، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الأَدْوَاء (أي: الأمراض)، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلملِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ إنْ أنتَ شَفَيتَنِي؟ فَقَالَ: إنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَىٰ، فَإنْ آمَنْتَ بالله تَعَالَىٰ دَعوتُ اللهَ فَشفَاكَ. فَآمَنَ بالله تَعَالَىٰ فَشفَاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، فَأَتَىٰ المَلِكَ فَجلَسَ إلَيْهِ كَما كَانَ يَجلِسُ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي. قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ. فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الغُلام، فَجِيءَ بِالغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ المَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ، قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ وَتَفْعَلُ وَتَفعَلُ! فَقَالَ: إنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ تَعَالَىٰ.

فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّىٰ دَلَّ عَلَىٰ الرَّاهِب، فَجِيءَ بالرَّاهِب فَقِيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَىٰ، فَدَعَا بِالمِنْشَارِ فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ المَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَىٰ، فَوُضِعَ المِنْشَارُ فِي مَفرِقِ رَأسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّىٰ وَقَعَ شِقَّاهُ. ثُمَّ جِيءَ بالغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ. فَأَبَىٰ، فَدَفَعَهُ إِلَىٰ

نَفرٍ مِنْ أصْحابِهِ، فقَالَ: اذْهبُوا بِهِ إلَىٰ جَبَلِ كَذَا وَكَذا، فاصْعَدُوا بِهِ الجبَلَ، فَإذا بَلَغْتُمْ ذِرْوَتَهُ فَإنْ رَجعَ عَنْ دِينِهِ وَإلّا فاطْرَحُوهُ (أي: ارموه).

فَذَهبُوا بِهِ فَصعِدُوا بِهِ الجَبَلَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ. فَرَجَفَ بِهِمُ الجَبلُ فَسقَطُوا، وَجاءَ يَمْشِي إلَىٰ المَلِكِ، فقَالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعلَ أصْحابُكَ؟ فقَالَ: كَفانِيهِمُ اللهُ تَعالَىٰ. فَدَفعَهُ إلَىٰ نَفرٍ مِنْ أصْحابِهِ فقَالَ: اذْهبُوا بِهِ فاحمِلُوهُ في قُرْقُورٍ وتَوسَّطُوا بِهِ البَحْرَ، فَإنْ رَجعَ عَنْ دِينِهِ وَإلّا فَاقْذِفُوهُ.فَذَهبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اكْفِنيهم بمَا شِئْتَ. فانْكَفَأَتْ بِهِمُ السَّفينةُ فَغرِقُوا، وَجاءَ يَمْشي إلَىٰ المَلِكِ، فَقالَ لَهُ المَلِكُ: مَا فَعلَ أصْحابُكَ؟ فقَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ تعالَىٰ.

فَقالَ لِلمَلِكِ: إنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّىٰ تَفْعلَ مَا آمُرُكَ بِهِ. قَالَ: مَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحدٍ وَتَصْلُبُنِي عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهمًا مِنْ كِنَانَتي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ (أي: وسطه) ثُمَّ قُلْ: بِسْمِ اللهِ رَبِّ الغُلَامِ. ثُمَّ ارْمِني، فَإنَّكَ إذَا فَعَلْتَ ذلِكَ قَتَلتَنِي. فَجمَعَ النَّاسَ فِي صَعيدٍ واحدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَىٰ جِذْعٍ، ثُمَّ أخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبِدِ القَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِسمِ اللهِ ربِّ الغُلامِ. ثُمَّ رَمَاهُ فَوقَعَ فِي صُدْغِهِ (أي: ما بين عينه إلىٰ شحمة أذنه)، فَوضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الغُلامِ. فَأُتِيَ المَلِكُ فقِيلَ لَهُ: أرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ قَدْ واللهِ نَزَلَ بكَ حَذَرُكَ؛ قَدْ آمَنَ النَّاسُ.

فَأَمَرَ بِالأُخْدُودِ بأفْوَاهِ السِّكَكِ فَخُدَّتْ وأُضْرِمَ فيهَا النِّيرانُ وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَقْحِموهُ فيهَا- أو قِيلَ لَهُ: اقتَحِمْ- فَفَعَلُوا، حَتَّىٰ جاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعهَا صَبيٌّ لَهَا، فَتقَاعَسَتْ أنْ تَقعَ فيهَا، فَقَالَ لَهَا الغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِري؛ فَإنَّكِ عَلَىٰ الحَقِّ!». رواه مسلم.

«**ذِروَةُ الجَبَلِ**»: أعْلاهُ، وَهيَ بِكَسْرِ الذَّالِ المُعْجَمَةِ وَضَمِّهَا. و«**القُرْقُورُ**» بِضَمِّ القَافَينِ: نَوعٌ مِنَ السُّفُنِ. وَ«**الصَّعِيدُ**» هُنَا: الأَرضُ البَارِزَةُ. وَ«**الأُخْدُودُ**»: الشُّقُوقُ في الأرضِ كَالنَّهْرِ الصَّغيرِ. وَ«**أُضْرِمَ**»: أوْقَدَ. وَ«**انْكَفَأَتْ**» أي: انْقَلَبَتْ. وَ«**تَقَاعَسَتْ**»: تَوقفتْ وَجَبُنَتْ.

(٣١/ ٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ بامرأةٍ تَبكي عِنْدَ قَبْرٍ، فَقَالَ: «اتَّقِي اللهَ واصْبِري». فَقَالَتْ: إلَيْكَ عَنِّي؛ فإنَّكَ لم تُصَبْ بمُصِيبَتي. وَلَمْ تعرِفْهُ، فقيلَ لَهَا: إنَّه النَّبيُّ ﷺ. فَأَتَتْ بَابَ النَّبيِّ ﷺ

فَلَمْ تَجِدْ عِنْدَهُ بَوَّابِينَ، فقالتْ: لَمْ أعْرِفْكَ. فَقَالَ: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الأُولىٰ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**تَبْكِي عَلَىٰ صَبيٍّ لَهَا**».

(٣٢/ ٣) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: مَا لِعَبْدِي المُؤْمِنِ عِنْدِي جَزَاءٌ إِذَا قَبَضْتُ صَفِيَّهُ** (أي: من يصطفيه الإنسان ويقربه إلىٰ نفسه) **مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ**». رواه البخاري.

(٣٣/ ٣) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهَا سَأَلَتْ رسولَ الله ﷺ عَنِ الطَّاعُونِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّهُ كَانَ عَذَابًا يَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ يشاءُ، فَجعَلَهُ اللهُ تعالىٰ رَحْمَةً للْمُؤْمنينَ، فَلَيْسَ مِنْ عَبْدٍ يَقَعُ فِي الطَّاعُونِ فيمكثُ فِي بلدِهِ صَابرًا مُحْتَسِبًا يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يصيبُهُ إِلَّا مَا كَتَبَ اللهُ لَهُ إِلَّا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ الشَّهِيدِ. رواه البخاري.

(٣٤/ ٣) وَعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: إِذَا ابْتَلَيْتُ عَبْدِي بِحَبِيبَتَيْهِ فَصَبَرَ عَوَّضْتُهُ مِنْهُمَا الجَنَّةَ**». يريد عينيه. رواه البخاري.

(٣٥/ ٣) وعن عطاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، قَالَ: قَالَ لي ابنُ عَباسٍ رضي الله عنهما: أَلَا أُرِيكَ امْرَأَةً مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ؟ فَقُلْتُ: بَلَىٰ. قَالَ: هذِهِ المَرْأَةُ السَّوداءُ أتتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي أُصْرَعُ (أي: يُصيبها الصرع)، وإِنِّي أتكَشَّفُ (أي: ينكشف شيء من جسدي في أثناء الصرع)، فادْعُ اللهَ تعَالَىٰ لي. قَالَ: «**إِنْ شِئْتِ صَبَرْتِ وَلَكِ الجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتِ دَعَوتُ اللهَ تَعَالَىٰ أَنْ يُعَافِيَكِ**». فَقَالَتْ: أَصْبِرُ. فَقَالَتْ: إِنِّي أَتَكَشَّفُ؛ فَادعُ اللهَ أَلا أَتكَشَّفَ. فَدَعَا لَهَا. متفق عليه.

(٣٦/ ٣) وَعَنْ أَبِي عبد الرحمن عبد الله بن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِياءِ صَلَواتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِمْ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ (أي: جرحوه)، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَومِي؛ فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمونَ**». متفق عليه.

(٣٧/ ٣) وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا يُصِيبُ الـمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ** (أي: تعب)، **وَلَا وَصَبٍ، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أَذًىٰ، وَلَا غَمٍّ، حَتَّىٰ الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ**». متفق عليه. وَ«الوَصَبُ»: المَرَضُ.

(٣٨/ ٣) وَعَنِ ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: دخلتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وهو يُوعَكُ، فقلت: يَا رَسُولَ الله، إنَّكَ تُوعَكُ وَعْكًا شَدِيدًا! قَالَ: «**أَجَلْ، إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنكُمْ**». قُلْتُ: ذلِكَ أنَ لَكَ أجْرينِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ، ذلِكَ كَذلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصيبُهُ أَذًىٰ؛ شَوْكَةٌ فَمَا**

فَوقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ، وَحُطَّتْ عَنْهُ ذُنُوبُهُ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا». متفق عليه.

و«الوَعْكُ»: مَغْثُ الحُمَّىٰ، وَقِيلَ: الحُمَّىٰ.

(٣٩/ ٣) وَعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُصَبْ مِنْهُ». رواه البخاري. وَضَبَطُوا «يُصَبْ» بِفَتْحِ الصَّادِ وكَسْرِهَا.

(٤٠/ ٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوتَ لِضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الوَفَاةُ خَيرًا لي». متفق عليه.

(٤١/ ٣) وَعَنْ أَبِي عبد الله خَبَّاب بنِ الأَرَتِّ رضي الله عنه قَالَ: شَكَوْنَا إِلَىٰ رسول الله ﷺ وَهُو مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً (أي: مستند علىٰ بردة، وهي نوع من الثياب) لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، فَقُلْنَا: أَلَا تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟ أَلَا تَدْعُو لَنا؟ فَقَالَ: «قَدْ كَانَ مَنْ قَبْلَكُمْ يُؤْخَذُ الرَّجُلُ فَيُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرضِ فَيُجْعَلُ فِيهَا، ثُمَّ يُؤْتَىٰ بِالمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَىٰ رَأْسِهِ فَيُجْعَلُ نِصْفَينِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ وَعَظْمِهِ، مَا يَصُدُّهُ ذلِكَ عَنْ دِينِهِ، والله لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّىٰ يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَىٰ حَضْرَمَوتَ لَا يَخَافُ إِلَّا اللهَ وَالذِّئْبَ عَلَىٰ غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ». رواه البخاري.

وفي رواية: «وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً وَقَدْ لَقِينَا مِنَ المُشْرِكِينَ شِدَّةً».

(٤٢/ ٣) وعن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ حُنَينٍ آثَرَ (أي: فضَّل) رسولُ الله ﷺ نَاسًا فِي القِسْمَةِ، فَأَعْطَىٰ الأَقْرَعَ ابْنَ حَابِسٍ مِائَةً مِنَ الإِبِلِ، وَأَعْطَىٰ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ مِثْلَ ذلِكَ، وَأَعطَىٰ نَاسًا مِنْ أَشْرَافِ العَرَبِ وَآثَرَهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي القِسْمَةِ. فَقَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ إِنَّ هذِهِ قِسْمَةٌ مَا عُدِلَ فِيهَا، وَمَا أُرِيدَ فِيهَا وَجْهُ الله. فَقُلْتُ: والله لَأُخْبِرَنَّ رسولَ الله ﷺ. فَأَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ حَتَّىٰ كَانَ كَالصِّرْفِ، ثُمَّ قَالَ: «فَمَنْ يَعْدِلُ إِذَا لم يَعْدِلِ اللهُ وَرسولُهُ؟». ثُمَّ قَالَ: «يَرْحَمُ اللهُ مُوسَىٰ؛ قَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَر». فَقُلْتُ: لَا جَرَمَ، لَا أَرْفَعُ إِلَيْهِ بَعدَهَا حَدِيثًا. متفق عليه. وَقَوْلُهُ: «كَالصِّرْفِ» هُوَ بِكَسْرِ الصَّادِ المُهْمَلَةِ، وَهُوَ: صِبْغٌ أَحْمَر.

(٤٣/ ٣) وَعَنْ أَنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعبدِهِ الخَيرَ عَجَّلَ لَهُ العُقُوبَةَ فِي الدُّنيا، وَإِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبدِهِ الشَّرَّ أَمْسَكَ عَنْهُ بِذَنْبِهِ حَتَّىٰ يُوَافِيَ بِهِ يوم القِيَامَةِ».

وَقالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٤٤/ ٣) وَعَنْ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ ابنٌ لأَبي طَلْحَةَ رضي الله عنه يَشتَكِي، فَخَرَجَ أَبُو طَلْحَةَ، فَقُبِضَ

الصَّبيُّ، فَلَمَّا رَجعَ أَبُو طَلْحَةَ قَالَ: مَا فَعَلَ ابْنِي؟ قَالَتْ أُمُّ سُلَيمٍ وَهِيَ أُمُّ الصَّبيِّ: هُوَ أَسْكَنُ مَا كَانَ. فَقَرَّبَتْ إليه العَشَاءَ فَتَعَشَّىٰ، ثُمَّ أَصَابَ منْهَا (أي: جامعها)، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَتْ: وَارُوا الصَّبيَّ، فَلَمَّا أَصْبحَ أَبُو طَلْحَةَ أَتَىٰ رسولَ الله ﷺ فَأَخبَرَهُ، فَقَالَ: «**أَعَرَّسْتُمُ اللَّيلَةَ** (أي: كناية عن المعاشرة الزوجية)؟». قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمَا**». فَوَلَدَتْ غُلامًا، فقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ: احْمِلْهُ حَتَّىٰ تَأْتِيَ بِهِ النَّبيَّ ﷺ. وَبعَثَ مَعَهُ بِتَمراتٍ، فَقَالَ: «**أَمَعَهُ شَيءٌ؟**». قَالَ: نَعَمْ، تَمَراتٌ. فَأَخَذَهَا النَّبيُّ ﷺ فَمَضَغَهَا، ثُمَّ أَخَذَهَا مِنْ فِيهِ (أي: فمه) فَجَعَلَهَا فِي فِي الصَّبيِّ، ثُمَّ حَنَّكَهُ وَسَمَّاهُ عبدَ الله. متفق عليه.

وفي روايةٍ للبُخَارِيِّ: قَالَ ابنُ عُيَيْنَةَ: فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: فَرَأَيْتُ تِسعَةَ أَوْلادٍ كُلُّهُمْ قَدْ قَرءوا القُرْآنَ. يَعْنِي: مِنْ أَوْلادِ عبد الله المَولُودِ.

وَفي روايةٍ لمسلم: مَاتَ ابنٌ لأَبي طَلْحَةَ مِنْ أمِّ سُلَيم، فَقَالَتْ لِأَهْلِهَا: لَا تُحَدِّثُوا أَبَا طَلْحَةَ بِابْنِهِ حَتَّىٰ أَكُونَ أَنَا أُحَدِّثُهُ. فَجاءَ فَقَرَّبَتْ إِلَيْهِ عَشَاءً فَأَكَلَ وَشَرِبَ، ثُمَّ تَصَنَّعَتْ لَهُ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ تَصنَّعُ قَبْلَ ذلِكَ فَوَقعَ بِهَا (أي: جامعها)، فَلَمَّا أَنْ رَأَتْ أَنَّهُ قَدْ شَبِعَ وأَصَابَ مِنْهَا قَالَتْ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، أَرَأَيتَ لو أَنَّ قَومًا أعارُوا عَارِيَتَهُمْ أَهْلَ بَيتٍ، فَطَلَبُوا عَارِيَتَهُمْ، أَلَهُمْ أن يَمْنَعُوهُمْ؟ قَالَ: لا. فَقَالَتْ: فَاحْتَسِبِ ابْنَكَ. قَالَ: فَغَضِبَ ثُمَّ قَالَ: تَرَكْتِنِي حَتَّىٰ إِذَا تَلَطَّخْتُ (أي: تقذرت بالجماع) ثُمَّ أَخْبَرتِنِي بِابْنِي؟! فَانْطَلَقَ حَتَّىٰ أَتَىٰ رسولَ الله ﷺ فَأَخْبَرَهُ بِمَا كَانَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**بَارَكَ اللهُ فِي لَيْلَتِكُمَا**». قَالَ: فَحَمَلَتْ. قَالَ: وَكَانَ رسولُ الله ﷺ في سَفَرٍ وَهِيَ مَعَهُ، وَكَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَتَىٰ المَدِينَةَ مِنْ سَفَرٍ لَا يَطْرُقُهَا طُرُوقًا (أي: لا يدخلها بالليل)، فَدَنَوا مِنَ المَدِينَةِ، فضربها المخاضُ (أي: الطلق ووجع الولادة)، فَاحْتَبَسَ عَلَيْهَا أَبُو طَلْحَةَ (أي: مكث معها)، وانْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ. قَالَ: يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّكَ لَتَعْلَمُ يَا رَبِّ أَنَّهُ يُعْجِبُنِي أَنْ أَخْرُجَ مَعَ رسولِ الله ﷺ إِذَا خَرَجَ وَأَدْخُلَ مَعَهُ إِذَا دَخَلَ، وَقَدِ احْتَبَسْتُ بِمَا تَرَىٰ. تَقُولُ أُمُّ سُلَيْمٍ: يَا أَبَا طَلْحَةَ، مَا أَجِدُ الَّذِي كُنْتُ أَجِدُ، انْطَلِقْ. فَانْطَلَقْنَا وَضَرَبَهَا المَخَاضُ حِينَ قَدِمَا، فَوَلَدَتْ غُلامًا، فَقَالَتْ لِي أُمِّي: يَا أَنَسُ، لا يُرْضِعْهُ أَحَدٌ حَتَّىٰ تَغْدُوَ بِهِ عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ احْتَمَلْتُهُ فَانْطَلَقْتُ بِهِ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ. وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيثِ.

(٤٥/ ٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يملكُ**

نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ». متفق عليه. «**وَالصُّرَعَةُ**»: بضَمِّ الصَّادِ وفَتْحِ الرَّاءِ، وأَصْلُهُ عِنْدَ العَرَبِ مَنْ يَصْرَعُ النَّاسَ كَثِيرًا.

(٤٦/ ٣) وعن سُلَيْمَانَ بن صُرَدٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ جالِسًا مَعَ النَّبيِّ ﷺ ورَجُلانِ يَسْتَبَّانِ، وَأَحَدُهُمَا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ وانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ (أي: الأوداج: عروق تحيط بالعنق)، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إِنِّي لَأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ، لَوْ قَالَ: أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ، ذَهَبَ مِنْهُ مَا يَجِدُ**». فَقَالُوا لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**تَعَوَّذْ بِاللهِ مِنَ الشَّيطَانِ الرَّجِيمِ**». متفق عليه.

(٤٧/ ٣) وَعَنْ مُعَاذِ بن أنسٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَظَمَ غَيظًا** (أي: حبس غضبًا شديدًا)، **وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَفِّذَهُ، دَعَاهُ اللهُ ـ عَلَىٰ رُءوسِ الخَلائِقِ يَومَ القِيامَةِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنَ الحُورِ العِينِ مَا شَاءَ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(٤٨/ ٣) وَعَنْ أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبي ﷺ: أوصِني. قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرارًا، قَالَ: «**لا تَغْضَبْ**». رواه البخاري.

(٤٩/ ٣) وَعَنْ أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَا يَزَالُ البَلَاءُ بِالمُؤمِنِ وَالمُؤْمِنَةِ فِي نفسِهِ ووَلَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٠/ ٣) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ (أي: يُقرِّبهم) عُمَرُ رضي الله عنه، وَكَانَ القُرَّاءُ (أي: القراء: جمع قارئ، وهو القارئ للقرآن المتفهم لمعانيه. وكان مسمىٰ العلماء في حينه) أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ رضي الله عنه وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا (أي: كبارًا في السن) كانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيه: يَا ابنَ أخِي، لَكَ وَجْهٌ (أي: منزلة) عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأذِنْ لِي عَلَيهِ. فاسْتَأذَنَ فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هِي (أي: هِي: بكسر الهاء وسكون الياء، كلمة تهديد) يَا بنَ الخَطَّابِ، فَوَاللهِ مَا تُعطِينَا الجَزْلَ (أي: ما تُعطينا العطاء الكثير) وَلا تَحْكُمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ رضي الله عنه حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿**خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ** ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، واللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلاهَا، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ تَعَالَىٰ. رواه البخاري.

(٥١/ ٣) وَعَن ابنِ مسعودٍ رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا سَتَكونُ بَعْدِي أَثَرَةٌ وأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!**». قَالُوا: يَا رَسُولَ الله، فَمَا تَأْمُرُنا؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُم، وَتَسأَلُونَ**

اللهَ الَّذِي لَكُمْ». متفق عليه. و«الأَثَرَةُ»: الانفِرادُ بالشَّيْءِ عَمَّنْ لَهُ فِيهِ حَقٌّ.

(٣/٥٢) وَعَنْ أَبِي يَحْيَىٰ أُسَيْد بن حُضَيرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأنْصارِ قَالَ: يَا رسولَ الله، أَلَا تَسْتَعْمِلُني (أي: توظفني) كَمَا اسْتَعْمَلْتَ فُلانًا؟ فَقَالَ: «إنكُمْ سَتَلْقَونَ بَعْدِي أَثَرَةً (أي: الأنانية) فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ تَلْقَوْنِي عَلَىٰ الحَوْضِ». متفق عليه.

و«أُسَيْدٌ»: بضم الهمزة. و«حُضَيْرٌ»: بحاءٍ مهملةٍ مضمومةٍ، وضادٍ معجمةٍ مفتوحةٍ. والله أعلم.

(٣/ ٥٣) وَعَنْ أَبِي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ فِي بعْضِ أيامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّىٰ إِذَا مالَتِ الشَّمْسُ (أي: بدأت في الغروب) قَامَ فيهِمْ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لقيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحْتَ ظِلالِ السُّيوفِ». ثُمَّ قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُمْ وَانصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه.

وبالله التَّوفيق.

* * *

(الصبرُ)

الصبرُ من أعلىٰ مقامات الإيمان، وهو أحدُ أركان حُسْن الخلق الأربعة: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل، كما قال ابن القيم رحمه الله. وقد قال اللهُ تعالىٰ مادحًا أهلَ الإيمان: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٥﴾ [إبراهيم: ٥].

وقال رسولُ الله ﷺ: «عَجَبًا لأمْرِ المُؤمنِ، إنَّ أمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خيرٌ، وَلَيْسَ ذلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ: إنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أصابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فكانَ خَيْرًا لَهُ». مسلم برقم (٢٩٩٩).

وعن عبدِ الله بن مسعود رضي الله عنه: الإيمان نصفان: نصفٌ صبر، ونصفٌ شكر.

وقد سمَّىٰ اللهُ سبحانه وتعالى نفسَه صبورًا شكورًا، فهما وصفان من أوصاف الله تعالىٰ واسمان من أسمائه؛ قال عليٌّ رضي الله عنه: الصبرُ من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا جسدَ لمن لا رأسَ له، ولا إيمانَ لمن لا صبرَ له.

والصبرُ من سمات ابن آدم، ولا يُتصوَّر ذلك في البهائم والملائكة، أما في البهائم فلأنها ناقصةُ العقل، وأما في الملائكة فلكمال عقولهم؛ ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٣﴾ [البقرة: ١٥٣].

والصبر هو حَبْسُ أو مَنْعُ النفس عن الجَزَع والتسخُّط، وحَبْس اللسان عن الشكوىٰ، وحَبْس الجوارح عن المعاصي، وتَرْك الشكوىٰ مِن أَلَمِ البلوىٰ لغير الله. فقد دعا أيوبُ عليه السلام ربَّه لدفع الضُّرِّ عنه، قال تعالىٰ: ﴿۞وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٨٣﴾ [الأنبياء: ٨٣]، فأثنىٰ اللهُ تعالىٰ عليه قائلًا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًاۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٤٤﴾ [ص: ٤٤]. فالعبد إذا دعا ربَّه تعالىٰ في كَشْف الضُّرِّ، لا يقدح ذلك في صَبْره.

والهوىٰ هو أبغضُ إلهٍ عُبِد في الأرض، والعقلُ أعزُّ موجودٍ خُلِق علىٰ وَجْه الأرض. فالنفسُ قد تُحِبُّ أشياءَ وتكره أشياءَ، والواجب علىٰ العبد أن يتصرَّف وَفْق إرادةِ الله ويتبع رسولَه الكريم، وأن يُلزِم نفسَه بذلك ويصبر عليه؛ ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾ [الرعد: ٢٢-٢٤].

أقسامُ الصبرِ: قال الغزاليُّ: الصبرُ ثلاثةُ أقسامٍ:

القسمُ الأولُ: الصبرُ على طاعةِ الله: أي الصبر علىٰ الأوامر والطاعات حتىٰ يُؤدِّيها، والصبرُ علىٰ الطاعة أمره شديدٌ؛ لأن النفسَ بطَبْعها تنفر عن العبودية وتشتهي الاستعلاءَ والربوبية.

وقال بعضُ الصالحين: ما مِن نفسٍ إلا وهي مُضمِرةٌ ما أظهر فرعونُ مِن قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤]، ولكن فرعونَ وَجَد مجالًا وقَبُولًا فأظهره حين استخَفَّ قومه. وما مِن أحد إلا وهو يحاول ذلك مع خَدَمِه وأتباعه ومرءوسيه وكلِّ من هو تحت قهره وطاعته وحكمه، ويمتنع عن إظهارها إلا إذا أغضبه أحدُهم بسبب تقصيره في خدمةٍ ما مما يكشف عن رداء الكبرياء الذي يحاول ارتداءه دائمًا لِيُنازع ربَّه سبحانه وتعالى.

فالعبودية شاقَّةٌ علىٰ النفس مطلقًا، وهناك من العبادات ما يُكرَه بسبب حُبِّ الكَسَل كالصلاة، ومنها ما يُكره بسبب البخل كالزكاة، أو للسببين كالحج والجهاد. فالصبر علىٰ الطاعة هو صبرٌ علىٰ الشدائد لا شك. وأما الحديثُ عن الصبر بين الناس: فهناك الصبر علىٰ الإحسان إلىٰ الوالد، والوالدة، والزوجة، والولد، والعالم، والأكابر والجار، والضيف. وقد أُمِرنا أن نُؤدِّي لهم حقوقًا وواجبات، كزيارة الإخوة في الله، وعيادة المرضىٰ، وشهود الجنازات، ومُصاحَبة العلماء والأخيار، ومواصلة الأرحام المقطوعة، ومصاحبة الأب والأم الكبيرين، وحسن الرعاية لهما، وملاطفة الإخوة والأخوات، وكَتْم الأسرار، وسَتْر الأعراض. وغيرها من أوامر الله الكثيرة. وفي هذا كله نحتاج إلىٰ الصبر؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَا﴾[طه: ١٣٢] وقال تعالىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ﴾[الكهف: ٢٨].

القسمُ الثاني: الصبرُ على تَرْكِ المعاصي: ذلك لأن أولَ المعصية لَذَّة، وآخِرَها ندامةٌ، علىٰ عكس الطاعة، فأولُها مكروهٌ وآخرها سعادة وطمأنينة؛ قال رسولُ الله ﷺ: «حُجِبَتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ، وَحُجِبَتِ الجَنَّةُ بِالمَكَارِهِ» متفق عليه. ولتعلم أن أشدَّ أنواع الصبر هو صبرُ النفس علىٰ ترك معاصٍ صارت مألوفةً لنا بحكم العادة والإلف في حياتنا، والعادة للأسف غالبة، فمعلومٌ صعوبةُ الصبر عن معاصي اللسان من الغِيبة والنميمة والكذب والثناء علىٰ النفس، إما بالتعريض أو بالتصريح؛ فإن في استحقارِ الآخرين والقَدْح فيهم وفي أحوالهم؛ في ظاهرِه غِيبةً، وفي باطنه مدحًا وثناءً علىٰ النفس، فهو يُثبت فضل وقَدْرَ نفسه وينفي ذلك عن غيره. واعلم أن الصبرَ علىٰ أذىٰ الناس من أعلىٰ مراتب الصبر؛ فقد سُئل أحدُ الصالحين عن أعظم الصبر، فقال: الصبر علىٰ صحبة من لا توافقك أخلاقُه، ولا يُمكنك فِراقُه. وذلك كبعض الأهل والجيران وزملاء الدراسة والعمل مثلًا.

ويختلف هذا الأمرُ بحسب قوة الإيمان وضعفه، فالمرء كثيرًا ما يرغب في أن يؤدِّب جاره الذي يؤذيه لما قد يكون في ذلك من حبٍّ للتعالي والتسلط وكراهة للخضوع والمذلة، وكثيرًا ما يكره المرءُ أن يُكرِم أو يستقبل بعضَ أضيافِه، أو قد يكره أن يُحسن

معاملةَ بعض أقاربه وأهله وجيرانه لسببٍ أو لآخَر، أو أن يردَّ المظالمَ إلىٰ أهلها، أو قد يكره أن يُحسِن في بيعه وشرائه. فترْك مثل هذه الأمور يَصعُب علىٰ النفس، وفي هذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥]، وقال رسولُ الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحابِ عِنْدَ الله تَعالَىٰ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله تَعالَىٰ خَيْرُهُمْ لِجارِهِ» [أحمد في مسنده (١/ ٢٩٩) برقم (٢٧١٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٧٠)]، كما قال ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِئِ (أي: الذي يعامل بمثل ما عومل به)، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». البخاري برقم (٥٩٩١).

القسمُ الثالثُ: الصبرُ على المصائبِ والأقدارِ المُؤلمةِ وسائرِ أنواعِ البَلاءِ: وهو ما لا يدخل تحت اختيارِ العبد، وهو من أعلىٰ مقامات الصبر، ولا يقدر عليه إلا الأنبياءُ والمرسلون صلواتُ الله وسلامُه عليهم جميعًا، وهذا دعاءُ النبيِّ ﷺ حينما قال: «أَسْأَلُكَ مِنَ اليَقِينِ مَا تُهَوِّنُ عَلَيَّ بِهِ مَصَائِبَ الدُّنْيَا». الترمذي بنحوه برقم (٣٥٠٢)، حسنه الألباني (تخريج الكلم الطيب) حديث (٢٢٦).

وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة: ١٥٥]. وقال أيضًا: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِىٓ أَمْوَٰلِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٨٦]. وقال رسولُ الله ﷺ: «المُؤمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ علىٰ أَذَاهُمْ خَيْرٌ مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهُمْ». الترمذي برقم (٢٥٠٧)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٦٥١). فإن المؤمنَ الذي يُخالط الناس ويدعوهم إلىٰ الخير، ويدعوهم إلىٰ الإسلام، ويصبر علىٰ ما يناله من أذًىٰ في سبيل دعوتهم وإيصال الخير إليهم، خيرٌ من المؤمن الذي ينعزل عن الناس؛ لأن الأولَ صاحبُ نفعٍ يصل خيره إلىٰ الناس، والثاني صاحب نفع خاصٍّ، فالحديث عام في جميع الناس. والله أعلم.

فالصبر علىٰ الزوج أو الزوجة أو الولد العاقّ أو الجار المؤذي أو الضيف الثقيل أو الصاحب الخائن أو الصديق النمام أو الشريك السارق.. كلُّ هذا يحتاج إلىٰ الصبر.

قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ». مسلم برقم (٢٨٦٥). وقال ﷺ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ». مسلم برقم (٢٥٨٨).

وليس المرادُ ألا تكونَ في نفسك كراهيةٌ للمصيبة، فهذا لا اختيار لك فيه، وإنما النهيُ عن الجَزَع وشقِّ الجيوب ولَطْم الخدود والمبالغة في الشكوىٰ وإظهار الكآبة؛ فهي داخلةٌ تحت اختيارك، ولا يُخرجك عن حدِّ الصبر توجُّعُ القلب ولا فيضانُ العين بالدمع، فهذا مُقتضىٰ الطبيعة البشرية، واذكر ما حدث مع رسول الله ﷺ حينما مات ابنه إبراهيم، فلا ينبغي أن يُخرِجَ الابتلاءُ صاحبَه حتىٰ عن مقام الرضا.

قال عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه في خُطْبةٍ له: ما أنعم اللهُ علىٰ عبدٍ نعمةً فانتزعها منه وعوَّضه منها الصبرَ إلا كان ما عَوَّضه منها أفضلَ مما انتزع منه، واقرأ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠].

حُكْمُ الصبرِ: والصبر ينقسم باعتبار حكمه الشرعي إلىٰ: واجب، ونفل، ومكروه، ومحرم.

فالصبرُ علىٰ تَرْك الحرام وفِعل الفرائض واجبٌ، والصبر علىٰ تَرْك السرقة والزنا واجبٌ، والصبر علىٰ أداء الصلاة وبرِّ الوالدين واجبٌ أيضًا. والصبر علىٰ ترك المكروهات نافلة، كالصبر علىٰ تَرْك القِيل والقال فيما لا طائل وراءه.

وأما الصبر المكروه فهو تحمُّل ما يُؤذيك وأنت تستطيع أن تدفعه، كمن أراد أن يقطع يدك أو يسرق ولدك؛ إذ يجب عليك دَفْعُ الأذىٰ عن نفسك بقدر ما تستطيع. فالصبر علىٰ هذا مكروه.

وأما الصبر المُحرَّم فبكَظْم الغيظ عند مَن يُريد العبثَ بعِرْضك أو زوجك فتسكت علىٰ ذلك، فهذا الصبر مُحرَّم ومنهيٌّ عنه.

قال بعضُ العلماء: أهلُ الصبر علىٰ ثلاثةِ مقاماتٍ: **أولها**: تَرْك الشهوة، وهذه درجةُ التائبين. **وثانيها**: الرضا بالمُقدَّر، وهذه درجة الزاهدين. **وثالثها**: المحبة لما يصنع به مولاه، وهذه درجةُ الصِّدِّيقين.

وقال بعضُ الصالحين: البلاء يصبر عليه المؤمن، والعافية لا يصبر عليها إلا صِدِّيق.

وقال سهلٌ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصبرُ على العافية أشدُّ من الصبر على البلاء.

ويقول سليمان الداراني رَحِمَهُ اللَّهُ: والله ما نصبر على ما نحبُّ، فكيف نصبر على ما نكره؟! فالرجلُ كلَّ الرجلِ مَن يصبر على العافية ويعلم أن هذه النعمَ أمانةٌ عنده، وعليه رعاية حقوق الله تعالى وحقوق العباد فيها.

أنواعُ الصبرِ: قال الفيروزآبادي رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّبْرُ على ثلاثةِ أنواعٍ: صبر بالله، وصبر مع الله، وصبر لله.

فأما الصبرُ بالله: فهو التوكُّل عليه والاستعانة به في كلِّ حاله حتى في الصبر نفسه، فهو الذي يُعطيك الصبر، وهو معونة الرب لعبده، قال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [النحل: ١٢٧].

فإن لم يمنحك الصبر فلا صبر لك. وأما الصبر لله: فهو التوحيد والإخلاص محبةً لله ولوجهه الكريم، وليس لإظهار قوة النفس على الصبر ولا انتظارٍ لحمد الناس على الجَلَدِ والصبر، بل صبرٌ خالص لوجه الله تعالى.

وأما الصبر مع الله: فهو الصبر الذي يدور على أحكام الشرع الحنيف، فيجعل صاحبه صابرًا متمسكًا بدينه، جاعلًا نفسَه وقفًا على أوامر الله تعالى. ولا شك أن هذا هو معنى الاستقامة. ولهذا قال اللهُ في حقِّهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠]، وهو صبر الصديقين.

وسأل رجلٌ الشافعيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال: يا أبا عبد الله، أيُّهما أفضلُ للرجل: أن يُمكَّن - أي من النعم والفضائل - فيشكر الله عَزَّ وَجَلَّ، أو يُبتلى بالشر فيصبر؟ فقال الشافعيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يُمكَّن حتى يُبتلى؛ فإن الله ابتلى نوحًا وإبراهيم ومحمدًا صلوات الله عليهم جميعًا، فلما صبروا مكَّنهم. فلا يظن أحد أن يخلص من الألم أبدًا.

قال اللهُ تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]. وقيل في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ [آل عمران: ٢٠٠]: ﴿ٱصْبِرُوا۟﴾ أي: في الله إخلاصًا ورجاءَ ثوابه وخوفَ عقابه. ﴿وَصَابِرُوا۟﴾ أي: بالله استعانةً بقوة الله ومعونته، فلا حول ولا قوة إلا

بالله. ﴿وَرَابِطُواْ﴾ أي: مع الله مجاهدةً واستقامة علىٰ الأعمال.

وقيل: الصبر لله غناء، والصبر بالله بقاء، والصبر مع الله وفاء، والصبر عن الله جفاء، والصبر علىٰ استجابة الدعاء عنوان الفوز، والصبر علىٰ المِحَن عنوان الفرج.

وتختلف أسماءُ الصبر باختلاف مواقعه: فإن كان حَبْس النفس لمصيبة سُمِّي صبرًا، وإن كان محاربة سُمِّي شجاعةً، وإن كان عن إمساك الكلام سُمِّي كتمانًا، وإن كان عن فضول العيش سُمِّي زهدًا، وإن كان عن شهوة الفرج سُمِّي عِفَّة، وإن كان عن شهوةِ طعامٍ سُمِّي شَرَف النفس، وإن كان عن إجابة داعي الغضب سُمِّي حِلْمًا.

قال ابنُ تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذَكَر اللهُ تعالىٰ في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل: فأما الصبر الجميل فهو الذي لا شكوىٰ فيه ولا معه. وأما الصَّفْح الجميل فهو الذي لا عتاب معه. وأما الهَجْر الجميل فهو الذي لا أذىٰ معه.

ولهذا كما يقول ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الصبر: إنه مُرتبِطٌ بكل مقامات الدين. وهذا معنىٰ قوله ﷺ: «وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ». متفق عليه.

الفَرْقُ بينَ الصَّبْرِ والرِّضا: قد سبق بيانُ الصبر، أما الرضا فهو طِيبُ نفس الإنسان بما يُصيبه من أقدارٍ أو يَفُوته من النِّعَم مع التغيُّر، واعتقاده أن اختيارَ الله له هو الأفضلُ.

والرضا نوعان: **أولُهما**: الرضا بفعل ما أمر الله به، وترك ما نهىٰ الله عنه، من غير تعدٍّ إلىٰ محظور. وهذا الرضا واجبٌ. **والثاني**: الرضا بالمصائب، كالفقر والمرض والذل، فهذا رضًا مُستحَبٌّ عند بعض أهل العلم. وقال ابن تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الواجبَ هو الصبر.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرضا غريزة، لكن الصبر مِعْوَل (أي: أداة ووسيلة) المؤمن.

وقال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: خيرُ عيش أَدْرَكْناه بالصبر (أي: علىٰ المشقات والمصاعب).

وقال داود لسليمان عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ: يُستدَلُّ علىٰ تقوىٰ المؤمن بثلاثٍ: حُسْن التوكُّل فيما لم يَنَلْ، وحسنُ الرضا فيما قد نال، وحسن الصبر فيما قد فات.

كيفيَّةُ الصبرِ:

أولًا: بالقلبِ: وهو حَبْسُ النفس عن التسخُّط بالمقادير الإلهية التي تشمل الصبر علىٰ

فِعل الطاعات وتَرْك المعاصي وتحمُّل الأقدار المؤلمة.

ثانيًا: باللسانِ: وهو حَبْس اللسان عن الشكوىٰ للمخلوق، فإذا كان لا بد من الشكوىٰ فلا تكون إلا لاثنين: إما لصديقٍ هو أهلٌ للتقوىٰ فيُساعد علىٰ الصبر والتصبُّر وتجاوز المِحَن بما يُرضي الله، أو لمن هو أَهْلٌ للقضاء فيحكم بينه وبين خَصْمه في القضايا والمشاكل كالوالي والقاضي والحاكم والأمير.

ثالثا: بالجوارحِ: فيحبس الجوارحَ عن المعصية، كاللَّطْم علىٰ الوجوه وشقِّ الثياب ونَتْف الشعر، أو ما يعني التسخُّط علىٰ أقدار الله أو حتىٰ أخلاق البشر، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤]، وقال النبيُّ ﷺ: «تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ وَتُعْطِي مَنْ حَرَمَكَ وَتَصْفَحُ عَمَّنْ ظَلَمَكَ» [أحمد بنحوه في مسنده (٤/ ١٤٨) برقم (١٧٣٧٢)، والحاكم في المستدرك (٣٩١٢) وقال: حديث صحيح الإسناد].

وتختلف درجةُ الصبر عند الناس من واحدٍ لآخَرَ حَسَب حالِ كلٍّ منهم في قدرته علىٰ فِعل الأمر أو تَرْك النهي أو تحمُّل الأقدار.

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أفضلُ العُدَّة الصبرُ علىٰ الشِّدَّة.

وقيل في منثور الحِكَم: مَن أحبَّ البقاءَ فَلْيُعِدَّ للمصائب قلبًا صبورًا.

وقال ابن المُقَفَّع: الصَّبْر صبران: فاللِّئامُ أصبرُ أجسامًا، والكِرَامُ أصبرُ نفوسًا.

وقال أحمدُ بن حَنْبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذَكَر اللهُ الصبرَ في القرآن في نحو تسعين موضعًا.

وقال أبو عليٍّ الدَّقَّاق رَحِمَهُ اللَّهُ: فاز الصابرون بعزِّ الدارين لأنهم نالوا من الله معيَّته؛ فإن الله مع الصابرين.

وقد قال عمرُ بن الخطاب لأبي موسىٰ الأَشْعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في رسالته له: عليك بالصبر، واعلم أن الصبرَ مِلَاكُ الإيمان؛ ذلك بأن التقوىٰ أفضلُ البِرِّ والتقوىٰ بالصبر.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بُنِيَ الإيمانُ علىٰ أربع دعائمَ: اليقين، والصبر، والجهاد، والعدل.

قال أبو الدَّرْداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذِروةُ الإيمانِ الصبرُ للحكم والرضا.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَا يَزَالُ البَلَاءُ بالمُؤمِنِ وَالمُؤْمنَةِ في نفسِهِ وولَدِهِ وَمَالِهِ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَمَا عَلَيهِ خَطِيئَةٌ». أحمد في مسنده (٢/ ٢٨٧) برقم (٧٨٤٦).

وقال ﷺ: «إِنَّ عِظَمَ الجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ البَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ». الترمذي برقم (٢٣٩٦).

الأمورُ التي تُعينُ على الصبرِ:

– معرفةُ أن الحياةَ الدنيا زائلةٌ لا دوام فيها.

– معرفة الإنسان أنه مِلْكٌ لله تعالَىٰ أوَّلًا وآخرًا، وأن مصيرَه إلىٰ الله تعالىٰ.

– التيقن بحُسن الجزاء عند الله، وأن الصابرين ينتظرهم أحسنُ الجزاء من الله، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوٓا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٩٦﴾ [النحل: ٩٦].

– اليقينُ بأن نَصْرَ الله قريبٌ، وأن فَرَجَه آتٍ، وأن بعد الضيق سَعَة، وأن بعد العُسْر يُسْرًا، وأن ما وَعَدَ اللهُ به الـمُبْتَلَينَ من الجزاء لا بد أن يتحقَّق؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ٦﴾ [الشرح: ٥، ٦].

– الاستعانة بالله واللجوء إلىٰ حِمَاه، فيشعر المسلمُ الصابرُ بأن اللهَ معه، وأنه في رعايته؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَاصْبِرُوٓا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ٤٦﴾ [الأنفال: ٤٦].

– الاقتداءُ بأهل الصبر والعزائم، والتأمُّل في سِيَر الصابرين وما لاقَوْه من ألوان البلاء والشدائد، وخاصة أنبياء الله ورسله.

– الإيمان بقدر الله، وأن قضاءه نافذٌ لا مَحَالة، وأن ما أصاب الإنسانَ لم يكن لِيُخْطِئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه؛ قال تعالىٰ: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ٢٢ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَآ ءَاتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ٢٣﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

– الابتعاد عن الاستعجال والغضب وشدة الحزن والضيق واليأس من رحمة الله؛ لأن كلَّ ذلك يُضعِف من الصبر والمثابرة.

* * *

٤- بابُ الصِّدْقِ

قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ [التوبة: ١١٩].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ٢١﴾ [محمد: ٢١].

وأما الأحاديث:

(٥٤/ ٤) فالأول: عن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ، وإنَّ البرَّ يَهدِي إِلَىٰ الجنَّةِ، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا، وَإنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ، وَإنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلَىٰ النَّارِ، وَإنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». متفق عليه.

(٥٥/ ٤) الثاني: عن أبي محمد الحَسن بن عليِّ بن أبي طالب رضي الله عنهما قَالَ: حَفِظْتُ مِنْ رَسُول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لا يَرِيبُكَ؛ فَإنَّ الصِّدقَ طُمَأنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ». رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح». قوله: «يَرِيبُكَ» بفتح الياء وضمها، ومعناه: اترك مَا تَشُكُّ في حِلِّهِ وَاعْدِلْ إِلَىٰ مَا لا تَشُكُّ فِيهِ.

(٥٦/ ٤) الثالث: عن أبي سفيانَ صَخرِ بنِ حربٍ رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصةِ هِرَقْلَ (أي: وهو ملك من ملوك الروم): قَالَ هِرقلُ: فَمَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ يعني النَّبيَّ ﷺ. قَالَ أبو سفيانَ: قُلْتُ: يقولُ: «اعْبُدُوا اللهَ وَحدَهُ، لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَاتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ». ويَأْمُرُنَا بالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ (أي: الكف عن المحارم)، وَالصِّلَةِ (أي: صلة الأرحام). متفق عليه.

(٥٧/ ٤) الرابع: عن أبي ثابت- وقيل: أبي سعيد، وقيل: أبي الوليد- سهل بن حُنَيْفٍ وَهُوَ بدريٌّ (أي: ممن شهد وقعة بدر) رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ وَإنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ». رواه مسلم.

(٥٨/ ٤) الخامس: عن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «غَزَا نبيٌّ مِنَ الأنْبياءِ (أي: وهو يوشع بن نون) صَلَوَاتُ الله وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِقَومهِ: لا يَتْبَعَنِّي رَجُلٌ مَلَكَ بُضْعَ امْرَأةٍ (أي: تزوج حديثًا) وَهُوَ يُرِيدُ أنْ يَبْنِيَ بِهَا (أي: يدخل بها) وَلَـمَّا (أي: لم) يَبْنِ بِهَا، وَلا أحَدٌ بَنَىٰ بُيُوتًا لَمْ يَرْفَعْ سُقُوفَهَا، وَلا أحَدٌ اشْتَرَىٰ غَنَمًا أَوْ خَلِفَاتٍ وَهُوَ يَنْتَظِرُ أَوْلادَهَا. فَغَزا فَدَنَا (أي: اقترب) مِنَ القَرْيَةِ صَلاةَ العَصْرِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ لِلشَّمْسِ: إنَّكِ مَأمُورَةٌ وَأنَا

مَأْمُورٌ، اللَّهُمَّ احْبِسْهَا عَلَيْنَا. فَحُبِسَتْ حَتَّىٰ فَتَحَ اللهُ عَلَيهِ، فَجَمَعَ الغَنَائِمَ، فَجَاءَتْ - يعني النار - لِتَأْكُلَهَا، فَلَمْ تَطْعَمْهَا.

(أي: وكانت عادة الأنبياء عليهم صلوات الله وسلامه في الغنائم أن يجمعوها فتجيء نار من السماء فتأكلها، فيعلمون بذلك قبولها وعدم الغلول والسرقة فيها، فإذا لم تأكلها النار علم أن فيها غلولًا).

فَقَالَ: إنَّ فِيكُمْ غُلُولًا، فَلْيُبَايِعْنِي مِنْ كُلِّ قَبيلَةٍ رَجُلٌ. فَلَزِقَتْ يدُ رجلٍ بِيَدِهِ فَقَالَ: فِيكُمُ الغُلُولُ، فَلْتُبَايِعني قَبِيلَتُك. فلزقت يَدُ رَجُلَين أَوْ ثَلَاثَةٍ بِيَدِه. فقال: فيكم الغلول. فَجَاءوا بِرَأْسٍ مثلِ رَأسِ بَقَرَةٍ مِنَ الذَّهَبِ، فَوَضَعَهَا فَجاءتِ النَّارُ فَأَكَلَتْهَا. فَلَمْ تَحلَّ الغَنَائِمُ لأحَدٍ قَبْلَنَا، ثُمَّ أحَلَّ اللهُ لَنا الغَنَائِمَ لَـمَّا رَأَىٰ ضَعْفَنا وَعَجْزَنَا فَأَحَلَّهَا لَنَا». متفق عليه. (أي: والغلول: هو الأخذ من الغنيمة في خفية قبل قسمتها. وكانت علامة الغلول عندهم التصاق يدِ الغالِّ بيد نبي ذلك الزمان، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين).

«**الخَلِفَاتُ**»: بفتحِ الخاءِ المعجمة وكسرِ اللامِ: جمع خلفة، وهي الناقة الحامِل.

(٥٩/ ٤) السادس: عَنْ أَبِي خالد حَكيم بن حِزامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**البَيِّعَانِ بالخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا** (أي: كل من البائع والمشتري يختار ما يريد ما داما في مكان العقد)، **فَإِنْ صَدَقا وَبيَّنَا بُورِكَ لَـهُمَا في بيعِهِمَا، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ** (أي: نُزِعت) **بركةُ بَيعِهِما**». متفق عليه.

* * *

(الصدقُ)

إذا كانت أعمالُ العبودية تدور بين الصبر والشكر والتوبة، فإن الصدقَ هو روح هذه الأعمال، وهو أعظم الأخلاق وأعلاها، وهو الباب الذي يدخل منه الصالحون إلىٰ حضرة ذي الجلال والإكرام.

والصدق معناه استواءُ السرِّ والعلانية، والظاهر والباطن. وهو خلاف الكذب، وذلك بألا تُخالِف أحوالُ قلب العبدِ أعمالَه، ولا أعمالُه أحوالَه. فالصدق هو أحدُ أسس الدين المتينة، فهو أساس الإسلام والإيمان، وهو الذي يُميِّز أهل الإيمان عن أهل النفاق.

والناس عند الله إما صادقٌ وإما منافق؛ وقد أخبر اللهُ تعالىٰ عن جزاء كلٍّ منهما بقوله: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤]؛ لأن الإيمانَ أساسُه الصدق، والنفاق أساسُه الكذب، يبدأ بكذب اللسان وينتهي إلىٰ كذب القلب نفاقًا، فلا يجتمعان؛ ولهذا أَمَر اللهُ تعالىٰ المؤمنين أن يكونوا مع الصادقين، فقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩]، وقال تعالىٰ: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩].

والصادقون لهم مَنْزلة القرب من الله، وقد أثنىٰ اللهُ تعالىٰ علىٰ أهل الإيمان بأعمالهم من الإيمان والإسلام والصدقة والصبر، ثم توَّجهم بتاج الصدق، وجعله الأعلىٰ في وصفهم، فقال تعالىٰ: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

ويوم القيامة لا ينفع العبدَ ولا يُنجيه من العذاب إلا صدقُه؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩]، وقال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الزمر: ٣٣].

والصدق خُلُق أعمُّ وأوسعُ من الإخلاص، وقد قيل: كلُّ صادق مخلص، وليس كلُّ مخلصٍ صادقًا.

وسُئل الجُنيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أهُمَا واحدٌ أم بينهما فَرقٌ؟ فقال: الصِّدْقُ أصلٌ، والإخلاص فَرْعٌ، والصدق أصلُ كلِّ شيء؛ لأن الإخلاصَ لا يكون إلا بعد دخولِ العبد في العمل، والأعمال لا تكون مقبولةً إلا بهما.

وقال القُشيريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصدقُ ألا يكونَ في أحوالك شَوْبٌ (أي: رياء ونفاق وخداع وكذب)، ولا في اعتقادك رَيْب (أي: شك)، ولا في أعمالك عيبٌ.

معانِي الصِّدقِ: والصدق يُستعمَل في ستة مَعَانٍ: الصِّدق في القول، والصدق في النية والإرادة، والصدق في العزم، والصِّدق في الوفاء بالعزم، والصِّدق في العمل، والصِّدق في تحقيق مقامات الدين كلها.

الصدقُ الأولُ: الصدقُ في الأقوالِ: أي استقامة اللسان علىٰ الصدق، وحفظ اللسان من الكذب. فحقٌّ علىٰ كلِّ عبدٍ أن يحفظَ لسانَه، فلا يتكلَّم إلا بالصدق، ولا يُنافي أيضًا الصدقَ اللجوءُ إلىٰ المعاريض، وهي التورية بإخفاء وستر بعض الأمور في الكلام، بأن يقولَ الشخص كلامًا يحتمل عدةَ أمور، وقد رُوي عن عمران بن الحصين: «إنَّ فِي الْـمَعَارِيضِ لَـمَنْدُوحَةً (أي: فُسحةً ومُتَّسعًا) عَنِ الْكَذِبِ». البخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٧).

والإسلام يَعتَبِر ويهتمُّ بالمصالح، فمَنِ اضطرَّ إلىٰ ذلك فصِدقه في قَصْده ونيَّته وإرادة الخير، بصَرْف النَّظَر عن نُطْقه. وكان رسولُ الله ﷺ إذا توجَّه لسَفَرٍ (أي: لملاقاة عدو) ورَّىٰ (أي: أخفىٰ وأوهم) بغيره. [متفق عليه]، وليس هذا من الكذب في شيء.

عن أُمِّ كُلْثُوم بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خيرًا، أَوْ يَقُولُ خيْرًا» متفق عليه وفي رواية مسلم[حديث (٢٦٠٥)] زيادة، قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلاَّ في ثَلاثٍ. تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَديثَ المَرْأَةِ زَوْجَها.

وقال ﷺ أيضًا: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ». متفق عليه. ومن الكمال في الصدق في القول أن يُراعي معنىٰ الصدق في ألفاظه التي يُناجي فيها ربَّه، كقوله: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[الأنعام: ٧٩]، فإنه إن كان القلبُ منصرفًا عن الله تعالىٰ مشغولًا بأماني الدنيا وشهواتها كان كاذبًا، وكقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[الفاتحة: ٥]، فإذا لم يتصف حاله وقت قوله ذلك بحقيقة العبودية لم يكن صادقًا. ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ». البخاري برقم (٢٨٨٧).

وحتىٰ عند نومه حين يقول ما قاله النبيُّ ﷺ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رَغبَةً وَرَهبَةً إِلَيْكَ». متفق عَلَيهِ.

فلا يتكلم إلا بالصدق، إلا ما تجاوز عنه الشرع الحكيم.

الصدقُ الثانِي: الصدقُ في النِّيّةِ والإرادةِ: وهذا من الإخلاص، فإن كان عملُه تشوبه حظوظُ النفس صارت نيَّتُه كاذبةً، كما في حديث الثلاثة الذين يدخلون النارَ: العالم، والجَوَاد، والشهيد، فكان كذبُ كلٍّ منهم ليس في فِعله، ولم يقل اللهُ تعالىٰ: لم يعملوا، وإنما كان كذبُهم في الإرادة والنية، فكلٌّ منهم كان قد قام بعملٍ حسن، مِن قراءة للقرآن أو تَصَدُّق أو قتالٍ.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم برقم (١٩٠٥).

وقد كذَّب اللهُ تعالىٰ المنافقين في نيَّاتهم لا من حيث نُطْق اللسان، ولكن من حيث ضمير القلب، فقال تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون: ١]. فأحدُ معاني الصدق هو إخلاصُ النية، فكلُّ صادقٍ مخلصٌ، وليس بالضرورة كلُّ مخلصٍ صادقًا.

الصدقُ الثالثُ: الصدقُ في العزيمةِ والهِمَّةِ: فإن الإنسانَ قد يُقدِّم العزمَ علىٰ العمل، فيقول في نفسه: إن آتاني اللهُ مالًا تصدَّقتُ به جميعَه، أو إن أعطاني اللهُ ولايةً (أي: سلطة أو وزارة) عَدَلْتُ فيها ولم أَعْصِ اللهَ تعالىٰ بظلمٍ وخيانةٍ. فقد يجد العبدُ هذه العزيمةَ من نفسه، وهي عزيمةٌ جازمة صادقة، وقد يكون في عزمه ميلٌ وتردُّدٌ وضَعْفٌ، وهذا مُنَافٍ للصدق في

العزم والهِمَّة، فالصادق هو الذي لا تَرَدَّد عزيمتُه ولا تَضعُف، ولا تميل حتىٰ يمتلك الأسبابَ لفعله، فهو المصمِّم الجازم أبدًا علىٰ فِعل الخيرات، وهو الذي لا تتغيَّر همَّته أبدًا، كالذي قال للنبيِّ ﷺ عند توزيع الغنائم: والله ما علىٰ هذا اتبعتُك، ولكني اتبعتُك علىٰ أن أُرمىٰ بسهمٍ هاهنا فأُقتل فأدخل الجنةَ. النسائي برقم (١٩٥٣).

الصدقُ الرابعُ: الصدقُ في الوفاءِ بالعزمِ: إن النفسَ قد تعزم علىٰ الفعل، فإذا حَصَل التمكُّن من الأسباب وفَّت بوعدها صدقًا لعزيمتها؛ ولذلك قال اللهُ تعالىٰ مادحًا لهم: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ﴾ [الأحزاب: ٢٣]، وفي قصةِ أنس بن النَّضْر في غزوة أُحُد دليلُ الصدق في الوفاء بالعزم. فعن أنسٍ ﷺ قَالَ: غَابَ عَمِّي أنسُ بنُ النَّضْرِ ﷺ عن قِتَالِ بَدْرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، غِبْتُ عَنْ أَوَّلِ قِتَالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أَشْهَدَنِي قِتَالَ المُشْرِكِينَ لَيَرَيَنَّ اللهُ مَا أَصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمُونَ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ (أي: يعني: أصْحَابَهُ) وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ (أي: يَعنِي: المُشْرِكِينَ) ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: يَا سَعدَ بنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ، إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. فَقَالَ سَعْدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ.

قَالَ أنسٌ: فَوَجدْنَا بِهِ بِضعًا وَثَمَانِينَ ضَربَةً بِالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أحَدٌ إلا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ (أي: إصبعه). قَالَ أنسٌ: كُنَّا نُرَىٰ - أَوْ نَظُنُّ - أَنَّ هذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِيهِ وَفِي أَشْبَاهِهِ: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] إلىٰ آخرها. متفق عليه.

وقد تعزم النفسُ علىٰ الفعل، فإذا حَصَل التمكُّن من الأسباب وغَلَبَتِ الشهواتُ خارت العزيمة وضعفت الهمة وأخلَّت بالعهد، فهذا يُضادُّ الصدق؛ ولذلك قال اللهُ تعالىٰ: ﴿۞وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ ٧٧﴾ [التوبة: ٧٥- ٧٧]. فمن الصدقِ: الوفاءُ بالعزم، وليس فقط العزم.

الصدقُ الخامسُ: الصدقُ في الأعمالِ: وهو أن يجعلَ سرَّه كعلانيته، فيجتهد في ألا تدلَّ أعمالُه الظاهرةُ علىٰ الصلاح والتقوىٰ والوقار حالَ كونِ باطنه مشغولًا بالدنيا وشهواتها، فهذه الأعمالُ هو فيها كاذبٌ، وهو غير صادقٍ في عمله، صحيحٌ أنه لم ينوِ رياءً بعمله؛ فلا يُؤمَر بتَرْك العمل، ولكنه يُؤمَر بأن يجعل الباطنَ موافقًا للظاهر، فلا ينجو إلا باستواء السَّريرة والعلانية، فمُخالفة الظاهر للباطن إن كانت عن قصدٍ سُمِّيت رياءً وضاع بها الإخلاصُ، وإن كانت عن غيرِ قصدٍ ضاع بها الصِّدق.

قال مُطرِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا استوت سريرةُ العبد وعلانيتُه قال اللهُ: هذا عبدي حقًّا.

وقال عبدُ الواحد بن زيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان الحسنُ البَصْريُّ إذا أَمَر بشيءٍ كان مِن أَعْمَل الناس به، وإذا نَهَىٰ عن شيءٍ كان مِن أَتْرَك الناس له، ولم أَرَ أحدًا قطُّ أشبهَ سريرةً بعلانيةٍ منه.

وقال أبو يعقوب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصدق موافقةُ الحقِّ في السرِّ والعلانية.

وقد أوحىٰ الله تعالىٰ إلىٰ داود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا داود، من صَدَقني في سريرته صدقتُه في علانيته عند خَلْقي.

وقال بعضُهم: ثلاثُ خصالٍ إذا صحَّت ففيها النجاة ولا يتمُّ بعضُها إلا ببعضٍ: الإسلام الخالص عن البدعة والهوىٰ، والصدق لله تعالىٰ في الأعمال، وطِيب المطعم.

الصدقُ السادسُ: الصدقُ في الأحوالِ: وهو أعلىٰ الدرجات وأعظمها، وهو الصدق في كلِّ مقامات الدين. فعلىٰ العبد أن يكونَ صادقًا مع ربِّه حالَ الخوف والرجاء والزهد والرضا والحب والتوكل، وسائر هذه المقامات والأحوال، فيكون خوفُه وتوكُّله وصبره وشكره بصدقٍ، فإن اللهَ يأمر المؤمنين ألا يرتابوا عند قيامهم بأعمالهم، فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾﴾ [الحجرات: ١٥]، ولا يتمُّ ذلك إلا بمعرفة الله تعالىٰ وتعظيمه، والخوف منه بصدق.

قال سفيان الثَّوْريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قول الله تعالىٰ: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]: هم الذين ادَّعَوْا محبةَ الله تعالىٰ ولم يكونوا بها صادقين.

فإن الكاذبَ يخاف من السلطان ويرتعد، ولا يخاف من النار عند فِعل المعصية، ولكن الصادق يصدق في خوفه ورجائه وزهده وتوكُّله وسائر مقامات دينه.

وقال أبو بكر الورَّاق رَحِمَهُ اللَّهُ: الصِّدق ثلاثة: صِدق التوحيد، وصدق الطاعة، وصدق المعرفة.

فالصدق إذًا هو ست مراتب، فإذا اكتملت هذه المراتب سُمِّي العبدُ صدِّيقًا، والصَّدُوق أبلغُ في المعنىٰ من الصادق، وأعلاهم درجةً الصِّدِّيق، أي الدائم التصديق، والذي يُصدِّق قولُه فِعله، أو هو المبالغ في الصدق.

والصِّدِّيقون هم الدرجة التالية لدرجة النبوة التي هي أرفعُ درجات العالمين، والتي مِن مساكنهم في الجنة تجري العيون والأنهار إلىٰ مساكن هؤلاء الصديقين، والرسول ﷺ هو إمام الصادقين، فهو أفضلُ مثالٍ للإنسان الكامل الذي اتَّخذ مِن الصِّدق في القول والأمانة في المعاملة منهجًا لا يَحِيدُ ويبتعد عنه، فهو الصادق الأمين.

وأما الصِّدِّيق أبو بكرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فهو الذي سمَّاه الرسولُ ﷺ بذلك حين كذَّبه الناس في الإسراء والمعراج، فقال أبو بكر: فوالله إني لأُصدِّقه بما هو أبعدُ من ذلك، أُصدِّقه في خبر السماء يأتيه في غَدْوَة أو رَوْحَةٍ. ثم أقبل علىٰ النبيِّ ﷺ يسأله عما أخبر به الناسَ، ثم قال له: صَدَقْتَ، أشهد أنك رسولُ الله. فقال النبيُّ ﷺ: «وَأَنْتَ يَا أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقُ»

[الحاكم في «مستدركه» (٣/ ٦٥) برقم (٤٤٠٧)].

فمنذئذٍ سُمِّي الصديقَ؛ ولهذا كان أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أكملَ الأمة في الصِّدِّيقيَّة؛ لكمال هذا في كلِّ أحواله، فكان مصدقًا الرسولَ في كلِّ كلامه، ولم يتلعثم، وكان صادقًا في أعماله؛ فقد خرج من ماله أربعَ مرات حتىٰ صار فقيرًا، وهاجر معه وترك أهله وأمواله، وكان صادقَ الحال كذلك حينما صار خليفة المسلمين. فالصِّدِّيقيَّة هي كمالُ الانقياد للرسول ﷺ بالاتِّباع، مع كمال الإخلاص لله تعالىٰ.

وقد أَمَرَنا اللهُ تعالىٰ بأشكالٍ من الصِّدق، فقال تعالىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٨٠]، وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤]، وقال تعالىٰ: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢]، وقال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾

﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ٥٥﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥]. فهذه خمسةُ أشكالٍ: مُدخَل الصدق، ومُخرَج الصدق، ولسان الصدق، وقَدَم الصدق، ومقعد الصدق.

فمُدخل الصِّدق ومُخرج الصدق أن يكونَ دخولُه وخروجه لله تعالىٰ فقط؛ طلبًا لمرضاته، وهو ضدُّ مخرج الكذب ومدخله، الذي لا هدف له إلا الباطل.

فمُدخل الصدق هو دخول العبد بالصدق في الأمور كلِّها، كدخول النبيِّ ﷺ المدينة المنورة لنصرة دين الله بالصدق، لا رياءً ولا نفاقًا، فأيَّده اللهُ ونصره، بخلاف مُدخل الكذب الذي طلبه أعداؤه يوم الأحزاب أن يدخلوا المدينةَ المنورة مُعاداةً للحقِّ ومحاربةً لله والرسول، فكان جزاؤهم الخِذْلان والهزيمة.

ومُخرج الصدق كخروج النبيِّ ﷺ للدفاع عن دين الله يوم بدرٍ، وهو عكس مخرج أعدائه في ذلك الغزو، فهو مخرج كذب. فيجب أن تكونَ حركة العبد دخولًا وخروجًا لله صدقًا لا رياءً وكذبًا.

ولسانُ الصِّدق هو السعي الصادق بلا رياء ولا سمعة في طلب الثناء الحسن عليه من سائر الناس إلىٰ يوم القيامة، وهو الذي سأله إبراهيمُ ربَّه، في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ٨٤﴾ [الشعراء: ٨٤]، وأثنىٰ اللهُ تعالىٰ الثناء الحسن علىٰ المرسلين فقال: ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ٥٠﴾ [مريم: ٥٠].

وأما قَدَم الصدق فهو ما يقدمه العبد من عملٍ صالحٍ إيمانًا بالله وتصديقًا بمحمدٍ ﷺ وطلبًا للرضوان.

ومقعد الصدق أن يقعد الناس مقاعدهم في المجامع والأسواق وغيرها مليئة بالذكر والدعاء والعمل الصالح بعيدة عن الغيبة والنميمة، وأعلىٰ هذه المقاعد هو الجنة عند الله تعالىٰ عند مليك مقتدر.

ومن علامات الصدق طُمَأنينة القلب إليه، ومن علامات الكذب التشكُّك والريبة؛ قال رسولُ الله ﷺ: «فَإِنَّ الصِّدقَ طُمأنِينَةٌ، وَالكَذِبَ رِيبَةٌ». أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٠) برقم (١٧٢٣).

وقال ﷺ: «إنَّ الصِّدقَ يَهْدِي إلىٰ البِرِّ، وإنَّ البرَّ يَهدِي إلىٰ الجَنَّة، وإنَّ الرَّجُلَ لَيَصدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا. وَإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلىٰ الفُجُورِ، وَإِنَّ الفُجُورَ يَهدِي إِلىٰ النَّارِ، وَإِنَّ

الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا». متفق عليه.

فالصِّدقُ مِفْتاحُ درجةِ الصديقيَّة، فلا ينالها كاذبٌ، فالكاذب علىٰ الله في أسمائه وصفاته بنَفْيِ ما أثبته لنفسه من أسماءٍ وصفات، أو العكس بإثبات ما نفاه عن نفسه، فليس هذا من الصديقية في شيءٍ، وكذلك الكاذب علىٰ دينه وشرعه الحكيم بتحليل ما حرَّم وتحريم ما أحلَّ، أو إسقاط ما أوجبه أو إيجاب ما أسقطه، أو كراهة ما أحبَّه أو استحباب ما لم يُحِبه. كلُّ ذلك مُنافٍ للصديقية.

فالكاذبُ في الأعمال يتحلَّىٰ بحِلْية الصديقين، وليس هو كذلك؛ فالصديقية كمال الإخلاص والانقياد والمتابعة في كلِّ الأمور ظاهرًا وباطنًا، حتىٰ إن الصدقَ يُحِلُّ البركةَ في البيع، والكذب يمحو البركةَ، كما قال رسولُ الله ﷺ: «البَيِّعَانِ بالخِيَارِ مَا لَمْ يَتفَرَّقَا، فإن صَدَقا وَبيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا في بيعِهما، وإنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بركَةُ بَيعِهما». مُتَّفَقٌ عَلَيهِ.

كلماتٌ في حقيقةِ الصدقِ: قال عبد الواحد بن زيد رَحِمَهُ اللَّهُ: الصِّدْقُ هو الوفاءُ لله بالعمل.

وقيل: إن الصدقَ هو قولُ الحقِّ في مَواطِنِ الهلاك. وقيل: هو كلمة الحقِّ عند مَن تخافه وترجوه.

وذلك لأن الخوفَ وَحْده قد يمنع صاحبه من قول الحق، أما إذا اختلط بالرجاء في صفات المخاطَب الكريمة فذلك قد يشجعه علىٰ قول الصدق، وأولىٰ بذلك خوفه من الله وطمعه في كرمه وسعة مغفرته وعفوه، مما يحمله علىٰ التوبة والندم والصدق مع الله.

وقال سهل بن عبد الله: لا تُشَمُّ رائحةُ الصدق من عبدٍ داهَنَ (أي: نافق) نفسَه أو غيرَه.

وقال أبو سعيد القرشي: الصادقُ هو الذي يتهيَّأ له أن يموتَ ولا يَسْتَحْيِي مِن انكشاف سرِّه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ۝٩٤﴾ [البقرة: ٩٤].

قال إبراهيمُ الخَوَّاصُ رَحِمَهُ اللَّهُ: الصادق لا تراه إلا في فرضٍ يُؤدِّيه أو فضل يعمل فيه.

قال الجُنَيدُ رَحِمَهُ اللَّهُ: حقيقة الصدق أن تصدُق في موطنٍ لا يُنجيك منه إلا الكذب.

قال ابنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أربعٌ من كُنَّ فيه فقد رَبِح: الصدق، والحياء، وحسن الخلق، والشكر.

وسُئل حكيمٌ: ما رأيتُ صادقًا. فقال للسائل: لو كُنتَ صادقًا لَعَرَفْتَ الصادقين.

وقال محمد بن عليٍّ الكِنَانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وَجَدنا دِينَ الله تعالىٰ مَبْنِيًّا علىٰ ثلاثةِ أركان: علىٰ الحقِّ، والصدق، والعدل. فالحقُّ علىٰ الجوارح، والصدق علىٰ العقول، والعدل علىٰ القلوب.

وقال بِشْرُ بن الحارث رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن عامَلَ اللهَ بصدقٍ استوحش من الناس (أي: فرَّ من الاختلاط الذي لا طائل وراءه).

وقال أبو بكر الورَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: احفظِ الصِّدقَ فيما بينك وبين الله تعالىٰ، والرِّفق فيما بينك وبين الخلق. وقيل لسهل: ما أصلُ هذا الأمر الذي نحن عليه؟ فقال: الصِّدق، والسخاء، والشجاعة. فقيل: زِدْنا. فقال: التُّقَىٰ، والحياء، وطيب الغذاء.

وقيل: مَن طلب اللهَ بالصدق أعطاه مرآةً يُبصِر بها الحقَّ والباطل.

وقال منصورٌ الدِّينَوَريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أحسنُ ما توجَّه العبدُ به إلىٰ الله الصِّدق، وأقبح ما توجَّه به الكذب. وقيل: مَن قَلَّ صِدْقُه قَلَّ صَدِيقُه. أي: الصديق الصالح.

وقال عمرُ بن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ يَضَعَنِي (أي: يُنزل قدري) الصِّدقُ- وقلما يضع- أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذبُ، وقلما يفعل.

وقال حكيمٌ: الصِّدق مُنجِيك وإن خفتَه، والكذب مُرْدِيك (أي: مهلكك) وإن أَمِنته.

وقيل: ثلاثةٌ لا تُخطئ الصادقَ: الحلاوة، والملاحة، والهَيْبة.

وقال يوسفُ بن أَسْباط: لأن أبيتَ ليلةً أُعامل اللهَ بالصدق أحبُّ إليَّ مِن أن أَضْرِبَ بسيفي في سبيل الله. وقال بعضُهم: مَن لم يُؤَدِّ الفرضَ الدائمَ لم يُقبَل منه الفرضُ المؤقَّت. قيل: وما الفرض الدائم؟ قال: الصدق. وقيل: عليك بالصدق حيث تخاف أن يضرَّك؛ فإنه ينفعك، ودَعِ الكذبَ حيث ترىٰ أنه ينفعك؛ فإنه يضرُّك. وقيل: ما أملقَ تاجرٌ صَدَقَ (أي: ما أصابه الفقر).

قِصَّةٌ: في حوالي العام المائتين والخمسين قبل الميلاد، في الصين القديمة، كان أميرُ منطقةٍ ما علىٰ وشك أن يُتوَّج ملكًا، ولكن كان عليه أن يتزوَّج أولًا، بحَسَب القانون، وبما أن الأمرَ يتعلق باختيار إمبراطورة مُقبِلة، كان علىٰ الأمير أن يجد فتاةً يستطيع أن يمنحها ثقتَه العمياء، وتبعًا لنصيحة أحدِ الحكماء قرَّر أن يدعوَ بنات المنطقة جميعًا لكي يجد الأجدرَ بينهن. وعندما سمعَتِ امرأةٌ عجوزٌ- وهي خادمةٌ في القصر لعدة سنوات- بهذه الاستعدادات للجلسة، شعرت بحزنٍ جامح؛ لأن ابنتَها

تُكِنُّ حبًّا دفينًا للأمير، وعندما عادت إلىٰ بيتها حَكَتِ الأمرَ لابنتها، ففُوجِئَت بأن ابنتَها تنوي أن تتقدَّم للمسابقة هي أيضًا. أحاط اليأسُ بالمرأة وقالت: وماذا ستفعلين هناك يا ابنتي؟! وسيتقدَّم أجمل الفتيات وأغناهن، اطردي هذه الفكرة السخيفة من رأسك، أَعرِف تمامًا أنكِ تتألمين، ولكن لا تُحوِّلي الألم إلىٰ جنون. أجابتها الفتاة: يا أمي العزيزة، أنا لا أتألَّم، ولا أزال أقلَّ جنونًا، أنا أعرف تمامًا أني لن أُختارَ، ولكنها فرصتي في أن أجد نفسي لبضع لحظات إلىٰ جانبِ الأمير، فهذا يُسعدني حتىٰ لو أني أعرف أن هذا ليس قدري.

وفي المساء، عندما وصلت الفتاة، كانت أجملُ الفتيات قد وصلن إلىٰ القصر، وهُنَّ يرتدين أجمل الملابس وأروعَ الحُلِيِّ، وهن مستعداتٌ للتنافس بشتَّىٰ الوسائل من أجل الفرصة التي سنحت لهن. وقد أعلن الأمير محاطًا بحاشيته بدء المنافسة وقال: سوف أعطي كلَّ واحدة منكن بذرةً، ومن تأتيني بعد ستة أشهر حاملةً أجمل زهرة، ستكون إمبراطورة الصين المقبلة. حملت الفتاة بذرتها وزرعتها في «أصيص» من الفخار، وبما أنها لم تكن ماهرةً جدًّا في فن الزراعة، فقد اعتنت بالتربة بكثير من الأناة والنعومة؛ لأنها كانت تعتقد أن الأزهار كلما كبرت زاد حبها للأمير، فلا ينبغي أن تقلق من النتيجة.

مرَّت ثلاثة أشهر، ولم ينمُ شيءٌ، جرَّبت الفتاة شتَّىٰ الوسائل، وسألت المزارعين والفلاحين فعلَّموها طرقًا مختلفة جدًّا، ولكن لم تحصل علىٰ أية نتيجة، ويومًا بعد يوم أخذ حُلمها يتلاشىٰ، رغم أن حبَّها ظل متأججًا، مضت الأشهر الستة، ولم يظهر شيءٌ في أصيصها، ورغم أنها كانت تعلم أنها لا تملك شيئًا تُقدِّمه للأمير، فقد كانت واعيةً تمامًا لجهودها المبذولة ولإخلاصها طوال هذه المدَّة، وأعلنت لأمها أنها ستتقدَّم إلىٰ البلاط في الموعد والساعة المحدَّدين، كانت تعلم في قرارة نفسها أن هذه فرصتها الأخيرة لرؤية حبيبها، وهي لا تنوي أن تفوتها من أجل أي شيء في العالم.

حلَّ يوم الجلسة الجديدة، وتقدَّمت الفتاة مع أصيصها الخالي من أية نبتة، ورأت أن الأخريات جميعًا حَصَلْنَ علىٰ نتائج جيدة؛ وكانت أزهارُ كلِّ واحدة منهن أجمل من الأخرىٰ، وهي من جميع الأشكال والألوان.

وأخيرًا أتت اللحظة المنتظرة، دخل الأمير ونظر إلىٰ كلِّ المتنافسات بكثيرٍ من الاهتمام والانتباه، وبعد أن مرَّ أمام الجميع أعلن قراره، وأشار إلىٰ ابنة خادمته علىٰ أنها الإمبراطورة الجديدة.

احتجَّت الفتيات جميعًا قائلات: إنه اختار تلك التي لم تزرع شيئًا.وعند ذلك فسَّر الأميرُ سبب هذا التحدي قائلًا: هي وحدها التي زرعت الزهرة تلك التي تجعلها جديرة بأن تُصبح إمبراطورة؛ زهرة الشرف، فكل البذور التي أعطيتُكن إياها كانت عقيمة، ولا يُمكنها أن تنمو بأية طريقة.

فالمسلم عليه أن يكون صادقًا مع الله وصادقًا مع الناس وصادقًا مع نفسه.

فالصدق مع الله: بإخلاص الأعمال كلِّها لله، فلا يكون فيها رياءٌ ولا سمعةٌ، فمن عمل عملًا لم يُخلص فيه النيةَ لله لم يتقبَّلِ اللهُ منه عملَه. والمسلم يُخلص في جميع الطاعات بإعطائها حقَّها، وأدائها علىٰ الوجه المطلوب منه.

والصدق مع الناس: بألا يكذب المسلم في حديثه مع الآخرين، ومما يروىٰ عن سفيان بن أسيد الحضرمي يرفعه: «كَبُرَتْ خِيَانَةً أَنْ تُحَدِّثَ أَخَاكَ حَدِيثًا هُوَ لَكَ مُصَدِّقٌ وأَنْتَ له كاذبٌ». البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٩٣).

والصدق مع النفس: بألا يخدع نفسه، ويعترف بعيوبه وأخطائه، ويُصحِّحها، والعلم بأن الصدقَ طريق النجاة، قال ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ، فَإِنَّ الْكَذِبَ رِيبَةٌ وَالصِّدْقَ طُمَأْنِينَةٌ». أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٠) برقم (١٧٢٣)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٣٧٨).

❊ ❊ ❊

٥- بابُ المراقبة

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء: ٢١٨، ٢١٩].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٥﴾﴾ [آل عمران: ٥].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

وَالآيات في البابِ كثيرة معلومة. **وأما الأحاديث:**

(٦٠/ ٥) فالأول: عَنْ **عُمَرَ بنِ الخَطَّابِ** رضي الله عنه قَالَ: بَيْنما نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ ذَاتَ يَوم إذْ طَلَعَ عَلَينا رَجُلٌ شَديدُ بَياضِ الثِّيابِ، شَديدُ سَوَادِ الشَّعْرِ، لا يُرَىٰ عَلَيهِ أثَرُ السَّفرِ، وَلاَ يَعْرِفُهُ مِنَّا أَحَدٌ، حَتَّىٰ جَلَسَ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فَأَسْنَدَ رُكْبَتَيهِ إِلَىٰ رُكْبَتَيهِ وَوَضَعَ كَفَّيهِ عَلَىٰ فَخِذَيهِ (أي: وضع كفيه علىٰ فخذي نفسه لا علىٰ فخذي النبي ﷺ، وهذا من كمال الأدب في جلسة المتعلم أمام المعلم)، وَقالَ: يَا مُحَمَّدُ، أخْبرني عَنِ الإسلامِ. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**الإسلامُ: أنْ تَشْهدَ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وأنَّ مُحمَّدًا رسولُ الله، وتُقيمَ الصَّلاةَ، وَتُؤتِيَ الزَّكَاةَ، وَتَصومَ رَمَضَانَ، وَتَحُجَّ البيتَ إنِ اسْتَطَعْتَ إِلَيْهِ سَبيلًا**».

قَالَ: صَدَقْتَ. فَعَجِبْنَا لَهُ يَسْأَلُهُ وَيُصَدِّقُهُ! قَالَ: فَأَخبرني عَنِ الإيمانِ. قَالَ: «**أنْ تُؤمِنَ باللهِ، وَمَلائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَومِ الآخِرِ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِهِ وَشَرِّهِ**».

قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: فأَخبرني عَنِ الإحْسَانِ. قَالَ: «**أنْ تَعبُدَ اللهَ كَأنَّكَ تَرَاهُ، فإنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فإنَّهُ يَرَاكَ**». قَالَ: فَأَخبرني عَنِ السَّاعَةِ. قَالَ: «**مَا المَسْئُولُ عَنْهَا بأعْلَمَ مِنَ السَّائِلِ**». قَالَ: فأخبرني عَنْ أمَاراتِهَا. قَالَ: «**أنْ تَلِدَ الأَمَةُ رَبَّتَهَا، وأنْ تَرَىٰ الحُفَاةَ العُرَاةَ العَالَةَ رِعَاءَ الشَّاءِ يَتَطَاوَلُونَ فِي البُنْيَانِ**».

ثُمَّ انْطَلَقَ فَلَبِثْتُ مَلِيًّا، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُمَرُ، أَتَدْرِي مَنِ السَّائِلُ؟**». قُلْتُ: اللهُ ورَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «**فإنَّهُ جِبريلُ، أتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أمْرَ دِينكُمْ**». رواه مسلم. ومعنىٰ «تَلِدُ الأَمَةُ رَبَّتَهَا» أي:

سَيِّدَتَهَا؛ وَمَعْنَاهُ: أَنْ تَكْثُرَ السَّرَارِي (أي: جمع «سُرِّيَّة»، وهي الأمة المتخذة للجماع)، حَتَّىٰ تَلِدَ الأَمَةُ السُّرِّيَّةُ بِنْتًا لِسَيِّدِهَا، وبنْتُ السَّيِّدِ فِي مَعنَىٰ السَّيِّدِ، وَقِيلَ غَيْرُ ذلِكَ. و«**العَالَةُ**»: الفُقَرَاءُ. وقولُهُ: «**مَلِيًّا**» أَيْ: زَمَنًا طَويلًا، وَكانَ ذلِكَ ثَلاثًا.

(٦١/ ٥) الثاني: عَنْ أَبِي ذَرٍّ جُنْدُبِ بنِ جُنادَةَ، وَأَبِي عبدِ الرحمنِ معاذِ بنِ جبلٍ رضي الله عنهما: عَنْ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٦٢/ ٥) الثالث: عَن ابنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ خلفَ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم يومًا، فَقَالَ: «يَا غُلامُ، إنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ (أي: بامتثال أوامره واجتناب نواهيه) يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسأَلِ اللهَ، وإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ باللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحفُ (أي: فُرِغ من الأمر وجفَّت كتابته، وهذا كناية عن تقدُّم كتابة المقادير كلها والفراغ منها)». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

وَفِي رِوَايَةِ غَيرِ التِّرْمِذِيِّ: «احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ أَمَامَكَ، تَعَرَّفْ إِلَىٰ اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَاعْلَمْ أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ، وَأَنَّ الفَرَجَ مَعَ الكَرْبِ، وَأَنَّ مَعَ العُسْرِ يُسْرًا».

(٦٣/ ٥) الرابع: عَنْ أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: إنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعمَالًا هِيَ أَدَقُّ فِي أَعيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، كُنَّا نَعُدُّهَا عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم مِنَ المُوبِقَاتِ. رواه البُخاريُّ. وَقَالَ: «**المُوبِقَاتُ**»: المُهلِكَاتُ.

(٦٤/ ٥) الخامس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَغَارُ، وَغيْرَةُ اللهِ تَعَالَىٰ أَنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ». متفق عليه. و«**الغَيْرَةُ**»: بِفَتْحِ الغَيْنِ، وَأَصْلُهَا الأَنَفَةُ.

(٦٥/ ٥) السادس: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «إِنَّ ثَلَاثَةً مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ: أَبْرَصَ، وَأَقْرَعَ، وَأَعْمَىٰ، أَرَادَ اللهُ أَنْ يَبْتَلِيَهُمْ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَلَكًا، فَأَتَىٰ الأَبْرَصَ فَقَالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: لَوْنٌ حَسَنٌ، وَجِلْدٌ حَسَنٌ، وَيَذْهَبُ عَنِّي الَّذِي قَدْ قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذَهَبَ عَنْهُ قَذَرُهُ وَأُعْطِيَ لَونًا حَسَنًا. فَقَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحَبُّ إِليكَ؟ قَالَ: الإِبلُ- أو قالَ: البَقَرُ، شكَّ الراوي- فَأُعطِيَ نَاقَةً عُشَرَاءَ، فَقَالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا. فَأَتَىٰ الأَقْرَعَ

فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: شَعرٌ حسَنٌ، وَيذْهبُ عَنِّي هَذا الَّذِي قَذِرَنِي النَّاسُ. فَمَسَحَهُ فَذهبَ عَنْهُ، وأُعْطِيَ شَعرًا حسَنًا، قالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: البَقرُ، فَأُعْطِيَ بَقرَةً حَامِلًا، وَقالَ: بَارَكَ اللهُ لَكَ فِيهَا.

فَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فَقالَ: أَيُّ شَيءٍ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: أَنْ يَرُدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي فَأُبْصِرَ النَّاسَ. فَمَسَحَهُ فَرَدَّ اللهُ إِلَيْهِ بَصرَهُ. قَالَ: فَأَيُّ المَالِ أَحبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: الغَنَمُ. فَأُعْطِيَ شَاةً والدًا، فَأَنْتَجَ هذَانِ وَوَلَّدَ هَذا، فكانَ لِهذَا وَادٍ مِنَ الإِبلِ، وَلِهذَا وَادٍ مِنَ البَقرِ. وَلِهَذا وَادٍ مِنَ الغنَمِ. ثُمَّ إِنَّهُ أَتَىٰ الأَبْرَصَ فِي صُورَتِهِ وَهَيئَتِهِ فَقَالَ: رَجلٌ مِسْكِينٌ قَدِ انقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسْأَلُكَ بِالَّذِي أَعطَاكَ اللَّونَ الحَسَنَ، والجِلْدَ الحَسَنَ، وَالمَالَ، بَعِيرًا أَتَبَلَّغُ بِهِ فِي سَفَرِي. فَقَالَ: الحُقُوقُ كَثِيرةٌ. فَقَالَ: كَأَنِّي أَعرِفُكَ، أَلَمْ تَكُنْ أَبْرَصَ يَقْذَرُكَ النَّاسُ، فَقِيرًا فأَعْطَاكَ اللهُ! فَقَالَ: إِنَّمَا وَرِثْتُ هَذَا المالَ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ. فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ.

وَأَتَىٰ الأَقْرَعَ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ مَا قَالَ لِهَذا، وَرَدَّ عَلَيهِ مِثْلَ مَا رَدَّ هَذَا، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَصَيَّرَكَ اللهُ إِلَىٰ مَا كُنْتَ. وَأَتَىٰ الأَعْمَىٰ فِي صُورَتِهِ وَهَيْئَتِهِ، فَقَالَ: رَجُلٌ مِسْكِينٌ وابنُ سَبِيلٍ، انْقَطَعَتْ بِيَ الحِبَالُ فِي سَفَرِي، فَلا بَلَاغَ لِيَ اليَومَ إِلَّا بِاللهِ ثُمَّ بِكَ، أَسأَلُكَ بِالَّذِي رَدَّ عَلَيْكَ بَصرَكَ شَاةً أَتَبَلَّغُ بِهَا فِي سَفَرِي. فَقَالَ: قَدْ كُنْتُ أَعْمَىٰ فَرَدَّ اللهُ إِلَيَّ بَصَرِي؛ فَخُذْ مَا شِئْتَ وَدَعْ مَا شِئْتَ، فَوَاللهِ لا أَجْهَدُكَ الْيَومَ بِشَيءٍ أَخَذْتَهُ للهِ ﷻ. فَقَالَ: أَمْسِكْ مالَكَ، فَإِنَّمَا ابْتُلِيتُمْ، فَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْكَ، وَسَخِطَ عَلَىٰ صَاحِبَيكَ». متفق عليه.

و«**النَّاقةُ العُشَرَاءُ**»: بضم العين وفتح الشين وبالمد، هِيَ: الحَامِلُ. قَوْلُهُ: «**أَنْتَجَ**» وفي رواية: «**فَنَتَجَ**» معناه: تولَّىٰ نِتَاجها، والناتج لِلناقةِ كالقابِلَةِ (أي: القابلة: المرأة التي تساعد الوالدة تتلقىٰ الولد عند الولادة) للمرأةِ. وقوله: «**وَلَّدَ هَذا**»: هُوَ بتشديد اللام، أي: تولىٰ ولادتها، وَهُوَ بمعنىٰ أَنْتَجَ في الناقة، فالمولِّدُ والناتج والقابلة بمعنىٰ؛ لكن هَذَا لِلحيوان وذاك لِغيره. وقوله: «**انْقَطَعَتْ بِي الحِبَالُ**»: هُوَ بالحاءِ المُهْمَلَةِ وَالبَاءِ المُوَحَّدَةِ، أَي: الأَسْبابُ. وَقَوْلُهُ: «**لا أَجْهَدُكَ**» معناه: لا أَشُقُّ عَلَيْكَ فِي رَدِّ شَيْءٍ تَأْخُذُهُ أَوْ تَطْلُبُهُ مِنْ مَالِي.

وَفِي رِوَايَةِ البُخَارِيِّ: «**لا أَحْمَدُكَ**» بالحاءِ المهملة والميمِ، ومعناه: لا أَحْمَدُكَ بِتَرْكِ شَيْءٍ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالُوا: لَيْسَ عَلَىٰ طُولِ الْحَيَاةِ نَدَمٌ، أَيْ: عَلَىٰ فَوَاتِ طُولِهَا.

(٥/ ٦٦) السابع: عَنْ أَبي يَعْلَىٰ شَدَّادِ بنِ أَوْسٍ رضي الله عنه: عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الكَيِّسُ (أي: العاقل المتبصر في الأمور الناظر في العواقب) مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بعدَ المَوتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَواهَا وَتَمنَّىٰ عَلَى الله». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

قَالَ التِّرمِذيُّ وَغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَىٰ «دَانَ نَفْسَهُ»: حَاسَبَهَا.

(٥/ ٦٧) الثامن: عَنْ أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إسْلامِ المَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». حديث حسن، رواه الترمذي وغيره.

(٥/ ٦٨) التاسع: عَنْ عُمَرَ رضي الله عنه: عَنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُسْأَلُ الرَّجُلُ فِيمَ ضَرَبَ امْرَأَتَهُ». رواه أبو داود وغيره.

* * *

(المُرَاقَبَةُ)

يعرف أصحابُ العقولِ والبصائر أن اللهَ تعالىٰ بالمرصاد، فقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفجر: ١٤]، وأنهم سيُناقشون الحساب، ويُطالبون بمثاقيل الذَّرِّ - أي: في الدقة والصغر - من الأعمال، كما قال تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]، ولا نجاة لهم إلا بالتزام محاسبة النفس، وصدق مراقبتها، ومجاهدتها. فمَن حاسَب نفسَه علىٰ أعماله قبل أن يُحاسَب خُفِّف يومَ القيامة حِسَابُه، وحَضَرَ عند ذلك جَوَابُه، وحَسُن بعد ذلك مُنقلَبُه ومآبه، إلىٰ جنةٍ عرضها السموات والأرض، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: ٤٧]. ومن لم يُحاسِب نفسَه دامت حَسَراتُه، وطالت في أهوال يوم القيامة وَقَفاتُه، وذهب إلىٰ الخِزْي والندامة، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: ٤٩].

واعلم أن كلَّ نَفَسٍ من أنفاس العُمُر إنما هو جوهرةٌ نفيسة لا عِوَض لها، ويُمكن أن يشتريَ بها العبدُ الصالح كَنْزًا من كنوز الجنة التي لا ينتهي نعيمُها أبدًا، وفي هذا يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسِبوا أنفسَكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنُوها قبل أن تُوزَنوا، وتهيَّئوا للعَرْض الأكبر. وقال أيضًا لأبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنهما: حاسِب نفسَك في الرخاء قبل حساب الشدة. وقال لُقْمان الحكيم رحمه الله: إن المؤمنَ إذا أَبْصر العاقبةَ أَمِنَ الندامةَ.

فالمراقبة أن يعلمَ ويتيقَّن العبدُ، بقلبه وجوارحه، أن اللهَ تعالىٰ دائمُ الاطلاع علىٰ ظاهره وباطنه، في السكون والحركة، علمًا لازمًا ويقينًا صافيًا، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخۡفَىٰ عَلَيۡهِ شَيۡءٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ ٥﴾ [آل عمران: ٥]. وأوَّلُ دليل علىٰ صدق العبد بالإيمان بها أن يعلمَ بقلبه أن اللهَ قريبٌ من عباده، يقول اللهُ تعالىٰ: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩]، ويقول تعالىٰ: ﴿وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ﴾ [الحديد: ٤].

وَلْيَذْكُرِ العبدُ منا قولَ الله تعالىٰ: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤]، وقولَ النبيِّ ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» متفق عليه.

قال ابنُ عطاء رحمه الله: أفضلُ الطاعات مراقبةُ الحقِّ علىٰ دوام الأوقات.

وقال الجريريُّ رحمه الله: أَمْرُنا هذا (أي: يقصد الدين) مَبْنيٌّ علىٰ أصلين، وهما: أن تُلزِم نفسَك المراقبةَ لله عز وجل، ويكونَ العلمُ علىٰ ظاهرك قائمًا. أي: يظهر أثر علمك علىٰ ظاهرك وعملك. وقال أبو عثمان رحمه الله: قال لي أبو حَفْص: إذا جلستَ للناس (أي: للوعظ والتعليم) فكُنْ واعظًا لنفسك وقلبك، ولا يَغُرَّنَّك اجتماعُهم عليك؛ فإنهم يُراقبون ظاهرَك واللهُ رقيب علىٰ باطنك.

وقال سَهْلٌ رحمه الله: لم يتزيَّن القلبُ بشيءٍ أفضلَ ولا أشرفَ مِن علم العبد أن اللهَ مُشاهِدُه حيث كان. وسُئل بعضُهم عن قول الله تعالىٰ: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ٨﴾ [البينة: ٨]، فقال: معناه: ذلك لمن راقب ربَّه عز وجل، وحاسَب نفسه، وتزوَّد لمَعَادِه.

وسُئل ذو النُّون رحمه الله: بِمَ ينال العبدُ الجنةَ؟ فقال: بخمسٍ: استقامةٍ ليس فيها رَوَغان (أي: ليس فيها مماطلة وخداع)، واجتهادٍ ليس معه سَهْوٌ (أي: تهاون)، ومُراقبة الله تعالىٰ في السِّرِّ والعلانية، وانتظار الموت بالتأهُّب له، ومُحاسَبة نفسك قبل أن تُحاسَب.

وقال حُمَيدٌ الطويلُ لسُلَيمان بن عليٍّ: عِظْني. فقال: لئن كُنتَ إذا عَصِيتَ اللهَ خاليًا ظننتَ أن اللهَ يراك فقد اجترأتَ علىٰ أمرٍ عظيم، وإن كنت تظنُّ أنه لا يراك فلقد كفرتَ.

وقال سُفيانُ الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: عليك بالمراقبة ممن لا تخفىٰ عليه خافيةٌ، وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاءَ، وعليك بالحَذَر ممن يملك العقوبة. وقال فَرْقدٌ السِّنْجيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المنافقَ يَنظُر، فإذا لم يَرَ أحدًا دخل مَدْخَلَ السُّوء، وإنما يُراقب الناسَ ولا يُراقب اللهَ تعالىٰ.

وقال عبدُ الله بن دِينار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خرجتُ مع عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (أي: وهو أمير المؤمنين إذ ذاك) إلىٰ مكة، فاسترحنا في ناحيةٍ في بعض الطريق، فانحدر عليه راعٍ من الجبل فقال له: يا راعي، بِعْني شاةً من هذه الغَنَم. فقال: إني مملوك. فقال: قُلْ لسيِّدك: أَكَلها الذئبُ (أي: وإنما أراد معرفة تقواه). فقال الراعي: وأين اللهُ؟ قال: فبكىٰ عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم غدا إلىٰ المملوك فاشتراه من مولاه وأعتقه، وقال: أعتقتْك في الدنيا هذه الكلمة، وأرجو أن تعتقك في الآخرة.

وقال الحسنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رَحِم اللهُ عبدًا وَقَفَ عند همِّه (أي: ساعة عزمه علىٰ القيام بعمل ما) فإن كان لله مضىٰ فيه وإن كان لغيره توقَّف. وقال مُحمَّد بن عليٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المؤمنَ وَقَّافٌ مُتأَنٍّ، يقف عند هَمِّه (أي عند عزمه علىٰ القيام بفعل شيء)، ليس كَحَاطِبِ لَيْل (أي: فعليه أن يفكر في الأمر قبل فعله ولا يكون كالذي يحتطب ليلًا ويحمل حُزَمًا من الحطب قد تحمل فيها أفاعٍ وثعابين وهو لا يدري).

واعلم أنه لا يَقْوىٰ علىٰ المراقبة قبل العمل ليكون عملُه خالصًا لله إلا مَن له علمٌ متينٌ ومعرفة حقيقية بأغوار النفس ومكايد الشيطان. ومن لا يعرف نفسَه ولا عَدُوَّه إبليس، ولم يعرف هواه ولا ما يُحبه ربُّه ويرضاه، في حَرَكاته وسَكَناته- فلا يَسْلم في هذه المراقبة.

والجاهل عاجزٌ بجهله، والأكثرون يرتكبون المعاصي بسبب جهلهم بما يكرهه الله، وهم يَحْسَبون أنهم يُحسنون صُنعًا؛ ولهذا كان «طلبُ العلم فريضةً علىٰ كلِّ مسلم» كما قال المصطفىٰ ﷺ [ابن ماجه برقم (٢٢٤)]، وكانت ركعتان من عالمٍ أفضلَ من ألف ركعةٍ من غيرِ عالمٍ؛ لأن العالِمَ يعلم آفاتِ النفوس ومكايد إبليس ومواضع الغرور والهوىٰ، والجاهلَ بعيدٌ عن ذلك.

ومما يروىٰ في هذا الباب عن عمران بن حُصين مرفوعًا: «إن اللهَ يُحِبُّ البَصَرَ النَّاقِدَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ (أي: ما يلتبس من أمور بين الحلال والحرام)، وَالْعَقْلَ الْكَامِلَ عِنْدَ هُجُومِ الشَّهَوَاتِ». ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١١٨٦) برقم (٤٢٩٩) وعزاه لأبي نعيم.

وانظر إلىٰ دعاء الصِّديق ﷺ وهو من هو: اللهم أَرِني الحقَّ حقًّا وارزقني اتِّباعه، وأَرِني الباطلَ باطلًا وارزقني اجتنابَه، ولا تجعله مُشتبهًا عليَّ فأتَّبِعَ الهوىٰ.

وقيل: إن عيسىٰ عَلَيْهِٱلسَّلَامُ قال: الأمور ثلاثةٌ: أمرٌ استبان رُشدُه فاتَّبِعْه، وأمرٌ استبان غَيُّه فاجتَنِبْه، وأمرٌ أَشْكَل عليك فَكِلْهُ إلىٰ عالمٍ. أي: فاسأل أهل العلم.

واعلم أن العبدَ لا يخلو أن يكونَ: إما في طاعةٍ، أو معصية، أو مباح: فمراقبة الله في الطاعة: بالإخلاص له، وإكمال وإتمام الأعمال، ومراعاة الأدب، والتحرُّز من آفات الأعمال. وإن كان العبد في معصية: فمراقبةُ الله أن يتوبَ ويندم ويُقلع عن المعصية، ويستحيي من ربِّه، وينشغل بالذِّكر والدعاء والاستغفار. وإن كان في مباحٍ: فمراقبة الله أن يُراعيَ التأدُّب في عمله، ورؤية قُدْرة المُنعِم وإعجازه في النعم المختلفة، وتقديم الشكر له عليها. ولا يخلو المرءُ في جملةِ حياته من بلاءٍ يُصيبه فلا بد من الصبر عليه، ونعمةٍ تأتي له فلا بد له من الشكر عليها، وكلُّ هذا من حُسن المراقبة.

وعلىٰ العبد المسارعةُ إلىٰ التوبة والاستغفار من كلِّ ذنبٍ وتقصير، وليتفقَّدْ أوقاته: فإنْ فرغ من أداء ما فُرِض عليه من الأعمال في العبادات والمعاملات وغيرها فَلْيَتَزَوَّدْ بالنوافل والفضائل بعد ذلك؛ ليشغل وقته بها؛ فإن الأعمارَ قصيرةٌ.

قال أبو ذرٍّ ﷺ: علىٰ العاقل أن تكونَ له أربع ساعاتٍ (أي: أجزاء مرتبة بحسب الحاجة): ساعةٌ يُناجي فيها ربَّه، وساعةٌ يُحاسب فيها نفسه، وساعةٌ يتفكَّر فيها في صُنع الله تعالىٰ، وساعةٌ يخلو فيها للمَطْعم والمشرب. وقيل: لا يكون المؤمن إلا في ثلاثٍ: تزوُّدٍ لمعادٍ، أو مَرَمَّةٍ لمعاشٍ، أو لذَّةٍ في غير مُحرَّم. وقال مَيْمُون بن مِهران رَحِمَهُٱللَّهُ: لا يكون العبدُ من المتقين حتىٰ يُحاسب نفسَه أشدَّ من مُحاسَبةِ شريكِه.

وقال الحسنُ البَصْريُّ رَحِمَهُٱللَّهُ: المؤمنُ قَوَّامٌ علىٰ نفسه يُحاسبها لله، وإنما خفَّ الحسابُ علىٰ قومٍ حاسَبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شقَّ الحسابُ يوم القيامة علىٰ قومٍ أخذوا هذا الأمر من غيرِ محاسبةٍ. وقال أنسُ بن مالكٍ ﷺ: سمعتُ عمرَ بن الخطَّاب ﷺ حينما دَخَل حائطًا

(أي: حديقة) فسمعتُه يقول وبيني وبينه جدارٌ لا يراني وهو في الحائط: عمرَ بن الخطاب أميرَ المؤمنين، بَخٍ بَخٍ (أي: عظم الأمر)، والله لتتَّقِيَنَّ اللهَ أو لَيُعذِّبَنَّك. وقال الحسنُ رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾ [القيامة: ٢] قال: لا تَلْقىٰ المؤمنَ إلا يُعاتب نفسَه: ماذا أردتُ بعملي؟ وماذا أردتُ بكلامي؟ وماذا أردتُ بطعامي؟ أما الفاجر فيمضي قُدُمًا لا يُعاتب نفسَه.

فينبغي أن يكونَ للعبد ساعةٌ في آخر نهاره يُطالب فيها النفسَ ويُحاسبها علىٰ حَرَكاتها وسَكَناتها كحساب التُّجَّار في الدنيا مع شركائهم.

واعلم أنه لو حاسب الإنسانُ نفسَه علىٰ جميع عُمُره، يومًا يومًا، وساعةً ساعةً، علىٰ القلب والجوارحِ وقد صدرت منها كلَّ يومٍ عشرُ سيئاتٍ، بقلبه ولسانه وجوارحه (أي: كالغِيبة والنميمة، والغمز واللمز، والاستهزاء، وانفلات النَّظَر والسمع)، وغفل عن التوبة والاستغفار منها، فحَسَب حسابَه بعد مرور سِتِّين سنةً من عُمُره لَوَجَد أن سيئاتِه قد تجاوزت مائةً وخمسين ألفَ سيئةٍ. ولو رمىٰ العبدُ بكلِّ معصيةٍ حجرًا في داره لامتلأت دارُه في مدةٍ يسيرةٍ من عُمُره، ولكنه ينسىٰ ويغفل، لكن الْمَلَكَيْنِ المُوكَّلَيْنِ به يحفظان عليه ذلك، ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجادلة: ٦].

وبالمراقبة يأتي الخوفُ من الله في القلوب، والرجاءُ في عفوِه ورضاه. واعلم أن المراقبة تُؤمِّن صاحبَها من الفزع يوم الفزع الأكبر، وهو يوم القيامة، وهي دليلٌ علىٰ صلاح العبد واستقامته، وثمرتُها محبة الله تعالىٰ ومرضاته، وهي تقوده إلىٰ حسن الخاتمة.

❋ ❋ ❋

٦- بابٌ في التَّقْوى

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]. وَهَذِهِ الآيَةُ مُبَيِّنَةٌ لِلْمُرَادِ مِنَ الأُولىٰ. وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ۝٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠].

وَالآيَاتُ فِي الأَمْرِ بِالتَّقْوَىٰ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢،٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ۝٢٩﴾ [الأنفال: ٢٩].

وَالآيَاتُ فِي البَابِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ. وأما الأحاديث:

(٦٩/ ٦) فالأول: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ: يَا رسولَ الله، مَنْ أكرمُ النَّاسِ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُمْ». فقالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ؟ قَالَ: «فَيُوسُفُ نَبِيُّ الله ابْنُ نَبِيِّ الله ابْنِ نَبِيِّ الله ابنِ خَلِيلِ الله (أي: هو يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم، عليهم الصلاة والسلام)». قالوا: لَيْسَ عَنْ هَذَا نَسْأَلُكَ. قَالَ: «فَعَنْ مَعَادِنِ الْعَرَبِ (أي: أصولهم وأنسابهم) تَسْأَلُونِي؟ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلامِ إِذَا فَقُهُوا». متفق عليه.

و«فَقُهُوا»: بِضَمِّ القافِ عَلَىٰ المشهورِ وَحُكِيَ كَسْرُهَا، أي: عَلِمُوا أحْكَامَ الشَّرْعِ.

(٧٠/ ٦) الثاني: عَنْ أَبِي سَعِيد الخُدْرِي رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ؛ فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ». رواه مسلم.

(٧١/ ٦) الثالث: عن ابنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسأَلُكَ الْهُدَىٰ، وَالتُّقَىٰ، وَالْعَفَافَ، وَالْغِنَىٰ». رواه مسلم.

(٧٢/ ٦) الرابع: عَنْ أَبِي طَرِيفٍ عَدِيِّ بنِ حَاتِمٍ الطَّائِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ ثُمَّ رَأَىٰ أَتْقَىٰ لله مِنْهَا فَلْيَأْتِ التَّقْوَىٰ». رواه مسلم.

(٧٣/ ٦) الخامس: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ صُدَيِّ بنِ عَجْلانَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَقَالَ: «اتَّقُوا اللهَ وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا أُمَرَاءَكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ». رواه الترمذي في آخر كتاب الصلاة، وقال: «حديث حسن صحيح».

❊ ❊ ❊

(التَّقْوى)

سأل رجلٌ أبا هريرة رضي الله عنه: ما التَّقْوىٰ؟ قال: هل أخذتَ طريقًا ذا شوكٍ؟ قال: نعم. قال: فكيف صَنَعْتَ به؟ قال: إذا رأيتُ الشوكَ عَدَلْتُ عنه أو جاوزتُه أو قصرتُ عنه. قال: ذاك التقوىٰ. فالمعاصي مخاطرُ وأشواكٌ في طريق السائرين إلىٰ الله، فمن أراد الوصولَ إلىٰ رضا ربِّه فليتَّقِ المعاصي والآثام، فتقوىٰ العبد لله أن يجعلَ بينه وبين ما يخشاه وقايةً تَقِيه منه. فهي امتثالُ أوامر الله تعالىٰ واجتناب نواهيه، بفِعل كلِّ مأمورٍ به وتَرْك كلِّ مَنْهيٍّ عنه حسب الطاقة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦]. وهي تَرْك حظوظ النفس مما نَهىٰ عنه الشرعُ، والبُعْد عن الهوىٰ، واجتنابُ كلِّ ما فيه ضررٌ من المعصية والفضول (أي: ما زاد علىٰ الحاجة من طعام وشراب وكلام ونحوها) حَسَب الطاقة، فالمراد من التقوىٰ هو وقاية العبد نفسه من النار؛ ولهذا قال الرسولُ ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ» متفق عليه.

وسأل أبو سعيدٍ الخدريُّ النبيَّ ﷺ قائلًا: أَوْصِني. قال: «أُوصِيكَ بِتَقْوَىٰ الله؛ فَإِنَّهُ رَأْسُ كُلِّ شَيْءٍ، وَعَلَيْكَ بِالْجِهَادِ؛ فَإِنَّهُ رَهْبَانِيَّةُ الْإِسْلَامِ، وَعَلَيْكَ بِذِكْرِ الله وَتِلَاوَةِ الْقُرْآنِ؛ فَإِنَّهُ رَوْحُكَ فِي السَّمَاءِ وَذِكْرُكَ فِي الْأَرْضِ». أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢) برقم (١١٧٩١).

ويقول النبيُّ ﷺ: «الْحَسَبُ (أي: ما يحصل به الجاه في الدنيا) الْمَالُ، وَالْكَرَمُ (أي: ما يَكرُم به العبد في الآخرة) التَّقْوَىٰ». أحمد في «مسنده» (٣/ ٨٢) برقم (١١٧٩١)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٥٤٣).

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ يَأْخُذُ عَنِّي هَؤُلَاءِ الْكَلِمَاتِ فَيَعْمَلُ بِهِنَّ أَوْ يُعَلِّمُ مَنْ يَعْمَلُ بِهِنَّ؟». فقال أبو هريرة: قلت: أنا يا رسول الله. فأخذ بيدي فعدَّ خمسًا وقال: «اتَّقِ الْمَحَارِمَ تَكُنْ أَعْبَدَ النَّاسِ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللهُ لَكَ تَكُنْ أَغْنَىٰ النَّاسِ، وَأَحْسِنْ إِلَىٰ جَارِكَ تَكُنْ مُؤْمِنًا، وَأَحِبَّ لِلنَّاسِ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ تَكُنْ مُسْلِمًا، وَلَا تُكْثِرِ الضَّحِكَ؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ». أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١٠) برقم (٨٠٨١).

وعن رفاعة رضي الله عنه: أنه خَرَج مع النبيِّ ﷺ، فرأىٰ الناسَ يتبايعون، فقال: «يَا مَعْشَرَ التُّجَّارِ». فاستجابوا لرسول الله ﷺ، ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

فُجَّارًا، إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ». الترمذي برقم (١٢١٠)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: بَلَغَني أن رجلًا من بعض الفقهاء كتب إلىٰ ابن الزُّبَيْر رضي الله عنه يقول: ألا إن لأهل التقوىٰ علاماتٍ يُعرفون بها ويعرفونها من أنفسهم: مَن رضي بالقضاء، وصَبَر علىٰ البلاء، وشَكَر علىٰ النَّعْماء، وصَدَّق باللسان، ووفَّىٰ بالوعد والعهد، وذَلَّ لأحكام القرآن. وإنما الإمامُ كمثل السوق من الأسواق: فإن كان من أهل الحقّ حَمَل إليه أهلُ الحقِّ بضاعتَهم وجاءوا إليه، وإن كان من أهل الباطل حَمَل إليه أهلُ الباطل بضاعتهم وجاءوا إليه بها.

وقال أبو الدَّرْداء رضي الله عنه: تمامُ التقوىٰ أن يتَّقي العبدُ اللهَ، حتىٰ يتَّقيَه من مثقال ذَرَّة، وحتىٰ يترك بعضَ ما يرىٰ أنه حلالٌ خشيةَ أن يكونَ حرامًا فيكون حجابًا بينه وبين الحرام.

ويقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: آخِ (أي: اتخذ) الإخوانَ علىٰ قدر التقوىٰ (أي: تقواهم).

ويقول طَلْق بن حَبِيب رحمه الله: التقوىٰ: العملُ بطاعة الله علىٰ نورٍ من الله رجاءَ رحمة الله، والتقوىٰ: تَرْك معاصي الله علىٰ نور الله مخافةَ عذاب الله.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ليس تقوىٰ الله بصيام النهار ولا بقيام الليل والتخليط فيما بين ذلك (أي: فعل المعاصي طوال النهار)، ولكن تقوىٰ الله: تَرْك ما حرَّم اللهُ، وأداء ما افترض الله، واتِّقاء الشبهات. فمَن رُزِق بعد ذلك خيرًا فهو خيرٌ إلىٰ خيرٍ.

الفَرْقُ بين التَّقْوى والوَرَع: أما التقوىٰ فهي الاستعدادُ للدخول في الأعمال بالإخلاص، وبالاحتراز عن المفاسد والسيئات، وأما الورعُ فهو البُعد عن الأعمال المتشابهة أصلًا وتَرْكها. فالمُتَّقي يدخل العملَ ويقوم به ويتجنَّب الشبهة ويتقي اللهَ فيه، أما الوَرِعُ فلا يقوم بذلك العمل ويبتعد أصلًا عنه ورعًا. فالتقوىٰ عملٌ، والوَرَعُ تَرْكٌ؛ لهذا كانتِ التقوىٰ واجبةً في حقِّ المؤمنين، أما الورعُ فهو من الكمالات، وهو مندوبٌ إليه ولكنه ليس بواجبٍ؛ ولهذا روي في الأثر: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ الْبَأْسُ». الترمذي برقم (٢٤٥١)، وقال: حديث حسن.

الفَرْقُ بين الوقايةِ والتَّقْوى: إن الوقايةَ تتعلق بالإنسان في بَدَنِه ومعاشه وممتلكاته، وغير ذلك من الأمور المادية المحسوسة، كما أنها قد تكون من الله للإنسان أو من الإنسان لغيره. أما التقوىٰ فهي جَعْلُ النفسِ في وقايةٍ مما تخاف، فكلُّ تقوىٰ وقايةٌ، ولا عكس.

ويقول البيضاويُّ في «تفسيره»: إن للتقوىٰ ثلاثَ مراتبَ: **الأولىٰ**: التوقِّي عن عذاب الخلود في النار، بالبُعد عما يُوجبه، كالشِّرك والنِّفاق. **والثانية**: التجنُّب لكلِّ ما فيه إثمٌ أو معصيةٌ، حتىٰ الصغائر؛ خشيةَ عذاب النار المؤقت. **والثالثة**: أن يَتَنزَّه عما يشغل قلبَه وضميرَه عن الله تعالىٰ، بل ويتبتَّل إليه تبتيلًا، وهو أكملُ درجات التقوىٰ ومُنْتَهىٰ مراتبها.

وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: أن يُطاع فلا يُعصىٰ، وأن يُذكَر فلا يُنسىٰ، وأن يُشكر فلا يُكفر.

وقيل في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢﴾ [الطلاق: ٢]: أي مِن كَرْب الدنيا والآخرة. ﴿وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٣]: أي من حيث لا يَخطِر بباله.

ويُروىٰ أن سالمَ بنَ عوفِ بن مالك الأشجعيَّ ﵁ أَسَرَه العدوُّ، فشكا أبوه إلىٰ رسول الله ﷺ، فقال: «اتَّقِ اللهَ، وَأَكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ». ففعل، فبينما هو في بيته إذ قَرَعَ ابنُه البابَ وقد فُكَّ أَسْرُه وعاد ومعه مائةٌ من الإبل، حيث غفل عنه العدوُّ فاستاقها أمامه بحول الله وقوته. الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٥١) برقم (١٣٦٩).

وقيل في قول رسول الله ﷺ: «فَاتَّقُوا الدُّنْيَا»: أي اجتنبوا فتنتها، واحذروا أن تُميلكم محبَّتُها والاغترارُ بها عن أوامر الله تعالىٰ. «وَاتَّقُوا النِّسَاءَ»: أي اجتنبوا الافتتان بهن أن يمنعكم عن القيام بأداء حقوق العبودية والتقرُّب إلىٰ مرضاة الله تعالىٰ، حتىٰ لو كُنَّ من الزوجات.

قِصَّةٌ: قال نافعٌ: خرجتُ مع ابن عمر ﵄ في بعض نواحي المدينة، فوضعوا سُفْرةً (أي: طعامًا)، فمرَّ بهم راعٍ فقال له عبدُ الله: هَلُمَّ يا راعي (أي: شاركنا طعامنا). فقال الراعي: إني صائمٌ. قال ابنُ عمرَ: في مثل هذا اليوم الشديدِ حَرُّه، في هذه الشِّعاب (أي: جمع «شِعب»، وهو الطريق بين جبلين)! قال الراعي: أُبادر أيامي (أي: أحاول أن أسابق العمر قبل انقضائه). قال ابنُ عمر: هل لك أن تبيعنا شاةً ونُعطيك من لحمها ما تُفطر عليه؟ قال الراعي: إنها لمولاي. قال ابنُ عمر: فما عسىٰ أن تقول لمولاك إن قُلْتَ: أَكَلَها الذئبُ؟ فمضىٰ الراعي وهو رافعٌ إصبعَه إلىٰ السماء يقول: فأين الله؟ فبعث ابنُ عمر إلىٰ سيِّد الراعي فاشترىٰ منه الغنمَ والراعي، فأعتق الراعي ووهب له الغنم. اهـ.

ومن ثمراتِ التقوىٰ المعرفةُ التي تنجلي بها الأمور، والنورُ الذي تنشرح به الصدور، فمن انشرح صدره واستنار قلبُه بالتوحيد وأنه لا شريك لله في ملكه ولا في شيء من أفعاله، تيقَّن أنه لا حول له ولا قوة إلا بالله، وأنه لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًّا، وأن المقاديرَ كلَّها بيد الله تعالىٰ. واعلم أن اليقينَ والتوكُّل هما من ثمرات التقوىٰ، وأهل التقوىٰ هم أهل المعية الإلهية والتكريم، وهم أهل العون والنصرة، وأهل محبة الله تعالىٰ.

* * *

٧- بابٌ في اليقينِ والتَّوكُّلِ

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب: ٢٢].

وَقالَ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُوا۟ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾﴾ [آل عمران: ١٧٣، ١٧٤].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ [آل عمران: ١٢٢].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وَالآيَاتُ فِي الأمرِ بِالتَّوكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْلُومَةٌ.

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ﴾ [الطلاق: ٣] أَيْ: كَافِيهِ.

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾﴾ [الأنفال: ٢].

وَالآيَاتُ فِي فَضْلِ التَّوكُّلِ كَثِيرَةٌ مَعْرُوفَةٌ. **وأما الأحاديث:**

(٧٤/ ٧) فالأول: عَن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الأُمَمُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ومَعَهُ الرُّهَيطُ، والنبيَّ وَمَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلانِ، والنبيَّ لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ، إِذْ رُفِعَ لي سَوَادٌ عظيمٌ، فَظَنَنْتُ أَنَّهُمْ أُمَّتِي، فَقِيلَ لِي: هَذَا مُوسَىٰ وَقَومُهُ، وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ، فَنَظَرتُ فَإِذَا سَوادٌ (أي: السواد: الجماعة الكثيرة) عَظِيمٌ، فقيلَ لِي: انْظُرْ إِلَىٰ الأُفُقِ الآخرِ. فَإِذَا سَوَادٌ عَظِيمٌ، فَقِيلَ لِي: هَذِهِ أُمَّتُكَ وَمَعَهُمْ سَبعُونَ أَلْفًا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِغَيرِ حِسَابٍ وَلَا عَذَابٍ». ثُمَّ نَهَضَ فَدخلَ مَنْزِلَهُ فَخَاضَ (أي: تكلم) النَّاسُ في أُولئكَ الَّذِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ولا عَذَابٍ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذينَ صَحِبوا رسولَ الله ﷺ. وَقالَ بَعْضُهُمْ: فَلَعَلَّهُمُ الَّذِينَ وُلِدُوا في الإِسْلام فَلَمْ يُشْرِكُوا بِالله شَيئًا. وذَكَرُوا أشياءَ، فَخرجَ عَلَيهِمْ رَسُولُ الله ﷺ فَقالَ: «مَا الَّذِي تَخُوضُونَ فِيهِ؟». فَأَخْبَرُوهُ فقالَ: «هُمُ الَّذِينَ لَا يَرْقُونَ، وَلَا يَسْتَرقُونَ.

(أي: الذين لا يرقون ولا يطلبون من أحد أن يقرأ بكلام من رُقَىٰ الكفار أو الرقىٰ المجهولة. وأما الرقىٰ بآيات القرآن وبالأذكار المعروفة فلا نهي فيها، بل هي سنة).

وَلَا يَتَطَيَّرُونَ (أي: ولا يتشاءمون)، وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ». فقامَ عُكَّاشَةُ بنُ مِحْصَنٍ فَقَالَ: ادْعُ الله أنْ يَجْعَلني مِنْهُمْ. فَقَالَ: «أَنْتَ مِنْهُمْ». ثُمَّ قَامَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: ادْعُ اللهَ أَنْ يَجْعَلنِي مِنْهُمْ. فَقَالَ: «سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ». متفق عليه. «الرُّهَيطُ»: بِضَمِّ الرَّاءِ تَصْغِيرُ رَهْطٍ، وَهُمْ دُونَ عَشَرَةِ أَنْفُسٍ. و«الأُفُقُ»: النَّاحيةُ والجانبُ. و«عُكَّاشَةُ»: بضم العين وتشديد الكاف وبتخفيفها، والتَّشديد أفصح.

(٧٥/ ٧) الثاني: عن ابنِ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيضًا: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ. اللَّهُمَّ أَعُوذُ بعِزَّتِكَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم، واختصره البخاري.

(٧٦/ ٧) الثالث: عن ابنِ عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أيضا قَالَ: «حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» قَالَهَا إبراهيمُ ﷺ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَقَالَهَا مُحَمَّدٌ ﷺ حِينَ قَالُوا: إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ. فَزَادَهُمْ إيمانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا الله ونِعْمَ الوَكِيلُ. رواه البخاري.

وفي روايةٍ لَهُ عن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ آخر قَول إبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ: حَسْبِي الله ونِعْمَ الوَكِيلُ.

(٧٧/ ٧) الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**يَدْخُلُ الجَنَّةَ أَقْوامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثلُ أَفْئِدَةِ الطَّيرِ**». رواه مسلم. قيل: معناه متوكلون، وقيل: قلوبهم رَقيقةٌ.

(٧٨/ ٧) الخامس: عَن جابر رضي الله عنه: أَنَّهُ غزَا مَعَ النبي ﷺ قِبلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ (أي: رجع) رَسُول الله ﷺ قفَلَ معهُمْ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ (أي: أتىٰ عليهم وقت الظهيرة) في وَادٍ كثير العِضاهِ، فَنَزَلَ رَسُول الله ﷺ وَتفرَّقَ النَّاسُ يَسْتَظِلُّونَ بالشَّجرِ، وَنزَلَ رَسُول الله ﷺ تَحت سَمُرَة فَعَلَّق بِهَا سَيفَهُ وَنِمْنَا نَوْمَةً، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَدْعونا وَإذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: «**إنَّ هَذَا اخْتَرَطَ عَلَيَّ سَيفِي وَأَنَا نَائمٌ، فَاسْتيقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللهُ. ثلاثًا**». وَلَمْ يُعاقِبْهُ وَجَلَسَ. متفق عليه.

وفي روايةٍ: قَالَ جَابرٌ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ بذَاتِ الرِّقَاعِ (أي: غزوة للنبي ﷺ، كانت في سنة خمس من الهجرة بأرض غَطَفَان من نَجْدٍ)، فَإذَا أَتَيْنا عَلَىٰ شَجرَةٍ ظَلِيلَةٍ تَرَكْنَاهَا لرسول الله ﷺ، فجاء رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكينَ وَسَيفُ رَسُول الله ﷺ معلَّقٌ بالشَّجَرَةِ فَاخْتَرطَهُ، فَقَالَ: تَخَافُنِي؟ قَالَ: «**لا**». فَقَالَ: فَمَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**الله**».

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في «صحيحه»: قَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ: «**اللهُ**». قَالَ: فَسَقَطَ السيفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ السَّيْفَ فَقَالَ: «**مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟**». فَقَالَ: كُنْ خَيرَ آخِذٍ. فَقَالَ: «**تَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا الله وَأَنِّي رَسُولُ الله؟**». قَالَ: لَا، وَلَكِنِّي أُعَاهِدُكَ أَلَّا أُقَاتِلَكَ، وَلَا أَكُونَ مَعَ قَومٍ يُقَاتِلُونَكَ. فَخَلَّىٰ سَبِيلَهُ، فَأَتَىٰ أَصْحَابَهُ، فَقَالَ: جِئْتُكُمْ مِنْ عِنْدِ خَيْرِ النَّاسِ. قَوْلُهُ: «**قَفَلَ**»: أي رجع. و«**العِضَاهُ**»: الشجر الَّذي لَهُ شَوْك. و«**السَّمُرَةُ**»: بفتح السين وضم الميم: الشَّجَرَةُ مِنَ الطَّلْحِ، وهيَ العِظَامُ مِنْ شَجَرِ العِضَاهِ. و«**اخْتَرَطَ السَّيْفَ**»: أي سلَّه وَهُوَ في يدهِ. «**صَلْتًا**»: أي مسلولًا، وَهُوَ بفتح الصادِ وضَمِّها.

(٧٩/ ٧) السادس: عن عُمَر رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**لَوْ أَنَّكُمْ تَتوَكَّلُونَ عَلَىٰ اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيرَ، تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». معناه: تَذْهبُ أَوَّلَ النَّهارِ «**خِمَاصًا**»: أي ضَامِرَةَ البُطُونِ مِنَ الجُوعِ، وَتَرجعُ آخِرَ النَّهَارِ. «**بِطَانًا**»: أَي مُمْتَلِئَةَ البُطُونِ.

(٨٠/ ٧) السابع: عن أبي عُمارة البَراء بن عازب رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «يا فُلانُ، إذا أَوَيْتَ إلىٰ فراشِكَ، فقُل: اللَّهُمَّ أسلمتُ نَفسي إليْكَ، وَوَجَّهتُ وَجْهي إليْكَ، وفَوَّضتُ أمْري إلَيْكَ، وألجأْتُ ظهري إليْكَ؛ رَغبةً ورَهبةً إليْك، لا مَلْجأَ ولا مَنْجا منك إلَّا إليْكَ، آمنْتُ بكِتابكَ الَّذي أنزلْتَ؛ ونَبيِّكَ الَّذي أرسلْتَ. فإنَّكَ إنْ مِتَّ مِنْ لَيلتِكَ مِتَّ علَىٰ الفِطْرَةِ، وإنْ أصْبحْتَ أصَبْتَ خيرًا». متفق عليه.

وفي روايةٍ في الصحيحين: عَن البَراءِ قالَ: قالَ لي رَسُول الله ﷺ: «إذا أتيتَ مَضْجعَكَ (أي: مكان نومك) فَتَوضَّأْ وُضوءكَ للصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطجعْ علَىٰ شِقِّكَ الأيمَنِ، وَقُلْ...». وذَكَرَ نَحوَهُ ثُمَّ قالَ: «واجْعلْهُنَّ آخِرَ ما تَقُولُ».

(٨١/ ٧) الثامن: عن أبي بكرٍ الصِّديق عبد الله بن عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعدِ بن تَيْم بن مُرَّةَ بن كَعْب بن لُؤَيِّ بن غالب القرشي التَّيْمِيِّ رضي الله عنه، وَهوَ وَأَبوهُ وَأُمُّهُ صَحابَةٌ رضي الله عنهم، قَالَ: نَظَرتُ إلىٰ أَقْدَامِ المُشْرِكينَ ونَحنُ في الغَارِ وهُمْ علَىٰ رُءوسِنا فقلتُ: يا رسولَ الله، لَوْ أنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيهِ لأَبْصَرنَا! فقَالَ: «ما ظَنُّكَ يا أبا بكرٍ باثنَيْنِ اللهُ ثالِثُهُما؟». متفق عليه.

(٨٢/ ٧) التاسع: عن أمِّ المُؤمنينَ أمِّ سَلَمَةَ، واسمها هِنْدُ بنتُ أبي أمية حذيفةَ المخزوميَّة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كانَ إذا خَرَجَ مِنْ بَيتِهِ قالَ: «بِسْمِ الله، تَوكَّلتُ علَىٰ الله، اللَّهُمَّ إنِّي أعوذُ بكَ أنْ أَضِلَّ أوْ أُضَلَّ، أوْ أَزِلَّ أوْ أُزَلَّ، أوْ أظلِمَ أوْ أُظلَمَ، أوْ أجهَلَ أوْ يُجْهَلَ علَيَّ». حديث صحيح، رواه أبو داود والتِّرمذي وغيرهما بأسانيدَ صحيحةٍ، قال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح»، وهذا لفظ أبي داود.

(٨٣/ ٧) العاشر: عن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ- يعني: إذا خرج من بيته- بِسْمِ الله، تَوكَّلْتُ علَىٰ الله، ولا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلَّا بالله، يُقالُ لَهُ: هُدِيتَ، وكُفِيتَ، ووُقِيتَ. وَتَنَحَّىٰ (أي: بَعُد) عَنْهُ الشَّيطَانُ». رواه أبو داود والتِّرمذي والنَّسائي وغيرُهم، وقال التِّرمذي: «حديث حسن».

زاد أبو داود: «فيقول- يعني: الشيطان- لِشَيْطَانٍ آخَرَ: كَيفَ لَكَ بِرَجُلٍ قَدْ هُدِيَ وكُفِيَ وَوُقِيَ؟».

(٨٤/ ٧) الحادي عشر: وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أَخوانِ علَىٰ عهدِ النَّبيِّ ﷺ، وَكانَ أحدُهُما يأتي النَّبيَّ ﷺ والآخرُ يَحترِفُ، فَشَكا المُحترِفُ أخاهُ للنبي ﷺ، فقَالَ: «لَعَلَّكَ تُرْزَقُ بِهِ». رواه الترمذي بإسنادٍ صحيحٍ علىٰ شرط مسلم. «يحترِف»: يكتسب ويتسبب.

❊ ❊ ❊

(اليَقِينُ)

قال عبدُ الله بن مسعودٍ ﵁: اليقينُ الإيمانُ كلُّه. واليقين: هو أن تعلمَ حقيقةَ الشيء ولا تتخيَّل أو تظنَّ خلافه، فهو العلم الذي لا شكَّ فيه، حيث نقول علىٰ من أصبح متيقنًا من أنه جاءه العلم بالشيء بعد أن كان شاكًّا فيه: لقد زال الشكُّ عنه وتحقَّق من الأمر فصار مُتيقِّنًا به.

فهو إِذَن الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع، وهذا الاعتقاد الجازم رأيناه في ثقة إبراهيم ﵇ في نصرة ربه له حينما أُلقي في النار مُجرَّدًا من أسباب النجاة الظاهرة فقال: حسبي الله ونعم الوكيل.

ورأيناه أيضًا في ثبات موسىٰ ﵇ لما وصل إلىٰ البحرِ مع أصحابِه وانقطعت أمامهم أسبابُ النجاة؛ فالعدوُّ الجبَّار بعُدَّته وعتاده وراءهم، والبحر بلا سفينةٍ أو مَرْكَبٍ اعترض طريقهم، فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٦٢﴾ [الشعراء: ٦١، ٦٢].

ورأيناه في يقينِ وثقةِ رسول الله ﷺ في الغار مع أبي بكر الصديق ﵁ الذي يخشىٰ رؤيةَ المشركين للنبي ﷺ، فيطمئنه النبيُّ قائلًا له: «مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟». متفق عليه. فمع انعدام أسباب النجاة الظاهرة للعيان كان متيقنًا من وعد ربه بالنجاة.

قال الجُنَيد ﵀: اليقينُ هو استقرار العلم الذي لا يَحُول ولا ينقلب ولا يتغيَّر في القلب. ولو اعتبرنا أن الإيمانَ للعبد بمنزلة الجسد، فإن اليقين بمنزلة الروح فيه، وفيه قد تَنافَسَ المتنافسون وشمَّر إليه العاملون.

فإذا اجتمع للعبد صِفتَا الصبر مع اليقين صارت له الإمامةُ في الدين؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤]. وهكذا كان الصحابةُ الكرام، لما تحمَّلوا المشاقَّ بصبر ويقينٍ وثقةٍ من وَعْد الله لهم بالنصر والكرامة أصبحوا أعلامَ الناس ومصابيحَ الهدىٰ وأئمة العلم الرباني.

وهناك فرقٌ بين التصديق بشيء ما واليقين به، فقد تُشاهد تجربةً ما ويأتي لك اليقين بها وأنها قد حدثت فعلًا، ولكنك لا تزال غير مُصدِّق، كمن شاهد معجزةَ النبي ﷺ ولم يُصدِّق بنبوته، كما قال أبو جهل: يا محمد، إنك لصادق فينا، ولكنا نكذب ما جئت به... الحديث. فهو مُتيقِّن بمعجزاته وغير مُصدِّق بنبوته.

وهذا في أمر الدنيا، أما في أحوال الآخرة فإن التصديق يكون مُقدَّمًا علىٰ اليقين، أي في الحياة الدنيا؛ إذ لا يحدث اليقين بأحوال الآخرة إلا بتصديق النبيِّ ﷺ فيما أخبر به عن ربِّه في ذلك، وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنعام: ٣٣].

فهم مُتيقِّنون من شخصه وأخلاقه ومعجزاته، ولكنهم غير مصدقين برسالته ونبوته، وكذلك أهل الكتاب حينما وصفهم القرآن، حيث قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [البقرة: ١٤٦].

وفي الآخرة لا يدخل الجنةَ إلا مَن صدق اللهَ ورسولَه ﷺ في الحياة الدنيا وآمن به وبرسالته، فيحدث له اليقين يوم القيامة بحقيقة الأمر وبما أخبر به رسول الله ﷺ.

وقال بعضُهم: رأيتُ الجنةَ والنارَ حقيقةً. قيل له: كيف؟ قال: رأيتهما بعَيْنَيْ رسولِ الله ﷺ، ورؤيتي لهما بعينيه أوثقُ عندي من رؤيتي لهما بعيني، فإن بَصَري قد يُخطئ بخلاف بَصَرِه ﷺ.

واليقين هو روح أعمال القلوب، كالحبِّ والخوف والرجاء، والتي هي أرواح أعمال الجوارح، وهو حقيقة الصديقية.

واليقينُ قرينُ التوكُّل؛ ولهذا فُسِّر التوكل بقوة اليقين أو ثمرته ونتيجته. مثال ذلك: لو أن غلامًا صغيرًا تعارك مع آخرَ أقوىٰ منه قليلًا وأحس بضعفه وبقرب هزيمته، ثم لاح له من بعيدٍ أخوه الأكبر القوي المفتول العضلات، فلما اقترب منهما استشعر اليقينَ بالغلبة علىٰ خصمه، ومن ثم جاءته لحظةُ التوكُّل علىٰ أخيه وبدأ في ضَرْب الصبي الآخر متوكلًا علىٰ قوة أخيه.

ولله المثل الأعلىٰ حينما يحارب العبدُ نفسَه وشيطانه ثم يتيقَّن معونةَ الرب ﷻ فإنه يضرب بفأس الأعمال الصالحة علىٰ رأس الباطل، ثقة في نصر الله ووعده؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

ومتىٰ وصل اليقينُ إلىٰ القلب امتلأ نورًا وإشراقًا وانتفىٰ عنه كلُّ شكٍّ وريب وهمٍّ وغمٍّ، فامتلأ قلبُ العبدِ بمحبة الله والخوف منه أيضًا، والرجاء به والشكر له والتوكُّل عليه والإنابة إليه.

قال سفيانُ الثَّوْريُّ رحمه الله: لو أن اليقينَ استقرَّ في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا؛ شوقًا إلىٰ الجنة أو خوفًا من النار.

وقد يحمله هذا علىٰ التضحيات العظيمة ومباشرة الأهوال وركوب الأخطار في سبيل مولاه العظيم، لا يخالط الناس إلا في الحقِّ، كتعليمٍ ودعوةٍ وأعمال صالحة، ولا ينتظر مديحًا في العطية، سواءٌ له أو عليه، ولا يشغله المنع منهم بالذمِّ والاستنكار، فهو ينظر إلىٰ الله في كلِّ شيء، ويرجع إليه في كلِّ أمر، ويستعين به في كلِّ حال.

قال ذو النُّون رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقينُ يدعو إلىٰ قِصَر الأمل، وقِصَرُ الأمل يدعو إلىٰ الزُّهد، والزُّهد يُورِث الحكمة، وهي تُورث النظرَ في عواقب الأمور.

وقال أيضًا: ثلاثةٌ من علامات اليقين: قلة مخالطة الناس في العشرة، وتَرْك المدح لهم في العطيَّة، والتنزُّه عن ذَمِّهم عند المنع. ومن علاماته أيضًا: النَّظَر إلىٰ الله في كلِّ شيءٍ، والرجوع إليه في كل أمر، والاستعانة به في كلِّ حال.

أنواعُ اليقينِ: قال أبو بكرٍ الورَّاق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقين علىٰ ثلاثة أوجهٍ: يقين خبر، ويقين دلالة، ويقين مشاهدة: فيقين الخبر هو اطمئنان القلب وسكونه إلىٰ خَبَر المُخبِر والثقة فيه.

وأما يقين الدلالة فهو يعني أن مَن جاءك بالخبر مع وثوقك فيه وتصديقك إياه جاءك معه بالأدلة والبراهين الدالة علىٰ ما أخبرك به، وهذا كعامة ما جاء من أخبار الإيمان والتوحيد في القرآن؛ فإن الله مع كونه أصدقَ الصادقين يأتي لعباده بالأدلة والبراهين علىٰ صدق أخباره، فيأتي لهم باليقين من الجهتين: الخبر، والدلالة.

فإذا اجتمع للعبد نَوْعَا اليقين بالخبر والدلالة، ارتقىٰ ليقين المشاهدة، كأنه يرىٰ ويُعاين بعينه ما أُخبر به، وهذا أعلىٰ أنواع اليقين، وهو ما أشار إليه عامرُ بن قيس في قوله: لو كُشف الغطاء ما ازددتُ إيمانًا. أي: لو كُشِفَت حُجُب الغَيْب.

دَرَجاتُ اليقينِ: إذا أخبرك شخصٌ أن عنده عَسَلًا، وأنت تعرف من صاحبك أنه لا يكذب، فلا تشك في صدقه، فهذا يُسمَّىٰ علم اليقين؛ لأنه بُني علىٰ علمك وتصديقك، ثم أراك صاحبُك العسل عيانًا فازددت فيه يقينًا فصار عين اليقين؛ لأنك عاينته، ثم أذاقك من العسل شيئًا فصار عندك حقيقة اليقين. فما نعلمه الآن من قول الله تعالىٰ وقول الرسول ﷺ عن الجنة والنار وتصديقنا به يُسمَّىٰ علم اليقين، إيمانًا وثقة بالشرع الحكيم، وهذا

يقينُ الخبر، فإذا قامت القيامة وقُرِّبت الجنة للمتقين وشاهدها الخلائق وبُرِّزَتِ الجحيم للغاوين وعاينها الخلائق فذلك عين اليقين، وهو يقين الدلالة، فإذا أُدخل أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ فذلك حينئذ حق اليقين، وهو يقين المشاهدة.

وقال أبو بكر الوراق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: اليقين مِلَاك القلب، وبه كمال الإيمان، وباليقين عُرِف الله، وبالعقل عُقِل عن الله.

وقال النَّهْرَجُوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا استكمل العبدُ حقائقَ اليقين صار البلاءُ عنده نعمةً، والرخاءُ مصيبةً، واليقينُ هو لُبُّ الدين ومقصوده الأعظم.

وقد أَمَرنا الشارعُ الحكيم أن نبني أحكامنا علىٰ اليقين لا الشكِّ؛ فلما سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل الذي يُخيَّل إليه أنه يجد الشيءَ في الصلاة- يقصد ريحًا، وإنما قال ذلك تأدُّبًا مع النبيِّ ﷺ- فقال ﷺ: «لَا يَنْفَتِلْ- أو لا يَنْصَرِفْ- حَتَّىٰ يَسْمَعَ صَوْتًا أو يَجِدَ رِيحًا» متفق عليه. وقال ﷺ: «الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَىٰ من بَعْضٍ، فإذا سَأَلْتُمُ اللهَ ﷻ أَيُّهَا الناسُ فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ؛ فإن اللهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عن ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ». أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧) برقم (٦٦٥٥).

قصةٌ: عندما أراد سعدُ بن أبي وقَّاصٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فَتْحَ المدائن- وكانت علىٰ شاطئ دِجْلة في العراق، وكان النهرُ في حالة فيضان- لم يجد وسيلةً لعبور البحر، فكوَّن كتيبةً سُمِّيت كتيبة الأهوال، وعبرت النهرَ وأَخْلَتِ الشاطئ نسبيًّا من قوات الفُرْس. لـمَّا عبرت كتيبةُ الأهوالِ النهرَ، وكانوا سِتَّمائة رجل، تبعهم سعدُ بن أبي وَقَّاص بكامل الجيش، وأمر جُنْدَه قائلًا: قولوا: نستعين بالله ونتوكَّل عليه، حسبُنا الله ونعم الوكيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فجعلوا يمشون علىٰ الماء كأنهم يمشون علىٰ الأرض، حتىٰ إن الفُرْس عندما رأوا هذا الموقف قالوا: ديوانا ديوانا. أي: مجانين مجانين، وعندما رأوهم لا يغرقون قالوا بالفارسية: والله إنكم لا تُقاتلون إنسًا، بل تقاتلون جِنًّا. اهـ.

واعلم أنه باليقين يزيد العبد خضوعًا واستكانة لمولاه، ويُورثه التوكُّل علىٰ الله والزُّهد فيما عند الناس، فيُعقبه بذلك عِزَّةً ورفعة، ويأخذ بيده إلىٰ الإخلاص والصدق.

(التوكُّل)

يقول ابنُ القيم والفيروزَآباديُّ رحمهما الله: التوكُّل نصفُ الدِّين، والنصفُ الثاني الإنابة (أي: الطاعة والرجوع إلىٰ الله). فإن الدينَ استعانةٌ وعبادة، والتوكُّل هو الاستعانة، والإنابة هي العبادة، وذلك تحقيقٌ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥]، ولقوله ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝٤٩﴾ [الأنفال: ٤٩]، أراد أنه عزيزٌ فلا يَذِلُّ مَنِ استجار بحِمَاه، ولا يضيع من التجأ إلىٰ كَنَفه وجَنَابه، وأيضًا هو حكيم فلا يُعجزه تدبيرُ حالِ من توكَّل عليه.

وقد قال ﷻ أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأعراف: ١٩٤]، فبيَّن أن كلَّ ما سوىٰ الله تبارك وتعالىٰ إنما هو عبدٌ مُسخَّرٌ من قِبَله، فله مثل حاجة البشر، فكيف تتوكَّل علىٰ من هو محتاجٌ وناقص، وهذا شاملٌ لكلِّ المخلوقات، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ﴾ [العنكبوت: ١٧].

وروي أنه قد أوحىٰ اللهُ تعالىٰ لداود عليه السلام: يا داود، ما مِن عبدٍ يعتصم بي دون خلقي فتكيده السمواتُ والأرض إلا جعلتُ له مخرجًا.

فالتوكُّل هو إظهار العجز في الأمر، والاعتماد علىٰ الله، واعتباره نائبًا عنك.

والمُتوكِّل علىٰ الله هو الذي علم أن اللهَ كافلٌ رزقه وأمره، فيتوكَّل عليه وحده، ولا يركن إلىٰ غيره. واللهُ هو الوكيل، أي القيِّم والكفيل بأرزاق العباد، الموكولُ إليه كلُّ الأمور، والأمور مُفوَّضة إليه ليأتي بالخير ويدفع الشر عن العبيد، ولا يصحُّ هذا إلا لله وحده ﷻ؛ ولهذا يقول الفقهاء: إن التوكُّلَ هو صدقُ اعتماد القلب علىٰ الله ﷻ في جَلْب المصالح ودَفْع المضارِّ والأذىٰ من أمور الدنيا والآخرة.

فإن العبدَ يعلم أن الأمورَ كلَّها لله وراجعةٌ إليه، ويؤمن أنه لا ينفع ولا يضر ولا يعطي ولا يمنع إلا هو سبحانه وتعالى. قال سعيدُ بن جُبير رحمه الله: التوكُّل علىٰ الله ﷻ جِماعُ الإيمان.

ويقول الجُرْجانيُّ رحمه الله: التوكُّل هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس.

ويقول ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن التوكُّلَ من أعظم الطرق التي يحصل بها المطلوب ويندفع بها المكروه، ومَن أنكر استعمالَ الأسباب لم يستقم علىٰ التوكل. ويقول أيضًا: إن من تمام التوكُّل عدمَ الركون إلىٰ الأسباب، وقَطْع علاقة القلب بها، وليس الجوارح، فيكون حالُ قلبه استعانةً بالله وتوكلًا عليه، وحالُ بدنه وجوارحه استعمالَ الأسباب الموصلة.

والتوكُّل أن تستعينَ بالله كاملًا وكأنه لا سبب معك البتة، فهذا حال القلب، وأما حال الجوارح فاستعمال الأسباب كاملةً وكأنه لا مُعِين لك البتة، فالأسباب هي محلُّ حكمة الله في الأوامر والنواهي، أي: افعل هذا ولا تفعل هذا.

فالشريعة تُنظِّم الحقوق والواجبات في الأوامر والنواهي، أما التوكل فهو مُتعلِّق بقبول قدر الله وقضائه، أي متعلق بالربوبية، فلا تصحُّ العبودية من الإقبال علىٰ الطاعات والانتهاء عن المعاصي إلا بالتوكل علىٰ صاحب الحول والقوة، كذلك لا تقوم بالتوكُّل إلا من خلال استعمال أسباب الطاعات والامتثال لأوامر الله والانتهاء عما نهىٰ.

التَّوكُّلُ والتَّواكُلُ أو الاتِّكالُ:

التوكُّل المأمور به هو: الأخذ بالأسباب مع تفويض أمر النجاح لله تعالىٰ، والثقة بأنه لا فاعل علىٰ الحقيقة إلا الله تعالىٰ، وأن كلَّ موجودٍ من خَلْقٍ ورزق وعطاء ومنْع وحياة وموت وغِنًىٰ وفقر... إلىٰ غير ذلك، المُتفرِّدُ بإبداعه واختراعه هو الله عَزَّ وَجَلَّ لا شريك له فيه، والثقة بأنه لا يضيع أجر من أحسن عملًا.

أما القعودُ عن استعمال الأسباب، وعدم السَّعْي، فليس من التوكُّل في شيء، وإنما هو اتِّكال أو تواكل، وقد حذَّرنا منه المصطفىٰ ﷺ، ونهىٰ عن الركونِ إلىٰ الأسباب المؤدِّية لتَرْك السَّعْي واستعمالِ الأسباب الشرعية الصحيحة، كما قال ﷺ لمُعاذٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «يا مُعاذُ، مَا حَقُّ الله عَلَىٰ الْعِبَادِ؟ وَمَا حَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ الله؟». قال مُعاذٌ: قلتُ: الله ورسوله أعلم.

وقال ﷺ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَىٰ الْعِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَحَقُّ الْعِبَادِ عَلَىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». قال: قلتُ: يا رسول الله، أفلا أُبشِّر الناس؟ قال: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». متفق عليه. فأرسىٰ الرسولُ الكريم ﷺ فَهْمًا صحيحًا في كلِّ ما يُؤدِّي

إلىٰ تَرْك العمل واستعمال الأسباب، أو ما يكون حتىٰ مظِنَّة للاتِّكال، وهو ليس من التوكل في شيء.

ولقد راجع عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه رسولَ الله ﷺ مرةً حين قال: يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أَبَعَثْتَ أبا هُرَيرة بنَعلَيْكَ أن مَن لقيه يشهد أن لا إله إلا الله مستيقنًا بها قلبُه فبشِّره بالجنة؟ قال: «نَعَمْ». قال عمر: فلا تفعل؛ فإني أخشىٰ أن يتَّكل الناسُ عليها، فخَلِّهم يعملون. فقال رسول الله ﷺ: «فَخَلِّهِمْ يَعْمَلُونَ». مسلم برقم (٣١).

ولما بُويع الصِّدِّيق رضي الله عنه بالخلافة نزل السوق فقال المسلمون: كيف تفعل ذلك وقد صِرْتَ خليفةً؟ فقال: لا تشغلوني عن عيالي، فإني إن أضعتهُم كنتُ لما سواهم أَضْيَعَ. حتىٰ فرضوا له حقًّا في بيت المال ليتفرَّغ للخلافة، والصِّدِّيق هو من هو، وليس هناك من هو أولىٰ منه بالتوكُّل علىٰ الله بعد رسول الله ﷺ.

ومما يدلُّ علىٰ أن التداوي غيرُ مناقضٍ للتوكل، فِعلُ رسول الله ﷺ وقولُه وأمره به، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «تَدَاوَوْا عِبَادَ الله، فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلَّا وَضَعَ لَهُ شِفَاءً، إِلَّا دَاءً وَاحِدًا هُوَ الهَرَمُ». أحمد في «مسنده» (٤/ ٢٧٨) برقم (١٨٤٧٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٩٣٠).

ومُسبِّب الأسباب سبحانه وتعالى أجرىٰ سُنَّته برَبْط المُسبَّبات بالأسباب إظهارًا للحكمة، والأدويةُ أسبابٌ مسُخَّرة بحكم الله تعالىٰ كسائر الأسباب، فكما أن الخبزَ دواءُ الجوع، والماءَ دواءُ العطش، كذلك بعضُ الأدوية دواءٌ لبعض الأمراض فلا يضرُّ المُتوكِّلَ استعمالُ الدواء مع النظر إلىٰ مُسبِّب الأسباب وليس الطبيب والدواء. فإن الاتِّكال هو ترك استعمال الأسباب، وترك الأعمال، وهو ليس من التوكُّل في شيءٍ.

التَّوكُّلُ والتَّفْويضُ والثقةُ بالله عز وجل:

جاء التوكُّلُ في القرآن في مواضع عديدة، وأمر اللهُ به نبيَّه المصطفىٰ ﷺ.

أما التفويضُ فلم يَجِئ إلا إخبارًا عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [غافر: ٤٤]، يقول ابن القيم رحمه الله: إن اتِّخاذَ المَوْلَىٰ عز وجل وكيلًا هو مَحْضُ العبودية وخالص التوحيد، إذا قام به صاحبُه حقيقةً، وهو بذلك أوسعُ من التفويض وأعلىٰ وأرفع.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والثقة بالله هي خلاصة التوكل، وهي سَوَادُ عَيْنِ التوكُّل، فسوادُ العين أشرفُ ما فيها، وفي وَصْف أم موسىٰ ما يؤكِّد ثقتَها بالله؛ لهذا أمرها سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ فقال: ﴿فَإِذَا خِفۡتِ عَلَيۡهِ فَأَلۡقِيهِ فِي ٱلۡيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحۡزَنِيٓ﴾[القصص: ٧]، فلولا كمال ثقتها بربِّها لما ألقت بولدها في تيار المياه، فالثقة بالله هي ما يدور عليه التفويض.

والتوكُّل يشمل معنىٰ الثقة بالله، والتفويض كذلك، فالمُتوكِّل يُوكل أمره لمن اطمأنَّت إليه نفسه ووثق به ولم يتَّهمه بتقصير أو يعتقد فيه عجزًا أو قصورًا، فهذا اعتماد القلب علىٰ الوكيل وحده، والتوكُّل علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ مطلوبٌ في كلِّ شئون الحياة عند طلب النصر والفرج، وإذا أعرض عنك الناسُ، وإذا طلبتَ الصُّلحَ والإصلاح، وإذا تآمر عليك الأعداء فاجعل الله وكيلًا في كلِّ حالٍ، قال تعالىٰ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا ٨١﴾[النساء: ٨١].

وقال رسولُ الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ الْقَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ الْقَرْنَ وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَىٰ يُؤْمَرُ بِالنَّفْخِ فَيَنْفُخُ». فكأن ذلك ثَقُل علىٰ أصحاب النبيِّ ﷺ فقال لهم: «قُولُوا حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، عَلَىٰ اللهِ تَوَكَّلْنَا». أحمد في «مسنده» (١/ ٣٢٦) برقم (٣٠١٠). فلنتوكَّل علىٰ الله جميعًا في النجاة من أهوال يوم القيامة، فهو القادر وحده علىٰ خلاصنا وفوزنا ونجاتنا.

قال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ينبغي للناس كلِّهم يتوكَّلون علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ، ولكن يُعوِّدون أنفسهم بالكَسْب (أي: استعمال الأسباب في طلب الرزق)، فمَن قال بخلاف هذا القول فهذا قولُ إنسانٍ أحمق. وقال أيضًا: الاستغناءُ عن الناس بطلب العمل أعجبُ (أي: أحب وأفضل) إلينا من الجلوس وانتظار ما في أيدي الناس.

وقال أيضًا: صِدق المُتوكِّل علىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ أن يتوكَّل علىٰ الله وألا يكونَ في قلبه أحدٌ من الآدميين يطمع أن يجيئَه بشيءٍ، فإذا كان كذلك كان اللهُ يرزقه، وكان مُتوكِّلًا.

وقال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوكُّل من أقوىٰ الأسباب التي يدفع بها العبدُ ما لا يُطيق من أذىٰ الخلق وظلمهم وعدوانهم.

والمتوكِّل علىٰ الله قد قطع بتوكله الطمع فيما في أيدي الناس ثقة بما في يد الله.

وكان رسولُ الله ﷺ إذا غَزَا قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ وَبِكَ أَجُولُ، وَبِكَ أَصُولُ وَبِكَ أُقَاتِلُ». أبو داود برقم (٢٦٣٢).

ولا يتمُّ التوكُّل إلا بقوة القلب وقوة اليقين جميعًا؛ إذ بهما يحصل سكونُ القلب وطمأنينته، فالسكون في القلب شيءٌ واليقين شيءٌ آخر، فكم من يقينٍ لا طمأنينة معه، كما قال اللهُ تعالىٰ لإبراهيم عليه السلام: ﴿أَوَلَمۡ تُؤۡمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطۡمَئِنَّ قَلۡبِيۖ﴾ [البقرة: ٢٦٠]، فالْتَمَس مِن مولاه أن يُشاهد عمليةَ إحياء الموتىٰ بعينيه ليستقرَّ ذلك في خياله؛ فإن النفسَ تتبع الخيال وتطمئنُّ به ولا تطمئنُّ باليقين في ابتداء أمرها إلىٰ أن تصل عند الآخرة إلىٰ درجة النفس المطمئنة؛ لما عاينت من الحقِّ.

وكم من مُطمئنٍّ لا يقين له، كمن ينام في غرفته المظلمة ليلًا ويعلم يقينًا أنه لا أحد معه، ولكنه قد يكون خائفًا غيرَ مطمئنِّ القلب. فاليقين شيءٌ والطمأنينة شيءٌ آخر.

وإذا نَظَرْتَ إلىٰ أصحاب الملل والمذاهب الباطلة وَجَدتَ أحدَهم مطمئنَّ القلب إلىٰ باطله ولكن لا يقين له أصلًا ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ ٢٣﴾ [النجم: ٢٣]، وهو سبب اليقين، إلا أنهم مُعرِضون عنه.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: اختلف الناسُ في كلِّ شيءٍ إلا في الرزق والأجل، فإنهم أجمعوا علىٰ أنه لا رزَّاق ولا يُميت إلا اللهُ تعالىٰ.

وقال بعضُ العلماء: لا يشغلك المضمونُ لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل فتُضيِّع أمرَ آخرتك ولا تنال من الدنيا إلا ما قد كتب اللهُ لك.

فلا يصحُّ التوكُّل إلا مع الزهد في الدنيا، وإن كان يصح الزُّهد دون التوكل.

قَصَصٌ في التَّوكُّلِ:

قِصَّةٌ: كان لدىٰ أحد الملوك وزير، وكان هذا الوزير يتوكَّل علىٰ الله في جميع أموره، وفي يوم من الأيام قُطع للملك إحدىٰ أصابعه وخرج دم، وعندما رآه الوزير قال: خير، خير إن شاء الله. وعند ذلك غضب الملك علىٰ الوزير وقال: أين الخير والدم يجري من إصبعي؟! وبعدها أمر الملكُ بسَجْن الوزير، وما كان من الوزير إلا أن قال كعادته: خير، خير إن شاء الله. وذهب إلىٰ السجن.

وكان من عادة الملك في كل يوم جمعة أن يذهب للتنزه، وفي آخر نزهة حطَّ رَحْلَه قريبًا من غابة كبيرة، وبعد استراحة قصيرة دخل الملكُ الغابةَ، وكانت المُفاجأة أن الغابة بها أناس يعبدون صنمًا لهم، وكان ذلك اليوم هو يوم عيد الصنم لديهم، وكانوا يبحثون عن قربان يقدمونه للصنم، وصادف أنهم وجدوا الملك وألقَوا القبض عليه ليُقَدِّموه قربانًا إلىٰ آلهتهم، وقد رأوا إصبعه مقطوعةً فقالوا: هذا فيه عيبٌ، ولا يُستحسن أن نقدمه قربانًا. وأطلقوا سراحه، حينها تذكَّر الملك قولَ الوزير عند قطع إصبعه: خير، خير إن شاء الله.

وبعد ذلك رجع الملك من الرحلة وأطلق سراحَ الوزير من السِّجن، وأخبره بالقصة التي حدثت له في الغابة، وقال له: فعلًا كان قَطْع الإصبع فيه خيرٌ لي، ولكني أسألك سؤالًا، وأنت ذاهب إلىٰ السجن سمعتُك تقول: خير، خير إن شاء الله، وأين الخير وأنت ذاهب إلىٰ السجن؟! قال الوزير: أنا وزيرك، ودائمًا معك، ولو لم أدخل السجن لكنت معك في الغابة، وبالتالي لقَبَض عليَّ عَبَدَةُ الصنم، وقدَّموني قربانًا لآلهتهم، وأنا لا يوجد بي عيب؛ ولذلك كان دخولي السجن خيرًا لي. اهـ.

قِصَّةٌ: لما فتح عبدُ الله بن عليٍّ العباسيُّ دمشقَ قَتَل في ساعةٍ واحدة ستةً وثلاثين ألفًا من المسلمين، وأدخل بغاله وخيوله في المسجد الأموي الكبير، ثم جلس للناس وقال للوزراء: هل يعارضني أحدٌ؟ قالوا: لا. قال: هل ترون أحدًا سوف يعترض عليَّ؟ قالوا: إن كان فالأوزاعي، وهو مُحدِّث. فقال أمير المؤمنين: تعالوا به.

فذهب الجنود للأوزاعي فما تحرَّك من مكانه، قالوا: يريدك عبد الله بن علي. قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، انتظروني قليلًا. فذهب فاغتسل ولبس أكفانه تحت الثياب؛ لأنه يعرف أن المسألة مسألة موت وقتل ودمار، ثم قال لنفسه: الآن آنَ لك يا أوزاعيُّ أن تقول كلمةَ الحقِّ لا تخشىٰ في الله لومةَ لائمٍ.

فدخل الأوزاعي علىٰ هذا السلطان الجبار: قال وهو يصف هذا الموقف- وهذا هو لبُّ الموضوع، فتأمله بارك الله تعالىٰ فيك أخي الكريم: فدخلتُ فإذا أساطينُ من الجنود (أي: عدد عظيم من الجنود) صفَّان قد سلُّوا السيوف، فدخلت من تحت السيوف حتىٰ بلغت إليه وقد جلس علىٰ السرير وبيده خَيْزُرَان (أي: عُودٌ) وقد انعقد جبينه عُقدةً من الغضب.

قال: فلما رأيتُه والله الذي لا إله إلا هو كأنه أمامي ذُباب، فقلت: حسبنا الله ونعم الوكيل. قال: فما تذكرتُ أحدًا لا أهلًا ولا مالًا ولا زوجةً، وإنما تذكرتُ عرش الرحمن إذا برز للناس يوم الحساب، قال: يا أوزاعي، ما تقول في الدماء التي أرقناها وأهرقناها؟ قال الأوزاعي: حدَّثنا فلان عن فلان.. حدثنا ابن مسعود: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَّا بِإِحْدَىٰ ثَلَاثٍ: النَّفْسُ بِالنَّفْسِ، وَالثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالمارِقُ مِنَ الدِّينِ التَّارِكُ لِلْجَمَاعَةِ» [متفق عليه]، فإن كان مَن قتلتهم من هؤلاء فقد أصبتَ، وإن لم يكن منهم فدماؤهم في عنقك.

قال: فنكت بالخَيْزُرَان (أي: ضرب الأرض بالعود فترك فيها أثرًا) ورفعتُ عمامتي أنتظر السيف، ورأيت الوزراءَ يستجمعون ثيابهم ويرفعونها عن الدم، قال: وما رأيك في الأموال؟ قال الأوزاعي: إن كانت حلالًا فحسابٌ، وإن كانت حرامًا فعقاب.

قال: خُذْ هذا الكيس المملوء من الذهب. قال الأوزاعي: لا أريد المال. قال: فغمزني أحدُ الوزراء يعني خذها؛ لأنه يريد أدنىٰ علة ليقتل.

قال: فأخذت الكيس ووزَّعته علىٰ الجنود، حتىٰ بقي الكيس فارغًا، فرميت به وخرجت، فلما خرجتُ قلت: حسبنا الله ونعم الوكيل، قلناها يوم دخلنا، وقلناها يوم خرجنا؛ ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ ١٧٤﴾ [آل عمران: ١٧٤].

ويقال: إن عبدَ الله بن عليٍّ العباسيَّ ذلك السلطان المتجبر كانَ يقول كلما مرَّ بقبر الأوزاعيِّ: والله لا أخاف في هذه الدنيا من رجلٍ كهذا الرجل؛ فإني كلما رأيتُه يُخيل إلي أني أمام أسد. فسبحان الله! الأوزاعي رآه كالذباب وهو يرىٰ الأوزاعيَّ كالأسد، فانظر لعزة التوكل. اهـ.

* * *

٨- بابٌ في الاستقامةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَ﴾ [هود: ١١٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٣٠ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ

ﭐلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

(٨٥/ ٨) وعن أبي عمرو - وقيل: أبي عَمْرَةَ - سفيان بن عبد الله رضي الله عنه قالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، قُلْ لِي فِي الإسْلامِ قَولًا لَا أَسأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: «قُلْ: آمَنْتُ بِالله، ثُمَّ استَقِمْ». رواه مسلم.

(٨٦/ ٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «قَارِبُوا، وَسَدِّدُوا، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَنْجُوَ أَحَدٌ مِنْكُمْ بِعَمَلِهِ». قالُوا: وَلا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «وَلَا أَنا إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي الله بِرَحمَةٍ مِنهُ وَفَضْلٍ». رواه مسلم. و«الْمُقَارَبَةُ»: القَصدُ الَّذِي لا غُلُوَّ فِيهِ وَلَا تَقْصِيرَ. و«السَّدادُ»: الاستقامة والإصابة. و«يتغَمَّدني»: يُلبِسني ويَستُرُني. قَالَ العلماءُ: مَعنَى الاستقامَةِ: لُزُومُ طَاعَةِ الله تَعَالَىٰ، قالوا: وهِيَ مِنْ جَوَامِعِ الكَلِم، وَهِيَ نِظَامُ الأُمُورِ. وبِالله التَّوفِيقُ.

(أي: يشملني)

* * *

(الاستقامة)

الاستقامةُ كلمةٌ جامعة، وهي القيامُ بين يدي الله تبارك وتعالىٰ بحقيقة الصدق مع الوفاء بالعهد الذي بيننا وبين الله، في الأقوال والأفعال والنيَّات، لله إخلاصًا، وبالله استعانةً وتوكُّلًا، وعلىٰ أمر الله تعالىٰ وسنة نبيه الكريم ﷺ طريقةً ومنهاجًا.

وهي سلوك الصراط المستقيم الذي هو الدين القويم، بلا اعوجاج ولا إفراط ولا تفريط، وهو ما أُمِرنا به في كلِّ صلاةٍ، ويكون ذلك كلُّه بفعل الطاعات كلِّها ظاهرةً وباطنة، وترك المنهيَّات كلِّها كذلك. فيجمع العبدُ المستقيم بين أداء الطاعات واجتناب المعاصي، علىٰ هَدْيٍ من الشرع الحكيم والعقل السليم. والاستقامة في اصطلاح أهل العلم: لزومُ طاعة الله تعالىٰ، والوفاءُ بالعهود كلها، ولزوم الطريق المستقيم، مع مراعاة التوسط في كلِّ الأمور الدينية والدنيوية، من طعام وشراب وغيرهما.

وأصلُ الاستقامةِ استقامةُ القلب علىٰ التوحيد، وقد فسَّر أبو بكر الصديق رضي الله عنه

الاستقامة في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ [فصلت: ٣٠] بأنها عدمُ الالتفات إلىٰ غير الله تعالىٰ.

فمتىٰ استقام القلبُ علىٰ معرفة الله وعلىٰ خشيته وإجلاله ومهابته ومحبته وإرادته ورجائه ودعائه والتوكل عليه والإعراض عما سواه، استقامتِ الجوارحُ كلُّها علىٰ طاعته، فإن القلبَ هو مَلِك الأعضاء، التي هي جنودُه، فإذا استقام المَلِكُ استقامت جنوده ورعاياه. وأعظم ما يُراعىٰ استقامتُه بعد القلب من الجوارح اللسانُ؛ فإنه المُعبِّر عما فيه.

فالاستقامة في القلب: لزوم التوحيد الخالص، وإخلاص الدين لله، والعمل حتىٰ الممات.

وقد سُئل الصديق رضي الله عنه عن الاستقامة، قال: ألا تُشرك بالله شيئًا... أراد رضي الله عنه الاستقامةَ علىٰ التوحيد الخالص.

وقال عثمان بن عفَّان رضي الله عنه: استقاموا: أَخلَصُوا العملَ لله.

وقال مجاهدٌ رحمه الله: استقاموا علىٰ شهادة أَنْ لا إلهَ إلا اللهُ حتىٰ لحقوا بالحقِّ.

وأما الاستقامة في البدن، فلزوم الطاعات، وأداء الفرائض، واجتناب المعاصي، قولًا وعملًا، سرًّا وعلانية؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: الاستقامة أن تستقيم علىٰ الأمر والنهي، ولا تَرُوغ رَوَغانَ الثَّعْلب (أي: الروغان: العدول عن الأمر في خفية).

وقال عليٌّ وابنُ عباس رضي الله عنهم: استقاموا: أدَّوُا الفرائضَ (أي: كل المفروضات من الأعمال).

وهذا أبو هريرة رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: «**لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الْجَنَّةَ**». قَالُوا: وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ الله؟ قال: «**وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَلَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحسِنًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَزْدَادَ خَيْرًا، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعْتِبَ**» متفق عليه.

فأَمَر النبيُّ ﷺ في هذا الحديث بالسَّداد، أي الاستقامة ولزوم الطاعة كما سبق، فإن لم يَسْتَطِع فعليه أن يقترب من الكمالِ في الأعمال مع الاستقامة، لقول النبيِّ ﷺ: «**وقاربوا**» أي: كونوا قريبين من المطلوب علىٰ الأقل، أي بحَسَب الوُسْع والطاقة، كمن يرمي بسَهْمٍ إلىٰ هدفٍ، فإنه إن لم يستطع أن يُصيب الهدف يحاول الاقتراب منه.

ومع هذا فإن الاستقامةَ والمُقارَبةَ لا تُنجي العبدَ يوم القيامة؛ لأنه لا يخلو من تقصيرٍ، فلا يركن ولا يعتمد أحدٌ علىٰ عمله، وإنما النجاة برحمة الله وعفوه وغفرانه وفضله. والاستقامةُ حقيقتها عدمُ الاعوجاج والميل، فيكون العبدُ وسطًا غيرَ مائلٍ، لا إلىٰ الإفراط ولا إلىٰ التفريط.

وقال بعضُ السلف: ما أَمَرَ اللهُ بأمرٍ إلا وللشيطان فيه نَزْعتان: فإما أن يأخذ العبدَ إلىٰ تفريطٍ وضياع، وإما أن يأخذه إلىٰ مجاوزةٍ وإفراط، ولا يُبالي بأيِّهما فاز وظفر من العبد، فكلاهما شرٌّ وخسارة.

فكمالُ الاعتقاد راجعٌ إلىٰ الاستقامة، وهي أساس الأعمال الصالحة، وتُطلق أيضًا علىٰ ما يجمع بين معنىٰ حُسن العمل والسير علىٰ الحق والصدق.

والاستقامة أمرٌ زائد علىٰ الإقرار بالتوحيد لله؛ لأنها تشمله وتشمل أيضًا الثبات عليه والعملَ بما يستدعيه؛ ولهذا قال أبو عمرو سفيان بن عبد الله رضي الله عنه: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، قُلْ لي فِي الإِسْلامِ قَولًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قال: «قُلْ: آمَنْتُ بِالله ثمَّ استَقِمْ». رواه مسلم.

وإنما كانت الاستقامةُ عظيمةً في دين الله؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ خلق الأحوال متغيرة حول ابن آدم، من صحةٍ ومرض، وسفر وإقامة، وضِيق في الرزق وسَعَةٍ، ورخاء وشدة، ويُسْر وعُسْر. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وقال أيضًا: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد: ٤]. فقد أَمَر العبدَ بالاستقامة علىٰ فعل الطاعات ظاهرًا وباطنًا، واجتناب المعاصي في كل الأحوال، كما قال النبي ﷺ: «تعرَّفْ إِلَىٰ الله فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفكَ فِي الشِّدَّةِ». أحمد في «مسنده» (١/ ٣٠٧) برقم(٢٨٠٤).

فالمقصود بالاستقامة هو لزومُ الطاعات المختلفة في أحوال العبد كافةً، واجتناب المعاصي المختلفة في جميع أحواله، ومن هنا كانت الاستقامة شرفًا لصاحبها وكرامةً له حيث صبر عليها.

قال ابنُ تَيمِيَّةَ رحمه الله: أعظمُ الكرامةِ لزومُ الاستقامة. ويقصد بالكرامة: الخوارق والمعجزات.

وقال بعضهم: كُنْ أيُّها العبد صاحبَ استقامةٍ لا طالبَ كرامةٍ؛ فإن نفسَك تتحرَّك وتسعىٰ لإظهار الكرامة، وربَّك يُطالِبُك بالاستقامة.

واعلم أنه علىٰ قَدْر ثبات العبد علىٰ الصراط المستقيم الذي نَصَبه الله لعباده في دار الدنيا من أوامرَ ونواهٍ، يكون ثبات قدمه علىٰ الصراط المنصوب علىٰ مَتْن جهنم، وبنفس همَّته وسَعْيه في السير عليه في الدنيا يكون سَعْيه وسَيْره علىٰ ذلك الصراط يوم القيامة.

وليتجنَّب العبد الشبهات والشهوات التي تعوقه في الدنيا؛ فإنها بمثابة الكلاليب، وهي حديد معوج الرأس يُنزع به اللحم من القِدْر، وذلك علىٰ جَانبي الصراط يوم القيامة التي تخطفه وتَعوقه عن المرور عليه.

قال رسولُ الله ﷺ: «اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا، وَاعْمَلُوا، وخَيْرُ أَعْمَالِكُمُ الصَّلَاةُ، وَلَا يُحَافِظُ عَلَىٰ الْوُضُوءِ إِلَّا مُؤْمِنٌ». أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٦) برقم (٢٢٤٣٢).

وقال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ، وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّىٰ يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ». أحمد في «مسنده» (٣/ ١٩٨) برقم (١٣٠٧١).

فالاستقامةُ مِن حُسْن الإسلام وكمال الإيمان، وهي الكرامةُ التي تُوصل صاحبَها لأعلىٰ المقامات.

* * *

٩- بابٌ في التَّفكُّرِ في عظيم مخلوقاتِ الله تعالى، وفناءِ الدُّنيا، وأهوالِ الآخرةِ وسائرِ أمورِهما، وتقصيرِ النفسِ وتهذيبِها وحَمْلِها على الاستقامةِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ﴾ [سبأ: ٤٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ [الغاشية: ١٧- ٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾ الآية [يوسف: ١٠٩، غافر: ٨٢، محمد: ١٠].
والآيات في البابِ كثيرة. ومن الأحاديث الحديث السابق: «الْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ».

* * *

(عبادةُ التفكُّرِ في عظيمِ مخلوقاتِ الله تعالى)

لقد أمر اللهُ تعالىٰ بالتفكُّر والتدبر في كتابه العزيز في مواضعَ لا تُحصىٰ، وأثنىٰ علىٰ المتفكرين، فقال تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١].

ولما دخل بلالٌ رضي الله عنه علىٰ رسول الله ﷺ يُؤذِنه بصلاة الصُّبح، وجده يبكي، فسأله: ما يُبكيك وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم من ذنبك وما تأخَّر؟ فقال: «وَيْحَكَ يَا بِلَالُ، وَمَا يَمْنَعُنِي أَنْ أَبْكِيَ وَقَدْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾﴾؟ [آل عمران: ١٩٠]»، ثم قال: «وَيْلٌ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» [ابن حبان في «صحيحه» (٢/ ٣٨٦) برقم (٦٢٠)]. فقيل للأوزاعي رحمه الله: ما غاية التفكر فيهن؟ قال: يقرؤهن ويعقلهن.

والفكر هو التأمُّل وإعمال الخاطر في الشيء، وهو تصرُّف القلب في معاني الأشياء لإدراك الحكمة والمطلوب منها. وقيل لإبراهيم بن أدْهم رحمه الله: إنك تُطيل التفكُّر؟ فقال: الفكرة مُخُّ العقل. وقيل في قول الله تعالىٰ: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]: أمنع قلوبَهم التفكُّر في أمري.

فعلىٰ كلِّ عاقل أن يُعطي حظَّه من العبادة من النَّظَر في المصحف والتفكُّر فيه والاعتبار من عجائبه وآياته، فالفكرة تُولِّد العلومَ التي تُحرِّض علىٰ الأعمال.

ويقول وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: ما طالت فكرةُ (أي: تفكر) امرئٍ قطُّ إلا عَلِم (أي: صار عالمًا)، وما علم امرؤٌ قط إلا عمل.

وقال الشافعيُّ رضي الله عنه: استعينوا علىٰ الكلام بالصمت، وعلىٰ الاستنباط بالفكر. وقال أيضًا رضي الله عنه: صحة النظر في الأمور نجاةٌ من الغرور، والعَزْم في الرأي سلامةٌ من التفريط، والنَّدَم والرَّوِيَّة والفكر يكشفان عن الحزم، والفطنة ومشاورة الحكماء ثباتٌ في النفس

وقوة في البصيرة؛ ففكِّر قبل أن تعزم، وتدبَّر قبل أن تهجم، وشاور قبل أن تُقْدِم. وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفضائل أربعٌ:

إحداها: الحكمة، وقِوامها الفكرة (أي: التفكر).

الثانية: العِفَّة، وقِوامها في الشهوة (أي: في ضبط الشهوة).

والثالثة: القوة، وقِوامها في الغضب (أي: في ضبط الغضب).

والرابعة: العَدْل، وقِوامه في اعتدال قوىٰ النفس.

وأما ثمرة الفكرة والتفكُّر فتكون في العلوم والأحوال والأعمال، فإذا كان التفكرُ حصل العلم في القلب؛ فتغيَّر حالُ القلب؛ ومن ثم تغيَّرت بذلك أعمال الجوارح إلىٰ الصلاح والتقوىٰ.

وقالت امرأةٌ صالحة كانت تسكن البادية قريبًا من مكة: لو تطالَعَتْ قلوبُ المتقين بفِكْرِها إلىٰ ما قد ادُّخِر لها في حُجُب الغيب من خير الآخرة لم يَصْفُ لهم في الدنيا عيشٌ، ولم تَقَرَّ لهم في الدنيا عينٌ.

فالعمل تابعٌ للحال، والحال يُقصد به ما يحدث في القلب من حبٍّ وإقبالٍ علىٰ الله ومعرفةٍ به وإخلاص وانقياد.. وغير ذلك، والحالُ تابعٌ للعلم، والعلم تابع للفكر؛ فالفِكْر إذًا هو المبدأ والمِفتاح للخيرات كلِّها.

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الفكرة (أي: التفكر) في نِعَم الله عَزَّ وَجَلَّ أفضلُ من العبادة. وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ركعتان مُقتصَدتان في تفكرٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ بلا قلبٍ؛ لأن الفكرَ في حدِّ ذاته ذِكر وزيادة، وذكر القلب خيرٌ من عمل الجوارح، بل شرف العمل أصلًا لما فيه من ذكر الله تعالىٰ؛ ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]. فالتفكُّر أفضل من جملة الأعمال؛ لأنه يأتي بالذكر والعلم والحال.

وعن الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ قال: تفكُّر ساعةٍ خيرٌ من قيام ليلةٍ. فعلىٰ كلِّ إنسان أن يُفتِّش صبيحةَ كلِّ يوم جميعَ أعضائه: هل هو مرتكبٌ أو متلبِّس بمعصية؟ فَلْيتركها، ولعلها كانت بالأمس فيتداركها بالترك والندم، أو لعله مُعرَّض لها في يومه هذا فيستعد للاحتراز والابتعاد عنها. وعن الفُضَيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ قال: الفِكْر مِرآةٌ تُريك حسناتِك وسيئاتك.

وعليه أيضًا أن ينظرَ في الطاعات، فَلْينظر أوَّلًا في الفرائض المكتوبة عليه كيف يُؤدِّيها؟ وكيف ينأىٰ بها عن النقصان والتقصير؟ ثم يتفكَّر في استكمال أعماله بالنوافل لِيَجْبُرَ النقصان ويرفع الدرجات. ويُفتِّش عن جميع أخطائه وأمواله، فهي أدواتُ وأسباب طاعته، فيُبادر إلىٰ إخلاص النية فيها، ويُؤدِّي حقَّ الله تعالىٰ ثم العباد فيها أيضًا.

وسُئل أحدُ الصالحين: ما يُبكيك؟ فقال: تفكَّرت في ذَهاب عُمُري، وقِلَّة عملي، واقتراب أَجَلي.

ثم علىٰ العبد أن يُطهِّر نفسَه من المُهلِكات التي محلُّها القلب، من غلبة الشهوةِ والغضبِ علىٰ القلب، والبخل، والكِبر والعُجب، والرياء، والحسد، وسوء الظن، والغفلة، وغير ذلك. وَلْيُعالجها ما استطاع، وليتعلَّم ذلك من أهل هذه الفنون.

وعليه أيضًا أن يحرص علىٰ أن يتفكَّر في التحلِّي بالصفات المُنجية، مثل: التوبة، والندم علىٰ الذنوب، والصبر علىٰ البلاء، والشُّكر علىٰ النعماء، والخوف والرجاء، والزُّهد في الدنيا، والإخلاص والصدق في الطاعات، ومحبة الله وتعظيمه، والرضا منه، والشوق إليه، والخشوع والتواضع له.

وليتفكَّرِ العبدُ كلَّ يومٍ في قلبه: ما الذي يَنقُصُه من هذه الصفات المقرِّبة لله تعالىٰ؟ فمَن أراد أن يُحيي في قلبه حالَ الشُّكر مثلًا فلينظر في إحسان الله إليه، وكثيرِ عطاياه ونعمه، وجميل ستره عليه، وغير ذلك مما يستثير حالَ الشكر في قلبه. ومَن أراد أن يُحْيِيَ في قلبِهِ حالَ الخوف فعليه أن ينظر أولًا في ذنوبه، وينظر في الموت وسكراته، وعذاب القبر، ومُنكَرٍ ونكِيرٍ، وهول النداء يوم القيامة، ونفخة الصور، والمرور علىٰ الصراط، والحساب، وغير ذلك مما يستثير حالَ الخوف في قلبه.

وهكذا في كلِّ الأحوال التي يحتاج لها العبد في قلبه. وقال حاتمٌ الأصمُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من العِبرة (أي: الاعتبار) يزيد العلمُ، ومن الذِّكر يزيد الحبُّ، والتفكر يزيد الخوفَ.

وهذا هو طريق الفكر والتفكر الذي يكون بطلب العلم، ومجالسة العلماء، ومعرفة فضائل الأعمال وعقاب السيئات؛ لجلب أحوالٍ محبوبة والتنزُّه عن صفاتٍ مذمومة.

وأنفع ذلك هو قراءة القرآن بفِكرٍ وتدبُّرٍ وعناية؛ فإنه جامعٌ لكل الأحوال والمقامات،

وفيه شفاءٌ للعالمين؛ ففيه ما يُورث الخوفَ والرجاء، والصبرَ والشكر، والمحبة والشوق، وسائر الأحوال، وفيه أيضًا ما يَزْجر عن الصفات المذمومة؛ فينبغي للعبد أن يقرأه ويُردِّد الآيات التي تحتاج للتفكر مرةً تلو الأخرىٰ، ولو لعشرات المرات، فقراءةُ آيةٍ بتفكُّر وفهمٍ خيرٌ من ختمة بغير تدبُّر وفهم. ولو توقَّف كلٌّ منا متأملًا فيما يقرأ ولو لآية واحدة، متأملًا فيها ولو ليلةً كاملة لفُتحت له في كلِّ كلمة أسرارٌ لا تُحصىٰ، ولا يُفتح فيها علىٰ العبد إلا بدقيقِ الفِكر وصفاء القلب وصدق التعامل مع الله.

وعن محمد بن كَعْبٍ القُرَظيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: لَأَنْ أقرأَ في ليلتي حتىٰ أُصبح بـ«إذا زُلزلت» و«القارعة» لا أزيد عليهما، وأتردَّد فيهما (أي: أُكرِّرهما) وأتفكَّر، أحبُّ إليَّ من أن أَهُذَّ القرآنَ (أي: الهذ: القراءة السريعة) ليلتي هذًّا أو أنثره نثرًا (أي: أقرؤه علىٰ مهل). وكذلك مُطالعة أخبار النبيِّ الكريم ﷺ؛ فإنه قد أُوتي جوامعَ الكَلِم، وكلُّ كلمةٍ من كلماته بحرٌ من بحور الحكمة لا يكفي العمرُ لبلوغ أطرافه. فلا تغفل أيُّها العبد عن التفكُّر في نفسك، وفي صفاتك التي تُبعدك عن الله تعالىٰ، وفي أحوالك التي تُقرِّبك إليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وقال ابنُ عبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: التفكُّر في الخير يدعو إلىٰ العمل به، والندمُ علىٰ الشَّرِّ يدعو إلىٰ تَرْكه.

الصِّفاتُ المُهلِكةُ والصِّفاتُ المُنجِّيةُ:

ويا ليت لكلٍّ منا صحيفة يكتب فيها مجموعَ الصفات المهلكة والصفات المنجية، وجملةَ المعاصي والطاعات، ويعرض نفسَه كلَّ يومٍ عليها، وقد يكفيه عند النظر في الصفات **المهلكات** أن ينظرَ في عشر، فإن سلم منها سلم من غيرها، وهي: (البخل، والكِبر، والعُجب، والرياء، والحسد، وشدة الغضب، وشَرَه الطعام، وشره الوِقاع، وحب المال، وحب الجاه). وأما **المُنْجِيَات** العَشْر فهي: (النَّدَم علىٰ الذنوب، والصبر علىٰ البلاء، والرضا بالقضاء، والشُّكر علىٰ النَّعْماء، واعتدال الخوف والرجاء، والزُّهْد في الدنيا، والإخلاص في الأعمال، وحسن الخُلُق مع الخَلْق، وحب الله تعالىٰ، والخشوع له).

واعلم أن ذلك لا يتمُّ إلا بتوفيق الله تعالىٰ وعونه، ولو وَكَلك إلىٰ نفسك لم تقدر علىٰ

أن تمحوَ أقلَّ الرذائل، ولا أن تجلب أبسط الفضائل. وعلىٰ كلِّ عبدٍ أن يبدأ في تفقُّد أنواع المعاصي التي تغلب علىٰ مثل حاله، فلا يُفكِّر الأغنياءُ مثلًا في تجنُّب المعاصي التي تأتي من الفقر، ولا يتفكَّر الفقراء في معاصي الأموال والأملاك، وعلىٰ كلٍّ منا أن ينظرَ حالَه وظروفه والمعاصي التي من الممكن أن يقعَ فيها ولا ينشغل بغيرها.

واعلم أن التفكُّر في جلال الله وعظمته وكبريائه هو أعلىٰ مقامات الفكر والتفكر.

قال بشر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو تفكَّر الناسُ في عظمة الله ما عصَوُا الله عَزَّ وَجَلَّ. ولا تتعرَّض للتفكُّر في ذات الله سبحانه، فهذا مما لا تتحمَّله العقول، لكن فكِّر في مقام الله وأقداره وسُننه وعجائب صنعه وبدائع أمره في خلقه؛ لأنها تدلُّ علىٰ جلاله وكبريائه وقدسيته وعلوِّ شأنه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ. ويقول أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني لَأَخْرُج مِن منزلي فما يَقَع بَصَري علىٰ شيءٍ إلا رأيتُ لله فيه نعمةً ولي فيه عِبْرةً.

وإياك أن تكونَ غافلًا عن التفكر، مشغولًا ببطنك وفرجك، ولا تعرف من نفسك إلا أن تجوعَ فتأكل، وتشبع فتنام، وتشتهي فتُجامع، وتغضب فتُقاتل، فالبهائم كلُّها تُشاركك في كل ذلك. وإنما كرامة الإنسان وتميُّزه بمعرفته الله تعالىٰ بالنظر في ملكوت السموات والأرض وعجائب الآفاق والأنفس؛ حيث يدخل بها العبدُ في زمرة الملائكة المقربين، ويُحشَر مع النبيين والصديقين والمُقرَّبين من حضرة رب العالمين. وليست هذه المنزلة للبهائم، ولا لإنسانٍ رضي من الدنيا بشهوات البهائم؛ فإنه شرٌّ من البهائم بكثيرٍ، كما بيَّن القرآن الكريم ذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ١٧٩﴾ [الأعراف: ١٧٩]. قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن أصلَ الخير والشرِّ من قِبَل التفكُّر وأنفع الفكر ما كان في مصالح الآخرة وطرقِ الوصول إليها، وفي دَفْع المفاسد وفي طرق اجتنابها.

يقول لقمان الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن طولَ الوَحْدة أفهمُ للفكرة، وطول الفكر دليلٌ علىٰ طريق الجنة. ولما سُئلت أمُّ الدرداء: عن أفضلِ عِبادة أبي الدَّرداء قالت: التفكُّر والاعتبار. وقيل: إن الحَوَاريِّين قالوا لعيسىٰ ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: يا رُوحَ الله، هل علىٰ الأرض اليوم مثلك؟ قال: نعم، مَن كان منطقُه ذِكرًا، وصَمْتُه فكرًا، ونَظَرُه عِبْرةً، فإنه مثلي.

وقال أبو سليمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عَوِّدوا أَعْيُنَكم البكاءَ، وقلوبَكم التفكر. وقال أيضًا: الفِكْرُ في الدنيا حجابٌ عن الآخرة وعقوبةٌ لأهل الولاية، والفكر في الآخرة يُورِث الحكمة ويُحيي القلوبَ. وقال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن لم يكن كلامُه حكمةً فهو لَغْوٌ (أي: كلام لا نفع فيه)، ومَن لم يكن سكوتُه تفكُّرًا فهو سَهْوٌ، ومَن لم يكن نَظَرُه اعتبارًا فهو لَهْوٌ.

إن عبادةَ التفكُّر تُورث الحكمةَ، وتُحيي القلوبَ، وتشرح الصدور، وتُورث الاعتبار والخشيةَ من الله تعالىٰ.

* * *

١٠- بابٌ في المُبادَرةِ إلى الخَيْراتِ وحَثِّ مَن تَوَجَّه لِخَيرٍ على الإقبالِ عليه بالجِدِّ مِن غيرِ تَرَدُّدٍ

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ﴾ [البقرة: ١٤٨].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣]. وأما الأحاديث:

(٨٧/ ١٠) فالأول: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأعْمَالِ فِتَنًا (أي: أسرعوا إلىٰ إتيان الأعمال الصالحة قبل فِتَنٍ) كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِم، يُصْبِحُ الرَّجُلُ مُؤْمِنًا وَيُمْسِي كَافِرًا، وَيُمْسِي مُؤمِنًا ويُصبحُ كَافِرًا، يَبيعُ دِينَهُ بعَرَضٍ (أي: متاع دنيء) مِنَ الدُّنيا». رواه مسلم.

(٨٨/ ١٠) الثاني: عن أبي سِرْوَعَةَ -بكسر السين المهملة وفتحها- عُقبة بن الحارث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَلَّيتُ وَرَاءَ النَّبيِّ ﷺ بالمَدِينَةِ العَصْرَ، فَسَلَّمَ ثُمَّ قَامَ مُسْرِعًا، فَتَخَطَّىٰ رِقَابَ النَّاسِ إِلَىٰ بعْضِ حُجَرِ نِسَائِهِ، فَفزِعَ النَّاسُ مِنْ سُرعَتِهِ، فَخَرَجَ عَلَيهِمْ، فَرأىٰ أَنَّهمْ قَدْ عَجِبُوا مِنْ سُرعَتِهِ، قَالَ: «ذَكَرتُ شَيئًا مِن تِبْرٍ عِندَنَا، فَكَرِهتُ أنْ يَحْبِسَنِي فَأَمَرْتُ بِقِسْمَتِهِ». رواه البخاري.

وفي روايةٍ لَهُ: «كُنتُ خَلَّفْتُ في البَيْتِ تِبرًا مِنَ الصَّدَقةِ فَكَرِهتُ أنْ أُبَيِّتَهُ». «التِّبْرُ»: قِطَعُ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ.

(٨٩/ ١٠) الثالث: عن جابرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ يومَ أُحُد: أَرَأيتَ إنْ قُتِلتُ، فَأَيْنَ أَنَا؟ قَالَ: «فِي الْجَنَّةِ». فَأَلْقَىٰ تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ. متفق عليه.

(٩٠/ ١٠) الرابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فقَالَ: يَا رسولَ الله، أيُّ الصَّدَقةِ أعْظَمُ أجْرًا؟ قَالَ: «أَنْ تَصدَّقَ وَأَنتَ صَحِيحٌ شَحِيحٌ تَخْشَىٰ الْفَقْرَ وَتَأمُلُ الْغِنَىٰ (أي: تخشىٰ ضياع المال تحسبًا لطول العمر)، وَلَا تُمْهِلْ (أي: لا تُرْجِئ الصدقة وتؤخر أداءها) حَتَّىٰ إِذَا بَلَغتِ الحُلقُومَ قُلْتَ: لِفُلَانٍ كَذَا، ولِفُلَانٍ كَذَا، وقَدْ كَانَ لِفُلَانٍ». متفق عليه. (أي: قلت لفلان عليَّ صدقة، ولآخر صدقة، وقد أصبح المال لغيرك، أي للذي يرثك). «الْحُلقُومُ»: مَجرَىٰ النَّفَسِ. وَالْمَرِيءُ: مجرىٰ الطعامِ والشرابِ.

(٩١/ ١٠) الخامس: عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ سيفًا يومَ أُحُدٍ، فَقَالَ: «مَنْ يَأْخُذُ مِنِّي هَذَا؟». فَبسطُوا أيدِيَهُمْ، كُلُّ إنسانٍ مِنْهُمْ يقولُ: أَنَا، أَنَا. قَالَ: «فَمَنْ يَأْخُذُهُ بحقِّه؟». فَأَحْجَمَ القَومُ، فَقَالَ أَبُو دُجَانَةَ رضي الله عنه: أنا آخُذُهُ بِحَقِّهِ. فأخذه فَفَلَقَ بِهِ هَامَ الْمُشْرِكِينَ. رواه مسلم. اسم أبي دُجَانَةَ: سِمَاك بن خَرَشَةَ. قوله: «أَحْجَمَ القَومُ»؛ أي: توقفوا. و«فَلَقَ بِهِ»؛ أي: شقَّ. «هَامَ المُشرِكينَ»؛ أي: رُءوسَهم.

(٩٢/ ١٠) السادس: عن الزبير بن عَدِيٍّ، قَالَ: أتينا أنسَ بنِ مالك رضي الله عنه فشكونا إِلَيْهِ مَا نلقىٰ مِنَ الحَجَّاجِ. فَقَالَ: «اصْبِرُوا؛ فَإِنَّهُ لَا يَأْتِي زَمَانٌ إِلَّا وَالَّذِي بَعْدَهُ شَرٌّ مِنهُ حَتَّىٰ تَلقَوْا رَبَّكُمْ». سَمِعتُهُ مِنْ نَبِيِّكُمْ ﷺ. رواه البخاري.

(٩٣/ ١٠) السابع: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بادِرُوا بالأعْمَالِ سَبْعًا، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًىٰ مُطغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا (أي: الهرم: الكِبَر، والمراد: كبرًا في السن يُبلغه إلىٰ نقص العقل وسوء الفعل والخرف والهذيان)، أَوْ مَوتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ فالسَّاعَةُ أدهَىٰ وَأَمَرُّ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٩٤/ ١٠) الثامن: عَنْهُ: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ يومَ خيبر: «لَأُعْطِيَنَّ هَذِهِ الرَّايَةَ رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيهِ». قَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: مَا أحبَبْتُ الإمَارَةَ إِلَّا يومَئِذٍ، فَتَسَاوَرتُ لَهَا رَجَاءَ أَنْ أُدْعَىٰ لَهَا، فَدَعا رسولُ الله ﷺ عليَّ بن أبي طالب رضي الله عنه فَأَعْطَاهُ إيَّاهَا، وَقَالَ: «امْشِ وَلَا تَلْتَفِتْ حَتَّىٰ يَفْتَحَ اللهُ عَلَيْكَ». فَسَارَ عليٌّ شيئًا ثُمَّ وَقفَ ولم يلتفت، فصرخ: يَا رَسُولَ الله، عَلَىٰ ماذا أُقَاتِلُ النَّاسَ؟ قَالَ: «قَاتِلْهُمْ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فَإِذَا فَعَلُوا فَقَدْ مَنَعُوا مِنْكَ دِمَاءهُمْ وَأَموَالَهُم إِلَّا بِحَقِّهَا، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ». رواه مسلم. «فَتَسَاوَرْتُ»: هُوَ بالسين المهملة؛ أي: وثبت متطلعًا.

١١- بابٌ في المُجاهَدة

قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ جَٰهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ٨]؛ أي: انْقَطِعْ إِلَيْه.

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾﴾ [الزلزلة: ٧].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [المزمل: ٢٠].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:

(٩٥/ ١١) فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إنَّ الله تَعَالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تقرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتقرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوافِلِ حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ**». رواه البخاري. «آذَنْتُهُ»: أعلمته بأني محارِبٌ لَهُ. «اسْتَعَاذَنِي»: رُوي بالنون وبالباءِ.

(٩٦/ ١١) الثاني: عن أنس رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ فيما يرويه عن ربِّه عز وجل، قَالَ: «**إِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَيَّ شِبْرًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْه ذِرَاعًا، وَإِذَا تقرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنهُ بَاعًا، وَإِذَا أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً** (أي: مسرعًا)». رواه البخاري.

(٩٧/ ١١) الثالث: عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا** (أي: خاسر فيهما) **كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ، وَالفَرَاغُ**». رواه البخاري.

(٩٨/ ١١) الرابع: عن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ يقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ (أي: تتشقق) قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصنَعُ هَذَا يَا رسولَ الله وَقدْ غفرَ الله لَكَ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِك وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلا أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا**». متفق عليه، هذا لفظ البخاري. ونحوه في الصحيحين من رواية المغيرة بن شعبة.

(٩٩/ ١١) الخامس: عن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالَتْ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحيَا اللَّيلَ،

وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَر. متفق عليه. والمراد: العشر الأواخر مِنْ شهر رمضان. و«الْمِئْزَرُ»: الإزار، وَهُوَ كناية عن اعتزالِ النساءِ. وقيلَ: المُرادُ: تَشْمِيرُهُ لِلعِبادةِ؛ يُقالُ: شَدَدْتُ لِهَذَا الأمْرِ مِئْزَري، أي: تَشَمَّرْتُ وَتَفَرَّغْتُ لَهُ.

(١٠٠/ ١١) السادس: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنَ الْمُؤْمِنِ الضَّعيفِ، وَفِي كُلٍّ خَيرٌ، احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، واسْتَعِنْ بِاللهِ وَلَا تَعْجَزْ، وَإنْ أَصَابَكَ شَيءٌ فَلَا تَقُلْ: لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ: قَدَّرَ اللهُ، وَمَا شَاءَ فَعلَ؛ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيطَانِ». رواه مسلم.

(١٠١/ ١١) السابع: عَنْهُ رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «حُجِبَتِ (أي: أُحيطت) النَّارُ بالشَّهَواتِ، وَحُجِبَتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «حُفَّتْ» بدل «حُجِبَتْ»، وَهُوَ بمعناه، أي: بينه وبينها هَذَا الحجاب، فإذا فعله دخلها.

(١٠٢/ ١١) الثامن: عن أبي عبد الله حُذَيفَةَ بن اليمان رضي الله عنهما قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ ذَاتَ لَيلَةٍ فَافْتَتَحَ البَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَركَعُ عِنْدَ المائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي ركعَة، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا (أي: غير مستعجل)؛ إذَا مَرَّ بآيَةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ». ثُمَّ قَامَ طَويلًا قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى». فَكَانَ سُجُودُهُ قَريبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

(١٠٣/ ١١) التاسع: عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيلَةً، فَأَطَالَ القِيامَ حَتَّى هَمَمْتُ بأمْرِ سُوءٍ! قيل: وَمَا هَمَمْتَ بِهِ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أنْ أجْلِسَ وَأَدَعَهُ. متفق عليه.

(١٠٤/ ١١) العاشر: عن أنس رضي الله عنه: عن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَتْبَعُ الْمَيِّتَ ثَلَاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ، فَيَرْجِعُ اثْنَانِ وَيَبْقَى وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ، وَيَبْقَى عَمَلُهُ». متفق عليه.

(١٠٥/ ١١) الحادي عشر: عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «الْجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ (أي: سير النعل الذي يكون على ظهر الحذاء)، وَالنَّارُ مِثْلُ ذَلِكَ». رواه البخاري.

(١٠٦/ ١١) الثاني عشر: عن أبي فِراسٍ ربيعةَ بنِ كعبٍ الأسْلَمِيِّ خادِمِ رَسُول الله ﷺ، ومن أهلِ الصُّفَّةِ (أي: فقراء

المهاجرين ومن ليس له منزل، الذين يذهبون إلىٰ موضعٍ مُظلَّل بمسجد المدينة) ﵁ قَالَ: كُنْتُ أبيتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ فآتيهِ بِوَضُوئِهِ (أي: الماء الذي يتوضأ به) وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ: «سَلْنِي». فقُلْتُ: اسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ في الجَنَّةِ. فقَالَ: «أَوَغَيْرَ ذلِكَ؟» قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ. قَالَ: «فَأَعِنِّي عَلَىٰ نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ». رواه مسلم.

(١٠٧/ ١١) الثالث عشر: عن **أبي عبد الله**، ويقال: أَبُو عبد الرحمن ثوبان- مولىٰ رَسُول الله ﷺ- ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ؛ فَإنَّكَ لَنْ تَسْجُدَ للهِ سَجْدَةً إلَّا رَفَعَكَ اللهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنكَ بِهَا خَطِيئَةً**». رواه مسلم.

(١٠٨/ ١١) الرابع عشر: عن **أبي صَفْوَانَ عبد الله بن بُسْرٍ الأسْلَمِيِّ** ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**خَيرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «**بُسْر**»: بضم الباء وبالسين المهملة.

(١٠٩/ ١١) الخامس عشر: عن **أنس** ﵁ قَالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ ﵁ عن قِتالِ بدرٍ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قتالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهَدَنِي قِتَالَ المُشركِينَ لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ. فَلَمَّا كَانَ يَومُ أُحُدٍ انْكَشَفَ المُسْلِمونَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ- يعني: أصْحَابَهُ- وأبْرَأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هؤُلاءِ- يَعني: المُشركِينَ- ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ، فَقَالَ: يَا سعدَ بنَ مُعاذٍ، الجَنَّةُ وربِّ النَّضْرِ إنِّي أجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سعدٌ: فَمَا اسْتَطَعْتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا وَثَمانينَ ضَرْبَةً بالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ وَمَثَّلَ بِهِ المُشْرِكونَ، فما عَرَفهُ أَحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ (أي: إصبعه). قَالَ أنس: كُنَّا نَرَىٰ أَوْ نَظُنُّ أن هذِهِ الآيَة نزلت فِيهِ وفي أشباهه: ﴿مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾ إلىٰ آخرها [الأحزاب: ٢٣]. متفق عليه. قوله: «**لَيُرِيَنَّ اللهُ**»: رُوِيَ بضم الياء وكسر الراء؛ أي: لَيُظْهِرَنَّ اللهُ ذلِكَ للنَّاسِ، وَرُوِيَ بفتحهما ومعناه ظاهر. والله أعلم.

(١١٠/ ١١) السادس عشر: عن **أبي مسعود عُقْبَةَ بن عمرو الأنصاري البدري** ﵁ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ آيةُ الصَّدَقَةِ كُنَّا نُحَامِلُ عَلَىٰ ظُهُورِنَا، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيءٍ كَثيرٍ، فقالوا: مُرَاءٍ (أي: يفعل هذا نفاقًا ورياءً)، وَجَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ، فقالُوا: إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا! فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ﴾ [التوبة: ٧٩]. متفق عليه، هذا لفظ البخاري.

و«**نُحَامِلُ**»: بضمِّ النون وبالحاء المهملة؛ أي: يحمل أحدُنا عَلَىٰ ظهره بالأجرة ويتصدق بِهَا.

(١١١/ ١١) السابع عشر: عن سعيد بن عبد العزيز، عن رَبِيعَةَ بن يزيد، عن أَبي إدريس الخَوْلَانيِّ، عن أبي ذَرٍّ جُنْدُبِ بن جُنادةَ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ فيما يروي عن الله تَبارَكَ وتعالىٰ، أَنَّهُ قَالَ: «يَا عِبادي، إنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَىٰ نَفْسي وَجَعَلْتُهُ بيْنَكم مُحرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا. يَا عِبادي، كُلُّكُمْ ضَالٌّ إلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاستَهدُوني أهْدِكُمْ. يَا عِبادي، كُلُّكُمْ جَائِعٌ إلَّا مَنْ أطْعَمْتُهُ فَاستَطعِمُوني أُطعِمْكُمْ. يَا عِبادي، كُلُّكُمْ عَارٍ إلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فاسْتَكْسُونِي أكْسُكُمْ. يَا عِبادي، إنَّكُمْ تُخْطِئُونَ باللَّيلِ وَالنَّهارِ وَأنَا أغْفِرُ الذُّنُوبَ جَميعًا فَاسْتَغْفِرُوني أغْفِرْ لَكُمْ. يَا عِبادي، إنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغوا ضَرِّي فَتَضُرُّوني، وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفعِي فَتَنْفَعُوني. يَا عِبادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أتْقَىٰ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذلِكَ في مُلكي شيئًا. يَا عِبادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُّمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَىٰ أفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذلِكَ من مُلكي شيئًا. يَا عِبادي، لَوْ أنَّ أوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَألُوني فَأعْطَيتُ كُلَّ إنْسَانٍ مَسْألَتَهُ مَا نَقَصَ ذلِكَ مِمَّا عِنْدِي إلَّا كما يَنْقُصُ المِخْيَطُ (أي: الإبرة) إذَا أُدْخِلَ البَحْرَ. يَا عِبادي، إنَّمَا هِيَ أعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيرًا فَلْيَحْمَدِ الله وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إلَّا نَفْسَهُ».

قَالَ سعيد: كَانَ أَبُو إدريس إِذَا حَدَّثَ بهذا الحديث جَثا عَلَىٰ رُكبتيه (أي: جلس علىٰ ركبتيه). رواه مسلم.

ورُوِّينا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قَالَ: لَيْسَ لأهل الشام حديث أشرف من هَذَا الحديث.

❁ ❁ ❁

(المجــاهدة)

مجاهدة النفس: هي محاربة النفس الأَمَّارة بالسُّوء، وذلك بتحميلها ما يشقُّ عليها من أوامر الشرع الحنيف، وترك المنهيات، حيث يحمل نفسه علىٰ المشاقِّ البدنية ومخالفة الهوىٰ، فيبذل المستطاع في أمر المطاع وهو المولىٰ عز وجل. وعليه أيضًا أن يكفَّ نفسه عن رغبتها في الانشغال بغير الطاعة والعبادة.

قال الغزاليُّ رحمه الله: قد اتَّفق العلماءُ علىٰ أنه لا طريق إلىٰ سعادة الآخرة إلا بنَهْي النفس عن الهوىٰ ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجبٌ.

وقال ابن بَطَّال رحمه الله: جهادُ المرء نفسه هو الجهاد الأكبر، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَن

﴿خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]، فيمنع نفسَه عن المعاصي والشبهات، ويمنعها أيضًا عن الإكثار من الشهوات المباحة؛ لئلا يعتادَ ذلك، فقد يجرُّه إلىٰ الحرام.

قال أبو بكر رضي الله عنه في وصيَّته لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين استخلفه: إن أولَ ما أُحذِّرك نفسُك التي بين جَنْبَيك.

وقال سفيان الثَّوريُّ رحمه الله: ما عالجتُ شيئًا أشدَّ عليَّ من نفسي، مرةً لي ومرةً عليَّ.

أنواعُ النَّفْسِ:

النَّفْسُ الأَمَّارةُ: وهي النفس التي تميل إلىٰ لذَّات البدن والشهوات الحسية، فتجذب القلب بعيدًا عن الجهة العلوية وهي الروح إلىٰ الجهة السفلية وهي البدن؛ فهي مأوىٰ الشرور ومنبع الأخلاق الذميمة، وهي التي يجب مجاهدتُها.

والنَّفْسُ اللَّوَّامةُ: وهي النفس المتنورة بالإيمان، كلما صدرت منها سيئةٌ بحكم الجِبِلَّة والخلقة أخذت تلوم نفسها لترجع إلىٰ الحقِّ.

والنَّفْسُ المُطمَئِنَّةُ: وهي التي تمَّ لها الإيمانُ والنور الكامل، فتركت الصفاتِ الذميمةَ وتحلَّت بالأخلاق الحميدة، كنفوس الأنبياء والصِّدِّيقين.

مَرَاتِبُ جهادِ النَّفْسِ: قال ابنُ القيِّم رحمه الله: جهاد النفس علىٰ أربع مراتب:

الأولىٰ: مجاهدتها علىٰ تعلُّم الهدىٰ ودين الحق.

والثانية: مجاهدتها علىٰ العمل به (أي: بالهدىٰ ودين الحق) بعد علمه.

والثالثة: مجاهدتها علىٰ الدعوة إلىٰ الحقِّ.

والرابعة: مجاهدتها علىٰ الصبر علىٰ مشاقِّ الدعوة إلىٰ الله وأذىٰ الخلق، وليتحمَّل ذلك كلَّه لله. ثم قال: فإذا استكمل المسلمُ هذه المراتبَ الأربع صار من الرَّبَّانيين.

فإن السلف مجمعون علىٰ أن العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمَّىٰ رَبَّانيًّا حتىٰ يعرفَ الحقَّ ويعمل به ويُعلِّمه للناس، فمَن عَلِم وعَمِل وعلَّم فذاك يُدعىٰ عظيمًا في ملكوت السموات.

وذلك تحقيقًا لما جاء في سورة العصر كما اشتهر عن الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن قوله فيها: لو ما أنزل الله حُجَّة علىٰ خلقه إلا هذه السورة لَكَفَتْهم. أي: في بيان مراد الله الأعظم من الخلق.

قال عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: طوبىٰ لمن تَرَك شهوةً حاضرةً لِمَوْعودٍ غائبٍ لم يَرَه. وسأل أحدُهم عبدَ الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن الجهاد؟ فقال: ابدأ بنفسك فجاهدها، وابدأ بنفسك فاغزُها. وعن عَمَّار بن ياسرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ثلاثٌ مَن جمعهنَّ جمع الإيمان: الإنصاف من نفسه، والإنفاق من الإقتار(أي: الإنفاق رغم قلة المال)، وبذل السلام للعالِم (أي: السلام على العلماء). وقال إبراهيم بن علقمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لقومٍ جاءوا من الغزو: قد جئتم من الجهاد الأصغر، فما فعلتم في الجهاد الأكبر؟ قالوا: وما الجهادُ الأكبر؟ قال: جهاد القلب.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما الدابَّةُ الجموح (أي: الدابة التي تعصي أمر صاحبها) بأَحْوَجَ من اللِّجام الشديد من نَفْسِك.

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يُسيء الظنَّ بنفسه إلا مَن عرفها، ومَن أحسن الظنَّ بنفسه فهو من أجهل الناس بنفسه.

وقال الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن النفسَ عدوٌّ مُنازعٌ يجب علينا مجاهدتُها.

قال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١]. فالطريق إلىٰ الجنة خطوتان: واحدةٌ علىٰ النفس، والثانية إلىٰ الجنة.

مجاهدة الشيطان: يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦]. فهو العدوُّ المبين للإنسان، ومِن ثَمَّ وجبت مجاهدتُه تمهيدًا لمجاهدة النفس في الداخل ومجاهدة الكفر والنفاق في الخارج، وتعني هذه المجاهدة مقاومة ما يأتي به الشيطان مِن الشُّبُهات وما يُزيِّنه من الشهوات.

مراتب مجاهدة الشيطان: ولجهاد الشيطان - كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ - مرتبتان:

الأولىٰ: جهاده ومقاومته علىٰ دَفْع ما يُلقي إلىٰ العبد من الشُّبهات والشكوك في أسماء الله وصفاته وأقداره وأفعاله وعَدْله وحكمته ورحمته.

الثانية: جهاده علىٰ ما يُلقي إليه من الرغبات الفاسدة والشهوات الدنيئة، فإذا جاهده

علىٰ الشبهات رزقه اللهُ بعدها اليقين، وإذا قاوم شهواتِه رزقه الصبرَ؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤].

فبيَّن سبحانه وتعالي أن شَرَفَ وإمامةَ الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والرغبات والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوك والشبهات.

ولما كان لا يخلو قلبٌ من شهوةٍ وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلىٰ غير ذلك من صفات الشر المتشعبة عن الهوىٰ فلا جرم ألا يخلو قلب من أن يكون فيه جولان بالوسوسة. ويقول النبي ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أحدٍ إلَّا ولَه شَيطَانٌ». قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنَا. إلا أنَّ اللهَ أعانَنِي عَلَيه فأسلمَ فلا يأمُر إلا بخيرٍ» مسلم برقم (٦٩).

وهذا لأن الشيطان لا يتملك علىٰ الإنسان إلا إذا تصرف بمقتضىٰ الشهوة، فمن أعانه الله تعالىٰ علىٰ شهوته حتىٰ صارت لا تهيج إلا عند حد الاعتدال الذي ينبغي له فهنا شهوته لا تدعو إلىٰ الشر، فلا سبيل للشيطان عليه، فلا يأمر إلا بخير، فإذا غلب علىٰ القلب طلب الدنيا وذكرها وحب الهوىٰ، وجد الشيطان ميدانًا له، وإذا غلب علىٰ القلب حب الآخرة وذكر الله، ارتحل الشيطان وجاء الملك وألهم الإنسان الخيرَ، فالقلب الخالي من الهوىٰ لا يدخله الشيطان كالبيت الفارغ لا يدخله اللصوص، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

فمن اتبع الهوىٰ فقد عبد الهوىٰ وما عبد الله فلذلك سلط الله عليه الشيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ففيه إشارة إلىٰ أن الهوىٰ إلهه ومعبوده فهو عبد الهوىٰ لا عبد الله. لذلك قال عمرو بن العاص رضي الله عنه للنبي ﷺ: يا رسول الله، حال الشيطان بيني وبين صلاتي وقراءتي فقال: «ذلكَ شَيطانٌ يُقالُ له: خُنزب، فإذا أَحْسَستهُ فتعوَّذ بالله منهُ، واتْفُل علَىٰ يسارِكَ ثلاثًا» قال: ففعلت ذلك فأذهبه الله عني. [رواه مسلم].

ولا يعالج الشيء إلا بضده، فذكر الله هو السبيل لطرد وساوس الشيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، فهكذا التضاد بين النور والظلام والليل والنهار، قال الله سبحانه وتعالىٰ:

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩]، وأخبرنا القرآن عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ ﴿١٧﴾﴾ [الأعراف: ١٦، ١٧].

ولهذا فإن الوقوف علىٰ خدع النفس ومكايد الشيطان هو فرض عين علىٰ كل مُكَلَّف، وهو للأسف علم أهمله الناس. ولا ينجو العبد من كثرة الوساوس التي ترد علىٰ خاطره فتؤثر علىٰ حواسه الخمس، إلا بالمحافظة علىٰ تلك الحواس من الانغماس في الشهوات وعلائق الدنيا. وأما ما يأتي للإنسان من تصورات وتخيلات من باطنه فإنه لا يدفع ذلك إلا بذكر الله تعالىٰ، وهكذا الصراع بين الشيطان والإنسان بالمجاهدة إلىٰ الموت إذ لا يتخلص أحد من الشيطان ما دام حيًّا؛ فأبواب الشيطان مفتوحة إلىٰ قلب العبد لا تغلق وهي الشهوة والغضب والحسد والطمع والشره وغيره ولا يستطيع دفع الشيطان إلا بحراسة هذه الأبواب.

قال رجل للحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا سعيد، أينام الشيطان؟ فتبسم، وقال: لو نام لاسترحنا.

ومع ذلك قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: شيطان المؤمن مهزول.

وقال قيس بن الحجاج: قال لي شيطاني: دخلت فيك وأنا مثل الجَزور (أي: الجمل الكبير) وأنا الآن مثل العصفور. قلت: ولِمَ ذاك؟ قال: تذيبني بذكر الله تعالىٰ.

فحماية القلب عن وسواس الشيطان واجبة وهي فرض عين علىٰ كل عبد مكلف.

وما لا يُتوصل إلىٰ الواجب إلا به فهو أيضًا واجب، وذلك بمعرفة مداخل الشيطان، وهي أبواب كثيرة:

أعظم أبواب الشياطين:

١ - **الغضب والشهوة**: وروي أن بعض الأولياء قال لإبليس: أرني كيف تغلب ابن آدم؟ قال آخذه عند الغضب وعند الهوىٰ.

وظهر إبليس لراهب فقال له الراهب: أي أخلاق بني آدم أعون لك؟ قال: الحدة- أي: الغضب- فإن العبد إذا كان حديدًا قلَّبناه كما يقلب الصبيان الكرة.

وقيل: إن الشيطان يقول: كيف يغلبني ابن آدم (أي: يستنكر ذلك)؟ إذا رضي جئتُ حتىٰ أكون في قلبه، وإذا غضبَ طرتُ حتىٰ أكون في رأسه.

٢- **الحسد والحرص**: فحب الإنسان للشيء يُعمي ويُصِمُّ، فبالحسد صار إبليس لعينًا وشيطانًا رجيمًا، وبالحرص أُخرِج آدم من الجنة لأنه حرص علىٰ الشجرة الممنوع منها.

٣- **الشِّبَع من الطعام وإن كان حلالًا صافيًا**: ذلك أن الشبع يُقوِّي الشهواتِ، وهي أسلحة إبليس. وفي كثرة الأكل ستُّ خصالٍ مذمومة: أن يذهب خوف الله من قلبه، وأن تذهب رحمة الخلق من قلبه؛ لأنه يظن أنهم كلهم شباع، وأنه يغفل عن الطاعة، وأنه إذا سمع كلام الحكمة لا يجد له تأثرًا، وأنه إذا تكلم بالموعظة والحكمة لا يقع في قلوب الناس، وأنه يُهيِّج فيه الأمراض.

٤- **حب التزين من الأثاث والثياب والدار**: حيث يجره الشيطان إلىٰ أن يُسخِّر نفسَه طول عُمُرِه في التزيُّن، إما في الدار وإما في الثياب وإما في الأثاث، فلا يزال يتنقل من شيءٍ لآخر حتىٰ يُساقَ لأَجَلِه كما قال النبيُّ ﷺ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ، وَالخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**». [رواه البخاري برقم (٢٨٨٦)]. فيُخشَىٰ من ذلك سوء العاقبة.

٥- **الطمع في الناس**: فمن طمع في دنيا الناس بالمبالغة تزين لهم وتصنع مرائيًا حتىٰ صار كأنه عبدٌ للناس، فيتودد ويتحبب للناس، فيداهن ويُرائي، وقد يترك في ذلك الأمرَ بالمعروف والنهيَ عن المنكر حتىٰ لا يغضب الناس منه.

وروىٰ صفوان بن سليم: أن إبليس تمثل لعبد الله بن حنظلة فقال له: يا ابن حنظلة، احفظ عني شيئًا أعلمك به. فقال: لا حاجة لي به. فقال: انظر، فإن كان خيرًا أخذتَ، وإن كان شرًّا رددتَ. يا ابن حنظلة، لا تسأل أحدًا غيرَ الله سؤالَ رغبةٍ (أي: بذلة ومسكنة)، وانظر كيف تكون إذا غضبتَ فإني أملكك إذا غضبت.

٦- العجلة وترك التثبت في الأمور: قال النبي ﷺ: «العجلة من الشيطان والتأني من الله تعالىٰ». أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده برقم (٤٢٥٦)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١٧٩٥). وقال الله تعالىٰ: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧]. وقال تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ [الإسراء: ١١]. حتىٰ إنه قال للنبيِّ ﷺ: ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤].

ذلك لأن الأعمال يجب أن تكون بعد التبصر في العواقب والتأمل فيها والتعجل يمنع ذلك. وقد قال الشيطان لأعوانه: ائتوا بني آدم من قبل العجلة والخفة.

٧- الدراهم والدنانير وسائر الأموال: قال الله تعالىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ﴾ [آل عمران: ١٤]. ذلك أنه لما بعث الله نبيه محمدًا ﷺ وقال أعوان إبليس له: ما صحبنا قومًا قط مثل هؤلاء نصيب منهم ثم يقومون إلىٰ صلاتهم فيمحىٰ ذلك- قال لهم إبليس: رويدًا بهم عسىٰ الله أن يفتح لهم الدنيا فنصيب منهم حاجتنا.

ولهذا قال رسول الله ﷺ محذرًا: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوالله مَا الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ». فما زاد علىٰ قدر الحاجة وهو أمر نسبي فهو المستهدف للشيطان. متفق عليه: البخاري برقم (٤٠١٥)، ومسلم برقم (٢٩٦١).

٨- البخل وخوف الفقر: فالبخل وخوف الفقر يمنعان ابن آدم الإنفاق ويدعوانه للكَنْزِ وعذابه معلوم، ويقول الشيطان: ما غلبني ابن آدم فلن يغلبني علىٰ ثلاث: أن آمره أن يأخذ المال من غير حقه، وإنفاقه في غير حقه، ومنعه من حقه.

وقال سفيان رَحِمَهُ اللهُ: ليس للشيطان سلاح مثل خوف الفقر، فإذا قُبِل ذلك منه أخذ في الباطل، ومنع من الحق، وتكلم بالهوىٰ وظن بربه السوء.

ومن مصائب ذلك ملازمة الأسواق لجمع المال فهي مجالس الشيطان.

٩- **التعصب للأهواء والآراء والمذاهب والحقد علىٰ الخصوم والنظر إليهم بعين الازدراء والاستحقار**: وهذه صفة شيطانية، فترىٰ الناس يتعصبون لآرائهم أو مذاهبهم فيخرجهم ذلك عن حد الاعتدال وترىٰ الفساق يعيثون في الأرض الفساد ويقولون: نحن نحب فلانًا وفلانًا من الصالحين، ويخيل إليهم أنهم إذا ماتوا محبين للصحابة أبي بكر وعمر وعلي بالذات، فإن ذلك شفيع لهم بدون أعمال صالحة، وذلك كمن أخذ يضرب ابنًا عزيزًا علىٰ أبيه وأمه ويمزقه وينتف شعره ويقطعه ويدَّعىٰ حب أبيه وأمه وولاءه لهما وهاهو النبي ﷺ يقول لفاطمة وهي بضعة منه: «**اعملي؛ فإني لا أُغْنِي عنكِ من الله شيئًا**». البزار في مسنده برقم (٢٩١٩)، والشجري في الأمالي الخميسية برقم (١٤٧٨). وهذا مما يحدث في التعصب للمذاهب حتىٰ إنه يشغل الإنسان عن تزكية وصلاح نفسه بالاختلافات الواقعة بين الناس.

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جلس قوم يذكرون الله، فأتاهم الشيطان ليفرقهم فما استطاع، فأتىٰ رفقة (أي: مجموعة) من الناس يتحدثون في الدنيا فأفسد بينهم، فقاموا يقتتلون فقام الذين يذكرون الله ليفصلوا بينهم، وهذا هو مراد إبليس.

١٠- **حمل العوام علىٰ التفكر في ذات الله وصفاته وليسوا بأهل علم**، وذلك حتىٰ يُشككهم في الدين أو يُوقعهم في خيالات يصيرون بها كفارًا دون أن يدروا ظانين أنها المعرفة والبصيرة. قال النبي ﷺ: «**إن الشيطان يأتي أحدكم فيقول: من خلقك؟ فيقول: الله تبارك وتعالىٰ. فيقول: من خلق الله؟ فإذا وجد أحدكم ذلك فليقل: آمنت بالله ورسوله، فإن ذلك يذهب عنه**». مسلم برقم (٢١٢).

لهذا قال العلماء: إن العوام عليهم أن يؤمنوا ويُسلِموا ويشتغلوا بالعبادات والمعايش ويتركوا هذا العلم للعلماء فإن من تكلم في هذا بغير علم قد يقع في الكفر من حيث لا يدري.

١١- **سوء الظن بالمسلمين**: إن سوء الظن يبعث علىٰ الحكم بالشر علىٰ الآخرين فيجرُّه ذلك إلىٰ الغِيبة أو التقصير في حقه أو النظر له بالاحتقار، وكل ذلك من المهلكات،

قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم». [متفق عليه: البخاري برقم (٢٠٣٨)، ومسلم برقم (٢٣)]. فمهما يكن الإنسان ورعًا لا ينظر الناس إليه بعين الرضا فقط.

قال يحيى بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعداءُ الإنسان ثلاثةٌ: دنياه، وشيطانه، ونفسه؛ فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

* * *

١٢- بابُ الحثِّ على الازديادِ منَ الخيرِ في أواخرِ العُمُرِ

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾﴾ [فاطر: ٣٧].

قَالَ ابن عباس والمُحَقِّقُونَ: معناه أَولَمْ نُعَمِّرْكُمْ سِتِّينَ سَنَةً؟ وَيُؤَيِّدُهُ الحديث الَّذِي سنذْكُرُهُ إنْ شاء الله تعَالَىٰ. وقيل: معناه ثماني عَشْرَةَ سَنَةً، وقيل: أرْبَعينَ سَنَةً، قاله الحسن والكلبي ومسروق، ونُقِلَ عن ابن عباس أيضًا. وَنَقَلُوا أنَّ أَهْلَ المدينَةِ كانوا إِذَا بَلَغَ أَحَدُهُمْ أرْبَعينَ سَنَةً تَفَرَّغَ للعِبادَةِ، وقيل: هُوَ البُلُوغُ.

وقوله تَعَالَىٰ: ﴿وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر: ٣٧]، قَالَ ابن عباس والجمهور: هُوَ النَّبيُّ ﷺ، وقيل: الشَّيبُ، قاله عِكْرِمَةُ وابن عُيَيْنَةَ وغيرهما. والله أعلم.

وأما الأحاديث:

(١١٢/ ١٢) فالأول: عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أعْذَرَ الله إلَىٰ امْرِئٍ أخَّرَ أجَلَهُ حَتَّىٰ بَلَغَ سِتِّينَ سَنَةً». رواه البخاري.

قَالَ العلماء: معناه لَمْ يَتْرُكْ لَهُ عُذرًا إذْ أمْهَلَهُ هذِهِ المُدَّةَ. يقال: أعْذَرَ الرجُلُ إِذَا بَلَغَ الغايَةَ في العُذْرِ.

(١١٣/ ١٢) الثاني: عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يُدْخِلُنِي مَعَ أشْيَاخ بَدرٍ، فكأنَّ بَعْضَهُمْ وَجَدَ (أي: حزن وغضب) في نفسِهِ، فَقَالَ: لِمَ يَدْخُلُ هَذَا معنا ولَنَا أبْنَاءٌ مِثْلُهُ؟! فَقَالَ عُمَرُ: إنَّهُ مَنْ حَيثُ عَلِمْتُمْ! فَدعاني ذاتَ يَوم فَأدْخَلَنِي مَعَهُمْ فما رَأيتُ أنَّهُ دعاني يومَئذٍ إلَّا لِيُرِيَهُمْ، قَالَ: مَا تقُولُونَ في قولِ الله تعالىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ

﴿وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١]؟ فقال بعضهم: أُمِرْنا أن نَحمَدَ اللهَ ونَستَغفِرَهُ إذا نَصرَنا وَفتح علَيْنا، وَسكت بَعْضُهُمْ فَلَمْ يَقُلْ شَيئًا. فقَالَ لي: أكَذلِكَ تقول يا ابنَ عباسٍ؟ فقلت: لا. قالَ: فما تقول؟ قُلْتُ: هوَ أجَلُ رَسُولِ الله ﷺ أعلَمَهُ لَهُ، قالَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١] وذلك علامةُ أجَلِكَ ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣]. فقَالَ عمر رضي الله عنه: مَا أعلم مِنْهَا إلَّا مَا تقول. رواه البخاري.

(١١٤/ ١٢) الثالث: عن **عائشة** رضي الله عنها قالَتْ: مَا صلَّى رَسُول الله ﷺ صلاةً بعدَ أنْ نزَلت عَلَيهِ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ [النصر: ١] إلَّا يقول فِيهَا: «**سُبحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي**». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عنها: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكْثِرُ أنْ يقُولَ في ركُوعِهِ وسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحمدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»، يَتأَوَّلُ القُرآنَ.

معنىٰ: «يَتأَوَّلُ القُرآنَ» أي: يعمل ما أمر به في القرآن في قوله تعالىٰ: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ٣].

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُكثِرُ أنْ يَقُولَ قَبلَ أنْ يَمُوتَ: «**سُبحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحمدِكَ أَسْتَغفِرُكَ وَأتُوبُ إلَيْكَ**». قَالَتْ عائشة: قُلْتُ: يَا رَسُول الله، مَا هذِهِ الكَلِماتُ الَّتي أرَاكَ أحْدَثْتَها تَقُولُها؟ قَالَ: «**جُعِلَتْ لي عَلامَةٌ في أُمَّتي إذَا رَأيْتُها قُلْتُها**: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١﴾ ...» إلىٰ آخر السورة.

وفي رواية لَهُ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُكثِرُ مِنْ قَولِ: «**سبحَانَ الله وَبِحَمدِهِ أَسْتَغفِرُ اللهَ وأتُوبُ إليْهِ**». قالت: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أرَاكَ تُكثِرُ مِنْ قَولِ سُبحَانَ الله وَبِحَمدِهِ أسْتَغْفِرُ اللهَ وأتُوبُ إلَيهِ؟ فقَالَ: «**أخْبَرَني رَبِّي أنِّي سَأرَىٰ عَلامَةً في أُمَّتي، فإذَا رَأيْتُهَا أكْثَرْتُ مِنْ قَوْلِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ أَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إلَيهِ، فَقَدْ رَأَيْتُهَا**: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ [النصر: ١ - ٣]».

(١١٥/ ١٢) الرابع: عن **أنس** رضي الله عنه قَالَ: إنَّ اللهَ عز وجل تابعَ الوَحي (أي: أنزله كثيرًا) عَلىٰ رسولِ الله ﷺ قَبلَ وَفَاتِهِ حَتَّىٰ تُوُفِّيَ أكْثَرَ مَا كانَ الوَحيُ. متفق عليه.

(١١٦/ ١٢) الخامس: عن **جابر** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**يُبْعَثُ كُلُّ عَبدٍ عَلىٰ مَا مَاتَ عَلَيهِ**». رواه مسلم.

١٣- بابٌ في بيانِ كَثْرةِ طُرُقِ الخير

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ٢١٥﴾ [البقرة: ٢١٥].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ٧﴾ [الزلزلة: ٧].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [الجاثية: ١٥].

والآيات في الباب كثيرة.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًّا، وهي غيرُ منحصرةٍ، فنذكُرُ طرفًا مِنْهَا:

(١١٧/ ١٣) الأول: عن أبي ذرٍّ جُنْدُب بن جُنادَةَ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعمالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بالله، وَالْجِهَادُ فِي سَبيلِهِ». قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا (أي: أفضلها) عِنْدَ أَهْلِهَا وَأَكْثَرُهَا ثَمَنًا». قُلْتُ: فإنْ لَمْ أفْعَلْ؟ قَالَ: «تُعِينُ صَانِعًا، أَوْ تَصْنَعُ لِأَخْرَقَ». قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أرأَيْتَ إنْ ضَعُفْتُ عَنْ بَعْضِ العَمَلِ؟ قَالَ: «تَكُفُّ شَرَّكَ عَنِ النَّاسِ؛ فإنَّهَا صَدَقَةٌ مِنْكَ عَلَىٰ نَفْسِكَ». متفق عليه.

«الصَّانِعُ» بالصاد المهملة هَذَا هُوَ المشهور، ورُوي «ضَائِعًا» بالمعجمة؛ أي: ذا ضَياع مِنْ فقرٍ أَوْ عيالٍ ونحوَ ذلِكَ. «وَالأخْرَقُ»: الذي لا يُتقن ما يحاول فعله.

(١١٨/ ١٣) الثاني: عن أبي ذَرٍّ أيضًا رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «يُصْبحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلامَىٰ مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأمْرٌ بالمعرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئُ مِنْ ذلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ». رواه مسلم. «السُّلامَىٰ»: بضم السين المهملة وتخفيف اللام وفتح الميم: المَفْصِل.

(١١٩/ ١٣) الثالث: عَنْهُ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ أعْمَالُ أُمَّتِي حَسَنُهَا وَسَيِّئُهَا فَوَجَدْتُ فِي مَحَاسِنِ أعْمَالِهَا الأذَىٰ يُمَاطُ (أي: يُزال) عَنِ الطَّرِيقِ، وَوَجَدْتُ فِي مَسَاوِئِ أَعْمَالِهَا النُّخَاعَةَ (أي: النخاعة: ما يخرجه الإنسان من حلقه من البلغم) تَكُونُ فِي المَسْجِدِ لَا تُدْفَنُ». رواه مسلم.

(١٢٠/ ١٣) الرابع: عنه رضي الله عنه: أنَّ ناسًا قالوا: يَا رَسُولَ الله، ذَهَبَ أهلُ الدُّثُور (أي: أصحاب

(الأموال) بالأُجُور، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَدَّقُونَ بِهِ: إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً، وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً، وَأَمْرٌ بِالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ (أي: معاشرة أحدكم زوجته) صَدَقَةٌ». قالوا: يَا رسول الله، أيأتي أَحدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرامٍ أَكَانَ عَلَيهِ وِزرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الحَلالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ». رواه مسلم. «الدُّثُورُ»: بالثاء المثلثة الأموال، وَاحِدُهَا «دَثْرٌ».

(١٢١/ ١٣) الخامس: عَنْهُ قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيئًا وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلِيقٍ». رواه مسلم.

(١٢٢/ ١٣) السادس: عَنْ أَبِي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «كُلُّ سُلَامَىٰ (أي: مفصل) مِنَ النَّاسِ عَلَيهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يوم تَطلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَينَ الاثْنَينِ صَدَقَةٌ، وتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ، فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وبكلِّ خطوَةٍ تَمشِيهَا إِلَىٰ الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضًا مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّهُ خُلِقَ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْ بَنِي آدَمَ عَلَىٰ سِتِّينَ وثَلاثِمِائَةِ مفصلٍ، فَمَنْ كَبَّرَ اللهَ، وحَمِدَ اللهَ، وَهَلَّلَ اللهَ، وَسَبَّحَ اللهَ، وَاسْتَغْفَرَ اللهَ، وَعَزَلَ حَجَرًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ شَوْكَةً، أَوْ عَظمًا عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ، أَوْ أَمَرَ بِمَعْرُوفٍ، أَوْ نَهَىٰ عَنْ مُنْكَرٍ، عَدَدَ السِّتِّينَ والثَّلاثِمِائَةِ، فَإِنَّهُ يُمْسِي يَومَئِذٍ وقَدْ زَحْزَحَ نَفْسَهُ عَنِ النَّارِ».

(١٢٣/ ١٣) السَّابِعُ: عَنْهُ: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا (أي: ذهب) إِلَىٰ الْمَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». متفق عليه. «النُّزُلُ»: القُوتُ والرِّزْقُ وَمَا يُهيأُ لِلضَّيْفِ.

(١٢٤/ ١٣) الثامن: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا نِسَاءَ الْمُسْلِمَاتِ، لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ». متفق عليه. قَالَ الجوهريُّ: الْفِرْسِنُ مِنَ البَعِيرِ كالحَافِرِ مِنَ الدَّابَةِ. قَالَ: وَرُبَّمَا اسْتُعِيرَ في الشَّاةِ.

(١٢٥/ ١٣) التاسع: عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبعُونَ- أَو بِضعٌ وسِتُّونَ- شُعْبَةً: فَأَفْضَلُهَا قَولُ: لَا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، والحياءُ شُعبَةٌ مِنَ

الإِيمَانِ». متفق عليه. «**البِضْعُ**»: مِنْ ثَلاثَةٍ إِلَىٰ تِسْعَةٍ بِكَسْرِ البَاءِ، وَقَدْ تُفْتَحُ. و«**الشُّعْبَةُ**»: القِطْعَةُ.

(١٢٦/ ١٣) العاشر: عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**بَينما رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيه العَطَشُ، فَوَجَدَ بِئرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشرب، ثُمَّ خَرَجَ فإذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يأكُلُ الثَّرَىٰ** (أي: التراب) **مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الكَلْبُ مِنَ العَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ قَدْ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ البِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّىٰ رَقِيَ، فَسَقَىٰ الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغفرَ لَهُ**». قالوا: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لَنَا فِي البَهَائِمِ أَجرًا؟ فقَالَ: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**». متفق عليه.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: «**فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغفَرَ لَهُ، فأدْخَلَهُ الجَنَّةَ**».

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا: «**بَيْنَما كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ قَدْ كَادَ يقتلُهُ العَطَشُ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ** (أي: فاجرة زانية) **مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقها فَاسْتَقَتْ لَهُ بِهِ فَسقَتْهُ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**».

«**المُوقُ**»: الخُفُّ. و«**يُطِيفُ**»: يدورُ حَوْلَ. «**رَكِيَّةٍ**»: وَهِيَ البِئْرُ.

(١٢٧/ ١٣) الحادي عشر: عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَقَدْ رَأيت رَجُلًا يَتَقَلَّبُ** (أي: ينعم ويذهب حيث يشاء) **فِي الجَنَّةِ فِي شَجَرَةٍ قَطَعَهَا مِنْ ظَهْرِ الطَّرِيقِ كَانَتْ تُؤذِي المُسْلِمِينَ**». رواه مسلم.

وَفِي رِوَايَةٍ: «**مَرَّ رَجُلٌ بِغُصْنِ شَجَرَةٍ عَلَىٰ ظَهرِ طَرِيقٍ، فَقَالَ: وَالله لأُنَحِّيَنَّ** (أي: أبعده عن طريقهم) **هَذَا عَنِ المُسْلِمينَ لا يُؤذِيهِمْ. فَأُدْخِلَ الجَنَّةَ**».

وفي رواية لهما: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشي بِطَرِيقٍ وَجَدَ غُصْنَ شَوكٍ عَلَىٰ الطَّرِيقِ فَأَخَّرَهُ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**».

(١٢٨/ ١٣) الثاني عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ أَتَىٰ الجُمعَةَ فَاسْتَمَعَ وَأَنْصتَ غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَا فَقَدْ لَغَا**». رواه مسلم.

(١٢٩/ ١٣) الثالث عشر: عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَوضَّأَ العبد المُسْلِمُ، أَو المُؤمِنُ فَغَسَلَ وَجْهَهُ خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَينيهِ مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيه كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلَاهُ مَعَ المَاءِ أَو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ**». رواه مسلم.

(١٣٠/ ١٣) الرابع عشر: عَنْهُ: عَنْ رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَىٰ رَمَضَانَ مُكَفِّرَاتٌ لِـمَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ». رواه مسلم.

(١٣١/ ١٣) الخامس عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قَالُوا: بَلَىٰ يَا رسولَ الله. قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ عَلَىٰ المَكَارِهِ (أي: إسباغ الوضوء: إتمامه، والمكاره تكون بشدة البرد وألم الجسم ونحو ذلك)، وَكَثْرَةُ الخُطَىٰ إِلَىٰ الـمَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ (أي: الرباط المُرغَّب فيه، والرباط حَبْس النفس علىٰ الطاعات المشروعات)». رواه مسلم.

(١٣٢/ ١٣) السادس عشر: عَنْ أَبِي مُوسَىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ». متفق عليه. «البَرْدَانِ»: الصُّبحُ والعَصْرُ.

(١٣٣/ ١٣) السابع عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا». رواه البخاري.

(١٣٤/ ١٣) الثامن عشر: عن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ». رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية حُذَيفة رضي الله عنه.

(١٣٥/ ١٣) التاسع عشر: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا إِلَّا كَانَ مَا أُكِلَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَمَا سُرِقَ مِنْهُ لَهُ صَدَقَةً، وَلَا يَرْزَؤُهُ أَحَدٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «فَلَا يَغْرِسُ المُسْلِمُ غَرْسًا فَيَأْكُلَ مِنْهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا طَيْرٌ إِلَّا كَانَ لَهُ صَدَقَةً إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ».

وفي روايةٍ لَهُ: «لَا يَغْرِسُ مُسْلِمٌ غرسًا، وَلَا يَزرَعُ زرعًا، فَيَأْكُلَ مِنهُ إِنْسَانٌ وَلَا دَابَّةٌ وَلَا شَيءٌ، إِلَّا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةً». وروياه جميعًا من رواية أنس رضي الله عنه. قوله: «يَرْزَؤُهُ» أي: ينقصه.

(١٣٦/ ١٣) العشرون: عَنْهُ قَالَ: أراد بنو سَلِمَةَ أن يَنتقِلوا قرب المسجِد، فبلغ ذلِكَ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ لهم: «إِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» فقالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ الله قَدْ أَرَدْنَا ذلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ، دِيَارَكُمْ، تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «إِنَّ بِكُلِّ خَطْوَةٍ دَرَجَةً». رواه مسلم، رواه البخاري أيضًا بمعناه من رواية أنس رضي الله عنه.

و«بَنُو سَلِمَةَ» بكسر اللام: قبيلة معروفة مِنَ الأنصار رضي الله عنهم. و«آثَارُهُمْ»: خطاهُم.

(١٣٧/ ١٣) الحادي والعشرون: عن أبي المنذر أُبيِّ بن كعب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ لا أعْلَمُ رَجلًا أبْعَد مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وكَانَ لَا تُخطِئُهُ صَلاةٌ، فَقِيلَ لَهُ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ: لَوِ اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ في الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ؟ فَقَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلي إِلَىٰ جَنْبِ المَسْجِدِ؛ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَىٰ المَسْجِدِ وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

وفي رواية: «إِنَّ لَكَ مَا احْتَسَبْتَ». «الرَّمْضَاءُ»: الأرْضُ الَّتي أصابها الحرُّ الشَّدِيدُ.

(١٣٨/ ١٣) الثاني والعشرون: عن أبي محمد عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أَعْلَاهَا مَنِيحَةُ الْعَنْزِ، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الجَنَّةَ». رواه البخاري.

«المَنِيحَةُ»: أَنْ يُعْطِيَهُ إِيَّاهَا لِيَأْكُلَ لَبَنَهَا ثُمَّ يَرُدَّهَا إِلَيْهِ.

(١٣٩/ ١٣) الثالث والعشرون: عن عَدِي بن حَاتِمٍ رضي الله عنه قَالَ: سمعت النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم يقول: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ (أي: نصف) تَمْرَةٍ». متفق عليه.

وفي رواية لهما عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ (أي: واسطة أو مترجم)، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَو بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ».

(١٤٠/ ١٣) الرابع والعشرون: عن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم.

و«الأَكْلَةُ» بفتح الهمزة، وَهِيَ: الغَدْوَةُ أو العَشْوَةُ.

(١٤١/ ١٣) الخامس والعشرون: عن أبي موسىٰ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ صَدَقَةٌ». قَالَ: أرأيتَ إنْ لَمْ يَجِدْ؟ قَالَ: «يَعْمَلُ بِيَدَيْهِ فَيَنْفَعُ نَفْسَهُ وَيَتَصَدَّقُ». قَالَ: أرأيتَ إن لَمْ يَسْتَطِعْ؟ قَالَ: «يُعِينُ ذَا الحَاجَةِ المَلْهُوفَ». قَالَ: أرأيت إنْ لَمْ يَسْتَطِعْ، قَالَ: «يَأْمُرُ بِالمعْرُوفِ أَوِ الخَيْرِ». قَالَ: أرأيت إنْ لَمْ يَفْعَلْ؟ قَالَ: «يُمْسِكُ عَنِ الشَّرِّ، فَإِنَّهَا صَدَقَةٌ». متفق عليه.

* * *

(كَثْرةُ طُرُقِ الخيرِ)

ذَكَر ابنُ عبد البَرِّ في كتابه «التمهيد»: كَتَبَ العُمَريُّ العابدُ إلىٰ الإمام مالك رسالةً يحضُّه فيها علىٰ الانفراد والعمل واعتزال الناس، وألا ينشغل بتعليمهم ودعوتهم (أي: العزلة عن الناس ظنًّا منه أنه أفضل وأخلص لله)، فردَّ عليه الإمامُ مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الله تعالىٰ قَسَّم الأعمال كما قسَّم الأرزاق، فرُبَّ رجلٍ فُتِح له في الصلاة (أي: في صلاة النوافل وقيام الليل) ولم يُفتح له في الصوم، وآخر فُتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فُتح له في الجهاد ولم يُفتَح له في الصلاة. ونَشْرُ العلم وتعليمُه من أشرف أعمال البر، وقد رَضِيتُ بما فتح الله عَزَّ وَجَلَّ عليَّ فيه من ذلك، وما أظنُّ ما أنا فيه بدونٍ (أي: بأقلَّ) مما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا علىٰ خيرٍ وبِرٍّ، ويجب علىٰ كلٍّ منا أن يرضىٰ بما قُسِم له، والسلام.

إن الاختلافَ الفطريَّ في البشر وكذلك التباين في التكوين النفسي والميول والأمزجة والطبائع أمر طبيعي في الناس، ولكلٍّ حقُّه في هذا التنوع.

فهناك من يُفضِّل المخالطة مع الناس والاجتماع إليهم والتحبُّب لهم، ويرىٰ الآخر تفضيلَ العزلة والانفراد.

وبعضهم يميل إلىٰ التواضع والسوء في الهيئة والحال، من المسكن والملبس والمطعم، ويميل غيرُه إلىٰ حبِّ التجمُّل والتزيُّن في حدود ما أحلَّ الله تعالىٰ.

وتجد البعض يميل إلىٰ الورع والحيطة في أمره. ويتجه الآخر إلىٰ التوسعة علىٰ الناس، ويأخذ في اعتباره الأعذارَ والحاجة والضرورة.

وهكذا يكون الناس، فمنهم الأصحاب الكرام، والتابعون، والأئمة، وقادة الناس وعوامُّهم.

وكان عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول: ما يسرُّني أن أصحابَ محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يختلفوا؛ لأنهم لو لم يختلفوا لم تكن رخصةٌ (أي: لم تكن هناك الرخص الشرعية في العبادات والمعاملات).

وقد طلب أبو جعفر المنصور رَحِمَهُ اللَّهُ من الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ اعتمادَ مذهبه فقط وتعميمه في كل أمصار الدولة العباسية وتَرْك ما سواه من المذاهب، فطلب منه الإمامُ مالكٌ ألا

يفعل ذلك قائلًا: إن الناسَ سيقت إليهم أقاويلُ وسمعوا أحاديثَ ورُوُّوا رواياتٍ، فدَعِ الناسَ وما هم عليه وما اختار أهلُ بلدٍ منهم لأنفسهم.

إن الاختلافَ والتنوعَ أمرٌ حتميٌّ لا سبيل إلىٰ تجاوزه أو إلغائه، مع الاتفاق علىٰ الحبِّ والمودة؛ فإن الاختلافَ في الرأي لا يُفسد للوُدِّ قضيةً.

فكان أبو حنيفة رَحِمَهُ ٱللَّهُ أميلَ إلىٰ الفقه، وكان أحمدُ بن حنبل أميل إلىٰ الحديث، ومالك والشافعي رحمهما الله- وإن كانا معدودين في مدرسة الحديث- فإن لهما بصرًا ونظرًا في الفقه قلَّ نظيرُه. وكان الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقول: طَلَبُ العلمِ أفضلُ من صلاة النافلة.

إن كَثْرة طرق الخير وتعدُّد أنواع الطاعات بحسب الطبع وبحسب الأماكن والظروف لهو سمة هذا الشرع الحنيف. فمن أراد حَمْلَ الناس علىٰ طريق واحدٍ من نوع الطاعات فيه عُسْر ومَشَقَّة قد غفل عن تفاوت طبائع الناس واختلاف ظروفهم وإمكاناتهم.

فكان الإمامُ أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ يميل إلىٰ الزُّهد والتقشُّف والبساطة والتواضع في الملبس والمسكن والمطعم، وقد رُوي في مناقبه: أن أحمدَ بن حنبل كان يرهن نعله عند خبَّاز علىٰ طعامٍ أَخَذه منه، وباع جُبَّته (أي: عباءته) مرة ليطلب طعامًا له.

وذُكر أن الإمامَ أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ قد أرسل حذاءً مرة ليصلحه عند الإسكافي الذي يصلح الأحذية، وكان قد لبسه سَبْعَ عَشْرة سنةً، وفيه خمسةُ مواضع من الرَّتْق والتصليح ظاهرة للعيان. وأما الإمامُ مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ فكان يُعنَىٰ بثيابه أتمَّ العناية، ويعتبر ذلك من تعظيم العلم ورفع قدر العالم، ويقول: إن من مروءة العالم أن يختار الثوب الحسن يرتديه ويظهر به، وإنه لا ينبغي أن تراه العيون إلا بكامل الثياب حتىٰ العمامة الجيدة.

وكان يلبس أغلىٰ الثياب وأجودها وأجملها منظرًا من الثياب العدنية الحديثة آنذاك، نسبة إلىٰ عدن باليمن، والملابس الخراسانية نسبة إلىٰ خراسان، والمصرية غالية الثمن.

وروىٰ بشر بن الحارث: أنه دَخَل علىٰ الإمام مالكٍ فرأىٰ عليه طَيْلَسانًا (أي: غطاء يلبس علىٰ الرأس والكتفين) يُساوي خَمْسَمائة، وقد وَقَع طَرَفَا الطيلسان علىٰ عينيه أشبهَ شيءٍ بالملوك.

وكان مالكٌ رحمه الله لا يُحب الصوفَ الغليظ ويقول: لا خير في لُبْسه إلا في سَفَرٍ؛ لأنه لباسُ شهرةٍ. حيث كان في زمانه يعني تظاهرًا بالزُّهد، ثم قال: وإنه لقبيحٌ بالرجل أن يُعرَف دينُه بلباسه.

وقد نَقَل الإمام مالكٌ رضي الله عنه عن فقهاء المدينة حِرصَهم علىٰ الثياب الحسنة، فقال: ما أُحِبُّ لأحدٍ أَنْعَمَ اللهُ عليه إلا ويُرَىٰ أثرُ نعمة الله عليه، وخاصة أهل العلم، ينبغي أن يُظهروا مروءتهم في ثيابهم إجلالًا للعلم.

بل كان يكره الثوب الخَلَق القديم ويعيب لُبْسه. روىٰ الذَّهبيُّ رحمه الله عن الإمام مالكٍ رحمه الله: كان من الكبراء السعداء، والسادة العلماء، ذا حشمةٍ وتجمُّل وعبيدٍ ودار فاخرة، ونعمةٍ ظاهرة ورِفعة في الدنيا والآخرة، وكان يقبل الهدية ويأكل طيبًا ويعمل صالحًا.

وذكر ابنُ أبي أُوَيس رحمه الله: بِيعَ ما في منزل مالكٍ يومَ مات من بَرَادِعَ (أي: جمع بردعة، وهي ما يوضع علىٰ الحمار أو البغل ليُركَب عليه) وبُسُط (أي: فُرُش) ومَخَادَّ (أي: جمع مِخَدَّة) محشوَّةٍ بريشٍ وغير ذلك بما يَنِيف (أي: يزيد) علىٰ خمسمائة دينارٍ، وقد أُحصي ما تَرَك فوُجد خمسَمائة زوجٍ من النَّعل، ومائة عمامة، وتَرَك من الذهب والفضة ألفين وتسعَمائة وتسعة وعشرين دينارًا وألف درهم.

ولنذكر قولَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقول رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ» [أحمد في «مسنده» (٢/ ٣١١) برقم (٨٠٩٢)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٨٧)].

فمن الخطأ أن يُعاب العالمُ بغناه، أو يعاب بحُسن مظهره، وكأن البؤس علامة التقوىٰ، فإن اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ. مسلم برقم (٩١).

وكان الشافعيُّ وأبو حنيفة أَمْيَلَ لطريقة الإمام مالك رحمهم الله جميعًا.

ومن الناس من يميل بطبعه إلىٰ حبِّ الأشياء المستحسنة والاستمتاع بها، ومنهم من هو أميل إلىٰ الزهد والتبذل.

وأما حديث النبيِّ ﷺ حينما ذَكَرَ أَصْحَابُه يَومًا عِنْدَهُ الدُّنْيَا، فَقَالَ مُنبِّهًا لهم: «إِنَّ البَذَاذَةَ (أي: سوء الهيئة) مِنَ الإِيمَانِ» [أبو داود برقم (٤١٦١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير)

حديث (٢٨٧٩)]، فالحديث محمولٌ علىٰ أن التبسُّطَ في الملبس والمأكل لمن لا يقدر، أو لمن يكون طَبْعه إليه أميل مع حرصه علىٰ النظافة في الطهارة، وحتىٰ في الشُّهرة فمن الناس من تُفسده الشهرة وتضرُّه، ومنهم من لا تزيده إلا خيرًا ونفعًا للأمة، مع فهمه لنفسه ومعرفته بها بعدم اغترار.

وقد قال النبيُّ ﷺ لأبي ذرٍّ رضي الله عنه حينما سأله أن يتولىٰ إمارةً أو ولاية: «**يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَىٰ اثْنَيْنِ**». مسلم برقم (١٨٢٦).

فعُلم من هذا أن هناك من يصلح للإمارة والرياسة، وهناك مَن لا يصلح لها، ومع هذا فقد قال رسولُ الله ﷺ في وَصْف ومَدْح أبي ذرٍّ رضي الله عنه: «**مَا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ وَلَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ** (أي: ما حملت الأرض ولا أظلت السماء) **مِنْ رَجُلٍ أَصْدَقَ لَهجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ**». أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٧) برقم (٦٦٣٠)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٥٣٧).

إن السَّعَة الموجودة في الشرع الحنيف، وتعدُّدَ أوجه الخير والطاعات وكثرتها، إنما يفسحان المجال لكلِّ عبدٍ كي يُقدِّم من نفسه ومما أعطاه الله ما يدلُّ علىٰ تقواه وتدينه.

وقد كان أصحابُ النبي ﷺ علىٰ قدرهم وعلو شأنهم قد تنوَّعت فيهم أوجه الطاعة، حيث يُروىٰ أن النبي ﷺ قال: «**أَرْحَمُ أُمَّتِي بِأُمَّتِي أَبُو بَكْرٍ، وَأَشَدُّهُمْ فِي اللهِ عُمَرُ، وَأَصْدَقُهُمْ حَيَاءً عُثْمَانُ، وَأَقْضَاهُمْ عَلِيٌّ، وَأَفْرَضُهُمْ زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَأَقْرَؤُهُمْ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَأَعْلَمُهُمْ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ. وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَمِينٌ، وَأَمِينُ هَذِهِ الأُمَّةِ أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ**» متفق عليه.

وإن من لُطف الله بخلقه وتفضُّله عليهم أن جعل لهم من جنس كلِّ فريضةٍ نوافلَ، وأثابهم علىٰ ذلك، وحبَّبها إليهم، وجعل لهم بالحسنة عشرًا؛ ليضاعف ثواب فاعلها ولا يعاقب تاركها.

حال الكمال وحال الجواز (أي: الحد الأدنىٰ من العبادة)**:** ومن لطيف حكمة الله أن جعل لكلِّ عبادةٍ حالين: حال كمال، وحال جواز. فأعطىٰ لصاحب الهِمَّة من الأعمال ما يصل به إلىٰ درجاتِ الكمال، كالأصحاب الكرام رضي الله عنهم، فكانوا يسألون دائمًا عن الكمالات، وهناك

من لا صبر له علىٰ أداء الأكمل، كالأعْرابيِّ الذي سأل الرسولَ ﷺ عن شرائع الإسلام فدلَّه علىٰ الفرائض فقط، فقال الأعرابيُّ: والله لا أزيد ولا أنقص. فقال النبي ﷺ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» متفق عليه.

فيجوز للعبد أن يُقدِّم لونًا من النوافل يتناسب معه، ويترك غيره دون أن يقدح ذلك في دينه، بل يجوز له أن يقوم بالفرائض فقط وهو دون الأكمل لا شك وقد أفلح إن صدق، وهذا حال الجواز. فعلىٰ كلٍّ منا أن ينظر في عطاء الله له، وينتفع منه قدر ما يستطيع؛ ليحقق بذلك مرتبة العبودية الحقَّ لله ربِّ العالمين، وينظر إلىٰ التنوُّع علىٰ أنه رحمة وثراء للأمة، وأن طرق الخير كثيرة وعظيمة، توسعة للأمة إلىٰ يوم القيامة.

❁ ❁ ❁

١٤- بابٌ في الاقتصادِ في العبادةِ

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

(١٤٢/ ١٤) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل عَلَيْهَا وعِندها امرأةٌ، قَالَ: «مَنْ هذِهِ؟» قَالَتْ: هذِهِ فُلَانَةٌ تَذْكُرُ مِنْ صَلاتِهَا. قَالَ: «مَهْ، عَلَيْكُمْ بِمَا تُطِيقُونَ، فَواللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا». وكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيهِ. متفق عليه.

و«مَهْ»: كَلِمَةُ نَهْيٍ وَزَجْرٍ. ومَعْنَىٰ «لا يَمَلُّ اللهُ»: لَا يَقْطَعُ ثَوَابَهُ عَنْكُمْ وَجَزَاءَ أَعْمَالِكُمْ ويُعَامِلُكُمْ مُعَامَلَةَ المَالِّ حَتَّىٰ تَمَلُّوا فَتَتْرُكُوا، فَيَنْبَغِي لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مَا تُطِيقُونَ الدَّوَامَ عَلَيهِ لِيَدُومَ ثَوابُهُ لَكُمْ وَفَضْلُهُ عَلَيْكُمْ.

(١٤٣/ ١٤) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ (أي: ما دون عشرة أنفس) إِلَىٰ بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخبِروا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا (أي: رأوها قليلة) وَقَالُوا: أَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَقدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحدُهُم: أَمَّا أنا فَأُصَلِّي اللَّيلَ أبدًا. وَقالَ الآخَرُ: وَأَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ أَبَدًا وَلا أُفْطِرُ. وَقالَ الآخر: وَأَنا أعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتزَوَّجُ أَبدًا. فجاء رسولُ الله ﷺ إليهم، فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟ أَمَا واللهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ للهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ (أي: أعرض) عَنْ سُنَّتِي (أي: شريعتي ومنهجي) فَلَيْسَ مِنِّي». متفق عليه.

(١٤٤/ ١٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ». قالها ثَلاثًا. رواه مسلم.

«المُتَنَطِّعونَ»: المتعمقون المُشَدِّدون في غير موضِعِ التَّشديد.

(١٤٥/ ١٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينُ إلَّا غَلَبَهُ (أي: من المشادة، وهي المغالبة، والمعنىٰ: لا يتشدد أحدكم في الدين في موضع اليسر فيترك الرِّفق إلا غلب الدينُ عليه وعجز ذلك المتعمِّق وانصرف عن عمله الصالح كلِّه أو بعضه)، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا، وَاسْتَعِينُوا بِالغَدْوَةِ وَالرَّوْحَةِ وَشَيءٍ مِنَ الدُّلْـجَةِ». رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا، وَاغْدُوا وَرُوحُوا، وَشَيءٌ مِنَ الدُّلْـجَةِ، القَصْدَ القَصْدَ تَبْلُغُوا». قوله: «الدِّينُ»: هُوَ مرفوعٌ عَلَىٰ مَا لَمْ يُسَمَّ فاعلُه. ورُوي منصوبًا، وروي: «لن يشادَّ الدين أحدٌ».

وقوله ﷺ: «إلا غَلَبَهُ» أي: غَلَبَهُ الدِّينُ وَعجز ذلِكَ المُشَادُّ عَنْ مُقَاوَمَةِ الدِّينِ لِكَثْرَةِ طُرُقِه.

و«الغَدْوَةُ»: سير أولِ النهارِ. و«الرَّوْحَةُ»: آخرُ النهارِ. و«الدُّلْجَةُ»: آخِرُ اللَّيلِ. وهذا استعارة وتمثيل.

ومعناه: اسْتَعِينُوا عَلَىٰ طَاعَةِ الله عَجَّلَ بِالأَعْمَالِ فِي وَقْتِ نَشَاطِكُمْ وَفَرَاغِ قُلُوبِكُمْ بِحَيثُ تَسْتَلِذُّونَ العِبَادَةَ ولا تَسْأَمُونَ، وتبلُغُونَ مَقْصُودكُمْ، كَمَا أنَّ المُسَافِرَ الحَاذِقَ يَسيرُ فِي هذِهِ الأَوْقَاتِ ويستريح هُوَ وَدَابَّتُهُ فِي غيرِهَا فَيَصِلُ المَقْصُودَ بِغَيْرِ تَعَبٍ. والله أعلم.

(١٤٦/ ١٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: دَخَلَ النَّبيُّ ﷺ المَسْجِدَ فَإِذَا حَبْلٌ مَمْدُودٌ بَيْنَ السَّارِيَتَيْنِ (أي: العمودين)، فَقَالَ: «مَا هَذَا الحَبْلُ؟» قالُوا: هَذَا حَبْلٌ لِزَيْنَبَ، فَإِذَا فَتَرَتْ (أي: ضَعُفَتْ) تَعَلَّقَتْ بِهِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «حُلُّوهُ، لِيُصَلِّ أَحَدُكُمْ نَشَاطَهُ فَإِذَا فَتَرَ فَلْيَرْقُدْ». متفق عليه.

(١٤٧/ ١٤) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أحدكم إِذَا صَلَّىٰ وَهُوَ نَاعِسٌ لا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ». متفق عليه.

(١٤٨/ ١٤) وعن أبي عبد الله جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الصَّلَوَاتِ، فَكَانَتْ صَلاتُهُ قَصْدًا وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا. رواه مسلم. قوله: «قَصْدًا» أي: بين الطولِ والقِصر.

(١٤٩/ ١٤) وعن أبي جُحَيْفَة وَهْب بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: آخَىٰ النَّبيُّ ﷺ بَيْنَ سَلْمَانَ وَأَبي الدَّرْدَاءِ، فَزارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرداءِ فَرَأَىٰ أُمَّ الدَّرداءِ مُتَبَذِّلَةً (أي: لابسة ثياب المهنة تاركة ثياب الزينة)، فَقَالَ: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرداءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ

طَعَامًا، فقَالَ لَهُ: كُلْ فَإِنِّي صَائِمٌ. قَالَ: مَا أنا بآكِلٍ حَتَّىٰ تأكُلَ. فَأَكَلَ، فلَمَّا كَانَ اللَّيلُ ذَهَبَ أبُو الدَّرداءِ يَقُومُ، فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فنام، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ لَهُ: نَمْ. فَلَمَّا كَانَ من آخِرِ اللَّيلِ قَالَ سَلْمَانُ: قُم الآن، فَصَلَّيَا جَمِيعًا، فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حقًا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيكَ حقًا، ولأهْلِكَ عَلَيكَ حَقًّا، فأعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ. فَأَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**». رواه البخاري.

(١٥٠/ ١٤) وعن أبي محمد عبد الله بن عَمْرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أُخْبِرَ النَّبيُّ ﷺ أَنِّي أَقُولُ: وَاللهِ لأَصُومَنَّ النَّهارَ، ولأَقُومَنَّ اللَّيلَ مَا عِشْتُ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أنتَ الَّذِي تَقُولُ ذلِكَ؟**» فَقُلْتُ لَهُ: قَدْ قُلْتُهُ بأبي أنْتَ وأمِّي يَا رسولَ الله. قَالَ: «**فَإِنَّكَ لَا تَسْتَطِيعُ ذلِكَ، فَصُمْ وَأَفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ، وَصُمْ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ الحَسَنَةَ بِعَشْرِ أمْثَالِهَا وَذَلِكَ مِثلُ صِيامِ الدَّهْرِ**». قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ، قَالَ: «**فَصُمْ يومًا وَأَفْطِرْ يَوْمَيْنِ**». قُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أفضَلَ مِنْ ذلِكَ، قَالَ: «**فَصُمْ يومًا وَأفْطِرْ يومًا فَذلِكَ صِيامُ دَاوُدَ ﷺ وَهُوَ أَعْدَلُ الصِّيَامِ**- وفي رواية: **هُوَ أفْضَلُ الصِّيامِ**- فَقُلْتُ: فَإِنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لا أفضَلَ مِنْ ذلِكَ**»، وَلأنْ أكُونَ قَبلْتُ الثَّلاثَةَ الأيَّامِ الَّتي قَالَ رَسُولُ الله ﷺ أحَبُّ إليَّ مِنْ أهْلي وَمَالي.

وفي رواية: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَصُومُ النَّهارَ وتَقُومُ اللَّيلَ؟**» قُلْتُ: بَلَىٰ، يا رَسُول الله، قَالَ: «**فَلَا تَفْعَلْ: صُمْ وَأفْطِرْ، وَنَمْ وَقُمْ؛ فإنَّ لِجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِعَيْنَيكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ لِزَوْرِكَ** (أي: من يزورك) **عَلَيْكَ حَقًّا، وَإنَّ بِحَسْبِكَ أنْ تَصُومَ فِي كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ، فإنَّ لَكَ بِكُلِّ حَسَنَةٍ عَشْرَ أمْثَالِهَا، فَإنَّ ذلِكَ صِيَامُ الدَّهْرِ**». فَشَدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إنِّي أجِدُ قُوَّةً، قَالَ: «**صُمْ صِيَامَ نَبيِّ الله دَاوُدَ وَلَا تَزِدْ عَلَيهِ**». قُلْتُ: وَمَا كَانَ صِيَامُ دَاوُد؟ قَالَ: «**نِصْفُ الدَّهْرِ**». فَكَانَ عبد الله يقول بَعدَمَا كَبِرَ: يَا لَيتَنِي قَبلْتُ رُخْصَةَ رَسُولِ الله ﷺ.

وفي رواية: «**أَلَمْ أُخْبَرْ أنَّكَ تَصُومُ الدَّهرَ، وَتَقْرَأُ القُرآنَ كُلَّ لَيْلَةٍ؟**» فقلت: بَلَىٰ، يَا رَسُولَ الله، وَلَمْ أُرِدْ بذلِكَ إلَّا الخَيرَ، قَالَ: «**فَصُمْ صَومَ نَبيِّ الله دَاوُدَ؛ فَإنَّهُ كَانَ أعْبَدَ النَّاسِ، وَاقْرَأ القُرْآنَ فِي كُلِّ شَهْرٍ**». قُلْتُ: يَا نَبيَّ الله، إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي كُلِّ عِشْرِينَ**». قُلْتُ: يَا نبي الله، إنِّي أُطِيقُ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «**فَاقْرَأْهُ فِي**

كُلِّ عَشْرٍ». قُلْتُ: يَا نبي الله، إنِّي أُطيقُ أَفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ قَالَ: «**فاقْرَأْهُ في كُلِّ سَبْعٍ وَلَا تَزِدْ عَلَىٰ ذلِكَ**». فشدَّدْتُ فَشُدِّدَ عَلَيَّ، وَقالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «**إنَّكَ لا تَدري لَعَلَّكَ يَطُولُ بِكَ عُمُرٌ**». قَالَ: فَصِرْتُ إِلَىٰ الَّذِي قَالَ لي النَّبيُّ ﷺ، فَلَمَّا كَبِرْتُ وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قَبِلتُ رُخْصَةَ نَبيِّ الله ﷺ.

وفي رواية: «**وَإِنَّ لِوَلَدِكَ عَلَيْكَ حقًّا**». وفي رواية: «**لَا صَامَ مَنْ صَامَ الأَبَدَ**» ثلاثًا.

وفي رواية: «**أَحَبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ صِيَامُ دَاوُدَ، وَأَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ صَلاةُ دَاوُدَ: كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ ثُلُثَهُ، وَيَنَامُ سُدُسَهُ، وَكَانَ يَصُومُ يَوْمًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا، وَلَا يَفِرُّ إِذَا لَاقَىٰ**».

وَفِي رواية قال: أَنْكَحَني أَبي امرَأَةً ذَاتَ حَسَبٍ، وَكَانَ يَتَعَاهَدُ كَنَّتَهُ (أي: يتردد إليها)- أي: امْرَأَةَ وَلَدِهِ- فَيَسْأَلُهَا عَنْ بَعْلِهَا (أي: زوجها). فتَقُولُ لَهُ: نِعْمَ الرَّجُلُ مِنْ رَجُلٍ لَمْ يَطَأْ لَنَا فِرَاشًا (أي: لم يُجامعنا حتىٰ يطأ فراشنا)، وَلَمْ يُفَتِّشْ لَنا كَنَفًا (أي: الكنف: الستر) مُنْذُ أَتَيْنَاهُ. فَلَمَّا طَالَ ذلِكَ عَلَيهِ ذَكَرَ ذلك للنَّبيِّ ﷺ فقَالَ: «**القَنِي بِهِ**». فَلَقِيتُهُ بَعد ذلك، فقَالَ: «**كَيْفَ تَصُومُ؟**» قُلْتُ: كُلَّ يوم، قَالَ: «**وَكَيْفَ تَخْتِمُ؟**» قُلْتُ: كُلَّ لَيْلَةٍ، وَذَكَرَ نَحْوَ مَا سَبَقَ، وَكَانَ يَقرَأُ عَلَىٰ بَعْضِ أَهْلِهِ السُّبُعَ الَّذِي يَقْرَؤُهُ، يَعْرِضُهُ مِنَ النَّهَارِ لِيَكُونَ أَخَفَّ عَلَيهِ بِاللَّيلِ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَقَوَّىٰ أَفطَرَ أَيَّامًا وَأَحصَىٰ وَصَامَ مِثْلَهُنَّ كَرَاهِيَةَ أَنْ يَتْرُكَ شَيئًا فَارَقَ عَلَيهِ النَّبيَّ ﷺ. كل هذِهِ الرواياتِ صحيحةٌ، مُعظمُها في الصحيحين، وقليل مِنْهَا في أحدِهِما.

(١٥١/ ١٤) وعن أبي رِبْعِيٍّ حَنْظَلَةَ بن الربيع الأُسَيدِيِّ الكاتب أحدِ كتَّاب رَسُول الله ﷺ قَالَ: لَقِيَنِي أَبُو بَكرٍ ﷺ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ يَا حَنْظَلَةُ؟ قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ! قَالَ: سُبْحَانَ الله مَا تَقُولُ؟! قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ يُذَكِّرُنا بالجَنَّةِ وَالنَّارِ كَأنَّا رَأيَ عَيْنٍ، فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِندِ رَسُول الله ﷺ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسينَا كَثِيرًا. قَالَ أَبُو بكرٍ ﷺ: فَوَالله إنَّا لَنَلْقَىٰ مِثْلَ هَذَا. فانْطَلَقْتُ أنَا وأبُو بَكْرٍ حَتَّىٰ دَخَلْنَا عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ. فقُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ يَا رَسُولَ الله! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَمَا ذَاكَ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، نَكُونُ عِنْدَكَ

تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ والجَنَّةِ كَأَنَّا رَأْيَ العَيْن، فإذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا الأَزْوَاجَ وَالأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا. فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ تَدُومُونَ عَلَىٰ مَا تَكُونونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْر، لَصَافَحَتْكُمُ الملائِكَةُ عَلَىٰ فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُم، لَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وسَاعَةً»**. ثَلَاثَ مَرات. رواه مسلم. قولُهُ: «رِبْعِيٌّ» بِكسر الراء. و«الأُسَيِّدِي» بضم الهمزة وفتح السين وبعدها ياء مكسورة مشددة. وقوله: «عَافَسْنَا» هُوَ بِالعينِ والسينِ المهملتين، أي: عالجْنَا ولاعبْنَا. و«الضَّيْعاتُ»: المعايش.

(١٥٢/ ١٤) وعنِ ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: بينما النَّبيُّ ﷺ يخطب إِذَا هُوَ برجل قائم فسأل عَنْهُ، فقالوا: أَبُو إِسْرَائِيلَ نَذَرَ أَنْ يَقُومَ فِي الشَّمْسِ وَلَا يَقْعُدَ، وَلَا يَسْتَظِل، وَلَا يَتَكَلَّمَ، وَيَصُومَ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: **«مُرُوهُ، فَلْيَتَكَلَّمْ، وَلْيَسْتَظِلَّ، وَلْيَقْعُدْ، وَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ»**. رواه البخاري.

* * *

(الاقتصادُ في العبادةِ)

كان السَّلَفُ الصالح رضي الله عنهم يهتمُّون بأصلين عظيمين، وهما: الاقتصاد في العبادة، والاعتصام بالشريعة الصحيحة وهي السنة النبوية المشرفة.

ذلك أن الشيطانَ يدخل في قلب العبد، فإن رأىٰ فيه ميلًا للابتداع والانحراف عن السُّنَّة والإعراض عنها أخرجه من هذا الباب إلىٰ البدعة والضلالة، وإن وجد فيه حرصًا علىٰ السُّنَّة وآدابها أمره بالاجتهاد الزائد علىٰ حدِّ الاعتدال وحثَّه علىٰ الإفراط في التشدد والقيام بالأعمال الصالحة مجاوزًا احتمال النفس والطاقة، وقال له: هذا خيرٌ وطاعة، والزيادة والاجتهاد فيه أولىٰ، فلا تَفتُر مع أهل الفتور، ولا تَنَمْ مع أهل النوم.

فلا يزال يحثُّه ويُحرِّضه حتىٰ يُخرجه عن حد الاعتدال والاقتصاد فيها، فكما أن الأول خرج ببدعة وضلالة عن حدِّ الاعتدال، كذلك خرج الآخرُ بتجاوزه حدَّ الاقتصاد، وهكذا كان حال الخوارج الذين نبَّأ عنهم رسول الله ﷺ، حيث يحتقر أهلُ الاستقامة صلاتهم مع صلاتهم وصيامهم مع صيامهم.

قال بعضُ السلف: ما أَمرَ اللهُ بأَمرٍ إلا وكان للشيطان فيه نَزْعتان: إما إلىٰ تفريطٍ وإما إلىٰ مجاوزة وإفراط، ولا يُبالي بأيهما فاز وظفر، سواء بالزيادة أو النقصان.

فالخيرُ كل الخير في الاجتهاد، ولكن باقتصادٍ يوافق السُّنَّة وبإخلاص يوافق الشريعةَ.
فالإقتصاد هوالتوسُّط فيتحرَّىٰ المسلمُ القصد والمراد من الشرع الحكيم بالاعتدالَ ويبتعد عن التطرف قولًا وفعلًا، بحيث لا يُقصِّر ولا يُغالي.

فلا إفراط ولا تفريط، وقد قال ابنُ الأثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ خَصْلة محمودةٍ لها طرفان مذمومان: فالسَّخاء وَسَطٌ بين البُخل والتبذير، والشجاعة وَسَطٌ بين الجُبْن والتهوُّر.

والإنسان مأمور أن يتجنَّب كلَّ وصف مذموم، وكلما ازداد منه بعدًا ازداد إلىٰ الوسط قربًا، كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الوَسَطُ الموضوع بين طرفي الإفراط والتفريط هو العدل.

وهو الذي عليه بناء مصالح الدنيا والآخرة، بل حتىٰ مصلحة البدن لا تقوم إلا بالعدل والوسط في النوم والسهر والأكل والشرب والحركة... وغير ذلك.

قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ لِسَانِهِ فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ فَلْيَضْطَجِعْ». مسلم برقم (٧٨٧). وقال أيضًا: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يُصَلِّي فَلْيَرْقُدْ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّىٰ وَهُوَ نَاعِسٌ لَا يَدْرِي لَعَلَّهُ يَسْتَغْفِرُ فَيَسُبُّ نَفْسَهُ». متفق عليه.

وقالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ، فَقَالَ: «مَنْ هَذِهِ؟». فَقُلْتُ: امْرَأَةٌ لَا تَنَامُ تُصَلِّي. قَالَ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا». وَكَانَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ عَلَيْهِ صَاحِبُهُ. متفق عليه.

وسئل النبيُّ ﷺ: أيُّ الأعمال أحب إلىٰ الله؟ قال: «أَدْوَمُهَا وَإِنْ قَلَّ». وَقَالَ: «اكْلَفُوا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا تُطِيقُونَ». متفق عليه.

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان رسولُ الله ﷺ يُفطِر من الشهر حتىٰ نظُنَّ ألا يصوم، ويصوم حتىٰ نظن ألَا يُفطر منه شيئًا، وكان لا تشاء أن تراه من الليل مُصليًا إلا رأيته، ولا نائمًا إلا رأيته.

متفق عليه، واللفظ للبخاري.

وقال وَهْبُ بن مُنبِّه رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لكلِّ شيءٍ طرفين ووَسَطًا، فإذا أمسك بأحد الطرفين مال الآخر، فإذا أمسك بالوسط اعتدل الطرفان، فعليكم بالأوسط من الأشياء.

وقال محمد بن الحَنَفِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكمال في ثلاثة: العِفَّة في الدين، والصبر علىٰ النوائب، والاقتصاد وحسن التدبير في المعيشة.

وقال الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خيرُ الأمور أوساطُها.

وقال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما مِن أَمْرٍ أَمَرَ الله به إلا عارَضَ الشيطانُ فيه بخصلتين ولا يبالي أيهما أصاب: الغلو (أي: التشدد) أو التقصير (أي: التفريط).

فالاقتصاد هو التوسط للوصول إلىٰ المقصد وهو دليلُ كمال العقل وتمام الرشد عند العبد، وهو الأمن والبركة والنجاة، وهو صفة الأمة المميزة لها.

(الرُّخَصُ الشرعيَّة: أحكامُها وضوابِطُها)

إن الشُّمولَ واليُسر هما الصفتان اللتان جعلتا من الشريعة الإسلامية شريعةً خالدة صالحةً لكل زمان ومكان. فأما شموليَّتها فإن المسلم لا يُعجِزه أن يجد في الشريعة حكمًا لكل جزئيَّة أو حادثة تستجدُّ، يفهم ذلك من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، أو يستنبط بطريق التأمل في روح الشريعة ومقاصدها.

وشريعة الله تعالىٰ مع شمولها تُراعي أحوالَ الناس وما يطرأ عليهم من ظروف وأحوال تخرجهم فيها عن الالتزام بالأحكام الأصلية التي شُرعت ابتداء.

والناسُ في مفهوم اليُسْر في الدين علىٰ شقين: بين متساهل حتىٰ يتفلَّتَ من ثوابت الشرع العامة تحت ضغط تبرير الواقع الذي يعيشه المسلمون، وبين مُتشدِّدٍ يلتزم بظواهر النصوص دون النظر في مقاصد التشريع.

وإن قوةَ الفقه الإسلامي هي في التعامل في خصوبة وحيوية ومرونة مع اختلاف الزمان وتغير الأعراف والمستجدات وَفْقًا لأصولٍ وقواعدَ وضوابط وضعها الفقهاء والعلماء.

وثمرة الفقه هي الموازنة بين المصالح والمفاسد التي هي لبُّ وروح الشريعة في التعامل مع الأحداث والوقائع والمستجدات في الحياة. والشريعة الإسلامية تنبني علىٰ مقاصد شُرعت لتحقيقها، تلك المقاصد هي الغايات التي فرضها الشارع لتحقيق مصالح الخلق وتكميلها ودرء المفاسد عنهم وتقليلها.

إن الشريعةَ الإسلامية قد أسقطت بعضَ الواجبات الشرعية عن أيِّ شخصٍ منعته

الضرورةُ من أدائها، ورخَّصت له تَرْكَ الواجب أو فِعل المحظور في حال كونه متلبسًا بهذه الظروف الطارئة؛ ليبقىٰ المكلف دائمًا داخل إطار الشريعة في كل أعماله.

وتلك الرُّخَص مجرد استثناءٍ للسماحة واليُسْر ورَفْع الحَرَج، علىٰ أن يسعىٰ الإنسانُ المُكلَّف إلىٰ تغيير الواقع الذي تسبَّب فيه، ولولا عجزُ البشر وضعفهم لما شُرعت أحكام الرخص.

خصائصُ الشريعةِ الإسلاميَّةِ: والشريعة الإسلامية لها مميزات وخصائص:

أ- الرَّبَّانيَّةُ: فهي ليست من صنع البشر، وإنما هي تشريعُ خالقِ البشر، وهو أدرىٰ منهم بأنفسهم وبمصالحهم، لقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٥٠﴾ [المائدة: ٥٠].

ب- الشمولية: فقد اشتملت علىٰ نظم وأحكام في مختلف نواحي الحياة والمجتمع، وجاءت بأحكام كلية وقواعد في جميع نواحي الحياة، قال الله تعالىٰ: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨].

ج- اليُسْرُ: فقد رفعت الحرج عن المكلفين عند وجود الحرج، قال الله تعالىٰ: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة ١٨٥]. حيث بلغ اليُسر درجةَ التخفيف من الواجبات عند وجود الحرج، والسماح بتناول القدر الضروري من المحظورات عند الحاجة، فأُبيح التيممُ لمن لا يستطيع استعمال الماء.

د- رعايةُ مصالحِ العبادِ: فرعاية مصالح الناس هي قَصْد الشريعة، وقد وضع العلماء لأجلها القواعد الخاصة برفع المشقة والحرج، كقاعدة المشقة تجلب التيسير، وقاعدة الضرر يُزال، وقاعدة الضرر لا يُزال بالضرر، وقاعدة يُتحمَّل الضررُ الخاص لدفع الضرر العام، وقاعدة يُرتكَب أخفُّ الضررين لدفع أشدِّهما.

ه- الواقعيَّةُ: تظهر واقعية الإسلام عند الشدة والضيق، فهو يضع الحلول والتيسيرات المشروعة للمسلم في أوقات الشدة والضيق، وعدم إلزامه بما كان واجبًا عليه أو لازمًا له أو مُحرَّمًا عليه في الأوقات العادية، وعلىٰ هذا جاءت الرخص؛ لأن النفوس قد لا تقوىٰ علىٰ الاستمرار فيما يريده الإسلام من الكمال والهمة في الظروف القاسية.

و- عَدَمُ التَّكليفِ بالمَشَاقِّ: فلم تقصد الشريعةُ إعناتَ الناس أو إشقاءهم، وليس من وسائل وعلامات الخضوع والانقياد أن تُحَمِّلَهم فوق ما يُطِيقون، وإنما شُرِعت الأحكامُ في حدود الوُسْع والطاقة؛ ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لي عَنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». متفق عليه.

ز- الوسطيَّةُ: فمنهج الشريعة الإسلامية وسط بين الإفراط والتفريط، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

العَزِيمةُ والرُّخْصَة: أما العزيمة: فهي أَخْذُ الأمر بجِدٍّ في امتثال أوامر الشرع واجتناب نواهيه علىٰ الإطلاق والعموم، سواءٌ أكانت أوامرَ وجوبٍ أو نَدْبٍ، أو كانت النواهي تحريمًا أو كراهيةً. وأما الرخصة: فهي التسهيل في الأمر والتيسير، وهي إذنٌ من الله أن ينالَ العبدُ حظًّا من الحظوظ، ويدخل فيها كل ما كان تخفيفًا وتوسعةً علىٰ المكلف.

والعزائم حقُّ الله علىٰ العباد، والرُّخَص حظُّ العباد من لُطف الله تعالىٰ. وهكذا تشترك المباحات مع الرخص من حيث إنها توسعةٌ علىٰ العباد ورَفْعِ حرجٍ ومشقةٍ.

أقسامُ العزيمةِ:

١- واجبة: كوجوب النطق بالشهادتين، ووجوب الصلاة والصوم مثلًا.

٢- مندوبة: كلزوم حضور القلب والخشوع في الصلاة مثلًا.

٣- محرمة: كحرمة الإشراك بالله وعقوق الوالدين.

٤- مكروهة: ككراهة الالتفات في الصلاة؛ لأنه اختلاس يختلسه الشيطان.

٥- مباحة: كإباحة الأكل والشرب والنوم.

أنواع الرُّخَص:

١- رخصة واجبة: كأكل الميتة للمضطر، والفطر لمن خاف الهلاك فغلبه الجوع أو العطش، حتىٰ لو كان مقيمًا صحيحًا غير مريض، وغمس اللقمة بالخمر، وما كان كذلك فاستعمال الرخصة واجب؛ لأن النفوس ملك لله تعالىٰ.

٢- رخصة مندوبة: كالقصر في الصلاة في السفر، وكالفطر لمن يشق عليه الصيام في السفر أو المرض.

٣- رخصة مباحة: كمن أُكره علىٰ كلمة الكفر (أي: فيباح له بلسانه مع اطمئنان قلبه بالإيمان).

٤- رخصة علىٰ خلاف الأَوْلَىٰ: مثل الذي يُفطر في السفر مع أنه غير متضرر بالصوم؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤].

الأسبابُ المُبِيحةُ للرُّخْصةِ الشرعيَّةِ (أي: الأعذار الشرعية):

١- الضرورة. ٢- المشقة. ٣- السفر. ٤- الإكراه. ٥- المرض.

٦- النسيان. ٧- الخطأ. ٨- الجهل. ٩- عموم البلوىٰ. ١٠- النقص.

١- الضَّرورةُ: وهي المصالح الإنسانيَّة التي تتوقَّف عليها حياةُ الناس وقيامُ المجتمع واستقراره، كأركان الإسلام والإيمان، بحيث إذا اختلَّت اختلَّ نظامُ الحياة وعمَّت أمورَ الناس الفوضىٰ والاضطرابات ولحقهم الشقاءُ في الدنيا والآخرة.

والضروريات للبشر خمسٌ: حفظ الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

فكلُّ ما يُؤدِّي إلىٰ حفظ هذه الضروريات الخمس التي هي دعائم الحياة الإنسانية دعت إليه الشريعة وحرص الشارع عليه، وكلُّ ما يهدف لإلغاء هذه الضروريات أو تعطيلها فقد حذَّر الشارع منه وشدَّد عليه وحاربه.

ضوابطُ الضرورةِ:

أ- أن تكون الضرورة حقيقيَّة غير مُتوهَّمة؛ فقد يتوهَّم الإنسانُ أن الأمورَ التي يمرُّ بها صعبة، وهي ليست كذلك إلا بمحض التوهم، كقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [النساء: ٩٧].

فالضرورة المحققة هي تلك التي لا يستطيع الإنسان أن ينفك عنها، كالإنسان الذي يُصيبه مرضٌ فيُعجِزه عن القيام في الصلاة، أو مَن أصابه جوع شديد ولم يجد إلا حرامًا فإن لم يتناوله تلفت نفسه.

ب- ألا تُؤدِّي إزالتُها إلىٰ ضررٍ أكبر منها، ومعنىٰ ذلك أنه إذا تعارضت في أمرٍ ما المصالحُ والمفاسدُ، حينها يُرَجَّح الجانبُ الذي نَفْعُه أكبرُ، ويُتجنَّب الجانبُ الذي ضَرَرُه أعظم.

ج- أن تُقدَّر الضرورةُ بقَدْرِها، ومعناه أن ما أُبِيح للضرورة يُمنع بمجرد زوال الضرورة.

د- أن تكون مُحقِّقة لمقصدٍ من مقاصد الشارع، فقد يظن بعضُ الناس أن البحرَ إذا هاج علىٰ القوم فاضطُروا إلىٰ تخفيف السفينة بعمل قرعة تُضرب عليهم ليُلقَىٰ أحدهم في الماء تخفيفًا علىٰ السفينة وحفاظًا علىٰ حياة الآخرين أن هذا صحيح، وهذا فاسد؛ لأنه ضياع لنفس إنسانية، وإنما قد يتأتىٰ ذلك في الأموال، ولا يجوز رمي بعضهم بعضًا.

٢-المشقة: وهي الشِّدَّة والعُسر الذي يلحق النفسَ والبدن، فالأحكام التي ينشأ عن تطبيقها حرجٌ علىٰ المُكلَّف ومَشقَّة في نفسه أو ماله تُخفِّفها الشريعة.

أنواع المشقة:

أولًا: المشقة المعتادة: فلا يخلو عملٌ مطلوب شرعًا من مشقة وتعب، وهذا القدر من المشقة ليس مانعًا من التكليف وليس داعيًا إلىٰ الترخُّص؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

ثانيًا: المشقَّة غير المعتادة: وهي المشقة الزائدة عن الطاقة، حيث تتجاوز الحدود العادية فتُفسد علىٰ الناس حياتهم وتُحدث فيهم الخلل، فمن هنا شُرعت التخفيفات والتيسيرات.

ضوابط المشقة: إما أن تكون مشقةً خفيفة، كصداع خفيف في أثناء الصوم، فلا توجب تخفيفًا؛ لأن فائدةَ الصوم أعظمُ من الاستجابة لهذه المشقة. وإما أن تكون فادحةً فيُخاف فيها علىٰ النفس غير المعتادة علىٰ المشقات، فهذه التي توجب التخفيف.

والمشقة يُسنَد أمرُها إلىٰ المسلم البالغ العاقل نفسِه لصعوبة ضَبْطها، فهي تختلف باختلاف مراتب العبادات واختلاف المُكلَّفين، فيؤتمن المسلمُ عليها وعلىٰ تقديرها.

ولقد سُمح للمُكلَّف بارتكاب كثيرٍ من المنهيَّات في سبيل دَرْء وإبعاد مفسدةٍ أخطر من مفسدة الإقدام علىٰ المنهيِّ عنه، علىٰ ألا يتجاوز المُكلَّف حدَّ التخفيف إلىٰ التفريط، كمن يترك الصلاة أصلًا متعللًا بالمشقة.

٣- السفر: للعلماء في تحديد مسافة السفر أقوال كثيرة، وقد ذهب شيخُ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ إلىٰ أن الأظهرَ جوازُ القصر في كلِّ سفر، قصيرًا كان أو طويلًا. فمَن أراد السفر فإن له أن يترخَّص إذا فارق جميعَ بيوت مدينته أو بلدته التي خرج منها.

مفارقة المسافر بحرًا: مَن كانت إقامته في بلد ساحلية علىٰ البحر، وأراد أن يستقل سفينةً في سفره فالمعتبر للترخيص هو مجاوزة هذه السفينة وبُعدها عن البلد ومجاوزة العمران، فإن كانت راسيةً علىٰ مسافة واحتاج المسافر إلىٰ زورق للانتقال إليها فإن الرخصة تبدأ له من مغادرة الزورق وركوب السفينة، إلا إذا كانت طبيعة عمله تقتضي ذلك، أن يذهب ويعود إليها، فليس له أن يأخذ بالرخصة.

مفارقة المسافر جوًّا: من سافر بالطائرة، فالمفارقة المعتبرة له أن تتجاوز الطائرة العمران، وعند الهبوط لا يزال في سفر حتىٰ تحاذي الطائرة العمران إذا كان المطار داخل البلد.

المطارات والموانئ: إذا كان المطار أو الميناء خارج المدينة وقد فارق العمران فإن للمسافر حينئذ أن يأخذ بالرخص، أما إذا كان داخلها فلا يحصل به الترخص إلا ما سبق من ركوب الطائرة أو السفينة علىٰ النحو الذي ذُكر من قبل. ومن كان مسافرًا ولكن علىٰ لائحة الانتظار، أو خرج مُودِّعًا أو يفكر في السفر مع أصحابه فلا يجوز لهم الترخص.

المسح على الخفين: هي سُنَّة لا اختلاف علىٰ جوازها، وبالنسبة لتوقيت المَسْح ففي حقِّ المقيم أو مَن في الحَضَر يومٌ وليلة، وأما في حقِّ المسافر فثلاثةُ أيامٍ بلياليها، ويكون المسحُ مرةً واحدة علىٰ ظاهر الخُفِّ، ولا يُمنَع من المسح علىٰ ما يلبسه مِن خُفٍّ أو جورب ونحوهما حتىٰ لو كان فيه خَرْقٌ يسير، حيث كان معظم الصحابة لا يجدون إلا التالف من الخِفَاف والأحذية من كثرة الاستعمال.

ويجوز المسح علىٰ الجوربين إذا لم يسقطا عند المشي فيهما.

القصر للمسافر: يجوز للمسافر أن يقصر الصلاة إذا بلغ مسافة القصر وهي ٨٣,٥ كيلومترًا، ومعناه أنه يصلي الرباعية (الظهر والعصر والعشاء) ركعتين، والقصر غير لازم للجمع، فيمكن للمسافر أن يقصر الصلاة دون أن يجمعها، وصلاتا الصبح والمغرب لا تقصران، وأن يجمع بين الظهر والعصر فيصليهما في وقت أيهما شاء، وكذلك المغرب والعشاء يجمع بينهما فيصليهما في وقت أيهما شاء، ويجوز للمسافر أن يجمع مع قصر الرباعية، ويجوز له أن يجمع مع الإتمام من غير قصر. فإن جمع المسافر جمع تأخير فعليه أن ينوي قبل خروج وقت الصلاة الأولىٰ أنه يجمعها تأخيرًا مع وقت الصلاة الثانية.

والمسافر إذا صح سفره يظل علىٰ حكم السفر فيما يخص الصلاة من قصر وجمع، ولا يتغير هذا الحكم إلا إذا نوىٰ الإقامة، أو دخل وطنه، فحينئذٍ تزول حالة السفر، ويصبح مقيمًا تنطبق عليه أحكام المقيم، والمدة المعتبرة في الإقامة هي أربعة أيام غير يومَي الدخول والخروج، فإذا نوىٰ الإقامة أربعة أيام فأكثر غير يومي الدخول والخروج يتم صلاته ولا يجمعها، ويبدأ التعامل كمقيم من أول يوم بعد يوم الوصول، وأما إن نوىٰ الإقامة أقل من ذلك أو لم ينوِ، فيظل علىٰ رخصة القصر والجمع إلىٰ أن يتم أربعة أيام، ولا يحسب من الأيام يومًا الوصول والرجوع.

فالرخصة أن يجمع ويقصر (٢٠) صلاة (أربعة أيام بلياليهن) إن نوىٰ الإقامة هذه المدة فأقل، أما إن نوىٰ أكثر من ذلك فيتم من أول يوم بعد يوم الوصول.

ولو لم ينوِ المسافر الإقامة بعد وصوله، وكانت له حاجة يتوقع انقضاءها في أي وقت، وأنه متىٰ قضيت رجع من سفره ولم ينوِ الإقامة، فله أن يقصر الصلاة ثمانية عشر يومًا صحاحًا. ومن نوىٰ الإقامة في بلدٍ سافر إليه لطلب العلم في الجامعات وقد يرجع إلىٰ بلده كلَّ فترة زمنية معينة في الإجازات مثلًا فليعلم أن كلًّا من الإتمام والقصر سائغٌ في حقه، فمن قَصَر لا يُنكر عليه، ومن أتم لا ينكر عليه. ويُرخَّص للمُسافر إذا لم يتمكن من متابعة اتجاه القبلة أن يتركها ويصلي حيثما توجهت به راحلته، وليس ذلك إلا في النوافل.

الجمعة: لا تجب صلاة الجمعة علىٰ المسافر ما لم يُدركه زوال الشمس في بلده، فعن النبي ﷺ قال: «**الجمُعَةُ وَاجِبَةٌ إِلَّا عَلَىٰ امْرَأَةٍ، أو صَبِيٍّ، أو مَرِيضٍ، أو عَبْدٍ، أو مُسَافِرٍ**». الطبراني في الكبير (٢/ ٥١) برقم (١٢٥٧)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣١١٣). وإذا زالت الشمس؛ أي: عن وسط السماء، إلىٰ جهة الغرب وصار ظل الرجل كطوله قبيل صلاة العصر.

الجمع بين الصلاتين: يجوز الجَمْعُ بين الصلاتين في السفر والمطر والمرض، فالجمع لا يختص بالسفر الطويل، بل يُجْمَع للمطر والمرض.

رخصة الفطر في رمضان: للمسافر سفرًا صالحًا في غير معصيةٍ أن يُفطر قبل خروجه من الموضع الذي أراد السفر منه، فيجوز الإفطارُ للمسافر قبل مجاوزته البيوت. وللمسافر أن يُفطر أيضًا بعد خروجه للسفر وإن كان صائمًا؛ والأفضل أن يصوم مَن قدر علىٰ الصيام في السفر دونما جهدٍ.

٤-الإكراه: هو أن يدفع البعض غيره إلىٰ فعل أمرٍ لا اختيار له فيه ولا رضًا، ويكون الشخص الدافع علىٰ الإكراه قادرًا علىٰ إيقاع الضرر بالمُكرَه إن امتنع عن فعل ذلك الأمر الممنوع شرعًا. فهناك ظالمٌ مُكرِه للناس، وهناك مظلوم مُكرَه علىٰ فعل الحرام، وهناك وسيلة للإكراه، ثم أخيرًا الفعل المطلوب الإكراه عليه.

حد الإكراه: هو الحدُّ الذي إذا بَلَغه مَن أُكرِه علىٰ فِعل ممنوعٍ جاز له أن يأتي بالرُّخْصة

باعتباره مُكرَهًا علىٰ ذلك، حيث يخاف فيه المُكرَه من ذَهَاب حياته أو تَلَفِ أحد أعضائه أو تلف كثيرٍ من ماله، فهذا هو الإكراه الذي تجوز معه الرخصةُ، أما الإكراه اليسير الذي لا يُخشىٰ فيه فواتُ النفس أو تَلَفُ المال فيجب تحمُّله، فهو إكراهٌ غيرُ ملجئٍ.

وأغلب تصرُّفات المُكرَه لاغية ولا أثر لها إطلاقًا، فأقواله كلُّها لغو: كفره وإيمانه وطلاقه؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ١٠٦﴾ [النحل: ١٠٦]، ولقول النَّبيِّ ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الخطأَ، وَالنِّسْيانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ». ابن ماجه برقم (٢٠٤٣)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٨٣٦).

ولا يصحُّ نكاحُ المُكرَه، فالمرأة عند ذلك مُخيَّرة بين الإبقاء أو ردِّ الزواج، كما لا يصح طلاق المُكرَه. وإذا أُكره شخصٌ علىٰ إتلاف مالِ غيره إكراهًا شديدًا ملجئًا فإنه يُرخَّص له ذلك.

ضوابط الإكراه:

١- التهديد والوعيد بما يُسبِّب الإتلافَ والضررَ الشديدين بالنفس أو العقل أو العِرض أو النسل أو المال.

٢- أن يغلب علىٰ ظنِّ المُكرَه واعتقادِه أن مَن أكرهه علىٰ ذلك قادرٌ علىٰ تنفيذ وعيده وتهديده ولا مفرَّ منه.

٣- أن يكونَ الفِعل المُكرَه عليه فيه مخالفةٌ للشرع قبل الإكراه أصلًا.

٤- أن يترتَّب علىٰ اضطرار المُكرَه علىٰ الفعل التخلصُ من التهديد والوعيد، أما إذا كان أمرُ التهديد والوعيد بسيطًا ويمكن تحمُّله فلا، كما أنه لا يجوز له طاعة مَن أكرهه علىٰ فِعْلٍ يُؤدِّي إلىٰ إتلاف نفسه أو عضو من أعضائه، كمَن أَمَر غيرَه برمي نفسه في البحر وهو لا يُحسن السباحة، فلا يجوز له الإقدامُ علىٰ ذلك، بل يقاوم ويدفع عن نفسه.

٥- ألا يُبالغ المُكرَه في فِعل الممنوع، كأن يزيد الطلاقَ الواحد لثلاث، فهذا ليس من الإكراه.

٦- أن يكونَ الوعيد بأمرٍ يقع حالًا وعاجلًا لا آجلًا.

٥- المرض: الأحكام التي يُباح فيها الترخص للمرض:

الطهارة: يُرخَّص للمريض أن يتيمم إذا وجد أن استعمالَ الماء يُسبِّب له تلف نفسه أو عضو من أعضائه أو زيادة مرض أو تأخر شفاء أو تشويهًا لبدن، وله أيضًا أن يمسح علىٰ الجبيرة مع التيمم أيضًا إذا كان الماء يسبب تلفًا للجسم. أما إذا كان الجرح أو المرض في جزء محدود من الجسم بحيث يمكن غسل غيره والمسح علىٰ الجزء المصاب فيجب علىٰ المريض غسل ما أمكن والمسح علىٰ الباقي ولا يتيمم.

الصلاة: إن المريضَ إذا لم يستطع القيامَ في الصلاة سَقَط عنه فَرْضُ القيام، وله أن يصلي قاعدًا أو علىٰ جَنْبه، وذلك عند حدوث المشقَّة الشديدة أو الخوف من المرض أو الهلاك، كراكب السفينة أو المجاهد الذي يخشىٰ عند قيامه رؤيةَ العدوِّ له، وللمريض والخائف تَرْك الجُمَع والجماعات، وللمريض أيضًا الجَمْع بين الصلاتين في الحَضَر.

الصوم: يُرخَّص للمريض الفِطر في رمضان، وأعذار الصوم خفيفة كالسفر والمرض، فإذا كان الخوف علىٰ البدن أو الروح فهما أولىٰ بالفطر.

الحج: يُرخَّص للحاج أو المعتمر التداوي عند الفتوىٰ له بذلك بفِعل المحظورات، كحلق الشعر أو تغطية الرأس أو الرقود في المستشفىٰ ومنعه إتمام النسك حرصًا علىٰ حياته.

وللمريض أن يترخَّص في عدم إكمال الحج أو حتىٰ الانتفاع منه لحادثةٍ أو شِدَّة زحامٍ مما يُعطِّله عن أداء الفرائض، وله بعد ذلك أن يتحلَّل بعمرة بعد شفائه.

وللمريض أيضًا أن يستنيب عنه غيرَه في رَمْي الجمار إذا عَجَز بنفسه؛ لمرضٍ أو لحَمْلٍ أو لكِبَر سِنٍّ، سواء كان بالأجرة أو التطوُّع، رجلًا كان أو امرأةً. كما يجوز للمريض أن يُخدَّر بمواد مخدرة، كالبنج مثلًا، في العمليات الجراحية لوجود الحاجة

والضرورة للتخدير، ويجوز للمريض تعاطي المخدر للتداوي للضرورة والحاجة بعد سؤال أهل العلم والفتوىٰ. كما يُشرع للمريض كَشْفُ ما دعت إليه الحاجة من جسمه لأجل الفحص الطبي أو العلاج أو الجراح، كما يُشرع للطبيب النظر لموضع الحاجة.

٦-النسيان: فالنسيان يهجم قهرًا علىٰ العبد ولا حيلة له في دفعه؛ فلذلك كان النسيان معفوًّا عنه.

ضوابط النسيان:

١- حقوق العباد لا يُعتبر النسيان عذرًا في إسقاطها، إنما يَسقُط الإثم، أما ضمان الحقِّ؛ أي: كالأموال المتلفة مثلًا فواجبٌ؛ لأن حقوقَ العباد مَبْنِيَّة علىٰ المقاضاة، وحقوق العباد محترمة.

٢- حقوق الله مَبْنِيَّة علىٰ العفو والمسامحة؛ ولذلك يُعتبر النسيانُ عذرًا معتبرًا في حقوق الله إما بالإسقاط أو التخفيف، فإذا كان مما يُمكن تداركُه كالصلاة والصوم والحج والعمرة والكفارات والنذور فلا يسقط بالنسيان، وأما إذا كان لا يُمكن تداركه كالجهاد والجُمُعات والكسوف والرواتب فيسقط بفوات وقته.

٣- ألا يكون هناك تقصيرٌ ظاهر من المُكلَّف، فمَن تغافل عن الدرس والتكرار حتىٰ نسي فهو مَلُومٌ، وأما مَن واظب ودرس ولكنه بعد ذلك نسي فلا إثم عليه.

٧-الخطأ: هو ما يصدر عن المُكلَّف مِن قولٍ أو فِعْلٍ يُخالف الشرعَ من غير قَصْدٍ منه ولا نية مسبقة، ويُرْفع عن المُخطئ إثمُ الخطأ لا ذاتَ الخطأ؛ لأن كلَّ بني آدم خَطَّاءٌ.

أقسام الخطأ:

١- خطأ في الفعل والقول، كأن يَقصِدَ المُكلَّف بفعله هدفًا معينًا فأخطأ وأصاب إنسانًا فقتله أو جرحه، أو أراد أن ينطق بلفظ فسبق لسانُه إلىٰ لفظ الطلاق فلا عقوبة عليه ولكنه تلزمه الآثار المادية والمالية المترتبة عليه.

٢- خطأ في القصد، كأن يقصد هدفًا يظنُّه صيدًا فتبين أنه إنسان، فهو قد أخطأ في القصد لا الفعل، وله نفس الحكم السابق مع إسقاط العقوبات البدنية المترتبة عليه.

٣- خطأ في التقدير، كأخطاء الأطباء في وصف الداء والدواء، فمن كان حاذقًا في مهنته ثم أخطأ فلا مسئولية عليه ولا ضمان، حتىٰ لو مات المريض بسبب خطئه، وأما إذا صدر عمن لم يعرف الطب فهو مسئول وضامن، وحتىٰ لو أخطأ الطبيب الحاذق وقطع عضوًا أو طرفًا من الأطراف ثم تبين له خطأ ذلك فلا مسئولية ولا ضمان عليه، وكالحاكم الذي اجتهد في حكم فأخطأ فلا إثم عليه.

أحكام الخطأ: بالنسبة لحقوق العباد: مَن أتلف مالَ غيره فعليه ضمانُه.

بالنسبة لحقوق الله: يسقط بالخطأ إثمُها ولا يُطالب الشارع إعادتها، فمَن اجتهد في معرفة القبلة فأخطأ فصلاتُه صحيحة ولا يُعيدها.

٨- الجهل: العذر بالجهل يتناسب مع التجاوز عن النَّقْص البشريِّ، كما يتناسب مع مراعاة أحوال الناس ودرجاتهم في العلم والفهم، كما يتناسب مع اعتبار الأزمنة والأماكن المختلفة وانتشار العلم واضمحلاله. فقد يعرف البعضُ ما لا يعرفه الآخرون، فهناك جهلٌ يتعذر الاحتراز منه، وهناك ما لا يتعذر منه، والجهل مُسقِط للإثم مطلقًا، لكن يجب تدارك ما تُرِك جهلًا إذا كان مأمورًا به. ومَن فَعَل مَنْهيًّا عنه جهلًا فلم يتلف بسببه شيءٌ فلا شيء عليه، وما كان فيه إتلاف فعليه الضمان المالي، والجهل شبهة تسقط العقوبة.

٩- عموم البلوى: وهو شيوع البلاء وانتشاره بحيث يتعذَّر علىٰ الإنسان أن يتخلَّص منه أو يبتعد عنه، وعموم البلوىٰ يشمل العبادات والطهارات والنجاسات والمعاملات المالية.

فهو مشقَّة تلحق النفسَ لعدم القدرة علىٰ تجنُّب الشيء، وشيوع البلاء بحيث يصعب علىٰ المرء التخلُّصُ أو الابتعادُ عنه لمسيس الحاجة إليه.

١٠- النقص: وهو خاصية أو وَصْفٌ في المسلم البالغ العاقل، إما أن يكون صفةً طبيعية كالسفه والعته مثلًا، أو دائمة، أو مؤقتة، بحيث تُؤدِّي إلىٰ إسقاط التكليف بشكل كليٍّ أو جزئيٍّ. فالنقصُ عكسُ الكمال، وهو من الأسباب المعتبرة شرعًا للترخص والتخفيف رفعًا للحرج؛ لأن الله ﷻ كلَّف الإنسان ما هو علىٰ قدر استطاعته.

ومن أمثلة النقص المؤقت اليُتم، والنوم.

ضوابط النقص:

أ- عوامل دائمة: كعجز الشيخوخة، وأنوثة المرأة الطبيعية، فهي مطمع الرجال وأمرها دائم، وعُذرت به فسقط عنها وجوب الجمعة والجماعة والعيدين والجهاد.

ب- عوامل مؤقتة: كالحيض والنفاس، وهما أمران طبيعيان يمنعان المرأة من أداء الصيام والصلاة والطواف ودخول المسجد، فأسقط عنها الصلاة أبدًا من دون قضاء، وأما الصيام فإسقاط مؤقت، والطفولة والصبا، فإذا بلغ راشدًا كُلِّف، وإلا فلو بلغ مجنونًا أو معتوهًا فله حكمهما.

ج- عوامل طبيعية ليست في أصل الخلقة، دائمة أومؤقتة): فالمولود بالعمىٰ يسقط عنه بعد البلوغ وُجُوبُ الصلاة في الجماعة إذا لم يجد مَن يوصله للمسجد، ولا يأثم في إتلاف مال غيره. فكلُّ من أصابته عاهةٌ تُؤثِّر في أداء التكاليف يسقط عنه بقدرها، كمَن أُصيبت رِجله فلا يصلي قائمًا.

د- نقص لعامل حكمي أو عرفي أو اجتماعي: كالرِّقِّ والعبودية مثلًا.

ملخص:

١- الفقه الإسلامي يمتاز بالمرونة والشمولية لمجالات الحياة.

٢- الشريعة الإسلامية مبنية علىٰ رفع المشقة والحرج عن الناس، وتحقيق مصالحهم.

٣- المشقة تجلب التيسير، وهي أصل شرعي يستمد قوته من النصوص الشرعية.

٤- للرخصة الشرعية ضوابط تخضع لها كفيلة للفصل بين المشقة المتوهمة والحقيقية، وعلىٰ المفتي أن يُحيط بهذه الضوابط ولا ينزلق في الرخصة في غير محلها.

٥- ضوابط الرخص الشرعية هي المعيار الأصلي الذي ينبغي الاستناد إليه فيما يباح بالرخص وما لا يباح.

٦- فهم مقاصد الشريعة أمر مهم للغاية.

٧- إباحة الرخصة تُسقط الإثم في حق الله، ولا تسقط حق الآخرين من الضمان والتعويض.

❊ ❊ ❊

١٥- باب في المحافظة على الأعمال

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا﴾ [النحل: ٩٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٩]. وأما الأحاديث فمنها:

حديث عائشة: وَكَانَ أَحَبُّ الدِّينِ إِلَيْهِ مَا دَاوَمَ صَاحِبُهُ عَلَيْهِ. وَقَدْ سَبَقَ فِي البَابِ قَبْلَهُ.

(١٥٣/ ١٥) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ (أي: الحزب: ما يجعله الرجل على نفسه من قراءة أو صلاة) مِنَ اللَّيلِ، أَوْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ مَا بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وَصَلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيلِ». رواه مسلم.

(١٥٤/ ١٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا عبدَ الله، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلان، كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيلِ». متفق عليه.

(١٥٥/ ١٥) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيرِهِ صَلَّىٰ مِنَ النَّهارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم.

١٦- باب في الأمر بالمحافظة على السُّنَّة وآدابها

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: ٣، ٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب: ٢١].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩].

قَالَ العلماء: معناه إِلَىٰ الكتاب والسُّنَّة.

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: ٥٢].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]، والآيات في الباب كثيرة. وأما الأحاديث:

(١٥٦/ ١٦) فالأول: عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُم كَثْرَةُ سُؤالِهِمْ واخْتِلافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبيائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ». متفق عليه.

(١٥٧/ ١٦) الثاني: عن أَبي نَجيح العِرباضِ بن سَارية رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم موعظةً بَليغةً وَجِلَتْ (أي: خافت) مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ (أي: سالت منها العيون بالدموع)، فَقُلْنَا: يَا رسولَ الله، كَأَنَّهَا مَوْعِظَةُ مُوَدِّعٍ؛ فَأَوْصِنَا. قَالَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ اللهِ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ تَأَمَّرَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بالنَّواجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح». «النَّواجِذُ» بالذال المعجمةِ: الأنيابُ، وَقِيلَ: الأضْراسُ.

(١٥٨/ ١٦) الثالث: عَنْ أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ (أي: امتنع ورفض)». قيلَ: وَمَنْ يَأبَىٰ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ». رواه البخاري.

(١٥٩/١٦) الرابع: عن أبي مسلم- وقيل: أبي إياس- سَلَمَة بن عمرو بن الأكوع رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**». قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «**لا اسْتَطَعْتَ**». مَا مَنَعَهُ إلَّا الكِبْرُ. فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ (أي: فمه). رواه مسلم.

(١٦٠/ ١٦) الخامس: عن أبي عبد الله النُّعمان بن بَشِير رضي الله عنهما قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُسَوِّي صُفُوفَنَا حتىٰ كأنَّما يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ (أي: السهام) حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ. ثُمَّ خَرَجَ يومًا فقام حَتَّىٰ كَادَ أَنْ يُكَبِّرَ فرأىٰ رَجلًا بَادِيًا صَدْرُهُ، فَقَالَ: «**عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ**».

(١٦١/ ١٦) السادس: عن أبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: احْتَرَقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَىٰ أَهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسولُ الله ﷺ بِشَأْنِهِمْ، قَالَ: «**إنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذَا نِمْتُمْ فَأَطْفِئُوهَا عَنْكُمْ**». متفق عليه.

(١٦٢/ ١٦) السابع: عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ مِنَ الهُدَىٰ والعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ** (أي: مطر) **أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ** (أي: ما ينبت حول موضع الماء) **والعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ** (أي: أراضٍ صلبة تُمسك الماء ولا تشربه سريعًا) **أَمسَكَتِ المَاءَ فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ** (أي: أراضٍ مستوية ملساء لا نبات فيها) **لا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلأً، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ**». متفق عليه. «فَقُهَ» بضم القافِ عَلَىٰ المشهورِ، وقيل بكسرِها، أي: صار فقيهًا.

(١٦٣/ ١٦) الثامن: عن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَوْقَدَ نَارًا فَجَعَلَ الجَنَادِبُ والفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهَا وَهُوَ يَذُبُّهُنَّ** (أي: يدفعهن ويمنعهن ويبعدهن) **عَنْهَا، وَأَنَا آخذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَأَنْتُمْ تَفَلَّتونَ مِنْ يَدَيَّ**». رواه مسلم. «الجَنَادِبُ»: نَحوُ الجرادِ وَالفَرَاشِ، هَذَا هُوَ المَعْرُوف الَّذِي يَقَعُ فِي النَّارِ. و«الحُجَزُ»: جَمْعُ حُجْزَةٍ وَهِيَ مَعْقِدُ الإِزَارِ وَالسَّراوِيل.

(١٦٤/ ١٦) التاسع: عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ (أي: وهي إناء كالقصعة)، وَقَالَ: «**إِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّهَا البَرَكَةُ**». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «إِذَا وَقعتْ لُقمَةُ أَحدِكُمْ فَلْيَأخُذْهَا، فَليُمِطْ (أي: فَلْيُزِل) مَا كَانَ بِهَا مِنْ أذىً، وَلْيأكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ، وَلا يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْدِيلِ حَتَّىٰ يَلْعَقَ أصَابعَهُ فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ».

وفي رواية لَهُ: «إنَّ الشَّيطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيءٍ مِنْ شَأنِهِ، حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فَإذَ سَقطَتْ مِنْ أَحدِكُم اللُّقمَةُ فَليُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذىً، فَلْيَأكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيطَانِ».

(١٦٥/ ١٦) العاشر: عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ الله ﷺ بموعِظَةٍ، فقَالَ: «يَا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّكُمْ مَحْشُورونَ إِلَىٰ الله تعَالَىٰ حُفَاةً عُرَاةً غُرلًا ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] ألا وَإنَّ أَوَّلَ الخَلائِقِ يُكْسَىٰ يومَ القِيَامَةِ إبراهيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ألا وَإنَّهُ سَيُجَاءُ برِجالٍ مِنْ أُمَّتي فَيُؤخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمالِ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي. فَيُقَالُ: إنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أحْدَثُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العبدُ الصَّالِحُ: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إِلَىٰ قولِهِ: ﴿أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨] فَيُقَالُ لِي: «إنَّهُم لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَىٰ أعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ». متفق عليه. «غُرْلًا» أي: غَيرَ مَخْتُونِينَ.

(١٦٦/ ١٦) الحادي عشر: عن أبي سعيد عبد الله بن مُغفَّل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الخَذْفِ (أي: العبث بالطيور وتعذيبها برميها بالحصىٰ)، وقالَ: «إنَّهُ لَا يَقْتُلُ الصَّيْدَ، وَلَا يَنْكَأُ (أي: لا يقتل) العَدُوَّ، وإنَّهُ يَفْقَأُ العَيْنَ، وَيَكْسِرُ السِّنَّ». متفق عليه.

وفي رواية: أنَّ قَرِيبًا لابْنِ مُغفَّل خذَفَ فنَهَاهُ، وَقالَ: إنَّ رَسُولَ الله ﷺ نَهَىٰ عَن الخَذْفِ، وَقالَ: «إنَّها لَا تَصِيدُ صَيدًا». ثُمَّ عادَ فقَالَ: أُحَدِّثُكَ أنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَىٰ عَنْهُ، ثُمَّ عُدْتَ تَخذِفُ؟! لا أُكَلِّمُكَ أَبَدًا.

(١٦٧/ ١٦) الثاني عشر: وعَن عَابِسِ بن رَبِيعةَ، قَالَ: رَأيتُ عُمَرَ بنَ الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يُقبِّلُ الحَجَرَ - يَعْنِي: الأسْوَدَ - وَيقُولُ: إني أَعلَمُ أنَّكَ حَجَرٌ مَا تَنفَعُ وَلَا تَضُرُّ، وَلَولا أنِّي رَأيتُ رسولَ الله ﷺ يُقَبِّلُكَ مَا قَبَّلْتُكَ. متفق عليه.

* * *

(السُّنَّة النبوية الشريفة)

• **السُّنَّة لغة:** هي الطريقةُ، سواءٌ كانت محمودةً أو مذمومةً، ومنها قولُ النبيِّ ﷺ: «لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ شِبْرًا بِشِبْرٍ وَذِرَاعًا بِذِرَاعٍ» متفق عليه.

• **السُّنَّة شرعًا: أولا: في اصطلاح المحدثين:** هي ما أُضيف إلىٰ النبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أوخُلُقية، وكذلك ما أُضيف إلىٰ الصحابي أو التابعي مما ليس للاجتهاد فيه مدخل، ولا للرأي فيه نصيب.

ثانيًا: في اصطلاح الفقهاء: هو الأمر الذي ليس بواجب ولا فريضة في العبادات والمعاملات كسنن الصلاة والصيام وغيرها، حيث طلب الشارع الحكيم فعله من المكلف طلبًا في غير حتمٍ ولا بصيغةٍ تدل علىٰ حتمية فعله، كأن يقول يسن كذا؛ أو يندب كذا؛ كما لو دلَّت القرينة علىٰ أنه للندب فقط.

ثالثًا: في اصطلاح الأصوليين: هي ما نُقل عن النبيِّ ﷺ من قولٍ أو فعل أو تقرير، وتقريرُه ﷺ هو سكوته علىٰ فِعْلٍ يُفعَل أمامه مع عدم إنكاره علىٰ صاحب ذلك الفعل، أو سماعه عن أمرٍ يُفعَل ولاً يُنكِره.

قال ابن تَيْميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السُّنَّة هي ما شَرَعه اللهُ ورسولُه من الدين.. والسُّنَّة التي يجب اتِّباعُها ويُحمَد أهلُها ويُذَمُّ مَن خالَفَها هي سنةُ رسول الله ﷺ في أمور الاعتقاد وأمور العبادات وسائر أمور الديانات، وذلك إنما يُعرَف بمعرفة أحاديث النبيِّ ﷺ الثابتةِ عنه في أقواله وأفعاله وما تَرَكه مِن قولٍ وعملٍ، ثم ما كان عليه السابقون والتابعون لهم بإحسان..

والسُّنَّة أيضًا ما تلقَّاه الصحابة عن رسول الله ﷺ من الشرع والدين والهدي الظاهر والباطن وتلقاه عنهم التابعون ثم تابعوهم ثم أئمة الهدىٰ العلماء العدول المقتدون بهم ومَن سَلَك سبيلَهم إلىٰ يوم القيامة.

وقد أطلق علماءُ السَّلَف مصطلحَ السُّنَّة علىٰ أصول الدين وفرائض الإسلام وأمور الاعتقاد والأحكام القطعية في الدين؛ ولهذا كان الأئمةُ مثل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره يُصنِّفون كتبَ ورسائلَ الاعتقادِ باسم السُّنَّة.

ويقول ابنُ رجبٍ الحنبليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فالسُّنَّة تُطلق عندهم علىٰ ما سَلِمَ من الشُّبهات في الاعتقادات، خاصة في مسائل الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وكذلك في مسائل القدر وفضائل الصحابة.

فالسُّنَّة هي الاعتقاد الصحيح المقابل لاعتقاد أهل البدع والباطل، وكان العلماء يُفرِّقون في هذا بين السُّنَّة والحديث.

وقد سُئل ابنُ الصلاح رَحِمَهُ اللَّهُ عن الفرق بين قولهم عن مالك: إنه جَمَع بين السُّنَّة والحديث، فما الفرق بين السُّنَّة والحديث؟ فأجاب رَحِمَهُ اللَّهُ: السُّنَّة هاهنا ضد البدعة، وقد يكون الإنسانُ من أهل الحديث وهو مبتدع، ومالكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ جَمَع بين الأمرين، فكان عالـمًا بالسُّنَّة (أي: الحديث) ومعتقدًا للسنة (أي: كان مذهبه مذهب أهل الحقِّ من غير بدعة).

قال النبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُوصِيكُمْ بِتَقْوَىٰ الله وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا مُجَدَّعًا؛ فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَىٰ اخْتِلافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، فَتَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». أبو داود برقم (٤٦٠٧)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٢٧٣٥).

مصادر التشريع:

أولا: القرآن الكريم: هو المعجزة الكبرىٰ لمحمدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خاتَم الأنبياء والمرسلين، وهو الكتاب المحفوظ من قِبَل الله تعالىٰ حفظًا كاملًا، كلمةً كلمةً، وحرفًا حرفًا، علىٰ مدىٰ أربعة عشر قرنًا أو يزيد، وإلىٰ أن يرث اللهُ تعالىٰ الأرض ومَن عليها، وفي ذلك قال اللهُ تعالىٰ: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾ [فصلت: ٤٢]، وهو المصدر الأول للتشريع، مقطوع بثبوته من أوله إلىٰ آخره.

ثانيًا: السُّنَّة النبوية: هي المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، كما قال الله تعالىٰ لرسوله الكريم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤]، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المبين والمفسر للقرآن الكريم.

وهذا الإمام الشوكانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ يقول في كتابه «إرشاد الفحول»: اعلم أنه قد اتَّفق من يُعتَدُّ به من أهل العلم علىٰ أن السُّنَّة المطهرة مُستقِلَّة بتشريع الأحكام، وأنها كالقرآن في تحليل الحلال وتحريم الحرام.

والحاصل أن ثبوتَ حُجِّيَّة السُّنَّة المُطهَّرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يُخالف في ذلك إلا مَن لا حظَّ له في دين الإسلام، وأن القرآنَ العظيم والسُّنَّة النبوية المطهرة هما طوق النجاة لكلِّ إنسان في هذا الوجود، سواءٌ كان ذلك في حياته، أو في سكرات الموت عند وفاته، أو في وَحْدته ووحشته في قبره وعند حسابه، أو عند فجأة البعث وأهواله، وأثناء الحساب ورهبته، أو وقت يُنصَب الميزان للعباد، أو عند عبور الصراط؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾[آل عمران: ٨٥].

منزلة السُّنَّة في الإسلام: السُّنَّة هي التفسيرُ العَمَليُّ للقرآن، والتطبيقُ الواقعيُّ للإسلام، وقد كان ﷺ كما قالت أمُّ المؤمنين عائشةُ رَضِيَٱللَّهُعَنهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ» [أحمد في مسنده (٦/ ٩١) برقم (٢٤٦٤٥)]، فالسُّنَّة مُبيِّنة ومُوضِّحة ومُفسِّرة للقرآن. وكما شمل القرآنُ المنهجَ الكاملَ الجامع للإنسانية، كذلك منهجُ السنة، قد شمل حياةَ الإنسان من المَهْد إلىٰ اللَّحْد، وكذلك شمل جميعَ مجالات الحياة كلها في البيت والسوق، وفي المسجد، وفي العمل، وفي الطريق، وشمل أيضًا العلاقاتِ مع الله ومع الناس، ومع المسلم وغير المسلم، بل مع الحيوانات والجمادات، وامتدَّت هذه المجالات حتىٰ شملت نفسَ الإنسان الباطنة وتعرَّضت لقلبه وعقله ونيَّاته، فتعرَّضت لعمق الحياة ومقصودها.

فالسُّنَّة منهجٌ متكامل يشمل جميعَ جوانب الحياة بواقعية؛ فلا يتعامل مع الناس علىٰ أنهم ملائكةٌ، ويُراعي ضعفَهم، ويأخذهم من حدِّ الكمال الأعلىٰ إلىٰ حدِّ الجواز الأدنىٰ، مُراعيًا حالَهم، متميزًا بالسهولة واليُسْر والسَّماحة، ومتوازنًا بين طلبات الرُّوح والجسد، وبين العاطفة والعقل، وبين الدنيا والآخرة، وبين الفرد والجماعة؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾[البقرة: ١٤٣].

واجب المسلمين نحو السُّنَّة: عن أسامة بن زيد رَضِيَٱللَّهُعَنهُمَا، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ: تَحْرِيفَ الْغَالِينَ وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ». البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠)، صححه الألباني (تحقيق مشكاة المصابيح) حديث (٢٤٨).

• **تحريف الغالين (المتشددين):** هو تجاوز الحقِّ إلىٰ الباطل وهوىٰ النفس، بالتشدد علىٰ الناس في غير موضع التشدُّد، كما قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]، وكما نقَل ابن عباس رضي الله عنهما عن النبيِّ ﷺ قوله: «إِيَّاكُمْ وَالغُلُوَّ فِي الدِّينِ؛ فَإِنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ». أحمد في مسنده (١/ ٢١٥) برقم (١٨٥١).

وهذا ابنُ مسعودٍ يَرْوي عن رسول الله ﷺ قولَه: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ» قالها ثلاثًا [مسلم برقم (٢٦٧٠)]، يعني: هلك المتشددون في غير موضع التشدد.

فالإسلامُ هو دين الوسطية والسماحة واليُسْر، في غيرِ غلوٍّ ولا شَطَطٍ.

ويقول سفيانُ الثَّوْريُّ رحمه الله: التشدُّد يُحسِنه كلُّ أحدٍ، أما العلمُ فهو الرُّخصة من ثقةٍ.

• **وأما انتحالُ المبطلين:** فهو محاولةُ إلصاق ما ليس من هذا المنهج الربانيِّ والسُّنَّة النبوية من البِدَع والمخترعات والمُحدَثات إليه؛ وقد عجز أهل الباطل علىٰ مرِّ السنين مرارًا وتكرارًا في القرآن العظيم، فحاولوا ذلك في السُّنَّة ظنًّا منهم أنها غيرُ محفوظة كحفظ القرآن، ولكن الله قيَّض لحفظِ السُّنَّة فُرسانًا فقعدوا لهم كلَّ مرصد وسدُّوا عليهم كلَّ طريقٍ للكذب والاحتيال، فجزاهم الله عن الإسلام خيرًا. وهؤلاء الأعلامُ لم يقبلوا حديثًا بغير سندٍ دون أن يشرحوا رواته، واحدًا واحدًا، حتىٰ تُعرَف عينُه وحالُه من مولده إلىٰ وفاته، ومن أيِّ حَلْقةٍ كان هو، ومَن هم شيوخه، ومن هم رِفاقه، ومن هم تلامذته، وما مدىٰ أمانته وتقواه، ومدىٰ حفظه وضبطه، ومدىٰ موافقته للثقات المشاهير أو انفراده بالغريب من الحديث؛ ولهذا قال ابن المبارك رحمه الله: الإسناد من الدِّين، ولولا الإسناد لقال مَن شاء ما شاء. ويُقصد بالإسناد: انتسابُ الحديث إلىٰ مَن رواه، ومعرفةُ سلسلة السَّنَد التي ورد عنها الحديثُ أو الأثر، ومعرفة صِحَّة الحديث مِن ضعفه.

وهذا أحدُ العلماء الألمان يقول في ذلك: لقد اعتنىٰ المسلمون بحياة نبيِّهم وتتبُّع أقواله وأفعاله، والاعتناء بحياة المتتبِّعين أنفسهم، أعني الرواةَ عنه، وليس في الدنيا أحدٌ عُني به مثلَ هذه العناية، بكلِّ مَن لقيه، وبكلِّ مَن رَوَىٰ عنه شيئًا، وبمَن روىٰ عمَّن روىٰ... إلخ، وأُلِّف فيهم الكتب، فكُتِبت «طبقات ابن سعد»، و«طبقات ابن ماكولا»، وكتاب

«الصحابة» لابن السكن، وابن الجارود، والعقيلي، وابن أبي حاتم الرازي، وأبي زُرْعة الرازي، والأزرق، والدولابي، والبغوي، و«أُسْد الغابة»، و«الاستيعاب»، و«الإصابة»، وكتب أسماء الرجال من التابعين وتابعي التابعين.. ثم قال: إن الدنيا لم تَرَ ولن ترىٰ أمةً مثل المسلمين، فقد درسوا بفضل عِلْم الرجال الذي أوجدوه حياة نصف مليون رجل.

• **وأما تأويل الجاهلين:** فالمقصود به التأويل السيئ والفهم الرديء، وهذا بسبب الجهل وقصور العقل وادِّعاء العلم لمن ليس بأهله؛ فيُعرِض أهلُ الجهل عن مُحكَم الدين ويتَّبعون متشابهه ابتغاءَ الفتنة وابتغاء تأويله، وما هلكت الفِرَق الضالة إلا بسوء التأويل وسوء الفهم عن الله تعالىٰ ورسوله المصطفىٰ ﷺ، وهذا أصلُ كلِّ بدعةٍ وضلالةٍ في الدين، وخاصة لو انضم إليه سوء القصد، فإن الأصل (أي: القرآن والحديث) معصوم من الخطأ والزَّلَل، ولكن الفرع (أي: وهو الفهم) لا شكَّ غير معصوم.

فالواجب أن نَرُدَّ الفَرْعَ إلىٰ الأصل، أو غير المعصوم إلىٰ المعصوم، فلا نلوي السُّنَّة انتصارًا لمذاهبنا وآرائنا، بل نقول كما قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧]. فعلينا أن نستوثق من السُّنَّة الصحيحة بالرجوع إلىٰ أهلها ومصادرها الصحيحة أيضًا، وأن نُحسن فَهْم هذه السُّنن وَفْق القواعد العلمية المعمول بها، ونعرف ما كان من السُّنَّة تشريعًا وما ليس بتشريع.

شبهة أعداء السُّنَّة: أعداءُ السُّنَّة هم مُنكِرو السُّنة الذين يُريدون الاكتفاءَ بالقرآن وإنكار السنة. وبخصوص شبهة هؤلاء- وهي قولهم: إن القرآنَ يكفينا؛ لأنه التِّبيان لكلِّ شيءٍ- يقول العلماءُ: إن السُّنَّة هي بيانٌ للقرآن من غير شكٍّ، وهي التي تُفصِّل ما قد أجمله القرآنُ، وتُخصِّص ما كان عامًّا منه، وتُقيِّد ما كان مطلقًا، ولولا السُّنَّة ما عَرَفنا تفاصيلَ الصلاة والصيام والزكاة والحج وغيرها؛ لذا فقد قال تعالىٰ: ﴿بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النحل: ٤٤].

وقد أَمَرنا القرآنُ الكريمُ بطاعة الرسول ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٩]. وقد أجمَع العلماءُ علىٰ أن الرَّدَّ

إلىٰ الله معناه إلىٰ القرآن، والرد إلىٰ الرسول ﷺ يعني إلىٰ السُّنَّة.

قال الإمام الشاطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في «الموافقات»: إن حِفْظَ القرآن مِن قِبَل الله تعالىٰ يتضمَّن حِفظَ السُّنَّة كذلك؛ لأنها بيانٌ له، وحِفظُ الشيء يستلزم حِفظَ ما يُبيِّنه ويُفسِّره، فهو من دواعي ولوازم ذلك الحفظ؛ قال رسول الله ﷺ: «لَا أُلْفِيَنَّ (أي: لا أجِد) أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَىٰ أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ، فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ الله اتَّبَعْنَاهُ». الترمذي برقم (٢٦٦٣)، صححه الألباني (تحقيق مشكاة المصابيح) حديث (١٦٢).

فالخطأ الأساسيُّ الذي وَقَع فيه هؤلاء المُنكرون إنما هو قياسُ الغائب علىٰ الشاهد، والآخرة علىٰ الدنيا، وهو قياسٌ مع الفارق؛ فلكلِّ دارٍ قوانينُها وسننها.

والسُّنَّة هي المصدر الثاني للفقه والتشريع بعد كتاب الله تعالىٰ، وهي أصلٌ ودليلٌ للأحكام الشرعية؛ قال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ نقلًا عن مكحول رَحِمَهُ اللَّهُ: القرآن أحوجُ إلىٰ السُّنَّة من السُّنَّة إلىٰ القرآن؛ حيث هي المُبيِّنةُ والمُفسِّرة للكتاب، فهي التي تُفسِّر ما أجمله، وتُقيِّد ما أطلقه، وتُخصِّص ما عمَّمه.

فالسُّنَّة كما قال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ مُبيِّنة للكتاب؛ فهي تُبيِّن الكتابَ من وجه، وهي من وجهٍ آخر تدور في فَلَك الكتاب ولا تخرج عنه، وهو أمرٌ لا نزاع فيه أنها المصدر الثاني للتشريع في العبادات والمعاملات للفرد والأسرة والمجتمع والدولة والعلاقات الدولية وجميع أمور العيش كافة، حتىٰ إنك تجدُ في كتب الفقه الإسلاميِّ في كلِّ المذاهب ما يُؤيِّد ذلك، فما من حكمٍ إلا وتجد له الاستدلالات العظيمة والكثيرة من السُّنَّة، سواء بالقول أو الفعل أو التقرير، فهو مبدأٌ مُسَلَّمٌ به بين العلماء، والخلاف بين العلماء إنما هو في التأكُّد من صحة ما وَصَل إليهم من السُّنَّة أو خطئه، فالاختلاف إذنْ في ذلك يتبع الاختلاف في التطبيق حسب درجة الصحة وقبول الأحاديث والعمل بها.

ما ليس تشريعًا من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله: كلُّ ما صَدَر عن الرسول ﷺ من أقوالٍ أو أفعال فهو حجة علىٰ المسلمين واجبُ الاتِّباع، وذلك إذا صدر عنه بوصفه ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وكان المقصودُ منه التشريعَ العام والاقتداء، والرسول ﷺ إنسان كسائر البشر، قد اصطفاه الله تبارك وتعالىٰ رسولًا وأرسله إليهم، كما قال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، ويترتب علىٰ ذلك حالات ثلاث:

١- ما صَدَر عن النبيِّ ﷺ بمقتضىٰ طبيعته الإنسانية البشريَّة، من قيامٍ وقعودٍ ومَشْيٍ ونوم وأكلٍ وشرب، فليس ذلك بتشريع، وهذا ليس مصدره رسالته من وَحْي السماء، وإنما هو صَدَر منه كفِعْل إنسانيٍّ، أما إذا صَدَر ذلك ودلَّ دليلٌ علىٰ أن المقصودَ مِن فعله الاقتداءُ به كان ذلك تشريعًا بهذا الدليل.

٢- ما صَدَر عنه بحكم الخبرة الإنسانية والحذق والتجارب التي اكتسبها في شئون الدنيا، من تجارةٍ وزراعة وتنظيمِ جيوشٍ وتدبيرِ حربيٍّ ووصفِ دواءٍ لمرضٍ وأمثال هذا، فهذا أيضًا ليس تشريعًا؛ لأنه ما صدر عن رسالته ووحيه، وإنما صدر عن خبرته الدنيوية وتقديره الشخصي.

ويدلُّ علىٰ ذلك ما رويَ عن الحُبَاب بن المنذر رضي الله عنه في غزوة بدر بقوله: أهذا مَنْزِلٌ أَنْزَلَكَهُ اللهُ، أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟ فقال ﷺ: «بَلْ هُوَ الرَّأْيُ وَالحَرْبُ وَالمَكِيدَةُ». فقال ابن المنذر: ليس هذا بمنزل. وأشار إلىٰ مكانٍ آخرَ للنزول، وقَبِلَ الرسولُ ﷺ منه ذلك [البيهقي في «الدلائل» (٣/ ٣٥)]، فلو كان وَحْيًا لما تمت المناقشة علىٰ هذا الوجه.

كما يدل علىٰ ذلك أيضًا ما رُوي من أن الرسولَ ﷺ لما رأىٰ أهلَ المدينة يُؤبِّرون النخل (أي: يُلقِّحونها ويُذكِّرونها) أشار عليهم ألا يفعلوا، فتلف الثمر بذلك، فقال لهم: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ إِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِ دِينِكُمْ فَخُذُوا بِهِ وَإِذَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ». صحيح ابن حبان (١/ ٢٠٢) برقم (٢٣)، وبلفظ آخر أخرجه مسلم برقم (٢٣٦١).

٣- ما صَدَر عن رسولِ الله ﷺ ودلَّتِ الأدلةُ الشرعية علىٰ أنه خاصٌّ به من دون الناس، وأنه ليس تشريعًا نقتدي فيه بفعله؛ وذلك كزواجه بأكثر من أربعِ زوجاتٍ.

الخلاصة: أن ما صَدَر عن رسول الله ﷺ من أقوالٍ وأفعال في الحالاتِ الثلاث التي بيَّنَّاها إنما هو من سُنَّتِه، ولكنه ليس تشريعًا ولا قانونًا واجبًا اتباعه؛ وأما ما صَدَر من أقوالٍ وأفعالٍ بوصف أنه رسولٌ ومقصودٌ به التشريع العام واقتداء المسلمين به فهو حجة علىٰ المسلمين وقانون واجبٌ اتباعُه؛ أي هو كلُّ ما صَدَر عنه من قولٍ أو فعلٍ أو تقريرٍ قَصَدَ به التشريعَ واقتداء الناس به لهدايتهم.

❊ ❊ ❊

١٧- باب في وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دعي إلى ذلك وأمر بمعروف أو نهي عن منكر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

وفيه من الأحاديث: حديث أبي هريرة المذكور في أول الباب قبله، وغيره من الأحاديث فِيه.

(١٦٨/ ١٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ ۖ﴾ الآيـة [البقرة: ٢٨٤] اشْتَدَّ ذٰلِكَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ فَأَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ (أي: حرف نداء للقريب) رسولَ الله، كُلِّفْنَا مِنَ الأعمالِ مَا نُطِيقُ: الصَّلاةَ والجِهادَ والصِّيامَ والصَّدَقَةَ، وَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هـٰذِهِ الآيَةُ وَلا نُطيقُها. قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الكِتَابَيْنِ (أي: اليهود والنصارى) مِنْ قَبْلِكُمْ: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا سَمِعنا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ». قالوا: سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا (أي: قرأها) القومُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي أثرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥] فَلَمَّا فَعَلُوا ذٰلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ﴾ قَالَ: «نَعَمْ». ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ﴾ قَالَ: «نَعَمْ». ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ﴾ قَالَ: «نعم». ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: ٢٨٦] قَالَ: «نعم». رواه مسلم.

* * *

(أقسام الحكم التكليفي للأمة)

تنقسم الأحكام الشرعية أو التكليفية- أي ما كُلِّف به المسلمون- إلىٰ خمسة أقسام هي: الواجب، والمندوب، والمحرم، والمكروه، والمباح.

الوجوب: هو الأمر الواجب الذي طلب الشارع الحكيم فعله من المكلف طلبًا حتميًّا بدليل من القرآن والسُّنَّة دلَّ عليه أو بصيغة الأمر الواجب؛ أو بترتيب العقوبة علىٰ تركه؛ أو بأي قرينة شرعية أخرىٰ، وهذه الأوامر مثل الصيام والصلاة والزكاة والحج وبر الوالدين... إلخ، من المأمورات التي وردت بصيغة الأمر المطلق.

الندب: هو الأمر الذىٰ طلب الشارع الحكيم فعله من المكلف طلبًا في غير حتمٍ ولا بصيغةٍ تدل علىٰ حتمية فعله كأن يقول يسن كذا؛ أو يندب كذا؛ كما لو دلَّت القرينة علىٰ أنه للندب فقط كما قال في آية الدَّين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] فإن الأمر فيها ليس واجبًا، وإنما للندب فقط بدليل القرينة التي في الآية نفسها وهي قوله تعالىٰ: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] فقد أشارت إلىٰ أن للدائن حقًّا في أن يثق بمدينه ويأتمنه بغير كتابة هذا الدَّيْن عليه.

التحريم: هو الأمر الذي طلب الشارع الحكيم الكفَّ عن فعله طلبًا حتميًّا كأن تكون صيغة الطلب حتمية أيضًا كقوله تعالىٰ: ﴿حُرِّمَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحۡمُ ٱلۡخِنزِيرِ﴾ [المائدة: ٣]، أو أن يكون النهي عن الفعل مقترنًا بدليل حتمي من الشرع كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٣٢]، أو أن يترتب علىٰ الفعل عقوبة مثل قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجۡلِدُوهُمۡ ثَمَٰنِينَ جَلۡدَةٗ﴾ [النور: ٤].

الكراهة: هو الأمر الذي طلب الشارع الحكيم من المكلف اجتنابه طلبًا في غير حتم، حيث تكون الصيغة نفسها دالة علىٰ ذلك كما ورد في الحديث الشريف: «إِنَّ اللهَ كرِهَ لكم قيلَ وقالَ» [صحيح البُخَاري(٨/ ٢٥١) برقم ٢٢٣١]، أو كان النهي بقرينة تدل علىٰ الكراهة وليس

التحريم مثل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١].

الإباحة: هو الأمر الذي خيَّر الشارع الحكيم المكلَّفَ بين فعله وتركه علىٰ وجه التخيير؛ فلم يطلب منه أن يفعله؛ أو أن يَكُفَّ عنه كقوله ﷻ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الجمعة: ١٠]، وكقوله أيضًا: ﴿وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ﴾ [البقرة: ١٨٧]

* * *

١٨- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ﴾ [يونس: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَّا فَرَّطۡنَا فِي ٱلۡكِتَٰبِ مِن شَيۡءٖۚ﴾ [الأنعام: ٣٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [النساء: ٥٩]؛ أي الكتاب والسُّنَّة.

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١].

وَالآياتُ فِي البَابِ كَثِيرَةٌ مَعلُومَةٌ.

وَأَمَّا الأَحادِيثُ فَكَثِيرَةٌ جدًّا، وَهِيَ مَشْهُورَةٌ فَنَقْتَصِرُ عَلَىٰ طَرَفٍ مِنْهَا:

(١٦٩/ ١٨) عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ أحْدَثَ فِي أمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ (أي: مردود عليه)». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيهِ أمْرُنا فَهُوَ رَدٌّ».

(١٧٠/ ١٨) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيناهُ، وَعَلا صَوتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّىٰ كَأنَّهُ مُنْذِرُ جَيشٍ، يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ». وَيَقُولُ: «بُعِثْتُ أنَا والسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ». وَيَقْرِنُ بَيْنَ إصبعَيهِ السَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ، وَيَقُولُ: «أمَّا بَعْدُ، فَإنَّ خَيرَ

الحَدِيثِ كِتَابُ الله، وَخَيرَ الهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ». ثُمَّ يَقُولُ: «أنَا أوْلَى بِكُلِّ مُؤمِنٍ مِنْ نَفسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالًا فَلأهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا أَوْ ضَيَاعًا (أي: عيالًا) فَإلَيَّ وَعَلَيَّ». رواه مسلم.

وعن العِرْبَاضِ بن سَارِيةَ رضي الله عنه حديثه السابق في بابِ المحافظةِ عَلَىٰ السُّنَّةِ.

* * *

(الابتــــداع)

البدعةُ في الدِّين: هي التي لم يَدُلَّ عليها دليلٌ شرعيٌّ، لا مِن كتابٍ، ولا من سُنَّةٍ، ولا من إجماعٍ، ولا من استدلالٍ مُعتبَرٍ عند أهل العلم، لا في الجملة ولا في التفصيل؛ فهي شيءٌ مُختَرَعٌ علىٰ غيرِ مِثَالٍ سابقٍ.

أحكام البدعة بنوعيها: وللسادة العلماء في تعريف البدعة شرعًا مسلكان:

المسلك الأول: وهو مَسْلكُ الإمام العِزِّ بن عبد السلام؛ حيث اعتبر أن ما لم يفعله النبيُّ ﷺ فهو بدعةٌ، وقسَّمها إلىٰ أحكام، قال في «قواعد الأحكام في مصالح الأنام»: البِدْعة فِعْلُ ما لم يُعهَدْ في عَصْر رسول الله ﷺ، وهي منقسمة إلىٰ: بدعة واجبة، وبدعة محرمة، وبدعة مندوبة، وبدعة مكروهة، وبدعة مباحة، والطريق في معرفة ذلك أن تُعرَضَ البدعة علىٰ قواعد الشريعة: فإن دخلَتْ في قواعد الإيجاب فهي واجبةٌ، وإن دخلت في قواعد التحريم فهي مُحرَّمةٌ، وإن دخلت في قواعد المندوب فهي مندوبةٌ، وإن دخلت في قواعد المكروه فهي مكروهة، وإن دخلت في قواعد المباح فهي مباحة.

وأكد الإمام الحافظ ابنُ حَجَرٍ العَسْقَلانيُّ هذا المعنىٰ؛ حيث قال في «فتح الباري»: وكلُّ ما لم يكن في زَمَنِهِ يُسمَّىٰ بِدْعةً، لكنَّ منها ما يكون حَسَنًا، ومنها ما يكون بخلاف ذلك.

والمَسْلَك الثاني: رَفَض فيه الإمامُ الشاطبيُّ رحمه الله التقسيمَ الأول وبالغ في رَدِّه، واعتبر أن هذا التقسيمَ أمرٌ مُخترَعٌ لا يدلُّ عليه دليلٌ شرعيٌّ؛ حيث اعتبر البدعةَ مع السُّنَّة تنقسم

إلىٰ ثلاثةٍ:

- سُنَّة، وهي ما فُعل في الصَّدْر الأول وشهد له أصلٌ من أصول الشرع.

- وبدعة، وهي ما لم يُفعَل في الصدر الأول ولم يشهد له الأصل.

- ومُشتبِهات، وهي ما لم يُفعَل في الصدر الأول وشهد له الأصل.

فيرىٰ الشاطبيُّ بذلك أن البدعةَ لا تكون واجبةً ولا مندوبةً ولا مباحة، إنما تكون قبيحةً منهيًّا عنها، وبالتالي فإن أمثلةَ البِدَعِ الواجبة والمندوبة والمباحة التي ذَكَرها القَرَافيُّ وشيخُه ابنُ عبد السلام لا تَخرُج عن كونها إما مما له أصل في الدين ومن المصالح المرسلة، وإما عن كونها من العادِيَّات.

ويرىٰ الشاطبيُّ أن ما كان له أصلٌ في الدين ومن المصالح المرسلة لا يُعَدُّ من البدع؛ لأن مفهومَ البدعة أنها خارجةٌ عما رَسَمه الشرع؛ إذ هي طريقةٌ في الدِّين ابتُدِعَتْ علىٰ غيرِ مثالٍ سبقها لتتشابه مع الشريعة، ويُقصَد بفِعْلِها المبالغةُ مِن صاحبها في التعبُّد لله.

فتميَّزتِ البدعةُ وانفصلت بهذا الفهم عن كلِّ ما ظَهَر واختُرِع مما هو مُتعلِّق بالدين، كعلم النحو والتصريف ومفردات اللغة وأصول الفقه وسائر العلوم الخادمة للشريعة.

وهو بهذا قد جعل مفهوم البدعة في الشرع أَخصَّ منه في اللغة، فجعل البدعة هي المذمومة فقط، ولم يسم البدع الواجبة والمندوبة والمباحة والمكروهة بدعًا كما فعل الإمام العز بن عبد السلام، وإنما اقتصر مفهوم البدعة عنده علىٰ المُحرَّمة.

وممن ذهب إلىٰ ذلك الإمام ابن رجب الحنبلي، ويوضح هذا المعنىٰ فيقول في «جامع العلوم والحكم»: المراد بالبدعة ما أحدث مما لا أصل له في الشريعة يدل عليه، فأما ما كان له أصل من الشرع يدل عليه، فليس ببدعة شرعا، وإن كان بدعة لغة.

قال الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: البدعةُ طريقةٌ في الدين مُختَرَعة تُضاهي (أي: تُشَابِه) الشريعة، ويَقصِد بها صاحِبُها المبالغةَ في التعبُّد لله سُبْحَانَهُ، فالمُبتدِع يقول أو يفعل شيئًا لم يُقلِّد فيه العلماء ولم يَستَعِنْ فيه بالشريعة ولا بصاحبها عليه الصلاة والسلام.

وفي الحقيقة فإن المسلكين اتَّفقا علىٰ حقيقةِ مفهوم البدعة المذمومة شرعًا، وإنما الاختلاف في المدخل للوصول إلىٰ هذا المفهوم المُتَّفَقِ عليه، وهو أن البدعة المذمومة التي يأثم فاعلها شرعًا هي التي ليس لها أصل في الشريعة يَدُلُّ عليها، وهي المرادة من قوله ﷺ فيما أخرجه مسلم في «صحيحه» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كل بدعة ضلالة». وكان علىٰ هذا الفهم الواضح الصريح أئمة الفقهاء وعلماء الأمة المتبوعون.

فقد روىٰ أبو نُعَيْم في «الحلية»، والبيهقيُّ في «مناقب الشافعي»، عن الإمام الشافعي رضي الله عنه أنه قال: المُحدَثاتُ من الأمور ضَرْبان؛ أحدهما: ما أُحدِث مما يخالف كتابًا أو سنة أو أثرًا أو إجماعًا، فهذه البدعةُ الضلالة، والثاني: ما أُحدِثَ من الخير لا خلاف فيه لواحد من هذا، وهذه محدثة غير مذمومة.

وقال حجة الإسلام أبو حامدٍ الغزاليُّ رحمه الله في «إحياء علوم الدين»: ليس كلُّ ما أُبدِع مَنْهيًّا عنه، بل المَنْهيُّ عنه بدعةٌ تُضَادُّ سنةً ثابتة، وترفع أمرًا من الشرع.

وقد نقل الإمام النَّوويُّ رحمه الله عن سُلطان العلماء الإمام العز بن عبد السلام ذلك، فقال في «الأذكار»: قال الشيخ الإمام المُجمَع علىٰ جلالته وتَمَكُّنه مِن أنواع العلوم وبراعته، أبو محمد عبد العزيز بن عبد السلام، رحمه الله ورضي عنه، في آخر كتاب «القواعد»: البِدعة منقسمة إلىٰ واجبة ومحرمة ومندوبة ومباحة... إلخ.

قال الإمام النَّووي رحمه الله في حديثه عن المصافحة عقب الصلاة: واعلم أن هذه المُصَافَحةَ مُستحَبَّةٌ عند كلِّ لقاءٍ، وأما ما اعتاده الناسُ مِن المصافحة بعد صلاتَي الصُّبح والعصر فلا أصل له في الشرع علىٰ هذا الوجه، ولكن لا بأس به، فإنَّ أَصْلَ المصافحة سُنَّةٌ، وكَوْنُهم حافظوا عليها في بعض الأحوال وفرَّطوا فيها في كثيرٍ من الأحوال أو أَكْثَرِها، لا يُخْرِج ذلك البعضَ عن كونه من المصافحة التي ورد الشرع بأصلها.

وقال ابنُ الأثير في «النهاية في غريب الحديث»: البدعة بدعتان: بِدْعةُ هُدًى، وبِدْعةُ ضَلَالٍ، فما كان في خِلَافِ ما أَمَرَ اللهُ به ورسولُه ﷺ؛ فهو في حَيِّزِ الذَّمِّ والإنكار، وما كان واقعًا تحت عمومِ ما نَدَبَ إليه وحَضَّ عليه اللهُ أو رسولُه فهو في

حَيِّزِ المَدْح، وما لم يكن له مِثالٌ موجودٌ كنَوْعٍ من الجود والسخاء وفِعْلِ الـمَعْرُوف فهو من الأفعال المحمودة، ولا يجوز أن يكونَ ذلك في خِلَافِ ما ورد الشَّرْعُ به؛ لأن النبيَّ ﷺ قد جعل له في ذلك ثوابًا، فقال: «**مَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً حَسَنَةً كان له أَجْرُها وأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بها...**»، وقال في ضده: «**ومَن سَنَّ في الإسلام سُنَّةً سيِّئَةً كان عليه وِزْرُها ووِزْرُ مَن عَمِلَ بها...**» [رواه الإمام أحمد من طريق جرير بن عبد الله ﷺ]، وذلك إذا كان في خِلَافِ ما أَمَرَ اللهُ به ورسولُه، ومِن هذا النوع قولُ عمر ﷺ: نِعْمَتِ البدعةُ هذه (يقصد: صلاة التراويح). لَمَّا كانت مِن أفعال الخير وداخلةً في حَيِّزِ المَدْح سَمَّاها بدعةً ومَدَحها؛ لأن النبيَّ ﷺ لم يَسُنَّها لهم، وإنما صلَّاها لَيَالِيَ ثم تركها ولم يحافظ عليها ولا جَمَع الناسَ لها، ولا كانت في زَمَنِ أبي بكرٍ، وإنما جمع عمرُ ﷺ الناسَ عليها ونَدَبَهم إليها، فبهذا سَمَّاها بدعةً، وهي علىٰ الحقيقة سُنَّة؛ لقوله ﷺ: «**عليكم بسُنَّتي وسُنَّة الخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ المَهْدِيِّينَ مِن بَعْدي**» [رواه الإمام أحمد من طريق عِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَة ﷺ]، وقوله: «**اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدي: أبي بكرٍ، وعمر**» [رواه الإمام أحمد من طريق حُذَيْفَةَ بْنِ اليَمَانِ ﷺ]، وعلىٰ هذا التأويل يُحمَل الحديثُ الآخر: «**كُلُّ مُحدَثَةٍ بِدْعةٌ**». إنما يُريد ما خالف أصولَ الشريعة ولم يوافق السنة.

وضَرَب العلماءُ أمثلةً للبدع التي تَعْتَرِيها الأحكامُ التكليفيَّة:

١ - بدعة واجبة علىٰ الكفاية؛ أي إذا قام بها البعضُ كفىٰ بها الآخرين: مثل تعلُّم اللغة العربية المُتوقِّف عليها فَهْمُ الكتاب والسُّنَّة، مثل النحو والصرف واللغة؛ وذلك لأن القيامَ بالشريعة أصلًا فرضُ كفايةٍ، ولا يتأتَّىٰ القيامُ بها إلا باللغة، فكانت بدعةً واجبةً علىٰ الكفاية.

٢ - بدعة مُحرَّمة، مثل مذاهب أهل البدع المخالفة لما عليه أهل السُّنَّة والجماعة، كالجَبْرِيَّة والقَدَرِيَّة والمُعْتَزِلَة والشِّيعة.

٣- بدعة مَندوبة مُستَحبَّةٌ، مثل نقاط حراسة المسلمين، وإنشاء المعاهد والمدارس الدينية ونحو ذلك، والقنوات الفضائية الدينية، وتمييز العلماء بزيٍّ خاصٍّ مميز ونحوه.

٤- بدعة مكروهة، مثل: تزيين المساجد وتزيين المصاحف بشكلٍ يُلهي عن المقصود ويشغل المصلي أو القارئ.

٥- بدعة مباحة، مثل التوسع في لذيذ الأكل والشرب واللباس والحلال الذي لا يؤدي إلىٰ الفخر والعُجب والخُيَلاء.

واستدلُّوا لرأيهم في تقسيم البدعة إلىٰ الأحكام الخمسة بأدلةٍ، منها:

أ- قول سيِّدنا عمر رضي الله عنه في صلاة التراويح جماعة في المسجد في رمضان: نِعْمَتِ البِدْعَةُ هذه؛ روىٰ البخاريُّ في «صحيحه» عن التابعيِّ الجليل عبد الرحمن بن عَبْدٍ القارِيِّ أنه قال: خرجتُ مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليلةً في رمضان إلىٰ المسجد، فإذا الناسُ أوزاعٌ مُتفرِّقون، يُصلِّي الرجلُ لنفسه، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرَّهْطُ، فقال عُمَرُ: إني أرىٰ لو جمعتُ هؤلاء علىٰ قارئٍ واحدٍ لكان أمثَلَ. ثم عَزَمَ فجمعهم علىٰ أُبَيِّ بن كعب، ثم خرجتُ معه ليلةً أخرىٰ والناس يصلون بصلاةِ قارئهم، قال عمر: نِعْمَ البدعةُ هذه، والتي ينامون عنها أفضلُ مِن التي يقومون. يُريد آخر الليل، وكان الناس يقومون أَوَّلَه.

ب- تسمية ابن عمر رضي الله عنهما صلاة الضُّحىٰ جماعةً في المسجد بدعة، وهي من الأمور الحسنة؛ روىٰ البخاريُّ ومسلم في صحيحيهما: عن مجاهدٍ قال: دخلتُ أنا وعُروَةُ بن الزُّبَيْر المسجدَ، فإذا عبدُ الله بن عمر جالسٌ إلىٰ حجرة عائشة، وإذا ناسٌ يُصلون في المسجد صلاةَ الضحىٰ، فسألناه عن صلاتهم، فقال: بدعة.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: «فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، وعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُورِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ».

أسباب البدعة:

١- سكوتُ كثيرٍ من أهل العلم، فيظنُّ العوامُّ أن سكوتَهم علىٰ أمرٍ ما يعني أنه لا يخالف الشرعَ.

٢- تَهَافُتُ بعضِ أهل العلم علىٰ طلب الشهرة بين الناس وطلب الوجاهة والمكانة

لينالوا بذلك دُنْيَا زائلةً.

٣- القول في الدين بغير علمٍ في الفتوىٰ والتعليم.

٤- الجهلُ بالسُّنَّة، والمقصودُ بالسُّنَّة الشريعةُ الصحيحة.

فالبدع لا تدخل إلا في العبادات- أي ما قُصِدَ به التعبُّد عن اعتقادٍ يترتب عليه فعل البدع- فلا تكون بدعًا إلا إذا قُصد بفعلها التعبد لله، فكل ما اختُرع من الأفعال في الدين مما يشابه الأعمال المشروعة ولم يُقصَد به التعبد فقد خرج عن مسمىٰ البدعة وعن كونه بدعةً. فكلُّ مَن مَنَع نفسَه مِن أداء أو تناول ما أحلَّ الله مِن غير عذرٍ شرعيٍّ فهو خارجٌ عن سُنَّة النبيِّ ﷺ، فمن امتنع لعذر شرعي من مرض ونحوه فليس بمبتدع، كمن يمتنع عن طعام بعينه لمرض، أما إن امتنع عنه تدينًا فهذا هو المبتدع بعينه، فإن كان امتناع العبد عن أداء واجب تكاسلًا فهو في حقِّه معصية وليس ببدعة، والله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧]. وقال ﷺ: «مَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي» متفق عليه.

وعن أبي أُميَّة قال: أتيتُ أبا ثَعْلبة الخُشَنيَّ فقلت: يا أبا ثعلبة، كيف تقول في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [المائدة: ١٠٥]؟ فقال: أما والله لقد سألتَ عنها خبيرًا؛ سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بَلِ ائْتَمِرُوا بِالمَعْرُوفِ وَتَنَاهَوْا عَنِ المُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا، وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا، وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً، وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، فَعَلَيْكَ أَمْرَ نَفْسِكَ وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ العَوَامِّ، فَإِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ أَيَّامًا الصَّبْرُ فِيهِنَّ مِثْلُ قَبْضٍ عَلَىٰ الجَمْرِ، لِلْعَامِلِ فِيهَا مِثْلُ أَجْرِ خَمْسِينَ رَجُلًا يَعْمَلُونَ مِثْلَ عَمَلِهِ». وزاد: يا رسول الله، أجر خمسين منهم؟ قال: «أَجْرُ خَمْسِينَ مِنْكُمْ». أبو داود برقم (٤٣٤١)، والترمذي برقم (٣٠٥٨)، وقال: حديث حسن.

وقال حُذَيفة بن اليَمَان رضي الله عنه: كان الناسُ يسألون رسولَ الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشرِّ مخافةَ أن يُدْركني، فقلت: يا رسول الله، إنا كنا في جاهليةٍ وشرٍّ، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شرٍّ؟ قال: «نَعَمْ». قلت: وهل بعد ذلك الشرِّ من خيرٍ؟

قال: «نعم، وَفِيهِ دَخَنٌ (أي: شوائب)». قلت: وما دَخَنُه؟ قال: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ». قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَىٰ أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا». قلت: يا رسول الله، صِفْهم لنا. قال: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا». قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: «تَلْزَمُ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ». قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ حَتَّىٰ يُدْرِكَكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ» متفق عليه.

قال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أدري أيُّ النعمتين أفضل: أن هداني اللهُ للإسلام، أو عافاني من هذه الأهواء؟

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: سنَّ رسولُ الله ﷺ ووُلاة الأمر مِن بعده سننًا الأَخْذُ بها اعتصامٌ بكتاب الله وقوة علىٰ دين الله، وليس لأحدٍ تبديلُها ولا تغييرها ولا النظر في أمرٍ خالَفَها، مَن اهتدىٰ بها فهو المهتدي، ومَن استنصر بها فهو المنصورُ، ومَن تَركها واتَّبع غيرَ سبيل المؤمنين ولَّاه اللهُ ما تولَّىٰ وأصلاه جهنمَ وساءت مصيرًا.

وقال أيضًا: أيها الناس، إنه ليس بعد نبيِّكم نبيٌّ، ولا بعد كتابكم كتاب، ولا بعد سنتكم سُنة، ولا بعد أمتكم أمة، ألا وإن الحلال ما أحل الله في كتابه علىٰ لسان نبيه: حلال إلىٰ يوم القيامة، ألا وإن الحرام ما حرَّم الله في كتابه علىٰ لسان نبيه: حرام إلىٰ يوم القيامة، ألا وإني لست بمُبتدِعٍ ولكني مُتَّبعٌ.

وقال محمد بن سِيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: لم يكونوا يسألون عن الإسناد (أي: رواة الأحاديث)، فلما وقعت الفتنة قالوا لنا: سمُّوا لنا رجالكم. فيُنظر إلىٰ أهل السُّنَّة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلىٰ أهل البدع فلا يؤخذ عنهم حديثهم.

وسُئل الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ عن الصلاة خلف صاحب البدعة، فقال: صلِّ خلفه وعليه بدعته.

وقال الحسن البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: السُّنَّة، والذي لا إله إلا هو، بين الغالي والجافي (أي: المتشدد والمقصر المبتعد)، فاصبروا عليها رحمكم الله؛ فإن أهلَ السُّنَّة كانوا أقلَّ الناس

فيما مضىٰ، وهم أقلُّ الناس فيما بقي، الذين لم يذهبوا مع أهل الإتراف في إترافهم ولا مع أهل البدع في بدعهم وصبروا علىٰ سنتهم حتىٰ لقوا ربَّهم، فكذلك فكونوا.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: لن يزال لله نُصَحاء (أي: علماء ودعاة) في الأرض من عباده، يعرضون أعمالَ العباد علىٰ كتاب الله، فإذا وافقوه حمدوا الله، وإذا خالفوه عرفوا بكتاب الله ضلالةَ مَن ضَلَّ وهَدْيَ من اهتدىٰ، فأولئك خلفاء الله.

وقال أيضًا: لا يقبل اللهُ لصاحب بدعة صلاةً ولا صيامًا ولا حجًّا ولا عمرةً، ولا يزداد اجتهادًا وصيامًا وصلاة إلا ازداد من الله بُعدًا.

ولا تُجالس صاحب بدعة؛ فإنه يُمرض قلبك؛ قال حَسَّان بن عَطِيَّة رَحِمَهُ اللَّهُ: ما ابتدع قومٌ بدعةً في دينهم إلا نزع الله من سنَّتهم مثلها، ثم لا يُعيدها إليهم إلىٰ يوم القيامة.

وقد علق ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ قول الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ إن البدعة بدعتان بقوله: علىٰ شرط أن يستحبها واحد من أهل العلم المقتدىٰ بهم. وذكر في كتابه المشهور «اقتضاء الصراط المستقيم»: أن تعظيم الموالد الذي يفعله العوام واتخاذ ذلك مواسم للاحتفال والفرح قد يفعله البعض ويكون له فيه أجرٌ عظيم؛ وذلك لحسن قصده وتعظيمه وحبه للرسول لا علىٰ الفعل نفسه.

ومما سبق يتضح أن هناك مسلكين:

مَسْلَكٌ إجماليٌّ: وهو الذي ذَهَب إليه الإمامُ ابنُ رَجَبٍ الحنبليُّ وغيرُه، وهو أن الأفعالَ التي يُثَاب المرءُ عليها ويُشرَع له فِعْلُها - بعد تحقيق الأصول الشرعية والأدلة المَرْعِيَّة عند الأصوليين - لا تُسمَّىٰ بدعةً شرعًا، وإن صَدَقَ عليها الاسمُ في اللغة، وهو يَقصِدُ أنها لا تُسمَّىٰ بدعةً مذمومة شرعًا.

ومَسْلَكٌ تفصيليٌّ: وهو ما ذكره الإمام العز بن عبد السلام وقد أوردناه تفصيلًا.

والقاسم المشترك بين المسلكين أنه ليس كلُّ مُحدَثٍ في العبادات أو المعاملات منهيًّا عنه؛ بل الأمور المُحدَثَةُ تعتريها الأحكامُ التكليفية بحسب ما تَدُلُّ عليه الأصول الشرعية، أما الزَّعْمُ بأنها مُحرَّمةٌ اتِّكاءً علىٰ تسميتها بدعةً عند بعض العلماء، فغيرُ سديدٍ؛ لأنه يَسُدُّ بابَ الاجتهاد المعمولِ به والمُسْتَقِرِّ بين العلماء، وهذا هو عين البدعة المذمومة التي جاء الشرع بالنَّهيِ عنها.

ونَعْرِضُ لبعضٍ مِن الأمثلة من البدع والمحدثات التي استُحدِثَتْ في حياة الناس والتي تُقسَّم بحسب ما يراه أهل الفقه: إلىٰ بِدْعةِ هُدًىٰ أو بِدْعَةِ ضَلَالةٍ:

منها: ما استحدثه الصَّحَابيُّ الجليل خَبَّاب بن الأَرَتِّ في صلاة ركعتين قبل موته، وهذا كان في زمن النبي ﷺ.

ومنها: ما فعله أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه في تعيين الخليفة، وما تَمَّ مِن جمع القرآن في عهده رضي الله عنه، وقتال أهل الرِّدَّة علىٰ يديه رضي الله عنه.

ومنها: قَسْمُ أبي بكرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه أموالَ الغنائمِ والفيءِ علىٰ نحوٍ خالَفَه فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك مَن أتىٰ بعدهم، كلٌّ عَمِلَ فيه برأي إما موافقًا أو مخالفًا.

ومنها: ما فعله عمر رضي الله عنه في تعيين مجلسٍ للشورىٰ لتعيين الخلافة، وصلاة التراويح بالشكل الذي نعهده الآن. وما قام به ابن عمر رضي الله عنه من صلاة الضحىٰ جماعة في المسجد.

ومنها: ما تمَّ مِن تخصيص مُرتَّب ماليٍّ لخليفة المسلمين.

ومنها: ما استُحدِثَ مِن جعل أذانين في الجمعة في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه.

ومنها: الجمع الثاني للمصحف وتوحيد قراءة القرآن من المصحف الإمام الذي تم في عهد عثمان رضي الله عنه.

ومنها: ما حدث من قتال بين طائفتين من المسلمين؛ فقد قاتَل علي رضي الله عنه المُنَاوِئينَ له.

ومنها: ما استُحدِثَ مِن لِبَاسِ أهل العلم كلباس أهل الأزهر الشريف.

ومنها: ما استُحدث مِن إنشاء المدارس الإسلاميَّة بترتيبِ مناهجها والدرجات العلميَّة وتقسيم الفصول وغير ذلك.

ومنها: ما استُحدِثَ مِن كتابة وطباعة الكتب بأنواعها وأصنافها، في التفسير والوعظ والأحاديث المختلفة.

ومنها: ما استُحدِث من استعمال أدواتٍ جديدةٍ في نشر العلم، كالتليفزيونات والسيديهات والكتب الرقمية، واستعمال بعض الأدوات لمصلحة العبادة كاستعمال الميكروفون في الصلاة واستحداث المنابر الحديثة، وما تم من زخرفة المساجد

والعناية البليغة فيها علىٰ مثال المسجد النبوي الشريف الآن.

ومنها: ما استُحدث من تخصيص أيام معينة ومحددة للدروس الأسبوعية أو الشهرية أو التليفزيونية.

ومنها: ما استحدث من احتفالات بالمواسم الدينيَّة الشريفة المختلفة، وكتابة الأحاديث النبويَّة الشريفة وتصنيف الكتب فيها علىٰ طرائق شتىٰ، واستعمال السيارات في تشييع الجنائز، وغير ذلك مما لا يتسع المجال لسرده.

فهذا مما قد يدخل في نظر البعض في البدع المذمومة، وفي نظر آخرين في البدع المحمودة، وقد يدخل في بابِ مَن سَنَّ سُنَّة حَسَنَة، وقد يضعه البعض في باب المصالح المرسلة حيث حث الشرع الكريم علىٰ مراعاة المقاصد الكلية الخمس، وهي: حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

* * *

١٩- باب فيمن سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [الأنبياء: ٧٣].

(١٧١/ ١٩) عن أبي عمرو جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: كنا في صَدْرِ النَّهارِ عِنْدَ رَسُول الله ﷺ فَجَاءَهُ قَومٌ عُرَاةٌ مُجْتَابي النِّمارِ أَو العَبَاء، مُتَقَلِّدِي السُّيُوف، عَامَّتُهُمْ من مُضَرَ بَلْ كُلُّهُمْ مِنْ مُضَرَ، فَتَمعَّرَ وَجْهُ رَسُول الله ﷺ لما رَأَىٰ بِهِمْ مِنَ الفَاقَة (أي: شدة الاحتياج)، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فَأَمَرَ بلالًا فَأَذَّنَ وَأَقَامَ، فصَلَّىٰ ثُمَّ خطَبَ، فَقَالَ: «﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ﴾- إِلَىٰ آخر الآية ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: ١]، والآية الأُخْرَىٰ الَّتي في آخر الحَشْرِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨]-

تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِنْ دِينَارِهِ، مِنْ دِرهمِهِ، مِنْ ثَوبِهِ، مِنْ صَاعِ بُرِّهِ، مِنْ صَاعِ تَمْرِهِ- حَتَّىٰ قَالَ- وَلَوْ بِشِقِّ تَمرةٍ». فَجاءَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعجزُ عَنهَا، بَلْ قَدْ عَجزَتْ، ثُمَّ تَتَابعَ النَّاسُ حَتَّىٰ رَأَيْتُ كَومَيْنِ مِنْ طَعَامٍ وَثِيَابٍ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ وَجْهَ رَسُولِ الله ﷺ يَتَهلَّلُ كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزْرُهَا، وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ». رواه مسلم. قَولُهُ: «مُجْتَابِي النِّمَارِ»: هُوَ بالجيم وبعد الألِف باءٌ مُوَحَّدَةٌ، والنِّمَارُ جَمْعُ نَمِرَةٍ، وَهِيَ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ مُخَطَّطٌ. وَمَعْنَىٰ «مُجْتَابِيهَا»، أي: لَابِسِيهَا قَدْ خَرَقُوهَا في رُءوسِهِم. و«الجَوْبُ» القَطْعُ، ومِنْهُ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩﴾ [الفجر: ٩] أي: نَحتوهُ وقَطَعُوهُ. وَقَولُهُ: «تَمعَّرَ» هُوَ بالعين المهملة، أي: تَغيَّرَ. وَقَولُهُ: «رَأَيْتُ كَوْمَينِ» بفتح الكافِ وَضمِّهَا، أي: صُبْرَتَيْنِ. وَقَولُهُ: «كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ» هُوَ بالذال المُعْجَمَةِ وفتح الهاءِ والباءِ الموحَّدةِ، قالَهُ القاضي عِيَاضٌ وَغيرُهُ. وَصَحَّفَهُ بَعْضُهُمْ، فَقَالَ: «مُدْهُنَةٌ» بِدَالٍ مهملة وَضَمِّ الهاءِ وبالنونِ، وكذا ضبطه الْحُمَيْدِيُّ. والصحيح المشهور هُوَ الأول. والمراد بِهِ عَلَىٰ الوجهين: الصفاءُ والاستنارة.

(١٧٢/ ١٩) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ (أي: نصيب) مِنْ دَمِهَا، لأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتلَ». متفق عليه.

٢٠- باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الحج: ٦٧].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾ [النحل: ١٢٥].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

(١٧٣/ ٢٠) وعن أبي مسعود عُقبة بن عمرو الأنصاري البدري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». رواه مسلم.

(١٧٤/ ٢٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه، لَا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَىٰ ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيئًا». رواه مسلم.

(١٧٥/ ٢٠) وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يوم خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رجلًا يَفْتَحُ اللهُ عَلَىٰ يَدَيهِ، يُحِبُّ اللهَ وَرَسولَهُ، ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ». فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا. فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعطَاهَا. فقَالَ: «أيْنَ عَلِيُّ بنُ أَبي طَالِبٍ؟» فقيلَ: يَا رسولَ الله، هُوَ يَشْتَكي عَيْنَيهِ. قَالَ: «فَأَرْسِلُوا إلَيْهِ». فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رسولُ اللهِ ﷺ في عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ فَبَرِئَ حَتَّىٰ كأنْ لَمْ يكُن بِهِ وَجَعٌ، فأعْطَاهُ الرَّايَةَ، فقَالَ عَليٌّ رضي الله عنه: يَا رَسُولَ اللهِ، أُقَاتِلُهم حَتَّىٰ يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَىٰ رِسْلِكَ حَتَّىٰ تَنْزِلَ بسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إلَىٰ الإسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ، فَوَاللهِ لأنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَمِ (أي: الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء)». متفق عليه.

قوله: «يَدُوكُونَ» أي: يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ. وقوله: «رِسْلِكَ» بكسر الراءِ وبفتحها لغتانِ، والكسر أفصح.

(١٧٦/ ٢٠) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن فتىً مِنْ أَسْلَمَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إنِّي أُريدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ معي مَا أَتَجَهَّزُ بِهِ؟ قَالَ: «ائتِ فُلَانًا فإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ». فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلَامَ ويَقُولُ: أعْطِني الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. فَقَالَ: يَا فُلَانَةُ، أعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلَا تَحْبِسي مِنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لَا تَحْبِسِين مِنْهُ شَيئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

* * *

(الدعوة إلى الله تبارك وتعالى)

إنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ قد أَوْدَعَ في الإنسانِ أسبابَ النجاح وأسبابَ الفشل، والأسبابَ المؤديةَ للسعادةِ والأسبابَ المؤديةَ للشَّقاءِ، واللهُ مِن رحمته وفَضْلِه أعان الإنسان بأصل الإيمان وأودعه في قلبه، وخلقه علىٰ الفطرة السليمة.

فقد رُوِيَ عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إلَّا يُولَدُ عَلَىٰ الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ الْبهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ؟» متفق عليه.

قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾

[الأعراف: ١٧٢]، فالله تبارك وتعالىٰ جَمَعَ الخَلْقَ في عالم الذَّرِّ والأرواحِ وأشهدهم علىٰ أنفسهم أنه الرَّبُّ والمُدَبِّر لهذه الحياة، وقد شَهِدَ الناس جميعًا بذلك، مؤمنُهم وكافرهم، صالحهم وطالحهم، ثم بعثهم إلىٰ الحياة؛ وقد قال جل جلاله في ذلك: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧-٨].

وفي الحقيقة، فإنَّ اللهَ تبارك وتعالىٰ قد أعان البشر بوسائلَ مُتعدِّدةٍ، ليتنعَّموا بجنةٍ عَرْضُها السموات والأرض، فخَلَقَ سبحانه وتعالىٰ لِيُعْطِيَ لا لِيَأْخُذَ؛ لأنه الكريمُ الذي لا تَنْفَدُ نِعَمُه وعطاءاته؛ ولهذا أرسل اللهُ تبارك وتعالىٰ الأنبياءَ ليستخرجوا ما في قلوبِ الناس مِن أصل الإيمان، لا لِيُنْشِئُوا فيهم الإيمانَ نفسَه، فأصلُ الدَّعوة هي استخراجُ ما في قلب الناس من الإيمان الذي أُودِعَ في الزمان الأول في عالم الذَّرِّ والأرواح، وكثيرًا ما كان يقول النبيُّ ﷺ لبعضهم: «أَمَا آنَ لَكَ أَنْ تُسْلِمَ».

فالنبيُّ ﷺ وهو خاتَمُ الأنبياء والمرسلين ما كان يتكلَّم لإقناع الناسِ بأصل الإيمان، وإنما لاستدعاء الإيمان، وكان يقول لهم: «قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلا اللهُ تُفْلِحُوا» رواه الإمام أحمد في «مسنده» من طريق ربيعة بن عباد الديلي.

فالدعوة لا تحتاج إلىٰ إقناع، ولكن إلىٰ لِينٍ في قلب المستمع وحِكْمةٍ في قول الداعي، وبيئة صالحة تُهيِّئ للطرفين قبولَ الحق، فكلُّنا يعلم أن إبليس مع أنه كان في وسط الملائكة إلا أنه لم يقبل الحق مع أنه يعرفه، فالعبرة بالقبول لا بالمعرفة أصلًا؛ ولهذا كان الأنبياء لا يجتهدون في إقناع الناس مع قدرتهم علىٰ هذا.

فلا يَظُنَّ ظانٌّ أن إبليسَ لا يعرف أن الله واحدٌ أحد، وأن الجنةَ حقٌّ، وأن النارَ حقٌّ، ولكنه كان فاسد النفس ولم يشتمل قلبه علىٰ الطاعة ولا التقوىٰ.

فالدعوة هي تهيئة القلوب لِتَلِينَ وتقبلَ الحقَّ طواعيةً ورغبةً في الله تبارك وتعالىٰ؛ ولهذا اجتهد الأنبياء في تَلْيين قلوب الناس، فآمن معهم مَن آمن، ثم تكونت الصحبة الصالحة التي أعانت علىٰ دخول الناس شيئًا فشيئًا للإيمان، ثم نشأ في قلوب الناس الواعظ والضمير الذي يُحرِّضهم ويُحفِّزُهم علىٰ فِعْل الحَقِّ وتَرْك الباطل.

فإذا مات نبيٌّ ذلك الزمان بَقِيَتِ الصُّحْبَةُ الصالحة وبقي الضمير والواعظ في القلب، فإذا فَنِيَ الصالحون بقي الواعظ، وإذا غاب هذا استحقَّ الناس أن يُرسَل إليهم نبي جديد، إلىٰ أن قدَّر الله أن يكونَ هناك نبيٌّ لآخر الزمان هو محمد ﷺ، جاء بالرسالة واجتهد ليعلم الناس شريعة الله تبارك وتعالىٰ، وليعلمهم أيضًا كيف ينشرون الإيمان بهذه الشريعة في الأرض إلىٰ آخر الزمان قولًا وفعلًا؛ قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [المائدة: ٦٧]، فاشترط الله تبارك وتعالىٰ عليه أن يعمل قولًا وفعلًا، ولن يقبل منه قولًا بدون فعل.

فقام النبيُّ ﷺ بتكوين الصُّحْبة والبيئة الصالحة في المدينة المنورة، وعلَّمهم أصولَ الدعوة ونَشْرِ دِين الله في الأرض، قولًا وفعلًا أمامهم حتىٰ دَخَل الناس في دين الله أفواجًا، وانتقل إلىٰ ربِّه ﷺ وقد دانت له جزيرةُ العرب، ثم تَرَك أصحابَه وسائر الأمة علىٰ المحَجَّة البيضاء وقد ضمن الله لهذه الأمة بقاء الصحبة الصالحة والواعظ القلبي والضمير؛ لأنه لا نبي بعد رسول الله ﷺ، وقال في حَقِّهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ۗ﴾ الآية [آل عمران: ١١٠].

ولهذا كانت الدعوةُ إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ تتمُّ بإيجاد الصُّحْبة الصالحة، والقيام بالأعمال الصالحة، في بيئة كالمساجد صالحة، واستدعاء أهل الغفلة والمعاصي؛ حتىٰ يستعيدوا ذاكرة الإيمان في قلوبهم برؤية الصالحين ومجالستهم والقيام بالأعمال الصالحة معهم، عند ذلك تتفجَّر في قلوبهم ينابيعُ الإيمان التي كانت في الزمن الأول والتي وُلدوا بها علىٰ الفطرة.

فالأنبياء قد أُرْسلوا للدعوة وليس لقتل الناس والتخلُّص منهم؛ قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥- ٤٧].

ثم لما رفض أصحاب المصالح الدنيوية انتشار أمر الله في الأرض، كلَّف اللهُ تبارك وتعالىٰ نبيَّه الكريم وأصحابه الكرام بعد حينٍ من الوقت حوالي خمس عشرة

سنة، أي في السنة الثانية من الهجرة، أن يُدَافعوا عن حرية الاعتقاد، حيث جاء مشركو قُرَيْشٍ لقتال النبي ﷺ في المدينة المنورة، فأعان اللهُ عليهم ونصر المسلمين، ثم فرض عليهم بعد ذلك أن يدافعوا عن أنفسهم وأن ينشروا دعوة الله في الأرض حاملين معهم سلاحهم دفاعًا عن نفوسهم وقتالًا لمن يمنعون نشر هذه الشريعة في الأرض، فالقتال ليس مقصودًا لِذَاته.

قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُم مِّنۢ بَعۡدِ عَهۡدِهِمۡ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ فَقَٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَٰنَ لَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَنتَهُونَ ١٢﴾ [التوبة: ١٢]، وهم الذين يمنعون الدعوة ويرفضونها ويَحْرِمون الضعفاء والمساكين والفقراء من التعرُّف علىٰ الدِّين الجديد الذي نزل علىٰ الأرض في آخر الزمان.

فكان لزامًا علىٰ النبي ﷺ وأصحابه الكرام أن يُدَافعوا عن حقِّ هؤلاء الضعفاء في الوصول إلىٰ الله بطريقةٍ صحيحة، ومن هنا فُرِض المعنىٰ الواسع للجهاد؛ أي دعوة الناس أولًا.

وعلىٰ ذلك كانت الدعوة هي المقصود الأصيل، وكان السلاح لحماية الدعاة من القتل، أما قبول الناس لهذا الأمر فالله جعله مطلقًا لكلِّ إنسان أن يقبل أو يرفض، وليس هناك إكراه في الدين كما قال تعالىٰ: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وإنما الحرب ضد من يمنع معرفة الناس بهذا الدين الجديد الذي كلَّف اللهُ نبيَّه الكريم ﷺ وأصحابه بتعريف الناس به، وبأن هناك نبيًّا في آخر الزمان، وهناك تشريعًا جديدًا عليهم أن يعرفوه، فإن قَبِلوا به نجحوا وفلحوا وإلا فالأمر إليهم كما قال تعالىٰ: ﴿إِمَّا شَاكِرٗا وَإِمَّا كَفُورًا ٣﴾ [الإنسان: ٣].

فالدعوة إلىٰ الله هي الأصل الأصيل الذي أرسل من أجله الأنبياء جميعًا، وعلىٰ رأسهم النبيُّ ﷺ، وأما الترتيبات الأخرىٰ التي تأتي للدفاع عن نشر الدعوة ليست لإجبار الناس علىٰ قبول الدين، وإنما هي وسائل حماية ليست مقصودة لذاتها، فالقتال ليس

مقصودًا لذاته وإنما المقصود هو هداية البشريَّة والإتيان بهم إلىٰ حظيرة الإيمان؛ قال تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ، وقال ﷺ: «إنما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكارِمَ الأخلاق» رواه الإمام مالك في «موطئه».

لهذا كانت الدعوة إلىٰ الله هي ترتيب البيئة الآمنة مع تيسير الحياة والقيام بالأعمال الصالحة في هذه البيئة الصالحة حتىٰ يستعيد قلب الإنسان العهد الأول فتندفع أشواقه إلىٰ طاعة الله وتدب فيه روح المسئولية عن نفسه وعمن كُلِّف بهم من أهله وولده ومجتمعه، وهذا الذي حدث في الزمن الأول فدخل الناس في دين الله أفواجًا بسبب ما عاينوه من صلاح الصحابة الكرام وجهدهم الصحيح في بلدهم ومساجدهم وبيوتهم.

فالدعوة إلىٰ الله: هي دعوة الناس إلىٰ الإسلام بالقول والفعل.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا كانت الدعوةُ إلىٰ الله أشرفَ مقامات العبد وأجلَّها وأفضلها، فهي لا تُحصَّل إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه، بل لابد في كمال الدعوة من البلوغ في العلم إلىٰ حدٍّ أقصىٰ يصل إليه السعيُ، ويكفي هذا في شرف العلم أن صاحبه يحوز به هذا المقام، والله يؤتي فضله من يشاء.

قال ابنُ كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]: أي: وهو في نفسه مهتدٍ بما يقول، فنفعه لنفسه ولغيره، وليس هو من الذين يأمرون بالمعروف ولا يأتونه وينهون عن المنكر ويأتونه، بل يأتمر بالخير ويترك الشر ويدعو الخلق إلىٰ الخالق تبارك وتعالىٰ، وهذه عامةٌ في كلِّ من دعا إلىٰ خيرٍ وهو في نفسه مهتدٍ، ورسوله ﷺ أولىٰ الناس بذلك.

وعن ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ قولُه في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ﴾ [النحل: ١٢٥]: ذكَر سُبۡحَانَهُۥ مراتب الدعوة وجعلها ثلاثة أقسام بحَسَب حال المَدْعُوِّ: فإنه إما أن يكون طالبًا للحقِّ مُحِبًّا له مُؤْثِرًا له علىٰ غيره إذا عرفه، فهذا

يُدعىٰ بالحكمة، ولا يحتاج إلىٰ موعظةٍ وجدال. وإما أن يكون مشتغلًا بضد الحقِّ، ولكن لو عرفه آثره واتبعه، فهذا يحتاج إلىٰ الموعظة بالترغيب والترهيب. وإما أن يكون معاندًا معارضًا، فهذا يجادل بالتي هي أحسن، فإن رجع وإلا انتقل معه إلىٰ الجدال إن أمكن.

آداب الدعوة إلى الله:

تبليغ الدعوة إلىٰ الله يكون بالقول وبالعمل وبسيرة الداعي التي تجعله قدوةً حسنة لغيره، فتجذبهم إلىٰ الإسلام.

ولابد أن يستعين الداعي إلىٰ الله بأساليب الدعوة الإسلامية، وهي:

- بالحكمة لطُلَّاب الحقِّ الباحثين عنه، والوعظ عن طريق الترغيب والترهيب لطُلَّاب الحق الغافلين عنه، وبالجدل والحوار وإقامة الحجة للمعاندين، وذلك علىٰ أهل العلم والاختصاص.
- وبالقدوة الحسنة والصحبة، للتربية والتعليم والتشجيع واستخدام العلم ونظرياته واكتشافاته.
- وبالنصح والإرشاد في حقِّ المسئولين وولاة الأمور، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
- وبالإعلام والتأليف والكتابة والتحقيق والتخريج للأحاديث وأقوال أهل العلم ودروس المساجد والخروج في الدعوة إلىٰ القرىٰ والمساجد والمدن، والاهتمام بتنمية العقل والاهتمام بالروح وتزكية النفس وأعمال البرِّ جميعًا.

عن الحسن البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾ [فصلت: ٣٣]، فقال: هذا حبيبُ الله، هذا وليُّ الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحبُّ أهل الأرض إلىٰ الله، أجاب اللهَ في دعوته، ودعا الناسَ إلىٰ ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته، وقال:

إنني من المسلمين، هذا خليفة الله.

وعن قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣﴾، قال: هذا عبدٌ صَدَق قولُه وعملُه، ومولِجُه ومخرجُه، وسِرُّه وعلانيتُه ومشهده ومغيبه.

قال العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سياق قوله تعالىٰ: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٨]: إن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أَمَر رسولَه أن يُخبِر أن سبيلَه الدعوةُ إلىٰ الله، فمن دعا إلىٰ الله تعالىٰ فهو علىٰ سبيل رسوله ﷺ، وهو علىٰ بصيرةٍ، وهو من أتباعه، ومَن دعا إلىٰ غير ذلك فليس علىٰ سبيله، ولا هو علىٰ بصيرةٍ، ولا هو من أتباعه.

فالدعوة إلىٰ الله تعالىٰ هي وظيفةُ المُرسَلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم، والناس تَبَعٌ لهم، والله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ قد أمر رسولَه أن يُبلِّغ ما أُنزل إليه من ربِّه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهؤلاء المُبلِّغون عنه من أمته لهم مِن حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه، وتبليغهم له.

وقد أمر النبيُّ ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية، ودعا لمن بلَّغ عنه ولو حديثًا، وتبليغُ سُنَّتِه إلىٰ الأمة أفضلُ من تبليغ السهام إلىٰ نُحُور (أي: صدور) العدوِّ، لأن تبليغَ السهام يفعله كثيرٌ من الناس، وأما تبليغُ السنن فلا يقوم به إلا وَرَثَةُ الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم، جعلنا اللهُ منهم بمَنِّه وكَرَمه.

قال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الواجبُ علىٰ جميع القادرين من العلماء وحُكَّام المسلمين والدعاة الدعوةُ إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ حتىٰ يصل البلاغ إلىٰ العالم كافة في جميع أنحاء المعمورة، وهذا هو البلاغ الذي أَمَر اللهُ به، قال اللهُ تعالىٰ لنبيه: ﴿۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

فالرسولُ ﷺ عليه البلاغ، وهكذا الرسل جميعًا عليهم البلاغ صلوات الله وسلامه عليهم، وعلىٰ أتباع الرسل أن يُبلِّغوا، قال النبيُّ ﷺ: «بَلِّغوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً» [البخاري برقم (٣٤٦١)]، وكان إذا خطَب الناسَ يقول: «فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ (أي: الحاضر في مجلس

رسول الله ﷺ) **الْغَائِبَ** (أي: الغائب عنه)، **فَرُبَّ مُبَلَّغٍ** (أي: شخص أُبلغ بالخبر) **أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ** (أي: أكثر فهمًا ممن شهده وحضره وسمعه)».

فعلىٰ جميع الأمة حُكَّامًا وعلماء وتجارًا وغيرهم أن يُبلِّغوا عن الله وعن رسوله ﷺ هذا الدينَ، وأن يشرحوه للناس بشتَّىٰ اللغات الحية المستعملة.

وليس الخافي علىٰ كلِّ مَن له أدنىٰ علمٍ أو بصيرةٍ أن العالمَ الإسلاميَّ اليوم بل العالم كله في أشدِّ الحاجة إلىٰ الدعوة الإسلامية الواضحة الجلية التي تشرح للناس حقيقة الإسلام، وتُوضِّح لهم أحكامَه ومحاسنه.

وبذلك يتضح لكلِّ مسلمٍ طالبِ علمٍ أن الدعوةَ إلىٰ الله من أهم المهمات، وأن الأمةَ في كلِّ زمانٍ ومكانٍ في أشدِّ الحاجة إليها، بل في أشدِّ الضرورة إلىٰ ذلك.

فالواجب علىٰ أهل العلم أينما كانوا أن يُبلِّغوا دعوةَ الله، وأن يصبروا علىٰ ذلك، وأن تكون دعوتُهم نابعةً من كتاب الله وسنة رسوله الصحيحة عليه الصلاة والسلام، وعلىٰ طريق الرسول ﷺ وأصحابه، ومنهج السلف الصالح رضي الله عنهم.

وفي الدعوة إلىٰ الله دلالةُ الناس علىٰ الخير وهدايتهم إليه، وهي دليلٌ علىٰ صلاح العبد واستقامته، وتُثمر محبةَ الله ومحبة الناس.

وفيها التشبُّه بالأنبياء والصالحين وسلوك مسالكهم، وتُنشَر بها الفضيلة وتُحارَب الرذيلة، وبها يتقرَّب العبدُ من ربِّه ويفوز بمحبته.

فهي النصيحة إلىٰ الله ورسوله والمؤمنين، ولا يفوز بها إلا الصالحون، وتُكسِب الداعيَ بركةَ دعوةِ المصطفىٰ ﷺ بأن يُنضِّر اللهُ وجهه، وتشرح للعالَمِ كلِّه سُبُل الإسلام السَّمْحة وتردُّ علىٰ الدعاوىٰ الباطلة التي يُلصِقها المُغرِضون بالدين الحنيف.

وللداعي أجرٌ عظيم يتضاعف بعدد الذين يستجيبون له.

❊ ❊ ❊

٢١- باب في التعاون على البر والتقوى

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢].

وَقال تَعالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [العصر: ١-٣]، قَالَ الإمام الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ كلامًا معناه: أَنَّ النَّاسَ أَوْ أكثرهم في غفلة عن تدبر هذِهِ السورة.

(١٧٧/ ٢١) وعن أبي عبد الرحمن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبيلِ الله فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا». متفق عليه.

(١٧٨/ ٢١) وعن أَبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بعث بعثًا (أي: البعث: الجيش الغازي في سبيل الله) إِلَىٰ بَنِي لِحيَانَ مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا وَالأجْرُ بَيْنَهُمَا». رواه مسلم.

(١٧٩/ ٢١) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَقِيَ رَكْبًا بالرَّوْحَاءِ (أي: موضع يبعد من المدينة نحو أربعين ميلًا)، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قالوا: المسلمون. فقالوا: من أنتَ؟ قَالَ: «رَسُولُ الله». فرفعت إِلَيْه امرأةٌ صبيًّا، فَقَالَتْ: أَلِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ». رواه مسلم.

(١٨٠/ ٢١) وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: «الخَازِنُ المُسْلِمُ الأمِينُ الَّذِي يُنَفِّذُ مَا أُمِرَ بِهِ فيُعْطِيهِ كَامِلًا مُوَفَّرًا طَيِّبَةً بِهِ نَفْسُهُ فَيَدْفَعُهُ إِلَى الَّذِي أُمِرَ لَهُ بِهِ، أَحَدُ المُتَصَدِّقِينَ». متفق عليه.

وفي رواية: «الَّذِي يُعْطِي مَا أُمِرَ بِهِ». وضبطوا «المُتَصَدِّقَينِ» بفتح القاف مَعَ كسر النون عَلَىٰ التَّثنية، وعكسه عَلَىٰ الجمعِ وكلاهما صحيح.

* * *

(التعاون على البر والتقوى)

التعاون علىٰ البر والتقوىٰ هو مساعدة المسلم أخاه علىٰ فعل الخيرات وعلىٰ طاعة الله تعالىٰ وتجنب معصيته. وقد قسَّم الإمام الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ الناسَ بعد شرحه لمعنىٰ

الإخوة فقال: من طلب إخوانًا تتفق أحوال جميعهم طلب مُتعذَّرًا (أي: أمرًا صعبًا)، فليس الواحد من الإخوان يُمكن الاستعانة به في كلِّ حال، وإنما بالاختلاف يكون الائتلاف.

ويقول بعض الحكماء: ليس بِلَبِيبٍ من لم يعاشر بالمعروف من لم يجد من معاشرته بُدًّا(أي: كالأقارب والأرحام والجيران). والأصحاب والإخوان ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يُستغنىٰ عنه، وطبقة كالدواء يُحتاج إليه أحيانًا، وطبقة كالداء لا يُحتاج إليه أبدًا.

وقيل: إن حِلْية المرء كثرة إخوانه.

أقسام الأخوة: وتنقسم أحوالُ الأخوة إلىٰ أربعة أقسام: منهم من يُعين ويستعين، ومنهم من لا يُعين ولا يستعين، ومنهم من يستعين ولا يُعين، ومنهم من يُعين ولا يستعين.

فأما المُعين والمستعين فهو الذي أنصف من نفسه، فيُؤدي ما عليه ويستوفي حقَّه فهو شبيه بمُقرِض المال يُسعف صاحبه عند الحاجة ويُسدِّد ماله عندما يستغني صاحبه.

وأما من لا يُعين ولا يستعين فهو شخصٌ متروك ومُتجنَّبٌ، يمنع ما عنده من الخير ويقمع شرَّه كذلك، فلا يطلب معونة أحدٍ، ولا يُعتبر صديقًا يُرجىٰ عونُه.

وقال المغيرة بن شعبة ﷺ: التارك للإخوان (أي: الأصحاب والأصدقاء) متروكٌ، فلا هو مذموم لأنه لم يُكلِّف شيئًا، ولا هو مشكور لأنه منع مساعدته وعونه.

فعلىٰ الأقل نشكره لكفِّ أذاه عن الناس بطلب المعونة. وأما من يستعين ولا يُعين فهو أَلْأَمُ الإخوان، وهو كَلٌّ عليهم مَهِين الأخلاق ذليل السلوك، فلا خيرُه يُرجىٰ من المعونة والبر، ولا شرُّه يُؤمن؛ لأنه دائم الطلب للمعونة، وليس لمثله في الإخاء حظٌّ، ولا في الوداد نصيب؛ قال بعض الحكماء: شرُّ ما في الكريم أن يمنعك خيرَه، وخير ما في اللئيم أن يكفَّ عنك شرَّه. فهذا أسوأ الإخوان.

وأما من يُعين ولا يستعين فهو أفضلهم، كريم الطبع مشكور الصنع، فلا يُرىٰ متثاقلًا عن طلب المعونة، فهو أشرف الإخوان نفسًا وأكرمهم طبعًا، وينبغي لمثل هذا أن يُصبَر عليه إذا أظهر خُلُقًا يُنكَر منه؛ لأن اليسير مغفورٌ والكمال صعبٌ وقليل في الناس.

يقول أبو الدرداء ﷺ: معاتبة الأخ خيرٌ لك من فَقْده.

وقال جعفر بن محمد الأمين رحمه الله: يا بني، من غضب من إخوانك ثلاثَ مراتٍ فلم يقل فيك سوءًا فاتخذه لنفسك خليلًا.

ورُوي عن عليٍّ رضي الله عنه في قول الله تعالىٰ: ﴿فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥] قال: الرضا بغير عتاب.

واعلم أن الله تعالىٰ ببالغ حكمته ونافذ قدرته قد خلق الناس محتاجين وعاجزين بالفطرة؛ ليتفرد سبحانه بالغنىٰ والقدرة، فيكون ذلك باعثًا لهم علىٰ فهم حكمته، فنشعر بقدرته علىٰ أنه خالقٌ، وبغناه علىٰ أنه رازق، فيزيد الناس رغبةً ورهبة، ويُقِرُّون بعجزهم وحاجتهم. وجعل سبحانه الإنسانَ أكثرَ حاجةً من جميع الأحياء؛ لأن هناك من الحيوان من يستقلُّ بنفسه عن بني جنسه ويكون له اكتفاء ذاتي.

أما الإنسان فهو مطبوع علىٰ الافتقار لبني جنسه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا ٢٨﴾ [النساء: ٢٨] يعني عن الصبر عما هو إليه مفتقر، وضعيف أيضًا عن احتمال ما عجز عنه. ولهذا كان الاجتماع والتعاون ضروريًّا للنوع الإنساني لعمارة الأرض واستمرار الحياة وتحقيق الخلافة في الأرض. فعن رسول الله ﷺ قال: «المُؤْمِنُ مِرْآةُ المُؤْمِنِ، وَالمُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ». أبو داود برقم (٤٩١٨).

وعن النبي ﷺ قال: «مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا (أي: من رفع عن مسلم عثرته وفرَّج كربه) أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ». أبو داود برقم (٣٤٦٠)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٠٦٦)

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق فَعِشْ في أكنافهم؛ فإنهم زَيْنٌ في الرخاء وعُدَّةٌ في البلاء. وقال أيضًا: آخِ الإخوان علىٰ قدر التقوىٰ، ولا تَضَعْ حاجتك إلا عند من يُحب قضاءها. وقال أبو جعفر بن صهبان رحمه الله: كان يقال: أول المودة طلاقة الوجه، والثانية التودد، والثالثة قضاء حوائج الناس.

وطلب أحدُهم الوصية من داود الطائي رحمه الله فقال له: اصحَبْ أهلَ التقوىٰ؛ فإنهم أيسرُ أهل الدنيا مئونةً عليك، وأكثر لك معونة.

وسئل أبو حمزة الشيباني رحمه الله عن الإخوان في الله: من هم؟ قال: هم العاملون بطاعة الله. وقال ابن المعتز رحمه الله: من اتخذ إخوانًا كانوا له أعوانًا.

وقيل: من جاءك بمودته فقد جعلك عديل نفسه، فأول حقوقه اعتقاد مودته، ثم إيناسه بالتبسط معه في غير حرام، ثم إبداء النصيحة له في السر والعلانية وتخفيف الأعباء والأثقال عنه ما استطعت، ثم معاونته فيما ينوبه من حادثة أو يناله من نكبات؛ لأن الصحبة فقط على الظاهر دون معرفة نفاق، وتَرْكُه في الشدة لؤم.

إن التعاون على البر والتقوى ينزع الحقدَ من القلوب ويُزيل الحسد منها.

❊ ❊ ❊

٢٢- باب في النصيحة

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ - إخبارًا عن نوحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنصَحُ لَكُمۡ﴾ [الأعراف: ٦٢].

وعن هود عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَنَا۠ لَكُمۡ نَاصِحٌ أَمِينٌ ٦٨﴾ [الأعراف: ٦٨].

وأما الأحاديث:

(١٨١/ ٢٢) فالأول: عن أَبِي رُقَيَّةَ تَمِيم بن أَوْسٍ الدَّارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الدِّينُ النَّصِيحةُ». قلنا: لِـمَنْ؟ قَالَ: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلأَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». رواه مسلم.

(١٨٢/ ٢٢) الثاني: عن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْتُ رسولَ الله ﷺ عَلَىٰ إقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، والنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفق عليه.

(١٨٣/ ٢٢) الثالث: عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

٢٣- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ٧١].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ٧٨ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ٧٩﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ٩٤﴾ [الحجر: ٩٤].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ ١٦٥﴾ [الأعراف: ١٦٥].

وَالآيات في الباب كثيرة معلومة. وأما الأحاديث:

(١٨٤/ ٢٣) فالأول: عن أبي سعيد الخُدْري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعت رَسُول الله ﷺ يقول: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». رواه مسلم.

(١٨٥/ ٢٣) الثاني: عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ نَبيٍّ بَعَثَهُ اللهُ في أُمَّة قَبْلي إِلَّا كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوارِيُّونَ (أي: خلصاء وأنصار) وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ، ثُمَّ إِنَّهَا تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ (أي: أقوام لاحقون) يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لَا يُؤْمَرون، فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُم بِقَلبِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُم بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤمِنٌ، وَلَيسَ وَرَاءَ ذلِكَ مِنَ الإيمَانِ حَبَّةُ خَرْدَلٍ». رواه مسلم.

(١٨٦/ ٢٣) الثالث: عن أبي الوليد عُبادَةَ بن الصَّامِت رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُول الله ﷺ عَلَى السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ أَلَّا نُنازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَىٰ أنْ نَقُولَ بالحَقِّ أيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. متفق عليه. «المَنْشَطُ وَالمَكْرَهُ» بفتح ميمَيْهِما، أي: في السهل والصعب.

و«الأَثَرَةُ»: الاختِصاص بالمشترَكِ، وقد سبق بيانها. «بَوَاحًا» بفتح الباءِ الموحدة بعدها واو ثُمَّ ألف ثُمَّ حاءٌ مهملة، أي: ظاهِرًا لا يحتمل تأويلًا.

(١٨٧/ ٢٣) الرابع: عن النُّعْمان بن بَشِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ القَائِمِ فِي حُدُودِ الله وَالوَاقعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَومٍ اسْتَهَمُوا عَلَىٰ سَفِينَةٍ فَصَارَ بَعْضُهُمْ أعلاها وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، وَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقوا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَىٰ مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنا خَرْقًا وَلَمْ نُؤذِ مَنْ فوقَنا، فَإنْ تَرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَميعًا، وَإنْ أَخَذُوا عَلَىٰ أَيدِيهِمْ نَجَوا وَنَجَوْا جَميعًا». رواه البخاري. «القَائِمُ فِي حُدُودِ الله تَعَالَىٰ» معناه: المنكر لَهَا القائم في دفعِها وإزالتِها، وَالمُرادُ بالحُدُودِ: مَا نَهَىٰ الله عَنْهُ. «اسْتَهَمُوا»: اقْتَرَعُوا.

(١٨٨/ ٢٣) الخامس: عن أُمِّ المؤمنين أم سَلَمَةَ هِندٍ بنت أبي أُمَيَّةَ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: عن النَّبيِّ ﷺ أنه قَالَ: «إنَّهُ يُسْتَعْمَلُ عَلَيْكُمْ أُمَرَاءُ فَتَعرِفُونَ وتُنْكِرُونَ، فَمَنْ كَرِهَ فَقَدْ بَرِئَ، وَمَنْ أَنْكَرَ فَقَدْ سَلِمَ، وَلَكِنْ مَنْ رَضِيَ وَتَابَعَ». قالوا: يَا رَسُولَ الله، ألا نُقَاتِلهم؟ قَالَ: «لا، مَا أَقَامُوا فيكُمُ الصَّلاَةَ». رواه مسلم. معناه: مَنْ كَرِهَ بِقَلْبِهِ وَلَمْ يَسْتَطِعْ إنْكَارًا بِيدٍ وَلا لِسَانٍ فَقَدْ بَرِئَ مِنَ الإثْمِ وَأَدَّىٰ وَظيفَتَهُ، وَمَنْ أَنْكَرَ بحَسَبِ طَاقَتِهِ فَقَدْ سَلِمَ مِنْ هذِهِ المَعْصِيَةِ، وَمَنْ رَضِيَ بِفِعْلِهِمْ وَتَابَعَهُمْ فَهُوَ العَاصِي.

(١٨٩/ ٢٣) السادس: عن أم المؤمنين أُمِّ الحَكَم زينب بنتِ جَحْش رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن النَّبيَّ ﷺ دخل عَلَيْهَا فَزِعًا يقول: «لا إله إلَّا الله، وَيلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرٍّ قَدِ اقْتَرَبَ، فُتِحَ اليَوْمَ مِنْ رَدْمِ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مِثْلُ هذِهِ»، وحلَّق بإصبَعيهِ الإبهامِ والَّتي تليها، فقلتُ: يَا رَسُولَ الله، أنَهلِكُ وَفِينَا الصَّالِحُونَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، إِذَا كَثُرَ الخَبَثُ (أي: الفسق والفجور والمفاسد)». متفق عليه.

(١٩٠/ ٢٣) السابع: عن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إيَّاكُمْ وَالجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ!» فقالوا: يَا رَسُولَ الله، مَا لنا مِنْ مجالِسنا بُدٌّ، نتحدث فِيهَا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «فَإِذَا أَبَيْتُمْ إلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ». قالوا: وما حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلامِ، وَالأمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عن المُنْكَرِ». متفق عليه.

(١٩١/ ٢٣) الثامن: عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رَسُولَ الله ﷺ رأى خاتَمًا مِنْ ذهبٍ في يد رجل فنزعه فطرحه، وَقَالَ: «يَعْمِدُ أحَدُكُمْ إِلَىٰ جَمْرَةٍ مِنْ نَارٍ فَيَجْعَلُهَا فِي يَدِهِ!» فقيلَ للرجلِ بعدما ذهبَ رسولُ الله ﷺ: خُذْ خاتَمَكَ انْتَفِعْ بِهِ. قَالَ: لا والله لا آخُذُهُ أبدًا وَقَدْ طَرَحَهُ رسولُ الله ﷺ. رواه مسلم.

(١٩٢/ ٢٣) التاسع: عن أَبي سعيد الحسن البصري: أن عَائِذَ بن عمرو ﷺ دخل علىٰ عبيد الله بن زياد، فَقَالَ: أي بُنَيَّ، إني سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ (أي: العنيف في رعاية الإبل)». فَإِيَّاكَ أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهُ: اجلِسْ فَإِنَّمَا أَنْتَ مِنْ نُخَالَةِ (أي: نخالة الدقيق: قشوره، والمراد هنا: لست من علمائهم وفضلائهم) أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالَ: وهل كَانَتْ لَهُم نُخَالَةٌ إِنَّمَا كَانَتِ النُّخَالَةُ بَعْدَهُمْ وَفي غَيْرِهِمْ. رواه مسلم.

(١٩٣/ ٢٣) العاشر: عن حُذَيفَة ﷺ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسي بِيَدِهِ، لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ أَوْ لَيُوشِكَنَّ اللهُ أنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عِقَابًا مِنْهُ ثُمَّ تَدْعُونَهُ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٩٤/ ٢٣) الحادي عشر: عن أَبي سعيد الخُدْري ﷺ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «أفْضَلُ الجِهَادِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٩٥/ ٢٣) الثاني عشر: عن أَبي عبد الله طارِق بن شِهابٍ البَجَليِّ الأَحْمَسِيِّ ﷺ: أَنَّ رجلًا سأل النَّبيَّ ﷺ وقد وضع رِجله في الغَرْزِ: أيُّ الجِهادِ أفضلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ سُلْطَانٍ جَائِرٍ». رواه النَّسائي بإسناد صحيح. «الغرز»: بغين معجمة مفتوحة ثُمَّ راء ساكنة ثُمَّ زاي، وَهُوَ: ركاب كَوْرٍ (أي: الكور: ما يفرش علىٰ ظهر الناقة ونحوها) الجملِ إِذَا كَانَ من جلد أَوْ خشب، وقيل: لا يختص بجلد وخشب.

(١٩٦/ ٢٣) الثالث عشر: عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ مَا دَخَلَ النَّقْصُ عَلَىٰ بَنِي إسْرَائِيلَ أنَّهُ كَانَ الرَّجُلُ يَلْقَىٰ الرَّجُلَ، فَيَقُولُ: يَا هَذَا، اتَّقِ الله ودَعْ مَا تَصْنَعُ فَإِنَّهُ لا يَحِلُّ لَكَ، ثُمَّ يَلْقَاهُ مِنَ الغَدِ وَهُوَ عَلَىٰ حَالِهِ، فَلا يَمْنَعُهُ ذلِكَ أنْ يَكُونَ أكِيلَهُ وَشَرِيبَهُ وَقَعِيدَهُ، فَلَمَّا فَعَلُوا ذلِكَ ضَرَبَ اللهُ قُلُوبَ بَعْضِهِمْ بِبَعْضٍ». ثُمَّ قَالَ: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ إِلَىٰ قوله: ﴿فَٰسِقُونَ ﴿٨١﴾﴾ [المائدة: ٧٨-٨١]، ثُمَّ قَالَ: «كَلَّا، وَاللهِ لَتَأْمُرُنَّ بالمَعْرُوفِ، وَلَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ، وَلَتَأْخُذُنَّ عَلَىٰ يَدِ الظَّالِمِ، وَلَتَأطِرُنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ أطْرًا، وَلَتَقْصُرُنَّهُ عَلَىٰ الحَقِّ قَصْرًا، أَوْ لَيَضْرِبَنَّ اللهُ بقُلُوبِ بَعْضِكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، ثُمَّ لَيَلْعَنَنَّكُمْ كَمَا لَعَنَهُمْ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». هَذَا لفظ أَبي داود.

ولفظ التِّرمذي: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَـمَّا وَقَعَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ في المَعَاصي نَهَتْهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ

فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَجَالَسُوهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ، وَوَاكَلُوهُمْ وَشَارَبُوهُمْ، فَضَربَ اللهُ قُلُوبَ بَعضِهِمْ بِبعْضٍ، وَلَعَنَهُمْ عَلَىٰ لِسانِ دَاوُد وعِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ ذلِكَ بما عَصَوا وَكَانُوا يَعتَدُونَ». فَجَلَسَ رَسُول الله ﷺ وكان مُتَّكِئًا، فَقَالَ: «لا، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ حَتَّىٰ تَأطِرُوهُمْ عَلَىٰ الحَقِّ أَطْرًا». قوله: «تَأطِرُوهم» أي: تعطفوهم. «ولتقْصُرُنَّهُ» أي: لتحبِسُنَّه.

(١٩٧/ ٢٣) الرابع عشر: عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه قَالَ: يَا أَيُّها النَّاس، إنَّكم لتَقرءون هذِهِ الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾[المائدة ١٠٥] وإني سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ النَّاسَ إذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا عَلَىٰ يَدَيْهِ أوشَكَ أنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ مِنْهُ». رواه أبو داود والتِّرمذي والنسائي بأسانيد صحيحة.

❋ ❋ ❋

(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر)

المعروف: هو ما يُستحسن من الأقوال والأفعال، وهو اسمٌ جامع لكلِّ ما عُرف من طاعة الله والتقرب إليه، وإحسانٍ إلىٰ الناس، وكل ما ندب إليه الشرع.

أما المنكر: فهو كلُّ ما قبَّحه الشرعُ وحرَّمه ونهىٰ عنه.

فالأمر بالمعروف هو الدلالة علىٰ الخير بما يوافق الشرع الحكيم، والنهي عن المنكر هو المنع من الشر وما تميل إليه النفس من الشهوة المذمومة. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمر واجب شرعًا أرشدت إليه الآيات والأحاديث وأجمعت عليه الأمة وأنكرت علىٰ من ضيَّعه وأهمله، فقال تعالىٰ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾[آل عمران ١٠٤]. فهو أمر واجب، كما أنه فرض كفاية لا فرض عين، إذا قام به البعض سقط عن الآخرين، وللقائم به فضل علىٰ الباقين؛ إذ أسقط الفرض عن نفسه وعن غيره.

قال ﷺ: «لتَأْمُرُنَّ بِالمَعْرُوفِ ولَتَنْهَوُنَّ عَنِ المُنْكَرِ ولَتَحَاضُّنَّ علىٰ الخيْرِ أو لَيُسْحِتَنَّكُمُ الله جَمِيعًا بِعَذَابٍ، أو لَيُؤَمِّرَنَّ عَلَيْكُمْ شِرَارَكُمْ ثُمَّ يَدْعُو خِيَارُكُمْ فَلا يُسْتَجَابُ لَكُمْ». أحمد في «مسنده» (٣/ ٤١٤) برقم (١٥٤٦٢).

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أولُ ما تُغلَبون عليه من الجهادِ الجهادُ بأيديكم، ثم الجهادُ بألسنتكم، ثم الجهادُ بقلوبكم، فإذا لم يعرف القلبُ المعروفَ ولم ينكر المنكر نُكِسَ فجُعل أعلاه أسفله.

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم في الدين، وهو مقصود بعثة الأنبياء أجمعين، ولو ضاع لتقطعت أعمال النبوة بالكامل، وذهبت الديانة وفشت الضلالة وانتشر الجهل والفساد وهلك الناس حتىٰ تأتي عليهم القيامة.

وأما مَن قام بأعباء هذه السنة العظيمة متكفلًا بعبئها مجتهدًا في تنفيذها مُضحِّيًا بالغالي والنفيس لنشرها مؤمنًا صادقًا بها، لا تأخذه في الله لومةُ لائمٍ، قائمًا بالعدل والاتزان والسَّعَة والتيسير، لا بالغلوِّ ولا بالتفريط، فإنه شامة الزمان وشرف الأعيان بين الناس، يُعامله الله معاملةً خاصة ويرفع قدره بين العالمين، حيث يقول تعالىٰ في مدحهم: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٤﴾ [آل عمران: ١٠٤] ويقول: ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِۗ وَلَوۡ ءَامَنَ أَهۡلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۚ مِّنۡهُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَأَكۡثَرُهُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١١٠﴾ [آل عمران ١١٠]، علىٰ أن يتصف بطلب العلم الصحيح، والورع، وحسن الخلق، فيعلم الحقوق والواجبات الشرعية، ويتورع عن محاسبة الناس ناسيًا نفسه. وليكن حَسَنَ الأخلاق متلطِّفًا هينًا لينًا، فقد يفوته من العلم ما يفوته، وكذلك من الورع، فإن العلم والورع لا يكفيان لقبول الناس له، بل عليه أن يملك نفسَه عند الغضب، وليصبر علىٰ ما يُصيبه من الأذىٰ والنقصان في ماله ونفسه وعِرْضه.

واعلم أن أكثرَ الناس جاهلون بالشرع، حتىٰ إن كلَّ تقاعُسٍ وقعودٍ عن التحرك لتعليم الناس ودعوتهم وحملهم علىٰ المعروفات إنما هو تضييعٌ للدين وللأمة جميعًا، ولا يسقط الحرجُ عن الأمة جميعًا ما دام يبقىٰ علىٰ وجه الأرض جاهلٌ بفرض من فروض دينه وهو قادرٌ علىٰ أن يسعىٰ إليه بنفسه أو بإرسال غيره إليه؛ ليُعلِّمه فروض دينه.

وهذا الضياعُ إنما كان لأن الجاهلَ بسبب جهله بقيمةِ وفضل دينه قَصَّر في التعلُّم، وأن بعضَ أهل العلم قصَّروا في الخروج لدعوة وتعليم الجهال. والإنسان لا

يُولد عالمًا بالشرع، وإنما يجب التبليغ علىٰ أهل العلم، فكلٌّ من تعلم مسألة واحدةً فهو من أهل العلم بها، وكل عامي عرف شروط الصلاة أو شيئًا من دينه فعليه أن يُعرِّف غيرَه، وإلا فهو شريك في الإثم. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فرض كفاية إذا قام به البعض سقط الحرج عن الباقين، وإذا تَرَكَ الجميعُ أَثِمَ الكلُّ.

وقالت أم الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَن وَعَظ أخاه سرًّا فقد زانه (أي: أحسن إليه)، ومن وعظه علانيةً فقد شانه (أي: عابه وأهانه).

قال رَسُول الله ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ».

حيث يرىٰ أكثر أهل العلم، وعلىٰ رأسهم أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ، أنه يكفي للقيام بهذا الواجب القلب واللسان إن قدر عليه، ولا يصح الالتجاء إلىٰ القوة، وقد فعل ذلك من الصحابة أمثال سعد بن أبي وقاص وأسامة بن زيد وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة وهم من عظماء الصحابة؛ إذ اعتزلوا القتال بين علي ومعاوية رضي الله عنهم أجمعين.

ومن أهم الاعتبارات في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن تكونَ مثمرة ولا تؤدي إلىٰ أن يغالي مرتكب المنكر إلىٰ منكر أكبر منه.

فالأمر والنهي واجب عندما يتحقق النفع دون أن يصيب الداعي ضرر بليغ، ومستحب إذا كان مفيدًا وإن حدث ضرر للداعي قليل، ويستحب أيضًا إذا لم ينفع ولم يضر وإنما فقط لإظهار المحافظة علىٰ صورة الدين وشعيرته الصحيحة بين الناس.

ولما سُئِل رسول الله ﷺ: ألا نأمر بالمعروف حتىٰ نعمل به كله ولا ننهىٰ عن المنكر حتىٰ نجتنبه كله؟ أجاب: «بل مُرُوا بالمعروف وإن لم تعملوا به كله، وانهوا عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله». رواه الطبراني في «الأوسط».

ويشترط فيمن يأمر بالمعروف وينهىٰ عن المنكر أن يحافظ علىٰ هذه الشروط:

الشرط الأول: أن يكونَ عالـمًا بحكم الشرع فيما أمر الله به أو نهىٰ عنه، ولا

يعتمد في ذلك علىٰ رأيه الخاص أو عادات الناس، بل يحكم بما أنزل الله؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ [المائدة: ٤٨].

فلو رأىٰ شخصًا يفعل شيئًا الأصلُ فيه أنه حلال، فلا يحل له أن ينهاه حتىٰ يتأكد من أنه حرام أو منهي عنه، وكذلك إذا رأىٰ شخصًا ترك أمرًا ما ظنًّا أنه ليس من الدين فإنه لا يحل له أن يأمره حتىٰ يعلم ماذا يقول فيه الشرع.

الشرط الثاني: أن يعلم بحال العبد المكلف من الله: هل هذا النهي يخصه ومتوجه إليه، أم لا؟ فإن شك يكون ذلك في صالح المكلف؛ فلا يأمره ولا ينهاه إلا إذا تأكد أنه معنيٌّ بذلك.

الشرط الثالث: أن يعلم حالَ الـمُكلَّفِ بذلك، فقد يكون في مرض أو سفر أو ما شابه، فلا ينكر عليه فعله حتىٰ يستقصي حال الرجل أولًا.

الشرط الرابع: أن يكونَ الآمر أو الناهي عن المنكر قادرًا علىٰ القيام بهذا الأمر دون أن يلحقه ضرر كبير، فإن علم أنه سيلحقه ضرر لا يقدر عليه لا يجب عليه وإن كان القيام به أفضل بأن استطاع أن يتحمل وكان في السَّعة والطاقة؛ قال تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. فإذا شعر أنه إذا أمر شخصًا بمعروف أنه قد يقتله أو يتسبب ذلك في حبس وما شابه، فإن له أن يترك ذلك ولا يلزمه أن يأمره، بل قد يحرم عليه عندئذٍ.

وسأل إسحاقُ بن راهُوَيْهِ الإمامَ أحمدَ بن حنبل رحمهما الله قال: رجل تكلَّم بكلامِ سوءٍ، يجب عليَّ فيه أن أُغيِّره في ذلك الوقت فلا أقدر علىٰ تغييره، وليس لي أعوانٌ يُعينوني عليه؟ قال الإمام أحمد: إذا علم اللهُ من قلبك أنك مُنكِرٌ لذلك فأرجو ألا يكون عليك شيء.

الشرط الخامس: ألا يترتَّب علىٰ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مفسدةٌ أعظمُ من السكوت، فإنه لا يلزمه بل لا يجوز له أن يفعل ذلك؛ ولهذا قال العلماء: إن الإنكار قد ينتج منه أحوال أربعة:

الحالة الأولىٰ: أن يزول المنكر، فهنا الإنكار واجب.

الحالة الثانية: أن يتحول بسبب ذلك إلىٰ ضرر أخف أو فعل أخف، فكذلك يكون الإنكار هنا واجبًا.

الحالة الثالثة: أن يتحول المنكر إلىٰ منكر مثله في جانب آخر، ففي هذه الحالة الأمرُ محلُّ نظرٍ يُرجَع فيه لأهل الاختصاص.

الحالة الرابعة: أن يتحول النهي إلىٰ مصيبة أعظم، فلا يجوز عند ذلك الإنكار؛ لأن المقصودَ إزالة المنكر أو التخفيف، وليس أن يزداد سوءًا، كما قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام: ١٠٨]؛ حيث يترتَّب علىٰ سب إلهة المشركين أمرٌ أعظمُ وهو سب الله عَدْوًا بغير علم.

الشرط السادس: أن يكونَ صاحب الأمر أو النهي حريصًا علىٰ الالتزام أصلًا بهذا الأمر، ومن هنا تختلف حالة الأمر والنهي عن حالة الدعوة؛ فالآمر الناهي له فوقية وله استطاعة فلا يجوز له أن يأمر بما لا يفعل، أما الداعي إلىٰ الله فإنه يدل الناس علىٰ التقصير وعلىٰ الغفلة والتي علينا جميعًا ونريد أن نصلحها جميعًا، فهو لا يستطيل علىٰ أمرٍ ولا نهي، فهناك فارق. قال ابن كثير: فِعْل المعروف والدعوة إليه أمران عظيمان، فلا يسقط أحدهما بترك الآخر.

وقال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يأمر بالمعروفِ ولا ينهىٰ عن المنكر إلا مَن كان فيه خصالٌ ثلاثٌ: رفيقًا بما يأمر، رفيقًا بما ينهىٰ، عدلًا بما يأمر، عدلًا بما ينهىٰ، عالمًا بما يأمر، عالمًا بما ينهىٰ. فهو رفيق في خُلُقه ودعوته، معتدل متوازن في أمره، وبصير وعالم بما يتكلم. وسُئل الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كيف ينبغي له أن يأمر؟ قال: يأمر بالرِّفق والخضوع. ثم قال: إن أسمعوه ما يكره فلا يغضب، وإلا فإنه يُريد أن ينتصر لنفسه.

واعلم أن الأمرَ بالمعروف والنهي عن المنكر هو صلاح هذه الأمة وضمان نجاحها ورفعتها، وبسببه تتكون البنية الصالحة التي تنمو فيها الفضائل وتموت فيها الرذائل وتحرس فيها الأخلاق والأعراض والأموال، وهو سبب لنصرة الله وتأييده، وسرُّ فضيلة هذه الأمة ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠].

❋ ❋ ❋

٢٤- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [البقرة: ٤٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ [الصف: ٢،٣].

وَقالَ تَعَالَىٰ إخبارًا عن شعيب عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ﴾ [هود: ٨٨].

(١٩٨/ ٢٤) وعن أبي زيد أسامة بن حارثة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: سمعت رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «يُؤْتَىٰ بالرَّجُلِ يَوْمَ القِيامَةِ فَيُلْقَىٰ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ فَيدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ فِي الرَّحَىٰ (أي: المراد: دورانه حول مَرْبطه)، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْه أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلانُ، مَا لَكَ؟ أَلَمْ تَكُ تَأْمُرُ بالمعْرُوفِ وَتنهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ؟ فيقُولُ: بَلَىٰ، كُنْتُ آمُرُ بِالمَعْرُوفِ وَلا آتِيهِ، وأَنْهَىٰ عَنِ المُنْكَرِ وَآتِيهِ». متفق عليه. قوله: «تَنْدلِقُ» هُوَ بالدالِ المهملةِ، ومعناه: تخرُجُ. و«الأَقْتَابُ»: الأمعاءُ، واحدها قِتْبٌ.

٢٥- باب الأمر بأداء الأمانة

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

(١٩٩/ ٢٥) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «آيةُ (أي: علامة) المُنافِقِ ثلاثٌ: إِذَا حَدَّث كَذَبَ، وَإِذَا وَعدَ أخلفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفق عليه.

وفي رواية: «وَإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ، وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسلِمٌ».

(٢٠٠/ ٢٥) وعن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: حدثنا رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حدِيثَين قَدْ رأيْتُ أحَدَهُما وأنا أنتظرُ الآخر: حدثنا أن الأمانة نَزلت في جَذْرِ قلوبِ الرجال، ثُمَّ نزل القرآن فعلموا مِنَ القرآن، وعلِموا من السنةِ. ثُمَّ حدَّثنا عن رفع الأمانة، فَقَالَ: «يَنَامُ الرَّجُلُ النَّوْمَةَ

فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثلَ الوَكْتِ، ثُمَّ يَنَامُ النَّوْمَةَ فَتُقْبَضُ الأَمَانَةُ مِنْ قَلْبِهِ، فَيَظَلُّ أَثَرُهَا مِثلَ أَثَرِ المَجْلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَهُ عَلَىٰ رِجْلِكَ فَنَفِطَ (أي: ورم موضعه)، فَتَرَاهُ مُنْتَبِرًا وَلَيسَ فِيهِ شَيءٌ». ثُمَّ أَخَذَ حَصَاةً فَدَحْرَجَهُ عَلَىٰ رِجْلِهِ «فَيُصْبِحُ النَّاسُ يَتَبَايعُونَ، فَلا يَكَادُ أحدٌ يُؤَدِّي الأَمَانَةَ حَتَّىٰ يُقَالَ: إنَّ فِي بَنِي فُلان رَجُلًا أَمينًا، حَتَّىٰ يُقَالَ لِلرَّجُلِ: مَا أجْلَدَهُ! مَا أَظْرَفَهُ! مَا أعْقَلَهُ! وَمَا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِن خَرْدَلٍ مِنْ إيمَان». وَلَقدْ أَتَىٰ عَلَيَّ زَمَانٌ وَمَا أُبَالِي أيكُم بَايَعْتُ: لَئِن كَانَ مُسْلمًا لَيَرُدَّنَّهُ عليَّ دِينُهُ، وَإنْ كَانَ نَصْرانِيًّا أَوْ يَهُودِيًّا لَيَرُدَّنَّهُ عَلَيَّ سَاعِيهِ، وَأَمَّا اليَوْمَ فَمَا كُنْتُ أُبَايعُ مِنْكُمْ إلَّا فُلانًا وَفُلانًا. متفق عليه. قوله: «جَذْرُ» بفتح الجيم وإسكان الذال المعجمة، وَهُوَ: أصل الشيء. و«الوَكْت» بالتَّاء المثناة من فوق: الأثر اليسير. و«المَجْل» بفتح الميم وإسكان الجيم، وَهُوَ: تَنَفُّطٌ في اليدِ ونحوها من أثرِ عمل وغيرِه. قوله: «مُنْتَبِرًا»: مرتفعًا. قوله: «سَاعِيهِ»: الوالي عَلَيه.

(٢٠١/ ٢٥) وعن حُذَيفَةَ وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يَجمَعُ اللهُ تبارَكَ وَتَعَالَىٰ النَّاسَ فَيَقُومُ المُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ تُزْلَفَ (أي: تقرَّب) لهم الجَنَّةُ، فَيَأْتُونَ آدَمَ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيهِ، فَيقُولُونَ: يَا أَبَانَا اسْتَفْتِحْ لَنَا الجَنَّةَ، فَيقُولُ: وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الجَنَّةِ إلَّا خَطِيئَةُ أبيكُمْ! لَسْتُ بِصَاحِبِ ذَلِكَ، اذْهَبُوا إِلَىٰ ابْنِي إبْراهِيمَ خَلِيل الله. قَالَ: فَيَأْتُونَ إبرَاهِيمَ فَيَقُولُ إبراهيم: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذلِكَ إنَّمَا كُنْتُ خَليلًا مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اعْمِدُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ الَّذِي كَلَّمَهُ اللهُ تَكليمًا. فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ، فَيَقُولُ: لستُ بِصَاحِبِ ذلِكَ، اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ كلمةِ اللهِ ورُوحه، فيقول عيسىٰ: لستُ بصَاحِبِ ذلِكَ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّدًا ﷺ فَيَقُومُ فَيُؤذَنُ لَهُ، وتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومانِ جَنْبَتَي الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالبَرْقِ». قُلْتُ: بأبي وَأمِّي، أيُّ شَيءٍ كَمَرِّ البرقِ؟ قَالَ: «أَلَمْ تَرَوا كَيْفَ يمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَال تَجْري بهِمْ أَعْمَالُهمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَىٰ الصِّراطِ، يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّىٰ تَعْجزَ أعْمَالُ العِبَادِ، حَتَّىٰ يَجِيءَ الرَّجُلُ لا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إلَّا زَحْفًا، وَفِي حَافَتَي الصِّراطِ كَلَالِيبُ معلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بأَخْذِ مَنْ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمُكَرْدَسٌ (أي: المكردس: الذي جُمعت يداه ورجلاه وأُوثقا) فِي النَّارِ». وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا (أي: الخريف: السنة). رواه مسلم.

قوله: «وراءَ وراءَ» هُوَ بالفتح فيهما، وقيل: بالضم بلا تنوين، ومعناه: لست بتلك الدرجة الرفيعة، وهي كلمة تذكر عَلَىٰ سبيل التَّواضع. وقد بَسَطتُ معناها في «شرح صحيح مسلم». والله أعلم.

(٢٠٢/ ٢٥) وعن أَبي خُبَيْب- بضم الخاء المعجمة- عبد الله بن الزبير رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا قالَ: لَـمَّا وَقفَ الزُّبَيْرُ يَوْمَ الجَمَل دَعَانِي فَقُمْتُ إِلَىٰ جَنْبه، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ، إِنَّهُ لَا يُقْتَلُ اليَومَ إِلَّا ظَالِمٌ أَوْ مَظْلُومٌ، وَإِنِّي لا أُرَانِي إِلَّا سَأُقْتَلُ اليوم مظلومًا، وإِنَّ مِنْ أكبر هَمِّي لَدَيْنِي، أفتَرَىٰ دَيْننا يُبقي من مالنا شيئًا؟ ثُمَّ قَالَ: يَا بُنَيَّ، بِعْ مَا لَنَا وَاقْضِ دَيْنِي. وَأوْصَىٰ بِالثُّلُثِ وَثُلُثِهِ لِبَنِيهِ، يعني لبني عبد الله بن الزبير ثُلُثُ الثُّلُث. قَالَ: فَإِنْ فَضَلَ مِنْ مَالِنَا بَعْدَ قَضَاءِ الدَّينِ شَيء فَثُلُثُه لِبَنِيكَ.

(يوم الجمل: وقعة مشهورة بين علي بن أبي طالب رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ومن معه، وبين زوج النبي عائشة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا ومن معها، وكانت بسبب فتنة وقعت بعد مقتل عثمان بن عفان رَضِوَاللَّهُعَنْهُ ومطالبة أم المؤمنين عائشة رَضِوَاللَّهُعَنْهَا لعلي بالقصاص ممن قتله، ودارت بسببها حرب مشهورة وهي ما تعرف بوقعة الجمل، وسُمِّيت بهذا الاسم لأنها رَضِوَاللَّهُعَنْهَا كانت راكبةً علىٰ جمل عظيم والناس يُقاتلون حول الجمل حتىٰ عُقِر الجمل).

قَالَ هِشَام: وَكَانَ بَعْضُ وَلَدِ عبد الله قَدْ وَازَىٰ (أي: ساوىٰ) بَعْضَ بَنِي الزُّبَيْرِ خُبيبٍ وَعَبَّادٍ، وَلَهُ يَوْمَئِذٍ تِسْعَةُ بَنِينَ وَتِسْعُ بَنَات. قَالَ عبدالله: فَجَعَلَ يُوصِينِي بِدَيْنِهِ وَيَقُولُ: يَا بُنَيَّ، إِنْ عَجَزْتَ عَن شَيْءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِنْ عَلَيهِ بِمَوْلَايَ (أي: يقصد ربه جَلَّجَلَالُهُ). قَالَ: فَوَالله مَا دَرَيْتُ مَا أَرَادَ حَتَّىٰ قُلْتُ: يَا أَبتِ مَنْ مَوْلَاكَ؟ قَالَ: الله. قَالَ: فَوَالله مَا وَقَعْتُ فِي كُرْبَةٍ مِنْ دَيْنِهِ إِلَّا قُلْتُ: يَا مَوْلَىٰ الزُّبَيرِ اقْضِ عَنْهُ دَيْنَهُ، فَيَقْضِيَهُ.

قَالَ: فَقُتِلَ الزُّبَيْرُ وَلَم يَدَعْ دِينارًا وَلا دِرهمًا إِلَّا أَرَضِينَ، مِنْهَا الغَابَةُ (أي: وهي موضع قرب المدينة من ناحية الشام) وإِحْدَىٰ عَشْرَةَ دَارًا بالمَدِينَةِ، وَدَارَيْنِ بالبَصْرَةِ، ودَارًا بالكُوفَةِ، ودَارًا بِمِصْرَ. قَالَ: وَإِنَّمَا كَانَ دَيْنُهُ الَّذِي كَانَ عَلَيهِ أَنَّ الرَّجُلَ كَانَ يَأْتِيهِ بالمال فَيَسْتَودِعُهُ إيَّاهُ فَيقُولُ الزُّبَيْرُ: لا، وَلَكِنْ هُوَ سَلَفٌ، إِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيهِ الضَّيْعَةَ (أي: الهلاك والتلف).

وَمَا وَلِيَ إِمَارَةً قَطُّ وَلا جِبَايَةً (أي: الجباية: جمع واستخراج الأموال من مظانها الشرعية) ولا خراجًا (أي: الخراج: هو ما يفرضه الإمام علىٰ الأرض ذات الغلة من مال أو سلع إلىٰ بيت المال كل سنة، وتتولَّىٰ الدولة أمر جمعه وصرفه في الوجوه المستحقة له) وَلَا شَيئًا إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي غَزْوٍ مَعَ رسولِ الله صَلَّىٰاللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ أَوْ مَعَ أَبي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ رَضِوَاللَّهُعَنْهُمْ.

قَالَ عبد الله: فَحَسَبْتُ مَا كَانَ عَلَيهِ مِن الدَّيْنِ فَوَجَدْتُهُ أَلْفَيْ أَلْفٍ وَمائَتَي أَلْف! فَلَقِيَ حَكِيمُ بنُ حِزام عبد الله بْنَ الزُّبَيْرِ، فقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، كَمْ عَلَىٰ أخي مِنَ الدَّيْنِ؟ فَكَتَمْتُهُ وَقُلْتُ: مِائَةُ أَلْف. فَقَالَ حَكِيمٌ: والله مَا أرَىٰ أَمْوَالَكُمْ تَسعُ هذِهِ. فَقَالَ عبدالله: أَرَأَيْتَكَ إنْ كَانَتْ أَلْفَي ألف وَمائَتَيْ أَلْف؟ قَالَ: مَا أراكُمْ تُطيقُونَ هَذَا، فَإنْ عَجَزْتُمْ عَنْ شَيءٍ مِنْهُ فَاسْتَعِينُوا بي. قَالَ: وَكَانَ الزُّبَيرُ قَد اشْتَرَىٰ الغَابَةَ بِسَبْعِينَ ومائة ألف، فَبَاعَهَا عبد الله بِأَلْفِ أَلْف وَستِّمِائَةِ أَلْف، ثُمَّ قَامَ فَقَالَ: مَنْ كَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيرِ شَيْء فَلْيُوافِنَا بِالغَابَةِ، فَأَتَاهُ عبد الله بنُ جعفر، وَكَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيرِ أَرْبَعمائةِ أَلْف، فَقَالَ لعبد الله: إنْ شِئْتُمْ تَرَكْتُهَا لَكمْ؟ قَالَ عبد الله: لا، قَالَ: فَإنْ شِئتُم جَعَلْتُمُوهَا فِيمَا تُؤَخِّرُونَ إنْ أَخَّرْتُمْ، فَقَالَ عبد الله: لا، قَالَ: فَاقْطَعُوا لِي قطْعَةً، قَالَ عبد الله: لَكَ مِنْ هاهُنَا إلَىٰ هَاهُنَا.

فَبَاعَ عبد الله مِنهَا فَقَضَىٰ عَنْهُ دَينَه وَأَوْفَاهُ، وَبَقِيَ مِنْهَا أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصْفٌ، فَقَدِمَ عَلَىٰ مُعَاوِيَة وَعِنْدَهُ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ، وَالمُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيْرِ، وَابْنُ زَمْعَة، فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: كَمْ قُوِّمَتِ الغَابَةُ؟ قَالَ: كُلُّ سَهْم بمائة ألف، قَالَ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: أَرْبَعَةُ أَسْهُم وَنِصْفٌ، فَقَالَ المُنْذِرُ بْنُ الزُّبَيرِ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بِمائَةِ ألف، قَالَ عَمْرُو بْنُ عُثْمَانَ: قَدْ أَخَذْتُ مِنْهَا سَهْمًا بمائَةِ أَلْف. وَقالَ ابْنُ زَمْعَةَ: قَدْ أَخَذْتُ سَهْمًا بِمائَةِ أَلْف، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: كَمْ بَقِيَ مِنْهَا؟ قَالَ: سَهْمٌ ونِصْفُ سَهْم، قَالَ: قَدْ أَخَذْتُهُ بِخَمْسِينَ وَمائَةِ أَلْف. قَالَ: وَبَاعَ عبد الله بْنُ جعفر نَصيبهُ مِنْ مَعَاوِيَةَ بستِّمِائَةِ أَلْف، فَلَمَّا فَرَغَ ابْنُ الزُّبَيرِ مِنْ قَضَاءِ دَيْنِهِ، قَالَ بَنُو الزُّبيرِ: اقسمْ بَيْنَنَا ميراثَنا، قَالَ: وَالله لا أَقْسِمُ بَيْنَكُمْ حَتَّىٰ أُنَادِي بِالمَوْسم أَرْبَعَ سنينَ: ألا مَنْ كَانَ لَهُ عَلَىٰ الزُّبَيرِ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا فَلْنَقْضِهِ. فَجَعَلَ كُلَّ سَنَةٍ يُنَادِي فِي المَوْسِمِ، فَلَمَّا مَضَىٰ أَرْبَعُ سنِين قَسَمَ بيْنَهُمْ وَدَفَعَ الثُّلُث. وَكَانَ للزُّبَيْرِ أَرْبَعُ نِسْوَةٍ، فَأَصَابَ كُلَّ امرَأَةٍ أَلْفُ ألف وَمِائَتَا أَلْف، فَجَمِيعُ مَالِه خَمْسُونَ ألف أَلْف وَمِائَتَا أَلْف. رواه البخاري.

❊ ❊ ❊

(الأمانة)

الأمانة هي خُلُق كريم ثابت في النفس، يعفُّ بها الإنسان عما لا يحلُّ له وما ليس له

بحقٍّ، حتىٰ إن تهيَّأتِ الظروفُ له للتعدِّي وأَخْذ ما ليس له من- دون أن يكونَ مُعرَّضًا للإدانة أمام الناس أو القانون- لم يتعدَّ أو يتجاوز علىٰ ما لا يحل له، بل إن هذا الخُلُق يدفعه إلىٰ أن يُؤدِّي ما عليه من حقٍّ لغيره حتىٰ لو كان صاحبُ الحقِّ ضعيفًا ولا يستطيع أن يأخذه منه. قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقد فسَّره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بأن الطاعةَ (أي: بالاختيار لا بالإجبار) عَرَضها اللهُ علىٰ السَّموات والأرضِ والجبال قبل آدم فلم تُطِقْها، فقال لآدم: إني قد عرضتُ الأمانةَ علىٰ السموات والأرض والجبال فلم تُطِقْها، فهل أنت آخِذٌ بما فيها؟ فقال: يا ربِّ، وما فيها؟ قال: إن أحسنتَ جُزِيتَ، وإن أسأتَ عُوقِبْتَ. فأخذها آدمُ فتحمَّلها.

فالأمانةُ هي ما منحه الله للإنسان من عقل يميز به بين الحق والباطل، وما كلَّفه به من تكاليفَ شرعيةٍ تقوده إلىٰ رضوان الله، ومن آثار تدله علىٰ الربوبية؛ ليُظهر ذلك كله ولا يَكتُمَه، فقد ائتمن اللهُ الإنسانَ علىٰ الفرائض والأموال والأسرار والحُرُمات. والأمانةُ هي أبرزُ خُلُقِ الرسل جميعًا، وبها بدأ **الرسولُ الكريم** دعوته، حيث جمع الناسَ وسألهم: «مَا تَقُولُونَ فِيَّ؟» قالوا: صادقٌ أمين. وكان الناسُ مع أنهم مُخالِفون للنبي ﷺ في الرأي والعقيدة يختارونه لحِفظ ودائعهم عنده، حيث وَكَّل بها عليَّ بنَ أبي طالبٍ عند الهجرة كما هو معلومٌ. وقد وصف اللهُ تعالىٰ جبريلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مادحًا له فقال: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣﴾ [الشعراء: ١٩٣].

والأمانةُ تَدخُل في كلِّ المجالات، كالدين والعِرْض، والأموال، والأجسام والأرواح، والمعارف والعلوم، والشهادة والوصاية، والولاية والقضاء، ونقل الأحاديث والرسالات، والأسماع والأبصار وسائر الحواس.

قال النبيُّ ﷺ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ». أحمد في «مسنده» (٣/ ٤١٤) برقم (١٥٤٦٢)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٤٠). وقال أيضًا: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ الْحَدِيثَ ثُمَّ الْتَفَتَ (أي: أنهىٰ حواره وتحديث الناس) فَهِيَ أَمَانَةٌ (أي: صار حفظ الحديث أمانة)». الترمذي برقم

(١٩٥٩)، حسنه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٥٠٦١). وقال أيضًا: «الإِمَامُ ضَامِنٌ (أي: علىٰ حفظ الطهارة والصلاة بأركانها وآدابها)، وَالمُؤَذِّنُ مُؤْتَمَنٌ (أي: علىٰ مواقيت صلاتهم وصيامهم إفطارًا وإمساكًا)، اللَّهُمَّ أَرْشِدِ الأَئِمَّةَ وَاغْفِرْ لِلْمُؤَذِّنِينَ». أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٣٢) برقم (٧١٦٩).

ومن علاماتِ الساعة ما قاله الرسولُ ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قال رجلٌ: وكيف إضاعتُها؟ قال: «إِذَا وُسِّدَ (أي: أُعطي) الأَمْرُ (أي: الولاية والمناصب) إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ». البخاري برقم (٥٩). وقال النبيُّ ﷺ: «الخَازِنُ الأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ، أَحَدُ المُتَصَدِّقِينَ (أي: هو متصدق من المتصدقين)» متفق عليه.

وقال أيضًا: «كَيْفَ بِكُمْ وَبِزَمَانٍ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ يُغَرْبَلُ (أي: يُنتقىٰ، والمراد: يذهب خيار الناس ويبقىٰ أرذلهم) النَّاسُ فِيهِ غَرْبَلَةً، قَدْ تَبْقَىٰ حُثَالَةٌ مِنَ النَّاسِ قَدْ مَرَجَتْ (أي: فسدت) عُهُودُهُمْ وَأَمَانَاتُهُمْ فَاخْتَلَفُوا هَكَذَا» وشبَّك بين أصابعه، قالوا: كيف بنا يا رسولَ الله إذا كان ذلك؟ قال: «تَأْخُذُونَ مَا تَعْرِفُونَ وَتَدَعُونَ مَا تُنْكِرُونَ، وَتُقْبِلُونَ عَلَىٰ خَاصَّتِكُمْ وَتَذَرُونَ أَمْرَ عَوَامِّكُمْ». أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢١) برقم (٧٠٦٣)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٥٩٤).

وقال النبيُّ ﷺ لأهل نَجران: «لَأَبْعَثَنَّ عَلَيْكُمْ رَجُلًا أَمِينًا حَقَّ أَمِينٍ» فاستَشْرَفَ (أي: طلبها) أصحابُ النبيِّ ﷺ، فبعث أبا عُبيدة. متفق عليه.

وقال رسولُ الله ﷺ: «المُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ (أي: أن اللهَ سائلُه عن مشورته وأمانتِه في رأيه)». أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٧٤) برقم (٢٢٤١٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧٠٠).

وقال رسولُ الله ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُؤْمِنُ مَنْ أَمِنَهُ النَّاسُ عَلَىٰ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ». أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٧٩) برقم (٨٩١٨).

عن أبي ذرٍّ قال: قلت: يا رسولَ الله، ألا تستعملني (أي: في الولاية)؟ قال: فضرب بيده علىٰ منكبي ثم قال: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّى الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». مسلم برقم (١٨٢٥).

وانظر لأمانة أبي ذرٍّ ﵁ نفسه الذي يروي حديثًا يُقال له فيه: «إِنَّكَ ضعيفٌ، وإنها أمانةٌ»، وأيُّ أمانةٍ هذه! وإنما قصد الرسولُ فيما يعني الولايةَ والإمارة لا مُطلَقَ الأمانة.

وقال البخاريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أداء الأمانة أحقُّ من تطوُّع الوصية. وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: لم يُرخِّص اللهُ لمُعسِرٍ ولا لمُوسِرٍ أن يُمسِكَ الأمانةَ (أي: يُنكر الأمانةَ ويختلسها لنفسه).

ونحن في زمان قلت فيه الأمانة، وكثرت فيه الخيانة، وأصبح كثير من الناس لا يؤتمنون، وإذا اؤتمنوا خانوا، وأصبحوا يتبايعون فلا يكاد أحدٌ يؤدي الأمانة، حتىٰ أصبح يقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا؛ لندرة الأمانة بين الخلق، وكأن الناس ما علموا أن الأمانة والرحم يقفان يوم القيامة علىٰ جنبتي الصراط يمينًا وشمالًا؛ لعظم أمرهما وكبر موقعهما، يطالبان من يريد الجَواز بحقهما.

قصة: أما السلف الصالحون فقد نبتت الأمانة في قلوبهم، فبها يتبايعون ويتعاملون، ولهم في ذلك قَصَصٌ وأخبار، من ذلك ما حكاه ابن عقيل عن نفسه: حَجَجْتُ فالتقطتُ عِقْدَ لؤلؤٍ فيه خيط أحمر، فإذا شيخٌ ينشده، ويبذلُ لِمُلْتَقِطِه مائةَ دينار، فرَدَدْتُه عليه، فقال: خُذِ الدنانير. فامتنعت وخرجت إلىٰ الشام، وزرت القدس، وقصدت بغداد، فأويت بحلب إلىٰ مسجد وأنا جائع أشعر بالبرد، فقدَّموني فصليت بهم، وأطعموني، وكان أول رمضان، فقالوا: إمامنا تُوفي فصلِّ بنا هذا الشهر. ففعلت، فقالوا: لإمامنا بنتٌ. فزُوِّجْتُ بها، فأقمتُ معها سنة، وأولدتها ولدًا بكرًا، فمرضت في نفاسها، فتأمَّلتها يومًا فإذا في عُنُقِها العِقْد بعينه بخيطه الأحمر، فقلت لها: لهذا قصة. وحكيتُ لها، فبكت وقالت: أنت هو والله، لقد كان أبي يبكي ويقول: اللهم ارزق ابنتي مثل الذي ردَّ العقد عليَّ. وقد استجاب اللهُ منه. ثم ماتت، فأخذتُ العقد والميراثَ، وعدتُ إلىٰ بغداد. اهـ.

قصة: وقال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: استعرتُ قلمًا بأرض الشام، فذهبت علىٰ أن أردَّه، فلما قدمت بلدة مَرْو نظرتُ فإذا هو معي، فرجعت إلىٰ الشام حتىٰ رددته علىٰ صاحبه. اهـ.

واعلم أن الأمين محبوبٌ من الله محبوب من الناس، وبه تُحفظ البلاد والأعراض والأموال.

❊ ❊ ❊

٢٦- باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾ [غافر: ١٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٧١﴾﴾ [الحج: ٧١].

وأمَّا الأحاديث فمنها: حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه المتقدم في آخر بابِ المجاهدةِ.

(٢٠٣/ ٢٦) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اتَّقُوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». رواه مسلم.

(٢٠٤/ ٢٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ القِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الجَلْحَاءِ (أي: التي لا قرن لها) مِنَ الشَّاةِ القَرْنَاءِ». رواه مسلم.

(٢٠٥/ ٢٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كُنَّا نَتَحَدَّثُ عَنْ حَجَّةِ الوَدَاعِ، والنَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم بَيْنَ أظْهُرِنَا، وَلا نَدْرِي مَا حَجَّةُ الوَدَاعِ حَتَّىٰ حَمِدَ اللهَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم وَأَثْنَىٰ عَلَيهِ ثُمَّ ذَكَرَ المَسِيحَ الدَّجَّالَ فَأَطْنَبَ (أي: أطال في الكلام) فِي ذِكْرِهِ، وَقَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرَهُ أُمَّتَهُ؛ أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ، وَإِنَّهُ إِنْ يَخْرُجْ فِيكُمْ فَما خَفِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ شَأْنِه فَلَيْسَ يَخْفَىٰ عَلَيْكُم، إِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بأعْوَرَ وإِنَّهُ أعْوَرُ عَيْنِ اليُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ. ألا إنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «اللَّهُمَّ اشْهَدْ». ثلاثًا «وَيْلَكُمْ - أَو: وَيْحَكُمْ - انْظُروا: لا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». رواه البخاري، وروىٰ مسلم بعضه.

(٢٠٦/ ٢٦) وعن عائشة رضي الله عنها: أن رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ ظَلَمَ قِيدَ (أي: قَدْر) شِبْرٍ مِنَ الأَرْضِ، طُوِّقَهُ مِنْ سَبعِ أَرَضِينَ». متفق عليه.

(٢٠٧/ ٢٦) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ، فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢]. متفق عليه.

(٢٠٨/ ٢٦) وعن معاذ رضي الله عنه قال: بَعَثَنِي رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهلِ الكِتَابِ فَادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنِّي رسولُ الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ

اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَواتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ قَدِ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ، فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ (أي: نفائسها وأفضلها التي تتعلق بها نفس مالكها)، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ». متفق عليه.

(٢٠٩/ ٢٦) وعن أبي حُمَيدٍ عبدِ الرحمنِ بن سعدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: اسْتَعْمَلَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا مِنَ الأَزْدِ (أي: الأزد مجموعة من القبائل الكثيرة في اليمن) يُقَالُ لَهُ: ابْنُ اللُّتْبِيَّةِ عَلَىٰ الصَّدَقَةِ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ إِلَيَّ. فَقَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَىٰ المِنْبَرِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعدُ، فَإِنِّي أَسْتَعْمِلُ الرَّجُلَ مِنْكُمْ عَلَىٰ العَمَلِ مِمَّا وَلَّانِي اللهُ، فَيَأْتِي فَيَقُولُ: هَذَا لَكُمْ وَهَذَا هَدِيَّةٌ أُهْدِيتْ إِلَيَّ، أَفَلا جَلَسَ فِي بيت أَبِيهِ أَوْ أُمِّهِ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُ هَدِيَّتُهُ إِنْ كَانَ صَادِقًا، واللهِ لا يَأْخُذُ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيئًا بِغَيرِ حَقِّهِ إِلَّا لَقِيَ اللهَ تَعَالَىٰ، يَحْمِلُهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَلا أَعْرِفَنَّ أَحَدًا مِنْكُمْ لَقِيَ اللهَ يَحْمِلُ بَعيرًا لَهُ رُغَاءٌ (أي: الرغاء: صوت البعير)، أَوْ بَقَرَةً لَهَا خُوَارٌ (أي: الخوار: صوت البقر)، أَوْ شَاةً تَيْعَرُ (أي: تصيح، وصوت الشاة يُسمىٰ اليعار)». ثُمَّ رفع يديهِ حَتَّىٰ رُئِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَلْ بَلَّغْتُ». ثلاثًا. متفق عليه.

(٢١٠/ ٢٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ مَظْلِمَةٌ لأَخِيه، مِنْ عِرضِهِ أَوْ مِنْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ اليَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ؛ إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيهِ». رواه البخاري.

(٢١١/ ٢٦) وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(٢١٢/ ٢٦) وعنه رضي الله عنه قَالَ: كَانَ عَلَىٰ ثَقَلِ النَّبِيِّ (أي: الثقل: ما يحمله المسافر معه من حاجاته، والمراد: كان يتولىٰ حَمْل متاع النبي) ﷺ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ كِرْكِرَةُ، فَمَاتَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «هُوَ فِي النَّارِ». فَذَهَبُوا يَنْظُرُونَ إِلَيْه، فَوَجَدُوا عَبَاءَةً قَدْ غَلَّهَا (أي: سرقها). رواه البخاري.

(٢١٣/ ٢٦) وعن أبي بَكْرَةَ نُفَيعِ بنِ الحارثِ رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِه يَوْمَ خَلَقَ اللهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضَ: السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ: ثَلَاثٌ مُتَوالِياتٌ: ذُو القَعْدَةِ، وذُو الحِجَّةِ، وَالمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ (أي: أضافه النبي ﷺ إلىٰ مضر؛ لأنهم كانوا يعظمونه أكثر من غيرهم) الَّذِي بَيْنَ جُمَادَىٰ وَشَعْبَانَ، أَيُّ شَهْرٍ هَذَا؟» قُلْنَا: اللهُ

وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ ذَا الحِجَّةِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: «**فَأَيُّ بَلَدٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «**أَلَيْسَ البَلْدَةَ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: «**فَأَيُّ يَوْمٍ هَذَا؟**» قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. فَسَكَتَ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ. قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ. قَالَ: «**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عليكم حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلا فَلا تَرْجِعوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلَا لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغَائِبَ، فَلَعَلَّ بَعْضَ مَنْ يَبْلُغُهُ أَنْ يَكُونَ أَوْعَىٰ لَهُ مِنْ بَعْضِ مَنْ سَمِعَهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَلا هَلْ بَلَّغْتُ، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ**». متفق عليه.

(٢١٤/ ٢٦) وعن أَبي أُمَامَةَ إِيَاسِ بنِ ثَعْلَبَةَ الحَارِثِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ** (أي: بقسم وحلف يمين)، **فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيهِ الجَنَّةَ**». فَقَالَ رَجُلٌ: وإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**وَإِنْ قَضِيبًا مِنْ أَرَاك** (أي: خشبة السواك)». رواه مسلم.

(٢١٥/ ٢٦) وعن عَدِيِّ بنِ عَمِيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ مِنْكُمْ عَلَىٰ عَمَلٍ، فَكَتَمَنَا مِخْيَطًا** (أي: إبرة) **فَمَا فَوْقَهُ، كَانَ غُلُولًا يَأْتِي بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**». فَقَامَ إِلَيهِ رَجُلٌ أَسْوَدُ مِنَ الأَنْصارِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اقْبَلْ عَنِّي عَمَلَكَ، قَالَ: «**وَمَا لَكَ؟**» قَالَ: سَمِعْتُكَ تَقُولُ كَذَا وكَذَا، قَالَ: «**وَأَنَا أَقُولُهُ الآنَ: مَنِ اسْتَعْمَلْنَاهُ عَلَىٰ عَمَلٍ فَلْيَجِئْ بِقَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ، فَمَا أُوتِيَ مِنْهُ أَخَذَ، وَمَا نُهِيَ عَنْهُ انْتَهَىٰ**». رواه مسلم.

(٢١٦/ ٢٦) وعن عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا كَانَ يَوْمُ خَيبَرَ أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، وفُلَانٌ شَهِيدٌ، حَتَّىٰ مَرُّوا عَلَىٰ رَجُلٍ، فقالوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا أَو عَبَاءَةٍ** (أي: سرقها قبل توزيع الغنائم)». رواه مسلم.

(٢١٧/ ٢٦) وعن أَبي قَتَادَةَ الحارثِ بنِ رِبْعِيٍّ رضي الله عنه: عن رَسُولِ اللهِ ﷺ: أَنَّهُ قَامَ فِيهِم، فَذَكَرَ لَهُمْ أَنَّ الجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَالإِيمَانَ بِاللهِ أَفْضَلُ الأَعْمَالِ، فَقَامَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، تُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ، إِنْ قُتِلْتَ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غَيرُ مُدْبِرٍ**». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَيْفَ قُلْتَ؟**» قَالَ: أَرَأَيْتَ إِنْ قُتِلْتُ فِي سَبِيلِ اللهِ، أَتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ

الله ﷺ: «نعمْ، وَأنْتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إلّا الدَّيْنَ؛ فإنَّ جِبريلَ عليه السلام قَالَ لي ذلِكَ». رواه مسلم.

(٢١٨/ ٢٦) وعن أبي هُريرةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «أتَدْرُونَ مَنِ الـمُفْلِسُ؟» قالوا: المفْلسُ فِينَا مَنْ لا دِرهَمَ لَهُ ولا مَتاعَ، فَقَالَ: «إنَّ المُفْلسَ مِنْ أُمَّتي مَنْ يأتي يومَ القيامَةِ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتي وقَدْ شَتَمَ هَذَا، وقَذَفَ هَذَا (أي: ادعىٰ بالباطل علىٰ غيره بالزنا أو ما في معناه)، وَأكَلَ مالَ هَذَا، وسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فيُعْطَىٰ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وهَذَا مِنْ حسناتِهِ، فإنْ فَنِيَتْ حَسَناتُه قَبْلَ أنْ يُقضىٰ مَا عَلَيهِ، أُخِذَ من خَطَاياهُم فَطُرِحَتْ عَلَيهِ، ثُمَّ طُرِحَ في النَّارِ». رواه مسلم.

(٢١٩/ ٢٦) وعن أمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّمَا أنا بَشَرٌ، وَإنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إلَيَّ، وَلَعَلَّ بَعْضَكُمْ أنْ يَكُونَ ألْحَنَ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ، فأَقْضِيَ لَهُ بِنَحْوِ مَا أسْمَعُ، فَمَنْ قَضَيتُ لَهُ بِحَقِّ أخِيهِ فَإنَّما أقطَعُ لَهُ قِطعةً مِنَ النَّارِ». متفق عليه. «ألْحَن» أي: أعلم.

(٢٢٠/ ٢٦) وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَنْ يَزَالَ المُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ (أي: سعة) مِنْ دِينهِ مَا لَمْ يُصِبْ دَمًا حَرَامًا». رواه البخاري.

(٢٢١/ ٢٦) وعن خَوْلَةَ بنتِ عَامِرٍ الأنصاريَّةِ- وهي امرأة حمزة رضي الله عنه وعنها- قَالَتْ: سمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ رِجالًا يَتَخَوَّضُونَ (أي: يتصرفون) في مَالِ الله بغَيرِ حَقٍّ، فَلَهُمُ النَّارُ يومَ القِيَامَةِ». رواه البخاري.

* * *

(الظلم)

الظلم: هو الخروجُ عن حدِّ الاعتدال في جميع الأمور، بالإسراف أو التقتير، بالزيادة أو النقص، ووَضع الشيء في غير موضعه، والتصرف في حقِّ الغير ومجاوزة حدِّ الشرع الحنيف، وأخذ أموال الناس بغير الحق، والتصرف في أملاك الغير ومجاوزة الحدود فيها، والمطالبة بما لا يُستحَقُّ ولا يجب من الحقوق وفِعْل أمورٍ في غير مواضعها ولا أوقاتها ولا بالقدر الواجب ولا علىٰ الوجه الذي يجب. فالظلم انحرافٌ عن العدل والتعدِّي علىٰ الحق وتجاوزُه إلىٰ الدخول في الباطل.

والظلمُ له أسماءٌ: كالجَوْر، ومجاوزة الحد، والنقص عن الحدِّ أيضًا، كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا﴾ [الكهف: ٣٣]؛ أي لم تنقص منه شيئًا.

والشِّرْك ظلمٌ كذلك، كما قال الله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢] وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ [لقمان: ١٣]، فالميل عن المقصود ظلم، والظلمة هم المانعون أهلَ الحقوق حقوقَهم.

كيف يظلم العبد نفسه؟ ويظلم العبدُ نفسَه بثلاثة طرق:

أولها: أن يظلم نفسه بينه وبين ربِّه تعالىٰ، فالكفر والشرك والنفاق ظلم يوقع العبد نفسه فيه.

وثانيها: أن يظلمَ نفسَه في ظلمه للناس حوله، بأكله حقوق الغير وتجاوز الشرع فيه.

والثالث: أن يظلمَ نفسه بتقصيره في حقِّ نفسه فيميل بها عن الحقِّ.

والظلمُ عامةً يكون بأكل أموال الناس وأخذها ظلمًا وظلم الناس بالضرب والشتم والتعدي علىٰ ضعفائهم، وهو من الكبائر. وقال بعضُ السلف: لا تَظْلِمِ الضعفاءَ فتكون من شرار الأقوياء. ثم عدَّد صورًا من الظلم منها: أَخْذ مال اليتيم، والمماطلة في أداء الحقوق مع القدرة علىٰ السداد، وظلم المرأةِ حقَّها في الصداق والكسوة والمعيشة، وظلم الأجير بعدم إعطائه حقَّه أو بَخْس حقِّه. قال ﷺ: «اتَّقُوا دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ» [متفق عليه]، وما يروىٰ في هذا الباب: «إِذَا رَأَيْتُمْ أُمَّتِي تَهَابُ الظَّالِمَ أَنْ تَقُولَ لَهُ: إِنَّكَ ظَالِمٌ، فَقَدْ تُوُدِّعَ مِنْهُمْ (أي: استوىٰ وجودهم وعدمهم، وخُذِلوا وخُلِّي بينهم وبين ما يرتكبون من المعاصي. أصله من التوديع، وهو الترك)». أحمد في مسنده (٢/ ١٦٣) برقم (٦٥٢١).

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «إذا خَلَصَ الْـمُؤْمِنُونَ من النَّارِ حُبِسُوا بِقَنْطَرَةٍ بَيْنَ الْـجَنَّةِ وَالنَّارِ، فَيَتَقَاصُّونَ مَظَالِمَ كَانَتْ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا نُقُّوا وَهُذِّبُوا أُذِنَ لَـهُم بِدُخُولِ الْـجَنَّةِ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَأَحَدُهُمْ بِمَسْكَنِهِ فِي الْـجَنَّةِ أَدَلُّ بِمَنْزِلِهِ كَانَ فِي الدُّنْيَا».

البخاري برقم (٢٤٤٠). وقال ﷺ: «ثَلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لَا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ الْمَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ الْمُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الْوَالِدِ عَلَىٰ وَلَدِهِ». أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨) برقم (٧٥٠١).

كما قال ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُمْ: الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَالإِمَامُ الْعَادِلُ، وَدَعْوَةُ الْمَظْلُومِ يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الْغَمَامِ، وَيَفْتَحُ لها أَبْوَابَ السَّمَاءِ، وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ». الترمذي برقم (٣٥٩٨)، وقال: حديث حسن.

وقال ﷺ: «صِنْفَانِ من أُمَّتِي لا تَنَالُهُمَا شَفَاعَتِي: سُلْطَانٌ ظَلُومٌ غَشُومٌ، وكل غالٍ مارق (أي: من خرج بتشدده وتعسفه عن الحق)». الطبراني في الأوسط (٢٠/ ٢١٣) برقم (٤٩٥).

وقال ﷺ: «مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ (أي: تأخير أداء ما عليه مِن دَيْن)، فَإِذَا أُتْبِعَ (أي:أحيل) أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ (أي: موسر غني) فَلْيَتْبَعْ (أي: فليقبل وليتحول إليه)». متفق عليه.

وقال ﷺ: «أَرْبَعَةٌ يُبْغِضُهُمُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: الْبَيَّاعُ الْحَلَّافُ، وَالْفَقِيرُ الْمُخْتَالُ (أي: المتكبر)، وَالشَّيْخُ (أي: يقصد كبير السن) الزَّانِي، وَالإِمَامُ الْجَائِرُ (أي:الظالم)». النسائي برقم (٢٥٧٦).

وقال ﷺ: «الْقُضَاةُ ثَلَاثَةٌ، وَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ وَاثْنَانِ فِي النَّارِ: فَأَمَّا الَّذِي فِي الْجَنَّةِ فَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الْحَقَّ فَجَارَ (أي:ظلم) فِي الْحُكْمِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ لِلنَّاسِ عَلَىٰ جَهْلٍ فَهُوَ فِي النَّارِ». أبو داود برقم (٣٥٧٣).

وقال عمر بن عبد العزيز رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إذا دَعَتْكَ قدرتُك علىٰ ظُلم الناسِ فَاذْكُر قدرة الله تعالَىٰ عليكَ. وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنما أَهْلَكَ مَن كان قَبْلكم أنهم مَنَعوا الحقَّ حتىٰ اشتُرِي (أي: أضحىٰ أصحابه يدفعون نظير الحصول علىٰ حقوقهم)، وبسَطُوا الجَوْرَ (أي: نشروا الظلم) حتىٰ افتُدي (أي: دَفَع المظلومون أموالَهم للظلمة هربًا من الظلم).

وقال ابنُ الجَوْزِيِّ رَحِمَهُ اللهُ: الظلمُ يشتمل علىٰ معصيتين: أَخْذ مال الغير بغير حقٍّ، ومبارزة ربِّ العزة بالمعصية والمخالفة. ومعصية الظالم أشدُّ من غيرها؛ لأن الظلمَ إنما يكون في قلب الظالم ظلامًا.

ويقول ابنُ تَيْمِيَّة رَحِمَهُ اللهُ: ينصر اللهُ الدولةَ العادلة ولو كانت كافرةً، ولا ينصر الدولة الظالمةَ وإن كانت مؤمنةً.

ويقول ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: إن الإنسانَ خُلِقَ ظلومًا جهولًا، فلولا شَرْعُ الله الحكيم لما

خرج عن دائرة الظلم والجهل، وإلا فهما أصلُ كلِّ شرٍّ في الإنسان.

دواوين العباد يوم القيامة: والظلم يوم القيامة له دواوينُ ثلاثة:

- ديوانٌ لا يغفر اللهُ منه شيئًا وهو الشرك بالله.
- وديوانٌ لا يترك اللهُ تعالىٰ منه شيئًا، وهو ظلمُ العباد بعضهم لبعضٍ؛ فإن اللهَ لَيستوفي من الظالم حقَّ المظلوم كله.
- وديوان لا يعبأ اللهُ به، وهو ظلمُ العبدِ نفسَه بينه وبين ربِّه ﷻ، فهو أخفُّ الدواوين وأسرعها مَحْوًا، وذلك بالتوبة والاستغفارِ والحسناتِ التي تمحو السيئات والصبر علىٰ المصائب.

فديوان الشرك يُمحىٰ بالتوحيد، وديوان مظالم العباد يُمحىٰ بردِّ الحقوق. وقال ابن هُبَيرة رَحِمَهُ اللَّهُ: إن اللهَ يُحب أن يَجْهَر المظلومُ بالشكوىٰ أمام الناس ليكون ذلك عذرًا من الله أمام الناس، حيث أتاح له الفرصةَ في التوبة، فإن ذلك يجعل الناسَ يقبلون انتقامَ الله من الظالم، ويكون ذلك زَجْرًا للظلمة وتخويفًا لهم.

ويُروىٰ أنه: «يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَيْنَ الظَّلَمَةُ وَأَتْبَاعُ الظَّلَمَةِ وَأَعْوَانُ الظَّلَمَةِ. حَتَّىٰ مَن لو ملأ لَهُم دَوَاةً أَوْ بَرَىٰ لَهُم قَلَمًا (أي: حتىٰ من عاونهم في الحبر الذي يكتبون به، والأقلام التي يكتبون بها) فَيُجْمَعُونَ فِي تَابُوتٍ وَاحِدٍ فَيُرْمَىٰ بِهِ فِي جَهَنَّمَ». الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (١/ ٢٥٥) برقم (٩٨٩).

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ﴾ [البقرة: ١٨٨]، قال: هذا في الرجل يكون عليه مالٌ وليس عليه فيه بيِّنة، فيجحد المالَ ويُخاصمهم إلىٰ الحُكَّام، وهو يعرف أن الحقَّ عليه، وقد عَلِم إثمَ أَكْل الحرام. وقال وَهْب بن مُنبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ: لو قُمتَ مقامَ هذه السارية (أي: العمود، والمراد: لو طال وقوفك للصلاة في المسجد مكان هذا العمود) لم ينفعك شيءٌ حتىٰ تنظر ما يدخل في بطنك حلالٌ أو حرامٌ.

قصة: يُروىٰ أن صيَّادًا لديه زوجةٌ وعِيَالٌ، لم يرزقه اللهُ بالصيد عدةَ أيام، حتىٰ بدأ الزادُ ينفد من البيت، وكان صابرًا محتسبًا، وبدأ الجوعُ يسري في الأبناء، والصَّيَّاد كلَّ يومٍ يخرج للبحر إلا أنه لا يرجع بشيء، وظلَّ علىٰ هذه الحال عدة أيام.

وذات يوم يئس من كثرة المحاولات، فقرَّر أن يرمي الشبكة لآخر مرة، وإن لم يظهر بها شيءٌ فسيعود للمنزل ويُكرِّر المحاولة في اليوم التالي، فدعا الله ورمىٰ الشبكة، وعندما بدأ بسحبها أحسَّ بثقلها، فاستبشر وفرح، وعندما أخرجها وجد بها سمكة كبيرة جدًّا لم يَرَ مثلها في حياته، فأمسكها بيده، وظلَّ يَسْبح في الخيال: ماذا سيفعل بهذه السمكة الكبيرة؟ فأخذ يُحدِّث نفسه: سأُطعم أبنائي من هذه السمكة، سأحتفظ بجزء منها للوجبات الأخرىٰ، سأتصدق بجزء منها علىٰ الجيران، سأبيع الجزء الباقي منها.

وقَطَع عليه أحلامَه صوتُ جنود الملك، يطلبون منه إعطاءهم السمكة؛ لأن الملكَ أُعجِب بها، فلقد قدَّر اللهُ أن يَمُرَّ الملكُ مع موكبه في هذه اللحظة بجانب الصَّيَّاد ويرىٰ السمكة ويُعجَب بها، فأمر جنودَه بإحضارها، فرفض الصياد إعطاءهم السمكة، فهي رزقه وطعام أبنائه، وطلب منهم دَفْع ثمنها أولًا، إلا أنهم أخذوها منه بالقوة.

وفي القصر طلب الحاكم من الطبَّاخ أن يُجهِّز السمكة الكبيرة ليتناولها علىٰ العشاء، وبعد أيامٍ أصاب الملك داء «الغرغرينة»، وكان يُطلق عليه اسمٌ غيرُ هذا في ذلك الزمان، فاستدعىٰ الأطباء فكشفوا عليه وأخبروه بأن عليهم قَطْعَ إصبع رجله حتىٰ لا ينتقل المرض لساقه، فرفض الملك بشدة وأمر بالبحث عن دواء له.

وبعد مدة، أمر بإحضار الأطباء من خارج مدينته، وعندما كشف الأطباء عليه، أخبروه بوجوب بَتْر قدمه؛ لأن المرض انتقل إليها، ولكنه أيضًا عارض بشدة، وبعد وقتٍ ليس بالطويل كشف الأطباء عليه مرة ثالثة، فرأوا أن المرض قد وصل لركبته، فألحُّوا علىٰ الملك ليوافق علىٰ قطع ساقه لكي لا ينتشر المرض أكثر، فوافق الملك.

وفعلًا قُطعت ساقه، وفي هذه الأثناء حدثت اضطرابات في البلاد، وبدأ الناس يتذمَّرون، فتعجَّب الملك من هذه الأحداث، أولها المرض، وثانيها الاضطرابات، فاستدعىٰ أحدَ حكماء المدينة، وسأله عن رأيه فيما حدث؟ فأجابه الحكيم: لابد أنك قد ظلمت أحدًا! فأجاب الملك بتعجب: لكني لا أذكر أنني ظلمتُ أحدًا من رعيتي! فقال الحكيم: تذكَّر جيدًا، فلابد أن هذا نتيجة ظلمك لأحد.

فتذكر الملك السمكة الكبيرة والصياد، وأمر الجنودَ بالبحث عن هذا الصياد وإحضاره علىٰ الفور، فتوجه الجنود للشاطئ، فوجدوا الصياد هناك، فأحضروه للملك، فخاطب الملكُ الصياد قائلًا: اصدقني القول، ماذا فعلتَ عندما أخذتُ منك السمكة الكبيرة؟ فتكلم الصياد بخوفٍ: لم أفعل شيئًا. فقال الملك: تكلَّم ولك الأمان. فاطمأن قلب الصياد قليلًا وقال: توجَّهت إلىٰ الله بالدعاء قائلًا: اللهم لقد أراني قوته عليَّ، فأرني قوتك عليه. اهـ.

واعلم أن الظالم خسيس النفس ودنيء، أوجب غضب الرب وسخطه عليه، وهو محروم من إجابة الدعاء، ومحروم من شفاعة الرسول يوم القيامة.

❋ ❋ ❋

٢٧- باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج: ٣٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢].

(٢٢٢/ ٢٧) وعن أَبِي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**». وشبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. متفق عليه.

(٢٢٣/ ٢٧) وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ مَرَّ فِي شَيْءٍ مِنْ مَسَاجِدِنا، أَوْ أَسْوَاقِنَا، وَمَعَهُ نَبْلٌ فَلْيُمْسِكْ، أَوْ لِيَقْبِضْ عَلَىٰ نِصَالِهَا** (أي: النصل: حديدة السهم) **بكَفِّه؛ أَنْ يُصِيبَ أحَدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْهَا بِشَيْءٍ**». متفق عليه.

(٢٢٤/ ٢٧) وعن النُّعْمَانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنينَ فِي تَوادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَىٰ مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَىٰ** (أي: استجاب) **لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ والْحُمَّىٰ**». متفق عليه.

(٢٢٥/ ٢٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَبَّلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم الحَسَنَ بْنَ عَليٍّ رضي الله عنهما، وعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إن لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحدًا. فَنظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: «**مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!**». متفق عليه.

(٢٢٦/ ٢٧) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: قَدِمَ نَاسٌ مِنَ الأَعْرَابِ عَلَىٰ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: أَتُقَبِّلُونَ صِبْيَانَكُمْ؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**». قالوا: لَكِنَّا والله مَا نُقَبِّلُ! فقَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**أَوَأَمْلِكُ إِنْ كَانَ اللهُ نَزَعَ مِنْ قُلُوبِكُم الرَّحْمَةَ!**». متفق عليه.

(٢٢٧/ ٢٧) وَعَنْ جرير بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ لَا يَرْحَمِ النَّاسَ لَا يَرْحَمْهُ اللهُ**». متفق عليه.

(٢٢٨/ ٢٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ، فَإِنَّ فِيهِم الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ**». متفق عليه.

وفي رواية: «**وذَا الحَاجَةِ**».

(٢٢٩/ ٢٧) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: إِنْ كَانَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم لَيَدَعُ العَمَلَ وَهُوَ يُحِبُّ أَنْ يَعْمَلَ بِهِ خَشْيَةَ أَنْ يَعمَلَ بِهِ النَّاسُ فَيُفْرَضَ عَلَيْهِم. متفق عليه.

(٢٣٠/ ٢٧) وَعَنْهَا رضي الله عنها قَالَتْ: نَهَاهُمُ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم عَنِ الوِصَالِ (أي: مواصلة الصيام بين الأيام من غير إفطار) رَحمةً لَهُمْ، فَقَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: «**إِنِّي لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَبِيتُ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي**». متفق عليه. ومَعنَاهُ: يَجْعَلُ فِيَّ قُوَّةَ مَنْ أَكَلَ وَشَرِبَ.

(٢٣١/ ٢٧) وعن أبي قَتَادَةَ الحارثِ بن ربعيٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنِّي لأَقُومُ إِلَىٰ الصَّلاةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأَتَجَوَّزُ** (أي: أخفف وأقلل) **فِي صَلاتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ** (أي: أُثقل) **عَلَىٰ أُمِّهِ**». رواه البخاري.

(٢٣٢/ ٢٧) وعن جُنْدُبِ بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ صَلَّىٰ صَلاةَ الصُّبْحِ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ** (أي: الذمة: الضمان، وقيل: الأمان) **اللهِ فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِه بِشَيْءٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِه بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ**». رواه مسلم.

(٢٣٣/ ٢٧) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِه، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ**». متفق عليه.

(٢٣٤/ ٢٧) وعن أبي هريرة ﵁ قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «المُسْلِمُ أخُو المُسْلِم، لا يَخُونُهُ، وَلَا يَكْذِبُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، كُلُّ المُسْلِم عَلَىٰ المُسْلِم حَرَامٌ عِرْضُهُ وَمَالُهُ وَدَمُهُ، التَّقوىٰ هاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحْقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٢٣٥/ ٢٧) وعنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، المُسْلِمُ أخُو المُسْلم: لَا يَظْلِمُهُ، وَلا يَحْقِرُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ، التَّقْوَىٰ هاهُنَا- ويشير إلىٰ صدره ثلاث مرات- بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أنْ يَحقِرَ أخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلم عَلَىٰ المُسْلم حَرَامٌ، دَمُهُ ومَالُهُ وعِرْضُهُ». رواه مسلم. «النَّجَشُ»: أنْ يزيدَ في ثَمَنِ سلْعَة يُنَادَىٰ عَلَيْهَا في السُّوقِ وَنَحْوِه، وَلَا رَغْبَةَ لَهُ في شِرَائِهَا بَلْ يَقْصدُ أنْ يَغُرَّ غَيْرَهُ، وهَذَا حَرَامٌ. و«التَّدَابُرُ»: أنْ يُعْرِضَ عَنِ الإنْسَان ويَهْجُرَهُ وَيَجْعلَهُ كَالشَّيءِ الَّذِي وَرَاء الظَّهْر وَالدُّبُر.

(٢٣٦/ ٢٧) وعن أنسٍ ﵁: عنِ النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يُؤمِنُ أحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

(٢٣٧/ ٢٧) وعنه قالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «انْصُرْ أخَاكَ ظَالمًا أوْ مَظلُومًا». فَقَالَ رجل: يَا رَسُولَ الله، أنْصُرُهُ إذَا كَانَ مَظْلُومًا، أرَأيْتَ إنْ كَانَ ظَالِمًا كَيفَ أنْصُرُهُ؟ قَالَ: «تَحْجُزُهُ- أو: تَمْنَعُهُ- مِنَ الظُّلْمِ فَإنَّ ذِلِكَ نَصرُهُ». رواه البخاري.

(٢٣٨/ ٢٧) وعن أبي هريرة ﵁: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ المُسْلِم عَلَىٰ المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وتَشْميتُ العَاطِسِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «حَقُّ المُسْلِم عَلَىٰ المُسْلِم ستٌّ: إذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأجِبْهُ، وإذَا اسْتَنْصَحكَ فَانْصَحْ لَهُ، وإذَا عطَسَ فَحَمِدَ الله فَشَمِّتْهُ، وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ».

(٢٣٩/ ٢٧) وعن أبي عُمَارَةَ البَرَاءِ بن عَازِب ﵄ قَالَ: أمَرنا رَسُولُ الله ﷺ بِسَبعٍ ونهانا عن سَبعٍ: أمَرَنَا بعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإبْرارِ المُقْسِم، ونَصْرِ المَظْلُوم، وَإجَابَةِ الدَّاعِي، وَإفْشَاءِ السَّلامِ، ونَهَانَا عَنْ خَواتِيم أوْ تَخَتُّمٍ بالذَّهَبِ، وَعَنْ

شُرْبٍ بالفِضَّةِ، وَعَن المَيَاثِرِ الحُمْرِ، وَعَن القَسِّيِّ، وَعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ والإِسْتَبْرَقِ وَالدِّيبَاجِ. متفق عليه.

وفي روايةٍ: وَإِنْشَادِ الضَّالَّةِ في السَّبْعِ الأُوَل. «المياثر» بياء مثنَّاة قبل الألف، وثاء مُثلَّثَة بعدها، وهي: جَمْعُ مِيثَرة، وهي: شيء يُتَّخَذُ مِنْ حرير وَيُحْشَىٰ قطنًا أَوْ غيره، وَيُجْعَلُ في السَّرْجِ وَكُور (أي: الكور: ما يفرش علىٰ ظهر الناقة ونحوها) البَعير يجلس عَلَيهِ الراكب. «القَسِّيُّ» بفتح القاف وكسر السين المهملة المشددة، وهي: ثياب تُنْسَجُ مِنْ حرير وَكَتَّانٍ مختلطين. «وَإِنْشَادُ الضَّالَّةِ»: تعريفها.

❊ ❊ ❊

٢٨- باب قضاء حوائج المسلمين

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ [الحج: ٧٧].

(٢٤٤/ ٢٩) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَة أَخِيه، كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كربِ يومِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ». متفق عليه.

(٢٤٥/ ٢٩) وعن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنيَا، نَفَّسَ الله عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّر عَلَىٰ مُعْسِرٍ يَسَّرَ الله عَلَيهِ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ الله فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، والله فِي عَونِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ فِي عَونِ أَخِيه، وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ. وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيت مِنْ بُيُوتِ الله تَعالَىٰ، يَتْلُونَ كِتَابَ الله، وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِم السَّكِينَةُ، وَغَشِيتْهُمُ الرَّحمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ. وَمَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ». رواه مسلم.

❊ ❊ ❊

٢٩- باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَـٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

(٢٤٠/ ٢٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**لا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا في الدُّنْيا إلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ**». رواه مسلم.

(٢٤١/ ٢٨) وعنه رضي الله عنه قالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**كُلُّ أُمَّتي مُعافًى إلَّا المُجاهِرِينَ** (أي: الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها وكشفوا ما ستر الله تعالىٰ عليهم، فيتحدثون بها لغير ضرورة ولا حاجة)، **وإنَّ مِنَ المُجاهَرَةِ أنْ يَعمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ، فَيقُولُ: يَا فُلانُ، عَمِلتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْه**». متفق عليه.

(٢٤٢/ ٢٨) وعنه رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قالَ: «**إذَا زَنَتِ الأَمَةُ فَتَبيَّنَ زِناهَا فَلْيَجْلِدْهَا الحدَّ وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّانِيَةَ فَلْيَجْلِدْهَا الحَدَّ وَلا يُثَرِّبْ عَلَيْهَا، ثُمَّ إنْ زَنَتِ الثَّالِثَةَ فَلْيَبِعْهَا وَلَوْ بِحَبْلٍ مِنْ شَعَرٍ**». متفق عليه. «التَّثريب»: التَّوبيخ.

(٢٤٣/ ٢٨) وعنه رضي الله عنه قالَ: أُتِيَ النَّبيُّ ﷺ برجل قَدْ شَرِبَ خَمْرًا، قالَ: «**اضْرِبُوهُ**». قالَ أَبُو هريرةَ: فَمِنَّا الضَّارِبُ بيَدِهِ، والضَّارِبُ بنَعْلِهِ، وَالضَّارِبُ بثَوبِهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ بَعضُ القَومِ: أخْزَاكَ الله. قالَ: «**لا تَقُولُوا هكذا، لا تُعِينُوا عَلَيهِ الشَّيْطَانَ**». رواه البخاري.

❊ ❊ ❊

(الستر)

السَّترُ: هو تغطيةُ الشيء. والسُّترة: ما استترت به من شيءٍ كائنًا ما كان.

فالسَّتْرُ المقصود شرعًا هو السترُ علىٰ المسلم، بإخفاء عيوبه وفَلَتاتِه وهفواته، وفي الحديث الشريف: «**وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يومَ القِيامَةِ**» [متفق عليه]، أي مَن رآه علىٰ قبيح فلم يُظهره للناس. كذلك من الستر أن يسترَ الإنسانُ عَوْراتِ نفسه عن الناس، كما في الحديث: «**كُلُّ أُمَّتي مُعافىٰ إلَّا المُجاهِرِينَ**» متفق عليه. والمقصودُ أن السترَ يكونُ في معصيةٍ قد انقضت، أما في معصيةٍ تعوَّد عليها صاحبُها فيجب الإنكارُ عليه فيها، فإذا كانت مما يعمُّ ضررُها جماعةَ الناس وجب أن تُرفع للحاكم أو المسئول أو ولي أمره.

ويُفسِّر الإمامُ النوويُّ المرادَ بالستر بأن السترَ يكون علىٰ أصحاب المناصب والهيئات، سواءٌ في الدِّين أو الدنيا، ممن لا يُعرف عنهم إثمٌ أو رذيلة أو فساد، أما إن كان

معروفًا بالفساد ومشهورًا به فيُستحب ألا يَسْتَرَ عليه، بل يُبلِغ وليَّ الأمر إذا لم يكن وراء ذلك مفسدةٌ للمُبلغ أو ضررٌ أو أذًىٰ يحدث له؛ ذلك لأن السترَ علىٰ أصحاب المعاصي المجاهرين بها إنما يُطمعهم في زيادة الفساد.

وأما ما يكون مِن جَرْح (أي: قدح وعيب) لبعضِ رواة أحاديث النبيِّ ﷺ فلا يجب السَّتْرُ فيه، وكذلك فَضْح شُهَداء الزُّور والمُوظَّفين المؤتمنين علىٰ الأموال العامة وأموال اليتامىٰ ونحو ذلك، فلا يَحِلُّ السَّتْرُ عليهم إذا رُئي منهم ما يقدح في شرفهم وأمانتهم، وليس هذا من الغِيبة المُحرَّمة، بل هذا من النصيحة الواجبة علىٰ كلِّ مسلمٍ.

الفرق بين الستر والغفران: الغفران في الشرع: إسقاط العقوبة في الآخرة، ويكون من الله تعالىٰ للمؤمنين يوم القيامة، أما السترُ فيكون في الدنيا والآخرة أيضًا، ولا يعني المغفرة والمسامحة، كما في الحديث: «سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ». متفق عليه.

ويجوز السترُ في الدنيا علىٰ الكافر والفاسق، وهذا من حسابات المصالح والمفاسد أيهما أولىٰ، ففي الحديث: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مسلم برقم (٢٥٩٠).

وقالَ رسولُ الله ﷺ وحولَه جماعةٌ من أصحابه: «بَايِعُونِي عَلَىٰ أَلَّا تُشْرِكُوا بِالله شَيْئًا، وَلَا تَسْرِقُوا، وَلَا تَزْنُوا، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ، وَلَا تَأْتُوا بِبُهْتَانٍ تَفْتَرُونَهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ، وَلَا تَعْصُوا فِي مَعْرُوفٍ، فَمَنْ وَفَّىٰ مِنْكُمْ فَأَجْرُهُ عَلَىٰ الله، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا فَعُوقِبَ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ، وَمَنْ أَصَابَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا ثُمَّ سَتَرَهُ اللهُ فَهُوَ إِلَىٰ الله، إِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ وَإِنْ شَاءَ عَاقَبَهُ» فبايعناه علىٰ ذلك. متفق عليه.

ومما روي عن عقبة بن عامر مرفوعًا: «مَنْ رَأَىٰ عَوْرَةً فَسَتَرَهَا كَانَ كَمَنِ اسْتَحْيَا مَوْءُودَةً (أي: الوليدة التي دفنها أبوها وهي حية) مِنْ قَبْرِهَا». أحمد في مسنده (٤/ ١٥٨) برقم (١٧٤٨٣).

وجاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: يا رسولَ الله، إني عالجتُ امرأةً -أي استمتعتُ بها- في أقصىٰ المدينة، وإني أصبتُ منها ماءً دون أن أمسَّها (أي: أنزلت من دون أن أمسها)، فها أنا ذا، فاقضِ ما شئتَ. فقال له عمر: لقد سترك اللهُ، لو سترت نفسَك! قال: فلم يَرُدَّ النبيُّ ﷺ

شيئًا كأنه وافق علىٰ قول عمر، فقام الرجلُ فانطلق، فأَتْبَعه النبيُّ ﷺ رجلًا دعاه وتلا عليه هــذه الآيــة: ﴿ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ﴿١١٤﴾ ﴾ [هود: ١١٤]. فقال رجلٌ من القوم: يا نبيَّ الله، هذا له خاصة؟ قال: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً» [متفق عليه]. وهذا ليس إذنًا بالمعصية، وإنما هو دعوة إلىٰ أن نستر علىٰ العاصي غير المجاهر بمعصيته؛ ليسهل عليه التوبة والرجوع إلىٰ الحق.

فالنبيُّ ﷺ قد دعانا إلىٰ سَتْر عوراتنا، ومما يروىٰ عنه في هذا الباب: «إِيَّاكُمْ وَالتَّعَرِّي؛ فَإِنَّ مَعَكُمْ مَنْ لا يُفَارِقُكُمْ إِلَّا عِنْدَ الْغَائِطِ وَحِينَ يُفْضِي الرَّجُلُ إِلَىٰ أَهْلِهِ، فَاسْتَحْيُوهُمْ وَأَكْرِمُوهُمْ». الترمذي برقم (٢٨٠٠).

وقالَ رسولُ الله ﷺ: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ إِذَا دَخَلَ الخَلَاءَ (أي: مكان قضاء الحاجة) أَنْ يَقُولَ: بِسْمِ الله». الترمذي برقم (٦٠٦)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٦١١). وقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنِ امْرَأَةٍ تَخْلَعُ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا إِلَّا هَتَكَتْ مَا بَيْنَهَا وَبَيْنَ الله تَعَالَىٰ». أحمد في مسنده (٦/ ١٧٣) برقم (٢٥٤٤٦)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٦٩١).

مع الأخذ في الاعتبار أن نزع الثياب هنا المراد به نزعها لمن لا تحل له من الرجال كي يستحل منها أمرًا محرمًا من جماع ونحوه، بخلاف ما لو كان النزع لضرورة معتبرة شرعًا، كمرض أو صحبة صالحة، وخلافه. ومن السَّتْر أيضًا ألا تحكي إحداهن عن الأخرىٰ لزوجها أو محارمها؛ قال النبيُّ ﷺ: «لَا تُبَاشِرِ الْمَرْأَةُ الْمَرْأَةَ فَتَنْعَتُهَا (أي: تصفها) لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا». البخاري برقم (٥٢٤٠). وقال أبو بكرٍ الصِّدِّيقُ رضي الله عنه: لو أخذتُ سارقًا (أي: أمسكت به متلبسًا) لأحببتُ أن يستره اللهُ، ولو أخذتُ شاربَ خمر لأحببتُ أنْ يستره الله عز وجل.

وقالت امرأةٌ لعائشةَ رضي الله عنها: يا أمَّ المؤمنين، إن أحدَهم قد أخذ بِرجْلي وأنا مُحرِمةٌ (أي: حاول مُغازَلَتها؛ وذلك لحداثةِ الإسلام وقِلَّة علم الناس الجُدُد بأحكامه) فقالت عائشةُ: يا نساء المؤمنين، إذا أذنبَتْ إحداكن ذنبًا فلا تُخبِرَنَّ به الناسَ، ولتستغفرنَّ اللهَ ولتَتُبْ إليه، فإن العبادَ يُعيِّرون ولا يُغيِّرون، واللهُ يُغيِّر ولا يُعيِّر.

التعيير: وهو فَضْح المرء والعيب عليه، وهو عكس الستر، أي إن العبادَ قد يفضح بعضُهم بعضًا ولكن اللهَ يغار على الأعراض ولهذا يُحِبُّ السَّتْرَ. وقال أحدُهم: لا يُعذِّب اللهُ قومًا يسترون الذنوب. وفي قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠] يقول المُفسِّر الضحَّاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما النعمةُ الظاهرة فهي الإسلام والقرآن، وأما الباطنة فما سَتَره اللهُ من العيوب والمعاصي.

وقال الحَسَنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن كان بينه وبين أخيه سترٌ فلا يكشفه. (أي: سواء كان هذا الستر ماديًّا أو معنويًّا). وقال ابن تَيْمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فإن المرأةَ حتىٰ لو صلَّت وَحْدَها كانت مأمورةً بالاختمار. وقال بعض أهل العلم: مَن سمع بفاحشةٍ فأفشاها كان فيها كالذي بدأها. وسأل رجلٌ الحسنَ البصريَّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: يا أبا سعيد، رجلٌ عَلِمَ مِن رجلٍ شيئًا، أيُفشي عليه؟ قال: يا سبحان الله! لا.

قصة: ونسوق إليكم هذه الواقعة التي تحدَّثَتْ بها كتبُ التراث: قال أحمدُ بن مَهْدِيٍّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: جاءتني امرأةٌ ببغدادَ، في ليلةٍ من الليالي، فذكَرَتْ أنها من بنات الناس، وقالت: أسألك بالله أن تسترني. فقلت: وما محنتك؟! قالت: أُكرِهْتُ علىٰ نفسي (أي: يبدو أنها اغتُصبت) وأنا الآن حُبْلىٰ، وبما أنني أتوقَّع منك الخير والمعروف، فقد ذكرت لكل من يعرفني أنك زوجي، وأن ما بي من حبل إنما هو منك، فأرجوك لا تفضحني، استرني سترك الله عَزَّ وَجَلَّ. فسمعتُ كلامَها وسكتُّ عنها، ثم مَضَتْ.

وبعد فترةٍ وضعَتْ مولودًا، وإذا بي أتفاجأ بإمام المسجد يأتي إلىٰ داري ومعه مجموعةٌ من الجيران يُهنِّئونني ويُباركون لي بالمولود، فأظهرتُ لهم الفرحَ والتهلُّلَ، ودخلتُ حجرتي وأتيتُ بمائة درهمٍ وأعطيتُها للإمام قائلًا: أنت تعرف أنني قد طلَّقتُ تلك المرأةَ، غير أنني مُلزَمٌ بالنفقة علىٰ المولود، وهذه المائة أرجوك أن تُعطيها للأم لكي تصرفَ علىٰ ابنها، هي عادةٌ سوف أتكفَّل بها مع مطلع كلِّ شهر، وأنتم شهودٌ علىٰ ذلك. واستمررت علىٰ هذا المنوال دون أن أرىٰ المرأةَ ومولودها، وبعدما قارب العامين توفي المولود، فجاءني الناس يُعزُّونني، فكنت أُظهِر لهم التسليمَ بقضاء الله وقدره، ويعلم اللهُ أن حزنًا عظيمًا قد تملَّكني لأنني تخيَّلت المصيبةَ التي حلَّت بتلك الأم المكلومة (أي: التي أصيبت بمصيبة).

وفي ليلةٍ من الليالي، وإذا ببابِ داري يُقرَع، وعندما فتحتُ الباب، إذا بي أتفاجأ بتلك المرأة ومعها صُرَّة (أي: كيس يوضع فيه النقود) ممتلئة بالدراهم، وقالت لي وهي تبكي: هذه هي الدراهم التي كنت تبعثها لي كلَّ شهر مع إمام المسجد، سترك الله كما سترتني.

حاولتُ أن أُرجعها لها غير أنها رَفَضتْ، ومَضتْ إلىٰ حال سبيلها، وما هي إلا سَنَة وإذا بها تتزوَّج من رجلٍ مقتدر وصاحب فضلٍ، أشركني معه في تجارته، وفتح الله عليَّ بعدها أبوابَ الرزق من حيث لا أحتسب. اهـ.

واعلم أن العبدَ إذا فعل المعصيةَ وتاب بعدها ستره اللهُ في الدنيا وذكَّره بها في الآخرة ثم عفا عنه. ومن الستر أيضًا كَتْم أسرار الناس. فالستر صفة محمودة عند الله وبين الناس، فالذي يستر عيوبَ الناس محبوبٌ لديهم كريم عليهم.

❋ ❋ ❋

(حقوق الأُخُوَّة والصحبة)

اعْلَمْ أنه لا يصلح للصحبة والأخوة الحقيقية كلُّ إنسانٍ، فهذا قولُ الرسولِ ﷺ: «المَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ (أي: من يتخذه صاحبًا)». أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣) برقم (٨٠١٥)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٥٤٥).

وقال الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: انتقوا الإخوانَ والأصحابَ والمجالس.

وقيل: إن النبيَّ ﷺ قال: «إِنَّ اللهَ اخْتَارَنِي وَاخْتَارَ لِي أَصْحَابًا وَأَنْصَارًا، وَجَعَلَ لِي مِنْهُمْ وُزَرَاءَ وَأَصْهَارًا». الحاكم في «المستدرك» (٣/ ٧٣٢) برقم (٦٦٥٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فلا بد أن يتميَّز الإنسانُ المرغوب في صحبته بصفاتٍ وخصالٍ تُرغِّب في صحبته، فبحَسَب المطلوب مِن وراء الصُّحبة تكون الشروط المطلوبة في الصاحب.

قال ﷺ: «مَثَلُ الجليسِ الصَّالِحِ والجليسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ (أي: آلة لنفخ النار وإشعالها)، فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ (أي: يعطيك) وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ منه رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تجِدَ منه رِيحًا خَبِيثَةً». متفق عليه.

وقال حكيمٌ: الإخوانُ بمنزلة النار: قليلُها مَتاعٌ، وكثيرُها بَوَار، فلا تُسرِف في كثرة

الإخوان إذا لم يكونوا أخيارًا.

قواعد الصحبة: وقواعد الصحبة هي:

إما دنيوية: كالانتفاع بماله، أو سلطانه وجاهه، أو علمه الدنيوي، أو نَسَبه، أو الأُنس بالجيرة والمشاهدة، وهذا ليس الغرض من حديثنا.

وإما دينية: وفيها أمور متداخلة مع بعضها: فمنها الاستفادة من العلم النافع، والاستفادة من العمل الصالح؛ لنَشْر العلوم الشرعية وروح التضحية والرغبة في العمل الصالح. ومنها الاستفادة من الجاه للتحصُّن به من الإيذاء.

ومنها الاستفادة من المال من صاحبك؛ ليكفيك به تضييع الوقت الكثير في طلب المعاش الذي يضيع به كثيرٌ من رأس مال الإنسان وهو وقتُه وصحته اللذان يستفيد بهما في طلب آخرته. ومنها الاستفادة به في المهمات والمصائب والأحوال الشديدة.

ومنها التبرُّك بدعائه، وخاصة بظهر الغيب. ومنها انتظارُ شفاعته في الآخرة.

قال بعضُ السلف رحمهم الله: استكثروا من الإخوان والأصحاب؛ فإن لكلِّ مؤمن شفاعةً، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك. ويُقال: إذا غفَرَ اللهُ للعبد شُفِّع في إخوانه.

وهذه هي فضيلةُ الصحبة والألفة والمخالطة علىٰ العزلة والانفراد.

حقوق الأُخُوَّة: فرابطة الأخوة والصحبة بين الشخصين في قدرها وشأنها أشبهُ ما تكون برابطة الزواج بين الزوجين مع الفارق، فرابطة الأخوة تقتضي حقوقًا، منها:

١- حق في المال: يقتضي هذا الحقُّ التعاونَ في السَّرَّاء والضَّرَّاء. والمواساة بالمال علىٰ ثلاثِ مراتبَ:

أ- القيام بحاجته مِن فَضْل مالِك عند القدرة علىٰ ذلك، والأفضلُ ألا تُحوِجَه إلىٰ السؤال، فذلك تقصيرٌ منك، وتقوم بهذا مع البشاشة والاستبشار.

ب- أن تُنزلَه منزلةَ نفسِك، فيشركك في مالِك.

جـ- أن تُقدِّمَ حوائجَه علىٰ حوائج النفس، وهذه رتبة الصِّدِّيق الذي قدَّم حاجاتِ النبيِّ ﷺ علىٰ حاجات نفسه تمامًا.

وقد أهدىٰ ابنُ عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لرجلِ من أصحابِ النبيِّ ﷺ رأسَ شاةٍ، فقال: أخي فلانٌ أحوجُ مني إليه. فبعث به إليه، فبعث ذلك الإنسانُ إلىٰ آخَرَ، فلم يَزَلْ يبعثُ به واحدٌ إلىٰ آخر حتىٰ رَجَع إلىٰ الأول بعد أن تداوله سبعة.

قال أبو سُلَيْمان الدَّارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أن الدنيا كلَّها لي فجعلتُها في فَمِ أخٍ مِن إخواني لاسْتَقْلَلْتُها له، وإني لَأُلْقِمُ اللُّقمةَ أخًا من إخواني فأجد طعمها في حلقي.

وكان الإنفاقُ علىٰ الإخوان أحبَّ وأفضلَ من الصدقات؛ فقد قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَعِشْرُونَ دِرْهمًا أُعطيها أخًا لي في الله أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائةِ درهم علىٰ المساكين.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ أصنعَ طعامًا وأجمع عليه إخواني في الله أحبُّ إليَّ مِن أن أُعتِقَ رقبةً.

وإن التبسُّط وترك التكلف في بيوت الأصدقاء والأحباء دليلٌ علىٰ الأخوة في الله، وقد كان بعضُ السلف يتفقَّد عيالَ أخيه بعد موته أربعين سنةً فيقضي حوائجهم.

وقال بعضُهم: إذا طلبتَ مِن أخيك مالًا فسألك قائلًا: ما تصنع به؟ فقد تَرَكَ حقَّ الإخاء.

٢- حق الإعانة بالنفس في قضاء الحاجات: وهو دَرَجاتٌ، أدناها القيامُ بتلك الحوائج عند السؤال والقدرة، مع البشاشة والاستبشار وإظهار الفرح.

قال ابنُ شُبْرُمة رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا سألتَ أخاك حاجةً فلم يجهد نفسَه في قضائها فتوضَّأْ وضوءك للصلاة وكبِّر عليه أربع تكبيرات. وقال ابن مِهْران رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن لم تنتفع بصداقته لم تضرَّكَ عداوته. وقال حكيمٌ: إذا آخىٰ أحدُكم رجلًا فَلْيسأله عن اسمِه واسمِ أبيه وقبيلته ومنزله، وإن كان مريضًا عادَهُ، وإن كان مشغولًا أعانه؛ فإنه من واجب الحقِّ والإخاء.

وقال سعيدُ بن العاص رَحِمَهُ اللَّهُ: لِجَليسي عليَّ ثلاثُ خصالٍ: إذا دنا رحَّبْتُ به، وإذا جَلَس أوسعتُ له، وإذا حدَّثَ أقبلتُ عليه. بل كذلك من علامات الأخوة ألا ينفرد بطعامٍ لذيذ أو بحضورٍ في مسرَّة دونه، بل يحزن لفراقه ويستوحش لبعده عن أخيه.

٣- حق في اللسان: والحقُّ في اللسان إما بالسكوت تارة، وإما بالنطق تارةً أخرىٰ، بأن:

- يسكت عن ذِكر عيوبِ صاحبه وأخيه ومساويه في غَيْبته بألا يغتابه.

- لا يتعمَّد الردَّ عليه فيما يتكلَّم به ولا يجاريه في الإطراء.

- لا يتجسَّس عليه، ولا يسأل عما يكره ظهوره من أحواله.

- لا يسأله إن كان في طريق يلتمس حاجةً: إلىٰ أين؟ أو ماذا تفعل؟ خاصة إذا شعر أنه لا يحرص علىٰ إعلامه بذلك حتىٰ لا يضطره إلىٰ الكذب.

- يَكْتُم سِرَّه حتىٰ لو إلىٰ أصفىٰ أصفيائه، ولا يكشف شيئًا منه ولو حدثت بينهما قطيعة ووحشة، فإذا حدث هذا فإنما يدل علىٰ لؤم الطبع وخبث الباطن.

- لا يقدح ولا ينتقد أحبابه وأهله وولده، ولا يحكي له قدح غيره فيه.

فعن أنس ﵁ قال: كان رسول الله ﷺ لا يُواجِه أحدًا بشيء يكرهه [أحمد في مسنده (٣/ ١٣٣) برقم (١٢٣٩٠)]؛ لأن التأذي يحدث أولًا من المُبلِّغ ثم من القائل؛ ولهذا ترىٰ أن من يبلغه ذلك تثور ثائرته بمجرد السماع ويغضب غضبًا شديدًا، بعكس ما يسمع من الثناء عليه؛ فإن السرور أولًا يحصل من المبلغ للمدح، ثم بعد ذلك من القائل. وليعلم أن إخفاء الثناء عليه من الحسد.

- يسكت عمومًا عن كلِّ كلام يكرهه جملةً وتفصيلًا، إلا إذا وَجَب علىٰ المرء الأمرُ بالمعروف والنهي عن المنكر، فَلْيَقُل ذلك بشروطه التي تزيد المحبة ولا تتسبب في إفساد المودة علىٰ العموم.

- لا يذكر مساوِيَه وعيوبَه حتىٰ في أهله، فهذا من الغِيبة الحرام في حقِّ كل مسلم، فإذا أردتَ أن تطلب رجلًا مُنزَّهًا عن العيوب لاعتزلت عن الخلق كافة ولن تجد من تصاحبه أصلًا، فما مِن أحدٍ من الناس إلا وله محاسنُ ومَساوِي، فإذا غلبت المحاسنُ المساويَ فتلك هي الغاية والمنتهىٰ، فالمؤمن الكريم دائمًا يَذْكُر في نفسه محاسنَ أخيه حتىٰ يجد له في قلبه الوُدَّ والاحترام، وأما المنافق اللئيم فإنه دائمًا يُلاحظ المساوي والعيوب.

قال ابنُ المبارك ﵀: المؤمن يطلب المَعَاذِيرَ (أي: الأعذار)، والمنافق يطلب العَثَرات (أي:

الزلات والسقطات). وما من شخصٍ إلا ويُمكن تحسينُ حالِه بخصالٍ فيه، ويمكن أيضًا تقبيحُه.

قال الإمام الشافعيُّ رضي الله عنه: ما أحدٌ من المسلمين يُطيع اللهَ ولا يعصيه، ولا أحدٌ يعصي اللهَ ولا يُطيعه، فمَن كانت طاعتُه أكثرَ من معاصيه فهو عدلٌ، فإذا جُعِل مثلُ هذا عدلًا في حقِّ الله فأن تراه عدلًا في حقِّ نفسِك وإخوانك فهذا أولىٰ.

يقول الشاعر:

وَلَسْتَ بِمُسْتَبْقٍ أَخًا لَا تَلُمُّهُ ... عَلَىٰ شَعَثٍ أَيَّ الرِّجَالِ المُهَذَّبُ

(أي: إنك لن تستطيع أن تبقي علىٰ أخوة بين الناس إذا لم تحتمل ما فيهم من عيوب، وقد لا تستطيع أن تُصلحهم لشدة عيوبهم).

وقد روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «**اسْتَعِينُوا بِاللهِ مِنْ جَارِ السُّوءِ** (أي: ما علامته) **الَّذِي إِنْ رَأَىٰ خَيرًا سَتَرَهُ، وَإِنْ رَأَىٰ شرًّا أَظْهَرَهُ**». العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٧٤) برقم (١٨٠٣)، وعزاه للبخاري في «تاريخه».

- يسكت بالقلب أيضًا كما يسكت باللسان، فكما يجب السكوتُ عن الصديق باللسان يجب أيضًا السكوت عنه بالقلب، أي بتَرْك إساءة الظنِّ فيه، فإساءة الظن هي غِيبة القلب، فلا تَحمِلْ فِعله علىٰ أمر سيئ طالما يمكن أن تحمله علىٰ أمر حسن، وتغافَلْ عن أخطائه قَدْرَ ما أمكنك طالما كانت من اللمم والزلل؛ قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ**». متفق عليه.

قال عليٌّ رضي الله عنه: لا يكون الصديقُ صديقًا حتىٰ يحفظَ صديقه في غَيْبَتِه وبعد وفاته. وقال عمر رضي الله عنه: لا يحلُّ لامرئٍ مسلمٍ سمع من أخيه كلمةً أن يظنَّ بها سوءًا وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا.

وسوءُ الظنِّ يدعو إلىٰ التجسس والتحسس؛ وقد قال ﷺ: «**وَلَا تَحَسَّسُوا وَلَاتَجَسَّسُوا**» [متفق عليه]، فالتجسس هو تطلُّع الأخبار والعورات وخفاياها، والتحسُّس هو استخدام الحواس في تتبُّع العورات، وخاصة بالعين.

قال عيسىٰ عليه السلام: كيف تصنعون إذا رأيتم أخاكم نائمًا وقد كَشَف الريحُ الثوبَ عنه؟

قالوا: نستره ونُغطِّيه. قال: بل تكشفون عورته. قالوا: سبحان الله! مَن يفعل هذا؟ فقال: أحدُكم يسمع بالكلمة في أخيه (أي: الغِيبة) فيزيد عليها ويُشيعها بأعظمَ منها. كما في «الإحياء». واعلم أن من تمام إيمان المرء أن يُحب لأخيه ما يحب لنفسه.

قال رسولُ الله ﷺ: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

والعجيبُ أن تنتظر من أخيك سَتْر العورة والسكوت عن المساوئ والعيوب، وتغضب ويشتد غضبك إذا أظهر عيوبَك ولم يسترها، وتقع أنت في ذلك! قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ [المطففين: ١-٣]. فما الذي يبعثك علىٰ كشف عورة أخيك وسوء الظن به؟!

فعلىٰ المرء تُجاه صديقه أن يسكت أيضًا عن إفشاء سرِّه الذي استودعه إياه، فليس الصدق واجبًا في كل مقام، فإنه يجوز إخفاءُ عيوبك وأسرارك، وكذلك عيوب صديقك وأسراره؛ ففي الحديث: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ». متفق عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة، ولا يحل لأحدهما أن يُفشي علىٰ صاحبه ما يكره. وقيل لبعض الأدباء: كيف حِفظُك للسر؟ قال: أنا قَبْرُه.

إن قلب الأحمق في لسانه، ولسان العاقل في قلبه، فالأحمق لا يستطيع إخفاء ما في قلبه فيُبديه من حيث لا يدري، ومن هنا يجب الحذر من الحمقىٰ لإفشائهم الأسرار.

وقد أفشىٰ بعضُ الصالحين إلىٰ أخيه سرًّا ثم قال له: حفظتَ؟ فقال: بل نسيت.

قال أبو سعيدٍ الثوريُّ رحمه الله: إذا أردتَ أن تؤاخي رجلًا فأَغْضِبْه ثم دُسَّ عليه من يسأله عنك وعن أسرارك، فإن قال خيرًا وكتم سرَّك فاصْحَبْه. وقيل لأبي يزيد رحمه الله: مَن تصحب من الناس؟ قال: مَن يعلم منك ما يعلم اللهُ، ثم يستر عليك كما يستره الله.

وقال ذو النُّون رضي الله عنه: لا خيرَ في صُحْبةِ من لا يُحِبُّ أن يراك إلا معصومًا، ومن أفشىٰ السرَّ من الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا تقتضيه الطباع السليمة.

وقال حكيمٌ: لا تصحب مَن يتغيَّر عليك عند أربعةٍ: عند غضبِه ورضاه، وعند طمعه وهواه.

- أن يترك المماراة (أي: شدة الجدل) والخصام، فقد قال ابنُ عباسٍ رضي الله عنه: لا تُمارِ

سفيهًا فيؤذيك، ولا حليمًا فيَقْلِيكَ (أي: يهجرك)، وكفىٰ بك ظلمًا ألا تزال مخاصمًا، وكفىٰ بك إثمًا أن تكون مُمَاريًا. وقال ابنُ مَسْعود ﵁: ما أماري (أي: أجادل) أخي أبدًا؛ لأني أرىٰ أني إما أن أُكذِّبه أو أُغضبه. فالخصومة تمحق الدين، وتُنبت الشحناء في صدور الرجال، قال عبد الله بن الحسين ﵄: المراء رائد الغضب.

وقيل لعبد الله بن الحسين ﵄: ما تقول في المِرَاء؟ قال: ما عسىٰ أن أقولَ في شيءٍ يُفسد الصداقةَ القديمة، ويَحُلُّ العقدةَ الوثيقة، وإن كان لَأَقَلُّ ما فيه أن يكونَ ذريعةً للمغالبة (أي: يغلب صاحبه قهرًا)، والمغالبة من أمتن أسباب الفتنة.

وقال مُعَاذ بن جَبَلٍ ﵁: إذا كان لك أخٌ في الله فلا تُمَارِه أبدًا ولا تُشَاره (أي: لاتفعل به شرًّا يُحوِجُه إلىٰ أن يفعل بك مثله).

ولهذا قال النبيُّ ﷺ: «**أَنَا زعيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ** (أي: المراد: ما حول الجنة وفي أطرافها) **لمن تَرَكَ المِرَاءَ وإن كان مُحِقًّا**» [أبو داود برقم (٤٨٠٠)].

فالمراء من أشدِّ أسبابِ إثارة الحقد؛ حيث يؤدي إلىٰ الرغبة في الانتصار للرأي بين الإخوان، والجدل والخصومة، ومنه ينشأ التدابر الذي نُهينا عنه.

فالتدابر والتقاطع يبدأ أولًا بالآراء، ثم بالأقوال، أي الألفاظ الشديدة والتهمة بالألفاظ الشديدة، ثم بالأبدان من هجرٍ وضربٍ وخلافه.

قال ﷺ: «**لَا تَدَابَرُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**». [متفق عليه]، كما قال ﷺ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، لا يظلمه ولا يَخْذُله وَلَا يَحْقِره، التَّقْوَىٰ هَاهُنَا**- ثلاث مرات- **بِحَسْبِ امرئٍ مِنَ الشَّرِّ أن يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ**». [مسلم برقم (٢٥٦٤)]؛ فلا تردَّ علىٰ أخيك رأيه بما يُوغر صدره، فقد يعتبره احتقارًا له؛ حيث إنك ترده إلىٰ الجهل أو الغفلة أو النسيان ونحو ذلك. وقال عبدُ الله بن الحُسَين ﵄: إياك ومماراةَ الرجال؛ فإنك لن تَعدِمَ مَكْرَ حليمٍ أو مفاجأة لئيم (أي: إن أكثرت الجدال والمراء).

قال بعضُ السلف: إن أعجزَ الناس من قصَّر في طلب الإخوان، وأعجزَ منه من ضيَّع مَن ظَفِرَ به منهم؛ وكثرةُ المماراة توجب القطيعة وتورث العداوة.

وقال الحسن رضي الله عنه: لا تشترِ عداوةَ رجلٍ بمودة ألف رجل.

فلا تُضَحِّ بإنشاء عداوة مع واحد من الناس مقابل أن تكسب مودة ألف واحد، حيث إن عود الثقاب مع صغر شأنه قد يُشعِل مدينة بأكملها؛ فاحذر إنشاء العداوات، فمعظم النار من مستصغر الشرر. فقِوَامُ الأخوةِ الاتفاق والانسجام في الكلام والفعل والشفقة، والتوافق مع الإخوان خيرٌ من الشفقة عليهم.

* * *

٣٠- باب الشفاعة

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةٗ يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٞ مِّنۡهَاۖ﴾ [النساء: ٨٥].

(٢٤٦/ ٣٠) وعن أَبي موسىٰ الأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم إِذَا أتاهُ طَالِبُ حَاجَةٍ أقبَلَ عَلَىٰ جُلَسَائِهِ، فَقَالَ: «اشْفَعُوا تُؤْجَرُوا، وَيَقْضِي اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا أحبَّ». متفق عليه.

وفي رواية: «مَا شَاءَ».

(٢٤٧/ ٣٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قِصَّةِ بَرِيرَةَ وَزَوْجِهَا، قَالَ: قَالَ لَهَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَوْ رَاجَعْتِهِ؟» قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، تَأْمُرُنِي؟ قَالَ: «إِنَّمَا أَشْفَع». قَالَتْ: لَا حَاجَةَ لِي فِيهِ. رواه البخاري.

(أي: وعلم من ذلك أن الشفاعة ليست أمرا واجبًا في حق المشفوع عنده؛ فمع جلالة قدر النبي صلى الله عليه وسلم إلا أنه احترم حق المرأة في اختيار زوجها وعلينا أن نقتدي به في ذلك).

٣١- باب الإصلاح بين الناس

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿۞ لَّا خَيۡرَ فِي كَثِيرٖ مِّن نَّجۡوَىٰهُمۡ إِلَّا مَنۡ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوۡ مَعۡرُوفٍ أَوۡ إِصۡلَٰحِۭ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [النساء: ١١٤].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ﴾ [النساء: ١٢٨].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَصۡلِحُواْ ذَاتَ بَيۡنِكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ١].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٠].

(٢٤٨/ ٣١) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «كُلُّ سُلَامَىٰ (أي: مفصل) مِنَ النَّاسِ

عَلَيهِ صَدَقةٌ، كُلُّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ: تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَينِ صَدَقةٌ، وَتُعينُ الرَّجُلَ في دَابَّتِهِ فَتَحمِلُهُ عَلَيْهَا، أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتاعَهُ صَدَقةٌ، وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقةٌ، وَبِكُلِّ خطْوَةٍ تَمشِيهَا إِلَىٰ الصَّلاةِ صَدَقةٌ، وَتُميطُ الأذىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقةٌ». متفق عليه.

ومعنىٰ «تَعدِلُ بينهما»: تُصْلِحُ بينهما بالعدل.

(٢٤٩/ ٣١) وعن أُمِّ كُلْثُومٍ بنتِ عُقْبَةَ بن أَبي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سمِعتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «**لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيرًا، أَوْ يقولُ خَيْرًا**». متفق عليه.

وفي رواية مسلم زيادة: قَالَتْ: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلَّا في ثَلاثٍ، تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَدِيثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

(٢٥٠/ ٣١) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعَ رسولُ الله ﷺ صَوْتَ خُصُومٍ بِالبَابِ عَالِيَةً أَصْوَاتُهُمَا، وَإِذَا أَحَدُهُمَا يَسْتَوْضِعُ الآخَرَ وَيَسْتَرْفِقُهُ في شَيءٍ، وَهُوَ يَقُولُ: واللهِ لا أَفْعَلُ، فَخرَجَ عَلَيْهِمَا رسولُ الله ﷺ فقَالَ: «**أينَ المُتَأَلِّي عَلَىٰ اللهِ لا يَفْعَلُ المَعْرُوفَ؟**» فَقَالَ: أَنَا يَا رسولَ اللهِ، فَلَهُ أَيُّ ذلِكَ أَحَبَّ. متفق عليه. معنىٰ «يَسْتَوضِعُهُ»: يَسْأَلُهُ أَنْ يَضَعَ عَنْهُ بَعضَ دَيْنِهِ. «وَيَسْتَرفِقُهُ»: يَسأَلُهُ الرِّفْقَ. «وَالمُتَأَلِّي»: الحَالِفُ.

(٢٥١/ ٣١) وعن أَبي العباسِ سَهْلِ بنِ سَعدٍ السَّاعِدِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَلَغَهُ أَنَّ بَني عمرو بن عَوْفٍ كَانَ بَيْنَهُمْ شَرٌّ، فَخَرَجَ ﷺ يُصْلِحُ بَينَهُمْ في أُنَاسٍ مَعَهُ، فَحُبِسَ رَسُولُ الله ﷺ وَحَانَتِ الصَّلاةُ، فَجَاءَ بِلالٌ إِلَىٰ أَبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ، إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ حُبِسَ وَحَانَتِ الصَّلاةُ فَهَلْ لَكَ أَنْ تَؤُمَّ النَّاسَ؟ قَالَ: نَعَمْ، إِنْ شِئْتَ، فَأَقَامَ بِلالٌ الصَّلاةَ، وتَقَدَّمَ أَبُو بَكْرٍ فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ، وَجَاءَ رَسُولُ الله ﷺ يَمشي في الصُّفُوفِ حَتَّىٰ قَامَ في الصَّفِّ، فَأَخَذَ النَّاسُ في التَّصْفيقِ، وَكَانَ أَبُو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لا يَلْتَفِتُ في الصَّلاةِ، فَلَمَّا أَكْثَرَ النَّاسُ في التَّصْفيقِ الْتَفَتَ، فإذَا رَسُولُ الله ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ رسولُ الله ﷺ فرفع أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَدَهُ فَحمِدَ اللهَ، وَرَجعَ القَهْقَرَىٰ (أي: مشىٰ إلىٰ الخلف) وَرَاءَهُ حَتَّىٰ قَامَ في الصَّفِّ، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ الله ﷺ، فَصَلَّىٰ للنَّاسِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ، مَا لَكُمْ**

حِينَ نَابَكُمْ شَيْءٌ فِي الصَّلاةِ أَخَذْتُمْ فِي التَّصفيق؟! إِنَّمَا التَّصفيق للنِّساء، مَنْ نَابَهُ شَيْءٌ فِي صَلاتِهِ فَلْيَقُلْ: سُبْحَانَ الله، فَإِنَّهُ لا يَسْمَعُهُ أحدٌ حِينَ يقولُ: سُبْحَانَ الله، إِلَّا الْتَفَتَ، يَا أَبَا بَكْرٍ؛ مَا مَنَعَكَ أَنْ تُصَلِّي بالنَّاسِ حِينَ أَشَرْتُ إِلَيْكَ؟» فقالَ أَبُو بَكْرٍ: مَا كَانَ يَنْبَغِي لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يُصَلِّيَ بالنَّاسِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ الله ﷺ. متفق عليه. معنىٰ «حُبِسَ»: أَمْسَكُوهُ لِيُضَيِّفُوهُ.

٣٢- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٢٥٢/ ٣٢) وعن حارثة بن وهب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعَّفٍ (أي: يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجبرون عليه)، لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ الله لأَبَرَّهُ، أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟ كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ». متفق عليه.

«العُتُلُّ»: الغَلِيظُ الجَافِي. «وَالجَوَّاظُ» بفتح الجيم وتشديد الواو وبالظاء المعجمة: وَهُوَ الجَمُوعُ المَنُوعُ (أي: الذي يجمع المال ويبخل به)، وَقِيلَ: الضَّخْمُ المُخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، وَقِيلَ: القَصِيرُ البَطِينُ.

(٢٥٣/ ٣٢) وعن أبي العباس سَهْلِ بن سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ عِنْدَهُ جَالِسٍ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِ النَّاسِ، هَذَا واللهِ حَرِيٌّ إِنْ خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ. فَسَكَتَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ مَرَّ رَجُلٌ آخرُ، فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «مَا رَأْيُكَ فِي هَذَا؟» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، هَذَا رَجُلٌ مِنْ فُقَرَاءِ المُسْلِمِينَ، هذا حريٌّ إن خطَب ألا يُنكَح، وإن شَفَعَ ألا يُشَفَّع، وإن قال ألا يُسْمَع لقولِه. فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «هَذَا خَيْرٌ مِنْ مِلءِ الأَرْضِ مِثْلَ هَذَا». متفق عليه.

قوله: «حَرِيٌّ» هُوَ بفتح الحاءِ وكسر الراء وتشديد الياءِ، أي: حَقِيقٌ. وقوله: «شَفَعَ» بفتح الفاءِ.

(٢٥٤/ ٣٢) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «احْتَجَّتِ (أي: تجادلتا وتخاصمتا) الجَنَّةُ والنَّارُ، فقالتِ النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ وَالمُتَكَبِّرُونَ. وَقَالَتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعَفَاءُ النَّاسِ وَمَسَاكِينُهُمْ. فَقَضَىٰ اللهُ بَيْنَهُمَا: إِنَّكِ الجَنَّةُ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا». رواه مسلم.

(٢٥٥/ ٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ السَّمِينُ العَظِيمُ يَوْمَ

القِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَناحَ بَعُوضَةٍ». متفق عليه.

(٢٥٦/ ٣٢) وعنه: أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ المَسْجِدَ، أَوْ شَابًّا، فَفَقَدَهَا، أَوْ فَقَدَهُ رسولُ اللهِ ﷺ، فَسأَلَ عَنْهَا، أو عنه، فقالوا: مَاتَ. قَالَ: «أَفَلَا كُنْتُمْ آذَنْتُمُونِي!» فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، أَوْ أَمْرَهُ، فَقَالَ: «دُلُّونِي عَلَىٰ قَبْرِهِ». فَدَلُّوهُ فَصَلَّىٰ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هٰذِهِ القُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَىٰ أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللهَ تعالىٰ يُنَوِّرُهَا لهم بِصَلاتِي عَلَيْهِمْ». متفق عليه. قوله: «تَقُمُّ» هُوَ بفتح التَّاءِ وضم القاف، أي: تَكْنُسُ. «وَالقُمَامَةُ»: الكُنَاسَةُ. «وَآذَنْتُمُونِي» بِمد الهمزة، أي: أَعْلَمْتُمُونِي.

(٢٥٧/ ٣٢) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «رُبَّ أَشْعَثَ أغبرَ مَدْفُوعٍ بالأَبْوابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لأَبَرَّهُ». رواه مسلم.

(٢٥٨/ ٣٢) وعن أسامة رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحْبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَىٰ النَّارِ، وَقُمْتُ عَلَىٰ بَابِ النَّارِ فَإِذَا عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا النِّسَاءُ». متفق عليه.

«وَالجَدُّ»: بفتح الجيم: الحظُّ وَالغِنَىٰ. وقوله: «مَحْبُوسُونَ» أي: لَمْ يُؤْذَنْ لَهُمْ بَعْدُ في دُخُولِ الجَنَّةِ.

(٢٥٩/ ٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي المَهْدِ إِلَّا ثَلَاثَةٌ: عِيسَىٰ ابْنُ مَرْيَمَ، وَصَاحِبُ جُرَيْجٍ؛ وَكَانَ جُرَيْجٌ رَجُلًا عَابِدًا، فَاتَّخَذَ صَوْمَعَةً فَكَانَ فِيهَا، فَأَتَتْهُ أُمُّهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: يَا رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاتِهِ فَانْصَرَفَتْ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلاتِهِ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ أَتَتْهُ وَهُوَ يُصَلِّي، فَقَالَتْ: يَا جُرَيْجُ. فَقَالَ: أَيْ رَبِّ أُمِّي وَصَلَاتِي. فَأَقْبَلَ عَلَىٰ صَلَاتِهِ، فَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَا تُمِتْهُ حَتَّىٰ يَنْظُرَ إِلَىٰ وُجُوهِ المُومِسَاتِ. فَتَذَاكَرَ بَنُو إِسْرائِيلَ جُرَيْجًا وَعِبَادَتَهُ، وَكَانَتِ امْرَأَةٌ بَغِيٌّ يُتَمَثَّلُ بِحُسْنِهَا، فَقَالَتْ: إِنْ شِئْتُمْ لأَفْتِنَنَّهُ، فَتَعَرَّضَتْ لَهُ، فَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، فَأَتَتْ رَاعِيًا كَانَ يَأْوِي إِلَىٰ صَوْمَعَتِهِ، فَأَمْكَنَتْهُ مِنْ نَفْسِهَا فوقَعَ عَلَيْهَا، فَحَمَلَتْ، فَلَمَّا وَلَدَتْ، قَالَتْ: هُوَ مِنْ جُرَيجٍ. فَأَتَوْهُ فَاسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكُمْ؟ قَالُوا: زَنَيْتَ بِهٰذِهِ البَغِيِّ فَوَلَدَتْ مِنْكَ. قَالَ: أَيْنَ الصَّبِيُّ؟ فَجَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: دَعُونِي حَتَّىٰ أُصَلِّيَ. فَصَلَّىٰ فَلَمَّا انْصَرَفَ أَتَىٰ الصَّبِيَّ فَطَعَنَ فِي بَطْنِهِ، وَقَالَ: يَا غُلَامُ مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: فُلَانٌ الرَّاعِي. فَأَقْبَلُوا عَلَىٰ جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ. قَالَ: لَا،

أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ. فَفَعلُوا. وبينَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ مِنْ أُمِّهِ فَمَرَّ رَجُلٌ رَاكِبٌ عَلَىٰ دَابَّةٍ فَارِهَةٍ وَشَارَةٍ حَسَنَةٍ، فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَ هَذَا. فَتركَ الثَّدْيَ وَأَقْبَلَ إِلَيْهِ فَنظَرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. ثُمَّ أقْبَلَ عَلَىٰ ثَدْيِه فَجعَلَ يرتَضِعُ»، فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ يَحْكِي ارْتِضَاعَهُ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ فِي فِيهِ، فَجَعَلَ يَمُصُّهَا. قَالَ: «وَمَرُّوا بِجَارِيَةٍ وَهُم يَضْرِبُونَهَا، ويَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ، وَهِيَ تَقُولُ: حَسْبِيَ اللهُ ونِعْمَ الوَكِيلُ. فَقَالَتْ أُمُّهُ: اللَّهُمَّ لا تَجعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَترَكَ الرَّضَاعَ ونَظَرَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا. فَهُنَالِكَ تَرَاجَعَا الحَدِيثَ، فَقَالَتْ: مَرَّ رَجُلٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلِ ابْنِي مِثْلَهُ. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ. وَمَرُّوا بِهَذِهِ الأَمَةِ وَهُمْ يَضْرِبُونَهَا وَيَقُولُونَ: زَنَيْتِ، سَرَقْتِ. فقلتُ: اللَّهُمَّ لا تَجعَلِ ابْنِي مِثْلَهَا. فَقُلْتَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا؟! قَالَ: إنَّ ذلك الرَّجُلَ كَانَ جَبَّارًا، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْنِي مِثْلَهُ، وَإِنَّ هذِهِ يَقُولُونَ لها: زَنَيْتِ، وَلَمْ تَزْنِ، وَسَرَقْتِ، وَلَمْ تَسْرِقْ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِثْلَهَا». متفق عليه.

«المُومِسَاتُ» بِضَمِّ المِيمِ الأُولَىٰ، وَإِسكانِ الواوِ وكسرِ الميمِ الثانيةِ وبالسينِ المهملةِ، وهُنَّ: الزَّواني. وَالمُومِسَةُ: الزَّانِيَةُ. وقوله: «دَابَّةٌ فَارِهَةٌ» بِالفَاءِ، أَيْ: حَاذِقَةٌ نَفِيسَةٌ. «وَالشَّارَةُ» بالشين المعجمة وتخفيف الرَّاءِ، وَهِيَ: الجَمَالُ الظَّاهِرُ فِي الهَيْئَةِ والمَلْبَسِ. ومعنىٰ «تَرَاجَعَا الحَدِيثَ» أي: حَدَّثَت الصبي وحَدَّثها، والله أعلم.

٣٣- باب ملاطفة اليتيم والبنات
وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين
والإحسان إليهم والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ٨٨﴾ [الحجر: ٨٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ وَلَا تَعۡدُ عَيۡنَاكَ عَنۡهُمۡ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾ [الكهف: ٢٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ١٠﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلۡيَتِيمَ ٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ٣﴾ [الماعون: ١-٣].

(٢٦٠/ ٣٣) وعن سعدِ بن أبي وقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ سِتَّةَ نفرٍ، فَقَالَ المُشْرِكُونَ

للنبيِّ ﷺ: اطْرُدْ هؤلاء لا يَجْترِئُونَ عَلَيْنا. وَكُنْتُ أنا وَابْنُ مَسْعُودٍ وَرَجُلٌ مِنْ هُذَيْل وبلالٌ ورَجُلَانِ لَسْتُ أُسَمِّيهما، فوقَعَ في نفس رَسُول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقعَ فَحَدَّث نَفسَهُ، فأنْزَلَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: ٥٢]. رواه مسلم.

(٢٦١/ ٣٣) وعن أَبي هُبَيْرَةَ عائِذِ بنِ عمرو الـمزني وَهُوَ مِنْ أهْل بيعة الرِّضوان رضي الله عنه: أَنَّ أَبا سُفيَانَ أَتىٰ عَلَىٰ سَلْمَانَ وَصُهَيْب وَبلَالٍ في نَفرٍ، فقالوا: مَا أَخذَتْ سُيُوفُ الله مِنْ عَدُوِّ الله مَأْخَذَهَا. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَتقُولُون هَذَا لِشَيْخ قُرَيْشٍ وَسَيدِهِمْ؟ فَأتَىٰ النَّبيَّ ﷺ، فَأخبَرهُ، فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَعلَّكَ أغْضبتَهُمْ؛ لَئِنْ كُنْتَ أغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضبتَ رَبَّكَ». فَأتَاهُمْ فَقَالَ: يَا إخْوَتَاهُ، آغْضَبْتُكُمْ؟ قالوا: لَا، يَغْفِرُ اللهُ لَكَ يَا أُخَيَّ. رواه مسلم. قولُهُ: «مَأْخَذَهَا» أي: لَمْ تَسْتَوفِ حقها مِنْهُ. وقوله: «يَا أُخَيَّ» رُوِي بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الخاءِ وتخفيف الياءِ، وَرُوِيَ بضم الهمزة وفتح الخاء وتشديد الياءِ.

(٢٦٢/ ٣٣) وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنَا وَكَافِلُ اليَتِيم في الجَنَّةِ هَكَذا». وَأَشار بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ، وَفرَّج بَيْنَهُما. رواه البخاري. و«كَافِلُ اليَتِيم»: القَائِمُ بِأمُوره.

(٢٦٣/ ٣٣) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كَافِلُ اليَتِيم لَهُ أَوْ لِغَيْرِهِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ في الجَنَّةِ». وَأَشَارَ الرَّاوِي- وَهُوَ مَالِكُ بْنُ أَنَس- بالسَّبَّابَةِ وَالوُسْطَىٰ. رواه مسلم. وقوله ﷺ: «اليَتِيمُ لَهُ أَوْ لِغَيرِهِ» مَعْنَاهُ: قَرِيبُهُ، أَو الأَجْنَبِيُّ مِنْهُ، فالقَرِيبُ مِثل أَنْ تَكْفلَهُ أُمُّهُ أَوْ جَدُّهُ أَوْ أَخُوهُ أَوْ غَيرُهُمْ مِنْ قَرَابَتِهِ. والله أعْلَمُ.

(٢٦٤/ ٣٣) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إنَّمَا المِسكِينُ الَّذِي يَتَعَفَّفُ». متفق عليه.

وفي رواية في «الصحيحين»: «لَيْسَ المِسكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَىٰ النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ واللُّقْمَتانِ، وَالتَّمْرَةُ والتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسْكِينَ الَّذِي لا يَجِدُ غِنًىٰ يُغْنِيه، وَلَا يُفْطَنُ بِهِ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ».

(٢٦٥/ ٣٣) وعنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَىٰ الأَرْمَلَةِ وَالمِسْكِينِ، كَالمُجَاهِدِ في سَبيلِ الله». وَأحسَبُهُ قَالَ: «وَكَالقَائِمِ الَّذِي لا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ الَّذِي لا يُفْطِرُ». متفق عليه.

(٢٦٦/ ٣٣) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الوَلِيمَةِ، يُمْنَعُهَا مَنْ يَأْتِيهَا،

وَيُدْعَىٰ إِلَيْهَا مَنْ يَأْبَاهَا، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ». رواه مسلم.

وفي رواية في «الصحيحين»، عن أبي هريرة من قوله: «بِئْسَ الطَّعَامُ طَعَامُ الوَلِيمَةِ يُدْعَىٰ إِلَيْهَا الأَغْنِيَاءُ وَيُتْرَكُ الفُقَرَاءُ».

(٢٦٧/ ٣٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْن (أي: قام عليهما بالمؤنة والتربية، والجارية: الأَمَة المملوكة أو الطفلة الصغيرة) حَتَّىٰ تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ». وضَمَّ أَصابِعَهُ. رواه مسلم. «جَارِيَتَيْن» أي: بنتين.

(٢٦٨/ ٣٣) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: دَخلَتْ عَلَيَّ امْرأَةٌ وَمَعَهَا ابنتان لَهَا، تَسْأَلُ فَلَمْ تَجِدْ عِنْدِي شَيئًا غَيْرَ تَمْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَأَعْطَيْتُهَا إِيَّاهَا فَقسَمَتْهَا بَيْنَ ابْنَتَيْها ولَمْ تَأْكُلْ مِنْهَا، ثُمَّ قَامَتْ فَخرجَتْ، فَدَخلَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم عَلَيْنا، فَأَخْبَرْتُهُ فقَالَ: «مَنِ ابْتُلِيَ مِنْ هذِهِ البَنَاتِ بِشَيءٍ فَأَحْسَنَ إِلَيْهِنَّ، كُنَّ لَهُ سِترًا مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

(٢٦٩/ ٣٣) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: جَاءتني مِسْكِينَةٌ تَحمِلُ ابْنَتَيْنِ لَهَا، فَأَطْعَمْتُهَا ثَلاثَ تَمرَات، فَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُمَا تَمْرَةً وَرَفعت إِلَىٰ فِيها تَمْرَةً لِتَأكُلهَا، فَاسْتَطعَمَتهَا ابْنَتَاهَا، فَشَقَّتِ التَّمْرَةَ الَّتي كَانَتْ تُرِيدُ أنْ تَأكُلَهَا بيْنَهُما، فَأَعجَبَنِي شَأْنُهَا، فَذَكَرْتُ الَّذِي صَنَعَتْ لرسولِ الله صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: «إِنَّ اللهَ قَدْ أَوْجَبَ لَهَا بِها الجنَّةَ، أَوْ أَعتَقَهَا بِهَا مِنَ النَّارِ». رواه مسلم.

(٢٧٠/ ٣٣) وعن أَبي شُرَيْحٍ خُوَيْلِدِ بن عمرو الخزاعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَينِ: اليَتِيمِ وَالمَرْأَةِ». حديث حسن رواه النَّسائي بإسناد جيد. ومعنىٰ «أُحَرِّجُ»: أُلْحِقُ الحَرَجَ وَهُوَ الإِثْمُ بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيرًا بليغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجرًا أكيدًا.

(٢٧١/ ٣٣) وعن مصعب بن سعد بن أَبي وقَّاص رضي الله عنهما قَالَ: رَأَىٰ سعد أَنَّ لَهُ فَضْلًا عَلَىٰ مَنْ دُونَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم: «هَلْ تُنْصرُونَ وتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ». رواه البخاري هكذا مرسلًا، فإن مُصعَب بن سعد تابعي. ورواه الحافظ أبو بكر البرقاني في صحيحه متصلًا عن مصعب، عن أبيه رضي الله عنه.

(٢٧٢/ ٣٣) وعن أَبي الدَّرداءِ عُويمر رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ابْغُونِي الضُّعَفَاءَ؛ فَإِنَّمَا تُنْصَرُونَ وتُرْزَقُونَ بِضُعَفَائِكُمْ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

* * *

(كفالة اليتيم)

اليتيمُ هو مَن فَقَد الأبَ، وأما من فَقَد الأمَّ فهو المنقطع، ومن فقد أبويه فهو اللَّطِيم.

فاليُتم في الناس من قِبَل الأب، وفي البهائم من قِبَل الأمِّ، وكلُّ شيءٍ مفرد يعزُّ ويندر وجودُ نظيرٍ له يُسمَّىٰ يتيمًا، ومنه سُمِّيت الدرر الثمينة اليتيمة؛ لندرة نظائرها.

فاليُتم هو الانفراد، فاليتيم إنسانٌ بلا أبٍ، وحيوانٌ بلا أمٍّ، وجوهرٌ بلا نظير.

واليتم في الطيور من قِبل الأب والأمِّ معًا؛ لأنهما يقومان بإطعام الطائر كلٌّ علىٰ حدةٍ.

وأما كافل اليتيم فهو القيِّم بأمره ومصالحه المُربِّي له، فإذا كان اليتيم طفلًا صغيرًا كانت كفالته حينئذ هي القيام بأمور رعايته وهو صغير، وتفقُّد مصالحه وتربيته والإحسان إليه حتىٰ يبلغ مبلغ الرجال إن كان ذكرًا، أما الأنثىٰ فيُحسن إليها حتىٰ تتزوج.

قال رسول الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحَرِّجُ عَلَيْكُمْ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ** (أي: تضييع حقهما): **الْيَتِيمِ وَالمَرْأَةِ**». أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٣٩) برقم (٩٦٦٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٤٤٧).

فهو ﷺ يُحذِّر من ضياع حقوقهما تحذيرًا بليغًا، وذلك لضَعْفِهما عن المطالبة بحقوقهما، والمرأة التي تَرْعىٰ صغارها اليتامىٰ لها الأجر العظيم، قالت أمُّ سلمةَ رحمها الله: يا رسولَ الله، أَلِيَ أجرٌ أن أُنفِقَ علىٰ بني أبي سلمة، إنما هم بَنِيَّ؟

فقال رسول الله ﷺ: «**أَنْفِقِي عَلَيْهِمْ فَلَكِ أَجْرُ مَا أَنْفَقْتِ عَلَيْهِمْ**» متفق عليه.

وروي أيضًا: «**الرَّابُّ كَافِلٌ**» [ذكره ابن الجوزي في «غريب الحديث» (٢/ ٢٩٧)].

والرَّابُّ: هو زوج أمِّ اليتيم؛ لأنه يكفل تربيتَه ويقوم بأمره مع أُمِّه، فأَجْرُه في كفالة اليتيم عظيم.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: حفظتُ عن رسول الله ﷺ: «**لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ** (أي: يسقط مسمىٰ اليتيم علىٰ من بلغ الاحتلام من الذكور والإناث) **وَلَا صُمَاتَ يَوْمٍ إِلَىٰ اللَّيْلِ** (أي: السكوت عن الكلام بلا مبرر شرعي)». أبو داود برقم (٢٨٧٣)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٦٠٩). وجاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقال: إني فقيرٌ، ليس لي شيءٌ، ولي يتيمٌ (أي: يعني أكفله)؟ فقال له النبيُّ ﷺ: «**كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ** (أي: لا تدخر لتجارتك)». أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٥) برقم (٧٠٢٢).

وعلىٰ كلِّ مَن لا يجد في نفسه قوةً لكفالة اليتيم أن يتأخَّر ولا يتصدىٰ لذلك؛ فقد قال ﷺ مُحذرًا أبا ذرٍّ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لَا تَأَمَّرَنَّ عَلَىٰ اثْنَيْنِ وَلَا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ». مسلم برقم (١٨٢٦).

وقال عمر رضي الله عنه لما صار خليفةً للمسلمين: إني أنزلت نفسي من مال الله (أي: بيت مال المسلمين) بمنزلة وليِّ اليتيم، إن استغنيتُ استعففتُ (أي: إذا جاءني مالٌ من غير بيت مال المسلمين استعففت عن بيت المال) وإن احتجتُ أخذت منه بالمعروف، فإذا أيسرتُ قضيت (أي: اعتبرته دينًا إن جاء مال سددت ديني). وهذا من وَرَعِه، وإن كان الفقه لا يُحرِّم عليه أَخْذَ نفقته من بيت مال المسلمين؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ [النساء: ٦].

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما في هذه الآية: إن كان غنيًّا فلا يَحِلُّ له أن يأكلَ من مال اليتيم شيئًا، وإن كان فقيرًا فَلْيَسْتَقرِض منه، فإذا وَجَد مَيْسَرةً (أي: من المال) فَلْيُعْطِه ما اسْتَقْرَض منه، فذلك أَكْلُه بالمعروف. والرأي فيه خلاف.

وقد ذَكَر ابنُ الجوزيِّ في الأكل من مال اليتيم أوجهًا أربعًا:

الأول: أن يأخذَ من ماله علىٰ وجه القرض.

والثاني: أن يأكل بمقدار الحاجة من غير إسراف.

والثالث: أن يأخذَ أجرة ما يقوم به من عمل لليتيم.

والرابع: أن يأخذَ عند الضرورة، فإن حَضَره مالٌ فَلْيَقْضِ، وإن لم يأتِهِ مالٌ فهو في حِلٍّ.

وقال العلماءُ في قوله تعالىٰ: ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢﴾ [الماعون: ٢]: أي يدفعه عن حقه ويقهره ويظلمه. وقال قتادةُ رحمه الله: كُنْ لليتيم كالأبِ الرحيم.

وقال النَّيْسَابُوريُّ رحمه الله: قال أهلُ التحقيق: الحكمة في يُتْمِ النبيِّ ﷺ أن يعرف قَدْر الأيتام، فيقوم بأمرهم، وأن يكرم اليتيم المشارك له في الاسم.

وقيل لمحمد بن جعفر الصادق رحمه الله: لِمَ أُوتم النبيُّ ﷺ من أبويه (أي: جُعِل يتيمًا)؟ فقال: لئلا يكون لمخلوقٍ عليه حقٌّ. والله أعلم.

وكفالة اليتيم تكون من الرجل إذا تزوَّج ذاتَ أيتامٍ مثلًا، وتكون من المرأة التي مات

زوجُها فتكفَّلت صغارها، فهي كذلك مع النبيِّ ﷺ في الجنة، وكفىٰ بها صحبة.

* * *

٣٤- باب الوصية بالنساء

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَن تَسْتَطِيعُوٓا۟ أَن تَعْدِلُوا۟ بَيْنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا۟ كُلَّ ٱلْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلْمُعَلَّقَةِ ۚ وَإِن تُصْلِحُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٢٩﴾﴾ [النساء: ١٢٩].

(٢٧٣/ ٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا؛ فَإنَّ المَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإنَّ أعْوجَ مَا في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فَإنْ ذَهبتَ تُقيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإنْ تَرَكْتَهُ، لَمْ يَزَلْ أعْوجَ، فَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: «المَرْأةُ كالضِّلَعِ إنْ أقَمْتَهَا كَسَرْتَهَا، وَإن اسْتَمتَعْتَ بِهَا، اسْتَمتَعْتَ وفِيهَا عوَجٌ».

وفي رواية لمسلم: «إنَّ المَرأةَ خُلِقَت مِنْ ضِلَعٍ، لَنْ تَستَقِيمَ لَكَ عَلَىٰ طَرِيقةٍ، فإنِ اسْتَمْتَعْتَ بِهَا اسْتَمْتَعْتَ بِهَا وَفيهَا عوَجٌ، وإنْ ذَهَبْتَ تُقيمُهَا كَسَرْتَهَا، وَكَسْرُهَا طَلَاقُهَا».

قوله: «عَوَجٌ» هُوَ بفتح العينِ والواوِ.

(٢٧٤/ ٣٤) وعن عبدِ الله بن زَمْعَةَ رضي الله عنه: أنَّهُ سَمِعَ النَّبيَّ ﷺ يَخْطُبُ، وَذَكَرَ النَّاقَةَ وَالَّذِي عَقَرَهَا، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾﴾ [الشمس: ١٢] انْبَعَثَ لَهَا رَجُلٌ عَزِيزٌ، عَارِمٌ مَنِيعٌ في رَهْطِهِ». ثُمَّ ذَكَرَ النِّسَاءَ، فَوعَظَ فِيهِنَّ، فَقَالَ: «يَعْمِدُ أحَدُكُمْ فَيَجْلِدُ امْرَأتَهُ جَلْدَ العَبْدِ فَلَعَلَّهُ يُضَاجِعُهَا مِنْ آخِرِ يَومِهِ». ثُمَّ وَعَظَهُمْ في ضَحِكِهِمْ مِنَ الضَّرْطَةِ، وَقَالَ: «لِمَ يَضْحَكُ أَحَدُكُمْ مِمَّا يَفْعَلُ؟!». متفق عليه.

«وَالعَارِمُ» بالعين المهملة والراء، هُوَ: الشِّرِّيرُ المفسِدُ. وقوله: «انْبَعَثَ» أي: قَامَ بسرعة.

(٢٧٥/ ٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً إنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»، أَوْ قَالَ: «غَيْرَهُ». رواه مسلم. وقولُهُ: «يَفْرَكْ» هُوَ بفتح الياءِ وإسكان الفاء وفتح الراءِ، معناه: يُبْغِضُ، يقالُ: فَرِكَتِ المَرأةُ زَوْجَهَا، وَفَرِكَهَا زَوْجُهَا، بكسر الراء يَفْرَكُهَا بفتحها، أي: أَبْغَضَهَا. والله أعلم.

(٢٧٦/ ٣٤) وعن عمرو بن الأحْوَص الجُشَمِي رضي الله عنه: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ في حَجَّةِ الوَدَاعِ يَقُولُ بَعْدَ أنْ حَمِدَ الله تَعالَىٰ، وأَثْنَىٰ عَلَيهِ وَذَكَّرَ وَوَعظَ، ثُمَّ قَالَ: «أَلا وَاسْتَوصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُم لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذلكَ إلَّا أنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ (أي: معصية ظاهرة لا تحل ولا يتبيَّن فيها عذر)، فَإِنْ فَعَلْنَ فَاهْجُرُوهُنَّ في المَضَاجعِ، وَاضْرِبُوهُنَّ ضَربًا غَيْرَ مُبَرِّحٍ، فإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبيلًا؛ أَلا إنَّ لَكُمْ عَلَىٰ نِسَائِكُمْ حَقًّا، وَلِنِسَائِكُمْ عَلَيْكُمْ حَقًّا؛ فَحَقُّكُمْ عَلَيهِنَّ أَلَّا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ مَنْ تَكْرَهُونَ، وَلا يَأْذَنَّ فِي بُيُوتِكُم لِمَنْ تَكْرَهُونَ؛ أَلا وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

قوله ﷺ: «**عَوَانٍ**» أي: أَسِيرَاتٌ جَمْع عَانِيَة، بالعَيْنِ المُهْمَلَة، وَهِيَ الأَسِيرَةُ، والعاني: الأسير. شَبَّهَ رسولُ الله ﷺ المرأة في دخولها تَحْتَ حُكْمِ الزَّوْجِ بالأسيرِ. و«**الضرب المبرح**»: هُوَ الشَّاقُّ الشَّدِيد. وقوله ﷺ: «**فَلَا تَبْغُوا عَلَيهِنَّ سَبِيلًا**» أي: لَا تَطْلُبُوا طَرِيقًا تَحْتَجُّونَ بِهِ عَلَيهِنَّ وَتُؤْذُونَهُنَّ بِهِ. والله أعلم.

(٢٧٧/ ٣٤) وعن معاوية بن حَيْدَة رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، مَا حق زَوجَةِ أَحدِنَا عَلَيهِ؟ قَالَ: «أَنْ تُطْعِمَهَا إِذَا طَعِمْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلا تُقَبِّحْ، وَلا تَهْجُرْ إِلَّا فِي البَيْتِ». حديث حسن رواه أبو داود. وقَالَ: معنىٰ «**لا تُقَبِّحْ**» أي: لا تقل: قَبَّحكِ الله.

(٢٧٨/ ٣٤) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَكْمَلُ المُؤمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا، وخِيَارُكُمْ خيارُكم لِنِسَائِهِمْ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٧٩/ ٣٤) وعن إِيَاسِ بن عبدِ الله بن أَبي ذُبَاب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَا تَضْرِبُوا إِمَاءَ الله». فجاء عُمَرُ رضي الله عنه إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ فقَالَ: ذَئِرْنَ النِّسَاءُ عَلَىٰ أَزْوَاجِهِنَّ. فَرَخَّصَ فِي ضَرْبِهِنَّ، فَأَطَافَ بآلِ رَسُولِ الله ﷺ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لَقَدْ أَطَافَ بِآلِ بَيتِ مُحَمَّدٍ نِسَاءٌ كَثِيرٌ يَشْكُونَ أَزْوَاجَهُنَّ لَيْسَ أُولَئِكَ بِخِيَارِكُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح. قوله: «**ذَئِرْنَ**» هُوَ بذَالٍ مُعْجَمَة مفْتوحَة، ثُمَّ هَمْزَة مَكْسُورَة، ثُمَّ راءٍ سَاكِنَة، ثُمَّ نُونٍ، أي: اجْتَرَأْنَ. قوله: «**أَطَافَ**» أي: أَحاطَ.

(٢٨٠/ ٣٤) وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيرُ مَتَاعِهَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ». رواه مسلم.

❊ ❊ ❊

(حقوق الزوجة والوصية بها)

قال تعالىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم:٢١] فذكر المَوَدَّة حيث الاتفاق، وذكَر الرحمة حيث الاختلاف، أو المودة حين أحبَّها، والرحمة إذا كرهها.

قال تعالىٰ: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: وَالأمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أهلِ بيتِهِ، وَالمرأَةُ رَاعِيةٌ عَلَىٰ بَيْتِ زَوْجِها وَوَلَدِه، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه.

وقال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ، وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ». الترمذي برقم (٣٨٩٥).

قال العلماءُ: إن إضاعةَ حقوقِ الزوجات أعظمُ من إضاعةِ حقوق الأزواج؛ لأن الزوجةَ مثل الأسير لا تدري حينئذٍ ماذا تفعل ولا أين تذهب، وأما الرجلُ فإنه يستطيع أن يُطلِّق؛ ولهذا فإن ظُلْم النساء في حقوقهن أمرٌ عظيم.

وقال ﷺ بعد أن أثنىٰ علىٰ الله وذكَّر ووعظ، قال: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّمَا هُنَّ عَوَانٍ عِنْدَكُمْ، لَيْسَ تَمْلِكُونَ مِنْهُنَّ شَيْئًا غَيْرَ ذَلِكَ». الترمذي برقم (٣٨٩٥).عَوَانٍ: أي :أَسِيرَاتٌ، شَبَّهَ رسولُ الله ﷺ المرأةَ في دخولِها تَحْتَ حُكمِ الزَّوجِ بالأسيرِ.

قَالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠]، وقال ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أُحَرِّجُ حَقَّ الضَّعِيفَيْنِ: اليتيم والمرأة». أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩) برقم (٩٦٦٤). و«أُحَرِّجُ»: أي أُلْحِقُ الحَرَجَ، وَهُوَ الإثْمُ، بِمَنْ ضَيَّعَ حَقَّهُمَا، وَأُحَذِّرُ مِنْ ذلِكَ تَحْذِيرًا بَليغًا، وَأَزْجُرُ عَنْهُ زجرًا أكيدًا.

تعليم الإيمان والإسلام: وأولُ حقوقِ الزوجة أن يأمرها بطاعة الله تعالىٰ، وطاعة النبيِّ ﷺ؛ أي أن يأخذَ بيدها إلىٰ القيام الصحيح علىٰ دِين الله تبارك وتعالىٰ.

قَالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا ۖ لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكَ ۗ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]. فالرجل هو المسئولُ عن رعايةِ هذه المرأة لدينها، فيرعىٰ إيمانَها،

ويقويه بحلقات التعليم والإيمان، ويرعىٰ إسلامَها وتعليمَها أحكامَ الطهارة والصلاة والصيام، وغيره مما يجب عليها: إما بالتعليم المباشر، أو بنَقْل الفتاوىٰ إليها.

فالذي يُساعد المرأة علىٰ القيام بدينها وواجباتها تجَاه أسرتها وزوجها علىٰ وجه الخصوص قوة إيمانها وقوة يقينها بوعد الله تبارك وتعالىٰ. وبالتفريط في هذا الحقِّ من الزوج ضاعت كثيرٌ من البيوت وانتُهِكَتْ كثيرٌ من الحُرُمات، وضاع الأولاد.

فالذي يقوم علىٰ هذا الحقِّ في السَّرَّاء والضَّرَّاء والعُسْر واليُسْر والشغل والفراغ، يضع اللهُ له القَبُولَ والمحبةَ والمهابةَ في قلب زوجه وولده. ومما يُعين علىٰ ذلك:

١ - حديثُ رسولِ الله ﷺ: «**تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لمالها، ولجمالها، وحسبها ونسبها، ولدينها. فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» متفق عليه.

٢ - أن يكونَ الباعث علىٰ النصيحة هو مرضاة الله ﷻ، وليس السُّمعة أو العاطفة، كأن يقولَ لها: فضحتِني، ماذا سيقولون عني؛ ولهذا تفشل كثيرٌ من المواعظ بسبب فساد هذه النية.

٣ - أن يكون لها إمامًا وقدوةً ومَثَلًا يُحتذَىٰ، فلا يأمرها بما لا يقوم به غفلةً واستهتارًا، ولا يقصد بهذا أن يظهر لها بمظهر الورِع التقي رياءً، بل يكون حريصًا علىٰ زيادة دينه وتقواه وقيامه علىٰ مسئولية هذا الدين ولو كان أقلَّ منها بعض الشيء، ولكن تجده محاولًا راغبًا مستقيمًا.

٤ - أن يقومَ بهذا بروح ومزاج الداعي إلىٰ الله لا بروح السلطان الآمر الواعد الزاجر، بل باللُّطف والوُدِّ والكلام الطيب الذي فيه الترغيب والترهيب، ولا يُقبِّح ولا يعيب ولا يلوم علىٰ مجرد رؤية الخطأ، فهذا يُسبِّب النفور في قلبها وأنها تُخفي عليه حالها ولا تسأله عن شيءٍ مخافةَ أن يَزْجُرَها أو يضربها مثلًا وأو يفضحها عند الأقارب والأصحاب والناس، فإن هذا مما يُوغر الصدور، قال الله تعالىٰ: ﴿**ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ**

﴿رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾﴾ [النحل: ١٢٥].

٥- تبشير الزوج الصالح بأن الله تعالىٰ بعد أن قال: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَوٰةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْـَٔلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه: ١٣٢]، بشَّره بأن مَن يُقيم بيته علىٰ دين الله تبارك وتعالىٰ وعلىٰ سنة رسوله الكريم ﷺ كان ذلك طريقًا للبركة والرزق.

وعلىٰ هذا نقول: إن علىٰ الزوج تجَاه زوجته:

أ- أن يُعلِّمها الإيمانَ الصحيح واعتقادَ أهل السُّنة والجماعة، تعليمًا يتناسب مع ظروفها وعقلها واستعدادها، ولا يُصعِّب عليها ذلك، بل بالسهولة واليُسْر.

ب- أن يُراعِيَ ألا تقع في بدعةٍ أو ضلالةٍ، فعليه مراقبة ذلك ومراعاته.

جـ- أن يراعي استعمال الترغيب والترهيب في حثها علىٰ أمر دينها؛ لئلا تتساهل في ذلك.

د- يُعلِّمها أحكامَ الطَّهارة والصلاة والصيام، وغيرها مما يجب عليها، وخاصة أحكام الطهارة؛ لشيوع الخطأ فيها.

وعلىٰ الزوجِ أن يسمح لزوجتِه بالخروج لطلب العلم، ولكن ليس لها أن تخرج إلا برضاه، سواء كان الخروج لمجلس ذكر أو علم؛ قال ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ الله مَسَاجِدَ الله». متفق عليه. فإن أهملت في طلب العلم الضروري ولم يجتهد في تعليمها وإيصال العلم الواجب لها كان شريكًا في الإثم. فالخروج مباحٌ للمرأة العفيفة برضا زوجها، وإن كان القعود أسلم، فلا تخرج إلا لـمُهِمٍّ، وينبغي لها أن تُخفي نفسها عن الرجال.

النفقة: قال تعالىٰ: ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾﴾ [الطلاق: ٧]، وهنا أمران:

أ- وجوب النفقة، قال تعالىٰ: ﴿الرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى النِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٣٤]، فالرجل له فَضْلٌ علىٰ المرأة

بالقيام علىٰ نفقتها.

ب- النفقة مقيَّدة بحال الرجل، فالغنيُّ يُنفِق علىٰ قَدْرِ غناه ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾، والفقير يُنفق علىٰ قَدْرِ فقره ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُۚ﴾.

والنبيُّ ﷺ أباح لهند بنت عُتْبة، زوجة أبي سفيان لما شَكَتْ إليه شُحَّ زوجِها، أن تأخذ من مال زوجها ما يكفيها وولدها بالمعروف. متفق عليه.

وقد قال ﷺ: «وَحَقُّهُنَّ عَلَيْكُمْ أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِنَّ فِي كِسْوَتِهِنَّ وَطَعَامِهِنَّ». الترمذي برقم (١١٦٣)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٨٨٠). ذلك أن اللهَ تعالىٰ لما أمر المرأةَ أن تقومَ علىٰ رعاية زوجها وحُسْن التبعُّل له وتهيئة نفسها ورعاية حَشَمِه وولده وحِفظ ماله، فأكرمها ولم يُهنها بالنزول إلىٰ حلبة الحياة لطلب الرزق والتكسب، احترامًا لذاتها وصيانةً لعرضها وتشريفًا لقدرها، فأوجب علىٰ الزوج النفقة واعتبره إثمًا إذا ضيَّعها.

قال ﷺ: «كَفَىٰ بِالْمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ (أي: من تلزمه نفقته)». أبو داود برقم (١٦٩٢).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ سَائِلٌ كُلَّ راعٍ عَمَّا اسْتَرْعَاهُ». الترمذي برقم (١٧٠٥).

وأما النفقة فتكون في:

أ- المهر: وهو حقٌّ للزوجة، ويُرجَع فيه إلىٰ العلماء وكتب الفقه.

ب- الإطعام، وهو مُلزَمٌ به شرعًا باعتدال، بلا إفراطٍ ولا تفريطٍ، وللمرأة أن تأخذ المال بيدها طالما ثبت أنها تُحسِن التصرف.

جـ- الكسوة، وهذه الكسوة بالمعروف الشرعي.

د- السكن، وهو أيضًا بالمعروف الشرعي.

ونقول: إن علىٰ الزوج الاعتدال في النفقة عمومًا، فيطعمها ويكسوها ويسكنها علىٰ قدر حالها هي قبل الزواج، فالمرأة التي لها مكانةٌ لا يُعاملها معاملة الفقراء والضعفاء، فإن ذلك فيه من الضرر والأذىٰ ما لا يخفىٰ، وإن كان علىٰ المرأة أن تصبر علىٰ ظروف زوجها إن إصابته أحوالٌ مغايرة.

حسن الخلق: كان رسولُ الله ﷺ أرحمَ الناس بالنساء والصبيان، فقد قال ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ». مسلم برقم (١٤٦٩).

قال لقمان لابنه: ينبغي للعاقل أن يكونَ في أهله كالصبيِّ، وإذا كان في القوم وُجِد رجلًا.

فحُسن الخلق صفة الكرام، فلا يكرمهن إلا كريم، ولا يهينهن إلا لئيم.

والمعاملة الكريمة تكون في التالي:

١- أن تُعاملها بالأخلاق الحسنة، قال ﷺ: «وَلَا تَضْرِبِ الوَجْهَ، وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي البَيْتِ». أحمد في مسنده (٤/ ٤٤٦) برقم (٢٠٠٢٥)، حسنه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٣٢٥٩). فعلىٰ الزوج أن يُراعي الاعتدالَ، ويحافظ علىٰ هيبته وتحفظه لو رأىٰ منكرًا، ولا يفتح باب المساعدة علىٰ المنكرات وما يخالف الشرع والمروءة.

٢- احتمال الأذىٰ والصبر والرحمة عليهن، فيَحْلُم علىٰ غضبها، فيجب علىٰ الرجل أن يكونَ في بيته زوجًا مع زوجته، وأبًا مع أولاده، وفي مسجده شيخًا عابدًا، وفي عمله صانعًا أو عاملًا أو مهندسًا، ولا يخلط بين هذا أو ذاك، فلا يكون في بيته الآمرَ الناهي، أو المدير العام، أو رئيس مجلس الإدارة، فيعامل أهله كأنها السكرتيرة أو الساعي أو الموظف عنده.

٣- الاعتدال في حياته، بالممازحة والانبساط واللين.

٤- الاعتدال في الغيرة، فلا يتغافل عن بدايات الأمور التي تُخشىٰ عواقبها، كالاختلاط مع الرجال أو النساء الفاسدات، أو كثرة التزين بغير حاجة، أو كثرة الخروج بغير سبب مقبول، كذلك لا يُبالغ في إساءة الظن والتعنُّت في السؤال عنها والتجسس علىٰ بواطن أمورها.

قال عليٌّ رضي الله عنه: لا تُكثِر الغَيْرَة علىٰ أهلك فترُمىٰ (أي: فتتَّهم) بالسوء من أجلك. وأما الغيرة في محلِّها فلابد منها، وهي صفة محمودة.

وقد كان الحسن يقول: قبَّح الله من لا يَغَارُ.

٥- التزين لها بما تحب، وكان ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا يقول: إني أُحِبُّ أن أتزيَّن لامرأتي كما أُحب أن تتزيَّن لي. وليحرص كلُّ رجلٍ علىٰ التزيُّن في بيته والتعطُّر، وتنظيف الجسم، مثل الإبط والعانة، وتخليل الفم وغسل الأسنان وتغيير الثياب وتعطير نفسه عند النوم، وترك العادات السيئة في النظافة، مثل تَرْك الأظافر، وتَرْك الاستحمام فتراتٍ طويلةً، واستعمال الثياب المبتذلة (المهينة السيئة).

٦- الإحسان إلىٰ أهلها، وخاصة مع والديها، ولا يُذكرُ أهلُ الزوج أو الزوجة بالنقائص، فهذا مما يُفسد العلاقة الزوجية، كما يحدث حين يكون شجارٌ بين المرأة وأهلها فتأنس لزوجها ثم تفضح أهلَها وتقصُّ عليه بعضَ النقائص مما يُحقِّر أهلَها في نظر الزوج، وهذا مما يُسبِّب المشاكل التي قد تؤدي إلىٰ الطلاق، فلا ينبغي لها أن تُفشي سره ولا يفشي هو سرها، حتىٰ وإن طلَّقها، فقد قال ﷺ: «إِنْ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يومَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلىٰ المَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». مسلم برقم (١٤٣٧).

وأراد أحدُ الصالحين طلاقَ امرأته، فقيل له: ما بها؟ وما يَرِيبك بها؟ قال: العاقلُ لا يهتك سِتْر امرأته. فلما طلَّقها قيل له: الآن قل لنا لم طلقتَها؟ قال: الآن ما لي ولها، إنما هي الآن لعلها تكون امرأة غيري، فلا أتكلم عن عِرض غيري.

٧- حقُّ الإعفاف، فقد يُضيِّع الرجلُ حقَّ امرأته بالسهر خارج البيت كثيرًا، فيرجع متعبًا كسلان خاملًا، وفي هذا تضييع لحقها وحرمانها من العطف والحنان، وحرمانها من الإعفاف والإحسان، فالسهر دمَّر بيوت المسلمين، والعشرة تحتاج إلىٰ شيءٍ من التضحية وتبادل مشاعر الوُدِّ والحب والحنان، فينبغي أن نُضحِّي ببعض أوقاتنا الخاصة من أجل حقوق الزوجات، سواء كانت في دنيانا أو ديننا، أو لهونا.

ملخَّص حقوق الزوجة والعشرة الحسنة:

- أن يُحسِن معاشرتها بالكرم وحسن الخلق.
- أن يصبر علىٰ الأذىٰ إذا صدر منها وإن تجاوزت بعض الشيء.

●أن يعفو عن زلتها وأخطائها التي لا تقدح في شرفه ولا كرامته.

●أن يخدمها إن احتاجت إلىٰ الخدمة، وله في الرسول الكريم أسوة.

●أن يصبر عليها إذا مرضت أو ضعفت أو كبرت في السن.

●أن يُعلِّمها ما تحتاج إليه من أحكام دينها، كالطهارة والوضوء والصلاة مما لابد لها من معرفته أو يدلها علىٰ من يعلمها وييسر لها ذلك.

●ألا يظلمها شيئًا من حقوقها المذكورة سابقًا.

●ألا يفرض عليها خدمته قسرًا وقهرًا، وإنما احترامًا للعادات والمعروف والفضل بينهما.

●ألا يلبس ولا يأكل ما يؤذيها فإن لها حقًّا مثل حقه في التجمل والتلطف والتعطر.

●ألا يمنعها زيارة والديها ولا الخروج للمسجد إلا لعذر.

●أن يُؤانسها ويُلاعبها ويتلطَّف معها دون أن يعلمها ما يفسدها.

●أن يتزين لها ويتجمل كما يحب أن تتزين له كذلك.

●ألا يُطيل التكاسل أو تعمُّد إهمال المباشرة واللقاء- أي: الوقاع- بغير عذر مقبول، وخاصة عند رجوعه من السفر؛ لإعفافها.

●ألا يجرح مشاعرَها مع أقاربها وأهلها بذكر ما تكره من الأعمال أو التصرفات أو الخصال، بل عليه أن يمدحها ويحترمها، ولا يهينها أمام أهلها أو أقاربها ولا يتكلم معهم بفحش الكلام عنها.

●ألا يُفشي لها سرًّا ولا يفضحها بل عليه أن يكتم السر عملًا بالشرع.

●أن يهديها في المناسبات وغيرها لإنشاء الحبِّ والوُدِّ.

●أن يقدم الشكر لها علىٰ خدماتها وأعمالها له وللأسرة، وأن يذكر محاسنها أمامها وأمام الأولاد وأمام أسرتها وأسرته.

●أن يستحسن فعلها عند التجمُّل له، وأن يبدي الإعجاب والود والكلام اللطيف؛

مما يساعدها علىٰ تكرار ذلك الفعل له، مع لطيف الكلام في التليفون مثلًا وعند اللقاء والسلام وكأنها زوجة جديدة معه في فترة الخطوبة.

- أن يجتمعا معًا علىٰ طعام كالعشاء مثلًا كلَّ فترة، مع ترك الأولاد مع ذويهم إن أمكنه ذلك، فإن هذا مما يقوي العاطفة ويساعد الزوجة علىٰ كثير من الصبر علىٰ مشكلات الحياة، ويُوجِد نوعًا من الذكريات الجميلة.

- ألا يمدح أمامها امرأة أبدًا في شيءٍ من أعمال الدين أو الدنيا، وخاصة لو كانت في مثل سنها حيث إن الغيرة طبع في النساء وكلنا يذكر ما فعلت أمنا عائشة حينما ذكرت أمامها خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فلا تقارنها بامرأة وإن كانت أمها، فهذا مما يبعث الضيق في نفسها والغيرة.

- ألا يَمُنَّ عليها بهداياه وأفعاله وصفاته؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، بل عليه أن يجعل أخلاقه وسلوكياته فرصة لها حتىٰ تشكر تلك النعمة عن طريق ترك المَنِّ عليها.

- ألا يعاملها معاملة يضطرها فيها لإساءة معاملته ثم يندم بعد ذلك، ولكن بالتي هي أحسن؛ أي بسعة الأخلاق وكرم النفقة.

وأخيرًا: المرأة مخلوق رقيق وجميل، ومن اليسير علىٰ الرجال المميزين بالعقول والأفهام والقوة والصبر أن يَحْتَوُوا هذا المخلوقَ.

(أدوار الحياة الزوجية)

أحدُ أهمِّ أسباب الطلاق المُبكِّر بين الأزواج هو عدمُ فهم كلِّ طرفٍ لدور الطرف الآخر في الحياة، وعدم معرفة كلٍّ منهما بما عليه من واجبات وما له من حقوق.

إن لكلٍّ منا أدوارًا في الحياة تختلف من حينٍ لآخر، ومن طرفٍ لآخر، ومن نوع لآخر، وعلىٰ كلٍّ منا أن يُعين الطرف الآخر في تحقيق المصلحة العليا والفضلىٰ من دوره

في الحياة؛ لتمضي المسيرة صحيحةً وتُخرج ثمرتها أطفالًا يعيشون في كنف أبوين عاقلين صالحين في مجتمعٍ سويٍّ ناضج تختفي أو تقلُّ فيه دعاوىٰ الطلاق المبكر وفضائح ساحات القضاء وظاهرة أطفال الشوارع.

إن للمرأة ثلاثةَ أدوار في حياتها الزوجية: فهي زوجة، وأمٌّ، وربة منزل.

• فهي الزوجةُ الجميلة التي تُحسن التزين لزوجها في الوقت المناسب، تتخيَّر فيه الملابس والألفاظ والروائح التي تُحقِّق لحظات المودة والحب والسعادة.

وهي أحدُ أهمِّ أركان الزواج، فعلىٰ المرأة ألا تُضيِّع هذا الدور انشغالًا بدورها كأم أو ربة منزل، وبخاصة في أول الزواج، حيث الأمومة لم تنشأ بعدُ، وعليها أن تعلم أنه أمر عظيم، إذا تمَّ الاستغناءُ عنه أو الإهمال فيه فستخسر فيه كثيرًا جدًّا، فلا يصح مثلًا أن تُحدِّثه عن متاعب المنزل أو أية مشاكل أو خلافات من أيِّ نوع لحظةَ آدائها لدور الزوجة، ولتطرح كلَّ الأدوار خلف ظهرها وكأنها لا تلعب في حياتها إلا هذا الدور.

وعليكَ أيها الزوجُ الكريم أن تُساعدها علىٰ النجاح في هذا الدور شيئًا فشيئًا، فلا تتغافل عن أناقتها وتَعَبها في وضع أدوات الجمال في شكلها وملابسها، ولا عن تفرُّغها المتعمد لهذا الدور، فلا تُحاسِبْها في هذا الوقت عن دور ربة المنزل وتطلب طعامًا خاصًّا أو مشروبًا يتطلب مجهودًا أو أن تُنظِّف الغرفة وما إلىٰ ذلك.

بل من الأفضل لمن كان لديه سَعَة في ماله أن يخرج هو وزوجته معًا لتناول طعامهما في مكان جميل، أو سفرٍ قصير كلَّ شهر أو حتىٰ شهرين لقضاء ليلة جميلة بعيدًا عن الأدوار الأخرىٰ، أو حتىٰ لقضاء ليلة تحت أضواء الشموع لمن تسمح له حياته بذلك.

فالنصيحة: ساعدوا بعضكم في نجاح هذا الدور المهم.

• والدور الثاني دورُها كأمٍّ لأولادها، تُربِّيهم وتعلمهم وتطعمهم، وتعتني بتفاصيل حياتهم ليخرجوا رجالًا ونساءً محترمين، تفخر بهم أمتهم؛ فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعبًا طيب الأعراق. وهو دور مهمٌّ وعظيم، لا يقلُّ أهميةً عن باقي الأدوار، فعلىٰ

الزوجة أن تُعطي اهتمامًا مناسبًا في الوقت بهذا الدور، وتتغاضىٰ في ذلك الوقت عن أدوارها الأخرىٰ قليلًا، وتُعطي أولادها اهتمامًا أكبر.

وعلىٰ الزوج المحترم أن يُساعدَها في هذا الوقت علىٰ إنجاح دورها، ولا يشغلها فيه بطلب دور الزوجية، ويتعلل ويقول: أصبحتِ أكثرَ اهتمامًا بالأولاد. وينسىٰ أنه من الضروري أن تُحسن أداء هذا الدور، وإلا فإنه عند فشل الأولاد فلن يرحم بعضُنا بعضًا، وقد تفسد الحياة، ويحدث الطلاق الذي يأتي حلًّا لعقول لم تستوعب أدوارها.

• والدور الثالث دورُها كرَبَّة منزل، تقوم فيه الزوجةُ الصالحة برعاية المنزل، وتوفير أسباب الراحة فيه: من نظافة، ونظام، وسهولة حياة، من طعام وشراب ونوم هادئ مريح. مما قد يتطلَّب فراغًا وصحة ووقتًا، قد تُهمِل فيه المرأة شكلها الجميل أمام زوجها بسبب عمليات النظافة والترتيب، فلا يعقل أن تقوم بإفساد ملابسها الجميلة في أثناء إعداد الطعام أو تنظيف الحمام أو خلافه تقليدًا لممثلات التلفزيون.

فلا تنسَ أيها الزوج الكريم أن ما يحدث في التليفزيون إنما هو أدبيات الدراما يظهر فيها الأطراف المختلفون في أجمل صورهم لتحقيق أعلىٰ نسبةِ مشاهدةٍ وصولًا للشهرة والمكسب ليس إلا، وإلا فهناك الكثير ممن تراهُنَّ في الأفلام والمسلسلات مطلقات وعوانس أيضًا ويَعِشْنَ مشكلات كبقية النساء. فلا تنخدع بهذه الأشكال بحثًا عن وهم وشكل مثالي غير موجود في الحياة، واسأل وستعرف!

فعلىٰ الزوج أن يتوارىٰ حينئذٍ بعيدًا عن زوجته، ولا يقتحم عليها دورها أثناء تنظيف البيت أو إعداد الطعام، بل من الأولىٰ أن يتصل تليفونيًّا قبل مجيئه بوقتٍ كافٍ يسمح لها بالانتهاء مما في يديها ليترك لها وقتًا كافيًا لتُنظِّف نفسَها وتتزيَّن له التزيُّن المناسب.

وعلىٰ الزوجة العاقلة أن تختار أوقات غياب زوجها إن أمكن أو تستأذن منه أن يسمح لها بأداء هذا الدور بعيدًا عن عينيه.

• ولله دَرُّ المرأة التي اضطُرَّت إلىٰ العمل اضطرارًا، فعندها دور رابعٌ، كان الله في

عونها، وهو قيامها بالعمل والنفقة أحيانًا علىٰ بيتها تعاونًا مع زوجها.

فعلىٰ الزوج العاقل أن يتفهم هذا الدور ويُعينها ويساعدها قدر المستطاع علىٰ أداء باقي أدوارها. ولا ننسَ أنَّ رسولَ الله ﷺ كان في مهنة أهله يُساعد ويتعاون [البخاري برقم (٦٧٦)]، وهو مَن هو في المسئولية والانشغال وعِظَم دوره في الحياة، فليس هناك من هو أعظم منه انشغالًا ولا أهمية في مسئوليته تجاه هداية البشرية جميعًا، ومع ذلك لم ينسَ دوره كزوج، فكان يعطي من مشاعره ويتفاعل مع زوجاته الكرام.

والكلام نفسه نقوله عن أدوار الرجل، فهو الزوج الحنون، والأب المحترم، وربُّ المنزل الكريم، وعلىٰ الزوجة العاقلة أن تتفهَّم اختلاف الأدوار والأداء في كلِّ حين وظرف، فقد يعود للمنزل مُحمَّلًا بأعباء الحياة والحصول علىٰ الرزق الحلال، وما أدراكم بصعوبته في وسط الدنيا الآن، فهو يحتاج لحظةَ عودته إلىٰ الزوجة الحنون في استقبالها الجميل، وعنايتها الشخصية التي تنسىٰ في هذه اللحظات القليلة أدوارها كأم، فلا تحكي مشكلة الأولاد المهملين في دروسهم، ولا مشكلة السباك، ولا الكهربائي، ولا... ولا... بل زوجة جميلة تستقبل رجلًا كريمًا مُتعبًا يَنشُد الراحة والتلذذ بالحياة بصحبة امرأة واعية ذكية تسرُّه إذا نظر إليها.

وعلىٰ الزوج أن يعرف أن هذا الدور من كليهما يتطلَّب عدم التطرق لنظافة المنزل، ولا مشاكل الأولاد، وليجعل النقاش والحوار حول هذه الموضوعات المهمة في وقتٍ يقوم فيه الطرفان بدور أرباب المنزل كآباء وأمهات.

وفي بعض الأحيان يُمارس الرجل دوره كرب المنزل فيطلب أشياء ويسأل عن أشياء وينشغل حينئذٍ بعمله وباتصالات ضرورية لإنجاز مهمة حياته، فلا ينبغي أن تلومه الزوجة أو تؤنبه علىٰ ذلك، بل ينبغي عليها أن تساعده علىٰ التفرغ للأمور الأخرىٰ في أنسب وقت، ولتتفهم صعوبة حياته ومهنته في بعض الأحيان.

ثم إذا قام بدور الأب في وجود الأولاد فعليها أن تحترمه في وجوده ومن وراء ظهره

كذلك، لينشأ الأولاد علىٰ احترام عقد الزوجية، فلا يعقل أن تنقل المرأة مشكلاتها لأولادها وتُطلعهم علىٰ تقصيره في أدوار الزوجية أو ربوبية المنزل.

وعليها أن تحترم دوره كأب ولا تُضعفه أمام الأولاد، فلا تخلط الأوراق، فإذا حدث بين الأطراف نزاعٌ في دور الزوجية فلا تنقله لدور الأبوة والأمومة، بل تحاول حلَّه بعيدًا عن أسماع وأعين الأولاد.

إن معرفة كلٍّ منا بأدواره وأدوار غيره في الحياة شيء مهم لنجاح مهمتنا في هذه الدنيا، فلا يعقل بعد الزواج والارتباط أن نُطالب بعضَنا بأشياءَ ومهمات ووظائف دون معرفة الوقت المناسب والشكل المطلوب والأنسب لها. إن هذا كله يتطلب دراية وعلمًا بفقه الأولويات في حياتنا، فنجاح حياتنا مرتبط بفهمنا واستيعابنا لمهمة الأسرة في الحياة.

ولنعلم أن حياتنا الأصلية هي في الدار الآخرة، وأن في قيامنا بدور من أدوار حياتنا ثوابًا لمن أحسن فيه وعقابًا لمن أساء فيه، وأن الحياة فيها أوقات سعيدة وجميلة لمن يُحسن فهمها ويعرف أدوارها.

والكلام يطول، لكن انظر حولك وابحث عن صديقٍ صدوق يُعينك علىٰ فهم حياتك، أو عالمٍ فاضل تتعلم منه شيئًا نافعًا. وحافِظْ جيدًا علىٰ أسرتك وعائلتك، وكن عونًا علىٰ الحق والبر والخير. وأسأل الله أن يُعينني أن أُعِدَّ مُؤلَّفًا في هذا الأمر يكون عونًا للأزواج في مسيرة حياتهم ومرجعًا لهم عند الظروف المختلفة.

* * *

٣٥- باب حق الزوج على المرأة

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

وأما الأحاديث فمنها حديث عمرو بن الأَحْوَصِ السَّابق في الباب قبله.

(٢٨١/ ٣٥) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امرَأتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَلَمْ تَأْتِهِ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبحَ». متفق عليه.

وفي رواية لهما: «إِذَا بَاتَت المَرأةُ هَاجِرَةً فِرَاشَ زَوْجِهَا لَعَنَتْهَا المَلائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبحَ».

وفي رواية: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ رَجُلٍ يَدْعُو امْرَأتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَتَأبَىٰ عَلَيهِ إِلَّا كَانَ الَّذِي في السَّمَاءِ سَاخِطًا عَلَيْهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ عَنها».

(٢٨٢/ ٣٥) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه أيضًا: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا يَحِلُّ لامْرَأةٍ أنْ تَصُومَ وزَوْجُهَا شَاهدٌ إِلَّا بإِذْنِهِ، وَلا تَأذَنَ في بَيْتِهِ إِلَّا بِإذْنِهِ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٢٨٣/ ٣٥) وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كلكم رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ؛ وَالأمِيرُ رَاعٍ، والرَّجُلُ رَاعٍ عَلَىٰ أهْلِ بيتِهِ، وَالمَرْأةُ رَاعِيةٌ عَلَىٰ بَيْتِ زَوْجها وَوَلَدِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه.

(٢٨٤/ ٣٥) وعن أَبي علي طَلْق بن علي رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ زَوْجَتهُ لحاجَتِهِ فَلْتَأتِهِ وَإنْ كَانَتْ عَلَىٰ التَّنُّور (أي: التنور: الفرن الذي يُخبَز فيه)». رواه الترمذي والنسائي، وقال الترمذي: «حديث حسن صحيح».

(٢٨٥/ ٣٥) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ كُنْتُ آمِرًا أحَدًا أنْ يَسْجُدَ لأحَدٍ لأَمَرْتُ المَرأةَ أنْ تَسْجُدَ لزوجِهَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٢٨٦/ ٣٥) وعن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «أيُّمَا امْرَأةٍ مَاتَت، وَزَوْجُهَا عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٢٨٧/ ٣٥) وعن مُعَاذ بن جَبَلٍ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لا تُؤذِي امْرَأةٌ زَوْجَهَا في الدُّنْيَا إِلَّا قَالَتْ زَوْجَتُهُ مِنَ الحُورِ العِينِ لا تُؤذِيهِ قَاتَلكِ اللهُ! فَإِنَّمَا هُوَ عِنْدَكِ دَخِيلٌ (أي: ضيف) يُوشِكُ أنْ يُفارِقَكِ إِلَيْنَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٢٨٨/ ٣٥) وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً هِيَ أَضَرُّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّساءِ». متفق عليه.

❊ ❊ ❊

(حق الزوج على زوجته)

إن صلاحَ الإنسان بقيامه علىٰ ما أُمِر به، وليس علىٰ ما يراه هو بنفسه، فصلاح المرأة بقيامها علىٰ طاعة أوامر الله تبارك وتعالىٰ وأوامر زوجها الصالح؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا ٣٦﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧].

فاللهُ تبارك وتعالىٰ نهانا عن اختيار شكلِ العبودية المحبوب لدينا وَفْقًا لهوانا، فلا يتمنىٰ أحدُنا أن يسلب نعمةَ غيره ليأخذها هو، وإنما يرجو أن يُعطَىٰ أسبابَ العبودية وأسبابَ النجاح فيها، ويعلمنا أن نسأله تبارك وتعالىٰ من جميع مصالحنا الدينية والدنيوية.

فعلىٰ النساء ألا يَنْظُرْنَ إلىٰ خِلقة الرجال ويَقُلْنَ: لماذا لم يخلقنا اللهُ رجالًا؟ ولماذا لم نُعطَ مثل حقوقهم؟ لأن اللهَ كان بكل شيء عليمًا، فهو أعلم بمصلحة خلقه؛ لهذا يُعطي من يراه أهلًا لذلك ويمنع عمن يعلمه غيرَ مستحقٍّ لذلك، وهذا رحمة منه ومعونة علىٰ تحقيق عبوديتنا له؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٞ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

حقوق الزوج:

١- حق القوامة: وهو تكليفٌ من الله تعالىٰ للرجال بالقيام بإلزام النساء بأداء حقوق الله تعالىٰ من أركان الدين وفرائضه، والمحافظة عليها، وكَفِّهِنَّ عن المفاسد، وكذلك الإنفاق عليهن من الطعام والكسوة والسكن. أي إن القوامة هي رعاية دينِهِنَّ ودنياهُنَّ.

وهذا الحقُّ أعطاه اللهُ تبارك وتعالىٰ للزوج، ولا يكون الاستقرار إلا به، وبالتفريط في هذا الحق تأتي معظم المشكلات، ويأتي بسبب ذلك الفشلُ الزوجي والطلاق.

ومن دلائله الشرعية أن اللهَ جعل النبوة والرسالات والولايات في الرجال مطلقًا، فلا

تحاول المرأة أن تنزع الرجلَ حقَّه في هذا أبدًا. فقد جاءت امرأةٌ إلىٰ رسول الله ﷺ فقال لها: «أَذَاتُ زَوْجٍ أَنْتِ؟». قالت: نعم. قال: «فَأَيْنَ أَنْتِ مِنْهُ؟». قالت: ما آلوه إلا ما عجزت عنه (أي: لا أقصر عن شيء أقدر عليه) قال: «فَأَيْنَ أَنْتِ لَهُ؛ فَإِنَّهُ جَنَّتُكِ وَنَارُكِ». أحمد في «مسنده» (٤/ ٣٤١) برقم (١٩٠٢٥)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٥٠٩).

فالقَوَامة هي حقُّ تدبير الأمور الدينية والدنيوية بالاجتهاد والنظر وتنفيذ ما رآه حسنًا له ولأسرته، أي حق توجيه وإرشاد وتعليم، وليس حق استبداد واستعباد وقهر وضرر؛ فلهذا يجب علىٰ المرأة أن تخضع وتقبل هذا الحقَّ.

وعلىٰ الرجل ألا يمنعها من مشاركته في كل الآراء، بل يأخذ برأيها في كثير من الأمور، وعليها أن تقبل أن يكونَ الفصل والرأي الأخير للزوج وحده.

ونلاحظ أن المرأةَ كثيرًا ما تُحاول أن تنزع هذا الحقَّ من الرجال، وأكثر ما يكون عند كبر سنِّ الرجال، ونُحذِّر من ذلك؛ لأن فيه ضياعَ القيم التي ارتضاها اللهُ، كما أنه يُخالف الفطرة؛ وهذا مما لا يخفىٰ علينا مشروطٌ بحُسن قيام الرجال علىٰ دينهم ودنياهم بالحقِّ والعدل.

فعلىٰ الرجل القيامُ بالحقِّ والعدل، وعلىٰ المرأة ألا تسعىٰ لإفساد هذا الحق علىٰ الرجل، بل تسعىٰ في مساعدته علىٰ القيام به، وبخاصة مع أولاده.

٢-حق الطاعة: فالمرأة مأمورة بأن تُطيع زوجها مطلقًا في كل ما طلب منها في نفسها مما لا معصية فيه، وهذا مشروط بطاعة زوجها لله، فإن كان في أمر واجب أو فرض صار أكيدًا.

قال ﷺ: «إذا صَلَّتِ المَرْأَةُ خَمْسَها، وصامت شهرَها، وحَفِظَتْ فَرْجَها، وأطاعَتْ زوجها، قيل لها: ادخلي مِن أيِّ أبوابِ الجنةِ شِئْتِ» [أحمد في مسنده (١/ ١٩١) برقم (١٦٦١)].

وقال ﷺ: «لو كُنْتُ آمِرًا أحدًا أَنْ يَسجُدَ لِأَحدٍ لَأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسجُدَ لِزَوْجِها» [أحمد في مسنده (٤/ ٣٨١) برقم (١٩٤٢٢)].

وقال ﷺ: «أَيُّما امْرَأَةٍ مَاتَتْ وَزَوْجُها عَنْهَا رَاضٍ دَخَلَتِ الجَنَّةَ». الترمذي برقم (١١٦١)، وقال: حديث

حسن غريب. فعلىٰ المرأة طاعةُ زوجها في السر والعلانية، فيما لا معصية فيه لله ولرسوله، وأول مظاهر هذه الطاعة:

أ- في حقِّ نفسه: إذا دعاها لإعفاف نفسه عن الحرام؛ قال ﷺ: «إذا دعا الرجلُ امرأتَهُ إلىٰ فِراشِه فلم تَأْتِهِ فبات غضبانَ عليها لعنتها الملائكةُ حتىٰ تُصبحَ» متفق عليه.

ويُستثنىٰ من ذلك ما إذا كانت مريضةً أو ذاتَ عُذْرٍ، فيحقُّ لها فيه الاعتذارُ، وينبغي لها أن تعتذرَ بطريقة تُظهر بها أن الأمرَ خارجٌ عن إرادتها، باللطف واللين.

ب- لا تصوم تطوعًا إلا بإذنه: حفاظًا علىٰ هذا الحق؛ قال ﷺ: «لَا يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ». متفق عليه.

جـ- لا تخرج من بيته إلا بإذنه: وقد أشار النبيُّ ﷺ إلىٰ ذلك بقوله: «إِذَا اسْتَأْذَنَتْ أَحَدَكُمُ امْرَأَتُهُ فِي الْمَسْجِدِ فَلْيَأْذَنْ لَهَا» [متفق عليه]، فإذا كانت الصلاةُ وهي أعظم شعائر الدين بعد الشهادتين لا تخرج لها المرأة إلا بإذن زوجها، فمِن الأَوْلىٰ ألا تخرج لأي سببٍ آخر أيضًا إلا بإذنه، ومع اعتياد خروجها بدون إذن الزوج تصير ناشزًا مما يُضيِّع عليها حقوقًا كثيرة.

ومما يروىٰ في هذا الباب عن ابن عمر مرفوعًا: «إن المرأةَ إذا خَرجَتْ من بيتها وَزَوْجُهَا كارِهٌ لَعَنَهَا كلُّ مَلَكٍ في السماء وكلُّ شيءٍ مرَّت عَلَيْهِ غَيْرَ الجنِّ وَالْإِنْسِ حَتَّىٰ تَرْجِعَ». الطبراني في «الأوسط» (١/ ١٦٤) برقم (٥١٣). فإذا خَرَجَتِ الزوجةُ فبالأدب والتخفِّي، وتطلب المواضعَ الخالية البعيدة عن الاختلاط، وتتنكر علىٰ من تظن أنه يعرفها وتعرفه.

د- الأمانة والستر والصيانة لنفسها: فلا تأذن لأحدٍ أن يدخل بيت زوجها إلا بإذنه؛ قال ﷺ: «وَلَا تَأْذَنْ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ» [متفق عليه]، وبالضوابط الشرعية، فلا تسمح بدخول الرجال؛ أمثال أخِ الزوج وابن العم وابن الخال وغيرهم ممن لا يحل لهم الاختلاء بها في غير حضرته؛ قال ﷺ لما سئل عن الحمو: «الحَمْوُ (أي: أقارب الزوج من الرجال كالأخ والأب) المَوْتُ». كذلك للزوج الحقُّ في مَنْع دخول بعض أقاربها عليها إذا كان

معروفًا بالإفساد، وله أن يمنع من يتدخل في الإفساد بينه وبين زوجته، حتىٰ لو كان من المحارم، إلا في وجوده، حتىٰ لا يُفسد صلة الأرحام، وله أيضًا ألا تُكلِّم رجلًا من غير محارمها إلا بإذنه.

هـ- حِفْظ مال الزوج: فلها أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاه به، وقد رُخِّص لها في إهداء الطعام الذي أوشك علىٰ الفساد؛ قال ﷺ: «إِذَا أَنْفَقَتِ المَرْأَةُ مِنْ طَعَامِ بَيْتِهَا غَيْرَ مُفْسِدَةٍ كَانَ لَهَا أَجْرُهَا بِمَا أَنْفَقَتْ وَلِزَوْجِهَا أَجْرُهُ بِمَا كَسَبَ» [متفق عليه]، وفي حديث هند الذي قال فيه ﷺ: «خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمعْرُوفِ» متفق عليه.

و- حِفْظ فراشه في حال غيابه عنها: سواء في عمل أو سفر؛ قال تعالىٰ: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ٣٤]؛ ولذلك يلزمها عدمُ الاسترسال مع أصدقاء الزوج في التليفونات غيرةً علىٰ نفسها وعليه.

ز- حِفْظ أسرار الزوج وأموره الخاصة: ويُستثنىٰ في حال التعليم، أو الشكوىٰ من الظلم للقاضي أو لمن له قدرة علىٰ الفصل في الأحكام.

قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ شَرِّ النَّاسِ عِنْدَ الله مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلُ يُفْضِي إِلَىٰ المَرْأَةِ وَتُفْضِي إِلَيْهِ ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا» [مسلم برقم (١٤٣٧)].

ومما يروىٰ عن النبي ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لا يَقْبَلُ اللهُ لَهُمْ صَلَاةً وَلَا تَصْعَدُ لَهُمْ حَسَنَةٌ: الْعَبْدُ الآبِقُ حَتَّىٰ يَرْجِعَ إِلَىٰ مَوَالِيه فَيَضَع يَدَهُ فِي أَيْدِيهِمْ، وَالمَرْأَةُ السَّاخِطُ عَلَيْهَا زَوْجُهَا حَتَّىٰ يَرْضَىٰ، وَالسَّكْرَانُ حَتَّىٰ يَصْحُوَ» [ابن خزيمة في «صحيحه» (٢/ ٦٩) برقم (٩٤٠)]، وبخاصة عند الخصام، فقد تشكو من باب الفضيحة له، وذلك غالبًا ما يحدث في حالات الطلاق وبعده.

ح- حُسْن التبعُّل وأداء حق الزوج والتزيُّن له: وهو من دواعي الفطرة السليمة، ومما ينبغي لوالديها تأديبُها به قبل نَقْلها إلىٰ بيت زوجها، فالتنظُّف بعد كلِّ عمل من أعمال المنزل وارتداء الثياب المناسبة للزوج من أهمِّ عوامل نجاح الحياة بين الزوجين.

ط- الخدمة، وقد أجمع العلماءُ علىٰ مشروعية خدمة المرأة لزوجها والقيام علىٰ رعايته؛

لأنه ليس هناك أفضلُ من أمهات المؤمنين، قال تعالىٰ: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

فللمرأة حقوقٌ وعليها واجبات، فعلىٰ المرأة أن تَخدُم زوجَها في البيت حتىٰ تُفرِّغه للمهمة المطلوبة منه خارجه، سواء لخدمة دينه أو للتكسُّب والنفقة علىٰ أهله وعياله، فلا تُحمِّله بأعباء بيته وتعيش هي مُترَفة وتقول: لا خدمة عليَّ، أو تُكلِّفه ما لا يُطيق من أعباء الخدمة. ولا بأس من أن تطلب المرأة من يساعدها في الخدمة من الآلات أو الخدم بما يتناسب مع ظروفهما، ونقول للرجال: تعاونوا في ذلك إذا وُجدت الضرورة أو الحاجة، فلا بأس من المساعدة.

وأما خدمة الرجل لأهله إذا كانت مريضةً أو ذات عذر فهو دليل علىٰ مكارم الأخلاق، وهو شأن أهل الفضل والكرم؛ قال ﷺ: «خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ». الترمذي برقم (٣٨٩٥). فإذا كانت نظيراتها ممن يجري العُرْف علىٰ خدمتهن فيلزم الزوجُ أن يأتي لها بخدمٍ ويستأجرهم لها دون تضييع للحقوق الأخرىٰ. والعلماء علىٰ خلاف بينهم في حكم خدمة المرأة لزوجها: فمنهم من رآها واجبة، ومنهم من رآها مستحبة.

قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رسول الله ﷺ يكون في مهنة أهله (أي: تعني في مساعدتهم)، فإذا حضرت الصلاة خَرَج إلىٰ الصلاة. البخاري برقم (٦٧٦). فعلىٰ الزوج مراعاة ظروف زوجته، فلا يُحمِّلها ما لا تطيق.

مُلخَّص حقوق الزوج على زوجته والعشرة الحسنة:

- أن تطيعه فيما يأمرها به سرًّا وعلانيةً في غير معصية.
- أن تحفظ مال الزوج وترعاه وتصونه بالمعروف.
- أن تقنع بحياتها التي قسم الله لها طالما بذل ما في وسعه.
- أن تبره في قسمه إذا أقسم عليها في غير معصية أو إثم.
- ألا تَكْفُرَ نعمته ولا تجحد نفقته وإكرامه لها.
- ألا تخرج من بيته إلا بإذنه.

- ألا تصوم تطوعًا إلا بإذنه.
- ألا تأذن في بيته بأشخاص أو أفعال يكرهها في بيته.
- ألا تأكل ولا تلبس ما يؤذيه، بل تحسن التزين والتبعُّل له.
- ألا تكلم رجلًا من غير محارمها إلا بإذنه.
- أن ترفق بأقاربه وتتأدب مع إخوته وأعمامه وأخواله.
- أن ترعىٰ أولاده في حياته وبعد مماته.
- أن تأخذ من ماله ما تعلم رضاه به، وأنه لا يغضب لسببه.
- ألا تتزوج بعده إن كان صالحًا لتكون زوجته في الجنة؛ فإن المرأة لآخر أزواجها.

نصائح للزوجات:

قال الله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

ولأن الزوجيةَ عملٌ عظيم فلا يصلح عملُ الزوجة مع زوجها إلا بالإخلاص والاتباع، وهذه نصائحُ لمن أرادت قبول عملها عند الله تعالىٰ:

١ - أن تقبل قَدَرَ الله لها، وتعرف أن الزواجَ قضية تعبُّديَّة بين الرجال والنساء، وأنها مُكلَّفة بتيسير حياة الرجال للقيام علىٰ مَهَامِّهم، مما يجعلها تصبر علىٰ مشاقِّها.

٢ - الدعاء والسؤال لله ﷻ أن يساعدها علىٰ ذلك.

٣ - أن تبتغي رضا الله ﷻ في ذلك.

٤ - أن تستعينَ بصاحبات الخير اللاتي يساعدنها علىٰ ذلك، وتبتعد عن صاحبات السوء اللاتي يُحرِّضْنها علىٰ التمرُّد والنُّشُوز.

٥ - أن تتأسَّىٰ بزوجات النبيِّ ﷺ وزوجات الصحابة الكرام، وتُذاكر سيرتهن في كتب السيرة.

٦- أن تتصبَّر علىٰ أذىٰ الزوج وأهله.

٧- أن تشكر نِعَم الزوج وتُحسن إليه بالتبسُّط وحسن الكلام.

٨- ألا تَسُبَّه أو تهينه، سواء في حضوره أو غيابه.

الوصية للزوجة: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا احتفلوا لامرأةٍ علىٰ زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقِّه: فقد أوصىٰ عبد الله بن جعفر رضي الله عنه ابنته قائلًا: إياك والغيرة؛ فإنها مِفتاح الطلاق. وإياك وكثرة الغضب؛ فإنه يُورث البغضاء. وعليك بالكحل؛ فإنه زين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

وقال أبو الدَّرْداء رضي الله عنه لامرأته: إذا رأيتِني غضبتُ فرَضِّني، وإذا رأيتُكِ غَضِبْتِ رَضَّيْتك، وإلا لم نصطحب.

وهذه وصيَّة أُمَامة بنت الحارث لابنتها أُمِّ إياس: أَيْ بُنَيَّة، إن الوصية لو تُرِكَتْ لفضلِ أدبٍ لتَرَكْتُ ذلك لك، ولكنها تذكرةٌ للغافل ومعونةٌ للعاقل، ولو أن امرأةً استغنت عن الزوج لِغِنَىٰ أبويها وشِدَّة حاجتهما إليها كُنتِ أغنىٰ الناس عنه، ولكن النساءَ خُلِقَتْ للرجال، ولهن خُلِقَ الرجال.

أَيْ بُنَيَّة، إنكِ فارقتِ الجوَّ الذي منه خرجت، وخَلَّفْتِ العُشَّ الذي فيه دَرَجْتِ، إلىٰ وَكْرٍ لم تعرفيه، وقرينٍ لم تَأْلَفِيه، فأصبح بمِلْكه عليك رقيبًا ومليكًا، فكُوني له أمةً يكن لك عبدًا، واحفظي له خصالًا عشرًا يكن لك ذخرًا:

أما **الأولىٰ والثانية**: فالصحبة له بالقناعة، وحسن السمع والطاعة.

وأما **الثالثة والرابعة**: فالتفقُّد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك علىٰ قبيحٍ، ولا يشمُّ منك إلا أطيب ريح.

وأما **الخامسة والسادسة**: فالتفقُّد لوقت منامه وطعامه؛ فإن حرارةَ الجوع مَلْهَبة، وتنغيص النوم مَغْضَبة.

وأما **السابعة والثامنة**: فالاحتفاظ بماله، والإرعاء علىٰ حشمه وعياله، ومِلَاك الأمر في المال حُسْن التقدير، وفي العيال حُسْن التدبير.

وأما **التاسعة والعاشرة**: فلا تَعْصِينَ له أمرًا، ولا تُفشين له سرًّا؛ فإنك إن خالفتِ أَمْرَه أَوْغَرْتِ صَدْرَه، وإن أَفْشَيْتِ سرَّه لم تأمني غدره. ثم إياك والفرحَ بين يديه إن كان مُهتمًّا، والكآبة بين يديه إن كان فرحًا.

وهذا أسماء بن خارجة قد أوصىٰ ابنتَه ليلة بنائها فقال: يا بنية، كان النساء أحقَّ بتأديبك، ولابد من تأديبك، كوني لزوجك أمة يكن لك عبدًا، ولا تقربي منه جبرًا فيَمَلَّكِ أو تَمَلِّيه، ولا تباعدي عنه فتثقلي عليه.

ومما يروىٰ في هذا الباب عن ابن عباس مرفوعا قال: جاءت امرأةٌ إلىٰ النبيِّ ﷺ فقالت: يا رسول الله، أنا وافدة النساء إليك، هذا الجهاد كتبه الله علىٰ الرجال، فإن يُصيبوا أُجِرُوا، وإن قُتِلوا كانوا أحياءً عند ربهم يُرزَقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك؟ فقال ﷺ: «**أَبْلِغِي مَنْ لَقِيتِ مِنَ النِّسَاءِ أَنَّ طَاعَةَ الزَّوْجِ وَاعْتِرَافًا بِحَقِّهِ يَعْدِلُ ذَلِكَ، وَقَلِيلٌ مِنْكُنَّ مَنْ يَفْعَلُهُ**». البزار في مسنده (٢/ ٢٠٤) برقم (٥٢٠٩).

❊ ❊ ❊

٣٦- باب النفقة على العيال

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿**وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ**﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿**لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا**﴾ [الطلاق: ٧].

وَقالَ تَعَالَىٰ: ﴿**وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ**﴾ [سبأ: ٣٩].

(٢٨٩/ ٣٦) وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبيلِ الله، وَدِينار أنْفَقْتَهُ في رَقَبَةٍ،** (أي: في عتق رقبة) **وَدينارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَىٰ مِسْكِينٍ، وَدِينارٌ أنفَقْتَهُ عَلَىٰ أهْلِكَ، أعْظَمُهَا أجرًا الَّذِي أنْفَقْتَهُ عَلَىٰ أهْلِكَ**». رواه مسلم.

(٢٩٠/ ٣٦) وعن أَبي عبدِ الله- ويُقالُ لَهُ: أبو عبدِ الرحمنِ- ثَوبَان بن بُجْدُد مَوْلَىٰ رَسُول الله ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ، وَدينَارٌ يُنْفقُهُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبيلِ الله، وَدِينارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبيلِ الله**». رواه مسلم.

(٢٩١/ ٣٦) وعن أمِّ سَلمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قُلْتُ: يا رَسُولَ الله، هَلْ لِي أجرٌ فِي بَنِي أَبي سَلَمَة أنْ أُنْفِقَ عَلَيْهِمْ، وَلَسْتُ بِتَارِكتهمْ هكَذَا وهكَذَا إنَّمَا هُمْ بَنِيَّ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، لَكِ أجْرُ مَا أنْفقتِ عَلَيْهِمْ». متفق عليه.

(٢٩٢/ ٣٦) وعن سعدِ بن أبي وَقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حديثه الطويل الَّذي قدمناه في أول الكتاب في باب النِّيَّة: أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ لَهُ: «وإنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ الله إلّا أُجِرْتَ بِهَا حَتَّىٰ مَا تَجْعَلُ في فِيِّ امرأتِك». متفق عليه.

(٢٩٣/ ٣٦) وعن أبي مسعودٍ البَدْريِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إذَا أنْفَقَ الرَّجُلُ عَلَىٰ أهْلِهِ نفقةً يَحْتَسِبُهَا فَهِيَ لَهُ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

(٢٩٤/ ٣٦) وعنْ عبدِ الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَفَىٰ بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يُضَيِّعَ مَنْ يَقُوتُ». حديث صحيح رواه أبو داود وغيره.

ورواه مسلم في صحيحه بمعناه، قال: «كَفَىٰ بِالمَرْءِ إثْمًا أنْ يحْبِسَ عَمَّنْ يَمْلِكُ قُوتَهُ».

(٢٩٥/ ٣٦) وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن النَّبيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْم يُصْبحُ العِبَادُ فِيهِ إلَّا مَلَكانِ يَنْزِلانِ، فَيقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفقًا خَلَفًا، ويَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفق عليه.

(٢٩٦/ ٣٦) وعنه: عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ». رواه البخاري.

٣٧- باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنفِقُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّآ أَخْرَجْنَا لَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ ۖ وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

(٢٩٧/ ٣٧) عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أكْثَرَ الأنْصار بالمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْل، وَكَانَ أَحَبُّ أمْوالِهِ إِلَيْه بَيْرحَاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْخُلُهَا

وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّب. قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: يا رَسُولَ الله، إنَّ الله تَعالَى أَنْزَلَ عَلَيْكَ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإِنَّ أَحبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرحاءُ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لله تَعالَى، أَرْجُو بِرَّهَا، وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعالَى، فَضَعْهَا يا رَسُولَ الله حَيْثُ أَرَاكَ الله، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَخٍ (أي: بخ: كلمة تُقال عند المدح والرضا بالشيء، وقد تُكرَّر للمبالغة)! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، وقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا في الأَقْرَبينَ»، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ الله، فَقَسَّمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أَقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ. متفق عليه.

قوله ﷺ: «مالٌ رابحٌ»، رُوِيَ في الصحيحين «رابحٌ» و«رايحٌ» بالباء الموحدة وبالياءِ المثناةِ، أي: رايح عَلَيْكَ نفعه.

و«بيرَحاءُ»: حديقة نخلٍ، وروي بكسرِ الباءِ وَفتحِها.

٣٨- باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه

قَالَ الله تعَالَى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢].

وقَال تعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ [التحريم: ٦].

(٢٩٨/ ٣٨) عن أَبي هريرةَ ﷺ قَالَ: أخذ الحسن بن علي ﷺ تَمْرَةً مِنْ تَمْرِ الصَّدَقَةِ فَجَعَلَهَا في فِيهِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «كِخْ كِخْ ارْمِ بِهَا، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّا لا نَأكُلُ الصَّدَقَةَ؟!». متفق عليه.

وفي رواية: «أَنَّا لا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ». وقوله: «كِخْ كِخْ» يقال: بإسكان الخاء، ويقال: بكسرها مَعَ التَّنوين، وهي: كلمة زجر للصبي عن المستقذراتِ، وكان الحسن ﷺ صبيًّا.

(٢٩٩/ ٣٨) وعن أَبي حفص عمر بن أبي سلمة عبد الله بن عبد الأسد ربيب رسول الله ﷺ قَالَ: كُنْتُ غلَامًا في حَجْرِ رَسُولِ الله ﷺ، وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ في الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «يَا غُلامُ، سَمِّ الله تَعَالَى، وَكُلْ بيَمِينكَ، وَكُلْ مِمَّا يَليكَ». فَمَا زَالَتْ تِلْكَ طِعْمَتي (أي: الهيئة التي آكل بها) بَعْدُ. متفق عليه. «وَتَطِيشُ»: تدور في نواحِي الصحفة.

(٣٠٠/ ٣٨) وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، والرَّجُلُ رَاعٍ في أَهْلِهِ وَمَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ،

وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مَالِ سَيِّدِهِ وَمَسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ». متفق عليه.

(٣٠١/ ٣٨) وعن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مُرُوا أوْلادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أبْنَاءُ سَبْعِ سِنينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ». حديث حسن رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٣٠٢/ ٣٨) وعن أبي ثُرَيَّةَ سَبْرَةَ بن مَعْبَدٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «عَلِّمُوا الصَّبِيَّ الصَّلاةَ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُ عَلَيْهَا ابْنَ عَشْرِ سِنِينَ». حديث حسن رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

ولفظ أبي داود: «مُرُوا الصَّبِيَّ بِالصَّلاةِ إِذَا بَلَغَ سَبْعَ سِنِينَ».

* * *

(حقوق الأبناء على الوالدين)

الأولاد من النِّعم الغالية، فالله تبارك وتعالىٰ أعطانا هذه النعمةَ لنستفيد منها في الدُّنيا والآخرة: في الدنيا كي يكونوا عونًا لنا علىٰ الحياة، وفي الآخرة للدعاء لنا بعد الممات وثوابًا؛ لهذا كان دعاء الصالحين علىٰ هذه الشاكلة عبر الزمان. قال الله تعالىٰ: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي﴾ [الأحقاف: ١٥].

فالعاقل كما يَبَرُّ والديه يطلب صلاح ذريته كذلك، وإلا فمن نسي حقوق أبنائه خسر هذه التجارة أمام الله تبارك وتعالىٰ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۝٧٤﴾ [الفرقان: ٧٤].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الْإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أو وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». مسلم برقم (١٦٣١). وقد روي عن عائشة مرفوعًا أيضًا: «الْوَلَدُ الصَّالِحُ مِنْ رَيْحَانِ الجَنَّةِ». ابن عدي في الضعفاء (٢/ ٢١١).

ومما روي أن الرسول ﷺ نظر يوما إلىٰ الحسن والحسين فقال: «إِنَّكُمْ لَتُجَبِّنُونَ وَتُبَخِّلُونَ، وَإِنَّكُمْ لَمِنْ رَيْحَانِ الله». أحمد في مسنده (٦/ ٤٠٩) برقم (٢٧٣٥٥).

وقد روي عن عمرو بن سعيد بن العاص مرفوعًا: «مَا نَحَلَ (أي: أعطىٰ) وَالِدٌ وَلَدَهُ خيرًا مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». أحمد في مسنده (٣/ ٤١٢) برقم (١٥٤٣٩).

فأكبر نعمةٍ تُعطيها لولدك هي الأدب الحسن، فالأولاد أحب القرابات إلىٰ قلوبنا؛ وإن للولد حقًّا زائدًا في العناية عند الآباء، خاصة أن الولدَ ملكٌ لأبيه، فهو المسئول أولًا أمام الله تعالىٰ عن رعايته، ومن ثم والدته. والمقصود بالولد الأبناء، من بَنِينَ وبناتٍ.

حقوق الأولاد على آبائهم: ومن حقوق الولد علىٰ أبويه:

الحق الأول: اختيار الأم ذات الشرف والنسب والدين: فإذا اختار الإنسانُ زوجةً أعجبَتْه ونسي دينَها فقد أساء إلىٰ أولاده إساءةً بالغةً؛ لهذا قال النبيُّ ﷺ في مَعْرِض اختيار الزوجة: «فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ» [متفق عليه]؛ وإنما قال النبي ﷺ ذلك حفظًا لحقك وحقِّ ولدك، كي لا يُعيَّر بها في حياته وبعد ذلك تكون سببًا لخزيه وعاره.

قصة: كان أحدُ الأمراء دائمًا ما يُعيِّر ولده بأمه ويقول له: أمك، أمك. ويذكر أمه كثيرًا بالسوء. فقال له ابنه: يا أبي، والله قد أحسنت أمي إليَّ وأنت الذي أسأت. فقال له أبوه: كيف تقول ذلك؟ قال: أمي قد أحسنت اختيارها فاختارتك أنت ابن الملوك، وأنت الذي أسأتَ فاخترتَها؛ فلا ذنب لها. فسكت الأب. اهـ.

وهذه المسئولية مشتركة بين الأب والأم، فعلىٰ الوالد أن يختار أمًّا صالحة تحفظ ولا تُضيِّع، تُربِّي وترعىٰ شئون أبنائها. فالذي يختار المرأة لجمالها أو لحسبها أو لمالها غافلًا عن دينها فقد أساء إلىٰ ولده قبل أن يُولَد، وسوف يُحمِّله اللهُ جل في علاه الإثم والوزر لما يكون منها من إساءة إلىٰ ولدها بعد ذلك.

وكذلك علىٰ المرأة أن تختار زوجًا صالحًا ترضىٰ دينه وأمانته وخُلُقه، فمن تساهلت في ذلك وضيَّعت فقد أساءت لولدها قبل أن يُولَد، وإن الله سوف يحاسبها عما يكون من إثم ذلك الزوج مع ولده بعد ذلك. ولهذا قال رسول الله ﷺ: «تخيَّروا لنُطَفِكُم، فانكِحُوا الأَكْفَاءَ وأنكِحُوا إليهم». ابن ماجه برقم (١٩٦٨)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٩٢٨).

وكان أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ يقول لبَنِيه: يا بَنِيَّ، قد أحسنتُ إليكم صغارًا وكبارًا، وقبل أن تُولَدوا. قالوا: وكيف ذلك؟! قال: التمستُ لكم من النساء الموضع الذي لا تُعابون به.

وهذا فِعل الحريص علىٰ أبنائه المتنبِّه لحقوقهم والمتلمس لمرضاة الله تبارك وتعالىٰ في الآخرة. فيترتب علىٰ الزواج مسئوليةُ إعداد أولادنا وشبابنا ليكونوا رجالَ ونساءَ المستقبل، فالأب والأم اللذان يُفرِّطان في تربية أبنائهما إنما يفرطان في مجتمعٍ بالكامل، وما نراه الآن من سوء تربية الأبناء سببه تفريط الأجداد والأسلاف من قبلُ شيئًا فشيئًا حتىٰ صار ما وجدناه من فسادٍ في الأجيال التي لم تُرَبَّ بسبب عدم تربية ذويهم في الصغر.

ومع ذلك نقول: لا نيأس، فكما أن الله وعدنا أنه لا يُضيع أجر من أحسن عملًا، فإننا إذا ابتُلينا بزوجٍ أو زوجةٍ مُقصِّرة فلنعلم أن الله تعالىٰ قادر علىٰ أن يُخرج الحيَّ من الميت.

فإذا قام كل إنسان منا علىٰ رعاية أبنائه- رغم ما ابتُلي به من زوج أو زوجة فيه أو فيها شيء من التقصير- فلا نيئس، ولنعلم أن الله تعالىٰ قد أخرج من صلب كفار قريش أصحابًا للنبي ﷺ من أمثال: عكرمة بن أبي جهل، وخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، رضي الله عنهم أجمعين.

الحق الثاني: حق اختيار الاسم الحسن (حق التسمية): وهذا الحقُّ رغم ما يظنُّه البعضُ من عدم أهمِّيَّته فإننا قد وجدنا أن الأسماءَ الصالحة للأبناء كثيرًا ما تكون سببًا لدعوتهم إلىٰ الحقِّ؛ لما في أسمائهم من معانٍ جميلةٍ صالحةٍ. وكم من أسماء تحمل من معاني الفسادَ والغفلة قد ذهبت بأصحابها إلىٰ الفساد والغفلة، فلعل لكلٍّ منا نصيبًا من اسمه.

فقد روي عن أبي الدرداء مرفوعًا: «إِنَّكُمْ تُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَسْمَائِكُمْ وَأَسْمَاءِ آبَائِكُمْ؛ فَحَسِّنُوا أَسْمَاءَكُمْ» [أحمد في مسنده (٥/ ١٩٤) برقم (٢١٧٣٩)]، أي حسِّنوا اختيار أسماء أبنائكم؛ كي لا يكون ذلك سببًا في إيذاء الأبناء بأسماء يُعيَّرون بها أو يتأذَّون منها حين يُدْعَوْنَ أمام الناس، فما بالكم يوم القيامة كذلك!

قال رسولُ الله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ عَبْدُ اللهِ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ» [مسلم برقم (٢١٣٢)]؛ وذلك لما فيهما من توجيهٍ إلىٰ العبودية لله وتذكيرٍ وتعظيمٍ لأسماء الله تبارك وتعالىٰ.

ومما يروىٰ في هذا الباب: «تَسَمَّوْا بِأَسْمَاءِ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَحَبُّ الْأَسْمَاءِ إِلَىٰ اللهِ عَبْدُ اللهِ

وعَبْدُ الرَّحْمَنِ، وأَصْدَقُهَا حَارِثٌ وهَمَّامٌ، وَأَقْبَحُهَا حَرْبٌ ومُرَّةٌ». أحمد في مسنده (٤/ ٣٤٥) برقم (١٩٠٥٤). فكثيرًا ما كان رسول الله ﷺ يُغيِّر من أسماء أصحابه التي فيها الحزن والصعوبة والكآبة إلىٰ الأسماء التي فيها البشرىٰ، وما إلىٰ ذلك.

عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: عجِّلوا بتسمية أولادكم؛ لا تُسرِعُ إليهم الألقاب السُّوء.

فإذا فرَّط الإنسانُ في تسمية وَلَدِه فقد يُبتلىٰ بأسماءٍ تلتصق به طوال حياته، وفيها ما فيها من الإهانة والسوء والخلاعة والمجون، أمثال: «زُقْلُط»، و«بِلْيَة»، و«زَعْبُلَّة»، والسبب هو تفريط الآباء في هذا الحق من حقوق أبنائهم.

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: ينبغي لأحدكم أن يتَّخذ لولده إذا وُلد الاسم الحسن.

الحق الثالث: العقيقة والختان: العقيقة: هي ما يُذبح للمولود في يومه السابع أو الرابع عشر أو الحادي والعشرين بعد ولادته؛ قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ غُلَامٍ رَهِينَةٌ بِعَقِيقَتِهِ تُذْبَحُ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ وَيُسَمَّىٰ». أحمد في مسنده (٥/ ٧) برقم (٢٠٠٩٥)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤١٨٤).

وقد أجاز العلماءُ التسميةَ في اليوم الأول؛ لما رُوي عن النبي ﷺ أنه قال: «وُلِدَ لِي اليَوْمَ وَلَدٌ، وَسَمَّيْتُهُ إِبْرَاهِيمَ». مسلم برقم (٢٣١٥).

السنن المتبعة للاحتفال بالمولود: ومن السُّنن التي ينبغي أن تُراعَىٰ في حق المولود بعد ولادته:

١- أن يُؤذَّن في أُذُنِه اليمنىٰ وقت ولادته الأذان المعروف، وتُقام الصلاة في أذنه اليسرىٰ الإقامة المعروفة، ويُحنَّك بتمرة، أي تُوضع قطعةٌ صغيرة من التمر المبلل علىٰ لسانه.

٢- أن يُحلَق له في اليوم السابع، ويُماط عن رأسه الأذىٰ، ويُوزن شعره المحلوق ويؤتىٰ بوزنه فضة ويُتصدَّق بها علىٰ الفقراء.

٣- أن يُسمَّىٰ بأحبِّ الأسماء وألطفها، ويُراعَىٰ في ذلك تجنُّب الأسماء القبيحة أو المذمومة التي تحثُّ علىٰ الباطل كما ذكرنا من قبل، كأسماء الفُسَّاق، أو تلك التي فيها شيء من الخلاعة والمجون.

فيختار للصبي اسم يتناسب مع خشونة الرجال، والعكس بالنسبة للبنت، أي باختيار اسم جميل لها لا يُشبهها بأسماء الرجال.

وكانت العربُ تُسمِّي أسماءَ أبنائها نكاية وتخويفا لأعدائها، مثل: مُصعَب الذي يشير إلىٰ السيد من الرجال العسير الشديد، وبكر- وهو الجَمَل الشابُّ- الذي يشير إلىٰ القوة والشباب، ومعاوية- وهي أنثىٰ الكلب التي تقوم بحماية أولادها، وكان العرب يستخدمون الكلاب كثيرًا في حراستهم، لما يعرفون من شدة دفعها لأعدائها؛ فسمَّوْا أولادهم بأسمائها- ومثل: كعب، وصخر، وحرب. وما إلىٰ ذلك.

كما كانت العرب تُسمِّي أسماءَ العبيد والإماء تطييبًا لأنفسهم، أي تلك الأسماء التي فيها ليونة وسهولة، مثل بلال وثوبان وسهل، وتُسمِّي أسماءَ بناتها بالأسماء الجميلة الناعمة، مثل: خديجة، وعائشة، وفاطمة أي فاطمة الأولاد.

فَلْيُتنبَّه إلىٰ أن أسماءَ البنات لا ينبغي أن تكون شبيهةً بأسماء الرجال.

٤- أن تُذبح له عقيقته، بذبح شاتين عن الذكر، وشاةٍ عن البنت.

والعقيقة ليست بالضرورة مُلزِمة لمن لم يُعَقَّ عنه، وإنما هي علىٰ الأرجح سنة.

٥- أن يُختَن؛ فالختان مشروع فهو سنة للذكور ومكرمة للإناث بمعرفة أهل الاختصاص.

الحق الرابع: حسن التربية والرعاية له: وقد روي عن عمرو بن سعيد بن العاص مرفوعا: «مَا نَحَلَ (أي: وَهَب وأعطىٰ) وَالِدٌ وَلَدَهُ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ». أحمد في مسنده (٣/ ٤١٢) برقم (١٥٤٣٩).

روي عن أنس بن مالك مرفوعًا: «أَكْرِمُوا أَوْلادَكُمْ وَأَحْسِنُوا أَدَبَهُمْ». ابن ماجه برقم (٣٦٧١).

قال محمد بن سيرين: أَكرِم ولدك وأَحسِن أدبَه. وقال أيضًا: مَن أدَّب ولده أرغِم أنفُ عدوِّه (أي: كاد وغاظ عدوه؛ حيث لم يجد مدخلًا للإضرار به من أقربائه). كما قال: مَن أدَّب ولده غَمَّ حاسدَه (أي: أصابه الغم والكدر).

وقال الحسن البَصْريُّ: التعلُّم في الصغر كالنقش علىٰ الحجر. وقال أيضًا: أَطْبَعُ الطين (أي: أكثره قابلية للتشكُّل) ما كان رطبًا.

وروي أن سليمان بن داود عليهما السلام كان يقول: مَن أراد أن يغيظ عدوَّه فلا يرفع العصا عن ولده. وذلك تأديبًا، فالأدب محمود في كل زمان ومكان.

قال لقمان الحكيم: ضَرْب الوالد للولد كالسماد للزرع.

ولا بد أن يُراعَىٰ هنا أنه عند وَضْع السماد للزرع فلابد أن يكون بقَدْرٍ، فإن زاد أو قلَّ يفسد الزرع، كذلك الضرب للولد يحتاج إلىٰ حكمة، ليس بالشدة التي تجعله يفسد، ولا بالعكس كذلك.

وقيل: من أدَّب ابنه صغيرًا قَرَّت به عينُه كبيرًا. كما قيل: من قَعَد به حَسَبُه نهض به أدبُه.

فإنك عند تربيتك لابنك يُعوِّضك عن فَقْرك الذي أنت فيه، فهذا يزيده نسبًا ويعوضه عن الفقر. وقيل: الأدب من الآباء والصلاح من الله.

فأنت المسئول عن أدب ابنك، أما صلاحُه فمِن الله ﷻ، فأحيانًا نُجبر أولادنا علىٰ الصلاح وننسىٰ تأديبهم، فعند الكِبَر لا يصير متأدبًا ويترك الصلاح، فلا نستفيد من هذا ولا ذاك. فالطريقة بالتعليم والتربية وليس بالجبر، فهو الآن طائع لك يؤدي ما عليه خوفًا منك، ولكن كما أن تأديبه عليك فإن الله تعالىٰ يتولىٰ أمر صلاحه.

قال بعضُ الحكماء: أفضلُ ما يُورِّث الآباءُ الأبناءَ: الثناءُ الحسن، والأدب النافع، والإخوان الصالحون. وقيل: ومَن أدَّب وَلَده صغيرًا سُرَّ به كبيرًا.

قال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ لم يجلس في الصِّغَر حيث يكره لم يجلس في الكبر حيث يُحِبُّ. فلابد أن تُساعد ابنَك علىٰ ذلك. وقيل: ما أشدَّ فطامَ الكبير وأَعْسَرَ رياضةَ الهَرِم.

ففطام الولد الكبير أصعب وأشد علىٰ الأم من الولد الصغير، كذلك تعليم الرياضة للكبير أصعب. والمعنىٰ ألا تُؤجِّل تربية ابنك حتىٰ يكبر.

قال عمرو بن عتبة لـمُعلِّم ولده: لِيَكُنْ أولُ إصلاحك لولدي إصلاحك لنفسك؛ فإن عيونهم معقودة بعينيك، فالحَسَنُ عندهم ما صنعتَ، والقبيح عندهم ما تركت، عَلِّمهم كتاب الله ولا تُكرِههم عليه فيَمَلُّوه، ولا تتركهم منه فيهجروه، رَوِّهم من الحديث أشرفه، وعلِّمهم سنن الحكماء.

فقد كانوا قديمًا يستأجرون معلمين لأولادهم وكانوا يوصونهم بذلك. والأدب في الصغر علامة نجابة الأولاد، فقد قيل: يُستدل علىٰ نجابة الصبي بشيئين: الحياء، وحب الكرامة. أما

الحياء فهو خيرٌ كله، وأما حب الكرامة فتدعو إلىٰ اكتساب الفضائل واجتناب الرذائل.

وقال وَهْبُ بن مُنَبِّهٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خَصْلتان إذا كانتا في الغلام رُجِيت نَجَابَتُه: الرهبة، والحياء.

واعلم أن خيرَ الآباء للأبناء مَن لم يَدْعُه الحبُّ إلىٰ التفريط، وخير الأبناء للآباء من لم يَدْعُه التقصير إلىٰ العقوق. وسأل معاويةُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الأحنفَ بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن الولد، فقال: يا أمير المؤمنين، أولادنا ثمار قلوبنا، وعماد ظهورنا، نحن لهم أرض ذليلة، وسماء ظليلة، وبهم نَصُول عند كلِّ جليلة (أي: ننشط بهم في الأمور الصعاب)، فإن طلبوا فأَعْطِهم، ولا تكن عليهم قفلًا (أي:عسيرًا) فيتمنوا موتك ويكرهوا قربك ويَمَلُّوا حياتك.

فالذي يربي في الصغر ويُحسن تربيةَ أولاده رأىٰ بأمِّ عينيه قبل أن يموت حُسنَ العاقبة في ولده، فيقفون في جواره يساعدونه ويقومون علىٰ شأنه، يحفظون له أمواله ويرعون حقه. وعلىٰ العكس من ذلك، فمن ضيَّع أبناءه رأىٰ قبل موته شؤم ما كان من تقصيره من أذىً ومكايد وذلة من أولاده حين يكبرون، وهذا لسوء تربيته لهم في الصغر. نسأل الله السلامة والعافية. لذلك رغَّب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في هذا العمل الصالح.

فقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَو عِلْمٍ يُنتفَعُ به، أو وَلَدٍ صالِحٍ يَدْعُو له**». مسلم برقم (٢٦٨٢).

وعن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّىٰ تَبْلُغَا جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ كَهَاتَيْنِ**» وضَمَّ أَصَابِعَهُ. مسلم برقم (٢٦٣١).

وعن أبي عبد الله- ويُقالُ لَهُ: أَبو عبد الرحمن- ثَوْبَان رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، مَوْلَىٰ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ عِيَالِهِ، وَدينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ دَابَّتِهِ فِي سَبيلِ الله، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَىٰ أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ الله**». مسلم برقم (٩٩٤).

وعن أَبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ**». متفق عليه.

- **أول ما يربى عليه الأبناء:** وأول ما يُربَّىٰ عليه الأبناء أن تغرس في قلوبهم الإيمان بالله عَزَّ وَجَلَّ؛

قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۝١٣﴾ [لقمان: ١٣]، فأول شيء هو توجيه الابن إلىٰ حقِّ الله جَلَّ جَلَالُهُ، فقد بدأ لقمان بهذا الأصل العظيم.

وقال العلماءُ: إن الصبيَّ أمانةٌ في أعناق والديه، وقَلْبُه مثل الجوهرة النقيَّة قابلةٌ للنَّقْش والتشكيل. وقد قال رسولُ الله ﷺ: «كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُمَجِّسَانِهِ أَوْ يُنَصِّرَانِهِ» [متفق عليه]. فيجب أن يُغرَس في الصبي والفتاة توحيدُ الله عَزَّ وَجَلَّ.

وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كنت خلف النَّبيِّ ﷺ يومًا، فَقَالَ: «يَا غُلامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَىٰ أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ». أحمد في مسنده (١/ ٢٩٣) برقم (٢٦٦٩).

فينبغي علىٰ الوالد أن يذكِّر ابنه بوَحْدانية الله، وأن الله خالقُ الكون ومُدبِّره، وفي هذا صلاح دينه ودنياه.

- **ثاني ما يُربَّى عليه الأبناء:** فيُبدأ بتعليم الأبناء الصلاة، قال اللهُ تبارك وتعالىٰ: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]. وعن عمرو بن شُعيب، عن أبيه، عن جده رَضِيَ اللهُ عَنْهُم قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا، وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي المَضَاجِعِ». أبو داود برقم (٤٩٥). ثم تعليمهم أحكام الطهارة والوضوء واستقبال القبلة وصفة الصلاة، وهذا من أعظم التجارة مع الله، فلا قيمة للولد إن لم يقُم علىٰ طاعة الله عَزَّ وَجَلَّ.

قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًىٰ كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ قَبْلَهُ لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». مسلم برقم (٢٦٧٤).

وعن أَبي مسعود عُقبةَ بنِ عمرو الأنصاري البدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ

دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ». مسلم برقم (١٨٩٣).

ومن ضيَّع حقَّ الله تبارك وتعالىٰ فسيُضيِّع حقَّ أبيه وأمه وسائر من حوله من بابٍ أولىٰ والعياذ بالله. وهذا الباب من أعظم الحقوق الضائعة علىٰ أولادنا، وهو حق تربية الإيمان وتربية تعاليم الإسلام.

ثم يأتي بعد ذلك التربيةُ علىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن العادات، كما جاء في القرآن الكريم: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ١٨ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ ١٩﴾ [لقمان: ١٧-١٩].

وهذه الآيات جمَعَت بين حقِّ الله وحقِّ عباده منهجًا في التربية الكاملة، حيث يُربَّىٰ الأبناء ويُعوَّدون علىٰ مكارم الأخلاق ومحاسن العادات في الأقوال والأعمال، فتكون قلوبهم قد غُرس فيها حبُّ المسلمين لا الحقد عليهم، وحبُّ أهل الدين والعلماء والصالحين والقرب منهم. فالتربية علىٰ الأخلاق الفاضلة تتم إما بالتعليم المباشر أو بالقصص؛ كي يستطيع الأبناء تفهُّم هذه المعاني من صفات أهل الإيمان، مثل الجود والكرم والإيثار والحِلْم والحياء والصدق والصبر والشكر.

حيث تُرْوَىٰ علىٰ الأبناء صفات النبوة العالية وصفات الصحابة الكرام، ويُعوَّدون علىٰ الذكر والاستغفار والدعاء والتبتل، وتجنُّب الصفات السيئة الذميمة قدر المستطاع، وكذلك الكِبر والعُجب والخُيَلاء، والحقد والحسد والغضب، والبخل والحرص والطمع، وتجنُّب آفات اللسان من الغِيبة والنميمة والكذب، كما يتعلمون أيضًا حسن معاملة الكبار والعطف علىٰ الصغار.

وعن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جده ﵃ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا». أبو داود برقم (٤٩٤٣).

الأسباب التي تعين على التربية الصالحة:

١- الدعاء: الدعاء من أعظم الأسباب لصلاح الأبناء. قال ابن مسعود ﵁: ثلاثة لا تُرَدُّ

دعوتهم: الوالد، والمظلوم، والمسافر. ويقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دعاء الوالدين يُثبِّت (أي: يحفظ) المال والولد. وسأل رجلٌ الحسنَ البصريَّ: ما دعاءُ الوالد لولده؟ قال: نجاة.

ويقول مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثٌ لا يُحجَبْن من الله عَزَّ وَجَلَّ: دعوة الوالد لولده، والمظلوم، وشهادة أن لا إله إلا الله. وجاء في كتاب الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٥﴾ [الأحقاف: ١٥]، فكم من ولدٍ صلح بدعاء والديه، ويجب ألا نسأم ولا نيئس بل نُحسن الظن بالله عَزَّ وَجَلَّ.

٢- **القدوة الحسنة:** فالأبوان مُقدَّسان في نظر الطفل، فصلاح واستقامة الآباء والأمهات له التأثير المباشر علىٰ صلاح واستقامة الأولاد، وبمقدار اختلاف أقوالهما وأفعالهما ينشأ في الأولاد النفاق في الأعمال والفرق بين الأقوال والأفعال، وهو من أكبر المصائب.

الحق الخامس: العدل بين الأبناء: عن النُّعمان بن بشيرٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أنَّ أباه أتَىٰ بِهِ رسُولَ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: إني نَحَلْتُ (أي: أعطيت) ابْنِي هَذَا غُلامًا كَانَ لِي. فقال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكُلَّ وَلَدِك نَحَلْتَهُ (أي: أعطيته) مِثْلَ هَذَا؟». فقال: لا. فقالَ رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَأرْجعهُ» متفق عليه.

فلا يجوز تفضيل ولد علىٰ آخر، إنما يعدل بين الجميع، وكان السلف رحمهم الله يعدلون بين الأبناء حتىٰ في القُبلة؛ قال الشافعيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأنه يقع في نفس المَفْضُول ما يَمْنعه من برِّ أبيه أو أمه. ولأن الأقاربَ قد يحقد بعضُهم علىٰ بعضٍ ما لا يحقد الأعداء، وهذا من أكثر الأسباب الداعية للعداوة بين الإخوة عمومًا. ولا ننسىٰ أن الحقد بين الأبناء قد ينشأ حتىٰ لمجرد شعور الأبناء أو توهمهم ذلك، كما حدث لأبناء يعقوب عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٨﴾ [يوسف: ٨].

والعدل بين الأبناء قد يقتضي أن يُخَصَّ أحدُهم بالعطية لسبب من الأسباب المقبولة، كالتعليم والدروس الخصوصية، أو لظروف تعليم خاصة أو لأوضاع صحية أو خلافه، ولا يلزم الآباءَ أن يُسَوُّوا بينهم في ذلك، سواء كانوا ذكرانًا أو إناثًا، كما ينبغي مراعاة الأحاسيس والمشاعر، وأن يحاط كلُّ ذلك بالعدل بينهم.

وقد روي عن رسول الله أنه قال: «رَحِمَ اللهُ تَعَالَىٰ وَالِدًا أَعَانَ وَلَدَهُ عَلَىٰ بِرِّهِ». ابن أبي شيبة في مصنفه (٥/ ٢١٩) برقم (٢٥٤١٥). كذلك من العدل بين الأبناء ألا نربي أولادنا علىٰ أن الذكر

يمتلك الحقَّ الكامل في التسلط علىٰ أخته الأنثىٰ باسم الدين لأنه فقط مجرد ذكر، ولا أن يُخضعها لخدمته تحت هذا المسمىٰ، ولا أن يتدخَّل في سَيْر حياتها فيُراقب ويضبط ويتصرف كأن له حقَّ التسلط دون قيد أو شرط، بل يتعاون ويتشاور وينفع الآخرين، بل يتعلم كيف يحترم الأنثىٰ؛ لأنها أمه وأخته وزوجته وابنته، عليه أن يثق بها.

ولابد أن نعلمه أنه ليس عليها خدمته في البيت، بل عليه نفس الأعباء المنزلية، وإن اختلفت الأدوار والمناسبات. ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٥٣٣) برقم (٢٠٦٨) وعزاه لابن حبان في الثواب.

كما يجب أن يتعلَّم الأولادُ احترامَ أخيهم الأكبر احترامًا كبيرًا، ويتم هذا بألا يتم توبيخه أمامهم، ولا تصحيح أخطائه أمامهم أبدًا، بل يجب أن نجعلهم يحترمونه، وكذلك نجلس معه ونعلمه كيف يعطف عليهم. وروي عن سعيد بن عمرو بن العاص مرفوعًا: «إِنَّ حَقَّ كَبِيرِ الإِخْوَةِ عَلَىٰ صَغِيرِهِمْ كَحَقِّ الوَالِدِ عَلَىٰ وَلَدِهِ».

قال خَارِجَةُ بن مُصْعَب رَحِمَهُ اللَّهُ: يجب علىٰ الوالد أن يُعطي ابنه ويُحسن إليه حتىٰ يَبرَّه.

وقال أبو الليث رَحِمَهُ اللَّهُ: كان بعض الصالحين لا يأمر ولده بأمرٍ مخافةَ أن يعصيه في ذلك الأمر فيستوجب النار. ويقول ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما سُمُّوا أبرارًا حتىٰ أَبرَّ الآباءُ الأبناءَ والأبناءُ الآباءَ. ويقول سفيان بن عيينة والحسن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الأبرار الذين لا يُؤْذون الذُّرِّيَّة.

وقال الفضل رَحِمَهُ اللَّهُ: مِن تمام المُرُوءة حُسْن الخُلُق مع الأبناء.

وكان يقال: وَلَدُك سبعَ سنين أسيرٌ، وسَبْعَ سنين أمير، وسَبْعَ سنين وزير، ثم إن أحسنت إليه فنظير ونصير (أي: فشبيه لك ومُعِين)، وإن أسأتَ إليه فعسيرٌ وبصيرٌ (أي: إن أسأت إليه صَعُب عليك معاملته، وجعلته متتبعًا لعيوبك وزلاتك مُتبصِّرًا بها).

ملخص لحقوق الولد:

١- أن يُحسن أبوه اختيارَ أمه؛ لئلا يُعيَّر بها وتسيء تربيته؛ وهذا لأن الوالد هو الذي يختار أولًا الزوجة، فصار حقًّا عليه أولًا، ومن ثم علىٰ أمه أن تختار صاحب الدين.

٢- أن يُحسن اختيار اسمه وتأديبه بالقيم والمبادئ وسائر آداب الحياة الكريمة.

٣- أن يعلمه الكتاب (القرآن الكريم) إذا عقل.

٤- أن ينفق عليه ويكسوه.

٥- أن يسوِّيَ بين أولاده في العطاء قدر المستطاع، بين غنيِّهم وفقيرهم، ذكورهم وإناثهم، حتىٰ يسوي بينهم في التقبيل.

٦- أن يعلمه حرفة يتكسب منها وينمي مهاراته وقدراته ليستطيع أن يواجه بها حياته ويحمل بها مسئولياته بعد ذلك.

٧- أن يزوجه إذا بلغ، وهذا علىٰ سبيل الاستحباب.

***

٣٩- باب حق الجار والوصية به

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ ﴾ [النساء: ٣٦].

(٣٠٣/ ٣٩) وعن ابن عمر وعائشة رضي الله عنهما قالا: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». متفق عليه.

(٣٠٤/ ٣٩) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِذَا طَبَخْتَ مَرَقَةً فَأَكْثِرْ مَاءَهَا، وَتَعَاهَدْ جِيرَانَكَ». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ عن أبي ذر، قَالَ: إنَّ خليلي ﷺ أوْصَاني: «إِذَا طَبَخْتَ مَرَقًا فَأَكْثِرْ مَاءَه، ثُمَّ انْظُرْ أَهْلَ بَيْتٍ مِنْ جِيرَانِكَ، فَأَصِبْهُمْ مِنْهَا بِمعرُوفٍ».

(٣٠٥/ ٣٩) وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «واللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ، وَاللهِ لا يُؤْمِنُ!» قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ الله؟ قَالَ: «الَّذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». «البَوائِقُ»: الغَوَائِلُ والشُّرُورُ.

(٣٠٦/ ٣٩) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «يَا نِسَاءَ المُسْلِمَاتِ، لا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا وَلَوْ فِرْسِنَ (أي: الفرسن للشاة كالقدم للإنسان، وهي الحافر) شَاةٍ». متفق عليه.

(٣٠٧/ ٣٩) وعنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لا يَمْنَعْ جَارٌ جَارَهُ أَنْ يَغْرِزَ خَشَبَةً فِي جِدَارِهِ». ثُمَّ يقُولُ أَبُو هريرةَ: مَا لِي أَرَاكُمْ عَنْهَا مُعْرِضِينَ! وَاللهِ لأَرْمِيَنَّ بِهَا بَيْنَ أَكْتَافِكُمْ. متفق عليه.

رُوِيَ «خَشَبَهُ» بالإضَافَة وَالجمع، وَرُوِيَ «خَشَبَةً» بالتَّنوين عَلَىٰ الإفرادِ. وقوله: مَا لي أراكم عَنْهَا مُعْرِضينَ: يَعْني عَنْ هٰذِهِ السُّنَّة.

(٣٠٨/ ٣٩) وعنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخرِ فَلَا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَسْكُتْ». متفق عليه.

(٣٠٩/ ٣٩) وعن أَبي شُرَيحٍ الخُزَاعيِّ رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُحْسِنْ إِلَىٰ جَارِهِ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤمِنُ بِاللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيرًا أَوْ لِيَسْكُتْ». رواه مسلم بهذا اللفظ، وروىٰ البخاري بعضه.

(٣١٠/ ٣٩) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَت: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ لِي جارَيْنِ، فإلىٰ أَيِّهِمَا أُهْدِي؟ قَالَ: «إِلَىٰ أَقْرَبِهِمَا مِنكِ بَابًا». رواه البخاري.

(٣١١/ ٣٩) وعن عبد الله بن عُمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ خَيْرُهُمْ لِصَاحِبِهِ، وَخَيرُ الجِيرَانِ عِنْدَ الله تَعَالَىٰ خَيْرُهُمْ لِجَارِهِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

* * *

(حق الجار)

قال ابنُ حَجَرٍ: اسمُ الجار يشمل المسلمَ وغيرَ المسلم، والعابدَ والفاسق، والصَّديق والعدوَّ، والغريبَ والبَلَديَّ (أي: الذي هو من أهل البلد)، والنافعَ والضارَّ، والقريبَ والأجنبيَّ، والأقربَ دارًا والأبعدَ.

مراتب الجيرة: أما أعلىٰ المراتب فهو مَن اجتمعت فيه الصفات الجميلة كلها أو أكثرها وهَلُمَّ جرًّا، كلما نقصت صفة من صفاته الجميلة نقصت مرتبته، وكذلك من اجتمعت فيه الصفات الأخرىٰ كان أقلَّ الجيران حقًّا، وهكذا كلُّ حق بحسَب حالة صاحبه.

أما حدُّ الجار وإلىٰ أيِّ مسافة يُعتبر الجار؛ فقال عليٌّ رضي الله عنه: مَن سمع نداءَ الصلاة مثلك فهو جارك. وقيل: مَن صلَّىٰ معك صلاة الصبح في المسجد فهو جار؛ وذلك لأن

من يُصلِّي الفجر في الغالب لا يركب ركوبةً، فبيته قريب.

وقالت عائشة رَضِوَٱللَّهُعَنْهَا: حدُّ الجوار أربعون دارًا من كلِّ جانب. وإن كانتِ الديار في زمانهم أشبهَ بالبيوت الصغيرة، وليست الأبنية العالية التي قد تصل إلىٰ عشَرة أو عشرين أو ثلاثين طابقًا.

وقيل: إن الجارَ القريبَ يُقصد به الجار الذي بينك وبينه قَرابة، بعكس الجار الجُنُب فهو جارٌ لك وليس بينك وبينه قرابة.

ورُوي عن عمرو بن الحمق مرفوعًا: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِعَبْدٍ خَيْرًا عَسَّلَهُ» قيل: وما عسَّله؟ قال: «يُحَبِّبُهُ إِلَىٰ جِيرَانِهِ» الخرائطي (مكارم الأخلاق) برقم (٢٦٣). وقال ﷺ: «مَا آمَنَ بِي مَنْ بَاتَ شَبْعَانَ وَجَارُهُ جَائِعٌ إِلَىٰ جَنْبِهِ وَهُوَ يَعْلَمُ بِهِ». الحاكم في المستدرك (٢/ ١٥) برقم (٢١٦٦).

وجاء رجل إلىٰ النبي ﷺ يشكو جاره، فقال: «اذْهَبْ فَاصْبِرْ». فأتاه مرتين أو ثلاثًا فقال: «اذْهَبْ فَاطْرَحْ مَتَاعَكَ فِي الطَّرِيقِ». فطرح متاعه في الطريق، فجعل الناسُ يسألونه فيُخبرهم خبرَه، فجعل الناسُ يلعنون جاره: فَعَل الله به وفعلَ وفعل. فجاء إليه جارُه فقال له: ارجع لا ترىٰ مني شيئًا تكرهه. صحيح ابن حبان برقم (٥٢٠).

وقال ﷺ: «مَا تَقُولُونَ فِي الزِّنَا؟». قالوا: حرام؛ حرَّمه الله ورسوله، فهو حرام إلىٰ يوم القيامة. قال رسول الله ﷺ: «لَأَنْ يَزْنِيَ الرَّجُلُ بِعَشْرِ نِسْوَةٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَزْنِيَ بِامْرَأَةِ جَارِهِ. مَا تَقُولُونَ فِي السَّرِقَةِ؟». قالوا: حرام؛ حرَّمها الله ورسوله، فهي حرام إلىٰ يوم القيامة. قال: «لَأَنْ يَسْرِقَ الرَّجُلُ مِنْ عَشَرَةِ أَبْيَاتٍ أَيْسَرُ عَلَيْهِ مِنْ أَنْ يَسْرِقَ بَيْتَ جَارِهِ».

البخاري في الأدب المفرد برقم (١١٦)، صححه الألباني (صحيح الأدب المفرد) ص (٦٨).

ومما يروىٰ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده مرفوعًا: «أَتَدْرِي مَا حَقُّ الجَارِ؟ إِذَا اسْتَعَانَكَ أَعَنْتَهُ، وَإِذَا اسْتَقْرَضَكَ أَقْرَضْتَهُ، وَإِذَا افْتَقَرَ عُدْتَ عَلَيْهِ، وَإِذَا مَرِضَ عُدْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَهُ خَيْرٌ هَنَّأْتَهُ، وَإِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ عَزَّيْتَهُ، وَإِذَا مَاتَ اتَّبَعْتَ جِنَازَتَهُ، وَلَا تَسْتَطِلْ عَلَيْهِ بِالْبُنْيَانِ فَتَحْجُبَ عَنْهُ الرِّيحَ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تُؤْذِهِ بِقُتَارِ رِيحِ قِدْرِكَ (أي: رائحة الطعام المطبوخ) إِلَّا أَنْ تَغْرِفَ لَهُ مِنْهَا، وَإِنِ اشْتَرَيْتَ فَاكِهَةً فَأَهْدِ لَهُ، فَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَأَدْخِلْهَا سِرًّا، وَلَا يَخْرُجْ بِهَا وَلَدُكَ لِيَغِيظَ بِهَا وَلَدَهُ». البيهقي في الشعب (٧/ ٨٣) برقم (٩٥٦٠).

وروي عن نافع بن عبد الحارث مرفوعًا: «مِنْ سَعَادَةِ المَرْءِ الجَارُ الصَّالِحُ، وَالمَرْكَبُ الهَنِيءُ، والمَسْكَنُ الواسِعُ». أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٧) برقم (١٥٤٠٩).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أنه ذَبَح شاةً فقال: أهديتم لجاري اليهودي؟ فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالجَارِ حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ». متفق عليه.

ويُروىٰ أنه جاء رجل إلىٰ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال له: إن لي جارًا يُؤذيني ويشتمني ويضيق عليَّ؟ فقال: فاذهب، فإن هو عصىٰ اللهَ فيك فأطِعِ اللهَ فيه. وكان الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ لا يرىٰ بأسًا في أن تُطعم جارَك اليهودي والنصراني من أُضحيتك.

وقيل: حِفظ الجوار من كمال الإيمان.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الجارُ قبل الدار، والرفيقُ قبل الطريق. وقال عليٌّ للعبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما بقي من كَرَمِ أخلاقك؟ قال: الإفضال علىٰ الإخوان، وترك أذىٰ الجيران.

وقال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من حقِّ الجار أن تبسط له معروفَك، وتكفَّ عنه أذاك.

قال العلماء: الوصيةُ بالجار مأمورٌ بها ومندوب إليها، مسلمًا كان أو غير ذلك، وهو الصحيح في الشرع.

والجيران ثلاثة: جار له حقٌّ واحد، وهو الجار غير المسلم.

وجار له حقَّان: وهو الجار المسلم: له حقُّ الإسلام، وحق الجوار.

وجارٌ له ثلاثة حقوق: وهو الجار المسلم ذو الرحم: فله حق الإسلام، وحق الرحم، وحق الجوار. فمن زاد علىٰ ذلك بالرفق وإسداء المعروف فهو خيرٌ له.

والجوار له مشاكله كذلك، مكتوب في التوراة: إن أحسدَ الناس للعالِمِ وأبغاه عليه قرابتُه وجيرانُه. وقال عِكْرِمة رَحِمَهُ اللَّهُ: أزهد الناس في عالِمِ جيرانه.

وقال رجل لسعيد بن العاص: والله إني لأحبك. فقال: ولم لا تُحِبُّني ولست بجارٍ لي ولا ابن عمٍّ. وكان يقال: الحسدُ في الجيران، والعداوة في الأقارب.

وقال الحَسَنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إلىٰ جَنْب كلِّ مؤمن منافقٌ يُؤذيه.

وقال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ خَصْمَيْنِ يَوْمَ القِيَامَةِ جَارَانِ». أحمد في مسنده (٤/ ١٥١) برقم (١٧٤١٠).

جملة حق الجار: أن تبتدئه بالسلام، ولا تُطيل معه الكلام علىٰ وجه يُعطِّله أو يُسبِّب له الضيق، ولا تُكثر السؤال عن حاله بطريقة مملة، وتعوده في المرض، وتُعزِّيه في المصيبة، وتقوم معه في العزاء، وتُهنِّئه في الفرح، وتشاركه في المسرَّات، وتصفح عن زلَّاته، ولا تتطلَّع إلىٰ عوراته، ولا تُضيِّق الطريق إلىٰ داره، ولا تُتْبِع النظرَ فيما يحمله من شيء إلىٰ داره، وتستر ما انكشف لك من عوراته، ولا تغفل عن ملاحظة داره عند غيابه، ولا تَسَمَّع عليه ما يُؤذيه، وتغض البصر عن حرمته، وتتلطَّف بولده وترشده إلىٰ ما يجهله من أمر دينه ودنياه.

* * *

٤٠- باب بر الوالدين وصلة الأرحام

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ﴾ [النساء: ١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد: ٢١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [العنكبوت: ٨].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَـٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾ [لقمان: ١٤].

(٣١٢/ ٤٠) وعن أَبي عبدِ الرحمنِ عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: سألتُ النبيَّ صلى الله عليه وسلم: أيُّ العَمَلِ أحَبُّ

إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ»، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سبيلِ الله». متفق عليه.

(٣١٣/ ٤٠) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا، فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ». رواه مسلم.

(٣١٤/ ٤٠) وعنه أيضًا رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خيرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عليه.

(٣١٥/ ٤٠) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَءوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾» [محمد: ٢٢، ٢٣]. متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ».

(٣١٦/ ٤٠) وعنه رضي الله عنه قَالَ: جاء رجل إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ». متفق عليه.

وفي رواية: يَا رَسُولَ الله، مَنْ أَحَقُّ بِحُسْنِ الصُّحْبَةِ؟ قَالَ: «أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أُمُّكَ، ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ» وفي رواية: «ثُمَّ أبوك»، وهذا واضح.

وَالصَّحَابَةُ: بمعنىٰ الصحبة. وقوله: «ثُمَّ أباك». هكذا هُوَ منصوب بفعلٍ محذوفٍ، أي: ثُمَّ بِرَّ أباكَ.

(٣١٧/ ٤٠) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «رَغِمَ أنفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبويهِ عِنْدَ الكِبَرِ، أَحَدُهُما أَوْ كِلَيهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ». رواه مسلم.

(٣١٨/ ٤٠) وعنه رضي الله عنه: أن رجلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّ لِي قَرابةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». رواه مسلم.

و«تُسِفُّهُمْ» بضم التَّاء وكسرِ السين المهملة وتشديد الفاءِ. و«المَلُّ» بفتح الميم، وتشديد اللام، وَهُوَ: الرَّمادُ الحَارُّ، أي: كَأَنَّمَا تُطْعِمُهُمُ الرَّمَادَ الحَارَّ، وَهُوَ تَشبيهٌ لِمَا يَلْحَقُهُمْ من الإثم بما يلحق آكِلَ الرَّمَادِ الحَارِّ مِنَ الألَمِ، وَلَا شَيءَ عَلَىٰ هَذَا المُحْسِنِ إلَيهِمْ، لكِنْ يَنَالُهُمْ إثمٌ عَظِيمٌ بتَقْصِيرِهم في حَقِّهِ، وَإدْخَالِهِمُ الأذَىٰ عَلَيهِ. والله أعلم.

(٣١٩/ ٤٠) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «من أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ في رِزْقِهِ، ويُنْسأَ لَهُ في أثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ». متفق عليه. ومعنىٰ «يُنْسأَ لَهُ في أثرِهِ» أي: يؤخر لَهُ في أجلِهِ وعمرِهِ.

(٣٢٠/ ٤٠) وعنه قَالَ: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأنْصَارِ بالمَدينَةِ مَالًا مِنْ نَخلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أمْوَالهِ إِلَيْهِ بَيْرَحاءَ، وَكَانَتْ مُسْتَقْبلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَدْخُلُهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ هذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إنَّ الله تبارك وتَعَالَىٰ يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وَإنَّ أَحَبَّ مَالِي إِلَيَّ بَيْرَحَاءُ، وَإنَّهَا صَدَقَةٌ لله تَعَالَىٰ، أرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ الله تَعَالَىٰ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ الله حَيْثُ أرَاكَ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «بَخٍ! ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذلِكَ مَالٌ رَابحٌ! وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإنِّي أرَىٰ أنْ تَجْعَلَهَا فِي الأقْرَبِينَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أفْعَلُ يَارَسُولَ الله. فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ في أقَارِبِهِ وبَنِي عَمِّهِ.

متفق عليه. وسبق بيان ألفاظِهِ في باب الإنْفَاقِ مِمَّا يحب.

(٣٢١/ ٤٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: أقبلَ رَجُلٌ إِلَىٰ نَبيِّ الله ﷺ، فَقَالَ: أُبَايِعُكَ عَلَىٰ الهِجْرَةِ وَالجِهَادِ أَبْتَغي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَىٰ. قَالَ: «فَهَلْ لَكَ مِنْ وَالِدَيْكَ أحَدٌ حَيٌّ؟» قَالَ: نَعَمْ، بَلْ كِلاهُمَا. قَالَ: «فَتَبْتَغِي الأجْرَ مِنَ الله تَعَالَىٰ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فارْجعْ إِلَىٰ وَالِدَيْكَ، فَأحْسِنْ صُحْبَتَهُمَا». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لَهُمَا: جَاءَ رَجُلٌ فَاسْتَأذَنَهُ في الجِهَادِ، فقَالَ: «أحَيٌّ وَالِداكَ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَفيهِمَا فَجَاهِدْ».

(٣٢٢/ ٤٠) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بالمُكَافِىءِ (أي: يرد المعاملة بالمثل)، وَلكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قَطَعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». رواه البخاري. و«قَطَعَتْ» بِفَتح القَاف وَالطَّاء. و«رَحِمُهُ» مرفُوعٌ.

(٣٢٣/ ٤٠) وعن عائشة قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ». متفق عليه.

(٣٢٤/ ٤٠) وعن أم المؤمنين ميمونة بنتِ الحارث رضي الله عنها: أَنَّهَا أَعْتَقَتْ وَلِيدَةً وَلَمْ تَستَأذِنِ النَّبيَّ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُهَا الَّذِي يَدُورُ عَلَيْهَا فِيهِ، قَالَتْ: أَشَعَرْتَ يَا رَسُولَ الله أَنِّي أعتَقْتُ وَلِيدَتِي؟ قَالَ: «**أَوَ فَعَلْتِ؟**» قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «**أَمَا إنَّكِ لَوْ أعْطَيْتِهَا أخْوالَكِ كَانَ أعْظَمَ لأجْرِكِ**». متفق عليه.

(٣٢٥/ ٤٠) وعن أسماءَ بنتِ أبي بكر الصديق رضي الله عنهما قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشركةٌ في عَهْدِ رسولِ الله ﷺ، فاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، قُلْتُ: قَدِمتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، صِلِي أُمَّكِ**». متفق عليه.وَقولُهَا: «رَاغِبَةٌ» أي: طَامِعَةٌ عِنْدِي تَسْأَلُني شَيْئًا؛ قِيلَ: كَانَتْ أُمُّهَا مِن النَّسَبِ، وَقيل: مِن الرَّضَاعَةِ، وَالصحيحُ الأول.

(٣٢٦/ ٤٠) وعن زينب الثقفية امرأةِ عبد الله بن مسعود رضي الله عَنْهُ وعنها قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**تَصَدَّقْنَ يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ وَلَوْ مِنْ حُلِيِّكُنَّ**». قَالَتْ: فَرَجَعْتُ إِلَىٰ عبد الله بن مسعود، فقلتُ لَهُ: إنَّكَ رَجُلٌ خَفِيفُ ذَاتِ اليَدِ، وَإنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ أمَرَنَا بالصَّدَقَةِ فَأْتِهِ فاسألهُ، فإنْ كَانَ ذلِكَ يُجْزِئُ عَنِّي وَإلَّا صَرَفْتُهَا إِلَىٰ غَيْرِكُمْ. فَقَالَ عبدُ الله: بَلِ ائْتِيهِ أنتِ. فانطَلَقْتُ، فَإذا امْرأةٌ مِنَ الأنْصارِ ببابِ رسولِ الله ﷺ حَاجَتِي حَاجَتُها، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ قَدْ أُلْقِيَتْ عَلَيهِ المَهَابَةُ، فَخَرجَ عَلَيْنَا بِلَالٌ، فَقُلْنَا لَهُ: ائتِ رَسُولَ الله ﷺ، فَأخْبرْهُ أنَّ امْرَأتَيْنِ بالبَابِ تَسألانِكَ: أتُجْزِئُ الصَّدَقَةُ عَنْهُمَا عَلَىٰ أزْواجِهِمَا وَعَلَىٰ أيْتَامٍ في حُجُورِهِما؟ وَلَا تُخْبِرْهُ مَنْ نَحْنُ. فَدَخلَ بِلَالٌ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فسأله، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ هُمَا؟**» قَالَ: امْرأةٌ مِنَ الأنْصارِ وَزَيْنَبُ. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أيُّ الزَّيَانِبِ هِيَ؟**» قَالَ: امْرَأةُ عبدِ الله. فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**لَهما أجْرَانِ: أجْرُ القَرَابَةِ وَأجْرُ الصَّدَقَةِ**». متفق عليه.

(٣٢٧/ ٤٠) وعن أبي سفيان صخر بن حرب رضي الله عنه في حديثِهِ الطويل في قِصَّةِ هِرَقْلَ: أنَّ هرقْلَ قَالَ لأبي سُفْيَانَ: فَمَاذَا يَأمُرُكُم بِهِ؟- يَعْنِي النَّبيَّ ﷺ- قَالَ: قُلْتُ: يقول: «**اعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، واتْرُكُوا مَا يَقُولُ آبَاؤُكُمْ، وَيَأْمُرُنَا بِالصَّلاةِ، وَالصِّدْقِ، والعَفَافِ، والصِّلَةِ**». متفق عليه.

(٣٢٨/ ٤٠) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**إنَّكُمْ سَتَفْتَحُونَ أرْضًا يُذْكَرُ فِيهَا القِيرَاطُ** (أي: القيراط: جزء من أجزاء الدينار والدرهم والفَدَّان وغيرها)».

وفي رواية: «**سَتَفْتَحُونَ مِصْرَ وَهِيَ أرْضٌ يُسَمَّىٰ فِيهَا القِيراطُ، فَاسْتَوْصُوا بأهْلِهَا خَيْرًا؛**

فَإنَّ لهم ذِمَّةً وَرَحِمًا».

وفي رواية: «فإذا افتتحتموها، فأحْسِنوا إلىٰ أهلها؛ فإن لهم ذِمَّةً ورَحِمًا». أَوْ قَالَ: «ذِمَّةً وصِهْرًا». رواه مسلم. قَالَ العلماء: الرَّحِمُ الَّتي لَهُمْ كَوْنُ هَاجَرَ أُمِّ إسْمَاعِيلَ ﷺ مِنْهُمْ، والصِّهْرُ كَوْن مارية أمِّ إبْراهيمَ ابن رَسُول الله ﷺ منْهُمْ.

(٣٢٩/ ٤٠) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لما نزلت هذِهِ الآيةُ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] دعَا رَسُولُ الله ﷺ قُرَيْشًا، فَاجْتَمعُوا فعَمَّ وَخصَّ، وَقالَ: «يا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ، يا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَيٍّ، أَنقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بَنِي مُرَّةَ بن كَعْب، أَنْقِذُوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بَنِي عَبْدِ مَنافٍ، أَنْقِذُوا أنفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ، يا بَنِي هاشم، أَنْقِذُوا أنفُسَكُمْ من النارِ، يا بني عَبْدِ المطلب، أَنْقِذوا أنفُسَكُمْ من النارِ، يا فاطِمَةُ، أَنْقِذي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ، فَإنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شَيئًا، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبلالِهَا». رواه مسلم.

قوله ﷺ: «بِبلالِهَا» هُوَ بفتح الباء الثانيةِ وكسرِها، والبِلَالُ الماءُ. ومعنىٰ الحديث: سَأَصِلُهَا، شَبَّه قَطِيعَتَهَا بالحَرارَة تُطْفَأُ بِالماءِ وهذِهِ تُبَرَّدُ بالصِّلَة.

(٣٣٠/ ٤٠) وعن أَبي عبد الله عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ جِهارًا غَيْرَ سِرٍّ، يَقُولُ: «إنَّ آلَ بَني فُلَان لَيْسُوا بِأَوليَائِي، إنَّمَا وَلِيِّيَ اللهُ وَصَالِحُ المُؤْمِنينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبلَالِهَا». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

(٣٣١/ ٤٠) وعن أَبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله، أَخْبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «تَعبدُ اللهَ، وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصِلُ الرَّحِمَ». متفق عليه.

(٣٣٢/ ٤٠) وعن سلمان بن عامر رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَفْطَرَ أحَدُكُمْ فَلْيُفْطِرْ عَلَىٰ تَمْرٍ؛ فَإنَّهُ بَرَكَةٌ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ تَمْرًا فالمَاءُ؛ فَإنَّهُ طَهُورٌ». وَقالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ المِسكينِ صَدَقَةٌ، وعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٣٣٣/ ٤٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ تَحْتِي امْرَأةٌ، وَكُنْتُ أُحِبُّهَا، وَكَانَ عُمَرُ يَكْرَهُهَا، فَقَالَ لي: طَلِّقْهَا، فَأبَيْتُ، فَأتَىٰ عُمَرُ رضي الله عنه النَّبيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «طَلِّقْهَا». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٣٤/ ٤٠) وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه: أن رجلًا أتاه، فَقَالَ: إنَّ لي امرأةً وإنَّ أُمِّي تَأمُرُني بِطَلاقِهَا.

فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**الوَالِدُ أوْسَطُ أبْوَابِ الجَنَّةِ، فَإنْ شِئْتَ، فَأضِعْ ذلِكَ البَابَ، أَوِ احْفَظْهُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٣٥/ ٤٠) وعن **البراءِ بن عازب** رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح مشهورة؛ مِنْهَا حديث أصحاب الغار، وحديث جُرَيْج وقد سبقا، وأحاديث مشهورة في الصحيح حذفتها اختِصارًا، وَمِنْ أهَمِّهَا حديث عَمْرو بن عَبَسَة رضي الله عنه الطَّويلُ المُشْتَمِلُ عَلَىٰ جُمَلٍ كَثيرةٍ مِنْ قَواعِدِ الإسْلامِ وآدابِهِ، وَسأذْكُرُهُ بتَمامِهِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ في باب الرَّجَاءِ، قَالَ فِيهِ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ بمَكَّةَ- يَعْني: في أوَّلِ النُّبُوَّةِ- فقلتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: «**نَبيٌّ**». فَقُلْتُ: وَمَا نَبيٌّ؟ قَالَ: «**أرْسَلَنِي اللهُ تَعَالَىٰ**». فقلت: بأيِّ شَيءٍ أرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ وَكَسْرِ الأوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لَا يُشْرَكُ بِهِ شَيءٌ...**». وَذَكَرَ تَمَامَ الحَدِيث. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(بر الوالدين)

لا يخفىٰ علىٰ أيِّ عاقل معتدل الأخلاق أن للمُنعِم حقًّا عليه، ولا مُنعِم بعد الله سبحانه وتعالى علىٰ العبد كالوالدين، فالأمُّ بحَمْله حَمَلت أثقالًا كثيرةً وتكبَّدت في وَضْعه مشقةً كبيرةً، وسهرت في تربيته وملاطفته ومداعبته أيامًا وليالي طويلة، وأخَّرت شهواتِها وطلباتها من أجله، وقدَّمته علىٰ نفسها في كلِّ كبيرةٍ وصغيرة.

وأما الوالدُ فقد تحمَّل مع ما تحمَّله من جهدٍ لكَسْب نفسه في إيجاد ابنه بكلفة الزواج والمهر وخلافه، وصار مُحبًّا له شغوفًا عليه، وقام بالتربية والتكسب من أجل طلباته والإنفاق عليه. والعاقل يعرف حقَّ كلِّ محسنٍ ويجتهد في مكافأته، وجهل الإنسان بحقوق المُنعِم من أخسِّ صفاته وأردئها، فإذا أضاف إلىٰ ذلك سوءَ الأدب في المعاملة؛ فإنما يدل ذلك علىٰ خبث النفس والطبع ولؤمها، وسوء الخاتمة والعياذ بالله.

ومهما بالغ الإنسان في بِرِّ والديه فلن يُوفِّي شكرهما.

بر الوالدين: قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤]. وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

وقد سُئل النبيُّ ﷺ: أيُّ العمل أحبُّ إلىٰ الله تعالىٰ؟ قال: «الصَّلَاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ». قال: ثم أيٌّ؟ قال: «الجهادُ في سبيل الله» متفق عليه.

وقال ﷺ: «لَا يَجْزِي وَلَدٌ وَالِدًا إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيه فَيُعْتِقه». مسلم برقم (١٥١٠).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال النَّبِيُّ ﷺ: «رَغِمَ (أي: وضع أنفه في التراب ذلة ومهانة) أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُ مَنْ أَدْرَكَ أَبويهِ عِنْدَ الكِبَرِ؛ أَحَدَهُما أو كِلَيهِمَا فَلَمْ يَدْخُلِ الجَنَّةَ». مسلم برقم (٢٥٥١).

ويقول كعب الأحبار: مكتوبٌ في التوراة: يا ابنَ آدم، اتَّقِ ربَّك، وبرَّ والديك، وصِلْ رحمك، أُمِدَّ لك في عُمُرِك، وأُيسِّر لك يُسرك، وأصرف عنك عُسْرك.

وعن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جاء رجلٌ إلىٰ رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَنْ أَحَقُّ النَّاسِ بِحُسْنِ صَحَابَتِي؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أُمُّكَ». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «أَبُوكَ». متفق عليه.

آداب التعامل مع الوالدين:

١- إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلىٰ الطعام أطعمه.

٢- إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلىٰ الكسوة كساه إن قدر عليها.

٣- إذا احتاج أحدهما أو كلاهما إلىٰ الخدمة خدمه.

٤- إذا دعاه أحدهما أو كلاهما أجابه.

٥- إذا أُمِر بأمرٍ في غير معصية أطاعه.

٦- أن يتكلم معهما باللين وخفض الصوت ولا يتكلم بالغلظة.

٧- ألا يدعوهما باسمهما، بل يقول: يا أبتِ، أو يا والدي، أو يا أبي، أو يا بابا، أو يا أمي.

٨- ألا يسبهما ولا يُسْتَسَبَّ لهما (أي: يتسبب لهما في الشتم).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيهِ». قالوا: يَا رَسُول الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيْهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

٩- ألا يمشي أمامهما تكبرًا واستعظامًا لنفسه ولا يجلس قبلهما في مجلس تمييزًا وتكريمًا لنفسه؛ فإنه يُورث الفقر.

١٠- أن يرضىٰ لهما ما يرضىٰ لنفسه، ويكره لهما ما يكره لنفسه.

١١- أن يدعو لهما بالمغفرة كما يدعو لنفسه، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: ٤١].

وقال بعض التابعين: من دعا لأبويه في كلِّ يوم خمسَ مرات فقد أدَّىٰ حقَّهما؛ لأن الله تعالىٰ قال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [لقمان: ١٤].

فمِن شُكْر الله تعالىٰ أن يصلي في كل يوم خمس مرات، فكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما في كل يوم خمس مرات. وقيل: إن الرجلَ ليموت والداه وهو عاقٌّ لهما، فيدعو الله لهما بعد موتهما فيكتبه الله من البارِّين.

قال بعضُ الصَّحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُم: تَرْك الدعاء للوالدين يُضيق العيش علىٰ الولد، وكذلك الدعاء لهما يُوسِّع العيش عليه. وقال الحَسَنُ رَحِمَهُ اللهُ: البِرُّ أن تُطيعهما في كلِّ ما أَمَرَاكَ به ما لم تكن معصيةً لله، والعقوق هِجْرانُهما وأن تحرمهما خيرك.

قال المُفسِّرون في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الإسراء: ٢٤]: هو ألا يمنعهما من شيءٍ أراداه.

والعلماء يقولون: حقُّ الأمِّ أعظمُ من حقِّ الأب، ولكلٍّ حقٌّ.

ورأىٰ ابنُ عمرَ رجلًا يطوف بالبيت حاملًا أُمَّه ويقول لها: أَتُرَيْني جَزَيْتُكِ يا أُمَّاه؟ قال ابنُ عمر: ولا طلقة واحدة. أو: ولا زَفْرة واحدة.

وقال رجلٌ للحَسَن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني أتعلَّم القرآنَ، وإن أمي تنتظرني بالعشاء؟ فقال الحَسَنُ: تَعشَّ العَشاءَ مع أُمِّك تَقَرَّ به عينُها، فهذا أَحبُّ إليَّ من حجة تحجُّها تطوُّعًا.

وسُئل ابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن رجل قَتَل امرأة خطأً: ما توبته؟ قال: إن كان له أبوان فليبرهما ما داما حيَّيْنِ، فلعل الله أن يتجاوز عنه.

وقال مَكْحولٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِرُّ الوالدين كَفَّارة للكبائر.

ويقول محمد بن المُنكَدِر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بِتُّ أغمز (أي: أُدلِّك) رِجْل أمي، وبات عَمِّي يصلي ليلته، فما تسرُّني ليلته بليلتي. وقال عبدُ الله بن عَوْف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: النَّظَر إلىٰ الوالدين عِبَادة.

ورأىٰ أبو هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ رجلًا يمشي خلف رجل، فقال: مَن هذا؟ فقال: أبي. قال: لا تَدْعُه باسمه، ولا تجلس قَبْله، ولا تمش أمامه (أي: تكبرًا وفخرًا).

وقال الحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أربعٌ مَن كُنَّ فيه ألقىٰ اللهُ عليه محبَّته ونشر عليه رحمته: مَن بَرَّ والديه، ورفق بمملوكه، وكفل اليتيم، وأغاث الضعيف.

وقيل في الحكمة: أربعٌ لا ينبغي للشريف أن يأنفَ منهن: قيامه عن مجلسه لأبيه، وحديثُه ضيفَه، وقيامه (أي: خدمته) علىٰ فرسه وإن كان له مائة عبد، وخدمة العالم ليأخذ من علمه. وقيل أيضًا: خمسةٌ لا يُستحيا من خدمتهم: السلطان، والوالد، والعالم، والضيف، والدابة.

تحريم العقوق: قال رَسُولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» ثلاثًا. فقيل: بَلَىٰ، يَا رَسُول الله. قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ...**» متفق عليه.

ما العقوق؟ هو أن يأتي الولد ما يتأذَّىٰ به الوالد ونحوه تأذِّيًا ليس بالهين، أو يُفرِّط في الحقوق التي ذكرناها عن الوالد، أو هو مخالفة الوالدين فيما يأمُرانِ به من المباح، وسوء الأدب في القول والفعل.

تنبيه: يجب ألا يُفرِط الولدُ في بِرِّ والديه إفراطًا يُخِلُّ بحقوق الآخرين، كالأولاد والزوج والأقارب وسائر مَن له حقوق عليه، فلا إفراط ولا تفريط، ويجب علىٰ الوالدين إعانته

علىٰ ذلك. ومن برِّ الوالدين بعد موتهما أن يأتيَ ما يسرُّهما من الطاعات لله تعالىٰ وغيرها مما ليس مَنْهيًّا عنه، ومن البر كذلك الإحسان إلىٰ أصدقائهما بعد موتهما.

فعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ». مسلم برقم (٢٥٥٢).

وعن أَبي أُسَيْدٍ مالكِ بن ربيعة الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إذ جَاءهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيءٌ أبرُّهُما بِهِ بَعْدَ مَوتِهمَا؟ فَقَالَ: «نَعَم، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا، والاسْتِغْفَارُ لَـهُمَا، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا، وَإكرامُ صَدِيقهِمَا». البخاري في الأدب المفرد برقم (٣٥)، وأبو داود برقم (٥١٤٢).

ويقول ابنُ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: بكاء الوالدين (أي: أي: بسبب ولدهما) من العقوق.

وقيل: ما بَرَّ والديه من أَحَدَّ النظرَ إليهما (أي: نظر إليهما بحدة).

ويقول ابن مُحَيْرِيز رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن مَشَىٰ بين يدي أبيه (أي: مشىٰ أمامه تعظيمًا لنفسه علىٰ أبيه) فقد عقَّه، إلا أن يمشيَ فيُميط له الأذىٰ عن طريقه، ومَن دعا أباه باسمه فقد عقَّه، إلا أن يقول: يا أبتِ.

ويقول مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: لا ينبغي للولد أن يدفع يَدَ والده عنه إذا ضَربه. وقال: مَن سدَّد النَّظَرَ (أي: نظر بحدة وغضب) إلىٰ والديه فلم يَبَرَّهما، ومن أدخل عليهما حزنًا فقد عقَّهما.

ويقول الحسنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: منتهىٰ القطيعة أن يُخاصِمَ (أي: يقاضي) الرجلُ أباه عند السلطان.

ويقول يزيد بن أبي حَبيب رَحِمَهُ اللَّهُ: إيجابُ الحُجَّة علىٰ الوالد (أي: إقامة الحجة انتصارًا لنفسه) عقوق.

وسُئل الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ عن البرِّ (أي: للوالدين)؟ فقال: الحبُّ والبذل. فسئل: فما العقوق؟ قال: تهجرهما وتحرمهما. ويقول بعضُ الحكماء: لا تُصادق عاقًّا؛ فإنه لن يبرَّك وقد عقَّ مَن هو أوجب حقًّا منك عليه. وكان ابنُ عَوْنٍ رَحِمَهُ اللَّهُ إذا نادَتْه أمُّه فأجابها فعَلَا صوتُه، أعتق رقبتين.

قالت السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان رجلان من أصحاب رسول الله ﷺ أَبَرَّ مَن كان في هذه الأمة بأمهما: عثمان بن عفان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحارثة بن النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فأما عثمان فإنه قال: ما قدرتُ أن أتأمَّل أمي منذ أسلمتُ. وأما حارثة فإنه كان يُفلي رأسَ أمه ويُطعمها بيده، ولم يستفهمها كلامًا قطُّ تأمره به حتىٰ يَسْأل مَن عندها بعد أن يخرج: ماذا قالت أمي؟

ويقول لقمان لابنه: يا بُنَيَّ، إن الوالدين من أبواب الجنة، إن رضيا عنك مَضَيْتَ إلىٰ

الجنة، وإن سَخِطَا حُجِبْتَ. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٍ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ». أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨) برقم (٧٥٠١)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٠٣١).

ويقول الحسن رحمه الله: دعاء الوالدين يثبت (أي: يحفظ) المال والولد. وسأل رجلٌ الحسنَ رحمه الله: ما دعاءُ الوالد لولده؟ قال: نجاة. ويقول مجاهد رحمه الله: دعوة الوالد لا تُحجَب عن الله عز وجل.

* * *

٤١- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: ٢٥].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾﴾

[الإسراء: ٢٣، ٤].

(٣٣٦/ ٤١) وعن أبي بكرةَ نُفَيعِ بنِ الحارثِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبرِ الكَبَائِرِ؟» ثلاثًا، قُلْنَا: بَلَى، يَا رَسُولَ الله. قَالَ: «الإِشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ». وكان مُتَّكِئًا فَجلَسَ، فَقَالَ: «ألا وَقَولُ الزُّورِ وَ شَهَادَةُ الزُّورِ». فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عليه.

(٣٣٧/ ٤١) وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ». رواه البخاري.

«اليمين الغموس»: الَّتي يحلفها كاذبًا عامدًا، سُمِّيت غموسًا لأنها تغمس الحالفَ في الإثم.

(٣٣٨/ ٤١) وعنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مِنَ الكَبَائِرِ شَتْمُ الرَّجُلِ وَالِدَيهِ!». قالوا: يَا رَسُولَ الله، وَهَلْ يَشْتُمُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: «نَعَمْ، يَسُبُّ أَبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أَبَاه، وَيَسُبُّ أُمَّهُ،

فَيَسُبُّ أُمَّهُ». متفق عليه.

وفي رواية: «**إنَّ مِنْ أكْبَرِ الكَبَائِرِ أنْ يَلْعَنَ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ!**». قِيلَ: يَا رَسُول الله، كَيْفَ يَلْعَنُ الرَّجُلُ وَالِدَيهِ؟! قَالَ: «**يَسُبُّ أبَا الرَّجُلِ، فَيَسُبُّ أباهُ، وَيَسُبُّ أُمَّهُ، فَيَسُبُّ أُمَّهُ**».

(٣٣٩/ ٤١) وعن أَبي محمدٍ جُبَيْرِ بنِ مُطْعِمٍ رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ**». قَالَ سفيان في روايته: يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. متفق عليه.

(٣٤٠/ ٤١) وعن أَبي عيسىٰ المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ الله تَعالَىٰ حَرَّمَ عَلَيْكُمْ عُقُوقَ الأُمَّهاتِ، وَمَنْعًا وهاتِ، وَوَأْدَ البَنَاتِ، وكَرِهَ لَكُمْ قِيلَ وقالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإضَاعَةَ المَالِ**». متفق عليه. قوله: «**مَنْعًا**» معناهُ: مَنْعُ مَا وَجب عَلَيهِ. و«**هَاتِ**»: طَلَبُ مَا لَيْسَ لَهُ.

و«**وَأْد البَنَاتِ**» مَعناهُ: دَفنُهُنَّ في الحَيَاةِ. و«**قيلَ وقالَ**» مَعْناهُ: الحَديث بكُلِّ مَا يسمَعهُ، فيقُولُ: قِيلَ كَذَا، وقَالَ فُلانٌ كَذَا مِمَّا لا يَعْلَمُ صِحَّتَهُ، وَلا يَظُنُّهَا، وَكَفَىٰ بالمَرْءِ كذبًا أنْ يُحَدِّث بكُلِّ مَا سَمِعَ.

و«**إضَاعَةُ المَالِ**»: تَبذِيرُهُ وَصرفُهُ في غَيْرِ الوُجُوهِ المأْذُونِ فِيهَا مِنْ مَقَاصِدِ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا، وتَرْكُ حِفظِهِ مَعَ إمكَانِ الحِفظِ. و«**كَثْرَةُ السُّؤَالِ**»: الإلحَاحُ فيما لا حَاجَةَ إلَيْهِ. وفي الباب أحاديث سبقت في الباب قبله كحديث: «**وأقْطَعُ مَنْ قَطَعَكَ**»، وحديث: «**مَنْ قطَعَني قَطَعهُ الله**».

* * *

(صلة الأرحام)

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١**﴾ [النساء: ١].

وقال تعالىٰ: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ٢١**﴾ [الرعد: ٢١].

وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليوم الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أو لِيَصْمُتْ**» متفق عليه.

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إنَّ الله تَعالَىٰ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَّىٰ إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مُقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ؟ قَالَ: نَعَم، أمَا تَرْضَيْنَ أنْ**

أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَىٰ. قَالَ: فَذَلِكَ لَكِ». ثُمَّ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَءوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾» [محمد: ٢٢-٢٣]. متفق عليه.

وعن أنسٍ رضي الله عنه أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ» متفق عليه. وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قال النَّبيُّ ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالمُكَافِئِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الَّذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَهَا». البخاري برقم (٥٩٩١).

وعن سَلْمان بن عامر رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّدَقَةُ عَلَىٰ المِسكينِ صَدَقةٌ، وعَلَىٰ ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ». أحمد في مسنده (٤/ ١٧) برقم (١٦٢٧٢).

وعن جُبَيْر بن مُطعِم رضي الله عنه: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ قَاطِعٌ». يَعْنِي: قَاطِع رَحِم. متفق عليه.

والأرحام هم القرابة عمومًا من جهة الآباء والأمهات وما علا، والبنين والبنات وما نزل، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأبنائهم، ونحوهم من القرابات. وأما صلة الرحم فهي أن يفعل الإنسان مع أقاربه ما يُعَدُّ به مواصلًا غير متنافر ولا مقاطع:

١- فلو زارهم يصلهم بهديَّة ونحوها إن كان مقيمًا عندهم.

٢- لو كانوا محتاجين وَصَلهم بمالٍ ونحوه.

٣- إن لم يكونوا محتاجين لمالٍ أعانهم في أعمالهم.

٤- ولو كان غائبًا عنهم وصلهم بالخطابات وإرسال السلامات ولين الكلام ونحو ذلك.

٥- وإن قَدَر علىٰ المشي إليهم فهو أفضل، وهذا في كلِّ قريب له.

وقد قيل: ثلاثةٌ تُؤَدَّىٰ إلىٰ البرِّ والفاجر: الأمانة تُؤَدَّىٰ إلىٰ البرِّ والفاجر، والعهد يُوفَّىٰ للبر والفاجر، والرحم تُوصَل برة كانت أو فاجرة.

وثلاثةٌ إذا كُنَّ في الرجل لم يُشكَّ في عقله وفضله: إذا حمده جارُه، ورفيقه، وقرابته.

وأربعةٌ تحتاج إلىٰ أربعة: الحسب إلىٰ الأدب، والسرور إلىٰ الأمن، والقرابة إلىٰ المودة، والعقل إلىٰ التجربة.

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِن ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تعالىٰ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ في الدنيا مَعَ ما يَدَّخِرُ له في الآخرة مِثْل البَغْيِ وقَطِيعةِ الرَّحِمِ». أبو داود برقم (٤٩٠٢).

تنبيهات: إذا تجاورت الأرحام تزاحمت الحقوق؛ أي: تنازعوا فيها؛ ولهذا يُنصح بعدم التجاور بين الأقارب قدر المستطاع، كمثل بيوت العائلات مما يؤدي إلىٰ الحسد والبغضاء، فيسبب هذا صعوبة علىٰ النفس، فيجب الحذر في التعاملات بين الأقارب.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ لي قَرَابَةً أَصِلُهم وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ. فَقَال ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ (أي: تطعمهم الرماد الحار، كناية عن سوء فعلهم وحسن مقابلته لهم)، وَلَا يَزَالُ مَعكَ مِنَ الله تَعَالَىٰ ظَهِيرٌ (أي: مُعين) عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». مسلم برقم (٢٥٥٨).

وقد قيل: عشيرتك مَن أحسن عِشْرتَك، وابن عمِّك مَن عمَّك خيرُه، وقرابتك مَن قرب منك نَفْعُه، وأَحبُّ الناس إليك أخفُّهم ثقلًا عليك.

وعن حُمَيْد بن عبد الرحمن، عن أُمِّه أمِّ كلثوم بنت عُقْبَة- قال سفيان بن عُيَيْنة رحمه الله: وكانت قد صلَّت مع رسول الله ﷺ القبلتين- قالت: قال رسول الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَةِ علىٰ ذي الرَّحِمِ الكَاشِحِ (أي: الذي يضمر عداوته)» [أحمد في مسنده (٣/ ٤٠٢) برقم (١٥٣٥٥)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١١١٠)]، ولهذا فإن ثوابَ صلة الأرحام كبيرٌ؛ لأنه مخالفٌ للنفس بشدة.

❊ ❊ ❊

٤٢- باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه

(٣٤١/ ٤٢) عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما: أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَبَرَّ البرِّ أنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أبيهِ».

رواه مسلم.

(٣٤٢/ ٤٢) وعن عبدِ الله بن دينار، عن عبدِ الله بن عُمرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ لَقِيَهُ بطَرِيق مَكَّةَ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ عبدُ الله بْنُ عُمَرَ، وَحَمَلَهُ عَلَىٰ حِمَارٍ كَانَ يَرْكَبُهُ، وَأَعْطَاهُ عِمَامَةً كَانَتْ عَلَىٰ رَأْسِهِ، قَالَ ابنُ دِينَارٍ: فَقُلْنَا لَهُ: أَصْلَحَكَ الله، إِنَّهُمُ الأَعْرَابُ وَهُمْ يَرْضَوْنَ باليَسِيرِ. فَقَالَ عبدُ الله ابنُ عُمرَ: إن أَبَا هَذَا كَانَ وُدًّا لِعُمَرَ بنِ الخطابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإنِّي سَمِعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ صِلَةُ الرَّجُلِ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ».

وفي روايةٍ عن ابنِ دينار، عن ابن عُمرَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَىٰ مَكَّةَ كَانَ لَهُ حِمَارٌ يَتَرَوَّحُ عَلَيهِ إِذَا مَلَّ رُكُوبَ الرَّاحِلَةِ، وَعِمَامَةٌ يَشُدُّ بِهَا رَأسَهُ، فَبيْنَا هُوَ يَومًا عَلَىٰ ذلِكَ الحِمَارِ إِذْ مَرَّ بِهِ أعْرابيٌّ، فَقَالَ: أَلَسْتَ فُلَانَ بْنَ فُلَانٍ؟ قَالَ: بَلَىٰ. فَأَعْطَاهُ الحِمَارَ، فَقَالَ: ارْكَبْ هَذَا. وَأَعْطَاهُ العِمَامَةَ وَقَالَ: اشْدُدْ بِهَا رَأْسَكَ. فَقَالَ لَهُ بعضُ أَصْحَابِهِ: غَفَرَ الله لَكَ أَعْطَيْتَ هَذَا الأَعْرَابِيَّ حِمَارًا كُنْتَ تَرَوَّحُ عَلَيهِ، وعِمَامةً كُنْت تَشُدُّ بِهَا رَأْسَك. فَقَالَ: إنِّي سَمِعتُ رَسُول الله ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ أَبَرِّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبيهِ بَعْدَ أَنْ يُولِّيَ». وَإِنَّ أَبَاهُ كَانَ صَدِيقًا لِعُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. روىٰ هذه الروايات كلها مسلم.

(٣٤٣/ ٤٢) وعن أَبِي أُسَيد - بضم الهمزة وفتح السين - مالك بن ربيعة الساعدي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: بَيْنَا نَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ إذ جَاءهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَلِمَةَ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، هَلْ بَقِيَ مِنْ برِّ أَبَوَيَّ شَيءٌ أَبرُّهُما بِهِ بَعْدَ موتِهما؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الصَّلاةُ عَلَيْهِمَا (أي: الدعاء لهما)، والاسْتِغْفَارُ لَهما، وَإنْفَاذُ عَهْدِهِمَا مِنْ بَعْدِهِما، وَصِلَةُ الرَّحِمِ الَّتِي لا تُوصَلُ إلَّا بِهِمَا، وَإكرامُ صَدِيقهمَا». رواه أبو داود.

(٣٤٤/ ٤٢) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا غِرْتُ عَلَىٰ أَحَدٍ مِنْ نِسَاءِ النَّبيِّ ﷺ مَا غِرْتُ عَلَىٰ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، وَمَا رَأَيْتُهَا قَطُّ، وَلَكِنْ كَانَ النبي ﷺ يُكْثِرُ ذِكْرَهَا، وَرُبَّمَا ذَبحَ الشَّاةَ، ثُمَّ يقَطِّعُهَا أعْضَاءً، ثُمَّ يَبْعثُهَا فِي صَدَائِقِ خَدِيجَةَ، فَرُبَّمَا قُلْتُ لَهُ: كَأَنْ لَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا إلَّا خَدِيجَةَ! فيَقُولُ: «إنَّهَا كَانَتْ وَكَانَتْ وَكَانَ لِي مِنْهَا وَلَدٌ». متفق عليه.

وفي رواية: وإنْ كَانَ لَيَذْبَحُ الشَّاءَ فَيُهْدِي فِي خَلَائِلِهَا (أي: صاحباتها) مِنْهَا مَا يَسَعُهُنَّ.

وفي رواية: كَانَ إِذَا ذبح الشاة، يقولُ: «أَرْسِلُوا بِهَا إِلَىٰ أَصْدِقَاءِ خَدِيجَةَ».

وفي رواية: قَالَت: اسْتَأْذَنَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد أُخْتُ خَدِيجَةَ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ،

فَعرَفَ اسْتِئذَانَ خَديجَةَ، فارتَاحَ لِذَلِكَ، فَقَالَ: «اللَّهُمَّ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ». قولُها: «فَارتَاحَ» هُوَ بالحاء، وفي «الجمع بين الصحيحين» للحُميدِي: «فارتاع» بالعينِ (حديث ٣٢٢٣)، ومعناه: اهتم بِه.

(٣٤٥/ ٤٢) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: خرجت مَعَ جرير بن عبد الله البَجَليِّ رضي الله عنه في سَفَرٍ، فَكَانَ يَخْدُمُني، فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَفعل. فَقَالَ: إِنِّي قَدْ رَأَيتُ الأَنْصَارَ تَصْنَعُ برسول الله ﷺ شيئًا آليت علىٰ نفسي ألا أصحب أحدًا منهم إلا خدمته. متفق عليه.

٤٣- باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وَقالَ تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

(٣٤٦/ ٤٣) وعن يزيد بن حَيَّانَ، قَالَ: انْطَلَقْتُ أَنَا وحُصَيْنُ بْنُ سَبْرَة، وعمرو بن مسلم إلىٰ زيد بن أرقم رضي الله عنهم، فَلَمَّا جلسنَا إِلَيْهِ قَالَ لَهُ حُصَيْن: لَقَدْ لقِيت يَا زَيْدُ خَيْرًا كَثِيرًا، رَأَيتَ رَسُول الله ﷺ، وسمعتَ حديثَهُ، وغزوْتَ معَهُ، وَصَلَّيْتَ خَلْفَهُ: لَقَدْ لَقِيت يَا زَيْدُ خيرًا كَثيرًا، حَدِّثْنَا يَا زَيْدُ مَا سَمِعْتَ مِنْ رسولِ الله ﷺ. قَالَ: يَا ابْنَ أَخِي، وَالله لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَقَدُمَ عَهدِي، وَنَسِيتُ بَعْضَ الَّذِي كُنْتُ أَعِي مِنْ رسولِ الله ﷺ، فما حَدَّثْتُكُمْ فَاقْبَلُوا، ومَا لا فَلَا تُكَلِّفُونيه. ثُمَّ قَالَ: قام رَسُول الله ﷺ يومًا فينا خَطِيبًا بماء يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالمَدِينَةِ، فَحمِدَ الله وَأَثْنَىٰ عَلَيهِ، وَوعظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بعدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رسولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تاركٌ فيكم ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهما كِتَابُ الله، فِيهِ الهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بكتابِ الله، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ». فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ الله في أَهلِ بَيْتِي، أذكرُكُمُ الله في أهل بيتي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بيتِهِ يَا زَيْدُ، أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيتِهِ، وَلكِنْ أَهْلُ بَيتِهِ مَنْ حُرِمَ الصَّدَقَةَ بَعدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ وَآلُ عقيلٍ وَآلُ جعفرٍ وآلُ عبَّاسٍ. قَالَ: كُلُّ هؤلاء حُرِمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَم. رواه مسلم.

وفي رواية: «أَلَا وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَحَدُهُما كِتَابُ الله وَهُوَ حَبْلُ الله، مَنِ اتَّبَعَهُ كَانَ عَلَىٰ الهُدَىٰ، وَمَنْ تَرَكَهُ كَانَ عَلَىٰ ضَلالَةٍ».

(٣٤٧/ ٤٣) وعن ابن عُمرَ رضي الله عنهما: عن أَبي بكر الصديق رضي الله عنه- مَوقُوفًا عَلَيهِ- أَنَّهُ قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمدًا ﷺ في أَهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري. معنىٰ «ارقبوه»: راعوه واحترموه وأكرموه. والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(عقيدة أهل السُّنَّة في آل البيت رضوان الله عليهم)

آلُ بيت النبيِّ ﷺ هم الذين حَرُمت عليهم الصدقة، وهم: آلُ عليٍّ بن أبي طالبٍ، وآل عَقِيل بن أبي طالب، وآل جعفر بن أبي طالب، وآل العباس بن عبد المطلب، وزوجاته الطاهرات المطهرات المبرآت والحليلات في الدنيا وفي أعلىٰ الجنات، وهن أمهات المؤمنين اللاتي أذهب اللهُ عنهن كلَّ رجسٍ ونزَّههن عن كلِّ دَنَسٍ، ولاسيما خديجة رضي الله عنها، التي انفردت به، فلم ينكح عليها، وعائشة رضي الله عنها التي تفرَّد بها فلم تنكح غيره. وهم الأخيار والأبرار، والذرية الأطهار، أشرف الناس حسبًا وأكرمهم نسبًا.

وأهل السُّنَّة يتقربون إلىٰ الله تعالىٰ بحب آل البيت الكرام، وحمايتهم والذَّبِّ عنهم وعن أعراضهم، ويُبغضون من أبغضهم أو قَدَح فيهم.

وأما الوصية بأهل البيت: فعن زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَوْمًا فِينَا خَطِيبًا، بِمَاءٍ يُدْعَىٰ خُمًّا بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللهِ فِيهِ الْهُدَىٰ وَالنُّورُ فَخُذُوا بِكِتَابِ اللهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ**»، فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ اللهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**». رواه مسلم(٢٤٠٨).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهم، قَالَ: ارْقُبُوا مُحَمَّدًا ﷺ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ. رواه البخاري.

وأهل السُّنَّة يُوالون ويحبون ويُعظِّمون آل البيت، ولا يقولون بعصمتهم من الأخطاء البشرية.

وأهل السُّنَّة يعتقدون أن من أحسن من آل البيت فهو مرفوعُ المقام عالٍ في قَدْره عند الله، أما من أساء فهم يُذكِّرونه بقول رسول الله ﷺ: «**مَنْ بَطَّأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ**»

مسلم برقم (٢٦٩٩). وأن من جَمَع بين طيب النسب وصالح العمل فقد جمع بين الخيرين وحاز الفضلين.

وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسي بيده، لا يُبْغِضُنَا - أهلَ البيت - أحدٌ إلا أدخله اللهُ النارَ». أخرجه الحاكم في «المستدرك»، وقال: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

* * *

٤٤- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار مرتبتهم

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾﴾ [الزمر: ٩].

(٣٤٨/ ٤٤) وعن أبي مسعودٍ عقبة بن عمرو البدري الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «يَؤُمُّ القَوْمَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، فَإنْ كَانُوا فِي القِراءةِ سَوَاءً، فأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ، فَإنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَوَاءً، فَأَقْدَمُهُمْ سِنًّا، وَلَا يَؤُمَّنَّ الرَّجُلُ الرَّجُلَ فِي سُلْطَانِهِ، وَلَا يَقْعُدْ فِي بَيْتِهِ عَلَىٰ تَكْرِمَتِهِ إلَّا بِإذْنِهِ». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «فَأَقْدَمُهُمْ سِلْمًا». بَدَلَ: «سِنًّا» أي: إسْلامًا.

وفي رواية: «يَؤُمُّ القَومَ أَقْرَؤُهُمْ لِكِتَابِ الله، وَأَقْدَمُهُمْ قِراءةً، فَإنْ كَانَتْ قِرَاءتُهُمْ سَوَاءً فَيَؤُمُّهُمْ أَقْدَمُهُمْ هِجْرَةً، فَإنْ كَانُوا فِي الهِجْرَةِ سَواء، فَلْيَؤُمُّهُمْ أَكْبَرُهُمْ سِنًّا».

والمراد بـ«سلطانه»: محل ولايته، أَو الموضعِ الَّذِي يختص بِهِ. و«تَكْرِمَتِهِ» بفتح التَّاءِ وكسر الرَّاءِ، وهي مَا ينفرد بِهِ من فِراشٍ وَسَريرٍ ونحوهِما.

(٣٤٩/ ٤٤) وعنه قَالَ: كَانَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، ويَقُولُ: «اسْتَوُوا وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلَامِ وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». رواه مسلم. وقوله صلى الله عليه وسلم: «لِيَلِنِي» هُوَ بتخفيف النون وليس قبلها ياءٌ، وَرُوِيَ بتشديد النُّون مَعَ يَاءٍ قَبْلَهَا. «وَالنُّهَىٰ»: العُقُولُ. «وَأُولُو الأَحْلام»: هُم البَالِغُونَ، وقيلَ: أَهْلُ الحِلْمِ وَالفَضْلِ.

(٣٥٠/ ٤٤) وعن عبدِ الله بنِ مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلام

وَالنُّهَىٰ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ- ثلاثًا- وَإِيَّاكُمْ وَهَيْشَاتِ (أي: منازعات وخصومات وارتفاع أصوات) الأَسْوَاقِ». رواه مسلم.

(٣٥١/ ٤٤) وعن أَبي يَحيَىٰ- وقيل: أَبي محمد- سهل بن أَبي حَثْمة- بفتح الحاءِ المهملة وإِسكان الثاءِ المثلثة- الأنصاري رضي الله عنه قَالَ: انطَلَقَ عبد الله بنُ سهل وَمُحَيِّصَة بن مَسْعُود إِلَىٰ خَيْبَرَ وَهِيَ يومَئذٍ صُلْحٌ، فتَفَرَّقا، فَأَتَىٰ مُحَيِّصَةُ إِلَىٰ عبد الله بنِ سهل وَهُوَ يَتَشَحَّطُ فِي دَمِهِ (أي: يتخبط ويضطرب ويتمرغ في دمه) قَتِيلًا، فَدَفَنَهُ، ثُمَّ قَدِمَ المَدِينَةَ فانْطَلَقَ عبد الرحمن بنُ سهل وَمُحَيِّصَةُ وحوَيِّصَةُ ابْنَا مَسْعُودٍ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَهَبَ عبد الرحمن يَتكَلَّمُ، فقَالَ: «كَبِّرْ كَبِّرْ». وَهُوَ أَحْدَثُ القَوم، فَسَكَتَ، فتَكَلَّمَا، فَقَالَ: «أَتَحْلِفُونَ وتَسْتَحِقُّونَ قَاتِلَكُمْ؟». وذكر تمام الحديث. متفق عليه. وقوله ﷺ: «كَبِّرْ كَبِّرْ» معناه: يتكلم الأكبر.

(٣٥٢/ ٤٤) وعن جابر رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَجمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَىٰ أُحُد (أي: يَعْنِي فِي القَبْرِ)، ثُمَّ يَقُولُ: «أَيُّهما أَكْثَرُ أخذًا للقُرآنِ؟» فَإِذَا أُشيرَ لَهُ إِلَىٰ أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ. رواه البخاري.

(٣٥٣/ ٤٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرَانِي فِي المَنَام أَتَسَوَّكُ بِسِوَاكٍ، فَجَاءَنِي رَجُلانِ، أَحَدُهُما أكبر مِنَ الآخرِ، فَنَاوَلْتُ السِّوَاكَ الأَصْغَرَ، فَقِيلَ لِي: كَبِّرْ. فَدَفَعْتُهُ إِلَىٰ الأَكْبَرِ مِنْهُمَا». رواه مسلم مسندًا والبخاري تعليقًا.

(٣٥٤/ ٤٤) وعن أَبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ إجْلالِ الله تَعَالَىٰ إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ (أي: الذي شاب شعره) المُسْلِمِ، وَحَامِلِ القُرآنِ غَيْرِ الغَالِي (أي: المتجاوز الحد في التشدد والعمل) فِيهِ وَالجَافِي عَنْهُ (أي: الهاجر له)، وَإكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ المُقْسِطِ (أي: العادل)». حديث حسن، رواه أبُو داود.

(٣٥٥/ ٤٤) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ شَرَفَ كَبِيرِنَا». حديث صحيح رواه أبو داود والتِّرمذي وقال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

وفي رواية أبي داود: «حَقَّ كَبِيرِنَا».

(٣٥٦/ ٤٤) وعن ميمون بن أَبي شَبيب رحمه الله: أَنَّ عائشة رضي الله عنها مَرَّ بِهَا سَائِلٌ، فَأَعْطَتْهُ كِسْرَةً (أي: قطعة من خبز)، وَمَرَّ بِهَا رَجُلٌ عَلَيهِ ثِيَابٌ وَهَيْئَةٌ، فَأَقْعَدَتْهُ، فَأَكَلَ، فِقيلَ لَهَا فِي ذلِكَ، فقَالَتْ:

قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنازِلَهم». رواه أبو داود. لكن قال: ميمون لم يدرك عائشة.

وقد ذكره مسلم في أول صحيحه تعليقًا فقال: وذكر عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: أمرنا رسول الله ﷺ أن نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم. وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه «معرفة علوم الحديث» وقال: «هو حديث صحيح».

(٣٥٧/ ٤٤) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بنُ حِصْن، فَنَزَلَ عَلَىٰ ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بنِ قَيسٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ القُرَّاءُ (أي: وهذا مسمىٰ العلماء في زمان النبي ﷺ وصحابته) أَصْحابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشاوَرَتِهِ، كُهُولًا (أي: كبارًا في السن) كانوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لابْنِ أخيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، لَكَ وَجْهٌ (أي: لك وجاهة ومنزلة) عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ، فَاسْتَأْذِنْ لِي عَلَيهِ. فاسْتَأْذَنَ له، فَأَذِنَ لَهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: هي (أي: هي: بكسر الهاء وسكون الياء، كلمة تهديد) يَا ابنَ الخَطابِ، فَوالله ما تُعْطِينَا الجزْلَ (أي: ما تُعطينا العطاء الكثير)، وَلا تَحْكمُ فِينَا بالعَدْلِ. فَغَضِبَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّىٰ هَمَّ أَنْ يُوقِعَ بِهِ، فَقَالَ لَهُ الحُرُّ: يَا أَميرَ المُؤْمِنينَ، إنَّ الله تَعَالَىٰ قالَ لِنَبيِّه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝١٩٩﴾ [الأعراف:١٩٩] وَإنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ. والله مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عليه، وكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ الله تَعالَىٰ. رواه البخاري.

(٣٥٨/ ٤٤) وعن أبي سعيد سَمُرة بن جُندب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لقد كنت عَلَىٰ عَهْدِ رَسُول الله ﷺ غُلامًا، فَكُنْتُ أَحْفَظُ عَنْهُ، فَمَا يَمْنَعُنِي مِنَ القَوْلِ إلَّا أنَّ هاهُنا رِجالًا هُم أَسَنُّ مِنِّي. متفق عليه.

(٣٥٩/ ٤٤) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا أكْرَمَ شَابٌّ شَيْخًا لِسِنِّهِ إلَّا قَيَّضَ (أي: سبَّب وقدَّر) الله لَهُ مَنْ يُكرِمُهُ عِندَ سِنِّه». رواه الترمذي، وقال: «حديث غريب».

❁ ❁ ❁

(آداب العالم والمتعلم)

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: للعلماءِ درجاتٌ فوق المؤمنين بسبعمائة درجة، ما بين الدرجتين مسيرةُ خمسمائة عام. ورُوي: «إنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِياءِ». أبو داود برقم (٣٦٤١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٩٧).

آداب المتعلم أو طالب العلم:

- **طهارةُ النفس عن الرذائل**: من الأخلاق والأوصاف؛ إذ العلم عبادةُ القلب وصلاةُ السرِّ وقُرْبة الباطن إلىٰ الله تعالىٰ، والقلبُ المشحون بالغضب والشَّرَه إلىٰ الدنيا والتكالبِ عليها والحرصِ علىٰ تمزيقِ أعراض الناس ونَهْبِ أموالهم- محرومٌ من نور العلم.

قال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: ليس العلم بكثرة الرواية (أي: ليس بكثرة حفظ المرويات فقط)، وإنما العلم نورٌ يُقذَف في القلب. وقال ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه أيضًا: إنما العلمُ الخشية من الله، وهو أخصُّ ثمراتِ العلم؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨].

ولا تنكشف حقيقةُ العلم إلا إن كان لله، وإلا فهو مجرد حِفظ للألفاظ والمعاني.

قال أحد الصالحين: تعلَّمنا العلمَ لغير الله فأبىٰ العلمُ أن يكونَ إلا لله.

- التقلل من الاشتغال بأمور الدنيا: قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤]، وقيل: العلم لا يُعطيك بعضَه حتىٰ تُعطيه كُلَّك.

- **عدم التكبُّر علىٰ العلم والمعلم**: فيتواضع لمعلمه، ويطلب من الله الثواب بشرف خدمته، ويُطيع مُعلِّمه طاعةَ المريض للطبيب الماهر.

وليس من أخلاق المؤمن التذلل في السؤال إلا في طلب العلم، فقد قال الخَضِرُ لموسىٰ عليهما السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ٦٧﴾، فقال له موسىٰ عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴾، فرد عليه الخضر عليه السلام قائلًا: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْـَٔلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ٧٠﴾ [الكهف: ٦٧- ٧٠].

فلا تَسْتَبِقْ مُعلِّمَك بالسؤال في غير موضعه وأوانه؛ والسؤال والاستفسار مأمور به، ولكن حينما يأذن المعلم ويكون الوقت مناسبًا.

قال عليٌّ رضي الله عنه: إن مِن حقِّ العالم ألا تُكثِر عليه السؤال، ولا تُعَنِّتْهُ (أي: تشق عليه) في الجواب، ولا تُلِحَّ عليه إذا كَسِلَ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض، ولا تُفشي له سرًّا، ولا تغتاب أحدًا عنده، ولا تطلب عثرته، وإن زلَّ قَبِلْتَ معذرته، وعليك أن تُوقِّره وتعظمه لله تعالىٰ ما دام يَحفَظ أمر الله تعالىٰ، ولا تجلس أمامه (أي: إلا إذا أذن لك بالجلوس)، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلىٰ خدمته.

- **الاحتراز من الدخول في مسائل العلم الخلافية**: بل عليه إتقان الطرق الحميدة المرضية عند معلمه.

- **النظر في كل العلوم والفنون باعتبار المقصد والغاية** حيث إن العلومَ كافةً مترابطةٌ ومتعاونة، أما التبحر فيكون في العلم المراد.

- **مراعاة الترتيب في الأهمية والأولويات في العلوم**: ويأخذ من كل شيء أحسنه، وغاية العلوم هي معرفة الله ﷻ، وهو بحر لا منتهىٰ له.

- ألا ينتقل من علم إلىٰ ع**لم حتىٰ يستوفي الذي قَبْله**، فالعلوم مُرَتَّبة ترتيبًا ضروريًّا، وليكن قَصْدُه من كلِّ علمٍ الترقِّي إلىٰ ما هو فوقه لا تجاوُزَه.

- **أن يُميِّز بين درجات العلوم بمقدار ثمرة كلِّ علمٍ وقوة الدليل عليه**، فعلمُ الدين ثمرتُه الحياةُ الآخرة، ودليلُه القرآن والسُّنَّة، وهكذا.

- **أن يكون قصده تحلية وتجميل باطنه وسريرته**، لا الرياسة والمال والجاه ومجادلة السفهاء والمباهاة بالعلم.

آداب المعلم:

- الشفقة علىٰ المتعلمين كأنهم أولاده.

- الاقتداء بالمصطفىٰ ﷺ، فلا ينتظر علىٰ تعليمه جزاءً ولا شكورًا، ومع أن الفضل والمنة للمعلم علىٰ المعلمين، ولكن عليه ألا يرىٰ لنفسه ذلك.

- ألا يترك مِن نُصْحِ تلميذه شيئًا حتىٰ يوافق باطنُه ظاهرَه، حتىٰ لا يطلبَ العلم لغير الله فيهلك.

- علاج سوء الأخلاق في المتعلمين بالتعريض وليس بالتصريح، وبالرحمة لا بالتوبيخ.

- لا يُحقِّر من العلوم الأخرىٰ لِيُعْلِيَ من شأن علمه في عين تلميذه، بل عليه أن يُوسِّع عليه طرقَ التعلم في باقي العلوم بالتدريج.

- أن يُراعِيَ قصور فهمه وعقله واستيعابه وما يناسبه فيه؛ قال عليٌّ رضي الله عنه: إن هاهنا لعلومًا جمَّة (أي: كثيرة)، لو وجدت من يحملها.

- لا ينبغي للعالم أن يُفشِيَ كلَّ ما يعلم إلىٰ كلِّ أحدٍ، بل يفشي لكلِّ إنسانٍ بمقدار عقله وعلمه وفهمه، وقد سُئل بعضُ العلماء أمرًا فلم يُجِبْ، فقال السائلُ: أما سمعتَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجمَهُ (أي: أسكته ومنعه من الكلام) اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ» [أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣) برقم (٧٥٦١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٨٤)] فقال العالمُ: اتْرُكِ اللجامَ؛ فإن جاء من يفقهه وكتمته فَلْيُلْجمني.

- أن يراعي قصور عقل وفهم المتعلم أحيانًا، فلا يشوش عليه اعتقاده، فلا ينبغي أن يطرح عليه شبهة؛ فإنه ربما تعلَّقت بقلب المتعلم، وقد يَعسُر علىٰ المعلم بعد ذلك حَلُّها.

- ولا يفتح علىٰ العوامِّ باب البحث في العلوم وحدهم. ذلك أنه ما من أحدٍ إلا وهو راضٍ عن كمال عقله، وأشدُّ الناس حماقةً وأضعفُهم عقلًا هو أكثرهم رضًا وفرحًا بكمال عقله.

- أن يعمل المعلمُ بعلمه قدر المستطاع؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٤٤]؛ ولذلك كان وِزرُ العالم في معاصيه أكثرَ من وزر الجاهل، فالناس يقتدون بالعالم ويَزِلُّون بزَلَّته.

قال عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه: قَصَم ظهري رجلان: عالم متهتك (أي: يفعل المعاصي)، وجاهل مُتنسِّك (أي: عابد). فالجاهل يَغُرُّ الناسَ بزهده وتنسكه وعبادته، والعالم يَغُرُّهم بتقصيره ومعاصيه.

* * *

٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ

﴿أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠﴾ إِلَىٰ قوله تَعَالَىٰ: ﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦﴾ [الكهف: ٦٠-٦٦].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨].

(٣٦٠/ ٤٥) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبُو بكر لِعُمَرَ رضي الله عنهما بَعْدَ وَفَاةِ رسولِ الله ﷺ: انْطَلِقْ بنَا إِلَىٰ أُمِّ أيْمَنَ رضي الله عنها نَزُورُهَا كمَا كَانَ رَسُول الله ﷺ يَزُورُهَا. فَلَمَّا انْتَهيَا إلَيْهَا بَكَتْ، فَقالَا لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله خَيْرٌ لِرَسُولِ الله ﷺ؟ فَقَالَتْ: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله تعالىٰ خير لرسول الله ﷺ، ولَكِنْ أبكي أنَّ الوَحْيَ قدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّماءِ. فَهَيَّجَتْهُمَا عَلَىٰ البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم.

(٣٦١/ ٤٥) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ الله تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ مَلَكًا، فَلَمَّا أَتَىٰ عَلَيهِ، قَالَ: أيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أخًا لي في هذِهِ القَرْيَةِ. قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيهِ مِنْ نِعْمَة تَرُبُّهَا عَلَيهِ؟ قَالَ: لا، غَيْرَ أنِّي أحْبَبْتُهُ في الله تَعَالَىٰ. قَالَ: فَإنِّي رَسُولُ الله إلَيْكَ بأنَّ الله قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أحْبَبْتَهُ فِيهِ». رواه مسلم. يقال: أَرْصَدَهُ لِكَذَا: إذَا وَكَّلَهُ بِحِفْظِهِ. و«المَدْرَجَةُ» بِفَتْحِ الميمِ والرَّاءِ: الطَّرِيقُ. ومعنىٰ «تَرُبُّهَا»: تَقُومُ بِهَا، وَتَسْعَىٰ في صَلاحِهَا.

(٣٦٢/ ٤٥) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا أَوْ زَارَ أخًا لَهُ فِي الله، نَادَاهُ مُنَادٍ بِأنْ طِبْتَ، وَطَابَ مَمْشَاكَ، وَتَبَوَّأْتَ مِنَ الجَنَّةِ مَنْزِلًا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»، وفي بعض النسخ: «غريب».

(٣٦٣/ ٤٥) وعن أَبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّمَا مَثَلُ الجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَحَامِلِ المِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْمِسْكِ: إمَّا أنْ يُحْذِيَكَ، وَإمَّا أنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الكِيرِ: إمَّا أنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإمَّا أنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا مُنْتِنَةً». متفق عليه. «يُحْذِيكَ»: يُعْطِيكَ.

(٣٦٤/ ٤٥) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَلِحَسَبِهَا، وَلِجَمَالِهَا، وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ». متفق عليه. (أي: لصقت بالتراب، وهي وما أشبهها من ألفاظ اعتاد العرب استعمالها مثل: قاتله الله، ولا أم له، ولا أب لك، وثكلته أمه، وويل أمه، ويقولونها عند إنكار فعل الشيء أو الزجر عنه). ومعناه: أَنَّ النَّاسَ يَقْصِدُونَ في العَادَةِ مِنَ المَرْأةِ هذِهِ الخِصَالَ

الأَرْبَع، فَاحْرِصْ أنتَ عَلَىٰ ذَاتِ الدِّينِ، وَاظْفَرْ بِهَا، وَاحْرِصْ عَلَىٰ صُحْبَتِهَا.

(٣٦٥/ ٤٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لجبريل: «مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَزُورَنَا أكثر مِمَّا تَزُورُنَا؟» فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ [مريم: ٦٤] رواه البخاري.

(٣٦٦/ ٤٥) وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ». رواه أبو داود والتِّرمذي بإسناد لا بأس به.

(٣٦٧/ ٤٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الرَّجُلُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». رواه أبو داود والتِّرمذي بإسناد صحيح، وقال التِّرمذي: «حديث حسن».

(٣٦٨/ ٤٥) وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أن النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفق عليه.

وفي رواية قال: قيل للنبي ﷺ: الرَّجُلُ يُحبُّ القَومَ وَلَمَّا يَلْحَق بِهِمْ؟ قَالَ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ».

(٣٦٩/ ٤٥) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ أعرابيًّا قَالَ لرسول الله ﷺ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: حُبَّ الله ورسولهِ. قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية لهما: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَوْمٍ، وَلَا صَلَاةٍ، وَلَا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ الله وَرَسُولَهُ.

(٣٧٠/ ٤٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: جاء رجلٌ إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ». متفق عليه.

(٣٧١/ ٤٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «النَّاسُ مَعَادِنُ كَمَعَادِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، خِيَارُهُمْ فِي الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا، وَالأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». رواه مسلم. وروىٰ البخاري قوله: «الأَرْوَاحُ... إلخ» مِنْ روايةِ عائشة رضي الله عنها.

(٣٧٢/ ٤٥) وعن أُسَيْر بن عمرو، ويقال: ابن جابر، وَهُوَ بضم الهمزة وفتح السين المهملة قَالَ: كَانَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه إِذَا أَتَىٰ عَلَيهِ أَمْدَادُ أَهْلِ اليَمَنِ سَأَلَهُمْ: أَفِيكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ؟ حَتَّىٰ أَتَىٰ

عَلَىٰ أُوَيْسٍ ﵁، فَقَالَ لَهُ: أنت أويس بن عامر؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: مِنْ مُرَادٍ ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَكَانَ بِكَ بَرَصٌ فَبَرَأْتَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: لَكَ وَالِدَةٌ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادِ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ كَانَ بِهِ بَرَصٌ، فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ فَافْعَلْ**». فَاسْتَغْفِرْ لِي. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: الكُوفَةَ. قَالَ: أَلَا أَكْتُبُ لَكَ إِلَىٰ عَامِلِهَا؟ قَالَ: أَكُونُ فِي غَبْرَاءِ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيَّ. فَلَمَّا كَانَ مِنَ العَامِ المُقْبِلِ حَجَّ رَجُلٌ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَوَافَىٰ عُمَرَ، فَسَأَلَهُ عَنْ أُوَيْسٍ، فَقَالَ: تَرَكْتُهُ رَثَّ البَيْتِ قَلِيلَ الْمَتَاعِ (أي: الرث: القديم البالي، والمتاع: ما بالبيت من أثاث ونحوه، والعبارة بيان لضيق العيش وحقارة المتاع)، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقولُ: «**يَأْتِي عَلَيْكُمْ أُوَيْسُ بْنُ عَامِرٍ مَعَ أَمْدَادٍ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ مِنْ مُرَادٍ، ثُمَّ مِنْ قَرَنٍ، كَانَ بِهِ بَرَصٌ فَبَرَأَ مِنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ دِرْهَمٍ، لَهُ وَالِدَةٌ هُوَ بِهَا بَرٌّ لَوْ أَقْسَمَ عَلَىٰ اللهِ لَأَبَرَّهُ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لَكَ، فَافْعَلْ**». فَأَتَىٰ أُوَيْسًا، فَقَالَ: اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ أَحْدَثُ عَهْدًا بِسَفَرٍ صَالِحٍ، فَاسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: لَقِيتَ عُمَرَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَاسْتَغْفَرَ لَهُ، فَفَطِنَ لَهُ النَّاسُ، فَانْطَلَقَ عَلَىٰ وَجْهِهِ. رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضًا عن أُسَير بن جابر ﵁: أَنَّ أَهْلَ الكُوفَةِ وَفَدُوا عَلَىٰ عُمَرَ ﵁ وَفِيهِمْ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ يَسْخَرُ بِأُوَيْسٍ، فَقَالَ عُمَرُ: هَلْ هاهُنَا أَحَدٌ مِنَ القَرَنِيِّينَ؟ فَجَاءَ ذَلِكَ الرَّجُلُ، فَقَالَ عمرُ: إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَدْ قَالَ: «**إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، لَا يَدَعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ، قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللهَ تَعَالَىٰ فَأَذْهَبَهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوِ الدِّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**».

وفي رواية لَهُ: عن عمر ﵁ قَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**إِنَّ خَيْرَ التَّابِعِينَ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ: أُوَيْسٌ، وَلَهُ وَالِدَةٌ وَكَانَ بِهِ بَيَاضٌ، فَمُرُوهُ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ**». قوله: «غَبْرَاءِ النَّاسِ» بفتح الغين المعجمة، وإسكان الباءِ وبالمد، وهم: فُقَرَاؤُهُمْ وَصَعَالِيكُهُمْ وَمَنْ لا يُعْرَفُ عَيْنُهُ مِنْ أخلاطِهِمْ. «وَالأَمْدَادُ» جَمْعُ مَدَدٍ: وَهُمُ الأَعْوَانُ وَالنَّاصِرُونَ الَّذِينَ كَانُوا يُمِدُّونَ المُسْلِمِينَ فِي الجِهَادِ.

(٣٧٣/ ٤٥) وعن عمر بن الخطاب ﵁ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ لِي، وَقَالَ: «**لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ** (أي: تصغير «أخي»، وهو تصغير تلطف وتعطف لا تحقير) **مِنْ دُعَائِكَ**». فَقَالَ كَلِمَةً مَا يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي رواية: قالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ». حديث صحيح رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٧٤/ ٤٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يزور قُبَاءَ (أي: قرية علىٰ بعد فرسخ من المدينة) رَاكِبًا وَمَاشِيًا، فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفق عليه.

وفي رواية: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأتي مَسْجِد قُبَاءَ كُلَّ سَبْتٍ رَاكِبًا وَمَاشِيًا، وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَفْعَلُهُ.

٤٦- باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] إِلَىٰ آخر السورة.

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

(٣٧٥/ ٤٦) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلاوَةَ الإِيمانِ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لا يُحِبُّهُ إِلَّا لله، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ بَعْدَ أَنْ أَنْقَذَهُ اللهُ مِنْهُ، كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ». متفق عليه.

(٣٧٦/ ٤٦) وعن أَبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحمايته، أو في ظل عرشه) يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِالمَسَاجِدِ (أي: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها)، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي اللهِ اجْتَمَعَا عَلَيهِ وتَفَرَّقَا عَلَيهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لا تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (أي: فاضت الدموع منهما)». متفق عليه.

(٣٧٧/ ٤٦) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يقول يَوْمَ القِيَامَةِ: أَيْنَ المُتَحَابُّونَ بِجَلالي؟ اليَوْمَ أُظِلُّهُمْ فِي ظِلِّي يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلِّي». رواه مسلم.

(٣٧٨/ ٤٦) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلا أَدُلُّكُم عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا (أي: انشروا)

السَّلامَ بينكم». رواه مسلم.

(٣٧٩/ ٤٦) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ: «**أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَىٰ، فَأَرْصَدَ** (أي: جعل له من يرقبه) **اللهُ لَهُ عَلَىٰ مَدْرَجَتِهِ** (أي: طريقه) **مَلَكًا...**». وذكر الحديث إِلَىٰ قوله: «**إِنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ**». رواه مسلم، وقد سبق بالباب قبله.

(٣٨٠/ ٤٦) وعن البَراءِ بن عازب رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي الأنصار: «**لَا يُحِبُّهُمْ إِلَّا مُؤمِنٌ، وَلَا يُبْغِضُهُمْ إِلَّا مُنَافِقٌ، مَنْ أَحَبَّهُمْ أَحَبَّهُ اللهُ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ أَبْغَضَهُ اللهُ**». متفق عليه.

(٣٨١/ ٤٦) وعن معاذ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: الْمُتَحَابُّونَ فِي جَلالِي** (أي: من أجل إجلالي وتعظيمي) **لَهُمْ مَنَابِرُ مِنْ نُورٍ يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ** (أي: مع أن النبيين والشهداء أعلىٰ مقامًا إلا أنهم يفرحون بالمقام الكريم الذي يحصل عليه المتحابون عند الله تعالىٰ)».

رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٣٨٢/ ٤٦) وعن أَبي إدريس الخولاني رحمه الله قَالَ: دخَلْتُ مَسْجِدَ دِمَشْقَ، فَإِذَا فَتًىٰ بَرَّاقُ الثَّنَايَا (أي: وهي الأسنان الأربع في مُقدَّم الفم من أعلىٰ وأسفل) وَإِذَا النَّاسُ مَعَهُ، فَإِذَا اخْتَلَفُوا فِي شَيْءٍ أَسْنَدُوهُ إِلَيْه وَصَدَرُوا عَنْ رَأيِه، فَسَأَلْتُ عَنْهُ، فقيلَ: هَذَا مُعاذُ بْنُ جَبَلٍ رضي الله عنه. فَلَمَّا كَانَ مِنَ الغَدِ هَجَّرْتُ، فَوَجَدْتُهُ قَدْ سَبَقَنِي بالتَّهْجِيرِ، ووَجَدْتُهُ يُصَلِّي، فانْتَظَرْتُهُ حَتَّىٰ قَضَىٰ صَلاتَهُ، ثُمَّ جِئْتُهُ مِنْ قِبَلِ وَجْهِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، ثُمَّ قُلْتُ: وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ لِله، فقالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَقَالَ: آللهِ؟ فَقُلْتُ: اللهِ، فَأَخَذَنِي بِحَبْوَةِ (أي: بطرَف) رِدَائِي، فجبذني (أي: جذبني) إِلَيْهِ، فَقَالَ: أَبْشِرْ؛ فَإنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْـمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ** (أي: الذين يبذلون أنفسهم في مرضاة الله)». حديث صحيح رواه مالك في «الموطأ» بإسناده الصحيح. قوله: «هجَّرت» أي: بَكَّرْتُ، وَهُوَ بتشديد الجيم. قوله: «آللهِ فقلت: اللهِ» الأول بهمزة ممدودة للاستفهام، والثاني بلا مد.

(٣٨٣/ ٤٦) عن أَبي كَرِيمَةَ المقدام بن معدِ يكرِب رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا أَحَبَّ الرَّجُلُ أَخَاهُ، فَلْيُخْبِرْهُ أَنَّهُ يُحِبُّهُ**». رواه أبو داود والتِّرمذي وقال: «حديث حسن».

(٣٨٤/ ٤٦) وعن معاذ رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أخذ بيدهِ وقَالَ: «**يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ، ثُمَّ أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ** (أي: عقيب) **كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ**». حديث صحيح؛ رواه أبو داود والنَّسائي بإسناد صحيح.

(٣٨٥/ ٤٦) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا كَانَ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَرَّ بِهِ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُول الله، إِنِّي لأُحِبُّ هَذَا. فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «أَأَعْلَمْتَهُ؟». قَالَ: لا. قَالَ: «أَعْلِمْهُ». فَلَحِقَهُ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّكَ فِي الله. فَقَالَ: أَحَبَّكَ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي لَهُ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* * *

(الحب في الله والبغض في الله)

أولا: الحب في الله: إن التحابَّ في الله تعالىٰ والأخوة في الإسلام من أفضل القُرُبات عند الله تعالىٰ، وبالقيام بحقوقهما وشروطهما نتال القُرْب من الله، وبالمحافظة عليهما ننال الدَّرجات العلا في الجنة، ويُلحقنا اللهُ بالمتحابِّين في الله، فقد قال اللهُ تعالىٰ مادحًا النبيَّ وأصحابَه الكرام رضي الله عنهم: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح: ٢٩].

وكذلك مَدَح الأنصارَ رضي الله عنهم في حُبِّهم للمهاجرين مع أنهم جاءوا يَشْركونهم في دنياهم، ومع ذلك أحبُّوهم، كما وصفهم سبحانه وتعالى فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحشر: ٩]. واعلم أن هذا الحبَّ وهذه الأخوة ثمرةُ حُسن الخُلُق، فحُسن الخُلُق يُثمر التآلفَ والتحابَّ والتوافق، وسوءُ الخُلُق يُثمر التباغض والتحاسد والتدابر؛ ولهذا مَدَح اللهُ تعالىٰ نبيَّه ﷺ فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم: ٤].

وسُئل النبيُّ ﷺ عن أكثر ما يُدخِل الناسَ الجَنَّةَ، فقال: «تَقْوَىٰ الله وَحُسْنُ الْخُلُقِ». أحمد في «مسنده» (٢/ ٤٤٢) برقم (٩٦٩٤). فجمع النبيُّ ﷺ في هذه الكلمة بين العلاقةِ التي يجب أن تكونَ بين العبد وربِّه والعلاقة التي يجب أن تكونَ بين المرء وأخيه في الحياة الدنيا، عن طريق ذِكر السبب الذي تترتَّب عليه الألفةُ والمحبة، كما في الحديث.

وقال ﷺ: «إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَإِنَّ لِزَوْجِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ». البخاري برقم (١٩٦٨). وقال ﷺ: «مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الْخُلُقِ». الترمذي برقم (٢٠٠٣)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٧٢١).

وقد قال اللهُ تعالىٰ مُظهرًا مِنَّته على النبيِّ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنفال:٦٢]. كذلك ذمَّ التفرقةَ وحذَّر منها، فقال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

فالنعمة التي ذكَرها هي المحبة والألفة والأخوة في الله، قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا» [البخاري برقم (٣٧٥٩)].

وفي رواية: «الْـمُوطَّئُونَ أَكْنَافًا الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ» [الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٣٧٥٩)].

وقال ﷺ: «الْمُؤْمِنُ إِلْفٌ يُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ وَلَا يُؤْلَفُ». الطبراني في «الأوسط» (٧/ ٣٥٠) برقم (٧٦٩٧)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٦٦١).

وروي عن أنس بن مالك مرفوعًا: «مَثَلُ الْأَخَوَيْنِ إِذَا الْتَقَيَا مَثَلُ الْيَدَيْنِ تَغْسِلُ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَىٰ، وَمَا الْتَقَىٰ مُؤْمِنَانِ قَطُّ إِلَّا أَفَادَ اللهُ مِنْ صَاحِبِهِ خَيْرًا». العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١/ ٤٦٤) برقم (١٧٦٢).

ولما قال أبو إدريس الخَوْلانيُّ لمُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه: إني أُحبك في الله. قال مُعاذ: أَبشِر؛ فإني سمعتُ رسولَ ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ فِي الْـحَدِيثِ الْقُدُسِيِّ: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ وَالْـمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ وَالْـمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». مالك في «موطئه» (٢/ ٩٥٣) برقم (١٧١١).

وقد روي عن أبي هريرة مرفوعًا: «إِنَّ حَوْلَ الْعَرْشِ مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَلَيْهَا قَوْمٌ لِبَاسُهُمْ نُورٌ، وَوُجُوهُهُمْ نُورٌ، لَيْسُوا بِأَنْبِيَاءَ وَلَا شُهَدَاءَ، يَغْبِطُهُمُ النَّبِيُّونَ وَالشُّهَدَاءُ». فقالوا: يا رسولَ الله، صِفْهم لنا. فقال: «هُمُ الْـمُتَحَابُّونَ فِي اللهِ وَالْمُتَجَالِسُونَ فِي اللهِ». النسائي في السنن الكبرىٰ برقم (١١١٧٢).

ولهذا فإن مِن أوثق عُرىٰ الإيمان الحُبَّ في الله والبُغضَ في الله؛ فقد قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ للهِ، وَأَبْغَضَ للهِ، وَمَنَعَ للهِ، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الْإِيمَانَ». أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٣٨) برقم (١٥٦٥٥)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٩٦٥).

وفي روايةٍ أخرىٰ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ وَطَعْمَهُ: أَنْ يَكُونَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ». متفق عليه.

وعن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَجِدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ فَلْيُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ». الحاكم في المستدرك (١/ ٤٤) برقم (٣).

وعن ابن مسعود مرفوعًا قال: «إِنَّ مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ الرَّجُلُ رَجُلًا لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، مِنْ غَيْرِ مَالٍ أَعْطَاهُ، فَذَلِكَ الإِيمَانُ». الطبراني في الأوسط (٧/ ١٨٠) برقم (٧٢١٤).

قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا تَحَابَّ رَجُلَانِ فِي اللهِ إِلَّا كَانَ أَحَبُّهُمَا إِلَى اللهِ ﷻ أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ». الطبراني في الأوسط (٣/ ١٩٢) برقم (٢٨٩٩)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٤٥٠).

ولهذا فإنه إذا كان للمرء أصدقاءُ وإخوانٌ يُحبهم في الله، فمِن المناسب أن يُبغض في الله أعداءَ الله تعالىٰ، رُوي أن اللهَ تعالىٰ أوصىٰ عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لو أنكَ عبَدْتني بعبادة أهل السماوات والأرض، وحبٌّ في الله ليس، وبُغضٌ في الله ليس، ما أغنىٰ عنكَ شيئًا.

وقال عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ: تحبَّبوا إلىٰ الله ببُغض أهل المعاصي، وتقرَّبوا إلىٰ الله بالتباعد منهم، والتمسوا رضا الله بسخطهم. قالوا: يا رُوحَ الله، فمَن نُجالس؟ قال: جالِسُوا مَن تُذكِّركم اللهَ رؤيتُه، ومَن يزيد في عملكم كلامُه، ومَن يُرغِّبكم في الآخرة عملُه.

وقال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عليكم بالإخوان (أي: الأصدقاء)، فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلىٰ قول أهل النار: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ ۝١٠٠ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ۝١٠١﴾ [الشعراء: ١٠٠، ١٠١].

وقال عبدُ الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: والله، لو صُمْت النهارَ لا أُفطره، وقُمْتُ الليلَ لا أنامه، وأنفقتُ مالي في سبيل الله، أموتُ يومَ أموت وليس في قلبي حبٌّ لأهل طاعة الله وبُغضٌ لأهل معصية الله، ما نفعني ذلك شيئًا. وقال ابن السَّمَّاك: اللهم إنك تَعْلَم أني إذا كنتُ أعصيك كنت أُحِبُّ مَن يُطيعك، فاجعل ذلك قربة لي إليك.

ومع ذلك نُحذِّر ونقول: هذا تواضع العلماء وانكسارهم أمام الله، وإلا فقد قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: يا ابنَ آدم، لا يغرَّنَّك قولُ من يقول: المرءُ مع مَن أحبَّ؛ فإنك لن تَلْحَق بالأبرار إلا بأعمالهم، فإن اليهودَ والنصارىٰ يُحِبُّون أنبياءهم وليسوا معهم.

والفُضيل رَحِمَهُ اللَّهُ يقول: هاه، تُريد أن تسكنَ الفردوس وتُجاور الرحمن في داره مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، بأيِّ عمل عملتَه؟ بأيِّ شهوةٍ تركتَها؟ بأيِّ غيظٍ كظمتَه؟ بأيِّ رحمٍ قاطعٍ وصلتَها؟ بأيِّ زلةٍ لأخيك غفرتَها؟ بأيِّ قريبٍ باعدتَه في الله؟ بأيِّ

بعيدٍ قاربتَه في الله؟

ويُروىٰ أن اللهَ أوصىٰ لموسىٰ عليه السلام: هل عملتَ لي عملًا قطُّ؟ فقال: إلهي، إني صليتُ لك، وصمتُ وتصدقت وزكيت. فقال: إن الصلاة لك برهان، والصوم جُنَّة، والصدقة ظل، والزكاة نور، فأيَّ عمل عملتَ لي؟ قال موسىٰ: دُلَّني علىٰ عمل هو لك. قال: يا موسىٰ، هل واليتَ لي وليًّا قط؟ وهل عاديت فيَّ عدوًّا قط؟ فعلم موسىٰ أن أفضلَ الأعمالِ الحبُّ في الله والبغض في الله.

فالعبادات إنما جعلت فائدة للعبد لا للرب، لتساعده علىٰ الاستقامة وصلاح نفسه، أما الحب والبغض في الله إنما هو لمصلحة المسلمين جميعًا فصار مُقدَّمًا علىٰ العمل الفردي في الأجر والثواب.

وقالَ ابنُ مسعودٍ رضي الله عنه: لو أن رجلًا قام بين الرُّكن والمقام يعبد الله سبعين سنةً لبعثه اللهُ يوم القيامة مع من يُحب. وقال الحسن رحمه الله: مُعاداة الفاسق قربانٌ إلىٰ الله.

وقال عمر رضي الله عنه: إذا أصاب أحدُكم وُدًّا مِن أخيه فليتمسَّك به، فقلما يصيب ذلك (أي: قلما يجد مثله). وقال مجاهد رحمه الله: المتحابُّون في الله إن التقَوْا فكَشَرَ (أي: تبسم) بعضُهم إلىٰ بعض تتحاتُّ عنهم الخطايا (أي: تتناثر) كما يتحاتُّ ورقُ الشجر في الشتاء إذا يبِس.

وقال الفضيل رحمه الله: نَظَرُ الرجل إلىٰ وَجْه أخيه علىٰ المودة والرحمة عبادةٌ.

الفرق بين الزمالة في الدنيا والأخوة في الله:

أما النوع الأول (الزمالة في الدنيا): فهو يحدث اتفاقًا وقدرًا، وذلك من دون قصدٍ أو اختيار من الإنسان، كصُحبة الجيران، وصحبة الدراسة والجامعة، وصحبة الأسواق، والصحبة التي تنشأ بسبب السفر.

وهذه الأنواع من الصُّحبة غير الاختياريَّة يكفينا فيها الأدبُ المناسب لها بأنواعه المختلفة في كلِّ حالٍ: فهناك أدبُ السفر، وأدبُ الجوار، وأدب الزمالة في العمل، وأدب الطريق، وأدب المُجالسة، وغيرها من الآداب التي تلزمنا معرفتُها والتأدُّب بها مع أهلها.

وأما النوع الثاني (الأخوة في الله): فهو ينشأ عن قصدٍ وتعمُّد واختيار، حيث يختار المرءُ صديقًا أو صاحبًا، وهو الذي نُريد البيانَ فيه، والأخوة في الله تقع في هذا النوع، أي لا

ثواب إلا علىٰ الأفعال الاختيارية، ولا ترغيب إلا فيها.

والصُّحبة تكون بالمجالسة والمجاورة المُتعمَّدة، وهذه الأمورُ لا يقوم بها الإنسانُ مع غيرِه، أي مِنَ الجلوس قليلًا وكثيرًا، والمجاورة، إلا إذا أحبَّه فعلًا؛ فإن غيرَ المحبوب ثقيلٌ علىٰ النفس، بل ويُتجنَّب ويُتباعَد منه ولا تُقصد مخالطتُه أو صُحبتُه.

أقسام الحب بين الأصحاب:

وأما أنواع الحب والمخالطة مع الإخوان والأصحاب فأربعة أقسام:

أما القسم الأول: فهو أن تحب صاحبك لذاته، حيث إنه يكون محبوبًا عندك، تُسَرُّ وتتلذَّذ برؤيته ومشاهدته ومعرفته ومشاهدةِ أخلاقه، استحسانًا لها، حيث إن كلَّ جميلٍ بالطبع لذيذٌ في حقِّ مَن يدرك الجمال والفهم الصحيح، وكل لذيذٍ بالتالي محبوب.

ومعلومٌ أن اللذةَ بالشيء تأتي بعد استحسانِه واستحسانِ صفاته، وكذلك يأتي الاستحسانُ للشيء بعد أن تتوافقَ وتتلاءمَ الطِّباعُ، أي أنه إذا توافقت وتلاءمتِ الطباعُ بين اثنين فيَستحسن كلٌّ منهما الآخر، ومن ثَمَّ يتلذَّذ بالقرب منه، فيأتي بعد ذلك الحبُّ؛ حبُّ الإنسان لأخيه لذاته التي يستحسنها.

والمُستحسَن أو المحبوب: إما أن يكونَ حُسْنُه في الظاهر، أي حُسْن الخِلقة، أو في الباطن، أي حسن الأخلاق. وبسبب حسن الأخلاق تَحسُن أفعاله لا محالة، حيث إنه باكتمال العقل تزداد العلوم والمعارف، وكلُّ ذلك لا شكَّ مُستحسَنٌ عند أصحاب الطبع السليم والعقل المستقيم، فكلُّ مُستحسَن مُتلذَّذٌ به ومحبوب.

ولكنْ في ائتلافِ القلوب أمرٌ أكثرُ غموضًا من هذا، فإنه قد تشتدُّ المَودَّةُ بين شخصين من غير مَلَاحة في صورةٍ ولا حُسنٍ في خُلُق، ولكن بأمرٍ أوجب الأُلفةَ والموافقة بينهما، فإن الشيءَ مُنجذِبٌ إلىٰ شبيهه بالطبع، وهذا ليس في قدرة البشر الاطلاع عليه؛ ولهذا قال ﷺ: «الأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، فَمَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ». مسلم برقم (٢٦٣٨). فالتناكرُ نتيجةٌ للتباين والاختلاف، والائتلاف نتيجةٌ للتناسب والتعارف.

وقد قال بعضُ العلماء: إن اللهَ تعالىٰ خلقَ الأرواحَ ففلَق بعضَها فَلْقًا، وأطافها حول العرش، فأي رُوحَين من فِلْقَتَيْنِ تعارفا هناك فالتقيا تَوَاصَلَا في الدنيا.

وفي الخبر: «إِنَّ رُوحَي الْمُؤْمِنَيْنِ لَيَلْتَقِيَانِ عَلَىٰ مَسِيرَةِ يَوْمٍ وَمَا رَأَىٰ أَحَدُهما صَاحِبَه قَطُّ». [البخاري في «الأدب المفرد» برقم (٢٦١)، أحمد في «مسنده» (٢/ ٢٢٠) برقم (٧٠٤٨)].

ورُوِي كذلك: أن امرأة بمكة كانت تُضحِك النساءَ، وكانت بالمدينة أخرىٰ (أي: مثلها تُضحك النساء بالمدينة)، فنزلتِ المكيَّةُ علىٰ المدنيَّة، فدخلت علىٰ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فأضحكَتْها، فقالت: أين نزلتِ؟ فذكرَتْ لها صاحبتَها، فقالت: صدق اللهُ ورسولُه، سمعتُ رسولَ الله... وذكرَتْ حديثَ «الْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ».

والمشاهدةُ والتجربة تشهد لهذا الأمر، في أن التناسبَ في الطِّباع والأخلاق يأتي منه الائتلافُ، وهذا أمرٌ مفهوم، أما معرفةُ هذه الأسباب علىٰ وجه الدقة فأمرٌ ليس في قدرة البشر. فشَبَهُ الشيء مُنجذِبٌ إليه بالطبع، وإن كان هو نفسه قد لا يشعر به.

قصة: قال مالك بن دينار رَحِمَهُ اللَّهُ: لا يتَّفق اثنان في عِشرة إلا وفي أحدهما وصفٌ من الآخر، وإن أجناسَ الناس كأجناس الطير، ولا يتَّفق نوعانِ مِنَ الطَّير في الطيران إلا وبينهما تناسبٌ ومناسبة وتوافق. وحدث أن رأىٰ يومًا غرابًا مع حمامة، فعَجِب من ذلك فقال: اتَّفقا وليسا من شكلٍ واحدٍ. ثم طارَا فإذا هما أعرجان فقال: من هاهنا اتَّفقا. اهـ.

وفي الحكمة: الطيورُ علىٰ أشكالِها تقع.

وفيها أيضًا: وكلُّ إنسان يأنَسُ إلىٰ شكله، كما أن كلَّ طيرٍ يطير مع جنسه.

وإذا اصطحب اثنان برهةً من زمانٍ ولم يتشاكلا؛ أي: يتفقا في الطباع، في الحال، فلابد أن يتفرَّقَا. وقال الشاعر:

وقائــلٍ: كيــف تفارقتمــا ... فقلــتُ قــولًا فيــه إنْ صافُ

لـم يـكُ مِـن شـكلي ففارقتـه ... والنـــاسُ أشـــكالٌ وآلافُ

ومن هذا عُلم أن الإنسانَ قد يُحب الآخرَ لذاته لا لفائدة تُنال منه في عاجلٍ أو حتىٰ آجل، بل لمجرد التجانس بينهما والتناسب كذلك في الطبع أو الأخلاق الظاهرة والخفية.

ومن ذلك حبُّ الجمال بأنواعه، حتىٰ ولو دون قصدِ قضاء الشهوة، وإلا فإن الصور الجميلة مُستلذَّة بذاتها، مثل الفواكه الجميلة والأزهار والماء الجاري والخضرة، ليس لسبب إلا التلذذ برؤيتها.

وعلىٰ هذا لا يكون هذا الحبُّ بين المتحابين حبًّا في الله، بل هو حبٌّ بالطبع وشهوة النفس، فإذا كان وراءه غرضٌ سيِّئ صار مذمومًا، كحبِّ النظرِ إلىٰ المرأة الأجنبية الجميلة، حيث إنها شهوة لا يحلُّ قضاؤها، وأما إن كان لغير سببٍ أو غرضٍ حرام أو مذمومٍ فهو حبٌّ مباح. فالحبُّ علىٰ هذه الشاكلة أمر مباح لا يُحمد صاحبه ولا يُذَمُّ إلا بحسب نيته.

القسم الثاني: أن يُحِبَّ المرءُ أخاه لأنه وسيلة إلىٰ شيء آخر، والوسيلةُ إلىٰ المحبوب محبوبةٌ كذلك، والحقيقة أن المحبوب الحقيقي هو ذلك المقصود الثاني وليس ذلك الشخص المحبوب، كمَن يُحب المالَ ليُوصله إلىٰ الطعام والشراب واللباس والتمتع بالحياة، وليس النقود ذاتها. فالذهب والفضة سبب ليتوصل بهما الإنسانُ إلىٰ أن ينال جاهًا أو سلطانًا أو علمًا، لا لذاتهما. كمن يُحب التقرُّب إلىٰ أصحاب السلطة للانتفاع، إما بمالهم أو جاههم، فإن المقصود من هذا الحبِّ هو حصولُ المُحِبِّ علىٰ الدنيا كما ذكرنا، فهذا الحبُّ ليس من جهة الحب في الله كذلك.

ولكن هناك من يطلب مِن وراء محبوبه عملًا من أعمال الآخرة وأمرًا من أمورها، كمن يُحب أستاذه وشيخه، فمحبوبُه العلم لا الأستاذ نفسه. فإذا كان الطالبُ المُحِبُّ يُحب أستاذَه للعلم، ولا يقصد بهذا العلمِ التقربَ إلىٰ الله، بل يقصد به أن ينالَ منه جاهًا أو عزًّا أو شرفًا بين الناس، أو مالًا، أو قبولًا عند الناس والخلق، فإن محبوبَه الحقيقيَّ ليس الأستاذ ولا العلم، وإنما محبوبُه الجاهُ والشرف والقبول بين الناس والخلق.

ولما كان العلمُ وسيلةً إلىٰ ذلك، والأستاذ أو الشيخ وسيلة إلىٰ العلم، فهذا أيضًا لا يُعتبر من الحبِّ في الله. وإذا تعلَّم ذلك العلم لغرضٍ مذموم، كأن يظلمَ الناس به، أو يَحُوز به أموالَ اليتامىٰ، ويلي القضاء ليسرق أموال الناس، كان هذا الحبُّ مذمومًا عند الله.

وإن كان يقصد به التوصل إلىٰ شيءٍ مباح لا حرمةَ فيه، صار حبُّه هذا مباحًا، ولا ثواب ولا عقاب، فالأمور بمقاصدها؛ فقد جاء في الحديث: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَىٰ». متفق عليه.

القسم الثالث: أن يُحِبَّ المرءُ أخاه لا لذاته، بل لغيره، أي أنه وسيلةٌ لمحبوب آخر، ولكنه ليس من حظوظ الدنيا، بل من حظوظ الآخرة.

وذلك كمَن يُحِبُّ أستاذه وشيخه لأنه يتوصَّل به إلىٰ تحصيل العلم، يكون عملُه صالحًا، فيفوز وينجح عند الله تعالىٰ، فهذا من جملة الحب في الله.

ومن يُحِبُّ تلميذَه لأنه يتلقَّىٰ منه العلمَ فينال بواسطةِ هذا التلميذ رتبةَ العلماء، ويُصبح كما قال عيسىٰ عليه السلام: من عَلِم وعمل، وعلَّم، فذلك يُدعَىٰ عظيمًا في ملكوت السماء. فقد أحبَّ تلميذَه لأن السببَ في هذا هو الترقي، فهو مُحِبٌّ في الله. وكمن يُحِبُّ أن يتصدَّق بأمواله لله، أو يُحِبُّ أن يُطعِم أصحابَه وجيرانَه وأضيافَه، فيُهيِّئ لهم الأطعمةَ اللذيذة تقرُّبًا إلىٰ الله، وهناك مَن يُساعده في ذلك، ولو كان طباخًا بالأجرة يُحسن صنعته، فهو يُحبُّه في الله لأنه يساعده في تقديم طعامٍ جيدٍ لذيذٍ لإخوانه، فهو مُحِبٌّ في الله.

وكمن يُحِبُّ مَن يخدمه بنفسه في غَسْل ثيابه، وكَنْس بيته، وطَبْخ طعامه، والقيام ببعض أعماله، ويُفرغه بذلك لطلب العلم أو العمل، فهو يستخدم ذلك الرجلَ ليُفرغه للعبادة والعلم، فهو مُحِبٌّ في الله. بل أكثرُ من ذلك أنه إذا أحبَّ غيرَه الذي أنفق مِن ماله عليه، أي علىٰ ذلك المُحِبِّ ليقصد من ذلك تفريغَه لدينه ولطلب العلم والتقرُّب إلىٰ الله، فهو مُحِبٌّ في الله. وقد كان جماعةٌ من السَّلَف قد تكفَّل برعايتهم والنفقة عليهم جملةٌ من أهل الثروة واليسار، فكانوا جميعًا، المُنفِقُ والمُنفَقُ عليه، مُتحابِّينَ في الله.

حتىٰ إن مَن نكَح امرأةً صالحةً ليصون بها دينه وعِرْضه، ويرجو من قربها الزيادة في دينه، أو هي كذلك، فهو مُحِبٌّ في الله؛ وقد جاء في الحديث: «حَتَّىٰ اللُّقْمَةَ يَضَعُهَا فِي فِي امْرَأَتِهِ لَهُ بِهَا أَجْرٌ» [متفق عليه]، وأعظمُ النفقة تلك التي يُنفقها علىٰ أهله؛ لذا وردت الأخبار بكثرة الثواب والأجر في هذا.

ولو اجتمع في قلبه محبَّتان: محبةُ الله، ومحبة الدنيا. واجتمع هذا في شخصٍ واحد، أي أحبَّ شخصًا واحدًا لله وللدنيا معًا، كمَن يُحب أستاذَه الذي يُعلِّمه الدِّين، وكذلك يُنفق عليه ليكفيه مُهمَّات الدنيا فيُواسيه بماله، فقد أحبَّه لأنه سببٌ لراحته في الدنيا وسعادته في الآخرة، فهو وسيلةٌ إليهما، فهذا أيضًا مُحِبٌّ في الله.

فليس شرطًا أنَّ مَن أحبَّ لله ألا يُحِبَّ في العاجل، أي للدنيا أيضًا، فقد قال ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً» [متفق عليه]، فجَمَع بين حُبِّ الدنيا وحُبِّ الآخرة. كمَن يُحبُّ امرأتَه بسبب دينها وسبب جمالها أيضًا، فهو مُحِبٌّ في الله مع أنه جَمَع بين الدنيا والآخرة، بسبب أن جمالَها المحبوبَ لديه هو وسيلةٌ إلىٰ العفة والزهد في المعاصي.

وروي أن عيسىٰ عليه السلام قال: اللهم لا تُشْمتْ بي عدوي، ولا تَسُؤْ بي صديقي، ولا تجعل مُصيبتي في ديني، ولا تجعلِ الدنيا أكبرَ همِّي. مع أن دفع شماتة الأعداء من حظوظ الدنيا، وكذلك فإنه لم يقل: ولا تجعل الدنيا أصلًا همِّي، بل قال: لا تجعلها أكبر همي.

وقال ﷺ عندما سأله رجلٌ: كيف أسأل ربِّي؟ قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ» [مسلم برقم (٢٦٩٧)].

وقال أيضًا: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ وَدَرْكِ الشَّقَاءِ وَسُوءِ الْقَضَاءِ وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». متفق عليه.

وقال ﷺ أيضًا: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي فِيهَا مَعَادِي، واجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». مسلم برقم (٢٧٢٠).

إذ لا يُتصوَّر حبُّ الإنسان لحظوظ نفسه غدًا ولا يحبُّها اليوم، علىٰ شرط ألا تتعارض حظوظُ الدنيا مع حظوظ الآخرة، فالعاقل عليه أن يتجنَّب ما يضرُّه في الآخرة.

مثال: مَن يرفض أن يأكلَ طعامًا سرقةً عند ملكٍ من الملوك، حيث يعلم أنه لو أقدم علىٰ ذلك لقُطعت يده، فمع أنه يُحِبُّ الطعامَ إلا أنه قد زَجَر عنه نفسه، فالطعامُ لا شكَّ لذيذٌ لكنه منع نفسَه للضَّرر المتعلِّق به.

وعلىٰ هذا فكلُّ حبٍّ، لولا الإيمان بالله واليوم الآخر، لم يُتصوَّر وجودُه فهو حبٌّ في الله، وكذلك كلُّ زيادةٍ في الحبِّ بين المتحابِّين لولا وجود الإيمان بالله لم تكن هذه الزيادة، فتلك الزيادة من الحب في الله، وهذا أمر نادر وعزيز بين الناس، وهو أن يتعلَّق حبُّك وزيادته بأمر الدين وليس بأمر الدنيا.

وقال بعض العلماء: تعامَل الناسُ في القرن الأول بالدين حتىٰ رقَّ الدين (أي: ضعف)، وتعاملوا في القرن الثاني بالوفاء (أي: في المعاملات) حتىٰ ذهب الوفاء، وفي القرن الثالث تعاملوا بالمروءة (أي: بصفات الإنسانية عامة) حتىٰ ذهبت المروءة، ولم يبقَ إلا الرهبة والرغبة (أي: التخويف بالنار والترغيب في الثواب والأجر) وذهبت صفات الناس. أي: ذهب الخير من الناس وما بقي منه شيء.

القسم الرابع: أن يحب في الله ولله لا لسبب آخر، ولا حتىٰ لينال من صاحبه أو أستاذه علمًا أو عملًا يصل به إلىٰ أمرٍ آخر، وهذا من أعلىٰ درجات الحبِّ في الله وأعظمها، حتىٰ إنه يُحب ذلك الشخصَ ويُحب مَن يُحبه ومن يخدمه ومن يثني عليه.

قال بقيَّة بن الوليد رَحِمَهُ اللَّهُ: إن المؤمنَ إذا أحبَّ المؤمنَ أحبَّ كلبه.

كما قال مجنون ليلىٰ:

أمـرُّ علـىٰ الـدِّيار دِيـارِ ليلـىٰ ... أُقَبِّـل ذَا الجِـدَارَ وَذَا الجِـدَارَا

ومـا حـبُّ الـديارِ شَـغَفْنَ قَلْبـي ... ولكـن حـبُّ مَـن سـكنَ الـدِّيارَا

فالمشاهدة والتجربة تدلُّ علىٰ أن المُحِبَّ يتعدَّىٰ حبُّه مِن ذات المحبوب إلىٰ حُبِّ ما يُحيط به ويتعلَّق به عمومًا ولو مِن بُعد. وعلىٰ هذا فإن حُبَّ الله إذا قَوِيَ أثمر ذلك حُبَّ كلِّ مَن يقوم بحقِّ عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، من علم أو عمل، بل أثمر كذلك حُبَّ كلِّ مَن فيه صفةٌ مَرْضيَّةٌ عند الله تعالىٰ، مِن خُلُق حَسَنٍ أو تأدُّب بآداب الشرع الحميد. ويجد ذلك المُحِبُّ في نفسه ميلًا إلىٰ أهل العلم والعبادة، ويَقْوَىٰ ذلك الميلُ أو يَضْعُف بضعف إيمانه وقوته، أو بسبب ضعف حُبِّه لله وقوته، فذلك الميل هو حبٌّ في الله ولله.

فهو إنما يُحِبُّه لأن اللهَ يُحبه، ولأنه مَرْضيٌّ عند الله تعالىٰ، ولأنه يُحب اللهَ تعالىٰ، ولأنه

مشغولٌ بعبادة الله تعالىٰ. فإذا كان إيمانُ المُحِبِّ ضعيفًا لم يظهر لذلك الحبِّ أثرٌ علىٰ حياته، ولا علىٰ سلوكيَّاته، فلا يظهر به ثوابٌ ولا أجرٌ، أما إذا قَوِيَ إيمانُه فيدفعه ذلك الحبُّ إلىٰ نصرة المحبوب والدفاع عنه وموالاته بالنفس واللسان.

ويتفاوت الناسُ في ذلك حَسب تفاوتهم في حبِّ الله ﷻ، وهذا النوعُ من الحبِّ الذي لا يُنتظر منه حظٌّ في الدنيا من محبوبه، يظهر عند ذِكر السابقين من الصالحين من الأنبياء السابقين والصحابة والتابعين والعلماء والعُبَّاد، وهم قد ماتوا ولا يُنتظر منهم حظٌّ في الدنيا، بل يفرح المُحِبُّ عند الثناء عليهم، ويغضب بشدةٍ عند ذمِّهم من الأعداء.

فكلُّ هذا حبٌّ في الله خالصٌ؛ لأنهم خواصُّ عباد الله. بل قد رأينا في المهاجرين والأنصار حبًّا عجيبًا، فقد سمحَتْ نفوسُهم بأموالهم لمحبوبهم ما بين نصف المال وثُلُثه وعُشْره.

وكما قيل في الحكمة: مقادير الأموال موازين المحبة؛ إذ لا تُعرف درجةُ حُبِّك للمحبوب إلا بمقدار ما تستطيع أن تتركَ له من مالك مقابل هذه المحبة.

فمَنِ استغرق الحبُّ قلبَه لا يُمسك لنفسه عن محبوبه شيئًا، وذلك مثلُ أبي بكرٍ الصديق رضي الله عنه، فإنه لم يترك لنفسِه ولا لأهله مالًا، فقد بذل جميعَ حياتِه حُبًّا للنَّبيِّ ﷺ مالًا وولدًا.

وهؤلاء الأنصارُ قد قال الله تعالىٰ فيهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحشر: ٩].

وعلىٰ هذا فكلُّ مَن أحبَّ عالـمًا أو عابدًا، أو أحبَّ شخصًا راغبًا في علمٍ أو في خيرٍ فإنما أحبَّه في الله ولله. وله فيه مِنَ الأجر والثوابِ بقدر قوة حُبِّه له.

وقد روي عن أبي الدرداء مرفوعًا: «كَانَ مِنْ دُعَاءِ دَاوُدَ عليه السلام: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ وَالْعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ. اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَأَهْلِي وَمِنَ الْـمَاءِ الْبَارِدِ». أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٤٣) برقم (٢٢١٦٢)، الترمذي برقم (٣٤٩٠)، وقال: حديث حسن.

وأن رسولَ الله أَخذ بيدِ مُعاذٍ وقال: «يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ ثُمَّ أُوصِيكَ». أبو داود برقم (١٥٢٢)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٩٦٩). فهذا في حقِّ النبيِّ الذي حُبُّه قربةٌ إلىٰ الله بالرغم مِن ذلك يتودَّد لـمَن هو أقلُّ رتبةً منه في الدنيا والسِّنِّ.

ثانيًا: البغض في الله: اعلم أن كلَّ مَن يُحب في الله لابد له مِن أن يُبغض في الله، فإذا أحببتَ إنسانًا لأنه مُطيعٌ لله ومَرْضيٌّ عنده فإنه إن عصاه فلابد لك مِن أن تُبغضه؛ لأنه صار عاصيًا لله، أي إن الحبَّ لسببٍ والبغضَ أو الكرهَ لعَكْسه وضِدِّه، والحبُّ والبغضُ عملٌ قلبيٌّ، يظهر بظهور الأفعال بالحبِّ أو البُغض، والمقاربة أو المباعدة، والمخالفة أو الموافقة، ويُسمَّىٰ الفِعلُ في حالة الموافقة الموالاة في الله، ويُسمَّىٰ في حالة المباعدة والمباغضة المعاداة في الله. فالمَحبَّة في الله هي موالاةُ المؤمنين وحبُّهم جملةً، أما آحادُ المسلمين فكلٌّ يُحَبُّ بقَدْر قُرْبه من الله تعالىٰ.

ومهما اجتمع في شخصٍ واحدٍ خصالٌ يُحَبُّ بعضُها ويُكْرَه بعضُها فإنك تُحبه مِن وجهٍ وتُبغضه من وجهٍ، فيُحَبُّ لما عنده من إيمانٍ ويُبغَض لما عنده من معاصٍ، وعلىٰ قَدْر زيادة أحدهما علىٰ الآخر يزيد الحب والبغض. فيجب أن تُعطَىٰ كلُّ صفةٍ أو خَصْلةٍ في ذلك الشخص حظَّها من البُغضِ والحبِّ والإعراض والإقبال والصُّحبة والقطيعة وسائر الأفعال الصادرة منه.

وكلُّ مسلمٍ تُحِبُّه لإسلامه وتُبغِضه لمعصيته، وتكون معه علىٰ حالةٍ متوسطةٍ بين الانقباض والاسترسال، وبين الإقبال والإعراض، وبين التودُّد إليه والتوحُّش منه. وأما إظهارُ البُغض فقد اختلفَتْ طُرُقُ السَّلَف في إظهارِ البُغض لأهلِ المعاصي، وان كانوا قدِ اتَّفقوا علىٰ إظهارِ البُغضِ للظَّلَمةِ والمبتدعة، وكلِّ مَن عصىٰ اللهَ بمعصيةٍ مُتعدِّيةٍ منه إلىٰ غيرِه، أي بمعصيةٍ تسبَّبَتْ في فتنةِ الناس أو فسادهم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۝١٩﴾ [النور: ١٩]، وقال ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ». متفق عليه.

أما مَن عصىٰ اللهَ في نفسه: فمِن السَّلَف من نَظَر بعين الرحمة إلىٰ العصاة كلِّهم، ومنهم من شدَّد الإنكارَ عليهم واختار البُعدَ والمباعدةَ عنهم، ولكلٍّ دليلُه.

فقد قال ﷺ: «لَا يَسْتُرُ عَبْدٌ عَبْدًا فِي الدُّنْيَا إِلَّا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» [متفق عليه بنحوه]،

وقال أيضًا ﷺ: «مَنْ رَأَىٰ مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». مسلم برقم (٤٩).

وهذا أمرٌ يختلف باختلاف النِّيَّة، ثم باختلاف حالِ كلِّ واحدٍ، فلم يكن الذين يشربون الخمرَ ويتعاطون الفواحش في زمن الرسولِ ﷺ والصحابةِ يُهجَرون ولا يُباعَدون بالكُلِّيَّة، بل كانوا منقسمين فيهم إلىٰ من يُغلِظ القولَ عليهم، وإلىٰ مَن يُعرِض عنهم ولا يتعرَّض لهم، وإلىٰ مَن ينظر إليهم بعين الرحمة ولا يُقاطع ولا يتباعد حَسَب الحال والمقتضىٰ، فكلُّها أمورٌ تدخل تحت الفضائل والدرجات.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أُتِيَ النبيُّ ﷺ برجلٍ شَرِبَ خمرًا فقال: «اضْرِبُوهُ (أي: لإقامة الحد)». قال أبو هريرة رضي الله عنه: فمنَّا الضاربُ بيده والضارب بنَعله والضارب بثوبه، فلما انصرف قال بعضُ القوم: أخزاك اللهُ. فقال ﷺ: «لَا تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ». البخاري برقم (٦٧٧٧).

وكان النبيُّ ﷺ يقول: «الْـمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَن كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». متفق عليه.

وأما مُعاملة الذين يُبغَضون في الله فتكون بالكَفِّ عن مخالطتهم ومعاشرتهم ومعاملتهم ومواكلتهم، أو الانبساط والاسترسال معهم كما يُسترسَل مع الأصدقاء والأحباب، فهذا شيءٌ مكروهٌ، إلا أن تكونَ دعوتُهم هي السَّبب في القُرْب فقط.

فإذا كان مِن أهل المعاصي الشديدة وقد فشلت أسبابُ الدعوة معه مرارًا وتَكْرارًا، فيجب كفُّ الإحسان إليه أو الإعانة له علىٰ ظُلْمه، خاصَّة في أعراض الناس وأموالهم ومَن يهيئون أسباب الفساد للناس، وإن كُنَّا لا نكفُّ عن دعوتهم إلىٰ الممات بالحكمة والموعظة الحسنة.

❋ ❋ ❋

٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ [المائدة: ٥٤].

(٣٨٦/ ٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تعالَىٰ قَالَ: مَنْ عَادَىٰ لِي وَلِيًّا (أي: الولي: العالم بالله، المواظب علىٰ طاعته، المخلص في عبادته) فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيهِ (أي: فرائض العين والكفاية)، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بالنَّوَافِلِ (أي: جميع ما يندب إليه من الأقوال والأفعال) حَتَّىٰ أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا وَإِنْ سَأَلَنِي أَعْطَيْتُهُ، وَلَئِن اسْتَعَاذَنِي لأُعِيذَنَّهُ». رواه البخاري.

معنىٰ «آذنته»: أعلمته بأني محارِب لَهُ. وقوله: «استعاذني» رُوِيَ بالباءِ، ورُوي بالنون.

(٣٨٧/ ٤٧) وعنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللهُ تَعَالَىٰ العَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إنَّ الله تَعَالَىٰ يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جبريلُ، فَيُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحِبُّوهُ. فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّ الله تعالىٰ إذا أَحَبَّ عبدًا دعا جبريلَ، فقال: إنِّي أُحِبُّ فلانًا فأحببهُ. فيحبُّهُ جبريلُ، ثمَّ ينادي في السماءِ فيقول: إنَّ اللهَ يحبُّ فلانًا فأحبوهُ. فيحبُّهُ أهلُ السماءِ، ثمَّ يُوضعُ لهُ القبولُ في الأرضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ، فَيَقُولُ: إنِّي أَبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضْهُ. فَيُبْغِضُهُ جِبريلُ ثُمَّ يُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ الله يُبْغِضُ فُلانًا فَأَبْغِضُوهُ، فيُبغِضه أهلُ السماء، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ البَغْضَاءُ في الأَرْضِ».

(٣٨٨/ ٤٧) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رَسُول الله صلى الله عليه وسلم بعث رجلًا عَلَىٰ سَرِيَّة (أي: فرقة من الجيش)

فكَانَ يَقرأُ لأَصْحابِهِ في صَلاتِهِمْ فيَختِمُ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١] فَلَمَّا رَجعُوا ذكَرُوا ذلِكَ لرسول الله ﷺ فقالَ: «سَلُوهُ؛ لأيِّ شَيْءٍ يَصْنَعُ ذلِكَ؟» فَسأَلُوهُ فقالَ: لأنَّهَا صِفَةُ الرحمن فأَنَا أُحِبُّ أنْ أقْرأ بِهَا. فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أخْبِرُوهُ أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّهُ». متفق عليه.

٤٨- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ١٠﴾ [الضحى: ٩، ١٠].

وأما الأحاديث فكثيرة، منها:

حديث أَبي هريرة رضي الله عنه في الباب قبل هَذَا: «مَنْ عَادَىٰ لِي وَليًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ».

ومنها: حديث سعد بن أَبي وَقَّاص رضي الله عنه السابق في باب ملاطفة اليتيم، وقوله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَئِنْ كُنْتَ أغْضَبْتَهُمْ لَقَدْ أغْضَبْتَ رَبَّكَ».

(٣٨٩/ ٤٨) وعن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صَلاةَ الصُّبْحِ، فَهُوَ في ذِمَّةِ الله (أي: حفظه وأمانه ورعايته)، فَلَا يَطْلُبَنَّكُمُ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ، فَإنَّهُ مَنْ يَطْلُبْهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ يُدْرِكْهُ، ثُمَّ يَكُبُّهُ (أي: يُلقيه) عَلَىٰ وَجْهِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ». رواه مسلم.

(أي: لا تتركوا صلاة الصبح فينتقض به العهد الذي بينكم وبين ربكم فيطلبكم به).

٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

(٣٩٠/ ٤٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ، قَالَ: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أنْ لَا إلٰهَ إلَّا الله، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذلِكَ عَصَمُوا (أي: حفظوا) مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأمْوَالَهُم إلَّا بحَقِّ الإسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله تَعَالَىٰ». متفق عليه.

(٣٩١/ ٤٩) وعن أَبي عبد الله طارق بن أَشْيَم رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**مَنْ قالَ لَا إلهَ إلَّا الله، وَكَفَرَ بما يُعْبَدُ مِنْ دُونِ الله؛ حَرُمَ مَالُهُ وَدَمُهُ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ الله تَعَالَىٰ**». رواه مسلم.

(٣٩٢/ ٤٩) وعن أَبي معبد المقداد بن الأَسْود رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لرسول الله ﷺ: أرأَيْتَ إنْ لَقِيتُ رَجُلًا مِنَ الكُفَّارِ، فَاقْتَتَلْنَا، فَضَرَبَ إحْدَىٰ يَدَيَّ بِالسَّيفِ، فقَطَعَها، ثُمَّ لاذَ (أي: التجأ واحتمىٰ) مِنِّي بِشَجَرَةٍ، فَقَالَ: أَسْلَمْتُ لله. أأقتله يا رسول الله بعد أن قالها؟ فَقَالَ: «**لا تَقْتُلْهُ**». فَقُلْتُ: يا رَسُول الله، قَطَعَ إحْدَىٰ يَدَيَّ، ثُمَّ قَالَ ذلِكَ بَعْدَمَا قَطَعَهَا! فَقَالَ: «**لا تَقْتُلْهُ، فإنْ قَتَلْتَهُ فَإنَّهُ بِمَنْزِلَتِكَ قَبْلَ أنْ تَقْتُلَهُ، وَإنَّكَ بِمَنْزِلَتِهِ قَبْلَ أنْ يَقُولَ كَلِمَتَهُ التي قَالَ**».

متفق عليه. ومعنىٰ «**إنه بمنزلتك**» أي: معصومُ الدم محكومٌ بإسلامه. ومعنىٰ «**إنك بمنزلته**» أي: مباح الدمِ بالقصاص لورثتِهِ لا أنه بمنزلته في الكفر. والله أعلم.

(٣٩٣/ ٤٩) وعن أُسامة بن زيدٍ رضي الله عنهما قَالَ: بَعَثَنَا رَسُولُ الله ﷺ إلَىٰ الْحُرَقَةِ مِنْ جُهَيْنَةَ، فَصَبَّحْنَا القَوْمَ (أي: هجمنا عليهم صباحًا) عَلَىٰ مِيَاهِهِمْ، وَلَحِقْتُ أنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلًا مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ (أي: لحقنا به)، قَالَ: لَا إلهَ إلَّا الله، فَكفَّ عَنْهُ الأَنْصَاري، وطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّىٰ قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ، بَلَغَ ذلِكَ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَ لِي: «**يَا أُسَامَة، أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ؟!**» قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّمَا كَانَ متعوِّذًا، فقالَ: «**أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ؟!**» فما زَالَ يُكَرِّرُهَا عَلَيَّ حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أنِّي لَمْ أكُنْ أسْلَمْتُ قَبْلَ ذلِكَ اليَوْمِ. متفق عليه.

وفي رواية: فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**أَقالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ وقَتَلْتَهُ؟!**» قُلْتُ: يَا رَسُول الله، إنَّمَا قَالَهَا خَوْفًا مِنَ السِّلاحِ، قَالَ: «**أَفَلَا شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ حَتَّىٰ تَعْلَمَ أَقَالَهَا أَمْ لا؟!**» فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ تَمَنَّيْتُ أنِّي أسْلَمْتُ يَوْمَئذٍ. «**الحرقة**» بضم الحاءِ المهملة وفتح الراءِ: بَطْنٌ مِنْ جُهَيْنَةَ، القَبِيلةِ المَعْرُوفَةِ. وقوله: «**متعوذًا**» أي: مُعْتَصِمًا بِهَا مِنَ القَتْلِ لا مُعْتَقِدًا لَهَا.

(٣٩٤/ ٤٩) وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ بَعَثَ بَعْثًا (أي: أرسل جيشًا) مِنَ المُسْلِمينَ إلَىٰ قَوْمٍ مِنَ المُشْرِكينَ، وَأنَّهُمُ التَقَوْا، فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ المُشْرِكينَ إذَا شَاءَ أنْ يَقْصِدَ إلَىٰ رَجُلٍ مِنَ المُسْلِمينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَأنَّ رَجُلًا مِنَ المُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ، وَكُنَّا نُحَدَّثُ أنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيهِ السَّيفَ، قَالَ: لا إلهَ إلَّا الله. فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ البَشيرُ إلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَسَأَلَهُ وَأخبَرَهُ، حَتَّىٰ أخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله. أوْجَعَ فِي المُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلانًا وفلانًا، وسمَّىٰ لَهُ

نفرًا، وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيفَ، قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ. قَالَ رَسُول الله ﷺ: «أَقَتَلْتَهُ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «فَكَيفَ تَصْنَعُ بلا إِلهَ إِلَّا اللهُ، إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» قَالَ: يَا رَسُول الله، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «وكَيفَ تَصْنَعُ بِلا إِلهَ إِلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟» فَجَعَلَ لَا يَزِيدُ عَلَى أَنْ يَقُولَ: «كَيفَ تَصْنَعُ بِلا إِلهَ إِلَّا الله إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ القِيَامَةِ؟». رواه مسلم.

(٣٩٥/ ٤٩) وعن عبد الله بن عتبة بن مسعود قَالَ: سَمِعْتُ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقولُ: إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُؤْخَذُونَ بِالوَحْيِ فِي عَهْدِ رَسُول الله ﷺ، وَإِنَّ الوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ، وإِنَّمَا نَأخُذُكُم الآن بما ظَهَرَ لَنَا مِنْ أعمَالِكُمْ، فَمَنْ أظْهَرَ لَنَا خَيرًا أمَّنَّاهُ (أي: صار عندنا آمنًا) وَقَرَّبْنَاه، وَلَيْسَ لَنَا مِنْ سَرِيرَتِهِ شَيْءٌ، اللهُ يُحَاسِبُهُ فِي سَرِيرَتِهِ، وَمَنْ أظْهَرَ لَنَا سُوءًا لَمْ نَأمَنْهُ وَلَمْ نُصَدِّقْهُ، وَإنْ قَالَ: إنَّ سَرِيرَتَهُ حَسَنَةٌ. رواه البخاري.

٥٠- باب الخوف

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ [البقرة: ٤٠].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ بَطۡشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ١٢﴾ [البروج: ١٢].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخۡذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلۡقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌۚ إِنَّ أَخۡذَهُۥٓ أَلِيمٞ شَدِيدٌ ١٠٢ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لِّمَنۡ خَافَ عَذَابَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّجۡمُوعٞ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوۡمٞ مَّشۡهُودٞ ١٠٣ وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٖ مَّعۡدُودٖ ١٠٤ يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ فَمِنۡهُمۡ شَقِيّٞ وَسَعِيدٞ ١٠٥ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ١٠٦﴾ [هود: ١٠٢-١٠٦].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ [عبس: ٣٤-٣٧].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡۚ إِنَّ زَلۡزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَيۡءٌ عَظِيمٞ ١ يَوۡمَ تَرَوۡنَهَا تَذۡهَلُ كُلُّ مُرۡضِعَةٍ عَمَّآ أَرۡضَعَتۡ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمۡلٍ حَمۡلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٞ ٢﴾ [الحج: ١، ٢].

وَقالَ تَعَالَى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ٤٦﴾ [الرحمن: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨].

والآيات في الباب كثيرة جدًّا معلومات، والغرض الإشارة إِلَىٰ بعضها، وقد حصل.

وأما الأحاديث فكثيرة جدًّا، فنذكر مِنهَا طرفًا وبالله التوفيق:

(٣٩٦/ ٥٠) عن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: حدثنا رَسُول الله ﷺ وَهُوَ الصادق المصدوق: «إِنَّ أَحدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ (أي: مادة خَلقه) فِي بَطْنِ أُمِّهِ أربعين يومًا نُطْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذلِكَ، ثُمَّ يُرسَلُ المَلَكُ، فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ، وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ. فَوَالَّذِي لا إلهَ غَيْرُهُ، إنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وبيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بعمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّىٰ مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ، فَيَسْبِقُ عَلَيهِ الكِتَابُ فيعْمَلُ بِعَمَلِ أهْلِ الجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا». متفق عليه.

(٣٩٧/ ٥٠) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَومَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ (أي: ممسك ومقبض، كالحبل الذي يُربط في عنق الدابة وتُشَدُّ به)، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا (أي: يسحبونها)». رواه مسلم.

(٣٩٨/ ٥٠) وعن النُّعمان بن بَشيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ يُوضَعُ فِي أَخْمَصِ (أي: ما لا يصل إِلَىٰ الأرض من باطن القدم) قَدَمَيْهِ جَمْرَتَانِ (أي: قطعتان من نار ملتهبتان) يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُهُ، مَا يَرَىٰ أَنَّ أَحَدًا أَشَدُّ مِنْهُ عَذَابًا، وَإِنَّهُ لأَهْوَنُهُمْ عَذَابًا». متفق عليه.

(٣٩٩/ ٥٠) وعن سَمُرَة بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه: أَنَّ نبيَّ الله ﷺ قَالَ: «مِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ النَّارُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَىٰ حُجْزَتِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَأخُذُهُ إِلَىٰ تَرْقُوَتِهِ». رواه مسلم. «الحُجْزَةُ»: مَعْقِدُ الإزار تَحتَ السُّرَّةِ. و«التَّرْقُوَةُ» بفتح التاءِ وضم القاف، هي: العَظمُ الَّذِي عِنْدَ ثُغْرَةِ النَّحْرِ، وَللإنْسَانِ تَرْقُوتَانِ فِي جَانِبَي النَّحْرِ.

(٤٠٠/ ٥٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَقُومُ النَّاسُ (أي: يبعثون من قبورهم) لِرَبِّ العَالَمينَ حَتَّىٰ يَغِيبَ أَحَدُهُمْ فِي رَشْحِهِ إِلَىٰ أَنْصَافِ أُذُنَيهِ». متفق عليه. و«الرَّشْحُ»: العَرَقُ.

(٤٠١/ ٥٠) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: خطبنا رَسُول الله ﷺ خطبة مَا سَمِعْتُ مِثلها قطُّ فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيتُمْ كَثِيرًا». فَغطَّىٰ أَصْحَابُ رَسُول الله ﷺ وَجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. متفق عليه.

وفي رواية: بَلَغَ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْءٌ فَخَطَبَ، فَقَالَ: «عُرِضَتْ عَلَيَّ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَلَمْ أرَ كَاليَومِ فِي الخيرِ وَالشَّرِّ، وَلَوْ تَعْلَمونَ مَا أعلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». فَمَا أَتَىٰ عَلَىٰ أَصْحَابِ رَسُول الله ﷺ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْهُ، غَطَّوْا رُءوُسَهُمْ وَلَهُمْ خَنِينٌ. «الخنين» بالخاءِ المعجمة، هُوَ: البُكَاءُ مَعَ غُنَّة وانتِشَاقِ الصَّوْتِ مِنَ الأنْفِ.

(٤٠٢/ ٥٠) وعن المقداد رضي الله عنه قَالَ: سمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «تُدْنَىٰ الشَّمْسُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ الخَلْقِ حَتَّىٰ تَكُونَ مِنْهُمْ كَمِقْدَارِ مِيلٍ». قَالَ سُلَيم بنُ عامِرِ الراوي عن المقداد: فَوَالله مَا أدْرِي مَا يعني بالمِيلِ، أَمَسَافَةَ الأرضِ أم المِيلَ الَّذِي تُكْتَحَلُ بِهِ العَيْنُ؟ قَالَ: «فيكُونُ النَّاسُ عَلَىٰ قَدْرِ أعْمَالِهِمْ فِي العَرَقِ؛ فَمِنْهُمْ مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ كَعْبَيْهِ، ومنهم من يكون إِلَىٰ ركبتيه، ومنهم مَنْ يَكُونُ إِلَىٰ حَقْوَيْهِ (أي: وسطه)، وَمِنْهُمْ مَنْ يُلْجِمُهُ العَرَقُ إلْجَامًا». قَالَ: وَأَشَارَ رَسُول الله ﷺ بيدهِ إِلَىٰ فِيهِ. رواه مسلم.

(٤٠٣/ ٥٠) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «يَعْرَقُ النَّاسُ يومَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَرَقُهُمْ فِي الأرضِ سَبْعِينَ ذِراعًا، وَيُلْجِمُهُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ آذَانَهُمْ». متفق عليه.

ومعنىٰ «يذهب في الأرض»: ينزل ويغوص.

(٤٠٤/ ٥٠) وعنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُول الله ﷺ إِذْ سمع وَجْبَةً (أي: الوجبة: صوت السقطة والوقوع)، فَقَالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَا هَذَا؟» قُلْنَا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «هذَا حَجَرٌ رُمِيَ بِهِ فِي النَّارِ مُنْذُ سَبْعِينَ خَرِيفًا (أي: الخريف: العام)، فَهُوَ يَهْوِي فِي النَّارِ الآنَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَىٰ قَعْرِهَا فَسَمِعْتُمْ وَجْبَتَهَا». رواه مسلم.

(٤٠٥/ ٥٠) وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ (أي: واسطة أو مترجم)، فَيَنْظُرُ أيْمَنَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلَا يَرَىٰ إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ (أي: مقابل وجهه)، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». متفق عليه.

(٤٠٦/ ٥٠) وعن أَبي ذر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لا

تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ (أي: انبغىٰ) لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله تعالَىٰ. والله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بالنِّساءِ عَلَىٰ الفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».و«أَطَّت» بفتح الهمزة وتشديد الطاءِ. و«تَئِطُّ» بفتح التاءِ وبعدها همزة مكسورة، وَالأطيط: صوتُ الرَّحلِ وَالقتَبِ وَشِبْهِهِما، ومعناه: أنَّ كَثرَةَ مَنْ في السَّماءِ مِنَ المَلائكَةِ العابِدِينَ قَدْ أَثْقَلَتْهَا حَتَّىٰ أَطَّتْ و«الصُّعُدات» بضم الصاد والعين: الطُّرُقات. ومعنىٰ: «تَجْأَرُونَ»: تَستَغيثُونَ.

(٤٠٧/ ٥٠) وعن أَبي بَرْزَةَ- براءٍ ثُمَّ زاي- نَضْلَةَ بنِ عُبَيدٍ الأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يومَ القِيامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ؟ وَعَنْ عِلمِهِ فِيمَ فَعَلَ فِيهِ؟ وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟ وَعَنْ جِسمِهِ فِيمَ أَبلاهُ (أي: ضيَّعه)؟». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٠٨/ ٥٠) وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قرأ رَسُول الله ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾ [الزلزلة: ٤] ثُمَّ قَالَ: «أَتَدرونَ مَا أَخْبَارهَا؟» قالوا: الله وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فإنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بما عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا تَقُولُ: عَمِلْتَ كَذَا وكَذَا في يَوم كَذَا وكَذَا، فَهذِهِ أَخْبَارُهَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٠٩/ ٥٠) وعن أَبي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «كَيْفَ أَنْعَمُ (أي: أفرح وأتنعم) وَصَاحِبُ القَرْنِ (أي: يقصد إسرافيل ﷺ) قَدِ الْتَقَمَ (أي: أخذ بفمه) القَرْنَ، وَاسْتَمَعَ الإِذْنَ مَتَىٰ يُؤمَرُ بالنَّفْخ فَيَنْفُخُ!» فَكَأنَّ ذلِكَ ثَقُلَ عَلَىٰ أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُمْ: «قُولُوا: حَسْبُنَا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

«القَرْنُ»: هُوَ الصُّورُ الَّذِي قَالَ عنه الله تَعَالَىٰ: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: ٩٩] كذا فَسَّره رَسُول الله ﷺ.

(٤١٠/ ٥٠) وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ خَافَ (أي: خاف من هجوم العدو) أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ المَنْزِلَ (أي: وصل إلىٰ مطلبه)، أَلا إنَّ سِلْعَةَ الله غَالِيَةٌ، أَلا إنَّ سِلْعَةَ الله الجَنَّةُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».و«أَدْلَجَ»: بإسكان الدال ومعناه: سار من أول الليلِ، والمراد التشمير في الطاعة. والله أعلم.

(٤١١/ ٥٠) وعن عائشة ﷺ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا». قُلْتُ: يَا رَسُول الله، الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ؟! قَالَ: «يَا عائِشَةُ، الأَمرُ أَشَدُّ مِنْ أنْ يُهِمَّهُمْ ذلِكَ».

وفي رواية: «**الْأَمْرُ أَهمُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعض**». متفق عليه.

«غُرلًا» بِضَمِّ الغَينِ المعجمة، أي: غَيرَ مَختُونينَ.

* * *

(الخوف)

الخائفُ هو الذي يتوقَّع حدوثَ مَكروهٍ أو فِقْدانَ شيءٍ محبوبٍ لديه، فهو مفزوعُ القلب، وإذا أُطلِق لفظُ الخوف فإنما يُراد به الخوفُ من الله تعالىٰ. وحينما خوَّف اللهُ عبادَه منه، ما أراد ما يَخطِر علىٰ البالِ من الرُّعب منه، كمَن يخاف من أسدٍ مفترسٍ فيرتعد خوفًا، وإنما أراد به الكَفَّ عن المعاصي والذنوب، والإقبالَ علىٰ الطاعات والأوامر؛ ولهذا قيل: لا يُعَدُّ خائفًا من لم يكن للذنوب تاركًا.

واعلم أن الله خَلَقَ الخَلْقَ جميعًا ليعرفوه ويعبدوه ويَخْشَوْهُ ويخافوه، وجعل الأدلَّة في الكون لتدلَّ علىٰ عظمته وكبريائه وجبروته؛ ليهابه الخَلْقُ ويخافوه خوفَ إجلالٍ وتعظيمٍ، ووَصَفَ لهم شدةَ عذابه ودار عقابه التي أعدَّها لأصحاب المعاصي حتىٰ يتَّقوه بفِعل صالح الأعمال، ولا يتجرأوا علىٰ اقتراف السيئات، وهذا الذي جعل السَّلَفَ الصالحَ علىٰ حالٍ من الخوف والخشية، مما رفعهم إلىٰ درجاتٍ عالية من الطاعات والبعد عن المحرمات.

والقَدْر الواجب شرعًا من الخوف هو ما يحمل العبدَ علىٰ حُسْن أداء الفرائض واجتناب المحارم، وأما إذا زاد علىٰ ذلك ليدفع العبدَ إلىٰ فِعْل النوافل والبُعد عن المكروهات، فهذا من الخوف المباح المحمود الجانب، وأما إذا زاد علىٰ هذا الحدِّ فدفع الإنسان إلىٰ الوسوسة والمرض والهمِّ اللازم بحيث يصرفه عن السَّعي إلىٰ اكتساب الفضائل المطلوبة فهو من الخوف المذموم.

واعلم أن الخوفَ من مقامات الإيمان العالية، فهو من لوازم الإيمان؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٧٥﴾﴾ [آل عمران: ١٧٥]. وعلامةُ قُرب العبد من ربِّه هي الخوفُ، فمَن كان قريبًا اشتدَّ خوفُه لقُرب عِلْمه بربِّه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وعلىٰ العبد أن يَشكُرَ اللهَ علىٰ نعمة الخوف منه، وذلك مما يرفع قَدْرَه عند الله.

والعبدُ إن كان مستقيمَ الحال فهو يخاف؛ إما من خاتمة السُّوء فيبقىٰ خائفًا إلىٰ الممات، أو يخاف من نُقْصانِ درجتِه عند الله بسبب تقصيره البشريِّ. أما إن كان العبدُ يخلط بين الحقِّ والباطل فهو- لا شكَّ- خائفٌ من سوء فعله، وقد ينفعه عند ذلك ندمُه وإقلاعُه قبل الممات، فهو يخاف من سوء فعله وأن يُحرمَ التوبةَ قبل الموت. وعن النبيِّ ﷺ قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي عَمَلُ قَوْمِ لُوطٍ». أحمد في مسنده (٣/ ٣٨٢) برقم (١٥١٣٣).

وعنه أيضًا ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ». قالوا: وما الشِّرك الأصغر؟ قال: «الرِّيَاءُ، يَقُولُ اللهُ ﷻ إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَىٰ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فِي الدُّنْيَا فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً». أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨) برقم (٢٣٦٨٠).

وقال النبيُّ ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْـمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟». قلنا: بلىٰ. قال: «الشِّرْكُ الْـخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ فَيُصَلِّيَ فَيُزَيِّنَ صَلَاتَهُ لِـمَا يَرَىٰ مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ». أحمد في مسنده (٣/ ٣٠) برقم (١١٢٧٠)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٦٠٧).

وحكىٰ أنسٌ ﵁ أن النبيَّ ﷺ دخل علىٰ شابٍّ وهو في الموت، فقال: «كَيْفَ تَجِدُكَ؟». فقال: أرجو اللهَ تعالىٰ وأخاف ذنوبي. فقال رسولُ الله ﷺ: «لَا يَجْتَمِعَانِ فِي قَلْبِ عَبْدٍ فِي هَذَا الْـمَوْطِنِ إِلَّا أَعْطَاهُ اللهُ مَا يَرْجُو وَآمَنَهُ مِمَّا يَخَافُ». الترمذي برقم (٩٨٣).

وسألت عائشةُ رسولَ الله ﷺ عن هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]، قالت: أهمُ الذين يشربون الخمرَ ويسرقون؟ قال: «لَا يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ، وَلَكِنَّهُمُ الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَلَّا يُقْبَلَ مِنْهُمْ، أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْـخَيْرَاتِ». الترمذي برقم (٣١٧٥)، والحاكم في المستدرك برقم (٣٤٨٦).

وعن ابن عبَّاس: أن رسولَ الله ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ۝١٠٢﴾ [آل عمران: ١٠٢]، فقال ﷺ: «لَوْ أَنَّ قَطْرَةً مِنَ الزَّقُّومِ قُطِرَتْ فِي دَارِ الدُّنْيَا لَأَفْسَدَتْ عَلَىٰ أَهْلِ الدُّنْيَا مَعِيشَتَهُمْ، فَكَيْفَ بِمَنْ يَكُونُ طَعَامُهُ؟!». أحمد في مسنده (١/ ٣٠٠) برقم (٢٧٣٥)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٢٥٠).

وكان عُثْمان بن عفَّان ﵁: إذا وقف علىٰ قبرٍ يبكي حتىٰ يَبُلَّ لحيتَهُ، فقيل له: تَذْكُرُ الجنة

والنارَ ولا تبكي، وتبكي من هذا؟! قال: إن رسولَ الله ﷺ قال: «إِنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الآخِرَةِ، فَإِنْ نَجَا مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَيْسَرُ مِنْهُ، وَإِنْ لَمْ يَنْجُ مِنْهُ فَمَا بَعْدَهُ أَشَدُّ مِنْهُ». أحمد في مسنده (١/ ٦٣) برقم (٤٥٤).

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَا رَأَيْتُ مَنْظَرًا قَطُّ إِلَّا وَالْقَبْرُ أَفْظَعُ مِنْهُ». أحمد في مسنده (١/ ٦٣) برقم (٤٥٤)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٦٢٣).

وقال عمرُ بن الخَطَّاب رضي الله عنه: لو نادىٰ مُنادٍ من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلُّكم إلا رجلًا واحدًا، لَخِفْتُ أن أكونَ أنا هو. وقال أيضًا رضي الله عنه: لو أن لي طِلَاعَ الأرض (أي: ملء الأرض) ذهبًا لافتديتُ به من عذاب الله قبل أن أراه، وأخذ عمرُ رضي الله عنه نَبْتَةً مِنَ الأرض وقال: يا ليتني هذه النَّبْتة، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا.

وقال ابنُ عمر رضي الله عنهما: كان رأسُ عمر علىٰ فَخِذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضَعْ رأسي. قال: فوضعتُه علىٰ الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربِّي.

وقال ذو النُّون رحمه الله: الناسُ علىٰ الطريق (أي: الطريق الصحيح) ما لم يَزُلْ عنهم الخوف، فإذا زال عنهم الخوف ضلُّوا عن الطريق.

وقال الحسنُ رحمه الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ۝٩٠﴾ [الأنبياء: ٩٠] قال: هو الخوف الدائم في القلب.

قال الحَسَنُ البَصْريُّ رحمه الله: والله، ما مضىٰ مؤمنٌ ولا بَقِيَ إلا وهو يخاف النِّفاقَ، وما أَمِنَه إلا مُنافقٌ. وقال أيضًا رحمه الله: الرجاء والخوف مَطِيَّتَا المُؤمن (أي: المراد يلزمهما للفوز والفلاح، والمَطِيُّ: ما يُركَب من فرسٍ ونحوه، فشبَّه الرَّجاءَ والخوف بأن المؤمن يمتطيهما ويلزمهما لبلوغ مقصوده).

وقال الحَسَنُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ۝٦٠﴾ [المؤمنون: ٦٠]: كانوا يعملون ما عَمِلوا من أعمالِ البِرِّ وهم يخافون ألا يُنجيهم ذلك من عذاب الله.

وقال عمرُ بن عبد العزيز رضي الله عنه: من خاف اللهَ أخاف اللهُ منه كلَّ شيءٍ، ومَن لم يَخفِ اللهَ خاف مِن كلِّ شيءٍ.

وقال سُفْيان بن عُيَيْنَة رحمه الله: خلَق اللهُ النارَ رحمةً يُخوِّف بها عبادَه لينتهوا.

وسُئل ابنُ المبارك ﵁ عن رجلين أحدهما خائفٌ والآخر قتيلٌ في سبيل الله ﷻ قال: أحبُّهما إليَّ أخوفُهما (أي: أخوفهما لله).

وقال الفُضَيل بن عِيَاض ﵀: الخوفُ أفضلُ من الرجاء ما كان الرجلُ صحيحًا (أي: في حال الصحة)، فإذا نزل الموت (أي: حضرته الوفاة) فالرجاء أفضل. وقال أيضًا: إن خِفْتَ اللهَ لم يَضُرَّكَ أحدٌ، وإن خِفتَ غيرَ الله لم ينفعك أحدٌ.

وقال يزيد بن حوشب ﵀: ما رأيتُ أخوفَ من الحَسَن البصريِّ وعمر بن عبد العزيز، كأن النارَ لم تُخلَق إلا لهما. وقال يحيىٰ بن مُعاذٍ الرازيُّ ﵀: علىٰ قَدْر حُبِّك لله يُحِبُّك الخلقُ، وعلىٰ قَدْر خوفِك من الله يهابك الخلق.

وكان هَرِمُ بن حَيَّان يخرج ليلًا ويُنادي: عَجِبتُ من الجَنَّة كيف ينام طالبُها، وعجبتُ من النار كيف ينام هاربُها! ثم قرأ قولَه تعالىٰ: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ۝٩٧﴾ [الأعراف: ٩٧]. وقال أيضًا ﵀: وَدِدْتُ والله أني شجرةٌ أكَلَتْني ناقةٌ ثم قذفتني بَعْرًا (أي: البعر: فضلات الحيوان) ولم أُكَابِدِ الحسابَ يوم القيامة، إني أخاف الداهيةَ الكبرىٰ.

وقال أبو سليمان الدَّارانيُّ ﵀: أصلُ كلِّ خيرٍ في الدنيا والآخرة الخوفُ من الله ﷻ، وكلُّ قلبٍ ليس فيه خوفٌ فهو قلبٌ خَرِبٌ. وقال أيضًا ﵀: مَن حَسُن ظنُّه بالله ﷻ ثم لا يخاف اللهَ فهو مخدوعٌ.

ويقول أبو عمرٍو الدِّمَشْقيُّ ﵀: حقيقة الخوف ألا تخافَ مع الله أحدًا.

قال أبو عليٍّ الرُّوذْباريُّ ﵀: الخوفُ والرجاء كجَنَاحَيِ الطائر؛ إذا استويا استوىٰ الطير وتمَّ طَيَرانُه، وإذا نَقَص أحدُهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حدِّ الموت.

وقال بعضُ العلماء: ذو الدِّين يخافُ العقابَ، وذو الكَرَم يخاف العارَ، وذو العقل يخاف التَّبِعة (أي: الحساب).

وقال إبراهيم بن سفيان ﵀: إذا سكن الخوفُ القلبَ أحرق مواضعَ الشهوات منه، وطرد الدنيا عنه. وقال ابنُ تيميَّة ﵀: الخوف المحمود ما حَجَزك عن محارم الله.

والخائف آمنٌ من الفزع الأكبر يوم القيامة.

(الأمن من مكر الله تعالى)

يُطلق المكر عمومًا في اللغة فيما يتعلق بالشر، من القول أو الفعل الذي يدلُّ على الاحتيال أو الخداع، حيث يحتال المرء أمام غيره عكس ما يُضمر، ويكون ذلك في خفية عن الآخرين. والمكر هو إيصال المكروه إلى الإنسان من حيث لا يشعر، بحيلةٍ أو غيرها، وهذا في حق البشر.

أما المكر في حق الله تبارك وتعالى الذي وصف به نفسه على ما يليق بجلاله وعظمته، حيث يُجازي الماكرين مقابل مكرهم السيئ، فيكثر عليهم تتابع النعم مع مخالفتهم لربهم وسوء أدبهم مع الله، فيُمهلهم ويُمكِّنهم من أعراض الدنيا المختلفة، وهذا هو المكر المقصود من مكر الله تعالى، فِعله كله محمود، ومكره غير مكر البشر؛ فمكر البشر سيئ، أما مَكْره سبحانه وتعالى فهو عدل ومجازاة ونِعَمٌ تُصَبُّ عليهم وإمهال. فالعاقل عند ذلك يتنبَّه ويعود إلى ربِّه، أما العاصي فيغفل ويظن أن ذلك كرامة من ربه، وهذا هو المكر الذي مُكِر به.

أنواع المكر: المكر نوعان: محمود، ومذموم.

فالمكر المحمود هو الذي يتحرَّى به صاحبُه فِعل جميل في الآخرين، كقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ٥٤﴾ [آل عمران: ٥٤]، فيمكر العبد لصالح الآخرين وليس ضدهم.

والمكر المذموم هو الذي يتحرى به صاحبه الأفعالَ القبيحة المُضِرَّة المسيئة للآخرين، كما في قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣].

حكم المكر: ذهب الذهبيُّ وابن حجر إلى أن المكرَ السيئ من الكبائر، وقد احتجَّ الذهبيُّ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣]، وقول النبيِّ ﷺ: «المَكْرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ» [البيهقي في «الشعب» (٧/ ٤٩٤) حديث (١١١٠٦) من طريق قيس بن سعد].

أما ابن حجر فقد عدَّه من كبائر الباطن التي يُذَم العبد عليها أعظمَ مما يذم على السرقة والزنا ونحوهما من كبائر الظاهر؛ وذلك لعظم مفسدتها وسوء أثرها ودوامه؛ لأن آثار هذه الكبائر الباطنة تدوم بحيث تصير حالًا وهيئةً راسخة في القلب. عن

قيس بن سعد بن عُبادة قال: لولا أني سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «المَكْرُ وَالخَدِيعَةُ فِي النَّارِ» لكنت من أمكر الناس [سبق تخريجه].

وقال محمد بن كعب القُرَظي: ثلاثٌ مَن فعلهن لم ينجُ حتىٰ ينزل به (أي: العقاب واقع لا محالة): مَن مكَر أو بَغَىٰ أو نكَث، وتصديقها في كتاب الله تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾[فاطر: ٤٣]، ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾[يونس: ٢٣]، ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾[الفتح: ١٠].

وأورد الراغب الأصفهاني عن عليٍّ رضي الله عنه قولَه: مَن وُسِّع عليه دنياه ولم يعلم أنه مُكِر به (أي: دخل في دائرة الامتحان) فهو مخدوع عن عقله.

أما الأمن من مكر الله تعالىٰ، فيكون باستمرار العبد في المعاصي، مع الاتكال علىٰ رحمة الله وعفوه، من دون فعلٍ يرجىٰ ثوابه منه.

حكم الأمن من مكر الله تعالى:

الأمن من مكر الله كبيرة من الكبائر، فقد روىٰ أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ أنه كان يكثر أن يقول: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ». قال: فقلنا: يا رسول الله، آمنا بك وبما جئت به، فهل تخاف علينا؟ قال: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الله يُقَلِّبُهَا» [أحمد في «مسنده» (٢٥/ ٤٦٩) حديث (١٢٤٣٦)].

قال مجاهد رحمه الله: وفي التنزيل: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤]؛ أي: بينه وبين العقل حتىٰ لا يدري ما يصنع، ويؤيِّده قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ﴾[ق: ٣٧]؛ (أي: عقل).

وروت أمُّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها أنه لما قال رسول الله ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ». قالت له: يا رسول الله، إنك تُكثر أن تدعو بهذا الدعاء، فهل تخشىٰ؟ قال: «وَمَا يُؤَمِّنُنَا يَا عَائِشَةُ وَقُلُوبُ العِبَادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُقَلِّبَ قَلْبَ عَبْدٍ قَلَّبَهُ» [أحمد في «مسنده» (٦/ ٢٥٠) حديث (٢٦١٧٦)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: الكبائر الإشراك بالله، والقنوط (أي: اليأس) من رحمة الله، والأمن من مكر الله. وفي رواية: أكبر الكبائر.

وعن إسماعيل بن رافع ﷺ قال: من الأمن لمكر الله: إقامة (أي: استمرار) العبد على الذنب يتمنى على الله المغفرة.

قال هشام بن عروة ﷺ: كتب رجلٌ إلى صاحبٍ له: إذا أصبتَ من الله شيئًا يسرُّك فلا تأمن أن يكون فيه من الله مكر، فإنه لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون.

وقال الحسن البصري رحمه الله: المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وَجِل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

قال ابن مُلَيْكة رحمه الله: أدركت ثلاثين من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخاف النفاقَ على نفسه، ما منهم من أحد يقول (أي: مادحًا نفسه): أنا على إيمان جبريل وميكائيل.

وعن الحسن البصري رحمه الله أنه قال عن النفاق: ما خافه إلا مؤمن، ولا أمنه إلا منافق.

وقال عليٌّ ﷺ: إنما العالم الذي لا يُقنِت الناسَ من رحمة الله تعالى، ولا يُؤمِّنهم من مكر الله. وقال الغزالي رحمه الله: إنما كان خوف الأنبياء مع ما أفاض الله عليهم من النعم لأنهم لم يأمنوا مكر الله تعالى.

وقد علَّق الغزالي رحمه الله على قول الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿لَا تَخَافَآ إِنَّنِي مَعَكُمَآ أَسۡمَعُ وَأَرَىٰ ٤٦﴾ [طه: ٤٦] فقال: ومع هذا لما ألقى السحرةُ سِحرهم أَوْجَس موسى في نفسه خِيفة؛ إذ لم يأمن مكر الله تعالى والتبس الأمر عليه، حتى جدَّد الله عليه الأمن فقال له: ﴿لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾ [طه: ٦٨].

وكذلك علَّق على حديث النبي ﷺ يوم بدرٍ: «اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةُ...» الحديث. رواه مسلم، بقوله: فكان مقام أبي بكر الصديق ﷺ مقام الثقة بوعد الله، وكان مقام رسول الله ﷺ مقام الخوف من مكر الله تعالى وهو الأتم والأعلى؛ لأنه لا يصدر إلا عن كمال المعرفة بأسرار الله تعالى وخفايا أفعاله ومعاني صفاته التي يعبر عن بعض ما يصدر عنها بالمكر، وما لأحد من البشر الوقوف على كُنْه صفات الله تعالى.

❊ ❊ ❊

٥١- باب الرجاء

قَالَ الله تعالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾ [الزمر: ٥٣].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ۝١٧﴾ [سبأ: ١٧].

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ۝٤٨﴾ [طه: ٤٨]،

وَقالَ تعَالَىٰ: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍۚ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

(٤١٢/ ٥١) وعن عُبادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسىٰ عبدُ الله وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ (أي: قوله «كن») أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (أي: رحمة منه، أو روح مخلوقة من عنده)، وَأَنَّ الجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ النَّارَ».

(٤١٣/ ٥١) وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يقول الله عز وجل: مَنْ جَاءَ بالحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالها أَوْ أَزْيَد، وَمَنْ جَاءَ بالسَّيِّئَةِ فَجزاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطِيئَةً لا يُشْرِكُ بِي شَيئًا، لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً». رواه مسلم. معنىٰ الحديث: «مَنْ تقَرَّبَ» إلَيَّ بطَاعَتِي «تَقَرَّبْتُ» إِلَيْهِ بِرَحْمَتِي، وَإِنْ زَادَ زِدْتُ، «فَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي» وَأَسرَعَ في طَاعَتِي «أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً» أي: صَبَبْتُ عَلَيهِ الرَّحْمَةَ وَسَبَقْتُهُ بِهَا وَلَمْ أُحْوِجْهُ إِلَىٰ المَشْيِ الكَثِيرِ في الوُصُولِ إِلَىٰ المَقْصُودِ. و«قُرَابُ الأَرْضِ» بضم القافِ، ويقال: بكسرها، والضم أصح وأشهر ومعناه: مَا يُقَارِبُ مِلْئَهَا. والله أعلم.

(٤١٤/ ٥١) وعن جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: جاء أعرابيٌّ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، مَا الموجِبَتَانِ (أي: الخصلتان الموجبتان إما للجنة وإما للنار)؟ قَالَ: «مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله شَيئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّارَ». رواه مسلم.

(٤١٥/ ٥١) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ – ومعاذٌ رَدِيفُهُ (أي: راكب خلفه) عَلَىٰ الرَّحلِ (أي: المراد به هنا الحمار)– قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ الله وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «يَا مُعَاذُ». قَالَ:

لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَعْدَيْكَ. قَالَ: «**يَا مُعَاذُ**». قَالَ: لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وسَعْدَيْكَ. ثَلاثًا، قَالَ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا أُخْبِرُ بِهَا النَّاسَ فَيَسْتَبْشِرُوا؟ قَالَ: «**إِذَنْ يَتَّكِلُوا**». فأخبر بِهَا مُعَاذٌ عِنْدَ موته تَأَثُّمًا. متفق عليه. وقوله «**تأثُّمًا**»: أي خوفًا مِنَ الإِثمِ في كَتمِ هَذَا العلم.

(٤١٦/ ٥١) وعن **أَبِي هريرة** رضي الله عنه أَوْ **أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ** رضي الله عنهما - شكَّ الراوي، ولا يَضُرُّ الشَّكُّ في عَين الصَّحابِيِّ؛ لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ عُدُولٌ- قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ، أَصابَ النَّاسَ مَجاعَةٌ، فقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، لَوْ أَذِنْتَ لَنَا فَنَحَرْنَا نَوَاضِحَنَا (أي: ذبحنا الإبل التي نستقي عليها) فَأَكَلْنَا وَادَّهَنَّا؟ (أي: اتخذنا دهنًا من شحومها) فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**افْعَلُوا**». فَجاء عُمَرُ رضي الله عنه فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنْ فَعَلْتَ قَلَّ الظَّهْرُ (أي: الدواب التي نركبها)، وَلَكِنِ ادعُهُمْ بِفَضلِ أَزْوَادِهِمْ (أي: نادِ في الناس أن يأتوا بما بقي معهم من طعام) ثُمَّ ادعُ اللهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالبَرَكَةِ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ فِي ذلِكَ البَرَكَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». فَدَعَا بِنِطَعٍ (أي: بساط مُتَّخذ من جلد) فَبَسَطَهُ (أي: فَرَشَه على الأرض)، ثُمَّ دَعَا بِفَضلِ أَزْوَادِهِمْ فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَة، وَيَجِيءُ الآخر بِكَفِّ تمر، وَيجيءُ الآخرُ بِكِسرَةٍ حَتَّىٰ اجْتَمَعَ عَلَىٰ النِّطعِ مِنْ ذلِكَ شَيءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوعِيَتِكُمْ**». فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِم حَتَّىٰ مَا تَرَكُوا فِي العَسْكَرِ وِعاءً إِلَّا مَلَؤُوهُ وَأَكَلُوا حَتَّىٰ شَبِعُوا وَفَضَلَ فَضْلَةٌ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، لا يَلْقَىٰ اللهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنِ الجَنَّةِ**». رواه مسلم.

(٤١٧/ ٥١) وعن **عِتْبَانَ بن مالك** رضي الله عنه وَهُوَ مِمَّن شَهِدَ بَدرًا، قَالَ: كنت أُصَلِّي لِقَوْمِي بَنِي سَالِم، وَكَانَ يَحُولُ بَيْنِي وبَيْنَهُم وَادٍ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَار، فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ قِبَلَ مَسْجِدِه، فَجِئتُ رسولَ اللهِ ﷺ فقلت لَهُ: إِنِّي أَنْكَرْتُ بَصَرِي (أي: ساء بصري وأصبحت ضريرًا)، وَإِنَّ الوَادِي الَّذِي بَيْنِي وبَيْنَ قَومِي يَسِيلُ إِذَا جَاءتِ الأَمْطَارُ فَيَشُقُّ عَلَيَّ اجْتِيَازُهُ فَوَدِدْتُ أَنَّكَ تَأتِي فَتُصَلِّي فِي بَيْتِي مَكَانًا أَتَّخِذُهُ مُصَلًّى. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**سَأَفْعَلُ**». فَغَدَا رسولُ اللهِ ﷺ وَأَبُو بكر رضي الله عنه بَعْدَمَا اشْتَدَّ النَّهَارُ (أي: ارتفعت الشمس)، وَاسْتَأذَنَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَأَذِنْتُ لَهُ، فَلَمْ يَجْلِسْ حَتَّىٰ قَالَ: «**أَيْنَ تُحِبُّ أَنْ أُصَلِّيَ مِنْ بَيْتِكَ؟**» فَأَشَرْتُ لَهُ إِلَىٰ المَكَانِ الَّذِي أُحبُّ أَنْ يُصَلِّيَ فِيهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَكَبَّرَ وَصَفَفْنَا وَرَاءَهُ فَصَلَّىٰ رَكعَتَينِ ثُمَّ سَلَّمَ وَسَلَّمْنَا حِينَ سَلَّمَ فَحَبَسْتُهُ (أي: منعته من الخروج) عَلَىٰ خَزِيرَةٍ تُصْنَعُ لَهُ، فَسَمِعَ أَهلُ الدَّارِ (أي: أهل المحلة) أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ فِي بَيْتِي فَثَابَ رِجالٌ مِنْهُمْ حَتَّىٰ كَثُرَ

الرِّجَالُ فِي البَيْتِ، فَقَالَ رَجُلٌ: مَا فَعَلَ مَالِكٌ؟ لا أراهُ! فَقَالَ رَجُلٌ: ذلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ورسولَهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لا تَقُلْ ذلِكَ، ألا تَرَاهُ قَالَ: لا إلهَ إلَّا الله يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجهَ الله تَعَالَىٰ؟**» فَقَالَ: اللهُ ورسُولُهُ أعْلَمُ، أمَّا نَحْنُ فَوَالله مَا نَرَىٰ وُدَّهُ وَلَا حَدِيثَهُ إلَّا إلَىٰ المُنَافِقِينَ! فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**فإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا الله يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ الله**». متفق عليه.

و«**عتبان**»: بكسر العين المهملة وإسكان التاءِ المثناةِ فَوق وبعدها باءٌ موحَّدة. و«**الخزيرة**» بالخاءِ المعجمةِ والزاي، هِيَ: دَقيقٌ يُطْبَخُ بِشَحم. وقوله: «**ثاب رجال**» بالثاءِ المثلثةِ، أي: جَاءوا وَاجْتَمعُوا.

(٤١٨/ ٥١) وعن عُمَرَ بن الخَطَّاب رضي الله عنه قَالَ: قَدِم رَسُول الله ﷺ بِسَبْيٍ، فَإذَا امْرَأةٌ مِنَ السَّبْيِ تَسْعَىٰ، إذْ وَجَدَتْ صَبِيًّا في السَّبْيِ أخَذَتْهُ فَألْزَقَتهُ ببَطْنِهَا فَأرْضَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «**أتُرَوْنَ** (أي: أتظنون) **هذِهِ المَرْأةَ طَارِحَةً وَلَدَهَا في النَّارِ؟**» قُلْنَا: لَا وَالله. فَقَالَ: «**لَلَّهُ أرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هذِهِ بِوَلَدِهَا**». متفق عليه.

(٤١٩/ ٥١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**لَمَّا خَلَقَ الله الخَلْقَ كَتَبَ فِي كِتَابٍ فَهُوَ عِنْدَهُ فَوقَ العَرْشِ: إنَّ رَحْمَتِي تَغْلِبُ غَضَبي**».

وفي رواية: «**غَلَبَتْ غَضَبي**».

وفي رواية: «**سَبَقَتْ غَضَبي**». متفق عليه.

(٤٢٠/ ٥١) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «**جَعَلَ اللهُ الرَّحْمَةَ مِائَةَ جُزْءٍ، فَأمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ، وَأنْزَلَ فِي الأرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذلِكَ الجُزءِ يَتَرَاحَمُ الخَلائِقُ، حَتَّىٰ تَرْفَعَ الدَّابَّةُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا خَشْيَةَ أنْ تُصِيبَهُ**».

وفي رواية: «**إنَّ لله تَعَالَىٰ مائَةَ رَحمَةٍ، أنْزَلَ مِنْهَا رَحْمَةً وَاحِدَةً بَيْنَ الجنِّ وَالإنسِ وَالبهائِم وَالهَوامِّ، فَبِهَا يَتَعَاطَفُونَ، وبِهَا يَتَرَاحَمُونَ، وبِهَا تَعْطِفُ الوَحْشُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَأخَّرَ اللهُ تَعَالَىٰ تِسْعًا وَتِسْعِينَ رَحْمَةً يرْحَمُ بِهَا عِبَادَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». متفق عليه.

ورواه مسلم أيضًا مِنْ رواية سَلْمَانَ الفارسيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إنَّ لله تَعَالَىٰ مِائَةَ رَحْمَةٍ، فَمِنْهَا رَحْمَةٌ يَتَرَاحمُ بِهَا الخَلْقُ بَيْنَهُمْ، وَتِسْعٌ وَتِسعُونَ لِيوم القِيَامَةِ**».

وفي رواية: «**إنَّ الله تَعَالَىٰ خَلَقَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاواتِ وَالأرْضَ مِائَةَ رَحْمَةٍ كُلُّ رَحْمَةٍ**

طِبَاقُ (أي: ملء) مَا بَيْنَ السَّماءِ إِلَىٰ الأرْضِ، فَجعَلَ مِنْهَا في الأرضِ رَحمَةً فَبِهَا تَعْطِفُ الوَالِدَةُ عَلَىٰ وَلَدِهَا، وَالوَحْشُ وَالطَّيْرُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْض، فَإذا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ أكملَهَا بِهذِهِ الرَّحمَةِ».

(٤٢١/ ٥١) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ فيما يَحكِي عن ربهِ تبارك وتعالىٰ قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنبًا، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: أَذنَبَ عبدي ذنبًا، فَعلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيأْخُذُ بالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تبارك وتعالىٰ: أَذنَبَ عبدِي ذَنبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنبَ وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، اغْفِرْ لِي ذَنْبي. فَقَالَ تبارك وتعالىٰ: أَذنَبَ عبدِي ذَنبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغفِرُ الذَّنبَ وَيَأْخُذُ بالذَّنْبِ، قَدْ غَفَرْتُ لِعَبْدِي فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ». متفق عليه.

وقوله تعَالَىٰ: «فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ» أي: مَا دَامَ يَفْعلُ هكذا، يُذْنِبُ وَيَتُوبُ أَغفِرُ لَهُ، فَإِنَّ التَّوْبَةَ تَهْدِمُ مَا قَبْلَهَا.

(٤٢٢/ ٥١) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ الله بِكُمْ، وَجَاءَ بِقَومٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، فَيَغْفِرُ لَهم». رواه مسلم.

(٤٢٣/ ٥١) وعن أَبي أيوبَ خالدِ بن زيدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: «لَوْلَا أَنَّكُمْ تُذْنِبُونَ (أي: يتعرضون للوقوع في الذنوب)، لَخَلَقَ الله خَلْقًا يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرونَ، فَيَغْفِرُ لَهم».

رواه مسلم.

(٤٢٤/ ٥١) وعن أَبي هُرَيرَةَ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا مَعَ رَسُول الله ﷺ، مَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما في نَفَرٍ (أي: عدد من الرجال من ثلاثة إلىٰ تسعة) فَقَامَ رَسُول الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا (أي: من بيننا)، فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أنْ يُقتطَعَ دُونَنَا، فَفزِعنَا فَقُمْنَا فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ فَخَرَجتُ أبْتَغِي رسولَ الله ﷺ، حَتَّىٰ أَتَيْتُ حَائِطًا للأَنْصارِ... وَذَكَرَ الحَدِيثَ بِطُولِهِ إِلَىٰ قوله: فَقَالَ رَسُول الله ﷺ: «اذهَبْ فَمَنْ لَقِيتَ وَرَاءَ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلّا اللهُ، مُسْتَيقِنًا بِهَا قَلبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ». رواه مسلم.

(٤٢٥/ ٥١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ تَلَا قَولَ اللهِ ﷻ في إبراهيم ﷺ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ الآية [إبراهيم: ٣٦]، وقولَ عيسَىٰ ﷺ: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] فَرَفَعَ يَدَيهِ وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتي». وبكَىٰ، فَقَالَ الله ﷻ: «يَا جِبْرِيلُ،

اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ- وَرَبُّكَ أَعْلَمُ- فَسَلْهُ مَا يُبْكِيهِ؟» فَأَتَاهُ جبريلُ، فَأَخْبَرَهُ رسولُ الله ﷺ بِمَا قَالَ- وَهُوَ أَعْلَمُ- فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «يَا جِبريلُ، اذْهَبْ إِلَىٰ مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ». رواه مسلم.

(٤٢٦/ ٥١) وعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ (أي: راكبًا خلف) النَّبِيِّ ﷺ عَلَىٰ حِمَارٍ، فَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، هَلْ تَدْرِي مَا حَقُّ الله عَلَىٰ عِبَادِهِ؟ وَمَا حَقُّ العِبَادِ عَلَىٰ الله؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «فَإِنَّ حَقَّ الله عَلَىٰ العِبَادِ أَنْ يَعْبُدُوهُ، وَلَا يُشْرِكُوا بِهِ شَيئًا، وَحَقَّ العِبَادِ عَلَىٰ الله أَلَّا يُعَذِّبَ مَنْ لا يُشْرِكُ بِهِ شَيئًا». فقلتُ: يَا رَسُولَ الله، أَفَلا أُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «لَا تُبَشِّرْهُمْ فَيَتَّكِلُوا». متفق عليه.

(٤٢٧/ ٥١) وعن البَرَاءِ بن عَازِبٍ رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «الـمُسْلِمُ إِذَا سُئِلَ فِي القَبْرِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، فذلك قوله تعالَىٰ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]». متفق عليه.

(٤٢٨/ ٥١) وعن أنسٍ رضي الله عنه: عن رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ الكَافِرَ إِذَا عَمِلَ حَسَنَةً أُطْعِمَ بِهَا طُعْمَةً مِنَ الدُّنْيَا، وَأَمَّا المُؤْمِنُ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَدَّخِرُ لَهُ حَسَنَاتِهِ فِي الآخِرَةِ، وَيُعْقِبُهُ (أي: يعطيه عَقِيب ذلك) رِزْقًا فِي الدُّنْيَا عَلَىٰ طَاعَتِهِ».

وفي رواية: «إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسنَةً يُعْطَىٰ بِهَا فِي الدُّنْيَا، وَيُجْزَىٰ بِهَا فِي الآخِرَةِ، وَأَمَّا الكَافِرُ فَيُطْعَمُ (أي: يُرزق) بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ للهِ تَعَالَىٰ فِي الدُّنْيَا، حَتَّىٰ إِذَا أَفْضَىٰ (أي: صار) إِلَىٰ الآخِرَةِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَىٰ بِهَا». رواه مسلم.

(٤٢٩/ ٥١) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ». رواه مسلم. «الغَمْرُ»: الكَثِيرُ.

(٤٣٠/ ٥١) وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أَرْبَعُونَ رَجُلًا لَا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيئًا إِلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ».

رواه مسلم.

(٤٣١/ ٥١) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ فِي قُبَّةٍ (أي: بيت صغير مستدير) نَحوًا مِنْ أَرْبَعِينَ رجلًا، فَقَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا رُبُعَ أَهْلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ. قَالَ: «أَتَرْضَوْنَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهلِ الجَنَّةِ؟» قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ

تَكُونُوا نِصْفَ أهْلِ الجَنَّةِ، وذلك أنَّ الجنَّةَ لا يَدْخُلُهَا إلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ومَا أنْتُم في أهْلِ الشِّركِ إلَّا كَالشَّعْرَةِ البَيْضَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأسْوَدِ، أوْ كَالشَّعْرَةِ السَّودَاءِ في جلدِ الثَّورِ الأحْمَرِ». متفق عليه.

(٤٣٢/ ٥١) وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ دَفَعَ اللهُ إلَىٰ كُلِّ مُسْلِم يَهُوديًّا أوْ نَصْرانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ».

وفي رواية عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ المُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أمْثَالِ الجِبَالِ يَغْفِرُهَا الله لَهُمْ». رواه مسلم.

قوله: «دَفَعَ إلَىٰ كُلِّ مُسْلِم يَهُودِيًّا أوْ نَصْرَانِيًّا، فَيَقُولُ: هَذَا فِكَاكُكَ مِنَ النَّارِ» معناهُ مَا جاءَ في حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لِكُلِّ أحَدٍ مَنزِلٌ في الجَنَّةِ، وَمَنزِلٌ في النَّارِ، فَالمُؤْمِنُ إذَا دخَلَ الجَنَّةَ خَلَفَهُ الكَافِرُ في النَّارِ؛ لأنَّهُ مُسْتَحِقٌّ لِذَلِكَ بِكفْرِهِ». ومعنىٰ «فِكَاكُكَ»: أنَّكَ كُنْتَ مُعَرَّضًا لِدُخولِ النَّارِ، وَهَذَا فِكَاكُكَ؛ لأنَّ الله تَعالَىٰ قَدَّرَ للنَّارِ عَدَدًا يَمْلَؤُهَا، فإذَا دَخلَهَا الكُفَّارُ بِذُنُوبِهِمْ وبكُفْرِهِمْ صَارُوا في مَعنَىٰ الفِكَاكِ للمُسْلِمِينَ. والله أعلم.

(٤٣٣/ ٥١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «يُدْنَىٰ المُؤْمِنُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ رَبِّهِ حَتَّىٰ يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيهِ، فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، فيقولُ: أتعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أتعرفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فيقول: رَبِّ أعْرِفُ. قَالَ: فَإنِّي قَدْ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيا، وَأنَا أغْفِرُهَا لَكَ اليَومَ، فَيُعْطَىٰ صَحِيفَةَ حَسَنَاتِهِ». متفق عليه. «كَنَفُهُ»: سَتْرُهُ وَرَحْمَتُهُ.

(٤٣٤/ ٥١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا أصَابَ مِن امْرَأة قُبْلَةً، فَأتَىٰ النَّبيَّ ﷺ فَأخْبَرَهُ، فَأنْزَلَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرجل: أَلِي هَذَا يَا رَسُول الله؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ». متفق عليه.

(٤٣٥/ ٥١) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: جاء رجل إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُول الله، أصَبْتُ حَدًّا، فَأَقِمْهُ عَلَيَّ، وَحَضَرَتِ الصَّلاةُ، فَصَلَّىٰ مَعَ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا قَضَىٰ الصَّلاةَ قَالَ: يَا رَسُول الله، إنِّي أصَبْتُ حَدًّا فَأَقِمْ فِيَّ كِتَابَ الله. قَالَ: «هَلْ حَضَرْتَ مَعَنَا الصَّلاةَ؟» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ غُفِرَ لَكَ». متفق عليه.

وقوله: «أَصَبْتُ حَدًّا» مَعناهُ: مَعْصِيَةً تُوجِبُ التَّعْزِيرَ، وَلَيسَ المُرَادُ الحدَّ الشَّرعِيَّ الحَقِيقيَّ كَحَدِّ الزِّنَا وَالخمرِ وَغيرِهِمَا؛ فإنَّ هذِهِ الحُدودَ لا تَسْقُطُ بالصَّلاةِ، وَلَا يَجُوزُ للإمَامِ تَرْكُهَا.

(٤٣٦/ ٥١) وعنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**إنَّ اللهَ لَيرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ أنْ يَأكُلَ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا**». رواه مسلم.

«الأَكْلَة» بفتح الهمزة: وهي المرةُ الواحدةُ مِنَ الأكلِ كَالغَدوةِ وَالعَشْوَةِ. والله أعلم.

(٤٣٧/ ٥١) وعن أَبي موسىٰ رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَبْسُطُ يَدَهُ** (أي: يقبل التوبة، وإنما ورد لفظ بسط اليد لأن العرب إذا رضي أحدهم الشيء بسط يده لقبوله، وإذا كرهه قبضها عنه؛ فخوطبوا بأمر حسي يفهمونه) **بِاللَّيلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ، حَتَّىٰ تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**». رواه مسلم.

(٤٣٨/ ٥١) وعن أَبي نَجيح عمرو بن عَبَسَة -بفتح العين والباء- السُّلَمِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ وأنَا في الجاهِلِيَّةِ أظُنُّ أنَّ النَّاسَ عَلَىٰ ضَلاَلَةٍ، وأنَّهُمْ لَيْسُوا عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَعْبُدُونَ الأَوْثَانَ، فَسَمِعْتُ بِرَجُلٍ بِمَكَّةَ يُخْبِرُ أخْبَارًا، فَقَعَدْتُ (أي: ركبت) عَلَىٰ رَاحِلَتِي، فَقَدِمْتُ عَلَيهِ، فإذا رسولُ الله ﷺ مُسْتَخْفِيًا، جُرَآءُ عَلَيهِ قَومُهُ، فَتَلَطَّفْتُ (أي: تخفيت) حَتَّىٰ دَخَلْتُ عَلَيهِ بِمَكَّةَ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا أنْتَ؟ قَالَ: «**أنا نَبيٌّ**». قُلْتُ: وما نبيٌّ؟ قَالَ: «**أرْسَلَنِي اللهُ**». قُلْتُ: وبأيِّ شَيْءٍ أَرْسَلَكَ؟ قَالَ: «**أرْسَلَنِي بِصِلَةِ الأرْحَامِ، وَكَسْرِ الأوْثَانِ، وَأنْ يُوَحَّدَ اللهُ لا يُشْرَكُ بِهِ شَيْءٌ**». قُلْتُ: فَمَنْ مَعَكَ عَلَىٰ هَذَا؟ قَالَ: «**حُرٌّ وَعَبْدٌ**».

ومعه يَوْمَئذٍ أَبُو بكرٍ وبلالٌ رضي الله عنهما، فَقُلْتُ: إنِّي مُتَّبِعُكَ، قَالَ: «**إنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ ذلِكَ يومَكَ هَذَا، ألا تَرَىٰ حَالي وحالَ النَّاسِ؟! وَلكِنِ ارجِعْ إِلَىٰ أهْلِكَ فَإذَا سَمِعْتَ بي قَدْ ظَهَرْتُ فَأْتِنِي**». قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أهْلِي وقَدِمَ رَسُول الله ﷺ المَدِينَةَ، وكنت في أهلي فجعلت أتخبَّرُ الأخبار وأسأل الناس حين قدِم المدينة حَتَّىٰ قَدِمَ نَفَرٌ مِنْ أهْلِي المَدِينَةَ، فقلتُ: مَا فَعَلَ هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي قَدِمَ المَدِينَةَ؟ فقالوا: النَّاسُ إلَيهِ سِرَاعٌ، وَقَدْ أرادَ قَومُهُ قَتْلَهُ فلَمْ يَسْتَطِيعُوا ذلِكَ. فَقَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيهِ، فقلتُ: يَا رَسُولَ الله، أتَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**نَعَمْ، أنْتَ الَّذِي لَقِيتَنِي بِمَكَّةَ**».

قَالَ: فقلتُ: يَا رَسُول الله، أخْبِرنِي عَمَّا عَلَّمَكَ اللهُ وأجْهَلُهُ، أخْبِرْنِي عَنِ الصَّلاَةِ. قَالَ: «**صَلِّ صَلاَةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاَةِ حَتَّىٰ تَرْتَفِعَ الشَّمْسُ قِيدَ رُمْحٍ، فَإنَّهَا تَطْلُعُ حِينَ تَطلُعُ بَيْنَ قَرْنَيْ شَيطَانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ، ثُمَّ صَلِّ؛ فَإنَّ الصَّلاَةَ**

مَشْهُودَةٌ (أي: تشهدها الملائكة) مَحْضُورةٌ حَتَّىٰ يَسْتَقِلَّ الظِّلُّ بالرُّمْحِ (أي: آخر وقت صلاة الظهر قبل وقت العصر بقليل، حيث لا ظل للرمح)، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاةِ؛ فَإِنَّهُ حينئذ تُسْجَرُ جَهَنَّمُ (أي: تُوقد إيقادًا بليغًا)، فإذَا أَقْبَلَ الفَيْءُ (أي: ظهر الظل للأشياء، وهو وقت صلاة العصر) فَصَلِّ فَإِنَّ الصَّلاةَ مَشْهُودَةٌ مَحضُورَةٌ حَتَّىٰ تُصَلِّيَ العصرَ، ثُمَّ أَقْصِرْ عَنِ الصَّلاةِ حَتَّىٰ تَغْرُبَ الشَّمْسُ، فإنَّها تَغْرُبُ بينَ قَرْنَيْ شَيطانٍ، وَحِينَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ».

قَالَ: فقلتُ: يَا نَبِيَّ الله، فالوضوءُ حدِّثنِي عَنْهُ. فَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ رَجُلٌ يُقَرِّبُ وَضُوءَهُ، فَيَتَمَضْمَضُ وَيسْتَنْشِقُ فَيَنْتَثِرُ إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا وَجْهِهِ، وفِيهِ، وخياشيمه، ثم إذا غسل وجهه كما أمره الله إلا خرت خَطَايَا وَجْهِهِ مِنْ أَطْرَافِ لِحْيَتِهِ مَعَ المَاءِ، ثُمَّ يَغْسِلُ يديه إِلَىٰ المرفقَيْن إلا خَرَّتْ خطَايَا يَدَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يَمْسَحُ رَأْسَهُ، إِلَّا خَرَّتْ خطايا رأسِهِ من أَطْرَافِ شَعَرِهِ مَعَ الماءِ، ثُمَّ يغسل قدميه إِلَىٰ الكعْبَيْنِ، إِلَّا خَرَّتْ خَطَايَا رِجلَيْهِ مِنْ أَنَامِلِهِ مَعَ الماءِ، فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّىٰ، فَحَمِدَ الله تَعَالَىٰ، وأَثنَىٰ عَلَيهِ ومَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قلبه لله تَعَالَىٰ، إلا انْصَرفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كهيئَتِهِ يومَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ».

فحدث عَمرُو بنُ عَبَسَةَ بهذا الحديثِ أَبَا أُمَامَةَ صاحِبَ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ لَهُ أَبُو أُمَامَةَ: يَا عَمْرُو بنُ عَبَسَةَ، انْظُر مَا تقولُ! فِي مقامٍ واحدٍ يُعْطَىٰ هَذَا الرَّجُلُ؟ فَقَالَ عَمْرٌو: يَا أَبَا أُمَامَةَ، لقد كَبِرَتْ سِنِّي، وَرَقَّ عَظمِي، وَاقْتَرَبَ أَجَلِي، وَمَا بِي حَاجَةٌ أَنْ أَكْذِبَ عَلَىٰ الله تَعَالَىٰ، وَلا عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، لَوْ لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ رَسُول الله ﷺ إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَينِ أَوْ ثَلاثًا- حَتَّىٰ عَدَّ سَبعَ مَرَّات- مَا حَدَّثْتُ أبدًا بِهِ، وَلكنِّي سمِعتُهُ أكثَرَ من ذلِكَ.

رواه مسلم. قوله: «جُرَآءُ عَلَيهِ قَومُه» هُوَ بجيم مضمومة وبالمد عَلَىٰ وزنِ عُلماءَ، أي: جَاسِرونَ مُستَطِيلُونَ غيرُ هائِبِينَ. هذِهِ الرواية المشهورةُ، ورواه الحُمَيْدِيُّ وغيرُهُ: «حِرَاءٌ» بكسر الحاء المهملة [«الجمع بين الصحيحين» حديث (٣٠٧٥)]، وقال: معناه غِضَابٌ ذَوُو غَمٍّ وهَمٍّ قَدْ عِيلَ صَبرُهُمْ بِهِ حَتَّىٰ أَثَّرَ في أجسامهم، من قولِهِم: حَرَىٰ جسمُهُ يَحْرَىٰ، إِذَا نَقَصَ مِنْ ألمٍ أَوْ غَمٍّ ونحوِهِ، والصَّحيحُ أَنَّهُ بالجيم.

وقوله ﷺ: «بَيْنَ قَرنَيْ شيطان» أي: ناحيتي رأسِهِ والمرادُ التَّمْثِيلُ، وَمَعْنَاهُ: أنه حينئذٍ يَتَحرَّكُ الشَّيطَانُ وَشيعَتُهُ، وَيتَسَلَّطُونَ. وقوله: «يُقَرِّبُ وَضوءَهُ» معناه: يُحضِرُ الماءَ الَّذِي يَتَوضَّأُ بِهِ.

وقوله: «إِلَّا خَرَّت خطايا» هُوَ بالخاءِ المعجمة، أي: سقطت، ورواه بعضُهم «جَرَت» بالجيم، والصحيح بالخاءِ وَهُوَ رواية الجمهور. وقوله: «فيَنْتَثِرُ» أي: يَستخرجُ مَا في أنفهِ مِنْ أذىً. والنَّثْرَةُ: طَرَفُ الأَنْفِ.

(٤٣٩/ ٥١) وعن أَبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أرادَ اللهُ تَعَالَىٰ رَحمةَ أُمَّةٍ قَبَضَ نَبِيَّهَا قَبْلَهَا، فَجعلهُ لَهَا فَرَطًا (أي: الفرط: الذي يسبق القوم إلىٰ الماء ليُهيِّئ لهم الآنية وأمور الاستقاء ويدير الحياض ويعد لهم الماء) وسَلَفًا بَيْنَ يدَيْهَا، وإِذَا أرادَ هَلَكَةَ أُمَّةٍ، عَذَّبَهَا وَنَبِيُّهَا حَيٌّ، فَأَهلكَهَا وَهُوَ حيٌّ يَنظُرُ، فَأَقَرَّ عَيْنَهُ بهلاكِهَا حِينَ كَذَّبُوهُ وَعَصَوْا أمْرَهُ». رواه مسلم.

❊ ❊ ❊

(الرجاء)

قال سفيانُ الثوريُّ رحمه الله: مَن أذنب ذنبًا فعَلِمَ أن اللهَ تعالىٰ قدَّره عليه ورَجَا غُفْرانَه غَفَر اللهُ له ذنبَه. فالرجاءُ إذَن هو تأمُّل الخير وقُرب وقوعه، حيث يتعلَّق القلبُ بشيءٍ محبوبٍ يقع في المستقبل مع تخوُّفٍ. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣] أي ما لكم لا تخافون عظمة الله.

ويقول ابنُ القيِّم رحمه الله: الرجاءُ هو النَّظَرُ إلىٰ سَعَةِ رحمة الله تعالىٰ. وقد يقال: إن الرجاءَ هو الاستبشارُ والثقةُ بجُود وفَضْل الله تبارك وتعالىٰ، والنَّظَرُ بأملٍ وارتياحٍ لسَعَة كَرَمِه وفَضْله.

الفرق بين الأمل والطمع والرجاء: مَن عَزَم علىٰ سفرٍ إلىٰ بلدٍ بعيد يقول: لديَّ أملُ الوصول، ولا يقول: أطمع في الوصول؛ لأن الطمعَ لا يكون إلا في شيءٍ قريبٍ، ويكون الأملُ في الشيء البعيد، والرجاءُ بينهما؛ ذلك لأن الراجيَ يخاف ألا يحصلَ ما يُريد، فهو مُتعلِّقُ القلب بشيءٍ يحدث في المستقبل مع تخوُّفِ ألا يكونَ.

الفرق بين الرجاء والتمني: التمنِّي يقول صاحبُه: «يا ليت» ويطلب ولا يفعل شيئًا لمُرادِه، وإنما هو الكسل والجلوس وانتظار الأمنية، أما الرجاء فهو قول صاحبه: «لعل»، مع الجِدِّ والاجتهاد والسعي الحثيث، فالراجي ينتظر وقوعَ الأمر وحدوثَه، أما المُتمَنِّي فهو يعرف استحالةَ وقوعه.

والرجاءُ عبوديةٌ وتَعلُّق بالله الغنيِّ البَرِّ الواسع الرحيم المُحسِن، وكلما زادت وقَوِيَت

معرفةُ العبد بالله وأسمائه وصفاته كلما زاد رجاؤه وطمعه في الله، ولولا رَوْحُ الرجاء لتعطَّلت عبوديةُ القلب والجوارح، وإلا فاليأس هو المآلُ، نعوذ بالله من ذلك.

قال ابنُ حَجَرٍ رَحِمَهُ اللهُ: المقصودُ من الرجاء أن مَن وَقَع منه تقصيرٌ فَلْيُحسِن ظنَّه بالله، ويرجو أن يمحوَ عنه ذنبَه، وكذا مَن وَقَع منه طاعةٌ يرجو قَبُولَها، وأما مَنِ انهمك علىٰ المعصية راجيًا عدمَ المؤاخذة بغير ندمٍ ولا إقلاعٍ فهذا في غرورٍ.

وقال أبو عثمان الجيزي رَحِمَهُ اللهُ: من علامة السعادة أن تُطيع وتخاف ألا تُقبَلَ، ومن علامة الشقاء أن تعصيَ وترجو أن تنجوَ.

ووقف رسولُ الله ﷺ علىٰ أناس جلوسٍ فقال: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِكُمْ مِنْ شَرِّكُمْ؟». قال: فسكتوا، فقال ذلك ثلاثَ مرَّاتٍ؛ فقال رجلٌ: يا رسول الله، أخبرنا بخيرنا مِن شرِّنا. قال: «خَيْرُكُمْ مَنْ يُرْجَىٰ خَيْرُهُ وَيُؤْمَنُ شَرُّهُ، وَشَرُّكُمْ مَنْ لَا يُرْجَىٰ خَيْرُهُ وَلَا يُؤْمَنُ شَرُّهُ». أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٨) برقم (٨٧٩٨)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٦٠٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ يَوْمَ الْـجُمُعَةِ أَوْ لَيْلَةَ الْـجُمُعَةِ إِلَّا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ». أحمد في مسنده (٢/ ١٦٩) برقم (٦٥٨٢)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٧٧٣).

وقال ﷺ: «مَا مِنْ مَيِّتٍ تُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ الْـمُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إِلَّا شُفِّعُوا فِيهِ». مسلم برقم (٩٤٧). وقال ﷺ: «مَنْ آمَنَ بِالله وَرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلَاةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ، كَانَ حَقًّا عَلَىٰ الله أَنْ يُدْخِلَهُ الْـجَنَّةَ، هَاجَرَ فِي سَبِيلِ الله أو جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا». قالوا: يا رَسُولَ الله، أَفَلَا نُنَبِّئُ الناس بذلك؟ قال: «إِنَّ فِي الْـجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، كُلُّ دَرَجَتَيْنِ مَا بَيْنَهُمَا كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْـتُمُ اللهَ فَسَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الْـجَنَّةِ وَأَعْلَىٰ الْـجَنَّةِ، وَفَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الْـجَنَّةِ». البخاري برقم (٢٧٩٠).

وقال ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْـجَنَّةَ». مسلم برقم (٢٦).

وقال محمدُ بن عبد الملك بن هاشم: سمعتُ ذا النُّون المِصْريَّ في دُعائه يقول:

اللهم إليك تقصد رغبتي، وإياك أسأل حاجتي، ومنك أرجو نجاحَ طَلِبَتي، وبيدك مفاتيح مسألتي، لا أسأل الخيرَ إلا منك، ولا أرجوه من غيرِك، ولا أيئس من رَوْحك بعد معرفتي بفضلك. وقال بعضُ أهل العلم: علامة صحة الرجاء حُسْن الطاعة.

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: الرجاءُ حادٍ (أي: الحادي: من يُغنِّي للإبل حتىٰ تسير) يحدو القلوبَ إلىٰ بلاد المحبوب، وهو اللهُ تعالىٰ والدارُ الآخرة، ويُطيِّب لها السَّيْرَ.

واعلم أن الخوفَ وحده لا يُحرِّك العبدَ لربِّه، وإنما يُحرِّكه حبُّه لربِّه وخوفُه من ذنوبِه، وإنما الرجاءُ هو الذي يأخذ بيده إلىٰ الطاعات. فإن قدَّر اللهُ علىٰ عبدٍ الذنبَ وابتلاه به فإنما ذلك لتكملَ مراتبُ عبوديَّته بالتوبة التي هي من أحسن ألوان العبودية لله، ثم لتكمل مراتبُه بالرجاء والخوف.

فكلُّ راجٍ خائفٌ، وكلُّ خائفٍ راجٍ؛ فلذلك يتعلَّق قلبُ العبد بربِّه بدوام ذِكره والالتفات إليه وملاحظة أسمائه وصفاته العليا، راجيًا ومنتظرًا ما وعده ربُّه من خيراتٍ؛ أملًا في نجاته من عذابه وحسابه يوم القيامة. وكلما رَجَا العبدُ ربَّه وتحصَّل علىٰ شيءٍ من مقصوده ورغبتِه بعثه ذلك إلىٰ مقامِ الشكر الذي هو خُلاصة العبودية.

وفي **الأمَل** سرٌّ لطيفٌ؛ إذ لولاه ما تهنَّأ أحدٌ بعيشٍ، ولا طابت نفسٌ لعملِ شيءٍ من أعمال الدنيا، والمذموم منه هو الاسترسال في الأمل وتَرْك أمر الآخرة.

أما **الطموحُ**: فهو الرغبةُ في معالي الأمور، وأن تتغيَّر الحالُ إلىٰ الأسمىٰ والأنفع، فلا يرضىٰ الطامحُ بمرتبته في الخير والمنفعة، بل ينظر إلىٰ ما فوقها، فإذا وافق طموحُه الشرع كان محمودًا، وإذا خالفه كان مذمومًا. والحرُّ الكريم لا يقنع من شرف الدنيا والآخرة، بل يطمح فيما هو أعلىٰ درجةً ومنزلةً عند ربِّ العالمين، وقد رأينا ارتحال وسفر طلبة العلم في طلب الأحاديث والمشقَّات التي تحمَّلوها طموحًا وطلبًا لرضا مولاهم.

الفرق بين الطموح وعلوِّ الهمة: يشترك الطموح وعلو الهمة في الهدف والغاية، ولكنهما يختلفان في الباعث والسبب وراء كلٍّ منهما؛ فأما علوُّ الهمة فتبعث علىٰ الأَنَفة من المهانة

والنَّقص، وأما الطموح فهو نُزُوع النفس دائمًا للأعلىٰ والأرقىٰ، وقد يَجْنَح بصاحبه نحو الغلوِّ والإسراف علىٰ نفسه وعلىٰ غيره فيُصبح طَمِعًا مذمومًا، أما عالي الهمة فيسلك الطرقَ الشرعية الشريفة.

* * *

٥٢- باب فضل الرجاء

قَالَ الله تَعَالَىٰ إخبارًا عن العبد الصالح: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ ۝٤٤ فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْ﴾ [غافر: ٤٤، ٤٥].

(٤٤٠/ ٥٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «قَالَ الله عز وجل: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنا معه حَيْثُ يَذْكُرنِي- والله، للهُ أَفْرحُ بِتوبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ يَجِدُ ضَالَّتَهُ (أي: الضالة: الضائعة من كل ما يقتنىٰ من الحيوان وغيره) بالفَلَاةِ (أي: الصحراء أو المكان الواسع)- وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقرَّب إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ». متفق عليه، وهذا لفظ إحدىٰ روايات مسلم، وتقدم شرحه في الباب قبله. ورُوِيَ في الصحيحين: «وأنا معه حين يذكرني» بالنون، وفي هذه الرواية: «حيث» بالثاء، وكلاهما صحيح.

(٤٤١/ ٥٢) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أنه سمع رسول الله ﷺ قبلَ مَوْتِه بثَلاثَةِ أيَّام يقولُ: «لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بالله عز وجل». رواه مسلم.

(٤٤٢/ ٥٢) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ الله تعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغت ذُنُوبُكَ عَنَانَ السماءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي. يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِها مَغْفِرَةً». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «عَنَانُ السَّماءِ» بفتح العين، قيل: هو مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أي: ظَهَرَ إذَا رَفَعْتَ رَأسَكَ، وقيل: هو السَّحَابُ. و«قُرابُ الأرض» بضم القاف، وقيل: بكسرها، والضم أصح وأشهر، وَهُوَ: مَا يقارب مِلئَهَا. والله أعلم.

٥٣- باب الجمع بين الخوف والرجاء

اعْلَمْ أنَّ المُخْتَارَ لِلْعَبْدِ في حَالِ صِحَّتِهِ أنْ يَكُونَ خَائفًا رَاجِيًا، وَيَكُونَ خَوْفُهُ وَرَجَاؤُهُ

سَواءً، وفي حَالِ المَرَضِ يُمحِّضُ الرَّجاءَ (أي: يشتد تعلقًا به). وقواعِدُ الشَّرْعِ مِنْ نصُوصِ الكِتَابِ والسُّنَّةِ وغيْرِ ذَلِكَ مُتظاهِرَةٌ عَلَىٰ ذلك.

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأعراف: ٩٩].

وقال تعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [يوسف: ٨٧].

وقال تعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

وقال تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأعراف: ١٦٧].

وقال تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤].

وقال تعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: ٦-٩].

والآيات في هـذا المعنىٰ كثيرةٌ. فَيَجْتَمعُ الخَوفُ والرجاءُ في آيَتَيْنِ مُقْتَرِنَتَيْنِ أو آيات أَو آية.

(٤٤٣/ ٥٣) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ المُؤمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ العُقُوبَةِ، مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ، مَا قَنطَ مِنْ جَنَّتِهِ أَحَدٌ». رواه مسلم.

(٤٤٤/ ٥٣) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا وُضِعَتِ الجنازةُ (أي: أُدرج الميت في السرير ليُحمل) واحْتَمَلَهَا النَّاسُ أَوِ الرِّجَالُ عَلَىٰ أعناقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً، قالتْ: قَدِّمُوني قَدِّمُوني، وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ، قالتْ: يَا وَيْلَهَا! أَيْنَ تَذْهَبُونَ بها؟! يَسْمَعُ صَوْتَها كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الإنْسانُ، وَلَوْ سَمِعَهُ صَعِقَ (أي: غشي عليه من شدة ذلك)». رواه البخاري.

(٤٤٥/ ٥٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الجَنَّةُ أَقْرَبُ إِلَىٰ أَحَدِكُمْ مِنْ شِرَاكِ نَعْلِهِ، وَالنَّارُ مِثْلُ ذلك». رواه البخاري.

٥٤- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ ﴿١٠٩﴾﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقال تعَالَىٰ: ﴿أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [النجم: ٥٩، ٦٠].

(٤٤٦/ ٥٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «اقْرَأْ عليَّ القُرْآنَ». قلت: يَا رسول الله، أقرأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إنِّي أُحِبُّ أنْ أسْمَعَهُ مِنْ غَيري». فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سورةَ النِّسَاءِ، حَتَّىٰ جِئْتُ إلىٰ هذِهِ الآيَة: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ (أي: يكفيك) الآنَ». فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فإذا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ (أي: يجري دمعهما). متفق عليه.

(٤٤٧/ ٥٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، فقال: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَليلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا». قَالَ: فَغَطَّىٰ أصْحَابُ رسول الله صلى الله عليه وسلم وُجُوهَهُمْ، وَلَهُمْ خَنِينٌ. متفق عليه. وَسَبَقَ بَيَانُهُ في بَابِ الخَوْفِ.

(٤٤٨/ ٥٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يَلِجُ (أي: يدخل) النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ في الضَّرْعِ، وَلا يَجْتَمِعُ غُبَارٌ في سبيلِ الله وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٤٩/ ٥٤) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحمايته، أو في ظل عرشه، وأضافه إليه سبحانه تشريفًا) يَوْمَ لا ظِلَّ إلَّا ظِلُّهُ: إمَامٌ عَادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ الله تَعَالَىٰ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بالمَسَاجِدِ (أي: شديد الحب لها والملازمة للجماعة فيها)، وَرَجُلَانِ تَحَابَّا فِي الله اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إنِّي أَخَافُ اللهَ. وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّىٰ لَا تَعْلَمَ شِمَالُه مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ (أي: فاضت الدموع منهما)». متفق عليه.

(٤٥٠/ ٥٤) وعن عبد الله بن الشِّخِّير رضي الله عنه قَالَ: أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وَهُوَ يُصَلِّي ولِجَوْفِهِ أَزِيزٌ (أي: الأزيز: صوت البكاء، وهو أن يَجِيشَ جوفُه ويغلي بالبكاء) كَأَزِيزِ المِرْجَلِ (أي: كصوت غليان الماء في القِدْر) مِنَ البُكَاءِ. حديث صحيح رواه أبو داود والتِّرمذي في الشمائل بإسناد صحيح.

(٤٥١/ ٥٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم لأُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه: «إنَّ الله عز وجل أَمَرَنِي أنْ أقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [البينة: ١]». قَالَ: وَسَمَّانِي؟ قَالَ: «نَعَمْ». فَبَكَىٰ أُبَيٌّ. متفق عليه.

وفي رواية: فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.

(٤٥٢/ ٥٤) وعنه قَالَ: قَالَ أَبو بكر لِعُمَرَ رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا بعد وفاة رسول الله ﷺ: انْطَلِقْ بنَا إِلىٰ أُمِّ أيْمَن رَضِيَاللَّهُعَنْهَا نَزورُها؛ كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَزُورُها، فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَيْهَا بَكَتْ، فقالا لها: مَا يُبْكِيكِ؟ أمَا تَعْلَمِينَ أنَّ مَا عِنْدَ الله تَعَالَىٰ خَيرٌ لرسولِ الله ﷺ؟! قالت: ما أبكي ألا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسول الله ﷺ، وَلكِنِّي أبكِي أَنَّ الْوَحْيَ قَدِ انْقَطَعَ مِنَ السَّمَاءِ؛ فَهَيَّجَتْهُما عَلَىٰ البُكَاءِ، فَجَعَلا يَبْكِيَانِ مَعَهَا. رواه مسلم، وقد سبق في باب زيارة أهل الخير.

(٤٥٣/ ٥٤) وعن ابن عمر رَضِيَاللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: لَـمَّا اشْتَدَّ برسول الله ﷺ وَجعُهُ، قِيلَ له في الصَّلاَةِ، فقال: «مُرُوا أَبا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بالنَّاسِ». فقالت عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا: إنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ (أي: رقيق القلب) إِذَا قَرَأَ القُرْآنَ غَلَبَهُ البُكَاءُ، فقال: «مُرُوهُ فَلْيُصَلِّ».

وفي رواية عن عائشة رَضِيَاللَّهُعَنْهَا قالت: قلت: إنَّ أَبَا بَكْرٍ إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لَمْ يُسْمِعِ النَّاسَ مِنَ البُكَاءِ. متفق عليه.

(٤٥٤/ ٥٤) وعن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف: أَنَّ عبد الرحمن بن عوف رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أُتِيَ بطعام وكان صائِمًا، فقال: قُتِلَ مُصْعَبُ بن عُمَير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وَهُوَ خَيرٌ مِنِّي، فَلَمْ يوجَدْ له مَا يُكَفَّنُ فيهِ إِلَّا بُرْدَةٌ (أي: كساء أسود مربع) إنْ غُطِّيَ بِهَا رَأْسُهُ بَدَتْ (أي: ظهرت) رِجلاهُ؛ وَإِنْ غُطِّيَ بِهَا رِجْلاهُ بَدَا رَأْسُهُ، ثُمَّ بُسِطَ لَنَا مِنَ الدُّنْيَا مَا بُسِطَ - أو قَالَ: أُعْطِينا مِنَ الدُّنْيَا مَا أُعْطِينَا - وقَدْ خَشِينا أنْ تَكُونَ حَسَنَاتُنَا عُجِّلَتْ لَنَا، ثُمَّ جَعَلَ يَبكِي حَتَّىٰ تَرَكَ الطعَامَ. رواه البخاري.

(٤٥٥/ ٥٤) وعن أبي أُمَامَة صُدَيِّ بن عجلان الباهلي رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: عن النبي ﷺ قَالَ: «لَيسَ شَيْءٌ أَحبَّ إِلىٰ الله تَعَالَىٰ مِنْ قَطْرَتَيْنِ وَأَثَرَيْنِ: قَطْرَةُ دُمُوعٍ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَقَطْرَةُ دَمٍ تُهَرَاقُ في سَبيلِ الله. وَأَمَّا الأَثَرَانِ: فَأَثَرٌ في سَبيلِ الله تَعَالَىٰ، وَأَثَرٌ في فَرِيضَةٍ مِنْ فَرَائِضِ الله تَعَالَىٰ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

وفي الباب أحاديث كثيرة، منها: حديث العِرْبَاضِ بن سَارِيَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: وَعَظَنَا رسولُ الله ﷺ مَوعظةً وَجِلَتْ (أي: خافت) منها القُلُوبُ، وذَرَفَتْ (أي: سالت بالدموع) منها العُيُونُ.

وقد سبق في باب النهي عن البدع.

❁ ❁ ❁

(البكاء من خشية الله تعالى)

البكاء يكون بإراقة الدموع من أثر الخوف من الله تعالىٰ، أو للتعبير عن حزن في القلب. وإذا غلب الحزن علىٰ القلب فإن صوت البكاء يكون قصيرًا. والبكاء من خشية الله تعالىٰ إنما يكون في الغالب عند سماع القرآن.

قال القُرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ينبغي لمن قَرَأ سجدةَ تلاوةٍ أن يدعوَ أثناء سجوده بما يليق بآياتها، فإذا قرأ بسورة «السجدة» ﴿الٓمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ لَا رَيۡبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [سورة السجدة] قال: اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك، والمُسبِّحين بحمدك، وأعوذ بك أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وإن قرأ سجدة «سبحان» قال: اللهم اجعلني من الباكين إليك، الخاشعين لك. وإن قرأ سجدة ﴿خَرُّواْ سُجَّدٗا وَبُكِيّٗا ۩ ٥٨﴾ [مريم:٥٨] قال: اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم، المهديين، الساجدين لك، الباكين عند تلاوة آياتك.

والبكاء أيضًا يكون عند التفكُّر والاعتبار والخوف من الوعيد، وقد يكون أيضًا لموت وفقدان عزيز كما بكىٰ النبي ﷺ حين مات ابنه إبراهيم، وهذا كله من البكاء المحمود عند الله.

أما البكاء المذموم: فهو كبكاء إخوة يوسف الذين فعلوا فعلتهم وتصنعوا البكاء لأبيهم، فهذا من البكاء المذموم.

وقال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: من استطاع منكم أن يبكي فليبك، ومن لم يستطع فَلْيَتَبَاكَ.

وقرأ ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١﴾ [المطففين:١] فلمَّا بلغ ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦﴾ [المطففين:٦] بكىٰ حتىٰ خَرَّ وما استطاع قراءةَ ما بعدها.

وبكىٰ الحسنُ البصريُّ: فقيل له: ما يُبكيك؟ قال: أخاف أن يطرحني غدًا في النار ولا يبالي.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز للمُغيرة بن حكيم: يا مغيرة، إنه قد يكون في الناس من هو أكثر صلاةً وصيامًا من عمر؛ ولكني ما رأيت أحدًا قط كان أشدَّ خوفًا من ربِّه من عمر، كان إذا صلَّىٰ العِشاء قعد في مسجده، ثم رفع يديه، فلم يزل يبكي حتىٰ تغلبه عيناه، ثم ينتبه فلا يزال يبكي ويدعو حتىٰ تغلبه عيناه.

وقال الحسنُ البَصْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا أهل الإيمان والتقوىٰ: إن المؤمنين قوم ذلَّت (أي: لانت ورقت) والله منهم الأسماع والأبصار والأبدان، حتىٰ حَسِبَهم الجاهلُ مرضَىٰ، وهم والله

أصحاب القلوب (أي: المؤمنة)، ألا تراه يقول: ﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، والله لقد كابدوا في الدنيا حزنًا شديدًا، وجرىٰ عليهم ما جرىٰ علىٰ من كان قبلهم، والله ما أحزنهم حزنُ الناس، ولكن أبكاهم وأحزنهم الخوف من النار.

وعن يزيد بن مَيْسَرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: البكاء من سبعة أشياء: البكاء من الفرح، ومن الحزن، ومن الفزع، ومن الرياء، ومن الوجع، ومن الشكر، ومن خشية الله تعالىٰ، فذلك الذي تطفئ الدمعة منها أمثال البحور.

والبكاء من خشية الله تعالىٰ دليل علىٰ صلاح العبد واستقامته، وخشيته لله، ومراقبته له، ورقة القلب واستجابته.

(الخشية)

الخشيةُ: هي خوفٌ مَقْرون بإجلالٍ وتعظيمٍ لمن تخشاه، والخشيةُ من الله إنما جاءت من معرفة العبد بجلال الله وهيبته. والخوف إنما يكون لعامة المؤمنين، حيث يلجأ صاحب الخوف للهرب مما يخاف.

أما الخشية فهي للعلماء بالله تعالىٰ، حيث هي خوف مقرون بمعرفة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]، ولقول النبيِّ ﷺ تأكيدًا علىٰ ذلك: «إِنِّي أَتْقَاكُمْ لله» متفق عليه. فلقوة معرفته ﷺ صار أخشىٰ الناس، وعلىٰ قدر العلم والمعرفة تكون الخشية.

لهذا قال النبي ﷺ: «إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لله، وَالله لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَىٰ الْفُرُشِ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَىٰ الصُّعُدَاتِ تَجْأَرُونَ إِلَىٰ الله». أحمد في مسنده (٥/ ١٧٣) برقم (٢١٥٥٥).

وكلُّ خائفٍ يهرب مما يخاف إلا الخائفَ من الله؛ فإنه إذا خافه هرب إليه فهو هارب من ربه إلىٰ ربه: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠]. قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ ذَكَرَ اللهَ فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ خَشْيَةِ الله حَتَّىٰ يُصِيبَ الْأَرْضَ مِنْ دُمُوعِهِ لَمْ يُعَذِّبْهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». الحاكم في المستدرك (٤/ ٢٨٩) برقم (٧٦٦٨)، وقال: صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقال عمر بن الخطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا تَصحَبِ الفُجَّارَ لِتعلمَ من فُجورِهم، واعتزِل عدُوَّك،

واحذر صديقك إلا الأمينَ، ولا أمِينَ إلا من خشي الله وتخشَّع عند القبور، وذِلَّ عند الطاعةِ، واستعصم عند المعصية، واستَشِرِ الذين يخشون الله.

وقال أيضًا رضي الله عنه: آخ الإخوانَ على قدر التقوى، ولا تَضَعْ حاجتك إلا عند من يحب قضاءها، ولا تغبط الأحياء إلا بما تغبط به الأموات، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل. وقال ابنُ مَسْعود رضي الله عنه: إن المؤمنَ يرى ذنوبَه كأنه قاعدٌ تحت جبل يخاف أن يَقع عليه، وإن الفاجرَ يرى ذنوبَه كذُباب مَرَّ على أنفه فقَالَ به هكذا (أي: فدفعه وطرده عن نفسه، والمراد أن المؤمن خائف دائمًا من ذنوبه، بينما لا يبالي الفاجر بذنوبه ويتركها وراء ظهره).

وقال أيضًا رضي الله عنه: ليس العلمُ من كثرة الحديث، ولكن العلم من الخشية.

وقال أبو أيُّوب الأنصاريُّ رضي الله عنه: إن الرجلَ ليعمل الحسنةَ فيتكل عليها، ويعمل المُحقَّرات حتى يأتي الله وقد أَحَطْنَ به، وإن الرجل ليعمل السيئة فيفرق (أي: يفزع) منها حتى يأتي الله آمنًا.

وقال الحسن البصري رحمه الله: لقد مضى بين أيديكم أقوامٌ لو أن أحدَهم أنفق عددَ هذا الحصى لخشي ألا ينجو من عِظَم ذلك اليوم (أي: القيامة).

وقال أيضًا رحمه الله: اعْمَلُوا لله بالطاعات واجْتَهِدُوا فيها وخافوا أن تُرَدَّ عليهم، إن المؤمن جمع إيمانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا. وقال أيضًا رحمه الله: الإيمان من خشي الله بالغيب، ورغب فيما رغَّب الله فيه، وزهد فيما أسخط الله.

وقال مسروق رحمه الله: كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء جهلًا أن يُعجَبَ بعمله.

وقال مُطَرِّف بن الشِّخِّير رحمه الله: يا إخوتي، اجتهدوا في العمل، فإن يكن الأمر كما نرجو من رحمة الله وعفوه كانت لنا درجات في الجنة، وإن يكن الأمر شديدًا كما نخاف ونحاذر لم نَقُلْ: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧] نقول: قد عَلِمْنا فلم ينفعنا. وقال مالك بن أنس رحمه الله: حقٌّ على من طَلَب العلم أن يكون له وقار وسكينة وخشية، والعلم حَسَنٌ لمن رُزِق خيرَه.

وقال السَّرِيُّ السَّقَطِيُّ رحمه الله: للخائفِ عَشْرُ مقامات، منها: الحزن اللازم (أي: على معاصيه وذنوبه)، والهمُّ الغالب (أي: من فوات القصد)، والخشيةُ المُقلِقة (أي: التي تعينه على

الطاعة)، وكثرة البكاء، والتفرُّغ في الليل والنهار (أي: عدم الانشغال بما لا يعنيه)، والهرب من مواطن الراحة (أي: عدم ترك الطاعة والعبادة)، ووَجَلُ القلب.

وقال صالح بن الخليل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أعلمُ الناس بالله أشدُّهم له خشيةً.

والخشيةُ سببٌ للبُعد عن المعاصي والذنوب، وسعادةِ المرء في الدنيا والآخرة.

* * *

٥٥- باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالَىٰ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالَىٰ: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران: ١٤].

وقال تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾﴾ [فاطر: ٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ

﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥﴾ [التكاثر: ١-٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۝٦٤﴾ [العنكبوت: ٦٤].

والآيات في الباب كثيرة مشهورة.

وأما الأحاديث فأكثرُ مِنْ أن تُحصر، فَنُنبِّهُ بطرف منها عَلَىٰ مَا سواه:

(٤٥٦/ ٥٥) عن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاح رضي الله عنه إِلَىٰ الْبَحْرَيْنِ يَأْتِي بِجِزْيَتِهَا، فَقَدِمَ بمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، فَسَمِعَتِ الأَنْصَارُ بقُدُوم أَبي عُبيْدَة، فَوافوْا صَلاةَ الفَجْرِ مَعَ رسولِ الله ﷺ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رسولُ الله ﷺ انْصرفَ، فَتعَرَّضُوا لَهُ، فَتبسَّمَ رسولُ الله ﷺ حِينَ رَآهُمْ، ثُمَّ قَالَ: «**أَظُنُّكُمْ سَمعتُمْ أَنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَدِمَ بِشَيْءٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ؟**» فقالوا: أجل، يَا رسول الله. فقال: «**أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَالله مَا الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا** (أي: ترغبون فيها) **كَمَا تَنَافَسُوهَا، فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ**». متفق عليه.

(٤٥٧/ ٥٥) وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قَالَ: جلس رسولُ الله ﷺ عَلَىٰ الْمِنْبَرِ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، فقال: «**إِنَّ مِمَّا أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا** (أي: بهجتها ومتاعها) **وَزِينَتِهَا**». متفق عليه.

(٤٥٨/ ٥٥) وعنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ وَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ**». رواه مسلم.

(٤٥٩/ ٥٥) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لا عَيْشَ إِلَّا عَيْشُ الآخِرَةِ**». متفق عليه.

(٤٦٠/ ٥٥) وعنه: عنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: «**يَتبعُ المَيِّتَ ثَلاثَةٌ: أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَعَمَلُهُ: فَيَرْجِعُ اثْنَانِ، وَيَبْقَىٰ معه وَاحِدٌ: يَرْجِعُ أَهْلُهُ وَمَالُهُ وَيبْقَىٰ عَمَلُهُ**». متفق عليه.

(٤٦١/ ٥٥) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ** (أي: يُغمس) **فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَالله يَا رَبِّ. وَيُؤْتَىٰ بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ،**

فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ، هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا (أي: شدة وكربًا) قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا وَاللهِ، مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ». رواه مسلم.

(٤٦٢/ ٥٥) وعن المُسْتَوْرِدِ بن شَدَّادٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ فِي الْيَمِّ (أي: البحر)، فَلْيَنْظُرْ بِمَ يَرْجِعُ!». رواه مسلم.

(٤٦٣/ ٥٥) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ بِالسُّوقِ وَالنَّاسُ كَنَفَتَيْهِ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُم يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فقالوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ ثُمَّ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا أَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فقال: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ». رواه مسلم. قوله: «كَنَفَتَيْهِ» أي: عن جانبيه. و«الأَسَكُّ»: الصغيرُ الأُذُنِ.

(٤٦٤/ ٥٥) وعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَرَّةٍ (أي: أرض ذات حجارة سُودٍ) بِالمَدِينَةِ، فَاسْتَقْبَلَنَا أُحُدٌ، فقال: «يَا أَبَا ذَرٍّ». قلت: لَبَّيْكَ يَا رسولَ الله. فقال: «مَا يَسُرُّنِي أَنَّ عِنْدِي مِثْلَ أُحُدٍ هَذَا ذَهَبًا تَمْضِي عَلَيَّ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ وَعِنْدِي مِنْهُ دِينَارٌ، إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ (أي: أُعِدُّه) لِدَيْنٍ، إِلَّا أَنْ أَقُولَ بِهِ فِي عِبَادِ اللهِ هكذا وَهَكَذَا وَهكَذَا». عن يَمِينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، ثُمَّ سَارَ، فقال: «إِنَّ الأَكْثَرِينَ هُمُ الأَقَلُّونَ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَّا مَنْ قَالَ بِالمَالِ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا» عن يمينِهِ وعن شِمَالِهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، «وَقَلِيلٌ مَا هُمْ». ثُمَّ قَالَ لِي: «مَكَانَكَ لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ». ثُمَّ انْطَلَقَ فِي سَوَادِ اللَّيْلِ حَتَّى تَوَارَى (أي: غاب واختفى)، فَسَمِعْتُ صَوْتًا قَدِ ارْتَفَعَ، فَتَخَوَّفْتُ أَنْ يَكُونَ أَحَدٌ عَرَضَ (أي: تعرض بسوء) لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَأَرَدْتُ أَنْ آتِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَه: «لَا تَبْرَحْ حَتَّى آتِيَكَ». فلم أَبْرَحْ حَتَّى أَتَانِي، فَقُلْتُ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتًا تَخَوَّفْتُ مِنْهُ، فَذَكَرْتُ لَهُ، فقال: «وَهَلْ سَمِعْتَهُ؟» قلت: نَعَمْ. قَالَ: «ذَاكَ جِبْرِيلُ أَتَانِي فقال: مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِكَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الجَنَّةَ، قلت: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ؟ قَالَ: وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(٤٦٥/ ٥٥) وعن أَبِي هريرةَ رضي الله عنه: عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا، لَسَرَّنِي أَلَّا تَمُرَّ عَلَيَّ ثَلَاثُ لَيَالٍ وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلَّا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ». متفق عليه.

(٤٦٦/ ٥٥) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ؛ فَهُوَ أَجْدَرُ (أي: أحقُّ) أَلَّا تَزْدَرُوا (أي: تُحَقِّروا) نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ».

متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري: «**إِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ مَنْ فُضِّلَ عَلَيْهِ فِي المَالِ وَالخَلْقِ** (أي: الخِلقة والشكل)، **فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ مَنْ هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ**».

(٤٦٧/ ٥٥) وعنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «**تَعِسَ** (أي: شقي وهلك) **عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالقَطِيفَةِ** (أي: كساء غليظ مشرشر الأطراف أو على أطرافه أشكال وخيوط)، **وَالخَمِيصَةِ** (أي: كساء مربع)، **إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**». رواه البخاري.

(٤٦٨/ ٥٥) وعنه رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ (أي: وهم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منزل يسكنه، فكانوا يأوون إلىٰ موضعٍ مُظلَّل في مسجد المدينة)، مَا مِنهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ (أي: ما يستر أعالي البدن)، إمَّا إزارٌ (أي: وهو ما يستر أسفل البدن)، وَإمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا (أي: قد ربطوا الأكسية في أعناقِهِمْ، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصفَ السَّاقَيْنِ وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ (أي: فيمسكه بيده ويضمه، وذلك في حال الصلاة) كَرَاهِيَةَ أنْ تُرَىٰ عَوْرَتُهُ. رواه البخاري.

(٤٦٩/ ٥٥) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**الدُّنْيَا سِجْنُ المُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الكَافِرِ**». رواه مسلم.

(٤٧٠/ ٥٥) وعنِ ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبَيَّ (أي: موضع التقاء عظم العَضُد والكَتِف)، فقال: «**كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَو عَابِرُ سَبيلٍ**».

وَكَانَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يقولُ: إِذَا أَمسَيتَ فَلَا تَنْتَظِرِ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

قالوا في شَرحِ هَذَا الحديث معناه: لَا تَرْكَنْ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَا تَتَّخِذْهَا وَطَنًا، وَلَا تُحَدِّثْ نَفْسَكَ بِطُولِ البَقَاءِ فِيهَا، وَلَا بِالاعْتِنَاءِ بِهَا، وَلَا تَتَعَلَّقْ مِنْهَا إِلَّا بِمَا يَتَعَلَّقُ بِهِ الْغَرِيبُ فِي غَيْرِ وَطَنِهِ، وَلَا تَشْتَغِلْ فِيهَا بِمَا لَا يَشْتَغِلُ بِهِ الغَرِيبُ الَّذِي يُرِيدُ الذَّهَابَ إِلَىٰ أَهْلِهِ. وَبِالله التَّوْفِيقُ.

(٤٧١/ ٥٥) وعن أبي العباس سهلِ بن سعدٍ الساعديِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ، فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ أَحبَّنِي اللهُ وَأَحبَّنِي النَّاسُ، فقال: «**ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِندَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ**». حديث حسن رواه ابن ماجه وغيره بأسانيد حسنة.

(٤٧٢/ ٥٥) وعنِ النُّعمانِ بن بَشِيرٍ رضي الله عنهما قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: لَقَدْ رَأَيتُ رسولَ الله ﷺ يَظَلُّ اليَوْمَ يَلْتَوِي مَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم. «الدَّقَل» بفتح الدَّال المهملة والقاف: رديءُ التمرِ.

(٤٧٣/ ٥٥) وعن **عائشة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالَتْ: تُوفيَ رسولُ الله ﷺ وَمَا في بَيْتِي مِنْ شَيْءٍ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ (أي: من إنسان أو حيوان) إِلَّا شَطْرُ شَعِيرٍ في رَفٍّ لي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيَّ (أي: الوقت)، فَكِلْتُهُ (أي: فوَزَنْتُه) فَفَنِيَ. متفق عليه. قولها: «**شطر شعير**» أي: شَيْءٌ مِنْ شَعير، كَذَا فَسَّرَهُ التِّرمذيُّ.

(٤٧٤/ ٥٥) وعن **عمرو بن الحارث** أخي جُوَيْرِيَة بنتِ الحارِثِ أُمِّ المُؤْمنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا تَرَكَ رسولُ الله ﷺ عِنْدَ مَوْتِهِ دِينارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَا عَبْدًا وَلَا أَمَةً، وَلَا شَيئًا إِلَّا بَغلَتَهُ الْبيضَاءَ الَّتي كَانَ يَرْكَبُهَا، وَسِلَاحَهُ، وَأَرْضًا جعَلَهَا لابْنِ السَّبِيلِ صَدَقَةً. رواه البخاري.

(٤٧٥/ ٥٥) وعن **خَبَّاب بن الأرَتِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: هَاجَرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ نَلْتَمِسُ وَجْهَ الله تَعالَىٰ، فَوَقَعَ أَجْرُنَا عَلَىٰ الله، فَمِنَّا مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَأْكُل مِنْ أَجْرِهِ شَيْئًا، مِنْهُمْ: مُصْعَبُ بن عُمَيْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ يَوْمَ أُحُد وَتَرَكَ نَمِرَةً، فَكُنَّا إِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رَأْسَهُ بَدَتْ رِجلَاهُ، وَإِذَا غَطَّيْنَا بِهَا رِجْلَيْهِ بَدَا رَأْسُهُ، فَأَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ أَنْ نُغَطِّي رَأْسَهُ، وَنَجْعَلَ عَلَىٰ رِجلَيْهِ شَيْئًا مِنَ الإِذْخِرِ (أي: حشيش معروف طيب الرائحة)، وَمِنَّا مَنْ أَيْنَعَتْ لَهُ ثَمَرَتُهُ، فَهُوَ يَهْدِبُهَا. متفق عليه.

«**النمرة**»: كِساءٌ مُلَوَّنٌ مِنْ صُوفٍ. وَقَوْلُه: «**أينعت**» أي: نَضِجَتْ وَأَدْرَكَتْ. وَقَوْلُه: «**يَهْدِبها**» هُوَ بفتح الياءِ وضم الدال وكسرها لغتان، أي: يَقْطُفُهَا وَيَجْتَنِيهَا، وهذه استعارة لما فتح الله تَعَالَىٰ عليهم من الدنيا وتمكنوا فِيهَا.

(٤٧٦/ ٥٥) وعن **سهلِ بن سعدِ الساعديِّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَوْ كَانَت الدُّنْيَا تَعدِلُ عِنْدَ الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَىٰ كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٧٧/ ٥٥) وعن **أبي هريرة** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**أَلَا إِنَّ الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ** (أي: مبغوضة)، **مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ الله تَعَالَىٰ، وَمَا وَالاهُ، وَعالِمًا وَمُتَعَلِّمًا**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٤٧٨/ ٥٥) وعن **عبدِ الله بن مسعودٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَتَّخِذُوا الضَّيْعَةَ** (أي: البستان أو القرية أو المنفعة) **فَتَرْغَبُوا فِي الدُّنْيَا**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٤٧٩/ ٥٥) وعنْ **عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَرَّ عَلَيْنَا رسولُ الله ﷺ وَنَحْنُ نعالِجُ (أي: نُصلح) خُصًّا (أي: بيتًا من قَصَبٍ، وهو خشب الخَيْزران) لَنَا، فَقَالَ: «**مَا هَذَا؟**» فَقُلْنَا: قَدْ وهي (أي: ضعف وقرب سقوطه)، فَنَحْنُ نُصْلِحُهُ، فَقَالَ: «**مَا أَرَىٰ الأَمْرَ إِلَّا أَعْجَلَ مِنْ ذَلِكَ**». رواه أبو داود والتِّرمذي بإسناد البخاري ومسلم وقال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

(٤٨٠/ ٥٥) وعن **كَعْب بْنِ عِيَاضٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ لِكُلِّ أُمَّةٍ فِتْنَةً** (أي:

ضلالًا ومعصية)، **وفِتْنَةُ أُمَّتِي المَالُ»**. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨١/ ٥٥) وعن أَبي عمرو– ويقالُ: أَبو عبد الله، ويقال: أبو ليلىٰ– عثمانَ بْن عَفَّانَ ﷺ: أن النبي ﷺ قَالَ: «**لَيسَ لابْنِ آدَمَ حَقٌّ** (أي: حاجة) **فِي سِوَىٰ هذِهِ الخِصَالِ: بَيْتٌ يَسْكُنُهُ، وَثَوْبٌ يُوارِي** (أي: يستر) **عَوْرَتَهُ، وَجِلْفُ الخُبزِ وَالماءِ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح».

قَالَ الترمذي: سَمِعْتُ أَبَا دَاوُد سُلَيْمَانَ بنَ سَلْمٍ البَلْخيَّ، يقولُ: سَمِعْتُ النَّضْرَ بْنَ شُمَيْلٍ، يقولُ: الجِلْفُ: الخُبْزُ لَيسَ مَعَهُ إدَامٌ (أي: الإدام: ما يؤكل مع الخبز من طعام ونحوه)، وقال غَيْرُهُ: هُوَ غَليظُ الخُبزِ. وقَالَ الهَرَوِيُّ: المُرادُ بِهِ هنَا وِعَاءُ الخُبزِ، كَالجُوَالِقِ وَالخُرْجِ (أي: الجوالق والخرج: وعاءان من جلد أو شعر يوضع فيهما المتاع). والله أعلم.

(٤٨٢/ ٥٥) وعن عبدِ الله بن الشِّخِّير– بكسر الشين والخاء المعجمتين– ﷺ أنه قَالَ: أَتيْتُ النَّبيَّ ﷺ وَهُوَ يَقرَأُ: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١﴾ قَالَ: «**يَقُولُ ابْنُ آدَمَ: مَالِي، مالي، وَهَلْ لَكَ يَا ابْنَ آدَمَ مِنْ مَالِكَ إلَّا مَا أكَلْتَ فَأَفْنَيْتَ، أَو لَبِسْتَ فَأَبْلَيْتَ، أَوْ تَصَدَّقْتَ فَأَمْضَيْتَ؟!**». رواه مسلم.

(٤٨٣/ ٥٥) وعن عبدِ الله بن مُغَفَّلٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رجلٌ للنبيِّ ﷺ: يَا رسولَ الله، وَالله إنِّي لأُحِبُّكَ، فقَالَ: «**انْظُرْ مَاذَا تَقُولُ** (أي: تَفَكَّرْ فيما تقول)» قَالَ: وَالله إنِّي لأُحِبُّكَ، ثَلاثَ مَرَّات، فَقَالَ: «**إنْ كُنْتَ تُحِبُّنِي فَأَعِدَّ لِلْفَقْرِ تِجْفَافًا، فإنَّ الفَقْرَ أَسْرَعُ إلَىٰ مَنْ يُحِبُّنِي مِنَ السَّيْلِ إلَىٰ مُنْتَهَاهُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «**التِّجْفَافُ**» بكسرِ التاءِ المثناةِ فوقُ وإسكانِ الجيمِ وبالفاءِ المكررة، وَهُوَ: شَيْءٌ يُلْبَسُهُ الفَرَسُ، لِيُتَّقَىٰ بِهِ الأَذَىٰ، وَقَدْ يَلْبَسُهُ الإنْسَانُ.

(٤٨٤/ ٥٥) وعن كعبِ بن مالكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ بِأفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ المَرْءِ عَلَىٰ المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨٥/ ٥٥) وعن عبدِ الله بن مسعودٍ ﷺ قَالَ: نَامَ رسولُ الله ﷺ عَلَىٰ حَصيرٍ، فَقَامَ وَقَدْ أثَّر في جَنْبِهِ، قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، لَو اتَّخَذْنَا لَكَ وِطَاءً (أي: فراشًا). فَقَالَ: «**مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا أنَا في الدُّنْيَا إلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٤٨٦/ ٥٥) وعن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**يَدْخُلُ الفُقَرَاءُ الجَنَّةَ قَبْلَ الأَغْنِيَاءِ بِخَمْسمِائَةِ عَامٍ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح».

(٤٨٧/ ٥٥) وعن ابنِ عباسٍ وعِمْرَانَ بنِ الحُصَيْنِ ﷺ: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «**اطَّلَعْتُ في الجَنَّةِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا الفُقَرَاءَ، وَاطَّلَعْتُ في النَّارِ فَرَأَيْتُ أَكْثَرَ أَهْلِهَا النِّسَاءَ**». متفق عليه من رواية ابن عباس، ورواه البخاري أيضًا من رواية عمران بن الحصين.

(٤٨٨/ ٥٥) وعن أسامةَ بنِ زيدٍ رضي الله عنهما: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «قُمْتُ عَلَىٰ بَابِ الجَنَّةِ، فَكَانَ عَامَّةُ مَنْ دَخَلَهَا المَسَاكِينُ، وَأَصْحَابُ الجَدِّ مَحبُوسُونَ، غَيْرَ أَنَّ أَصْحَابَ النَّارِ قَدْ أُمِرَ بِهِم إِلَىٰ النَّارِ». متفق عليه. و«الجَدُّ»: الحَظُّ والغِنَىٰ.

وقد سبق بيان هَذَا الحديث في باب فَضلِ الضَّعفَة.

(٤٨٩/ ٥٥) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه: عنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا شَاعِرٌ كَلِمَةُ لَبِيدٍ: أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلَا (أي: ما عدا) اللهَ بَاطِلُ». متفق عليه.

* * *

(الزهد)

الزُّهْد: هو بُغْض الدنيا المذمومة عند الله، والإعراضُ عنها، فيترك الزاهدُ راحةَ الدنيا طلبًا لراحة الآخرة والتنعُّم في الجنة، والزهد أيضًا أن يخلو قلبك مما خلت منه يداك.

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله كلام معناه: إن الزُّهدَ المشروعَ هو تَرْك الرغبة فيما لا ينفع في الدار الآخرة، فيترك فضولَ المباحات، كالزيادة في أَكْل الطعام والشراب، والزائد عن الحدِّ في الملابس والفُرُش مما لا يُستعان بها علىٰ طاعة الله، أما إذا انقلبت هذه المباحات إلىٰ طاعات بتغيُّر النية فيها صارت من النافعات في الدار الآخرة.

وأما ما ينفع العبد في الدار الآخرة فالزُّهد فيها ليس من الدِّين، حيث يدخل بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٨٧﴾ [المائدة: ٨٧].

وقد سمع الإمامُ مالكٌ رحمه الله بما يصنعه الليثُ بن سعدٍ الفقيه المصريُّ مِن تمتُّعه بأطيب الطعام، وتزيُّنه بأبهىٰ الثياب، وخروجه للنزهة في الحدائق والأسواق، فكتب مالكٌ إليه معاتبًا: بلغني أنك تأكل الرُّقاقَ (أي: الأكل الناعم اللذيذ)، وتَلْبَسُ الرِّقاق (أي: الثياب الرقيقة الفاخرة) وتمشي في الأسواق. فكتب إليه الليثُ: قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝٣٢﴾ [الأعراف: ٣٢].

ومَن تَرَك الواجباتِ مِن الأعمال وانشغل بالمباحات وفضولها كان ضدَّ الزُّهد المطلوب والمشروع، فإذا فَعَل مُحرَّمًا كان عاصيًا، فالزاهد يترك الدنيا للعلم بحقارتها بالنسبة إلىٰ نفاسة الآخرة.

وقال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الزُّهد سفرُ القلب مِن وَطَنِ الدنيا إلىٰ منازل الآخرة.

ولا يستحقُّ العبدُ اسمَ الزُّهد حتىٰ يزهد في ستة أشياء: المال، والصور (حب النساء والانشغال بالمخلوق) والرياسة، والناس، والنفس، وكل ما دون الله. وليس المراد عدم امتلاكها.

فها هما سليمان وداود عليهما السلام من أزهد أهل زمانهما، مع ما لهما مِن المُلْك والمال والنساء، وكذلك كان نبيُّنا الكريم ﷺ له تسعُ نسوة وهو من أزهد البشر علىٰ الإطلاق، وكان الصحابةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ من الزُّهاد، كعليٍّ وعثمان والزُّبَير وابن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مع ما لهم من النسوة والمال والدنيا. فالزاهد ينصرف عن شيءٍ حقير إلىٰ شيء آخر نفيس.

أقسام الزهد: وقد قسَّم ابنُ القيم الزُّهدَ إلىٰ أربعة أقسام:

أحدها: الزهد في فِعل الحرام، وهو فرضُ عين علىٰ كلِّ مسلم.

الثاني: الزُّهْد في الشُّبُهات، فقد يشتبه علىٰ العبد شيءٌ: أهو حلال أم حرام؟ فإذا كانت الشبهةُ قويةً جهة الحرام كان الزُّهدُ فيها واجبًا، أما إذا كانت الشبهةُ ضعيفةً جهة الحرام كان الزهدُ فيها مستحبًّا.

الثالث: الزُّهد في الفُضُول، والفضولُ هو ما زاد عن حاجة العبد في حياته كالطعام والشراب واللباس والسكن وغيره، وكذلك فضول الكلام والنظر واللقاء والجلوس للناس.

الرابع: الزهد الجامع لذلك كلِّه، وهو الزُّهد فيما سوىٰ ما عند الله تعالىٰ، وفي كل ما يشغلك عن الله.

وأفضل الزُّهْد هو إخفاءُ الزهد عن الناس حتىٰ لا يُصيبه الرياء، وأصعبُ الزهد فيما كان فيه حظٌّ كبيرٌ للنفس. ويُعين العبدَ علىٰ الزهدِ العلمُ واليقينُ، وهو علىٰ ثلاثة:

أولها: عِلم العبد بحقارة الدنيا وزوالها، كما قال الله تعالىٰ: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾[الحديد: ٢٠]، وقد ذمَّ اللهُ مَن رضي بها واطمأنَّ إليها.

الثاني: عِلم العبد بعظمة الآخرة، وهي دارُ البقاء والخلود والنعيم، فيزهد في الحقير الزائل إلىٰ العظيم الباقي.

الثالث: عِلْمه ومعرفته بأن الأمورَ والأرزاقَ مُقدَّرةٌ ومقسومةٌ، وأن الزهدَ فيها لا يمنعه رزقَه، والحرص لا يجلب له شيئًا ليس له، كما في حديث رسول الله ﷺ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ». أحمد في مسنده (٥/ ١٨٢) برقم (٢١٦٢٩).

فهذه الأمور الثلاثة تُسهِّل علىٰ العبد زُهدَه في الدنيا.

وهذه عائشةُ أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: إن كنا آل محمد (أي: تقصد البيوت التسعة) لنمكث شهرًا ما نَستَوقِدُ بنار (أي: ليس لهم طعام يطبخ) إن هو إلا التمر والماء. وقالت أيضًا: لقد مات رسولُ الله ﷺ وما شَبِع مِن خبزٍ وزيتٍ في يومٍ واحدٍ مرتين.

وقال عليُّ بنُ أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ارتحلتِ الدنيا مُدبِرةً، وارتحلتِ الآخرة مُقبِلةً، ولكلِّ واحدةٍ منهما بَنُونَ (أي: أبناء)، فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليومَ عملٌ ولا حساب، وغدًا حساب بلا عمل.

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: طوبىٰ للزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، أولئك قومٌ اتخذوا أرضَ الله بساطًا، وتُرَابها فراشًا، وماءها طِيبًا، والكتابَ (أي: القرآن) شعارًا (أي: خاصة نفسه)، والدعاء دِثَارًا (أي: عم بالدعاء حالهم)، ورفضوا الدنيا رفضًا.

وقال ابنُ مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الدنيا دارُ مَن لا دار له، ومال مَن لا مال له، ولها يجمع مَن لا علم له.

وقال أبو واقدٍ اللَّيْثيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: تابَعْنا الأعمالَ في الدنيا فلم نجد شيئًا أبلغَ في عمل الآخرة من الزهد في الدنيا.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس الزهدُ في الدنيا بتحريم الحلال وإضاعة المال، ولكن أن تكونَ بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أُصِبْتَ بها أَرْغَب منك فيها لو لم تُصِبْك.

وقال محمدُ بنُ كَعْبِ القُرَظيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا أراد اللهُ بعبدٍ خيرًا أَزْهَدَه في الدنيا، وفَقَّهه في الدين، وبَصَّره بعيوبه، ومن أُوتِيَهنَّ فقد أُوتِيَ خيرًا كثيرًا في الدنيا والآخرة.

وقال يحيىٰ بن مُعَاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهد يُورث السخاءَ بما تَمْلِكُ (أي: العطاء والكرم).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهدُ في الدنيا هو قِصَرُ الأمل، وليس بأكل الغليظ ولبس العباءة (أي: حيث كانت في زمانهم من مظاهر الزهد والورع).

وقال ابنُ الجلاء رَحِمَهُ اللَّهُ: الزهدُ هو النظرُ إلىٰ الدنيا بعين الزوال لتصغر في عينيك؛ فيتسهل عليك الإعراض عنها.

قصص في الزهد:

قصة: رُوي عن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنه حين فُتح عليه الفتوحات، قالت له ابنته حَفْصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: الْبَسْ أَلْيَن الثياب إذا وَفدَتْ عليك الوفود من الآفاق، ومُرْ بصنعة الطعام تُطعمه وتطعم من حضر. فقال عمر: يا حفصة، ألستِ تعلمين أن أعلمَ الناس بحال الرجل أهلُ بيته؟ فقالت: بلىٰ. قال: ناشدتك الله، هل تعلمين أن رسولَ الله ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنة لم يشبع هو ولا أهل بيته غَدْوةً إلا جاعوا عشيةً، ولا شبعوا عشية إلا جاعوا غدوة[متفق عليه]. وناشدتُك الله، هل تعلمين أن النبيَّ ﷺ لبث في النبوة كذا وكذا سنةً لم يشبع من التمر هو وأهله، حتىٰ فتح الله عليه خيبر[البخاري بنحوه برقم (٤٢٤٣)]. وناشدتُك الله، هل تعلمين أن رسولَ الله ﷺ قرَّبتم إليه يومًا طعامًا علىٰ مائدة فيها ارتفاعٌ فشقَّ ذلك عليه حتىٰ تغير لونه، ثم أمر بالمائدة فرُفعت ووُضع الطعام علىٰ دون ذلك، أو وُضِع علىٰ الأرض.

وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسولَ الله ﷺ كان لا ينام علىٰ عباءة مَثْنِيَّة، فثُنِيَتْ له ليلةً أَرْبَعَ طاقاتٍ (أي: جمع «طاق»: وهو ما عُطِف وثُني وجُعِل كالقوس من الأبنية والبُسُط والفِراش) فنام عليها، فلما استيقظ قال: «مَنَعْتُمُونِي قِيَامَ اللَّيْلَةِ بِهَذِهِ الْعَبَاءَةِ، اثْنُوهَا بِاثْنَتَيْنِ كَمَا

كُنْتُمْ تَثْنُونَهَا؟». وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسولَ الله ﷺ كان يضع ثيابَه لتُغسل فيأتيه بلالٌ فيُؤذِنه بالصلاة. فما يجد ثوبًا يخرج به إلىٰ الصلاة حتىٰ تجفَّ ثيابُه فيخرج بها إلىٰ الصلاة. وناشدتك الله، هل تعلمين أن رسولَ الله ﷺ صَنَعَتْ له امرأةٌ من بني ظفر كساءين: إزارًا ورداءً، وبعثَتْ إليه بأحدهما قبل أن يبلغ الآخر، فخرج إلىٰ الصلاة وهو مشتمل به ليس عليه غيره، وقد عَقَدَ طرفيه إلىٰ عنقه، فصلَّىٰ كذلك، فما زال يقول حتىٰ أبكاها، وبكىٰ عمر رضي الله عنه وانتحب، حتىٰ ظَنَنَّا أن نفسه ستخرج. اهـ.

قصة: رُوي أن بعض الخلفاء أرسل إلىٰ الفقهاء بجوائزَ فقبَلُوها، وأرسل إلىٰ الفُضَيل بن عياض بعشَرة آلاف فلم يقبلها، فقال له بَنُوه: قد قبل الفقهاء، وأنت تردُّ علىٰ حالتك هذه؟! فبكىٰ الفضيل وقال: أتدرون ما مثلي ومثلكم؟! كمثل قوم كانت لهم بقرة يحرثون عليها، فلما هَرِمَتْ (أي: كبرت سنها) ذبحوها لأجل أن ينتفعوا بجلدها، كذلك أنتم أردتم ذبحي علىٰ كبر سني، موتوا يا أهلي جوعًا خيرٌ لكم من أن تذبحوا فُضَيلًا. اهـ.

قصة: دخل محمد بن واسع علىٰ قُتَيْبَة بن مسلم وعليه جُبَّةُ صوفٍ، فقال له قتيبة: ما دعاك إلىٰ لبس هذا؟ فسكت، فقال: أُكلِّمك ولا تُجيبني. فقال: أكره أن أقول زهدًا فأُزكِّي نفسي، أو فقرًا فأشكو ربي. اهـ.

قصة: دخل رجلٌ علىٰ أبى ذرٍّ فجعل يُقلِّب بصره في بيته، فقال: يا أبا ذرٍّ، ما أرىٰ في بيتك متاعًا ولا غير ذلك من الأثاث. فقال: إن لنا بيتًا نُوجِّه إليه صالح متاعنا. فقال: إنه لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا. فقال: إن صاحب المنزل لا يَدَعُنا فيه. اهـ.

والزاهد لا يزاحم أهل الدنيا علىٰ دنياهم، بل هو قانع متوكل علىٰ ربه، صرف همه لآخرته، عاملًا بقوله تعالىٰ: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ﴾ [الحديد: ٢٣].

* * *

٥٦- باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ﴿٥٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا ﴿٦٠﴾﴾ [مريم: ٥٩، ٦٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ فِي زِينَتِهِۦۖ قَالَ ٱلَّذِينَ يُرِيدُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗاۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

وقال تعالىٰ: ﴿ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلۡنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصۡلَىٰهَا مَذۡمُومٗا مَّدۡحُورٗا ﴿١٨﴾﴾ [الإسراء: ١٨].

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

(٤٩٠/ ٥٦) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مِنْ خُبْزِ شَعِيرٍ يَوْمَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ حَتَّىٰ قُبِضَ رسولُ الله ﷺ. متفق عليه.

وفي رواية: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّد ﷺ مُنْذُ قَدِمَ المَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ البُرِّ (أي: القمح) ثَلاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا (أي: متواليات) حَتَّىٰ قُبِضَ.

(٤٩١/ ٥٦) وعن عُروَةَ: عن عائشةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أنَّها كَانَتْ تقولُ: وَاللهِ، يَا ابْنَ أُخْتِي، إنْ كُنَّا نَنْظُرُ إِلَىٰ الهِلَالِ، ثُمَّ الهِلالِ ثُمَّ الهِلالِ: ثَلاثَةُ أهلَّةٍ في شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ في أَبْيَاتِ رسولِ الله ﷺ نَارٌ. قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعِيشُكُمْ؟ قالت: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالماءُ، إلَّا أنَّهُ قَدْ كَانَ لرسولِ الله ﷺ جِيرانٌ مِنَ الأَنْصارِ، وكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ (أي: من الغنم أو النوق التي بها لبن) وَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا فَيَسْقِينَا. متفق عليه.

(٤٩٢/ ٥٦) وعن أبي سعيدٍ المقبُرِيِّ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّهُ مَرَّ بِقَومٍ بَيْنَ أيدِيهِمْ شَاةٌ مَصْلِيَّةٌ، فَدَعَوْهُ فَأَبَىٰ أنْ يأكُلَ. وقال: خرجَ رسولُ الله ﷺ مِنَ الدُّنْيَا وَلَمْ يَشْبَعْ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ.

رواه البخاري. «**مصلية**» بفتح الميم، أي: مَشْوِيَّةٌ.

(٤٩٣/ ٥٦) وعن **أنسٍ** رضي الله عنه قَالَ: لَمْ يَأْكُلِ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ خِوَانٍ (أي: الخوان: ما يُوضع عليه الطعام عند الأكل) حَتَّىٰ مَاتَ، وَمَا أكَلَ خُبْزًا مُرَقَّقًا (أي: مُلَيَّنًا) حَتَّىٰ مَاتَ. رواه البخاري.

وفي روايةٍ لَهُ: وَلَا رَأَىٰ شَاةً سَمِيطًا (أي: مَشْوِيَّة) بعَيْنِهِ قَطُّ.

(٤٩٤/ ٥٦) وعن **النُّعمان بن بَشِير** رضي الله عنهما قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بِهِ بَطْنَهُ. رواه مسلم. «**الدقل**»: تَمْرٌ رَدِيءٌ.

(٤٩٥/ ٥٦) وعن **سهلِ بنِ سعدٍ** رضي الله عنه قَالَ: مَا رَأَىٰ رسولُ الله ﷺ النَّقِيَّ مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ الله تَعَالَىٰ حَتَّىٰ قَبَضَهُ الله تَعَالَىٰ. فَقِيلَ لَهُ: هَلْ كَانَ لَكُمْ فِي عَهدِ رسولِ الله ﷺ مَناخِلُ؟ قَالَ: مَا رَأَىٰ رسولُ الله ﷺ مُنْخُلًا مِنْ حِينَ ابْتَعَثَهُ اللهُ تَعَالَىٰ حَتَّىٰ قَبَضَهُ اللهُ تَعالَىٰ، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَأكُلُونَ الشَّعِيرَ غَيْرَ مَنْخُولٍ؟ قَالَ: كُنَّا نَطحَنُهُ وَنَنْفُخُهُ، فَيطِيرُ مَا طَارَ، وَمَا بَقِيَ ثَرَّيْنَاهُ. رواه البخاري. قَوْله: «**النقي**» هُوَ بفتح النون وكسر القاف وتشديد الياءِ، وَهُوَ: الخُبْزُ الحُوَّارَىٰ (أي: النظيف الأبيض)، وَهُوَ: الدَّرْمَكُ (أي: الدقيق الناعم الأبيض). قَوْله: «**ثريناه**» هُوَ بثاء مثلثة، ثُمَّ راء مشددة، ثُمَّ يَاءٍ مُثَنَّاة من تَحت ثُمَّ نون، أي: بَلَلْنَاهُ وَعَجَنَّاهُ.

(٤٩٦/ ٥٦) وعن **أبي هُرَيْرَة** رضي الله عنه قَالَ: خرجَ رسولُ الله ﷺ ذاتَ يَوْمٍ أَوْ لَيْلَةٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما، فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُما هذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالا: الجُوعُ يَا رسولَ الله. قَالَ: «**وَأَنَا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا. قُومَا**». فقامَا مَعَهُ، فَأَتَىٰ رَجُلًا مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ المَرْأَةُ، قالت: مَرْحَبًا وأَهلًا. فقال لَهَا رسولُ الله ﷺ: «**أَيْنَ فُلانٌ؟**» قالت: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا المَاءَ. إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ وَصَاحِبَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ لله، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمَ أَضْيَافًا مِنِّي، فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ، فَقَالَ: كُلُوا، وَأَخَذَ المُدْيَةَ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالحَلُوبَ**». فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَمِنْ ذَلِكَ العِذْقِ وَشَرِبُوا. فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ رسولُ الله ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ رضي الله عنهما: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ يَوْمَ القِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّىٰ أَصَابَكُمْ هَذَا النَّعِيمُ**». رواه مسلم. قولُهَا: «**يستعذب**» أي: يَطْلُبُ المَاءَ العَذْبَ، وَهُوَ الطَّيِّبُ. و«**العذق**» بكسر العين وإسكان الذال المعجمة، وَهُوَ: الكِبَاسَةُ، وَهِيَ الغُصْنُ. و«**المدية**» بضم الميم وكسرها، هي: السِّكِّينُ. و«**الحَلُوبُ**»:

ذاتُ اللَّبَن. وَالسُّؤالُ عَنْ هَذَا النَّعِيمِ سُؤَالُ تَعْدِيد النِّعَم لا سُؤَالُ تَوْبِيخٍ وتَعْذِيبٍ. والله أعلَمُ.

وَهَذَا الأَنْصَارِيُّ الَّذِي أَتَوْهُ هُوَ: أَبُو الهَيْثَم بْنُ التَّيِّهَانِ، كَذَا جاءَ مُبَيَّنًا في رواية الترمذي وغيره.

(٤٩٧/ ٥٦) وعن **خالدِ بن عُمَيْرٍ العَدَوِيِّ** قَالَ: خَطَبَنَا عُتْبَةُ بنُ غَزْوَانَ، وَكَانَ أَمِيرًا عَلَىٰ البَصْرَةِ، فَحَمِدَ الله وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ آذَنَتْ بِصُرْمٍ، وَوَلَّتْ حَذَّاءَ، وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ كَصُبَابَةِ الإِنَاءِ يَتَصَابُّهَا صَاحِبُهَا، وَإِنَّكُمْ مُنْتَقِلُونَ مِنْهَا إِلَىٰ دَارٍ لَا زَوَالَ لَهَا، فَانْتَقِلُوا بِخَيرِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ، فَإِنَّهُ قَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ الحَجَرَ يُلْقَىٰ مِنْ شَفِيرِ (أي: جانب وحرف) جَهَنَّمَ فَيَهْوِي فِيهَا سَبْعِينَ عَامًا، لَا يُدْرِكُ لَهَا قَعْرًا، وَالله لَتُمْلأَنَّ، أَفَعَجِبْتُمْ؟! وَلَقَدْ ذُكِرَ لَنَا أَنَّ مَا بَيْنَ مِصْرَاعَيْنِ (أي: شطري الباب) مِنْ مَصَارِيعِ الجَنَّةِ مَسِيرَةُ أَرْبَعِينَ عَامًا، وَلَيَأْتِيَنَّ عَلَيْهَا يَوْمٌ وَهُوَ كَظِيظٌ مِنَ الزِّحَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنِي سَابِعَ سَبْعَةٍ مَعَ رسول الله ﷺ، مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الشَّجَرِ، حَتَّىٰ قَرِحَتْ أَشْدَاقُنَا، فَالتَقَطْتُ بُرْدَةً فَشَقَقْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، فَاتَّزَرْتُ بِنِصْفِهَا، وَاتَّزَرَ سَعْدٌ بِنِصْفِهَا، فَمَا أَصْبَحَ اليَوْمَ مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَصْبَحَ أَمِيرًا عَلَىٰ مِصْرٍ مِنَ الأَمْصَارِ، وَإِنِّي أَعُوذُ بِالله أَنْ أَكُونَ فِي نَفْسِي عَظِيمًا، وَعِنْدَ الله صَغِيرًا. رواه مسلم.

قَوْله: «**آذنت**» هُوَ بِمَدِّ الألف، أي: أعْلَمَتْ. وَقَوْلُه: «**بصرم**» هُوَ بضم الصاد، أي: بِانْقِطَاعِهَا وَفَنَائِهَا.

وَقوله: «**وولت حذاء**» هُوَ بحاءٍ مهملة مفتوحة، ثُمَّ ذال معجمة مشدَّدة، ثُمَّ ألف ممدودة، أي: سريعة.

و«**الصبابة**» بضم الصاد المهملة، وهي: البَقِيَّةُ اليَسِيرَةُ. وَقَوْلُهُ: «**يتصابها**» هُوَ بتشديد الباء قبل الهاء، أي: يجمعها. و«**الكظيظ**»: الكثير الممتلئ. وَقَوْلُه: «**قرحت**» هُوَ بفتح القاف وكسر الراء، أي: صارت فِيهَا قُرُوح.

(٤٩٨/ ٥٦) وعن **أَبِي موسىٰ الأشعري** رضي الله عنه قَالَ: أَخْرَجَتْ لَنَا عَائِشَةُ رضي الله عنها كِسَاءً وَإِزَارًا غَلِيظًا، قَالَتْ: قُبِضَ رسولُ الله ﷺ فِي هَذَيْنِ. متفق عليه.

(٤٩٩/ ٥٦) وعن **سعدِ بن أبي وَقَّاص** رضي الله عنه قَالَ: إِنِّي لأَوَّلُ الْعَرَبِ رَمَىٰ بِسَهْمٍ فِي سَبِيلِ الله، وَلَقَدْ كُنَّا نَغْزُو مَعَ رسولِ الله ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلَّا وَرَقُ الحُبْلَةِ، وَهذَا السَّمُرُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ أَحَدُنَا لَيَضَعُ (أي: يضع حاجته من التغوط) كَمَا تَضَعُ الشَّاةُ مَا لَهُ خِلْطٌ (أي: ما أكل من ورق الشجر وما ليس بغذاء مألوف فلا يختلط بعضه ببعض من شدة جفافه وتفتته). متفق عليه.

«**الحبلة**» بضم الحاء المهملة وإسكان الباءِ الموحدةِ، وَهِيَ وَالسَّمُرُ: نَوْعَانِ مَعْرُوفَانِ مِنْ شَجَرِ الْبَادِيَةِ.

(٥٠٠/ ٥٦) وعن **أَبِي هريرة** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ رِزْقَ آلِ مُحَمَّدٍ قُوتًا**». متفق عليه. قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ وَالغَرِيبِ: مَعْنَىٰ «**قُوتًا**» أي: مَا يَسُدُّ الرَّمَقَ.

(٥٠١/ ٥٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: وَاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنْ كُنْتُ لَأَعْتَمِدُ بِكَبِدِي عَلَىٰ الأَرْضِ مِنَ الجُوعِ، وَإِنْ كُنْتُ لَأَشُدُّ الحجَرَ عَلَىٰ بَطنِي مِنَ الجُوعِ. وَلَقَدْ قَعَدْتُ يَوْمًا عَلَىٰ طَرِيقِهِمُ الَّذِي يَخْرُجُونَ مِنْهُ، فَمَرَّ بِي النبي ﷺ، فَتبَسَّمَ حِينَ رَآنِي، وَعَرفَ مَا فِي وَجْهِي وَمَا فِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**الْحَقْ**». وَمَضَىٰ فَاتَّبَعْتُهُ، فَدَخَلَ فَاسْتَأذَنَ، فَأَذِنَ لِي فَدَخلْتُ، فَوجَدَ لَبَنًا في قَدَحٍ، فَقَالَ: «**مِنْ أَيْنَ هَذَا اللَّبَنُ؟**» قَالُوا: أَهْدَاهُ لَكَ فُلانٌ- أَو فُلانَةٌ- قَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**». قلتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**الْحَقْ إِلَىٰ أَهْلِ الصُّفَّةِ فَادْعُهُمْ لِي**». قَالَ: وَأَهْلُ الصُّفَّةِ أَضْيَافُ الإِسْلَامِ، لَا يَأْوُونَ عَلَىٰ أَهْلٍ وَلَا مَالٍ وَلَا عَلَىٰ أَحدٍ، وَكَانَ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ، وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيهِمْ، وَأَصَابَ مِنْهَا، وأشْرَكَهُمْ فِيهَا. فَسَاءنِي ذَلِكَ، فَقُلْتُ: وَمَا هَذَا اللَّبَنُ في أَهْلِ الصُّفَّةِ! كُنْتُ أَحَقُّ أَنْ أُصِيبَ مِنْ هَذَا اللَّبَنِ شَرْبَةً أَتَقَوَّىٰ بِهَا، فَإِذَا جَاءُوا وَأَمَرَنِي فَكُنْتُ أَنَا أُعْطِيهِمْ؛ وَمَا عَسَىٰ أَنْ يَبْلُغَنِي مِنْ هَذَا اللَّبَنِ. وَلَمْ يَكُنْ مِنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رسول الله ﷺ بُدٌّ. فَأَتَيْتُهُمْ فَدَعَوْتُهُمْ، فَأَقْبَلُوا وَاسْتَأْذَنُوا، فَأَذِنَ لَهُمْ وَأَخَذُوا مَجَالِسَهُمْ مِنَ الْبَيْتِ، قَالَ: «**يَا أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**خُذْ فَأَعْطِهِمْ**». قَالَ: فَأَخَذْتُ القَدَحَ، فَجَعَلْتُ أُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ، فَأُعْطِيهِ الرَّجُلَ فَيَشْرَبُ حَتَّىٰ يَرْوَىٰ، ثُمَّ يَرُدُّ عَلَيَّ الْقَدَحَ حَتَّىٰ انْتَهَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ رَوِيَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، فَأَخَذَ الْقَدَحَ فوضَعَهُ عَلَىٰ يَدِهِ، فَنَظَرَ إِليَّ فَتبَسَّمَ، فَقَالَ: «**أَبَا هِرٍّ**». قُلْتُ: لَبَّيْكَ يَا رسول الله، قَالَ: «**بَقِيتُ أَنَا وَأَنْتَ**». قُلْتُ: صَدَقْتَ يَا رسول الله، قَالَ: «**اقْعُدْ فَاشْرَبْ**». فَقَعَدْتُ فَشَرِبْتُ، فَقَالَ «**اشْرَبْ**». فَشَرِبْتُ، فَمَا زَالَ يَقُولُ: «**اشْرَبْ**». حَتَّىٰ قُلْتُ: لا، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَجِدُ لَهُ مَسْلكًا! قَالَ: «**فَأَرِنِي**». فَأَعْطَيْتُهُ الْقَدَحَ، فَحَمِدَ اللهَ تَعَالَىٰ، وَسَمَّىٰ وَشَرِبَ الفَضْلَةَ. رواه البخاري.

(٥٠٢/ ٥٦) وعن محمدِ ابنِ سيرينَ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَأَخِرُّ (أي: لأسقط) فِيمَا بَيْنَ مِنْبَرِ رسولِ الله ﷺ إِلَىٰ حُجرَةِ عائِشَةَ رضي الله عنها مَغْشِيًّا عَلَيَّ، فَيَجِيءُ الجَائِي، فَيَضَعُ رِجْلَهُ عَلَىٰ عُنُقِي، وَيَرَىٰ (أي: يظن) أَنِّي مَجْنُونٌ، وَمَا بِي مِنْ جُنُونٍ، مَا بِي إِلَّا الجُوعُ. رواه البخاري.

(٥٠٣/ ٥٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: تُوُفِّي رسولُ الله ﷺ وَدِرْعُهُ (أي: الدرع: ما يُلبس في الحرب)

مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ. متفق عليه.

(٥٠٤/ ٥٦) وعن أنسٍ ﷺ قَالَ: رَهَنَ النَّبِيُّ ﷺ دِرْعَهُ بِشَعِيرٍ، وَمَشَيْتُ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ بِخُبْزِ شَعِيرٍ وَإِهَالَةٍ سَنِخَةٍ، وَلَقَدْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «مَا أَصْبَحَ لآلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ وَلا أَمْسَىٰ». وَإِنَّهُمْ لَتِسْعَةُ أَبيَاتٍ. رواه البخاري. (أي: حوالي ٢٦٠٠ جرام، ويقصد من الشعير).

«الإِهالة» بكسر الهمزة: الشَّحْمُ الذَّائِبُ. و«السنخة» بالنون والخاء المعجمة، وَهِيَ: المُتَغَيِّرَةُ.

(٥٠٥/ ٥٦) وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ سَبْعِينَ مِنْ أَهْلِ الصُّفَّةِ، مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ عَلَيْهِ رِدَاءٌ (أي: ما يستر أعالي البدن فوق الإزار)، إِمَّا إِزَارٌ (أي: وهو ما يستر أسفل البدن) وَإِمَّا كِسَاءٌ، قَدْ رَبَطُوا (أي: قد ربطوا الأكسية) فِي أَعْنَاقِهِم، فَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ نِصْفَ السَّاقَيْنِ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ الكَعْبَيْنِ، فَيَجْمَعُهُ بِيَدِهِ (أي: فيمسكه بيده ويضمه، وذلك في حال الصلاة) كَرَاهِيَةَ أَنْ تُرَىٰ عَوْرَتُهُ.

رواه البخاري.

(٥٠٦/ ٥٦) وعن عائشة ﷺ قالت: كَانَ فِرَاشُ رسولِ الله ﷺ مِنْ أَدَمٍ (أي: جِلْد) حَشْوُهُ لِيفٌ.

رواه البخاري.

(٥٠٧/ ٥٦) وعن ابن عمر ﷺ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رسولِ الله ﷺ، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَدْبَرَ الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا أَخَا الأَنْصَارِ، كَيْفَ أَخِي سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ؟» فَقَالَ: صَالِحٌ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَعُودُهُ مِنْكُمْ؟» فَقَامَ وَقُمْنَا مَعَهُ، وَنَحْنُ بِضْعَةَ عَشَرَ، مَا عَلَيْنَا نِعَالٌ، وَلَا خِفَافٌ، وَلَا قَلَانِسُ (أي: غطاء يُلبس فوق الرأس مباشرة)، وَلَا قُمُصٌ (أي: جمع «قميص»)، نَمْشِي فِي تِلْكَ السِّبَاخِ (أي: الأراضي المالحة التي لا تكاد تنبت)، حَتَّىٰ جِئْنَاهُ، فَاسْتَأْخَرَ قَوْمُهُ مِنْ حَوْلِهِ حَتَّىٰ دَنَا رسولُ الله ﷺ وَأَصْحَابُهُ الَّذِينَ مَعَهُ. رواه مسلم.

(٥٠٨/ ٥٦) وعن عِمْرَان بن الحُصَيْن ﷺ: عن النبي ﷺ أنه قَالَ: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». قَالَ عِمْرَانُ: فَمَا أَدْرِي قَالَ النبيُّ ﷺ مَرَّتَيْنِ أَو ثَلَاثًا «ثُمَّ يَكُونُ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَشْهَدُونَ وَلَا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَخُونُونَ وَلَا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلَا يُوفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ (أي: بدانة الجسم من كثرة الطعام وقلة الجهد)». متفق عليه.

(٥٠٩/ ٥٦) وعن أبي أُمَامَة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث

حسن صحيح».

(٥١٠/ ٥٦) وعن عبيدِ الله بنِ محصن الأنصاري الخطَمِي رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا في سربِهِ، مُعَافًى فِي جَسَدِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا (أي: بأسرها)». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «سِربه» بكسر السين المهملة، أي: نَفْسه، وقِيلَ: قَومه.

(٥١١/ ٥٦) وعنْ عبدِ الله بنِ عَمْرِو بنِ العاصِ رضي الله عنهما: أن رسولَ الله ﷺ قالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَكَانَ رِزْقُهُ كَفَافًا (أي: بقدر الكفاية لا زيادة ولا نقص)، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». رواه مسلم.

(٥١٢/ ٥٦) وعن أَبِي محمدٍ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه: أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول: «طُوبَىٰ لِمَنْ هُدِيَ لِلإِسْلَامِ، وَكَانَ عَيْشُهُ كَفَافًا وَقَنِعَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥١٣/ ٥٦) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةَ طَاوِيًا (أي: جائعًا)، وَأَهْلُهُ لَا يَجِدُونَ عَشَاءً، وَكَانَ أَكْثَرُ خُبْزِهِمْ خُبزَ الشَّعِيرِ. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥١٤/ ٥٦) وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّىٰ بِالنَّاسِ، يَخِرُّ رِجَالٌ مِنْ قَامَتِهِمْ فِي الصَّلَاةِ مِنَ الْخَصَاصَةِ- وَهُمْ أَصْحَابُ الصُّفَّةِ- حَتَّىٰ يَقُولَ الأَعْرَابُ: هؤُلَاءِ مَجَانِينُ. فَإِذَا صَلَّىٰ رسولُ الله ﷺ انْصَرَفَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: «لَوْ تَعْلَمُونَ مَا لَكُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ لأَحْبَبْتُمْ أَنْ تَزْدَادُوا فَاقَةً وَحَاجَةً». رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح».

«الخصاصة»: الفَاقَةُ وَالجُوعُ الشَّدِيدُ.

(٥١٥/ ٥٦) وعن أَبِي كَرِيمَةَ الْمِقْدَامِ بنِ مَعْدِ يكرِبَ رضي الله عنه قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحالة فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِه». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «أُكُلَاتٌ» أي: لُقَمٌ.

(٥١٦/ ٥٦) وعن أَبِي أُمَامَةَ إِياسِ بنِ ثَعْلَبَةَ الأَنْصَارِيِّ الحَارِثِيِّ رضي الله عنه قالَ: ذَكَرَ أَصْحَابُ رسولِ الله ﷺ يومًا عِنْدَهُ الدُّنْيا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَلَا تَسْمَعُونَ؟ أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ، إِنَّ البَذَاذَةَ مِنَ الإِيمَانِ». يَعْنِي: التَّقَحُّلَ. رواه أبو داود.

«البَذَاذَةُ» بالباءِ الموحدة والذالين المعجمتين، وَهِيَ: رَثَاثَةُ الهَيْئَةِ وَتَرْكُ فَاخِرِ اللِّبَاسِ. وَأَمَّا «التقحل» بالقافِ والحاء: فقد قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: المُتَقَحِّلُ هُوَ الرَّجُلُ اليَابِسُ الجِلْدِ مِنْ خُشُونَةِ العَيْشِ وَتَرْكِ التَّرَفُّهِ.

(٥١٧/ ٥٦) وعن أَبِي عبدِ الله جابرِ بنِ عبدِ الله رضي الله عنهما قالَ: بَعَثَنَا رسولُ الله ﷺ، وَأَمَّرَ عَلَيْنَا أَبَا عُبَيْدَةَ

رضي الله عنه، نَتَلَقَّىٰ عِيرًا لِقُرَيْشٍ، وَزَوَّدَنَا جِرَابًا مِنْ تَمْرٍ لَمْ يَجِدْ لَنَا غَيْرَهُ، فَكَانَ أَبو عُبيدَةَ يُعْطِينَا تَمْرَةً تَمْرَةً. فقيلَ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ بِهَا؟ قَالَ: نَمَصُّهَا كَمَا يَمَصُّ الصَّبِي، ثُمَّ نَشْرَبُ عَلَيْهَا مِنَ المَاءِ، فَتَكْفِينَا يَوْمَنَا إِلَىٰ اللَّيْلِ، وَكُنَّا نَضْرِبُ بِعِصِيِّنَا الخَبَطَ، ثُمَّ نَبُلُّهُ بِالماءِ فَنَأْكُلُهُ. قَالَ: وَانْطَلَقْنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ، فَرُفِعَ لَنَا عَلَىٰ سَاحِلِ الْبَحْرِ كَهَيْئَةِ الكَثِيبِ الضَّخْمِ، فَأَتَيْنَاهُ فَإِذَا هِيَ دَابَّةٌ تُدْعَىٰ الْعَنْبَرَ (أي: هي سمكة بحرية كبيرة)، فَقَالَ أَبو عُبَيْدَةَ: مَيْتَةٌ. ثُمَّ قَالَ: لا، بَلْ نَحْنُ رُسُلُ رَسُولِ الله ﷺ، وفي سبيل الله وَقَدِ اضْطُرِرْتُم فَكُلُوا، فَأَقَمْنَا عَلَيْهِ شَهْرًا، وَنَحْنُ ثَلاثُمِائَةٍ حَتَّىٰ سَمِنَّا، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا نَغْتَرِفُ مِن وَقْبِ عَيْنِهِ بِالقِلالِ الدُّهْنَ، وَنَقْطَعُ مِنْهُ الفِدَرَ كَالثَّوْرِ أَوْ كَقَدْرِ الثَّوْرِ، وَلَقَدْ أَخَذَ مِنَّا أَبو عُبَيْدَةَ ثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلًا فَأَقْعَدَهُمْ فِي وَقْبِ عَيْنِهِ وَأَخَذَ ضِلَعًا مِنْ أَضْلاعِهِ فَأَقَامَهَا، ثُمَّ رَحَلَ أَعْظَمَ بَعِيرٍ مَعَنَا فَمَرَّ مِنْ تَحْتِهَا وَتَزَوَّدْنَا مِنْ لَحْمِهِ وَشَائِقَ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ مِنْ لَحْمِهِ شَيْءٌ فَتُطْعِمُونَا؟**» فَأَرْسَلْنَا إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَهُ. رواه مسلم. «**الجراب**»: وِعَاءٌ مِنْ جِلْدٍ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ بِكَسرِ الجيم وفتحها، والكسر أفْصَحُ. قَوْلُهُ: «**نمصها**» بفتح الميم. و«**الخبط**»: وَرَقُ شَجَرٍ مَعْرُوفٍ تَأْكُلُهُ الإبلُ. و«**الكثيب**»: التَّلُّ مِنَ الرَّمْلِ. و«**الوقب**»: بفتح الواو وإسكان القافِ وبعدها بَاءٌ موحدةٌ، وَهُوَ: نُقْرَةُ العَيْنِ. و«**القلال**»: الجِرارُ. و«**الفدر**» بكسرِ الفاءِ وفتح الدال: القِطَعُ. «**رحل البعير**» بتخفيف الحاءِ، أي: جَعَلَ عَلَيْهِ الرَّحْلَ. «**الوشائق**» بالشينِ المعجمةِ والقاف: اللَّحْمُ الَّذِي اقْتُطِعَ لِيُقَدَّدَ مِنْهُ. والله أعلم.

(٥١٨/ ٥٦) وعن **أسماء بنتِ يزيدَ** رضي الله عنها قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسول الله ﷺ إِلَىٰ الرُّصْغِ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». «**الرصغ**» بالصاد والرُّسْغُ بالسينِ أيضًا، هُوَ: المَفْصِلُ بَيْنَ الكفِّ والسَّاعِدِ.

(٥١٩/ ٥٦) وعن **جابرٍ** رضي الله عنه قَالَ: إِنَّا كُنَّا يَوْمَ الخَنْدَقِ نَحْفِرُ، فَعَرَضَتْ كُدْيَةٌ شَدِيدَةٌ، فَجَاءوا إِلَىٰ النبي ﷺ، فقالوا: هذِهِ كُدْيَةٌ عَرَضَتْ فِي الخَنْدَقِ. فَقَالَ: «**أَنَا نَازِلٌ**». ثُمَّ قَامَ، وَبَطْنُهُ مَعْصُوبٌ بِحَجَرٍ، وَلَبِثْنَا ثَلاثَةَ أَيَّامٍ لا نَذُوقُ ذَوَاقًا (أي: لا نأكل شيئًا) فَأَخَذَ النبي ﷺ المِعْوَلَ (أي: الفأس) فَضَرَبَ فَعَادَ كَثِيبًا أَهْيَلَ أَو أَهْيَمَ، فقلت: يَا رسولَ الله، ائْذَنْ لي إِلَىٰ البَيْتِ، فقلتُ لامْرَأَتِي: رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ شَيْئًا مَا فِي ذَلِكَ صَبْرٌ فَعِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقالت: عِنْدي شَعِيرٌ وَعَنَاقٌ (أي: الأنثىٰ من أولاد المعز ما لم يتم له سنة).

فَذَبَحْتُ العَنَاقَ وَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ حَتَّىٰ جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي البُرْمَةِ (أي: القِدْر)، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ، وَالعَجِينُ قَدِ انْكَسَرَ (أي: لان ورطب وتمكَّن منه الخمير)، وَالبُرْمَةُ بَيْنَ الأَثَافِيِّ قَدْ

كَادَتْ تَنْضَجُ، فقلتُ: طُعَيِّمٌ لي، فَقُمْ أنْتَ يَا رسولَ الله وَرَجُلٌ أَوْ رَجُلانِ، قَالَ: «**كَمْ هُوَ؟**» فَذَكَرْتُ لَهُ، فقَالَ: «**كثيرٌ طَيِّبٌ، قُل لَهَا لا تَنْزِع البُرْمَةَ، وَلَا الخُبْزَ مِنَ التَّنُّورِ** (أي: الفرن) **حتىٰ آتِي**». فَقَالَ: «**قُومُوا**».

فقام المُهَاجِرُونَ وَالأَنْصارُ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهَا فقلتُ: وَيْحَكِ قَدْ جَاءَ النبيُّ ﷺ وَالمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصارُ ومن مَعَهُمْ! قالت: هَلْ سَألَكَ؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «**ادْخُلُوا وَلَا تَضَاغَطُوا**». فَجَعَلَ يَكْسِرُ الخُبْزَ، وَيَجْعَلُ عَلَيْهِ اللَّحْمَ، وَيُخَمِّرُ (أي: يُغطِّي) البُرْمَةَ وَالتَّنُّور إِذَا أَخذَ مِنْهُ، وَيُقَرِّبُ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ ثُمَّ يَنْزِعُ، فَلَمْ يَزَلْ يكْسِرُ وَيَغْرِفُ حَتَّىٰ شَبِعُوا، وبَقِيَ مِنْهُ، فَقَالَ: «**كُلِي هَذَا وَأَهْدِي، فَإِنَّ النَّاسَ أَصَابَتْهُم مَجَاعَةٌ**». متفق عليه.

وفي رواية: قَالَ جابر: لَـمَّا حُفِرَ الخَنْدَقُ رَأَيْتُ بالنبيِّ ﷺ خَمَصًا، فَانْكَفَأْتُ إِلَىٰ امْرَأتِي، فقلت: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ برسولِ الله ﷺ خَمَصًا شَديدًا، فَأَخْرَجَتْ إِلَيَّ جِرَابًا فِيه صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ فَذَبَحتها، وَطَحَنتِ الشَّعِيرَ، فَفَرَغت إِلَىٰ فَرَاغِي، وَقَطَّعتهَا فِي بُرْمَتها، ثُمَّ وَلَّيْتُ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، فقالت: لَا تَفْضَحْنِي برسول الله ﷺ وَمَنْ مَعَهُ. فَجِئْتُهُ فَسَارَرْتُهُ، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنْتُ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ رسولُ الله ﷺ فَقَالَ: «**يَا أَهلَ الخَنْدَقِ، إِنَّ جَابِرًا قَدْ صَنَعَ سُؤْرًا فَحَيَّهَلا بِكُمْ**». فَقَالَ النبي ﷺ: «**لَا تُنْزِلُنَّ بُرْمَتَكُم وَلَا تَخْبِزُنَّ عَجِينكُم حَتَّىٰ أَجِيءَ**». فَجِئْتُ، وَجَاءَ النبي ﷺ يَقْدُمُ النَّاسَ، حَتَّىٰ جِئْتُ امْرَأتِي، فقالَتْ: بِكَ وَبِكَ! فَقُلْتُ: قَدْ فَعَلْتُ الَّذِي قُلْتِ. فَأَخْرَجَتْ عَجِينًا، فَبَسَقَ فِيهِ وبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَىٰ بُرْمَتِنا فَبسَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلَا تُنْزِلُوها**». وَهُم أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِالله لَأَكَلُوا حَتَّىٰ تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. قَوْلُه: «**عرضت كدية**» بضم الكاف وإسكان الدال وبالياء المثناة تَحْتَ، وَهِيَ: قطعة غليظة صلبة من الأرض لا يعمل فيها الفأس. و«**الكثيب**» أَصْلُهُ تَلُّ الرَّمْلِ، وَالمُرَادُ هُنا: صَارَتْ تُرابًا نَاعِمًا، وَهُوَ مَعْنَىٰ «**أَهْيَلَ**». و«**الأثافي**»: الأحجارُ الَّتِي يكُونُ عَلَيْهَا القِدْرُ. و«**تَضَاغَطُوا**»: تَزَاحَمُوا. و«**المَجَاعَةُ**»: الجُوعُ، وَهُوَ بفتح الميم. و«**الخمص**»: بفتح الخاء المعجمة والميم: الجُوعُ. و«**انكفأت**»: انْقَلَبْتُ وَرَجَعْتُ. و«**البهيمة**» بضم الباء، تصغير بَهْمَة، وَهِيَ: العَنَاقُ، بفتح العين. و«**الداجن**»: هِيَ الَّتي أَلِفَتِ البَيْتَ. و«**السُّؤْرُ**»: الطَّعَامُ الَّذِي يُدْعَىٰ

النَّاسُ إِلَيْهِ؛ وَهُوَ بالفَارِسيَّة. و«**حَيَّهَلا**» أي: تَعالَوْا. وَقَوْلُها: «**بك وبك**» أي: خَاصَمَتْهُ وَسَبَّتْهُ؛ لأَنَّهَا اعْتَقَدَتْ أنَّ الَّذِي عِنْدَهَا لَا يَكْفِيهِمْ، فَاسْتَحْيَتْ وَخفِيَ عَلَيْهَا مَا أكْرَمَ اللهُ بِهِ نَبِيَّهُ ﷺ مِنْ هذِهِ المُعْجِزَةِ الظَّاهِرَةِ وَالآيَة البَاهِرَة. «**بسق**» أي: بَصَقَ؛ وَيُقَالُ أيْضًا: بَزَقَ، ثَلاث لُغاتٍ. و«**عمد**» بفتح الميم، أي: قَصَدَ. و«**اقْدَحي**» أي: اغْرِفِي، وَالمِقْدَحَةُ: المِغْرَفَةُ. و«**تغط**» أي: لِغَلَيَانِهَا صَوْتٌ. والله أعلم.

(٥٢٠/ ٥٦) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ أَبو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيمٍ: قَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رسولِ الله ﷺ ضَعيفًا أعْرِفُ فيه الجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأخْرَجَتْ أقْرَاصًا مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أخَذَتْ خِمَارًا لَهَا، فَلَفَّتِ الخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحت ثَوْبِي (أي: الكلام لأنس) وَرَدَّتْنِي بِبَعْضِهِ، ثُمَّ أرْسَلَتْنِي إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، فَذَهَبتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رسولَ الله ﷺ جَالِسًا فِي المَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَقُمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ لِي رسول الله ﷺ: «**أرْسَلَكَ أَبو طَلْحَةَ؟**» فقلت: نَعَمْ. فَقَالَ: «**أَلِطَعَامٍ؟**» فقلت: نَعَمْ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**قُومُوا**». فَانْطَلَقُوا وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أيْدِيهِمْ حَتَّىٰ جِئْتُ أَبَا طَلْحَةَ فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ، قَدْ جَاءَ رسول الله ﷺ بالنَّاسِ وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. فَانْطَلَقَ أَبو طَلْحَةَ حَتَّىٰ لَقِيَ رسولَ الله ﷺ، فَأَقْبَلَ رسول الله ﷺ مَعَهُ حَتَّىٰ دَخَلَا، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**هَلُمِّي مَا عِنْدَكِ يَا أُمَّ سُلَيْمٍ**». فَأَتَتْ بِذلِكَ الخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رسول الله ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ عَلَيْهِ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً (أي: وعاء صغير من جلد لحفظ السمن خاصة) فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ فِيهِ رسول الله ﷺ مَا شَاءَ اللهُ أنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**». فَأَذِنَ لَهُمْ فَأَكَلُوا حتىٰ شَبِعُوا ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «**ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ**». فأذِنَ لهم حَتَّىٰ أكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ وَشَبِعُوا، وَالقَوْمُ سَبْعُونَ رَجُلًا أَو ثَمَانُونَ. متفق عليه.

وفي رواية: فَمَا زَالَ يَدْخُلُ عَشَرَةٌ وَيَخرُجُ عَشَرَةٌ، حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ أحَدٌ إِلَّا دَخَلَ، فَأكَلَ حَتَّىٰ شَبعَ، ثُمَّ هَيَّأَهَا فَإِذَا هِيَ مِثْلُهَا حِينَ أكَلُوا مِنْهَا.

وفي رواية: فَأكَلُوا عَشَرَةً عَشَرَةً، حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ بِثَمَانِينَ رَجُلًا، ثُمَّ أكَلَ النَّبيُّ ﷺ بَعدَ ذَلِكَ وَأَهْلُ البَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْرًا.

وفي رواية: ثُمَّ أفْضَلُوا مَا بَلَّغُوا جيرانَهُم.

وفي رواية عن أنس قَالَ: جِئتُ رسولَ الله ﷺ يومًا، فَوَجَدْتُهُ جَالِسًا مَعَ أَصْحَابِه، وَقَدْ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فقلتُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ: لِمَ عَصَبَ رسولُ الله ﷺ بَطْنَهُ؟ فقالوا: مِنَ الجوعِ، فَذَهَبْتُ إِلَىٰ أَبي طَلْحَةَ، وَهُوَ زَوْجُ أُمِّ سُلَيم بِنْت مِلْحَانَ، فقلتُ: يَا أَبَتَاهُ، قَدْ رَأَيْتُ رسول الله ﷺ عَصَبَ بَطْنَهُ بِعِصَابَةٍ، فَسَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فقالوا: من الجُوعِ. فَدَخَلَ أَبو طَلْحَةَ عَلَىٰ أُمِّي، فَقَالَ: هَلْ مِنْ شَيءٍ؟ قالت: نَعَمْ، عِنْدِي كِسَرٌ مِنْ خُبْزٍ وَتَمَرَاتٌ، فَإنْ جَاءنَا رسول الله ﷺ وَحْدَهُ أَشْبَعْنَاهُ، وَإنْ جَاءَ آخَرُ مَعَهُ قَلَّ عَنْهُمْ... وَذَكَرَ تَمَامَ الْحَدِيثِ.

* * *

(البذاذة وحسن السمت)

البذاذةُ والتبذل هي: سُوء الهيئة والثياب، فالرجل الباذُّ الهيئة هو مَن لَبِسَ من ثيابٍ اتَّسخت بسبب المهنة أو الخدمة والعمل. قال رسول الله ﷺ: «**البَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ**»، أي إن التواضعَ في اللباس لغير القادر، وكذلك تَرْك التبجُّح والغرور به للقادر.

كلُّ هذا من علامات الإيمان الصحيح، ولكن لأن الحقَّ لا يتعارض فإن الله تعالىٰ قال: ﴿**خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ**﴾[الأعراف:٣١]. وقال أيضًا: ﴿**قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ**﴾[الأعراف: ٣٢]. فإن القاعدةَ الأصيلة للدين هي: جَلْبُ المصالح ودَرْء ودفع المفاسد، وتحتها تندرج كلُّ القواعد الشرعية والفقهية، فحينما يستعمل الإنسانُ لباسه لمراده فإنه يوازن بين إظهار نعمة الله عليه والتواضع في اللباس بحَسَب الحاجة.

قال الميمونيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ واصفًا أحمدَ بنَ حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ما رأيتُ أحدًا أنظفَ ثوبًا ولا أشدَّ تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعرِ بدنه ولا أنقىٰ ثوبًا وأشدَّ بياضًا من أحمد بن حنبل (أي: وهو الزاهد الكبير).

وحكىٰ عوفُ بن مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أتيتُ النبي ﷺ في ثوب دُونٍ (أي: قديمٍ وبالٍ) فقال: «**أَلَكَ مَالٌ؟**» قلتُ: نعم. قال: «**مِنْ أَيِّ المَالِ؟**» قلت: قد أتاني الله من الإبل والغنم والخيل والرقيق. قال: «**فَإِذَا أَتَاكَ اللهُ مالًا فَلْيَرَ أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَيْكَ وَكَرَامَتِهِ**». أبو داود برقم (٤١٦١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٧٩).

وقيل في منثور الحِكَم: الْبَسْ مِنَ الثياب ما يَخدُمُكَ ولا يَستَخدِمُك.

فعَيِّن لنفسك قَصْدًا وهدفًا، وَالْبَس ثيابَك بما يتناسب مع مرادك، فالغنيُّ قد يكون الأفضلُ في حقِّه أن يتواضعَ إذا جلس مع البسطاء والفقراء؛ لئلا يتعالىٰ عليهم بثيابه، والفقير قد يكون الأفضل في حقِّه أن يُحسن لباسه؛ لئلا يكون منه شبهة في طلب المال والسؤال، أو في إظهار الزهد والانكسار، وهكذا علىٰ كل واحد أن يراعىٰ مقصوده؛ لقوله ﷺ: «سَدِّدُوا وَقَارِبُوا» متفق عليه.

وقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كان الناسُ يأتون الجُمُعَةَ من منازلهم والعوالي (أي: قرىٰ معروفة بالمدينة)، فيأتون في الغبار، يُصيبهم الغبار والعرق، فيخرج منهم العَرَقُ، فأتىٰ رسولَ الله ﷺ إنسانٌ منهم وهو عندي، فقال النبيُّ ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ تَطَهَّرْتُمْ لِيَوْمِكُمْ هَذَا» متفق عليه. وقال ﷺ أيضًا: «مَنْ كَانَ لَهُ شَعَرٌ فَلْيُكْرِمْهُ». أبو داود برقم (٤١٦٣).

وقال ﷺ أيضًا: «الغُسْلُ يَوْمَ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مِنْكُمْ، وَأَنْ يَسْتَنَّ، وَأَنْ يَمَسَّ طِيبًا إِنْ وَجَدَ». متفق عليه.

وقال ابنُ عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: القَصْدُ (أي: بين الإسراف والتقتير) والتُّؤَدة (أي: التأني في أمور الدنيا) وحُسْن السَّمْت جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة.

وحسنُ السَّمْت: هو حُسْن المظهر الخارجي للإنسان، من: طريقة الحديث والصمت، والحركة والسكون، والدخول والخروج، والسيرة العملية في الناس، بحيث يستطيع من يراه أو يسمعه أن ينسبه لأهل الخير والصلاح والديانة والفلاح.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إياكم ولِبْسَتَيْنِ: لِبْسةً مشهورة، ولِبْسَةً محقورة.

واللِّبسة المشهورة تُذَمُّ لمن لا يحتاج في ثيابه وعمله للاشتهار، وإلا فهناك لباس مميز لبعض المهن والأعمال يطلب فيها التميز والاشتهار؛ ليعرف أصحابها وتشتهر أعمالهم، وليس هذا مخالفًا للدين؛ لأنه لم يطلب بذلك جاهًا في دينه، ولا شرفًا في صلاحه، وإنما هذا من مقتضيات مهنته. وأما اللباس المحظور فهو الذي يُزرىٰ بصاحبه أمام الناس وأمام أولاده وسائر الناظرين إليه. فاجعل مظهرك يدل علىٰ مخبرك ومقصودك في الحياة.

❋ ❋ ❋

٥٧- باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُوا۟ لَمْ يُسْرِفُوا۟ وَلَمْ يَقْتُرُوا۟ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٧].

وأما الأحاديث، فتقدم معظمها في البابينِ السابقين، ومما لَمْ يتقدم:

(٥٢١/ ٥٧) عن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَيسَ الغِنَىٰ عَن كَثْرَةِ العَرَض، وَلكِنَّ الغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ». متفق عليه. «العَرَضُ» بفتح العين والرَّاءِ، هُوَ: المَالُ.

(٥٢٢/ ٥٧) وعن عبدِ الله بنِ عمرو رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا (أي: قدر الكفاية لا أزيد ولا أنقص)، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ». رواه مسلم.

(٥٢٣/ ٥٧) وعن حَكِيم بن حِزَام رضي الله عنه قَالَ: سألتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيم، إنَّ هَذَا المَالَ خَضِرٌ حُلْوٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بإشرافِ نَفسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، وَكَانَ كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ». قَالَ حكيم: فقلتُ: يَا رسول الله، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ لَا أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّىٰ أُفَارِقَ الدُّنْيَا. فَكَانَ أَبُو بَكرٍ رضي الله عنه يَدْعُو حَكِيمًا لِيُعْطِيَه العَطَاء، فَيَأْبَىٰ أَنْ يَقبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، ثُمَّ إنَّ عُمَرَ رضي الله عنه دَعَاهُ لِيُعْطِيَه فَأَبَىٰ أَنْ يَقْبَلَهُ. فقالَ: يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ، أُشْهِدُكُمْ عَلَىٰ حَكِيم أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ الَّذِي قَسَمَهُ اللهُ لَهُ فِي هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَىٰ أَنْ يَأْخُذَهُ. فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النبي صلى الله عليه وسلم حَتَّىٰ تُوُفِّي. متفق عليه.

«يرزأ» براءٍ ثُمَّ زايٍ ثُمَّ همزة، أي: لَمْ يَأخُذْ مِنْ أحَدٍ شَيْئًا، وَأصْلُ الرُّزءِ: النُّقْصَان، أي: لَمْ يَنقُص أحدًا شَيْئًا بالأخذِ مِنْهُ. و«إشْرَافُ النَّفسِ»: تطَلُّعُهَا وَطَمَعُهَا بالشَّيْءِ. و«سَخَاوَةُ النَّفْسِ»: هِيَ عَدَمُ الإشرَافِ إِلَىٰ الشيءِ، وَالطَّمَعِ فِيهِ، وَالمُبَالَاةِ بِهِ وَالشَّرَهِ.

(٥٢٤/ ٥٧) وعن أَبِي بُرْدَةَ، عن أَبِي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسول الله ﷺ في غَزاةٍ وَنَحْنُ سِتَّةُ نَفَرٍ بَيْنَنا بَعِيرٌ نَعْتَقِبُهُ (أي: يركبه كل واحد منا نوبة ونتناوب ركوبه)، فَنقِبَت أقدَامُنَا وَنَقِبَت قَدَمِي (أي: تقرَّحت بقرح وثقوب)، وسَقطت أظْفَارِي، فكُنَّا نَلُفُّ عَلَىٰ أرْجُلِنا الخِرَقَ، فَسُمِّيَت غَزْوَةَ ذَاتِ الرِّقَاعِ لِمَا كُنَّا نَعْصِبُ عَلَىٰ أرْجُلِنَا مِنَ الخِرَقِ.

قَالَ أَبُو بُردَة: فَحَدَّثَ أَبُو مُوسَىٰ بِهَذَا الحَدِيثِ، ثُمَّ كَرِه ذَلِكَ، وقال: مَا كُنْتُ أَصْنَعُ بِأَنْ أَذْكُرَهُ! قَالَ: كَأَنَّهُ كَرِه أَنْ يَكُونَ شَيْئًا مِنْ عَمَلِهِ أَفْشَاهُ. متفق عليه.

(٥٢٥/ ٥٧) وعن عمرو بن تَغْلِبَ - بفتح التاء المثناة فوق وإسكان الغين المعجمة وكسر اللام - رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بِمالٍ أَوْ سَبْيٍ فَقَسَمَهُ، فَأَعْطَىٰ رِجالًا، وَتَرَكَ رِجَالًا، فَبَلغَهُ أَنَّ الَّذِينَ تَرَكَ عَتَبُوا، فَحَمِدَ اللهَ، ثُمَّ أَثْنَىٰ عَلَيْه، ثُمَّ قَالَ: **«أَمَّا بعْدُ، فَوَاللهِ إِنِّي لأُعْطِي الرَّجُلَ وَأَدَعُ الرَّجُلَ، وَالَّذِي أَدَعُ أَحبُّ إِلَيَّ مِنَ الَّذِي أُعْطِي، وَلَكِنِّي إِنَّمَا أُعْطِي أَقْوَامًا لِمَا أَرَىٰ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ وَالهَلَعِ، وَأَكِلُ أَقْوَامًا إِلَىٰ مَا جَعَلَ اللهُ فِي قُلُوبِهِم مِنَ الغِنَىٰ وَالخَيْرِ، مِنْهُمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ»**. قَالَ عَمْرُو ابنُ تَغْلِبَ: فَوَاللهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِكَلِمَةِ رسولِ الله ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ. رواه البخاري. «الهَلَعُ»: هُوَ أَشَدُّ الجَزَعِ، وقيل: الضَّجَرُ.

(٥٢٦/ ٥٧) وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: **«اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ مَا كَانَ عَنْ ظَهْرِ غِنًىٰ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ»**. متفق عليه، وهذا لفظ البخاري، ولفظ مسلم أخصر.

(٥٢٧/ ٥٧) وعن أَبِي عبدِ الرحمنِ معاوية بن أبي سفيانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: **«لا تُلْحِفُوا** (أي: تُلِحُّوا) **فِي المَسْأَلَةِ، فَوَاللهِ لا يَسْأَلُنِي أَحَدٌ مِنْكُم شَيْئًا، فَتُخْرِجَ لَهُ مَسْأَلَتُهُ مِنِّي شَيْئًا وَأَنَا لَهُ كَارِهٌ، فَيُبَارَكَ لَهُ فِيمَا أَعْطَيْتُهُ»**. رواه مسلم.

(٥٢٨/ ٥٧) وعن أَبِي عبدِ الرحمنِ عوفِ بن مالكٍ الأَشْجَعِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رسولِ الله ﷺ تِسْعَةً أَوْ ثَمَانِيَةً أَوْ سَبْعَةً، فَقَالَ: أَلَا تُبايِعُونَ رسولَ الله؟ وَكُنَّا حَدِيثِي عَهْدٍ بِبَيْعَةٍ، فَقُلْنَا: قَدْ بَايَعْنَاكَ يَا رسولَ الله، ثمَّ قَالَ: أَلا تُبَايِعُونَ رسولَ الله؟ فَبَسَطْنَا أَيْدِينَا، وقلنا: قَدْ بايعناك،

فَعلامَ نُبايِعُكَ؟ قَالَ: «عَلَىٰ أنْ تَعْبُدُوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَالصَّلَوَاتِ الخَمْسِ وَتُطِيعُوا». وأَسَرَّ كَلِمَةً خَفِيَّةً «وَلا تَسْأَلُوا النَّاسَ شَيْئًا». فَلَقَدْ رَأَيْتُ بَعْضَ أُولئِكَ النَّفَرِ يَسْقُطُ سَوطُ أَحَدِهِمْ فَمَا يَسأَلُ أحدًا يُناوِلُهُ إيَّاهُ. رواه مسلم.

(٥٢٩/٥٧) وعن ابن عمرَ رضي الله عنهما: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَزَالُ المَسْأَلَةُ بأَحَدِكُمْ حَتَّىٰ يَلْقَىٰ اللهَ تَعَالَىٰ وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحمٍ». متفق عليه.

«المُزْعَةُ» بضم الميم وإسكان الزاي وبالعينِ المهملة: القِطْعَةُ.

(٥٣٠/ ٥٧) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ وَهُوَ عَلَىٰ المِنبَرِ، وَذَكَرَ الصَّدَقَةَ وَالتَّعَفُّفَ عَنِ المَسْأَلَةِ: «اليَدُ العُلْيَا خيرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَىٰ، وَاليَدُ العُلْيَا هِيَ المُنْفِقَةُ، وَالسُّفْلَىٰ هِيَ السَّائِلَةُ». متفق عليه.

(٥٣١/ ٥٧) وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَأَلَ النَّاسَ تَكَثُّرًا (أي: ليكثر ماله) فإنَّمَا يَسْأَلُ جَمْرًا؛ فَلْيَسْتَقِلَّ أَوْ لِيَسْتَكْثِرْ». رواه مسلم.

(٥٣٢/٥٧) وعن سَمُرَةَ بن جُنْدب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ المَسْأَلَةَ كَدٌّ يَكُدُّ بِهَا الرَّجُلُ وَجْهَهُ، إلَّا أنْ يَسْأَلَ الرَّجُلُ سُلْطَانًا (أي: من بيده بيت المال فيسأله حقه من بيت المال) أَوْ فِي أمْرٍ لابُد مِنْهُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح». «الكد»: الخَدْشُ وَنَحْوُهُ.

(٥٣٣/ ٥٧) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ (أي: حاجة شديدة) فَأَنْزَلَهَا بالنَّاسِ (أي: عَرَضَها عليهم وأظهرها) لَمْ تُسَدَّ فَاقَتُهُ، وَمَنْ أَنْزَلَهَا باللهِ، فَيُوشِكُ اللهُ لَهُ بِرِزْقٍ عَاجِلٍ أَوْ آجِلٍ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». «يُوشِكُ» بكسر الشين، أي: يُسْرِعُ.

(٥٣٤/ ٥٧) وعن ثَوبانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَكَفَّلَ لِي أَلَّا يَسْأَلَ النَّاسَ شَيْئًا، وَأَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ؟» فقلتُ: أنَا، فَكَانَ لَا يَسْأَلُ أحدًا شَيْئًا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٥٣٥/ ٥٧) وعن أبي بِشرٍ قَبيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رضي الله عنه قَالَ: تَحَمَّلْتُ حَمَالَةً فَأَتَيْتُ رسولَ الله ﷺ أَسْأَلُهُ فِيهَا، فَقَالَ: «أَقِمْ حَتَّىٰ تَأْتِيَنَا الصَّدَقَةُ فَنَأْمُرَ لَكَ بِهَا». ثُمَّ قَالَ: «يَا قَبيصَةُ، إنَّ المَسْأَلَةَ لَا تَحِلُّ إلَّا لأَحَدِ ثَلاثَةٍ: رَجُلٌ تحمَّلَ حَمَالَةً، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَهَا، ثُمَّ يُمْسِكُ، وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ جَائِحَةٌ اجْتَاحَتْ مَالَهُ، فَحَلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يُصِيبَ قِوَامًا مِنْ عَيْشٍ - أو قال: سِدَادًا مِنْ عَيْشٍ - وَرَجُلٌ أَصَابَتْهُ فَاقَةٌ، حَتَّىٰ يَقُولَ ثَلَاثَةٌ مِنْ ذَوِي الحِجَا مِنْ قَوْمِهِ: لَقَدْ أَصَابَتْ فُلَانًا فَاقَةٌ فَحلَّتْ لَهُ المَسْأَلَةُ حَتَّىٰ يصيب قِوَامًا من عيشٍ - أو قال: سِدَادًا من

عيشٍ- فما سِوَاهُنَّ مِنَ المسألَةِ يَا قَبِيصَةُ سُحْتٌ (أي: حرام)، يَأكُلُهَا صَاحِبُهَا سُحْتًا». رواه مسلم. «الحَمَالَةُ» بفتح الحاءِ: أَنْ يَقعَ قِتَالٌ وَنَحْوُهُ بَيْنَ فَرِيقَيْنِ، فَيُصْلِحُ إِنْسَانٌ بَيْنَهُمْ عَلَىٰ مَالٍ يَتَحَمَّلُهُ وَيَلْتَزِمُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ. و«الجَائِحةُ» الآفَةُ تُصيبُ مَالَ الإِنْسَانِ. و«القِوَامُ» بكسر القاف وفتحها، هُوَ: مَا يَقُومُ بِهِ أَمْرُ الإِنسَان مِنْ مَال ونحوِهِ. و«السِّدَادُ» بكسر السين: مَا يَسُدُّ حَاجَةَ المُعْوِزِ وَيَكْفِيهِ. و«الفَاقَةُ»: الفَقْرُ. و«الحِجَا»: العَقْلُ.

(٥٣٦/ ٥٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ المسكينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَىٰ النَّاسِ تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، وَالتَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلكِنَّ المِسكينَ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ (أي: يكفيه عن السؤال)، وَلَا يُفطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقَ عَلَيْهِ، وَلَا يَقُومُ فَيَسْأَلَ النَّاسَ». متفق عليه.

***

(القناعة)

القانعُ: هو الراضي بما قَسَم اللهُ له من رزقٍ وحياة. فالقناعة هي الرضا بقسمة الله لنا في المعيشة، وتَرْك الحرص علىٰ طلب المراتب العالية في الأموال والجاه والرضا باليسير منه.

ولما تولَّىٰ عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه إمارةَ المسلمين قال: ألا أُخْبِركم بما أَسْتَحِلُّ من مال الله تعالىٰ (أي: يقصد المرتب المخصص لمعيشته مقابل تفرغه للخلافة) حُلَّتَانِ لشتائي وقَيْظِي (أي: حلة للشتاء وأخرىٰ للصيف) وما يَسَعُني من الظَّهْر (أي: وما يناسبني من الدواب) لحَجِّي وعُمْرتي، وقُوتِي (أي: طعامي) بعد ذلك كقُوت رجل من قريش، لستُ بأَرْفَعِهم ولا بأَوْضَعِهم، فوالله ما أدري أَيَحِلُّ ذلك أم لا؟ وقال أيضًا رضي الله عنه: إن الطمعَ فقرٌ (أي: فالطامع يستشعر الفقر والحاجة دائمًا)، وإن اليأسَ غِنًىٰ، وإنه مَن يَيْئَس عما في أيدي الناس استغنىٰ عنهم.

وسأل موسىٰ عليه السلام ربَّه عز وجل: أَيْ ربِّي، أَيُّ عبادِك أحبُّ إليك؟ قال: أكثرُهم لي ذِكرًا. قال: يا رب، أَيُّ عبادِك أغنىٰ؟ قال: أقنعهم بما أَعْطَيْتُه. قال: يا رب، فأي عبادك أعدل؟ قال: من دان نفسه (أي: حاسب نفسه).

كتب بعضُ بني أُمَيَّة إلىٰ أبي حازم يعزم عليه إلا رفع حوائجه (أي: يطلب منه أن يوصل طلبه وحاجته للسلطان)، فكتب أبو حازم ردًّا عليه: قد رفعتُ حوائجي إلىٰ مولاي، فما أعطاني منها قَبِلتُ، وما أَمْسَك عني قَنَعْتُ.

وقال ابن القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يَكمُل غِنَىٰ القلب بغِنًىٰ آخر هو غِنَىٰ النفس، وآيتُه سلامتُها من الحظوظ (أي: طلب الشهوات والجاه بالمبالغة)، وبراءتُها من المُرَاءاة.

وقال حكيمٌ: وجدتُ أطولَ الناس غمًّا الحسود، وأهنأهم عيشًا القنوع، وأصبرَهم علىٰ الأذىٰ الحريص إذا طمع، وأحنفَهم عيشًا (أي: أكثرهم زهدًا واقتصادًا في العيش) أرفضهم للدنيا، وأعظمهم ندامةً العالم المُفرِّط (أي: الواقع في الخطيئة).

وسئل بعضُ أهل العلم عما يملك من أموال فقال: قلة تَـمَنِّيكَ، ورضاك بما يكفيك.

وقيل ردًّا علىٰ نفس السؤال: التجمُّل في الظاهر، والقَصْد (أي: السعي للمقصود بين الإسراف والتقتير) في الباطن، واليأس عما في أيدي الناس.

واعلم أن القناعة رأس الغنىٰ.

(العفة والعفاف)

العفة: هي كَفُّ النفس عن القبائح والرذائل، والتجمُّل بطلب الفضائل. فهي مُتعلِّقة بالمعاني والقيم. وأما العفافُ فيتعلق بالأموال، فهو: الكَفُّ عن الحرام، والكَفُّ عن السؤال من الناس، وضَبْط النفس عن الملاذِّ الحيوانية بين الإفراط والتفريط، أي بين الشَّرَه وجمود الشهوة. فالعفيف هو مَن يباشر الأمورَ علىٰ وَفْق الشرع والمروءة، والمروءة تستلزم النزاهة والصيانة والعفة.

أنواع العفة: والعفة علىٰ نوعين:

النوع الأول: العِفَّة عن المحارم: وهي قسمان: الأول: ضبط الفرج عن الحرام. والثاني: كَفُّ اللسان عن الأعراض.

النوع الثاني: العِفَّة عن المأثم: وهي قسمان: الأول: الكَفُّ عن المجاهرة بالظلم. والثاني: زَجْر النفس عن الخيانة.

واعلم أن حُسْنَ الطبائع والأخلاق من كمال العبد. والطبائع الحسنة هي: العِفَّة، والنزاهة، والتباعد عن الشر والجهل. والأخلاق الكريمة هي: الكرم، والإيثار، وستر

العيوب، والمبادرة بالمعروف، والحِلْم عن الجاهل. فمَن رُزِق هذه الطبائع والأخلاق قادَتْه للكمال، مع أن الكمال أمر عزيز قليل.

تمام العفة: ومِن تمام العِفَّة أن تكونَ في اليد واللسان والسمع والبصر:

فعفة اللسان: الكف عن السخرية من الآخرين، والتجسس، والغيبة، والنميمة، والهمز، والتنابز بالألقاب والكذب.

وعفة البصر: هي الكَفُّ عن مَدِّ العين إلىٰ المحارم وزينة الحياة الدنيا الباعثة علىٰ الشهوات الدنيئة.

وعفة السمع: هي الكف عن سماع المسموعات القبيحة والماجنة.

وعفة اليد: هي الكف عن الحرام، والكف عن السؤال من الناس لغير سبب شرعي.

فتمام العفة أن تكون الجوارح كلها تحت عباءة الشرع واحترام العقل، لا بالشهوة والهوىٰ.

قال رَسُولُ الله ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا مَا كُنَّ فِيكَ فَلا عَلَيْكَ، وَلا تُبَالِ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ الأَمَانَةِ، وَصِدْقُ الحَدِيثِ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةُ طُعْمَةٍ». أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧) برقم (٦٦٥٢)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٧٣٣).

ومما روي عن أبي هريرة مرفوعًا أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «بَرُّوا آبَاءَكُمْ تبَرَّكُمْ أَبْنَاؤُكُمْ، وَعِفُّوا تَعِفَّ نِسَاؤُكُمْ». الحاكم في المستدرك (٤/ ١٧١) برقم (٧٢٥٩).

وروي عن أبي هريرة مرفوعًا: «عُرِضَ عَلَيَّ أَوَّلُ ثَلاثَةٍ مِنْ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ، وَأَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ النَّارَ: فَأَمَّا أَوَّلُ ثَلاثَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ: فَالشَّهِيدُ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ لَمْ يَشْغَلْهُ رِقُّ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ، وَفَقِيرٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ...». أحمد في مسنده (٢/ ٤٢٥) برقم (٩٤٨٨).

وقال ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ عَلَىٰ نَفْسِهِ نَفَقَةً يَسْتَعِفُّ بِهَا فَهِيَ صَدَقَةٌ، وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ وَوَلَدِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ فَهِيَ صَدَقَةٌ». الطبراني في الأوسط (٤/ ١٧٣) برقم (٣٨٩٧).

وروي عن ابن عباس مرفوعا: «اسْتَغْنُوا عَنِ النَّاسِ، وَمَا قَلَّ مِنَ السُّؤَالِ فَهُوَ خَيْرٌ».

قالوا: ومنك يا رسول الله؟ قال: «وَمِنِّي». العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٩٦) برقم (٣٩٧٧)

وقال ﷺ: «اضْمَنُوا لِي سِتًّا مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَضْمَنْ لَكُمُ الجَنَّةَ: اصْدُقُوا إِذَا حَدَّثْتُمْ، وَأَوْفُوا إِذَا وَعَدْتُمْ، وَأَدُّوا إِذَا ائْتُمِنْتُمْ، وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ، وَغُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيْدِيَكُمْ».

أحمد في مسنده (٥/ ٣٢٣) برقم (٢٢٨٠٩)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٠١٨).

وقال لقمان الحكيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حقيقةُ الورعِ العَفَافُ. ولما فتح اللهُ القادسيةَ للمسلمين أخذوا الغنائمَ ودفعوها إلىٰ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: إن قومًا أَدَّوُا الأمانةَ في هذا لَأُمَنَاءُ. فقيل له: عَفَفْتَ (أي: عن أخذ ما لا يحل) فَعَفُّوا، ولو رَتَعْتَ يا أمير المؤمنين لرَتَعَتْ أُمَّتُك (أي: الرتع: التلذذ المبالغ فيه بالنعم).

وقال عمرُ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أيضًا: لا تُكلِّفوا الأَمَةَ (أي: البنت الصغيرة الضعيفة) غيرَ ذاتِ الصَّنْعة الكَسْبَ؛ فإنكم متىٰ كلَّفتموها ذلك كَسَبَتْ بفَرْجها، ولا تُكلِّفوا الصغيرَ (أي: الطفل غير المميز) الكَسْبَ؛ فإنه إذا لم يجد يسرق، وعِفُّوا إذا أَعَفَّكم الله، وعليكم من المطاعم بما طاب منها.

وقال عبدُ الله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: نحن مَعْشَرَ قريشٍ نَعُدُّ الحِلْمَ والجُودَ: السُّؤْدَدَ (أي: السيادة والرياسة)، ونَعُدُّ العفافَ وإصلاحَ المال: المروءةَ (أي: أعلىٰ صفات الإنسان).

وقال محمد بن الحَنَفِيَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكمالُ في ثلاثة: العفة في الدين، والصبر علىٰ النوائب، وحسن التدبير في المعيشة.

وقال أبو قِلَابة عبد الله بن زَيْد الجِرْميُّ: أيُّ رجل أعظم أجرًا من رجل يُنفق علىٰ عيال صغار يُعِفُّهم أو ينفعهم الله به ويُغنيهم. وقال سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأصحابه وقد خرجوا يومَ عيدٍ: إن أولَ ما نبدأ به يومنا عِفَّةُ أبصارِنا.

وقال الماورديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن دينَ المرء يُفضي إلىٰ الستر والعفاف، ويؤدي إلىٰ القناعة والكفاف. وقال ابن مُفلِح رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: الشكر زينة الغني، والعفاف زينة الفقير.

وقال ابنُ حَجَر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العالم إذا كان عليمًا ولم يكن عفيفًا كان ضررُه أشدَّ من ضرر الجاهل.

قصة: رُوي أنه كانت هناك فتاة إبان الدولة العثمانية خرجت لزيارة جدةٍ لها في آخر البلدة، فهطلت الأمطار الشديدة في ذلك اليوم، والتى لم تستطع معها السير أو الرؤية، فأوت إلىٰ بيتٍ كانت تحسبه مهجورًا من السكان لتتَّقى هذا المطر الشديد، لكن في هذه الأثناء ظهر شابٌّ في أواخر العشرينيات من العمر، فرآها وهى علىٰ هذه الحال من الخوف والبرد، فعرض عليها الدخول لتُدفئ نفسها، فترددت ولكن المطر والرعد زادا، فامتثلت لما قال وطلبت من ربها الحفظ والستر.

وعند دخولها المنزل وجدته خاويًا تقريبًا إلا من بعض المؤن والأثاث والنار مشتعلة، فطلب منها التقرب للنار وجعل النار بينه وبينها، وعندها رأته الفتاة بعد فترة من الزمن يقوم بأخذ أحد أعواد النار المشتعلة ويقوم بإحراق أصابعه واحدًا تلو الآخر، فأحسَّت بخوفٍ شديد من هذا الشخص غريب الأطوار، وتمنت لو أن المطر يتوقف لتنفذ بجلدها وتعود لبيت أهلها، وفعلًا توقف المطر وقام الشاب وقال: أين منزلك لأوصلك لبيت أهلك؟ فلم تُجِبْ، فقال: إذن أسيرَ في الطريق وارمِى إلىَّ بحجر في الاتجاه المؤدي للبيت. ففعلت ما طلب منها، ووصلت إلىٰ بيت أبيها خائفةً وقد وجدت أهلها قلقين عليها، فأخبرت أباها بما جرىٰ لها، وبما جرىٰ لهذا الشاب الذي أقلقها ما فعل بنفسه، فتعجب الوالد من ذلك وذهب لملاقاة الشاب دون أن يخبره بأنه أبوها؛ ليعرف قصته، وفعلًا ذهب لمنزل الشاب وأكرمه الشاب وتحدث معه طويلًا، فعرف أنه شابٌّ عابد زاهد، فسأله عن حالته بتلك الليلة فردَّ عليه الشاب بأنه أحرق أصابعه واحدًا واحدًا كى يتذكَّر عذاب النار ولا يقوم بفعل حماقة مع الفتاة. وبعد هذا الشرح تقدَّم الوالد بعرض ابنته علىٰ هذا الشاب للزواج بها وقَبِلَ الشاب ذلك. اهـ.

و**العفة** دليل كمال النفس وعزها وشرفها، والمجتمع الصالح مجتمع عفيف.

❊ ❊ ❊

٥٨- باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه

(٥٣٧/ ٥٨) عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه عبد الله بن عمر، عن عمر رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يُعْطيني العَطَاءَ، فَأقُولُ: أعطِهِ مَنْ هُوَ أفْقَرُ إلَيْهِ منِّي. فَقَالَ: «خُذْهُ، إِذَا جَاءكَ مِنْ هَذَا المَال شَيْءٌ وَأنْتَ غَيْرُ مُشْرِفٍ وَلَا سَائِلٍ فَخُذْهُ فتَمَوَّلْهُ (أي: استفد به لنفسك)، فَإنْ شِئْتَ كُلْهُ، وَإنْ شِئْتَ تَصَدَّقْ بِهِ، وَمَا لا فَلَا تُتبعهُ نَفْسَكَ». قَالَ سَالِمٌ: فَكَانَ عبد الله لَا يَسأَلُ أحَدًا شَيْئًا، وَلَا يَرُدُّ شَيئًا أُعْطِيَه. متفق عليه. «مُشرف» بالشين المعجمة، أي: متطلع إِلَيْهِ.

٥٩- باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

(٥٣٨/ ٥٩) عن أَبي عبد الله الزبير بن العوَّام رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأنْ يَأْخُذَ أحَدُكُمْ أَحْبُلَهُ (أي: جمع «حَبْل») ثُمَّ يَأْتِيَ الجَبَلَ، فَيَأْتِيَ بحُزْمَةٍ مِنْ حَطَبٍ عَلَىٰ ظَهْرِهِ فَيَبِيعَهَا، فَيكُفَّ اللهُ بِهَا وَجْهَهُ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ النَّاسَ، أعْطَوْهُ أَوْ مَنَعُوهُ». رواه البخاري.

(٥٣٩/ ٥٩) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَحْتَطِبَ أحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أنْ يَسْأَلَ أحدًا، فَيُعْطِيَهُ أَوْ يَمْنَعَهُ». متفق عليه.

(٥٤٠/ ٥٩) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «كَانَ دَاوُدُ عليه السلام لا يَأكُلُ إِلَّا مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

(٥٤١/ ٥٩) وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «كَانَ زَكرِيَّا عليه السلام نَجَّارًا». رواه مسلم.

(٥٤٢/ ٥٩) وعن المقدام بن مَعْدِ يكرِبَ رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا أكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِه، وَإنَّ نَبِيَّ الله دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». رواه البخاري.

* * *

(آداب الكسب والمعاش)

إن الله تعالىٰ ربُّ الأرباب ومُسبِّب الأسباب، قد جعل الآخرةَ دار الثواب والعقاب، وجعل الدنيا دار العيش والاكتساب، فالدنيا مزرعة الآخرة، وهي دار التكليف والعمل،

والآخرة دار القرار والجزاء.

ولهذا صار واجبًا علىٰ الإنسان أن يصرف جزءًا من وقته وعنايته لهذه الدنيا من أجل إصلاح شأنها وتهيئتها للانتفاع بها، فليس التشمُّر في الدنيا مقصورًا علىٰ الآخرة دون المعاش.

والدنيا ليست الدار الأصيلة للإنسان، وليست كذلك عدمًا فيتركها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾ [النبأ: ١١] وقال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الأعراف: ١٠]، فجعل الدنيا نعمةً وطلب الشكر عليها، وقال أيضًا: ﴿فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

ولعل للعبد ذنوبًا يُكفِّرها السعيُ في طلب الرزق والحياة، مِن الحِرْص علىٰ طَلَبِ الحلال والتورُّعِ في الطعام والشراب.

قال رسولُ الله ﷺ: «مَا كَسَبَ الرَّجُلُ كَسْبًا أَطْيَبَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَمَا أَنْفَقَ الرَّجُلُ علىٰ نَفْسِه وَأَهْلِه وَوَلَدِه وَخَادِمِه فَهُوَ صَدَقَةٌ». البخاري برقم (٢٠٧٢).

وقال أيضًا: «خَيْرُ الكَسْبِ كَسْبُ العَامِلِ إِذَا نَصَحَ» [أحمد في مسنده (٢/ ٣٣٤) برقم (٨٣٩٣)] أي: عمل بالنصح وأخلص في عمله لله. وقال أيضًا: «كَفَىٰ بالمَرْءِ إِثْمًا أَنْ يُضَيِّعَ مَنْ يقوت» أبو داود برقم (١٦٩٢).

ويكون ضياعُهم بعدم النفقة عليهم. فالعبدُ له شَهَواتٌ واحتياجاتٌ، وعليه مسئوليات وواجبات، فلا يُضحِّي بمسئولياته وله أن يضحي بجزء من شهواته، علىٰ ألا يتعارض ذلك مع شهوات الآخرين كالزوجة والولد.

فالإنسان مُركَّب من رُوح وجسد، ولكلٍّ طبائعه وحاجاته، وعلىٰ العاقل أن يُوازن بين روحه وجسده: فمن ضيَّع رُوحَه فَقَدَ الآخرة، ومن ضيَّع جسدَه فلا شك أنه لن يستطيع أن يحتفظ بروحه فستضيع آخرته كذلك.

وكما قال الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: رُوي أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ رأىٰ رجلًا، فقال: ما تصنع؟ فقال: أتعبَّد. قال: مَن يَعُولُكَ؟ قال: أخي. قال: أخوك أَعْبَدُ منك (أي: فعاب عليه تركه التكسب).

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي (أي: نفسي وقلبي) أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّىٰ تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا؛ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ»، ثم قال في آخر

الحديث: «وَلَا يَحْمِلُكُمُ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ عَلَىٰ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعْصِيَةِ الله تعالىٰ، فَإِنَّ الله لَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلا بطاعَتِهِ». ابن أبي شيبة في مصنفه (٧/ ٧٩) برقم (٣٤٣٣٢)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٠٨٥). فطلبُ المعاشِ بالحلال والإخلاص شرفٌ للعبد؛ فلا يستحي منه.

وقال ابنُ عبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كان آدمُ حرَّاثًا، وكان نوح نجَّارًا، وكان داود زرَّادًا (أي: يصنع الزَّرَدَ والدروع) وكان إدريسُ خياطًا، وكان موسىٰ راعيًا. وقال لقمان الحكيم لابنه: يا بني، استغنِ بالكسب الحلال عن الفقر. وقال عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لا يقعد أحدُكم عن طلب الرزق يقول: اللهم ارزقني؛ فقد علمتم أن السماءَ لا تُمطر ذهبًا ولا فضةً.

وقال أيضًا لرجلٍ يغرس زرعًا في أرضه: أَصَبْتَ، استغنِ عن الناس يَكُن أَصْوَنَ لدينك وأكرمَ لك عليهم.

وقال عبدُ الله بن مسعودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إني لَأَكْرَهُ أن أرىٰ الرجل فارغًا لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته.

وسُئل إبراهيم بن أَدْهَم عن التاجر الصدوق: أهو أحبُّ إليك أم المُتفرِّغ للعبادة؟ قال: التاجر الصدوق أحبُّ إليَّ؛ لأنه في جهادٍ يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان، ومن قِبَل الأخذ والعطاء فيُجاهدُه. وسُئل الحَسَنُ البصريُّ فقال خلاف ذلك.

وسُئل الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال: لا أعمل شيئًا حتىٰ يأتيني رزقي؟ فقال أحمد: هذا رجلٌ جهل العلم، أما سمع قولَ النبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الله جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وقولَه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين ذَكَر الطَّيْر فقال: «تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر أنها تغدو في طلب الرزق. وكان أصحابُ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتَّجرون في البَرِّ والبحر، ويعملون في نخيلهم وهم القدوة.

وقال أبو قِلَابَةَ لرجل: لَأَنْ أراك تطلب معاشك أحبُّ إليَّ من أن أراك في زاوية المسجد. ورُوي: أن الأوزاعيَّ لقي إبراهيمَ بن أَدْهَم الزاهد رحمهما الله وعلىٰ عُنُقِه حُزْمةُ حَطَبٍ، فقال له: يا أبا إسحاق، إلىٰ متىٰ هذا؟ إخوانك يَكْفُونك. فقال: دَعْني عن هذا يا أبا عمرو؛ فإنه بلغني أن مَن وَقَفَ موقفَ مَذَلَّةٍ في طلب الحلال وجبت له الجنة.

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس العبادة عندنا أن تَصُفَّ قدميك (أي: في الصلاة) وغيرُك يَقُوت لك (أي: ينفق على طعامك)، ولكن ابدأ برغيفيك فأَحْرِزْهما (أي: تحصل عليهما بالعمل والكسب) ثم تَعَبَّد.

وقال سفيان الثَّوْريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مكتوبٌ في التوراة: إذا كان في البيت بُرٌّ فتعبَّد (أي: البر: القمح، والمراد: إذا كان في البيت طعام فتفرَّغ للعبادة) وإذا لم يكن فاطلب البُرَّ أولًا ثم تعبَّد. وقال حكيم: ليس من الرغبة (أي: المذمومة) في الدنيا اكتسابُ ما يصون العرض فيها.

وكان شقيق بن إبراهيم يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧]: إن الله عَزَّ وَجَلَّ لو رَزَق العبادَ من غير كَسْبٍ وتفرَّغوا عن المعاش والكَسْب لَطَغَوْا في الأرض وبَغَوْا وسَعَوْا في الأرض فسادًا، ولكن شغلهم بالكسب والمعاش رحمةً منه وامتنانًا.

وقال سعيد بن المُسيِّب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا خيرَ فيمن لا يجمع المال من حِلِّه فيُخرج منه حقَّه ويصون به عِرضه.

وقال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَنْ يَحْتَطِبَ أَحَدُكُمْ حُزْمَةً عَلَىٰ ظَهْرِهِ خَيْرٌ من أَنْ يَسْأَلَ أَحَدًا فَيُعْطِيَهُ أو يَمْنَعَهُ». متفق عليه. وقال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ». البخاري برقم (٢٠٧٢).

وأما في حقِّ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقد أُمِر أن يتفرَّغَ لجُهْد الهداية وتبليغ الشريعة؛ فقد رُوي في الأثر: «ما أُوحِيَ إليَّ: أنِ اجْمَعِ المال وكُنْ من التاجرين، ولكن أُوحِيَ إليَّ أن سبِّح بحمد ربك وكن من الساجدين، واعبد ربك حتىٰ يأتيك اليقين». ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٤٢٠) برقم (١٥٩٥) وعزاه لابن مردويه في تفسيره.

وقال سلمانُ الفارسيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَنِ استطاعَ منكم أن يموتَ حاجًّا أو غازيًا أو مُعتمِرًا فليفعل، ولا يموتن تاجرًا ولا جابيًا.

فهو يعيب علىٰ من انشغل عن مقصود حياته وانغمس بالكلية في جمع دنياه، وذلك تنبيهًا ووعظًا له، وإلا فإن كثيرًا من الصحابة اشتغل بالتجارة، وبعضهم كان يعمل في جمع الصدقات في زمان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فالكَسْب والتجارة ليست الأفضلَ مطلقًا، ولكن من طلب بها

الكفايةَ لنفسه وأولاده وأنفق علىٰ دينه وأركانه من الحج والزكاة والجهاد فهو في حقِّه أفضل. فالكسبُ طلبًا للعفافِ والسترِ أفضلُ من السؤال والبطالة، حتىٰ لو أُعطي العبدُ من غير سؤالٍ فإن حالَ فَقْره دَفَعَ الناسَ لإعطائه، وإنما غِناه عن الناس وتعفُّفه واستتاره أفضلُ له.

أما إن كان ممن يشتغل معظمَ وقته بحَلِّ مشاكل الناس، كالمفتي والمفسر والمحدث وأمثالهم، أو كحال السلطان والقاضي والحاكم، فهؤلاء واجبٌ علىٰ الأمة أن يكفوهم التكسب والسؤال ليتفرَّغوا لأمرٍ أهمَّ وأفضل لهم وللمسلمين.

وهذا ما دَفَع الناسَ لأن يجعلوا أبا بكرٍ يترك التجارةَ لما وَلِيَ الخلافة؛ لأنها ستشغله عن مصالح المسلمين، وهي الأَوْلىٰ، ورُبَّ شخصٍ تَكثُر فائدته لو تفرَّغ للعلم والفتوىٰ والدعوة، وقد عاش أكابر العلماء علىٰ أموال الأوقاف كابن الصلاح والإمام النووي وابن تيمية وابن القيم وابن كثير، وغيرهم كثيرون.

وقال الشاطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن مَن قام بحاجةِ المسلمين وَجَبَ علىٰ المسلمين القيامُ بحاجته، وإنما يكون ذلك من بيت المال.

والقاعدة مبنيَّة علىٰ إجماع الصحابة علىٰ منع أبي بكر من التجارة ومِن بعده عُمَر وسائر الخلفاء ليتفرغوا لشئون المسلمين. بعض الناس قد يتصور أن الإنسانَ إذا تديَّن يُصبح مشغولًا عن الدنيا، ولكن المقصود هو الإعراض عن طلب الدنيا للترفه والكماليات، وأما صيانة العِرض أو أن يعتمر أو يتزكىٰ فلا حرج فيه.

وقيل لحكيمٍ: ما خيرُ الكسب؟ قال: أما خيرُ مكاسب الدنيا: فطلب الحلال لزوال الحاجة، والأخذ منه لعُدَّة العبادة، وتقديمُ أفضل زادٍ ليوم القيامة. وأما خيرُ مكاسب الآخرة: فعِلم معمول به نَشَرْتَه، وعمل صالح قدَّمْتَه، وسنة حسنة أحييتها. فقيل له: وما شرُّ المكاسب؟ فقال: أما شرُّ مكاسب الدنيا: فحرامٌ جَمَعْتَه، وفي المعصية أنفقتَه، ولمن لا يُطيع ربَّه خَلَّفْتَه. وأما شرُّ مكاسب الآخرة: فخيرٌ أنكرتَه حسدًا، ومعصية قدَّمتها إصرارًا، وسنة سيئة أحييتها عدوانًا.

فعُلم من ذلك أن الإنسانَ إذا صار غنيًّا بالمال يسبق الفقير لو كان متعمدًا الفقر.

وكما قال ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِم» [ابن ماجه برقم (٢٢٤)]، فإن تعلُّمَ أحكام التكسُّب واجبٌ علىٰ كلِّ من يشتغل بالكسب وهو محتاجٌ إليه، ولا يُؤجَّل تعلُّم هذا حتىٰ تقعَ له الواقعات والأحوال المختلفة فيستفتي فيها؛ وذلك لأنه قد تحدث له مُفسِدات في المعاملة كثيرة وبسبب جهله لا يعرف أنها وقعت، فيستمرُّ في تصرُّفاته علىٰ ظنِّه أنها صحيحةٌ ومباحة، فلابد له من هذا القدر من علم بالمهن وأحكامها وما شابهه ليعرف به المباح من المحظور.

كان عمرُ بن الخطاب ﷺ يطوف في الأسواق ويضرب بعض التُّجَّار بالدِّرَّة (أي: السوط) ويقول: لا يَبِعْ في سوقنا إلا مَن يَفْقَه، وإلا أَكَل الربا شاء أم أبىٰ.

وكان عليٌّ ﷺ يقول: التاجر إذا لم يكن فقيهًا ارتطم في الربا ثم ارتطم ثم ارتطم (أي: يعني غرق في الربا). وكان ابنُ عباس ﷺ يقول: كَسْبُ الحلال أشدُّ مِن نَقْل الجبل إلىٰ الجبل.

ومع هذا فهناك تحذيرٌ لنا من الانغماس في طلب الدنيا؛ فقد كان سفيان الثوريُّ ﷺ يقول: لا تنظرن إلىٰ زيِّ أهل السوق؛ فإن تحت ثيابهم ذئابًا. **مثال ذلك**: مجيء عميلٍ لا يفقه شيئًا ولا يعلم شيئًا، فهو في نظر بعض التجار فرصة للتربح والاستغلال، فيقول المرء في نفسه: الحمد لله، هذا رزقي فيخدعه ويضاعف له الثمن. ولكن هذا مِن فعل ووسوسة الشيطان.

وفي هذا البابِ نَهَىٰ النبيُّ ﷺ عن بَيْعِ حاضرٍ لِبَادٍ قائلًا: «لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ» [متفق عليه]؛ فالحاضرُ هو الذي يقطن المكانَ وعمله فيه، بينما البادي الذي أتىٰ من مكانٍ آخر ولا يعلم علمًا كافيًا عما هو ذاهب إليه من أماكن وأشخاص ومعاملات، فيكون عرضة للاستغلال الجشع من قِبَل التُّجَّار والصُّنَّاع. وهذا يونسُ بن عُبَيْدٍ يقول: ما أعلمُ اليومَ شيئًا أقلَّ مِن درهم طيِّب يُنفَق، وأخٍ يُسكَن إليه في الإسلام، وعامِلٍ يعمل علىٰ السُّنَّة، وما يزدادون إلا قلة، ولو وجدنا درهمًا من الحلال لاستشفينا به مرضانا.

ولهذا قيل: الناسُ في الكسب علىٰ أربعِ مراتبَ: منهم من يرىٰ الرزقَ من الله تعالىٰ ومن الكَسْب أيضًا، فهو مُشرِك، ومنهم من يرىٰ الرزق من الله تعالىٰ ولا يدري أيعطيه أم لا، فهو منافق، ومنهم من يرىٰ الرزق من الله تعالىٰ ولا يؤدي حقه، فهو فاسق، ومنهم من يرىٰ الرزق من الله تعالىٰ ويرىٰ الكسب سببًا فقط، وقد أخرج حقَّ الله فيه ولا يعصيه ﷻ لأجل الكسب؛ فهو مؤمن خالص.

فالمنافق يأخذ من الدنيا بالحرص وهو الشره المذموم ويمنع النفقة والكرم والجود علىٰ من يستحق لأَجْلِ الشَّكِّ في الرزق، وينفق ما ينفقه رياء وسمعة؛ لعدم الثقة في الاستخلاف والعوض من الله، أما المؤمن فيأخذ حظه من الدنيا بالخوف والورع ويقتصد في نفقته مع شكره لله وينفق ما ينفقه خالصًا لوجه الله تعالىٰ.

وكان يحيىٰ بن مُعَاذ يقول: الطاعةُ مخزونةٌ في خزائن الله تعالىٰ، ومِفْتاحها الدعاء، وأسنانها لقمة الحلال. وقال حكيمٌ: إذا لم يكن في التاجر ثلاثُ خصالٍ افتقر في الدارين جميعًا: أولاها: لسان نقيٌّ من ثلاثة: من الكذب، واللغو، والحلف، والثانية: قلبٌ صافٍ من ثلاثة: من الغش، والخيانة، والحسد، والثالثة: نفس محافظة لثلاث: الجمعة والجماعات، وطلب العلم في بعض الساعات، وإيثار رضا الله تعالىٰ علىٰ غيره.

قال رسولُ الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ مَا لَا يَرِيبُكَ». أحمد في «مسنده» (١/ ٢٠٠) برقم (١٧٢٣)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٣٧٨) وقال ﷺ أيضًا: «لَا يَبْلُغُ العَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ المُتَّقِينَ حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لما بِهِ بَأْسٌ». الترمذي برقم (٢٤٥١)، وقال: حديث حسن، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨٩٩)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي.

وعلىٰ هذا يجب أن تشتمل المبايعات والعقود فيما بيننا علىٰ أربعة أمور:

١ - أن تُوصف بأنها صحيحة من الناحية الشرعية. ٢ - أن تكون بالعدل الذي أمر به الشرع. ٣ - أن تكون بالإحسان بين المتبايعين. ٤ - أن تكون مع المحافظة علىٰ أعمال وأمور الآخرة، بألا ينسىٰ القيام بأعمال الدين الأخرىٰ من العبادات وغيرها.

❊ ❊ ❊

٦٠ - باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ﴾ [سبأ: ٣٩].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾ [البقرة: ٢٧٢].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

(٥٤٣/ ٦٠) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا حَسَدَ (أي: المقصود هنا الغبطة، وهو تَمنِّي النعمة من غير أن تزول عن صاحبها) إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ (أي: إنفاقه في الطاعات)، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفق عليه.

ومعناه: ينبغي ألا يُغبَط أحد إلا علىٰ إحدىٰ هاتين الخصلتين.

(٥٤٤/ ٦٠) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّكُم مَالُ وَارِثِهِ أحبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قالوا: يَا رسول الله، مَا مِنَّا أحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أحبُّ إِلَيْهِ. قَالَ: «فإنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّرَ». رواه البخاري.

(٥٤٥/ ٦٠) وعن عَدِيِّ بن حَاتِم رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ». متفق عليه.

(٥٤٦/ ٦٠) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ، فقالَ: لَا. متفق عليه.

(٥٤٧/ ٦٠) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصبحُ العِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلانِ، فَيَقُولُ أحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أعْطِ مُنْفِقًا (أي: منفقًا في وجوه الطاعات) خَلَفًا (أي: عوضًا)، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا». متفق عليه.

(٥٤٨/ ٦٠) وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: أنفِق يَا ابْنَ آدَمَ يُنْفَقْ عَلَيْكَ». متفق عليه.

(٥٤٩/ ٦٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رَجُلًا سَأَلَ رسول الله ﷺ: أيُّ الإسلامِ خَيْرٌ؟ قَالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وَتَقْرَأُ السَّلَامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفق عليه.

(٥٥٠/ ٦٠) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَرْبَعُونَ خَصْلَةً: أعْلاهَا مَنِيحَةُ العَنْزِ (أي: إعارة الشاة ونحوها لينتفع المستعير بلبنها وصوفها ثم يعيدها لـمُعِيرها)، مَا مِنْ عَامِلٍ يَعْمَلُ بِخَصْلَةٍ مِنْهَا؛ رَجَاءَ ثَوَابِهَا وَتَصْدِيقَ مَوْعُودِهَا، إِلَّا أدْخَلَهُ الله تَعَالَىٰ بِهَا الجَنَّةَ». رواه البخاري، وقد سبق بيان هذا الحديث في باب بيان كثرة طرق الخير.

(٥٥١/ ٦٠) وعن أَبي أُمَامَةَ صُدَيِّ بْنِ عَجْلانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا ابْنَ آدَمَ، إنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الفَضْلَ (أي: ما يزيد عن حاجتك وحاجة عيالك) خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ، وَلَا تُلَامُ عَلَىٰ كَفَافٍ (أي: ما لديك مما يكفي قدر الحاجة لا أزيد ولا أنقص)، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَاليَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ». رواه مسلم.

(٥٥٢/ ٦٠) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: مَا سُئِلَ رسول الله ﷺ عَلَىٰ الإِسْلام شَيئًا إِلَّا أعْطَاهُ، وَلَقَدْ جَاءهُ رَجُلٌ، فَأَعْطَاهُ غَنَمًا بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرجعَ إِلَىٰ قَوْمِهِ، فَقَالَ: يَا قَوْمِ، أَسْلِمُوا؛ فَإِنَّ مُحَمَّدًا يُعطِي عَطَاءَ مَنْ لا يَخْشَىٰ الفَقْرَ، وَإنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيُسْلِمُ مَا يُرِيدُ إِلَّا الدُّنْيَا، فَمَا يَلْبَثُ إِلَّا يَسِيرًا حَتَّىٰ يَكُونَ الإِسْلَامُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّنيا وَمَا عَلَيْهَا. رواه مسلم.

(٥٥٣/ ٦٠) وعن عمر رضي الله عنه قَالَ: قَسَمَ رسولُ الله ﷺ قَسْمًا، فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، لَغَيْرُ هؤلَاءِ كَانُوا أَحَقَّ بِهِ مِنْهُمْ؟ فَقَالَ: «إِنَّهُمْ خَيَّرُونِي أَنْ يَسأَلُونِي بِالفُحْشِ (أي: بالغلظة والإلحاح في السؤال) أَوْ يُبَخِّلُونِي، وَلَسْتُ بِبَاخِلٍ». رواه مسلم.

(٥٥٤/ ٦٠) وعن جُبَيرِ بنِ مُطعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ مَقْفِلَهُ مِنْ حُنَيْنٍ، فَعَلِقَهُ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ، حَتَّىٰ اضْطَرُّوهُ إِلَىٰ سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ النَّبيُّ ﷺ فقال: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هذِهِ العِضَاهِ نَعَمًا (أي: إبلًا وجمالًا)، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلًا وَلَا كَذَّابًا وَلَا جَبَانًا». رواه البخاري.

«مقفله» أي: حَال رُجُوعِه. و«السمرة»: شَجَرَةٌ. و«العِضَاهُ»: شَجَرٌ لَهُ شَوْكٌ.

(٥٥٥/ ٦٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ». رواه مسلم.

(٥٥٦/ ٦٠) وعن أبي كَبْشَةَ عَمْرِو بْنِ سَعْدٍ الأَنْمَارِيِّ رضي الله عنه: أَنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ: مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلَمَةً صَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ (أي: سؤال الناس) إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقرٍ- أو كلمة نحوها- وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ». قَالَ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ مَالًا وَعِلْمًا، فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ اللهُ عِلْمًا، وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا، فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ، يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ. وَعَبْدٌ رَزَقَهُ الله مَالًا، وَلَم يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ (أي: يصرفه في شهوات نفسه) بِغَيرِ عِلْمٍ، لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لله فِيهِ حَقًّا، فَهذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ. وَعَبْدٌ لَمْ يَرْزُقْهُ اللهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا، فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بعَمَلِ فُلَانٍ، فَهُوَ بِنِيَّتِهِ، فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٥٥٧/ ٦٠) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّهُمْ ذَبَحُوا شَاةً، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «مَا بَقِيَ مِنْهَا؟» قالت: مَا بَقِيَ

مِنْهَا إِلَّا كَتِفُها. قَالَ: «بَقِيَ كُلُّهَا غَيْرَ كَتِفِهَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث صحيح».

ومعناه: تَصَدَّقُوا بِهَا إِلَّا كَتِفَها. فقَالَ: بَقِيَتْ لَنا في الآخِرَةِ إِلَّا كَتِفَها.

(٥٥٨/ ٦٠) وعن أسماء بنت أبي بكرٍ الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالت: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لَا تُوكِي (أي: تدَّخري وتَشُدِّي ما عندك وتمنعي ما في يدِكِ) فَيُوكَى عَلَيْكِ».

وفي رواية: «أَنفِقِي أَوِ انفَحِي، أَو انْضِحِي، وَلَا تُحصي فَيُحْصِيَ اللهُ عَلَيْكِ، وَلَا تُوعي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ». متفق عليه. و«انْفَحِي» بالحاء المهملة، وَهُوَ بمعنى «أنفقي»، وكذلك «انْضِحِي».

(٥٥٩/ ٦٠) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقولُ: «مَثَل البَخيل وَالمُنْفِق، كَمَثَلِ رَجُلَيْنِ عَلَيْهِمَا جُنَّتَانِ (أي: دِرْعَان يُلْبَسان للتَّحصُّن) مِنْ حَديد مِنْ ثُدِيِّهِمَا (أي: جمع ثَدْي) إِلَىٰ تَرَاقِيهِمَا (أي: جمع «تَرْقُوة»، وهي العَظْمة التي بين ثغرة النحر والكتف)، فَأَمَّا المُنْفِقُ فَلَا يُنْفِقُ إِلَّا سَبغَتْ- أو وَفَرت- عَلَىٰ جِلْدِهِ حَتَّىٰ تُخْفِيَ بَنَانَهُ، وَتَعْفُوَ أَثَرَه، وأَمَّا البَخِيلُ فَلَا يُرِيدُ أَنْ يُنْفِقَ شَيْئًا إِلَّا لَزِقَتْ كُلُّ حَلْقَةٍ مَكَانَهَا، فَهُوَ يُوَسِّعُهَا فَلَا تَتَّسِعُ». متفق عليه.

(أي: فالمنفق تستره بركة نفقاته وتخفي عيوبه، أما البخيل فإنه مكشوف مفضوح ببخله فلا ينفق إلا بخبث نفس ولهذا لا تصيبه البركة لتخفي ما فيه من عيوب). و«الجُنَّةُ»: الدِّرْعُ؛ وَمَعنَاهُ أنَّ المُنْفِقَ كُلَّمَا أنْفَقَ سَبغَتْ وَطَالَتْ حَتَّىٰ تَجُرَّ وَرَاءهُ، وَتُخْفِيَ رِجْلَيْهِ وَأثَرَ مَشْيهِ وَخُطُوَاتِهِ.

(٥٦٠/ ٦٠) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعدلِ (أي: بقدْر) تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ- وَلَا يَقبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ- فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهَا كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ حَتَّىٰ تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ». متفق عليه. «الفَلُوُّ» بفتح الفاء وضم اللام وتشديد الواو، ويقال أيضًا: بكسر الفاء وإسكان اللام وتخفيف الواو، وَهُوَ: المُهْرُ.

(٥٦١/ ٦٠) وعنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِفَلَاةٍ مِنَ الأَرْضِ، فَسَمِعَ صَوْتًا في سَحَابَةٍ، اسقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، فَتَنَحَّىٰ ذَلِكَ السَّحَابُ فَأفْرَغَ مَاءهُ في حَرَّةٍ، فَإِذَا شَرْجَةٌ مِنْ تِلْكَ الشِّرَاجِ قَدِ اسْتَوْعَبَت ذَلِكَ الماءَ كُلَّهُ، فَتَتَبَّعَ المَاءَ، فإذَا رَجُلٌ قَائمٌ في حَدِيقَتِهِ يُحَوِّلُ الماءَ بِمِسْحَاتِهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا عبد الله، ما اسْمُكَ؟ قال: فُلَانٌ، للاسم الذي سَمِعَ في السَّحابَةِ، فقال له: يا عبد الله، لِمَ تَسْألُنِي عَنِ اسْمِي؟ فَقَالَ: إنِّي سَمِعْتُ صَوْتًا في السَّحابِ الَّذِي هَذَا مَاؤُهُ، يقولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ، لاسمِكَ، فَمَا تَصْنَعُ فِيهَا؟ فَقَالَ: أمَا إذ قلتَ هَذَا، فَإنِّي أنْظُرُ إِلَىٰ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، فَأَتَصَدَّقُ بثُلُثِهِ، وَآكُلُ أنَا وَعِيَالِي ثُلُثًا، وَأرُدُّ فِيهَا ثُلُثَهُ».

رواه مسلم. «الحَرَّةُ»: الأَرْضُ المُلَبَّسَةُ حجَارَةً سَوْدَاءَ. و«الشَّرْجَةُ» بفتح الشين المعجمة وإسكان الراءِ وبالجيم، هي: مَسِيلُ الماءِ. (أي: إنه كان يخرج من ماله للأرض ما تحتاج إليه، ولعياله ما يحتاجون إليه، ويخرج الباقي لوجه الله تبارك وتعالىٰ، وليس المقصود ثلاثة أجزاء متساوية، وإنما بحسب الحاجة والضرورة).

* * *

(الإنفاق والكرم والجود)

أولا: الإنفاق: هو إخراجُ المال الطَّيِّب في الطاعات والمباحات، ومنها: النَّفَقة علىٰ العِيال والأهل مِن كسوةٍ ومسكنٍ وطعامٍ وغيره، والزكاة تُسمَّىٰ إنفاقًا، وكذلك التطوُّع بالصدقات، والإنفاق في الجهاد. ومن الإنفاق: القرضُ الحسن: حيث وَعَده اللهُ بإنماء ماله أضعافًا كثيرة، فكأن المستقرض صار أغنىٰ من المُقرِض؛ لأن اللهَ ينوب عنه في إنماء ذلك المال ولكن بشروط:

أولها: أن يكون من طيب ماله لا من الرديء والسيئ؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا۟ ٱلْخَبِيثَ مِنْهُ تُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٧].

الثاني: أن يُخرِجَ المالَ طَيِّبةً به نفسُه ابتغاءَ مرضاة الله.

الثالث: ألا يَمُنَّ به، ولا يُؤذي به المُستقرض.

قال الإمام النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإنفاقُ الممدوح ما كان في الطاعات علىٰ العيال والضِّيفان (أي: الضيوف) والتطوعات. وقال عليُّ بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لَأَنْ أَصِلَ أخًا من إخواني بدِرْهَم أَحبُّ إليَّ مِن أن أتصدَّق بعشرين درهمًا، ولَأَنْ أَصِلَه بعشرين أحبُّ إليَّ من أن أتصدَّق بمائة درهم، ولَأَنْ أصِلَه بمائة درهم أحبُّ إليَّ من أن أُعتق رقبة.

ثانيا: الكرم: وهي كلمةٌ تدلُّ علىٰ الشرف في الخلق، وهو ضدُّ معنىٰ اللؤم والخُبْث.

فيقال: رجلٌ كريم، أي شريف الأخلاق، وهو الذي يصفح عن الذنوب. ويقال في حقِّ مَن كَرُمَتْ عليه نفسُه فلا يتدنَّس بشيءٍ من المعاصي أو المخالفة لربه الكريم، وهو مَن كان واسعَ الأخلاق والصدر. لكن اسم الكرم يُطلَق علىٰ إنفاق المال الكثير في الأمور

العظيمة القدر، الكبيرة المنفعة، مع سهولة ورضا وسخاء في النفس.

فالكريم يتبرَّع ويُنفق قبل أن يُسْأل، وإذا سُئل فهو يترفَّق ويلين مع السائل، فيُعطي بسهولة، ولا ينتظر من وراء نفقته منفعةً ما. فالكريم لا يكون كريمًا حقيقيًّا إلا إذا أوصل المنفعةَ من مالٍ وغيرِه بلا عوض ينتظره. والكريم هو اسمٌ جامع لأنواع الخير والشرف والفضائل، بل جامعٌ لكلِّ ما يُحمَد، ولهذا كان اللهُ هو الكريمَ الحميد الفعَّال.

وللكرم أسماء، فإن كان الكرم بإنفاق مال فهو جود، وإن كان الكرم بكف الضرر عن الآخرين مع القدرة علىٰ الإيذاء والضرر سمِّي عفوًا، وأما إن كان ببذل النفس في الملمات فهو شجاعة. والكرم إذا وُصِف به اللهُ فهو وَصْفٌ لإحسانه وإنعامه، أما الإنسانُ الكريم فهو صاحب الأخلاق العالية والأفعال المحمودة التي تظهر منه، فإن لم تظهر الأفعال المحمودة فلا يقال كريمًا.

وأكرمُ الأفعال المحمودة ما يكون في حقِّ الله تعالىٰ، حيث يقصد أشرف وجوه الكرم، وهو ما يقصد به وجه الله تبارك وتعالىٰ، ومَن قَصَد وجهَ ربِّه فهو التَّقِيُّ؛ ولهذا قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، ورسولُ الله ﷺ لما سُئل عن أكرم الناس قال: «أَتْقَاهُمْ» [متفق عليه]؛ ولهذا كان رسولُ الله ﷺ أكرمَ الخَلْق جميعًا.

فقد روي في ذلك عن أنس بن مالك رضي الله عنه يرفعه: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجًا إِذَا بُعِثُوا (أي: من قبورهم)، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا وَفَدُوا (أي: قدموا علىٰ الله)، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا (أي: غلب عليهم اليأس من رحمة الله)، لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَىٰ رَبِّي وَلا فَخْرَ». الترمذي برقم (٣٦١٠)، وقال: حديث حسن. واعلم أن لك ربًّا كريمًا قال في حقِّه النبي ﷺ: «إِنَّ اللهَ حَيِيٌّ كَرِيمٌ يَسْتَحِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ». أبو داود برقم (١٤٨٨)، الترمذي برقم (٣٥٥٦)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٧٥٧).

وروي عنه أيضًا واصفًا ربَّه: «إِنَّ اللهَ كَرِيمٌ يُحِبُّ الْكَرَمَ، وَيُحِبُّ مَعَالِيَ الأَخْلاقِ وَيَكْرَهُ سَفَاسِفَهَا (أي: يكره الأخلاق الدنيئة الحقيرة)». الطبراني في «المعجم الكبير» (٣/ ١٣١) برقم (٢٨٩٤).

وكان النبيُّ ﷺ يعرف للناس الكرام قَدْرهم؛ فقال جَرِيرُ بن عبد الله رضي الله عنه: لما بُعِث النبيُّ

ﷺ أتيتُه، فقال: «يَا جَرِيرُ، لأَيِّ شَيْءٍ جِئْتَ؟». قلت: جئت لأُسلِّم على يديك يا رسول الله. فألقى إليَّ كساءه (أي: جعله فراشًا لجلوسه بجواره تكريمًا له) ثم أقبل على أصحابه فقال: «إِذَا جَاءَكُمْ كَرِيمُ قَومٍ فَأَكْرِمُوهُ». وكان لا يراني بعد ذلك إلا تبسَّم في وجهي. وكان جريرٌ سيدَ قومِه. البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (٨/ ١٦٨) برقم (١٦٤٦٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٧٥٧).

وقال رسولُ الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ (أي: قليل الفطنة بالشر)، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ (أي: بخيل سيئ الخلق)». البخاري في الأدب المفرد (٤١٨)، وأحمد في مسنده (٢/ ٣٩٤) برقم (٩١٠٧) وحسنه الأرنؤوط، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٦٥٣) فالمؤمن نشأ على الحقِّ فلم يُجرِّب الخداع؛ لهذا كان غِرًّا، فهو كريم الأفعال والأخلاق، أما الفاجر فهو لئيمٌ مخادع.

قال عبدُ الله بن جعفر رَحِمَهُ اللَّهُ وهو من أجود العرب والمسلمين: أَمْطِرِ المعروفَ مَطَرًا (أي: ابذل المعروف بسخاء)، فإن أصاب الكرامَ (أي: أصحاب الأخلاق العالية) كانوا له أهلًا، وإن أصاب اللئامَ كُنْتَ له أَهْلًا. فالكريم أهل للكرم. وقال الحسنُ بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: الكرمُ: التبرُّع بالمعروف قبل السؤال، والإطعام في المَحْل (أي: إطعام الناس في وقت الجدب وانقطاع المطر، ووقت ما يحتاجون) والرأفة بالسائل مع بَذْل النائل (أي: العطاء).

وقيل: مَن لم يُكرم ضيفَه فليس من محمد ﷺ، ولا من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقال أبو سليمان الدارانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: جُلَساء الرحمن يوم القيامة مَن جُعِل في قلبه خصالٌ: الكرم، والسخاء، والحلم، والرأفة، والشكر، والبر، والصبر.

وقال أحد الصالحين: مِن آداب العِشرة: إيثارُ الإخوان والأصدقاء بالكرامة على نفسه، ومَن عاشَر الناسَ ولم يُكرمهم وتكبَّر عليهم فذلك لِقلَّة عقله ودينه؛ فإنه بهذا يُعادي صديقه، ويُكرم بذلك عدوَّه، ذلك أن إخوانَه في الله هم أصدقاؤه، أما عدوُّه الذي أكرمه فهي نفسُه التي بين جَنْبيه الأمَّارة بالسُّوء.

واعلم أخي أن من علامة الكريم أنه يُستدَرُّ منه كرمُه باللطف والإكرام والاحترام له، وأما اللئيم فلا تأخذ ما عنده إلا بإهانته وإحراجه والتعنيف والتوبيخ له، فمَن أخرج مالَه بهذا فهو ليس بكريم، وإن أخرج مالًا كثيرًا.فاحذر أن يكون إخراجك لمالك بالمهانة والتعنيف، وليكن جودك وكرمك رغبة وسخاء نفس لا رهبةً ولؤمًا.

ثالثًا: الجُود: وهي كلمةٌ تدلُّ علىٰ السَّماحة بالعطاء الكثير، فالجَوَادُ هو السَّخِيُّ.

ويُفسَّر الجودُ بمعنىٰ الكَرَم، فمَن جاد بماله فقد تكرَّم به. فالجودُ هي صفة في العبد تدعوه لإنفاق ماله وإفادة الآخرين، لا ينتظر في ذلك عوضًا ولا غرضًا دنيويًّا، بل يُعطي ما يُعطي لمن يستحقُّ دون أن ينتظر سؤاله، وذلك ليصون وجه السائل عن السؤال؛ ولهذا كان رسولُ الله ﷺ أجودَ الناس، فما سُئل رسول الله ﷺ شيئًا قط فقال: لا. متفق عليه.

وسأل رجلٌ النبيَّ ﷺ غنمًا بين جبلين فأعطاه، فأتىٰ قومَه فقال: أيْ قوم، أسلموا؛ فوالله إن محمدًا ليُعطي عَطَاءَ مَن لا يخاف الفقر. مسلم برقم (٢٣١٢).

وفي فَتْح مكة أعطىٰ رسولُ الله ﷺ صفوانَ بن أمية (أي: ولم يكن مسلمًا، وإنما أراد تأليفَ قلبه علىٰ الإسلام) يومئذٍ مائةً من النَّعَم، ثم مائة، ثم مائة. فقال صَفْوان لقومه: والله لقد أعطاني رسولُ الله ﷺ ما أعطاني وإنه لأَبْغَضُ الناس إليَّ، فما برح يُعطيني حتىٰ إنه لَأَحَبُّ الناس إليَّ. وكانت سببًا في إسلامه رضي الله عنه. فالنبيُّ كان أجودَ الناس.

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: بَذْلُ المجهود (أي: الطاعة والقدرة) في بَذْل الموجود (أي: الإنفاق بالموجود) مُنتَهىٰ الجُود. وقال الشاطبيُّ رحمه الله: الجُود بالنفس أقصىٰ غاية الجود.

وقال حكيمٌ: جود الرجل يُحبِّبه إلىٰ أضداده، وبخله يُبغِّضه إلىٰ أولاده.

مَرَاتِبُ الجُودِ: والجود كما يعلمنا ابنُ القيِّم رحمه الله عَشْرُ مراتب:

أحدها: الجود بالنفس: فيجود بنفسه عن دينه وماله وعرضه ووطنه في الحق.

الثانية: الجود بالرياسة: فيستعمل رياسته في خِدمة السائل، ولا يَضِنُّ (أي: يبخل) بها، وفي هذا مشقَّة نفسيَّة كبيرة علىٰ صاحب الرياسة؛ فقد يُضحِّي برياسته جودًا علىٰ الآخرين.

الثالثة: الجود براحته ورفاهيته: فقد يَكِدُّ ويتعب في مصلحة غيره، فيجود بنومه ليسامر أهل الفضل ويملأ وقتهم بما يحبون.

الرابعة: الجود بتعليم العلم للآخرين: وهو من أعلىٰ مراتب الجود، وهو أفضل ولا شك من الجود بالمال؛ لأن العلم أشرف من المال، وإن كان هذا لا يغني وليس بديلًا عن الجود

بالمال أيضًا فهو أفضل، ولكن لا يبخل صاحب العلم -إن كان غنيًّا- بالجود بماله أيضًا.

ومن علامة الجود بالعلم أن تبذله لمن لا يستحقه دون أن يسألك، فقد يستحي منك أو لعله يجهل علمك، بل تطرحه عليه طرحًا. ومن الجود في العلم أن تجعل كلامك وجوابك عن السؤال شاملًا وافيًا وليس مقتضبًا ولا محدودًا، فهؤلاء الصحابة يسألون النبي ﷺ عن طهارة ماء البحر في الوضوء فقال ﷺ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ، وَالْحِلُّ مَيْتَتُهُ». [مالك في «موطئه» (١/ ٢٢) برقم (٤١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٧٧)]، فأجابهم عن سؤالهم وجاد عليهم بما لعلهم في بعض الأحيان يكونون في حاجة إليه ليأكلوا أثناء سفرهم في البحر، وعند ذلك فحاجتهم لإنقاذ حياتهم ونفوسهم أولى.

الخامسة: الجود بالجاه والسلطان والمكانة بين الناس: كأن يشفع لأحدهم أو يمشي مع صاحب حاجة لذي سلطان ونحوه -أي تسهيل خدمة المحتاجين ممن لا يستطيعون الوصول لحاجتهم- وذلك زكاة جاهه وسلطانه.

السادسة: الجود بالبدن: وفي حديث النبي ﷺ ما يوضح ذلك؛ قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ سُلامَىٰ مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ، كُلَّ يَوْمٍ تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ تَعْدِلُ بَيْنَ الاثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَىٰ الصَّلاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الأَذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ». متفق عليه.

السابعة: الجود بالعرض: أن يُسامِحَ مَن شتمه أو سبَّه أو خاض في عرضه، وهذا النوع فيه من سلامة الصدر وسعة الخلق وراحة القلب ما فيه.

الثامنة: الجود بالاحتمال والصبر والتغاضي عن ذنوب وأخطاء الآخرين: وهو جود صعب لا يقدر عليه إلا أهل النفوس الكبار، وفيه العز والشرف.

التاسعة: الجود بالأخلاق الحسنة وطلاقة الوجه والبِشْر: وهو مع سوء أخلاق الناس أمر صعب وعالي المقام، فهو مقام فوق احتمال الأذىٰ؛ حيث يقابل السوء بالحسنىٰ، ولهذا كان صاحب الخلق الحسن يبلغ درجة الصائم القائم، وهو أفضل ما يوضع في

ميزان العبد يوم القيامة، والعبد لا يسع العباد بماله ولكن يسعهم بخلقه واحتماله.

العاشرة: الجود بالزُّهد فيما في أيدي الناس: فلا يلتفت لدنيا الناس، ولا يستشرف لها بقلبه ولا لسانه. وهذا يمنح الفقير الفرصة الكبيرة لدخول باب أفضل من جود النفس بالمال. ولهذا قيل: أفضلُ العطيَّة ما كان من مُعسِرٍ إلىٰ مُعسِرٍ.

وسُئل حكيم: مَن أجودُ الناس؟ قال: مَن جاد من قلة، وصان وجه السائل عن المذلة.

واعلم أخي أن المؤمن جواد كريم في كل أقواله، لا يرضىٰ بافتقار أحد من أقربائه أو جيرانه، وهو مع ذلك غني القلب، مستغنٍ عن الناس، وقد لا يملك من الدنيا شيئًا، إن أردت منه تنازلًا عن دينه رفض، ولكن لو خدعته في ماله واحتلت عليه انخدع لك وصدقك؛ لأنه لا يعرف المؤامرات والخداع فيظن بالناس خيرًا، ويرىٰ الآخرة خيرًا وأبقىٰ، ولا يرضىٰ بالبخل والشحِّ بديلًا عن الكرم والجود، وهو منكسر القلب، ذو هموم تشغله، ليس في سعة الدنيا الماجنة، وإنما هو خائف من ذنوبه، إذا جاءه شيء من الدنيا كان حريصًا علىٰ تفرقته علىٰ الفقراء والمساكين، وإذا زويت عنه الدنيا لم يجتهد كثيرًا في طلبها، وهذا دليل كرمه وجوده بدنياه من أجل آخرته.

ويقول جعفرٌ الصادق رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يقول: إني جَوَادٌ كريمٌ لا يُجاورني لئيمٌ.

واللؤم من الكفر وأهل الكفر في النار، والجود والكرم من الإيمان وأهل الإيمان في الجنة.

الفرق بين الكرم والجود: الكرم غالبًا ما يكون نتيجة حاجة واضحة للسائل، فصار له حق يسأل من أجله الأغنياء وأهل الكرم.

أما الجود فهي صفة ذاتية تدفع صاحبها للنفقة حتىٰ بدون حاجة السائل، فهو يعطي للفقير وللغني وللقريب والبعيد، فيبذل العطاء الكثير من غير سؤال من الآخرين.

❊ ❊ ❊

٦١- باب النهي عن البخل والشح

قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ۝١١﴾ [الليل: ٨-١١].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩، التغابن: ١٦]. وأما الأحاديث فتقدمت جملة مِنهَا في الباب السابق.

(٥٦٢/ ٦١) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «اتَّقوا الظُّلْمَ؛ فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ القِيَامَةِ. وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَىٰ أَنْ سَفَكُوا دِمَاءهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ». رواه مسلم.

* * *

(البخل والحرص والطمع)

أولا: البخل: وهو المنع والشحُّ، وامتناع البذل في كلِّ الوجوه. والبخل هو المنع من مال نفسه، أما الشح فهو بخل الرجل من مال غيره.

قال القرطبي: البخل المذموم في الشرع: هو امتناع المرء عن أداء ما أوجب الله تعالىٰ عليه. وهو خلق مكروه من جميع الناس إلا أنه في النساء أقل كراهية، بل قد يُستحب من النساء البخل بمال أزواجهن إلا أن يؤذن لهن بالإنفاق والجود، فأما سائر الناس فإن البخل يَشِينُهُم، وخاصة الملوك والأغنياء والعظماء. وقد يبخل الإنسان بماله علىٰ نفسه مع الحاجة إليه فكم من بخيل يمسك المال ويمرض فلا يتداوىٰ ويشتهي الشهوة فيمنعه منها البخل.

أسباب البُخلِ:

- **حبُّ المال وطول الأمل وحب الولد؛** قال رسول الله ﷺ: «الوَلَدُ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ مَجْهَلَةٌ مَحْزَنَةٌ» [الحاكم في المستدرك (٣/ ٣٣٥) برقم (٥٢٨٤)]، فسببه طول الأمل، والغفلة عن الأجل، والتعلُّق بالولد، حينئذ يخاف القلب وتقلُّ الثقة بما قسمه الله من الرزق، ويجمع هذا كل

خصال البخل. وهذا لمن له حظ في التدين، وأما إذا كان من أهل المعاصي فإنه يبخل بما في يديه ليستعين به علىٰ المعاصي وينفقه في غير طاعة وذلك الذي خسر الدنيا والآخرة.

-**أن يحبَّ جمع المال حبًّا للمال ذاته**، وذلك كمثل كرجل مُسِنّ لا ولد له، وعنده من المال ما لا يُحصَىٰ، ومع ذلك يخاف الإنفاقَ حتىٰ في الإحسان إلىٰ نفسه، وإنما أحبَّ المال لذاته ومعظم لذته ورغبته في جَمْع المال ورؤية كَسْبه، مع علمه أنه سوف يموت وقد ينتقل مالُه لمن لا يحبه وهذا أمر مذموم. قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾﴾ [آل عمران: ١٨٠]. وقد استعاذ منه رسولُ الله ﷺ قائلًا: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البُخْلِ» متفق عليه.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ والشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَن كَانَ قَبْلَكُم بِالشُّحِّ؛ أَمَرَهُمْ بِالبُخْلِ فَبَخِلُوا، وأَمَرَهُمْ بالقَطِيعَةِ فقطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بالفُجُورِ ففجروا». أبو داود برقم (١٦٨٩).

مصيبة المال: ومصيبة المال في ثلاثٍ:

١ - **أنه قد يجرُّ إلىٰ المعاصي**؛ لأن مَن استشعر قدرةً علىٰ المعصية وسهولةً انبعث الداعي إليها ودفعته إلىٰ الفجور وارتكاب المعاصي. والمال فيه نوع قدرة كما أن العجز عن امتلاكه قد يحول بين الإنسان والمعصية، وهذا مهم في تربية النفوس؛ ولهذا فإن فتنة السراء أعظمُ من فتنة الضراء؛ قال ﷺ: «فَوَاللهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» [متفق عليه]؛ ذلك لأن معاناة ترك المعصية مع القدرة عليها فيه صعوبة شديدة.

٢ - **وأنه يجرُّ إلىٰ التنعُّم والتعوُّد علىٰ ذلك**، وبعد التعود قد تتغير الأحوال، قال تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقد لا يتوصل إليه بالكسب الحلال فيقتحم الشبهات، ثم المداهنة والنفاق مع أهل الدنيا والرياسات والأموال؛ لأن مَن كثر ماله خالطه الناس فلا يسلم من نفاق وعداوة وحسد وغِيبة، فقد يقع في الحرام.

٣- وأنه يُلهيه ماله عن ذِكر الله؛ وهي بلوىٰ عامة؛ لأن أصلَ العبادة هو ذِكر الله تعالىٰ في كلِّ حال، والتفكر في عظمة الله، وذلك يتطلب قلبًا فارغًا؛ وصاحب المال يُمسي ويُصبح يتفكَّر في ماله، فالمزارع في الخصومات، والتاجر في الشركاء والزبائن وصاحب المال في البنك كيف استثماره، أما من عنده قُوتُ يومه فقد سلم من ذلك كله، أي من الخوف والهم والغم والتعب. وعلاجه: أَخْذ القوت منه وصَرْف باقيه إلىٰ الخيرات، وما عدا ذلك سمومٌ وآفات؛ قال النبي ﷺ: «**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ وَرُزِقَ كَفَافًا وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ**». مسلم برقم (١٠٥٤).

قال أبو **حازم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ثلاثٌ مَن كُنَّ فيه كَمُل عقله: من عرف نفسه، وحفظ لسانه، وقنع بما رزقه الله عَزَّ وَجَلَّ. قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن البخل قد يؤدي إلىٰ أربعة أخلاق ذميمة وهي: الحرص والشره وسوء الظن ومنع أداء الحقوق.

قصة: يُروىٰ أن أحدَ الصالحين نزل ضيفًا علىٰ صديقٍ له من البخلاء، وما أن وَصَل الضيفُ حتىٰ نادىٰ البخيلُ ابنَه وقال له: يا ولد، عندنا ضيف عزيز علىٰ قلبي، فاذهب واشترِ لنا نصفَ كيلو لحم من أحسن لحم. ذهب الولدُ وبعد مدة عاد ولم يشترِ شيئًا، فسألَه أبوه: أين اللحمُ؟ فقال الولد: ذهبتُ إلىٰ الجزار وقلت له: أعطنا أحسن ما عندك من لحم. فقال الجزار: سأعطيك لحمًا كأنه الزبد. قلت لنفسي: إذا كان كذلك فلماذا لا أشتري الزُّبْد بدل اللحم؟! فذهبتُ إلىٰ البَقَّال وقلتُ له: أعطنا أحسنَ ما عندك من الزُّبْد. فقال: أُعطيك زبدًا كأنه الدِّبس (عسل التمر). فقلتُ: إذا كان الأمرُ كذلك فالأفضلُ أن أشتريَ الدِّبْس، فذهبتُ إلىٰ بائع الدِّبْس وقلت: أعطنا أحسنَ ما عندك من الدِّبْس. فقال الرجلُ: أُعطيك دبسًا كأنه الماءُ الصافي. فقلتُ لنفسي: إذا كان الأمرُ كذلك فعندنا ماءٌ صافٍ في البيت. وهكذا عدت دون أن أشتري شيئًا. قال الأبُ: يا لك من صبي ماهرٍ، ولكن فاتك شيءٌ، لقد استهلكت حذاءك بالجري من دُكَّانٍ إلىٰ دكان؟ فأجاب الابن: لا، فقد لبستُ حذاءَ الضيف. اهـ.

ثانيا: الحرص: الحرصُ: هو شِدَّةُ الكدح والتعب والإسراف في طلب المال، مع الإعراض عن أعمال الآخرة، علىٰ الرغم من أن الدنيا لا تُذَمُّ ذمًّا مطلقًا؛ لأن اللهَ وَضَع في

الطباع تَوَقانَ النفس إلىٰ ما يُصلحها.

لذلك نقول: صلاحُ دنيا الناس فيه معونة علىٰ صلاح دينهم، فللإنسان في الدنيا المسكن والمطعم والملبس والمشرب والمركب والمنكح، فصلاح هذه الأشياء إنما هو توطئةٌ لصلاح دينه، فسعادة المرء في أربعة: الزوجة الصالحة، والمسكن الصالح، والمركب الصالح، والجار الصالح. وقال حكيم: لا تخرج نفسٌ من الدنيا إلا بحسرات ثلاث: لم تشبع مما جمعت، ولم تدرك ما أمَّلت، ولم تُحسن الزاد لما أقدمت عليه. قيل لحكيم: ما الغِنَىٰ؟ قال: تَمَنِّيك ورِضَاكَ بما يكفيك، واستغناؤك عن الشيء خيرٌ من استغنائك به.

والحرص غيرُ زائدٍ في الرزق. وقد قيل: من لم يُجزئه من العيش ما يكفيه لم يجد من العيش ما يُغنيه. وقيل: والناس رجلان: طالبٌ لا يجد، وواجدٌ لا يكتفي.

وقيل: أغنىٰ الأغنياء من لم يكن للحرص أسيرا وأفقر الفقراء من كان الحرص عليه أميرًا.

ومما جُبِلت عليه النفوس، الحرص علىٰ طلب الممنوع، فالمرء حريص علىٰ ما منع.

وقيل: النهىٰ عن الشيء داع إلىٰ تعاطيه، والممنوع مرغوب.

فيحرص الإنسان علىٰ ما مُنِع لأنه يطلب ما ليس عنده، والطلب دائمًا يتوجَّه للمعدوم والمفقود، لا الموجود، فإذا حصَّله سكنت نفسه وأما الشيء المبذول الرخيص فإنما يرغب عنه ولا يشتهيه لأنه إذا أراده وجده. قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: من وثق بماء لم يظمأ به. والصائم في رمضان يرغب في الطعام والشراب بعكس أيام الفطر تماما لهذا السبب. وفي قصة آدم ﷺ وأكله من الشجرة الممنوعة عبرة لنا.

قال عليُّ بن أبي طالب ﷺ: الدنيا دارُ صِدْقٍ لمن صدقها، ودار نجاة لمن فَهِم عنها، ودار غِنًىٰ لمن تَزَوَّد منها. وقال: ليس من الرغبة في الدنيا (أي: الرغبة المذمومة) اكتسابُ ما يصون العِرض فيها وقال: ليس من الحرص (أي: المذموم) اجتلاب (أي: طلب) ما يقوت البدن.

وصلاح الدنيا قد يكون إنما بأن تُعطَىٰ قدرها، فطريق الاعتدال في أخذ الإنسان من الدنيا قدر ما يحتاج إليه، حتىٰ إن كان مُشتهًىٰ؛ فإن إعطاء النفس بعض ما تشتهيه في بعض الأحيان قد يكون عونًا لها وقضاءً لحقها. وكان سفيانُ الثوري: يأكل في أوقاتٍ طيِّبَ

الطعام ويحمل معه في السفرِ الحلوىٰ. وكان إبراهيمُ بن أدهم يأكل من الطيبات في بعض الأوقات، ويقول: إذا وَجَدنا أكلنا أكل الرجال، وإذا عَدِمْنا صَبرْنا صَبرَ الرجال.

وكان أصحابُ النبيِّ ﷺ علىٰ غير إفراط ولا تفريط في حقوق نفوسهم، ويجب ملاحظة النفس، فإن في المشتهىٰ حِفظَ النفس وإصلاحها، ونشاطها للخير، فالمال لا يُذَمُّ لذاته، بل قد يُمدَح؛ للتوصُّل به إلىٰ مصالح الدين والدنيا.

قال سعيد بن المُسيَّب رَحِمَهُ اللَّهُ: لا خيرَ فيمن لا يُريد جَمْع المال من حِلِّه يكفيه وَجْهَه عن الناس، ويصل به رحمه، ويُعطي منه حقَّه، كانوا يرون الشفعة (أي: النصرة والمساعدة المالية) عونًا علىٰ الدين. وقال سفيان الثَّوْريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: المال في زماننا هذا سلاحُ المؤمن.

أسباب ذَمِّ المالِ: يُذَمُّ المال بسبب فعل الإنسان من خمسة وجوه:

١- إما بسبب شدة حرصه في طلبه، حتىٰ تضيعَ به أعمال الآخرة المطلوبة منه ويصبح قَصْدُه وهدفه جَمْعَ المال فقط.

٢- أو الحصول عليه بطريق غير مشروع.

٣- أو حَبْسه عن حقه، فلا ينفق علىٰ من وجب عليه ولا يتصدق منه علىٰ من يستحق.

٤- أو إخراجه في غير وجهه، فيستعمله فيما يغضب الله.

٥- أو المفاخرة به علىٰ الناس إعجابًا بنفسه.

قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنفال: ٢٨]. قال ﷺ: «ما ذِئْبانِ جائِعانِ أُرْسِلا في غَنَمٍ أَفْسَدَ لَهُ مِنْ حِرْصِ المَرْءِ علىٰ المَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ» أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٦) برقم (١٥٨٢٢).

وكان الصحابة يخافون مِن فَتْح الدنيا، فهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لما رأىٰ الفتوح يبكي ويقول: ما حبس اللهُ عن نبيِّه ﷺ وأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لشرٍّ أراده الله بهما أو أعطاه لعمر إرادةَ الخير به.

ويقول يحيي بن معاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الدِّرهم عقرب، فإن لم تُحسن رُقْيته فلا تأخذه، فإنه إن لدغك قتلك سُمُّه. قيل: وما رُقْيته؟ قال: أَخْذه مِن حِلِّه وإخراجه في حقِّه.

والمال عند موت العبد يُؤخذ منه كله ويُحاسب عليه كله.

ثالثا: الطمع: الطمعُ طَمَعَانِ: طمعٌ محمود: وهو الرجاءُ في رحمة الله وتوقُّع الخير، كما قال إبراهيمُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨٢].

وطمعٌ مذموم: وهو الطمع في حُطَام الدنيا، أي فوق ما يحتاج هو وأهله، كمَالٍ عارضٍ أو منصبٍ زائل. والطمع المذموم هو تعلُّق القلب بالشيء دون أسباب سابقة له، وهو بمعنىٰ الأمل.

وكما قيل: العبد حرٌّ ما قَنَع، والحُرُّ عبدٌ ما طمع. وقيل: الطمع يُذِل الأميرَ، واليأس يعِزُّ الفقيرَ. وقيل: الطمع أوله شكٌّ في المقدور، وأوسطه اكتسابٌ للذل وآخره حرمان.

وعن النبي ﷺ قال: «لَوْ كَانَ لِابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ مَالٍ لَابْتَغَىٰ ثَالِثًا، وَلَا يَمْلَأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إِلَّا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَىٰ مَنْ تَابَ» متفق عليه. وسببُ طمع الإنسان الشَّرَهُ، الذي هو رغبة الاستكثار من المال لغير حاجة حقيقية، فلا يقنع بما أُوتي وإن كان كثيرًا، ولا يستكفي بما مُنع وإن كان حقيرًا، وهذا حالُ من لا يرىٰ لنفسه قدرًا، ويرىٰ المالَ أعظمَ خَطَرًا، فالمالُ عنده أجلُّ، ونفسُه عليه أقلُّ، فلا يسمع لتأنيبٍ ولا يقبل لتأديبٍ. والأمل هو توقُّع حصول الشيء رغم استبعاد حصوله، وطول الأمل هو الحرص علىٰ الدنيا والانكباب عليها والحبُّ لها مع كثرة الإعراض عن الآخرة.

قصة: رُوي أن عيسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان معه صاحب في بعض أسفاره، فأصابهما الجوع وقد انتهيا إلىٰ قرية، فقال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام لصاحبه: انطلق فاطلب لنا طعامًا من هذه القرية. وأعطاه ما يشتري به. فذهب الرجل، وقام عيسىٰ عليه الصلاة والسلام يصلي، فجاء بثلاثة أرغفة، فقعد ينتظر انصراف عيسىٰ من الصلاة، فأبطأ عليه فأكل رغيفًا، وكان عيسىٰ عليه الصلاة والسلام رآه حين جاء ورأىٰ الأرغفة ثلاثة، فلما انصرف من صلاته لم يجد إلا رغيفين، فقال له: أين الرغيف الثالث؟ فقال الرجل: ما كانا إلا

رغيفين. فأكلاهما. ثم مَرَّا علىٰ وجوههما حتىٰ أتيا علىٰ إبل وغنم ترعىٰ، فدعا عيسىٰ عليه الصلاة والسلام واحدًا منها فجاءه، فذبحه وأكلا منه، فقال له عيسىٰ: بالذي أراك هذه الآية مَن أكل الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانا إلا اثنين.

ثم مَرَّا علىٰ وجوههما حتىٰ جاءَا قريةً، فدعا عيسىٰ ربَّه أن يُنطِق له من يُخبره عن حال هذه القرية، فأنطق الله له لَبنَةً، فسألها عيسىٰ فأخبرته بكل ما أراد، وصاحبُه يتعجَّب مما رأىٰ، فقال له عيسىٰ: بحق من أراك هذه الآية، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانا إلا اثنين.

فمَرَّا علىٰ وجوههما حتىٰ انتهيا إلىٰ نهر شديد التهيج، فأخذ عيسىٰ صلوات الله عليه بيد الرجل ومشىٰ به علىٰ الماء حتىٰ جاوز النهر، فقال الرجل: سبحان الله! فقال عيسىٰ عليه الصلاة والسلام: بالذي أراك هذه الآية، مَن صاحب الرغيف الثالث؟ فقال: ما كانا إلا اثنين.

فمَرَّا علىٰ وجوههما حتىٰ أتيا قريةً عظيمة خَربَة، وإذا قريب منها ثلاث لَبنات عظام، وقيل: ثلاثة أكوام من الرمل، فقال لها: كوني ذهبًا بإذن الله. فكانت، فلما رآها الرجل قال: هذا مال! فقال عيسىٰ: نعم، واحدة لي، وواحدة لك، وواحدة لصاحب الرغيف الثالث. فقال الرجل: أنا صاحب الرغيف الثالث.

فقال عيسىٰ عليه السلام: هي لك كلها. ثم فارقه عيسىٰ. وأقام الرجل بجوار الذهب ليس معه ما يحمل ذلك الذهب عليه، فمَرَّ به ثلاثة نفر فقتلوه، فقال اثنان منهما للثالث: انطلق إلىٰ القرية فأتنا بطعام. فانطلق، فلما غاب قال أحدهما للآخر: إذا جاء قتلناه واقتسمنا المال بيننا. فقال الآخر: نعم. وأما الذي ذهب ليشتري الطعام فإنه أضمر لصاحبيه السوء وقال: أجعل لهما في الطعام سُمًّا، فإذا أكلاه ماتا وآخُذُ المال لنفسي. فوضع السم في الطعام وجاء، فقاما إليه فقتلاه وأكلا الطعام فماتا.

فمَرَّ بهم عيسىٰ عليه السلام وهم مصروعون حولهم فقال: هكذا الدنيا تفعل بأهلها. اهـ.

وفي الحديث: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ» [ابن ماجه برقم (٤١٠٢)]، فلا يُقبَل الرجل حتىٰ يُعِفَّ نفسه عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم.

❋ ❋ ❋

٦٢- باب الإيثار والمواساة

قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنسان: ٨].

(٥٦٣/ ٦٢) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ، فقَالَ: إِنِّي مَجْهُودٌ (أي: أصابني جهد ومشقة من الجوع). فَأرسَلَ إِلَىٰ بَعْضِ نِسَائِهِ، فقالت: وَالَّذي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ، ثُمَّ أرسَلَ إِلَىٰ أُخرىٰ، فَقَالَتْ مِثل ذَلِكَ، حَتَّىٰ قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثل ذَلكَ: لا وَالَّذِي بَعَثَكَ بالحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ. فَقَالَ النبي ﷺ: «**مَنْ يُضَيِّفُ هَذَا اللَّيْلَةَ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأنْصارِ: أنَا يَا رسولَ الله، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَىٰ رَحْلِهِ، فَقَالَ لامْرَأَتِهِ: أكرِمِي ضَيفَ رسول الله ﷺ.

وفي روايةٍ: قَالَ لامْرَأَتِهِ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فقَالَتْ: لَا، إِلَّا قُوتَ صِبيَانِي. قَالَ: فَعَلِّلِيهِم بِشَيْءٍ، وَإِذَا أَرَادُوا العَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ، وَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئِي السِّرَاجَ، وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ. فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**لَقَدْ عَجِبَ** (أي: عجبًا يليق بجلاله وكأنه الرضا) **اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ**». متفق عليه.

(٥٦٤/ ٦٢) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**طَعَامُ الاثْنَيْنِ كَافِي الثَّلَاثَةِ، وَطَعَامُ الثَّلَاثَةِ كَافِي الأَرْبَعَةِ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلمٍ عن جابر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَة يَكْفِي الثَّمَانِيَةَ**».

(٥٦٥/ ٦٢) وعن أَبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ فِي سَفَرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجَعَلَ يَصرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ** (أي: من كان معه ما يُركَب عليه من دواب ونحوها زائدة عن حاجته) **فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لا ظَهرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضلٌ مِنْ زَادٍ، فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لا زَادَ لَهُ**». فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المالِ مَا ذكر حَتَّىٰ رَأَيْنَا أَنَّهُ لَا حَقَّ لأَحدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ (أي: فيما يزيد عن الحاجة). رواه مسلم.

(٥٦٦/ ٦٢) وعن سهل بن سعدٍ رضي الله عنه: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ إِلَىٰ رسول الله ﷺ بِبُرْدَةٍ مَنْسُوجَةٍ، فَقَالَتْ: نَسَجْتُها بِيَدَيَّ لأَكْسُوكَهَا، فَأَخَذَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحتَاجًا إِلَيْهَا، فَخَرَجَ إِلَيْنَا وَإِنَّهَا

إِزَارُهُ (أي: الإزار: ما يُلبس في أسفل البدن لستر العورة)، فَقَالَ فُلانٌ: اكْسُنِيهَا مَا أَحْسَنَهَا! فَقَالَ: «نَعَمْ». فَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ فِي المَجْلِسِ، ثُمَّ رَجَعَ فَطَوَاهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ الْقَومُ: مَا أَحْسَنْتَ! لَبِسَهَا النَّبِيُّ ﷺ مُحتَاجًا إِلَيْهَا، ثُمَّ سَأَلْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لا يَرُدُّ سَائِلًا. فَقَالَ: إِنِّي وَاللهِ مَا سَأَلْتُهُ لأَلْبَسَهَا، إِنَّمَا سَأَلْتُهُ لِتَكُونَ كَفَنِي. قَالَ سَهْلٌ: فَكَانَتْ كَفَنَهُ.

رواه البخاري.

(٥٦٧/ ٦٢) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِم بِالمَدِينَةِ، جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**». متفق عليه. «أَرْمَلُوا»: فَرَغَ زَادُهُمْ أَوْ قَارَبَ الفَرَاغَ.

* * *

(الإيثار)

الإيثار: هو تقديمُ الشيء للآخرين، وهو ضدُّ الشُّحِّ. فالأثيرُ عندك هو الكريم عليك، الذي تُؤثِره وتخصه بفَضْلك وصِلَتِك. والمُؤثِر علىٰ نفسه هو التارك لما هو محتاج إليه لغيره كي ينتفع به. والإيثار: هو تقديم الغير علىٰ النفس في حظوظ الدنيا المختلفة؛ رغبةً وطلبًا للآخرة وحظوظها في الجنة، ويكون ذلك بقوة الثقة بالله، ومحبة الخلق، والصبر علىٰ المشقات.

درجاتُ الإيثارِ: قال ابن القيم رحمه الله ما معناه:

الأولىٰ: أن تُؤثِر الخَلْق علىٰ نفسك، فتُقدِّمهم بما لا يضيع في ذلك دينُك: فقد يُؤثِر العبدُ غيرَه بكلِّ مالِه، فيقعد مَلُومًا مَحسورًا يتكفَّف ويطلب من الناس سؤالًا وذِلَّةً ما يكفيه من حاجته، وهذا لا يجوز في الدين، فلا تجعلِ الإيثارَ سببًا لضياع دينك، ولا تجعل الإيثار سببًا لتعطيل سيرك إلىٰ الله بالطاعات. فلا تجلس مثلًا مع صديق لك وتُؤثره بذلك علىٰ مجلسِ ذِكْر وفِكْر قد أعددته لله تحت شعار الإيثار؛ فإياك أن يشغلك صديقُك في السفر عن صحبة الرفاق؛ فتضيع تحت شعار الإيثار.

ولا تجعل الإيثارَ يُفسد وقتك، فتشغل نفسك في قضاء مصالح الناس بدرجة يضيع

معها كلَّ وقتك، فاجعل لنفسك ميزانًا تزن به المصالح والمضار، والأولىٰ فالأولىٰ دون أن يتعارض ذلك مع صفات الإيثار والجود والكرم.

الثانية: إيثار رضا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ رضا غيره: حتىٰ وإن عَظُمت فيه المحن والبلايا، وثقلت فيه المسئولية والتَّبِعات علىٰ العبد، فهو يُريد رضا الله تبارك وتعالىٰ ولو غضب الخلق جميعًا، وهي درجة الرسل الكرام، وأعلاهم نبيُّنا محمدٌ صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإنه تجرَّد للدعوة إلىٰ الله وقاوم كلَّ الدنيا، واحتمل عداوةَ القريب والبعيد كما أَمَره ربه تعالىٰ، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم، فكان همه تبليغ رسالة الله وإعلاء كلمته، وجهاد المعاندين الجاحدين الرافضين، كما رُوِيَ عن عقيل بن أبي طالب مرفوعًا: «وَاللهِ لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ فِي يَمِينِي وَالْقَمَرَ فِي يَسَارِي مَا تَرَكْتُ هَذَا الأَمْرَ حَتَّىٰ يُظْهِرَهُ اللهُ أَوْ أَهْلِكَ دُونَهُ». البيهقي في دلائل النبوة (١/ ٦٦). فتمَّت به نعمة الله؛ حيث بلَّغ الرسالة، وأدَّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في سبيل ربِّه حقَّ جهاده حتىٰ موته الشريف، فنال بذلك أعلىٰ درجات الإيثار.

واعلم أن مَن أَرْضىٰ اللهَ في سخط الناس رضي الله عنه وأرضىٰ عنه الناسَ، ومَن أسخط اللهَ في رضا الناس سخط الله عليه وأسخط عليه الناس. ومع ذلك، فإن رضا الخلق جميعًا مستحيل، وقد قال بعضُ السلف: لَمُصَانَعَةُ وجه واحد (أي: التذلل والمسكنة لوجه واحد، وهو الله) أيسرُ عليك من مُصانَعة وجوهٍ كثيرة (أي: يقصد الخلق)، إنك إذا صانعتَ ذلك الوجه الواحد (أي: وهو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ) كفاك الوجوهَ كلَّها.

وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: رضا الناس غايةٌ لا تُدرَك، فعليك بما فيه صلاح نفسك فَالْزَمْهُ.

الثالثة: أن تنسب فضل الإيثار لله رب العالمين: فهو الذي أمدك بهذه النعمة وتلك الصفة الكريمة، فهو المعطي والمانع علىٰ وجه الحقيقة، وهذا أعلىٰ درجات الإيمان واليقين.

الأسباب المعينة على الإيثار:

أولها: **معرفة الحقوق والواجبات ومعرفة فقه الأولويات**: ولا يكون هذا إلا بالعلم

والتعلُّم ومصاحبة أهل الفضل والصفات الكريمة.

الثاني: **تعظيم حقوق وحرمات الآخرين**: فإن عظمت عنده قام بواجبها ورعاها حق رعايتها، واستعظم إضاعتها، ولا يكون هذا إلا بمجالس الإيمان، وفضائل الأعمال، ومعرفة ثواب الطاعات، وأداء الحقوق، وفعل الواجبات.

الثالث: **أن يكره البخلَ والشُّحَّ**، ويعلم أن خَلَاصَه في الكرم والجود والإيثار، ويأتي ذلك بمعرفة وَتَعلُّم الأمور المنهي عنها مما لا يسع المسلم جهله؛ ليعرف مصائب الذنوب والأخلاق السيئة.

الرابع: **الحرص علىٰ الأخلاق الكريمة والرغبة فيها**: وهذا يكون بمصاحبة أهل الخلق الكريم والجلساء الصالحين، والبعد عن رفقاء السوء، وحضور مجالس الإيمان واليقين.

السخاء والجود والإيثار: والسخاء أعلىٰ مراتب العطاء، وهذه المراتب هي:

الأولي: ألا يَصْعُب علىٰ نفسه العطاء والبذل، وهذه مرتبة السخاء.

الثانية: أن يعطي أكثر مما يبقي لنفسه، أو حتىٰ يُبقي لنفسه مثلما أعطىٰ، فهذا هو الجود.

الثالثة: أن يقدم غيره علىٰ نفسه ويؤثره بالشيء مع حاجته الشخصية إليه، وهذا هو الإيثار.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩]. واعلم أن الإيثار عكس الأثرة: فالأثرة تعني منعك عن أخيك ما يحتاج إليه، والإيثار كما علمت أن تقدم أخاك علىٰ نفسك.

فعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا (أي: فني طعامهم) فِي الْغَزْوِ أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ». متفق عليه. اللهم اجعلنا مثلهم.

وكان قيس بن سعد بن عُبَادة من المعروفين بالجود، وقد مرض مرةً فوَجَد من إخوانه تباطؤًا في زيارته فتعجَّب وسأل عنهم، فقالوا: إنهم كانوا يستحيون من زيارتك؛ لكثرة ديونك عليهم. فقال: أخزىٰ اللهُ مالًا يمنع الإخوان عن الزيارة. ثم أمر مناديًا يُنادي: مَن كان عليه مالٌ لقيس بن عبادة فهو في حِلٍّ. فما أمسىٰ حتىٰ كُسِرت عتبةُ بابه؛ لكثرة زُوَّاره.

قصص في الإيثار:

قصة: وتأمل معي قوة الإيثار عند الموت، فهذا حُذَيفة العَدَويُّ يروي قائلًا: انطلقت يوم اليرموك أطلب ابن عمٍّ لي ومعي شيء من ماء- وكان في الجرحىٰ- وأنا أقول: إن كان به رَمَقٌ (أي: لا يزال حيًّا) سقيته ومسحت به وجهه. فإذا أنا به فقلت: أسقيك؟ فأشار إليَّ أن نعم. فإذا رجل يقول: آه. فأشار ابنُ عمي إليَّ أن أنطلق به إليه، فجئته، فإذا هو هشام بن العاص، فقلت: أسقيك؟ فسمع به آخر فقال: آه. فأشار هشام: أن أنطلق به إليه، فجئته فإذا هو قد مات، فرجعت إلىٰ هشام فإذا هو قد مات، فرجعت إلىٰ ابن عمي فإذا هو قد مات. رحمة الله عليهم أجمعين، وما أعظمهم من رجال! اهـ.

قصة: وسأل مسكينٌ عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي صائمة وليس في بيتها إلا رغيف خبز، فقالت لخادمتها: أعطيه إياه. فقالت: ليس لك ما تُفطرين عليه. وكانت صائمةً، فقالت: أعطيه إياه. ففعلت، فلما أمسَوْا أهدىٰ لهم أهلُ بيتٍ شاةً، فقالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لخادمتها: الآن كُلِي من هذا، فهو خير لك من قرصك. اهـ.

وسُئل ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حدُّ الزاهد المنشرح صدره؟ قال: ثلاث: تفريق المجموع (أي: إنفاق أمواله التي جمعها) وترك طلب المفقود (أي: الزهد في طلب ما فقده من دنياه) والإيثار عند الموت (أي: تقديم الغير علىٰ النفس وقت الشدة).

قصة: وحُكي عن أحدهم أنه اجتمع عنده أكثرُ من ثلاثين رجلًا ومعهم أرغفة معدودة لا تشبع جميعهم، فماذا فعلوا؟ فقاموا بكسر الأرغفة، وأطفئوا السراج (ما يُستضاء به)، وجلسوا للطعام، فماذا حدث؟ فلما أناروا السراج وجدوا الطعام بحاله لم يأكل منه أحد

شيئًا إيثارًا لصاحبه علىٰ نفسه. ونقول اليوم: أين هؤلاء ليصلحوا عالمنا اليوم؟! اهـ.

قصة: وقال عمر ﵁: أُهدي لرجلٍ من أصحاب رسول الله ﷺ رأسُ شاة، فقال: إن أخي كان أحوجَ مني إليه. فبعث به إليه، فلم يزل كل واحد يبعث به إلىٰ آخر حتىٰ تداوله سبعةُ أبياتٍ ورجع إلىٰ الأول. اهـ.

وقال الإمام الغزالي ﵀: الإيثار أعلىٰ درجات السخاء.

وفي أمثالهم قال الله تعالىٰ: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

والإيثار دليل كمال الإيمان، وطريق محبة الأهل والإخوان والجيران، ويُرجىٰ لصاحبه حسن الخاتمة ودعاء إخوانه له.

* * *

٦٣- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [المطففين: ٢٦].

(٥٦٨/ ٦٣) وعن سَهْلِ بن سَعدٍ ﵁: أَنَّ رسول الله ﷺ أُتِيَ بِشَرابٍ، فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ الأَشْيَاخُ، فَقَالَ لِلغُلَامِ: «أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلاءِ؟» فَقَالَ الغُلَامُ: لَا وَاللهِ يَا رسولَ الله، لا أُوثِرُ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا. فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ فِي يَدِهِ. متفق عليه.

«تَلَّهُ» بالتاءِ المثناة فوق، أي: وَضَعَهُ. وَهذَا الغُلَامُ هُوَ ابنُ عَبَّاسٍ ﵄.

(٥٦٩/ ٦٣) وعن أَبي هريرة ﵁: عن النبي ﷺ قَالَ: «بَيْنَا أَيُّوبُ ﵇ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ ﷿: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَىٰ؟! قَالَ: بَلَىٰ وَعِزَّتِكَ وَلَكِنْ لَا غِنَىٰ بِي عن بَرَكَتِكَ». رواه البخاري.

٦٤- باب فضل الغني الشاكر، وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥- ٧].

وقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ۝١٧ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝١٨ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ۝١٩ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٠ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ۝٢١﴾ [الليل: ١٧ - ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝٢٧١﴾ [البقرة: ٢٧١].

وقال تعالى: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ۝٩٢﴾ [آل عمران: ٩٢]. والآيات في فضل الإنفاقِ في الطاعاتِ كثيرة معلومة.

(٥٧٠/ ٦٤) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ (أي: إنفاقه في الطاعات)، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفق عليه، وتقدم شرحه قريبًا.

(٥٧١/ ٦٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قَالَ: «لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْن: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». متفق عليه. «الآناء»: السَّاعاتُ.

(٥٧٢/ ٦٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رسول الله ﷺ، فَقَالُوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَا، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، فقَالَ: «وَمَا ذَاكَ؟» فَقَالوا: يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُونَ وَلَا نَتَصدَّقُ، وَيَعْتِقُونَ وَلَا نَعْتِقُ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أَفَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَلَ مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟» قالوا: بَلَىٰ يَا رسول الله. قَالَ: «تُسَبِّحُونَ وَتَحْمَدُونَ وَتُكَبِّرُونَ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ مَرَّةً». فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرِينَ إِلَىٰ رسول الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهلُ الأَموالِ بِمَا فَعَلْنَا، فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». متفق عليه، وهذا لفظ رواية مسلم.

«الدُّثُور»: الأَمْوَالُ الكَثِيرَةُ. وَالله أعلم.

* * *

(الشُّكْرُ)

رُوِي في الأثر أنه: «يُنَادَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: لِيَقُمِ الحَمَّادُونَ، فَتَقُومُ زُمْرَةٌ، فَيُنْصَبُ لَهُمْ لِوَاءٌ،

فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةِ». قيل: ومن الحمَّادون يا رسول الله؟ قال: «الَّذِينَ يَشْكُرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ كُلِّ حَالٍ». العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٢٠) برقم (٣٧٠٩).

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: الشُّكر نصفُ الإيمان.

حقيقةُ الشكر: وحقيقة الشكر أن يعلم الشاكر أن النعمَ كلَّها من الله، وهو المنعم حقًّا، وأن الوسائط كلها مُسَخَّرة من قبل الله تعالىٰ، فلا يكون شكر إلا بأن تعرف أن الكل منه، وهو ما يعرف بالعلم بأن النعمة من المنعم.

وروي أن موسىٰ عليه السلام قال في مناجاته لربه: إلهي خلقتَ آدمَ بيدك، وفعلت وفَعَلْت، فكيف شَكَرَك (أي: آدم)؟ فقال اللهُ عز وجل: علم آدم أن كلَّ ذلك مني فكانت معرفته بذلك شكرًا.

ومن حقيقة الشكر أيضًا: أن تفرح بالمُنعِم لا بالنعمة نفسها. وقال أحدُ الصالحين: الشكر رؤية المُنعِم لا رؤية النعمة. وقال الخوَّاص رحمه الله: شكرُ العامة علىٰ الطعام والشراب واللباس، أما شكر الخاصة فعلىٰ ما يَحِلُّ من معرفة بالقلوب (أي: من حب لله وتذلل له).

وكم مِن فرق بين من يريد رضا الله ليُنعِم عليه بنعم الدنيا (وهذا جائز) ومن يريد نعم الله ليرضيه سبحانه وتعالى بها، وهذا هو الأعلىٰ والأكمل. وكلُّ عبدٍ سُئل عن حالٍ فهو بين أن يشكر أو يشكو أو يسكت؛ فالشكر طاعة، والشكوىٰ المذمومة معصية قبيحة من أهل الدين، وذلُّ العبد لمولاه عِزٌّ، والشكوىٰ إلىٰ غيره ذل، وإظهار الذل للعبد مع كونه عبدًا مثله ذل قبيح.

والشكر سبب للزيادة؛ حيث قال الله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧]. وكلُّ مَن استعمل شيئًا في جهة غير الجهة التي خلق لها، ولا علىٰ الوجه الذي أريد به فقد كفر فيه نعمة الله تعالىٰ، وهذا غير كفر التوحيد والاعتقاد، كقوله تعالىٰ: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ١١٢﴾ [النحل: ١١٢].

فمَن ضرب غيره بيده في غير حقٍّ فقد كفر نعمة اليد؛ إذ خُلِقت ليدفع بها عن نفسه، ويأخذ ما ينفعه، لا ليهلك بها غيره، ومن نظر إلىٰ وجه لا يحل له فقد كفر نعمة العين ونعمة الضوء؛ إذ بهما يبصر الأشياء فيما ينفعه في دينه ودنياه، ويتقي بهما ما يضره فيهما.

ذلك لأن المرادَ مِن خَلْق الخَلْق وخَلْق الدنيا وأسبابها أن يستعينَ الخَلْقُ بهما في الوصول إلىٰ الله تعالىٰ، فكلُّ مَن استعمل شيئًا في غير طاعة فقد كفر نعمة الله فيها.

وحقيقة الشكر أيضًا: أن يكونَ العبدُ مُستعمَلًا ومُشتغلًا في إتمام حكمة الله تعالىٰ.

وأكثر العباد شكرًا لله أحبُّهم إلىٰ الله تعالىٰ وأقربهم إليه، وأقرب الخلق إلىٰ الله: الملائكة، فهم جميعًا كرام بررة، أصلح الله بهم الأنبياء والمرسلين الذين هم بدورهم أشرف خلق الله علىٰ الأرض، فهم أخيار، وهَدَىٰ الله بهم سائر الخلق، وتمم بهم حكمته، وأكملهم وأعلمهم رتبة نبينا محمد ﷺ؛ إذ كمل به الدين، وختم به النبيين. كما في الإحياء للغزالي. ويلي ذلك العلماء الذين هم دون الأنبياء، فهم صالحون مصلحون، أصلح الله بهم سائر الخلق، ودرجاتهم بقدر إصلاحهم لأنفسهم ودعوتهم وإصلاحهم لغيرهم من الناس. ثم يليهم الملوكُ والسلاطينُ الذين يحكمون بالعدل؛ لأنهم أصلحوا دنيا الخلق كما أصلح العلماء دينهم، ثم يأتي الصالحون الذين أصلحوا دينهم ونفوسهم فقط، فلم تتم حكمة الله بهم في الناس، بل تمت فيهم؛ حيث اجتهدوا علىٰ نجاة نفوسهم فقط.

ومن عدا ذلك من الناس فهم رعاع وهمج لا قيمة لهم عند الله. ولا يتمُّ الشُّكر إلا بمعرفة نِعَم الله الكثيرة كما قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: ٣٤]. واعلم أن كلَّ خيرٍ ولذة وسعادة، بل كل مطلوب ومرغوب، فإنه يسمىٰ نعمة وسعادة إما غلطًا وإما مجازًا، واعلم أن تمام النعمة هو دخول الجنة.

وقيل: إن العبد يحتاج ليقترب من ربِّه إلىٰ **أربعةٍ**: **علم ومعرفة الله تعالىٰ، وعلم الأحكام الشرعية، وصفة العفة، والعدالة**. ولا يتمُّ كمال هذه الأربع إلا بفضائل في البدن، وهي أربع: الصحة، والقوة الجسمانية، والجمال في الهيئة، وطول العمر. ولا يتم منفعتها إلا بأربع خارجية، وهي: المال الحلال، والأهل المحبون، والجاه (أي: امتلاك قلوب الناس) وشرف العائلة والنسب. ولا ينتفع بذلك إلا بأربع أيضًا، وهي: هداية الله، ورشده، وتسديده، وتأييده. ولذلك قال الرسولُ ﷺ: «نِعْمَ الْـمَالُ الصَّالِحُ للرَّجل الصَّالِحِ». أحمد في مسنده (٤/ ١٩٧) برقم (١٧٧٩٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في تحقيق مشكاة، حديث (٣٧٥٦).

ورُوي أيضًا: «نِعْمَ الْعَونُ عَلَىٰ تَقوَىٰ الله المالُ». الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب (٤/ ٢٥٦) برقم

(٦٧٥٦). فمَن عَدِمَ المالَ استغرق وقتَه في طلب المعاش وضروراته، وتعرَّض أيضًا للذلة والسؤال، ولعله يُحرَم من فضيلة الحج والجهاد والزكاة والصدقات وإفاضة الخيرات.

وقال بعضُ العلماء وقد سُئل: ما النعيم؟ قال: الغِنَىٰ؛ فإني رأيتُ الفقيرَ لا عيش له. قيل: زِدْنا. قال: الأمن؛ فإني رأيتُ الخائف لا عيش له. قيل: زدنا. قال: العافية؛ فإني رأيتُ أن المريض لا عيش له. قيل: زدنا. قال: الشباب؛ فإني رأيت الهَرِمَ لا عيش له.

وهذا يُذكِّرنا بأبلغ المقال حين قال ﷺ: «مَنْ بَاتَ آمِنًا فِي سِرْبِهِ، مُعَافًىٰ فِي بَدَنِهِ، عِنْدَهُ قُوتُ يَوْمِهِ؛ فَقَدْ حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا». الترمذي برقم (٢٣٤٦).

وكلُّ ما يفرغ قلبك من ضرورات الحياة فهو مُعِين لك علىٰ الدِّين؛ فالدين والسلطان توءمان كما قال تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١]، وقال ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ». أحمد في مسنده (٤/ ١٩٠) برقم (١٧٧٣٤)، الترمذي برقم (٢٣٢٩)، وقال: حديث حسن، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٩٧).

وهذا عمر رضي الله عنه يقول: إذا بعثتم رسولًا فاطلبوه حَسَنَ الوجه حسن الاسم.

وحتىٰ الفقهاء قالوا: إذا تساوت درجات المصلين للإمامة فأحسنهم وجهًا هو الأولىٰ بالإمامة. ويقصد به اعتدال القامة وتناسب الأعضاء.

واعلم أنه لم يُقصِّر الخلقُ عن الشُّكر إلا بالجهل والغفلة، حيث لم يعرفوا أن معنىٰ الشكر أن يَستعمِلَ النعمة في إتمام الحكمة التي أريدت بها وهي طاعة الله تعالىٰ.

وقال بعضُ السلف: يقول اللهُ تعالىٰ في بعض الكتب المنزلة: إن عبدًا أغنيته عن ثلاثة لقد أتممت عليه نعمتي: عن سلطان يأتيه، وطبيب يداويه، وعما في يد أخيه. واعلم أن النعمة إذا لم تشكر زالت ولم تعد.

قال الفُضيل بن عِياض رحمه الله: عليكم بملازمة الشكر علىٰ النِّعَم، فقَلَّ نعمةٌ زالت عن قومٍ فعادت إليهم.

وقال بعضُ السلف: النِّعم وَحْشيَّة (أي: يقصد كأنها ليست مستأنسة) فقيِّدوها بالشُّكر.

وفي الأثر: وما عَظُمت نعمةُ الله تعالىٰ علىٰ عبدٍ إلا كَثُرت حوائجُ الناس إليه، فمَن تهاون بهم عرَّض تلك النعمةَ للزوال.

ورؤية النعمة في البلاء سمة الصالحين، فهذا أحد الصالحين يسأله رجلٌ ويقول: دَخَلَ اللِّصُّ بيتي وأخذ متاعي وأشيائي. فقال: اشكرِ اللهَ تعالىٰ، لو دخل الشيطانُ قلبك فأفسد التوحيد ماذا كُنتَ تصنع؟

ويقول عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه: ما ابتُلِيتُ ببلاء إلا كان لله تعالىٰ عليَّ فيه أربعُ نِعَم: إذ لم يكن في ديني، وإذ لم يكن أعظم من ذلك، وإذ لم أُحرَمَ الرضا به، وإذ أرجو الثوابَ عليه.

فإن قلت: كيف أفرح وأشكر وأرىٰ غيري ممن زادت معصيتهم علىٰ معصيتي ولم يصابوا بما أصبت به حتىٰ الكفار منهم؟ فاعلم أن الكافرَ قد خُبِّئ له ما هو أكثر، وإنما أُمهِل من الله ليستكثر من الإثم، ويطول عليه العقاب يوم القيامة؛ كما قال تعالىٰ: ﴿أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِّأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٧٨﴾﴾ [آل عمران: ١٧٨].

وأما العاصي فلعل اللهَ قد أخَّر عقوبتَه إلىٰ الآخرة وعجلت أنت عقوبتك في الدنيا، فاشكر الله علىٰ ذلك. واعلم أن الكفارَ والملاحدة وأهل المعاصي غدًا يتمنون لو كانوا مجانين أو صبيانًا ولم يتصرفوا بعقولهم في دين الله بهذا السفه والسوء.

ورُوي أنه لما نزل قولُه تعالىٰ: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]. قال الصديق رضي الله عنه: كيف الفرح بعد هذه الآية؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «غَفَرَ اللهُ لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَسْتَ تَمْرَضُ؟ أَلَسْتَ يُصِيبُكَ الأَذىٰ؟ أَلَسْتَ تَحْزَنُ؟ فَهَذَا مِمَّا تُجْزَوْنَ بِهِ». أحمد في مسنده (١/ ١١) برقم (٦٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بطرقه وشواهده.

فجميع ما يُصيبك كفارةٌ لذنوبك. ورُوي عنه صلى الله عليه وسلم: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يُعْطِيهِ اللهُ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَىٰ مَعْصِيَتِهِ فَاعْلَمُوا أَنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ». ثم قرأ قوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ٤٤]. [العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٣٧) برقم (٣٧٧٢)، وقال: رواه أحمد والطبراني والبيهقي في الشعب بسند حسن].

قال علي رضي الله عنه: ألا أُخبركم بأرجىٰ آيةٍ في القرآن؟ قالوا: بلىٰ. فقرأ عليهم: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورىٰ: ٣٠].

فالمصائب في الدنيا بسبب الأوزار والمعاصي، فإذا عاقبه الله في الدنيا. فالله أكرم من

أن يعذبه ثانيًا، وإن عفا عنه في الدنيا. فالله أكرم من أن يعذبه يوم القيامة.

وانظر لما يراه الصالحون من نعمة في البلاء نفسه: فهذا عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يدخل على ابنٍ له مريض (أي: لِيُسرِّيه عن نفسه ويُعزِّيه) ويقول: يا بني، لَأَنْ تكونَ في ميزاني أحبُّ إليَّ مِن أن أكونَ في ميزانك (أي: يزداد أجرُ وميزان الأبِ بِفقْدانه لابنه في حياته).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه نُعِيَ إليه ابنةٌ له فاسترجع (أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون) وقال: عورةٌ سَترَها اللهُ تعالىٰ، ومؤنةٌ كفاها اللهُ تعالىٰ (أي: النفقة علىٰ تربيتها)، وأجرٌ قد ساقه اللهُ تعالىٰ. ثم نزل فصلَّىٰ ركعتين، ثم قال: قد صنعنا ما أمر الله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة: ٤٥].

وعن ابن المبارك رضي الله عنه أنه مات له ابنٌ فعَزَّاه رجلٌ مجوسيٌّ يعرفه، فقال المجوسيُّ مُعَزِّيًا: ينبغي للعاقل أن يفعلَ اليوم ما يفعله الجاهلُ بعد خمسة أيام. (أي: يقصد الصبر والشكر لله) فقال ابنُ المبارك: اكتبوا عنه هذه.

وقال بعضُ العلماء: إن اللهَ يبتلي العبدَ بالبلاء بعد البلاء حتىٰ يمشي علىٰ الأرض وما له ذنبٌ. قال حاتمُ الأصمُّ: إن اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يحتجُّ (أي: يُقيم الحجة) يوم القيامة علىٰ الخلق بأربع أنفس علىٰ أربعة أجناس: علىٰ الأغنياء بسليمان، وعلىٰ الفقراء بالمسيح، وعلىٰ العبيد بيوسف، وعلىٰ المرضىٰ بأيوب. عليهم السلام جميعًا.

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أمرنا بطلب العافية؛ حيث دعا أحدهم فقال: اللهم إني أسألك الصبر. فسمعه الرسول صلى الله عليه وسلم فقال: «سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ». متفق عليه.

وقال الحسنُ رضي الله عنه: الخيرُ الذي لا شرَّ فيه: العافية مع الشُّكر، فكم مِن مُنعَمٍ عليه غير شاكرٍ.

وقال مُطرِّف بن عبد الله: لَأَنْ أُعافَىٰ فأَشكُرَ أحبُّ إليَّ من أن أُبتلىٰ فأصبر.

وقد روي عن عبد الله بن جعفر مرفوعًا: في عقب رحلة الطائف الشهيرة: «وَعَافِيَتُكَ أَوْسَعُ لِي». العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١٠٤٠) برقم (٣٧٨٠).

أيهما أفضل.. فضيلة الصبر أم فضيلة الشكر؟ التحقيق فيهما أن الغَنِيَّ الذي معه مالٌ وقد غلبه البخلُ وحبُّ المال علىٰ إمساكه؛ فإخراج الأموال في حقِّه أفضل له من قيام الليل وصيام النهار. والصيام أفضل في حقِّ مَن غَلَبَتْه شهوةُ البطن فأراد كَسْرها أو مَنعَه الشِّبَعُ

عن صفاء الفكر. فالمريض الذي يشكو مرض البطن لا يستخدم دواء الصداع والزكام، فلا يزيل مرض حب المال طول الصيام أو الصلاة، وإنما إخراج الأموال. وإن كان العامة من الناس يرون أن الصبر أفضل من الشكر، لكن رُبَّ فقيرٍ صابرٍ أفضل من غني شاكر، ورُبَّ غني شاكر أفضل من فقير صابر، وهو الغني الذي سلَّطه الله علىٰ ماله في الحق فهو ينفقه آناء الليل وأطراف النهار، إلا قدر الحاجة والضرورة التي تناسب من في مثل حاله.

درجات الشكر: والشُّكر درجاتٌ كثيرة، فحياء العبد من تتابع نعمة الله عليه شكرٌ، ومعرفته بتقصيره عن الشكر شكرٌ، والاعتذار عن قلة الشكر شكرٌ أيضًا، والمعرفة مع عظيم حلم الله وكنف ستره شكرٌ، والاعتراف أن النعم ابتداءً من الله تعالىٰ من غير استحقاق شكرٌ.

والعلم بأن الشكرَ أيضًا نعمة مِن نِعَم الله شكر، وحسن التواضع للنِّعم والتذلل فيها شكر، وشكر الوسائط الموصلة للنعم كذلك شكر، إذ قال ﷺ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللهَ». أحمد في مسنده (٢/ ٢٥٨) برقم (٧٤٩٥)، والترمذي برقم (١٩٥٤)، وقال: حديث صحيح.

وقلة الاعتراض وحسن الأدب بين يدي المنعم شكر، وتلقي النعم بحسن القبول شكر، واستعظام صغيرها شكر. يقول الفيروزآبادِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الشُّكْرُ أعلىٰ منازل المُوحِّدين، فهو فوق منزلة الرضا بالقضاء، فيستحيل أن يشكر العبدُ دون أن يرضىٰ، وهو نصف الإيمان.

وعلىٰ الشاكر لكي يُقبَل شُكْرُه أن يخضعَ للمُنعِم ويحبه، ويعترف بجميله ونعمته، ويثني عليه بها، ولا يستعمل نعمه فيما يكره.

أنواع الشكر: والشكر علىٰ ثلاث:

شكر القلب: وهو امتنان القلب بالنعمة من الله فيشعر بمِنَّة الله عليه بالولد الصالح أو الزوجة الصالحة أو الجار الصالح أو الوالد الصالح والأم الصالحة والمال الصالح.

وشكر اللسان: حيث ينسب الفضل لله، ويشكر في ذلك أهل الفضل والمعروف.

وشكر بالجوارح والنِّعَم: فيستعملها فيما يرضي الله تبارك وتعالىٰ.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن النعمةَ موصولةٌ (أي: مستمرة وباقية) بالشكر، والشكر مُعلَّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن، فلن ينقطع المزيدُ من الله حتىٰ ينقطع الشكر من العبد.

قال أبو عبد الرحمن السُّلَميُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الصلاة شكر، والصيام شكر، وكلُّ خير تعمله لله عَزَّ وَجَلَّ شكر، وأفضل الشكر الحمد.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن اللهَ ليمتع بالنعمة ما شاء، فإذا لم يشكر عليها قلبها عذابًا.

ولهذا كانوا يُسَمُّون الشكر: الحافظ؛ لأنه يحفظ النعم الموجودة. والجالب؛ لأنه يجلب النعم المفقودة. وقال بكر بن عبد الله المُزَنيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: قلتُ لأخٍ لي: أوصني. فقال: ما أدري ما أقول؟ غير أنه ينبغي لهذا العبد ألا يفتر من الحمد والاستغفار، فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار.

وقال أبو سليمان الدارانيُّ: جلساء الرحمن يوم القيامة مَن جُعِل في قلبه خصالٌ: الكرم، والسخاء، والحلم، والرأفة، والشكر، والبر، والصبر.

وقال الفُضَيل بن عِياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن عَرَف نعمةَ الله بقلبه، وحَمِدَه بلسانه؛ لم يستتمَّ ذلك حتىٰ الزيادة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡ﴾ [إبراهيم: ٧]، وأن من شكر النعمة أن يُحَدِّث بها. ويقول أحدُ الصالحين: الحرُّ لا يكفر النعمة، ولا يتسخط المصيبة، بل عند النعم يشكر، وعند المصائب يصبر، ومَن لم يكن لقليل المعروف عنده وَقْعٌ أوشك ألا يشكر الكثير منه. والنعم لا تستجلب زيادتها، ولا تدفع الآفات عنها إلا بالشكر.

وقال بعضُ أهل العلم: مَن أُعطِيَ أربعًا لم يُمنَع أربعًا: مَن أُعطِيَ الشكرَ لم يُمنَع المزيدَ، ومَن أُعطِيَ التوبةَ لم يُمنَع القبولَ، ومن أُعطِيَ الاستخارةَ لم يُمنَع الخِيَرَةَ، ومَن أُعطِيَ المشورةَ لم يُمنَع الصوابَ.

والإنسان الشكور قريب من الناس، حبيب إليهم، قرير العين، يحب الخير للآخرين، ولا يحسد من كان في نعمة، ويكسب رضا الرب ومحبته.

❊ ❊ ❊

٦٥- باب ذكر الموت وقصر الأمل

قَـالَ الله تَعـالَىٰ: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ١٨٥﴾

[آل عمران: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦١﴾﴾ [النحل: ٦١].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ٩ - ١١].

وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾﴾ [الحديد: ١٦]. والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٥٧٣/ ٦٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِمَنْكِبِي (أي: هو كتفي) فَقَالَ: «كُنْ في الدُّنْيا كأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عابِرُ سَبِيلٍ».

وكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما يقول: إذا أَمْسَيْتَ فَلا تَنْتَظِرِ الصَّباحَ، وإذا أَصْبَحتَ فَلا تَنْتَظِرِ المَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ. رواه البخاري.

(٥٧٤/ ٦٥) وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا حَقُّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ لَهُ شَيْءٌ يُوصِي فِيهِ، يَبِيتُ لَيْلَتَيْنِ إِلَّا وَوَصِيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عِنْدَهُ». متفق عليه، هذا لفظ البخاري.

وفي روايةٍ لمسلم: «يَبِيتُ ثَلَاثَ لَيَالٍ». قَالَ ابن عمر رضي الله عنهما: مَا مَرَّتْ عَلَيَّ لَيْلَةٌ مُنْذُ سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ قَالَ ذَلِكَ إِلَّا وَعِنْدِي وَصِيَّتِي.

(٥٧٥/ ٦٥) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خُطُوطًا فَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ». رواه البخاري.

(٥٧٦/ ٦٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ النَّبِيُّ ﷺ خطًّا مُرَبَّعًا، وَخَطَّ خَطًّا فِي الوَسَطِ خَارِجًا مِنْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إِلَىٰ هَذَا الَّذِي فِي الْوَسَطِ مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الوَسَط، فَقَالَ: «هَذَا الإِنْسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطًا بِهِ أَو قَدْ أَحَاطَ بِهِ وَهذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ، وَهذِهِ الخُطَطُ الصِّغَارُ الأَعْرَاضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا». رواه البخاري.وهذه صورته:

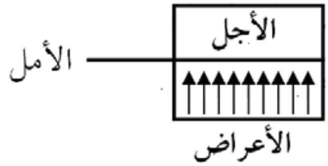

(٥٧٧/ ٦٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا (أي: قبل مجيئها)، هَلْ تَنْتَظِرُونَ إِلَّا فَقْرًا مُنْسِيًا، أَوْ غِنًىٰ مُطْغِيًا، أَوْ مَرَضًا مُفْسِدًا، أَوْ هَرَمًا مُفَنِّدًا، أَوْ مَوْتًا مُجْهِزًا، أَوِ الدَّجَّالَ، فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةَ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ؟!». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٥٧٨/ ٦٥) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ (أي: قاطع) اللَّذَّاتِ». يَعْنِي المَوْتَ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٥٧٩/ ٦٥) وعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ، قَامَ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ (أي: النفخة الأولىٰ)، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (أي: النفخة الثانية)، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَ المَوْتُ بِمَا فِيهِ». قَالَ أُبَيٌّ قُلْتُ: يَا رسول الله، إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلَاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ». قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ». قُلْتُ: أجعلُ لَكَ صَلَاتِي

كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذَنْ تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ لَكَ ذَنْبُكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

* * *

(الغرور)

الغُرور: هو سكونُ النفس إلىٰ ما يوافق الهوىٰ ويميل إليه الطبع، وإخفاء الخدعة في صورة النصيحة، وتزيين الخطأ علىٰ أنه صواب. وقيل أيضًا: الغرور هو الغرر، وهو ما يكون مجهول العاقبة فلا يُدرىٰ أيكون أم لا.

أما الغَرور: فهو كل ما يَغُر الإنسانَ من مال وجاه وشهوة وشيطان وغير ذلك.

قال الكَفَويُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: كلُّ مَن غَرَّ شيئًا فهو غَرور بالفتح، والغُرور، بالضم: هو الباطل.

الجهل والغرور: قد تميل نفس المرء وطبعه إلىٰ ما يوافق الهوىٰ، وتنجرف إلىٰ شبهةٍ فاسدة وخدعة من الشيطان تعتقد فيها خيرًا في العاجل أو الآجل بسبب اعتقادٍ غير صحيح، ويحسب المرء أنه يحسن صنعًا وهو ليس كذلك، فذلك هو الغرور. وأكثر الناس يظنون بأنفسهم الخير وهم مخطئون فيه؛ وذلك بسبب جهلهم بمآلات صنيعهم عند الله يوم القيامة. فالمغرور بسبب جهله عن العاقبةِ والاعتقادِ الصحيح، هو من اغترَّ بما في يديه، ودفعه ذلك إلىٰ ما لا يُحمد عقباه.

أصناف المغترين:

الصنف الأول: أناس اغتروا بعقولهم وذكائهم وعلومهم، حينما أحكموا فهمهم للعلوم وتعمَّقوا فيها، ولكنهم لأنهم أهملوا تَرْكَ المعاصي والوقوعِ فيها، واغتروا بقيمة علمهم، وظنوا أنهم بذلك عند الله بمكانٍ وبلغوا مبلغًا لا يُعذِّب اللهُ مثلَهم، بل قد يقبل شفاعتهم ولا يُطالبهم بالذنوب والخطايا لكرامتهم عليه، فهم مغرورون؛ لإهمالهم تفقُّدَ جوارحهم وحِفْظَها من المعاصي، أو أنهم قد أحكموا العلم والعمل وتَرْكَ المعاصي الظاهرة، لكنهم لم يتفقَّدوا قلوبَهم والصفاتِ المذمومةَ عند الله في القلب، كالكِبر والحسد والرياء وغيرها، فوقعوا في العُجْب بنفوسهم وأنهم أرفع عند الله من أن يبتليهم.

الصنف الثاني: الذين اهتمُّوا بالعبادة والعمل الصالح، من صلاة وصيام وحج وزهد وعزلة ونحوها، واغتروا بذلك، ظنًّا منهم أنها تكفيهم من دون سائر الأعمال، وظنوا بذلك أن لهم عند الله ما يوجب دخول الجنة، ولم يخافوا من أخطاء نفوسهم.

الصنف الثالث: الذين اهتموا بتزكية أخلاقهم، واغتروا بأشكال الزهد في الهيئة والمنطق، وتغافلوا عن امتثال أحكام الشرع علىٰ النحو الصحيح، فما فرَّقوا بين حلالٍ وحرام، وإن كانوا اهتمُّوا فقط بحسن أخلاقهم.

الصنف الرابع: الذين اهتموا بجمع الأموال وتزيين حياتهم بفاخر الثياب والمظهر، ووقعوا في الرياء، وزين لهم الشيطان أعمالهم فغرَّهم بها.

الثقة بالله والغرور والعجز: إن المظهر العام للواثق بالله والمغرور والعاجز يكاد يكون واحدًا، من حيث الهدوء والسكينة؛ ولهذا من الضروري أن نُفرِّق بينهم.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: إن الفرقَ بينها أن الواثق بالله قد فعل ما أمره الله به ووثق بالله في النتائج والمآلات والعواقب، ووَكَل أمره إلىٰ الله، حتىٰ لو جاءت تلك النتائج علىٰ خلاف ما أراد، فهو قد فعل ما أُمِر به واثقًا في ثواب الله يوم القيامة.

أما المغترُّ والعاجز فقد فرَّطوا فيما أمرهم الله به، حيث يبدو في شكلهم أنهم واثقون بالله، وقد يزعمون ذلك، أنهم يثقون برحمة الله، وعفو الله، ولكن الثقة إنما تصح بعد بَذْل المجهود الذي يرتضيه الله تبارك وتعالىٰ.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ما معناه: إن الثقة بالله سكون وهدوء يستند إليه العبد للأدلة والأمارات يسكن بها القلب وتَقْوَىٰ ثقتُه بالله، وتزيد فيها كثرة التجارب وصدق الفراسة.

وأما الغُرور أو الغِرَّة، فإن المغتر قد غرَّته نفسه وشيطانه وهواه، فأَتْبع نفسَه هواها وتمنَّىٰ علىٰ الله الأمانيَّ دونما عمل يوصله إلىٰ ذلك، فالغُرور أن تثق بما لا يوثق به وتسكن إلىٰ ما لا يُسكَن إليه وترجو من لا يأتي بخيرٍ، فهذا حال المغترِّ كالذي يظن بالسراب خيرًا. فالمغتر بالشيطان مغترٌّ بوعوده وأمانيِّه، وقد ساعده اغترارُه ذلك بكثرة دنياه من مالٍ وجاهٍ وعلوِّ نفسٍ، فلا يزال كذلك حتىٰ يتردَّىٰ في مواضع الهلاك.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: كفىٰ بخشيةِ الله علمًا، وكفىٰ بالاغترار بالله جهلًا.

قال عَوْن بن عبد الله رحمه الله: إذا عَصَتْكَ نفسُك فيما كَرِهْتَ فلا تُطِعْها فيما أحببتَ، ولا يَغُرَّنَّكَ ثناءُ مَن جَهِلَ أَمْرَكَ.

وقال ذو النون المصري رحمه الله: كم مِن مغرورٍ تحت السِّتر (أي: الستر من قبل الله في معاصيه) وهو لا يشعر. وقال مِسْعَر رحمه الله: كم مِن مُستقبِلٍ يومًا وليس يستكمله، ومنتظرٍ غدًا وليس من أَجَله، ولو رأيتم الأجل ومسيره لأبغضتم الأمل وغروره.

ونقل الماوَرْدِيُّ رحمه الله عن بعض الحكماء قوله: الدنيا إما مصيبة موجعة، وإما مَنِيَّة (أي: ميتة) مفجعة. وقال ابن الجَوْزِيِّ رحمه الله: من الناس من يَغُرُّه تأخير العقوبة، ومنهم من كان يقطع بالعفوِ (أي: بعفو الله عنه رغم معاصيه) وأكثرهم متزلزل (أي: مذبذب) الإيمان.

وقال أيضًا: أعجب الأشياء اغترار الإنسان بالسلامة، وتأميله (أي: تسويفه ورجاؤه) الإصلاح فيما بعد، وليس لهذا الأمل منتهىٰ ولا للاغترار حدٌّ.

والمغتر فيه جرأة عظيمة علىٰ الله تعالىٰ، حيث يفسد ثواب عمله حتىٰ رغم علمه؛ لأنه يرجو عفوَ الله بلا سببٍ يؤدي إلىٰ ذلك، حيث يُورث له الكِبرَ والعُجب والخيلاء، فهو خسارة في الدنيا والآخرة.

❊ ❊ ❊

٦٦- باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر

(٥٨٠/ ٦٦) عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عن زِيَارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها».

رواه مسلم.

وفي رواية: «فَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَزُورَ القُبُورَ فَلْيَزُرْ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُنَا الآخِرَةَ».

(٥٨١/ ٦٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسول الله ﷺ كلَّما كَانَ لَيْلَتُهَا مِنْ رسول الله ﷺ يَخْرُجُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ إِلَىٰ البَقِيعِ، فيقولُ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَأَتَاكُمْ مَا تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ (أي: هو موضع بالمدينة فيه قبور أهلها)». رواه مسلم.

(٥٨٢/ ٦٦) وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذَا خَرَجُوا إِلَىٰ المَقَابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائِلُهُمْ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أهلَ الدِّيَارِ مِنَ المُؤْمِنِينَ وَالمُسلمينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ

لَاحِقونَ، أسْأَلُ اللهَ لَنَا وَلَكُمُ العَافِيَةَ». رواه مسلم.

(٥٨٣/ ٦٦) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: مرَّ رسول الله ﷺ بقُبورٍ بالمدِينَة فأقْبَلَ عَلَيْهِمْ بوَجْهِهِ فَقالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ يَا أهْلَ القُبُورِ، يَغْفِرُ اللهُ لَنَا وَلَكُمْ، أنْتُمْ سَلَفُنَا وَنَحنُ بالأثَرِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

٦٧- باب كراهة تمني الموت بسبب ضُرٍّ نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين

(٥٨٤/ ٦٧) عن أَبي هُرَيرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قالَ: «لا يَتَمَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ، إمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ (أي: يطلب رضا الله تعالىٰ بالإقلاع عن المعاصي والاستغفار)». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية لمسلم عن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسول الله ﷺ قالَ: «لَا يَتَمَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِن قَبْلِ أنْ يَأتِيَهُ؛ إنَّهُ إذَا مَاتَ انْقطَعَ عَمَلُهُ، وَإنَّهُ لا يَزِيدُ المُؤمِنَ عُمُرُهُ إلَّا خَيْرًا».

(٥٨٥/ ٦٧) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَتَمَنَّيَنَّ أحَدُكُمُ المَوْتَ لِضُرٍّ أصَابَهُ، فَإنْ كَانَ لابد فَاعِلًا، فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أحْيِني مَا كَانَتِ الحَيَاةُ خَيْرًا لي، وَتَوَفَّنِي إذَا كَانَت الوَفَاةُ خَيرًا لي». متفق عليه.

(٥٨٦/ ٦٧) وعن قَيسِ بن أَبي حازم قالَ: دَخلْنَا عَلَىٰ خَبَّاب بن الأرَتِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نَعُودُهُ وَقَدِ اكْتَوىٰ سَبْعَ كَيَّاتٍ، فَقَالَ: إنَّ أَصْحَابَنَا الَّذِينَ سَلَفُوا مَضَوْا، وَلَمْ تَنْقُصْهُمُ الدُّنْيا، وَإنَّا أَصَبْنَا مَا لَا نَجِدُ لَهُ مَوْضِعًا إلَّا التُّرَابَ، ولولا أنَّ النبيَّ ﷺ نَهَانَا أنْ نَدْعُوَ بالمَوْتِ لَدَعْوَتُ بِهِ. ثُمَّ أتَيْنَاهُ مَرَّةً أُخْرىٰ وَهُوَ يَبْنِي حَائِطًا لَهُ، فَقالَ: إنَّ المُسْلِمَ لَيُؤْجَرُ فِي كُلِّ شَيْءٍ يُنْفِقُهُ إلَّا فِي شَيْءٍ يَجْعَلُهُ فِي هَذَا التُّرَابِ. متفق عليه، وهذا لفظ رواية البخاري.

٦٨- باب الورع وترك الشبهات

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَحْسَبُونَهُۥ هَيِّنًا وَهُوَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمٌ ١٥﴾ [النور: ١٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤].

(٥٨٧/ ٦٨) وعن النُّعمان بن بَشِير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ الحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الحَرامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَىٰ الشُّبُهاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهاتِ وَقَعَ فِي الحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَىٰ حَوْلَ الحِمَىٰ يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًىٰ، أَلَا وَإِنَّ حِمَىٰ الله مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَت صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ». متفق عليه، وروياه من طرق بألفاظ متقاربة.

(٥٨٨/ ٦٨) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ وَجَدَ تَمْرَةً فِي الطَّرِيقِ، فَقَالَ: «لَوْلَا أَنِّي أَخَافُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الصَّدَقَةِ لَأَكَلْتُهَا». متفق عليه.

(٥٨٩/ ٦٨) وعن النَّواسِ بن سَمْعان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «البِرُّ: حُسْنُ الخُلُقِ، وَالإِثْمُ مَا حَاكَ فِي نَفْسِكَ، وَكَرِهْتَ أَنْ يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ». رواه مسلم. «حَاكَ» بالحاءِ المهملةِ والكافِ، أي: تَرَدَّدَ فيه.

(٥٩٠/ ٦٨) وعن وَابِصَة بن مَعْبَدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله ﷺ، فَقَالَ: «جِئتَ تَسْأَلُ عَنِ البِرِّ؟» قُلْتُ: نَعَمْ. فَقَالَ: «اسْتَفْتِ قَلْبَكَ، البِرُّ: مَا اطْمَأَنَّت إِلَيْهِ النَّفْسُ، وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ القَلْبُ، وَالإِثْمُ: مَا حَاكَ فِي النَّفْسِ، وَتَرَدَّدَ فِي الصَّدْرِ، وَإِنْ أَفْتَاكَ النَّاسُ وَأَفْتَوْكَ». حديث حسن، رواه أحمد والدَّارِميُّ في مُسْنَدَيْهِما.

(٥٩١/ ٦٨) وعن أَبِي سِرْوَعَةَ- بكسر السين المهملة وفتحها- عُقْبَةَ بنِ الحارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَزَوَّجَ ابنةً لأبي إِهَابِ بن عزيزٍ، فَأَتَتْهُ امرَأَةٌ فَقَالَتْ: إِنِّي قَدْ أَرضَعْتُ عُقْبَةَ وَالَّتِي قَدْ تَزَوَّجَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا عُقْبَةُ: مَا أَعلَمُ أَنَّكِ أَرضَعْتِنِي وَلَا أَخْبَرْتِنِي، فَرَكِبَ إِلَىٰ رسول الله ﷺ بِالمَدِينَةِ، فَسَأَلَهُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «كَيْفَ وَقَدْ قِيلَ؟!» فَفَارَقَهَا عُقْبَةُ وَنَكَحَت زَوْجًا غَيْرَهُ. رواه البخاري. «إِهَابٌ» بكسر الهمزة. و«عَزِيزٌ» بفتح العين وبزاي مكررة.

(٥٩٢/ ٦٨) وعن الحَسَن بن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَفِظْتُ من رسول الله ﷺ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىٰ ما لَا يَرِيبُكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. معناه: اتْرُكْ مَا تَشُكُّ فِيهِ، وَخُذْ مَا لَا تَشُكُّ فِيهِ.

(٥٩٣/ ٦٨) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ لأبي بَكرٍ الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ غُلَامٌ يُخْرِجُ لَهُ الخَرَاجَ (أي: يأتيه بما يكسبه)، وَكَانَ أَبُو بَكرٍ يَأْكُلُ مِنْ خَرَاجِهِ، فَجَاءَ يَوْمًا بِشَيْءٍ فَأَكَلَ مِنْهُ أَبُو بَكرٍ، فَقَالَ لَهُ الغُلَامُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ فَقَالَ أَبُو بكر: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: كُنْتُ تَكَهَّنْتُ لِإِنْسَانٍ فِي الجَاهِلِيَّةِ (أي: حدثته عن الغيب) وَمَا أُحْسِنُ الكِهَانَةَ إِلَّا أَنِّي خَدَعْتُهُ، فَلَقِيَنِي فَأَعْطَانِي بِذَلِكَ (أي: عوض

تكهُّني له) فهَذَا الَّذِي أَكَلْتَ مِنْهُ، فَأَدْخَلَ أَبُو بَكْرٍ يَدَهُ فَقَاءَ كُلَّ شَيْءٍ فِي بَطْنِهِ. رواه البخاري.

«الخراج»: شَيْءٌ يَجْعَلُهُ السَّيِّدُ عَلَىٰ عَبْدِهِ يُؤَدِّيهِ إِلىٰ السيد كُلَّ يوم، وَباقِي كَسْبِهِ يَكُونُ لِلْعَبْدِ.

(٥٩٤/ ٦٨) وعن نافِعٍ: أن عُمَرَ بن الخطَّاب رضي الله عنه كَانَ فَرَضَ لِلْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ أَرْبَعَةَ آلافٍ (أي: من مال الغنائم) وَفَرَضَ لابْنِهِ ثَلاثَةَ آلافٍ وَخَمْسَمِائَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: هُوَ مِنَ المُهَاجِرينَ فَلِمَ نَقَصْتَهُ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا هَاجَرَ بِهِ أَبُوهُ! يقول: لَيْسَ هُوَ كَمَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ. رواه البخاري.

(٥٩٥/ ٦٨) وعن عَطِيَّةَ بن عُروة السَّعْدِيِّ الصحابيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّىٰ يَدَعَ مَا لَا بَأْسَ بِهِ حَذَرًا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

❋ ❋ ❋

(الورع)

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١] فأمَر اللهُ بأَكْل الحلال من الطَّيِّبات قبل القيام بالأعمال الصالحة. ولما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ» [ابن ماجه برقم (٢٢٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩١٣)].

قال بعض العلماء: أراد به طلب علم الحلال والحرام.

ومما روي عن جابر بن عبد الله يرفعه: «مَنْ نَبَتَ جِسْمُهُ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ» أو «كُلُّ لحمٍ نَبَتَ مِنْ حَرَامٍ فَالنَّارُ أَوْلَىٰ بِهِ». الحاكم بنحوه في المستدرك (٤/ ١٤١) برقم (٧١٦٢).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: لو صَلَّيتم حتىٰ تكونوا كالحَنَايا (يقصد انحناء الظهور) وصمتم حتىٰ تكونوا كالأوتار (أي: من الضمور والنحول) لم يُقبَل ذلك منكم إلا بورعٍ حاجزٍ (أي: حاجز عن الحرام والآثام).

وقال سفيان الثوريُّ رحمه الله: مَن أنفق من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب النَّجِس بالبول، والثوب النجس لا يطهره إلا الماء، والذنب لا يكفره إلا الحلال.

وقال سَهْلُ التُّسْتَرِيُّ رحمه الله: لا يبلغ العبدُ حقيقةَ الإيمان حتىٰ يكون فيه أربع خِصال: أداء الفرائض بالسُّنَّة (أي: يقصد بطريقة الشرع الصحيحة)، وأَكْل الحلال بالورع، واجتناب النهي من الظاهر والباطن، والصبر علىٰ ذلك إلىٰ الموت. وقيل: مَن أَكَل مالًا فيه شُبهةٌ أربعين يومًا أظلم قلبه، وهو تأويلُ قولِه تعالىٰ: ﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٤﴾ [المطففين: ١٤].

وقال سَهْلٌ رَحِمَهُ اللهُ: مَن أَكَل الحرامَ عَصَتْ جوارحُه شاء أم أبىٰ، علم أو لم يعلم، ومن كانت طُعْمته حلالًا أطاعته جوارحه، ووُفِّقت للخير.

وقال بعضُ السَّلَف: إن أولَ لقمة يأكلها العبدُ مِن حلالٍ يغفر له ما قد سلف من ذنوبه، ومنَ أقام نفسه مقام ذلٍّ في طلب الحلال تساقطت عنه ذنوبه كتساقط ورق الشجر.

ورُوي في آثار السلف الصالح: إن الواعظَ أو الداعي كان إذا جلس للناس قال العلماء: تفقَّدوا منه ثلاثًا: فإن كان معتقدًا لبدعةٍ فلا تُجالِسوه؛ فإنه عن لسان الشيطان ينطق، وإن كان سَيِّءَ الطُّعْمة (أي: يأكل حرامًا) فعن الهوىٰ ينطق، فإن لم يكن مَكِينَ العقل فإنه يُفسد بكلامه أكثر مما يصلح فلا تجالسوه.

ورُوي عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أنه قال: إن الدنيا حلالُها حِسَابٌ (أي: عليه حساب)، وحرامُها عذاب، وشبهتها عتاب.

وقال أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ: إن الأكلَ من الدِّين؛ حيث قدَّمه الله علىٰ العمل الصالح فقال: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١]. وفي الخبر: أنه مكتوبٌ في التوراة: مَن لم يُبالِ من أين مطعمه لم يبال الله من أي أبواب النيران أدخله.

واعلم أن الحرامَ كلَّه خبيثٌ، ولكن بعضَه أخبثُ من بعضٍ، كما أن الحلالَ كله طيب وبعضه أطيب من بعض. ولهذا كانت التقوىٰ هي الورع عن كل ما تحرمه فتاوىٰ الفقهاء والشرع الحكيم، وهو أول درجات الورع، ويسمىٰ الورع الواجب، فيكون فيه الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة. أما ورعُ الصالحين فهو الامتناع عما يتطرق إليه احتمال التحريم، والوقوف عن الشبهات، وهو مستحب ومندوب إليه. ويأتي بعد ذلك درجة يَكُفُّ فيها العبدُ عن كثيرٍ من المباحات ويقتصر علىٰ أقلِّ الضرورات، وهذا ورعُ الفضيلة للنبيين والصديقين والشهداء.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ: الورعُ هو تَرْكُ ما يُخشَىٰ ضررُه في الآخرة.

واعلم أن الورعَ له أول وليس له آخر، ولو بالغ أحد في ورعه فلعله لا يأكل ولا يشرب ويهلك. والورع يحتاج لفقيهٍ يدلُّ عليه، وعالم يبصرنا به.

قال ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ اللهُ: تمامُ الورع أن يعلم الإنسانُ خيرَ الخيرين وشرَّ الشرين، ويعرف أن الشريعةَ بُنِيت علىٰ جَلْب المصالح للعبد وتكميلها له، وعلىٰ دَرْء (أي: دفع وإبعاد)

المفاسد عنه وتقليلها، ومَن لم يستطع الموازنةَ في الفعل والتَّرْك من المصالح والمفاسد فلعله قد يترك واجبًا ويفعل محرمًا، ويرىٰ ذلك من الورع جهلًا منه بذلك.

واعلم أيها العبد أن أكثرَ المباحات داعية إلىٰ المحظورات؛ فإن المحظور شرعًا والمباح تشتهيهما النفس شهوة واحدة، وإذا تعودت التسامح في الشهوات قادك ذلك إلىٰ المحظور، فكانت التقوىٰ هي الورع عن ذلك كله.

وكلما كان العبدُ أشدَّ تشديدًا علىٰ نفسه بعِلْمٍ وفهمٍ صحيح كان أخفَّ ظهرًا (أي: أقل حملًا للذنوب علىٰ ظهره يوم القيامة) يوم القيامة، وأسرعَ جوازًا علىٰ الصراط.

ولكن ليعلم العبد أن الله ما جعل علينا في الدين من حرج. ومَن عَلِم أن مالَ الدنيا خالطه حرامٌ لا يلزمه تَرْك الشِّراء والأكل؛ فإن في ذلك حرجًا شديدًا، وما في الدين من حرج، ولا يتصور الوفاء به في ملة من الملل، ولا في عصر من الأعصار. وهو محال أن يكونَ كلُّ مالِ الدنيا حلالًا، وإن حاك في نفسك وصدرك شيءٌ وأنت علىٰ فَهْمٍ وعلم فاعلم أنه الإثمُ، فلا يُنجيك في الآخرة فتوىٰ المفتي، فإن المفتي يفتي بالظاهر والله يتولىٰ السرائر.

ولا تُوجب علىٰ نفسك ما لم يُوجِبْه السلفُ الصالح علىٰ أنفسهم، وإلا فإنك تزعم أنك أكثرُ منهم فطنةً في فهم الشرع، ولو فتح هذا الباب لانسدَّ باب جميع التصرفات في الدنيا وخرب العالم؛ إذ إن الفسق يغلب علىٰ الناس وليس التقوىٰ، فلم ينقل هذا الورع المبالغ فيه عن رسول الله ﷺ ولا عن أحد من أصحابه الكرام.

ولا نشكُّ في أن مصلحةَ الدين والدنيا هما مراد الشرع الحنيف، وهو معلوم بالضرورة وليس بمظنون، ولا شكَّ في أننا لو رددنا الناسَ كافة كي يعيشوا ويأكلوا ويلبسوا ويتعاملوا علىٰ قدر الضرورة أو الحاجة، أو أن يلجئوا إلىٰ الشِّعَاب ليأكلوا الحشائش ويصطادوا من الجبال؛ لخربت الدنيا أولًا ثم الدين ثانيًا.

واعلم أن العبدَ لو أقدم علىٰ حرامٍ في علم الله وهو يظنُّ أنه حلالٌ لم يُؤثِّر ذلك في قساوة وفساد قلبه، ولكن لو أقدم علىٰ ما هو حلال ولكنه يجد حزازةً في قلبه فذلك يضرُّه ويُؤثِّر سلبًا فيه. وإذا جاءك شخصٌ مجهولُ الحال لك، لا تعلم له تقوىٰ أو ورعًا أو فسادًا

أو فسقًا وقدَّم إليك طعامًا أو حَمَل لك هديةً، أو أردت شراء شيء من دُكَّانه؛ فلست ملزمًا ولا هو بواجب عليك أن تسأل عن حاله والتزامه، بل يكفيك أنه مسلمٌ وقد أعطاك بيده ما تريد، فهذا كافٍ لك، والسؤال هنا فيه إيذاء للطرف الآخر، بل وهتك ستر له وإظهار ريبة فيه، وهذا حرامٌ بلا شكٍّ، فكُلْ طعامه وشرابه بلا سؤال

وعليك بالتلطُّف في تَرْك ما يريبك دون إيذاء له. وإن دُلَّ على أن في ماله حرامًا قليلًا لم يكن السؤال واجبًا أيضًا، بل كان السؤال من الورع فقط، أما إن كان الأكثرُ من ماله حرامًا فلا يأكل ولا يقبل إلا بعد التثبُّت.

وسُئل ابنُ مسعود رضي الله عنه: إن لي جارًا لا أعلمه إلا خبيثًا، يدعوني (أي: إلى طعام أو وليمة) أو نحتاج فنقترض منه؟ فقال: إذا دعاك فأجِبْه، وإذا احتَجْتَ فاقترض (أي: منه)؛ فإن لك المهنأ وعليه المأثم. وقد أفتى سَلْمانُ الفارسيُّ رضي الله عنه بذلك أيضًا.

وسئل الحارث رحمه الله عمن كان له صديق أو أخ وهو يأمن غضبه عليه لو سأله عن حل ماله وطعامه، قال: لا ينبغي أن يسأله من باب الورع؛ لأنه ربما يبدو له ما كان مستورًا عنه؛ فيكون قد حمله على هتك ستره مما يؤدي إلى البغضاء، فالورع هنا ليس بواجب، وإنما الواجب الاحتراز عن هتك ستره وإثارة غضبه، وليظن أنه يطعمه من الطيب ويجنبه الخبيث، وإلا فليتلطف في الترك.

وقال رسول الله ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، اتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَب، فَإِنَّ نَفْسًا لَنْ تَمُوتَ حَتَّىٰ تَسْتَوفِيَ رِزْقَهَا، وَإِنْ أَبْطَأَ عَنْهَا فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، خُذُوا مَا حَلَّ، وَدَعُوا مَا حَرُمَ». ابن ماجه برقم (٢١٤٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٧٤٢).

وقال ﷺ: «أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَمَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ مِنَ الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ». أحمد في مسنده (٢/ ١٧٧) برقم (٦٦٥٢).

وقيل لرسول الله ﷺ: أيُّ الناس أفضل؟ قال: «كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ صَدُوقِ اللِّسَانِ». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: «هُوَ التَّقِيُّ النَّقِيُّ، لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ، وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ». ابن ماجه برقم (٤٢١٦). وقال أيضًا ﷺ: «طَلَبُ الْحَلالِ وَاجِبٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ». الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٧٢) برقم (٨٦١٠)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩٤٨).

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفضلُ العلمِ الورعُ والتوكل (أي: التحلي بهما).

وقال أيضًا: الفقيه الوَرِعُ الزاهد المقيم علىٰ سنة محمد ﷺ، الذي لا يسخر بمن أسفل منه، ولا يهزأ بمن فوقه، ولا يأخذ علىٰ علمٍ علَّمه الله عَزَّ وَجَلَّ حُطَامًا.

وقال أيضًا: ما عَبَد العَبَّادون بشيءٍ أفضل مِن تَرْك ما نهاهم اللهُ عنه. وقال: ما في الأرض شيءٌ أُحِبُّه للناس من قيام الليل. فقال له قائل: فأين الورع؟ قال: به به (أي: يعني حَسَنٌ حَسَنٌ) وذلك ملاك الأمر.

وقال لغلام: ما مِلَاكُ الدين (أي: ما يمتلك به دينه)؟ قال: الورع. فقيل: فما آفته؟ قال: الطمع (أي: في حطام الدنيا)، فعجب الحسن منه.

وفي حديث عمر بن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: حينما شهد رجلٌ عنده فقال له: لست أعرفك ولا يضرُّك ألا أعرفك، ائتِ بمَن يعرفك. فقال رجلٌ من القوم: أنا أعرفه. قال: بأيِّ شيءٍ تعرفه؟ قال: بالعدالة والفضل. فقال عمر: فهو جارك الأدنىٰ الذي تعرف ليله ونهاره ومدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: فمعاملك بالدينار والدرهم اللَّذين بهما يستدلُّ علىٰ الورع؟ قال: لا. قال: فرفيقك في السفر الذي يُستدل به علىٰ مكارم الأخلاق؟ قال: لا. قال: لست تعرفه. ثم قال للرجل: ائت بمن يعرفك.

وقال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: عليك بالورع يُخفِّف اللهُ حسابَك، ودَعْ ما يريبك إلىٰ ما لا يريبك، وادفع الشكَّ باليقين يسلم لك دينك.

وقال قُتَيْبَة بن سعيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لولا سفيانُ الثوري لمات الورعُ.

وقال صالحُ المُرِّيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان يقال: التورُّع في الفتن كعبادة النبيين في الرخاء.

وقال ضَمْرةُ بن حَبيب رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا يُعجبكم كثرةُ صلاة امرئ ولا صيامُه، ولكن انظروا إلىٰ ورعه، فإن كان ورعًا مع ما رزقه الله من عبادة فهو عبدٌ لله حقًّا.

وقال الضَّحَّاكُ بن عثمان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أدركتُ الناسَ وهم يتعلَّمون الورعَ وهم اليوم يتعلمون الكلام. ويقول محمدُ بن واسِع رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يكفي من الدعاء مع الورع اليسيرُ منه.

ويقول أبو حامدٍ الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لن يَعدِمَ المُتورِّعُ عن الحرام فتوحًا من الحلال.

ويقول أبو سليمان الدارانيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الورعُ أوَّلُ الزُّهد، كما أن القناعةَ أول الرضا.

ويقول يونسُ بن عُبَيد رَحِمَهُ اللَّهُ: الورعُ الخروجُ من الشبهة ومُحاسَبة النفس مع كل طرفة عين.

وقال الحسنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: مثقالُ ذَرَّةٍ من الورع خيرٌ من ألف مثقال من الصوم والصلاة (أي: من النوافل). وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: زينة العلم الورع والحلم.

قصص في الورع:

قصة: حُكي أن امرأةً من الصالحات أتاها نعيُ زوجها وهي تعجن، فرفعت يدها من العجين وقالت: هذا طعامٌ قد صار لنا فيه شريك؛ لأن هذا الطعامَ قد صار للورثة. اهـ.

قصة: وحُكي أن امرأةً أتاها نعيُ زوجها والسراج يَتَّقِدُ فقالت: هذا زيت قد صار لنا فيه شريك.

واعلم أخي أن الورع من أفضل درجات الإحسان، وفيه الطمأنينة وراحة البال.

* * *

٦٩- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في حرام وشبهات ونحوها

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠﴾ [الذاريات: ٥٠].

(٥٩٦/ ٦٩) وعن سعد بن أبي وَقَّاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ الله يُحِبُّ الْعبدَ التَّقِيَّ الغَنِيَّ الخَفِيَّ». رواه مسلم. والمُرادُ بـ«الغَنِيِّ» غَنِيُّ النَّفْسِ، كَمَا سَبَقَ في الحديث الصحيح.

(٥٩٧/ ٦٩) وعن أبي سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ مُجَاهِدٌ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ الله». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «ثُمَّ رَجُلٌ مُعْتَزِلٌ فِي شِعْبٍ (أي: الشعب: طريق بين جبلين) مِنَ الشِّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ».

وفي رواية: «يَتَّقِي اللهَ وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفق عليه.

(٥٩٨/ ٦٩) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يُوشِكُ أنْ يَكُونَ خَيْرَ مَالِ المُسْلِمِ غَنَمٌ يَتبعُ بِهَا شَعَفَ الجِبَالِ، وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ (أي: مواضع نزول المطر، وهي بطون الأودية) يَفِرُّ بدِينِهِ مِنَ الفِتَنِ». رواه البخاري. و«شَعَفُ الجِبَالِ»: أعْلاَهَا.

(٥٩٩/ ٦٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ». فَقَالَ:

أَصْحَابُهُ: وأَنْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ (أي: جمع قيراط، وهو جزء من أجزاء الدينار) لأَهْلِ مَكَّةَ». رواه البخاري.

(٦٠٠/ ٦٩) وعنه: عن رسول الله ﷺ أنَّه قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنَانَ فَرَسِهِ فِي سَبيلِ الله، يَطِيرُ عَلَىٰ مَتْنِهِ، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً أَوْ فَزعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي القَتْلَ، أَوِ المَوْتَ مَظَانَّه، أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأْسِ شَعَفَةٍ مِنْ هذِهِ الشَّعَفِ، أَوْ بَطنِ وَادٍ مِنْ هذِهِ الأَوْدِيَة، يُقِيمُ الصَّلاَةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يأتِيَهُ اليَقِينُ (أي: الموت)، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ». رواه مسلم. «يَطِيرُ»؛ أي: يُسْرِعُ. و«مَتْنُهُ»: ظَهْرُهُ. و«الهَيْعَةُ»: الصوتُ لِلْحَربِ. و«الفَزعَةُ»: نَحْوُهُ. و«مَظَانُّ الشَّيْءِ»: المواضعُ الَّتي يُظَنُّ وجودُهُ فِيهَا. و«الغُنَيْمَة» بضم الغين: تصغير الغنم. و«الشَّعَفَةُ» بفتح الشين والعين: هي أعلىٰ الجَبَلِ.

* * *

(آدابُ العُزْلةِ وآفاتُها)

اعلم أن المختارَ والمطلوب هو الاختلاط بالناس علىٰ الوجه الذي كان عليه رسولُ الله ﷺ وسائر الأنبياء والمرسلين صلىٰ الله عليهم وسلم أجمعين، وكذلك الخلفاء الراشدون ومَن بعدهم من الصحابة والتابعين، رضي الله عنهم أجمعين، ومَن بعدهم من علماء المسلمين وأخيارهم، وهو مذهبُ أكثر التابعين؛ وذلك لما فيه من استكثار المعارف والأصحاب، والتآلف والتحبب إلىٰ المؤمنين، والاستعانة بهم في الدنيا تعاونًا علىٰ البر والتقوىٰ.

وقد مال إلىٰ هذا من التابعين سعيدُ بن المُسيَّب، والشَّعبيُّ، وابنُ أبي ليلىٰ، وهشام بن عروة، وابنُ شُبْرُمة، وشُرَيْح القاضي، وابنُ عُيَيْنَة، وابن المبارك، وبه قال الشافعيُّ وأحمد وأكثر الفقهاء رضي الله عنهم. وقد قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ ۚ﴾ [المائدة: ٢]، وقال رَسُولُ الله ﷺ: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ وَيَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهمْ أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الَّذِي لا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلا يَصْبِرُ عَلَىٰ أَذَاهمْ». الترمذي برقم (٢٥٠٧)، أحمد في مسنده (٩/ ٦٤) برقم (٥٠٢٢).

وقد روي عن فضالة بن عبيد يرفعه: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ عَمَلِهِ إلا الْـمُرَابِطَ فِي سَبِيلِ الله تَعَالَىٰ؛ فَإِنَّهُ يَنْمُو لَهُ عَمَلُهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ مِنْ فَتَّانِ الْقَبْرِ». أبو داود برقم (٢٥٠٠).

وقال ﷺ أيضًا: «رِباطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ

الْـمَنَازِلِ». الترمذي برقم (١٦٦٧)، وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، والحاكم في المستدرك (٢٦٣٥) وصححه.

وقال ﷺ أيضًا: **«رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوضِعُ سَوطِ أَحَدِكُمْ فِي الْـجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا»**. البخاري برقم (٢٨٩٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: مر رجل من أصحاب رسول الله ﷺ بشِعْبٍ فيه عُيَيْنَةٌ من ماء عذبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت في هذا الشِّعْب، ولن أفعل حتىٰ أستأذن رسول الله ﷺ. فذُكِر ذلك لرسول الله ﷺ فقال: **«لا تَفْعَلْ؛ فَإِنَّ مُقَامَ أَحَدِكُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَيُدْخِلَكُمُ الْـجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبِيلِ اللهِ، مَنْ قَاتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فِوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الْـجَنَّةُ»**. الترمذي برقم (١٦٥٠)، وقال: حديث حسن، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٣٧٩).

ولكن لما عظمت أموالُ المسلمين واتَّسعت دولتهم وانتشرت العلوم والمعارف وقلَّ العملُ وزاد التَّرَفُ مال أكثرُ التابعين إلىٰ الزُّهد، وكانت العزلة وسيلة لتحقيق ذلك، وفضَّلوها في ذلك الوقت علىٰ المخالطة، ومنهم: سفيان الثوري وإبراهيم بن أدهم، وداود الطائي، والفضيل بن عياض، ويوسف بن أسباط، وبشر الحافي، وغيرهم.

وقد احتجُّوا عند عدم وجود فرصة للجهاد بهذا الحديث الذي رواه أبو سعيد رضي الله عنه: قيل: يا رسولَ الله، أيُّ الناس أفضلُ؟ فقال: **«مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ»** متفق عليه.

وقال ﷺ في الحديث الذي رواه عُقْبة بن عامر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ما النجاة؟ قال ﷺ: **«أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ»**. الترمذي برقم (٢٤٠٦)، وقال: حديث حسن، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٣٩٢) ولكن الخليفةَ الراشد عمر رضي الله عنه أرشدنا لنأخذ حَظًّا منها لما فيها من فوائد علىٰ النفس والبدن فقال: خذوا بحظكم من العزلة. وأيَّده ابنُ سِيرينَ رحمه الله فقال: العُزْلة عبادة.

وقال الفضيل رحمه الله: كفىٰ بالله مُحِبًّا، وبالقرآن مُؤْنِسًا، وبالموت واعظًا.

ولكن إبراهيم النَّخَعي بيَّن أن العزلةَ مشروطةٌ بشرط الفقه والفهم، فلما سأله رجلٌ:

أريد أن أعتزل الناس. قال له: تفقَّه ثم اعتزل. ولما قيل لهم: نهىٰ النبيُّ ﷺ عن الهَجْر فوق ثلاثٍ كما في الحديث: «وَلا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلاثٍ» متفق عليه.

وقيل: إن الهجرَ فوق ثلاثٍ جائزٌ في موضعين:

أحدهما: أن يرىٰ في هذا الهجر إصلاحًا للمهجور فوق ثلاثة أيام.

الثاني: أن يرىٰ لنفسه سلامة في هذا الهجر لما يخاف علىٰ نفسه الفتنة.

وعلىٰ العموم فربما شخص تكون سلامته في العزلة والبعد عن الناس لا في المخالطة، كما قد تكون سلامته في القعود في بيته، وألا يخرج للجهاد إذا طلب منه، وليس لهذا أفضلية العزلة علىٰ الجهاد. ولا يُقصد بالعزلة ألا يكون مشتهرًا بين الناس، فكم مِن عابدٍ معتزل تعرفه الناس كافة، وكم مِن مخالطٍ للناس لا ذِكْر له ولا شهرة.

فوائد العزلة: اعلم أن الفوائدَ تختلف بحَسَب الأحوال والأشخاص:

الفائدة الأولى: التفرُّغ للعبادة والفكر والذِّكر، استئناسًا بمناجاة الله تعالىٰ بدلًا من الخلق، والتفكر في عظيم ملكوته، ولا يكون إلا بالانفراد والعزلة.

ولهذا قيل لأحد العُبَّاد: ما أَصْبَرَكَ علىٰ الوَحْدة؟ فقال: ما أنا وَحْدي، أنا جليسُ الله تعالىٰ، إذا شِئتُ أن يُناجيني قرأتُ كتابه، وإذا شئت أن أناجيه صلَّيتُ.

وقيل لبعض الحكماء: إلىٰ أيِّ شيءٍ أفضىٰ بكم الزهدُ والخلوة؟ فقال: إلىٰ الأنس بالله.

وسئل رجل صالح: ما يشغلك عن مخالطة الناس؟ فقال: إني أُصبِح وأُمسِي بين نعمة وذنب، فرأيت أن أشغل نفسي بشكر الله تعالىٰ علىٰ النعمة والاستغفار من الذنب.

وقال أُوَيْسٌ القَرَنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما كنت أرىٰ أن أحدًا يعرف ربَّه فيأنس بغيره.

وقال ذو النُّون المصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: سرورُ المؤمن ولذَّته في الخلوة بمناجاة ربِّه.

وقال مالكُ بن دِينار رَحِمَهُ اللَّهُ: من لم يأنس بمحادثة الله ﷻ عن محادثة المخلوقين فقد ضلَّ علمه، وعمي قلبه، وضيع عمره.

وقال حكيمٌ: إنما يستوحش الإنسانُ من نفسه لخلوِّ ذاته عن الفضيلة؛ فيكثر حينئذ ملاقاة الناس، ويطرد الوحشة عن نفسه بالجلوس معهم، فإذا كانت ذاتُه فاضلةً متفقهة طلب الوَحْدة؛ ليستعين بها علىٰ الفكرة والتفكر، ويستخرج العلم والحكمة.

واعلم أن غايةَ ومقصودَ العبادات وثمرة المعاملات أن يموت الإنسان محبًّا لله، عارفًا بالله، ولا محبة إلا بالأنس الحاصل بدوام الذكر، ولا معرفة إلا بدوام الفكر، وفراغ القلب شرط في كل واحد منهما، ولا فراغ للإنسان مع المخالطة.

الفائدة الثانية: التخلُّص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرَّض لها الإنسان غالبًا بمخالطة الآخرين ويسلم منها في الخلوة والعزلة، وهي أربع:

إحداها: الغِيبة: فإن عادةَ الناس التفكُّه والتكلُّم في أعراض الناس، فإن خالطهم العبد ربما يوافقهم علىٰ ذلك؛ فيأثم مثلهم، ويتعرَّض لسخط الله تعالىٰ حتىٰ لو بالسكوت وعدم ردِّ الغِيبة؛ لأن المستمعَ مشترك في الإثم، وقد يُبغضونه إذا أنكر ذلك عليهم، وانقلبوا عليه شتمًا وغيبةً.

الثانية: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر: فإن مَن خالط الناسَ لم يخل من مشاهدة المنكرات، فإن سكت وقع في معصية الله تعالىٰ، وقد يُنكر فيتعرَّض لمصاعب وأضرار، وفي العزلة السلامة.

الثالثة: الرياء: وهو الداء العضال الذي يعسر الاحتراز منه، وأول ما في مخالطة الناس إظهار التشوق إليهم، والمبالغة في ذلك مجاملة للآخرين، ولا يخلو هذا من الكذب في بعض الأحيان، صحيح أن المجاملة والابتسام مطلوبان شرعًا، لكن خشية الرياء تبقىٰ في قلوبنا.

وقيل لمالك بن دينار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ في عُمُرٍ ينقص، وذنوب تزيد.

وقيل لأحد الصالحين: كيف أصبحتَ؟ قال: أصبحتُ آكُلُ رِزْق ربِّي، وأُطِيعُ عدوَّه إبليس.

وقيل لرجل يجود بنفسه: ما لك؟ فقال: وما حال من يريد سفرًا بعيدًا بلا زادٍ، ويدخل قبرًا موحشًا بلا مُؤْنِسٍ، وينطلق إلىٰ ملك عدل بلا حجة؟!

وهكذا كان السَّلَف الصالح يحترزون في جواب من سألهم عن حالهم مخافة الرياء.

وقال بعضُ الصالحين مستنكرًا المخالطة والصحبة الكاذبة: إني لأعرف أقوامًا كانوا لا يتلاقون (أي: لبعد المسافة بينهم أو لانشغالهم) ولو حكم أحدهم علىٰ صاحبه أن يأخذ منه جميع ما يملكه من مال لم يمنعه عنه، وأرىٰ الآن أقوامًا يتلاقون كثيرًا، ويتفقدون حال بعضهم حتىٰ عن أبسط الأشياء، ولكن لو طلب أحدُهم مِن صاحبه شيئًا يسيرًا من ماله لامتنع من ذلك. ثم يسأل: هل هذا إلا مجرد الرياء بالصحبة والنفاق في الأخلاق؟

ودليلُ ذلك أن ترىٰ بعضهم يسأل البعض: كيف أنت؟ وكيف حالك؟ والسائل لا ينتظر الجواب، وحتىٰ المسؤول لا ينشغل بالإجابة علىٰ وجه الحقيقة، وذلك لأن كلًّا منهم يعرف أن ذلك مجرد رياء وتكلف، ولعل قلوبهم لا تخلو من ضغائن أو أحقاد.

الرابعة: التطبع بالأخلاق الرديئة للذين نخالطهم: وهو داءٌ دفين قلما يتنبَّه له العقلاء فضلًا عن الغافلين، فإن المخالطة والاختلاط مع الفُسَّاق والفاسدين ولو كان العبد منكرًا عليهم في باطنه- ويقصد بالمخالطة الطعام والشراب والعبث الطويل معهم- يجعلان الفساد والفسق أمرًا هَيِّنًا علىٰ المرء، ويسهل عليه فعل ذلك بسهولة؛ لكثرة معاينة ومشاهدة ذلك في مخالطيه، ويسقط عنه استعظام ذلك الذنب واقترافه.

وكما ترىٰ في الناس من يستعظم ذنب من ترك الصيام في رمضان، وقد يراه كفرًا، ولا يرىٰ في ترك الصلاة ذلك الذنب والكفر، مع أن ترك الصلاة قد يخرج صاحبه إلىٰ دائرة الكفر، وذلك بسبب معاينة تكرار أمر ترك الصلاة من الناس، فيتساهل في الحكم عليها.

وكما ترىٰ الذنب الكبير للفقيه والعالم والداعية الذي يلبس الذهب والحرير، فنغضب عليه بشدة، ولا نرىٰ في كلامه من اغتياب للناس ذنبًا ولا إثمًا للغيبة، وكثرة معاينة ومشاهدة المغتابين هون ذلك علىٰ الناس.

فعن أَبِي موسىٰ رضي الله عنه عنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ الْـجَلِيسِ الصَّالِحِ وَجَلِيسِ السُّوءِ كَحَامِلِ الْـمِسْكِ وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلُ الْـمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْذِيَكَ وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخُ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً» متفق عليه.

فكما أن الريحَ النتنة قد تعلق بالثوب ولا يشعر المرء بها، فكذلك يسهل الفساد علىٰ القلب وهو لا يشعر به.

وقد قال بعضُ العلماء: إن مَن شاهد وعَرَف زلَّة أو إثمًا وَقَع مِن عالم أو داعية حَرُم عليه حكايتها وإشاعتها لسببين: أحدهما: أنها غِيبة. والثاني (أي: وهو الأعظم): أن إشاعتها تهون علىٰ المستمعين فعلها وتكرارها، ويسقط من قلوبهم استعظامها وجرمها، ويكون ذلك سببًا لتهوين حدوثها، فإنه يرىٰ نفسه مضطرًّا لفعلها ويقول: كيف لا أقع فيها وقد وقع من هو أفضل مني وأتقىٰ وأعلم؟!

والطَّبع اللئيم يميل إلىٰ اتِّباع الهفوات والإعراض عن الحسنات. فإن وجدت جليسًا تذكرك الله رؤيته وسيرته فالزمه ولا تفارقه، واغتنمه ولا تستحقره، فإنها غنيمة العاقل وضالة المؤمن. والجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء.

ولا تحكم علىٰ العزلة والمخالطة بأن إحداهما أفضل وأولىٰ، فهذا يختلف من حال لحال، ومن شخص لشخص.

الفائدة الثالثة: التخلص من الفتن والمشاكل والخصومات، وصيانة النفس عن الخوض فيها والتعرض لأخطارها حفاظًا لدينه؛ فقلما تخلو الحياة من العصبيات والخصومات، ومعتزل هذا في سلامة وأمان.

ولما ذُكِرت الفتنُ أمام رسولِ الله ﷺ قال في الحديث الذي رواه عبدُ الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: بينما نحن حول رسول الله ﷺ إذ ذُكِرَتِ الفتنةُ، فقال: «إِذَا رَأَيْتُمُ النَّاسَ قَدْ مَرِجَتْ (أي: فسدت) عُهُودُهُمْ وَخَفَّتْ (أي: ضَعُفت) أَمَانَاتُهُمْ وَكَانُوا هَكَذَا» وشَبَّك بين أصابعه. قال: فقمت إليه فقلت: كيف أفعل عند ذلك جعلني الله فداك؟ قال: «الْزَمْ بَيْتَكَ، وَامْلُكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَخُذْ بِمَا تَعْرِفُ، وَدَعْ مَا تُنْكِرُ، وَعَلَيْكَ بِأَمْرِ خَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَدَعْ عَنْكَ أَمْرَ الْعَامَّةِ». أحمد في مسنده (٢/ ٢١٢) برقم (٦٩٨٧).

وفيها أيضًا تنبيه الرسول ﷺ حين فساد الزمان: فعَنْ أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ يُحَدِّثُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ يَقُولُ: «يُوشِكُ أَنْ يَكُونَ خَيْرُ مَالِ الْمُسْلِمِ غَنَمٌ يَتْبَعُ بِهَا شَعَفَ الْجِبَالِ (أي: رءوس الجبال وقممها) وَمَوَاقِعَ الْقَطْرِ (أي: المطر)، يَفِرُّ بِدِينِهِ مِنَ الْفِتَنِ». البخاري برقم (١٩).

الفائدة الرابعة: الخلاص من شرِّ الناس: فإن الناسَ قد يُؤذونك مرةً بالغِيبة أو سوء الظن والتُّهمة، وتارة بالنميمة أو الكذب، فربما يجدون منك أعمالًا أو أقوالًا لا تبلغ أفهامهم وعقولهم؛ فيحسدونك عليها، ويتربصون بك فرصة للإيقاع بك.

فمَن خالط الناسَ وشاركهم لم يَسْلم مِن وجود حاسد أو عدوٍّ يُسيء الظنَّ به، وينصب المكايد له، ويدسُّ عليه الشرور والغوائل والإشاعات، والناس إذا اشتد حرصهم على أمر ما فَهُمْ كما قال الله تعالى: ﴿يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون: ٤]، فلما اشتد حرصهم على الدنيا وشهواتها لا يظنون بغيرهم إلا الحرص ذاته عليها، وفي العزلة خلاص من ذلك.

وقد قيل: معاشرة الأشرار تُورث سوءَ الظنِّ بالأبرار.

وقيل لعبد الله بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ألا تأتي المدينة؟ قال: ما بقي فيها إلا حاسد نعمة، أو فَرِحٌ بنقمة.

وقال ابن السَّمَّاك رَحِمَهُ اللَّهُ: فإن الناسَ كانوا دواء يُتداوىٰ به، فصاروا داءً لا دواء له، ففِرَّ منهم فرارَكَ من الأسد.

وفي العزلة ستر على الناس؛ إذ المعتزل مستورة أخباره عن الناس، ومستورة أخبار الناس عنه، فإذا اختلط بالناس هتكت ستورهم.

وعن الحسن البصريِّ رَحِمَهُ اللَّهُ قال: أردتُ الحجَّ فسمع ثابتُ البُنانيُّ بذلك، فقال: بلغني أنك تريد الحجَّ، فأحببت أن أصحبك. فقال له الحسن: ويحك، دعنا نتعاشر بستر الله علينا، إني أخاف أن نصطحب فيرىٰ بعضنا من بعضٍ ما نتماقت (أي: نتباغض) عليه.

ففي العزلة بقاء الستر على الدين والمروءة والأخلاق والفقر وسائر العورات.

فيُقال في فوائد السترة: ﴿يَحۡسَبُهُمُ ٱلۡجَاهِلُ أَغۡنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، ولا يخلو الإنسان في دينه ودنياه وأخلاقه وأفعاله من عورات، ومن الأولىٰ والأفضل له في دينه ودنياه أن يسترها، ولا سلامة مع انكشافها.

قال أبو الدَّرْداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كان الناسُ وَرَقًا لا شوك فيه، فالناس اليوم شوك لا ورق فيه.

وقيل لبعضهم: ما حملك على أن تعتزل الناس؟ قال: خشيت أن أسلب ديني ولا أشعر.

وقال بعضُهم: أَقْلِلِ المعارفَ؛ فإنه أسلمُ لدينك وقلبك، وأخفُّ لسقوط الحقوق عنك؛ لأنه كلما كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع.

الفائدة الخامسة: أن ينقطع عنك طمع الناس وطمعك عنهم:

أما انقطاع طمعهم عنك: فذلك أن رضاهم غاية لا تدرك، فانشغال المرء بصلاح نفسه أولىٰ، وهناك من الحقوق الهينة التي تضيع الأوقات الكثير، والأعذار في كل الأوقات صعبة، فتنشأ العداوة عند التقصير. ولهذا قيل: مَن عمَّ الناسَ كلَّهم بالحرمان رَضُوا عنه كلِّهم، ولو خصَّص البعضَ لغضبوا عليه ونفروا منه.

وقال عمرُو بن العاص رضي الله عنه: كثرة الأصدقاء كثرة الغرماء (أي: كثرة طالبي الحقوق).

وقال الشافعيُّ رضي الله عنه: أصلُ كلِّ عداوةٍ اصطناعُ المعروف إلىٰ اللئام.

وأما انقطاعُ طمعك عنهم: فإن مخالطةَ الدنيا وأصحابها تحرك الطمع والحرص إلىٰ زهرة الدنيا وزينتها. وقد قال ﷺ في الحديث الذي رواه أبو هُرَيْرَة رضي الله عنه: «انْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ دُونَكُمْ وَلَا تَنْظُرُوا إِلَىٰ مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَإِنَّهُ أَجْدَرُ أَلَّا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْكُمْ». مسلم برقم (٢٩٦٣). وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال عَوْن بن عبد الله: كنت أُجالس الأغنياءَ فلم أَزَلْ مغمومًا؛ كنت أرىٰ ثوبًا أحسن من ثوبي، ودابة (أي: سيارة مثلًا) أعظم من دابتي، فجالست الفقراء فاسترحت.

والطمع في الدنيا يخيب في أكثر الأوقات، فليس كل من يطلب الدنيا تيسر له.

الفائدة السادسة: الخلاص من مخالطة الحمقىٰ والثقلاء وتحمل أخلاقهم وتصرفاتهم: قال الشافعيُّ رضي الله عنه: ما جالَسْتُ ثقيلًا إلا وجدتُ الجانب الذي يليه مِن بدني كأنه أثقلُ عليَّ من الجانب الآخر. وقال جالينوس: لكلِّ شيءٍ حُمَّىٰ، وحَمَّىٰ الروح النظر إلىٰ الثقلاء.

ولو تأذَّىٰ الإنسان برؤية الحمقىٰ والثقلاء لم يأمن وقوعه في غيبتهم، فإذا ردوا عليه جره ذلك إلىٰ الرد عليهم بما هو معصية لله، وفي العزلة عنهم سلامة الدين.

فوائد الاختلاط بالناس وآفات العزلة: هناك من المقاصد والمنافع والمصالح ما يُستفاد من الاستعانة بالآخرين ومخالطتهم، فكلُّ ما يُستفاد مِن المخالطة مما لا يكون بالعزلة؛

فهو من مضارِّ العزلة وآفاتها.

الفائدة الأولى: التعليم والتعلم: التعليم والتعلم هما أعظم العبادات في الدنيا، ولا يكون ذلك إلا بالمخالطة، والمحتاج إلىٰ تعلم ما هو مفروض شرعًا عليه يكون عاصيًا لو اعتزل الناس قبل التعلم، فلو تعلم ما هو مفروض عليه كما بينه العلماء فله أن يعتزل بعد ذلك، ولا ينشغل بالعلوم الأخرىٰ.

وإن أعطاه اللهُ نصيبًا من الفهم والذكاء بحيث يكون في مقدوره أن يصبح بارزًا في العلوم، متفقهًا عالمًا؛ ففي عزلته خسران كبير له وللأمة، ولهذا قال النخعي لمن أراد الاعتزال: تفقَّه ثم اعتزل. فمَن اعتزل قبل التعلم فهو في الغالب مضيع لأوقاته في النوم والفكر الساذج، وغاية ما يستطيع أن يملأ أوقاته بالأذكار، وقد يصيبه بذلك نوع من الغرور أو سوء في اعتقاده في الله وصفاته وهو لا يعلم، ولا يجد من ينصحه، فلا خير في اعتزال العوام أو الجهال (أي اعتكافهم وخلوتهم) إذ إن العلم هو أصل الدين.

ويُقصد بالجُهَّال أو العوامِّ مَن لا يُحسنون دينَهم وعبادتهم، ولا يعرفون جميع ما يلزمهم شرعًا. ومثال ذلك: لو أن مريضًا جاهلًا خَلَا بنفسه بعيدًا عن الطبيب، ودون أن يتعلم الطب؛ لَتَضَاعَفَ مَرَضُه. فالاعتكاف والعزلة والخلوة لا تليق إلا بالعَالِم. وتعليم الناس فيه ثوابٌ عظيم وعمل محمود إذا صحَّت نية المعلم والمتعلم أيضًا، وإن كان القصد بالتعلم الجاه والمكانة بين الناس فهو هلاك الدين، ولهذا نبه بعضهم علىٰ خطورة هذه النوايا وحذر من فساد بعض المتعلمين لغير الله،

فقال أبو سليمان الخَطَّابيُّ: دَعْ عنك الراغبين في صُحْبتك والتعلُّم منك، فليس لك منهم مال ولا جمال (أي: لن يبذلوا لك مالًا يُكافئونك، ولن تجدَ منهم مَن تتجمَّل به أمام الناس).

ثم وصفهم فقال: إخوانُ العلانية أعداءُ السِّرِّ، إذا لَقُوك تَمَلَّقُوك، وإذا غِبْتَ عنهم سلقوك (أي: اغتابوك)، مَن أتاك منهم كان عليك رقيبًا، وإذا خَرَج كان عليك خطيبًا (أي: يلاحظونك عند القرب منك، ويتكلمون في حقك إن خرجوا من عندك) أهلُ نفاقٍ ونميمة وغلٍّ وخديعة، فلا تغترَّ باجتماعهم عليك، فما غرضُهم العلم، بل الجاه والمال، وأن يتخذوك

سلمًّا إلىٰ أغراضهم وحاجاتهم، إن قصرت في غرضهم كانوا أشد أعدائك، ثم يعدون مجيئهم إليك للتعلم منك منة منهم عليك، بل واجبًا وحقًّا عليك، ويفرضون عليك أن تبذل عرضك وجاهك ودينك لهم، ويريدون أن تعادي عدوهم، وتنصر قريبهم، وتكون لهم تابعًا بعد أن كنت رئيسًا.

ولهذا قيل: اعتزالُك العامة من الناس مروءة تامة فيك.

الفائدة الثانية: النفع والانتفاع: أما الانتفاع بالناس: فيقصد به الكسب والمعاملة المالية، والمحتاج إليه مضطر لترك العزلة ومخالطة الناس في مجاهدة طلب الحلال من الرزق، فإذا قصد الكسب للتصدق فذلك أفضل من العزلة، وإن ملك ما يكفيه من المال فله أن يعتزل، علىٰ أن يكون ذلك قربة إلىٰ الله بالتفكر في آلائه ونعمائه.

وأما النفع: فهو أن ينفع الناس بما يملك من مال أو جاه أو سلطان أو قوة بدن؛ ليقضي حوائجهم، ومن قدر علىٰ ذلك مع القيام بحدود الشرع فهو أفضل من الاعتزال، إن كان شغله في الاعتزال هو نوافل الصلوات والأعمال البدنية، فإذا فتح له باب العمل بالقلب بدوام الذكر والفكر فالاعتزال في حقه أفضل.

الفائدة الثالثة: التأدب والتأديب: أما التأدُّب: فيكون بتربية النفس بالتعامل مع الناس، والمجاهدة في تحمل أذاهم؛ ليكسر نفسه ويقهر شهواته، وهذا أفضل من العزلة في حق من يحتاج إليه، وينبغي أن يعلم أن ترويض النفس لا يراد لذاته، ولا يكون كمن اشتغل طول عمره بترويض وتعليم وتأديب الدابة ولم يركبها، فهي فائدة، ولكن المقصود ركوب الدابة، فالتأديب للنفس يراد لعمل الطاعات، ولتكون مطية للقلب يركبها؛ ليسلك بها طريق الآخرة. وأما التأديب: فهو أن يكون سببًا في تأديب وتربية غيره ممن يحتاجون إليه، والمخالطة هي الوسيلة لتهذيبهم، وهذا أفضل من العزلة، وإن كان يحتاجها أحيانًا.

الفائدة الرابعة: الاستئناس بالناس وإيناسهم: قال ﷺ: «عَلَيْكُمْ مِنَ الْعَمَلِ مَا تُطِيقُونَ، فَوَاللهِ لَا يَمَلُّ اللهُ حَتَّىٰ تَمَلُّوا» متفق عليه. فإن القلوبَ إذا أُكرِهت بالمواعظ كثيرًا عَمِيَت، وفي الوَحْدة والاعتزال وَحْشة في النفس، وفي المجالسة والمخالطة أنس يُروِّح القلب، وهي

الأولىٰ من العزلة والخلوة، والرفق بالعبادة من الحزم والكياسة؛ لأن النفس لا تألف الحق علىٰ الدوام ما لم تروح بالمباحات، وإلا فترت الهمة وضعفت، ولا يستغني المعتزل عن رفيق وجليس يستأنس بمشاهدته ومحادثته في اليوم والليلة حينًا من الوقت، وليجتهد في أن يكون صالحًا لا يفسد عليه سائر يومه بالفسق والمعاصي في تلك الساعة.

الفائدة الخامسة: في الحصول على الثواب لكلا الطرفين: فحضور الجنائز وعيادة المريض والأعياد والصلوات المكتوبات وعقود الزواج وغيرها مما يثاب عليه الفرد ويدخل السرور علىٰ أخيه، وكذلك يفتح باب زيارته شخصيًّا وتهنئته وتعزيته حسب الأحوال، فينالون ثواب الزيارة. وعلىٰ العموم يتوازن صاحب الأمر في أيهما أولىٰ عنده: المخالطة علىٰ هذا الشكل أم العزلة احتياطًا لدينه.

الفائدة السادسة: التواضع: وهو من أفضل الأخلاق، ولا يقدر عليه إلا بالمخالطة، ويخشىٰ أن يكون الكبر والخيلاء هما سبب عزلة الإنسان عن الناس، فليحذر ذلك، والعزلة لسبب الجهل أو حصول الجاه عند الناس بانتسابه للزهد والاعتزال، فهذا كذلك من الجهل، فالمخالطة هنا أفضل للعبد.

وقيل للحسن البصريِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن قومًا يحضرون مجلسك ليس بغيتهم إلا تتبُّع سَقَطات كلامك وإجهادك بالأسئلة المتعنتة. فتبسَّم وقال: هوِّن علىٰ نفسك، فإني حدثت نفسي بسُكْنَىٰ الجنان ومجاورة الرحمن؛ فطمعت في ذلك، وما حدَّثتُ نفسي بالسلامة من ألسنة الناس؛ لأني قد علمت أن خالقهم ورازقهم ومحييهم ومميتهم لم يسلم منهم.

وروي أن موسىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال: يا ربِّ، احبس عني ألسنة الناس. فقال: يا موسىٰ، هذا شيء لم أصنعه لنفسي فكيف أفعله بك؟ فمَن حَبَس نفسه في بيته عزلةً عن الناس ومقصده من ذلك أن يُحسن اعتقاد الناس فيه بالزهد والعلم والورع؛ فهو في خطأ ومصيبة. إذن لا تُستحبُّ العزلة إلا لمستغرق الأوقات بربِّه ذِكْرًا وفكرًا وعبادةً وعلمًا، بحيث لو خالطه الناس لضاعت أوقاته وكثرت عيوبه وآفاته، ولتشوشت عليه عباداته.

الفائدة السابعة: التجارب: فبمخالطة الخلق يستفيد المرء من تجارب الناس وممارستهم، فلا خير في عزلة من لم تحنكه التجارب الإنسانية، فمن اعتزل الناس بقي بعيدًا عن الخبرات والتجارب المفيدة التي تعلمه شئون حياته، بل وتكشف له عن عيوب نفسه، فكل غضوب أو حسود أو حقود لا يستطيع أن يعرف هذه الأمراض إلا بالمخالطة الصالحة. فالقلب المشحون بالحقد والبخل والحسد والغضب وسائر الأخلاق الذميمة إنما تتفجر منه خبائثه إذا خالط الناس وتحرك بينهم لتزكية قلبه.

وقد حُكي عن بعض الصالحين أنه قال: أعدتُ صلاةَ ثلاثين سنةً مع أني كنت أُصلِّيها في الصف الأول، ولكن تخلَّفت يومًا بعذر فوقفت في الصف الثاني، فوجدتُني أستشعر الخجل من نظرات الناس وقد سُبِقْتُ من غيري للصف الأول، فعلمتُ أن جميع صلواتي التي كنت أصليها كانت ممزوجةً بالرياء وباللذة من نظر الناس إليَّ أني من زمرة السابقين.

فالمخالطة لها فائدة عظيمة في استخراج خبائث النفس. والسفر نوع من المخالطة الدائمة مع المشاق التي فيه، فهو يسفر عن أخلاق الناس، فليستعن به الإنسان علىٰ معرفة عيوب نفسه. وأخيرًا إذا ظهر لنا فوائد العزلة أحيانًا، وعيوبها أحيانًا أخرىٰ؛ علمت أن الحكم عليها مطلقًا بالتفضيل وأنها أفضل من المخالطة، أو أن المخالطة أفضل؛ فهذا خطأ. بل ينبغي أن ينظر للشخص وحاله، وإلىٰ المخالطين له وحالهم، وإلىٰ نية المخالطة، وإلىٰ الأضرار التي تأتي بالمخالطة، وتقاس المصالح والمفاسد لتبين أيهما أفضل للعبد في حاله هذا.

وكلام الشافعيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو فصل الخطاب حيث يقول: الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة، والانبساط إليهم مجلبة لقرناء السوء، فكن بين المنقبض والمنبسط. فلذلك يجب الاعتدال في المخالطة والعزلة، ويختلف ذلك بالأحوال والمصالح والمفاسد.

آداب العزلة: مَن أراد العزلةَ بأصولها ورآها أفضل له وأسلم فله آداب في عزلته:

الأول: أن ينوي بعزلته كَفَّ شَرِّ نفسه عن الناس.

الثاني: أن يطلب بعزلته البعد عن الأشرار ليسلم مِن شَرِّهم.

الثالث: التخلُّص من عيب التقصير الذي يكون في حقِّه عند القيام بحقوق المسلمين.

الرابع: التجرُّد لعبادة الله بالهمة والتفرغ.

الخامس: أن يواظبَ علىٰ طلب العلم والذكر والفكر في عزلته؛ ليجني ثمرة العزلة.

السادس: أن يمنع الناس أن يُكثروا من زيارته؛ لئلا يضيع بهذا وقته.

السابع: أن يَكُفَّ عن السؤال عن أخبار الناس، أو الإصغاء إلىٰ ما يشغلهم من أحداث خارجية؛ فإن ذلك يشوش عليه صلاته وخشوعه.

الثامن: أن يقنع باليسير من المعيشة، وإلا لو أراد التوسع فعليه بالمخالطة.

التاسع: أن يبقىٰ صبورًا علىٰ ما يلقىٰ من أذىٰ الآخرين، سواء في العزلة أو خارجها، سواء ما قيل فيه بالثناء أو الذم والقدح، وإلا فسيؤثر ذلك في قلبه ويشغله عن مقصوده وهو حضور قلبه مع جلال الله وصفاته وملكوته.

العاشر: أن يتخذ زوجة صالحة في بيته أو جليسًا صالحًا يزوره، تستريح له نفسه ساعة من اليوم؛ ففيه عون علىٰ باقي الساعات.

الحادي عشر: أن يقطع طمعه في الدنيا، ويَقصُر أمله فيها، ويُقدِّر أنه إذا أصبح لم يُمْسِ، وإذا أمسىٰ لا يصبح.

الثاني عشر: ليكن كثير الذكر للموت ووحدة القبر ووحشته إذا ضاق قلبه من الوحدة والاعتزال، وليعلم أن من لم يحصل في قلبه من ذكر الله ومعرفته ما يأنس به فإنه لن يطيق وحشة القبر ووحدته، وأن من أنس بذكر الله ومعرفته فلا يزيل الموت أنسه، بل يبقىٰ حيًّا بمعرفته ربه، ومستأنسًا بفضله ورحمته وفضله.

❊ ❊ ❊

٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمعهم وجماعتهم، ومشاهد الخير، ومجالس الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم، وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه عن الإيذاء وصبر على الأذى

اعْلم أنَّ الاختلاط بالنَّاسِ عَلَىٰ الوجهِ الَّذِي ذَكَرْتُهُ هُوَ المختارُ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ رسول الله ﷺ وسائر الأنبياء صلواتُ الله وسلامه عَلَيْهِمْ، وكذلك الخُلفاءُ الرَّاشدون، ومَنْ بَعدَهُم مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، ومَن بَعدَهُم مِن عُلَماءِ المُسلمين وأَخْيَارِهم، وَهُوَ مَذْهَبُ أكثَرِ التَّابعينَ وَمَنْ بَعدَهُمْ، وبه قَالَ الشافعيُّ وأحمدُ وأكثَرُ الفقهاءِ رضي اللهُ عنهم أجمعين. قَالَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. والآيات في معنىٰ ما ذكرته كثيرة معلومة.

* * *

(آداب الصحبة والاختلاط بالناس)

اعلم أن الألفةَ بين الناس تأتي بعد الاختلاط بهم بحسن الخلق، وأن الحب في الله ثمرة هذا كله، وهو أفضل القربات عند الله؛ حيث يقول الله تعالىٰ في حديث قدسي: «وَجَبَتْ مَحَبَّتِي لِلْمُتَحَابِّينَ فِيَّ، وَالْمُتَجَالِسِينَ فِيَّ، وَالْمُتَزَاوِرِينَ فِيَّ، وَالْمُتَبَاذِلِينَ فِيَّ». مالك في موطئه (٢/ ٩٥٣) برقم (١٧١١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٣٣١).

قال النبيُّ ﷺ: «أَوْثَقُ عُرَىٰ الْإِيمَانِ أَنْ تُحِبَّ فِي اللهِ وَتُبْغِضَ فِي اللهِ». أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٦) برقم (١٨٥٤٧)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن بشواهده، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٠٠٩).

وقال ﷺ مُحذِّرًا من الصحبة السيئة وآفاتها: «الْمَرْءُ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ». أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٣) برقم (٨٠١٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده جيد، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٥٤٥).

ولا يصلح للصحبة كل أحد، بل ينبغي أن تكون فيه خمس خصال:

١ - أن يكون الصاحب عاقلًا: لأن العقل رأس مال العبد، ولا خير في صحبة الأحمق، والعاقل هو من يفهم الأمور بطريقة صحيحة.

٢ - أن يكون حسن الخلق: فلا يكفي العقل إذ ربما تغلبه الشهوة والغضب فيُطيع هواه بدلًا من عقله.

٣ - ألا يكون فاسقًا: لأن مرتكب الكبيرة لا يخاف الله تعالىٰ فلا يُوثق به.

٤ - ألا يكون صاحب بدعة في دينه.

٥ - ألا يكون حريصًا علىٰ الدنيا حرصًا مذمومًا يصرفه عن آخرته.

قال عمر رضي الله عنه: عليك بإخوان الصدق تَعِشْ في أكنافهم؛ فإنهم زينةٌ في الرخاء، وعُدَّة في البلاء، وضَعْ أمر أخيك علىٰ أحسنه حتىٰ يجيئك ما يُبعدك عنه، واعتزل عدوَّك، واحذر صديقك إلا الأمين، ولا أمين إلا مَن يخشىٰ الله، ولا تصحب الفاجرَ فتتعلَّم من فجوره، ولا تُطلعه علىٰ سرك، واستشر في أمرك مَن يخشىٰ اللهَ تعالىٰ.

حقوق المرء على أخيه: وعلىٰ الإنسان لأخيه حقوقٌ:

الحق الأول: قضاءُ حاجاته والقيام بها مع البشاشة والاستبشار، فيقوم بها إذا سأله حاجة، والأفضل أن يقضيها من غير سؤال، أما الأفضل والأعلىٰ من ذلك أن يقدمه علىٰ حوائج نفسه، وكان بعض السلف يتفقد عيال أخيه بعد موته أربعين سنة فيقضي حوائجهم.

الحق الثاني: أن يسكت عن ذكر عيوبه في حضوره وغيبته، وأن يكتم سره، ولو حدث بينهما قطيعة وخصام، ولا يقدح في شخصه أبدًا.

الحق الثالث: أن يسكت عن كل ما يكره إلا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال ابنُ المبارك رحمه الله: المؤمن يطلب المعاذيرَ (أي: يلتمس لأخيه الأعذار) والمنافق يطلب الزَّلَّات (أي: الأخطاء).

قال الفُضَيل بن عِيَاض رَحِمَهُ اللَّهُ: الصَّفْحُ عن الزَّلَّات، فلا يُسيء الظنَّ به، بل يُحِبُّ له ما يحب لنفسه.

الحق الرابع: أن يتكلم بما يجب في حقِّ أخيه من التودُّد والسؤال عنه والثناء عليه بما عرف عنه من محاسنه، وأن يشكره علىٰ معروفه في حقِّه، وأن يردَّ عنه في غيبته إذا أراد أحدٌ الإساءة إليه، وأن يدعوه ويعلمه وينصح له، ولْيَكُن النصح سرًّا.

الحق الخامس: الدعاء له في حياته وبعد مماته: وفي الحديث الشريف: «دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ» [مسلم برقم (٢٧٣٣)]. وكان السلفُ يدعون لإخوانهم كثيرًا.

الحق السادس: الوفاء له والإخلاص: فيثبت علىٰ حبِّه إلىٰ الموت وبعد الموت مع أهله وأولاده وأصدقائه، ولا يتغير عليه إن ارتفع مقامه فيعامله بالتواضع ولا يصادق عدوه.

الحق السابع: ألا يُكلِّف أخاه ما يشقُّ عليه من الطلبات، بل يتعفَّف ولا يسأله المعونة والتفقُّد.

آداب معاشرة الناس: وهذه بعضَ آداب معاشرة الخلق أو حُسن العِشْرة:

-أن تَلْقَىٰ صديقك وعدوَّك بوجه الرضا من غير ذُلٍّ لهما ولا خوفٍ منهما.

-وأن تتواضع في غير ذلة.

-وأن تكون وقورًا في غير كِبْر.

-وكن في جميع أمورك في أوسطها.

-وتحفظ من تخليل أسنانك، وإدخال إصبعك في أنفك، وكثرة بصاقك، وكثرة التمطي والتثاؤب في وجود الناس.

-ومن حسن العشرة أن يكون المجلس هادئًا والحديث مرتبًا.

-وأن تصغي إلىٰ محدثك دون مبالغة في التعجب.

-ولا تتصنع تصنع المرأة في التزين، ولا تهمل في ثيابك.

-ولا تشجع في مجلسك أحدًا علىٰ الظلم.

-واجعل أهلك يهابونك من غير عنف، وكن لينًا معهم في غير ضعف.

-ولا تسقط وقارك بكثرة الهزل والضحك.

-ولا تجالس صاحب سلطة؛ فإن اضطُررت فاحذر الأخطاء والغِيبة والنميمة، وكن كتومًا لسره، واحذر من الأعمال المستقبحة عنده مثل: التَّجَشُّؤ، والتثاؤب، وتخليل الأسنان، والمزاح. وكن منه علىٰ حذر، ولا تأمن انقلابه ضدك. وكن به رفيقًا، وكلِّمه بما يرضيه.

-ولا تَجْعَلْ حَرْصَكَ علىٰ طلب المال يُهوِّن عليك حِفْظ عِرْضك.

-وإذا دخلت مجلسًا فاجلس بالأدب منذ البداية بالتسليم، وترك التخطي للآخرين، والجلوس حيث اتسع المكان وأقرب للتواضع، وأن تُسَلِّم علىٰ مَن قرب منك عند الجلوس.

-ولا تجعل جلساتك الخاصة علىٰ قارعة الطريق، فإذا جلست فغُضَّ البصر، وانصر المظلوم والملهوف، وساعد الضعيف، وأرشد الضال إلىٰ الطريق، ورد علىٰ السائل، وأمر بالمعروف، وانه عن المنكر.

-وإياك والتكلف في ممازحة العاقل اللبيب أو غير اللبيب: فإن اللبيب يغضب منك ويحقد عليك؛ لأنك قد تسبب له إحراجًا أو استهزاء، والسفيه سوف يجترئ عليك؛ لأن كثرة المزاح تسقط الهيبة وتقسي القلوب.

* * *

٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقال تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ٣٢﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمۡ قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [الأعراف: ٤٨، ٤٩].

(٦٠١/ ٧١) وعن عِيَاضِ بن حِمَارٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ أَوْحَىٰ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ، وَلا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ». رواه مسلم.

(٦٠٢/ ٧١) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لله إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ». رواه مسلم.

(٦٠٣/ ٧١) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ صبيانٍ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، وقال: كَانَ النبيُّ ﷺ يفعله. متفق عليه.

(٦٠٤/ ٧١) وعنه قَالَ: إن كَانَتِ الأَمَةُ مِنْ إِمَاءِ المَدِينَةِ لَتَأْخُذُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ! رواه البخاري.

(٦٠٥/ ٧١) وعن الأَسْوَدِ بن يزيدَ قَالَ: سُئِلَتْ عائشةُ رضي الله عنها: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصْنَعُ فِي بَيْتِهِ؟ قالت: كَانَ يَكُون فِي مِهْنَةِ أَهْلِهِ- يعني خِدمَة أهلِه- فإذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ خَرَجَ إِلَىٰ الصَّلاةِ. رواه البخاري.

(٦٠٦/ ٧١) وعن أَبي رِفَاعَةَ تَمِيم بن أُسَيدٍ رضي الله عنه قَالَ: انْتَهَيْتُ إِلَىٰ رَسولِ الله ﷺ وَهُوَ يخطب، فقلت: يارسول الله، رَجُلٌ غريبٌ جَاءَ يَسْأَلُ عن دِينِهِ لا يَدْرِي مَا دِينُهُ، فَأَقْبَلَ عليَّ رسولُ الله ﷺ، وتَرَكَ خُطبَتَهُ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ إِلَيَّ فَأُتِيَ بِكُرْسِيٍّ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُعَلِّمُنِي مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ أَتَىٰ خُطْبَتَهُ فَأَتَمَّ آخِرَهَا. رواه مسلم.

(٦٠٧/ ٧١) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَكَلَ طَعَامًا، لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلاثَ. قَالَ: وقال: «إِذَا سَقَطَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيُمِطْ (أي: فَلْيُزِلْ ويُبعِد) عنها الأذىٰ، وليَأْكُلْها وَلا يَدَعْها لِلشَّيْطانِ». وأمرنا أن نسلُتَ القَصْعَةَ (أي: أن يُتَّبع ما بقي فيها من طعام ويُؤكل)، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

(٦٠٨/ ٧١) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَىٰ الغَنَمَ». قَالَ أَصْحَابُهُ: وَأَنْتَ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَىٰ قَرَارِيطَ (أي: جمع قيراط، وهو جزء من أجزاء

الدينار) **لأَهْلِ مَكَّةَ**». رواه البخاري.

(٦٠٩/ ٧١) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**لَوْ دُعِيتُ إِلَىٰ كُرَاعٍ** (أي: هو ما دون الركبة من ساق من البقر والغنم، ويكون دقيقًا ليس به لحم) **أَوْ ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، ولو أُهْدِيَ إِلَيَّ ذراعٌ أَوْ كُراعٌ لَقَبِلْتُ**». رواه البخاري.

(٦١٠/ ٧١) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَتْ ناقةُ رسول الله ﷺ العضْبَاءُ (أي: هو اسم ناقة رسول الله ﷺ) لَا تُسْبَقُ، أَوْ لَا تَكَادُ تُسْبَقُ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ عَلَىٰ قَعودٍ (أي: إبل لم تزَلْ بعدُ في المَرَّات الأُوَل للركوب عليها) لَهُ فَسَبقَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ حَتَّىٰ عَرَفَهُ، فَقَالَ: «**حَقٌّ عَلَىٰ اللهِ أَلَّا يَرْتَفِعَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعَهُ**». رواه البخاري.

* * *

(التواضع)

التواضعُ: هو انخفاضٌ وتذلُّل، فهو الخضوع والانقياد للحقِّ، وقبولُه ممن قاله، وهو الاستسلام للحقِّ وتَرْك الاعتراض عليه في الحكم.

وفي هذا قال الجُنَيد رحمه الله: التواضعُ هو خَفْض الجَنَاح، ولِينُ الجانب.

وقال ابنُ عطاء الله رحمه الله: هو قَبُولُ الحقِّ ممن كان، والعِزُّ في التواضع، ولا يطلب العز بالتكبر، وإلا فهو كمن يطلب الماء من النار.

وقال إبراهيمُ بن شَيْبان رحمه الله: الشرفُ في التواضع، والعِزُّ في التقوىٰ، والحرية في القناعة. فالمتواضع شريف بين الناس بتواضعه، والتقي عزيز بينهم، والقانع حر لا يتحكم فيه أحد ولا شهوة ولا رغبة.

وقال سُفْيان الثَّوريُّ رحمه الله: أعزُّ الخلق خمسة أنفس:

- عالم زاهد، فهو رغم عِلمه لم يتكبَّر بطلب الدنيا وإنما تزهَّد.
- وفقيه زاهد، فهو رغم فِقهه إنما انشغل أيضًا بصلاح داخله ونفسه.
- وغنيٌّ متواضع، فرغم غناه لم يتكبر وإنما تواضع.
- وفقير شاكر، لم يمنعه فَقْرُه من أن يكون شاكرًا لربه.
- وشريف سُنِّي، وهو مَن كان مِن آل البيت ولم يتشيَّع مع الشيعة، وإنما ذهب مع

أهل السُّنَّة ومذهبهم.

درجات التواضع:

الأولى: التواضع للدين: أي بأن تتواضع في دينك، فلا تُعارض بعقلك ورأيك دين الله وأحكامه، بل عليك الانقياد لله وللرسول والاستسلام والإذعان، فلا تعارض دين الله بالعقل أو القياس الفاسد أو الأحكام البشرية العقلية.

الثانية: التواضع للمسلمين: أي أن ترضىٰ بأخيك؛ لأن اللهَ ارتضاه له عبدًا فكيف لا ترضاه لك أخًا؟! وتقبل الحق ممن تحب وممن تُبغض، فتقبله من عدوك كما تقبله من صديقك.

الثالثة: أن يتواضع للحق في ذاته: فلا يرىٰ لنفسه حقًّا علىٰ الله، بل ينفذ الأمر الإلهي طاعة وانقيادًا لا برأي وهوًىٰ، بل عبادة وليس عادة.

الفرق بين التواضع والذلة والمهانة: التواضع يأتي من: معرفة الله، وأسمائه، وصفاته، وجلاله، وإنعامه الكثير علىٰ الخلق.

ثم من معرفته نفسه: عيوبها، وتقصيرها، وآفاتها، فيتولد عن ذلك انكسار في القلب لله، وهو خلق التواضع، ويرحم عند ذلك عباد الله، ويخفض لهم جناح الذل من الرحمة، فلا يرىٰ لأحد عليه فضلًا، بل لا يرىٰ لنفسه عند أحد حقًّا، ويرىٰ الفضل للناس جميعًا عليه، وهذه نعمة يعطيها الله لمن يحب من عباده.

وأما الذلة والمهانة: فهي بذل النفس في الأعمال الدنيئة والخسيسة في نيل حظوظ النفس الأمارة بالسوء وشهوتها، فيطلبها حلالًا وحرامًا، فهو ذليل لشهوته ولنفسه، أو هو يتذلل ويهين نفسه عند من لا يستحق من البشر طلبًا لشيء من أشياء الدنيا وحظوظها، فهذا من الضعة والذلة والمهانة، وليس من التواضع، والله يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة.

التواضع لله: وهو نوعان:

أولهما: التواضع لعظمة الرب وجلاله، وخضوعه لعزته وكبريائه: فإذا نازعته نفسه للتكبر تذكَّر عظمةَ ربِّه وانكسر لها، ولا يكون كإبليس الذي تكبَّر علىٰ ربِّه، فالكبر علىٰ

الله هو ذنب إبليس اللعين الذي احتجَّ بالإصرار علىٰ ربِّه، أما آدم عليه السلام فذنبه من الشهوة والحرص، فاتهم نفسه وأعلن توبته، فالكبر وأهله مع إبليس في جهنم، والشهوة وأهلها المستضعفون التائبون مع أبيهم آدم عليه السلام في الجنة.

فالتكبر علي شرع الله شر من الشرك؛ لأن المتكبر يتكبر علىٰ عبادة الله تعالىٰ، والمشرك يعبد الله ومعه غيره. وكما في حديث النبي ﷺ حيث قال: «لا يَدْخُلُ الـجَنَّةَ مَنْ كانَ فِي قَلْبِهِ مثقالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». أي الكبر علىٰ الله تعالىٰ. مسلم برقم (٩١).

الثاني: التواضع لشرع الله تعالىٰ: فيمتثل أمره، ويجتنب نهيه، ولا يطيع نفسه في طلب الراحة والسكون والهروب من العبودية والتذلل بالطاعة لله، فإن النفس الأمارة بالسوء تأبىٰ العبودية والانقياد، فهذا هو تواضع العبودية.

ومما روي مرفوعا: «طُوبَىٰ لِمَنْ تَوَاضَعَ فِي غَيْرِ مَنْقَصَةٍ (أي: ليس لسبب معصية أو سلوك دنيء) وَذَلَّ فِي نَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ، وَأَنْفَقَ مَالًا جَمَعَهُ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَرَحِمَ أَهْلَ الذُّلِّ وَالْمَسْكَنَةِ، وَخَالَطَ أَهْلَ الْفِقْهِ وَالْحِكْمَةِ، طُوبَىٰ لِمَنْ طَابَ كَسْبُهُ، وَصَلُحَتْ سَرِيرَتُهُ، وَكَرُمَتْ علانِيَتُهُ، وَعَزَلَ عَنِ النَّاسِ شَرَّهُ، طُوبَىٰ لِمَنْ عَمِلَ بِعِلْمِهِ، وَأَنْفَقَ الْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ، وَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ». الطبراني في «الكبير» (٥/ ٧١) برقم (٤٦١٥).

وقد روي عن عائشة ترفعه: «يَا عَائِشَةُ، لَوْ شِئْتُ لَسَارَتْ مَعِي جِبَالُ الذَّهَبِ، جَاءَنِي مَلَكٌ وَإِنَّ حُجْزَتَهُ لَتُسَاوِي الْكَعْبَةَ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلامَ وَيَقُولُ: إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْدًا، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكًا». قَالَ: «فَنَظَرْتُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عليه السلام» قال: «فَأَشَارَ إِلَيَّ أَنْ ضَعْ نَفْسَكَ». قَالَ: «فَقُلْتُ: نَبِيًّا عَبْدًا». أبو يعلىٰ في «مسنده» (٨/ ٣١٨) برقم (٤٩٢٠)ب.

وروي أن المسيح عليه السلام قال: طوبىٰ للمتواضعين في الدنيا، هم أصحابُ المنابر يوم القيامة، طوبىٰ للمُصلِحين بين الناس في الدنيا، هم الذين يَرثون الفردوسَ يوم القيامة، طوبىٰ للمُطهَّرة قلوبُهم في الدنيا، هم الذين ينظرون إلىٰ الله تعالىٰ يوم القيامة.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: وَجَدْنا الكرمَ في التقوىٰ، والغِنَىٰ في اليقين، والشرف في

التواضع. وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: مَن تواضع لله تخشعًا رفعه الله يوم القيامة، ومن تطاول (أي: تكبر) تعظمًا وضعه الله يوم القيامة.

وسُئل الحسن البصريُّ رحمه الله عن التواضع فقال: التواضع أن تخرج من منزلك ولا تلقىٰ مسلمًا إلا رأيت له عليك فضلًا.

وقيل لعبد الملك بن مَرْوان رحمه الله: أيُّ الرجال أفضل؟ قال: مَن تواضَعَ مِن قُدْرة، وزهد عن رغبة. وقال كَعْب بن مالك رضي الله عنه: ما أنعم اللهُ علىٰ عبدٍ مِن نعمة في الدنيا شَكَرَها لله وتواضع بها لله إلا أعطاه الله نَفْعها في الدنيا ورفع بها درجته في الآخرة.

وقال عُرْوة بن الوَرْد رحمه الله: التواضعُ أحدُ مصائد الشرف (أي: يعني من تواضع فقد حاز شرفًا) وكل نعمة محسود عليها صاحبها إلا التواضع. وقال حكيمٌ: من تكبَّر وترفَّع في موضعٍ يتواضع الناس فيه، ابتلاه اللهُ بالذلة في موضع يرتفع الناس فيه.

وقال عبدُ الله بن المبارك رحمه الله: رأس التواضع أن تضع نفسك عند من دونك في نعمة الدنيا حتىٰ تُعلِمَه أنه ليس لك بدنياك عليه فضلٌ (أي: تتواضع لمن هو أفقر منك)، وأن ترفع نفسك عمن هو فوقك في الدنيا حتىٰ تُعلِمَه أنه ليس له بدنياه عليك فضل (أي: لا تذل نفسك بسبب الدنيا).

وقال حكيمٌ: أرفعُ ما يكون المؤمن عند الله أوضع ما يكون عند نفسه، وأوضع ما يكون عند الله أرفع ما يكون عند نفسه. وقال أيضًا: الزاهد بغير تواضُعٍ كالشجرة التي لا تُثمر.

وقال آخر: التواضع في الخَلْق كلهم حسن، وفي الأغنياء أحسن، والتكبُّر في الخلق كلهم قبيح، وفي الفقراء أقبح.

قصة: يُروَىٰ أن رجلًا بدويًّا فقيرًا جدًّا ودميمَ الوجه اسمه زاهر بن حرام، كان يتاجر بين المدينة والبادية، دخل المدينة يومًا بحثًا عن رسول الله ﷺ ليُسلِّم عليه، فلم يجد النبيَّ ﷺ في بيته، فذهب إلىٰ السوق ليبيع ما معه من بضاعةٍ، فإذا برجل يعانقه من ورائه، ففزع زاهر وقال: من أنت؟ أَرْسِلْني يا هذا. فحاول زاهرٌ الإفلاتَ من يد الرجل وفشل، فحاول التعرف عليه، فلما التفت إليه برأسه فإذا هو رسول الله ﷺ، فارتسمت علىٰ وجه زاهرٍ

بسمةٌ أنسته آلام فقره، ومازحه النبي ﷺ مناديًا: «مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟ مَنْ يَشْتَرِي العَبْدَ؟».
فنظر زاهر إلىٰ نفسه فوجد في نفسه الفقر والدمامة وقلة الحال، فهمس في أذن النبيِّ ﷺ قائلًا: إذن والله تجدني كاسدًا يا رسول الله. فقال النبيُّ ﷺ: «لَكِنَّكَ عِنْدَ الله لَسْتَ بِكَاسِدٍ، أَنْتَ عِنْدَ الله غَالٍ». أحمد في مسنده (٣/ ١٦١) برقم (١٢٦٦٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وهذا من تواضع النبيِّ ﷺ مع الفقراء، فالتواضع خلق كريم يقرب العبد من ربه، ويحببه إلىٰ سائر الخلق أجمعين، المتواضع بعيد من نار جهنم يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

٧٢- باب تحريم الكبر والإعجاب

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾ [الإسراء: ٣٧].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان: ١٨].

ومعنىٰ ﴿تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾؛ أي: تُمِيلُهُ وتُعرِضُ بِهِ عَنِ النَّاسِ تَكَبُّرًا عَلَيْهِمْ.
و«المَرَحُ»: التَّبَخْتُرُ.

وقال تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ قَٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾﴾ إِلَىٰ قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٧٦- ٨١].

(٦١١/ ٧٢) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». فَقَالَ رَجُلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، ونَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ بَطَرُ الحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم.

«بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُهُ وَرَدُّهُ عَلَىٰ قَائِلِهِ، و«غَمْطُ النَّاسِ»: احْتِقَارُهُمْ.

(٦١٢/ ٧٢) وعن سَلَمة بن الأكوع رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا أكَلَ عِنْدَ رسول الله ﷺ بشمالِهِ، فقَالَ: «كُلْ بيَمِينِكَ». قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ! قَالَ: «لا اسْتَطَعْتَ». مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ. قَالَ: فما رفَعها إِلَىٰ فِيهِ. رواه مسلم.

(٦١٣/ ٧٢) وعن حارثة بن وَهْب رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «ألا أُخْبِرُكُم بأهْلِ النَّارِ؟ كلُّ عُتُلٍّ (أي: هو الفَظُّ الغليظ الجافي، الشديد الخصومة بالباطل) جَوَّاظٍ (أي: كثير اللحم المختال في مِشْيته، أو القصير البطين، أو الجموع المنوع الذي يجمع المال ويبخل به) مُسْتَكْبِرٍ». متفق عليه، وتقدم شرحه في باب ضعفة المسلمين.

(٦١٤/ ٧٢) وعن أبي سعيدٍ الخُدْري رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «احْتَجَّتِ الجَنَّةُ وَالنَّارُ، فَقَالَت النَّارُ: فِيَّ الجَبَّارُونَ والمُتَكبِّرُونَ، وقالتِ الجَنَّةُ: فِيَّ ضُعفاءُ الناسِ ومساكِينُهُم. فقضىٰ اللهُ بَينهُما: إِنَّكِ الجنَّةُ رَحْمَتِي، أَرْحَمُ بِكِ مَنْ أَشَاءُ. وَإِنَّكِ النَّارُ عَذَابِي، أُعَذِّبُ بكِ مَنْ أشَاءُ، وَلِكِلَيْكُمَا عَلَيَّ مِلْؤُهَا». رواه مسلم.

(٦١٥/ ٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا يَنْظُرُ (أي: لا يرحم) اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا (أي: تكبرًا وطغيانًا)». متفق عليه.

(٦١٦/ ٧٢) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَة، وَلَا يُزَكِّيهِمْ (أي: لا يُطهِّرهم من ذنوبهم)، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيهِمْ، وَلَهم عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكْبِرٌ». رواه مسلم. «العَائِلُ»: الفَقِيرُ.

(٦١٧/ ٧٢) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: العِزُّ إِزَارِي، والكبرياءُ رِدائِي، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ». رواه مسلم.

(٦١٨/ ٧٢) وعنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمشِي فِي حُلَّةٍ (أي: الحُلَّة: ثوبان أحدهما فوق الآخر، أو إزار ورداء) تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ، يَخْتَالُ فِي مِشْيَتِهِ، إِذْ خَسَفَ اللهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ فِي الأَرْضِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ». متفق عليه. «مُرَجِّلٌ رَأْسَهُ»؛ أي: مُمَشِّطُهُ. «يَتَجَلْجَلُ» بالجيمين؛ أي: يَغُوصُ وَيَنْزِلُ.

(٦١٩/ ٧٢) وعن سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّىٰ يُكْتَبَ فِي الجبَّارِينَ، فَيُصِيبُهُ مَا أَصَابَهُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

«يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ» أي: يَرْتَفِعُ وَيَتَكبَّرُ.

❋ ❋ ❋

(الكِبْر)

الكِبْر: أن يرىٰ الإنسانُ نفسَه فوق الآخرين وأفضل منهم، وأن له من الحقِّ ما ليس لغيره. وهو استعظامٌ للنفس واستحسان ما فيها من الفضائل؛ لأن المتكبرَ قد يكون له منزلة ما وفضل ما، ولكنه يرىٰ نفسه أكبر من هذه المنزلة وذلك الفضل، فيستهين بالناس، ويستصغرهم، ويترفع عليهم. فالكبر بَطَرُ الحق؛ أي رفض الحق والحقيقة، فلا يعجبه إلا الحق الذي يراه هو، وهو أيضًا غَمْطُ الناس؛ أي احتقارهم واستصغار شأنهم. والكبر يكون في النفس.

أما التكبر فيقال لما ظهر من أعمال الكِبْر علىٰ جوارح الإنسان. والكبر منبع الشقاء؛ فهو يحجب صاحبه عن الجنة؛ لأن المتكبر بسبب كبره يغلق باب الأخلاق الفاضلة، فلا يقدر أن يحب لغيره ما يحب لنفسه وهو يرىٰ أنه الأفضل، وعزة نفسه تأبىٰ التساوي مع الآخرين، ولا يحب التواضع، ولا يترك الحقد والحسد، ولا يقدر علىٰ ترك الغضب ولا كظم الغيظ، ولا يقبل النصح.

فَمَا مِن خُلُقٍ ذميم إلا وصاحب الكبر متمسك به؛ ليحفظ عزة نفسه، وما من خلق كريم إلا وصاحب الكبر يخاف منه؛ خشية أن تهتز مكانته التي يراها ويرغب بها بين الناس، وشر أنواع الكبر ما يمنع من قبول العلم والحق والانقياد له.

ورُوي أن المسيحَ عليه السلام قال: إن الزَّرْعَ ينبت في الأرض السَّهْلة ولا ينبت علىٰ الحجارة، كذلك الحكمة تعمل في قلب المتواضع ولا تعمل في قلب المتكبر.

أقسام الكبر: وهي ثلاثة:

الأول: التكبُّر على الله تعالى: وهو كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠﴾ [غافر: ٦٠]، وأكبر ما ظهر في إبليس الذي تكبر علىٰ الله تعالىٰ، وفي فرعون الذي قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٢٤﴾ [النازعات: ٢٤].

الثاني: التكبر على الرسل: فيأبىٰ المتكبر الانقياد لبشر مثله، كما قال تعالىٰ: ﴿أَنُؤۡمِنُ لِبَشَرَيۡنِ مِثۡلِنَا وَقَوۡمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ٤٧﴾ [المؤمنون:٤٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ

﴿مِّثۡلُنَا﴾[يس: ١٥]، أو كما قالت قريش: ﴿لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١﴾[الزخرف: ٣١]، أو كما فعل اليهود حينما حسدوا الرسول ﷺ وأبوا الانقياد له: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾[البقرة:٨٩]. وهذا الكِبر قريب من التكبر على الله ﷻ، وإن كان أقل منه، ولكنه في آخر الأمر تكبر على قبول أمر الله والتواضع لرسوله ﷺ.

الثالث: التكبر على العباد: وذلك بأن يستعظم نفسه ويحتقر غيره، فالمستعظم نفسه فقط هو المعجب بنفسه فإذا زاد على ذلك احتقار الآخرين فهو المتكبر، وبتكبره على الخلق فإنه ينازع الله في حقه؛ فيقول النَّبيُّ ﷺ: «العِزُّ إِزَارُهُ وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ» [مسلم برقم (٢٦٢٠)]. ثم هو باحتقاره للناس يستنكف (يتكبر) أن يقبل الحق على ألسنتهم كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٢٠٦﴾[البقرة: ٢٠٦]. ولعل هذا يجرُّه إلى التكبُّر على حكمة الله إذا قدم عليه أحد من البشر بميزة أو بفضل، فيفعل فعل إبليس ويقول: أنا خير منه، وأنا أولى منه بالرياسة والتقدمة. فيجره هذا إلى التكبر على الله ورسله أيضًا.

أسباب الكبر: والكبر لا يأتي إلا بعد أن يوجد عند المتكبر سبب من أسباب الكمال أو الفضل في الدين أو الدنيا. فأما الأسباب الدينية فهي العلمُ والعمل، وأما الأسباب الدنيوية فهي النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الأتباع.

السبب الأول: العلم: وحصول العلم كمالٌ في العبد؛ فيستشعر في نفسه ذلك ويحتقر الآخرين كأنهم البهائم؛ لجهلهم، فهو يرى نفسه أفضل عند الله منهم، فينتظر من الآخرين البدء في السلام، والحرص على إكرامه وشكره وزيارته، ولا يلتفت هو إلى الاهتمام بهم، وذلك بسببين:

الأول: أن يشتغلَ بطلب العلم في صورته ليُحسن الكلام مع الآخرين، ويُظهر فضله، ولا يطلب العلم الحقيقي الذي يعرف به ربَّه ويعرف نفسه؛ الذي يُورثه الخشية والتواضع: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾[فاطر: ٢٨]، فالعلم هو معرفة العبودية ولوازمها والربوبية وطريق العبادة، أما علوم الحياة وفنونها كعلم الطب

والحساب واللغة والشعر فإذا امتلأ بها عقل الإنسان دون التقوىٰ والهداية فهي سبيل للتكبر والنفاق.

الثاني: أن يطلب العلم وهو خبيث النفس سيِّئ الأخلاق، وينسىٰ تهذيبَ نفسه وخُلُقه، والعلم كالمطر ينزل من السماء حلوًا صافيًا فتشربه الأشجار بعروقها؛ فتتحول علىٰ قدر ما فيها من طعم ورائحة؛ فيزداد المرُّ مرارةً والحلو حلاوة، كذلك العلم يزيد المتكبر تكبرًا، أما إن كان خائفًا فيتعلم فيزداد بالعلم والحجة خوفًا وذلةً وتواضعًا، والعلم من أعظم ما يتكبر به، وكما قال بعضُ أهل العلم واصفًا إبليس: لو كان العلمُ بغير تُقًى شرفًا لكان أولىٰ الناس بالجنة إبليس.

السبب الثاني: العمل والعبادة: فهو بسبب عبادته وتديُّنه يرىٰ أن له حقًّا علىٰ الناس بقضاء حوائجه وتقديمه علىٰ غيره، وغير ذلك مما سبق ذكره بخصوص العلماء، ويرىٰ نفسه أفضل من غيره بسبب رؤيته لعبادته وعمله واستعظامه لهما، فيظن الناس هَلْكَىٰ وينظر إليهم متكبرًا، وكفىٰ بالمرء شرًّا أن يَحقِرَ أخاه المسلم.

واعلم أن الله تعالىٰ إنما يُريد من العبيد طاعةَ قلوبهم، فالجاهل العاصي إذا جاءته خشيةٌ من الله فتواضع هيبةً وذَلَّ خوفًا من الله فقد أطاع الله بقلبه، وهذا هو بيت القصيد، وهو عند ذلك أطوع لله من عالم متكبر، والعياذ بالله، فمع أنه عابد لكنه مُعجَب بعمله ويحتقر غيره من الناس، وهذا العابد الجاهل يتوقع الكرامات لنفسه دائمًا حينما يختلف مع غيره ويصيبه الأذىٰ منهم، فيقول: سترون ما يفعل الله بهم من أجلي؟ وهو متأكد من الكرامة التي ستحدث ببركة عبادته وعمله، ونسي المسكين أن الأنبياء والمرسلين ضُربوا وقُتلوا وشُتموا والله أمهل فاعل ذلك، ومنهم من أعطي فرصة فأسلم، فلا يظن أنه أكرم علىٰ الله من أنبيائه ورسله، ومن اعتقد جزمًا أنه فوق أحد من عباد الله فقد أحبط بجهله جميع عمله، فالجهل أفحش المعاصي وأعظم شيء يبعد العبد عن ربه.

السبب الثالث: التكبُّر بالحسب والنسب: وهذا عرق دفين موجود في النفوس، يكاد لا تخلو منه نفس بشرية مع صلاحها وعقلها، واذكر قولَ أبي ذرٍّ الغِفَاري لبلال رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: يا ابنَ

السَّوْداء. وعتاب النبيِّ ﷺ له. البيهقي في الشعب (٤/ ٢٨٨) برقم (٥١٣٥).

وانتشار هذا الأمر بين القبائل أكثر من غيره، فيستحقر من ليس له ذلك النسب الشريف في رأيه حتىٰ لو كان أرفع منه قدرًا في العلم والعمل.

السبب الرابع: التفاخر بالجمال: وذلك أكثر ما يكون بين النساء مما يدفعهن إلىٰ الغيبة والتنقص لغيرهن، فمن أُعجبت بجمالها ورأت أنها أجمل من غيرها ذهبت تنتقص الأخريات بالقبح وغيره.

السبب الخامس: الكبر بالمال: وأكثر ما يكون بين الملوك ورجال الأعمال والتجار وملاك الأراضي وغيرهم، فيستحقر الغنيُّ الفقيرَ ويتكبر عليه ويقول له: لو أردت أن أشتري مائة منك لفعلت. فالغني يستعظم نفسه ويحتقر الفقير، وينسىٰ أن للفقر فضائله، وللغنىٰ رذائله، ويذكرنا ذلك قوله تعالىٰ: ﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾ [الكهف: ٣٤]، فينبغي أن يذكر المتكبر قارون الذي خرج متكبرًا علىٰ قومه وما فعله الله تعالىٰ به.

السبب السادس: الكبر بالقوة والبطش على الضعفاء: وهو من الوضوح في حياتنا بحيث لا يحتاج إلىٰ كثير دليل وشرح.

السبب السابع: التكبر بالأتباع والأنصار والتلاميذ، وبالعشيرة والأقارب والبنين: فيكون هذا بين ملوك القبائل وبعض العلماء.

وتلاحظ أن كل ما هو من النعم والكمالات أو حتىٰ يعتقد صاحبه أنه من الكمالات كان ذلك أدعىٰ لضعفاء النفوس أن يتكبروا به علىٰ سائر الخلق، حتىٰ إن الفُسَّاق وأصحاب المعاصي قد يفتخرون بكثرة فجورهم وقوة أجسادهم علىٰ فعل المعاصي وشرب الخمور والمسكرات، ويفخرون علىٰ غيرهم ويتهمونهم بالضعف، فيعتبر ذلك في نظرهم من الكمال في القوة والجسم، مع خطئهم الشديد في فهمهم واعتقادهم، فالمتكبر يأبىٰ أن يتعلم ويجلس مجلس التلميذ.

ويظهر الكبر علىٰ الناس بثلاثة: سبب في المُتكبِّر، وسبب في المتكبَّر عليه، وسبب فيما يتعلق بغيرهما: **أما السبب الذي في المتكبر**: فهو العُجب، والمُعجَب يستعظم نفسه ويعجب بها ولا يحتقر الآخرين وهو بداية الكبر. **والذي يتعلق بالمتكبَّر عليه**: فهو الحقد والحسد، فهو يحسد غيره مما يتنافسونه في دين أو دنيا، فيتمنىٰ زوال نعم المحسودين بحسدهم، ثم يرغب في الانتقام بحقده عليهم، فلا تطاوعه نفسه بالتواضع لمنافسه بل يتكبر عليه. **وأما الذي يتعلق بغيرهما**: فهو الرياء، وهو يدفع إلىٰ أخلاق المتكبرين؛ فهو يحب أن يظهر فضله علىٰ الآخرين للناس، ويأبىٰ قبول الحق من غيره رياءً وسمعة.

درجات الكبر:

الدرجة الأولى: أن يكونَ الكِبر مُستقِرًّا في قلب الإنسان من داخله، ويرىٰ نفسَه أفضل من غيره، ومع ذلك يمنع مظاهر الكبر من الظهور، فيجتهد ويتواضع بجوارحه، ولا يعالج شجرة الكبر في قلبه مع أنه قد قطع أغصانها حتىٰ لا يراها الناس.

الدرجة الثانية: أن يكون الكبر في قلبه ويظهر علىٰ جوارحه كذلك بالترفع علىٰ أقرانه وزملائه في المجالس، والإنكار علىٰ مَن لا يرفع قدره، ويُصَعِّر خده للناس، والله تعالىٰ قال لنبيِّه: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

الدرجة الثالثة: وهي أشدُّهم حيث يكون في القلب ويظهر علىٰ الجوارح وينطق به اللسان، فيتفاخر بنفسه ويزكيها ويحكي أحواله مفاخرًا علىٰ غيره بماله ونسبه، وينسىٰ أن الله تعالىٰ قال: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات: ١٣].

بعض مظاهر التكبر: والكبر والتكبر يظهران في صفات وأخلاق الناس وتصرفاتهم كالنظر شَزْرًا والجلوس مترفعًا، وفي الأقوال وحتىٰ في الصوت ونغمته وإصدار الأوامر، وكذلك في المِشية والتبختر فيها والقيام والجلوس.

- ومنها علىٰ سبيل المثال: التكبر بأن يحب المتكبر قيام الناس له، أو أن يقفوا بين يديه حينما يتكلم ولا يجلسوا أمامه. قال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: مَن أحبَّ أن ينظر إلىٰ

رجلٍ مِن أهل النار فلينظر إلىٰ رجل قاعد وبين يديه قوم قيام.

وفي هذا تفصيل: أن يكون المرء هو الذي يحب أن يقف الناس بين يديه تكبرًا منه واستعظامًا لنفسه، أما لو فعل الناس ذلك دون أن يرغب هو فلا بأس به، علىٰ أن يراقب قلبه، أو أن ذلك قد يكون من بعض آداب المهنة التي يجب أن تُحترم أصولها بين الناس.

– ومن مظاهر الكبر أيضًا: ألا يمشي إلا ومعه حاشية يمشون أمامه وخلفه؛ تعظُّمًا لشأنه، وقد كان الصالحون يخافون من تغير قلوبهم بذلك،

فمشىٰ قوم خلف الحسن البصري فمنعهم وقال: ما يبقي هذا من قلب العبد.

– ومنها أن يتكبر علىٰ زيارة الآخرين وينتظر منهم أن يزوروه ويجاملوه ويعظموه.

– ومنها أن يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه، بل يميز مجلسه ويعلي قدره ويطرد الآخرين بعيدًا عنه.

– ومنها أن يتوخىٰ من مجالسة المرضىٰ وأصحاب العلل تكبرًا واستحقارًا لهم.

– ومنها ألا يخدم في بيته بيديه، والتواضع خلاف ذلك، بل يستخدم ضيفه متعمدًا في الخدمة، وليس من كرم الرجل أن يتعمد استخدام ضيفه، اللهم إلا إن كان هذا حبًّا من الضيف وإعذارًا وإكرامًا لكبر سنه ومقامه.

– ومنها أن يأنف من حمل متاع بيته أو أشيائه الخاصة، فيأنف من شراء أشياء السوق لبيته. وحمل عليٌّ رضي الله عنه لحمًا في يديه فقال أحدهم: أحمل عنك يا أمير المؤمنين. قال: لا، أبو العيال (أي: يقصد نفسه؛ لأنه أمير المؤمنين المسئول عن رعيته كافة) أحقُّ أن يحمل.

وهذا من تواضعه، وإلا فخدمة أهل العلم والفضل واجب علىٰ الآخرين.

– ومنها اللباس الذي قد يظهر به التكبر أو التواضع، وقد قال رسول الله ﷺ: «**الْبَذَاذَةُ مِنَ الإِيمَانِ**» [أبو داود برقم (٤١٦١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٨٧٩)].

والبذاذة هي اللباس الأدنىٰ في الدرجة.

وهناك ملحوظة: حيث سئل الرسول ﷺ عن التجمل في الثياب هل هو من الكِبْر،

فقال ﷺ: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ» [مسلم برقم (٩١)]. فكيف يُجمَع بينهما؟

فاعلم أخي أن الثوب الجديد ليس من ضرورته أن يكون من التكبر في حق كل واحد، فقد يميل المرء إلىٰ النظافة وجودة الثياب والتجمل، لا ليتكبر علىٰ غيره، فعلامة المتكبر أن يطلب التجمل إذا رآه الناس، ولكنه لا يُبالي بذلك إذا انفرد بنفسه وخلا بها، أما من أحب الجمال والتنظف في كل حال مجتمعًا أو منفردًا حتىٰ في شئون بيته الخاصة فهذا ليس من التكبر. واعلم أيضًا أن الله يحب أن يرىٰ أثر نعمته علىٰ عبده.

وفي هذا قال بكر الـمُزَنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: البَسُوا ثيابَ الملوك، وألينوا قلوبَكم بالخشية. فبعض الناس يتكبر علىٰ غيره بإظهار الزهد في ثيابه ليتكبر عليهم في التقوىٰ والورع.

وروي أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قال: ما لكم تأتونني وعليكم ثيابُ الرُّهْبان وقلوبكم قلوب الذئاب الضواري (أي: المتوحشة).

واعلم أن الكبر من المهلكات، وللأسف لا يخلو أحد من الخلق عن شيء منه ولو قليل. وإزالة الكبر من النفوس فرض عين، ولا يزول بالتمني، بل بالمعالجة واستعمال الأدوية المناسبة له، وذلك باستئصال أصله بالجلوس إلىٰ العلماء وأهل الفضل، ومصاحبة الصالحين، وتعلُّم ما يجب عليه وتذكية قلبه.

وكلما عرف ربه حق المعرفة ازداد تواضعًا وذلةً وانكسارًا. وعليه أن يدفع الأسباب المهيجة للتكبر والباعثة عليه بسلوك خلق التواضع مع الناس، وأن يقاوم كل سبب بالدواء المناسب له.

وقد قال وهب بن مُنبِّه رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تمَّ عقلُ عبدٍ حتىٰ يكون فيه عشرُ خصال: فعَدَّ تسعةً حتىٰ بلغ العاشرة فقال: العاشرة، وما العاشرة، بها شاد مجده، وبها علا ذكره: أن يرىٰ الناسَ كلَّهم خيرًا منه، فإن رأىٰ من هو خير منه سره ذلك وتمنىٰ أن يلحق به، وإن رأىٰ من هو شر منه قال: لعله ينجو بتوبته أو حسن خاتمته وأهلك أنا. فحينئذ يكمل عقله ويسود أهل زمانه.

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُبْغِضُ اللهُ، وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاءِ مَا يُحِبُّ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللهُ؛ فَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي الرِّيبَةِ (أي:

الغيرة بسبب يدعو إلىٰ الريبة) **وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرِّيبَةِ، وَالْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالْخُيَلَاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلُ فِي الْفَخْرِ وَالْبَغْيِ»**[أحمد في مسنده (٥/ ٤٤٥) برقم (٢٣٧٩٨)] أي يفخر ويختال بما يُبغض الله.

وقال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: عجبًا لابن آدم يتكبر وقد خرج من مجرىٰ البول مرتين.

وقال محمد بن الحسين بن علي رحمه الله: ما دَخَل قلبَ امرئٍ شيءٌ من الكبر قط إلا نَقَص من عقله بمقدار ما دخل من ذلك، قلَّ أو كَثُر.

وقال الحسنُ رحمه الله: السجود يُذهِب الكِبْر، والتوحيد يذهب بالرياء.

وقال وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: لما خَلَق الله جَنَّة عَدْنٍ قال لها: أنتِ حرام علىٰ كل متكبر.

وسُئل سليمان بن يَسَار رحمه الله عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة، قال: الكبر.

وقال ابن القيم رحمه الله: أركان الكفر أربعة: الكبر، والحسد، والغضب، والشهوة.

والمتكبر معزول عن الناس، مطرود من رحمة الله، أصابه العمىٰ فلا يرىٰ الحق ولا يتبعه.

(العُجْب)

اعلم أن العُجب مذموم في كتاب الله وسنة رسوله الكريم؛ لأن الإنسان قد يعجب بالعمل وهو مصيب فيه، ولكنه قد يعجب بالعمل وهو مخطئ فيه، ولهذا قال رسول الله ﷺ: **«ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ»**. الطبراني في الأوسط (٥/ ٣٢٨) برقم (٥٤٥٢)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٠٣٩).

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: الهلاك في اثنتين: القنوط (أي: اليأس من رحمة الله) والعُجْب.

وإنما جمع بينهما مع وجود تناقض بينهما لأن السعادة لا تنال إلا بالسعي والطلب والجد والهمة العالية، والقانط (اليائس) لا يسعىٰ ولا يطلب؛ لأنه يائس، وكذلك المعجب بنفسه لا يسعىٰ ولا يجد؛ لأنه يظن أنه قد ظفر بمراده، فهو سعيد في نظر نفسه.

ولهذا حذَّرنا المولىٰ سبحانه وتعالى فقال: ﴿**فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمۡۖ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ** ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢]. أي لا تعجبوا بأعمالكم؛ لأن هذا سيجرُّ العبدَ إلىٰ الكسل والتواني عن الزيادة من الخيرات.

ولهذا قال مُطرِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا (أي: علىٰ تقصيري في قيام الليل) أحبُّ إليَّ من أن أبيت قائمًا (أي: مصليًا لقيام الليل) وأُصبِح مُعجَبًا.

وقيل للسيدة عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: متىٰ يكون الرجلُ مسيئًا؟ قالت: إذا ظن أنه مُحسِن.

وقيل في كتاب الله: ﴿لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤]، والمن: هو استعظام الفِعل؛ من صدقة ونحوها، واستعظام العمل هو العُجْب.

والمُعجَب يرىٰ نفسه، ويُعظِّمها، ويُعظِّم أفعالها، ولا يُقارن نفسَه بغيرِها، ولا يحتقر ما دونه، فإذا استعظمها صار متكبرًا ويحتقر ما دونه من الناس. فالعُجْب إذًا يؤدي إلىٰ الكبر.

والعُجْب مع الله: أن ينسىٰ العبدُ ذنوبه مع ربِّه، بل ويُهمل الاستغفارَ لظنِّه أنه مُستغنٍ عن ذلك، ويظن أيضًا أنه مغفورٌ له، وأما العبادات وسائر أعمال الطاعات فإنه يستعظمها، ويَمُنُّ علىٰ الله بفعلها، فكأنه يقول: نحن نُعطي ربَّنا حقَّه وزيادة. ولا يشكر ربه علىٰ توفيقه إياه للطاعة.

وهو كذلك يُؤدِّيها دون التفات إلىٰ إحسانها وإتقانها، أو معالجة عيوبها وآفاتها؛ لأن المعجب مغتر بنفسه وبرأيه وبعمله؛ فهو يأمن مكر الله وعذابه، وهذه مصيبة كبيرة، ويظن أنه له مكانة عند الله؛ ومن ثَمَّ فهو دائم الثناء علىٰ نفسه ويحمدها ويزكيها؛ وهذا الذي يمنعه من الاستفادة من رأي غيره، أو سؤال من هو أعلم منه.

فقد يُعجب بالرأي الخطأ ويظن أن ذلك إلهام من ربه؛ وذلك لجهله، فلا يتهم نفسه أبدًا، بل يتهم غيره بالنقص وعدم الفهم، ويفتر سعيه لطلب الآخرة؛ لأنه يعتقد أنه قد أدىٰ ما عليه وفاز، وهذا هو الهلاك الصحيح. وكلما ازداد الإنسان علمًا ومعرفة بالله ثم ازداد خضوعًا وانقيادًا له كان بعيدًا عن العُجب والكبر، أما الجاهل فإنه يعجب بعقله ورأيه وعمله وذلك لجهله. وفرع الشجرة المثمر المليء بالثمار الناضجة تجده مطأطئ الرأس للأسفل؛ ليستفيد منه الناس ويأكلوا ثماره، أما الفرع الفارغ من الثمر فهو متعالٍ، رافع رأسه بعيدًا عن الناس، مع أنه فارغ وغير نافع،

وهكذا المعجب بنفسه، والذي يتوقع دائمًا إجابة الدعاء من ربه، بل يستنكر رد

الدعاء في قلبه، ويتعجب من ذلك، وكأنه صاحب المنة والفضل علىٰ ربه والعياذ بالله، فهو لا يتعجب من رد دعاء الفاسق، بل يتعجب من رد دعاء نفسه. فهذا هو العجب والإدلال، وهو من مقدمات الكبر وأسبابه.

وفي الخبر: لأن تضحك وأنت معترف خير من أن تبكي وأنت مُعجَبٌ بعملك.

وعلاج العجب أن يُداوي المرءُ نفسَه بالدواء المناسب لداء العجب فيه.

فمن أُعجِب بطاعته مثلًا فَلْيُداوِ ذلك بالنظر إلىٰ تيسير وتوفيق الله، وأن العبرة بخاتمة الحياة وقبول الله لأعماله، فليعلم العبد أن التوفيق بيد الله، وأنه مهما عمل من أعمال فالعبرة بقبولها، ثم إنه لن يدخل الجنة أحد بعمله، وإنما برحمة الله وبفضله وعفوه عن العباد: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١].

أنواع العجب: وأنواع العُجب كثيرة، منها:

الأول: أن يُعجب ببدنه وجماله وهيئته وصحته وقوته.

الثاني: أن يُعجب بقوة سلطانه وبطشه، كما قال قوم عاد: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥].

الثالث: العُجْب بالعقل والذكاء والفطنة لدقائق الأمور في الدين والدنيا، وهذا يَجُرُّه إلىٰ الاستبداد برأيه وتَرْك المشورة، واعتبار غيرِه جاهلًا، واحتقار المخالفين لرأيه.

الرابع: العُجْب بالنسب الشريف والقبيلة والعائلة، وينسىٰ قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].

وقد حذر أهل العلم أن يَأْتِيَ الصالحونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَعْمَالِهِمْ ويأتي الآخرون معتمدين علىٰ أَنْسَابهم، عندئذ لا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ.

الخامس: العُجب بنسب أصحاب السلطة الظالمين وأعوانهم، وينسىٰ أنه مَن ركب علىٰ ظهر الأسد فإنه يخاف منه كلُّ الناس، ولكنه أقرب الناس لبطش الأسد، فإذا غضب عليه (وهو حادث لا محالة) فيأخذه بيده من فوق ظهره بسهولة ويهلكه، والتاريخ مليء

بالعبر لمن اعتبر. وفي الخبر: مَن أعان ظالمًا سلطه الله عليه.

السادس: العُجب بكثرة الأولاد والأتباع والأقارب والعشيرة، كما قال الكُفَّار: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ۝٣٥﴾ [سبأ:٣٥]، وينسىٰ أن يوم القيامة: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦﴾ [عبس: ٣٤-٣٦].

السابع: العُجب بالمال كما قال الله تعالىٰ إخبارًا عن صاحب الجنتين: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۝٣٤﴾ [الكهف: ٣٤]، وقول الرسول ﷺ: «أَبْشِرُوا وَأَمِّلُوا مَا يَسُرُّكُمْ، فَوَاللهِ مَا الفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ؛ فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا؛ فَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ» متفق عليه.

الثامن: العُجب بالرأي الخطأ؛ لقوله تعالىٰ: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝٨﴾ [فاطر: ٨]، وفي الحديث: «لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا هُوَ أَشَدُّ مِنْ ذَلِكَ: الْعُجْبُ، الْعُجْبُ» الشهاب في مسنده (٢/ ٣٢٠) برقم (٨٨٢).

وعن مَسْروق رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كفىٰ بالمرء علمًا أن يخشىٰ الله، وكفىٰ بالمرء جهلًا أن يُعجب بعلمه. وقال مالكُ بن دِينار رَحِمَهُ اللَّهُ: إذا طلبَ العبدُ العِلمَ ليعمل به كان ذلك سببًا في ذلّته وانكساره أمام ربِّه، وإذا طلبه لغير العمل به كان سببًا في عُجْبه وافتخاره علىٰ ربِّه.

والمعجب يرىٰ أنه له فضل؛ فهو يستكثر فضله فيزهد في استزادة أدبه مع المتأدبين، فيؤدي ذلك إلىٰ الكبر، وكفىٰ به آفة. والمعجَب لا يتذكر ذنوبه، ويُرجِئ توبته، ويتعالىٰ علىٰ الناس غرورًا وعجبًا برأيه وعقله وعمله، فهو محروم من رضا الله ورضا الناس.

❊ ❊ ❊

٧٣- باب حُسن الخلق

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ۝١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

(٦٢٠/ ٧٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أَحْسَنَ النَّاس خُلُقًا. متفق عليه.

(٦٢١/ ٧٣) وعنه قَالَ: مَا مَسِسْتُ دِيبَاجًا وَلَا حَرِيرًا أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رسولِ الله ﷺ، وَلَا شَمَمْتُ رَائِحَةً قَطُّ أَطْيَبَ مِنْ رَائِحَةِ رسولِ الله ﷺ، وَلَقَدْ خدمتُ رسولَ الله ﷺ عشر سنين، فما قَالَ لي قَطُّ: أُفٍّ، وَلَا قَالَ لِشَيءٍ فَعَلْتُهُ: لِمَ فَعَلْتَه؟ وَلَا لشَيءٍ لَمْ أفعله: أَلَا فَعَلْتَ كَذا؟ متفق عليه.

(٦٢٢/ ٧٣) وعن الصَّعْبِ بن جَثَّامَةَ رضي الله عنه قَالَ: أَهْدَيْتُ رسولَ الله ﷺ حِمارًا وَحْشِيًّا، فَرَدَّهُ عَلَيَّ، فَلَمَّا رأى مَا في وجهي قَالَ: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ** (أي: مُحرِمون للحج)». متفق عليه.

(٦٢٣/ ٧٣) وعن النَّوَّاسِ بن سَمْعَان رضي الله عنه قَالَ: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن البرِّ وَالإثم، فَقَالَ: «**البِرُّ: حُسنُ الخُلقِ، والإثمُ: مَا حاك في صدرِك، وكَرِهْتَ أن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». رواه مسلم.

(٦٢٤/ ٧٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: لَمْ يكن رسولُ الله ﷺ فَاحِشًا وَلَا مُتَفَحِّشًا، وكان يَقُولُ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**». متفق عليه.

(٦٢٥/ ٧٣) وعن أَبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَل فِي مِيزَانِ المُؤْمِنِ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ حُسْنِ الخُلُق، وَإِنَّ الله يُبْغِضُ الفَاحِشَ البَذِيءَ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

«البَذِيء»: هُوَ الَّذِي يتكلَّمُ بِالفُحْشِ ورديء الكلامِ.

(٦٢٦/ ٧٣) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسولُ الله ﷺ عَنْ أكثرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، قَالَ: «**تَقْوَى الله وَحُسنُ الخُلُقِ**». وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «**الفَمُ وَالفَرْجُ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦٢٧/ ٧٣) وعنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ المُؤمنينَ إيمَانًا أحسَنُهُمْ خُلُقًا، وَخِيَارُكُمْ خِيَارُكُمْ لِنِسَائِهِمْ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٦٢٨/ ٧٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**إِنَّ المُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِه دَرَجَةَ الصَّائِمِ القَائِمِ**». رواه أبو داود.

(٦٢٩/ ٧٣) وعن أَبي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيتٍ فِي رَبَضِ الجَنَّةِ** (أي: نواحيها وجوانبها من داخلها، والمراد: أدناها) **لِمَنْ تَرَكَ المِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعلَى الجَنَّةِ لِمَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ**».

حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح. «الزَّعِيمُ»: الضَّامِنُ.

(٧٣ /٦٣٠) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ مِنْ أحَبِّكُمْ إليَّ وَأقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أحَاسِنَكُم أخْلَاقًا، وَإنَّ أبْغَضَكُمْ إلَيَّ وَأبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ القِيَامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ». قالوا: يَا رسول الله، قَدْ عَلِمْنَا «الثرثارون والمتشدقون»، فمَا المُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: «المُتَكَبِّرُونَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

«الثَّرْثَارُ»: هُوَ كَثِيرُ الكَلَامِ تَكَلُّفًا. و«المُتَشَدِّقُ»: المُتَطَاوِلُ عَلَىٰ النَّاسِ بِكَلَامِهِ، وَيَتَكَلَّمُ بِملء فِيهِ تَفَاصُحًا وَتَعْظِيمًا لِكَلامِهِ. و«المُتَفَيْهِقُ»: أصلُهُ مِنَ الفَهْقِ وَهُوَ الامْتِلَاءُ، وَهُوَ الَّذِي يَمْلأُ فَمَهُ بِالكَلَامِ وَيَتَوَسَّعُ فِيهِ، ويُغْرِبُ بِهِ تَكَبُّرًا وَارْتِفَاعًا، وَإظْهَارًا للفَضِيلَةِ عَلَىٰ غَيْرِهِ. وروىٰ التِّرمذي عن عبد الله بن المباركِ رحمه الله في تفسير حُسْنِ الخُلُقِ، قَالَ: «هو طلاقةُ الوجهِ، وبذلُ المعروفِ، وكفُّ الأذَىٰ».

* * *

(حسن الخلق)

الدِّين كلُّه خُلق، فمَن زاد عليك في الخُلُق زاد عليك في الدين. وحُسْن الخُلُق أن يكون الإنسان سَهْل العريكة؛ أي: سلس الطبيعة الشخصيَّة، لَيِّن الجانب، طَلْق الوجه مبتسمًا، قليل النفور قليل الغضب، طيب الكلمة. قال عليٌّ رضي الله عنه: حُسْن الخلق في ثلاث خصالٍ: اجتناب المحارم، وطلب الحلال، والتوسعة علىٰ العيال.

وقال الحسنُ رحمه الله: هو طلاقة الوجه (أي: الابتسام)، وبَذْل المعروف، وكَفُّ الأذىٰ.

والخُلُق هو الصورة الباطنة للإنسان يصدر منها الفعل عفويًّا ودون تروٍّ، فإذا صدرت الأفعال جميلة سُمِّيت خُلُقًا حسنًا، ودل هذا علىٰ حسن ما في داخل العبد، وإذا صدرت الأفعال قبيحة سُمِّيت خُلُقًا سيئًا، ودل هذا علىٰ سوء ما في داخل العبد.

والأخلاق منها ما هو جِبلِّيٌّ فِطْريٌّ أوجده اللهُ في الإنسان للامتحان والابتلاء، ومنها ما هو مُكتسَب يأتي برياضة النفس وقمع هواها وشهواتها إلىٰ الاعتدال، ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيير لم يكن للمواعظ والوصايا معنىٰ.

أقسام حسن الخلق: حُسْن الخُلُق قسمان:

أحدهما: حُسْنُ الخُلُق مع الله ﷻ: وهو أن كلَّ ما يصدر من العبد من طاعات يستوجب الاعتذار والاستغفار بسبب نقصه وغفلة العبد أثناء أدائه، وأن كل ما يأتي من الله من أوامر وامتحانات يوجب شكرًا لله عليه؛ لأن الله لا يقدم لنا إلا الخير وإن اختلفت صوره في نعمة أو بلية، فلا يزال العبد حسن الخلق مع ربه؛ وذلك بالاعتذار والشكر.

والثاني: حسن الخلق مع الناس: وهو أمران: فعل المعروفات قولًا وفعلًا للآخرين، وكف الأذىٰ قولًا وفعلًا كذلك.

أركان حسن الخلق: وحُسْن الخُلُق يقوم علىٰ أربعة أركان: الصبر، والعفة، والشجاعة، والعدل.

أما الصبر: فيساعده علىٰ تحمل الأذىٰ وكظم الغيظ، وأن يكون حليمًا رفيقًا لا يطيش ولا يعجل، بل يتأنىٰ ويتروىٰ.

والعفة: تدفعه إلىٰ اجتناب فعل الرذائل والقبائح في القول أو الفعل، وتحمله علىٰ الحياء من الله ومن الناس أن يفعل ما يُستحيا منه، وتمنعه من فعل الفواحش، ومن البخل والكذب والغيبة والنميمة؛ لأنها قبائح ورذائل تشين فاعلها.

والشجاعة: تساعده علىٰ أن يكون عزيز النفس، يؤثر معالي الأخلاق والصفات، وتُعِينه علىٰ البذل والعطاء، فيُخرج ما عنده بشجاعة لا يخاف فوتًا ولا نقصًا، وتحمله علىٰ كظم الغيظ والحلم عن الآخرين، فيمسك عنان نفسه.

والعدل: يحمله علىٰ اعتدال خلقه وتصرفاته؛ فيتوسط بين الإفراط والتفريط، فلا يكون مسرفًا ولا بخيلًا، بل كريمًا، ولا يكون ذليلًا ولا وقحًا، بل حَيِيًّا، ولا جبانًا ولا متهورًا، بل شجاعًا، وهكذا. وكلُّ الأخلاق الفاضلة تنشأ من هذه الأربعة.

وقد روي عن عبد الله بن مسعود يرفعه: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَخْلاقَكُمْ كَمَا قَسَّمَ بَيْنَكُمْ أَرْزَاقَكُمْ، وَإِنَّ اللهَ ﷻ يُعْطِي الدُّنْيَا مَنْ يُحِبُّ وَمَنْ لا يُحِبُّ، وَلا يُعْطِي الدِّينَ إِلا لِمَنْ أَحَبَّ، فَمَنْ أَعْطَاهُ الدِّينَ فَقَدْ أَحَبَّهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لا يَسْلَمُ عَبْدٌ حَتَّىٰ يَسْلَمَ قَلْبُهُ، وَلا يُؤْمِنُ حَتَّىٰ يَأْمَنَ جَارُهُ بَوَائِقَهُ». قالوا: وما بوائقه يا نبي الله؟ قال: «غَشْمُهُ وَظُلْمُهُ، وَلا

يَكْسَبُ عَبْدٌ مَالًا مِنْ حَرَامٍ فَيُنْفِقُ مِنْهُ فَيُبَارِكُ لَهُ فِيهِ، وَلا يَتَصَدَّقُ بِهِ فَيَقْبَلُ مِنْهُ، وَلا يَتْرُكُ خَلْفَ ظَهْرِهِ إِلا كَانَ زَادَهُ إِلَىٰ النَّارِ، إِنَّ اللهَ عَجَلَّ لا يَمْحُو السَّيِّئَ بِالسَّيِّئِ، وَلَكِنْ يَمْحُو السَّيِّئَ بِالْحَسَنِ، إِنَّ الْخَبِيثَ لا يَمْحُو الْخَبِيثَ». أحمد في مسنده (١/ ٣٨٧) برقم (٣٦٧٢).

وقال ﷺ: «مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ، وَمَنْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ فَقَدْ حُرِمَ حَظَّهُ مِنَ الْخَيْرِ». البخاري في الأدب المفرد برقم (٤٦٤).

وقال ﷺ: «مَنْ صَنَعَ إِلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوهُ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا مَا تُكَافِئُونَهُ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أَنَّكُمْ قَدْ كَافَأْتُمُوهُ». أحمد في مسنده (٢/ ٦٨) برقم (٥٣٦٥)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

وقال عبدُ الله بن المبارك رَحِمَهُ اللهُ: حُسْن الخُلُق أن تحتمل ما يكون من الناس.

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ اللهُ: حسن الخلق ألا تغضب ولا تحقد.

وقال محمد بن نصر رَحِمَهُ اللهُ: قال بعض أهل العلم: حسن الخلق: كَظْم الغيظ لله، وإظهار الطلاقة والبِشْر إلا للمبتدع والفاجر، والعفو عن الزَّالِّين (أي: المخطئين) إلا تأديبًا، وإقامة الحدِّ، وكَفُّ الأذىٰ عن كلِّ مسلم ومُعاهَدٍ (أي: ذمي بيننا وبينه عهد) إلا تغييرًا لِمُنكَرٍ، أو أخذًا بمظلمة لمظلوم من غير تعدٍّ.

وقال الأحنف بن قيس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ألا أُخبركم بأدوأ (أي: أسوأ) الداء؟ قالوا: بلىٰ. قال: الخُلُق الدنيء واللسان البذيء.

وقال الماورديُّ رَحِمَهُ اللهُ: إذا حَسُنت أخلاقُ الإنسان كَثُر أصفياؤه وقَلَّ أعداؤه، فتسهَّلت عليه الأمور الصعاب، ولانت له القلوب الغضاب. وقال بعضُ البلغاء: الحَسَنُ الخُلُق مِن نفسِه في راحة، والناس منه في سلامة، والسيئ الخلق الناس منه في بلاء، وهو من نفسِه في عناء.

وقد جمع بعضُ أهل العلم علاماتِ حسن الخلق فقال: هو أن يكونَ كثير الحياء، قليل الأذىٰ، كثير الصلاح، صدوق اللسان، قليل الكلام، كثير العمل، قليل الزَّلل (أي: الخطأ)، قليل الفضول، برًّا، وصولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، رضيًّا، حليمًا، رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعانًا، ولا سَبَّابًا، ولا نَمَّامًا، ولا مغتابًا، ولا عجولًا، ولا حقودًا، ولا بخيلًا، ولا حسودًا، بشاشًا، هشاشًا،

يحب في الله، ويبغض في الله، ويرضىٰ في الله، ويغضب في الله، فهذا هو حسن الخلق.

فإذا أحسن العبدُ خُلُقَه مع الناس أحبَّه اللهُ وأحبه الناسُ، وكان ذلك سببًا في حبِّ رسول الله ﷺ له وقربه من مجلسه يوم القيامة.

أسباب تغير أخلاق الناس:

إن الأخلاقَ المذمومة موجودةٌ في كثيرٍ من الناس، غالِبَةٌ عليهم مالِكَة لهم، بل قلَّما يوجد فيهم من يخلو من خُلُق سيئ أو مكروه، ويسلم من جميع العيوب، ولكنهم يتفاوتون في ذلك، وكذلك الأخلاق المحمودة، فيختلف الناس فيها ويتفاضلون، إلا أن المجبولين علىٰ الأخلاق الحسنة قليلون جدًّا، وأما المجبولون علىٰ الأخلاق السيئة فأكثر الناس، وذلك إذا انساق الإنسان لطبعه وشهواته وغلب بها علىٰ عقله ظهرت عليه أخلاق البهائم؛ ولهذا كان الدين والسنن والشرائع تُقوِّمه وتساعده إلىٰ أن يُغير خلقه من السيئ إلىٰ الحسن. فإذا كان الخلق السيئ قد يتحول إلىٰ خلق حسن باتباع الشرع والتدرب علىٰ الأخلاق الحميدة والصبر عليها، فهل يتغير الخلق الحسن إلىٰ سيئ؟

قال الإمام الماورديُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: ربما تغيَّر حُسْن الخُلُق واللِّين إلىٰ الشراسة والبذاءة والغلظة لأسباب عارضة وأمور طارئة تجعل اللِّين خشونة والتبسم عبوسًا.

وأسباب تغير الأخلاق سبعة:

أولها: الولاية: ويقصد بها تولِّي القيادات والولايات والزعامات والمناصب والرُّتَب، فإنها وللأسف قد تُحدِث في صاحبها تغيُّرًا تجعله يتنكر لأصحابه، وذلك إما نتيجة لؤم الطبع في صاحب الولاية سلفًا، أو لضيق صدره علىٰ أصحابه القدامىٰ فلا يرغب في رؤيتهم؛ لأنهم يذكرونه بحاله الماضي.

الثاني: العزل: ويقصد به تَرْك الإنسان لمنصبه قهرًا أو لبلوغه سِنَّ المعاش مثلًا، فقد يسوء منه الخلق، ويضيق صدره بالناس، إما لشدة أسف علىٰ ما فاته من المنصب، أو لقلة صبره علىٰ معاملةٍ أقلَّ شأنًا مما كانت.

الثالث: الغِنَىٰ: وهو ما يأتي بعد الفقر، فقد تتغيَّر به أخلاقُ اللئام تكبُّرًا فيسلك مسالك الشر والبَطَر علىٰ الناس.

الرابع: الفقر: وهو ما يكون بعد الغنىٰ، فإنه جُنْديُّ الله الأكبر الذي يُذِلُّ به كلَّ جَبَّار عنيد متكبر، وقد تتغيَّر به الأخلاق إما أنفة منه، حيث لا يرضىٰ بعد المكانة أن يكون مسكينًا ذليلًا، أو تأسفًا علىٰ ما فات من الغنىٰ والعز.

الخامس: الهموم: وهي تذهب بلب الإنسان، وتشغل قلبه فلا يستطيع تحمل أخلاق الناس، ولا أن يصبر عليهم، فتتغير أخلاقه للسوء.

السادس: الأمراض: والتي بها يتغير الطبع كما يتغير الجسم، فلا تبقىٰ الأخلاق علىٰ اعتدال، ولا يقدر معها علىٰ الاحتمال.

السابع: علوُّ السِّنِّ (كبر السن): ولحدوث الهَرَم (الشيخوخة) تأثيرٌ سيئ علىٰ الجسم، فكما يضعف الجسم عن احتمال ما كان يطيقه من أثقال، فكذلك تعجز النفس عن احتمال ما كانت تصبر عليه من مخالفة الرأي والأخلاق والشقاق والجدال.

وهناك سبب آخر مؤقت يزول بزواله، وهو الكره والبغض بين الناس: وهو سبب قد يحدث منه نفورٌ عمن نكرهه؛ فيؤدي إلىٰ سوء الخلق. وإذا زالت الأسباب المسببة لسوء الخلق فقد يزول معها سوء الخلق إن كان صاحبها أصلًا حسن الأخلاق.

(كيف تعرف عيوب نفسك؟)

اعلم أن الله ﷻ إذا أراد بعبدٍ خيرًا بَصَّره بعيوب نفسه، وصاحبُ الفهم والبصيرة لا تخفىٰ عليه عيوبُ نفسه الأَمَّارة بالسوء، فإذا عَرَف العيوب أمكنه العلاجُ، فإن أولَ النجاح حُسْن تشخيص المرض، ولكن أكثرَ الناس جاهلون بعيوب أنفسهم؛ فيرىٰ أحدُهم الحَصَاة الصغيرة والشعرة الدقيقة في عين أخيه، ولا يرىٰ جذع الشجرة في عين نفسه، فنحن دائمو النظر لعيوب الآخرين، متغافلون عن عيوب نفوسنا.

ومَن أراد أن يعرفَ عيوب نفسه فله أربعة طرق:

الأول: **أن يجلس بين يدي شيخ عالم رباني بصير بعيوب النفس**، ومطلع علىٰ خفايا آفاتها، ويأخذ برأيه في معرفة عيوب نفسه وعلاجها، شريطة أن يكون الشيخ ماهرًا في ذلك: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص: ٢٦]، فيكون كالتلميذ مع أستاذه، وكالطالب مع شيخه ومربيه، فيقوم بخدمته ومعاونته حتىٰ يعرفه عيوب نفسه ويعرف طريق علاجها، واعلم أن هذا أمر عزيز الوجود في زماننا.

الثاني: **أن يطلب صديقًا صدوقًا بصيرًا بفهم آفات النفوس**، له من الدين والمهارة ما يجعله مؤهلًا لأن ينصبه رقيبًا علىٰ نفسه؛ ليلاحظ أحواله وأفعاله، وينبهه علىٰ عيوبه الباطنة والظاهرة، وهذا كان فعل الأكابر، فكان عمر رضي الله عنه يقول: رحم الله امرأً أهدىٰ إليَّ عيوبي. وكان يسأل سَلْمانَ الفارسيَّ رضي الله عنه عن عيوبه، وكان يسأل حذيفة بن اليمان رضي الله عنه ويقول له: أنت صاحبُ سِرِّ رسول الله في المنافقين، فهل ترىٰ عليَّ شيئًا من آثار النفاق؟ فهو علىٰ جلالة قدره وعلو مكانته ما كان يستحي أن يتهم نفسه.

فكل من كان أوفر عقلًا وأعلىٰ مكانة في دينه كان أقل إعجابًا بنفسه، وأعظم اتهامًا لها، إلا أن هذا أيضًا قد صار عزيزًا قليلًا في الأصدقاء، فالكثير من الأصدقاء يكون مداهنًا؛ فلا يخبرك بالعيب لئلا تغضب منه، أو لمصلحة له عندك يخاف ضياعها، فيخفي عنك بعض عيوبك، ولا تخلو الصداقات أيضًا من حسودٍ أو صاحب غرضٍ؛ فيرىٰ ما ليس بعيب أنه عيب كبير حسدًا من نفسه لك.

لكن هناك مشكلةٌ أيضًا أننا اعتبرنا أن أبغضَ الناس إلينا هم من ينصحوننا ويُعرِّفوننا بعيوبنا، وتلك مصيبة تدلُّ علىٰ ضعف الإيمان بالآخرة وقلة يقيننا في أن الأخلاق السيئة والصفات المذمومة مثل الحيات والعقارب، فلو أن أحدهم نبهنا أن تحت غطائنا عقربًا أو حية لشكرناه علىٰ تحذيره إيانا، واهتممنا بإزالة الأذىٰ من العقارب أو الحيات، وألم العقارب والحيات علىٰ الأبدان مهما كان سينتهي، أما ألم الأخلاق السيئة علىٰ القلب فقد يدوم لبعد الموت إلىٰ أن تلقىٰ الله. وللأسف لا نفرح بمن يُنبِّهُنا علىٰ عيوبنا لنشتغل بمعالجتها، بل نشتغل بمقابلة صاحب النصح بالرد عليه بالتوبيخ فنقول له: وأنت أيضًا

فيك من العيوب كذا وكذا. وتشغلنا العداوة معه عن الانتفاع بنصحه وإرشاده، وذلك لقساوة القلوب بسبب كثرة الذنوب، وكله من ضعف الإيمان.

الثالث: أن يستفيدَ معرفة عيوب نفسه من ألسنة أعدائه: فما من عبد إلا وله عداوات، وعين السخط والعداوة تبدي المساوئ، ولعل انتفاع العبد بعدو مشاحن له يذكره بعيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه ويخفي عليه عيوبه، أو صديق حسود يحمله بعيوب ليست فيه، ولكن للأسف الطبع مجبول علىٰ تكذيب العدو، وحمل ما يقوله علىٰ أنه حسد. ولكن العاقل والبصير لا يترك الانتفاع بقول أعدائه فيه (فلا دخان بدون نار)، ولعلهم بالغوا فيما عنده. ولعل الإنسان قد يستفيد من بعض العداوات المؤقتة التي تنشأ بين الرجل وزوجه، أو الرجل وأخيه، فلعله يستفيد من كلامهم وانتقاداتهم في معرفة عيوب نفسه، فهم أقرب إليه وأبصر بحاله.

الرابع: مخالطة الناس: أي يخالط الناس مخالطة صحيحة، فكل ما يراه منهم مذمومًا في غيره يعلم أن الطبع سرَّاق، فلعله أصاب منهم بسبب القرب والمخالطة والمجالسة، فيرىٰ من عيوب غيره عيوب نفسه؛ لأن المؤمن مرآة أخيه، وفي المرآة ترىٰ نفسك لا غيرك. واعلم أن الطيور علىٰ أشكالها تقع، فما من إنسان جالسته وآنست له إلا وهناك مقاربة بينكما في الطبع والأخلاق، فإذا وجدت فيه عيبًا فاعلم أن فيك شيئًا منه أو أعظم منه، وجُبلت النفوس علىٰ اتباع الهوىٰ في الأصحاب والزملاء. فليتفقد نفسه وليطهرها من كل ما يجعلها مذمومة، ولو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنىٰ الناس عن المُؤَدِّب. وروي أنه لما قيل لعيسىٰ عليه السلام: مَن أدَّبك؟ قال: ما أدَّبني أحد، ولكن رأيت جهل الجاهل شينًا وعارًا فاجتنبته.

وهذه هي الطرق الأربعة لمعرفة عيوب نفسك، فأولها وأفضلها الشيخ العارف الذكي، البصير بعيوب النفس، الناصح المشفق الأمين، الذي نصب نفسه لتهذيب عباد الله تعالىٰ، وإلا فالصديق الصدوق، فإن عز فبألسنة الأعداء، أو بمخالطة الناس؛ لينجو العبد من هلاك عيوب نفسه.

* * *

٧٤- باب الحلم والأناة والرفق

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿وَالْكَٰظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

(٦٣١/ ٧٤) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فيك خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الحِلْمُ وَالأَنَاةُ (أي: ترك العجلة والتمهل والتثبُّت)». رواه مسلم.

(٦٣٢/ ٧٤) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ رفيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّه». متفق عليه.

(٦٣٣/ ٧٤) وعنها: أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفقَ وَيُعْطِي عَلَىٰ الرِّفق مَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ العُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَىٰ مَا سِوَاهُ». رواه مسلم.

(٦٣٤/ ٧٤) وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ». رواه مسلم.

(٦٣٥/ ٧٤) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَال أعْرَابيٌّ في المسجدِ، فقامَ النَّاسُ إِلَيْهِ لِيَقَعُوا فِيه، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «دَعُوهُ وَأَرِيقُوا عَلَىٰ بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ، أَوْ ذَنُوبًا مِن مَاءٍ، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ وَلَم تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ». رواه البخاري. «السَّجْلُ» بفتح السين المهملة وإسكان الجيم، وَهِيَ: الدَّلْوُ المُمْتَلِئَة مَاءً، وَكَذلِكَ الذَّنُوبُ.

(٦٣٦/ ٧٤) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنَفِّرُوا». متفق عليه.

(٦٣٧/ ٧٤) وعن جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ، يُحْرَمِ الخَيْرَ كلَّهُ». رواه مسلم.

(٦٣٨/ ٧٤) وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنَّبيِّ ﷺ: أَوْصِني. قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». فَرَدَّدَ مِرَارًا، قَالَ: «**لَا تَغْضَبْ**». رواه البخاري.

(٦٣٩/ ٧٤) وعن **أَبي يَعْلَىٰ شَدَّاد بن أَوْسٍ** رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُم فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ** (أي: هيئة القتل)، **وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ** (أي: هيئة الذبح)، **وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَه، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**». رواه مسلم.

(٦٤٠/ ٧٤) وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: مَا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ قَطُّ إِلَّا أَخَذَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِثْمًا، فَإِنْ كَانَ إِثْمًا، كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ، وَمَا انْتَقَمَ رسول الله ﷺ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ قَطُّ، إِلَّا أَنْ تُنْتَهَكَ حُرْمَةُ اللهِ، فَيَنْتَقِمَ للهِ تَعَالَىٰ. متفق عليه.

(٦٤١/ ٧٤) وعن **ابن مسعودٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**أَلا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَىٰ النَّارِ، أَو بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ تَحْرُمُ عَلَىٰ كُلِّ قَرِيبٍ، هَيِّنٍ، لَيِّنٍ، سَهْلٍ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

* * *

(الحِلم)

الحِلْم: هو ضَبْط النفس والطبع عند هيجان الغضب. فالحليم هو مَن يترك الانتقام عند شدة الغضب مع القدرة علىٰ ذلك. والله هو الحليم الذي يشاهد معصية العصاة، ويرىٰ مخالفة الأمر؛ ثم لا يستفزه غضب، ولا يعتريه غيظ، ولا يحمله علىٰ الانتقام من العصاة بسبب طيشهم، ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝٦١﴾ [النحل: ٦١].

فالواجب علىٰ العاقل إذا غضب واحتد أن يذكر حلم الله عليه مع كثرة انتهاكه لمحارم الله وتعديه عليها بترك الواجبات وفعل المعاصي ومع ذلك يحلم عليه الله، ثم لا يجب أن يخرجه غضبه وغيظه إلىٰ الدخول في أسباب المعاصي بالظلم والجور والتعدي. والحلم يكون علىٰ طريقين:

الأول: أن يَحلُمَ علىٰ ما يبتليه اللهُ من المصائب المقدرة لامتحان العباد، فلا يخرج عما لا يليق بأهل العقل والحلم.

الثاني: أن يحلم علىٰ ما يصدر من المخلوقين حتىٰ يتعود الحلم طبعًا.

أسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس: وهي عشرة:

أحدها: الرحمة للجهال: وهذا من الخير حيث يرق الحليم العاقل علىٰ الجاهل المخطئ.

قال أبو الدَّرْداء رضي الله عنه لرجلٍ أسمعه كلامًا سيِّئًا: يا هذا، لا تغرقن في سَبِّنا، ودَعْ للصلح موضعًا، فإنا لا نكافئ من عصىٰ فينا بأكثر من أن نطيع الله عز وجل فيه.

وشَتَمَ رجلٌ الشعبيَّ العالم الكبير فقال: إن كنتُ كما قُلتَ فغَفَر الله لي، وإن لم أكن كما قُلتَ فغفر الله لك. واغتاظت عائشةُ رضي الله عنها من خادم لها ثم رجعت إلىٰ نفسها فقالت: لله دَرُّ التقوىٰ، ما تَرَكَتْ لذي غيظٍ شِفاءً.

الثاني: القدرة علىٰ الانتصار: فمن قدر علىٰ الانتصار وكان واسع الصدر حسن الثقة بنفسه؛ فعليه بالحلم عمن جهل عليه، وقد قيل في منثور الحِكَم: إذا قدرت علىٰ عدوك فاجعل العفو شكرًا للقدرة عليه.

الثالث: الترفع عن السباب: فالحليم يترفع بسبب شرف نفسه وعلو همته. وقالت الحكماء: شرف النفس أن تحمل المكاره كما تحمل المكارم. وقد قيل: إن الله تعالىٰ سمىٰ نبيه يحيىٰ عليه السلام ﴿وَسَيِّدًا﴾ [آل عمران: ٣٩] وذلك لـحِلْمه.

الرابع: الاستهانة بالمسيء: فقد يحلم المرء استهانة بمن أساء إليه، فلا يجد في نفسه رغبة في الانتقام منه لصغر شأنه في عينه، وذلك من الكبر الحسن المحمود. وقد عفا مُصعَب بن الزُّبَير رضي الله عنهما عن قاتل أبيه الزُّبَير بن العَوَّام استحقارًا لشأنه، وأنه لا يساوي قدر أبيه فيقتص منه.

الخامس: الاستحياء من عاقبة جواب الجاهل: فقد يجهل الجاهل بشيء أكبر فيسيء للحليم، فكان حياء الحليم صيانة لنفسه واستكمالًا لمروءته. وقد قال حكيمٌ: احتمالُ السَّفيه خيرٌ من تقليد طريقته (أي: في السب والشتم) والإغضاء عن الجاهل خير من التشبه به.

السادس: التفضُّل علىٰ السَّبَّاب الشَّتَّام: فإن الحليم إذا كان كريمًا مُحِبًّا للألفة والتآلف فإنه لا يرد السب والشتم علىٰ السفهاء.

وقد حُكي عن الأحنف بن قيس (أي: وكان مشهورًا بالحلم) أنه قال: ما عاداني أحد قط إلا أخذت في أمري بإحدىٰ ثلاث خصال:

إن كان أعلىٰ مني عرفت له قدره (أي: يعني لم أرد عليه احترامًا له).

وإن كان دوني رفعت قدري عنه (أي: لم أنزل لدرجته في السفاهة).

وإن كان نظيري تفضلت عليه (أي: لم أرد عليه ليكون ذلك فضلًا مني عليه).

السابع: قَطْعُ سبب الجهالة والشتم: وهذا من الحزم من صاحب الحِلْم.

وحُكي أن رجلًا قال لضِرَار بن القَعْقاع: والله لو قلتَ واحدة لسمعتَ عشرًا. أي من السُّبَاب، فقال له ضِرَارٌ: والله لو قلت عشرًا لم تسمع واحدة. وهذا من حَزْمه ليقطع السب والشتم.

وحُكي أن عليَّ بن أبي طالب ﵁ قال لعامر بن مُرَّة الزُّهْري: مَن أحمق الناس؟ قال: من ظنَّ أنه أعقلُ الناس. قال: صدقت، فمَن أعقل الناس؟ قال: من لم يتجاوز الصمت في عقوبة الجهال. فالصمت هنا ليكف الجاهل عن الاستمرار في سفاهته.

وقال الشَّعْبيُّ ﵀: ما أدركت أمي فأبَرُّها (أي: فقد ماتت وهو صغير ولم يدرك الإحسان إليها) ولكن لا أَسُبُّ أحدًا فيسُبها.

الثامن: الخوف من العقوبة علىٰ الجواب: فربما يكون الحليم ضعيفًا فيخشىٰ عقوبة رده علىٰ السفهاء. فإما أن يكون هذا من ضعف نفسه فله أن يستر علىٰ نفسه بترك الجواب، أو نتيجة حكمته وحزمه. فالحلم هنا يحجب المشاكل.

التاسع: الرعاية لصداقة سابقة أو جميل أو نعمة قديمة: ويكون هذا من الوفاء وحسن العهد. وقد قيل: أكرم الشِّيَم (أي: الصفات) أرعاهم للذمم (أي: أرعاهم للجميل والعهد السابق).

العاشر: المكر وتوقع الفرص الخفية: وهذا من الدهاء والحيلة.

وقد قيل: غضب الجاهل في قوله (أي: مجرد الكلام) وغضب العاقل في فعله. وقال حكيمٌ: إذا سكتَّ عن الجاهل فقد أوسعتَه جوابًا وأوجعتَه عقابًا.

والأَوْلىٰ بالإنسان أن يكون حِلمُه بأحد هذه الأسباب، وإلا كان حِلْمُه عند ذلك ذُلًّا ولم يكن حِلْمًا، فالحلم هو ضَبْطُ النفس عند هيجان الغضب، فإذا لم يغضب لسبب من الأسباب الموجبة للغضب كان ذلك من ذلِّ النفس وقلة المروءة.

وقال الحكماء: ثلاثةٌ لا يُعرَفون إلا في ثلاثة مواضع: لا يُعرف الجَوَادُ (أي: الكريم) إلا في العُسْرة، والشجاع إلا في الحرب، والحليم إلا في الغضب.

ومن فَقَد الغضب في الأشياء المغضبة فقد حُرِم من فضائل النفس كالشجاعة والأنفة والحمية والغيرة والدفاع، وصار الإنسان مهينًا، وكما قال الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من استُغضب فلم يغضب فهو حمار (أي: بليد الإحساس).

الفرق بين الغضب والحزن:

الغضب يكون من جهالة من هو دونك في الرتبة والقدر، والحزن يكون من جهالة من هو فوقك في الرتبة والقدر. والغضب يتحرك من داخل الجسد إلىٰ الخارج؛ فتظهر صورته علىٰ الجوارح.

أما **الحزن** فيتحرك من خارج الجسد إلىٰ داخله؛ فيصير كمدًا ومرضًا، ولذلك قد يقتل الحزن صاحبه ما لا يقتل الغضب؛ وذلك لبروز الغضب انفعالًا خارجيًّا وكمون الحزن داخليًّا، فما يصدر عن الغضب إنما هو الانتقام والسطوة، والناتج عن الحزن إنما هو المرض والأسقام، ولذلك قد يفضي الحزن إلىٰ الموت، ولا يكون هذا من الغضب. والحِلْم أفضل مِن كَظْم الغيظ؛ لأن كظمَ الغيظ هو تكلُّف الحِلم، أما الحليم فلا يهيج غضبه أصلًا؛ لكمال عقله وامتلاكه لنفسه عند الغضب، وحِلْم الضعيف أو الصغير أمام القوي أو الكبير لا يُعَدُّ حِلمًا، وإنما هو خوفٌ وحَذَرٌ.

قال رسولُ الله ﷺ: «التَّأَنِّي مِنَ الله، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَمَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مَعَاذِيرَ مِنَ اللهِ، وَمَا مِنْ شَيْءٍ أَحَبُّ إِلَىٰ الله مِنَ الْحِلْمِ». أبو يعلىٰ الموصلي في مسنده برقم (٤٢٥٦)، قال الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وقال رسولُ الله ﷺ: «السَّمْتُ الْحَسَنُ (أي: حسن الهيئة والكلام والسكوت وغيره) وَالتُّؤَدَةُ (أي: التأني والحلم) وَالاقْتِصَادُ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّة». أحمد في مسنده (١/ ٢٩٦) برقم (٢٦٩٨).

وقال عمرُ رضي الله عنه: تعلَّموا العلمَ، وتعلَّموا للعلم السَّكينةَ والحِلم.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ليس الخيرُ أن يَكثُر مالك وولدك، ولكن الخير أن يَكثُر عِلمُك ويَعظُم حِلمُك، وألا تباهي الناس بعبادة الله، وإذا أحسنت حَمِدْتَ الله تعالىٰ، وإذا أسأت استغفرت الله تعالىٰ. وقال عليٌّ رضي الله عنه: إن أولَ ما عُوِّض الحليمُ مِن حِلْمه أن الناسَ كلهم أعوانُه علىٰ الجاهل.

وقال معاوية رضي الله عنه: لا يبلغ العبدُ مَبْلَغَ الرأي حتىٰ يغلب حِلمُه جهلَه، وصبره شهوته، ولا يبلغ ذلك إلا بقوة العلم.

وسأل مُعَاويةُ عَرَابَةَ بن أَوْسٍ رحمه الله: بِمَ سُدْتَ قَوْمَكَ يا عَرَابة؟ قال: كنت أَحلُم عن جاهلهم، وأُعطي سائلهم، وأسعىٰ في حوائجهم، فمَن فعل فِعْلي فهو مثلي، ومن جاوزني فهو أفضل، ومن قصر عني فأنا خير منه. وقال أيضًا رحمه الله: عليكم بالحلم والاحتمال حتىٰ تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصفح والإفضال.

وسمع معاوية رضي الله عنه من رجل من رعيَّته كلامًا شديدًا، فقيل له: لو عاقبتَه. فقال: إني أستحي أن يضيقَ حلمي عن ذنب أحد من رعيتي.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما لرجل سبَّه وشتمه مناديًا علىٰ غلامه: يا عكرمة، هل للرجل حاجة فنقضيها؟ فنكس الرجل رأسه واستحيىٰ مما رأىٰ من حلمه عليه.

وقال طاوس رحمه الله: ما حُمِل العِلم في مِثْل جِراب الحِلم.

وقال وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: الرِّفْق ثِنْيُ الحِلم (أي: أخوه).

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: اطلبوا العلم وزيِّنوه بالوقار والحلم. وعن عليِّ بن الحسين رضي الله عنه أن رجلًا سبه فرمىٰ إليه بخَمِيصةٍ (أي: ثوب مخطط من حرير أو صوف) كانت عليه، وأمر له

بألف درهم، فقال بعضهم: جمع بفعله هذا خمس خصال محمودة: الحلم، وإسقاط الأذىٰ (أي: ترك السب والشتم) وتخليص الرجل مما يبعده عن الله ﷻ، وحمله علىٰ الندم والتوبة، ورجوع إلىٰ مدحه بعد الذم، اشترىٰ جميع ذلك بشيء يسير من الدنيا.

وقال عَطَاءُ بن أبي رَبَاحٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما أَوَىٰ شيءٌ إلىٰ شيءٍ أَزْيَنَ مِن حِلْم إلىٰ عِلْم.

وقال أَكْثَمُ بن صَيْفِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ: دعامة العقل الحلم، وجماع الأمر الصبر.

وقال المأمون رَحِمَهُ اللَّهُ: يَحسُن بالملوك الحِلْمُ عن كلِّ أحدٍ إلا عن ثلاثةٍ: قادح في مُلْكٍ، أو مُذيع لِسرٍّ، أو مُتعرِّض لحُرْمةٍ. وقال أبو عمرو بن العلاء رَحِمَهُ اللَّهُ: كان أهل الجاهلية لا يُسَوِّدُون (أي: أيْ يجعلوه سيدًا) إلا من كانت فيه ست خصال وتمامها في الإسلام سابعة: السخاء، والنجدة، والصبر، والحلم، والبيان، والحَسَب، وفي الإسلام زيادة العفاف.

قال بعضُ العلماء: ليس الحليمُ مَن ظُلِم فحَلُم حتىٰ إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظُلِم فحَلُم حتىٰ إذا قدر عفا.

قصص في الحلم:

قصة: جاء رجلٌ إلىٰ الإمام الشافعيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فقال له: يا ابنَ الزانية، لقد شَغَلْتَ الناسَ بجهلك وضلالك. فقال له الإمامُ الشافعى: إن كانت أمى زانيةً فأسأل اللهَ أن يغفر لها، وإن كانت غيرَ زانيةٍ فأسأل الله أن يغفر لك. فقال له أصحابُه: يا إمام، إنه يقذف ونحن شهود؟ فقال لهم الإمام الشافعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ:

يُخاطِبُني السفيهُ بكلِّ قبحٍ ... فأكرَهُ أن أكونَ له مُجيبَا
يزيدُ سفاهةً وأزيدُ حِلمًا ... كعودٍ زادَهُ الإحراقُ طيبَا

فرحم اللهُ الإمامَ الشافعيَّ علىٰ هذه الأخلاق النبوية. اهـ.

قصة: اشتهر الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ بسَعة حِلْمه ورجاحة عقله، وكان سيدَ بنى تميم، ولم يكن ساد قومه بقوة جسده، ولا كثرة ماله، ولا ارتفاع نسبه، إنما سادهم بالحلم والعقل،

حقد عليه قومٌ، فأقبلوا إلىٰ سفيهٍ من سفهائهم وقالوا له: هذه ألف درهم، علىٰ أن تذهب إلىٰ سيد بني تميم الأحنف بن قيس، فتلطمه علىٰ وجهه.

فمضىٰ السفيه، فإذا الأحنف جالس مع رجال بكل رزانة، وهو يحدث القوم، فاقترب السفيه ودنا منه، فلما مدَّ الأحنف إليه رأسه ظانًّا أنه سيُسِرُّه بشيء فإذا بالسفيه يرفع يده ويلطم الأحنف علىٰ وجهه لطمةً قوية، فنظر الأحنف إليه ولم يقم من جلسته، بل قال بكل هدوء: ما حَمَلك علىٰ هذا؟ قال: قومٌ أعطوني ألفَ درهم علىٰ أن ألطم سيد بنى تميم. فقال الأحنف: آه، ما صنعتَ شيئًا، لستُ سيد بنى تميم. قال: عجبًا، فأين سيد بنى تميم؟ قال: هل ترىٰ ذاك الرجل الجالس وحده وسيفه بجانبه؟ وأشار إلىٰ رجل اسمُه حارثة بن قُدَامة، امتلأ غضبًا وغيظًا، لو قُسِّم غضبُه علىٰ أمة لكفاهم، قال: نعم أراه، الجالس هناك؟ قال: نعم، فاذهب والطمه؛ فذاك سيد بني تميم.

ذهب السفيه إلىٰ حارثة واقترب منه، فإذا عَيْنَا حارثة تلمع شررًا، وقف السفيه عليه ورفع يده ولطمه علىٰ وجهه، فما كادت يده تُفارق خدَّه حتىٰ التقط حارثة سيفه وجزَّ يد السفيه. وهكذا بحِلمه اقتص لنفسه من الرجل . اهـ.

يقول الإمام جعفر الصادق: الحِلم يدور علىٰ خمسة أوجه: أن يكون عزيزًا فيذلُّ، أو يكون صادقًا فيُتَّهم، أو يدعو إلىٰ الحقِّ فيُستخَف به، أو أن يؤذىٰ بلا جُرْم، أو أن يطلب بالحق ويُخالَف فيه.

أقسام الحلم: الحِلم ثلاثة أقسام، وهي كما يلي:

- حِلْم العوام: وهو العفو عن الجاني، مع إضمار الشر باطنًا.
- حِلْم الخَوَاصِّ: وهو العفو عن الجاني، مع إضمار الخير له باطنًا.
- حلم خواص الخواص: وهو العفو عن الجاني، مقرونًا بالبر إليه فعلًا وقولًا.

وآفة الحلم كما قال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللهُ: آفة الحلم الذُّل (أي: بظهور صاحبه مظهر الذليل). قال أبو الحسن الشاذلي رَحِمَهُ اللهُ: حقيقة الحلم الرفق، بأن يكون رفيقًا في قوله وفعله، وبمن تحت يده.وقال الشيخ قاسم الحلبي: الحلم حالة اضطرارية، والتحلُّم من الأمور

الاختيارية، وهو الكظم، فأنت مكلف بالتحلم لا بالحلم، ولكنك إن تحلَّمتَ مرةً بعد مرة تخلَّقت بالحلم الاضطراري، وكنت كاملَ العقل؛ لأن الغضب حينئذٍ دخل تحت قدرتك، وقد قال النبي ﷺ: «إِنَّمَا العِلْمُ بالتَّعَلُّمِ، والحِلْمُ بالتَّحَلُّمِ». الطبراني في الأوسط (٣/ ١١٨) برقم (٢٦٦٣)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٣٢٨).

والحليم كامل العقل، واسع الصدر، مالك لنفسه، والناس جميعًا في صفه، والملائكة في عونه، وقليل من الناس من يتصف بالحِلم، ولا يمنعه حِلْمه من ردع السفهاء، فهو وسط بين البطش والذلة والضعف.

(الرفق)

الرِّفقُ خلافُ العنف، والرفيق ليِّن الجانب، ولطيف الفعل. فالرفق: هو لين الجانب بالقول والفعل، والأخذ بالأسهل، وهو ضدُّ العنف، والرِّفق واللِّين نتيجة حسن الخلق وثمرة من ثمراته. ولا يكون حسن الخلق إلا بضبط قوة الغضب وقوة الشهوة، وحفظهما علىٰ حد الاعتدال.

وفي هذا قال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ لأصحابه: أتدرون ما الرِّفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد. قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه.

وفي هذا تنبيه لطيف وإشارة ذكية إلىٰ ضرورة مزج الغلظة باللين، والفظاظة بالرفق بالتوازن الذي قاله، وهذا معنىٰ الاعتدال. فالرفق المحمود هو ما بين العنف واللين، ولما كانت طبائع البشر تميل إلىٰ العنف والحدة كانت الحاجة إلىٰ ترغيبهم إلىٰ جانب الرفق أكثر، والرفق لا يتنافىٰ مع الحزم الذي هو ضبط الأمر بالثقة.

وكان النبيُّ ﷺ يدعو للرفيق فيقول: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ فَارْفُقْ بِهِ». مسلم برقم (١٨٢٨).

وقال ﷺ لعائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: «يَا عَائِشَةُ، ارْفُقِي فَإِنَّ اللهَ إِذَا أَرَادَ بِأَهْلِ بَيْتٍ خَيْرًا دَلَّهُمْ عَلَىٰ بَابِ الرِّفْقِ- أو أَدْخَلَ عَلَيْهِمُ الرِّفْقَ». أحمد في مسنده (٦/ ١٠٤) برقم (٢٤٧٧٨)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وشكا رجل إلىٰ رسول الله ﷺ قسوة قلبه فقال له: «إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ

الْمِسْكِينَ، وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ». أحمد في مسنده (٢/ ٢٦٣) برقم (٧٥٦٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وقال أيضًا ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ مُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ». مسلم برقم (٢٨٦٥).

ومن الرفق أيضًا ما قاله الرسول ﷺ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِلنَّاسِ فَلْيُخَفِّفْ؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الضَّعِيفَ وَالسَّقِيمَ وَالْكَبِيرَ، وَإِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ لِنَفْسِهِ فَلْيُطَوِّلْ مَا شَاءَ». متفق عليه.

وقال أيضًا ﷺ: «إِنِّي لَأَدْخُلُ فِي الصَّلَاةِ أُرِيدُ إِطَالَتَهَا فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَأُخَفِّفُ مِنْ شِدَّةِ وَجْدِ أُمِّهِ بِهِ». البخاري برقم (٧٠٧). والرفق بالنفس مطلوب كذلك، كما روي أن الرسول ﷺ كان في سفر، فرأىٰ رجلًا قد اجتمع الناس عليه وقد ظلل عليه، فقال ﷺ: «مَا لَهُ؟». قالوا: رجل صائم. فقال: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ». متفق عليه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: ما خُيِّرَ رسولُ الله ﷺ بين أمرين إلا اختار أَيْسَرَهما ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد الناس منه، والله ما انتقم لنفسه في شيءٍ يُؤْتَىٰ إليه قطُّ حتىٰ تُنتهك حُرُماتُ الله فينتقم لله. متفق عليه. وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن مِن فِقْه الرجل رِفْقَه في معيشته.

وقال عمرُو بن العاص لابنه عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ما الرِّفق؟ قال: تكون ذا أناةٍ فتلاين الولاة (أي: يعني متأنيًا في فعلك وقولك مع ولاة الأمر والرؤساء). قال: فما الخَرَقُ (أي: الحمق وضعف الرأي)؟ قال: معاداة إمَامِك (أي: حاكمك) ومناوأة (أي: معاداة) من يقدر علىٰ ضَرَرِك.

وقد قيل في الحكم: لا تُعاند مَن إذا قال فعل (أي: لا تعاند من يستطيع أن يبطش بك).

وقيل مكتوب في الحكمة: الرِّفق رأس الحكمة. وقال قيس بن أبي حازم رَحِمَهُ اللَّهُ: كان يقال: مَن يُعطَ الرفق في الدنيا نفعه في الآخرة.

وقال بعضُ أهل العلم: ما أَحْسَن الإيمان يُزيِّنه العلم، وما أحسن العلم يُزيِّنه العمل، وما أحسن العملَ يُزيِّنه الرِّفق، وما أُضيف شيء إلىٰ شيء مثل حِلْم إلىٰ عِلْم.

والرفق دليل علىٰ فقه الرجل وحكمته وحسن إسلامه وكمال فهمه وإيمانه، وهو زينة الحياة، وهو دليل علىٰ رفق الله به يوم القيامة.

❊ ❊ ❊

٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ ۖ فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ ٨٥﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ﴾ [النور: ٢٢].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٣].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(٦٤٢/ ٧٥) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنها قالت للنَّبيِّ ﷺ: هَلْ أَتَىٰ عَلَيْكَ يَوْمٌ كَانَ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ أُحُدٍ؟ قَالَ: «لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدُّ مَا لَقِيتُهُ مِنْهُمْ يَوْمَ الْعَقَبَةِ، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَىٰ ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِ كُلَالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَىٰ مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلَىٰ وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إِلَّا وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ (أي: وهو ميقات أهل نجد، ويقال له أيضًا قرن المنازل، وهو علىٰ بعد يوم وليلة من مكة)، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذَا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبرِيلُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ الله تعالَىٰ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَقَد بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ فِيهِمْ، فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إنَّ اللهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وَأنا مَلَكُ الجِبالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبِّي إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، فَمَا شِئْتَ؟ إنْ شِئْتَ أَطْبَقْتُ عَلَيْهِمُ الأَخْشَبَيْنِ». فَقَالَ النبي ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللهُ مِنْ أَصْلَابِهِمْ مَنْ يَعبدُ اللهَ وَحْدَهُ لَا يُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا». متفق عليه. «الأَخْشَبَانِ»: الجَبَلَانِ المُحيطانِ بمكَّة. وَالأخشبُ هُوَ الجبل الغليظ.

(٦٤٣/ ٧٥) وعنها قالت: مَا ضَرَبَ رسولُ الله ﷺ شَيْئًا قَطُّ بِيَدِه، وَلَا امْرَأَةً وَلَا خَادِمًا، إِلَّا أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ الله، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ قَطُّ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلَّا أَن يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِن مَحَارِمِ الله تَعَالَىٰ، فَيَنْتَقِمَ لله تَعَالَىٰ. رواه مسلم.

(٦٤٤/ ٧٥) وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمشي مَعَ رسول الله ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ الحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ فَجَبَذَهُ (أي: جذبه) بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدةً، فَنَظَرْتُ إِلَىٰ صَفْحَةِ عَاتِقِ

النَّبِيِّ ﷺ، وَقَدْ أَثَّرَتْ بِهَا حَاشِيَةُ الرِّدَاءِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللهِ الَّذِي عِنْدَكَ. فَالتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ. متفق عليه.

(٦٤٥/ ٧٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رسول الله ﷺ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ- صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِمْ- ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ، ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ». متفق عليه.

(٦٤٦/ ٧٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ (أي: الذي يصرع الناس ويغلبهم)، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ». متفق عليه.

* * *

(العفو والصفح والغفران)

العفو: هو تَرْكُك إنسانًا استوجب عقوبةً فعفوتَ عنه، واللهُ سبحانه وتعالى هو العفوُّ الغفور.

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: سلوا اللهَ العفو والعافية والمعافاة (أي: سلوا الله مَحْوَ الذنوب).

فأما العافية: فهي أن يعافيه اللهُ تعالىٰ من مرض أو ينجيه فيصبح صحيحًا ليس مريضًا؛ أي وهب له العافية من العلل والبلايا، ومنها قول رسول الله ﷺ: «سَلُوا اللهَ الْعَافِيَةَ». أحمد في مسنده (١/ ٨) برقم (٤٦)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وأما المعافاة: فهي أن يُعافيك الله من الناس وأذاهم، ويعافيهم منك أيضًا. فالعفو هو التجاوز عن الذنب وتَرْك المُعاقَبة المُستحَقَّة عليه. فاللهُ هو العَفُوُّ الذي يمحو السيئات ويتجاوز عن المعاصي، والمعنىٰ قريب من الغفور، لكن العفو أبلغ من الغفران؛ لأن الغفران ستر للمعصية، أما العفو فهو محو للمعصية، فكل من استحق عقوبة فتركها سُمِّيَ ذلك الترك عفوًا.

الفرق بين العفو والصفح والمغفرة: الصَّفح أبلغُ من العَفْو؛ فقد يعفو الإنسانُ ولا يصفح؛ لأن الصَّفْح تجاوزٌ عن الذنب بالكلية واعتباره كأن لم يكن، أما العفو فإنه يقتضي إسقاط اللوم والذم فقط، ولا يقتضي حصول الثواب، أما الغفران فإنه لا يكون معه عقوبة البتة، وفي المغفرة ستر للذنب، وصون من عذاب الخزي والفضيحة. والله جمعها في سورة «التغابن» في قوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾﴾ [التغابن: ١٤].

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالىٰ حدثنا بها رسول الله ﷺ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن

كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ [الشورى: ٣٠].

ومما يرويه علي رضي الله عنه يرفعه: «وَسَأُفَسِّرُهَا لَكَ يَا عَلِيُّ: مَا أَصَابَكُمْ مِنْ مَرَضٍ أَوْ عُقُوبَةٍ أَوْ بَلاءٍ فِي الدُّنْيَا فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ، وَاللهُ تَعَالَىٰ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُثَنِّي عَلَيْهِمُ الْعُقُوبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَمَا عَفَا اللهُ عَنْهُ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ تَعَالَىٰ أَحْلَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ بَعْدَ عَفْوِهِ». أحمد في مسنده (١/ ٨٥) برقم (٦٤٩).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: جاء رجلٌ إلىٰ النبيِّ صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله، كم نعفو عن الخادم؟ فصمت، ثم أعاد عليه الكلام فصمت، فلما كان في الثالثة قال: «اعْفُوا عَنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً». أبو داود برقم (٥١٦٤)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٤٨٨).

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «تَعَافَوا الحُدود فِيمَا بَيْنَكُمْ، فَمَا بَلَغَنِي مِنْ حَدٍّ فَقَدْ وَجَبَ» [أبو داود برقم (٤٣٧٦)، الحاكم في المستدرك برقم (٨١٥٦)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٩٥٤)]. فقد أمَرنا بالعفو عن المسيء قبل وصوله للحاكم.

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «مَا أَحَدٌ أَصْبَرُ عَلَىٰ أَذًىٰ سَمِعَهُ مِنَ اللهِ؛ يَدْعُونَ لَهُ الْوَلَدَ ثُمَّ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ» [متفق عليه]. أي أن الله يصبر علىٰ كفر الكفار.

وروي عن علي يرفعه: «مَنْ أَصَابَ حَدًّا فَعُجِّلَ عُقُوبَتُهُ فِي الدُّنْيَا فَاللهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يُثَنِّي عَلَىٰ عَبْدِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ أَصَابَ حَدًّا فَسَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ وَعَفَا عَنْهُ فَاللهُ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يَعُودَ إِلَىٰ شَيْءٍ قَدْ عَفَا عَنْهُ». الترمذي برقم (٢٦٢٦)، وقال: وهذا حديث حسن غريب.

وهذا قولُ أهلِ العِلم: لا نعلم أحدًا كَفَّرَ أحدًا بالزِّنا أو السرقة وشُربِ الخمر.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو علىٰ المنبر: «ارْحَمُوا تُرْحَمُوا، وَاغْفِرُوا يَغْفِرِ اللهُ لَكُمْ، وَيْلٌ لِأَقْمَاعِ الْقَوْلِ (أي: من لا يفهمون، كالقمع تمر عليه السوائل فلا يتأثر بها)، وَيْلٌ لِلْمُصِرِّينَ الَّذِينَ يُصِرُّونَ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ». أحمد في مسنده (٢/ ٢١٩) برقم (٧٠٤١)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن. وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٨٩٧).

وقال أيضًا صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ لِي مِنْ أُمَّتِي مَا وَسْوَسَتْ بِهِ صُدُورُهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَكَلَّمْ». متفق عليه.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: بَلَغنا أن الله تعالىٰ يأمر مناديًا يوم القيامة فيُنادي: مَن كان له عند الله شيء فَلْيَقُم، فيقوم أهلُ العفو، فيُكافئهم اللهُ بما كان مِن عَفْوِهم عن الناس.

وقال مُعاوية رضي الله عنه: عليكم بالحلم والاحتمال حتىٰ تمكنكم الفرصة، فإذا أمكنتكم فعليكم بالصَّفْح والإفضال.

وأُتي عبدُ الملك بن مَرْوان بأسارىٰ فيهم ابنُ الأشعث، فقال لرَجَاء بن حَيْوَة: ماذا ترىٰ؟ قال: إن الله تعالىٰ قد أعطاك ما تُحِبُّ من الظَّفَر، فأعطِ الله ما يحب من العفو. فعفا عنهم.

وقال الحسن رضي الله عنه: أفضل أخلاق المؤمن: العفو.

ورُوي أن راهبًا دخل علىٰ هشام بن عبد الملك رحمه الله فقال للراهب: أرأيت ذا القرنين، أكان نبيًّا؟ فقال: لا، ولكنه إنما أعطي ما أعطي بأربع خصال كن فيه: كان إذا قدر عفا، وإذا وعد وفى، وإذا حدث صدق، ولا يجمع شغل اليوم لغد.

وعلَّق إبراهيم النَّخعيُّ رحمه الله علىٰ باب البخاري «الانتصار من الظالم؛ لقول الله عز وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ٣٩﴾ [الشورى: ٣٩]» قال: كانوا يكرهون أن يُستذَلُّوا، فإذا قَدَرُوا عَفَوا.

ودخل رجلٌ علىٰ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه فجعل يشكو إليه رجلًا ظلمه ويقع فيه (أي: يسبه ويشتمه ويغتابه)، فقال عمر: إنك أن تَلْقىٰ الله بمظلمتك كما هي خيرٌ لك مِن أن تلقاه وقد اقتصصتها (أي: أخذت حظك منه في الدنيا بسبه وشتمه وغير ذلك).

وقال مُسْلِم بن يَسَار رحمه الله لرجل دعا علىٰ ظالمه: أَوْكِل (أي: دع) الظالمَ إلىٰ ظلمه؛ فإنه أسرع إليه من دعائك عليه إلا أن يتداركه بعمل (أي: يعمل عملًا صالحًا) وقَمِنٌ (أي: جدير) ألا يفعل.

وكتب أحدُهم إلىٰ صديقٍ له يسأله العفو عن بعض إخوانه: فلان هارب من زلَّته إلىٰ عفوك، لائذ منك بك، واعلم أنه لن يزداد الذنب عظمًا إلا ازداد العفو فضلًا.

قال بعضُ أهل العلم: ليس الحليمُ مَن ظُلِم فحلم حتىٰ إذا قدر انتقم، ولكن الحليم من ظُلِم فحلم حتىٰ إذا قدر عفا.

قال ابنُ تيمية رحمه الله: ذَكَر اللهُ تعالىٰ في كتابه: الصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل: فالصبر الجميل: هو الذي لا شكوىٰ فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذىٰ معه.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله تعالىٰ: ﴿فَٱصۡفَحِ ٱلصَّفۡحَ ٱلۡجَمِيلَ ٨٥﴾

[الحجر: ٨٥] قال: الرضا بغير عتاب.

قصة: حَدَث في عهد عمر بن الخطاب ﵁ أن جاء ثلاثةُ أشخاص مُمسكين بشابٍّ وقالوا: يا أمير المؤمنين، نريد منك أن تقتصَّ لنا من هذا الرجل؛ فقد قتل والدنا.

قال عمر بن الخطاب ﵁: لماذا قتلتَه؟ قال الرجل: إني راعى إبل، وقد أَكَلَتْ إبلٌ من إبلى شجرةً من أرض أبيهم فضربها أبوهم بحجر فماتت، فأمسكتُ نفس الحجر وضربته به فمات. قال عمر بن الخطاب ﵁: إذن سأُقيم عليك الحدَّ. قال الرجل: أمهلنى ثلاثةَ أيام، فقد مات أبى وترك لى كنزًا أنا وأخى الصغير، فإذا قتلتنى ضاع الكنز وضاع أخى من بعدي. فقال عمر بن الخطاب ﵁: ومن يضمنك؟ فنظر الرجل في وجوه الناس فقال: هذا الرجل. فقال عمر بن الخطاب ﵁: يا أبا ذرٍّ، هل تضمن هذا الرجل؟

فقال أبو ذرٍّ: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال عمر بن الخطاب ﵁: إنك لا تعرفه، وإن هرب أقمتُ عليك الحدَّ؟! فقال أبو ذرٍّ: أنا أضمنه يا أمير المؤمنين.

ورحل الرجل، ومَرَّ اليومُ الأول والثاني والثالث، وكلُّ الناس كانت قلقة علىٰ أبى ذرٍّ، حتىٰ لا يُقام عليه الحدُّ، وقبل صلاة المغرب بقليل جاء الرجل وهو يَلْهَثُ وقد اشتدَّ عليه التعب والإرهاق، ووقف بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، قال الرجل: لقد سلَّمت الكنز وأخى لأخواله، وأنا تحت يدك لتُقيم علىَّ الحدَّ. فتعجب عمر بن الخطاب ﵁ وقال: ما الذي أرجعك؟! كان بإمكانك الهرب! فقال الرجل: خشيتُ أن يُقال: لقد ذهب الوفاءُ بالعهد من الناس. فسأل عمر بن الخطاب ﵁ أبا ذرٍّ: لماذا ضمنته؟ فقال أبو ذر: خشيتُ أن يُقال: لقد ذهب الخير من الناس. فتأثَّر أولادُ المقتول فقالوا: لقد عفونا عنه. فقال عمر بن الخطاب: لماذا؟ فقالوا نخشىٰ أن يُقال: لقد ذهب العفوُ من الناس.

والعفو والغفران والصفح دليل علىٰ سعة الصدر وحسن الظن والخلق، ودليل أيضًا علىٰ كمال النفس وشرفها، وإن أمة انتشر فيها العفو والصفح والغفران لأمة عظيمة سعيدة.

* * *

٧٦- باب احتمال الأذى

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾ [الشورى: ٤٣].

وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

(٦٤٧/ ٧٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رسول الله، إنَّ لي قَرَابةً أَصِلُهُم وَيَقْطَعُوني، وَأُحْسِنُ إلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إلَيَّ، وَأَحْلُمُ عنهم وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ (أي: يسيئون إليَّ)، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ المَلَّ (أي: تُطعمهم الرماد الحار)، وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله تَعَالَىٰ ظَهِيرٌ (أي: مُعِين ونصير) عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَىٰ ذَلِكَ». رواه مسلم، وقد سبق شرحه في باب صلة الأرحام.

٧٧- باب الغضب إذا انتهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾ [محمد: ٧].

وفي الباب حديث عائشة رضي الله عنها السابق في باب العفو.

(٦٤٨/ ٧٧) وعن أبي مسعودٍ عقبةَ بن عمرٍو البدريِّ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ فَقَالَ: إنِّي لأَتَأَخَّرُ عَن صَلاةِ الصُّبْحِ مِنْ أَجْلِ فلانٍ مِمَّا يُطِيلُ بِنَا، فَمَا رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ غَضِبَ في مَوْعِظَةٍ قَطُّ أَشَدَّ مِمَّا غَضِبَ يَوْمَئِذٍ؛ فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إنَّ مِنْكُمْ مُنَفِّرِينَ فَأَيُّكُمْ أَمَّ النَّاسَ فَلْيُوجِزْ؛ فَإنَّ مِنْ وَرَائِهِ الكَبِيرَ وَالصَّغِيرَ وَذَا الحَاجَةِ». متفق عليه.

(٦٤٩/ ٧٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ رسولُ الله ﷺ مِنْ سَفرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لِي بِقِرَامٍ فِيهِ تَمَاثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رسول الله ﷺ هتكهُ وَتَلَوَّنَ وَجهُهُ، وقال: «يَا عَائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ الَّذِينَ يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله». متفق عليه.

«السَّهْوَةُ»: كَالصُّفَّةِ تَكُونُ بَيْنَ يدي البيت (أي: وهي الطاقة أو الفتحة في الحائط). و«القِرام» بكسر القاف: سِتر رقيق. و«هَتَكَه»: أَفْسَدَ الصُّورَةَ الَّتي فِيه.

(٦٥٠/ ٧٧) وعنها: أن قرَيشًا أهَمَّهُمْ شَأنُ المَرأَةِ المخزوميَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رسول الله ﷺ؟ فقالوا: مَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ (أي: محبوب) رسول الله ﷺ: فَكلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**أَتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعَالَىٰ؟!**» ثُمَّ قامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّمَا أهْلَكَ مَنْ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا**». متفق عليه.

(٦٥١/ ٧٧) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ رَأىٰ نُخَامَةً في القِبلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّىٰ رُئِيَ في وَجْهِهِ (أي: شوهد أثر غضبه وحزنه من ذلك علىٰ وجهه)؛ فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «**إنَّ أحَدَكُمْ إذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ، وَإنَّ رَبَّهُ بَيْنَهُ وَبيْنَ القِبلَةِ فَلَا يَبْزُقَنَّ أحَدُكُم قِبَلَ الْقِبْلَةِ، وَلَكِنْ عَنْ يَسَارِهِ، أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ**». ثُمَّ أخَذَ طَرَفَ رِدَائِهِ فَبَصَقَ فِيهِ، ثُمَّ رَدَّ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَقَالَ: «**أَوْ يَفْعَلُ هكذا**». متفق عليه. وَالأمرُ بالبُصَاقِ عَنْ يَسَارِهِ أَوْ تَحْتَ قَدَمِهِ هُوَ فِيما إِذَا كَانَ في غَيْرِ المسجِدِ، فَأمَّا في المسجدِ فَلَا يَبصُقُ إِلَّا في ثَوْبِه.

* * *

(الغضب)

الغضبُ مِفْتاح كلِّ شرٍّ، وهو غليان الدم في قلب الإنسان رغبةً في الانتقام، فمتىٰ غضب الإنسانُ ثارت نارُ الغضب ثورانًا يغلي به دمُ القلب، ومنه ينتشر في العروق، ويرتفع إلىٰ أعالي البدن كما يرتفع الماء الذي يغلي في الإناء، ويحمر الوجه والعين والبشرة من تدفق الدم الذي يغلي، فكأن الوجه زجاجة تعكس لون الدم فيها، وهكذا النار فإنها تصعد إلىٰ أعلىٰ.

والغضب يكون لصدور الخطأ والجهالة ممن هو دونك في المقام مع قدرتك علىٰ الانتقام منه، أما إذا كان الغضب ممن كان أعلىٰ في الرتبة ويئس العبد من الانتقام منه، تولد منه انقباض الدم من الجلد إلىٰ جوف القلب، وصار حزنًا، ولذلك يَصْفَرُّ الوجه، أما إذا كان من نظيرٍ ومساوٍ لك في المقام تردد الدمُ بين الانقباض والبسط، فتارة يَحمَرُّ اللون وتارة يَصْفَرُّ ويضطرب.

واعلم أن الغضب يولد رغبة الانتقام الذي هو الحقد، ومنه إلىٰ الحسد؛ أي رغبة زوال نعمة الغير، ولهذا قيل: اتَّقوا الغضبَ؛ فإنه يُفسد الإيمانَ كما يُفسِد الصبر العسل.

والغضب عدو العقل، وكل العطب في الغضب، وأول الغضب جنون وآخره ندم.

الغضب المحمود والغضب المذموم:

اقتضت حكمةُ الله ﷻ أن رَكَّبَ الإنسانَ علىٰ طبيعة محمولة علىٰ قوتين: قوة الغضب، وقوة الشهوة، فهاتان القوتان هما مصدر الأخلاق في النفس، فبقوة الشهوة يطلب الإنسان المنافع والمصالح لنفسه، وبقوة الغضب يدفع المضار والأذىٰ عنها.

فأصحاب العقول الراجحة علموا أن هذه الصفات وتلك القوىٰ لم تخلق سُدًىٰ ولا عبثًا، فهي بمنزلة الماء يُسقىٰ به الورد الجميل والشوك المؤذي، أو الثمار الطيبة والحطب الرديء. فمثلًا الكِبْرُ- وهو من ثمرات الغضب- وهو مذموم كما نعلم، فإن أحسن استعماله كان سببًا في طلب العلو والارتقاء.

ومما يروىٰ أن النبي ﷺ رأىٰ أبا دُجانة رضي الله عنه يتبختر بين الصفين في بدء القتال فقال: «إِنَّهَا مِشْيَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ إِلَّا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَوْضِعِ» [الطبراني في الكبير (٧/ ١٠٤) برقم (٦٥٠٨)]. وقال أيضًا: «إِنَّ مِنَ الْخُيَلَاءِ (أي: الكِبْر) مَا يُحِبُّهَا اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُهَا اللهُ، فَالْخُيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّهَا اللهُ اخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الْحَرْبِ وَعِنْدَ الصَّدَقَةِ». أحمد في مسنده (٥/ ٤٤٦) برقم (٢٣٨٠٣)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

فالمقاتل يحتاج إلىٰ التكبُّر عن الخوف من الموت وفقدان الأهل والأحباب، وأن يطلب العلا والمجد في جنات النعيم، فهو كبر حميد، وكذلك عند إخراج الزكوات والصدقات فيتكبر علىٰ شعور الخوف من الفقر والضياع ويطلب أن تكون يده العليا عند الله.

وقُلْ مثلَ ذلك في خُلُق الحرص، فرغم أنه مذمومٌ فهو إذا أحسن الانتفاع به صار من أنفع الأخلاق؛ فقوة الحرص لا تُذَمُّ مطلقًا، وإنما يُذَمُّ منها ما يدفع إلىٰ الحرص علىٰ الدنايا والأشياء المذمومة، في حين أن غيرها قد يكون أولىٰ بالحرص.

كما في الحديث: «احْرِصْ عَلَىٰ مَا يَنْفَعُكَ». مسلم برقم (٢٦٦٤). كذلك قوة الغضب فإنها تصرف إلىٰ الغضب علىٰ أعداء الله ومجاهدتهم، وعلىٰ المنافقين، وإلىٰ الدفاع عن

العرض والأولاد والأموال والأوطان، فالبصير العارف يستعمل نِعَمَ الله في مواضعها النافعة، وهذا هو الغضب المحمود.

أما الغضب المذموم فيكون بطريقين:

أحدهما: الغضب في غير الحق: كالغضب من أجل العصبية والقبلية، وكغضب الفساق في لعب القمار والميسر، أو الغضب من أجل شيء بسيط كالتحيز للأندية والألعاب الرياضية، وخروج الإنسان فيها عن حد الاحترام والاعتدال، والغضب للأهل والأولاد في غير الحق، وأكثر الجُهَّال يُسمون الغضب من هذا النوع شجاعة ورجولة وعزة نفس، فتميل إلىٰ فعله النفوس المريضة الجاهلة، وهذا من الغباء والجهل.

الثاني: الغضب الذي يُخرج صاحبه عن فعل الحق وحد الاعتدال: وقد جاء في الحديث: «**العَدْلُ في الغَضَبِ والرِّضا**» [أحمد في مسنده (٤/ ٢٦٤) برقم (١٨٣٥١)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١٨٠٢)]؛ مدحًا لأصحاب الأخلاق العالية، فحتىٰ لو كان الإنسانُ في أعلىٰ المراتب والمناصب فيلزمه مراعاة حد الاعتدال في الغضب وألا يتجاوزه. وقد كان ﷺ لا يقوم لغضبه شيء إذا تُعُرِّض للحقِّ، حتىٰ ينتصر له، ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها.

والناس في قوة الغضب علىٰ درجات ثلاث: تفريط وإفراط، واعتدال:

أولاها: التفريط في قوة الغضب حيث يُصبح المرءُ لا حَمِيَّة له ولا غَيْرة دَيُّوثًا لا يأنف مِن تعرُّض الغير لحرماته وزوجته، ومع أن اللهَ تعالىٰ خلق الغيرة لحفظ الأنساب، ولو تساهل الناس في الغيرة لاختلطت الأنساب.

ولهذا قيل: كلُّ أُمَّة حَفِظَتِ الغَيْرة في رجالها حفظت العِفَّة في نسائها.

ففقد الغضب بالكلية مذموم، وإنما المحمود منه غضب تحت سيطرة العقل والدين، فيقوم حين يجب وينطفئ حين يجب، وهو حد الاعتدال والوسط.

وقد قال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ محذِّرًا من ذلك: مَن استُغضب فلم يغضب فهو حمار. يعني فيما

يحقُّ له أن يغضب فيه، وقد شبهه بالحمار لبلادته وانعدام غضبه وغيرته علىٰ حرماته.

الثانية: الإفراط: وهو غضب مذموم أيضًا؛ حيث يغلبه الغضب حتىٰ يُخرجه عن العقل والدين وطاعة الله ورسوله ﷺ، فلا يبقىٰ معها للمرء نظر ولا بصيرة ولا اختيار ولا تفكير، فهو كالأعمىٰ لا يرىٰ بها شيئًا وتَسْوَدُّ الدنيا في وجهه، وكلما اشتدت نار الغضب صرفته عن كل موعظة، بل إذا وُعِظَ لم يَسمع وازداد غضبًا أيضًا، وربما زاد الغضب بصاحبه فسبب له الأمراض وربما قتله.

الثالثة: حدُّ الاعتدال: وهو الوَسَط بين الطرفين المذمومين.

وقد قال بعضهم: مَن أطاع شهوته وغضبه قاداه إلىٰ النار.

وقال بعضُهم: إياك والغضبَ؛ فإنه يُصيِّرك إلىٰ ذِلَّة الاعتذار.

وليس كلُّ مَن عَجَز عن الإتيان بالخير كله يأتي بالشر كله، ولكن بعض الشر أهون من بعض، وبعض الخير أرفعُ قدرًا وأفضلية من بعض.

أسباب الغضب: قوة الغضب محلُّها القلب، والأخلاق الرديئة المذمومة شرعًا هي التي تُسبِّب الغضب المذموم: كالزَّهْو، والخُيلاء، وإعجاب المرء بنفسه، والمزاح المذموم شرعًا، والاستهزاء بالناس، والتعيير بالنواقص والمماراة والمجادلة لغير وجه الله، والمعاندة في الحق، والغدر وشدة الحرص علىٰ فضول الدنيا والمال والجاه.

ولابد من إزالة هذه الأسباب بالأدوية المضادة لها: فيُعالج الزَّهْو والعُجْبُ بالتَّواضع، وليذكر أننا كلنا بنو آدم، وآدم من تراب. والمزاح يُعالج بتشاغل صاحبه بأمر دينه وآخرته قدر المستطاع، والاستهزاء يُعالج بالتكرم عن إيذاء الناس وتعييرهم، وأما التعيير فبالحذر عن ذكر القبائح، وأما شدة الحرص فبالقناعة والترفع عن الدنيا.

علاج الغضب: فإذا هاجت النفسُ غضبًا فعلاجها بأمور:

الأول: أن يذكر فضيلةَ كَظْم الغيظ والعفو والحِلْم والاحتمال رغبةً فيما عند الله من المثوبة.

قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنْفِذَهُ دَعَاهُ اللهُ عَلَىٰ رُءُوسِ

الْخَلَائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنَ الْحُورِ مَا شَاءَ». أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٨) برقم (١٥٦٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

الثاني: أن يُخَوِّفَ نفسه بعقاب الله؛ لأن كل ظلم صدر من شخص لا يجوز مقابلته بمثله، فلا تجوز مقابلة الغيبة بالغيبة، ولا التجسس بالتجسس، ولا السب بالسب، وكذلك سائر المعاصي، وإنما القصاص والغرامة علىٰ قدر ما ورد الشيء به.

قال عمر رضي الله عنه: مَن اتَّقىٰ اللهَ لم يَشْفِ غَيْظَه، ومَن خاف اللهَ لم يفعل ما يشاء، ولولا يوم القيامة لكان غير ما ترون (أي: من الحلم والعفو والتسامح).

الثالث: أن يُخَوِّفَ نفسه من عاقبة العداوة والانتقام من العدوِّ.

قال حكيمٌ: أيسرُ شيءٍ الدخولُ في العداوة، وأصعبُ شيء الخروج منها. وقيل: مَن عادىٰ مَن دُونَه ذَهَبَتْ هيبتُه، ومَن عادىٰ من فوقه غُلب، ومَن عادىٰ مَن مثله ندم.

الرابع: أن يتفكَّر في قُبْح شكله وصورته أثناء الغضب.

الخامس: التفكر في السبب الداعي للانتقام إذ لعله سبب بسيط أو هوىٰ نفس أو تسلط شيطان، وليذكر قول الله يوم القيامة: لِيَقُمْ مَنْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَىٰ الله. فَلا يَقُومُ إِلَّا مَنْ عَفَا.

السادس: أن يعلم أن ذلك من أقدار الله فيُصَبِّر نفسه بذلك.

السابع: أن يعمل أعمالًا تساعده علىٰ ذهاب غضبه، منها السكوت، والجلوس إن كان قائمًا، والاضطجاع إن كان جالسًا، بل قد يضع خده علىٰ الأرض في بعض الأحيان؛ لتذل نفسه وتسكن، كذلك التبرد بالماء كما فعل عمر رضي الله عنه مرة حين غضب فأمر بماء واستنشقه وقال: إن الغضبَ من الشيطان، وهذا يُذهب الغضبَ.

وقد روي عن عطية بن عروة السعدي يرفعه: «إِنَّ الْغَضَبَ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ خُلِقَ مِنَ النَّارِ، وَإِنَّمَا تُطْفَأُ النَّارُ بِالْمَاءِ، فَإِذَا غَضِبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَتَوَضَّأْ» [أحمد في مسنده (٣/ ٤٣٨) برقم (١٥٦٥٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن]. وتقول أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وقال رسول الله ﷺ: «يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَسَكِّنُوا وَلَا تُنَفِّرُوا» متفق عليه.

وقال رسول الله ﷺ: «لا يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَيْنَ اثْنَيْنِ وَهُوَ غَضْبَانُ» متفق عليه.

وقال ابنُ عباس رضي الله عنهما في قوله تعالىٰ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [المؤمنون: ٩٦]: الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله وخضع لهم عدوهم.

وقال عُرْوة بن الزُّبير رضي الله عنه: مكتوبٌ في الحِكَم: يا داود، إياك وشدة الغضب؛ فإن شدة الغضب مفسدة لفؤاد الحكيم.

وكتب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه لعامله: لا تُعاقب عند غضبك، وإذا غضبت علىٰ رجلٍ فاحبسه، فإذا سكن غضبك فأخرجه وعاقبه علىٰ قدر ذنبه.

وقال بعضُ الحكماء: كما أن الأجسام تَعظُم في العين يوم الضَّباب كذلك يَعظُم ذنبُ المذنب عند الغضب.

وقال الماورديُّ رحمه الله: مكتوب في التوراة: يا بن آدم، اذكرني حين تغضب أذكرك حين أغضب.

وقال الغزالي رحمه الله: مما يدل علىٰ أن الغضب من أخلاق الضعفاء: أن المريض أسرع غضبًا من الرجل الصحيح، والمرأة أسرع غضبًا من الرجل، والصبي أسرع غضبًا من الرجل الكبير، وذا الخُلُق السيئ والرذائل القبيحة أسرع غضبًا من صاحب الفضائل، حتىٰ إنه قد يغضب علىٰ أهله وولده وأصحابه، والقوي مَن يملك نفسه عند الغضب.

وقال ابنُ القيِّم رحمه الله: دَخَل الناسُ النارَ من ثلاثة أبواب: باب شبهة أورثت شكًّا في دين الله، وباب شهوة أورثت تقديمَ الهوىٰ علىٰ طاعته ومرضاته، وباب غضب أورث العدوان علىٰ خلقه.

وقال بعضُ الحكماء: الغضب علىٰ مَن لا تملك عجز (أي: فهو غضب في غير استطاعة لإظهاره) وعلىٰ مَن تملك لؤم (أي: لأن المغضوب عليه ضعيف).

قصة: الغضب خلق سيئ، ومرضٌ خبيث، وهو سببُ كثيرٍ من المشاكل والأزمات، ولا يخلو أحد من الناس إلا ويغضب، ولا يستطيع أن يتخلَّص من غضبه بسهولة، ومن هؤلاء الناس كان أحد الملوك المسلمين، ولكنه توصَّل إلىٰ طريقة طيبة للتخلص من هذا المرض العضال، فقد كتب ثلاثَ ورقات وأعطاها إلىٰ وزيره، وقال له: إذا رأيتني غاضبًا أعطني الورقة الأولىٰ، فإذا لم أهدأ وأترك الغضب فأعطني الورقة الثانية، فإذا لم أهدأ فأعطني الورقة الثالثة والأخيرة.

وقد كان في الورقة الأولىٰ: إنك لستَ بإله، وإنك سوف تموت وتعود إلىٰ التراب فيأكل بعضك بعضًا، أي إنه يُذكِّر نفسه بأن يتواضع ولا يغضب علىٰ من هو أضعف منه، فهو ملك قوي، والآخرون رعية أضعف منه، فلا يستغل مكانته وقوته ليعاقب الآخرين.

وكان في الورقة الثانية: ارحم من في الأرض يرحمك من في السماء. فهو هنا يذكر نفسه بأن الله سوف يرحمه إن رحم غيره.

وفي الورقة الثالثة: اقضِ بين الناس بحكم الله، فإنهم لا يُصلحهم إلا ذلك. أي يذكر نفسه بأنه إذا كان ولابد له من معاقبة المذنب، فيجب عليه معاقبتُه بما أَمَر الإسلام به، ولا يعاقبه كما تأمره نفسه به. اهـ.

والغضب نار تأكل القلب، ويتولد منها الحقد والحسد، ويعقبه الاعتذار والندم بعد فوات الأوان. والغاضب يُنفِّر الخلق ويبعدهم عنه، وقد يذهب به الغضب إلىٰ إغضاب الله وإرضاء الشيطان.

* * *

٧٨- باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱخۡفِضۡ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٢١٥﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ [النحل: ٩٠].

(٦٥٢/ ٧٨) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّكُمْ رَاعٍ، وَكُلُّكُمْ مَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ: الإِمَامُ رَاعٍ وَمَسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أهلِهِ وَمَسئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِها وَمَسْئولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالخَادِمُ رَاعٍ فِي مال سيِّدِهِ وَمَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَمَسْئولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ**». متفق عليه.

(٦٥٣/ ٧٨) وعن أبي يعلى مَعْقِل بن يسار رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يَوْمَ يَمُوتُ وَهُوَ غَاشٌّ لِرَعِيَّتِهِ، إِلَّا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الجَنَّةَ». متفق عليه.

وفي رواية: «فَلَمْ يَحُطْهَا (أي: يَرْعَهَا ويَصُنْهَا) بِنُصْحِهِ لَمْ يَجِدْ رَائِحَةَ الجَنَّةِ».

وفي رواية لمسلم: «مَا مِنْ أميرٍ يلي أمور المُسْلِمينَ، ثُمَّ لا يَجْهَدُ (أي: يجتهد لهم في مصالحهم وما ينفعهم) لهم وَيَنْصَحُ لهم، إِلَّا لَمْ يَدْخُلْ مَعَهُمُ الجَنَّةَ».

(٦٥٤/ ٧٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول في بيتي هَذَا: «اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ». رواه مسلم.

(٦٥٥/ ٧٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَانَتْ بَنُو إسرَائِيلَ تَسُوسُهُمُ الأَنْبيَاءُ، كُلَّمَا هَلَكَ نَبِيٌّ خَلَفَهُ نَبيٌّ، وَإِنَّهُ لا نَبِيَّ بَعْدِي، وَسَيكُونُ بَعْدِي خُلَفَاءُ فَيَكثرُونَ». قالوا: يَا رسول الله، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ قَالَ: «أَوْفُوا بِبَيْعَةِ الأَوَّلِ فَالأَوَّلِ، ثُمَّ أَعْطُوهُمْ حَقَّهُمْ، واسْأَلُوا اللهَ الَّذِي لَكُمْ، فَإِنَّ اللهَ سَائِلُهُمْ عَمَّا اسْتَرْعَاهُمْ». متفق عليه.

(٦٥٦/ ٧٨) وعن عائِذِ بن عمرو رضي الله عنه: أنه دخل عَلَىٰ عبيد الله بن زياد، فَقَالَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ، إِنِّي سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ شَرَّ الرِّعَاءِ الحُطَمَةُ (أي: العنيف في رعيته الشديد عليهم)» فَإِيَّاكَ أنْ تَكُونَ مِنْهُمْ. متفق عليه.

(٦٥٧/ ٧٨) وعن أبي مريم الأزديِّ رضي الله عنه: أَنَّهُ قَالَ لِمعاوية رضي الله عنه: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ وَلَّاهُ اللهُ شَيْئًا مِنْ أُمُورِ المُسْلِمِينَ فَاحْتَجَبَ دُونَ حَاجَتِهِمْ وَخَلَّتِهِمْ وَفَقْرِهِمْ، احْتَجَبَ اللهُ دُونَ حَاجَتِهِ وَخَلَّتِهِ وَفَقْرِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». فجعل معاوية رجلًا عَلَىٰ حوائج النَّاسِ. رواه أبو داود والتِّرمذي.

٧٩- باب الوالي العادل

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات: ٩].

(٦٥٨/ ٧٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ (أي: في كرامته وحمايته، أو في ظل عرشه، وأضافه إليه سبحانه تشريفًا) يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عادِلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ

في عِبادة الله تَعالَىٰ، ورَجُلٌ قَلْبُهُ مُعلَّقٌ في المَساجِدِ، ورَجُلانِ تَحابَّا في الله، اجتمَعا علَيْهِ، وتَفرَّقا عليْهِ، ورَجُلٌ دَعتْهُ امْرأةٌ ذاتُ مَنْصِبٍ وجمالٍ، فقَالَ: إنِّي أخافُ اللهَ، ورَجُلٌ تَصدَّقَ بِصدَقةٍ فأخْفاها حَتَّىٰ لا تعْلَمَ شِمالُهُ ما تُنْفِقُ يَمِينُهُ، ورَجُلٌ ذَكَرَ اللهَ خالِيًا ففاضَتْ عَيْناهُ». متفق عليه.

(٦٥٩/ ٧٩) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: قالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ المُقْسِطِينَ (أي: العادلين) عِنْدَ الله علَىٰ مَنابِرَ مِنْ نُورٍ: الَّذِينَ يَعْدِلُونَ في حُكْمِهِمْ وأهْلِيهِم وَما وَلُوا (أي: ما كانت لهم عليه ولاية)». رواه مسلم.

(٦٦٠/ ٧٩) وعن عوف بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «خِيارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُحِبُّونَهُمْ ويُحِبُّونَكُمْ، وتُصَلُّونَ عَلَيْهِمْ ويُصَلُّونَ عَلَيْكُمْ، وشِرارُ أئِمَّتِكُمُ الَّذِينَ تُبْغِضُونَهُمْ ويُبْغِضُونَكُمْ، وتَلعَنُونَهُمْ ويَلْعَنُونَكُمْ». قال: قُلْنا: يا رسولَ الله، أفَلا نُنابِذُهُم؟ قالَ: «لَا، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ. لا، مَا أقَامُوا فِيكُمُ الصَّلاةَ». رواه مسلم. قَوْله: «تُصَلُّون عَلَيْهِمْ»: تدعون لَهُمْ.

(٦٦١/ ٧٩) وعن عِياض بن حِمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «أهلُ الجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلطانٍ مُقْسِطٌ مُوَفَّقٌ، ورَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ ومُسْلِمٍ، وعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ». رواه مسلم.

٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء: ٥٩].

(٦٦٢/ ٨٠) وعن ابن عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عن النبيِّ ﷺ قالَ: «عَلَىٰ المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ والطَّاعَةُ فِيما أحَبَّ وكَرِهَ، إلَّا أنْ يُؤمَرَ بِمَعْصِيةٍ، فإذا أُمِرَ بِمَعْصِيةٍ فَلا سَمْعَ ولَا طَاعَةَ». متفق عليه.

(٦٦٣/ ٨٠) وعنه قالَ: كُنَّا إذا بَايَعْنا رسولَ الله ﷺ علَىٰ السَّمعِ والطَّاعَةِ، يَقُولُ لَنا: «فِيما اسْتَطَعْتُمْ». متفق عليه.

(٦٦٤/ ٨٠) وعنه قالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيامَةِ ولَا حُجَّةَ لَهُ، ومَنْ مَاتَ ولَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جاهِلِيَّةً». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «ومَنْ مَاتَ وهُوَ مُفارِقٌ لِلجَماعَةِ، فإنَّهُ يَمُوتُ مِيتَةً جاهِلِيَّةً».

«المِيتَةُ» بكسر الميم.

(٦٦٥/ ٨٠) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وأطِيعُوا، وَإنِ استُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشيٌّ، كأنَّ رأْسَهُ زَبيبةٌ**». رواه البخاري.

(٦٦٦/ ٨٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**عَلَيْكَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ في عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأثَرَةٍ عَلَيْكَ** (أي: أن يُفضَّل ويُقدَّم مَن لا يستحقُّ عليك)». رواه مسلم.

(٦٦٧/ ٨٠) وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قَالَ: كنَّا مَعَ رسول الله ﷺ في سَفرٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلًا، فَمِنَّا مَنْ يُصْلِحُ خِبَاءَهُ، وَمِنَّا مَنْ يَنْتَضِلُ، وَمِنَّا مَنْ هُوَ فِي جَشَرِه، إذْ نَادَىٰ مُنَادِي رسولِ الله ﷺ: الصَّلاةَ جَامِعَةً. فَاجْتَمَعْنَا إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**إنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبيٌّ قَبْلِي إلَّا كَانَ حَقًّا عَلَيْهِ أنْ يَدُلَّ أُمَّتَهُ عَلَىٰ خَيْرِ مَا يَعْلَمُهُ لهم، وَيُنْذِرَهُم شَرَّ مَا يَعْلَمُهُ لهم. وَإنَّ أُمَّتَكُمْ هذِهِ جُعِلَ عَافِيَتُهَا في أوَّلِهَا، وَسَيُصِيبُ آخِرَهَا بَلَاءٌ وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا، وَتَجِيءُ فِتَنٌ يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَتَجِيءُ الفِتْنَةُ فَيَقُولُ المُؤْمِنُ: هذه مُهلكتي ثُمَّ تنكشفُ، وتجيء الفتنةُ فيقولُ المؤمنُ: هذِهِ هذِهِ. فَمَنْ أحَبَّ أنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ ويُدْخَلَ الجَنَّةَ فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ** (أي: وفاته) **وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ واليَوْمِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ. وَمَنْ بَايَعَ إمَامًا فَأعْطَاهُ صَفْقَةَ يَدِهِ وَثَمَرَةَ قَلْبِهِ** (أي: خالص عهده ومحبته بقلبه)، **فَلْيُطِعْهُ إنِ استَطَاعَ، فإنْ جَاءَ آخَرُ يُنَازِعُهُ فَاضْرِبُوا عُنُقَ الآخَرِ**». رواه مسلم. قَوْله: «يَنْتَضِلُ»؛ أي: يُسَابِقُ بالرَّمْي بالنَّبل والنُّشَّاب. و«الجَشَرُ»: بفتح الجيم والشين المعجمة وبالراء، وهي: الدَّوابُّ الَّتِي تَرْعَىٰ وَتَبِيتُ مَكَانَهَا. وَقَوْلُه: «يُرَقِّقُ بَعْضُهَا بَعْضًا» أي: يُصَيِّرُ بَعْضُهَا بَعْضًا رقيقًا أي: خَفيفًا لِعِظَمِ مَا بَعْدَهُ، فالثَّانِي يُرَقِّقُ الأَوَّلَ. وقيل: مَعنَاهُ يُشَوِّقُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ بتحسينهَا وَتَسويلِهَا، وقيل: يُشبهُ بَعْضُها بَعضا.

(٦٦٨/ ٨٠) وعن أبي هُنَيْدَةَ وَائِلِ بن حُجرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بنُ يَزيدَ الجُعفِيُّ رسولَ الله ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبيَّ الله، أرأيتَ إنْ قامَت عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسأَلُونَا حَقَّهُم، وَيمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عنه، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإنَّمَا عَلَيهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ**». رواه مسلم.

(٦٦٩/ ٨٠) وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**إنَّهَا سَتَكُونُ بَعْدِي أثَرَةٌ** (أي: أن يُفضَّل ويُقدَّم مَن لا يستحقُّ) **وَأُمُورٌ تُنْكِرُونَهَا!**». قالوا: يَا رسول الله، كَيْفَ تَأمُرُ مَنْ أدْرَكَ مِنَّا ذَلِكَ؟ قَالَ: «**تُؤَدُّونَ الحَقَّ الَّذِي عَلَيْكُمْ، وَتَسْأَلُونَ اللهَ الَّذِي لَكُمْ**». متفق عليه.

(٦٧٠/ ٨٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ أطَاعَنِي فَقَدْ أطَاعَ اللهَ، وَمَنْ**

عَصَانِي فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ، وَمَنْ يُطِعِ الأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ يَعصِ الأمير فَقَدْ عَصَانِي». متفق عليه.

(٦٧١/ ٨٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ خَرَجَ مِنَ السُّلطَانِ شِبْرًا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً». متفق عليه.

(٦٧٢/ ٨٠) وعن أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ أهانَ السُّلطَانَ أَهَانَهُ الله». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن. وفي الباب أحاديث كثيرة في الصحيح، وَقَدْ سبق بعضها في أبواب.

* * *

(اختيار الوالي العادل ووجوب طاعته)

اهتم الشارع الكريم في إصلاح العلاقة بين الحاكم والمحكومين أو الراعي والرعية بقسمين هامين، هما: أداء الأمانات من قبل الحكام والولاة كالرؤساء والمديرين والقضاة ومن شابههم، وطاعة أولي الأمر من الشعب والرعية والمرءوسين. فقد قال الله تعالىٰ فيما يخص أداء الأمانات: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

قال العلماء: نزلت هذه الآية في ولاة الأمور والحكام (أي: وكل مسئول هيئة أو وزارة أو ما شابهها)، حيث أوجبت عليهم أن يؤدوا الأمانات إلىٰ أهلها، وإذا حكموا بين الناس أن يحكموا بالعدل أي أداء الأمانات والحكم بالعدل.

أولا: أداء الأمانات من قبل الحكام: وينقسم إلىٰ قسمين:

قسم أداء أمانة الولايات: حيث تُؤدَّىٰ الأمانة بتولية الأصلح في كل ولاية أو إدارة أو مهمة بحَسَبها، وباختيار الأصلح فالأصلح؛ أي: أن يحسن ولي الأمر أو المدير اختيار وزرائه ومستشاريه وهذا من الأمانة في عنقه للرعية أو لمن كان مديرا أو مسئولًا عليه.

وقسم أداء أمانة الأموال: أي: الأموال العامة، ويقصد بها الأمانة والإعتدال في جمع الأموال من مصادرها وإنفاقها في موضعها الصحيح. وكثيرًا ما يحدث ظلم من الحكام والولاة للرعية في أمور الأموال، إما في جانب جمع الأموال بضرائب غير مستحقة أو

اشتراكات أو تبرعات، والحصول عليها منهم بالمبالغة، وإما في إنفاقها في غير حقها.

ثانيًا: الحكم بالعدل: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

نزلت هذه الآية في الرعية كافة، شعبًا وجيشًا، حيث تُوجب عليهم أن يُطيعوا أُولي الأمر، إلا أن يؤمروا بمعصية الله؛ قال النبيُّ ﷺ: «عَلَىٰ المَرْءِ المُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ (أي: لأولياء الأمر) فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إلا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ». متفق عليه.

فإن تنازعتم في شيءٍ فردُّوه إلىٰ كتاب الله وسنة رسوله، وإن لم يفعل ولاة الأمر ذلك فعلىٰ الرعية الطاعة فيما يؤمرون به من طاعة الله والرسول؛ لأن ذلك من طاعة الله والرسول، ومن أمانة أداء الحقوق كما أمر الله ورسوله؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰۖ وَلَا تَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِۚ﴾ [المائدة: ٢].

عن عُبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَىٰ السَّمْعِ والطَّاعَةِ فِي العُسْرِ واليُسْرِ، والمَنْشَطِ وَالمَكْرَهِ، وَعَلَىٰ أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَىٰ أَلَّا نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا عِنْدَكُمْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ فِيهِ بُرْهَانٌ، وَعَلَىٰ أَنْ نَقُولَ بِالحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ. متفق عليه. فجِماع الأمر في مفهوم السياسة العادلة والولاية الصالحة: أن يقوم الحكام والولاة بأداء الأمانات إلىٰ أهلها، والحكم بالعدل والمساواة بين الرعية، واستعمال الأصلح في الوزراء والمستشارين.

وقال ﷺ: «كُلُّكُمْ رَاعٍ وكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّته، فَالإِمَامُ الَّذي عَلَىٰ النَّاس رَاعٍ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِه، وَالمرْأَةُ رَاعِيَةٌ فِي بَيْتِ زَوْجِها وَهِيَ مَسْئُولَةٌ عَنْ رَعِيَّتِهَا، وَالوَلَدُ رَاعٍ فِي مَالِ أَبِيهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّته، والعَبْدُ راعٍ في مالِ سيِّده وهو مَسْئولٌ عن رَعِيَّته، أَلَا فَكُلُّكُمْ راعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْئُولٌ عن رَعِيَّته» متفق عليه.

وقال النبي ﷺ: «مَا مِنْ راعٍ يَسْتَرْعِيهِ اللهُ رَعِيَّةً، يَمُوتُ يومَ يَمُوتُ، وهو غاشٌّ لها، إلا حرَّمَ اللهُ عليه رائحةَ الجنة» متفق عليه. فعلىٰ صاحب الأمر أو الحاكم أو الوزير مثلًا أن يستعمل الأصلح لتلك الولاية أو الوظائف الكبرىٰ العامة، فإن لم يجد فيختار الأمثل فالأمثل في كل

منصب بحسبه، حتىٰ لو صار نقصٌ فقد أعذر إلىٰ ربه؛ فإن الله تعالىٰ يقول: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾[التغابن: ١٦]، وقال الله تعالىٰ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾[البقرة: ٢٨٦].

فمن أدىٰ الواجب المقدور عليه فقد اهتدىٰ؛ عن أبي هريرة ﵁ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ فَاجْتَنِبُوهُ، وَمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَثْرَةُ مَسَائِلِهِمْ وَاخْتِلافُهُمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ». متفق عليه بنحوه.

أما الولاية فلها ركنان أي أن الوالي أو الحاكم يجب أن يتحلىٰ بأمرين: القوة والأمانة، كما قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾[القصص: ٢٦].

أما القوة في الرئيس أو الحاكم الأكبر أو الولاية العظمىٰ فهي الكفاءة والمهارة السياسية والمقدرة والشجاعة في القلب، والخبرة بالحكم، والقدرة علىٰ اتخاذ القرارات المهمة كالحرب مثلًا. والقوة في الأحكام وتولي الحكم بين الناس وترجع إلىٰ: العلم بالأحكام التي دل عليها الكتاب والسنة وسائر القوانين المتعارف عليها، والقدرة علىٰ تنفيذ تلك الأحكام.

أما الأمانة فترجع إلىٰ معنىٰ الخشية لله، والعناية بشرعه الحكيم، فلا يشتري بدينه شيئًا من الدنيا، ولا يخشىٰ الناس في حكمه بالحق؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾[المائدة: ٤٤].

ولهذا قال النبي ﷺ: «الْقُضَاةُ ثَلاثَةٌ، اثْنَانِ فِي النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ: رَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَقَضَىٰ بِهِ فَهُوَ فِي الجَنَّةِ، وَرَجُلٌ قَضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ بالجَهْلِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ عَرَفَ الحَقَّ فَجَارَ فَهُوَ فِي النَّارِ». أبو داود برقم (٣٥٧٣)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٤٤٦).

والقاضي اسمٌ لكلِّ مَن حكم بين اثنين، حتىٰ لو كان في أمر بسيط. وإن اجتماع القوة والأمانة من المهارة والتدين معًا قليل؛ ولهذا قال عمر بن الخطاب ﵁: اللهم إني أشكو إليك جَلَدَ الفاجر وعَجْزَ الثِّقَة. ويقصد به ﵁ صَبْرَ الفاجر علىٰ مقصوده بالمثابرة، ويأس أهل الثقة والفضل عن مقصودهم بالتكاسل.

استعمال الأصلح: والواجب شرعًا أن يُعيَّن الأصلح أو الأكفأ والمناسب في كلِّ أمرٍ

بحَسَبه. فإذا وُجد رجلان أحدهما أعظم أمانةً وديانة ولكنه ليس بالأقوىٰ ولا بالأكفأ، والآخر أعظم قوةً ولكنه أقل أمانة، فعلىٰ صاحب الأمر أن يُقدِّم الأنفع لتلك الولاية والأقلَّ ضررًا فيها. فمثلًا في ولاية الحروب يُقدَّم القوي الشجاع الماهر صاحب العلم والخبرة- حتىٰ إن كان فيه بعضُ التقصير- علىٰ ضعيف الخبرة الأمين ولو كان تقيًّا.

وسئل الإمام أحمد: عن الرجلين يكونان أميرَيْن في الغزو وأحدهما قويٌّ فاجر، والآخر صالح ضعيف، مع أيِّهما يُغزىٰ؟ فقال: أما الفاجر القويُّ فقوته للمسلمين وفجوره علىٰ نفسه؛ وأما الصالح الضعيف فصلاحه لنفسه وضعفه علىٰ المسلمين؛ فيُغزىٰ مع القويِّ الفاجر، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ» متفق عليه..

فإن لم يكُ فاجرًا فهو الأولىٰ بالإمارة؛ ولهذا كان النبيُّ ﷺ يستعمل خالد بن الوليد علىٰ الحرب منذ أسلم وقال: «إنَّ خَالِدًا سَيْفٌ سَلَّهُ اللهُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ» [أحمد في مسنده (١/ ٨) برقم (٤٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح بشواهده]، مع أنه أحيانًا قد كان يصنع ما يُنكره النبيُّ ﷺ، حتىٰ إنه مرةً قام ثم رفع يديه إلىٰ السماء وقال: «اللَّهُمَّ إنِّي أَبرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا فَعَلَ خَالِدٌ» [البخاري برقم (٤٣٣٩)]، وذلك حينما أرسله إلىٰ بني جَذِيمَةَ فقتلهم وأخذ أموالهم بنوع شبهةٍ، ولا يجوز ذلك، وأنكره عليه بعض الصحابة، حتىٰ دفع النبيُّ ﷺ دياتهم وضَمِنَ أموالهم؛ ومع هذا فما زال رسول الله ﷺ يقدمه في إمارة الحرب؛ لأنه الأصلح والأمثل، وكان أبو ذرٍّ رضي الله عنه أصلح منه في الصدق والأمانة، ومع هذا قال له النبي ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي، لا تَأَمَّرَنَّ عَلَىٰ اثْنَيْنِ، وَلا تَوَلَّيَنَّ مَالَ يَتِيمٍ». مسلم برقم (١٨٢٦).

فقد نُهِيَ أبو ذرٍّ عن الإمارة والولاية لأنه ضعيف في القيام بهما علىٰ وجه مناسب، مع أن النبي ﷺ قال فيه: «مَا أَظَلَّتِ الْخَضْرَاءُ وَلا أَقَلَّتِ الْغَبْرَاءُ أَصْدَقَ لَهْجَةً مِنْ أَبِي ذَرٍّ».

أحمد في مسنده (٢/ ١٧٥) برقم (٦٦٣٠)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٥٣٧).

وقد استعمل النبيُّ ﷺ عمرو بن العاص في غزوة ذات السلاسل وهناك في الجيش من هو أفضل منه، كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما، واستعمل أسامة بن زيد أميرًا علىٰ الجيش لمصلحة راجحةٍ آنذاك، وهي أن يطلب ثأر أبيه مع أنه في الجيش من هو أفضل علمًا وإيمانًا.

وكذلك كان فعل أبي بكرٍ الصديق، فاستعمل خالدًا في حروب أهل الردة، وفي فتوح العراق

والشام، مع أنه قد بدت منه هفواتٌ بتأويل منه، وذُكر له أن خالدًا فيه هَوًىٰ، فلم يعزله لذلك؛ بل عاتبه عليه؛ وذلك لرجحان المصلحة علىٰ المفسدة في بقائه، ولم يجد غيره يقوم مقامه.

وعلىٰ صاحب الأمر أي الحاكم أو القاضي مثلًا إن كان طبعه يميل إلىٰ اللين أن يستعمل نائبًا له يميل إلىٰ الشدة، وإذا كان خلقه يميل إلىٰ الشدة فينبغي أن يستعمل نائبًا يميل إلىٰ اللين ليعتدل الأمر.

ولهذا كان أبو بكر الصديق يُؤثر استعمالَ خالد بن الوليد؛ لأن خالدًا كان شديدًا، أما عمر بن الخطاب فلأنه كان شديدًا كان يُؤثر استعمال أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنهم لأنه كان ليِّنًا كأبي بكر الصديق؛ ليكون الأمر معتدلًا.

أما إذا كانت الحاجة في الولاية للأمانة أشد؛ بسبب انتشار الفساد مثلًا، قُدِّم الأمين، وذلك كمثل حفظ الأموال، فإذا لم تتم المصلحة باختيار وزير أو مستشار أورجل واحد جمع بين عدد من المسئولين في تلك المهمة. فأمر الولاية يستوي إما بالترجيح للأصلح واختياره، وإما بتعدد الولاة والمسئولين إذا لم يكفِ واحدٌ.

أما القضاء فتحتاج ولايته إلىٰ الأعلم والأورع والأكفأ، فمتىٰ فُوضِل بين قاضٍ عالم وَرَعُه أقلُّ، وقاضٍ ورعه أكثر وعلمه أقلُّ، فيجب تولية القاضي الأورع إذا كان المطلوب هو البعد عن الهوىٰ لتسهيل معرفة الحكم الشرعي وإظهاره، أما إذا كان المطلوب هو معرفة الحكم الدقيق في المسألة لصعوبتها ويُخاف فيها من الاشتباه فيُولَّىٰ الأعلم.

ومما يروىٰ في هذا الباب عن عمران بن حُصين مرفوعًا: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ البَصَرَ النَّافِذَ عِنْدَ وُرُودِ الشُّبُهَاتِ، وَيُحِبُّ العَقْلَ عِنْدَ حُلُولِ الشهوات». ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٢/ ١١٨٦) برقم (٤٢٩٩) وعزاه لأبي نعيم.

وسئل بعض العلماء: إذا لم يوجد من يُولَّىٰ القضاء إلا عالم بالأحكام ولكنه فاسق (أي: يفعل الكبائر) أو قاض جاهل ببعض الأحكام ولكنه دَيِّن، فأيهما يُقدَّم؟ فقال: إن كانت الحاجة إلىٰ الدين والورع أكثر لكثرة الفساد في الأحكام، قُدِّم القاضي صاحب الدين علىٰ صاحب العلم، أما إذا كانت الحاجة إلىٰ العلم أكثر بسبب غياب العلم الصحيح للأحكام الشرعية فيُقدم القاضي الأكثر علمًا علىٰ صاحب الدين الورع.

وإن كان العلماء يُقدمون ويختارون صاحب الدين لأنه لا يخلو قاضٍ من علم ولو حتىٰ الحد الأدنىٰ المطلوب، والأمر في ذلك يرجع إلىٰ ولاة الأمور وما يرونه مناسبًا.

ومع ذلك يجوز توليةُ غير المؤهل بالدرجة الكافية؛ وذلك للضرورة مع السعي في استصلاح الأحوال، فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجبٌ.

المقصودُ بالواجب الشرعي على الوالي والحاكم في الولايات: فالحاكم أو الوالي هو المسئول أمام الله في المحافظة علىٰ دين الخلائق؛ لأنه إن فاتهم ذلك خسروا خسرانًا مبينًا ولم ينفعهم ما نعموا به في الدنيا من نعم مختلفة. وإصلاح ما لا يقوم الدين إلا به من أمر دنياهم، وهو نوعان: قَسْمُ وتوزيع الأموال بين مستحقيها بالعدل، والآخر بتنفيذ العقوبات علىٰ المعتدين.

فلما تغيَّرت الرعيةُ من وجهٍ والرعاةُ من وجه آخر تناقضت الأمور، فلما غلب علىٰ أكثر الملوك قَصْدُ طلب الدنيا دون الدين قدَّموا ووظفوا في ولايتهم من يُعينهم علىٰ تلك المقاصد الرخيصة، و كل من يطلب رياسة نفسه يُقدِّم من يُعينه علىٰ ذلك. علىٰ أنه إذا اجتهد الراعي في إصلاح دين رعيته ودنياهم بحسب وُسْعه وإمكانه، كان أفضل أهل زمانه؛ فقد رُوي: «يَوْمٌ من إِمَامٍ عَادِلٍ أَفْضَلُ من عبادَةِ سِتِّينَ سَنَةً وَحَدٌّ يُقَامُ في الأَرْضِ بِحَقِّهِ أَزْكَىٰ فيها من مَطَرِ أَرْبَعِينَ عَامًا». الطبراني في الكبير (١١/ ٣٣٧) برقم (١١٩٣٢).

وعن أبي سعيد الخدري يرفعه: «إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلىٰ الله ﷻ يوم الْقِيَامَةِ وَأَقْرَبُهُمْ منه مَجْلِسًا إِمَامٌ عَادِلٌ، وإن أَبْغَضَ الناس إلىٰ الله يوم الْقِيَامَةِ وَأَبْعَدَهُم مِنْه إِمَامٌ جَائِرٌ». أحمد في مسنده (٣/ ٢٢) برقم (١١١٩٠).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ في ظِلِّهِ يومَ لَا ظِلَّ إلا ظِلُّهُ: الْإِمَامُ الْعَادِلُ» الحديث، متفق عليه.

قال رسول الله ﷺ: «أَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَىٰ وَمُسْلِمٍ، وَرَجُلٌ غَنِيٌّ عَفِيفٌ مُتَصَدِّقٌ». مسلم برقم (٢٨٦٥).

فالمقصود من إرسال الرسل وإنزال الكتب أن يقوم الناس بالقسط في حقوق الله وحقوق خلقه، فعلىٰ صاحب الأمر والحاكم أن يتوصل للمقصود المُعين بالأقرب

فالأقرب، فمن كان أقرب للمقصود كان أولىٰ بالولاية. ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥]. ثم تكون القرعة والاستهام إذا تكافأ الرجلان وخفي أصلحهما، أو ما يسمىٰ الآن بالانتخاب الشعبي وهذا هو أداء الأمانة في الولايات إلىٰ أهلها.

وجوب اتخاذ الإمارة أو الرياسة: علينا أن نعرف أن ولاية أمر الناس وإمارتهم من أعظم واجبات الدين وأعظم ما أوجبه الشرع علىٰ الناس، حيث لا قيام للدين ولا الدنيا إلا بها، فمصالح البشر وحوائجهم لا تتم إلا باجتماعهم علىٰ كلمة واحدة، فحاجة البشر إلىٰ بعضهم البعض أمر صحي، ولابد عند الاجتماع من رأسٍ يُدير شئونهم ويقودهم إلىٰ الأصلح والأيسر. والنبي الكريم ﷺ أوجب تأمير الواحد عند اجتماع عددٍ قليل في السفر، فما بالنا عند الاجتماع في الحضر، فقد قال ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ». أبو داود برقم (٢٦٠٨)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (١٣٢٢).

وذلك أيضًا لأن الله تعالىٰ قد أوجب أمورًا يجتمع عليها الناس كالدَّعْوة إلىٰ الله، وبذل الجُهْد في ذلك، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والحج وإقامة الصلوات والجُمَع وإقامة الحدود والعدل بين الناس ونصر المظلوم وإدارة سائر شئون الحياة ومؤسساتها، ولا يتم ذلك إلا بالقوة والسلطة والإمارة؛ لأنه قد روي: «السُّلْطَانُ ظِلُّ اللهِ فِي الْأَرْضِ». البيهقي في الكبرىٰ (٨/ ١٦٢) برقم (١٦٤٢٧).

وكان السلف يقولون: لو كان لنا دعوةٌ مجابة عند الله لدعونا بها للسلطان.

وقال ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ صَدْرُ مُسْلِمٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ للهِ ﷻ، وَمُنَاصَحَةُ أُولِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ جَمَاعَةِ الْمُسْلِمِينَ. فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِن وَرَائِهِمْ». أحمد في مسنده (٣/ ٢٢٥) برقم (١٣٣٧٤)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

وفي الصحيح عنه: أنه ﷺ قال: «الدِّينُ النَّصِيحَةُ» ثلاثًا. قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: «للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ». مسلم برقم (٥٥).

فمراعاةُ اتِّخاذِ الإمارة والرياسة المناسبة أمرٌ واجب، والتقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بطاعة وليِّ الأمر من أفضل القُرُبات عند الله. أما فساد الحُكَّام والمسئولين وكل صاحب ولاية،

فإنه يأتي من سعيه وطلبه للرياسة والسلطة والمال، والسمعة بين الناس، لا ليحكم بينهم بالعدل، وإنما لدنيا رخيصة.

فعن كعب بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ». أحمد في مسنده (٣/ ٤٥٦) برقم (١٥٨٢٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وإن حال من فسدت إمارته يوم القيامة أن يُؤتَىٰ كتابه بشماله فيقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحاقة: ٢٨-٢٩]. وهؤلاء قد تشبَّهوا بفرعون في رياسته، وهامان في وزارته، وقارون في جمع المال، وقد قال الله تعالىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

والناس في هذا علىٰ أربعة أقسام:

١- **القسم الأول**: يريدون العلوَّ في الأرض والفساد، وهؤلاء هم رءوس الناس من الملوك والرؤساء والوزراء المتكبرين الطغاة، كفرعون وحزبه، وقد قال النبي ﷺ في شأن المتكبرين: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ». مسلم برقم (٩١).

٢- **والقسم الثاني**: الذين يبتغون الفساد، بلا رغبة في العلوِّ أو التكبر، وهؤلاء هم اللصوص والمجرمون.

٣- **والقسم الثالث**: الذين يُريدون علوًّا وتكبرًا بلا فساد، فهم يحبون التعالي والتكبر علىٰ الناس، ويحبون الجاه والمنصب، ولو كانوا من أهل الدين.

٤- **وأما القسم الرابع**: فهم أهل الجنة، الذين لا يريدون علوًّا ولا تكبرًا ولا فسادًا في الأرض، مع أنهم قد يكونون أُمراءَ أو ملوكًا أو وزراءَ، قال الله تعالىٰ: ﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾ [محمد: ٣٥].

وعلىٰ هذا فلا تقوم مصالح الناس إلا باجتماعهم كالجسد، والجسد يحتاج إلىٰ رأس، قال الله تعالىٰ مبينًا ذلك: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعام: ١٦٥]، وقال تعالىٰ: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ

﴿دَرَجَٰتٖ لِّيَتَّخِذَ بَعۡضُهُم بَعۡضٗا سُخۡرِيّٗاۗ وَرَحۡمَتُ رَبِّكَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٣٢﴾ [الزخرف: ٣٢].

والعبودية تقضي أن تُستعمل النِّعَم جميعها في التقرب إلىٰ الله تعالىٰ، وأعظم هذه النعمِ الجاهُ والسلطان والمال، فإذا أُنفق الجاه والمال من قبل الحاكم تقرُّبًا إلىٰ الله لإصلاح أحوال الناس صلحت الدنيا والآخرة وصحَّ الدين والدنيا معًا، وأما إذا ابتعد السلطانُ عن دين الله وأُنفق المال من الوالي لغير الله فسدت أحوال الناس.

وهناك من ينتسب للدين بفهمٍ خاطئ أو نية فاسدة، ولا يستعمل السلطة والمال في حفظ الأخلاق والدين وتكميله ونشره في الأرض ولا في تعمير الأرض وإصلاحها وإقامة العدل بين الناس في الأخذ والعطاء، فهذا هو الضلال الذي حذَّرنا منه المولىٰ سبحانه وتعالى في قوله في فاتحة الكتاب: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧].

وهناك من يسعىٰ للحصول علىٰ السلطة والجاه والمال ولا يلتفت إلىٰ الأخلاق والدين، فهذا سبيل المغضوب عليهم، وإنما علينا أن نتبع سبيل أهل الصراط المستقيم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ١٠٠﴾ [التوبة: ١٠٠].

فمن وَلِي أمرًا من أمور المسلمين فقد وجب عليه شرعًا أن يجتهد وُسعه وطاقته في طاعة الله فيه، وإقامة شعائر دين الله قدر جهده، وإصلاح حياة الناس وشئونهم ومصالحهم، مع اجتناب ما حرَّم الله.

واعلم أن الدنيا ما هي إلا مطية لخدمة الدين، وهذا معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول: يا ابن آدم، أنت محتاج إلىٰ نصيبك من الدنيا، وأنت إلىٰ نصيبك من الآخرة أحوجُ، فإن بدأتَ بنصيبك من الآخرة فَمُرَّ بنصيبك من الدنيا فانتظمه انتظامًا، وإن بدأت بنصيبك من الدنيا فاتك نصيبُك من الآخرة، وأنت من الدنيا علىٰ خطرٍ.

ودليل ذلك قول النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْآخِرَةَ جَمَعَ اللهُ لَهُ شَمْلَهُ وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ فَرَّقَ اللهُ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ

عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا يَ لَهُ». أحمد في مسنده (٥/ ١٨٣) برقم (٢١٦٣٠)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

ولما فتح الله مكة للنبي ﷺ وتسلَّم مفاتيح الكعبة من بني شيبة، طلبها العباسُ لنفسه فأنزل الله هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء:٥٨] فرد النبيُّ ﷺ مفاتيح الكعبة إلىٰ بني شيبة، ولم يعطها لقرابته وهذا من أداء الأمانة وبهذا قال العلماء. فعلىٰ ولي الأمر أن يولي علىٰ كل عمل من أعمال المسلمين أصلح من يجده لذلك العمل؛ وقد روي عن أبي بكر رضي الله عنه يرفعه: «مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا فَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ أَحَدًا مُحَابَاةً، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ لا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ جَهَنَّمَ، وَمَنْ أَعْطَىٰ أَحَدًا حِمَىٰ اللهِ، فَقَدِ انْتَهَكَ فِي حِمَىٰ اللهِ شَيْئًا بِغَيْرِ حَقِّهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ» أَوْ قَالَ: «تَبَرَّأَتْ مِنْهُ ذِمَّةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ». أحمد في «مسنده» (١/ ٦) برقم (٢١).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من وَلِيَ من أمر المسلمين شيئًا فولَّىٰ رجلًا لمودَّة أو قرابة بينهما فقد خان الله ورسوله والمسلمين. فيجب علىٰ كلِّ من ولي شيئًا من أمر المسلمين أن يستعمل في مرؤوسيه الأصلح لكل مهنة من المهن، ولا يُقدِّم رجلًا لكونه طلب الولاية أو أي وظيفة عامة أو حتىٰ لكونه سبق في الطلب، بل قد يكون ذلك سببًا للمنع إن لم يكن كفئًا لها أو طلبها لغرض في نفسه ولغير المقصود منها؛ فقد روي في الصحيح عن النبي ﷺ أن قومًا دخلوا عليه فسألوه الولاية، فقال: «إِنَّا لَا نُوَلِّي أَمْرَنَا هَذَا مَنْ طَلَبَهُ». متفق عليه.

وقال ﷺ لعبد الرحمن بن سَمُرة: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَهَا مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا». متفق عليه.

وإذا عَدَل الوالي عن توظيف من يستحق والأصلح والأحق بالولاية واستعمل غيره ممن لا يستحق؛ لنسبٍ أو قرابة أو صداقة أو مذهب أو طريقة أو جنسية أو لرشوة أو حتىٰ لضغينة في قلبه أو عداوة بينهما، فقد خان اللهَ ورسوله والمؤمنين، ودخل فيما نُهي عنه في قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَخُونُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓا۟ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنفال: ٢٧].

ومن يؤدي الأمانة مع مخالفة هوىٰ نفسه فإن الله يُثبته ويحفظه في أهله وماله من بعده، وأما الذي يُطيع هواه في حكمه واختياراته فإن الله يُعاقبه بنقيض مقصوده فيُذِل أهله ويُذهب ماله. وقد دلت سنة الرسول ﷺ علىٰ أن الولاية أمانة، وهذا قوله ﷺ لأبي ذر رضي الله عنه في الإمارة: عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، ألا تستعملني؟ قال ﷺ: «إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وَإِنَّهَا أَمَانَةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ القِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا وَأَدَّىٰ

الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا» [مسلم برقم (١٨٢٥)]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فانْتَظِرِ السَّاعَةَ». قال أبو هريرة: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: «إِذَا أُسْنِدَ الأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ» [البخاري برقم (٥٩)].

* * *

٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدعُ حاجة إليه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

(٦٧٣/ ٨١) وعن أبي سعيد عبد الرحمن بن سَمُرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عبد الرحمن بن سَمُرَة، لَا تَسْأَلِ الإِمَارَةَ، فَإِنَّكَ إِن أُعْطِيتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ أُعِنْتَ عَلَيْهَا، وَإِنْ أُعْطِيتَهَا عَنْ مَسْأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عليه.

(٦٧٤/ ٨١) وعن أَبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنِّي أَرَاكَ ضَعِيفًا، وَإِنِّي أُحِبُّ لَكَ مَا أُحِبُّ لِنَفْسِي؛ لَا تَأَمَّرَنَّ (أي: لا تتأمَّرنَّ) عَلَىٰ اثْنَيْنِ، وَلَا تَوَلَّيَنَّ (أي: تتولَّيَنَّ) مَالَ يَتِيمٍ».

رواه مسلم.

(٦٧٥/ ٨١) وعنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، ألا تَسْتَعْمِلُنِي؟ فَضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَىٰ مَنْكِبِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ ضَعِيفٌ، وإنها أمانةٌ، وَإِنَّهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ خِزْيٌ وَنَدَامَةٌ، إِلَّا مَنْ أَخَذَهَا بِحَقِّهَا، وَأَدَّىٰ الَّذِي عَلَيْهِ فِيهَا». رواه مسلم.

(٦٧٦/ ٨١) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَىٰ الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ». رواه البخاري.

٨٢- باب حَثِّ السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم من قرناء السوء والقبول منهم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذِۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

(٦٧٧/ ٨٢) وعن أبي سعيدٍ وأبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ قالَ: «مَا بَعَثَ اللهُ مِنْ نَبِيٍّ، وَلَا اسْتَخْلَفَ مِنْ خَليفَةٍ إِلَّا كَانَتْ لَهُ بِطَانَتَانِ (أي: بطانة الرجل: صاحب سره الذي يشاوره في أحواله): بِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالمَعْرُوفِ وتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَبِطَانَةٌ تَأْمُرُهُ بالشَّرِّ وَتَحُضُّهُ عَلَيْهِ، وَالمَعْصُومُ مَنْ عَصَمَ اللهُ». رواه البخاري.

(٦٧٨/ ٨٢) وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا أَرَادَ اللهُ بِالأَمِيرِ خَيْرًا جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ صدقٍ، إنْ نَسِيَ ذَكَّرَهُ، وَإِنْ ذَكَرَ أَعَانَهُ، وَإِذَا أَرادَ بِهِ غَيْرَ ذَلِكَ جَعَلَ لَهُ وَزِيرَ سُوءٍ، إنْ نَسِيَ لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَإِنْ ذَكَرَ لَمْ يُعِنْهُ». رواه أبو داود بإسناد جيد علىٰ شرط مسلم.

٨٣- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها فعرَّض بها

(٦٧٩/ ٨٣) عن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ أَنَا وَرَجُلانِ مِنْ بَنِي عَمِّي، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: يَا رسول الله، أَمِّرْنَا عَلَىٰ بَعْضِ مَا ولَّاكَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ، وقال الآخَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، فَقَالَ: «إِنَّا وَاللهِ لَا نُوَلِّي هَذَا العَمَلَ أَحَدًا سَأَلَهُ، أَوْ أَحَدًا حَرَصَ عَلَيْهِ». متفق عليه.

* * *

١ - كتاب الأدب

(الأدب)

الأدب خُلُقٌ كريم، وهو اجتماع خصال الخير في العبد باستعمال الخُلُق الجميل في الحياة، وصيانة النفس عن القبائح والرذائل. وهو علم إصلاح لسان العبد وكلامه، وتحسين ألفاظه وصيانته عن الخطأ والخلل، فهو الكلام الجميل الذي يترك في نفسِ سامعه أو قارئه أثرًا قويًّا جميلًا يدفعه إلىٰ محاكاته والتمثُّل به، أي الأخذ بمكارم الأخلاق.

الفرق بين طلب العلوم الشرعية والتأدب:

أما الأدب فإنه يتعلَّق بالمروءات، أي الأخلاق الإنسانية والأعراف الاجتماعية التي لا تُخالف عقلًا ولا شرعًا، فالأدب أمر دنيويٌّ حيث يتعلق بالتعامل مع البشر في شتىٰ

حياتهم للوصول لرضا الله تعالىٰ. أما التعلم فهو يتعلق بالأمور الشرعية من فرائضَ وسننٍ وأحكام، فهو أمر دينيٌّ يضبط حياة الناس في الدين وَفقًا لأمر الله تعالىٰ وشرعه الحكيم.

فالأدب هو استخراج ما في طبيعة الإنسان من الكمال والرغبة فيه، في أقواله وأفعاله وصفاته. وهو في مجمله تعظيمٌ لمن هو فوقك في الرتبة والمقام، ولمن هو دونك أو أقلَّ منك كذلك؛ ولهذا لما سمع ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قولَ الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦] قال: أي أَدِّبوهم وعلِّموهم.

وقد بيَّن العلماءُ أن علىٰ العبد أن يتعلم الأدبَ مع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أولًا ثم الأدب مع رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومن ثم الأدب مع باقي الخلق، فهذه المراتب هي التي قال عنها رسول الله صَلَّىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ» مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٤) برقم (١٦٠٩)، وأحمد في المسند برقم (٨٩٥٢).

أولا: الأدب مع الله: قال الدَّقَّاق رَحِمَهُ اللَّهُ: العبدُ يصل بطاعة الله إلىٰ الجنة، ويصل إلىٰ الله بأدبه في طاعته. وذلك مثل العامل يعمل عندك وقد يُتقن عمله ولكنه قد لا يُحسن الأدب في التعامل مع رؤسائه وزملائه، ومع ذلك نُعطيه الأجر ونُوفيه حقَّه. وأما مَن أحسن عمله وأحسن التأدُّب مع من حوله فهذا يستحقُّ أجره ويُكافأ بالمحبة والقرب من صاحب العمل. فقيام العبد بالطاعة شيءٌ والأدب في التعامل مع الطاعة شيء آخر، وها هو القرآن يقول: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝٢﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فقد أثنىٰ علىٰ المؤمنين في تأدُّبهم في الصلاة، وهو الخشوع، وقال ابنُ عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ عن الأدب:

هو معاملة الله بالأدب سرًّا وعلانية، فمَن صاحَبَ الملوك بغير أدبٍ أسلمه الجهلُ إلىٰ القتل.

فهذا تحذيرٌ من التعامل بسوء الأدب مع الله، وهو مَلِكُ الملوك سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

ويقول يحيىٰ بن معاذ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن تأدَّب بأدب الله صار من أهل محبة الله.

ويقول عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: نحن إلىٰ قليل من الأدب أحوجُ منا إلىٰ كثيرٍ من العلم.

وقال الدَّقَّاق رَحِمَهُ اللَّهُ: تَرْك الأدب يُوجب الطَّرْد، فمَن أساء الأدب علىٰ البساط رُدَّ إلىٰ الباب، ومن أساء الأدب علىٰ الباب رُدَّ إلىٰ سياسة (أي: رعاية وخدمة) الدوابِّ.

ولما سُئل الحسن عن أنفع الأدب فقال: هو التفقُّه في الدين، والزُّهد في الدنيا والمعرفة بما لله عليك.

والناس في فهمهم للأدب علىٰ ثلاث طبقات: **فأهلُ الدنيا** يَرَوْن أن الأدبَ هو: فصاحة اللسان، وبلاغة الكلام، وحفظ العلوم المختلفة، وأسماء المشاهير والملوك، والمعرفة بالبروتوكولات والإتيكيت، وحفظ وإلقاء الشعر والنثر.

أما **أهلُ الدِّين** فيرون أن الأدبَ في الأصل هو في تهذيب النفوس وتأديب الجوارح بالطاعة، وحفظ الحقوق وترك الشهوات.

وهناك **الطبقة الثالثة** الذين هم أكثر الطبقات خصوصية حيث يرون أن أهم الأدب هو في طهارة القلوب من الشرك والنفاق، ومراعاة النوايا والأسرار التي في الصدور، والوفاء بالعهود، والمحافظة علىٰ الأوقات، وحسن الأدب مع الله في كلِّ الأعمال والأحوال. جعلنا الله وإياكم من مثل هؤلاء.

ولهذا قال بعضهم: مَن قَهَر نفسه بالأدب فهو يعبد الله بإخلاصٍ.

وعلَّمنا أهلُ الأدب والفضل فقالوا: إن من أساء الأدب في جوارحه عاقبه الله كذلك في جوارحه، ومن أساء الأدب في قلبه وباطنه عاقبه الله في قلبه وباطنه. ونعوذ بالله من ذلك.

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: طَلَبْنا الأدبَ حين فاتنا المُؤدِّبون، فالأدب للعارف كالتوبة للتائب.

ولهذا كان النبي ﷺ يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلَاقِ والأَعْمَالِ والأَهْوَاءِ**». الترمذي برقم (٣٥٩١)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٢٩٨).

ويقول أيضًا: «**اللَّهُمَّ إني أعوذُ بك من شَرِّ سَمْعِي ومن شَرِّ بَصَرِي وَمِنْ شَرِّ لِسَاني، ومن شَرِّ قلبي، ومِنْ شَرِّ مَنِيِّي** (أي: ما يحدث من الفرج في اختلاط الأنساب)». الترمذي برقم (٥٢٣)، وقال: حديث حسن غريب، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٢٩٢).

لهذا لا يستقيم لأحدٍ أن يكون مُتأدِّبًا أو أن يوصف بالأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء:

أوَّلًا: أن يتعرَّف علىٰ الله وأسمائه وصفاته، للوصول إلىٰ حقيقة الإيمان، وهو أول شرائط الإيمان، وإلا فمن جهل شيئًا عاداه، وما نراه من سوء الأدب مع الله من بعض

الناس في بعض الأحوال إنما هو نتيجة الجهل بأسماء الله وصفاته.

وثانيًا: عليه أن يتعرَّف علىٰ هذا الدين العظيم والشرع الحكيم؛ ليتعلم ما يُحِبُّه الله فيفعله ويتقرَّب إليه به، ويعلم ما يكرهه الله فيتجنبه ويبتعد عنه، وفي هذا يقول القائل: إذا صحَّتِ المحبة تأكَّدت علىٰ المُحِبِّ ملازمةُ الأدب.

وثالثًا: أن تكونَ له نفسٌ مهيَّأة لقبول الحقِّ من الله، فتخضع للأوامر والنواهي بالذِّلَّة والانكسار في كلِّ قولٍ أو عمل أو حال من الأحوال، ولا نكون كإبليس نعوذ بالله منه، الذي تعامل بسوء الأدب مع علمه بما يجب لله من طاعةٍ وتعظيم، فاستحقَّ أن يُطرد من رحمة الله أبد الآبدين.

فهذه شرائط الأدب مع الله، فالأدب مع الله هو القيام بدينه قيامًا صحيحًا، والتأدُّب بآدابه، ظاهرًا في جوارحه وباطنًا في قلبه. ومن تأمَّل أحوالَ النبيِّ ﷺ وأحوال سائر الأنبياء والمرسلين في خطابهم وسؤالهم ومعاملاتهم مع الله وجد أن الأدب هو السمة المميزة لهم جميعًا.

أدب الرسل والأنبياء مع الله: قال المسيح عليه السلام لما اتُّهم في ادعائه الألوهية: ﴿إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ﴾ [المائدة: ١١٦] ولم يقل: لم أَقُلْه؛ أدبًا منه، ثم أحال الأمر لله فقال: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: ١١٨]، فالمقام هنا مقام براءة منهم، فيجب أن يغضب للرب، وليس مقام استعطاف وشفاعة لمن اتهموه.

وكذلك قال إبراهيم ﷺ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ٨٠﴾ [الشعراء: ٧٨- ٨٠]، ولم يقل: وإذا أمرضني، حفظًا للأدب مع الله.

وكذلك قول الخَضِر عليه السلام في السفينة لموسىٰ عليه السلام تفسيرًا وتوضيحًا لما حدث منه: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] ولم يقل: أراد ربُّك أن أعيبها، ومع ذلك قال في الغلامين: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف: ٨٢].

وكذلك قول مؤمني الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الجن: ١٠] فنسبوا الشر لغير الله تبارك وتعالىٰ، ولم يقولوا: أراد بهم ربهم، ثم قالوا بعد ذلك: ﴿أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ١٠﴾ [الجن: ١٠].

وقال موسىٰ عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ٢٤﴾ [القصص: ٢٤] ولم يقل: أطعمني،

وإنما طلب بالأدب، ولم يقل: أنت قَدَرْتَ عليَّ؛ حيث لم يتبجَّح على الله كما فعل إبليس.

وقول آدم عليه السلام: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣] ولم يقل: أنت قدَّرت عليَّ أو قضاؤك عليَّ.

وقول أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [الأنبياء: ٨٣] ولم يقل: فعافني واشفني، بل طلب بالتورية، وليس بالتصريح الواضح، أدبًا مع ربِّه.

وقول يوسف عليه السلام لأبيه وإخوته: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف: ١٠٠]، ولم يذكر البئر أدبًا مع إخوته حيث تابوا وقال: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ [يوسف: ١٠٠] ولم يقل: رفع عنكم جهد الجوع والاحتياج. وقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] فهذا من الكرم وكمال الأدب. لهذا كان كمال هذا الخُلُق للرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

وقال عبدُ الله بن المبارك مُحذِّرًا: مَن تهاوَنَ في الأدب عُوقب بحرمان السنن، ومَن تهاون في السنن عُوقب بحرمان الفرائض، ومَن تهاون في الفرائض عُوقب بحرمان معرفة الله عز وجل. قيل: الأدب في العمل علامة قبول العمل.

وقيل في حقيقة الأدب: استعمال الخلق الجميل، واستخراج ما في الطبيعة الإنسانية من الكمال في القول إلى الفعل؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾﴾ [الشمس: ٧، ٨]، فقد هيَّأ الإنسان للكمال بتزكية النفس بالأدب.

فالأدب هو الدين كله، مِن ستر العورة والوضوء وغسل الجنابة والتطهُّر من الخبث، والوقوف طاهرًا بين يدي الله، والتجمُّل في الصلاة، كل ذلك من الأدب، قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١]، فالأمر بالزينة فوق ستر العورة، أي بكمال الأدب عند لقاء الله.

وكان بعضُ السلف يلبس حُلَّةً غالية الثمن للصلاة من تمام الأدب ويقول: ربي أحقُّ مَن تجمَّلت له في صلاتي. والأدب في الصلاة: خفض الطَّرْف في الصلاة، وألا يقرأ القرآنَ في السجود والركوع؛ لأنها حالةُ ذِلَّة.

والأدب في قضاء الحاجة: ألا يستقبل بيتَ الله ولا يستدبره في أثناء قضاء الحاجة. فالأدب مع الله هو القيام بين يديه متأدِّبًا ظاهرًا وباطنًا، وهو علىٰ ثلاث: معرفة العبد بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشريعته وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة للحقِّ علمًا وعملًا وحالًا. فإساءة الأدب في الظاهر عقابها في الظاهر، وإساءة الأدب في الباطن عقابها في الباطن.

قال الجُنَيد رَحِمَهُ اللَّهُ: حُسْن الأدب في الظاهر عنوان حسن الأدب في الباطن.

ثانيًا: الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام: قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات: ٢]. فالأدب مع الرسول هو كمال التسليم والانقياد لأمره، وتلقِّي شرعه الحكيم بالقبول دون معارضة، فلا نُقدِّم علىٰ خبره رأيَ الناس أو الرجال أو الفلسفات والتُّرَّهات. فلا نرضىٰ بحكم غيره، بل نُنفِّذ أمره ونُصدِّق خبره، ولا نقدم عليه شيئًا ولا مذهبًا ولا طريقة، ولا نقدم طريقته للبركة، ولا نقدم شيئًا علىٰ سنته وطريقته إلىٰ يوم القيامة، وفي سورة الحجرات غَناء أيَّ غناءٍ في الأدب مع الرسول ﷺ.

ثالثًا: الأدبُ مع الخَلْق: وهو معاملة كلِّ إنسان بما يليق به، فلكلِّ مرتبة أدبٌ، وحتىٰ المراتب فيها أدبٌ خاص: فللوالدين أدبٌ، وللأبِ أدبٌ آخر، والعالم له أدبٌ مختلف، وللسلطان أدب يليق به، ومع الأقران والأتراب أدبٌ يليق بهم، ومع الأجانب أدب، ومع الضيف أدب يختلف عن أدبه مع أهل بيته.

كذلك الأحوال لها آداب: فللأكل آداب، وللشرب آداب، وللركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم آداب، ولكل حال آداب. وأدبُ المرءِ عنوانُ سعادته وفلاحه، وقِلَّةُ أدبه عنوان شقاوته وخسارته، وخير الدنيا والآخرة بالأدب، وخسارتها بترك الأدب.

فانظر إلىٰ الأدب مع الوالدين كيف أن نجاةَ صاحب الغار بأدبه مع الوالدين؛ ففي الحديث: «**قَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرانِ، وكُنْتُ لَا أَغْبِقُ** (أي: ما كنت أُقدِّم عليهما أحدًا في شرب نصيبهما من اللبن الذي يشربانه. والغبوق شرب آخر النهار مقابل الصبوح) **قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلَا مَالًا، فَنَأَىٰ** (أي: بَعُد) **بِي طَلَبُ الشَّجَرِ يَوْمًا فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّىٰ نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا فَوَجَدْتُهُما نَائِمَينِ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَأَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أو مالًا،**

فَلَبِثْتُ والْقَدَحُ عَلَى يَدِي أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُما حَتَّىٰ بَرَقَ الفَجْرُ والصِّبْيَةُ يَتَضَاغَوْنَ (أي: يبكون ويصيحون) عِنْدَ قَدَمِيَّ، فاسْتَيْقَظَا فَشَرِبا غَبُوقَهُما. اللَّهُمَّ إنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذِلِكَ ابتِغَاء وَجْهِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هذِهِ الصَّخْرَةِ. فانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُروجَ مِنْهُ. متفق عليه.

واعلم أن النفسَ مجبولةٌ علىٰ أخلاقٍ لا تستغني عن تأديبها اعتمادًا علىٰ العقل أو الزمن، ولكن الأدب يُكتسب بالتجربة ورياضة النفس والتعلم والصحبة، ولو كان العقل يُغني عن الأدب لكان أولىٰ الناس بذلك الأنبياء، وقد قال النبيُّ ﷺ: «إِنَّما بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ». مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٤) برقم (١٦٠٩)، وأحمد في المسند برقم (٨٩٥٢)، وقال الأرنؤوط: صحيح

وروي أن عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ سُئل: من أدَّبك؟ قال: رأيتُ جهل الجاهل فجانَبْتُه.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: إن الله تعالىٰ جعل مكارم الأخلاق ومحاسنها صلةً بينه وبينكم، فحَسْبُ الرجل أن يتصل من الله بخُلُقٍ منها.

وقال حكيم: من فضيلة الأدب أنه ممدوحٌ بكل لسان، مُتزيَّنٌ به في كلِّ مكان، وباقٍ ذِكره علىٰ مدار الزمان. وقال حكيم: العقل بلا أدبٍ كالشجر العاقر، والأدب كالشجر المثمر، الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والجنس؛ لأن من ساء أَدَبُه ضاع نَسَبُه، الأدب وسيلةٌ إلىٰ كلِّ فضيلة، وذريعةٌ إلىٰ كلِّ شريعة، الأدب يستر قبيح النسب.

فأما تأديب النفس فمن وجهين: تأديب الوالد لولده في الصغر، وما ألزم الإنسان به نفسه عند النشأة والكبر. فأما التأديب اللازم للأب: أن يأخذ ولده بمبادئ الآداب لينشأ عليها ويسهل عليه بعد ذلك قبولها، فيجعله طبعًا فيه وإلا سار عسيرًا.

قال بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: بَادِرُوا بِتَأْدِيبِ الأَطْفَالِ قَبْلَ تَرَاكُمِ الأَشْغَالِ وَتَفَرُّقِ الْبَالِ.

وقال أحد الشعراء:

وينشأ ناشئ الفتيان منا ... علىٰ ما كان عوده أبوه

وأما أدب الإنسان لنفسه من النشأة والكِبَر في السن فنوعان:

١- أدب اصطلاح (أي: ما اتفق عليه الناس)، وهو احترام المعروف عند الناس العقلاء والأدباء من آداب الحياة السليمة، كآداب الكلام واللباس وغيرها؛ لأن مجاوزة

المألوف والمتفق عليه اصطلاحًا يُوجب الذم.

٢- أدب رياضة النفس وتزكيتها ومجاهدتها ومعاملتها معاملةً صحيحة، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيٓۚ إِنَّ رَبِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥٣﴾ [يوسف: ٥٣]، فأعدى أعدائك هي نفسُك التي بين جنبيك.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: العاجز من عجز عن سياسة نفسه.

وقال حكيم: من ساس نفسه ساد ناسَه.

ولو كانت الأخلاق لا تقبل التغيُّر لم يكن للمواعظ والوصايا معنًىٰ، فالخيلُ البَرِّيَّة والوحوش تُروَّض، إلا أن بعضَ الطباع والأخلاق أيسر في القبول والصلاح من غيرها.

والمطلوب هو ردُّ النفس والشهوة إلىٰ حدِّ الاعتدال، وليس المقصود قَمْع الصفات بالكلية، وإلا هلك الإنسان بفقده الشهوات تمامًا. وأما حسن الظن بالنفس أو سوء الظن بها، فقد قيل: حُسْن الظنِّ بالنفس يُعمي عن مساويها، فلا يستطيع أن ينفي عنها قبيحًا، ولا أن يُهدي لها حَسَنًا، وأما سوء الظن بها فيُعمي عن محاسنها.

ومن عمي عن محاسن نفسه كان كمن عمي عن مساويها؛ ولهذا قيل: يجب أن يكون الإنسان في اتهام نفسه بالسوء معتدلًا، وفي حسن الظن بها مقتصدًا.

لأن التجاوز في كلِّ سوء ظنٍّ بالكلية، فتصير النفس ذليلة مهينة، لا تقدر علىٰ معروف ولا جميل، اتهامًا لنفسها في كل عمل بأنها قبيحة، وكذلك بحسن الظن بالكلية تصير النفس آمنة فلا تعالج أخطاءها بالكلية.

وقد قيل: مَن ظلم نفسه كان لغيره أظلم، ومن هدم دِينه كان لمَجْدِه أهدم.

وقيل: من رضي عن نفسه أسخط عليه الناس (أي: لأن النفس أمارة بالسوء).

وفي الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَيْسَ الشديدُ بالصُّرَعةِ** (أي: الذي يغلب الرجال ويهزمهم)، **إنما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نفسه عند الغضب**». متفق عليه.

وإذا عصتك نفسك فيما كرهت فلا تُطعها فيما أحببت، ولا يُغرينك ثناءُ مَن جهل أمرك. مَن قوي علىٰ نفسه فقد تناهىٰ في القوة، ومن صبر عن شهوته فقد بالغ في المروءة.

وقد قيل: متىٰ يعرف الإنسان ربَّه؟ قيل: إذا عرف نفسه، فيصلح منها ما فسد، ويُعينها علىٰ تقواها.

* * *

٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التَّخلُّقِ به

(٦٨٠/ ٨٤) عَنِ ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ مَرَّ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصار وَهُوَ يَعِظُ أخاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ الحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ**». متفق عليه.

(٦٨١/ ٨٤) وعن عمران بن حُصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**الحَيَاءُ لا يَأْتِي إلَّا بِخَيْرٍ**». متفق عليه.

وفي رواية لِمُسْلمٍ: «**الحياءُ خَيْرٌ كُلُّهُ**»، أَوْ قَالَ: «**الحَيَاءُ كُلُّهُ خَيْرٌ**».

(٦٨٢/ ٨٤) وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ: «**الإيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أو بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً فَأفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إلهَ إلَّا الله، وَأدْنَاهَا إمَاطَةُ الأذَىٰ عَنِ الطَّرِيقِ، وَالحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإيمَانِ**». متفق عليه. «البِضْعُ» بكسر الباء ويجوز فتحها، وَهُوَ: مِنَ الثَّلَاثَةِ إِلَىٰ الْعَشَرَةِ. و«الشُّعْبَةُ»: القِطْعَةُ وَالخَصْلَةُ. و«الإمَاطَةُ»: الإزَالَةُ. و«الأذَىٰ»: مَا يُؤْذِي كَحَجَرٍ وشوك وَطِينٍ ورماد وَقَذَرٍ وَنَحْو ذَلِكَ.

(٦٨٣/ ٨٤) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا، فإذَا رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ عَرَفْنَاهُ في وَجْهه. متفق عليه.

قَالَ العلماءُ: حَقِيقَةُ الحَيَاءِ خُلُقٌ يَبْعَثُ عَلَىٰ تَرْكِ القَبِيحِ، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّقْصِيرِ في حَقِّ ذِي الحَقِّ.

وَروينا عَنْ أَبي القاسم الجُنَيْد رَحِمَهُ اللَّهُ، قَالَ: الحَيَاءُ: رُؤْيَةُ الآلاءِ -أي: النِّعَمِ- ورُؤْيَةُ التَّقْصِيرِ، فَيَتَوَلَّدُ بَيْنَهُمَا حَالَةٌ تُسَمَّىٰ حَيَاءً. وَالله أعلم.

* * *

(الحيـاء)

الحياءُ خُلُقٌ في النفس يبعث علىٰ ترك القبيح من الأقوال والأفعال والأخلاق؛ فيمتنع صاحبه من التقصير في حق الله تعالىٰ أو أصحاب الحقوق، فالإنسان الحَيِيُّ يعتريه الانكسار خوفًا من أن يُعاب بين الناس بالرذائل. فهو خلقٌ كريمٌ يبعث علىٰ الترقي والعلو عن

المساوي مخافة الذم، ويُعتبر الحياء أول العفة، فيبعث علىٰ فعل الحسن وترك القبيح.

قال الجُنيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الحياء رؤية الآلاء (أي: النِّعَم) من المُنْعِم (أي: وهو الله) ورؤية التقصير من العبد؛ فيتولد بينهما حالة تسمىٰ حياء.

قال المصطفىٰ ﷺ: «إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ» [البخاري برقم (٣٤٨٣)]. ولهذا الحديث تأويلان:

الأول: وهو أمر تهديد وتوبيخ؛ أي إذا لم تتخلق بخلق الحياء الذي يمنعك من فعل القبائح فافعل من القبائح والمحاسن ما شئت فستعاقب علىٰ قبيح فعلك، واعلم حينئذ أن فقدانك الحياء لا يهم بعده ما فعلت، والمعنىٰ هذا هو المشهور، ولعله الأصح.

الثاني: وهو أمر إباحة وإذن بالفعل؛ أي إذا لم يكن في أفعالك ما يشين وما يستحيا منه فافعل ما شئت فأنت عند ذلك في حل وإباحة.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن مِن عقوبات المعاصي والذنوب ذَهَابَ الحياء من العبد، حتىٰ إنه قد لا يتأثَّر بشيوع فُحْشِ حالِه بين الناس، بل قد يتباهىٰ بذلك، وصلاحُ هذا العبد بعيدُ المنال، وقلةُ الحياء دافعة لاقتراف الذنوب.

ولابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة عظيمة: مَن استحيا من الله عند معصيته استحيا الله من عقوبته يوم يلقاه، ومَن لم يستحِ مِن معصية الله لم يستحِ اللهُ من عقوبته يوم القيامة.

أقسام الحياء: وقد قسم ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحياء إلىٰ عشرة أوجه:

١- **حياء الجناية**: أي استحياء العبد من جناية وظلم وقع منه، كحياء سيدنا آدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ من ربه في الجنة؛ حيث سأله الله تعالىٰ: «أَفِرَارًا مِنِّي يَا آدَمُ؟» قال: لا يا رب، بل حياء منك. أبو الشيخ في «العظمة» (٥/ ١٥٥٦) برقم (١٠١٩).

٢- **حياء التقصير**: فيستحي من تقصيره، كحياء الملائكة الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون، فإذا كان يوم القيامة قالوا: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك؛ ولهذا نبه النبي ﷺ أنه لن يدخل الجنة أحد بعمله إلا أن يتغمده الله برحمة منه وفضل؛ لتقصيرنا في أداء أعمالنا وحيائنا من الله.

٣- **حياء إجلال وتعظيم**: وهو حياء المعرفة، فكلما ازدادت معرفة العبد بربه ازداد

حياؤه، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾﴾ [فاطر: ٢٨].

٤- **حياء الكرم:** كحياء النبيِّ ﷺ من أصحابه الذين دعاهم إلىٰ وليمة زينب زوجته فأطالوا الجلوس عنده، فقام واستحيا أن يقول لهم؛ انصرفوا. وهذا لكرمه الزائد علىٰ أصحابه، فقد يستحي الإنسان من صاحبه إكرامًا له.

٥- **حياء الحشمة** (الاحتشام): كما استحيا علي رضي الله عنه أن يسأل رسول الله ﷺ عن المذي (وهو الماء الذي ينزل عند التلطف مع الزوجة قبيل الجماع)؛ وذلك استحياءً منه لمكان ابنته فاطمة منه ﷺ.

٦- **حياء الاستحقار واستصغار النفس:** فإن العبد يحتقر شأن نفسه ويستعظم ذنوبه ويستحي من ربه العظيم الجليل حين يسأله الحوائج والضرورات.

٧- **حياء المحبة:** فإن المحب يهيج عليه الحياء من قلبه إذا التقىٰ محبوبه، أو حتىٰ إذا خطر علىٰ باله بسبب شدة المحبة، وقد يحدث باللقاء روعة في نفسه.

٨- **حياء العبودية:** حيث يستشعر العبد عدم صلاح عبوديته لربه، وأن الله مستحقٌّ لأعلىٰ وأجل من ذلك، كمن يشعر أنه غير مناسب لخدمة أحد الملوك؛ لما يرىٰ في نفسه من عدم أهلية، ويرىٰ ترشيح غيره؛ وذلك تعظيمًا لسيده واحتقارًا لنفسه.

٩- **حياء الشرف والعزة:** فصاحب النفس الكريمة العظيمة يستحي من نفسه إذا صدر عنه ما دون القدر العظيم الذي يراه مناسبًا من البذل والعطاء والإحسان، كمن يُعطي لمحتاج شيئًا يسيرًا لا يتناسب مع قدره؛ فإنه يستحي بذلك عزة وشرف نفس.

١٠- **حياء المرء من نفسه:** يستحي صاحب النفس الشريفة من رضاه عن نفسه بالنقص في الشكر والطاعة؛ فيغضب من نفسه لقناعتها بالدون من الأشياء، فيستحي من نفسه، وهذا أكمل الحياء.

فمن استحيا من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر، والحياء الحقيقي لا يمنع صاحبه من دعوة الناس، ولا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإلا كان ممن

يرضىٰ بالباطل، وقد ثبت أن النبي ﷺ كان أشد حياء من العذراء في خدرها، ومع ذلك كان لا يقوم لغضبه شيء إذا انتهكت حرمات الله.

والحياء أصلٌ لكلِّ خير، وإلىٰ هذا أشار ابن القيِّم حيث قال: إن خُلُق الحياء من أفضل الأخلاق وأَجَلِّها وأكثرها نفعًا، وهذا الذي يُميِّز بني آدم، ولولا هذا الخُلُق لم يُكرَم ضيفٌ، ولم يُوفَّ بوعدٍ، ولم تُؤدَّ أمانةٌ، ولم تُقضَ لأحدٍ حاجةٌ، ولا تُرِك القبيح، ولا سُتِرت عورة، ولا اجتُنبت فاحشةٌ، بل لولا الحياءُ لتَرَك كثيرٌ من الناس برَّ الوالدين وصلة الأرحام، فلولا الحياء من الله أو من الخلائق لضاعت الأرحام، فمَن لم يدفعه الحياء ساقه الهوىٰ وكبلته الشهوة.

قال الرسولُ ﷺ: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ (أي: العجز عن إعطاء الرأي خجلًا) شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ (أي: وهو التقعر والتشدق إظهارًا للفصاحة والبلاغة) شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ» أحمد في «مسنده» (٥/ ٢٦٩) برقم (٢٢٣٦٦)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٢٠١).

وقال عمر رضي الله عنه: مَن قلَّ حياؤه قلَّ ورعه، ومَن قلَّ ورعه مات قلبه.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: مَن لم يستحِ من الناس لا يستحي من الله.

قال إياس رحمه الله: كنت عند عمر بن عبد العزيز فذُكر عنده الحياء فقالوا: الحياء من الدين. فقال عمر: بل هو الدين كله.

وقال وَهْب بن مُنبِّه رحمه الله: الإيمانُ عُرْيان ولباسه التقوىٰ، وزينته الحياء، وماله العفة.

وكأنه أراد أن يقول: مَن كان مؤمنًا فهو معرض للفتن، فإذا تحلىٰ بالتقوىٰ في إيمانه فقد فاز ونجح وكان الحياء زينة له أمام ربه وأمام الناس؛ فيمنعه من فعل القبائح، وإذا أراد مالًا فليستعفف فإنه هو المال الحقيقي.

وقال مجاهد رحمه الله: لا يتعلم العلمَ مُسْتَحٍ ولا مُتكبِّر.

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: الحياءُ والتَّكرم خصلتان من خصال الخير، لم يكونا في عبد إلا رفعه الله بهما.

وقال الفُضَيل بن عِيَاض رحمه الله: خمسٌ من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

وقال يَحْيىٰ بن مُعَاذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن استحيا من الله مطيعًا (أي: أثناء طاعته) استحيا الله منه وهو مذنب.

قال ابنُ عبد البَرِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: الحياء نظام الإيمان (أي: قوام الإيمان) فإذا انحل النظام (أي: الحياء) ذهب ما فيه.

وقال مَعْبدٌ الجُهَنِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾[الأعراف: ٢٦]: إن التقوىٰ هنا هي الحياء.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أربعٌ مَن كُنَّ فيه كان كاملًا، ومَن تعلَّق بواحدة منهن كان من صالحي قومه: دِينٌ يُرشِده، وعقلٌ يُسدِّده، وحَسَبٌ يصونه، وحياءٌ يقوده.

وقال الأصمعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سمعتُ أعرابيًّا يقول: مَن كساه الحياءُ ثوبَه لم يَرَ الناسُ عيوبه.

وقال كَعْبُ الأحبار: لم يكن الحياءُ في رجل قطُّ فتطعمه النارُ أبدًا.

قال سليمان بن عبد الملك :: إذا أراد اللهُ بعبد هلاكًا نزع منه الحياء، فإذا نزع منه الحياء لم تَلْقَهُ إلا مَقِيتًا ممقوتًا.

والحياء أصلُ كلِّ شُعَب الإيمان، يكسو صاحبه الوقار، ويُزيِّنه بالمروءة، ويُنجِّيه من فضائح الدنيا والآخرة.

أوجهُ الحياءِ في الإنسانِ:

أحدها: الحياء من الله: فيكون بامتثال أوامره واجتناب نواهيه.

الثاني: الحياء من الناس: فيكون بكف الأذىٰ عنهم، وترك المجاهرة بالقبائح والرذائل، وهو من كمال المروءة.

الثالث: حياؤه من نفسه: فيكون بالعفة ومراعاة أوقات الخلوة، فلا يفعل في السر ما يستحي منه في العلانية.

وقد قال بعضُ الأدباء: مَن عمل في السرِّ عملًا يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر، فهي عنده مَهِينة.

وهذا النوع من الحياء من فضائل النفس وحسن السريرة، ومتىٰ كمل حياء العبد من هذه الأوجه الثلاثة فقد كملت فيه أسباب الخير وانتفت عنه أسباب الشر.

❊ ❊ ❊

٨٥- باب حفظ السر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: ٣٤].

(٦٨٤/ ٨٥) عن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ القِيَامَةِ الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَىٰ المَرْأَةِ وتُفْضِي إِلَيْهِ (أي: كناية عن الجماع) ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا». رواه مسلم.

(٦٨٥/ ٨٥) وعن عبد الله بن عُمَر رضي الله عنهما: أَنَّ عمرَ رضي الله عنه حِينَ تأَيَّمت بِنْتُهُ حَفْصَةُ قَالَ: لَقِيتُ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رضي الله عنه فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ فَقُلْتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بِنتَ عُمَرَ؟ قَالَ: سأَنْظُرُ فِي أَمْرِي. فَلَبِثْتُ لَيَالِيَ ثُمَّ لَقِيَنِي، فَقَالَ: قد بدا لي ألا أتزوج يومي هذا، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه فقلتُ: إِنْ شِئْتَ أَنْكَحْتُكَ حَفْصَةَ بنتَ عُمَرَ، فَصَمت أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَلَمْ يَرْجِعْ إِلَيَّ شَيْئًا فَكُنْتُ عَلَيْهِ أَوْجَدَ مِنِّي عَلَىٰ عُثْمَانَ، فَلَبِثَ لَيَالِي ثُمَّ خطَبَهَا النَّبيُّ ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ عَرَضْتَ عَلَيَّ حَفْصَةَ فَلَمْ أَرْجِعْ إِلَيْكَ شَيْئًا؟ فقلتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَإِنَّهُ لَمْ يَمْنَعْنِي أَنْ أَرْجِعَ إِلَيْكَ فِيمَا عَرَضْتَ عَلَيَّ إِلَّا أَنِّي كُنْتُ عَلِمْتُ أَنَّ النبيَّ ﷺ ذَكَرَهَا، فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ سِرَّ رسول الله ﷺ، وَلَوْ تَرَكَهَا النَّبِيُّ ﷺ لَقَبِلْتُهَا. رواه البخاري.

«تأَيَّمتْ»؛ أي: صَارَتْ بِلَا زَوْجٍ، وَكَانَ زَوْجُهَا تُوُفِّيَ رضي الله عنه. «وَجَدْتَ»: غَضِبْتَ.

(٦٨٦/ ٨٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ رضي الله عنها تَمْشِي، مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا، فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا وقال: «مَرْحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ سَارَّهَا فَبَكَتْ بُكَاءً شَدِيدًا، فَلَمَّا رَأَىٰ جَزَعَهَا، سَارَّهَا الثَّانِيَةَ فَضَحِكَتْ، فقلتُ لَهَا: خَصَّكِ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ نِسَائِهِ بِالسِّرَارِ، ثُمَّ أَنْتِ تَبْكِينَ! فَلَمَّا قَامَ رسول الله ﷺ سَأَلْتُهَا: مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ قالت: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ عَلَىٰ رسول الله ﷺ سِرَّهُ! فَلَمَّا تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ قُلْتُ: عَزَمْتُ عَلَيْكِ (أي: أقسمت عليك) بِمَا لِي عَلَيْكِ مِنَ الحَقِّ، لَمَا حَدَّثْتِنِي مَا قَالَ لَكِ رسولُ الله ﷺ؟ فقالت: أَمَّا الآنَ فَنَعَمْ، أَمَّا حِينَ سَارَّنِي فِي المَرَّةِ الأُولَىٰ فأَخْبَرَنِي أَنَّ جِبرِيلَ كَانَ يُعَارِضُهُ القُرآنَ فِي كُلِّ سَنَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ، «وَأَنَّهُ عَارَضَهُ الآنَ مَرَّتَيْنِ، وَإِنِّي لا أُرَىٰ الأَجَلَ إِلَّا قَدِ

اقْتَرَبَ، فَاتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي، فَإِنَّهُ نِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ». فَبَكَيْتُ بُكَائِيَ الَّذِي رَأَيْتِ، فَلَمَّا رَأَىٰ جَزَعِي سَارَّنِي الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «**يَا فَاطِمَةُ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ، أَوْ سَيِّدَةَ نِسَاءِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ؟**» فَضَحِكْتُ ضَحِكِيَ الَّذِي رَأَيْتِ. متفق عليه. وهذا لفظ مسلم.

(٦٨٧/ ٨٥) وعن ثابتٍ، عن أنس ﷺ قَالَ: أَتَىٰ عَلَيَّ رسول الله ﷺ وَأَنَا أَلْعَبُ مَعَ الغِلْمَانِ، فَسَلَّمَ عَلَيْنَا، فَبَعَثَنِي فِي حاجةٍ، فَأَبْطَأْتُ عَلَىٰ أُمِّي. فَلَمَّا جِئْتُ قالت: مَا حَبَسَكَ؟ فقلتُ: بَعَثَنِي رسولُ الله ﷺ لِحَاجَةٍ، قالت: مَا حَاجَتُهُ؟ قُلْتُ: إِنَّهَا سرٌّ. قالت: لا تُخْبِرَنَّ بِسِرِّ رسولِ الله ﷺ أحدًا. قَالَ أَنَسٌ: وَاللهِ لَوْ حَدَّثْتُ بِهِ أَحَدًا لَحَدَّثْتُكَ بِهِ يَا ثَابِتُ. رواه مسلم، وروىٰ البخاري بعضه مختصرًا.

* * *

(كتمان السر)

الكِتْمان: هو الإخفاءُ والسَّتْر، **وكتمان الحديث**: هو سَتْر الحديث.

وكتمان الفضل: هو كفران النعمة. والسر والإسرار خلاف الإعلان والإظهار، قال الله تعالىٰ: ﴿يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾﴾ [البقرة: ٧٧].

فالسِّرُّ: هو الحديث المكتوم في النفس، وكتمان السر خُلُقٌ مُرَكَّبٌ من الوقار وأداء الأمانة، فمَن أفشىٰ سرًّا فقد خرج عن وقاره؛ حيث تكلم بما لا يليق، وكذلك فإن السر أمانة؛ فمَن أفشىٰ سرًّا كان كمن ضيع الأمانة.

وكتمان السِّرِّ صفة محمودة عند كل البشر، وخاصة فيمن يصحب الملوك والكبار والأمراء، فإن إفشاء أسرارهم مع عظيم قبحه في النفس يؤدي إلىٰ ضرر عظيم ومصائب كبيرة عليه من السلطان.

وإذاعة السِّرِّ دليل علىٰ قلة الصبر وضيق الصدر؛ حيث يوصف بذلك الصبيان والكثير من النساء وضعفة الرجال، والصبر علىٰ القبض علىٰ الجمر أيسر من الصبر علىٰ كتمان السر.

ولهذا لما قال أحدهم لصديقه: أُريد أن أُفشِيَ إليك سرًّا تحفظه عليَّ. فقال: لا أريد أن أؤذي قلبي بِسِرِّكَ، وأجعل صدري خزانةَ شكواك؛ فيُقْلِقُني ما أقلقك، ويُؤَرِّقني ما أَرَّقك، فتَبِيتَ أنتَ بإفشائك لسِرِّك مستريحًا، ويبيتُ قلبي بسِرِّك جريحًا.

وأكثر الأوقات والحالات التي يستخرج من الإنسان سره في ثلاثة مواضع:

عند الاضطجاع علىٰ فراشه، وعند خلوه بزوجته، وفي حالة سكره.

والكتمان المحمود: هو كتمان سر الغير، أو حتىٰ سر نفسه، وهو من الأمانة والوفاء وعلامة علىٰ الوقار.

وأما **الكتمان المذموم** فهو إما كتمان للشهادة: وقد ذمه المولىٰ ﷻ في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة: ٢٨٣]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَادَةً عِندَهُ مِنَ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٤٠]. وإما كتمان ما أنزل الله من الوحي: وهذا العهد قد أخذه الله علىٰ الأنبياء والمرسلين بألا يكتموا مما أوحي إليهم شيئًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾﴾ [البقرة: ١٧٤]؛ لأن كتمان ذلك ضياع لأحكام الله تعالىٰ.

ومن الوفاء أن يحافظ المسلم علىٰ سر أخيه فيكتمه، وإلا كان غادرًا، وهذا حق المسلم علىٰ المسلم أن يكتم عنه ما وصل إليه من سره، وخاصة إذا كان قد تعهد له بحفظ السر وعدم إذاعته، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِحَدِيثٍ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ» [الترمذي برقم (١٩٥٩)، حسنه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٥٠٦١)].

وقال ﷺ: «اسْتَعِينُوا عَلَىٰ إِنْجَاحِ حَوَائِجِكُمْ بِالْكِتْمَانِ؛ فَإِنَّ كُلَّ ذي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» الطبراني في «الأوسط» (٣/ ٥٥) برقم (٢٤٥٥). وقد روي عن معاذ بن جبل مرفوعًا: «إِنَّمَا يَتَجَالَسُ الْمُتَجَالِسَانِ بِالأَمَانَةِ، فَلا يَحِلُّ لأَحَدٍ أَنْ يُفْشِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهِ مَا يَكْرَهُ» عبد الرزاق في مصنفه (١١/ ٢٢) برقم (١٩٧٩١).

وعن جابر بن عبد الله يرفعه: «الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ إِلَّا ثَلاثَةَ مَجَالِسَ: سَفْكُ دَمٍ حَرَامٍ، أَوْ فَرْجٌ حَرَامٌ، أَوِ اقْتِطَاعُ مَالٍ بِغَيْرِ حَقٍّ» [أحمد في مسنده (٣/ ٣٤٢) برقم (١٤٧٣٤)]؛ يعني مَن جلس شاهدًا علىٰ سفك دم حرام، أو هتك عرض حرام، أو أخذ مال حرام؛ فليس عليه أن يكتم هذا، بل إن إفشاءه ليس أمرًا مذمومًا بل هو واجب حفظًا للحقوق والأعراض والدماء.

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: سِرُّكَ أسيرُك؛ فإن تكلمتَ به صِرتَ أسيرَه.

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: ما وضعت سري عند أحدٍ أفشاه علي فَلُمْتُه، أنا كنت أضيق به حيث استودعته إياه.

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن من الخيانة أن تحدث بسر أخيك.

وقال بعض الحكماء لابنه: يا بني، كن جَوَادًا بالمال في موضع الحق، ضنينًا بالأسرار عن جميع الخلق؛ فإن أَحْمَدَ (أي: أفضل) جُودِ المَرْءِ الإنفاق في وجوه البر، والبخل بمكتوم السر.

وإفشاء السر خُلُقٌ مُرَكَّبٌ من الخَرَق والجهل والحمق والخيانة، ويَحرُم علىٰ كلِّ مُكلَّف إفشاءُ السرِّ إذا كان فيه إضرارٌ بصاحبه، فإن لم يكن فيه ضررٌ فهو دليل علىٰ اللؤم والتهاون بحقِّ المعارف والأصدقاء، والستر علىٰ الناس شيمة أولياء الله الصالحين.

واعلم أنه يجوز في بعض الأحيان الإفشاء إذا كان في ذلك مصلحة أو دفع مضرة، ويسأل في ذلك صاحب الفهم والاختصاص.

قال الغزاليُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أفشىٰ بعضهم سرًّا إلىٰ أخيه ثم قال له: هل حفظتَ؟ قال: بل نسيت.

وقال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا أردتَ أن تؤاخي رجلًا فأغضبه، ثم دُسَّ عليه مَن يسأله عنك وعن أسرارك؛ فإن قال خيرًا وكَتَم سِرَّك فاصحبه.

وقال ذو النُّون المصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا خيرَ في صُحْبَة مَن لا يراك إلا معصومًا، ومَن أفشىٰ السر عند الغضب فهو اللئيم؛ لأن إخفاءه عند الرضا ترتضيه الطِّباع السليمة كلها.

وقال أبو حاتمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإفراط في الاسترسال بالأسرار عجز (أي: يقصد الإفراط في إفشاء الأسرار علىٰ الآخرين) وما كتمه المرء عن عدوه فلا يجوز أن يُظهره لصديقه، وكفىٰ بذوي الألباب عبرًا ما جربوا (أي: التجربة والخبرة)، ومَن استودع حديثًا فليستره، ولا يكن مهتاكًا ولا مشياعًا؛ لأن السر إنما سُمِّي سرًّا؛ لأنه لا يُفشىٰ.

وقال حكيمٌ: تعلَّمت أن أُحسِنَ الصمتَ في عشر سنين، وما قلتُ شيئًا قطُّ إذا غَضِبتُ أندم عليه إذا زال غضبي.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تَستَقِيم أمانة رجل حتىٰ يستقيمَ لسانه، ولا يستقيمُ لسانه حتىٰ يستقيمَ قلبه.ويقول السَّفَارِينِيُّ: قال الحكماء: ثلاثة لا ينبغي للعاقل أن يُقدِم عليها: شرب السم للتجربة، وإفشاء السر إلىٰ القرابة والحاسد وإن كان ثقةً، وركوب البحر (أي: لمن لا يحسن السباحة) وإن كان فيه غنىً.

وقال أيضًا: إن أصبر الناس مَن لا يُفشي سره إلىٰ صديقه مخافة التقلب يومًا ما.

واعلم أن مفشي السر من أشر الناس، ويعرض صاحبه لنار جهنم وندم وحسرة في الدنيا، ويفقد الثقة بين السامع والمتكلم، وهو خيانة للأمانة، ونقض للعهود، ودليل لؤم الطبع وفساد المروءة. أما كتم السر فإنه دليل الوقار والاحتشام، ومن علامات الإيمان، ويرقىٰ بصاحبه لدرجات الكمال.

* * *

٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمۡ﴾ [النحل: ٩١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ [الصف: ٢،٣].

(٦٨٨/ ٨٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ». متفق عليه.

زَادَ في روايةٍ لمسلم: «وإِنْ صَامَ وَصَلَّىٰ وَزَعَمَ أَنَّهُ مُسْلِمٌ».

(٦٨٩/ ٨٦) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

(٦٩٠/ ٨٦) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «لَوْ قَدْ جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَعْطَيْتُكَ هكَذَا وَهكَذَا وَهكَذَا». فَلَمْ يَجِئْ مَالُ الْبَحْرَينِ حَتَّىٰ قُبِضَ النَّبيُّ ﷺ فَلَمَّا جَاءَ مَالُ الْبَحْرَيْنِ أَمَرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه فَنَادَىٰ: مَنْ كَانَ لَهُ عِنْدَ رسول الله ﷺ عِدَةٌ أَوْ دَيْنٌ فَلْيَأْتِنَا، فَأَتَيْتُهُ وَقُلْتُ لَهُ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ لي كَذَا وَكَذَا. فَحَثَىٰ لي حَثْيَةً فَعَدَدْتُها، فَإِذَا هِيَ خَمْسُمِائَةٍ، فَقَالَ لِي: خُذْ مِثْلَيْهَا. متفق عليه.

* * *

(الوفاء)

الوفاء يعني الإكمال والإتمام؛ أي إتمام العهد وإكمال الشرط، وهو عكس الغدر والخيانة. والوفيُّ الذي يُعطي الحقَّ ويأخذ الحقَّ، فهو خُلُقٌ شريفٌ عالٍ رفيع المقام.

والوفاء بالعهد هو إتمامه وعدم نقض حفظه، وهو أيضًا صدق اللسان والفعل معًا، والوفاء يقتضي الصبر علىٰ ما يبذله الإنسان مقابل وفائه وإن ألحقت به الأذية، بل كلما أضر به أكثر كان ذلك دليلًا علىٰ صدق وفائه. والوفاء أخو الصِّدق والعدل، والغدر أخو الكذب والجور والظلم؛ ذلك أن الوفاء صدق اللسان والفعل معًا، والغدر كذب باللسان والفعل؛ لأن في الكذب نقضًا للعهد. والوفاء قيمة عظيمة قدرها العرب قديمًا.

أنواع الوفاء:

١- **الوفاء بالعهد**: إذ عليه أن يحفظ العهد ولا ينقضه قولًا وفعلًا.

٢- **الوفاء بالعقد**: والعقود آكد العهود، أو هو العقد بين العبد وربه من الإيمان والقرآن، أو هو العقود بين البشر فيما يتبايعون.

٣- **الوفاء بالوعد**: فيصبر علىٰ ما وعد به غيره وإن أصابه الأذىٰ في ذلك.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: كان يُؤتىٰ بالرجل المتوفىٰ عليه الدين فيسأل رسول الله ﷺ: «**هَلْ تَرَكَ لِدَيْنِهِ فَضْلًا؟**». أي ترك مالًا لتأدية الدين. فإن حُدِّث أنه ترك لدينه وفاءً صلىٰ، وإلا قال للمسلمين: «**صَلُّوا عَلَىٰ صَاحِبِكُمْ**». فلما فتح الله عليه الفتوح قال ﷺ: «**أَنَا أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ، فَمَنْ تُوَفِّيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَتَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ، وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**» متفق عليه. وقال رسول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ**» الحديث، أحمد في مسنده (١/ ١١٩) برقم (٩٥٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧١٢).

وقيل: إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ودَوَامَ عهده فانظر إلىٰ حنينه إلىٰ أوطانه، وتشوقه إلىٰ إخوانه وكثرة بكائه علىٰ ما مضىٰ من زمانه.

وفي قصص العرب قديمًا ما يدل علىٰ وفائهم بعهودهم ومواثيقهم.

والوفاء ركن أصيل في بناء المجتمع الناجح العظيم، فإذا ضاع الوفاء ضاعت العلاقات الاجتماعية وبارت الأسواق وساد التنافر بين الناس.

* * *

٨٧- باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢]، و«الأَنْكَاثُ»: جَمْعُ نِكْثٍ، وَهُوَ الْغَزْلُ المَنْقُوضُ.

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦].

وقال تعَالَىٰ: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد: ٢٧].

(٦٩١/ ٨٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «يَا عبد الله، لَا تَكُنْ مِثْلَ فُلَانٍ، كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيْلِ!». متفق عليه.

٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝٨٨﴾ [الحجر: ٨٨].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

(٦٩٢/ ٨٨) وعن عَدِيِّ بن حاتمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ». متفق عليه.

(٦٩٣/ ٨٨) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «وَالكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ». متفق عليه، وهو بعض حديث تقدم بطوله.

(٦٩٤/ ٨٨) وعن أبي ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «لا تَحقِرنَّ من المعروفِ شيئًا، ولو أن تَلقَىٰ أخاكَ بوجهٍ طَلْقٍ». رواه مسلم.

٨٩- باب استحباب بيان الكلام وإيضاحه للمخاطب وتكريره ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك

(٦٩٥/ ٨٩) عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أعَادَهَا ثَلاثًا حَتَّىٰ تُفهَمَ عَنْهُ، وَإذَا أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سلَّم عَلَيْهِمْ ثَلاثًا. رواه البخاري.

(٦٩٦/ ٨٩) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ كَلامُ رسولِ الله ﷺ كَلامًا فَصْلًا (أي: واضحًا) يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ يَسْمَعُهُ. رواه أبو داود.

* * *

(أدب الكلام)

إن اللسانَ من نِعَم الله العظيمة، ومع صغر حجمه إلا أن خطرَه عظيم؛ إذ لا يتبيَّن الكفرُ من الإسلام إلا بشهادة اللسان، وكلُّ ما يتناوله العلم يُعبِّر عنه اللسان، إما بحق وإما بباطل، وكما جاء في الحديث: «إنَّ المَرْءَ لَيَنْطِقُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله لا يُلْقِي لَها بالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بها دَرَجَاتٍ، وَإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله لا يُلقِي لَها بالًا يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ». البخاري برقم (٦٤٧٨).

مِن فَضْل اللسان أن اللهَ تعالىٰ أنطقه بتوحيده من بين سائر الجوارح، قيل للأحنف بن قيس: الصَّمْتُ أفضلُ أو الكلام؟ قال: الكلام أفضل؛ لأن الصمتَ لا يعدو صاحبَه، والكلام ينفع به من سمعه، ومذاكرة الرجال تلقيحٌ (أي: إثراء) للعقول. وقد قيل: الصمت نوم والنطق يقظة.

وقال خالد بن صَفْوان: ما الإنسانُ لولا اللسان إلا صورة مُمَثَّلة (أي: تمثال) أو بهيمة مُرسَلة أو ضالة مُهمَلة. وقيل: المرء بأَصْغَرَيْه: لسانِه، وقلبه. والمرء مخبوءٌ تحت لسانه.

وقال ابنُ سِيرينَ رحمه الله: لا شيءَ أَزْيَنُ علىٰ الرجال من الفصاحة والبيان. وكان عمر بن عبد العزيز سأله رجلٌ فأحسن المسألة (أي: أحسن القول في طلب حاجته)، فقال: هذا والله السِّحرُ الحلال.

وقال الحسنُ رحمه الله: الرجال ثلاثة: رجلٌ بنفسه، ورجل بلسانه، ورجل بماله.

وفي **اللسان عشر خصال**: أداة للبيان، وشاهد علىٰ الضمير، وحاكم في القضاء، وناطق للجواب، وشافع للحاجات، وواصف للأشياء، وواعظ ينهىٰ عن القبائح، ولتقديم التعزية في الأصحاب، وللتلطف في الضغائن والإصلاح بين الناس، لإسماع الآذان وتطريبها.

وقال رسولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ». مالك في الموطأ (٢/ ٩٠٣) برقم (١٦٠٤)، وأحمد في مسنده برقم (١٧٣٧)، وقال الأرنؤوط: حسن بشواهده، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٩١١).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: كانوا يكرهون فضول الكلام (أي: الكلام لغير حاجة).

فبتَرْك الفضول تكمل العقول، وأحسن الكلام ما كان قليلُه يُغنيك عن كثيره، وما ظهر معناه في لفظه. وقيل لابن عمر: ادعُ لنا بدعوات. قال: اللهم اهدنا، وعافنا، وارزقنا. قالوا: لو زِدْتَنا. قال: أعوذ بالله من الإسهاب (أي: الزيادة في الكلام).

وقال عمر رضي الله عنه: مَن كَثُر كلامُه كثرت خطاياه وكثر سَقَطُه (أي: زَلَلُه وخطؤه).

وعزل عمرُ بن عبد العزيز أحدَ القضاة، فسأله: لِمَ عزلتني؟ قال: كلامك مع الخصمين أكثر منهما.

وكان مالك بن أنس رضي الله عنه يكره كثرةَ الكلام ويَذُمُّه ويقول: كثرة الكلام لا توجد إلا في النساء والضعفاء.

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: مِن فقه الرجل قلةُ كلامه فيما لا يعنيه.

وقال مالك بن دينار رحمه الله: لو كانت الصحف من عندنا لأقللنا الكلام.

وروي أنه قد خرج يونس بن متىٰ عليه السلام من بطن الحوت فطال صمته، فقيل له: أَلَا تتكلَّم؟ فقال: الكلام صيَّرني إلىٰ بطن الحوت.

وقيل: فَشَرُّ (أي: أكثرها شرًّا) ما طُبع عليه المرء خُلُقٌ دنيء ولسان بذيء.

وقال حكيم: الزم الصمت تُعَدَّ حكيمًا، جاهلًا كُنتَ أو عالـمًا.

وقال بعض البلغاء: الزم الصمت؛ فإنه يُكسِبُك صَفْوَ المحبة (أي: المحبة النقية من الشوائب والمضار)، ويُؤمِّنك سوءَ المَغَبَّة (أي: العاقبة والمآل)، ويُلبِسُك ثوبَ الوقار، ويكفيك مؤنة الاعتذار.

وقال بعض الفصحاء: اعْقِلْ لسانَك (أي: كُفَّهُ عن الكلام) إلا عن حقٍّ تُوضِّحه أو باطل تَدْحَضُه أو حكمة تنشرها أو نعمة تذكرها.

شروط الكلام: للكلام شروط حتىٰ يَسْلَمَ المتكلم من النقص والزَّلَل:

الشرط الأول: أن يكونَ الكلامُ لداعٍ يدعو إليه؛ لاجتلاب نَفْعٍ أو دَفْع ضُرٍّ.

وحُكي عن أبي يوسف الفقيه أن رجلًا كان يجلس إليه فيُطِيل الصمتَ، فقال له أبو يوسف: أَلَا تسأل؟ فقال الرجل: بلىٰ، متىٰ يُفطِر الصائم؟ قال أبو يوسف: إذا غربت الشمس. فقال الرجل: فإن لم تغرب إلىٰ منتصف الليل؟ فتبسَّم أبو يوسف من ذلك وتمثَّل بهذا البيت من الشعر:

وفي الصمت سترٌ للعَيِّ (الأخرق الأحمق) وإنما صحيفة لُبِّ المرء (ما يبين عقل المرء) أن يتكلما

فانظر كيف أبان الكلامُ والسؤال عن حُمقه؛ فالصمت ستر للعيوب.

وفي الحِكَم: لسان العاقل من وراء قلبه، وقلب الجاهل من وراء لسانه.

فلذلك فاحبس لسانك قبل أن يُطِيل حبسك أو يتلف نفسك، فلا شيء أولىٰ بطول حبسٍ من لسان يَقصُر عن الصواب ويُسرِع إلىٰ الجواب.

وقال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن لم يَعُدَّ كلامَه من عمله كثرت خطاياه.

وقال حكيم: إذا جالستَ الجهال فأنصت إليهم، وإذا جالست العلماء فأنصت إليهم؛ فإن في إنصاتك للجهال زيادةً في الحِلم، وفي إنصاتك للعلماء زيادة في العلم.

الشرط الثاني: أن يتكلم بالكلام في موضعه ومحله؛ فإن الكلام في غير مناسبةٍ لا يُنتفع منه، فلكل مقامٍ مقالٌ، ولكل عمل زمان.

الشرط الثالث: أن يقتصر منه علىٰ قدر الحاجة؛ فإن الكلام لا حَدَّ له ولا ينحصر، فحدُّ الكلامِ الحاجةُ والكفاية، وإلا فلا نهاية له.

قال حكيمٌ لرجل يُكثِر الكلامَ: إن اللهَ خلق لك أذنين ولسانًا واحدًا؛ ليكون ما تسمع ضعف ما تتكلم به.

وقال أحد البلغاء: كلام المرء بيانُ فضله وتَرْجُمان عقله (أي: بيان لما يدور في عقله)، فاقْصُرْه علىٰ الجميل واقتصر منه علىٰ القليل، وإياك وما يُسخط سلطانك ويُوحش إخوانك، فمن أسخط سلطانه تعرَّض للمنية (أي: الموت)، ومن أوحش إخوانه تبرأ من الحرية.

وقال سليمان بن عبد الملك: مَن تكلم فأحسن قَدَر علىٰ أن يسكت فيُحسِن، وليس مَن سكت فأحسن قَدَر علىٰ أن يتكلم فيُحسِن. قيل لإياس بن معاوية: ما فيك عيبٌ إلا كثرة الكلام. فقال: أفتسمعون صوابًا أو خطأً؟ قالوا: لا، بل صوابًا. قال: فالزيادة من الخير خيرٌ.

وقال الجاحظ: للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية.

وقد قيل: كثيرُ الكلام يُنسِي آخره أوَّلَه، وخيرُ الكلام ما قَلَّ ودَلَّ.

فالإكثار منه يُمِلُّ السامعَ، ومن أُعجب بكلامه استرسل فيه؛ لذلك فهو كثير الخطأ، ففي الحديث: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟». فقال: «هُمُ الثَّرْثَارُونَ (أي: كثيرو الكلام) الْمُتَشَدِّقُونَ (أي: التكلم بملء اللسان إظهارًا للفصاحة). أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِخِيَارِكُمْ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا». أحمد في مسنده (٢/ ٣٦٩) برقم (٨٨٠٨)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٥٣٥).

فمن أطال صمته اجتلب من الهيبة ما ينفعه، ومن الوحشة ما لا يضره، وقد قيل في منثور الحِكَم: إذا تمَّ العقلُ نقص الكلام.

الشرط الرابع: اختيار اللفظ الذي يتكلم به؛ لأن اللسان عنوان الإنسان، يُترجم عن مجهوله، ويستدل علىٰ عقل الرجل بقوله وعلىٰ أصله بفعله. قال بعض الحكماء: اللسان وزير الإنسان.

آداب المتكلم:

١- من الأدب ألا يتجاوز المتكلم في مدح أو ذم، وإن سلم من الكذب؛ لأن النزاهة من الذم دليل الكرم، والإسراف فيه انتقام يصدر عن شرٍّ، والتجاوز في المدح تملُّق ومداهنة وخداع يصدر عن دناءة ومهانة.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن الرجلَ ليدخل علىٰ السلطان ومعه دِينُه، فيخرج مِن عنده وما معه دينه. قالوا: وكيف ذلك؟ قال: يُرضيه بما يسخط الله عز وجل.

٢- ومن آدابه ألا تدفعه الرغبة أو الرهبة علىٰ الاسترسال في الوعد بشيء قد لا يستطيع الوفاء به، أو الوعيد بعقابٍ يعجز عنه فيندم ويُذَمُّ.

قصة: حُكِيَ أن: سليمانَ بن داود عليهما السلام مرَّ بعُصْفور يدور حول عصفورة، فقال

لأصحابه: هل تدرون ما يقول لها؟ قالوا: لا يا نبي الله. قال: إنه يخطبها لنفسه ويقول لها: زوجيني نفسك أُسْكِنَكِ أيَّ غُرَف دمشق شِئْتِ. قال سليمان: كذب العصفور؛ فإن غُرَف دمشق مبنية بالصخور- وهذا في زمانهم- لا يقدر أن يسكنها هناك، ولكن كل خاطب كذوب. اهـ.

٣- ومن آدابه أن يحقق قوله فعله، ويصدقه عمله، فإرسال القول عمل اختياري، ولكن العمل به اضطراري، وأَنْ يفعل ما لم يقل أجمل من أن يقول ما لا يفعل.

قال حكيمٌ: أحسنُ الكلام ما لا يُحتاجُ فيه إلىٰ الكلام (أي: يكتفي بالفعل دون القول).

٤- ومن الأدب أن يُراعِيَ طريقةَ كلامه بحَسَب المقصد والغرض؛ فإن كان مقصوده الترغيب قاله باللين واللطف، وإن كان مقصوده الترهيب قَرَنه بشيء من الحزم والشدة، فلين اللفظ في الترهيب وشدته في الترغيب خروجٌ عن المقصود وتعطيل للمعنىٰ.

قال أبو الأسود الدُّؤَلِيُّ: يا بُني، إن كنت في قوم فلا تتكلم بكلامِ مَن هو فوقك (أي: بتعال) فيَمْقُتُوكَ، ولا بكلام من هو دونك (أي: بابتذال) فيَزْدَرُوك (أي: يحتقروك).

٥- ومن الأدب ألا يرفع صوتًا كريهًا ولا يؤدي الحركات الطائشة، فإن نقص الطيش أحسن من فضل البلاغة.

٦- ومن الأدب أن يتحاشىٰ مُستقبَح الكلام، بل يستخدم الكناية بالأدب المصون.

٧- ومن الأدب أن يتجنب أمثلة الغوغاء الرخيصة، ويستعمل أمثلة العلماء والأدباء الرفيعة، فلكل صِنف من الناس أمثالٌ تُناسبهم، فالساقط يضرب أمثالًا ساقطة، وتشبيهاته مستقبحة، وللساقطين أمثالُهم؛ وذلك لأن الأمثال تُعبِّر عن خَطَرات نفس المتكلم؛ ولهذا فصاحب الهمة الساقطة أمثاله رذيلة، وكذلك مخالطة الأراذل تبعث علىٰ ذلك.

وحُكي عن الأصمعيِّ أن الرشيدَ سأله يومًا عن أنساب العرب؟ فقال: علىٰ الخبير سقطتَ يا أمير المؤمنين. فقال حاجبُ الأمير: أسقط اللهُ جَنْبَيْكَ، كيف تُخاطب بذلك أمير المؤمنين؟!

وللأمثال موقعٌ بالغُ الأثر في الأسماع وتأثير عميق في القلوب؛ فلذلك ضَرَب اللهُ الأمثال في كتابه العزيز وجعلها من دلائل رسله وأوضح بها الحجة علىٰ خلقه.

شروط ضرب الأمثال: ولها أربعة شروط:

الشرط الأول: صحة التشبيه، فلا يُعطي تشبيهًا مُغالطًا غير صحيح لا تقبله العقول السليمة.

الشرط الثاني: أن يكون العلمُ بهذه الأمثلة مشتهرًا والكلُّ عليها موافقًا، فلا يفاجأ المستمعون بما لا يعلمونه، وقد ينكرونه عليه فيحدث عكس مقصوده.

الشرط الثالث: ألا يسيء عرضها بطريقة يصعب فهمها واستيعابها، بل عليه أن يعرضها بأسلوب يُسهِّل ويسرع وصولها للأفهام، ولا يُتعب العقول في فهم مغزاها والمراد منها.

الشرط الرابع: أن تتناسب مع المستمعين في ثقافتهم وعاداتهم وأحوالهم المعيشية؛ لتكون بالغة الأثر في نفوسهم وقلوبهم.

❋ ❋ ❋

٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالم والواعظ حاضري مجلسه

(٦٩٧/ ٩٠) عن جرير بن عبد الله ﵁ قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ في حَجَّةِ الْوَدَاعِ: «اسْتَنْصِتِ (أي: اطلب منهم الإنصات) النَّاسَ». ثُمَّ قَالَ: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». متفق عليه.

٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ ﴾ [النحل: ١٢٥].

(٦٩٨/ ٩١) وعن أبي وائلٍ شقيق بن سَلَمَةَ قَالَ: كَانَ ابنُ مَسْعُودٍ ﵁ يُذَكِّرُنَا في كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ

لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عبدالرحمن، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ. فَقَالَ: أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا. متفق عليه. «يَتَخَوَّلُنَا»: يَتَعَهَّدُنَا.

(٦٩٩/ ٩١) وعن أَبِي اليَقْظَانِ عمّار بن ياسر رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ طُولَ صَلَاةِ الرَّجُلِ وَقِصَرَ خُطْبَتِهِ مَئِنَّةٌ مِنْ فِقهِهِ، فأَطِيلُوا الصَّلَاةَ وَأَقْصِرُوا الخُطْبَةَ**». رواه مسلم.

«مَئِنَّةٌ» بميم مفتوحة ثُمَّ همزة مكسورة ثُمَّ نون مشددة؛ أي: عَلَامَةٌ دَالَّةٌ عَلَىٰ فِقْهِهِ.

(٧٠٠/ ٩١) وعن مُعاوِيَةَ بن الحَكَمِ السُّلَميِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ رسول الله ﷺ إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ، فَقُلْتُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَرَمَانِي القَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ! فَقُلْتُ: وَاثُكْلَ أُمِّيَاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟! فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بأيديهم عَلَىٰ أَفْخَاذِهِمْ! فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصَمِّتُونَنِي (أي: يحاولون إسكاتي) لكِنِّي سَكَتُّ، فَلَمَّا صَلَّىٰ رسول الله ﷺ - فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ، فَوَاللهِ مَا كَهَرَنِي، وَلَا ضَرَبَنِي، وَلَا شَتَمَنِي - قَالَ: «**إِنَّ هذِهِ الصَّلَاةَ لَا يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلامِ النَّاسِ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ وَالتَّكْبِيرُ، وَقِراءةُ القُرْآنِ**». أَوْ كَمَا قَالَ رسُولُ الله ﷺ. قلتُ: يَا رَسُولَ الله، إِنِّي حَدِيثُ عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، وَقَدْ جَاءَ اللهُ بِالإِسْلَامِ، وَإِنَّ مِنَّا رِجَالًا يَأْتُونَ الْكُهَّانَ. قَالَ: «**فَلَا تَأْتِهِمْ**». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجالٌ يَتَطَيَّرُونَ (أي: يتشاءمون). قَالَ: «**ذَاكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ في صُدُورِهِمْ فَلَا يَصُدَّنَّهُمْ**». رواه مسلم.

«الثُّكْلُ» بضم الثاءِ المُثلثة: المُصيبةُ وَالفَجِيعَةُ. «مَا كَهَرَنِي»؛ أي: مَا نَهَرَنِي.

(٧٠١/ ٩١) وعن العِرْبَاضِ بن سارِيَةَ رضي الله عنه قَالَ: وَعَظَنَا رسول الله ﷺ مَوْعِظَةً وَجِلَتْ مِنْهَا القُلُوبُ، وَذَرَفَتْ مِنْهَا العُيُونُ.

وَذَكَرَ الحَدِيثَ وَقَدْ سَبَقَ بِكَمَالِهِ في باب الأَمْرِ بِالمُحَافَظَةِ عَلَىٰ السُّنَّةِ، وَذَكَرْنَا أَنَّ التِّرْمِذِيَّ قَالَ: إنه حديث حسن صحيح.

* * *

(الوعظ)

الوعظُ هو النُّصح والتذكير والتخويف من العواقب، فهو زَجْرٌ مُقترِنٌ بالتخويف كي تَرِقَّ له قلوب الناس، حيث يُذكِّرهم بما تلين معه قلوبهم للثواب والعقاب.

صفات الواعظ: وعلىٰ الواعظ أن يشتمل علىٰ صفتين:

إحداهما: أن ينتسب إلىٰ أهل العلم بنسبة تساعده علىٰ التعلم والاقتباس منهم والفهم عنهم؛ ليستطيع نقل هذا العلم إلىٰ عامة الناس ترغيبًا وترهيبًا.

الثانيـة: أن يستطيع التعامل مع عامة الناس وعوامهم؛ ليستطيع أن يصل إلىٰ قلوبهم وعقولهم لقربه منهم، فهو كالوسيط بين الملوك وشعوبهم، أو بين الطبيب والمريض، فله ارتباط وانتساب إلىٰ مَن فوقه من أهل العلم والحكمة، وله كذلك انتساب إلىٰ العامة ليأخذ من الحكيم ويبسط لهم أمر دينهم، فهو كالغضاريف بين اللحم والعظم.

وعلىٰ مَن كَلَّف نفسه بدور الواعظ أن يعلم أن عليه حقوقًا في وعظه، فعليه أن يعظ نفسه قبل أن يعظ غيره؛ فيهتدي ثم يهدي، ويتبصَّر ثم يُبَصِّر. ولا يُكَذِّب بلسان حاله ما يجري علىٰ لسانه، وليعلم أن عمل الواعظ يدرك بالأبصار، وأكثر الناس هم أصحاب ذلك، أما العلم فلا يدرك إلا بالبصيرة، وهذا عمل القلب الذي لا يعلمه إلا القليل، فليعتن بالعمل الذي يظهر للعامة أكثر من عنايته بالعلم الذي لا يدركه إلا أصحاب البصائر.

ولهذا قيل: يا طبيب، طَبِّب نفسك أولًا؛ فمَن رشَّح نفسه للوعظ فقد وضع نفسه موضع القدوة والأسوة، فإذا فعل قبيحًا كان عليه وزره ووزر مَن تبعه، وإذا سَنَّ جميلًا كان له أجره وأجر مَن تبعه.

وقال عليُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: قَصَم ظهري رجلان: جاهلٌ مُتنسِّك (أي: متعبد)، وعالم متهتك (أي: يقترف المعاصي علنًا). فالجاهل يغرُّ الناس بتنسُّكه (أي: فيظنون أنه عالم رباني) والعالم يُنفِّرهم بتهتكه (أي: بمعاصيه).

وفي معنىٰ قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝١٢٥﴾ [النحل: ١٢٥] أن العبد المتيقظ المنيب إلىٰ ربه والمتذكر يحتاج إلىٰ الحكمة في الدعوة إلىٰ الله، وهي إعطاؤه الأوامر والنواهي ليقوم عليها، فهو ليس في حاجة شديدة للتذكير، وإنما للتعليم والحكمة.

أما العبد المعرض الغافل فيحتاج إلىٰ التذكير والترغيب والترهيب؛ أي الموعظة

الحسنة، وقيد القرآن الموعظة بوصف الإحسان؛ إذ ليس كل موعظة حسنة، أما المعارض والمتكبر والمجادل فله المجادلة وأيضًا بالتي هي أحسن، والحُسن في الأسلوب، وكذلك في البراهين والأدلة.

وعلىٰ الواعظ أن يُمَيِّز بين الأنواع الثلاثة حين يؤدي وعظه أمام الناس، وإنما يستفيد العامة من وعظ وإرشاد إذا خفيت عليهم عيوب الوعاظ، وإلا متىٰ ظهرت للعامة عيوبهم انفضوا من حولهم. فعلينا جميعًا أن نستر العيوب، ونحفظ الألسنة من الخوض في أهل الوعظ والإرشاد؛ إذ لا يخلو إنسان من خطأ.

ومع هذا يقول بعض السلف ناصحًا الوُعَّاظ: إذا أردت أن يقبل منك الأمر والنهي إذا أمرت بشيء؛ فكن أول الفاعلين له، المؤتمرين به، وإذا نهيت عن شيء فكن أول المنتهين عنه.

وقيل: إذا جلست واعظًا للناس فكن واعظًا لنفسك، ولا يغرنك تأثر الناس من كلامك؛ فإن الله ينظر لباطنك والناس ينظرون إلىٰ ظاهرك.

واعلم أن السعيد مَن وُعِظَ بغيره، والشقي مَن اتَّعظ به غيره.

❊ ❊ ❊

٩٢- باب الوقار والسكينة

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَٰنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

(٧٠٢/ ٩٢) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: مَا رَأَيْتُ رسول الله ﷺ مُسْتَجْمِعًا قَطُّ ضَاحِكًا (أي: مبالغًا في الضحك منخرطًا فيه) حَتَّىٰ تُرَىٰ مِنهُ لَهَوَاتُهُ، إنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. متفق عليه.

«اللَّهَوَاتُ» جَمْعُ لَهَاةٍ، وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي فِي أَقْصَىٰ سَقْفِ الْفَمِ.

❊ ❊ ❊

(الوقار)

الوقار هو الحِلْم والرَّزانة، وهو التأنِّي في التوجُّه نحو المطالب.

والتوقير هو التعظيم؛ لقوله تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نوح: ١٣]؛ أي: ما لكم لا تخافون لله عَظَمَةً. وأولَىٰ دَرَجات الوقار هي تعظيمُ الله وتوقيره، وذلك بمعرفة حقِّه تعالىٰ

وعظمته والوقوف عند حدوده وأوامره والانتهاء عند نواهيه واجتناب معاصيه، فإن الله لا يُلقي في قلوب الناس الوقارَ والهيبة لـمَن ليس في قلبه توقيرٌ وتعظيمٌ لله، بل يسقط وقاره وهيبته من قلوبهم، وقد يوقره الناس خوفًا من شره وأذاه؛ فهو وقار بغض وكره لا وقار حب وتعظيم.

ومن توقير الله أن يستحي العبد أن يعصيَه في الخلوة أعظم من استحيائه من أكابر الناس في العلن.

ومن كلام ابن مسعود رضي الله عنه: ينبغي لحامل القرآن أن يكون باكيًا، محزونًا، حكيمًا، حليمًا، سكينًا، ولا ينبغي لحامل القرآن أن يكون جافيًا، ولا غافلًا، ولا صخَّابًا، ولا صيَّاحًا، ولا حديدًا (أي: عصبي المزاج حاد الطبع).

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: قد كان الرجلُ يطلب العلمَ فلا يلبث أن يُرىٰ ذلك في خشيته وهَدْيه ولسانه وبصره وبرِّه.

وقال الإمام النوويُّ رحمه الله: الفَرْق بين السَّكينة والوقار أن السكينةَ هي التأنِّي في الحركات، واجتناب العبث، والوقار في الهيئة كغض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات.

وقال القُرْطبيُّ رحمه الله: إن مِن الحياء ما يحمل صاحبه علىٰ الوقار بأن يوقر غيره ويَتَوَقَّر هو في نفسه.

وقال ابن القيِّم رحمه الله: علىٰ قَدْر المعرفة يكون تعظيمُ الرب جلَّ وعلا في القلب، وأعرفُ الناس به أشدُّهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذَمَّ الله تعالىٰ مَن لم يعظمه حَقَّ عظمتِه، ولا وصفه حق صفته فقال تعالىٰ: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ۝١٣﴾ [نوح: ١٣]، وفسَّرها الحسن: فقال: لا تعرفون لله حقًّا، ولا تشكرون له نعمة.

ومن توقير الله تعالىٰ ما كان يفعله الإمام مالك؛ فكان إذا أراد أن يُحَدِّثَ الناس بحديث رسول الله ﷺ تنظف وتطيب وسرح لحيته ولبس أحسن الثياب.

والوقارُ دائمًا عزٌّ لصاحبه في الدنيا والآخرة، ويُكسِب المهابةَ بين الناس.

(السكينة)

والسكينة هي الوقار والوداعة، وهي الطمأنينة والسكون، وهي نورٌ في القلب يُنزِّله الله علىٰ عبده فيزول خوفُه ورعبه ويزداد به إيمانًا ويقينًا وثباتًا.

ويقول ابن مسعود رضي الله عنه: السكينة مَغْنَمٌ، وتَرْكها مَغْرَمٌ (أي: خسارة).

قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: السكينة إذا نزلت علىٰ القلب اطمأنَّ بها وسكنت إليها الجوارح، وخشعت واكتسبت الوقار، وأنطقت اللسانَ بالصواب والحكمة، وحالت بينه وبين قول الخنا والفحش واللغو والهجر وكلِّ باطل.

وهذا ما عناه ابنُ عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا حينما وصف عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فقال: كنا نتحدث أن السكينة تنطق علىٰ لسان عمر وقلبه.

وهذه السكينة التي تنطق علىٰ لسان المحدثين ليست شيئًا يُملَك، وإنما هي شيء من لطائف صنع الله تعالىٰ تُلقي علىٰ لسان المحدث الحكمة كما يُلقِي الملكُ الوحيَ علىٰ قلوب الأولياء.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان شيخ الإسلام ابن تيمية إذا اشتدت عليه الأمور قرأ آيات السكينة. وقال: ولقد جربت أنا أيضًا قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يَرِدُ عليه فرأيت لها تأثيرًا عظيمًا في سكونه وطمأنينته.

وأما السكينة التي نزلت علىٰ قلب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقلوب أصحابه فإنما هي قوة وروح؛ ليسكن إليها الخائف ويتسلىٰ بها الحزين والضَّجِر.

واعلم أن السكينة هي سمة العلماء والأولياء ومَن تشبه بهم، وهي علامة اليقين والثقة برب العالمين، وهي تُثمر الخشوع والطمأنينة في العبادة، وتُلبس صاحبها ثوب الحكمة والوقار، وتجلب محبة الخلق والألفة بينهم، وهي من علامات رضا الله علىٰ العبد.

* * *

٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات، بالسكينة والوقار

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج: ٣٢].

(٧٠٣/ ٩٣) وعن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاةُ، فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَمْشُونَ، وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُم فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**». متفق عليه.

زاد مسلِمٌ في روايةٍ لَهُ: «**فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ** (أي: يقصد) **إِلَىٰ الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ**».

(٧٠٤/ ٩٣) وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ دَفَعَ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ عَرَفَةَ فَسَمِعَ النبيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَرَاءَهُ زَجْرًا

شَديدًا وَضَرْبًا وَصَوْتًا للإبلِ، فَأشَارَ بِسَوْطِهِ إلَيْهِمْ وقال: «**يَا أيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بالسَّكِينَةِ، فَإنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بالإيضَاعِ**». رواه البخاري، وروىٰ مسلم بعضه.

«الْبِرُّ»: الطَّاعَةُ. و«الإيضَاعُ» بِضادٍ معجمةٍ قبلها ياءٌ وهمزةٌ مكسورةٌ، وَهُوَ: الإسْرَاعُ.

❋ ❋ ❋

(الخشوع)

الخشوعُ هو معنًىٰ يأتي من التعظيم والمحبة لله مع الذل والانكسار له، فيكون كما قال الجُنَيْد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الخشوعُ هو تذلُّل القلوب لعلَّام الغيوب. أو هو قيام القلب بين يدي الرب بالخضوع والذل انقيادًا للحق.

والخشوعُ كالضراعة، إلا أن الخشوع يكون أكثر في الجوارح، والضراعة في القلب؛ لذلك قيل: إذا ضَرَعَ القلبُ خشعتِ الجوارح.

وخشوع القلب كالخشية، وخشوع البدن هو السكون، وخشية القلب وسكون البدن هما ملائمان لمقصود العبادة. ويأتي الخشوع في القرآن بمعنىٰ الذل: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾[طه:١٠٨]، أو بمعنىٰ سكون الجوارح: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون:٢]، كما يأتي بمعنىٰ الخوف: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾[الأنبياء: ٩٠]، وبمعنىٰ التواضع: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾﴾[البقرة: ٤٥]، وبمعنىٰ الأرض اليابسة: ﴿تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً﴾[فصلت: ٣٩].وقال رسولُ الله ﷺ: «**أقْرَبُ مَا يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ، فَإنِ اسْتَطَعْتَ أنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَكُنْ**». الترمذي برقم (٣٥٧٩)، وقال: حديث حسن صحيح.

وقال ابنُ مسعودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مَن تواضعَ لله تخشُّعًا رَفَعَه الله يوم القيامة، ومَن تطاول (أي: تكبر) تعظُّمًا وَضَعه الله يوم القيامة.

وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد رأىٰ رجلًا طأطأ رقبته في الصلاة، فقال: يا صاحب الرقبة، ارفع عُنُقَك، ليس الخشوعُ في الرِّقاب، إنما الخشوعُ في القلب.

وقال عليُّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الخشوع في القلب أن تُلِينَ كَنَفَكَ (أي: لقاءك ومعاملتك) للرجل المسلم، وألا تلتفت في الصلاة.

وقال ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾[المؤمنون: ٢]،

قال: كانوا إذا قاموا في الصلاة أقبلوا على صلاتهم وخَفَضوا أبصارَهم إلى موضعِ سجودهم وعلموا أن اللهَ يُقبل عليهم فلا يلتفتون يمينًا ولا شمالًا.

وقال ابنُ القَيِّم: الخشوعُ هو الاستسلام لحكم الدين الشرعيِّ، وللحكم القَدَريِّ من الله، والخشوع في الأمر الديني هو بعدم معارضة الشرع وأوامره، برأي مخالف أو هوى نفس أو شهوة، بل الانقياد والاستسلام.

أما في الحكم القدري كالبلاءات المختلفة والأقدار المؤلمة، فيكون بعدم الاعتراض على الله فيها ولا التسخط عليه، والتواضع لرؤية الحق فيك، ويكون منكسرًا بقلبه وجوارحه لربه. ويعلم أن اللهَ مطلع على خفايا نفسه وقلبه، وهذا مما يُوجب الخشوع، وكلما كان العبد أشدَّ استحضارًا لهذا زاد خشوعه لله، والغفلة تأتي بفقدان هذا.

ومعرفة العبد عيوب نفسه ونقائصها وقصور عمله عن المطلوب منه يجعله في حالة خشوع خوفًا من ظهور الكِبْر والعُجْب والرياء وقلة اليقين والإيمان وفساد النية، وغير ذلك من عيوب النفس.

قال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء: ٩٠]، : كان خشوعُهم في قلوبهم، فغضُّوا بذلك أبصارَهم وخَفَضوا لذلك الجَنَاح.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩]، قال: هو الخشوع والتواضع. وقال أيضا رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة: ٢٣٨]، قال: من القنوتِ الركوعُ والخشوعُ وطولُ الركوع (أي: يعني طول القيام وغض البصر وخفض الجناح والرهبة لله).

وقال قَتَادة رَحِمَهُ اللَّهُ: الخشوعُ في القلب هو الخوف وغضُّ البصر في الصلاة.

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: يُكرَه أن يُظهِر الرجلُ من الخشوع أكثرَ مما في قلبه.

وقال أبو يزيد المدنيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: إن أولَ ما يُرفَع عن هذه الأمة الخشوع.

وقال سهل التُّسْتَريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن خَشَع قلبُه لم يَقْرَب منه الشيطان.

والخشوع مظهرٌ لإيمان العبد وحسن إستقامته وعلوِّ شأن عبوديته لله رب العالمين.

❋ ❋ ❋

٩٤- باب إكرام الضيف

قَالَ الله تعالَىٰ: ﴿هَلْ أَتَنٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الذاريات: ٢٤- ٢٧].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَجَآءَهُۥ قَوْمُهُۥ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِى ضَيْفِىٓ ۖ أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ﴿٧٨﴾﴾ [هود: ٧٨].

(٧٠٥/ ٩٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليومِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عليه.

(٧٠٦/ ٩٤) وعن أبي شُرَيْح خُوَيْلِدِ بن عمرو الخُزَاعِيِّ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْم الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ جَائِزَتَهُ». قالوا: وَمَا جَائِزَتُهُ يَا رسول الله؟ قَالَ: «يَوْمُهُ وَلَيْلَتُهُ، وَالضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّام، فَمَا كَانَ وَرَاءَ ذٰلِكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ عَلَيْهِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلمٍ: «لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يُقِيمَ عِنْدَ أَخِيهِ حَتَّىٰ يُؤْثِمَهُ (أي: يوقعه في الإثم)». قالوا: يَا رسول الله، وَكَيْفَ يُؤْثِمُهُ؟ قَالَ: «يُقِيمُ عِنْدَهُ وَلَا شَيْءَ لَهُ يَقْرِيه بِهِ (أي: يضيفه به من طعام ونحوه)».

٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ﴾ [الزمر: ١٧، ١٨].

وقال تعالَىٰ: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [التوبة: ٢١].

وقال تَعالَىٰ: ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

وقال تَعالَىٰ: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [الصافات: ١٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [هود: ٦٩].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾﴾ [هود: ٧١].

وقال تعالىٰ: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّى فِى ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٩].

وقال تعالىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ﴾ [آل عمران: ٤٥].

والآيات في الباب كثيرةٌ معلومةٌ.

وأما الأحاديث فكثيرةٌ جِدًّا وهي مشهورة في الصحيح، مِنْهَا:

(٧٠٧/ ٩٥) عن أَبي إبراهيم ويقال أَبُو محمد، ويقال أَبُو معاوية عبد الله بن أبي أوفىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ بَشَّرَ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ببيْتٍ في الجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ، لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ. متفق عليه.

«القَصَبُ»: هُنَا اللُّؤْلُؤُ المُجَوَّفُ. و«الصَّخَبُ»: الصِّياحُ وَاللَّغطُ. و«النَّصَبُ»: التَّعبُ.

(٧٠٨/ ٩٥) وعن أَبي موسىٰ الأشْعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ تَوضَّأَ في بَيْتِهِ، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ: لأَلْزَمَنَّ رسول الله ﷺ ولأَكُونَنَّ مَعَهُ يَومِي هَذَا، فَجاءَ المَسْجِدَ، فَسأَلَ عَنِ النَّبيِّ ﷺ، فَقَالُوا: وجَّهَ هاهُنا. قَالَ: فَخَرَجْتُ عَلَىٰ أَثَرِهِ أَسْأَلُ عَنْهُ، حَتَّىٰ دَخَلَ بِئْرَ أَرِيسٍ، فَجلَسْتُ عِندَ البَابِ حَتَّىٰ قضىٰ رسول الله ﷺ حاجتهُ وتوضَّأَ، فقمتُ إليهِ، فإذا هو قد جلسَ علىٰ بئرِ أريسٍ وتوَسَّطَ قُفَّهَا، وكشَفَ عنْ ساقيهِ ودلَّاهُما في البئرِ، فسلَّمتُ عليهِ ثمَّ انصَرَفْتُ، فجلستُ عِندَ البابِ فَقُلْتُ: لأَكُونَنَّ بَوَّابَ رسولِ الله ﷺ الْيَوْمَ. فجاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَدفَعَ الْبَابَ فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: أَبُو بكرٍ. فقلتُ: عَلَىٰ رِسْلك. ثُمَّ ذَهبْتُ فقلتُ: يَا رسولَ اللهِ، هَذَا أَبُو بكرٍ يستأْذِنُ. فَقَالَ: «ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بالجَنَّةِ». فَأَقْبَلْتُ حَتَّىٰ قُلْتُ لأَبي بَكْرٍ: ادْخُلْ وَرسولُ الله ﷺ يُبَشِّرُكَ بالجَنَّةِ، قال: فدخل أبو بكر حتىٰ جلس عن يمين النبي ﷺ مَعَهُ في القُفِّ، وَدَلَّىٰ رِجلَيْه في البِئْرِ كَمَا صنَعَ رسول الله ﷺ وَكَشَفَ عَنْ سَاقيْهِ، ثُمَّ رَجَعْتُ وَجلَسْتُ، وَقَدْ تَركْتُ أَخِي يَتَوَضَّأُ وَيَلْحَقُنِي، فقلتُ: إنْ يُرِدِ اللهُ بِفُلَانٍ -يُرِيدُ أَخاهُ- خَيرًا يَأتِ بِهِ، فَإِذَا إنْسَانٌ يُحَرِّكُ الْبَابَ، فقلتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عمرُ بنُ الخطابِ. فقلتُ: عَلَىٰ

رِسْلِك. ثُمَّ جِئْتُ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ وَقُلْتُ: هَذَا عُمَرُ يَسْتَأْذِنُ. فَقَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**». فَجِئْتُ عُمَرَ، فقلتُ: أَذِنَ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ. فَدَخَلَ فَجَلَسَ مَعَ رسولِ الله ﷺ فِي القُفِّ عَنْ يَسَارِهِ وَدَلَّىٰ رِجْلَيْهِ فِي البِئْرِ، ثُمَّ رَجَعْتُ فَجَلَسْتُ فَقُلْتُ: إن يُرِدِ الله بفلانٍ خيرًا -يَعْنِي أَخَاهُ- يَأْتِ بِهِ. فَجَاءَ إِنْسَانٌ فَحَرَّكَ الْبَابَ. فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ: عثمانُ بنُ عفَّانَ. فقلتُ: عَلَىٰ رِسْلِكَ. وجِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فأخبَرْتُهُ فقالَ: «**ائْذَنْ لَهُ وَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَىٰ تُصِيبُهُ**». فَجِئْتُ فقلتُ: ادْخُلْ وَيُبَشِّرُكَ رسولُ الله ﷺ بِالجَنَّةِ مَعَ بَلْوَىٰ تُصِيبُكَ. فَدَخَلَ فَوجَدَ الْقُفَّ قَدْ مُلِئَ، فَجَلَسَ وِجَاهَهُمْ مِنَ الشِّقِّ الآخرِ. فَقَالَ سعيدُ بنُ المُسَيَّبِ: فَأَوَّلْتُهَا قُبُورَهُم. متفق عليه.

وزاد في روايةٍ: وأمَرَنِي رسولُ الله ﷺ بحفظِ البابِ. وفيها: أَنَّ عُثْمَانَ حِينَ بَشَّرَهُ حَمِدَ اللهَ تَعَالَىٰ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ المُسْتَعَانُ. وقَوْلُه: «وَجَّهَ» بفتحِ الواوِ وتشديدِ الجيمِ؛ أي: تَوَجَّهَ. وقَوْلُه: «بِئْرِ أَرِيسٍ» هُوَ بفتحِ الهمزةِ وكسرِ الراءِ وبعدها ياءٌ مثناة من تحت ساكِنة ثُمَّ سِين مهملة، وَهُوَ مصروفٌ، ومنهُم مَنْ مَنَعَ صَرْفَهُ. و«القُفُّ» بضمِّ القافِ وتشديدِ الفاءِ هُوَ المبنيُّ حولَ البئرِ. وقَوْلُه: «عَلَىٰ رِسْلِكَ» بكسرِ الراءِ عَلَىٰ المشهورِ، وقيل: بفتحِهَا؛ أي: ارْفُقْ.

(٧٠٩/ ٩٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا حَوْلَ رسولِ الله ﷺ وَمَعَنَا أَبُو بَكرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما فِي نَفَرٍ، فَقَامَ رسولُ الله ﷺ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا (أي: من بيننا) فَأَبْطَأَ عَلَيْنَا، وَخَشِينَا أَنْ يُقْتَطَعَ دُونَنَا وَفَزِعْنَا فَقُمْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَخَرَجْتُ أَبْتَغِي رسولَ الله ﷺ حَتَّىٰ أَتَيْتُ حَائِطًا للأنصارِ لِبَنِي النَّجَّارِ، فَدُرْتُ بِهِ: هَلْ أَجِدُ لَهُ بَابًا؟ فَلَمْ أَجِدْ، فَإِذَا رَبِيعٌ يَدْخُلُ فِي جَوْفِ حَائِطٍ مِنْ بِئْرٍ خَارِجَهُ -وَالرَّبِيعُ: الجَدْوَلُ الصَّغِيرُ- فَاحْتَفَزْتُ فَدَخَلْتُ عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: «**أَبُو هُرَيْرَةَ؟**» فقلتُ: نَعَمْ يَا رسولَ الله، قَالَ: «**مَا شَأْنُكَ؟**». قُلْتُ: كُنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فَقُمْتَ فَأَبْطَأْتَ عَلَيْنَا فَخَشِينَا أَنْ تُقْتَطَعَ دُونَنَا، فَفَزِعْنَا، فَكُنْتُ أَوَّلَ مَنْ فَزِعَ، فَأَتَيْتُ هَذَا الحَائِطَ فَاحْتَفَزْتُ كَمَا يَحْتَفِزُ الثَّعْلَبُ، وهؤلاءِ النَّاسُ وَرَائِي. فَقَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ**» وَأَعْطَانِي نَعْلَيْهِ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ بِنَعْلَيَّ هَاتَيْنِ، فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الحَائِطِ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ، فَبَشِّرْهُ بِالجَنَّةِ**». وَذَكَرَ الحديثَ بطُولِهِ. رواه مسلم.

«الرَّبِيعُ»: النَّهْرُ الصَّغِيرُ، وَهُوَ الجَدْوَلُ- بفتحِ الجيمِ- كَمَا فَسَّرَهُ فِي الحديثِ. وَقَوْلُه: «احْتَفَزْتُ» رُوِيَ بالراءِ وبالزَّايِ، ومعناه بالزايِ: تَضَامَمْتُ وتَصَاغَرْتُ حَتَّىٰ أَمْكَنَنِي الدُّخُولُ.

(٧١٠/ ٩٥) وعن ابن شِمَاسَةَ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بنَ العَاصِ رضي الله عنه -وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ المَوْتِ (أي:

حال احتضاره)- فَبَكَىٰ طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إِلَىٰ الجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: يَا أَبَتَاه، أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكَذَا؟ أَمَا بَشَّرَكَ رسولُ الله ﷺ بكَذَا؟ فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: إنَّ أَفْضَلَ مَا نُعِدُّ شَهَادَةُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسولُ اللهِ، إِنِّي قَدْ كُنْتُ عَلَىٰ أَطْبَاقٍ (أي: أحوال) ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدَّ بُغْضًا لرسولِ الله ﷺ مِنِّي، وَلَا أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَكُونَ قدِ اسْتَمكَنْتُ مِنْهُ فقَتَلْتُه، فَلَوْ مِتُّ عَلَىٰ تلكَ الحَالِ لَكُنْتُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، فَلَمَّا جَعَلَ اللهُ الإسلامَ في قَلْبِي أَتَيْتُ النبيَّ ﷺ فقُلْتُ: ابسُطْ يَمِينَكَ فَلأُبَايِعْكَ. فَبَسَطَ يَمِينَهُ فَقَبَضْتُ يَدِي، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا عَمْرُو؟**». قلتُ: أردتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «**تَشْتَرِط مَاذا؟**». قُلْتُ: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أن الإسلامَ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ، وَأن الهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبلَهَا، وَأَنَّ الحَجَّ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ؟**». وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيني مِنْهُ وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أن أملأَ عَيْنِي مِنْهُ إجلالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ، لأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلأُ عَيني مِنْهُ، ولو مُتُّ عَلَىٰ تِلْكَ الحالِ لَرجَوْتُ أن أكُونَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، ثُمَّ وَلِينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا، فإِذَا أَنَا مُتُّ فَلَا تَصحَبْنِي نَائِحَةٌ وَلَا نَارٌ، فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي، فَشُنُّوا عَلَيَّ التُّرَابَ شَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحمُهَا، حَتَّىٰ أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي! رواه مسلم.

قَوْله: «شُنُّوا» رُوِي بالشِّين المعجمة وبالمهملةِ، أي: صُبُّوه قَليلًا قَليلًا، والله سبحانه أعلم.

٩٦- باب وداع الصاحب

ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره، والدعاء له وطلب الدعاء منه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنۢ بَعْدِى قَالُوا۟ نَعْبُدُ إِلَـٰهَكَ وَإِلَـٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَإِسْحَـٰقَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٣﴾﴾ [البقرة: ١٣٢، ١٣٣].

وأمَّا الأحاديثُ فمِنْها:

(٧١١/ ٩٦) حديث زيد بن أَرْقَم رضي الله عنه- الَّذي سبقَ في بَابِ إكرام أهلِ بَيْتِ رسولِ الله ﷺ- قَالَ: قَامَ رسولُ الله ﷺ فِينَا خَطِيبًا، فَحمِدَ اللهَ، وَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ، وَوَعَظَ وَذَكَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ، أَلَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَ رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُم ثَقَلَيْنِ،**

أوَّلُهما: كِتَابُ الله، فِيهِ الهُدَىٰ وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ الله وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ» فَحَثَّ عَلَىٰ كِتَابِ الله، وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي». رواه مسلم، وقد سَبَقَ بطُولِهِ.

(٧١٢/ ٩٦) وعن أبي سليمان مالك بن الحُوَيْرِثِ ﵁ قَالَ: أَتَيْنَا رسولَ الله ﷺ وَنَحْنُ شَبَبَةٌ (أي: جمع «شاب») مُتَقَارِبُونَ، فَأَقَمْنَا عِنْدَهُ عِشْرِينَ لَيْلَةً، وَكَانَ رَسُولُ الله ﷺ رَحِيمًا رَفِيقًا، فظَنَّ أَنَّا قَدِ اشْتَقْنَا أَهْلَنَا، فَسَأَلَنَا عَمَّنْ تَرَكْنَا مِنْ أَهْلِنَا، فَأَخْبَرْنَاهُ، فَقَالَ: «ارْجِعُوا إِلَىٰ أَهْلِيكُمْ، فَأَقِيمُوا فِيهِمْ، وَعَلِّمُوهُم وَمُرُوهُمْ، وَصَلُّوا صَلَاةَ كَذَا فِي حِينِ كَذَا، وَصَلُّوا كَذَا فِي حِينِ كَذَا، فَإِذَا حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فَلْيُؤَذِّنْ لَكُمْ أَحَدُكُمْ، وَلْيَؤُمَّكُمْ أَكْبَرُكُمْ». متفق عليه.

زاد البخاري في رواية لَهُ: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

قَوْلُه: «رَحِيمًا رَفِيقًا» رُوِيَ بِفاءٍ وقافٍ، ورُوِيَ بقافَيْنِ.

(٧١٣/ ٩٦) وعن عمرَ بن الخطَّاب ﵁ قَالَ: اسْتَأْذَنْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي العُمْرَةِ، فَأَذِنَ، وقال: «لَا تَنْسَنَا يَا أُخَيَّ مِنْ دُعَائِكَ». فقالَ كَلِمَةً ما يَسُرُّنِي أَنَّ لِي بِهَا الدُّنْيَا.

وفي روايةٍ قَالَ: «أَشْرِكْنَا يَا أُخَيَّ فِي دُعَائِكَ». رواه أبو داود والترِّمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧١٤/ ٩٦) وعن سالم بن عبد الله بن عمر: أَنَّ عبد الله بن عُمَرَ ﵄ كَانَ يَقُولُ للرَّجُلِ إِذَا أَرَادَ سَفَرًا: أُدْنُ مني حتىٰ أُودِّعك كما كانَ رسولُ الله ﷺ يُوَدِّعُنَا، فَيَقُولُ: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وَأَمَانَتَكَ، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧١٥/ ٩٦) وعن عبد الله بن يزيدَ الخَطْمِيِّ الصحابيِّ ﵁ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُوَدِّعَ الجَيْشَ، قَالَ: «أَسْتَوْدِعُ اللهَ دِينَكُمْ وَأَمَانَتَكُمْ وَخَوَاتِيمَ أَعْمَالِكُمْ». حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

(٧١٦/ ٩٦) وعن أنسٍ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النبي ﷺ فَقَالَ: يَا رسولَ الله، إِنِّي أُرِيدُ سَفَرًا، فَزَوِّدْنِي، فَقَالَ: «زَوَّدَكَ اللهُ التَّقْوَىٰ». قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَغَفَرَ ذَنْبَكَ». قَالَ: زِدْنِي، قَالَ: «وَيَسَّرَ لَكَ الخَيْرَ حَيْثُمَا كُنْتَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

٩٧- باب الاستخارة والمشاورة

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال الله تَعالَىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ٣٨]؛ أي: يَتَشَاوَرُونَ بَيْنَهُمْ فِيهِ.

(٧١٧/ ٩٧) وعن جابر رضي الله عنه قالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعَلِّمُنَا الاسْتِخَارَةَ في الأُمُورِ كُلِّهَا كَالسُّورَةِ مِنَ القُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأمرِ فَلْيَركعْ ركعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الفَرِيضَةِ، ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَخِيرُكَ بِعِلْمِكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإِنَّكَ تَقْدِرُ وَلَا أَقْدِرُ، وَتَعْلَمُ وَلَا أعْلَمُ، وَأَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ. اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَيْرٌ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ، فاقْدُرْهُ لي وَيَسِّرْهُ لِي، ثُمَّ بَارِكْ لي فِيهِ، وَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ شَرٌّ لِي فِي دِينِي وَمَعَاشِي وَعَاقِبَةِ أَمْرِي»، أَوْ قَالَ: «عَاجِلِ أَمْرِي وَآجِلِهِ؛ فَاصْرِفْهُ عَنِّي، وَاصْرِفْنِي عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِيَ الخَيْرَ حَيْثُ كَانَ، ثُمَّ أَرْضِنِي بِهِ». قَالَ: وَيُسَمِّي حَاجَتَهُ. رواه البخاري.

* * *

(الاستخارة)

الاستخارة أن تسألَ اللهَ أن يمنحَك خير الأمرين لك، حيث تحتاج أحدَهما.

وصلاة الاستخارة هي: أن يُصلِّي المرءُ ركعتين من غير الفريضة في أيِّ وقتٍ من الليل أو النهار، يقرأ فيهما ما يشاء بعد الفاتحة، ثم يحمد الله ويصلي علىٰ نبيِّه ﷺ، ثم يدعو بالدعاء الذي رواه البخاري من حديث جابر رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ الاسْتِخَارَةَ فِي الأُمُورِ كُلِّهَا كَمَا يُعَلِّمُهُمُ السُّورَةَ مِنَ الْقُرْآنِ، يَقُولُ: «إِذَا هَمَّ أَحَدُكُمْ بِالأَمْرِ فَلْيَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ مِنْ غَيْرِ الْفَرِيضَةِ...» الحديث البخاري برقم (١١٦٦).

وأما إذا تعذَّر علىٰ المرء الصلاةُ لسبب أو لآخر فله أن يدعوَ ربَّه بهذا الدعاء.

واعلم أن الاستخارةَ لا تتوقف علىٰ رؤيةِ منامٍ يُفهم منه فِعلُ ما استخار المرء فيه أو تركه.

يقول النَّوويُّ رحمه الله: وينبغي أن يفعلَ بعد الاستخارةِ ما ينشرح صَدْرُه له، ولا يعتمد علىٰ انشراحٍ سابقٍ كان فيه هوًىٰ قبل الاستخارة، بل ينبغي للمُستخير تَرْكُ اختيارِه رأسًا، وإلا فلا يكون مُستخيرًا لله، بل يكون غيرَ صادقٍ في طلب الخِيَرة، وفي التبرِّي من العلم والقدرة وإثباتِها لله وحده، فإذا صَدَق في ذلك تبرَّأ من الحول والقوة ومن اختياره لنفسه.

والأفضلُ للعبدِ أن يجمعَ بين الاستخارةِ والاستشارة؛ فإن ذلك من كمالِ الامتثال للسُّنة، ومَن ترَكَ الاستخارةَ والاستشارةَ يُخاف عليه من التَّعَب فيما أخذ بسبيله؛ لدخوله في الأشياء بنفسه من دون الامتثال للسُّنة المُطهَّرة وما أَحْكَمَتْه في ذلك.

قال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستخارةُ في الأمور المباحة وفي المستحبات إذا تعارضا في البدء بأحدهما (أي: إذا احتار المرء بأيهما يبدأ)، أما الواجباتُ وأصلُ المُستحَبَّات والمُحرَّمات والمكروهات فكلُّ ذلك لا يُستخار فيه. وقال أيضًا: الحكمةُ في تقديم الصلاة علىٰ دعاء الاستخارة: أن المرادَ حصولُ الجَمْع بين خيري الدنيا والآخرة، فيحتاج إلىٰ قرع باب الملك، ولا ي لذلك أَنْجَعُ ولا أنجحُ من الصلاة؛ لما فيها من تعظيم الله والثناء عليه والافتقار إليه، مآلًا وحالًا.

وقال بعضُ أهل العلم: من أُعْطِي الاستخارةَ لم يُمنع الخِيَرة.

وقال بعضُ الأُدَباء: ما خاب من استخار، ولا ندم من استشار.

والاستخارة دليلٌ علىٰ ثقة الإنسان في ربِّه وتعلُّق قلبه به، في سائر أحواله، وهي مخرجٌ من الحيرة والشك، وراحةٌ للبال والنفس.

(الشورى)

المشورة والشورىٰ والمشاورة، وهي كلمةٌ تدلُّ علىٰ أَخْذ شيءٍ من شيء، وهو مشتقٌّ من شَوْر العسل: أي اجتناء العسل، فكأن المستشير يأخذ الرأي من غيره.

فالشورىٰ معناها: استنباطُ المرءِ الرأيَ من غيره فيما يَعرِض له من مشكلاتِ الأمور التي يتردد فيها بين الفعل والترك. واعلم أن مِن الحزم ألا يُبرم المرء أمرًا ولا يُمضي عزمًا إلا بمشورة ذي الرأي الناصح ومراجعة ذي العقل الراجح.

فإن الله تعالىٰ أمر بالمشورة نبيَّه ﷺ مع ما تكفَّل به من إرشاده ووعد به من تأييده، فقال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. قيل: إنما أَمَر بمشاورتهم تألُّفًا لقلوبهم وليستنَّ به المسلمون ويتبعه فيها المؤمنون، وإن كان عن مشورتهم غنيًّا. فالمشورة حِصنٌ من الندامة وأمان من الملامة والعتاب.

وفي هذا قال عمر ابن الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الرجال ثلاثة: رجل تَرِدُ عليه الأمور فيُسدِّدها برأيه، ورجل يُشاور فيما أُشكِل عليه ويَنزِل حيث يأمر أهلُ الرأي، ورجل جائرٌ بائِرٌ (أي: طاغ فاسد) لا

يأتمر رشدًا ولا يُطيع مرشدًا. وكان أبو بكر الصديق ﵁ إذا ورد عليه أمرٌ نظر في كتاب الله، فإن وجد فيه ما يقضي به قضىٰ به، وإن وجده من سنة رسول الله ﷺ قضىٰ به، وإن لم يجد خرج وسأل المسلمين عن السنة، فإن أعياه ذلك دعا رءوس المسلمين وعلماءهم واستشارهم.

وقال عليُّ بن أبي طالب ﵁: نِعم المؤازرة (أي: النصرة) المشاورة، وبئس الاستعداد الاستبداد (أي: بالرأي).

قال عمر بن عبد العزيز ﵁: إن المشاورةَ والمناظرة بَابَا رحمة، ومِفْتاحَا بركة، لا يضلُّ معهما رأي، ولا يُفقد معهما حزم.

وقال سَيْفُ بن ذي يَزَن: مَن أُعجِب برأيه لم يُشاوِر، ومن استبدَّ برأيه كان من الصواب بعيدًا.

وقال الحسنُ البصريُّ ﵀: والله ما استشار قومٌ قطُّ إلا هُدُوا لأفضل ما بحَضْرتهم. ثم تلا: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

قال الشافعيُّ ﵀: إنما يُؤمَر الحاكمُ بالمشورة لكون المُشير يُنبِّهه علىٰ ما يغفل عنه ويدلَّه علىٰ ما لا يستحضره من الدليل، لا ليقلِّد المشير فيما يقوله؛ فإن الله لم يجعل هذا لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ.

وقيل في منثور الحِكَم: المشاورة راحةٌ لك وتعبٌ علىٰ غيرك (أي: أنك تستريح بأخذ آراء عقول الناس الذين أجهدوا أنفسهم من أجلك).

وقال بعضُ الحكماء: الاستشارة عين الهداية، وقد خاطر من استغنىٰ برأيه.

وقال أيضًا بعض الحكماء: ما خاب مَنِ استخار، ولا ندم من استشار.

وقال بعضُ الأدباء: مِن حقِّ العاقل أن يُضيف إلىٰ رأيه آراءَ العقلاء ويجمع إلىٰ عقله عقولَ الحكماء، فالرأي الفذُّ المنفرد ربما زلَّ، والعقل الفرد ربما ضلَّ.

قال ابنُ عَطِيَّة ﵀: الشورىٰ من قواعد الشريعة وعزائم الأحكام.

وقال أيضًا ﵀: مَن وَلِيَ أمرًا لم يُشاور أهل العلم والرأي والدين فعَزْلُه عن ولايته واجب، وهذا ما لا خلاف فيه بين العلماء وقد مدح اللهُ المؤمنين بقوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشورىٰ: ٣٨].

وقال ابن خُوَيْز مَنْدَاد رَحِمَهُ اللَّهُ: واجبٌ علىٰ الولاة مشاورةُ العلماء (أي: يقصد: أهل العِلم والتخصُّص في نوعِ المشورة) فيما لا يعلمون، وفيما أشكل عليهم مِن أمور الدين، ووجوه الجيش فيما يتعلق بالحرب، ووجوه الناس فيما يتعلق بالمصالح (أي: من أمور الدنيا)، ووجوه الكتاب والوزراء والعمال فيما يتعلق بمصالح البلاد وعمارتها.

وعلىٰ العموم واجبٌ عليه مشاورة أهل كلِّ فنٍّ وعلم فيما يتعلق بفنهم وعلمهم، فيشاور أهل الدعوة في الدعوة إلىٰ الله، وأهل العلم في التعليم، وهكذا.

وقال الحسنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: ما كمل دينُ امرئٍ ما لم يكمل عقله، وإذا استُشير من هذه صفته واجتهد في رأيه للصلاح وبذل جهده ثم وقعت مشورته علىٰ خطأ فلا إثم ولا غرامة عليه.

قال القُرْطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: صفة المستشار في أمور الدنيا أن يكون عاقلًا، مُجرِّبًا وادًّا (أي: محبًّا) في المستشير. كما قال رَحِمَهُ اللَّهُ: والشورىٰ مبنيَّة علىٰ اختلاف الآراء، والمستشير ينظر في ذلك الخلاف وينظر أقربها إلىٰ الأصول من الكتاب والسنة إن أمكن ذلك، فإذا أرشده الله إلىٰ ما شاء منها عزم عليها وأنفذ الرأي متوكلًا علىٰ الله، وهذا غاية الاجتهاد المطلوب.

وقال بعضُهم: شاوِرْ مَن جرَّب الأمور؛ فإنه يُعطيك مِن رأيه ما دَفَع عليه غاليًا وأنت تأخذه مجانًا.

صفات المستشار: وإذا عزم المرءُ علىٰ المشورة فإنه يطلب لها أهلَها، وأهل المشورة من استُكملت فيه خمس خصال نسأل الله أن نكون من أهلها:

إحداها: عقلٌ كامل مع تجربة سالفة، فإنه بكثرة التجارب تصح الرؤية.

وقيل في الحكمة: استرشدوا العاقل تَرْشُدوا، ولا تَعْصُوه فتندموا.

وقال حكيمٌ لابنه: احذر مشاورة الجاهل وإن كان ناصحًا، كما تحذر عداوة العاقل إذا كان عدوًّا، فإنه يُوشك أن يُورِّطك بمشاورته.

وقيل لرجل من قبيلةٍ كبيرة علىٰ سبيل المدح: ما أكثَرَ صوابَكم! (أي: إعجابًا بحسن رأيهم) فقال: نحن ألفُ رجل، ولكن فينا رجل حازم نُطيعه، فأصبحنا كأننا ألف حازم (أي: وهذه من فوائد المشاورة).

وقال حكيمٌ: إياك ومشاورة رجلين: شابٍّ مُعجَبٍ بنفسه قليل التجارب في غيره، أو رجل كبير قد أخذ الدَّهر من عقله كما أخذ من جسمه.

وفي منثور الحِكَم: كلُّ شيء يحتاج إلىٰ العقل، والعقل يحتاج إلىٰ التجارب.

وقال بعضُ الحكماء: التجارب ليست لها نهاية، والعاقل منها في طلبٍ وزيادة.

وقيل: من استعان بذوي العقول فاز بإدراك المأمول.

الثانية: أن يكون ذا دين وتُقًىٰ، فإن من غلب عليه الدين فهو مأمون السريرة موفق العزيمة.

الثالثة: أن يكون ناصحًا ودودًا، فإن النصح والمودة يصدقان الفكرة ويخلصان الرأي. قال حكيمٌ: لا تُشاور إلا الحازمَ غير الحسود، واللبيبَ غير الحقود.

وقال بعضُهم: مشورة الودود الحازم ظَفَرٌ، ومشورة غير الحازم خَطَرٌ.

الرابعة: أن يكون سليمَ الفكر من الهموم والشواغل، وإلا فلن يَسْلم له رأي ولن يستقيم له خاطر، فهو مهموم مشغول البال، وكان كِسْرىٰ حاكم الفرس وحكيمهم إذا أهمَّه أمرٌ بعث إلىٰ مستشاريه، فإذا لاحظ عليهم تقصيرًا في الرأي تنبَّه وأرسل للمسئولين عن أرزاقهم فضربهم وعنَّفهم وقال لهم: أبطأتم عليهم في أرزاقهم، فقصَّروا وأخطئوا في آرائهم. وهذا من ذكائه وفطنته.

الخامسة: ألا يكون له في الأمر المستشار غرض ولا هوىٰ فاسد.

ومن استُكملت فيه هذه الخصال الخمس كان أهلًا للمشورة ومحلًّا للرأي في الموضوع المناسب له، وإلا فلكلِّ فنٍّ وعلمٍ أهله وأصحابه.

وقد قيل: رأسُ العقل بعد الإيمان بالله التودُّد إلىٰ الناس، وما استغنىٰ مستبدٌّ برأيه، وما هلك أحد من مشورة، فإذا أراد الله بعبدٍ هلكة كان أول ما يُهلكه رأيه.

وقال بعض الحكماء: نصف رأيك مع أخيك، فشاوره ليكمل لك الرأي.

وقال حكيم: من استغنىٰ برأيه ضلَّ، ومن اكتفىٰ بعقله زلَّ.

وقال حكيم : الخطأ مع المشورة والاسترشاد أحمد وأفضل من الصواب مع الاستبداد بالرأي.

ولا يظنُّ المستشير أنه إنما يشاور الناس لضعف رأيه وفساد رؤيته ونقص عقله، فقد شاور من هم أفضل رأيًا وأعقل، وأغنىٰ عن المشاورة، ولا كذلك يكون إعطاء الرأي

للتباهي والافتخار، وإنما للمنفعة والصلاح وللبعد عن الخطأ والضرر.

وقال بعضُ العلماء: إذا أشكلت عليك الأمور وتغيَّر لك الجمهور فارجع إلىٰ رأي العقلاء وافزع إلىٰ استشارة العلماء، ولا تأنَفْ من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمرار، فَلَأَنْ تسأل وتَسْلم خيرٌ لك من أن تستبدَّ وتندم.

واعلم أن يدَ الله مع الجماعة، وقلما يضلُّ عن رأي الجماعة رأيٌ.

وقيل في منثور الحِكَم: مَن أَكْثَرَ المشورةَ لم يَعْدِمَ (أي: يفقد) عند الصواب مادحًا، وعند الخطأ عاذرًا، وإن كان الخطأ من الجماعة بعيدًا.

وقال بعضُ أهل العلم: إذا استشار الكبيرُ جماعةً واختلفوا عليه في الآراء وانفرد كلُّ واحد برأيٍ فله أن يفعل أمرين: أحدهما: أن يستنفر (أي: يُرَغِّب) في كلِّ واحدٍ في أسباب رأيه ويناقشها معه أمام الجماعة، فإنه مع الجماعة لا يبقىٰ خلل ولا زلل إلا ظهر وبان.

والثاني: أن يستشير كلَّ واحدٍ منفردًا ليستفرغ منه الجهد والطاقة؛ لأنه في الغالب عند اجتماع الجماعة، فإن للآراء الأولىٰ تأثيرًا في تكوين آراء بقية الجماعة.

وله أن يفعلَ أيَّهما، وليعلم أن التشاورَ علىٰ انفراد مع بعضِ أهل الشورىٰ أَقْدَحُ للذهن وأفضل في إعمال الذهن، والتشاور علىٰ الملأ أبلغ للوصول للرأي السديد، والله أعلم. وينبغي لأهل الشورىٰ أن يَسْلَموا من الحسد والتنافس المذموم.

وللمشورة بركة علىٰ المستشير؛ إذ إنها تمنحه ثلاثَ خصالٍ:

إحداها: اختبار عقله ورؤيته وتقييمه لذاته.

الثانية: معرفة عقل أصحابه وصواب رأيهم ومدىٰ فهمهم.

الثالثة: استيضاح المهم والمجهول من الآراء، وافتتاح ما أغلق عليه الفهم من الصواب. وليس علىٰ المستشار إلا الاجتهاد في الرأي، وليس عليه ضمان النجاح، فإن المقادير غالبة، وعليه ألا يُحاسب من استشاره، وإلا فإنه لن يُمَدَّ أو يعان بعد ذلك بمشورةٍ، ويصبح منفردًا معزولًا، فالمستشار مؤتمن وليس بضامنٍ.

واعلم أن الرأي السديد كالضالة المفقودة، تؤخذ أين وُجدت، سواء كان الذي عثر عليها كريمًا أو مهينًا، فإن اللؤلؤ لا يضرُّه أن صياده مَهِينٌ وفقير، والحكمة والدُّرَّة لا تُترك

بسبب ضعف ومهانة وذلة مُعطيها، فلا تحقرنَّ مستشارًا إذا كان ذا رأي، وإنما لك المنفعة من الرأي وعليك بالعزم بعد الرأي، ولا تتوانَ في فعله وإمضائه؛ لأن الزمان متقلب، والفرص قليلة المكوث.

وقد قيل لـمَلِكٍ زال عنه مُلْكُه: ما الذي سَلَبَ مُلْكَكَ؟ قال: تأخيري عملَ اليوم لغدٍ.

وينبغي لمن نصَّبه الناس مستشارًا لهم أن يُؤدِّي حقَّ النعمة بإخلاص النية والضمير، ويبذل النصح بأمانة وإخلاص.

وإذا لاحظتَ أن المستشار قد صار مُعجبًا برأيه دائمًا وتكبَّر به علىٰ الناس فهذا مما تحذر مشاورته، فليس للمُعجَب رأي ولا رؤية سليمة، إذ ربما يخون أو يضن بالرأي لعداوةٍ أو لحسد، فيستعمل التورية أو المكر، واحذر العدوَّ ولا تَثِقْ بحَسُود.

ولا يجوز لمن استُشير أن يخون حتىٰ ولو كان المستشير عدوًّا، فلا يكتم رأ يًا، ولا يخون وقد اؤتمن. ولكن لا تُعطِ المشورةَ إلا إذا طُلِبت منك، ولا تتبرع بالرأي إلا بما أوجب الشرع، وإنما يكون الرأيُ مقبولًا إذا كان عن رغبة وطلب أو لباعث وسبب، إلا إذا كان إعطاء الرأي أمرًا مطروحًا علىٰ العموم فلك أن تُعطي رأيك ولا حرج.

قال لُقمان لابنه: يا بُني، إذا استُشِرت فَأَشِرْ، وإذا استعُنت فأَعِنْ، وإذا استُشرت فلا تعجل حتىٰ تَنْظُرَ.

ولا غِنَىٰ لوليِّ الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالىٰ أمر بها نبيَّه ﷺ فقال الله تعالىٰ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

وقد رُوي عن أبي هريرة ﵁ قال: لم يكن أحدٌ أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. الترمذي برقم (١٧١٤).

وقد قيل: إن اللهَ أمر بها نبيه لتأليف قلوب أصحابه، وليقتدي به مَن بعده، وليستخرج منهم الرأي فيما لم ينزل فيه وحيٌ، من أمر الحروب، والأمور الجزئية وغير ذلك، وإلا فغَيْره ﷺ أولىٰ بالمشورة.

وقد أثنىٰ اللهُ علىٰ المؤمنين بذلك في قوله تعالىٰ: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۖ

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ٣٦ وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧ وَٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِرَبِّهِمۡ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمۡرُهُمۡ شُورَىٰ بَيۡنَهُمۡ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٨﴾ [الشورى: ٣٦-٣٨].

فإذا استشار وليُّ الأمر من رعيته من بيَّن له ما يجب اتباعه من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين فعليه اتباع ذلك، ولا طاعة فيما عدا ذلك، وإن كان رجلًا عظيمًا في الدين والدنيا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ [النساء: ٥٩].

وإن كان ما يتشاورون فيه قد تنازع فيه أهل الشورىٰ، فينبغي عليه أن يستخرج من كلٍّ منهم رأيه، فأي الآراء كان أشبه بكتاب الله وسنة رسوله عمل به؛ كما قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ٥٩﴾ [النساء: ٥٩].

ومتىٰ أمكن في الحوادث والمشكلات معرفةُ ما دلَّ عليه الكتاب والسنة كان هو الواجب في الأخذ به، فإذا ضاق الوقت علىٰ صاحب الأمر أو عجز أو تساوت الأمور عنده أو غير ذلك فله:

١- أن يتَّبع في الرأي والمشورة من يرتضي علمه ودينه. وهو أقوىٰ الأقوال.

٢- ألا يتبع أحدًا، وليس له أن ينفرد برأيه علىٰ سبيل الاستبداد بالرأي، وإنما له ذلك إذا رأىٰ أنه الأصلح والأفضل لجماعته وحسابه علىٰ الله، كما فعل أبو بكر الصديق رضي الله عنه حينما انفرد برأيه في حروب الردة حتىٰ لانت له الجماعة ووافقوا علىٰ رأيه، فهذا هو سبيل الانفراد بالرأي الأنسب للحفاظ علىٰ روح الجماعة.

٣- أن يتبع من يرىٰ رأيه مناسبًا بكل حال، قال الله تعالىٰ: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن: ١٦]، وقال تعالىٰ: ﴿فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ١٧٣﴾ [البقرة: ١٧٣].

الفرق بين الشورى والديمقراطية:

الديمقراطية مصطلحٌ يوناني قديم، مُؤلَّفٌ من لفظين: الأول «ديموس» ومعناه

الشعب، والآخر «كراتوس» ومعناه سيادة؛ فيكون معنىٰ الديمقراطية هو «سيادة الشعب» أو «حكم الشعب».

وهي نظام سياسيٌّ اجتماعيٌّ، تكون فيه السيادة لجميع المواطنين، حيث يُوفِّر لهم المشاركةَ الحرة في صُنع التشريعات التي تُنظِّم الحياةَ العامة، وهي كنظامٍ سياسيٍّ تقوم علىٰ حكم الشعب لنفسه، مباشرةً أو بوساطة مُمثِّلين مُنتخَبين بحرية كاملة كما يُزعم.

أما كونُ الديمقراطية اجتماعيةً، فأنها أسلوبُ حياةٍ يقوم علىٰ المساواة وحرية الرأي والتفكير.

وأما كونها اقتصادية، فأنها تُنظِّم الإنتاجَ، وتصون حقوق العمال، وتُحقِّق العدالةَ الاجتماعية.وإنَّ تشعُّبَ معاني الديمقراطية، وتعدُّدَ النظريات بشأنها، علاوة علىٰ تميُّز أنواعها وتعدُّد أنظمتها، والاختلاف حول غاياتها، ومحاولة تطبيقها في مجتمعاتٍ ذات قيم وتكوينات اجتماعية وتاريخية مختلفة؛ كل ذلك يجعل مسألة تحديد نمطٍ ديمقراطيٍّ دقيق وثابت مسألةً غير واردة عمليًّا، إلا أن للنظام الديمقراطيِّ ثلاثةَ أركانٍ أساسية:

أ- حكم الشعب. ب- المساواة. جـ- الحرية الفكرية.

ومعلومٌ استغلالُ الدول لهذا الشعار البراق الذي لم يجد تطبيقًا حقيقيًّا له علىٰ أرض الواقع، حتىٰ في أعرق الدول ديمقراطية كما يقال. ومعلوم أيضًا تعارُض بعضِ مُكوِّنات هذا الشعار البَرَّاق الذي افتُتن به البعضُ مع أحكام الإسلام. إذًا الديمقراطية تعتمد رأي الأكثرية مهما كان شأنها، سواء كانوا أهل رأي أو غير ذلك، فلهم رأي الأغلبيَّة.

أما الشورىٰ في الإسلام؛ فإنها تعتمد آراء العلماء والأتقياء والمخلصين وأهل الرأي وأهل الاختصاص والعقل الكامل والأوصاف التي ذكرناها في صفات أهل الشورىٰ سابقًا. ولا تكون المشورة في النصوص القطعية الواضحة، وإنما في الأمور العامة بين الحاكم والمحكومين، والأمير والمأمورين، فهي واجبة في حقِّه ومُلزِمة له. أما المشورة في الأمور الخاصة بين أفراد الأسرة والمجتمع فأمر مسنون محبوب، ولا يستشار في ذلك إلا مَن عُرف بأمانته وإخلاصه وعلمه. علىٰ أن يتصف بالأمانة والمهارة في الأمر المطلوبِ التشاورِ فيه؛ ﴿إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ٢٦﴾ [القصص: ٢٦].

❊ ❊ ❊

٩٨- باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريقٍ والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة

(٧١٨/ ٩٨) عن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا كَانَ يومُ عيدٍ خَالَفَ الطَّرِيقَ. رواه البخاري.

قَوْله: «خَالَفَ الطَّرِيقَ» يعني: ذَهَبَ في طريقٍ، وَرَجَعَ في طريقٍ آخَرَ.

(٧١٩/ ٩٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَخْرُجُ مِنْ طَرِيقِ الشَّجَرَةِ وَيَدْخُلُ مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ (أي: وهو مسجد ذي الحليفة، يبعد ستة أميال من المدينة)، وَإِذَا دَخلَ مَكَّةَ، دَخَلَ مِن الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا (أي: وهي طريق وعر في الجبل)، وَيَخْرُجُ مِنَ الثَّنِيَّةِ السُّفْلَىٰ. متفق عليه.

٩٩- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم

كالوُضُوءِ وَالغُسْلِ وَالتَّيَمُّم، وَلُبسِ الثَّوْبِ وَالنَّعْلِ وَالخُفِّ وَالسَّرَاوِيلِ وَدُخولِ المَسْجِدِ، وَالسِّوَاكِ، وَالاكْتِحَالِ، وَتقليم الأظْفارِ، وَقَصِّ الشَّارِبِ، وَنَتْفِ الإبطِ، وَحلْقِ الرَّأسِ، وَالسَّلامِ مِنَ الصَّلَاةِ، وَالأكْلِ، والشُّربِ، وَالمُصافحَةِ، وَاسْتِلَام الحَجَرِ الأَسْوَدِ، والخروجِ مِنَ الخلاءِ، والأَخْذِ والعَطَاءِ، وغيْرِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ في مَعْنَاهُ. ويُسْتَحَبُّ تقديمُ اليسارِ في ضِدِّ ذَلِكَ: كالامْتِخَاطِ وَالبُصَاقِ عَنِ اليسار، ودخولِ الخَلاءِ، والخروجِ منَ المَسْجِدِ، وخَلْعِ الخُفِّ والنَّعْلِ والسراويلِ والثوبِ، والاسْتِنْجَاءِ وفِعلِ المُسْتَقْذَرَاتِ وأشْبَاهِ ذَلِكَ.

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾﴾ [الحاقة: ١٩].

وقال تعَالَىٰ: ﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾﴾ [الواقعة: ٨، ٩].

(٧٢٠/ ٩٩) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُعْجِبُهُ التَّيَمُّنُ في شَأنِهِ كُلِّهِ: في طُهُورِهِ، وَتَرَجُّلِهِ، وَتَنَعُّلِهِ. متفق عليه.

(٧٢١/ ٩٩) وعنها قالت: كَانَتْ يَدُ رسولِ الله ﷺ اليُمْنَىٰ لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتْ يَدُهُ الْيُسْرَىٰ لِخَلائِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًىٰ. حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بإسناد صحيح.

(٧٢٢/ ٩٩) وعن أم عطية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال لهُنَّ في غَسْلِ ابْنَتِهِ زينب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**ابْدَأْنَ بِمَيَامِنِهَا، وَمَوَاضِعِ الوُضُوءِ مِنْهَا**». متفق عليه.

(٧٢٣/ ٩٩) وعن أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا انْتَعَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِالْيُمْنَىٰ، وَإِذَا نَزَعَ فَلْيَبْدَأْ بِالشِّمَالِ. لِتَكُنِ اليُمْنَىٰ أَوَّلَهما تُنْعَلُ، وَآخِرَهُمَا تُنْزَعُ**». متفق عليه.

(٧٢٤/ ٩٩) وعن حفصة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يجعلُ يَمِينَهُ لِطَعَامِهِ وَشَرَابِهِ وَثِيَابِهِ، وَيَجْعَلُ يَسَارَهُ لِمَا سِوَىٰ ذَلِكَ. رواه أبو داود والتِّرمذي وغيرهما.

(٧٢٥/ ٩٩) وعن أَبي هُريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**إِذَا لَبِسْتُمْ، وَإِذَا تَوَضَّأْتُمْ، فَابْدَءوا بِأَيَامِنِكُمْ**». حديث صحيح، رواه أبو داود والتِّرمذي بإسناد صحيح.

(٧٢٦/ ٩٩) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أتىٰ مِنًىٰ، فَأَتَىٰ الجَمْرَةَ فَرَمَاهَا، ثُمَّ أَتَىٰ مَنْزِلَهُ بِمِنًىٰ وَنَحَرَ، ثُمَّ قَالَ لِلحَلَّاقِ: «**خُذْ**» وأَشَارَ إِلَىٰ جَانِبِهِ الأَيْمَنِ ثُمَّ الأَيْسَرِ، ثُمَّ جَعَلَ يُعْطِيهِ النَّاسَ. متفق عليه.

وفي رواية: لمَّا رمَىٰ الجَمْرَةَ، وَنَحَرَ نُسُكَهُ (أي: ذبائحه المتقرب بها إلىٰ الله) وَحلَقَ، نَاوَلَ الحَلَّاقَ شِقَّهُ الأَيمَنَ فَحلَقهُ، ثُمَّ دَعَا أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصارِيَّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ، ثُمَّ نَاوَلَهُ الشِّقَّ الأَيْسَرَ، فَقَالَ: «احْلِقْ»، فَحَلَقَهُ فَأَعْطَاهُ أَبَا طَلْحَةَ، فقَالَ: «**اقْسِمْهُ بَيْنَ النَّاسِ**».

* * *

٢- كتاب أدب الطعام

(آداب الاجتماع للطعام والضيافة)

إن مَقصِدَ أصحاب العقول هو الوصول للقاء الله تعالىٰ علىٰ أحسن حال، ولا يكون هذا إلا بالعلم والعمل، والمعين علىٰ ذلك سلامة الأبدان، وهذا أيضًا لا يكون إلا بالطعام والشراب؛ لهذا قال بعضُ الصالحين: إن الأكل من الدين، وعليه نبَّه رب العالمين في قوله تعالىٰ: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾﴾ [المؤمنون: ٥١].

ولهذا كان سببًا موصلًا لمرضاة الله تعالىٰ، أي سببًا للدين، فينبغي أن تظهر عليه أنوار هذا الدين المبارك. وإنما أنوار هذا الدين المبارك هو الآداب والسنن التي تقود العبد إلىٰ جلب الحسنات ودَفْع السيئات، حتىٰ لو كان فيها حظٌّ للنفس.

ولأن الطعام ضرورة من ضرورات الحياة فقد جاء الإسلام بآداب وسنن لتهذيب سلوكيات بني آدم تُجاهه، وآداب الطعام منها ما هو قبل الأكل ومنها ما هو مع الأكل، وأخيرًا ما هو بعد الفراغ من الأكل.

آداب الاجتماع على الطعام: من هذه الآداب:

- ألا نبدأ في تناول الطعام ومعنا من هو مُستحِقٌّ للتقديم ويجب أن نبدأ به بسبب فضل في دينه أو دنياه أو عُمُرِه؛ قال رسولُ الله ﷺ: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهُمْ» [أبو داود برقم (٤٨٤٢)]، فإذا كان الضيف كريمًا وعظيمًا ومُقدَّمًا فلا ينبغي أن يؤخَّر.
- التكلم بالمعروف وحكايات الصالحين علىٰ الطعام، وإلا فالسكوت أولىٰ.
- ألا تظلم غيرك بالنَّهَم والشراهة في الأكل، بل تُؤثر الناس علىٰ نفسك.
- إذا وَجْدتَ في صاحبك عدم رغبة في الطعام فلا تَزِدْ علىٰ أن تقول له: كُلْ، أكثر من ثلاث مرات؛ فإن ذلك إلحاح وإفراط؛ لأن ذلك كان فِعل النبي ﷺ، فليس من الأدب

الزيادة عليه، والحلف ممنوع علىٰ الطعام.

قال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الطعام أهون من أن يُحلَف عليه.

• ألا تُحوِج رفيقك أو صاحب الضيافة إلىٰ أن يقول لك: كُلْ. بل تبسَّط بسهولة وأدب حين الطعام، ما دام قد وُضع لك.

قال جعفر بن محمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يتبيَّن جود الرجل ومحبة الرجل لأخيه بجودة أكله في منزله (أي: أن يأكل بلا حرج، ولا تكلف).

• ألا يفعل ما يُستقذر منه من أفعالٍ في أثناء الأكل، سواء بالفعل أو القول.

• أن يقوم صاحب المنزل بخدمة ضيفه ما استطاع، فهكذا فعل مالكٌ بالشافعيِّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في أول نزول الشافعيِّ عليه ضيفًا، مع أن مالكًا ـ وهو من هو ـ العالم الكبير المشهور صاحب الفضل والشرف، ومع ذلك فالشافعي ضيفه.

• ألا يُراقبهم في أثناء تناولهم الطعام؛ فإن ذلك مما يُسبِّب الحياء للضيوف.

• يُستحب تقديم الطعام للأصدقاء، قال عليٌّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لأن أجمع إخواني علىٰ صالح من طعام أحبُّ إليَّ من أن أُعتق رقبة. وقال ابن عمر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مِن كرم المرء طِيبُ زادِه في سفره، وبَذْلُه لأصحابه. وقال الحسنُ البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كلُّ نفقة يُنفقها الرجل علىٰ نفسه وأبويه فمَن دونَهم يُحاسب عليها لا شك، إلا نفقة الرجل علىٰ إخوانه في الطعام، فإن الله يستحيي أن يسأل عن ذلك. والله أعلم.

• ألا يتكلف الداعي للطعام ما لا يُطيق فيرهق نفسه ويسبب الحرج لضيوفه. قال الفضيل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إنما تقاطع الناس بالتكلف (أي: لتكلفهم في الضيافة، مما عسَّر عليهم رد الضيافة بما يقابلها). وقد دعا رجلٌ عليًّا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، فقال له عليٌّ: أُجيبك علىٰ ثلاث شرائط: لا تُدخل من السوق شيئًا، ولا تَدَّخِر ما في البيت، ولا تُجحف بعيالك.

• ألا يقترح الزائرُ علىٰ صاحب البيت طعامًا بعينه، بل يختار أيسره، إلا إذا علم الزائر أو الضيف فَرَحَ صاحبِ البيت بذلك، كما فعل الشافعيُّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مع الزعفراني، حيث طلب

صنفًا من الطعام زيادةً علىٰ ما يُقدَّم له كلَّ يوم، ففَرِحَ بذلك صاحبُ الدار، بل وأعتق الجارية التي قامت بذلك.

ولهذا قيل: الأكل علىٰ ثلاثة أنواع:

– مع الفقراء بالإيثار، أي بتقديمهم علىٰ نفسك في أثناء الطعام.

– ومع الإخوان بالانبساط، أي بأن تأكل بشهيَّة مفتوحة من دون إفراط.

– ومع أبناء الدنيا بالأدب؛ وذلك لأنهم يُراقبون سلوكك.

• أن يحاول صاحبُ الدار أن يتلمَّس من أخيه الزائر اقتراحًا بنوع الطعام الذي يُحبه، فهذا في حق صاحب البيت مَكْرُمة، وفيه فضل وأجر عظيم، حيث يكون من باب إدخال السرور علىٰ أخيك المسلم، وهو من الأبواب العظيمة.

• لا ينبغي إذا زارك أخٌ لك أن تقول له: هل تأكل؟ أو: هل أُقدِّم إليك كذا؟ ولكن قَدِّم، فإن أكل وإلا فارفع الطعام كما قال سفيان الثوري.

• لا تَدخُلْ علىٰ قومٍ يأكلون قاصدًا وقت طعامهم؛ فإنه ليس من السنة، وفيه من المفاجأة ما قد يبعث علىٰ الضرر؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

آداب الضيافة:

• ينبغي ألا يقصد بطعامه الفُسّاق، بل يحرص علىٰ الأتقياء وأصحاب الدين، فهذا النبيُّ ﷺ قال: «لَا تُصَاحِبْ إِلَّا مُؤْمِنًا، وَلَا يَأْكُلْ طَعَامَكَ إِلَّا تَقِيٌّ» [أبو داود برقم (٤٨٣٢)، الترمذي برقم (٢٣٩٥)، وقال: حديث حسن، وحسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٣٤١)]، ودعا كذلك لصاحب وليمة فقال: «أَكَلَ طَعَامَكُمُ الْأَبْرَارُ» [أبو داود برقم (٣٨٥٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١١٣٧)].

فهذه دعوة فيها توجيه أن يحرص المرء علىٰ أن يطعم الأتقياء والأبرار، وأن يراعي

الفقراء في دعوته، ولا يغفل دائمًا عنهم، بل يحرص علىٰ دعوتهم ما استطاع، قال رسول الله ﷺ: «شَرُّ الطَّعَامِ طَعَامُ الْوَلِيمَةِ؛ يُدْعَىٰ لَهَا الأَغْنِيَاءُ، وَيُتْرَكُ الْفُقَرَاءُ» [متفق عليه].

• ألا يُهمل الأقارب والأرحام، ويُراعي الترتيب والأولوية والأهمية؛ فإن فيها صلة أرحامٍ.

• ألا يقصد بدعوته المفاخرة والمباهاة، بل يقصد تأدية السنة في إطعام الطعام.

• ألا يدعو من تشقُّ عليه الإجابة لسبب من الأسباب، كالمرض أو بُعد المسافة أو ارتباط أو ظروف خاصة.

• ألا يدعو من يتأذىٰ الحاضرون- خاصة أصحاب الفضل منهم- من وجوده، وهذا خلاف دعوات الصُّلح أو الدعوة.

• ألا تدعو من لا تُحب أن يُجيبوك بالموافقة علىٰ هذه الدعوة من الظلمة أو الفسقة.

قال سفيان الثوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن دعا أحدًا إلىٰ طعام وهو يكره الإجابةَ فعليه خطيئة؛ فإن أجاب المدعو فعليه خطيئته؛ لأنه حَمَلَه علىٰ الأكل.

وإطعامُ التَّقِيِّ إعانة علىٰ الطاعة، وإطعام الفاسق تقوية علىٰ الفسق، فلا ينبغي معاونة أهل الفسق علىٰ ذلك.

قال رجل خيَّاطٌ لابن المبارك: أنا أخيط ثيابًا للظلمة، فهل أكون من أعوان الظلمة؟ قال: لا، إنما أعوان الظلمة من يشتري ويبيع منك الخيط والإبرة فيعاونك، أما أنت فمن الظلمة أنفسهم.

• ألا تميز إذا دعيت إلىٰ طعام أو وليمة بالقبول بين الغني والفقير، فقد كان رسول الله ﷺ يقبل دعوة العبد والمسكين.

• أن تقبل الدعوة ممن يرىٰ شرفًا في دعوتك لا العكس؛ فقد قيل: لا تُجِبْ إلا دعوةَ مَن يرىٰ أنك أكلتَ رزقك، وأنه سلَّم إليك وديعةً كانت لك عنده، ويرىٰ الفضلَ لك عليه في قبول تلك الوديعة منه.

• ألا يمتنع عن إجابة الدعوة حتىٰ لو كان صائمًا تطوعًا، فله أن يُفطر إن كان متطوعًا في صومه، ويحتسب الأجر في إفطاره، لو كان هذا يَسُرُّ أخاه ويُدخل علىٰ قلبه السرور، إلا إذا كان صاحب الدعوة للطعام مفاخرًا متباهيًا فَلْيتعلَّل المَدْعُوُّ بعلة يُحافظ بها

علىٰ صومه، وهذا إن كان قبل صلاة العصر، وإلا فليكمل صومه وليحسن مجالستهم والحديث معهم. ويُروىٰ أن أبا سعيدٍ صنع طعامًا، فدعا النبيَّ وأصحابه، فقال: كلوا. فقال رجلٌ منهم: أنا صائمٌ. فقال رسول الله ﷺ: «تَكَلَّفَ لَكَ أَخُوكَ وَصَنَعَ طَعَامًا، فَأَفْطِرْ وَصُمْ يَوْمًا غَيْرَهُ إِنْ أَحْبَبْتَ». الدارقطني في سننه (٢/ ١٧٨) برقم (٢٦).

وقال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: مِن أفضل الحسنات إكرامُ الجلساء بالإفطار.

• أن يمتنع عن إجابة الدعوة إذا تبيَّن له أن الطعام يغلب عليه الكسب الحرام؛ أو إذا كانت هناك أفعال منكرة مُصاحِبة للطعام، أو إذا كان الداعي من الفسقة أو الظلمة أو الأشرار أو متباهيًا رياءً للناس.

• ألا ينوي الإجابةَ فقط لقضاء شهوة البطن، فإن فعل ذلك فقد حُرِم الثوابَ العظيم حيث إنه يستطيع أن ينوي:

– الاعتداد بالسنة، فعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْ دُعِيتُ إِلَىٰ كُرَاعٍ (أي: جزء صغير من الساق) أو ذِرَاعٍ لأَجَبْتُ، وَلَوْ أُهْدِيَ إِلَيَّ كُرَاعٌ أو ذِرَاعٌ لَقَبِلْتُ» البخاري برقم (٢٥٦٨).

– الحذر من المعصية، ففي الحديث: «مَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّعْوَةَ فَقَدْ عَصَىٰ اللهَ وَرَسُولَهُ» أحمد في المسند (٢/ ٦١) برقم (٥٢٦٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح لغيره.

– ينوي إكرام أخيه المسلم بقبول دعوته للطعام.

– ينوي إدخال السرور علىٰ قلب الداعي للطعام.

– ينوي زيارته؛ لأن الزيارة شرط في حديث المحبة؛ فعن مُعاذ بن جبل رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عز وجل: وَجَبَتْ مَحَبَّتِي للمتحابين فِيَّ والمتجالسين فِيَّ والمتَزَاوِرِينَ فِيَّ والمتباذلين فِيَّ». مالك في «موطئه» (٢/ ٩٥٣) برقم (١٧١١)، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٣٣١).

– ينوي صيانة نفسه عن إساءة الظن به إذا امتنع عن الإجابة فقد يُحمل علىٰ تكبُّر أو استحقار للطعام المقدم.

وإذا كانت النية صالحة في الطاعات والمباحات فيكون لها الأجر والثواب، وأما إن كانت في المنهيات فلا، فمن نوىٰ إدخال السرور علىٰ قلب أخيه أو إكرامه بقبول شراب الخمر مثلًا لم تنفعه النية في ذلك وصارت معصية وإثمًا.

آداب الحضور في المأدُبةِ:

• أن يدخل المكان متواضعًا، ويجلس بالتواضع، ولا يختار أفضل الأماكن تكبرًا، بل يتركها لمن هو أفضل منه، ولو عيَّن له صاحبُ الدار مكانًا فلا يتعدَّاه.

• ألا يجلس في مكان تظهر فيه عورات المنزل وحرماته.

• ألا يكثر النظر لموضع إعداد وخروج الطعام؛ فإنه دليل علىٰ الشره.

• أن يخص بالتحية والسؤال من قَرُب منه من الجلوس.

• علىٰ صاحب الدار أن يُعلِمَ الزائرَ حين يدخل، باتجاه القِبلة، وموضعِ غَسْل الأيدي والوضوء، كما فعل مالكٌ بالشافعي رضي الله عنهما.

• علىٰ صاحب البيت أن يغسل يديه قبل الزوار ليسهل عليه مساعدتهم علىٰ تناول الطعام بيديه.

آداب إحضار الطعام:

• تعجيل تقديم الطعام للضيوف، فذلك من إكرامهم المطلوب؛ ففي الحديث: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ» متفق عليه.

• وحق الحاضر أن يُكرَم ولا يؤخَّر بسبب بعض المتأخرين، إلا إن كان في ذلك ما يُؤذيه إن كان من أصحاب الفضل أو كان من المساكين الصالحين.

قال حاتم الأصمُّ: العجلة من الشيطان إلا في خمسةٍ: إطعام الضيف، وتجهيز الميت، وتزويج البكر، وقضاء الدين، والتوبة من الذنب، وفعل الخيرات.

• تقديم الألوان المختلفة من الطعام دَفْعةً واحدة، مع الحرص علىٰ تقديم الألطف دائمًا

للضيوف. وكان من سنن المتقدمين أن يُقدِّموا جملةَ ألوان الطعام دَفْعة واحدة، ثم يرتبوا بعد ذلك أطباق الطعام علىٰ المائدة ليسهل علىٰ كلِّ أَحَدٍ أن يأكل ما يشتهي.

• ولا تقل لصاحب الدار: اجعل هذا الطعام بأَخَرَةٍ. أي: في آخر الطعام؛ فقد لا يكون عنده إلا ذاك الطعام؛ فإن هذا مما يُخجله.

• ألا يبادر صاحب الضيافة إلىٰ رفع الطعام قبل أن يُكملوا طعامهم.

• أن يقدم ما استطاع قدر الكفاية، وإلا فإنه نَقْصٌ في المروءة.

• عليه أن يعزل نصيب أهل البيت والخدم أوَّلًا؛ لئلا تضيق صدورهم بالضيوف.

• ليس للضيف أن يقول لصاحب الدار: كُلْ.

• من الأدب أن يخرج صاحب الدار مع الضيف إلىٰ باب الدار، وهو سنة، وهذا من إكرام الضيف.

• من تمام إكرام الضيف: طلاقة الوجه له، وطيب الحديث معه عند الدخول وعند الخروج وعلىٰ المائدة؛ قيل للأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما كرامة الضيف؟ قال: طلاقة الوجه وطيب الحديث.

• علىٰ الضيف أن يخرج طيِّبَ النفس وإن جرىٰ في حقه التقصير، فذلك من حُسن الخلق والتواضع المأمور بهما.

• ألا يخرج الضيف إلا برضا صاحب الدار وإذنه، ويُراعي في ذلك قلبه، ولنعلم أن الرسول ﷺ قال: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، فَمَا زَادَ فَهُوَ صَدَقَةٌ». أحمد في مسنده (٣/ ٣٧) برقم (١١٣٤٣)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩٠١)

• علىٰ صاحب الدار إذا أراد أن يُضيِّفَ أحدَ أصدقائه ليبيت عنده أن يجعل له فراشًا خاصًّا نظيفًا لائقًا؛ قال ﷺ: «فِرَاشٌ لِلرَّجُلِ، وَفِرَاشٌ لامْرَأَتِهِ، وَفِرَاشٌ لِلضَّيْفِ، وَالرَّابِعُ لِلشَّيْطَانِ». مسلم برقم (٢٠٨٤).

❊ ❊ ❊

١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره

(٧٢٧/ ١٠٠) عن عُمَرَ بن أبي سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه.

(٧٢٨/ ١٠٠) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُرِ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ، فإنْ نَسِيَ أَنْ يَذْكُرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ فِي أَوَّلِهِ، فَلْيَقُلْ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٢٩/ ١٠٠) وعن جابرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إذَا دَخَلَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَذَكَرَ اللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِهِ وَعِنْدَ طَعَامِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ لأَصْحَابِهِ: لَا مَبِيتَ لَكُمْ وَلَا عَشَاءَ. وَإذَا دَخَلَ فَلَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ دُخُولِهِ، قَالَ الشَّيْطَانُ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ. وَإذَا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ عِنْدَ طَعَامِهِ قَالَ: أَدْرَكْتُمُ المَبِيتَ وَالعَشَاءَ». رواه مسلم.

(٧٣٠/ ١٠٠) وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا حَضَرْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ طَعَامًا، لَمْ نَضَعْ أيدِينَا حَتَّىٰ يَبْدَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَيَضَعَ يَدَهُ. وَإِنَّا حَضَرْنَا مَعَهُ مَرَّةً طَعَامًا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ كَأَنَّهَا تُدْفَعُ (أي: كأن هناك من يدفعها؛ كناية عن شدة سرعتها)، فَذَهَبَتْ لِتَضَعَ يَدَهَا فِي الطَّعَامِ، فَأَخَذَ رسولُ الله ﷺ بِيَدِهَا، ثُمَّ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ كَأَنَّمَا يُدْفَعُ، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الشَّيْطَانَ يَسْتَحِلُّ الطَّعَامَ أَلَّا يُذْكَرَ اسمُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ جَاءَ بهذِهِ الجارِيةِ لِيَسْتَحِلَّ بِهَا، فَأَخَذْتُ بِيَدِهَا، فَجَاءَ بهذا الأعرابِيِّ لِيَسْتَحِلَّ بِهِ، فَأَخذْتُ بِيَدِهِ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إنَّ يَدَهُ فِي يَدِي مَعَ يَدَيْهِمَا». ثُمَّ ذَكَرَ اسْمَ اللهِ تَعَالَىٰ وَأَكَلَ. رواه مسلم.

(٧٣١/ ١٠٠) وعن أُمَيَّةَ بن مَخْشِيٍّ الصحابِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ جَالِسًا وَرَجُلٌ يَأْكُلُ، فَلَمْ يُسَمِّ اللهَ حَتَّىٰ لَمْ يَبْقَ مِنْ طَعَامِهِ إِلَّا لُقْمَةٌ، فَلَمَّا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ. فَضَحِكَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَا زَالَ الشَّيْطَانُ يَأْكُلُ مَعَهُ، فَلَمَّا ذَكَرَ اسمَ اللهِ اسْتَقَاءَ مَا فِي بَطْنِهِ». رواه أبو داود والنَّسائي.

(٧٣٢/ ١٠٠) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَأْكُلُ طَعَامًا فِي سِتَّةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَأَكَلَهُ بِلُقْمَتَيْنِ (أي: أكل كل الطعام بلقمتين). فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَمَا إِنَّهُ لَوْ سَمَّىٰ لَكَفَاكُمْ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٣٣/ ١٠٠) وعن أَبي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَفَعَ مَائِدَتَهُ، قَالَ: «الحَمْدُ للهِ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبارَكًا فِيهِ، غَيْرَ مَكْفِيٍّ، وَلَا مُوَدَّعٍ، وَلَا مُسْتَغْنًىٰ عَنْهُ رَبَّنَا». رواه البخاري.

(٧٣٤/ ١٠٠) وعن معاذ بن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أكلَ طَعَامًا فقال: الحَمْدُ للهِ الَّذِي أطْعَمَنِي هَذَا وَرَزَقَنِيهِ مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلَا قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن.

١٠١- باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه

(٧٣٥/ ١٠١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: مَا عَابَ رسولُ الله ﷺ طَعَامًا قطُّ؛ إن اشْتَهَاهُ أكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ. متفق عليه.

(٧٣٦/ ١٠١) وعن جابر رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سَأَلَ أهْلَهُ الأُدْمَ، فقالوا: مَا عِنْدَنَا إِلَّا خَلٌّ. فَدَعَا بِهِ فَجَعَلَ يَأْكُلُ، ويقولُ: «نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ، نِعْمَ الأُدْمُ الخَلُّ». رواه مسلم.

١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يُفطر

(٧٣٧/ ١٠٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دُعِيَ أحَدُكُمْ فَلْيُجِبْ، فَإِنْ كَانَ صَائِمًا فَلْيُصَلِّ، وَإِنْ كَانَ مُفْطِرًا فَلْيَطْعَمْ». رواه مسلم.

قَالَ العلماءُ: مَعْنَىٰ «فَلْيُصَلِّ»: فَلْيَدْعُ. ومعنىٰ «فَلْيَطْعَمْ»: فَلْيَأْكُلْ.

١٠٣- باب ما يقوله من دُعي إلى طعام فتبعه غيره

(٧٣٨/ ١٠٣) عن أبي مسعود البَدْريِّ رضي الله عنه قَالَ: دعا رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ لَهُ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَتَبِعَهُمْ رَجُلٌ، فَلَمَّا بَلَغَ البَابَ، قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إِنَّ هَذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ، وَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ». قَالَ: بل آذَنُ لَهُ يَا رَسُولَ الله. متفق عليه.

١٠٤- باب الأكل مما يليه ووعظه وتأديبه من يسيء أكلَهُ

(٧٣٩/ ١٠٤) عن عمر بن أبي سَلَمَةَ رضي الله عنهما قَالَ: كُنْتُ غُلامًا في حِجْرِ رسولِ الله ﷺ (أي: في تربيته وتحت نظره) وَكَانَتْ يَدِي تَطِيشُ فِي الصَّحْفَةِ، فَقَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «يَا غُلامُ، سَمِّ اللهَ تَعَالَىٰ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه.

قَوْله: «تَطِيشُ» بكسرِ الطاء وبعدها ياءٌ مثناة من تَحْت، معناه: تتحرك وتمتد إِلَىٰ نَوَاحِي الصَّحْفَةِ.

(٧٤٠/ ١٠٤) وعن سلمةَ بن الأكْوَعِ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ الله ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ». قَالَ: لا أَسْتَطِيعُ. قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ». مَا مَنَعَهُ إِلَّا الكِبْرُ، فَمَا رَفَعَهَا إِلَىٰ فِيهِ. رواه مسلم.

١٠٥- باب النهي عن القِرَانِ بين التمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته

(٧٤١/ ١٠٥) عن جَبَلَة بن سُحَيْم قال: أصابنا عامُ سَنَةٍ (أي: أصابنا عامُ قَحْطٍ وجدب وفقر) مع ابن الزُّبَيْر فرُزِقْنَا تمرًا، وكَانَ عبدُ الله بنُ عُمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يمُرُّ بنا ونحن نأكُل، فيقولُ: لَا تُقارِنُوا، فإنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عنِ القِرانِ. ثُمَّ يَقُولُ: إلَّا أنْ يَسْتَأذِنَ الرَّجُلُ أخاهُ. متفق عليه.

١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع

(٧٤٢/ ١٠٦) عن وَحْشِيِّ بن حرب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ أصحابَ رسولِ الله ﷺ قالوا: يَا رسولَ اللهِ، إنَّا نَأكُلُ وَلَا نَشْبَعُ. قَالَ: «فَلَعَلَّكُمْ تَفْتَرِقُونَ؟». قالوا: نَعَمْ. قَالَ: «فَاجْتَمِعُوا عَلَىٰ طَعَامِكُمْ، وَاذْكُرُوا اسْمَ الله يُبَارَكْ لَكُمْ فِيهِ». رواه أبو داود.

١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها

فِيهِ قَوْلُهُ ﷺ: «وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ». متفق عليه كما سبق.

(٧٤٣/ ١٠٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسْطَ الطعَامِ؛ فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلَا تَأكُلُوا مِنْ وَسْطِهِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٤٤/ ١٠٧) وعن عبد الله بن بُسْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ للنَّبِيِّ ﷺ قَصْعَةٌ يُقَالُ لَهَا: الغَرَّاءُ (أي: تأنيث الأغر، بمعنىٰ الأبيض)، يَحْمِلُهَا أرْبَعَةُ رجالٍ، فَلَمَّا أضْحَوْا وَسَجَدُوا الضُّحَىٰ أُتِيَ بِتِلْكَ الْقَصْعَةِ؛ يعني وَقَدْ ثُرِدَ فيها (أي: وضع فيها الثريد، وهو طعام من اللحم والخبز المفتت)، فَالْتَفُّوا عَلَيْهَا، فَلَمَّا كَثُرُوا جَثَا (أي: جلس علىٰ الركبتين) رسولُ الله ﷺ. قَالَ أعرابيٌّ: مَا هٰذِهِ الجِلْسَةُ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ جَعَلَنِي عَبْدًا كَرِيمًا، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا عَنِيدًا». ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: «كُلُوا مِنْ حَوَالَيْهَا، وَدَعُوا ذِرْوَتَها يُبَارَكْ فِيها». رواه أبو داود بإسناد جيد.

«ذِرْوَتها»: أعْلَاهَا بكسر الذال وضمها.

١٠٨- باب كراهية الأكل متَّكئًا

(٧٤٥/ ١٠٨) عن أَبي جُحَيْفَةَ وَهْب بنِ عبدِ الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا آكُلُ مُتَّكِئًا». رواه البخاري. قَالَ الخَطَّابِيُّ: المُتَّكِئُ هُنَا: هُوَ الجالِسُ مُعْتَمِدًا عَلَىٰ وِطَاءٍ تحته، قَالَ: وأرادَ أنَّهُ لا يَقْعُدُ عَلَىٰ الوِطَاءِ وَالوَسَائِدِ كَفِعل مَنْ يُرِيدُ الإكْثَارَ مِنَ الطَّعَامِ، بل يَقْعُدُ مُسْتَوفِزًا (أي: غير مطمئن في الجلسة) لَا مُسْتَوطِئًا، ويَأكُلُ

بُلْغَةً (أي: ما يجعله يحيا). هَذَا كلامُ الخَطَّابيِّ، وأشارَ غيْرُهُ إِلَىٰ أنَّ المُتَّكِئَ هُوَ المائِلُ عَلَىٰ جَنْبِه، والله أعلم.

(٧٤٦/ ١٠٨) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: رَأَيْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم جَالِسًا مُقْعِيًا يَأكُلُ تَمْرًا. رواه مسلم.

«المُقْعِي»: هُوَ الَّذِي يُلْصِقُ أَلْيَتَيْهِ بالأرضِ وَيَنْصِبُ سَاقَيْهِ.

١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها

(٧٤٧/ ١٠٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا أَكَلَ أَحَدُكُمْ طَعَامًا، فَلَا يَمْسَحْ أَصَابِعَهُ حَتَّىٰ يَلْعَقَهَا أَوْ يُلْعِقَهَا». متفق عليه.

(٧٤٨/ ١٠٩) وعن كعبِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ: رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَأكُلُ بثَلَاثِ أصابعَ، فإذا فَرَغَ لَعِقَهَا. رواه مسلم.

(٧٤٩/ ١٠٩) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَمَرَ بِلَعْقِ الأَصَابِعِ وَالصَّحْفَةِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

(٧٥٠/ ١٠٩) وعنه: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِذَا وَقَعَتْ لُقْمَةُ أَحَدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًىٰ، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ، وَلَا يَمْسَحْ يَدَهُ بالمِنْدِيلِ حَتَّىٰ يَلْعَقَ أَصَابِعَهُ، فَإِنَّهُ لَا يَدْرِي فِي أَيِّ طَعَامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

(٧٥١/ ١٠٩) وعنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَحْضُرُ أَحَدَكُمْ عِنْدَ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَأْنِهِ حَتَّىٰ يَحْضُرَهُ عِنْدَ طَعَامِهِ، فإذَا سَقطَتْ لُقْمَةُ أَحدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا فَلْيُمِطْ مَا كَانَ بِهَا مِنْ أَذًىٰ، ثُمَّ لِيَأْكُلْهَا وَلَا يَدَعْهَا للشَّيْطَانِ، فإذا فَرَغَ فَلْيَلْعَقْ أصابِعَهُ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي فِي أَيِّ طعامِهِ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

(٧٥٢/ ١٠٩) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أَكَلَ طَعَامًا لَعِقَ أَصَابِعَهُ الثَّلَاثَ، وقال: «إِذَا سقطَتْ لُقْمَةُ أحدِكُمْ فَلْيَأْخُذْهَا، ولْيُمِطْ عنها الأذَىٰ، وَلْيَأْكُلْهَا، وَلَا يَدَعْهَا لِلشَّيْطَانِ». وأَمَرَنا أن نَسْلُتَ القَصْعَةَ (أي: نتبع الطعام الباقي فيها لنأكله)، وقال: «إِنَّكُمْ لا تَدْرُونَ فِي أَيِّ طَعَامِكُمُ البَرَكَةُ». رواه مسلم.

(٧٥٣/ ١٠٩) وعن سعيدِ بن الحارثِ أنَّه سأل جابرًا رضي الله عنه عنِ الوُضوءِ مِمَّا مَسَّتِ النَّارُ فَقالَ: لا، قَدْ كُنَّا زَمَنَ النبيِّ ﷺ لا نَجِدُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنَ الطَّعامِ إلَّا قليلًا، فإذا نَحْنُ وجَدْناهُ لَمْ يَكُنْ لنا مَنادِيلُ إلَّا أكُفَّنا، وسَواعِدَنا، وأقْدامَنا، ثُمَّ نُصَلِّي وَلَا نَتوَضَّأُ. رواه البخاري.

١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام

(٧٥٤/ ١١٠) عن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**طَعامُ الاثنينِ كافِي الثلاثةِ، وطَعامُ الثَّلَاثَةِ كافي الأربعةِ**». متفق عليه.

(٧٥٥/ ١١٠) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**طَعَامُ الوَاحِدِ يَكْفِي الاثْنَيْنِ، وَطَعَامُ الاثْنَيْنِ يَكْفِي الأَرْبَعَةَ، وَطَعَامُ الأَرْبَعَةِ يَكْفِي الثَّمانِيَةَ**». رواه مسلم.

١١١- باب آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء، وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ

(٧٥٦/ ١١١) عن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَتَنَفَّسُ في الشَّرابِ ثَلاثًا. متفق عليه.

يعني: يتنفس خارجَ الإناءِ.

(٧٥٧/ ١١١) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**لَا تَشْرَبُوا وَاحِدًا كَشُرْبِ البَعِيرِ، وَلَكِنِ اشْرَبُوا مَثْنَى وَثُلَاثَ، وَسَمُّوا إِذَا أَنْتُم شَرِبْتُمْ، وَاحْمَدُوا إِذَا أَنْتُمْ رَفَعْتُمْ**». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن.

(٧٥٨/ ١١١) وعن أَبي قَتادةَ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهىٰ أَنْ يُتَنَفَّسَ في الإناءِ. متفق عليه. يعني: يُتَنفَّسُ في نفسِ الإناءِ.

(٧٥٩/ ١١١) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بلَبَنٍ قَدْ شِيبَ بماءٍ، وَعَنْ يَمِينِه أَعْرابِيٌّ، وعن يسارِه أبو بكرٍ رضي الله عنه، فَشَرِبَ، ثُمَّ أعْطَىٰ الأَعرابيَّ، وقال: «**الأَيْمَنَ فالأَيْمَنَ**». متفق عليه.

قَوْله: «شِيبَ»؛ أي: خُلِطَ.

(٧٦٠/ ١١١) وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ أُتِيَ بشرابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ وَعَنْ يَمِينِهِ غُلامٌ وَعَنْ يَسارِهِ أشْياخٌ، فَقالَ للغُلامِ: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هؤُلَاءِ؟**». فَقالَ الغُلامُ: لا واللهِ، لا أُوثِرُ بنَصِيبي مِنْكَ أَحَدًا. فَتَلَّهُ رسولُ الله ﷺ في يَدِهِ. متفق عليه.

قَوْله: «تَلَّهُ» أي: وَضَعَهُ. وهذا الغلامُ هُوَ ابْنُ عباس رضي الله عنهما.

١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم

(٧٦١/ ١١٢) عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: نَهَىٰ رسولُ الله ﷺ عنِ اخْتِنَاثِ الأَسْقِيَةِ. يعني: أن تُكْسَرَ أفْوَاهُها، وَيُشْرَبَ مِنْهَا. متفق عليه.

(٧٦٢/ ١١٢) وعن أَبي هريرةَ ﷺ قَالَ: نَهَىٰ رسُولُ الله ﷺ أن يُشْرَبَ مِنْ فِي (أي: فم) السِّقَاءِ أَو القِرْبَةِ. متفق عليه.

(٧٦٣/ ١١٢) وعن أُمِّ ثابتٍ كَبْشَةَ بنتِ ثابتٍ أُختِ حَسَّانَ بن ثابتٍ ﷺ قالت: دخل عَلَيَّ رسولُ الله ﷺ فَشَرِبَ مِنْ فِي قِرْبَةٍ مُعَلَّقَةٍ قَائِمًا، فَقُمْتُ إِلَىٰ فِيهَا فَقَطَعْتُهُ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح. وإِنَّما قَطَعَتْهَا؛ لِتَحْفَظَ مَوْضِعَ فَمِ رسولِ الله ﷺ وَتَتَبرَّكَ بِهِ، وتَصُونَهُ عَنِ الابْتِذَالِ. وهذَا الحديثُ محمولٌ عَلَىٰ بيانِ الجوازِ، والحديثانِ السابقانِ لبيانِ الأفضلِ والأكملِ. واللهُ أعلمُ.

١١٣- باب كراهة النَّفْخِ في الشراب

(٧٦٤/ ١١٣) عن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنِ النَّفْخِ في الشَّرَابِ، فَقَالَ رَجُلٌ: القَذَاةُ (أي: الوسخ) أراها في الإِناءِ؟ فَقَالَ: «أَهْرِقْهَا». قَالَ: إِنِّي لَا أَرْوَىٰ مِنْ نَفَسٍ وَاحِدٍ؟ قَالَ: «فَأَبِنِ القَدَحَ إِذنْ عَنْ فِيكَ». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٦٥/ ١١٣) وعن ابن عباسٍ ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ نَهَىٰ أن يُتَنَفَّسَ في الإناءِ أَوْ يُنْفَخَ فِيهِ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا

فِيهِ حديث كبشة السابق، رقم ٧٦٣.

(٧٦٦/ ١١٤) وعن ابنِ عباسٍ ﷺ قَالَ: سَقَيْتُ النَّبيَّ ﷺ مِنْ زَمْزَمَ، فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ. متفق عليه.

(٧٦٧/ ١١٤) وعن النَّزَّالِ بنِ سَبْرَةَ ﷺ قَالَ: أَتَىٰ عَلِيٌّ ﷺ علىٰ بَابِ الرَّحَبَةِ (أي: المكان المتسع)، فَشَرِبَ قائِمًا، وقال: إِنِّي رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ فَعَلَ كما رَأَيْتُمُونِي فَعَلْتُ. رواه البخاري.

(٧٦٨/ ١١٤) وعن ابنِ عمرَ ﷺ قَالَ: كُنَّا عَلَىٰ عهدِ رسولِ الله ﷺ نَأْكُلُ وَنَحْنُ نمشِي، وَنَشْرَبُ ونَحْنُ قِيامٌ. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٦٩/ ١١٤) وعن **عمْرِو بنِ شُعيبٍ عن أبيه عن جَدِّهِ** ﷺ قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ يَشْرَبُ قَائِمًا وقَاعِدًا. رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٧٠/ ١١٤) وعن **أنسٍ** ﷺ: عن النبيِّ ﷺ أنه نَهى أن يَشْرَبَ الرَّجُلُ قَائِمًا. قال قتادة: فَقُلْنَا لأَنَسٍ: فالأَكْلُ؟ قَالَ: ذَاكَ أَشَرُّ أَوْ أَخبَثُ. رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: أنَّ النَّبيَّ ﷺ زَجَرَ عَن الشُّرْبِ قائِمًا.

(٧٧١/ ١١٤) وعن **أَبي هريرة** ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَشْرَبَنَّ أَحَدٌ مِنْكُم قَائِمًا، فَمَنْ نَسِيَ فَلْيَسْتَقِئْ». رواه مسلم.

١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا

(٧٧٢/ ١١٥) عن **أَبي قتادة** ﷺ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «ساقي القومِ آخِرُهُمْ شُرْبًا». رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

١١٦- باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد، وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

(٧٧٣/ ١١٦) وعن **أنسٍ** ﷺ قَالَ: حَضَرَتِ الصَّلَاةُ فقامَ مَن كَانَ قَريبَ الدَّارِ إِلَىٰ أَهْلِهِ، وبقِيَ قَوْمٌ، فأُتِيَ رسولُ الله ﷺ بِمِخْضَبٍ (أي: إناء صغير) مِنْ حِجَارَةٍ، فَصَغُرَ المِخْضَبُ أَنْ يَبْسُطَ فِيهِ كَفَّهُ، فَتَوَضَّأَ القَوْمُ كُلُّهُم. قالوا: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: ثَمَانِينَ وزيادةً. متفق عليه، هذه رواية البخاري.

وفي رواية له ولمسلم: أنَّ النبيَّ ﷺ دَعَا بإناءٍ مِنْ ماءٍ، فَأُتِيَ بقَدَحٍ رَحْرَاحٍ (أي: مُسطَّح مع اتساع فيه) فِيهِ شَيْءٌ مِنْ ماءٍ، فَوَضَعَ أصابعَهُ فِيهِ. قَالَ أنسٌ: فَجعلْتُ أَنْظُرُ إِلَىٰ الماءِ يَنْبُعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَحَزَرْتُ قَدَّرْتُ مَنْ تَوَضَّأَ مَا بَيْنَ السَّبْعِينَ إِلَىٰ الثَّمَانِينَ.

(٧٧٤/ ١١٦) وعن **عبدِ الله بن زيدٍ** ﷺ قَالَ: أَتَانَا النَّبِيُّ ﷺ فَأَخْرَجْنَا لَهُ مَاءً في تَوْرٍ مِنْ صُفْرٍ فَتَوَضَّأَ. رواه البخاريُّ.

و«الصُّفْر»: بضم الصاد، ويجوز كسرها، وَهُوَ النُّحاس. و«التَّوْر»: كالقدح، وَهُوَ بالتاء المثناة من فوق.

(٧٧٥/ ١١٦) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ دخَل علىٰ رجل من الأنصارِ ومعَه صاحبٌ لهُ، فقال رسولُ الله ﷺ: «إنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ باتَ هذِهِ اللَّيْلَةَ في شَنَّةٍ وَإلَّا كَرَعْنَا (أي: تناول الماء بفيه من غير أن يشرب بكفه ولا بإناء)». رواه البخاريُّ. «الشنُّ»: الْقِرْبَةُ.

(٧٧٦/ ١١٦) وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: إنَّ النَّبيَّ ﷺ نهانا عنِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاج (أي: الحرير الغليظ)، وَالشُّرْبِ في آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّة، وقالَ: «هِيَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ». متفق عليه.

(٧٧٧/ ١١٦) وعن أُمِّ سلمة رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ إنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ». متفق عليه.

وفي روايةٍ لمسلمٍ: «إنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ».

وفي روايةٍ لَهُ: «مَنْ شَرِبَ فِي إناءٍ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، فَإنَّمَا يُجَرْجِرُ فِي بَطْنِهِ نَارًا مِنْ جَهَنَّمَ».

❊ ❊ ❊

٣- كتاب اللباس

١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير

قال الله تعالَىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف: ٢٦].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ﴾ [النحل: ٨١].

(٧٧٨/ ١١٧) وعن ابنِ عباسٍ رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «الْبَسُوا مِنْ ثِيَابِكُم البَيَاضَ فَإنَّهَا مِنْ خَيْرِ ثِيَابِكُمْ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

(٧٧٩/ ١١٧) وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الْبَسُوا البَيَاضَ فَإنَّهَا أطْهَرُ وَأطْيَبُ، وَكَفِّنُوا فِيهَا مَوْتَاكُمْ». رواه النسائي والحاكم، وقال: حديث صحيح.

(٧٨٠/ ١١٧) وعن البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسُولُ الله ﷺ مَرْبُوعًا (أي: بين الطويل والقصير)، وَلَقَدْ رَأيْتُهُ في حُلَّةٍ (أي: الحلة: ثوبان، إزار ورداء ونحوهما) حَمْرَاءَ مَا رَأيْتُ شَيْئًا قَطُّ أحْسَنَ مِنْهُ. متفق عليه.

(٧٨١/ ١١٧) وعن أبي جُحَيْفَةَ وَهْب بن عبدِ الله رضي الله عنه قَالَ: رَأيتُ النبيَّ ﷺ بِمكَّةَ وَهُوَ بالأَبْطَحِ (أي:

مكان معروف خارج مكة) فِي قُبَّةٍ لَهُ حَمْرَاءَ مِنْ أَدَمٍ (أي: جلد مدبوغ)، فَخَرَجَ بِلَالٌ بِوَضُوئِهِ، فَمِنْ نَاضِحٍ (أي: الذي يأخذ من ماء وُضوء النبي ﷺ شيئًا يسيرًا) وَنَائِلٍ (أي: الذي ينال شيئًا أكثر من ماء وُضوء النبي ﷺ)، فَخَرَجَ النبيُّ ﷺ وعليه حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ بَيَاضِ سَاقَيْهِ، فَتَوَضَّأَ وَأَذَّنَ بِلَالٌ، فَجَعَلْتُ أَتَتَبَّعُ فَاهُ هاهُنا وَهاهُنا، يقولُ يَمِينًا وَشِمَالًا: حَيَّ عَلَىٰ الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَىٰ الفَلَاحِ. ثُمَّ رُكِزَتْ (أي: ثُبتت كسترة له) لَهُ عَنَزَةٌ، فَتَقَدَّمَ فَصَلَّىٰ يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ الْكَلْبُ وَالحِمَارُ لَا يُمْنَعُ. متفق عليه. «**العَنَزَةُ**». بفتح النون: نحو العُكَّازَة.

(٧٨٢/ ١١٧) وعن **أبي رِمْثَةَ رِفَاعَةَ التَّيمِيِّ** رضي الله عنه قَالَ: رأيتُ رسولَ الله ﷺ وعليه ثوبانِ أَخْضَرانِ.

رواه أبو داود والتِّرْمذي بإسناد صحيح.

(٧٨٣/ ١١٧) وعن **جابرٍ** رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ دَخَلَ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. رواه مسلم.

(٧٨٤/ ١١٧) وعن **أبي سعيدٍ عمرو بن حُرَيْثٍ** رضي الله عنه قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ وعليه عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ، قَدْ أَرْخَىٰ طَرَفَيْهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ خَطَبَ النَّاسَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

(٧٨٥/ ١١٧) وعن **عائشة** رضي الله عنها قالت: كُفِّنَ رسولُ الله ﷺ في ثلاثةِ أَثْوَابٍ بيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلَا عِمَامَةٌ. متفق عليه. «**السَّحُولِيَّة**»: بفتح السين وضمها وضم الحاء المهملتين: ثيابٌ تُنْسَبُ إِلَىٰ سَحُول: قَرْيَة باليَمنِ. «**والكُرْسُف**»: القُطْنُ.

(٧٨٦/ ١١٧) وعنها قالت: خرج رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ، وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعرٍ أَسْوَدَ. رواه مسلم. «**المِرْط**» بكسر الميم، وَهُوَ: كساءٌ. و«**المُرَحَّلُ**» بالحاء المهملة، هُوَ الَّذِي فِيهِ صورةُ رحال الإبل، وهِيَ الأَكْوَارُ (أي: الكور: الرحل).

(٧٨٧/ ١١٧) وعن **المغيرة بن شُعْبَةَ** رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ مَعَ رسولِ الله ﷺ ذاتَ لَيْلَةٍ فِي مسيرٍ فَقَالَ لِي: «**أَمَعَكَ مَاءٌ؟**». قلتُ: نَعَمْ. فَنَزَلَ عَنْ رَاحِلَتِهِ فَمَشَىٰ حَتَّىٰ تَوَارَىٰ (أي: استتر وغاب) فِي سَوَادِ اللَّيْلِ، ثُمَّ جاءَ فَأَفْرَغْتُ عَلَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ (أي: إناء صغير من جلد)، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ (أي: رداء يلبس فوق الثياب) مِنْ صُوفٍ، فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُخْرِجَ ذِرَاعَيْهِ مِنْهَا حَتَّىٰ أَخْرَجَهُمَا مِنْ أَسْفَلِ الجُبَّةِ، فَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ وَمَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ، فَقَالَ: «**دَعْهُمَا فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**». وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا. متفق عليه.

وفي رواية: وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ شَامِيَّةٌ ضَيِّقَةُ الكُمَّيْنِ. وفي رواية: أَنَّ هذِهِ القَضِيَّةَ كَانَتْ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ.

١١٨- باب استحباب القميص

(٧٨٨/ ١١٨) عن أُمِّ سَلَمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ أَحبَّ الثِّيَابِ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ الْقَمِيصُ. رواه أبو داود والتِّرمذي وقال: «حديث حسن».

١١٩- باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء

(٧٨٩/ ١١٩) عن أسماءَ بنتِ يزيد الأنصاريَّة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ كُمُّ قَمِيصِ رسولِ الله ﷺ إِلَىٰ الرُّسْغِ (أي: هو مفصل ما بين الكف والساعد). رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(٧٩٠/ ١١٩) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيلاءَ لَمْ يَنْظرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». فَقَالَ أَبو بَكْرٍ: يَا رسولَ الله، إنَّ إزاري يَسْتَرْخِي إِلَّا أنْ أَتَعَاهَدَهُ. فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّكَ لَسْتَ مِمَّنْ يَفْعَلُهُ خُيَلاءَ». رواه البخاري، وروىٰ مسلم بعضه.

(٧٩١/ ١١٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لا يَنْظُرُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلَىٰ مَنْ جَرَّ إزاره بَطَرًا (أي: كِبرًا)». متفق عليه.

(٧٩٢/ ١١٩) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ مِنَ الإزارِ فَفِي النارِ». رواه البخاري.

(٧٩٣/ ١١٩) وعن أَبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «ثلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قَالَ: فَقَرَأَهَا رَسُولُ الله ﷺ ثلاثَ مِرارٍ، قَالَ أَبُو ذرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا! مَنْ هُمْ يَا رسولَ اللهِ؟ قَالَ: «المُسْبِلُ (أي: الذي يُطيل ثوبه إلىٰ الأرض حين يمشي كِبرًا وخُيَلاء)، وَالمنَّانُ (أي: الذي يَمُنُّ بما أَعطىٰ)، وَالمُنَفِّقُ (أي: المُروِّج) سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكاذِبِ». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «المُسْبِلُ إزَارَهُ».

(٧٩٤/ ١١٩) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عَنِ النبيِّ ﷺ قَالَ: «الإِسْبَالُ فِي الإِزَارِ، وَالقَمِيصِ، وَالعِمَامَةِ، مَنْ جَرَّ شَيْئًا خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

(٧٩٥/ ١١٩) وعن أَبي جُرَيٍّ جابر بن سُلَيم رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَجُلًا يَصْدُرُ النَّاسُ عَنْ رَأْيِهِ (أي: يرجعون إليه ويقبلون قوله)، لا يَقُولُ شَيْئًا إِلَّا صَدَرُوا عَنْهُ. قُلْتُ: مَنْ هَذا؟ قالوا: رسولُ الله ﷺ. قُلْتُ: عَلَيْكَ السَّلامُ يا رسولَ الله- مرَّتين- قَالَ: «لا تَقُلْ: عَلَيْكَ السَّلامُ، عَلَيْكَ

السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوْتَىٰ، قُلْ: السَّلامُ عَلَيْكَ». قَالَ: قُلْتُ: أَنْتَ رسولُ اللهِ؟ قَالَ: **«أَنَا رسولُ اللهِ الَّذِي إِذَا أَصَابَكَ ضُرٌّ فَدَعَوْتَهُ كَشَفَه عَنْكَ، وَإِذَا أَصَابَكَ عَامُ سَنَةٍ** (أي: عام جدب) **فَدَعَوْتَهُ أَنْبَتَهَا لَكَ، وَإِذَا كُنْتَ بِأَرْضٍ قَفْرٍ أَوْ فَلَاةٍ فَضَلَّتْ رَاحِلَتُكَ فَدَعَوْتَهُ رَدَّهَا عَلَيْكَ»**. قَالَ: قُلْتُ: اعْهَدْ إِلَيَّ (أي: أوصني). قَالَ: **«لَا تَسُبَّنَّ أَحَدًا»**. قَالَ: فَمَا سَبَبْتُ بَعْدَهُ حُرًّا، وَلَا عَبْدًا، وَلَا بَعِيرًا، وَلَا شَاةً. **«وَلَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهُكَ، إِنَّ ذَلِكَ مِنَ المَعْرُوفِ، وَارْفَعْ إِزَارَكَ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ، فَإِنْ أَبَيْتَ فَإِلَى الكَعْبَيْنِ، وَإِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الإِزَارِ فَإِنَّهَا مِنَ المَخِيلَةِ** (أي: الخيلاء) **وَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المَخِيلَةَ، وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»**. رواه أبو داود والتِّرْمذي بإسناد صحيح وقال التِّرْمذي: «حديث حسن صحيح».

(٧٩٦/ ١١٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بينما رَجُلٌ يُصَلِّي مسبلٌ إِزَارَهُ، قَالَ لَهُ رسولُ اللهِ ﷺ: **«اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ»**. فَذَهَبَ فَتَوَضَّأَ، ثُمَّ جَاءَ، فَقَالَ: **«اذْهَبْ فَتَوَضَّأْ»**. فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، مَا لَكَ أَمَرْتَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ ثُمَّ سَكَتَّ عَنْهُ؟ قَالَ: **«إِنَّهُ كَانَ يُصَلِّي وَهُوَ مُسْبِلٌ إِزَارَهُ، وَإِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ صَلَاةَ رَجُلٍ مُسْبِلٍ»**. رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط مسلم.

(٧٩٧/ ١١٩) وعن قيسِ بن بشرٍ التَّغْلِبيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبِي -وكان جَلِيسًا لأَبِي الدَّرْدَاءِ- قَالَ: كَانَ بِدِمَشْقَ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يقال لَهُ: سهلُ بنُ الحَنْظَلِيَّةِ، وَكَانَ رَجُلًا مُتَوَحِّدًا (أي: يحب الوحدة والعزلة) قَلَّمَا يُجَالِسُ النَّاسَ، إِنَّمَا هُوَ صَلَاةٌ، فإذا فَرَغَ فَإِنَّمَا هُوَ تَسْبِيحٌ وَتَكْبِيرٌ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَمَرَّ بنا وَنَحْنُ عِنْدَ أَبِي الدَّرداءِ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدرداءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: بَعَثَ رسولُ اللهِ ﷺ سَرِيَّةً فَقَدِمَتْ، فَجَاءَ رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَلَسَ فِي المَجْلِسِ الَّذِي يَجْلِسُ فِيهِ رسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ لِرَجُلٍ إِلَىٰ جَنْبِهِ: لَوْ رَأَيْتَنَا حِينَ التَقَيْنَا نَحْنُ وَالعَدُوُّ، فَحَمَلَ فُلَانٌ وَطَعَنَ، فَقَالَ: خُذْهَا مِنِّي وَأَنَا الغُلَامُ الغِفَارِيُّ، كَيْفَ تَرَىٰ فِي قَوْلِهِ؟ قَالَ: مَا أُرَاهُ (أي: ما أظنه) إِلَّا قَدْ بَطَلَ أَجْرُهُ. فَسَمِعَ بِذَلِكَ آخَرُ، فَقَالَ: مَا أَرَىٰ بِذَلِكَ بَأْسًا. فَتَنَازَعَا حَتَّىٰ سَمِعَ رسولُ اللهِ ﷺ فَقَالَ: **«سُبْحَانَ اللهِ! لَا بَأْسَ أَنْ يُؤْجَرَ وَيُحْمَدَ»**. فَرَأَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ سُرَّ بِذَلِكَ، وَجَعَلَ يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ، وَيَقُولُ: أَأَنْتَ سَمِعْتَ ذَلِكَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فيقولُ: نَعَمْ. فما زال يُعِيدُ عَلَيْهِ حَتَّىٰ إِنِّي لَأَقُولُ: لَيَبْرُكَنَّ عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ. قَالَ: فَمَرَّ بِنَا يَوْمًا آخَرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْدَاءِ: كَلِمَةً تَنْفَعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: قَالَ لنا رسولُ اللهِ ﷺ:

«الْمُنْفِقُ عَلَىٰ الخَيْلِ (أي: المربوطة للجهاد في سبيل الله) كَالبَاسِطِ يَدَهُ بالصَّدَقَةِ لا يَقْبِضُهَا». ثُمَّ مَرَّ بِنَا يومًا آخرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداءِ: كَلِمَةً تَنْفعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «نِعْمَ الرَّجُلُ خُرَيمٌ الأسَدِيُّ! لولا طُولُ جُمَّتِهِ (أي: ما سقط علىٰ المنكبين من شعر الرأس) وَإسْبَالُ إزَارِهِ!». فَبَلَغَ ذَلِكَ خُرَيْمًا فَعجَّلَ، فَأَخَذَ شَفْرَةً فَقطَعَ بِهَا جُمَّتَهُ إِلَىٰ أُذُنَيْهِ، وَرَفعَ إزارَهُ إِلَىٰ أَنْصَافِ سَاقَيْهِ. ثُمَّ مَرَّ بِنَا يَوْمًا آخرَ، فَقَالَ لَهُ أَبُو الدَّرْداءِ: كَلِمَةً تَنْفعُنَا وَلَا تَضُرُّكَ. قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّكُمْ قَادِمُونَ عَلَىٰ إِخْوانِكُمْ، فَأَصْلِحُوا رِحَالَكُمْ، وَأَصْلِحُوا لِبَاسَكُمْ حَتَّىٰ تَكُونُوا كَأَنَّكُمْ شَامَةٌ فِي النَّاسِ؛ فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الفُحْشَ وَلَا التَّفَحُّشَ». رواه أبو داود بإسناد حسن، إلا قيس بن بشر؛ فاختلفوا في توثيقه وتضعيفه، وقد روىٰ له مسلم.

(٧٩٨/ ١١٩) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِزْرَةُ الْمُسْلِمِ إِلَىٰ نِصْفِ السَّاقِ، وَلَا حَرَجَ - أو: لَا جُنَاحَ - فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الكَعْبَيْنِ، فَمَا كَانَ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ فَهُوَ فِي النَّارِ، وَمَنْ جَرَّ إِزَارَهُ بَطَرًا لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٧٩٩/ ١١٩) وعن ابن عُمرَ رضي الله عنهما قَالَ: مررتُ عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ وفي إِزَاري استرخاءٌ، فَقَالَ: «يَا عبدَ اللهِ، ارْفَعْ إِزَارَكَ». فَرَفَعْتُهُ ثُمَّ قَالَ: «زِدْ». فَزِدْتُ، فَمَا زِلْتُ أَتَحَرَّاهَا بَعْدُ. فَقَالَ بَعْضُ القَوْمِ: إِلَىٰ أَينَ؟ فَقَالَ: إِلَىٰ أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ. رواه مسلم.

(٨٠٠/ ١١٩) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خُيَلاءَ لَمْ يَنْظُرِ اللهُ إِلَيْهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: فَكَيْفَ تَصْنَعُ النِّسَاءُ بِذُيُولِهِنَّ؟ قَالَ: «يُرْخِينَ شِبْرًا». قالت: إِذَنْ تَنْكَشِفَ أَقْدَامُهُنَّ. قَالَ: «فَيُرْخِينَهُ ذِرَاعًا لَا يَزِدْنَ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا

قَدْ سَبَقَ فِي بَابِ فَضْلِ الجُوعِ وَخشُونَةِ العَيْشِ جُمَلٌ تَتَعَلَّقُ بهذا الباب.

(٨٠١/ ١٢٠) وعن معاذِ بنِ أنسٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ تَرَكَ اللِّبَاسَ تَوَاضُعًا للهِ، وَهُوَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ، دَعَاهُ اللهُ يَومَ القِيَامَةِ عَلَىٰ رُءوسِ الخَلائِقِ حَتَّىٰ يُخَيِّرَهُ مِنْ أَيِّ حُلَلِ الإِيمَانِ شَاءَ يَلْبَسُهَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس
ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي

(٨٠٢/ ١٢١) عن عَمْرِو بنِ شُعَيبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُرَىٰ أَثَرُ نِعْمَتِهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير على الرجال،
وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء

(٨٠٣/ ١٢٢) عن عُمرَ بنِ الخطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ؛ فَإِنَّ مَنْ لَبِسَهُ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ». متفق عليه.

(٨٠٤/ ١٢٢) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «إِنَّمَا يَلْبَسُ الحَرِيرَ مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «مَنْ لَا خَلَاقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ». قَوْله: «مَنْ لا خلاقَ لَهُ» أي: لَا نَصِيبَ لَهُ.

(٨٠٥/ ١٢٢) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا لَمْ يَلْبَسْهُ فِي الآخِرَةِ». متفق عليه.

(٨٠٦/ ١٢٢) وعن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: رَأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم أَخَذَ حَرِيرًا، فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَذَهَبًا فَجَعَلَهُ فِي شِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هٰذَيْنِ حَرَامٌ عَلَىٰ ذُكُورِ أُمَّتِي». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٨٠٧/ ١٢٢) وعن أَبِي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «حُرِّمَ لِبَاسُ الحَرِيرِ وَالذَّهَبِ عَلَىٰ ذُكُورِ أُمَّتِي، وَأُحِلَّ لِإِنَاثِهِمْ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٨٠٨/ ١٢٢) وعن حذيفةَ رضي الله عنه قَالَ: نَهَانَا النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم أَنْ نَشْرَبَ فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وأَنْ نَأْكُلَ فِيهَا، وعَنْ لُبْسِ الحَرِيرِ وَالدِّيبَاجِ، وأَنْ نَجْلِسَ عَلَيْهِ. رواه البخاري.

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة

(٨٠٩/ ١٢٣) عن أنسٍ رضي الله عنه قال: رَخَّصَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لِلزُّبَيْرِ وعبدِ الرحمنِ بنِ عَوْفٍ رضي الله عنهما فِي لُبْسِ الحَرِيرِ لِحِكَّةٍ بِهِمَا. متفق عليه.

١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها

(٨١٠/ ١٢٤) عن معاوية ﷺ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَرْكَبُوا الخَزَّ (أي: ثياب من صوف وحرير) وَلَا النِّمَارَ (أي: جلود النمور)». حديث حسن، رواه أبو داود وغيره بإسناد حسن.

(٨١١/ ١٢٤) وعن أَبِي المَلِيحِ، عن أبيه ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ نَهَىٰ عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ. رواه أبو داود والتِّرمذي والنسائي بأسانيد صحاح.

وفي روايةٍ للترمذيِّ: نَهَىٰ عَنْ جُلُودِ السِّبَاعِ أَنْ تُفْتَرَشَ.

١٢٥- باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا أو نعلا أو نحوه

(٨١٢/ ١٢٥) عن أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا اسْتَجَدَّ ثوبًا سَمَّاهُ باسْمِهِ- عِمَامَةً، أَوْ قَمِيصًا، أَوْ رِدَاءً- يقولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ كَسَوْتَنِيهِ، أَسْأَلُكَ خَيْرَهُ وَخَيْرَ مَا صُنِعَ لَهُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهِ وَشَرِّ مَا صُنِعَ لَهُ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس

هَذَا الباب قَدْ تقدم مقصوده، وذكرنا الأحاديث الصحيحة فِيهِ.

* * *

٤- كتاب آداب النوم والاضطجاع والقعود والمجلس والجليس والرؤيا

١٢٧- باب ما يقوله عند النوم

(٨١٣/ ١٢٧) عن البَرَاءِ بن عازِبٍ ﷺ قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ نَامَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نفسي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْك، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيكَ،

آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ». رواه البخاري بهذا اللفظ في كتاب الأدب من صحيحه.

(٨١٤/ ١٢٧) وعنه قَالَ: قَالَ لِي رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ...». وَذَكَرَ نَحْوَهُ، وفِيهِ: «وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ». متفق عليه.

(٨١٥/ ١٢٧) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ إِحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً، فَإِذا طَلَعَ الفَجْرُ صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّىٰ يَجِيءَ المُؤَذِّنُ فَيُؤْذِنَهُ (أي: يعلمه بالصلاة). متفق عليه.

(٨١٦/ ١٢٧) وعن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ مِنَ اللَّيْلِ وَضَعَ يَدَهُ تَحْتَ خَدِّهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِاسْمِكَ أَمُوتُ وَأَحْيَا». وَإِذَا اسْتَيْقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ للهِ الَّذِي أَحْيَانَا بَعْدَمَا أَمَاتَنَا وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (أي:البعث يوم القيامة)». رواه البخاري.

(٨١٧/ ١٢٧) وعن يَعِيشَ بن طِخْفَةَ الغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ أَبِي: بينما أَنَا مُضْطَجِعٌ فِي المَسْجِدِ عَلَىٰ بَطْنِي إِذَا رَجُلٌ يُحَرِّكُنِي بِرِجْلِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ هٰذِهِ ضِجْعَةٌ يُبْغِضُهَا اللهُ». قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٨١٨/ ١٢٧) وعن أَبِي هريرةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضجعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ، كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ». رواه أبو داود بإسناد حسن. «التِّرَةُ»: بكسر التاء المثناة من فوق، وَهِيَ: النقص، وقِيلَ: التَّبِعَةُ.

١٢٨- باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى إذا لم يُخَف انكشافُ العورة وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا

(٨١٩/ ١٢٨) عن عبدِ الله بنِ زيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه رأىٰ رسولَ الله ﷺ مُسْتَلْقِيًا فِي المَسْجِدِ، وَاضِعًا إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَىٰ الأُخْرَىٰ. متفق عليه.

(٨٢٠/ ١٢٨) وعن جابرِ بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ الفَجْرَ تَرَبَّعَ فِي مَجْلِسِهِ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ حَسْنَاءَ (أي: نقية بيضاء زالت منها الصفرة). حديث صحيح، رواه أبو داود وغيره بأسانيد صحيحة.

(٨٢١/ ١٢٨) وعن ابنِ عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ بِفِنَاءِ الكَعْبَةِ (أي: جانبها من قبل الباب) مُحْتَبِيًا بِيَدَيْهِ هكذا. رواه البخاري. وَوَصَفَ بِيَدَيْهِ الاحْتِبَاءَ، وَهُوَ القُرْفُصَاءُ (أي: القرفصاء: هي جلسة المحتبي بيديه، وهي أن يجلس علىٰ مؤخرته ويجمع فخذيه إلىٰ صدره بالثوب).

(٨٢٢/ ١٢٨) وعن قَيْلَةَ بنْتِ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: رَأيتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ قَاعِدٌ القُرْفُصَاءَ، فلما رأيتُ رسولَ الله المُتخشِّعَ في الجِلْسةِ أُرْعِدتُ من الفَرَقِ (أي: الخوف والفزع). رواه أبو داود والتِّرمذي.

(٨٢٣/ ١٢٨) وعن الشَّرِيدِ بن سُوَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وَأَنَا جَالِسٌ هكَذَا، وَقَدْ وَضَعْتُ يَدِيَ اليُسْرَىٰ خَلْفَ ظَهْرِي، وَاتَّكَأْتُ عَلَىٰ أَلْيَةِ يَدِي (أي: اللحمة التي في أصل الإبهام)، فقَالَ: «أَتَقْعُدُ قِعْدَةَ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ؟!». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس

(٨٢٤/ ١٢٩) عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلٰكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا». وكَانَ ابْنُ عُمَرَ إِذَا قَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِ. متفق عليه.

(٨٢٥/ ١٢٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنْ مَجْلِسٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيْهِ، فَهُوَ أَحَقُّ بِهِ». رواه مسلم.

(٨٢٦/ ١٢٩) وعن جابر بن سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا إِذَا أَتَيْنَا النَّبيَّ ﷺ جلَسَ أحدُنَا حَيْثُ يَنْتَهِي. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٢٧/ ١٢٩) وعن أبي عبدِ الله سَلْمَانَ الفارسيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَوْمَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِنْ طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلَا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثْنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ». رواه البخاري.

(٨٢٨/ ١٢٩) وعن عمرو بن شُعَيْبٍ، عن أبيه، عن جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: حديث حسن.

وفي رواية لأبي داود: «لَا يُجْلَسُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا».

(٨٢٩/ ١٢٩) وعن حُذَيْفَةَ بن اليمانِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ مَنْ جَلَسَ وَسطَ الحَلْقَةِ. رواه أبو داود بإسنادٍ حسن.

وروىٰ الترمذيُّ عن أبي مِجْلَزٍ: أَنَّ رَجُلًا قَعَدَ وَسطَ حَلْقَةٍ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: مَلْعُونٌ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ - أَوْ لَعَنَ اللهُ عَلَىٰ لِسَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ - مَنْ جَلَسَ وَسْطَ الحَلْقَةِ. قال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

(٨٣٠/ ١٢٩) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «خَيْرُ المَجَالِسِ أَوْسَعُهَا». رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري.

(٨٣١/ ١٢٩) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ جَلَسَ فِي مَجْلِسٍ، فَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ (أي: التكلم بما فيه إثم) فَقَالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذَلِكَ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ. إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا كَانَ فِي مَجْلِسِهِ ذَلِكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٨٣٢/ ١٢٩) وعن أَبي بَرْزَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يقولُ بأَخَرةٍ (أي: في آخر جلوسه، وقيل: في آخر عمره) إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ مِنَ المَجْلِسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إِلَّا أَنتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِليكَ». فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رسولَ اللهِ، إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلًا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فِيمَا مَضَىٰ قَالَ: «ذَلِكَ كَفَّارَةٌ لِمَا يَكُونُ فِي المَجْلِسِ». رواه أبو داود، ورواه الحاكم أبو عبد الله في «المستدرك» من رواية عائشة رضي الله عنها، وقال: «صحيح الإسناد».

(٨٣٣/ ١٢٩) وعن ابنِ عمرَ رضي الله عنهما قَالَ: قَلَّمَا كَانَ رسولُ الله ﷺ يَقُومُ مِنْ مَجْلِسٍ حَتَّىٰ يَدْعُوَ بهؤلاءِ الدَّعَواتِ: «اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَنَا مِنْ خَشْيَتِكَ مَا تَحُولُ بِهِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ مَعَاصِيكَ، وَمِنْ طَاعَتِكَ مَا تُبَلِّغُنَا بِهِ جَنَّتَكَ، وَمِنَ الْيَقِينِ مَا تُهَوِّنُ بِهِ عَلَيْنَا مَصَائِبَ الدُّنْيَا، اللَّهُمَّ مَتِّعْنَا بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وقُوَّتِنَا مَا أَحْيَيْتَنَا، وَاجْعَلْهُ الوارِثَ مِنَّا، واجعلْ ثَأْرَنَا عَلَىٰ مَنْ ظَلَمَنَا، وَانْصُرْنَا عَلَىٰ مَنْ عَادَانَا، وَلَا تَجعَلْ مُصيبَتَنَا فِي دِينِنَا، وَلَا تَجعَلِ الدُّنْيَا أَكْبَرَ هَمِّنَا، وَلَا مَبْلَغَ عِلْمِنَا، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيْنَا مَنْ لَا يَرْحَمُنَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٣٤/ ١٢٩) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ لَا يَذْكُرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ، إِلَّا قَامُوا عَنْ مِثْلِ جِيفَةِ حِمَارٍ، وَكَانَ لهم حَسْرَةً». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٨٣٥/ ١٢٩) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَىٰ نَبِيِّهِمْ فِيهِ، إِلَّا كَانَ عَلَيهِمْ تِرَةٌ؛ فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لهم». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٣٦/ ١٢٩) وعنه: عن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَعَدَ مَقْعَدًا لَمْ يَذْكُرِ اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ، وَمَنِ اضْطَجَعَ مَضْجَعًا لَا يَذْكُرُ اللهَ تَعَالَىٰ فِيهِ كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ تِرَةٌ». رواه أبو داود. وَقَدْ سبق قريبًا، وشَرَحْنَا «التِّرَة» فيه.

❊ ❊ ❊

(آداب المجلس والجليس)

للجالس بين يدي الكبار وأهل الفضل آدابٌ:

•إلقاء السلام علىٰ الجالسين إذا دخل عليهم وهم جلوس: قال رسولُ الله ﷺ: «إِذَا انْتَهَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ الْـمَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ؛ فَلَيْسَتِ الْأُولَىٰ بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». أحمد في مسنده (٢/ ٤٣٩) برقم (٩٦٦٢)، قال الأرنؤوط: إسناده قوي، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٠٠).

•ومن الأدب ألا يُقيم الجالس من مكانه ليجلس فيه: ففي الحديث: «لا يُقِيمَنَّ أَحَدُكُمْ رَجُلًا مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ فِيهِ، وَلَكِنْ تَوَسَّعُوا وَتَفَسَّحُوا» متفق عليه. وكان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه من غير أن يُقيمه لم يجلس فيه.

•وقال أبو البُخْتُرِيِّ: كانوا يكرهون أن يقوم الرجل للرجل من مجلسه، ولكن ليُوسِّع له.

•ومن الأدب أن يُوسع لأصحاب الفضل في المجلس: ولهذا قيل: لا يُوَسَّع في المجالس إلا لثلاثة: لذي علمٍ لعلمه، ولذي سِنٍّ لسنه، أو لذي سلطان لسلطانه.

•من الأدب أن يجلس حيث ينتهي به المجلس، حتىٰ لو كان المكان متواضعًا، ولا يتخطىٰ الرقاب: قال جابر بن سَمُرَة رضي الله عنه: كنا إذا أتينا النبي ﷺ جلس أحدُنا حيث ينتهي به المجلسِ. وقد روي عن طلحة بن عبيد مرفوعا: «إِنَّ مِنَ التَّوَاضُعِ للهِ ﷻ الرِّضَا بِالدُّونِ مِنَ الْـمَجْلِسِ» الطبراني في المعجم الكبير (١/ ١١٤) برقم (٢٠٥).

وهذا يكون في حقِّ من كان من عامة الناس، أما إن كان صاحب علم ومكانة أو منزلة في الدنيا أو الدين فمن الأولىٰ إنزال الناس منازلهم كما فعل رسول الله ﷺ لما قال وَفْدُ عبد القيس: قدمنا إلىٰ رسول الله ﷺ، فلما انتهينا إلىٰ القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فرحب بنا النبي ﷺ ودعا لنا، ثم نظر إلينا فقال: «مَنْ سَيِّدُكُمْ وَزَعِيمُكُمْ؟» فأشرنا إلىٰ المنذر بن عائذ، فلما دنا المنذر أوسع القوم له حتىٰ جلس علىٰ يمين النبي ﷺ، فرحب به وألطفه وسأله عن بلادهم. أحمد في مسنده برقم (١٥٥٥٩) قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٧٨): رجاله ثقات.

•ومن الأدب كتم أسرار المجلس وحفظ أمانته: ومما روي في هذا الباب: «الْـمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ، وَإِنَّمَا يَتَجَالَسُ الرَّجُلانِ بِأَمَانَةِ اللهِ ﷻ، فَإِذَا تَفَرَّقَا فَلْيَسْتُرْ كُلٌّ مِنْهُمَا حَدِيثَ صَاحِبِهِ» ابن عبد البر في «أدب المجالسة» ص٣٠ برقم (٢).

وعن جابر بن عبد الله يرفعه: «الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ إِلَّا ثَلاثَةَ: مَجْلِسٌ سُفِكَ فِيهِ دَمٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ اسْتُحِلَّ فِيهِ فَرْجٌ حَرَامٌ، وَمَجْلِسٌ اسْتُحِلَّ فِيهِ مَالٌ حَرَامٌ بِغَيْرِ حَقِّهِ» أحمد في «مسنده» (٣/ ٣٤٢) برقم (١٤٧٣٤).

وفي الحديث أيضًا: «لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ نَمَّامٌ» [متفق عليه]. وهو الذي ينقل أحاديث الناس والمجالس للإفساد والإيقاع بين الناس.

●ومن الأدب ألا يُفرِّق بين اثنين متجالسين إلا بإذنهما: وفي الحديث: «لا يَحِلُّ لِرَجُلٍ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ اثْنَيْنِ إِلَّا بِإِذْنِهِمَا». أحمد في «مسنده» برقم (٦٩٩٩)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٧٦٥٦).

●ومن الأدب أن يجلس قريبًا من جلسة التشهد، أو أن يتربع، ولا يَمُدَّنَّ رجليه إن استطاع، وإلَّا فللمعذور ألا يفعل: وروىٰ أنس بن مالك ﵁: ما أخرج رسول الله ﷺ ركبتيه ولا قدميه بين يدي جليس له قط. الترمذي في «سننه» برقم (٢٤٩٠).

●ومن الآداب المتفرقة: قال الحسنُ البصريُّ: إن رجلًا تناول من رأس عمر بن الخطاب ﵁ شيئًا، فترَكه مرتين، ثم تناول الثالثةَ، فأخذ عمر ﵁ بيده وقال: أَرِني ما أَخذْتَ. فإذا هو لم يأخذ شيئًا، فقال ﵁: انظروا إلىٰ هذا قد صَنَع بي هذا ثلاثَ مرات يُرِيني أنه يأخذ من رأسي شيئًا ولا يأخذ شيئًا، فإذا أخذ أحدُكم من رأس أخيه شيئًا فَلْيُرِهِ إياه. قال الحسنُ: لو أن إنسانًا أَخَذَ من رأسي شيئًا لقلت له: صَرَف الله عنك السوء.

وقال عمرُ بن الخطاب ﵁: فبحَسْب المرء من العِيِّ (أي: الجهل) أن يُؤذي جليسه بما لا يعنيه، وأن يجد (أي: يغضب ويعيب) علىٰ الناس فيما تأتيه، وأن يُظهر له الناس ما يخفىٰ عليه من نفسه (أي: يعرفون عيوبه وهو لا يعرفها).

وعن عمر ﵁ قال: إن مما يُصفِّي وُدَّ أخيك: أن تبدأه بالسَّلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه، وأن تُوسِّع له في المجلس.

وقال أبو أيوب الأنصاري ﵁: من أراد أن يَكثُر علمه فليجالس غير عشيرته. يقصد تنوُّع الثقافات والمشارب.

وقال سفيان بن عُيَيْنة ﵀: قال عيسىٰ ﵇: جالِسُوا مَن تُذكِّركم بالله رؤيتُه، ويَزيد في علمكم مَنْطِقُهُ، ويُرَغِّبكم في الآخرة عملُه.

وأوصىٰ يَحْيىٰ بن خالد رَحِمَهُ ٱللَّهُ ابنه فقال: يا بني، إذا حدَّثك جليسك حديثًا فأقبل عليه، وأصغ إليه، ولا تقل قد سمعتُه حتىٰ لو كُنتَ أحفظَ له، وكأنك لم تسمعه إلا منه؛ فإن ذلك يُكسِبُكَ المحبةَ والميلَ إليك.

وقال سعيد بن العاص رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لجليسي علي ثلاث خصال: إذا دنا رحبت به، وإذا جلس وسَّعت له، وإذا حدَّث أقبلت عليه.

وقال المُبرِّد رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاستماع بالعين، فإذا رأيتَ عين مَن تحدِّثه ناظرةً إليك فاعلم أنه يُحسن الاستماع.

وروي عن عائشة مرفوعًا: «أَنْزِلُوا النَّاسَ مَنَازِلَهمْ» أبو داود برقم (٤٨٤٢). فيُراعىٰ هذا في مجالستهم.

وقال عمرو بن العاص رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لا أَمَلُّ جليسي ما فهم عني، وإنما الـمَلالُ لدناءة الرجال (أي: إظهار الملل علامة الدناءة، فهو لا يلتفت عن جليسه أدبًا).

وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو جلس إليَّ مائة لأحببت أن ألتمس رضا كل واحد منهم. وهذا من الأدب العالي.

وقال ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أعزُّ الناس علي جليسي الذي يتخطىٰ الناس إلي، أَمَا والله إن الذباب يقع عليه فيشُقُّ ذلك عليَّ.

وسُئل ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: مَن أكرمُ الناسِ عليك؟ قال: جليسي حتىٰ يُفارِقَني.

وسأل معاوية رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَرَابَةَ بن أَوْس: بأيِّ شيءٍ استحققتَ مَدْحَ الشعراء؟ فقال: بإكرامي جليسي، ومحاماتي عن صديقي.

وقال عليُّ بن الحسين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مادحًا جليسه: ما جلس إليَّ أحدٌ قطُّ إلا عرفتُ له فَضْلَه حتىٰ أقوم.

وقال أبو عُبادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ واصفًا أدبه مع جليسه: ما جلس رجلٌ بين يديَّ إلا مَثُلَ لي (أي: تصورت نفسي) أني جالسٌ بين يديه (أي: كأنه تلميذ أمام عالم).

وقال بعضُ الحكماء: رجلان ظالمان يأخذان غيرَ حقِّهما: رجل وُسِّعَ له في مجلس ضَيِّقٍ فتربَّعَ وَتَفتَّحَ، ورجلٌ أُهديت إليه نصيحة فجعلها ذنبًا (أي: غضب من الناصح واعتبر نصيحته شتمًا وسبًّا).

●ومن آداب المجلس ألا تفضح جلساءك، بل تكون النصيحة سرًّا:

قال الأحنف بن قيس :رحم الله من أهدىٰ إليَّ عيوبي في سِتْرٍ بيني وبينه؛ فإن النصيحة علىٰ الملأ تقريع (أي: فضيحة).

●ومن الأدب أيضًا مراعاة أحوال الناس، وعلىٰ الأخص أهل العلم والفضل:

ومن ذلك أن رجلًا جلس إلىٰ الحسن بن علي رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال له: جلست إلينا علىٰ حين قيام (أي: حين رغبنا في القيام لانتهاء المجلس) أفتأذن؟ (أي: وهذا من الحكمة والأدب).

وكان يُقال: إياك وكلَّ جليسٍ لا تُصيب منه خيرًا. وقال مُعاذ بن جَبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إياك وكلَّ جليس لا يُفيدك علمًا.

وقال الحسنُ البصريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: انتقوا الإخوانَ والأصحاب والمجالس.

وقال محمد بن المنكدر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خيارُكم أَلْيَنُكم مَنَاكِبَ في الصلاة، ورُكنًا في المجالس (أي: يجلسون علىٰ الأطراف والأركان، ويتركون المقدمة لغيرهم تواضعًا) الـمُوَطَّأُونَ أكنافًا، الذين يألفون ويُؤلفون.

●ومن الحكمة ألا تجلس قريبًا من السلطان أو الأمير إلا إذا كنت مستحقًّا لذلك بالحقيقة.

قصة: تباعد كعب الأحبار يومًا في مجلس عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فأنكر ذلك عليه فقال كعب: يا أمير المؤمنين، إن في حكمة لقمان ووصيته لابنه: إذا جلست إلىٰ ذي سلطان فليكن بينك وبينه مقعد رجل؛ فلعله يأتيه من هو آثر عنده منك فيُنَحِّيك فيكون ذلك نقصًا عليك. اهـ.

وكان يُقال: الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء.

وقال أحدهم: إنه ليُعجبني من الرجال مَن إذا أتىٰ مجلسًا أن يَعْرِفَ أين يكون مجلسه، وإني لآتي المجلس فأَدَعُ ما لي (أي: مجلسي) مخافةَ أن أُدْفَعَ عما ليس لي.

●وكان الأحنف إذا أتاه رجل أوسع، فإن لم يكن هناك سعة أراه كأنه يُوسع له.

وطرح أبو قلابة رَحِمَهُ ٱللَّهُ لجليس له وسادةً، فردها، فقال له: أما سمعت الحديث: لا

تَرُدَّنَّ عَلَىٰ أَخِيكَ كَرَامَتَهُ؟

قال ابن شُبْرُمة رَحِمَهُ اللَّهُ لابنه: يا بني، إياك وطول المجالسة؛ فإن الأُسْد إنما يَجْتَرِئ عليها من أدام النظر إليها (أي: أراد أن يحفظ لابنه هيبته بين الناس).

•ومن سوء الأدب في المجالسة: أن تقطع علىٰ جليسك حديثه، أو تبتدره إلىٰ إتمام ما ابتدأ به منه خبرًا كان أو شعرًا، تتم له البيت الذي بدأ به أو تُريه أنك أحفظ له منه، فهذا غاية في سوء المجالسة، بل يجب أن تُصغي إليه كأنك لم تسمعه قط إلا منه.

قيل لداود الطَّائي رَحِمَهُ اللَّهُ: لِمَ تركتَ مجالسة الناس؟ قال: ما بقي إلا كبيرٌ يَتَحفَّظ عليك، أو صغيرٌ لا يُوقِّرك.

وقال عبد الرحمن بن أبي ليلىٰ رَحِمَهُ اللَّهُ: لا تُجالس عدوَّك (أي: لا تجلس معه مجلس صداقة) فإنه يحفظ عليك سقطاتك، ويُماريك في صوابك.

•ومن الأدب الإخلاص في المجالسة: قال إبراهيم النَّخعيُّ: إنَّ الرجل ليجلس مع القوم فيتكلَّم بالكلام يريد الله به (أي: مخلصًا) فتُصيبه الرَّحمة؛ فتعمُّ من حوله، وإنَّ الرجل يجلس مع القوم فيتكلَّم بما يسخط الله به (أي: رياءً ونفاقًا) فتُصيبه السَّخطة؛ فتعمُّ من حوله.

•ومن الأدب أن تختتم المجلس بدعاء: «سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك». [أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٥٠) برقم (١٥٧٦٧)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٤٤٨٧)].

•فإن كان مجلسَ لَغْوٍ كان كفارته، وإن كان مجلس ذكر كان كالخاتم عليه.

وقال حسان بن عطية رَحِمَهُ اللَّهُ: ما من قوم كانوا في مجلس لغوٍ فختموه بالاستغفار إلا كُتب لهم مجلسهم ذلك استغفارًا كله.

وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: إن كنت أحسنت ازددت إحسانًا، وإن كان غير ذلك كان كفارة.

❊ ❊ ❊

١٣٠- باب الرؤيا وما يتعلق بها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [الروم: ٢٣].

(٨٣٧/ ١٣٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ». قالوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ». رواه البخاري.

(٨٣٨/ ١٣٠) وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا اقْتَرَبَ الزَّمَانُ لَمْ تَكَدْ رُؤيَا المُؤْمِنِ تَكْذِبُ، وَرُؤْيَا المُؤْمِنِ جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ». متفق عليه.

وفي رواية: «أَصْدَقُكُمْ رُؤْيَا أَصْدَقُكُمْ حَدِيثًا».

(٨٣٩/ ١٣٠) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ رَآنِي فِي المَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي اليَقْظَةِ- أو كَأَنَّما رَآنِي فِي اليَقَظَةِ- لَا يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي». متفق عليه.

(٨٤٠/ ١٣٠) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّه سمِعَ النبيَّ ﷺ يقولُ: «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُمْ رُؤيَا يُحِبُّهَا، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الله تَعَالَىٰ، فَلْيَحْمَدِ اللهَ عَلَيْهَا، وَلْيُحَدِّثْ بِهَا».

وفي رواية: «فَلَا يُحَدِّثْ بِهَا إِلَّا مَنْ يُحِبُّ- وَإِذَا رَأَىٰ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَكْرَهُ، فَإِنَّمَا هِيَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ شَرِّهَا، وَلَا يَذْكُرْهَا لأَحَدٍ؛ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ». متفق عليه.

(٨٤١/ ١٣٠) وعن أَبي قتادة رضي الله عنه قال: قال النَّبيُّ ﷺ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ- وفي رواية: الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ- مِنَ الله، وَالحُلْمُ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَمَنْ رَأَىٰ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَنْفُثْ عَنْ شِمَالِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ؛ فَإِنَّهَا لا تَضُرُّهُ». متفق عليه. «النَّفْثُ»: نَفْخٌ لَطِيفٌ لا رِيقَ مَعَهُ.

(٨٤٢/ ١٣٠) وعن جابر رضي الله عنه: عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَىٰ أَحَدُكُم الرُّؤْيَا يَكْرَهُهَا، فَلْيَبْصُقْ عَنْ يَسَارِهِ ثَلَاثًا، وَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ ثَلَاثًا، وَلْيَتَحَوَّلْ عَنْ جَنْبِهِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ». رواه مسلم.

(٨٤٣/ ١٣٠) وعن أَبي الأَسْقَعِ واثِلَةَ بنِ الأَسْقعِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَىٰ (أي: الكذب والبهت) أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَىٰ غيرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولَ عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ مَا لَمْ يَقُلْ». رواه البخاري.

* * *

٥- كتاب السلام

١٣١- باب فضل السلام والأمر بإفشائه

قَالَ اللهُ تعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالَىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلۡتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ تَحِيَّةً مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةًۚ﴾ [النور: ٦١].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٖ فَحَيُّواْ بِأَحۡسَنَ مِنۡهَآ أَوۡ رُدُّوهَآۗ﴾ [النساء: ٨٦].

وقال تعَالَىٰ: ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٤ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ﴾ [الذاريات: ٢٤-٢٥].

(٨٤٤/ ١٣١) وعن عبدِ الله بن عمرو بن العاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ رجلًا سأل رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أيُّ الإسْلامِ خيرٌ؟ قالَ: «تُطْعِمُ الطَّعَامَ، وتَقْرأُ السَّلامَ عَلَىٰ مَنْ عَرَفْتَ وَمَنْ لَمْ تَعْرِفْ». متفق عليه.

(٨٤٥/ ١٣١) وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: «لَـمَّا خَلَقَ اللهُ آدمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قالَ: اذْهَبْ فَسَلِّمْ عَلَىٰ أُولئِكَ (أي: نَفَرٍ مِنَ المَلَائِكَةِ جُلُوسٍ) فَاسْتَمِعْ مَا يُحَيُّونَكَ؛ فَإِنَّهَا تَحِيَّتُكَ وَتَحِيَّةُ ذُرِّيتِكَ. فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فقالوا: السَّلَامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ الله. فَزَادُوهُ: وَرَحْمَةُ اللهِ». متفق عليه.

(٨٤٦/ ١٣١) وعن أبي عُمَارة البراءِ بن عازبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالَ: أَمَرَنا رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسَبْعٍ: بِعِيَادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَنَصْرِ الضَّعِيفِ، وَعَوْنِ المَظْلُومِ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ. متفق عليه، هذا لفظ إحدىٰ روايات البخاري.

(٨٤٧/ ١٣١) وعن أبي هريرةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّىٰ تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ إِذَا فَعَلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ». رواه مسلم.

(٨٤٨/ ١٣١) وعن أبي يوسف عبدِ الله بن سَلَامٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَفْشُوا السَّلَامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلَامٍ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٨٤٩/ ١٣١) وعن الطُّفَيْل بن أُبَيِّ بن كعب: أَنَّه كَانَ يأتي عبدِ الله بنِ عُمرَ فيغدو مَعَهُ إِلَىٰ السُّوقِ، قَالَ: فإِذَا غَدَوْنَا إِلَىٰ السُّوقِ، لَمْ يَمُرَّ عبدُ الله عَلَىٰ سَقَّاطٍ (أي: السقاط: هو الذي يبيع سقط المتاع وهو رديئه وحقيره) وَلَا صَاحِبِ بَيْعَةٍ (أي: كنيسة)، وَلَا مِسْكِينٍ، وَلَا أَحدٍ إِلَّا سَلَّمَ عَلَيْهِ. قَالَ الطُّفَيْلُ: فَجِئْتُ عبدَ الله بنَ عُمرَ يَوْمًا، فَاسْتَتْبَعَنِي إِلَىٰ السُّوقِ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَصْنَعُ بالسُّوقِ، وَأَنْتَ لا تَقِفُ عَلَىٰ البَيْعِ، وَلَا تَسْأَلُ عَنِ السِّلَعِ، وَلَا تَسُومُ بِهَا، وَلَا تَجْلِسُ فِي مَجَالِسِ السُّوقِ؟ وَأَقُولُ: اجْلِسْ بِنَا هاهُنَا نَتَحَدَّثْ. فَقَالَ: يَا أَبَا بَطْنٍ - وَكَانَ الطُّفَيْلُ ذَا بَطْنٍ - إِنَّمَا نَغْدُو مِنْ أَجْلِ السَّلَامِ، فَنُسَلِّمُ عَلَىٰ مَنْ لَقِينَاهُ. رواه مالك في «الموطأ» بإسناد صحيح.

١٣٢- باب كيفية السلام

يُسْتَحَبُّ أَنْ يَقُولَ المُبْتَدِئُ بالسَّلَامِ: السَّلَامُ عَلَيْكُم وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتي بِضَمِيرِ الجَمْعِ، وَإِنْ كَانَ المُسَلَّمُ عَلَيْهِ وَاحِدًا، وَيقُولُ المُجيبُ: وَعَلَيْكُمُ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. فَيَأْتِي بِوَاوِ العَطْفِ فِي قَوْلِه: وَعَلَيْكُمْ.

(٨٥٠/ ١٣٢) عن عِمرَانَ بن الحُصَيْن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ. فَرَدَّ عَلَيْهِ ثُمَّ جَلَسَ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «عَشْرٌ». ثُمَّ جَاءَ آخرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «عِشْرُونَ». ثُمَّ جَاءَ آخرُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. فَرَدَّ عَلَيْهِ فَجَلَسَ، فَقَالَ: «ثَلَاثُونَ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٥١/ ١٣٢) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ لِي رسولُ الله ﷺ: «هَذَا جبريلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلَامَ». قالت: قلتُ: وَعَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ. متفق عليه. وهكذا وقع في بعض رواياتِ الصحيحين: «وَبَرَكاتُهُ». وفي بعضها بحذفِها، وزيادةُ الثقةِ مقبولة.

(٨٥٢/ ١٣٢) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا تكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَعَادَهَا ثَلَاثًا حَتَّىٰ تُفْهَمَ عَنْهُ، وَإِذَا أَتَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ ثَلَاثًا. رواه البخاري.

وهذا مَحْمُولٌ عَلَىٰ مَا إِذَا كَانَ الجَمْعُ كَثِيرًا.

(٨٥٣/ ١٣٢) وعن المِقْدَادِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في حديثِه الطويل قَالَ: كُنَّا نَرْفَعُ للنَّبيِّ ﷺ نَصِيبَهُ مِنَ اللَّبَنِ، فَيَجِيءُ مِنَ اللَّيْلِ فَيُسَلِّمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيُسْمِعُ اليَقْظَانَ، فَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَلَّمَ كَمَا كَانَ يُسَلِّمُ. رواه مسلم.

(٨٥٤/ ١٣٢) وعن أسماءَ بنتِ يزيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ فِي المَسْجِدِ يَوْمًا، وَعُصْبَةٌ مِنَ

النِّساءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَىٰ (أي: أشار) بِيَدِهِ بالتَّسْلِيم. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

وهذا محمول عَلَىٰ أنَّه ﷺ جمعَ بَيْنَ اللَّفظِ وَالإشَارَةِ، وَيُؤَيِّدُهُ أنَّ في رِوَايةِ أَبي داود: فَسَلَّمَ عَلَيْنَا.

(٨٥٥/ ١٣٢) وعن أَبي أُمَامَةَ ﵁ قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوْلىٰ النَّاسِ باللهِ مَنْ بَدَأَهُمْ بالسَّلامِ». رواه أبو داود بإسناد جيد، ورواه الترمذي بنحوه وقال: «حديث حسن»، وَقَدْ ذُكر بعده.

(٨٥٦/ ١٣٢) وعن أَبي جُرَيٍّ الهُجَيْمِيِّ ﵁ قَالَ: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فقلتُ: عليكَ السلامُ يا رسولَ اللهِ. قَالَ: «لا تَقُلْ عَلَيْكَ السَّلامُ؛ فإنَّ عَلَيْكَ السَّلامُ تَحِيَّةُ المَوتَىٰ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»، وَقَدْ سبق بطوله.

١٣٣- باب آداب السلام

(٨٥٧/ ١٣٣) عن أَبي هريرة ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يُسَلِّمُ الرَّاكِبُ عَلَىٰ المَاشِي، وَالمَاشِي عَلَىٰ القَاعِدِ، وَالقَليلُ عَلَىٰ الكَثِيرِ». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «والصغيرُ عَلَىٰ الكَبيرِ».

(٨٥٨/ ١٣٣) وعن أَبي أُمامةَ صُدَيِّ بن عَجْلانَ الباهلي ﵁ قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «إنَّ أَوْلىٰ النَّاسِ بِالله مَنْ بَدَأَهُمْ بِالسَّلامِ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

ورواه الترمذي عن أَبي أُمَامَةَ ﵁: قِيلَ: يَا رسولَ اللهِ، الرَّجُلانِ يَلْتَقِيَانِ أَيُّهُمَا يَبْدَأُ بِالسَّلامِ؟ قَالَ: «أَوْلاهُمَا بِاللهِ تَعَالَىٰ». قال التِّرمذيُّ: «هذا حديث حسن».

١٣٤- باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها

(٨٥٩/ ١٣٤) عن أَبي هريرة ﵁: في حديثِ المسيءِ صلاتَهُ أنَّه جاءَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ جاءَ إلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فَسَلَّمَ عَلَيهِ، فَرَدَّ عَلَيهِ السَّلامَ فقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ؛ فَإنَّكَ لَمْ تُصَلِّ». فَرَجَعَ فَصَلَّىٰ، ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ حَتَّىٰ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفق عليه.

(٨٦٠/ ١٣٤) وعنه: عَنْ رسولِ الله ﷺ قَالَ: «إذَا لَقِيَ أَحَدُكُمْ أخَاهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإنْ حَالَتْ بَيْنَهُمَا شَجَرَةٌ، أَوْ جِدَارٌ، أَوْ حَجَرٌ، ثُمَّ لَقِيَهُ، فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ». رواه أبو داود.

١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً﴾ [النور: ٦١].

(٨٦١/ ١٣٥) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولِ الله صلى الله عليه وسلم: «يَا بُنَيَّ، إِذَا دَخَلْتَ عَلَىٰ أَهْلِكَ فَسَلِّمْ يَكُنْ بَرَكَةً عَلَيْكَ وعلىٰ أهْلِ بَيْتِكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

١٣٦- باب السلام على الصبيان

(٨٦٢/ ١٣٦) عن أنسٍ رضي الله عنه: أَنَّهُ مَرَّ عَلَىٰ صِبْيَانٍ فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ وقال: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَفْعَلُهُ. متفق عليه.

١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط

(٨٦٣/ ١٣٧) عن سهلِ بنِ سعدٍ رضي الله عنه قال: كَانَتْ فِينَا امْرَأَةٌ- وفي رواية: كَانَتْ لَنَا عَجُوزٌ- تَأْخُذُ مِنْ أُصُولِ السِّلْقِ (أي: السلق: نبات يطبخ) فَتَطْرَحُهُ فِي القِدْرِ، وَتُكَرْكِرُ حَبَّاتٍ مِنْ شَعِيرٍ، فَإِذَا صَلَّيْنَا الجُمُعَةَ، وَانْصَرَفْنَا، نُسَلِّمُ عَلَيْهَا، فَتُقَدِّمُهُ إِلَيْنَا. رواه البخاري. قَوْلُه: «تُكَرْكِرُ» أي: تَطْحَنُ.

(٨٦٤/ ١٣٧) وعن أُمِّ هَانِئٍ فاخِتَةَ بنتِ أبي طالب رضي الله عنها قالت: أتيتُ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم يَوْمَ الفَتْحِ وَهُوَ يَغْتَسِلُ، وَفَاطِمَةُ تَسْتُرُهُ بِثَوْبٍ، فَسَلَّمْتُ. وَذَكَرَتِ الحديثَ. رواه مسلم.

(٨٦٥/ ١٣٧) وعن أسماءَ بنتِ يزيدَ رضي الله عنها قالت: مَرَّ عَلَيْنَا النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم فِي نِسوَةٍ فَسَلَّمَ عَلَيْنَا. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». وهذا لفظ أبي داود.

ولفظ الترمذي: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم مَرَّ فِي المَسْجِدِ يَوْمًا وَعُصْبَةٌ مِنَ النِّسَاءِ قُعُودٌ، فَأَلْوَىٰ بِيَدِهِ بالتَّسْلِيم.

١٣٨- باب تحريم ابتدائنا الكفَّار بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار

(٨٦٦/ ١٣٨) وعن أَبي هريرةَ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَا تَبْدَءُوا اليَهُودَ وَلَا النَّصَارَىٰ بالسَّلامِ، فَإِذَا لَقِيتُمْ أَحَدَهُمْ في طَرِيقٍ فَاضطَرُّوهُ إِلَىٰ أَضْيَقِهِ». رواه مسلم.

(٨٦٧/ ١٣٨) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا سَلَّمَ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الكِتَابِ فَقُولُوا: وَعَلَيْكُمْ». متفق عليه.

(٨٦٨/ ١٣٨) وعن أُسَامَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَىٰ مَجْلِسٍ فِيهِ أَخْلَاطٌ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُشْرِكِينَ - عَبَدَةِ الأَوْثَانِ واليَهُودِ - فَسَلَّمَ عَلَيْهِم النبيُّ ﷺ. متفق عليه.

* * *

(بعض آداب السلام)

الإسلام دين بر وصلة وإحسان وتعايش؛ يقول الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ۝٨﴾ [الممتحنة: ٨]، فهذه الآية تقرر مبدأ التعايش، وتبين أن صلة غير المسلمين، وبرَّهم، وصلتهم، وإهداءهم، وقبول الهدية منهم.

والإحسان إليهم بوجه عام مستحبٌّ شرعًا؛ يقول الإمام القرطبي في «أحكام القرآن»: قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾... أَيْ: لَا يَنْهَاكُمُ اللهُ عَنْ أَنْ تَبَرُّوا الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ... ﴿وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ﴾ أَيْ: تُعْطُوهُمْ قِسْطًا مِنْ أَمْوَالِكُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الصِّلَةِ. اهـ.

ولا شك أن المصافحة والسلام علىٰ غير المسلم هو من أنواع البر الذي يحبه الله سبحانه وحثنا عليه، كما أن حسن رد التحية مأمورٌ به المسلم علىٰ كل حال؛ قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ﴾ [النساء: ٨٦].

وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «تَمَامُ تَحِيَّتِكُمُ الْمُصَافَحَةُ». أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه».

وذهب جمع من السلف إلىٰ جواز إلقاء السلام علىٰ المخالفين من غير المسلمين، وقد فعله ابن مسعود رضي الله عنه وقال: إنه حق الصحبة.

وكان أبو أمامة لا يمر بمسلم ولا كافر إلا سلم عليه، فقيل له في ذلك؟ فقال: أُمِرْنا أن نُفشِيَ السلامَ. وبمثله كان يفعل أبو الدرداء رضي الله عنه.

وكتب ابن عباس رضي الله عنهما لرجل من أهل الكتاب: السلام عليكم.

وكان عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول: لا بأس أن نبدأهم بالسلام.

والأمر فيه سَعَة وتيسير، ودرء المفسدة مقدم دائمًا علىٰ جلب المصلحة.

* * *

١٣٩- باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه

(٨٦٩/ ١٣٩) وعن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا انْتَهَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ المَجْلِسِ فَلْيُسَلِّمْ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ فَلْيُسَلِّمْ، فَلَيْسَتِ الأُولَىٰ بِأَحَقَّ مِنَ الآخِرَةِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٤٠- باب الاستئذان وآدابه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدْخُلُواْ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النور: ٢٧].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَإِذَا بَلَغَ ٱلْأَطْفَٰلُ مِنكُمُ ٱلْحُلُمَ فَلْيَسْتَـْٔذِنُواْ كَمَا ٱسْتَـْٔذَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٩].

(٨٧٠/ ١٤٠) عن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الاسْتِئْذَانُ ثَلاثٌ، فَإِنْ أُذِنَ لَكَ وَإِلَّا فَارْجِعْ». متفق عليه.

(٨٧١/ ١٤٠) وعن سهلِ بنِ سعدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّمَا جُعِلَ الاسْتِئذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ». متفق عليه.

(٨٧٢/ ١٤٠) وعن ربعِيِّ بن حِرَاشٍ قال: حَدَّثَنَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَامِرٍ أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ فِي بيتٍ فَقَالَ: أَأَلِجُ (أي: أأدخل)؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ لِخَادِمِهِ: «اخْرُجْ إِلَىٰ هَذَا فَعَلِّمْهُ الاسْتِئذَانَ، فَقُلْ لَهُ: قُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟» فَسَمِعَهُ الرَّجُلُ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟ فَأَذِنَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فدخلَ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٨٧٣/ ١٤٠) عن كَلَدَةَ بن الحَنْبَلِ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ وَلَمْ أُسَلِّمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «ارْجِعْ فَقُلْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، أَأَدْخُلُ؟». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٤١- باب بيان أن السُّنَّة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: «أنا» ونحوها

(٨٧٤/ ١٤١) عن أنسٍ ﷺ في حديثِهِ المشهورِ في الإسراءِ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «ثُمَّ صَعِدَ بي

جِبْرِيلُ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَاسْتَفْتَحَ، فَقِيلَ: مَنْ هذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. ثُمَّ صَعِدَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الثَّانِيَةِ فاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هَذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ. قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ. وإِلىٰ الثَّالِثَةِ وَالرَّابِعَةِ وَسَائِرِهِنَّ وَيُقَالُ فِي بَابِ كُلِّ سَمَاءٍ: مَنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: جِبْرِيلُ». متفق عليه.

(٨٧٥/ ١٤١) وعن أَبي ذرٍّ ﷺ قال: خَرَجْتُ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي، فَإِذَا رسولُ الله ﷺ يَمْشِي وَحْدَهُ، فَجَعَلْتُ أَمْشِي فِي ظِلِّ القمرِ، فَالْتَفَتَ فَرَآنِي، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟». فَقُلْتُ: أَبُو ذرٍّ... الحَدِيث. متفق عليه.

(٨٧٦/ ١٤١) وعن أُمِّ هانئٍ رضي الله عنها قالت: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَغْتَسِلُ وَفاطِمَةُ تَسْتُرُهُ، فَقَالَ: «مَنْ هذِهِ؟». فَقلتُ: أنا أُمُّ هَانِئٍ. متفق عليه.

(٨٧٧/ ١٤١) وعن جابرٍ ﷺ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَدَقَقْتُ البَابَ، فَقَالَ: «مَنْ هَذَا؟». فقلتُ: أنا، فَقَالَ: «أَنَا، أَنَا!». كَأَنَّهُ كَرِهَهَا. متفق عليه.

١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب

(٨٧٨/ ١٤٢) عن أَبي هريرة ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ العُطَاسَ، وَيَكْرَهُ التَّثَاؤُبَ، فَإِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ وَحَمِدَ اللهَ تَعَالَىٰ كَانَ حَقًّا عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ سَمِعَهُ أَنْ يَقُولَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. وَأَمَّا التَّثَاؤُبُ فَإِنَّمَا هُوَ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَإِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيَرُدَّهُ مَا اسْتَطَاعَ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا تَثَاءَبَ ضَحِكَ مِنْهُ الشَّيْطَانُ». رواه البخاري.

(٨٧٩/ ١٤٢) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَلْيَقُلْ: الحَمْدُ للهِ. وَلْيَقُلْ لَهُ أَخُوهُ أَوْ صَاحِبُهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ. فَإِذَا قَالَ لَهُ: يَرْحَمُكَ اللهُ، فَلْيَقُلْ: يَهْدِيكُمُ اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ».

رواه البخاري.

(٨٨٠/ ١٤٢) وعن أَبي موسىٰ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِذَا عَطَسَ أَحَدُكُمْ فَحَمِدَ اللهَ فَشَمِّتُوهُ (أي: التشميت: الدعاء بالخير والبركة)، فَإِنْ لَمْ يَحْمَدِ اللهَ فَلَا تُشَمِّتُوهُ».

رواه مسلم.

(٨٨١/ ١٤٢) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: عَطَسَ رَجُلانِ عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَشَمَّتَ أَحَدَهُمَا وَلَمْ يُشَمِّتِ الآخَرَ، فَقَالَ الَّذِي لَمْ يُشَمِّتْهُ: عَطَسَ فُلانٌ فَشَمَّتَّهُ، وَعَطَسْتُ فَلَمْ تُشَمِّتْنِي؟ فَقَالَ: «هَذَا حَمِدَ اللهَ، وَإِنَّكَ لَمْ تَحْمَدِ اللهَ». متفق عليه.

(٨٨٢/ ١٤٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا عَطَسَ وَضَعَ يَدَهُ –أَوْ ثَوْبَهُ– عَلَىٰ فِيهِ، وَخَفَضَ –أَوْ غَضَّ– بِهَا صَوْتَهُ. شَكَّ الراوي. رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٨٨٣/ ١٤٢) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ اليَهُودُ يَتَعَاطَسُونَ (أي: يطلبون العطسة من أنفسهم) عِنْدَ رسولِ الله ﷺ، يَرْجُونَ أَنْ يَقُولَ لهم: يَرْحَمُكُم اللهُ. فَيَقُولُ: «يَهْدِيكُم اللهُ وَيُصْلِحُ بَالَكُمْ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(٨٨٤/ ١٤٢) وعن أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا تَثَاءَبَ أَحَدُكُمْ فَلْيُمْسِكْ بِيَدِهِ عَلَىٰ فِيهِ (أي: فمه)؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ». رواه مسلم.

١٤٣- باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء

(٨٨٥/ ١٤٣) عن أَبِي الخَطَّابِ قتادة قَالَ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَكَانَتِ المُصَافَحَةُ في أَصْحَابِ رسولِ الله ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ. رواه البخاري.

(٨٨٦/ ١٤٣) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا جَاءَ أَهْلُ اليَمَنِ، قَالَ رسولُ الله ﷺ: «قَدْ جَاءَكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ». وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ جَاءَ بِالْمُصَافَحَةِ (أي: هذا قول أنس). رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٨٨٧/ ١٤٣) وعن البراءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمَينِ يَلْتَقِيَانِ فَيَتَصَافَحَانِ إِلَّا غُفِرَ لهما قَبْلَ أَنْ يَفْتَرِقَا». رواه أبو داود.

(٨٨٨/ ١٤٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسولَ الله، الرَّجُلُ مِنَّا يَلْقَىٰ أَخَاهُ، أَوْ صَدِيقَهُ، أَينحني له؟ قَالَ: «لا». قَالَ: أَفَيَلْتَزِمُهُ (أي: يعانقه) وَيُقَبِّلُهُ؟ قَالَ: «لا». قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدِهِ وَيُصَافِحُهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٨٩/ ١٤٣) وعن صَفْوَانَ بن عَسَّالٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ يَهُودِيٌّ لِصَاحِبِهِ: اذْهَبْ بِنَا إِلَىٰ هَذَا النَّبِيِّ، فَأَتَيَا رسولَ الله ﷺ، فَسَأَلاهُ عَنْ تِسعِ آياتٍ بَيِّنَاتٍ... فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَىٰ قَوْلِهِ: فَقَبَّلا يَدَهُ

وَرِجْلَهُ، وقالا: نَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ. رواه الترمذي وغيره بأسانيد صحيحة.

(٨٩٠/ ١٤٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قصة، قال فيها: فَدَنَوْنَا مِنَ النَّبِيِّ ﷺ فَقَبَّلْنَا يَدَه. رواه أبو داود.

(٨٩١/ ١٤٣) وعَنْ عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ المَدِينَةَ وَرسولُ الله ﷺ في بَيتي، فَأَتَاهُ فَقَرَعَ البَابَ، فَقَامَ إِلَيْهِ النبيُّ ﷺ يَجُرُّ ثَوْبَهُ، فَاعْتَنَقَهُ وَقَبَّلَهُ. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٨٩٢/ ١٤٣) وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «لا تَحْقِرَنَّ منَ المَعرُوف شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَىٰ أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ (أي: ومعناه: سهل منبسط)». رواه مسلم.

(٨٩٣/ ١٤٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ النبيُّ ﷺ الحَسَنَ بنَ عَلِيٍّ رضي الله عنهما، فَقَالَ الأَقْرَعُ بن حَابِسٍ: إنَّ لِي عَشْرَةً مِنَ الْـوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحدًا. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لا يُرْحَمْ!». متفق عليه.

* * *

(آداب اللقاء)

روي عن سلمان الفارسي رضي الله عنه يرفعه: «إِنَّ المُسْلِمَ إذا لَقِيَ أَخَاهُ المُسْلِمَ فَأَخَذَ بيده تَحَاتَّتْ (أي: تناثرت) عنهما ذُنُوبُهُما كما تَتَحاتُّ الْوَرَقُ مِنَ الشَّجَرَةِ الْيَابِسَةِ في يَوْمِ رِيحٍ عَاصِفٍ، وَإِلا غُفِرَ لَـهُمَا وَلَوْ كانت ذُنُوبُهُمَا مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» الطبراني في الكبير (٦/ ٢٥٦) برقم (٦١٥٠).

وكان رسولُ الله ﷺ إذا صافَح رجلًا لم ينزع يده من يده حتىٰ يكون الرجل هو الذي ينزع يدَه من يده.

قال أبو مَخْلَدٍ: المصافحة تجلب المحبة. وكان يقال: تحيَّةُ المؤمنين المصافحة و السلام.

ولما حضر رسولُ الله ﷺ بني قُرَيظة وأرادوا النزولَ علىٰ حكم سعد بن معاذ، وكان قد تخلَّف بالمدينة لجرحٍ أصابه، بعث إليه رسولُ الله ﷺ، فلما قَدِمَ قال النبيُّ ﷺ للأنصار: «قُومُوا إِلَىٰ سَيِّدِكُمْ» [متفق عليه]. مع أن الرسولَ قال في موضعٍ آخر: «مَن سَرَّهُ أن يَمْثُلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» [أحمد في مسنده (٤/ ١٠٠) برقم (١٦٩٦٢)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح].

وفي هذا جواز أن يُكرم الرجلُ مَن قَصَد إليه إذا كان شريفًا أو كريمَ قومٍ أو عالمهم أو سيدهم أو من يستحق البر منهم، وذلك بالقيام له. وقد تناول أبو عُبيدَةَ بن الجَرَّاح يَدَ عمر بن الخطاب ليُقبِّلَها، فقبضها عمر مِن وَرَعِه، فتناول أبو عبيدة رِجْلَ

عمر ليُقبِّلها بدلًا من يده، فقال له عمر: ما رَضِيتُ منك تقبيلَ يدي فكيف بِرِجْلي؟! ورفض. فعُلم جوازُ فِعل ذلك لمن يستحقُّ من أهل الفضل.

أما صاحب الفضل فعليه قدر المستطاع الورع في ذلك. وكان يُقال: قُبلة الرجل زوجتَه علىٰ الفمِ، وقبلة الوالد لولده علىٰ الرأس، وقبلة الأم علىٰ الخد، وقبلة الأخت لأخيها علىٰ العنق أو الكتف.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: قبلة الوالد عبادة، وقبلة الولد رحمة، وقبلة المرأة شهوة، وقُبلة الرجل أخاه دِينٌ.

***

٦- كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه

١٤٤- باب عيادة المريض

(٨٩٤/ ١٤٤) عن البراءِ بن عازِب رضي الله عنهما قَالَ: أَمَرَنَا رسولُ الله ﷺ بِعِيادَةِ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعِ الجِنَازَةِ، وَتَشْمِيتِ العَاطِسِ، وَإِبْرَارِ المُقْسِمِ (أي: يكون بفعل ما أراده الحالف ليصير بذلك بارًّا ما لم يكن حرامًا)، وَنَصْرِ المَظْلُوم، وَإِجَابَةِ الدَّاعِي، وَإِفْشَاءِ السَّلامِ. متفق عليه.

(٨٩٥/ ١٤٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «حَقُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ خَمْسٌ: رَدُّ السَّلامِ، وَعِيَادَةُ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعُ الجَنَائِزِ، وَإجَابَةُ الدَّعْوَةِ، وَتَشْمِيتُ العَاطِسِ». متفق عليه.

(٨٩٦/ ١٤٤) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يومَ القِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَرِضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيفَ أعُودُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّ عَبْدِي فُلانًا مَرِضَ فَلَمْ تَعُدْهُ؟ أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ، يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَطْعَمْتُكَ فَلَمْ تُطْعِمْنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أُطْعِمُكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: أمَا عَلِمْتَ أنَّهُ اسْتَطْعَمَكَ (أي: طلب منك أن تطعمه) عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تُطْعِمْهُ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ أطْعَمْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟ يَا ابْنَ آدَمَ، اسْتَسْقَيْتُكَ فَلَمْ تَسْقِنِي! قَالَ: يَا رَبِّ، كَيْفَ أسْقِيكَ وَأنْتَ رَبُّ العَالَمِينَ؟! قَالَ: اسْتَسْقَاكَ عَبْدِي فُلانٌ فَلَمْ تَسْقِهِ! أمَا عَلِمْتَ أنَّكَ لَوْ سَقَيْتَهُ لَوَجَدْتَ ذَلِكَ عِنْدِي؟». رواه مسلم.

(٨٩٧/ ١٤٤) وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «عُودُوا المَرِيضَ، وَأَطْعِمُوا الجَائِعَ، وَفُكُّوا العَانِي». رواه البخاري. «العاني»: الأسيرُ.

(٨٩٨/ ١٤٤) وعن ثوبان رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ المُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الجَنَّةِ حَتَّىٰ يَرْجِعَ». قيل: يَا رسولَ الله، وَمَا خُرْفَةُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «جَنَاهَا (أي: الثمرة إذا نضجت)». رواه مسلم.

(٨٩٩/ ١٤٤) وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَعُودُ مُسْلِمًا غُدْوَةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُمْسِيَ، وَإِنْ عَادَهُ عَشِيَّةً إِلَّا صَلَّىٰ عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ حَتَّىٰ يُصْبِحَ، وَكَانَ لَهُ خَرِيفٌ فِي الجَنَّةِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

«الخَرِيفُ»: الثَّمرُ المَخْرُوفُ، أي: المُجْتَنَىٰ.

(٩٠٠/ ١٤٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ غُلامٌ يَهُودِيٌّ يَخْدُمُ النَّبِيَّ ﷺ فَمَرِضَ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ لَهُ: «أَسْلِمْ». فَنَظَرَ إِلَىٰ أَبِيهِ وَهُوَ عِنْدَهُ؟ فَقَالَ: أَطِعْ أَبَا القَاسِمِ، فَأَسْلَمَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَقُولُ: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَنْقَذَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري.

❋ ❋ ❋

(عيادة المريض)

عيادةُ المريض: هي زيارةُ المريض وتفقُّد أحواله والتلطُّف معه وتصبيره علىٰ المقدور، وعيادة المريض سُنَّةٌ وليست فرضًا، وقد أوجبها بعض العلماء، وقد تكون في حقِّ بعض الناس واجبة، وسُنَّة في حق آخرين. وللمرء أن يَعُودَ كلَّ مريضٍ؛ رجلًا كان أو امرأة أو طفلًا، مسلمًا أو غير مسلم، أيًّا كان مرضه. واختلف العلماء في مشروعية عيادة المشرك أو المجوسي أو الذمي، فقال بعض العلماء: هي جائزة للمشرك.

آداب عيادة المريض:

- أن تكونَ الزيارةُ في الأوقات المناسبة للمريض وأهله.
- الالتزام بآداب الاستئذان.
- تقليل وقت زيارة المريض.

- عدم تكليف أهل المريض مشقةً في الترحيب والضيافة بالزائر بما فوق وُسْعهم.
- الإقلال من سؤال المريض أو حتىٰ أهل المريض عن حاله بشكل مُزعِجٍ.
- إظهار الرأفة والشفقة للمريض وأهله.
- الدعاء للمريض بالعافية والصحة.
- غضُّ البصر عن عورات المريض وأهله.
- استحباب طلب الدعاء من المريض لظنِّ الاستجابة.
- إذا وجد فرصة ليأمره بالاحتساب والصبر علىٰ مرضه وتذكيره بفضيلة الصبر وأجره عند الله فلا بأس.
- يجوز زيارة النساء للرجال والعكس إذا أُمنت الفتنة وفي ظل وجود المحارم.
- ألا يتكلم الزائرُ أمام المريض بما يُزعجه ويُخيفه.
- أن يُوسِّع علىٰ المريض أَمَلَ الشفاء ويرفع همته في ذلك.
- ألا يُكثر الزائرون من الاختلاف أمام المريض؛ لما في ذلك من إزعاج له، ويحق له عند ذلك أن يطلب منهم الانصراف.

قال رسولُ الله ﷺ: «**أَطْعِمُوا الْجَائِعَ، وَعُودُوا المَرِيضَ، وَفُكُّوا الْعَانِيَ** (أي: الأسير)»

البخاري برقم (٥٣٧٣).

وقال عليٌّ رضي الله عنه: ما مِن مسلم يَعُود مسلمًا (أي: يزوره حال مرضه) غَدْوةً (أي: وتلك كانت عادتهم في أوقات الزيارة) إلا صلَّىٰ عليه سبعون ألف مَلَك حتىٰ يُصبح، وكان له خريف (أي: بستان) في الجنة.

وقال الأعمش رحمه الله: كنا نقعد في المجلس فإذا فقدنا الرجل ثلاثةَ أيام سألنا عنه، فإذا كان مريضًا عُدْنَاه.

قال ابنُ عبَّاس رضي الله عنهما: عيادةُ المريض مرةً (أي: واحدة) هي السُّنة، فما زاد فهو نافلة.

آداب المريض: - حُسن الصبر علىٰ ما أصابه من البلاء.

- قلة الشكوىٰ والضجر أمام الزائرين، وأهله كذلك.

- الإكثار الدائم من الدعاء له ولمن يُحبه.

- التوكل علىٰ الله بعد استخدام الدواء؛ لأن الله خالق الداء والدواء.

- يجوز للمريض أن يتوجَّع ويتألم ولكن علىٰ غير سبيل اليأس والضجر والاعتراض علىٰ قضاء الله وقدره.

- لا يجوز للمريض تَمَنِّي الموت؛ فقد قال رسول الله ﷺ: «لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ مِنْ ضُرٍّ أَصَابَهُ، فَإِنْ كَانَ لَابُدَّ فَاعِلًا فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إذا كَانَتِ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي» متفق عليه.

وعيادة المرضىٰ تصل ما بين الناس وتُؤلِّف بينهم، كما أنها جبرٌ لخواطرهم ورجاء لبركة دعاء المريض وترقيق للقلوب وتطييب للنفوس.

* * *

١٤٥- باب ما يدعى به للمريض

(٩٠١/ ١٤٥) عن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ النبي ﷺ كَانَ إِذَا اشْتكىٰ الإِنْسَانُ الشَّيْءَ مِنْهُ، أَوْ كَانَتْ بِهِ قَرْحَةٌ (أي: الجراحة المتقادمة التي اجتمع فيها القيح) أَوْ جُرْحٌ، قَالَ (أي: أشار) النَّبِيُّ ﷺ بِإِصْبَعِهِ هكذا- وَوَضَعَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ الرَّاوِي سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ ثُمَّ رَفَعَهَا- وقال: «بِسمِ الله، تُرْبَةُ أَرْضِنَا، بِرِيقَةِ (أي: الريقة: أقل من الريق) بَعْضِنَا، يُشْفَىٰ بِهِ سَقِيمُنَا بِإِذْنِ رَبِّنَا». متفق عليه.

(٩٠٢/ ١٤٥) وعنها: أن النبيَّ ﷺ كَانَ يَعُودُ بَعْضَ أَهْلِهِ يَمْسَحُ بِيدِهِ اليُمْنَىٰ، ويقولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، أَذْهِبِ البَأْسَ (أي: الشدة)، واشْفِ أَنْتَ الشَّافِي لا شِفَاءَ إِلَّا شِفاؤكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا (أي: مرضا)». متفق عليه.

(٩٠٣/ ١٤٥) وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنه قال لثابت رَحِمَهُ اللهُ: أَلا أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رسول الله ﷺ؟ قَالَ: بَلَىٰ. قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ، مُذْهِبَ البَاسِ، اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي، لا شَافِيَ إِلَّا أَنْتَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا». رواه البخاري.

(٩٠٤/ ١٤٥) وعن سعدِ بن أبي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: عَادَنِي رسول الله ﷺ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا، اللَّهُمَّ اشْفِ سَعْدًا». رواه مسلم.

(٩٠٥/ ١٤٥) وعن أبي عبد الله عثمان بن أبي العاص رضي الله عنه: أَنَّه شَكَا إِلَىٰ رسول الله ﷺ وَجَعًا يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ لَهُ رسولُ الله ﷺ: «ضَعْ يَدَكَ عَلَىٰ الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بسم الله ثلاثًا، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ». رواه مسلم.

(٩٠٦/ ١٤٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَحْضُرْهُ أَجَلُهُ، فقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَسْأَلُ اللهَ العَظِيمَ، رَبَّ العَرْشِ العَظِيمِ، أَنْ يَشْفِيَكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللهُ مِنْ ذَلِكَ المَرَضِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن» وقال الحاكم: «حديث صحيح علىٰ شرط البخاري».

(٩٠٧/ ١٤٥) وعنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ أَعْرَابِيٍّ يَعُودُهُ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَىٰ مَنْ يَعُودُهُ، قَالَ: «لا بَأْسَ؛ طَهُورٌ (أي: إن مرضك مطهر لذنبك، ومكفر لسيئاتك) إِنْ شَاءَ اللهُ». رواه البخاري.

(٩٠٨/ ١٤٥) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أن جِبرِيلَ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، اشْتَكَيْتَ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بِسْمِ اللهِ أَرْقِيكَ، مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللهُ يَشْفِيكَ، بِسمِ اللهِ أَرْقِيكَ. رواه مسلم.

(٩٠٩/ ١٤٥) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ وأبي هريرة رضي الله عنهما أَنَّهُمَا شَهِدَا عَلَىٰ رسول الله ﷺ أَنَّه قَالَ: «مَنْ قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، صَدَّقَهُ رَبُّهُ، فَقَالَ: لا إِلهَ إِلَّا أَنَا وأَنَا أَكْبَرُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: يقول: لا إِلهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي لا شَرِيكَ لِي. وَإِذَا قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا اللهُ لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا أَنَا لِيَ المُلْكُ وَلِيَ الحَمْدُ. وَإِذَا قَالَ: لا إِله إِلَّا اللهُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ، قَالَ: لا إِلهَ إِلَّا أَنَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِي». وَكَانَ يَقُولُ: «مَنْ قَالَهَا فِي مَرَضِهِ ثُمَّ مَاتَ لَمْ تَطْعَمْهُ النَّارُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٤٦- باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله

(٩١٠/ ١٤٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أَنَّ عليَّ بْنَ أَبِي طالب رضي الله عنه خَرَجَ مِنْ عِنْدِ رسولِ الله ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فقالَ النَّاسُ: يَا أَبَا الحَسَنِ، كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ؟ قَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ اللهِ بَارِئًا. رواه البخاري.

١٤٧- باب ما يقوله من أيس من حياته

(٩١١/ ١٤٧) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ النبيَّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَيَّ، يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وارْحَمْنِي، وأَلْحِقْنِي بالرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ». متفق عليه.

(٩١٢/ ١٤٧) وعنها قالت: رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ وَهُوَ بِالمَوْتِ، عِنْدَهُ قَدَحٌ فِيهِ مَاءٌ، وَهُوَ

يُدْخِلُ يَدَهُ في القَدَحِ، ثُمَّ يَمْسَحُ وَجْهَهُ بالماءِ، ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أعِنِّي عَلَىٰ غَمَرَاتِ (أي: شدائد) المَوْتِ وسَكَرَاتِ (أي: شدة ووطأة) المَوْتِ». رواه الترمذي.

١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر على ما يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما

(٩١٣/ ١٤٨) عن عِمْران بن الحُصَيْن رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أنَّ امْرَأَةً مِنْ جُهَيْنَةَ أتَت النَّبِيَّ ﷺ وهي حبلىٰ من الزنىٰ، فَقَالَتْ: يَا رسولَ الله، أصَبْتُ حَدًّا فأقِمْهُ عَلَيَّ. فَدَعَا رسولُ الله ﷺ وَلِيَّهَا، فَقَالَ: «أحْسِنْ إلَيْهَا، فَإذَا وَضَعَتْ فَأْتِنِي بِهَا». فَفَعَلَ، فَأمَرَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَشُدَّتْ عَلَيْهَا ثِيَابُهَا، ثُمَّ أمَرَ بِهَا فَرُجِمَت، ثُمَّ صَلَّىٰ عَلَيْهَا. رواه مسلم.

١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع، أو موعوك، أو وارأساه ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع

(٩١٤/ ١٤٩) عن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: دَخلتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ (أي: الوعك: الحمىٰ، وقيل: ألم الحمىٰ)، فَمَسِسْتُهُ، فقلت: إنَّكَ لَتُوعَكُ وَعْكًا شَديدًا، فَقَالَ: «أجَلْ، إنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلانِ مِنْكُمْ». متفق عليه.

(٩١٥/ ١٤٩) وعن سعدِ بن أبي وَقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءنِي رسولُ الله ﷺ يَعُودُنِي مِنْ وَجَعٍ اشْتَدَّ بِي، فقلتُ: بَلَغَ بِي مَا تَرَىٰ، وأنا ذو مال، وَلا يَرِثُنِي إلَّا ابْنَتِي.. وذكر الحديث. متفق عليه.

(٩١٦/ ١٤٩) وعن القاسم بن محمد، قَالَ: قالت عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: وَارَأْسَاهُ! فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «بَلْ أنَا، وَارَأْسَاهُ!...» وَذَكَرَ الحَدِيث. رواه البخاري.

١٥٠- باب تلقين المحتضر: لا إله إلا الله

(٩١٧/ ١٥٠) عن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرَ كَلامِهِ لا إلهَ إلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ». رواه أبو داود والحاكم، وقال: «صحيح الإسناد».

(٩١٨/ ١٥٠) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَقِّنُوا مَوْتَاكُمْ لا إلهَ إلَّا اللهُ». رواه مسلم.

١٥١- باب ما يقوله بعد تغميض الميت

(٩١٩/ ١٥١) عن أُم سَلَمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: دَخَلَ رسولُ الله ﷺ عَلَىٰ أبي سَلَمَةَ وَقَدْ شَقَّ (أي: شخص وثبت) بَصَرُهُ، فَأَغْمَضَهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ، تَبِعَهُ البَصَرُ». فَضَجَّ (أي: صاحوا ورفعوا أصواتهم بالبكاء) نَاسٌ مِنْ أَهْلِهِ، فَقَالَ: «لا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ المَلائِكَةَ يؤمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ». ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي سَلَمَة، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي المَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقِبِهِ فِي الغَابِرِينَ (أي: الباقين)، وَاغْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ العَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ». رواه مسلم.

١٥٢- باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت

(٩٢٠/ ١٥٢) عن أُم سَلَمَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ أو المَيِّتَ، فَقُولُوا خَيْرًا، فَإِنَّ المَلائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَىٰ مَا تَقُولُونَ». قالت: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سلَمة، أتيت النبيَّ ﷺ فقلتُ: يَا رسولَ الله، إِنَّ أَبَا سَلَمَة قَدْ مَاتَ، قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَلَهُ، وَأَعْقِبْنِي (أي: عوضني) مِنْهُ عُقْبَىٰ حَسَنَةً». فَقُلْتُ، فَأَعْقَبَنِي اللهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ لِي مِنْهُ: مُحَمَّدًا ﷺ.

رواه مسلم هكذا: «إِذَا حَضَرْتُمُ المَرِيضَ، أو المَيِّتَ» عَلَىٰ الشَّكِّ،

ورواه أبو داود وغيره: «الميت» بلا شَكٍّ.

(٩٢١/ ١٥٢) وعنها قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ: إِنَّا للهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَجَرَهُ (أي: أثابه) اللهُ تَعَالَىٰ فِي مُصِيبَتِهِ وَأَخْلَفَ لَهُ (أي: جزاه علىٰ صبره وعوضه) خَيْرًا مِنْهَا». قالت: فَلَمَّا تُوُفِّيَ أَبُو سَلَمَةَ قلتُ كَمَا أمرني رسول الله ﷺ، فَأَخْلَفَ اللهُ لِي خَيْرًا مِنْهُ رسولَ الله ﷺ.

رواه مسلم.

(٩٢٢/ ١٥٢) وعن أبي موسىٰ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ، قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ؟ فيقولونَ: نَعَمْ. فيقولُ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ فيقولونَ: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ. فيقول اللهُ تَعَالَىٰ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا فِي الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٩٢٣/ ١٥٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يقولُ اللهُ تَعَالَىٰ: مَا لِعَبْدِي المُؤمِنِ

عِنْدِي جزاءٌ إِذَا قبضْتُ صفِيَّهُ مِنْ أهلِ الدُّنيا، ثُمَّ احْتَسَبَهُ إِلَّا الجَنَّةَ». رواه البخاري.

(٩٢٤/ ١٥٢) وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: أَرْسَلَتْ إحدىٰ بَنَاتِ النَّبيِّ ﷺ إِلَيْهِ تَدْعُوهُ وتُخْبِرُهُ أنَّ صَبِيًّا لَهَا- أَو ابنًا- في المَوْتِ فقالَ للرسول: **«ارْجِعْ إِلَيْهَا، فَأَخْبِرْهَا أَنَّ لله تَعَالَىٰ مَا أخَذَ وَلَهُ مَا أعْطَىٰ، وكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِأجَلٍ مُسَمًّىٰ، فَمُرْهَا، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ»**... وذكر تمام الحديث. متفق عليه.

١٥٣- باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة

أَمَّا النِّيَاحَةُ فَحَرَامٌ، وَسَيَأتِي فِيهَا بَابٌ فِي كِتابِ النَّهْيِ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ. وَأَمَّا البُكَاءُ فَجَاءَتْ أَحَادِيثُ بالنَّهْيِ عَنْهُ، وَأنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ، وَهِيَ مُتَأَوَّلَةٌ ومَحْمُولَةٌ عَلَىٰ مَنْ أوْصَىٰ بِهِ، وَالنَّهْيُ إنَّمَا هُوَ عَنِ البُكَاءِ الَّذِي فِيهِ نَدْبٌ، أَوْ نِيَاحَةٌ، والدَّليلُ عَلَىٰ جَوَازِ البُكَاءِ بِغَيْرِ نَدْبٍ وَلا نِيَاحَةٍ أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا:

(٩٢٥/ ١٥٣) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ عاد سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ، وَمَعَهُ عبد الرحمن بْنُ عَوْفٍ، وَسَعدُ بْنُ أَبي وَقَّاصٍ، وَعبد الله بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم، فَبَكَىٰ رسولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَىٰ القَوْمُ بُكَاءَ رسولِ الله ﷺ بَكَوْا، فَقَالَ: **«أَلا تَسْمَعُونَ؟ إنَّ الله لا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا أوْ يَرْحَمُ»**. وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ. متفق عليه.

(٩٢٦/ ١٥٣) وعن أُسامَة بن زيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسول الله ﷺ رُفِعَ إِلَيْهِ ابنُ ابْنَتِهِ وَهُوَ فِي المَوتِ، فَفَاضَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ فَقَالَ لَهُ سَعدٌ: مَا هَذَا يَا رسولَ الله؟! قَالَ: **«هذِهِ رَحمَةٌ جَعَلَهَا اللهُ تَعَالَىٰ فِي قُلُوبِ عِبادِهِ، وَإِنَّمَا يَرْحَمُ اللهُ مِنْ عِبَادِهِ الرُّحَمَاءَ»**. متفق عليه.

(٩٢٧/ ١٥٣) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ دَخَلَ عَلَىٰ ابْنِهِ إبْرَاهِيمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَجَعَلَتْ عَيْنَا رسولِ الله ﷺ تَذْرِفان. فَقَالَ لَهُ عبد الرحمن بنُ عوفٍ: وأنت يا رسول الله؟! فقَالَ: **«يَا ابْنَ عَوْفٍ إنَّهَا رَحْمَةٌ»**. ثُمَّ أتْبَعَهَا بِأُخْرَىٰ، فَقَالَ ﷺ: **«إنَّ العَيْنَ تَدْمَعُ والقَلْبَ يَحْزَنُ، وَلا نَقُولُ إلَّا مَا يُرْضِي رَبَّنَا، وَإِنَّا لِفِرَاقِكَ يَا إِبرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ»**. رواه البخاري، وروىٰ مسلم بعضه. والأحاديث في الباب كثيرة في الصحيح مشهورة. والله أعلم.

١٥٤- باب الكف عمّا يرى من الميت من مكروه

(٩٢٨/ ١٥٤) عن أبي رافعٍ أَسْلَمَ مولىٰ رسول الله ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ غَسَّلَ مَيِّتًا

فَكَتَمَ عَلَيْهِ (أي: إذا رأى منه سوءًا)، غَفَرَ اللهُ لَهُ أرْبَعِينَ مَرَّة». رواه الحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم.

١٥٥- باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز

وَقَدْ سَبَقَ فَضْلُ التَّشْييعِ.

(٩٢٩/ ١٥٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ شَهِدَ الجِنَازَةَ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا، فَلَهُ قِيراطٌ، وَمَنْ شَهِدَهَا حَتَّىٰ تُدْفَنَ، فَلَهُ قِيرَاطَانِ». قيل: وَمَا القِيرَاطانِ؟ قَالَ: «مِثْلُ الجَبَلَيْنِ العَظِيمَيْنِ». متفق عليه.

(٩٣٠/ ١٥٥) وعنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنِ اتَّبَعَ جَنَازَةَ مُسْلِمٍ إيمانًا وَاحْتِسَابًا، وَكَانَ مَعَهُ حَتَّىٰ يُصَلَّىٰ عَلَيْهَا وَيُفرَغَ مِنْ دَفْنِهَا، فَإنَّهُ يَرْجعُ مِنَ الأَجْرِ بقيراطَيْنِ كُلُّ قِيرَاطٍ مِثْلُ أُحُدٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهَا، ثُمَّ رَجَعَ قَبْلَ أنْ تُدْفَنَ، فَإنَّهُ يَرْجِعُ بقيراطٍ». رواه البخاري.

(٩٣١/ ١٥٥) وعن أم عطية رضي الله عنها قالت: نُهِينَا عَنِ اتِّبَاعِ الجَنَائِزِ، وَلَمْ يُعْزَمْ عَلَيْنَا. متفق عليه.

ومعناه: وَلَمْ يُشَدَّدْ في النَّهْيِ كَمَا يُشَدَّدُ في المُحَرَّمَاتِ.

١٥٦- باب استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر

(٩٣٢/ ١٥٦) عن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَا مِنْ مَيتٍ يُصَلِّي عَلَيْهِ أُمَّةٌ مِنَ المُسْلِمِينَ يَبْلُغُونَ مِائَةً كُلُّهُمْ يَشْفَعُونَ لَهُ إلَّا شُفِّعُوا فِيهِ». رواه مسلم.

(٩٣٣/ ١٥٦) وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: «مَا مِنْ رَجُلٍ مُسْلِمٍ يَمُوتُ، فَيقُومُ عَلَىٰ جِنَازَتِهِ أرْبَعُونَ رَجُلًا لا يُشْرِكُونَ بِاللهِ شَيْئًا، إلَّا شَفَّعَهُمُ اللهُ فِيهِ». رواه مسلم.

(٩٣٤/ ١٥٦) وعن مَرْثَدِ بن عبد الله اليَزَنِيِّ، قَالَ: كَانَ مَالِكُ بن هُبَيْرَة رضي الله عنه إذَا صَلَّىٰ عَلَىٰ الجِنَازَة فتقالَّ (أي: رآهم قليلا) النَّاسَ عَلَيْهَا، جَزَّأَهُمْ عَلَيْهَا ثَلاثَةَ أجْزَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيْهِ ثَلاثَةُ صُفُوفٍ فَقَدْ أوْجَبَ (أي: قُبلت شفاعتهم فيه)». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٥٧- باب ما يقرأ في صلاة الجنازة

يُكبِّرُ أرْبعَ تكبيراتٍ، يَتعوَّذُ بَعْدَ الأُولَىٰ، ثُمَّ يَقْرَأُ فَاتِحَةَ الكِتَابِ، ثُمَّ يُكبِّرُ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ فيقول: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ. والأفْضَلُ أنْ يُتِمَّهُ بقوله: كَمَا صَلَّيتَ عَلَىٰ إبراهِيمَ... إلَىٰ قَوْله: إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ. ولا يَفعل مَا يَفْعَلهُ كَثيرٌ مِنَ العَوامِّ مِنْ قراءتِهِمْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية [الأحزاب: ٥٦]، فَإنَّهُ لا تَصحُّ صَلاتُهُ إِذَا اقْتَصَرَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُكبِّرُ الثَّالِثَةَ، وَيدعُو للمَيِّتِ وللمُسْلِمِينَ بِمَا سَنَذكُرُهُ مِنَ الأحاديث إنْ شَاءَ اللهُ تَعالَىٰ، ثُمَّ يُكبِّرُ الرَّابِعَةَ وَيَدْعُو. وَمِنْ أحْسَنِهِ:

«اللَّهُمَّ لا تَحرِمْنَا أجْرَه، ولا تَفْتِنَّا بَعْدَه، واغفِرْ لنَا وله».

وَالمُخْتارُ أنه يُطَوِّلُ الدُّعاء في الرَّابعَة خِلافَ مَا يَعْتَادُهُ أكْثَرُ النَّاسِ، لحديثِ ابنِ أبي أَوْفَىٰ الذي سَنَذْكُرُهُ إنْ شَاء اللهُ تَعالَىٰ. وَأمَّا الأَدْعِيَةُ المَأْثُورَةُ بَعْدَ التَّكْبِيرَةِ الثالثِةِ، فمنها:

(٩٣٥/ ١٥٧) عن أبي عبدِ الرحمن عوفِ بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّىٰ رسول الله ﷺ عَلَىٰ جِنازةٍ، فَحفِظْتُ مِنْ دُعائِهِ، وَهُوَ يقُولُ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وارْحمْهُ، وَعَافِهِ واعْفُ عَنْهُ، وَأكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ** (أي: الماء الجامد ينزل من السحاب قطعًا صغارًا)**، وَنَقِّهِ مِنَ الخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ** (أي: الوسخ)**، وَأبدلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِهِ، وَأهْلًا خَيرًا مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِهِ، وَأدْخِلهُ الجَنَّةَ، وَأعِذْهُ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ»**. حَتَّىٰ تَمَنَّيتُ أن أكُونَ أنَا ذَلِكَ المَيِّتَ. رواه مسلم.

(٩٣٦/ ١٥٧) وعن أبي هريرةَ وأبي قتادةَ وأبي إبراهيمَ الأشهليِّ عن أبيه- وأبوه صَحابيٌّ- رضي الله عنهم: عن النَّبيِّ ﷺ: أنَّهُ صَلَّىٰ عَلَىٰ جِنَازَةٍ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، وشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، اللَّهُمَّ مَنْ أحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأحْيِهِ عَلَىٰ الإسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتوفَّهُ عَلَىٰ الإيمَانِ، اللَّهُمَّ لا تَحرِمْنَا أجْرَهُ، وَلا تَفْتِنَّا بَعْدَهُ»**. رواه الترمذي من رواية أبي هريرة والأشهلي، ورواه أَبُو داود من رواية أَبي هريرة وأبي قتادة. قَالَ الحاكم: «حديث أبي هريرة صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم». قال الترمذي: «قال البخاري: أصح روايات هذا الحديث رواية الأشهلي، قال البخاري: وأصح شيء في هذا الباب حديث عوف بن مالك».

(٩٣٧/ ١٥٧) وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: **«إِذَا صَلَّيْتُم عَلَىٰ المَيِّتِ، فَأَخْلِصُوا لَهُ الدُّعاءَ»**. رواه أبو داود.

(٩٣٨/ ١٥٧) وعنه: عن النبيِّ ﷺ في الصَّلاةِ علىٰ الجنازةِ: «اللَّهُمَّ أنت ربُّها، وأنت خلقْتَها، وأنت هديْتَها للإسْلام، وأنت قبضْتَ روحَها، وأنت أعلَمُ بسرِّها وعلانيتِها، وقدْ جئناكَ شُفعاءَ لهُ، فاغفِرْ لهُ». رواه أبو داود.

(٩٣٩/ ١٥٧) وعن وَاثِلَةَ بنِ الأسْقعِ رضي الله عنه قال: صلَّىٰ بنا رسولُ الله ﷺ علىٰ رجُلٍ من المُسْلِمين، فسَمِعْتُهُ يقُولُ: «اللَّهُمَّ إنَّ فُلانَ بْنَ فُلانٍ في ذمَّتِك (أي: في عهدك) وحَبْلِ جوارِكَ (أي: أمانك)، فقِهِ (أي: احفظه ونجه) فِتْنَةَ القبرِ وعذابَ النَّارِ، وأنْتَ أهْلُ الوفَاءِ والحمْدِ؛ اللَّهُمَّ فاغفِرْ لهُ وارحَمْهُ، إنَّكَ أنْتَ الغفُورُ الرَّحيمُ». رواه أبُو داود.

(٩٤٠/ ١٥٧) وعن عبدِ اللهِ بنِ أبي أوْفىٰ رضي الله عنهما: أنَّهُ كبَّرَ علىٰ جنازةِ ابْنَةٍ لهُ أربعَ تكْبيراتٍ، فقامَ بعْدَ الرَّابعةِ كقدْرِ ما بيْنَ التَّكْبيرتَيْنِ يَسْتغْفِرُ لها ويدْعُو، ثُمَّ قالَ: كانَ رسول الله ﷺ يصْنعُ هكذَا.

وفي رواية: كبَّرَ أرْبعًا فمكَثَ ساعةً حتَّىٰ ظنَنْتُ أنَّهُ سيُكبِّرُ خمسًا، ثُمَّ سلَّمَ عنْ يمينِهِ وعَنْ شِمالِهِ. فلَمَّا انْصرفَ قُلْنا لهُ: ما هذَا؟ فقالَ: إنِّي لا أزيدُكُمْ علىٰ ما رأيْتُ رسولَ الله ﷺ يصْنعُ، أوْ: هكذَا صنَعَ رسول الله ﷺ. رواه الحاكم، وقال: «حديث صحيح».

١٥٨- باب الإسراع بالجنازة

(٩٤١/ ١٥٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قالَ: «أسْرِعُوا بالجنَازةِ، فإنْ تكُ صالِحةً، فخَيْرٌ تُقدِّمُونَها إليْهِ، وإنْ تكُ سِوىٰ ذلِكَ، فشَرٌّ تضَعُونَهُ عنْ رِقابِكُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «فخَيْرٌ تُقدِّمُونَها علَيْهِ».

(٩٤٢/ ١٥٨) وعن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رضي الله عنه قالَ: كانَ النَّبيُّ ﷺ يقولُ: «إذَا وُضِعَتِ الجِنَازةُ، فاحْتَمَلَها الرِّجالُ علىٰ أعناقِهِمْ، فإنْ كانَتْ صالِحةً، قالتْ: قدِّمُوني، وإنْ كانَتْ غيرَ صالِحةٍ، قالَتْ لأهْلِهَا: يا ويْلَها (أي: معنىٰ النداء: يا حزني؛ وأضاف الويل إلىٰ ضمير الغائب حملًا علىٰ المعنىٰ؛ كراهية أن يضيف الويل إلىٰ نفسه) أيْنَ تذْهَبُونَ بِها؟ يَسْمَعُ صوْتَها كُلُّ شيْءٍ إلَّا الإنْسانَ، ولَوْ سمِعَ الإنسانُ لَصَعِقَ». رواه البخاري.

* * *

(آداب الجنائز والتعزية)

آداب تشييع الجنازة: اتِّباعُ الجنازة يكون علىٰ مرتين:

الأولىٰ اتِّباعها من مكان غسلها إلىٰ الصلاة عليها.

والثانية اتباعها حتىٰ يُفرَغ من دفنها. وعلىٰ المُشيِّعين التزامُ الآداب التالية:

- الخشوع، أي سكينة الجوارح.
- ترك التحدث والحديث، فلا يكون هناك انشغال إلا بذكر الله.
- الاستغفار للميت، والمشي أمام أو قرب الجنازة ما استطاع، ويجوز خلفها كذلك أو عن يمينها أو يسارها محاولةً للقرب منها.
- ملاحظة الميت، بالنظر كثيرًا للجسد؛ لأن فيه اعتبارًا للحي وشفقةً للميت.
- التفكُّر في الموت؛ لأنه أحد أسباب سنة الجنائز.
- الإسراع بالجنازة إسراعًا لا يحصل منه مشقة علىٰ حاملها أو مشيعها، قال رسول الله ﷺ: «أَسْرِعُوا بِالجِنَازَةِ، فَإِنْ تَكُ صَالِحَةً فَخَيْرٌ تُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ، وَإِنْ تَكُ غَيْرَ ذَلِكَ فَشَرٌّ تَضَعُونَهُ عَنْ رِقَابِكُمْ» متفق عليه.
- ويُستحب للمُشيِّع ألا يجلس قبل أن تُوضع الجنازة علىٰ الأرض.
- ومن المستحب إلقاء موعظة عند القبر لتذكير الأحياء وللرحمة علىٰ الأموات.

آداب المُعزِّي: من آداب المُعزِّي: - خَفْض الجناح، واللين، والتواضع في أثناء الجنازة.

- إظهار الحزن وقلة التحدث عادة، وخاصة بكلام الشغل والدنيا.
- ترك التبسم والضحك. والانشغال بالذكر والدعاء.

ويُستحب لمن كان ذا صلة بأهل المتوفَّىٰ صنع الطعام لأهل الميت تخفيفًا عليهم وتطييبًا لخاطرهم.

* * *

١٥٩- باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته

(٩٤٣/ ١٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «نَفْسُ المُؤْمِنِ مُعَلَّقَةٌ بِدَيْنِهِ حَتَّىٰ يُقْضىٰ عَنْهُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٩٤٤/ ١٥٩) وعن حُصَين بن وَحْوَح رضي الله عنه: أنَّ طَلْحَةَ بْنَ البَرَاءِ رضي الله عنهما مَرِضَ، فَأتَاهُ النَّبيُّ ﷺ يَعُودُهُ، فَقَالَ: «إنِّي لا أرىٰ طَلْحَةَ إلَّا قَدْ حَدَثَ فِيهِ المَوْتُ، فآذِنُوني بِهِ وَعَجِّلُوا بِهِ، فَإنَّهُ لا يَنْبَغِي لِجِيفَةِ مُسْلِمٍ أنْ تُحْبَسَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أهْلِهِ». رواه أبو داود.

١٦٠- بابُ الموعظةِ عند القبر

(٩٤٥/ ١٦٠) عن عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا فِي جِنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رسولُ الله ﷺ فَقَعَدَ، وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ (أي: عُكَّاز برأس معوج) فَنَكَّسَ (أي: طأطأ رأسه) وَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ إلَّا وَقَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ وَمَقْعَدُهُ مِنَ الجَنَّةِ». فقالوا: يا رَسُول الله، أفَلا نَتَّكِلُ عَلَىٰ كِتابنا؟ فَقَالَ: «اعْمَلُوا؛ فكلٌّ مُيسرٌ لِمَا خُلِقَ لَهُ». وذكر تَمَامَ الحديث. متفق عليه.

١٦١- باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة

(٩٤٦/ ١٦١) وعن أبي عمرو- وقيل: أبو عبد الله وقيل: أبُو ليلىٰ- عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا فُرِغَ مِن دَفْنِ المَيِّتِ وَقَفَ عَلَيْهِ، وقال: «اسْتَغْفِرُوا لأخِيكُمْ وَسَلُوا لَهُ التَّثْبِيتَ، فَإنَّهُ الآنَ يُسْألُ». رواه أبو داود.

(٩٤٧/ ١٦١) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قَالَ: إذَا دَفَنْتُمُوني، فَأقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ، وَيُقَسَّمُ لَحمُهَا حَتَّىٰ أَسْتَأنِسَ بِكُمْ، وَأعْلَمَ مَاذَا أُرَاجعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

رواه مسلم وقد سبق بطوله.

قَالَ الشَّافِعِيُّ: وَيُسْتَحَبُّ أنْ يُقْرَأ عِنْدَهُ شَيْءٌ مِنَ القُرآنِ، وَإنْ خَتَمُوا القُرآنَ عِنْدَهُ كَانَ حَسَنًا.

١٦٢- باب الصدقة عن الميت والدعاء له

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

(٩٤٨/ ١٦٢) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أَنَّ رَجُلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: إِنَّ أُمِّي افْتُلِتَتْ نَفْسُهَا (أي: ماتت فجأة قبل أن تُوصي) وَأُرَاهَا لَوْ تَكَلَّمَتْ تَصَدَّقَتْ، فَهَلْ لَهَا أَجْرٌ إِنْ تَصَدَّقْتُ عَنْهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفق عليه.

(٩٤٩/ ١٦٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَانُ انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم.

١٦٣- باب ثناء الناس على الميت

(٩٥٠/ ١٦٣) عن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَرُّوا بِجَنَازَةٍ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا خَيْرًا، فَقَالَ النبي ﷺ: «وَجَبَتْ». ثُمَّ مَرُّوا بِأُخْرَىٰ، فَأَثْنَوْا عَلَيْهَا شَرًّا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «وَجَبَتْ». فَقَالَ عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: مَا وَجَبَتْ؟ فَقَالَ: «هَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ خَيْرًا، فَوَجَبتْ لَهُ الجَنَّةُ، وهَذَا أَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِ شَرًّا، فَوَجَبَتْ لَهُ النَّار، أَنْتُمْ شُهَدَاءُ اللهِ فِي الأَرْضِ». متفق عليه.

(٩٥١/ ١٦٣) وعن أبي الأَسْوَدِ قَالَ: قَدِمْتُ المَدِينَةَ، فَجَلَسْتُ إِلَىٰ عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فَمَرَّتْ بِهِمْ جِنَازَةٌ، فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِأُخْرَىٰ فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا خَيْرًا، فَقَالَ عُمَرُ: وَجَبَتْ، ثُمَّ مُرَّ بِالثَّالِثَةِ، فَأُثْنِيَ عَلَىٰ صَاحِبِهَا شَرًّا، فَقَالَ عُمَر: وَجَبَتْ، قَالَ أَبُو الأسودِ: فقلتُ: وَمَا وَجَبَتْ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: قلت كما قال النبي ﷺ: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ شَهِدَ لَهُ أَرْبَعَةٌ بِخَيرٍ، أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ». فَقُلْنَا: وَثَلاثَةٌ؟ قَالَ: «وَثَلاثَةٌ». فقلنا: وَاثْنَانِ؟ قَالَ: «وَاثْنَانِ». ثُمَّ لَمْ نَسْأَلْهُ عَنِ الوَاحِدِ. رواه البخاري.

١٦٤- باب فضل من مات له أولاد صغار

(٩٥٢/ ١٦٤) وعن أنسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَمُوتُ لَهُ ثَلاثَةٌ لَمْ يَبْلُغوا الحِنْثَ (أي: سن التكليف) إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ الجَنَّةَ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ إِيَّاهُمْ». متفق عليه.

(٩٥٣/ ١٦٤) وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَمُوتُ لأَحَدٍ مِنَ المُسْلِمِينَ ثَلاثَةٌ مِنَ الوَلَدِ لا تَمَسُّهُ النَّارُ إِلَّا تَحِلَّةَ القَسَمِ (أي: ما ينحل به القسم)». متفق عليه.

و«تَحِلَّةُ القَسَمِ» قولُ الله تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ﴾ [مريم: ٧١]. وَالوُرُودُ: هُوَ العُبُورُ عَلَىٰ الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَىٰ ظَهْرِ جَهَنَّمَ، عَافَانَا اللهُ مِنْهَا.

(٩٥٤/ ١٦٤) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءتِ امْرأَةٌ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ فقالت: يَا رسول الله، ذَهبَ الرِّجَالُ بِحَدِيثِك، فَاجْعَلْ لَنَا مِنْ نَفْسِك يَوْمًا نَأتِيك فِيهِ تُعَلِّمُنا مِمَّا عَلَّمَك اللهُ، قَالَ: «اجْتَمِعْنَ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا». فَاجْتَمَعْنَ، فَأَتَاهُنَّ النبيُّ ﷺ فَعَلَّمَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، ثُمَّ قَالَ: «مَا مِنْكُنَّ مِن امْرَأَةٍ تُقَدِّمُ (أي: يموت لها) ثَلاثَةً مِنَ الوَلَدِ إِلَّا كَانُوا لها حِجَابًا مِنَ النَّارِ». فقالت امرأة: واثْنَين؟ فَقَالَ رسول الله ﷺ: «وَاثْنَيْنِ». متفق عليه.

١٦٥- باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك

(٩٥٥/ ١٦٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ لأَصْحابِهِ- يعْني لَـمَّا وَصَلُوا الحِجْرَ دِيَارَ ثَمُودَ: «لا تَدْخُلُوا عَلَىٰ هَؤُلاءِ المُعَذَّبِينَ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَإِنْ لَمْ تَكُونُوا بَاكِينَ، فَلا تَدْخُلُوا عَلَيْهِمْ، لا يُصِيبُكُمْ مَا أَصَابَهُمْ (أي: من العذاب)». متفق عليه.

وفي روايةٍ قَالَ: لَـمَّا مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِالحِجْرِ (أي: وهي ديار ثمود فيما بين المدينة والشام)، قَالَ: «لا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ، أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ». ثُمَّ قَنَّعَ رسولُ الله ﷺ رَأْسَهُ (أي: غطَّاها برداء) وأَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّىٰ أَجَازَ الوَادِي (أي: قطعه وخلفه وراءه).

* * *

٧- كتاب آداب السفر

(السفر والاغتراب والتوديع والفراق)

قال ﷺ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ الْعَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَىٰ نَهْمَتَهُ (أي: حاجته) فَلْيُعَجِّلْ إِلَىٰ أَهْلِهِ» متفق عليه. وسُمِّي السفرُ سفرًا لأنه يُسفِر؛ أي: يكشف عن الأخلاق؛ ولذلك قال عمرُ ﷺ للذي زكَّىٰ عنده شاهدًا في خلافٍ ماليٍّ: هل صحبتَه

في السفر الذي يُستدَلُّ به علىٰ مكارمِ أخلاقِهِ؟ فقال: لا. فقال: ما أُرَاكَ تعرفُهُ.

والنفسُ في وطنها مع سهولة وملاءمة الحياة والأسباب لا تَظْهَر عيوبُها ولا خُبْث صفاتها؛ للاستئناس بالمألوفات، فإذا حملت وَعْثاء السفر وبعدت عن المألوف والمعتاد وامتُحنت بمشاقِّ الغربة انكشفت لها عيوبها، فعند ذلك يمكن الاشتغالُ بعلاجها مع ما في السفر من مخالطة الناس بفوائدها ومضارِّها.

ومن لا يطلع علىٰ أسرار نفسه وخبث صفاته لا يقدر علىٰ تطهير القلب منها.

أقسام السفر:

الأول: السفرُ في طلب العلم: وقد يكون واجبًا أو نفلًا بحسَب كون العلم واجبًا أو نفلًا في حقِّ المسافر؛ قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ الله حَتَّىٰ يَرْجِعَ». الترمذي برقم (٢٦٤٧).

الثاني: السفرُ للعبادة، كالحج، والعمرة، والجهاد، والدعوة، وزيارة العلماء وطلب الدعاء منهم؛ فالنظر في وجوههم عبادة، وللتخلق بأخلاقهم وآدابهم وأفعالهم.

الثالث: السفر خوفًا من ضياع الدِّين في الوطن بسبب الانشغال بطلب الدنيا وشدة الفاقة والحاجة، فله أن يُسافر تيسيرًا علىٰ نفسه، وقد كان عادة السلف مفارقة ما اعتادوه من أماكنهم خيفة الفتنة.

ورُئي سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ اللهُ وقد حمل متاعَه يُريد السفر، فسأله صاحبه: إلىٰ أين؟ قال: بُلِّغتُ عن قريةٍ فيها رخص أريد أن أقيم بها. فقلتُ له: وتفعل هذا؟ قال: نعم، إذا بلغك أن قرية فيها رخص فأقِمْ بها؛ فإنه أسلمُ لدينك وأقلُّ لِـهَمِّكَ.

وهذا بالطبع لمن تَيَسَّر له هذا.

الرابع: السَّفَر هربًا من الأمراض، كالطاعون وخلافه، أو الهرب من الغلاء في الحياة.

وقد يجب في بعض الأحيان، وربما يستحب في أحيان أخرىٰ بحسب المصالح والمفاسد المترتبة.

أنواع السفر: والسفر ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام: سفر مذموم، وسفر محمود، وسفر مباح.

أما السفر المذموم: فينقسم إلىٰ سفر حرام: كسفر الابن رغمًا عن إرادة والديه. وسفر مكروه: كالخروج من بلد بعد أن تفشىٰ فيه الوباء ويخشىٰ بسفره انتشار الوباء خارج البلد.

وأما السفر المحمود: فينقسم إلىٰ واجب: كالحج، وطلب العلم الذي هو فريضة علىٰ كلِّ مسلم. وإلىٰ مندوبٍ إليه: كزيارة العلماء.

وأما السفر المباح: فكالتنزه والترفيه عن النفس وما شابهه في غير معصية الله.

ولتكن النية الدار الآخرة في جميع أسفاره، وقد يكون السفرُ أفضلَ من الإقامة أو العكس، فينظر العبد في المصالح والمفاسد، وعمومًا فإن الأعون علىٰ الدين هو المطلوب. وثمرة الدين في الدنيا هي تحصيل معرفة الله تعالىٰ، وتحصيل الأنس بذكر الله تعالىٰ. والأنسُ يحصل بدوام الذكر، والمعرفة تحصل بدوام الفكر، فوجب تعلم طريق الفكر والذكر. والسفر هو المُعين علىٰ التعلم والفكر، والإقامة هي المُعين علىٰ العمل بالعلم والذكر.

وقد أمر النبيُّ ﷺ باتخاذ الأمير فقال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ». عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٥٨) برقم (٦٩٦٠).

صفات أمير السفر: أن يكون أحسنهم أخلاقًا؛ وذلك لأن السفر من أسباب الضجر، ومَن حَسُن خلقه في الضجر فهو حَسَنُ الخلق. وأن يكون أرفقهم بالصحبة، وألينهم.

وأن يكون أسرعهم إلىٰ فِعل الكرم والجود والإيثار. وأن يكون أرغبهم في الاتفاق واتحاد الكلمة وعدم الاختلاف. وإنما يُحتاج إلىٰ الأمير في السفر؛ لأن الآراء تختلف أثناء السفر في كثيرٍ من الأمور التي تحتاج إلىٰ الفصل والتعيين، مثل تعيين الأماكن التي ينزل فيها، أو الطرق التي يمشي بها، أو بعض مصالح السفر الأخرىٰ، ولا يتأتَّىٰ ذلك بكثرة الآراء وعدم الاتفاق وانفراد كل واحد برأيه؛ فالعالَم انتظم أمره لأن مدبر الكون واحد: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، فإذا كان المدبِّر واحدًا انصلح وانضبط أمر التدبير، وإذا كثر المدبرون فسدت الأمور سواء في الحضر أو السفر.

ولأن في الإقامة والوطن هناك دائمًا أمير أو مسئول أو مدير أو حاكم وما شابه، بشكل عام أو بشكل خاص، كربِّ الأسرة مثلًا، وأما السفر فلا يكون الأمير إلا بالتعيين والتأمير، وقد نبَّه النبيُّ ﷺ إلىٰ ذلك فقال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي السَّفَرِ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ» [عبد الرزاق في مصنفه (٤/ ٥٨) برقم (٦٩٦٠)] ليمنع التشتت والفرقة.

وعلىٰ الأمير أن يقدم مصلحة الجماعة، ويجعل من نفسه وقاية لهم من السوء. ولاحتياج كلِّ إنسانٍ لرفيق في حاله، وقد قال رسول الله ﷺ: «خَيْرُ الأَصْحَابِ أَرْبَعَةٌ» [أحمد في مسنده (١/ ٢٩٩) برقم (٢٧١٨)] يقصد في السفر؛ وذلك لأن السفر يحتاج إلىٰ من يحفظ المتاع والرحال، ومن يتحرك في جلب المصالح وقضاء الحوائج، فصار مع كلِّ حال رجلان؛ ليكون أفضل وأعون لهم علىٰ تحمُّل المسئولية ومشاقِّ السفر، وليتحقق فيه معنىٰ الصحبة في السفر.

آداب السفر: أن يبدأ المسافرُ بردِّ المظالم وقضاء الديون إن استطاع؛ لأنه ربما يُسافر ولا يعود، بل عليه كتابةُ وصيَّته، ثم إعداد النفقة اللازمة لسفره، وليأخذ قدرًا زائدًا إن استطاع ليوسع بها علىٰ رفقائه؛ قال ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: مِن كَرَمِ الرجل طِيبُ زادِه في سفره.

ثم لابد في السفر من تطييب الكلام مع المسافرين، وإطعام الطعام كرمًا، وإظهار مكارم الأخلاق.

واعلم أن من صَلُح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر، وليس العكس؛ ولذا قالوا: إذا أثنىٰ علىٰ الرجلِ مُعامِلوه في الحضر ورفقاؤه في السفر فلا تَشُكُّوا في صلاحه.

والسفر من أسباب الضجر وضيق الخُلُق، ومَن أحسن خُلُقَه في الضجر فهو حَسَنُ الخلق. وقيل: ثلاثة لا يُلامون علىٰ الضجر: الصائم، والمريض، والمسافر.

ثم تمام حُسْن خلق المسافر: الإحسان، ودفع أجرة الانتقال، ومعاونة الرفقاء بكل ممكن، والرفق بالضعفاء وإعانتهم. وقيل: الضعيف أمير الركب، وسيروا بسير ضعفائكم.

ثم المزاح مع الرفقاء في بعض الأوقات وليس كلها، من غير فُحش ولا معصية؛ لتسليتهم من الضجر ومشاقِّ السفر. ثم أن يحاول ألا يسافر وحيدًا إذا أمكنه ذلك، فالرفيق قبل الطريق، وليختَرْ رفيقًا يُعينه علىٰ دينه، ويُذكِّره إذا نسي، ويساعده إذا ذكر الله؛

فإن: «الْمَرْءَ عَلَىٰ دِينِ خَلِيلِهِ» [متفق عليه]، ولا يُعرف الرجل إلا برفيقه.

ثم أن يختار المسافرون لأنفسهم أميرًا؛ لقوله ﷺ، كما سبق: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً فِي سَفَرٍ فَأَمِّرُوا أَحَدَكُمْ». وأن يُودِّع المسافر رفقاءه في الحضر والأهل والأصدقاء، فقد قيل: إذا خرج أحدكم إلىٰ سفر فَلْيُودِّع إخوانه؛ فإن اللهَ جاعلٌ في دعائهم بركةً.

وقال الشَّعْبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: السُّنة إذا قَدِم رجلٌ من السَّفَر أن يأتيه إخوانه فيُسلِّموا عليه، وإذا خَرَج إلىٰ سفرٍ أن يأتيهم هو فيُودِّعهم ويطلب دعاءهم.

وقال عمرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تلقَّوُا الحاجَّ ولا تُشيِّعوهم.

وأن يصلي صلاة الاستخارة قبل سفره. وأن يلتزم بالأذكار والأدعية المسنونة عند الخروج من المنزل، وعند ركوب الدابة، وعند مفارقة الوطن، وعند الوصول ودخول القرية أو المدينة.وأن يصحب معه أشياءه التي تُعينه علىٰ أمر دينه ودنياه.وأن يرجع بآداب الرجوع من السفر، ومنها الأدعية الخاصة بالرجوع. وأن يسرع في العودة إلىٰ أهله بعد انتهاء مراده، وحسب مقتضيات الصحبة والجماعة. وأن يحمل هدية لأهل بيته وأولاده علىٰ قدر الممكن والمتاح.

واعلم أخي أن السفر غربة، والغربة ذلة، وليس للمؤمن أن يُذِلَّ نفسه إلا لطلب دينه؛ ذلك لأن عزة الدين قد لا تُنال إلا بذلة الغربة. ويحتاج الإنسان في سفره إلىٰ علوم كان مستغنيًا عنها في الحضر، كالعلم بمعرفة القِبلة وأوقات الصلاة؛ إذ قد يفقد الآلة التي تُعينه عليها، وكما أنه يحتاج في إقامته إلىٰ معرفة الطهارة والصلاة والصوم وسائر العبادات، فلزمه في السفر أن يعرف القدر الذي يخففه السفر، كالقصر والجمع والفطر.

رخص السفر: يحتاج الإنسان إذا سافر أن يعرف الرُّخص الممنوحة له في السفر:

في الطهارة: في الغسل والوضوء رخصتان: المسح علىٰ الخُفَّين، والتيمم بالتراب بدلًا من الماء عند العذر.

في صلاة الفرض رخصتان: القصر في صلوات الظهر والعصر والعشاء، الجمع في الصلاة بين الظهر والعصر في وقت أحدهما، بين المغرب والعشاء في وقت أحدهما، وترك الجمعة أيضًا من رخص السفر.

وفي النفل رخصتان: أداء النافلة راكبًا علىٰ الراحلة، كالسيارة والقطار والطائرة، وليس له استقبال القبلة لا في ابتداء الصلاة ولا في دوامها، بل عليه متابعة الطريق، إلا إذا تيسَّر له ذلك. وأداء النافلة ماشيًا، حيث يُومئ بالركوع والسجود ولا يقعد للتشهد؛ لأن ذلك يُبطل فائدة الرخصة، وحكمه حكم الراكب، لكن علىٰ أن يبدأ الصلاة متحريًا القبلة برأسه، ولا يمشي في نجاسة، ولا رطب عمدًا وإلا بطلت صلاته، بخلاف الدابة فلا شيء في ذلك. ولكل هاربٍ من عدوٍّ أو خائفٍ من سيل أن يصلي الفريضة نفسها راكبًا أو ماشيًا.

وفي الصوم رخصة واحدة: وهي الفطر، فإن أصبح مسافرًا علىٰ عزم الصوم لم يلزمه، بل له أن يُفطر إذا أراد. وقد يكون في حقِّ بعض الناس سهولةٌ في الصوم، فالصوم عند ذلك أفضل لهم من الفطر، كما أن القصر في الصلاة أفضل من الإتمام؛ للخروج من الخلاف.

فلابد للمسافر من تعلُّم رُخَص السفر، إلا إذا كان أُمِّيًّا بسيطًا، وكان مع عالِمٍ في سفره يقدر علىٰ استفتائه عند الحاجة.

(صلاة السفر)

السفرُ في اصطلاح الشرع: هو قطع مسافةٍ تتغير بها الأحكام من: قَصْر الصلاة، وجَمْعها، وإباحة الفطر في شهر رمضان، وامتداد مدة المسح علىٰ الخفين، وسقوط الجمعة والعيدين، وسقوط الأضحية عن المسافر، وسفر المرأة الحرة بلا محرم أو زوج.

مسافة السفر المعتبرة شرعًا: السفر المعتبر شرعًا والذي تترتب عليه الأحكام الخاصة به هو ما يُعتبر سفرًا في عرف الناس وعاداتهم.

وأصح ما ورد في مسافة القصر ما رواه أحمد ومسلم وأبو داود والبيهقي عن يحيىٰ بن زيد قال: سألت أنس بن مالك عن قصر الصلاة فقال أنس رضي الله عنه: **كان النبي ﷺ إذا خرج مسيرة ثلاثة أميال أو فراسخ يصلي ركعتين** (أي: يقْصر في الصلاة). وقال ابن حجر إنه أصح ما

ورد في بيان ذلك وأصرحه.

وروي عن أبي سعيد الخدري ﵁ أنه قال: **كان رسول الله ﷺ إذا سافر فرسخًا يقصر الصلاة.**

والفرسخ ثلاثة أميال، فبين الحديث أن أقل مسافة قصر فيها رسول الله ﷺ الصلاة كانت ثلاثة أميال والفرسخ ٥٥٤١ مترًا والميل ١٥٨٤ مترًا. انتهىٰ.

وذهب مالك والشافعي وأحمد وجماعة كثيرة إلىٰ أن الصلاة تقصر فيما يساوي بحساب اليوم حوالي: ثمانين كيلو، ونصف الكيلو متر، ومائة وأربعين مترًا.

وذكر في فقه السنة نقلًا عن كتاب المغني ما يفيد أن ما ذهب إليه الفقهاء من اشتراط السفر الطويل لجواز القصر- لا حجة لهم فيه مع الاختلاف والتعارض في أقوال الصحابة، وأنه قد روي عن ابن عمر وابن عباس خلاف ما قاله الفقهاء، ثم قال: إن ما ذكروه مخالف لسنة النبي ولظاهر القرآن الذي أباح القصر لمن ضرب في الأرض، ثم قال إن السنة مع من أباح القصر لكل مسافر؛ حيث لم ينعقد إجماع علىٰ خلاف ذلك، ويستوي في ذلك السفر في الطائرة أو القاطرة.

ومن كان عمله يقتضي السفر دائمًا مثل قائدىٰ الطائرات ومضيفيها وسائقي النقل ومن في شاكلتهم فإنه يرخص له القصر والفطر لأنه مسافر حقيقة.

قصر الصلاة في السفر: اختلف الفقهاء في حكم قَصْر الصلاة في السفر:

فقالت طائفة: إن القصر واجب. وقالت طائفة: إنه سُنَّة مؤكدة. وقالت طائفة أخرىٰ: إنه جائز والقصر أفضل من الإتمام. ومنهم من رآه رخصة، وكلُّ هذا في سفر الطاعة، كالحج والجهاد، وكذلك السفر المباح، كالتجارة أو الزواج، أما سفر المعصية فلا يجوز فيه القصر.

ولا يبدأ المسافر قَصْرَ الصلاة إلا إذا فارق بيوتَ القرية أو المدينة التي يعيش فيها، كذلك لا يُتِمُّ صلاته عند عودته إلا إذا دخل بيوت قريته أو مدينته. وللضواحي حكم البلد، فعليه

أن يُفارق بيوتها كذلك. وللمسافر أن يَقصُر الصلاة ما دام مسافرًا، فإذا أقام لحاجةٍ ينتظرها ولم يعلم متىٰ تنقضي فله أن يقصر الصلاة ولو بقي سنين. وقيل: إن نوىٰ الإقامة مدةً معينة (أي: خمسة عشر يومًا مثلًا) يُتِمُّ الصلاة عند الأحناف. وقيل: إن نوىٰ أربعة أيام غير يومِ السفر والانصرافِ أتمَّ الصلاة. وقال ابنُ القيِّم: إن الإقامة لا تُخرج عن حكم السفر، سواء طالت أم قصرت، ما لم يستوطن المكان الذي أقام فيه (أي: يسكن فيه ويتخذه وطنًا له). وانتصر لرأيه فقال: أقام رسول الله ﷺ بتبوك عشرين يومًا يقصر الصلاة ولم يقل للأمة لا يقصر الرجل الصلاة إذا أقام أكثر من ذلك، ولكن اتفق إقامته هذه المدة.

وهذه الإقامة في حال السفر لا تخرج عن حكم السفر سواء أطالت أم قصرت إذا كانت ليست وطنًا له ولا عازمًا علىٰ الإقامة بها. وهكذا اختلف السلف والخلف اختلافًا كثيرًا. وإذا اقتدىٰ المسافرُ بمُقيم فعليه أن يُتم الصلاة.

والمفتىٰ به في مصر أنه يجوز للمسافر أن يقصر الصلاة إذا بلغ مسافة القصر وهي ٨٣,٥ كيلومترًا، ومعناه أنه يصلي الرباعية (الظهر والعصر والعشاء) ركعتين، والقصر غير لازم للجمع، فيمكن للمسافر أن يقصر الصلاة دون أن يجمعها، وصلاتا الصبح والمغرب لا تقصران، وأن يجمع بين الظهر والعصر فيصليهما في وقت أيهما شاء، وكذلك المغرب والعشاء يجمع بينهما فيصليهما في وقت أيهما شاء، ويجوز للمسافر أن يجمع مع قصر الرباعية، ويجوز له أن يجمع مع الإتمام من غير قصر.

فإن جمع المسافر جمع تأخير فعليه أن ينوي قبل خروج وقت الصلاة الأولىٰ أنه يجمعها تأخيرًا مع وقت الصلاة الثانية.

والمسافر إذا صح سفره يظل علىٰ حكم السفر فيما يخص الصلاة من قصر وجمع، ولا يتغير هذا الحكم إلا إذا نوىٰ الإقامة، أو دخل وطنه، فحينئذٍ تزول حالة السفر، ويصبح مقيمًا تنطبق عليه أحكام المقيم، والمدة المعتبرة في الإقامة هي أربعة أيام غير يومَي الدخول والخروج، فإذا نوىٰ الإقامة أربعة أيام فأكثر غير يومي الدخول والخروج يتم صلاته ولا يجمعها، ويبدأ التعامل كمقيم من أول يوم بعد يوم الوصول، وأما إن نوىٰ لإقامة أقل من ذلك أو لم ينوِ، فيظل علىٰ رخصة القصر والجمع إلىٰ أن يتم أربعة أيام،

ولا يحسب من الأيام يومًا الوصول والرجوع.

فالرخصة أن يجمع ويقصر (٢٠) صلاة (أربعة أيام بلياليهن) إن نوىٰ الإقامة هذه المدة فأقل، أما إن نوىٰ أكثر من ذلك فيتم من أول يوم بعد يوم الوصول. ولو لم ينوِ المسافر الإقامة بعد وصوله، وكانت له حاجة يتوقع انقضاءها في أي وقت، وأنه متىٰ قضيت رجع من سفره ولم ينوِ الإقامة، فله أن يقصر الصلاة ثمانية عشر يومًا صحاحًا.

متى يبدأ القصر في الصلاة: المُعتبَر عند الحنابلة هو كونُ الصلاة في السفر أو في الحضر في أول الوقت، وفي آخر الوقت عند غيرهم من الفقهاء. وعلىٰ هذا فمَن بَدَأَ السفرَ قبل المغرب ولم يكن قد صلَّىٰ العصرَ، فإنه يُصلِّي العصرَ أربعَ رَكَعات عند الحنابلة؛ لأنه أدرك العصرَ في الحضر وهو مُقِيمٌ.

وعند غيرهم من الفقهاء يُصلِّي العصرَ ركعتين؛ لأن العبرةَ بآخر الوقت.

مفارقة المسافر بحرًا: مَن كانت إقامته في بلد ساحلية علىٰ البحر، وأراد أن يستقل سفينةً في سفره فالمعتبر لتحقيق الرخصة هو مجاوزة هذه السفينة وبُعدها عن البلد ومجاوزة العمران، فإن كانت راسيةً علىٰ مسافة واحتاج المسافر إلىٰ زورق للانتقال إليها فإن الرخصة تبدأ له من مغادرة الزورق وركوب السفينة، إلا إذا كانت طبيعة عمله تقتضي ذلك، بأن يذهب ويعود إليها، فليس له أن يأخذ بالرخصة.

مفارقة المسافر جوًّا: من سافر مستقلًّا بالطائرة، فالمفارقة المعتبرة له إن تجاوزت الطائرة العمران، وعند الهبوط لا يزال في سفر حتىٰ تحاذي الطائرة العمران إذا كان المطار داخل البلد.

المطارات والموانئ: إذا كان المطار أو الميناء خارج المدينة وقد فارق العمران فإن للمسافر حينئذ أن يأخذ بالرخص، أما إذا كان داخلها فلا يحصل به الترخص إلا ما سبق من ركوب الطائرة أو السفينة علىٰ النحو الذي ذُكر من قبل. ومن كان مسافرًا ولكن علىٰ لائحة الانتظار، أو خرج مُودِّعًا أو يفكر في السفر مع أصحابه فلا يجوز له الترخص.

وذهب جمهورُ العلماء إلىٰ عدم كراهة التنفل - صلاة التطوع - في السفر، لا فرق بين السنن الراتبة وغيرها. ولم يترك النبيُّ ﷺ صلاة ركعتي الفجر والوتر وصلاة الليل في سفرٍ ابن خزيمة في صحيحه (٢/ ٢٤٨) برقم (١٢٦١). ولا بأس بالسفر يوم الجمعة ما لم تحضر الصلاة بأن يُؤذَّن لها، فإن أُذِّن لها حَرُم السفرُ وتَرْكُ الجمعة.

❋ ❋ ❋

١٦٦- باب استحباب الخروج يوم الخميس واستحبابه أول النهار

(٩٥٦/ ١٦٦) عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ خَرَجَ في غَزْوَةِ تَبُوكَ يَوْمَ الخَمِيس، وَكَانَ يُحِبُّ أنْ يَخْرُجَ يَوْمَ الْخَميسِ. متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين: لقلما كان رسول الله ﷺ يَخْرُجُ إلَّا في يَوْمِ الخَمِيسِ.

(٩٥٧/ ١٦٦) وعن صخر بن وَدَاعَةَ الغامِدِيِّ الصحابيِّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لأُمَّتِي فِي بُكُورِهَا (أي: الخروج في أول النهار)». وَكَانَ إذَا بَعَثَ سَرِيَّةً أَوْ جَيْشًا بَعَثَهُمْ مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ. وَكَانَ صَخْرٌ تَاجِرًا، فَكَانَ يَبْعَثُ تِجَارَتَهُ أَوَّلَ النَّهَار، فَأَثْرَىٰ (أي: صار ذا ثروة) وَكَثُرَ مَالُهُ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحداً يطيعونه

(٩٥٨/ ١٦٧) عن ابن عمرَ رضي الله عنهما قالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ يَعْلَمُونَ مِنَ الوَحْدَةِ مَا أَعْلَمُ، مَا سَارَ رَاكِبٌ بِلَيْلٍ وَحْدَهُ!». رواه البخاري.

(٩٥٩/ ١٦٧) وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «الرَّاكِبُ شَيْطَانٌ، وَالرَّاكِبَانِ شَيْطَانَانِ، وَالثَّلَاثَةُ رَكْبٌ». رواه أبو داود والتِّرمذي والنسائي بأسانيد صحيحة، وقال التِّرمذي: «حديث حسن».

(٩٦٠/ ١٦٧) وعن أَبي سعيدٍ وأبي هُريرةَ رضيَ اللهُ تَعَالَىٰ عنهما قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا خَرَجَ ثَلَاثَةٌ فِي سَفَرٍ فَلْيُؤَمِّرُوا أَحَدَهُمْ». حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٩٦١/ ١٦٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «خَيْرُ الصَّحَابَةِ (أي: جمع صاحب) أَرْبَعَةٌ، وَخَيْرُ السَّرَايَا (أي: السرايا: جمع السرية، وهي طائفة من الجيش، وسميت بذلك لأنها كانت تسري بالليل) أَرْبَعُمِائَةٍ، وَخَيْرُ الْجُيُوشِ أَرْبَعَةُ آلافٍ، وَلَنْ يُغْلَبَ اثْنَا عَشَرَ أَلْفًا مِنْ قِلَّةٍ (أي: ليس بسبب القلة)». رواه أبو داود والتِّرْمذي، وقال: «حديث حسن».

١٦٨- باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السرى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، وأمر من قصَّر في حقها بالقيام بحقها، وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك

(٩٦٢/ ١٦٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا سَافَرْتُم فِي الخِصْبِ، فَأَعْطُوا الإبِلَ حَظَّهَا (أي: حقها من نبات الأرض) مِنَ الأَرْضِ، وَإِذَا سَافَرْتُم فِي الجَدْبِ (أي: القحط؛ وهو المكان الذي لا زرع فيه ولا ضرع)، فَأَسْرِعُوا عَلَيْهَا السَّيْرَ، وَبَادِرُوا بِهَا نِقْيَهَا، وَإِذَا عَرَّسْتُمْ، فَاجْتَنِبُوا الطَّرِيقَ؛ فَإِنَّهَا طُرُقُ الدَّوَابِّ، وَمَأوَىٰ الهَوَامِّ (أي: جمع هامة: كل ما له سم يقتل كحية وقد يطلق على ما لا يقتل كالحشرات) بِاللَّيْلِ». رواه مسلم.

معنىٰ «أَعْطُوا الإبِلَ حَظَّهَا مِنَ الأَرْضِ» أي: ارْفُقُوا بِهَا فِي السَّيْرِ لِتَرْعَىٰ فِي حَالِ سَيرِهَا. وَقوله: «نِقْيَهَا» هُوَ بكسر النون وإسكان القاف وبالياءِ المثناة من تَحْت، وَهُوَ المُخُّ، معناه: أَسْرِعُوا بِهَا حَتَّىٰ تَصِلُوا المَقصِدَ قَبْلَ أنْ يَذْهَبَ مُخُّهَا مِنْ ضَنْك السَّيْرِ. و«التَّعْرِيسُ»: النُّزولُ في اللَّيلِ.

(٩٦٣/ ١٦٨) وعن أبي قتادة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا كَانَ فِي سَفَرٍ، فَعَرَّسَ (أي: بات) بِلَيْلٍ اضْطَجَعَ عَلَىٰ يَمِينِهِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأسَهُ عَلَىٰ كَفِّهِ. رواه مسلم.

قَالَ العلماءُ: إنَّمَا نَصَبَ ذِرَاعَهُ لِئَلَّا يَسْتَغْرِقَ فِي النَّومِ، فَتَفُوتَ صَلاةُ الصُّبْحِ عَنْ وَقْتِهَا أَوْ عَنْ أَوَّلِ وَقْتِهَا.

(٩٦٤/ ١٦٨) عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالدُّلْجَةِ، فَإِنَّ الأَرْضَ تُطْوَىٰ بِاللَّيْلِ». رواه أبو داود بإسناد حسن. «الدُّلْجَةُ»: السَّيْرُ في اللَّيلِ.

(٩٦٥/ ١٦٨) وعن أبي ثَعْلَبَةَ الخُشَنيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: كَانَ النَّاسُ إِذَا نَزَلُوا مَنزِلًا تَفَرَّقُوا فِي الشِّعَابِ وَالأَوْدِيَةِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ تَفَرُّقَكُمْ فِي هذِهِ الشِّعَابِ (أي: الشعاب: جمع الشعب،

وهو الطريق في الجبل، أو ما انفرج بين الجبلين) **وَالأَوْدِيَةِ** (أي: مسيل ماء المطر مما بين الجبلين) **إِنَّمَا ذَلِكُمْ مِنَ الشَّيْطَانِ!**». فَلَمْ يَنْزِلُوا بَعْدَ ذَلِكَ مَنْزِلًا إِلَّا انْضَمَّ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ. رواه أبو داود بإسناد حسن.

(٩٦٦/ ١٦٨) وعن **سهل بن عمرو** - وَقِيلَ: سهل بن الربيع بن عمرو الأنصاري المعروف بابن الحنظليَّة، وَهُوَ من أهل بيعة الرِّضْوانِ ﷺ - قَالَ: مَرَّ رسولُ الله ﷺ بِبَعِيرٍ قَدْ لَحِقَ ظَهْرُهُ بِبَطْنِهِ، فَقَالَ: «**اتَّقُوا اللهَ فِي هَذِهِ البَهَائِمِ المُعْجَمَةِ** (أي: التي لا تقدر علىٰ النطق فتشكو ما أصابها من جوع وعطش)، **فَارْكَبُوهَا صَالِحَةً** (أي: صالحة للركوب قوية علىٰ المشي بالراكب)، **وَكُلُوهَا صَالِحَةً** (أي: حال كونها سمينة)». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٩٦٧/ ١٦٨) وعن **أبي جعفر عبد الله بن جعفر** ﵄ قَالَ: أردفني رسولُ الله ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ خَلْفَهُ، وَأَسَرَّ إِلَيَّ حَدِيثًا لا أُحَدِّثُ بِهِ أحَدًا مِنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَحَبَّ مَا اسْتَتَرَ بِهِ رسولُ الله ﷺ لِحَاجَتِهِ هَدَفٌ (أي: ما ارتفع من أرض أو بناء) أَوْ حَائِشُ (أي: نخل مجتمع ملتف كأنه لالتفافه يحوش بعضه لبعض) نَخْلٍ. يَعْنِي: حَائِطَ نَخْلٍ. رواه مسلم هكذا مختصرًا.

وزاد فيه البرقاني بإسناد مسلم بعد قوله: حَائِشُ نَخْلٍ: فَدَخَلَ حَائِطًا لِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذا فِيهِ جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَىٰ رَسولَ الله ﷺ جَرْجَرَ (أي: ردد صوته في حنجرته عند الضجر) وذَرَفَتْ (أي: دمعت) عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبيُّ ﷺ فَمَسَحَ سَرَاتَهُ - أي: سِنَامَهُ - وَذِفْرَاهُ فَسَكَنَ، فَقَالَ: «**مَنْ رَبُّ** (أي: من صاحب) **هَذَا الجَمَلِ؟ لِمَنْ هَذَا الجَمَلُ؟**» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: هذا لي يا رسول الله. قَالَ: «**أفَلا تَتَّقِي اللهَ فِي هذِهِ البَهِيمَةِ الَّتي مَلَّكَكَ اللهُ إيَّاهَا؟ فَإنَّهُ يَشْكُو إلَيَّ أنَّكَ تُجِيعُهُ وتُدْئِبُهُ**». ورواه أبو داود كرواية البرقاني.

قَوْلُهُ «**ذِفْرَاهُ**»: هُوَ بكسر الذال المعجمة وإسكان الفاءِ، وَهُوَ لفظ مفرد مؤنث. قَالَ أهل اللغة: الذِّفْرَىٰ: الموضع الَّذِي يَعْرَقُ مِنَ البَعِيرِ خَلفَ الأُذُنِ. وَقوله: «**تُدْئِبُهُ**» أي: تُتْعِبُهُ.

(٩٦٨/ ١٦٨) وعن **أنس** ﵁ قَالَ: كُنَّا إِذَا نَزَلْنَا مَنْزِلًا، لا نُسَبِّحُ حَتَّىٰ نَحُلَّ الرِّحَالَ (أي: جمع رحل وهو ما يوضع علىٰ ظهر البعير للركوب). رواه أبو داود بإسناد علىٰ شرط مسلم. وَقَوْلُهُ: «**لا نُسَبِّحُ**» أي: لا نُصَلِّي النَّافِلَةَ، ومعناه: أنَّا - مَعَ حِرْصِنا عَلَىٰ الصَّلاةِ - لا نُقَدِّمُهَا عَلَىٰ حَطِّ الرِّحَالِ وَإرَاحَةِ الدَّوَابِّ.

١٦٩- باب إعانة الرفيق

في الباب أحاديث كثيرة تقدمت:

كحديث: «وَاللهُ في عَوْنِ العَبْدِ مَا كَانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ».

وحديث: «كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَة». وَأشْبَاهِهِما.

(٩٦٩/ ١٦٩) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ في سَفَرٍ إذْ جَاءَ رَجُلٌ عَلَىٰ رَاحِلَةٍ لَهُ، فَجعَلَ يَصْرِفُ بَصَرَهُ يَمِينًا وَشِمالًا، فَقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ مَعَهُ فَضْلُ ظَهْرٍ (أي: مكان علىٰ دابته زائد علىٰ حاجته) فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لا ظَهْرَ لَهُ، وَمَنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ زَادٍ فَلْيَعُدْ بِهِ عَلَىٰ مَنْ لا زَادَ لَهُ». فَذَكَرَ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ مَا ذَكَرَهُ، حَتَّىٰ رَأَيْنَا أنَّهُ لا حَقَّ لأَحدٍ مِنَّا فِي فَضْلٍ. رواه مسلم.

(٩٧٠/ ١٦٩) وعن جابر رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ: أنه أراد أن يغزو فقال: «يَا مَعْشَرَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، إن مِنْ إِخْوَانِكُمْ قَوْمًا لَيْسَ لهم مَالٌ، وَلا عَشِيرَةٌ، فَلْيَضُمَّ أَحَدُكُمْ إِلَيْهِ الرَّجُلَيْنِ أَوِ الثَّلاثَةَ، فَمَا لأَحَدِنَا مِنْ ظَهْرٍ يَحْمِلُهُ إِلَّا عُقْبَةٌ (أي: ركوب مركب واحد بالنوبة) كَعُقْبَةِ». يَعْني أَحَدَهُمْ، قَالَ: فَضَمَمْتُ إِلَيَّ اثْنَيْنِ أَوْ ثَلاثَةً مَا لِي إِلَّا عُقْبَةٌ كَعقبة أَحَدِهِمْ مِنْ جَمَلِي. رواه أبو داود.

(٩٧١/ ١٦٩) وعنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَتَخَلَّفُ في المَسِيرِ، فَيُزْجِي (أي: يسوقه ليلحقه بالرفاق) الضَّعِيفَ، وَيُرْدِفُ (أي: يركبه خلفه) وَيَدْعُو لَهُ. رواه أبو داود بإسناد حسن.

١٧٠- باب ما يقول إذا ركب دابة للسفر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الزخرف: ١٢، ١٣].

(٩٧٢/ ١٧٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَىٰ سَفرٍ، كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا البِرَّ (أي: الإحسان إلىٰ الناس أو من الله إلينا) وَالتَّقوىٰ (أي: امتثال الأوامر واجتناب النواهي)، وَمِنَ العمل ما ترضىٰ، اللَّهُمَّ هَوِّن (أي: يسر) عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، واطْوِ (أي: قربه لنا وسهل السير) عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ في السَّفَرِ،

والخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المَنْظَرِ (أي: كل ما يسوءني النظر إليه في الأهل والمال كموت أو مرض أو تلف)، وَسُوءِ المُنْقَلَبِ فِي المالِ وَالأَهْلِ وَالوَلَدِ». وإذا رجع قالهن وزاد فيهن: «آيِبُونَ (أي: راجعون من السفر بالسلامة إلىٰ الوطن)، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». رواه مسلم.

مَعْنَىٰ «مُقْرِنِينَ»: مُطِيقِينَ. و«الوَعْثَاءُ» بفتح الواوِ وَإسكان العين المهملة وبالثاء المثلثة وبالمد، وَهِيَ: الشِّدَّةُ. و«الكَآبَةُ» بِالمَدِّ، وَهِيَ: تَغَيُّرُ النَّفْسِ مِنْ حُزْنٍ وَنَحْوِهِ. و«المُنْقَلَبُ»: المَرْجِعُ.

(٩٧٣/ ١٧٠) وعن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا سَافَرَ يَتَعَوَّذُ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ المُنْقَلَبِ، وَالحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ، وَدَعْوَةِ المَظْلُومِ، وَسُوءِ المَنْظَرِ فِي الأَهْلِ وَالمَالِ. رواه مسلم. هكذا هُوَ في «صحيح مسلم»: «الحَوْرِ بَعْدَ الكَوْنِ» بالنون، وكذا رواه الترمذي والنسائي، قَالَ الترمذي: وَيُرْوَىٰ: «الكَوْرِ» بالراءِ، وَكِلاهما لَهُ وجه. قَالَ العلماءُ: ومعناه بالنون والراءِ جَميعًا: الرُّجُوعُ مِنَ الاسْتِقَامَةِ أَوِ الزِّيَادَةِ إِلَىٰ النَّقْصِ. قَالُوا: وروايةُ الرَّاءِ مَأخُوذَةٌ مِنْ تَكْوِيرِ العِمَامَةِ وَهُوَ لَفُّهَا وَجَمْعُهَا. ورواية النون، مِنَ الكَوْنِ، مَصْدَرُ كَانَ يَكُونُ كَونًا: إِذَا وُجِدَ وَاسْتَقَرَّ. (أي: كار عمامته إذا لفها، وحارها إذا نقضها، والمعنىٰ: نعوذ بك من أن تفسد أمورنا بعد صلاحها كفساد العمامة بعد استقامتها علىٰ الرأس)

(٩٧٤/ ١٧٠) وعن عَلِيِّ بن ربيعة قَالَ: شَهِدْتُ عليَّ بن أَبِي طالب رضي الله عنه، أُتِيَ بِدَابَّةٍ لِيَرْكَبَهَا، فَلَمَّا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي الرِّكَابِ، قَالَ: بِسْمِ الله، فَلَمَّا اسْتَوَىٰ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، قَالَ: الحَمْدُ للهِ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ، وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، ثُمَّ قَالَ: الحَمْدُ للهِ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: اللهُ أَكْبَرُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: سُبْحَانَكَ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي إِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، ثُمَّ ضَحِكَ، فَقِيلَ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَعَلَ كَمَا فَعَلْتُ ثُمَّ ضَحِكَ، فَقُلْتُ: يَا رسول الله، مِنْ أَيِّ شَيْءٍ ضَحِكْتَ؟ قَالَ: «إِنَّ رَبَّكَ يَعْجَبُ مِنْ عَبْدِهِ إِذَا قَالَ: اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، يَعْلَمُ أَنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ غَيْرِي». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن» وفي بعض النسخ: «حسن صحيح». وهذا لفظ أبي داود.

١٧١- باب تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه

(٩٧٥/ ١٧١) عن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا إِذَا صَعِدْنَا كَبَّرْنَا، وَإِذَا نَزَلْنَا سَبَّحْنَا. رواه البخاري.

(٩٧٦/ ١٧١) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: كَانَ النَّبي ﷺ وجيُوشُهُ إِذَا عَلَوُا الثَّنَايَا كَبَّرُوا، وَإِذَا هَبَطُوا سَبَّحُوا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٩٧٧/ ١٧١) وعنه قال: كَانَ النبيُّ ﷺ إِذَا قَفَلَ (أي: رجع) مِنَ الحَجِّ أَو العُمْرَةِ، كُلَّمَا أَوْفَىٰ عَلَىٰ ثَنِيَّةٍ أَوْ فَدْفَدٍ كَبَّرَ ثَلاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**لا إله إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلمٍ: إِذَا قَفَلَ مِنَ الجيُوشِ أَو السَّرَايَا أَو الحَجِّ أَو العُمْرَةِ.

قَوْلُه: «أَوْفَىٰ» أي: ارْتَفَعَ. وَقَوْلُهُ: «فَدْفَدٍ» هُوَ بفتح الفاءَيْنِ بينهما دال مهملة ساكِنة، وَآخِره دال أخرىٰ وَهُوَ: الغَلِيظُ المُرْتَفِعُ مِنَ الأرضِ.

(٩٧٨/ ١٧١) وعن أَبِي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رسول الله، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُسَافِرَ فَأَوْصِني. قَالَ: «**عَلَيْكَ بِتَقْوَىٰ الله، وَالتَّكْبِيرِ عَلَىٰ كُلِّ شَرَفٍ** (أي: هو كل مكان مرتفع)». فَلَمَّا وَلَّىٰ الرَّجُلُ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اطْوِ** (أي: قرب) **لَهُ البُعْدَ، وَهَوِّنْ** (أي: سهل) **عَلَيْهِ السَّفَرَ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(٩٧٩/ ١٧١) وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كُنَّا مَعَ النبيِّ ﷺ في سَفَرٍ، فَكُنَّا إِذَا أَشْرَفْنَا عَلَىٰ وَادٍ هَلَّلْنَا وَكَبَّرْنَا وَارتفعتْ أَصواتُنَا، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلا غَائِبًا، إِنَّهُ مَعَكُمْ، إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ**». متفق عليه.

«ارْبَعُوا» بفتحِ الباءِ الموحدةِ، أي: ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ.

❊ ❊ ❊

١٧٢- باب استحباب الدعاء في السفر

(٩٨٠/ ١٧٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**ثلاثُ دَعَوَاتٍ مُسْتَجَابَاتٌ لا شَكَّ فِيهِنَّ: دَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَدَعْوَةُ المُسَافِرِ، وَدَعْوَةُ الوَالِدِ عَلَىٰ وَلَدِهِ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». وليس في رواية أبي داود: «عَلَىٰ وَلَدِهِ».

١٧٣- باب ما يدعو به إذا خاف ناسًا أو غيرهم

(٩٨١/ ١٧٣) عن أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا خَافَ قومًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ (أي: نسألك أن تحول بيننا وبينهم وتكفينا أمورهم)، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أبو داود والنسائي بإسناد صحيح.

١٧٤- باب ما يقول إذا نزل منزلا

(٩٨٢/ ١٧٤) عن خولةَ بنتِ حكيم رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ نَزَلَ مَنْزِلًا ثُمَّ قَالَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ، لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ حَتَّىٰ يَرْتَحِلَ مِنْ مَنْزِلِهِ ذَلِكَ». رواه مسلم.

(٩٨٣/ ١٧٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال: «يَا أَرْضُ، رَبِّي وَرَبُّكِ اللهُ، أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّكِ وَشَرِّ مَا فِيكِ، وَشَرِّ مَا خُلِقَ فِيكِ، وَشَرِّ مَا يَدِبُّ عَلَيْكِ، أَعُوذُ بالله مِنْ شَرِّ أَسَدٍ وَأَسْوَدٍ، وَمِنَ الحَيَّةِ وَالعَقْرَبِ، وَمِنْ سَاكِنِ البَلَدِ، وَمِنْ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ». رواه أبو داود.

و«الأَسْوَدُ»: الشَّخص. قَالَ الخَطَّابِيُّ: و«سَاكِنُ البَلَدِ»: هُمُ الجِنُّ الَّذِينَ هُمْ سُكَّانُ الأَرْضِ. قَالَ: وَالبَلَد مِنَ الأَرْضِ: مَا كَانَ مَأْوَىٰ الحَيَوانِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ بِنَاءٌ وَمَنَازِلُ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ أَنَّ المُرَادَ: «بِالوَالِدِ» إبليسُ: «وَمَا وَلَدَ»: الشَّيَاطِينُ.

١٧٥- باب استحباب تعجيل المسافر في الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته

(٩٨٤/ ١٧٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «السَّفَرُ قِطْعَةٌ مِنَ العَذَابِ، يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ طَعَامَهُ وَشَرابَهُ وَنَوْمَهُ، فَإِذَا قَضَىٰ أَحَدُكُمْ نَهْمَتَهُ مِنْ سَفَرِهِ، فَلْيُعَجِّلْ إِلَىٰ أَهْلِهِ». متفق عليه. «نَهْمَتُهُ»: مَقْصُودُهُ.

١٧٦- باب استحباب القدوم على أهله نهارًا وكراهته في الليل لغير حاجة

(٩٨٥/ ١٧٦) عن جابر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا أطال أحَدُكُمُ الغَيْبَةَ فَلا يَطْرُقَنَّ أَهْلَهُ لَيْلًا».

وفي روايةٍ: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَىٰ أنْ يَطْرُقَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ لَيْلًا. متفق عليه.

(٩٨٦/ ١٧٦) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لا يَطْرُقُ أَهْلَهُ لَيْلًا، وَكَانَ يَأتِيهِمْ غُدْوَةً أَوْ عَشِيَّةً. متفق عليه. «الطُّرُوقُ»: المَجيءُ فِي اللَّيْلِ.

١٧٧- باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته

فِيهِ حَدِيثُ ابنِ عمرَ السَّابِقُ في باب تكبيرِ المسافرِ إِذَا صَعِدَ الثَّنَايَا.

(٩٨٧/ ١٧٧) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَقْبَلْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ حَتَّىٰ إِذَا كُنَّا بِظَهْرِ المَدِينَةِ، قَالَ: «آيِبُونَ، تَائِبُونَ، عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ». فَلَمْ يَزَلْ يَقُولُ ذَلِكَ حَتَّىٰ قَدِمْنَا المَدِينَةَ. رواه مسلم.

١٧٨- باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين

(٩٨٨/ ١٧٨) عن كعب بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ اللهِ ﷺ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ بَدَأَ بِالمَسْجِدِ فَرَكَعَ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ. متفق عليه.

١٧٩- باب تحريم سفر المرأة وحدها

(٩٨٩/ ١٧٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَومِ الآخِرِ تُسَافِرُ مَسِيرَةَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ عَلَيْهَا». متفق عليه.

(٩٩٠/ ١٧٩) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّه سمع النبيَّ ﷺ يقول: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ إِلَّا وَمَعَهَا ذُو مَحْرَمٍ، وَلا تُسَافِرُ المَرْأَةُ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا رسولَ الله، إنَّ امْرَأَتِي خَرَجَتْ حَاجَّةً، وَإِنِّي اكْتُتِبْتُ فِي غَزْوَةِ كَذَا وَكَذَا؟ قَالَ: «انْطَلِقْ فَحُجَّ مَعَ امْرَأَتِكَ». متفق عليه.

* * *

٨- كتاب الفضائل

١٨٠- باب فضل قراءة القرآن

(٩٩١/ ١٨٠) عن أبي أُمامة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «اقْرَءُوا القُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ شَفِيعًا لأَصْحَابِهِ». رواه مسلم.

(٩٩٢/ ١٨٠) وعن النَّوَّاسِ بن سَمْعَانَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «يُؤْتَىٰ يَوْمَ القِيامَةِ بِالقُرْآنِ وَأَهْلِهِ الذين كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا تَقْدُمُه سورةُ البَقَرَةِ وَآلِ عِمْرَانَ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا». رواه مسلم.

(٩٩٣/ ١٨٠) وعن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ». رواه البخاري.

(٩٩٤/ ١٨٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رَسُول الله ﷺ: «الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ وَهُوَ مَاهِرٌ بِهِ مَعَ السَّفَرَةِ (أي: الملائكة) الكِرَامِ البَرَرَةِ، وَالَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ (أي: يتلعثم في تلاوته لضعف قدرته علىٰ القراءة) فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌّ لَهُ أجْرَانِ (أي: أجر بالقراءة، وأجر بتتعتعه في تلاوته ومشقته)». متفق عليه.

(٩٩٥/ ١٨٠) وعن أَبِي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ القُرْآنَ مَثَلُ الأُتْرُجَّةِ (أي: ثمرٌ طيِّب الطعم والرائحة): رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ، وَمَثَلُ المُؤْمِنِ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ: لا رِيحَ لها وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي يقرأ القرآنَ كَمَثَلِ الرَّيحانَةِ: رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ المُنَافِقِ الَّذِي لا يَقْرَأُ القُرْآنَ كَمَثَلِ الحَنْظَلَةِ: لَيْسَ لها رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ». متفق عليه.

(٩٩٦/ ١٨٠) وعن عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخرِينَ». رواه مسلم.

(٩٩٧/ ١٨٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «لا حَسَدَ (أي: الغبطة أو الحسد المحمود) إلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ القُرْآنَ، فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاء اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ». متفق عليه. «والآنَاءُ»: السَّاعَاتُ.

(٩٩٨/ ١٨٠) وعن البَراءِ بن عازِبٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَجُلٌ يَقْرَأُ سُورَةَ الْكَهْفِ، وَعِنْدَهُ فَرَسٌ مَرْبُوطٌ بِشَطَنَيْنِ، فَتَغَشَّتْهُ (أي: غطته) سَحَابَةٌ فَجَعَلَتْ تَدْنُو (أي: تقترب)، وَجَعَلَ فَرَسُه يَنْفِرُ مِنْهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «تِلْكَ السَّكِينَةُ تَنَزَّلَتْ لِلقُرْآنِ». متفق عليه. «الشَّطَنُ» بفتحِ الشينِ المعجمة والطاءِ المهملة: الحَبْلُ.

(٩٩٩/ ١٨٠) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لا أقول: ﴿الٓمٓ ①﴾ حرف، ولكِنْ: أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلامٌ

حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٠٠٠/ ١٨٠) وعن ابن عبَّاسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِنَّ الَّذِي لَيْسَ فِي جَوْفِهِ شَيْءٌ مِنَ الْقُرْآنِ كَالبَيْتِ الخَرِبِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٠٠١/ ١٨٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا: عن النَّبي ﷺ قَالَ: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ وَارْتَقِ (أي: ارتفع إلىٰ درجات الجنة) وَرَتِّلْ (أي: اقرأ بالترتيل ولا تستعجل بالقراءة) كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنْزِلَتَكَ (أي: مكانتك ودرجتك) عِنْدَ آخِرِ آيَة تَقْرَؤُهَا». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حسن صحيح».

❋ ❋ ❋

(تلاوة القرآن)

القرآنُ: هو الكتاب المُنزَّل علىٰ الرسول ﷺ، المكتوبُ في المصاحف، المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة. ويُراد بترتيل القرآن: تلاوتُه تلاوةً تُبيِّن حروفه ليكون أدنىٰ إلىٰ فهم المعاني. قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يُقْرَأَ الْقُرْآنُ كَمَا أُنْزِلَهُ». المتقي الهندي في كنز العمال (٢/ ٢٣) برقم (٣٠٦٩) وعزاه للسجزي في الإبانة.

وقال ابنُ عباس رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ۝٤﴾ [المزمل: ٤]: معناه: بيِّنه. وقال مجاهدٌ في نفس الآية: أي تأنَّ فيه. وقال الضَّحَّاك رَحِمَهُٱللَّهُ: وكأن الله تعالىٰ يقول: تثبَّت في قراءتك، وتمهَّل فيها، وافصل الحرفَ من الحرف الذي بعده.

القراءة والتلاوة والأداء: التلاوة خاصة بالقرآن الكريم، والأداء هو أَخْذ القرآن عن مشايخه، والقراءة هي العمل، وتشمل الأداء والتلاوة. قال رسولُ الله ﷺ: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» أحمد في مسنده (٤/ ٢٨٣) برقم (١٨٥١٧).

وقال ابنُ بَطَّال رَحِمَهُٱللَّهُ: أراد به المدَّ والترتيل والمهارة في القرآن وجودة التلاوة بجودة الحفظ، فلا يتلعثم ولا يتشكك، وتكون قراءة سهلة بتيسير الله تعالىٰ كما يسَّره علىٰ الكرام البررة.

وحُسن الصوت مطلوب، فإن لم يكن حسنًا فَلْيُحسِّنْه ما استطاع، حيث يُراعي فيه قوانين النَّغَم ليزداد بذلك حسنًا ويتجنَّب الممنوع من حرمة التلاوة.

واتَّفق أهلُ التجويد علىٰ أن للقراءةِ ثلاثَ مراتب: وهي الترتيل والحَدْر والتدوير، ثم أضاف البعضُ مرتبةً رابعة وهي التحقيق، وزاد آخرون مرتبةً خامسة سمَّوْها الزمزمة.

أولا: الترتيل: إن المطلوب من قراءة القرآن هو القراءة بتؤدة واطمئنان، وإخراج كلِّ حرفٍ من مخرجه، وإعطاؤه حقَّه ومُستحَقَّه مع تدبُّر المعاني.

ويُقصد بالمُستحَقِّ: ما يعرض له في التركيب، مثل الإخفاء، والإدغام، وما إلىٰ ذلك.

ثانيًا: الحَدْرُ: وهو أسرع قليلًا من الترتيل، مع مراعاة أحكام التجويد من إظهارٍ وإدغام ووَقْف، إلىٰ آخر الأحكام. قال الأهوازيُّ: أما الحَدْرُ فإنه القراءة السهلة السمحة، العذبة الألفاظ، التي لا تُخرج القارئ عن طباع العَرَبِ العَرْباء، وعما تكلمت به الفُصَحاء، وروايته عن إمام من أئمة القراء.

ثالثًا: التدوير: وهو التوسُّط بين الحَدْر والترتيل، وهو الذي ورد عن أكثر الأئمة.

رابعًا: التحقيق: وهي مَرْتبةٌ مُستقِلَّة من مراتب التلاوة، وإن ذهب آخرون إلىٰ أنه نوعٌ من الترتيل. والتحقيق عند علماء التجويد هو إعطاءُ الحروف حقَّها من: إشباع المدِّ، وتحقيقِ الهمز، وإتمام الحركات، وتوفية الغنَّات، وتفكيك الحروف ببيانها وإخراج بعضها من بعض بالسكت والترسل والتؤدة والوقف، والإتيان بالإظهار والإدغام علىٰ وجهه، وهو الذي يستحسن ويُستحب الأخذ به للمتعلمين، من غير أن يتجاوز به إلىٰ حدِّ الإفراط.

ذَكَر بعضُ العلماء أن التحقيقَ كقراءة يكون للرياضة والتعليم، وأما الترتيل يكون للتدبُّر والتفكر والاستنباط.

خامسًا: الزمزمة: هي القراءة المُتعلِّقة بطول النَّفَس خاصةً.

ولكنْ أيُّهما أفضل وأولىٰ: هل هو الترتيل مع قلة القراءة، أو السرعة مع كثرة القراءة؟

قال ابنُ القيم: والصوابُ ما عليه السَّلَف والخلف، وهو أن الترتيلَ والتدويرَ مع قلة

القراءة أفضلُ من السرعة مع كثرتها؛ لأن المقصودَ من القرآن فهمه والتدبُّر فيه والعمل به، وتلاوتُه وحفظه وسيلةٌ إلىٰ فَهْم معانيه. فيكون ثوابُ الترتيل أرفعَ قدرًا، وثواب كثرة القراءة أكثر عددًا، كمن تصدَّق بجوهرة عظيمة وآخر تصدَّق بعددٍ من الدنانير.

حكم قراءة القرآن: تلاوة القرآن مع إخلاص النية والقصد عبادةٌ يُؤجَر عليها المسلم؛ لقوله ﷺ: «اقْرَءُوا الْقُرْآنَ؛ فَإِنَّهُ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَفِيعًا لِأَصْحَابِهِ» مسلم برقم (٨٠٤).

وفي الحديث الذي رواه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ الله فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ: الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ» الترمذي برقم (٢٩١٠).

وهكذا كان السلف يُحافظون علىٰ تلاوة وقراءة القرآن، فهي سنة من سنن الإسلام، والإكثار منها مُستحب.

مقدار ما يُقرأ: وأما القدر الذي ينبغي قراءتُه فإنه يختلف باختلاف الناس وأحوالهم، وقد بيَّن الإمام النوويُّ ذلك بقوله: كانت للسلف عاداتٌ مختلفة في القَدْر الذي يختمون به القرآن: فمنهم من يختم في شهرين، وآخرون في كلِّ شهر، وآخرون في كلِّ عشر ليالٍ، وسَبْعِ ليالٍ وهذا فِعلُ الأكثرين من السلف.

واختار النوويُّ أن تكونَ القراءة علىٰ حسَب الشخص نفسه، فمَن ظهر له بدقيق الفكر، المعارفُ والمعاني واللطائف في أثناء التلاوة فليقتصر علىٰ قدرٍ يفهم فيه ما يقرأ، ومن كان مشغولًا بنشر العلم أو أية مهمة من مهمات الدين كالقضاء والفتوىٰ مثلًا فليقتصر علىٰ قدرٍ لا يحصل بسببه إخلالٌ بما هو مُكلَّف به. أما من لم يكن من هؤلاء فليستكثر ما أمكنه من قراءة القرآن دون حدِّ الملل أو الإسراع الزائد المُخِلِّ بالقراءة والمعنىٰ؛ ففي الحديث: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فِي أَقَلَّ مِنْ ثَلَاثٍ لَمْ يَفْقَهْهُ». أحمد في مسنده (٢/ ١٦٤) برقم (٦٥٣٥).

الأوقات المستحبة لقراءة القرآن: أفضل القراءة ما كان في داخل الصلاة المفروضة، ثم ما كان في الصلاة النافلة. أما في غير الصلاة فأفضلها قراءة الليل، والنصف الأخير منه أفضل من الأول، وما بين المغرب والعشاء فهو مستحب.

وأما قراءة النهار فأفضلها قراءة ما بعد صلاة الصبح، ولا كراهة في قراءة القرآن في أيِّ وقتٍ من الأوقات ولا حتىٰ في أوقات النهي عن الصلاة النافلة. ومن السُّنة الإكثار من قراءة القرآن في شهر رمضان، وفي العشر الأخير منه خاصة، وليالي الوتر، وكذلك العشر الأُول من ذي الحجَّة ويوم عرفة.

قال رسولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَهُولُهُمُ الفَزَعُ الأَكْبَرُ وَلَا يَنَالهُمُ الحِسَابُ وَهُمْ عَلَىٰ كَثِيبٍ مِنْ مِسْكٍ حَتَّىٰ يَفْرُغَ مِنْ حِسَابِ الخلائق: رَجُلٌ قَرَأَ القُرْآنَ ابتِغَاءَ وَجْهِ الله وَأَمَّ به قَوْمًا وهم به راضون، وَدَاعٍ يَدْعُو إِلىٰ الصلاة ابْتِغَاءَ وَجْهِ الله ﷻ، وَعَبْدٌ أَحْسَنَ فيما بينه وبين ربِّه وفيما بينه وبين مواليه». الطبراني في الصغير (٢/ ٢٥٢) برقم (١١١٦).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله أوصني. قال: «أُوصيكَ بِتَقْوىٰ الله؛ فإنها زَيْنٌ لِأَمْرِكَ كُلِّه». قلتُ: يا رسولَ الله زِدْني. قال: «بتلاوة القرآن، وذِكْرِ الله ﷻ؛ فإنه ذِكْرٌ لك في السماء ونُورٌ لك في الأرض» الحديث. المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٣٤٠) برقم (٤٣٤٥).

قال ﷺ: «مَنْ قَرَأَ عَشْرَ آيَاتٍ فِي لَيْلَةٍ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ» الدارمي برقم (٣٤٤٢).

قال ﷺ: «يَجِيءُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَالرَّجُلِ الشَّاحِبِ فَيَقُولُ لِصَاحِبِهِ: أَنَا الَّذِي أَسْهَرْتُ لَيْلَكَ وَأَظْمَأْتُ هَوَاجِرَكَ (أي: نهارك)» أحمد في مسنده (٥/ ٣٥٢) برقم (٢٣٠٢٦).

وقال ابنُ مَسْعودٍ رضي الله عنه: لا تَنْثُروه نَثْرَ الدَّقَل (أي: المراد: تقرءوه من دون تدبر) ولا تَهُذُّوه هَذَّ الشِّعر (أي: المراد: لا تسرعوا في قراءته كمثل الشعر)، وقِفُوا عند عجائبه، وحَرِّكوا به القلوب، ولا يكن همُّ أحدكم آخرَ السورة (أي: أن ينهي قراءة السورة).

وقالت عائشة رضي الله عنها: كان أبو بكر إذا قرأ القرآن كثيرَ البكاء، في صلاةٍ وغيرها.

وقالت أسماءُ بنت أبي بكر رضي الله عنها: ما كان أحدٌ من السلف يُغشَىٰ عليه ولا يُصعَقُ عند تلاوة القرآن، وإنما يَبْكون ويقشعرُّون ثم تَلِين جلودُهم وقلوبُهم لِذِكْر الله.

وقال كعب بن مالك رحمه الله: عليكم بالقرآن؛ فإنه فَهْم العقل وينابيعُ العلم، وأحدث الكتب بالرحمن عهدًا.

* * *

١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان

(١٠٠٢/ ١٨١) عن أَبي موسىٰ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَاهَدُوا (أي: حافظوا عليه بالمواظبة علىٰ قراءته) هَذَا القُرْآنَ، فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لهو أَشَدُّ تَفَلُّتًا (أي: تخلصًا) مِنَ الإبلِ فِي عُقُلِهَا (أي: جمع عقال وهو: حبل يشد به ركبة البعير)». متفق عليه.

(١٠٠٣/ ١٨١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلُ صَاحِبِ الْقُرْآنِ كَمَثَلِ الإِبِلِ الْمُعَقَّلَةِ (أي: هي الإبل المشدودة في عقالها)، إنْ عَاهَدَ عَلَيْهَا أَمْسَكَهَا، وَإِنْ أَطْلَقَهَا ذَهَبَتْ». متفق عليه.

* * *

(هجر القرآن)

القرآنُ اسمٌ لكلام الله تعالىٰ، المُنزَّل علىٰ رسول الله ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول عنه نقلًا متواترًا بلا شبهة.

مظاهر هجر القرآن وأحكامها:

الأول: هو هَجْر الكفار، الذين كانوا إذا تُلي عليهم أكثروا اللَّغَط (أي: الصوت العالي والجلبة) فيه وتكلَّموا في شيء آخَر حتىٰ لا يسمعوه، قال الله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ [فصلت: ٢٦]، ورفضوا الإيمانَ به وتركوا تصديقَه وتدبُّره وتفهُّمَه، وعَدَلوا إلىٰ غيره من الشِّعر والغناء ولَغْوِ الكلام، وكلُّ هذا من هِجْرانه، وقد حكىٰ القرآن عنهم في قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠]. فالهجر من هذا النوع كفر صريح.

الثاني: هو هَجْر المسلمين، ويختلف حكمه من مظهرٍ لآخر:

أ- هَجْر تلاوته وسماعه والإصغاء إليه، مما قد يؤدي إلىٰ النسيان بعد الحفظ، علىٰ أن يكون ذلك عن تهاونٍ أو تكاسل لا عن عَجْز مَرَضيٍّ أو نسيان لا إرادي، فإذا تَرك

التلاوة وهو يقدر عليها فهو كالبيت الخَرِب، أما إذا لم يكن قادرًا عليها لعذرٍ ما فإن اللهَ لا يُكلِّف نفسًا إلا وُسْعَها، إلا فيما أوجبه اللهُ علىٰ كلِّ مسلمٍ فيما تصح به صلاته ولا يجوز له تركه بحال من الأحوال.

ب- هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، حتىٰ لو قرأه كثيرًا وآمن به، وقد قال ﷺ: «الْقُرْآنُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ وَمَاحِلٌ (أي: خصم مجادل عن صاحبه) مُصَدَّقٌ، مَنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَىٰ الْـجَنَّةِ، وَمَنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَىٰ النَّارِ» [الطبراني في الكبير (١٠/ ١٩٨) برقم (١٠٤٥٠)]، وهذه معصية تقوده إلىٰ الكبيرة.

جـ- هجر التحاكم إليه في أحكامه أو تحكيمه في أصول الدين وفروعه وأوامره ونواهيه، فيما يخص حركةَ الإنسان في الحياة، فقد يعتقد المرء أنه لا يُفيده في هذا الزمان.

د- هجر التدبر والمعرفة والفهم.

هـ- هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب.

و- هجره بوجود حرج في الصدور من القرآن، فهو في نظر البعض لا يكفي العبادَ بل هم محتاجون معه إلىٰ معقولات وسياسات أخرىٰ.

وكلُّ هذه المظاهر من الكبائر. وقد دخل النبيُّ ﷺ المسجد فإذا فيه قوم يقرءون القرآن قال: «اقرءوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ اللهَ ﷻ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ الْقِدْحِ (أي: القدح: السهم، والمراد: يُسرعون في تلاوته كإسراع السهم إذا خرج من القوس) يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ (أي: يطلبون به العاجلة من عرض الدنيا والرفعة، ولا يطلبون ما هو آجل عند الله تعالىٰ يوم القيامة)». أحمد في مسنده (٣/ ٣٥٧) برقم (١٤٨٩٨).

قال إياس بن عمر: أَخذ عليُّ بن أبي طالبٍ بيدي ثم قال: إنك إن بَقِيتَ (أي: عشت بعدي) سيَقْرأ القرآنَ ثلاثةُ أصناف: فصِنف لله، وصنف للجدال، وصنف للدنيا. ومن طلب به أدركه (أي: أن كل من أراد شيئًا سيدركه، سواء لله أو للجدل أو للدنيا).

وعن مُعاذ بن جَبَل رضي الله عنه قال: سَيَبْلَىٰ القرآنُ (أي: يضيع ويفنىٰ) في صدور أقوام كما يَبْلَىٰ الثوب فيتهافت، يقرءونه ولا يجدون له شهوة ولا لذة، يلبسون جلود الضأن علىٰ قلوب

الذئاب (أي: يُظهرون التدين وهم أبعد ما يكون عنه)، أعمالهم طمعٌ لا يخالطه خوف (أي: طمع في الدنيا لا يخافون الله)، إن قصَّروا قالوا: سنبلغ، وإن أساءوا قالوا: سيُغفر لنا، إنا لا نُشرك بالله شيئًا.

وجَمَع أبو موسىٰ الأشعريُّ الذين قرءوا القرآنَ فإذا هم قُرَابة ثلاثمائة، فأثنىٰ وعظَّم علىٰ القرآن وقال: إن هذا القرآنَ كائنٌ لكم أجرًا وكائن عليكم وزرًا؛ فاتَّبعوا القرآنَ (أي: اتبعوا ما فيه بالعمل به) ولا يتَّبعنَّكم القرآنُ (أي: لا تجعلوه لأغراضكم في الدنيا)، فإن مَن اتَّبع القرآن هبط به علىٰ رياض الجنة، ومن يتَّبعه القرآنُ زُجَّ في قفاه فقذفه في النار.

وقال ابنُ مَسْعُود رضي الله عنه: والذي نفسي بيده، إن حقَّ تلاوته أن يُحِلَّ حلاله، ويُحرِّم حرامَه، ويقرأه كما أنزله اللهُ، ولا يُحرِّف الكَلِمَ عن مواضعه، ولا يتأوَّل منه شيئًا علىٰ غير تأويله.

وقال أبو سعيدٍ الخُدْريُّ رضي الله عنه: يكون خَلَفٌ (أي: أجيال) بعد سنين، أضاعوا الصلاةَ واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا، ثم يكون خَلَفٌ يقرءون القرآن لا يعدو تَرَاقِيَهُم (أي: لا يجاوز إلا حناجرهم).

قال قَتادةُ رحمه الله في قول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٨]، قال: البلد الطَّيِّب: المؤمن سمع كتابَ الله فوعاه فأخذ به فانتفع به، كمثل هذه الأرض أصابها الغيث فأنبتت وأمرعت (أي: صار فيها مراعٍ). ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف: ٥٨]، مثل الكافر قد سمع القرآنَ فلم يعقله ولم يأخذ به ولم ينتفع به، كمثل هذه الأرض الخبيثة أصابها الخبث فلا تُنبت شيئًا ولا تُمرع شيئًا.

وقال الحسن البصريُّ رحمه الله: إن هذا القرآن قد قرأه عبيدٌ وصبيان لا عِلم لهم بتأويله، لم يتأولوا الأمرَ مِن قَبْل أَوْلِه، قال الله تعالىٰ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩]، وما تدبُّر آياتِه إلا اتباعه، أما والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، حتىٰ إن أحدهم ليقول: قرأتُ القرآنَ كلَّه، فما أَسْقَطَ منه حرفًا واحدًا، وقد والله أسقطه كلَّه، ما يُرَىٰ له القرآن في خُلُقٍ ولا عمل (أي: لا أثر للقرآن عليه في قول ولا فعل)، حتىٰ إن أحدَهم ليقول: والله إني لأقرأ السورة في نَفَسٍ، لا والله ما هؤلاء بالقُرَّاء ولا بالعلماء ولا الحكماء ولا الوَرَعَة، ومتىٰ كانت القراءة مثل هذا؟ لا أَكْثَرَ اللهُ في الناس مِثلَ هؤلاء.

* * *

١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها

(١٠٠٤/ ١٨٢) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّىٰ بِالقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ». متفق عليه. معنىٰ «أَذِنَ الله» أي: اسْتَمَعَ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى الرِّضَا والقَبولِ.

(١٠٠٥/ ١٨٢) وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ لَهُ: «لَقَدْ أُوتِيتَ مِزْمَارًا مِنْ مَزَامِيرِ آلِ دَاوُدَ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: أن رَسُول الله ﷺ قَالَ لَهُ: «لَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا أَسْتَمِعُ لِقِراءتِكَ الْبَارِحَةَ».

(١٠٠٦/ ١٨٢) وعن البراءِ بن عازب رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ قَرَأَ فِي الْعِشَاءِ بالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ فَمَا سَمِعْتُ أحَدًا أَحْسَنَ صَوْتًا مِنْهُ. متفق عليه.

(١٠٠٧/ ١٨٢) وعن أَبي لُبَابَةَ بَشِير بن عبد المُنْذِر رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أبو داود بإسناد جيد. ومعنىٰ «يَتَغَنَّىٰ»: يُحَسِّنُ صَوْتَهُ بِالقُرْآنِ.

(١٠٠٨/ ١٨٢) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي النَّبيُّ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ القُرْآنَ». فَقُلْتُ: يَا رسول الله، أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! قَالَ: «إنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي». فقرأت عليه سورة النساء حتىٰ جئتُ إلىٰ هذه الآية: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ۝٤١﴾ [النساء: ٤١] قَالَ: «حَسْبُكَ الآنَ». فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ. متفق عليه.

١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة

(١٠٠٩/ ١٨٣) عن أَبي سَعِيدٍ رَافِعِ بنِ الـمُعَلَّىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «أَلا أُعَلِّمُكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنَ المَسْجِدِ؟» فَأَخَذَ بِيَدِي، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، إنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أعْظَمَ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ؟ قَالَ: «﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ هِيَ السَّبْعُ المَثَانِي وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الَّذِي أُوتِيتُهُ». رواه البخاري.

(١٠١٠/ ١٨٣) وعن أَبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قال في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ».

وفي رواية: أن رسول الله ﷺ قال لأصحابه: «أَيَعْجِزُ أحَدُكُمْ أنْ يَقْرَأَ بِثُلُثِ القُرْآنِ فِي لَيْلَةٍ؟!» فَشَقَّ ذلِكَ عَلَيْهِمْ، وَقَالُوا: أيُّنَا يُطِيقُ ذلِكَ يَا رسول الله؟ فَقَالَ: «﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢﴾ ثُلُثُ الْقُرْآنِ». رواه البخاري.

(١٠١١/ ١٨٣) وعنه: أنَّ رَجُلًا سَمِعَ رَجُلًا يَقْرأُ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ يُرَدِّدُهَا فَلَمَّا أصْبَحَ جَاءَ إلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ وَكَأنَّ الرَّجُلَ يَتَقالُّهَا (أي: يعتقد أنها قليلة) فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إنَّهَا لَتَعدِلُ ثُلُثَ القُرْآنِ». رواه البخاري.

(١٠١٢/ ١٨٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ في: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ «إنَّهَا تَعدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ». رواه مسلم.

(١٠١٣/ ١٨٣) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رسول الله، إني أُحِبُّ هذِهِ السُّورَةَ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾، قَالَ: «إنَّ حُبَّهَا أدْخَلَكَ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»، ورواه البخاري في «صحيحه» تعليقًا.

(١٠١٤/ ١٨٣) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «ألَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتْ هذِهِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ وَ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾». رواه مسلم.

(١٠١٥/ ١٨٣) وعن أبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الجَانِّ، وَعَيْنِ الإنْسَانِ، حَتَّىٰ نَزَلَت المُعَوِّذَتَانِ، فَلَمَّا نَزَلَتَا أخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَاهُمَا. رواه الترمذي وقال: «حديث حسن».

(١٠١٦/ ١٨٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مِنَ القُرْآنِ سُورَةٌ ثَلاثُونَ آيَةً شَفَعَتْ لِرَجُلٍ حَتَّىٰ غُفِرَ لَهُ، وَهِيَ: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن». وفي رواية أبي داود: «تَشْفَعُ».

(١٠١٧/ ١٨٣) وعن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَرَأَ بالآيَتَيْنِ مِنْ آخر سُورَةِ البَقَرَةِ في لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ». متفق عليه. قِيلَ: كَفَتَاهُ المَكْرُوهَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وقيل: كَفَتَاهُ مِنْ قِيامِ اللَّيْلِ.

(١٠١٨/ ١٨٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا تَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ مَقَابِرَ، إنَّ الشَّيْطَانَ يَنْفِرُ مِنَ البَيْتِ الَّذِي تُقْرَأُ فِيهِ سُورَةُ البَقَرَةِ». رواه مسلم.

(١٠١٩/ ١٨٣) وعن أُبَيِّ بن كَعبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أعْظَمُ؟» قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قَالَ: «يَا أبَا المُنْذِرِ، أتَدْرِي أيُّ آيَةٍ

مِنْ كِتَابِ الله مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قُلْتُ: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وقال: «**لِيَهْنِكَ العِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ**». رواه مسلم.

(١٨٣/١٠٢٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: وَكَّلَنِي رسولُ الله ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو (أي: يغرف بيده ليأكل) مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ (أي: لأذهبن بك إلى رسول الله ﷺ شاكيًا) إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ، وَبِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرِيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**». فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ لقولِ رسول الله ﷺ فَرَصَدْتُهُ، فجاء يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ لا أَعُودُ. فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رسولُ الله ﷺ: «**يَا أَبَا هُرِيرة، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رسول الله، شَكَا حَاجَةً وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ**». فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَة، فجاء يحثو من الطعام فأخذته، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَىٰ رسول الله ﷺ، وهذا آخِرُ ثلاثِ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لا تَعُودُ، ثُمَّ تَعُودُ! فَقَالَ: دَعْنِي؛ فَإِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللهُ بِهَا. قُلْتُ: مَا هُنَّ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَىٰ فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ، فَإِنَّهُ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلا يَقْرَبُكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ. فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ؟**» قُلْتُ: يَا رسول الله، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ. قَالَ: «**مَا هِيَ؟**» قُلْتُ: قَالَ لِي: إذا أَوَيْتَ إلىٰ فِراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتىٰ تختم الآية: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال لِي: لا يَزَالُ عَلَيْكَ مِنَ الله حَافِظٌ، وَلَنْ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّىٰ تُصْبِحَ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلَاثٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ؟**» قُلْتُ: لا. قَالَ: «**ذَاكَ شَيْطَانٌ**». رواه البخاري.

(١٨٣/١٠٢١) وعن أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الكَهْفِ، عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وفي روايةٍ: «**مِنْ آخِرِ سُورَةِ الكَهْفِ**». رواهما مسلم.

(١٨٣/١٠٢٢) وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال: بَيْنَمَا جِبْرِيلُ عليه السلام قَاعِدٌ عِنْدَ النبي ﷺ سَمِعَ نَقِيضًا مِنْ فَوقِهِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فقالَ: هَذَا بَابٌ مِنَ السَّمَاءِ فُتِحَ اليَوْمَ وَلَمْ يُفْتَحْ قَطُّ إِلَّا

اليَوْمَ، فنزَلَ منهُ مَلَكٌ، فقَالَ: هذا مَلَكٌ نَزَلَ إلىٰ الأرضِ لم ينْزِلْ قطُّ إلا اليومَ. فَسَلَّمَ وقال: أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ: فَاتِحَة الكِتَابِ، وَخَواتِيم سُورَةِ البَقَرَةِ، لَنْ تَقْرَأَ بِحَرْفٍ مِنْهَا إِلَّا أُعْطِيتَه. رواه مسلم. «النَّقِيضُ»: الصَّوْتُ.

* * *

(لطائف متعلقة بالقرآن الكريم)

• وردت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النمل: ٣٠] في وسط سورة «**النمل**».

• وسورة «**المجادلة**»: لا تخلو آية فيها من لفظ اسم الجلالة.

• وسورة «**المزمل**»: آخر آية فيها هي أطول آية في القرآن المكي.

• وسورة «**الكوثر**»: أقصر سورة في القرآن الكريم، وليس في ألفاظها حرف ميم.

• تتميز لفظة ﴿وَلۡيَتَلَطَّفۡ﴾ [الكهف: ١٩] من سورة «**الكهف**»: أنها عند حرف الفاء منتصف كلمات القرآن الكريم.

• وفي كلمة ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ٦٤﴾ [الرحمن: ٦٤]: هي الآية الوحيدة المؤلفة من كلمة واحدة من غير أوائل السور ككلمة الرحمن في سورة الرحمن.

• وأما أقصر آية في القرآن الكريم من غير فواتح السور فهي آية ﴿ثُمَّ نَظَرَ ٢١﴾ [المدثر: ٢١].

• وفي كلمة ﴿فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ﴾ [الحجر: ٢٢]: أنها أكبر كلمة في القرآن الكريم، فهي مكونة من ١١ حرفًا وليس فيها أي حرف مكرر أو مشدد.

• هذه السور هي التي شيبت الرسول ﷺ: «**هود**»، «**الحاقة**»، «**الواقعة**»، «**النبأ**»، «**التكوير**»، «**المرسلات**»، «**الغاشية**».

• قلب القرآن سورة «يس»، وسنام القرآن سورة «**البقرة**»، وأم الكتاب هي «**الفاتحة**»، والزهراوان هما: «**البقرة**»، و«**آل عمران**».

• قال ابن عمر رضي الله عنهما: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إلى يوم القيامة كأنه رَأْيُ العَيْنِ، فَلْيَقْرَأْ هذه السُّوَرَ: الانشقاق والانفطار والتكوير.

• هناك كلماتٌ وردت كلٌّ منها في آيةٍ واحدة مرتين متتاليتين من دون وجود فاصل بينهما، وهي كما يلي: ﴿فِيهِ فِيهِ﴾ [التوبة: ١٠٨]، ﴿أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون: ٣٦]، ﴿بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ﴾ [الشعراء: ١٣٠]، ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الواقعة: ١٠]، ﴿سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٦]، ﴿دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: ٢١]، ﴿صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾ [الفجر: ٢٢].

• روي أن النبيَّ ﷺ أُعطي في كتاب الله عز وجل ما لم يُؤْتَه نبيٌّ قبله، وهو: سورة «**الفاتحة**» وخواتيم سورة «**البقرة**»، مِن كنزٍ تحت العرش.

• السورة التي نزل معها ما يَسُدُّ الأفق من الملائكة: هي سورة «**الأنعام**».

• السور القرآنية التي أُعطيت للنبيِّ ﷺ من ألواح موسىٰ عليه السلام هي: سورة «**طه**»، والطواسين، وهي السور التي تبدأ بـ«**طس**»، والحواميم وهي السور التي تبدأ بـ«**حم**».

• هناك اثنتا عشرة آية قرآنية جارية مجرىٰ الأمثال بين الناس، وهي كما يلي:

١- ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣].

٢- ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمن: ٦٠].

٣- ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ﴾ [الإسراء: ٨٤].

٤- ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ﴾ [فصلت: ٤٦].

٥- ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦].

٦- ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ﴾ [البقرة: ٢٤٩].

٧- ﴿وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٨- ﴿وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ﴾ [البقرة: ٢١٦].

٩ - ﴿أَلَيْسَ ٱلصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ٨١﴾ [هود: ٨١].

١٠ - ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١].

١١ - ﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ٥٤﴾ [النور: ٥٤].

١٢ - ﴿قُل لَّا يَسْتَوِى ٱلْخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ ٱلْخَبِيثِ﴾ [المائدة: ١٠٠].

• سورة النساء القصيرة هي «**الطلاق**»، وسورة النساء الطويلة هي «**البقرة**».

• والسورة التي حض النبي ﷺ علىٰ تعليمها للنساء هي سورة: «**النور**»؛ لاشتمالها علىٰ أحكام العفاف والستر.

• هناك خمس سور سُمِّيَت بأسماء يوم القيامة فيما عدا سورة «القيامة»: «**الواقعة**»، «**التغابن**»، «**الحاقة**»، «**الغاشية**»، «**القارعة**».

• وهناك خمس سور سميت بأسماء أنبياء: «**يونس**»، «**هود**»، «**يوسف**»، «**إبراهيم**»، «**محمد**».

• وسورة «**الرحمن**» تعرف باسم عروس القرآن.

• هناك آيتان في كتاب الله تحتوي كل منهما الحروف الأبجدية كاملة، هما:

الآية الأولىٰ التي تحتوي جميع الأحرف الأبجدية، وهي: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

والآية الثانية ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ

مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٥٤﴾ [آل عمران: ١٥٤].

• سور وآيات نزلت من القرآن مُشيَّعةً بالملائكة: أما «**فاتحة الكتاب**» فشيعها ثمانون ألف ملك، و«**آية الكرسي**» فشيعها ثلاثون ألف ملك، وسورة «**الأنعام**» شيعها سبعون ألف ملك، وسورة «**يونس**» شيعها ثلاثون ألف ملك.

• أمر الله تعالىٰ نبيه محمدًا ﷺ بالحلف في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم، أولها: ﴿ وَيَسْتَنبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ ﴾ [يونس: ٥٣].

وثانيها: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ ﴾ [سبأ: ٣].

وثالثها: ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ﴾ [التغابن: ٧].

• مِن سور القرآن ما ابتدأ بحروف هجائية، وعددها ٢٩ سورة، والعبارة التالية: «نص حكيم قاطع له سر» تجمع أحرف أوائل سور القرآن التي تبدأ بحروف هجائية، وعدد الأحرف كما يظهر ١٤ حرفًا تشكل نصف الأحرف العربية.

• يُسَن قراءة سورة «**الإخلاص**» في المواضع التالية: في الركعة الثانية من سنة صلاة الفجر، ومن سنة صلاة المغرب، ومن سنة صلاة الطواف، ومن صلاة الاستخارة، ومن صلاة الحاجة، وفي الركعة الأخيرة من صلاة الوتر، وقبل النوم، وعند زيارة المريض.

• السور القرآنية التي تساوي كل منها نصف جزء هي: «**الأنفال**»، «**طه**»، «**الأنبياء**»، «**الحج**»، «**النور**»، «**الشعراء**».

• السورة القرآنية التي تضمنت أكبر عدد من أسماء الأنبياء هي سورة «**الأنعام**»، ورد ذكر ستة عشر نبيًّا ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ﴾ الآيات [الأنعام: ٨٤-٨٦].

• آيات تتكون من كلمة واحدة غير الأحرف التي في أوائل السور ﴿ مُدْهَامَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ﴾ [الرحمن: ٦٤]، ﴿ الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ ﴾ [الحاقة: ١]، ﴿ الْقَارِعَةُ ﴿١﴾ ﴾ [القارعة: ١].

• سورة «**يوسف**» تزيد آياتها على مائة آية ليس فيها ذكر الجنة أو النار.

• في القرآن الكريم ست آيات تبدأ بـ«**قل يا أيها**»، هي:

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[الأعراف: ١٥٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[يونس: ١٠٤].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[يونس: ١٠٨].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَآ أَنَا۠ لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٤٩﴾[الحج: ٤٩].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٦﴾[الجمعة: ٦].

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾[الكافرون: ١].

• أخرج أحمد: **أن رسول الله ﷺ قال**: «**أُعْطِيتُ مَكَانَ التَّوْرَاةِ السَّبْعَ الطِّوَالَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الزَّبُورِ الْمِئِينَ، وَأُعْطِيتُ مَكَانَ الْإِنْجِيلِ الْمَثَانِيَ السَّبْعَ، وَفُضِّلْتُ بِالْمُفَصَّلِ**».

أما **السبع الطوال** فهي: من أول سورة «**البقرة**» إلى آخر سورة «**براءة**» (التوبة)؛ حيث يجعل العلماءُ «**الأنفالَ**» و«**براءةَ**» بمثابة سورة واحدة لعدم وجود بسم الله الرحمن الرحيم في أول سورة **براءة (التوبة)**.

وأما **المئون**: فهي السور التي تشتمل على مائة آية، وهي: «**يونس**»، «**هود**»، «**الرعد**»، «**إبراهيم**»، «**الحجر**»، «**النحل**»، «**الإسراء**»، «**الكهف**»، «**مريم**»، «**طه**»، «**الأنبياء**»، «**الحج**»، «**المؤمنون**»، «**النور**»، «**الفرقان**»، «**الشعراء**»، «**النمل**»، «**القصص**».

وأما **المَثَاني**: فهي السور التي يكون عدد آياتها أقل من مائة آية، وهي محصورة ضمنًا بين سورتي «**العنكبوت**» إلى سورة «**ق**».

وأما **المُفَصَّل**: فقد اختُلف في أوله؛ فقيل: من أول «**الصافات**». وقيل: من أول «**الفتح**». وقيل: من أول «**الحجرات**». وقيل: من أول «**ق**» إلى نهاية القرآن. وأرجح

الأقوال أنه بعد «**ق**»؛ أي: يبدأ من سورة «**الذاريات**»، فهو أربعة أجزاء ونيف، ويعدل سُبع القرآن إلا قليلًا.

• كل سورة فيها كلمة «**كلا**» فهي مكية، وقد وردت كلمة «**كلا**» في القرآن الكريم في ٣٣ موضعًا، في ١٥ سورة، كلها في النصف الأخير من القرآن، وليس في النصف الأول منها شيء، وما نزلت «**كلا**» بيثرب.

• السور التي تبدأ بأسماء الملائكة هي: «**الصافات**»، «**المرسلات**»، «**النازعات**».

• ثلاث سور متواليات تزيد آيات كلٍّ منها علىٰ خمسين آية ليس فيها اسم الله تعالىٰ الذي هو الله، وهي سور: «**القمر**»، و«**الرحمن**»، و«**الواقعة**».

• وردت آية في سورة «**هود**» اجتمع فيها ستة عشر ميمًا، وهي: ﴿قِيلَ يَٰنُوحُ ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٨﴾ [هود: ٤٨].

وقد اجتمع في ﴿أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ﴾ وحدها، ثماني ميمات متواليات.

• جاء في القرآن:

– حاء بعد حاء بلا حاجز بينهما في موضعين، وهما: ﴿وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿لَآ أَبۡرَحُ حَتَّىٰٓ أَبۡلُغَ مَجۡمَعَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ أَوۡ أَمۡضِيَ حُقُبٗا ٦٠﴾ [الكهف: ٦٠].

– وكاف بعد كاف في موضعين هما: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، ﴿مَا سَلَكَكُمۡ فِي سَقَرَ ٤٢﴾ [المدثر: ٤٢].

– وغين بعد غين في موضع واحد، هو: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ﴾ [آل عمران: ٨٥].

• السور المُسبِّحات التي تبدأ بتسبيح الله تعالىٰ، وهي خمس كما يلي: «**الحديد**»، «**الحشر**»، «**الصف**»، «**الجمعة**»، «**التغابن**».

• السور التي افتتحت بنداء النبي ﷺ، وهي: «**الأحزاب**، «**الطلاق**»، «**التحريم**»، «**المزمل**»، «**المدثر**».

• أجمعُ آيةٍ لخير يُمتثل ولشر يجتنب هي: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

• أكثر آية في القرآن فرحًا هي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر: ٥٣].

• أرجى آية في كتاب الله تعالى هي: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ ۖ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٦﴾﴾ [الرعد: ٦]، وقد روي أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا عَفْوُ اللهِ وَرَحْمَتُهُ وَتَجَاوُزُهُ، لَمَا هَنَأَ أَحَدًا عَيْشٌ، وَلَوْلَا عِقَابُهُ وَوَعِيدُهُ وَعَذَابُهُ لَاتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ».

• الاسم الذي يطلق على السور الثلاثة: «**الإخلاص**» **والمعوذتين** هو: القلاقل؛ لأن كلًّا منها يبدأ بلفظة «قل».

• هناك أسماء أخرى تطلق على كلٍّ من السور التالية: «**المائدة**» وتسمى سورة العقود، «**الأنفال**» وتسمى سورة بدر، «**الإسراء**» وتسمى سورة سبحان وسورة بني إسرائيل، «**فاطر**» وتسمى سورة الملائكة، «**الحشر**» وتسمى سورة بني النضير، «**الطلاق**» وتسمى سورة النساء القصرى.

• آخر سورة نزلت من القرآن الكريم هي ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [سورة النصر].

• هناك آية من القرآن الكريم لما نزلت قال النبي ﷺ فيها: «لَقَدْ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آيَةٌ هِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعًا»، وهي: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١-٢]، وكانت في مرجعه من الحديبية، وهم يخالطهم الحزن والكآبة، وقد نحر الهدي بالحديبية.

• الآية التي قال النبي ﷺ عند نزولها: «أعوذ بوجهك» هي: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥].

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما نزلت ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ»، ولما نزلت ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال: «أَعُوذُ بِوَجْهِكَ». قال فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام: ٦٥] قال رسول الله ﷺ: «هَاتَانِ أَهْوَنُ» أو «أَيْسَرُ». رواه البخاري.

• هناك سورة في القرآن الكريم تخلو من حرف الفاء، وهي: سورة «**الفاتحة**».

• السورة التي ليس فيها حرف الميم ولا الدال في القرآن الكريم هي: سورة «**الكوثر**».

• السورتان اللتان سُمِّيَتا بأسماء من أسماء الله تعالىٰ هما: سورة «**النور**»، وسورة «**الرحمن**».

• آيتان في كتاب الله ليس فيهما تنقيط سوىٰ أحرف أوائل السور، وهما: «**الطور**»، و«**العصر**».

• قال المشركون للنبي ﷺ: يا محمد، انسب لنا ربك. فأنزل الله تعالىٰ سورة «**الإخلاص**».

* * *

١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة

(١٠٢٣/ ١٨٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، وَيَتَدَارَسُونَهُ بينهم، إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَحَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم.

* * *

(آداب قارئ القرآن)

يلزم للقارئَ القرآن بعضٌ من الآداب التي تُعينه علىٰ التدبُّر والاستفادة من أجر وثواب الله تعالىٰ في ذلك اليوم، ومنها:

١ – الإخلاص لله في قراءته.

٢ – أن يكون علىٰ طهارة في الجسم والثوب والمكان قدر المستطاع، وقد اختلف العلماء فيما بينهم في حكم قراءة المُحدِث حدثًا أصغر؛ أي: الذي أخرج ريحًا أو نحوه، للقرآن الكريم مُمسِكًا للمصحف، فقالوا: إن الرسول ﷺ كان يقرأ مع الحَدَث، وأما الحائض فقيل: إنه يجوز لها قراءة القرآن دون مَسِّ المصحف، وأما بالنسبة لقراءة الجُنُب فلا يجوز له قراءة القرآن إلا لضرورة، وفي فتاوىٰ العلماء وكتب الفقه ما يُغني عن الحيرة والتردد.

٣ – أن يتحرَّىٰ أفضل الثياب وأنظفها قدر المستطاع.

٤ – أن يُطهِّر فمه، وأفضل تطهير يتم باستعمال السواك.

٥ – ويستحب له أن يبدأ بالاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم، وإن كان يرىٰ بعضهم أنها واجبة، وأفضل الصيغ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، وأعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وهي لا ترتل؛ لأنها ليست آية من القرآن الكريم، وإن كان يستحب الجهر بها لينصت السامع لقراءة القارئ.

قال ابن الجَزَرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ: المختار عند أئمة القراءة الجهر بها.

وقال بعضهم: علىٰ الأقل أن يُسمِع نفسه بها.

٦ – البسملة، فيجب عليه أن يحافظ علىٰ قراءة البسملة عند ابتداء القراءة من أول السورة، عدا سورة براءة (التوبة)، أما إذا أراد أن يقرأ من وسط السورة مثلًا فيكتفي بالاستعاذة، والسنة أن يفصل بين الاستعاذة والبسملة فلا يصلهما.

٧ – ترتيل القرآن، حيث يحرص علىٰ قراءته علىٰ مهل مع تدبُّر وتفهُّم حروفه، بحيث

يتمكَّن السامع من عدِّ تلك الحروف إذا أراد. وقد بينَّا مراتب القراءة فيما سبق.

٨- ومن آدابه حبُّ الاجتماع عند قراءته، حيث يجلس مَن يُحسن القراءةَ ويقرأ، ويستمع إليه الباقون، إلا أن يكون المجلس للتعليم، فيقرأ كلٌّ منهم ما يُصحَّح له فيه.

٩- ومن آداب القراءة تحسين الصوت عند القراءة، وفي الحديث: «زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ» [أبو داود في كتاب «سجود القرآن» باب «استحباب الترتيل في القراءة» حديث (١٤٦٨) من طريق البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]، وفي الحديث: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيْءٍ مَا أَذِنَ لِنَبِيٍّ حَسَنِ الصَّوْتِ يَتَغَنَّىٰ بِالْقُرْآنِ يَجْهَرُ بِهِ» [متفق عليه من طريق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

١٠- ومن آدابه ألا يجهر به تشويشًا علىٰ الآخرين، وفي الحديث: «الجَاهِرُ بِالْقُرْآنِ كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ بِالقُرْآنِ كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ» [أبو داود كتاب «الصلاة» باب «رفع الصوت بالقراءة في صلاة الليل» حديث (١٣٣٣) من طريق عقبة بن عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]، وهذا لمن يقرأ وحده وليس في موضع التعليم.

١١- ومن الآداب ألا يقرأ حين يشعر بالنعاس؛ لأنه ربما يهذي بكلام غير صحيح، وفي الحديث: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ الْقُرْآنُ عَلَىٰ لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِعْ» [مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «أمر من نعس في صلاته أو استعجم» حديث (٧٨٧) من طريق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

١٢- ومن الآداب أن يعتني بالسور التي ورد لها فضلٌ كبير، فيكثر من تلاوتها.

١٣- ويستحب له أن يطلب القراءة ممن يحسنها من صاحب الصوت الحسن، كما طلب النبي ﷺ من ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن يقرأ عليه القرآن.

١٤- ومن الآداب أنه إذا مرَّ علىٰ القارئ آيةٌ فيها عذاب يتعوَّذ ويشفق منها، أو دعاءٌ تضرَّع إلىٰ الله به، أو سجدةٌ سَجَد.

١٥- ومن الآداب ألا يقرأ أثناء الركوع أو السجود؛ لأنها مواضع التسبيح والتعظيم لله.

١٦- ومن الآداب أنه إذا أصابه عطسٌ وهو يقرأ فيقطع القراءة ويقول: الحمد لله.

١٧- ومن الآداب أيضًا إذا سمع المؤذن وهو يؤذن أثناء قراءته للقرآن، أن يقطعها ويتابع المؤذنَ في ألفاظ الأذان، ثم يعود إلىٰ قراءته.

١٨- ومن الآداب إذا طُلِبت منه حاجةٌ في حال القراءة أن يُجيب بالإشارة إن أمكن، وإلا فليقطع القراءة؛ لأن قَطْعها جائزٌ؛ حتىٰ لا ينكسر قلب صاحب الحاجة.

١٩- ومن الآداب إذا عَرَض له خروجُ ريح وهو يقرأ، أن يقطع القراءة ويُمسك عنها حتىٰ تخرج الريح، ثم يعود إلىٰ القراءة. وهو أدبٌ حسن، وإن توضأ كان أفضل.

٢٠- ومن الآداب أيضًا أن يُمسك عن القراءة حتىٰ ينقضي التثاؤب، ثم يعاود القراءة.

٢١- وعليه أن يختار الأوقات الكريمة الفاضلة إذا استطاع ذلك، فأفضل القراءة ما كان في الصلاة، وتطويل القيام أفضل في الصلاة من تطويل السجود عند الشافعية مثلًا، وأما في غير الصلاة فأفضل القراءة عند الليل، والنصف الأخير من الليل أفضل من النصف الأول، والقراءة بين المغرب والعشاء مستحبة لمن كان له سَعَة.

وأما القراءة في النهار فبعد صلاة الصبح، ولا كراهة في وقتٍ من الأوقات أيًّا كان، وهناك أيام كريمة، كيوم الجمعة، ويوم عرفة، وشهر رمضان، وغير ذلك من الأيام الكريمة، فلو تحراها كان أفضل.

٢٢- ومن الآداب ألا يختم القرآن قراءةً في أقلَّ من ثلاثة أيام ولياليها.

٢٣- وعليه أيضًا أن يتدبَّر المعاني العظيمة التي جاءت في القرآن الكريم، ولا يقرأها قراءةَ مَن يقرأ مجلة أو جريدة.

٢٤- ومن الآداب أيضًا أن يُعيد الآية مرةً بعد أخرىٰ إذا أراد أن يفهمها، ولا بأس في ذلك.

٢٥- وعليه أن يتلقىٰ القرآن عن أهل العلم المشهود لهم بالإتقان، إذا أراد أن يتعلم القراءة الصحيحة.

٢٦- ومن الآداب أيضًا أن يحاول استقبال القبلة في أثناء قراءته إذا استطاع ذلك.

٢٧- ومن آداب استعمال المصحف أن يُعظِّمه؛ فلا يضعه في موضع فيه ذلة أو مهانة بحسب العرف والاعتبار.

❁ ❁ ❁

١٨٥- باب فضل الوضوء

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ تعَالَىٰ: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ [المائدة: ٦].

(١٠٢٤/ ١٨٥) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ أُمَّتِي يُدْعَوْنَ يَوْمَ القِيَامَةِ غُرًّا (أي: شدة البياض في الجبهة) مُحَجَّلِينَ (أي: بياض أشبه بالنور يكون في ثلاث من قوائم الفرس) مِنْ آثَارِ الوُضُوءِ، فَمَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أنْ يُطِيلَ غُرَّتَه فَلْيَفْعَلْ». متفق عليه.

(١٠٢٥/ ١٨٥) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ خليلي ﷺ يقول: «تَبْلُغُ الحِلْيَةُ (أي: الزينة) مِنَ المُؤمِنِ حَيْثُ يَبْلُغُ الوُضُوءُ». رواه مسلم.

(١٠٢٦/ ١٨٥) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «من تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، خَرَجَتْ خَطَايَاهُ مِنْ جَسَدِهِ حَتَّىٰ تَخْرُجَ مِنْ تَحْتِ أظْفَارِهِ». رواه مسلم.

(١٠٢٧/ ١٨٥) وعنه قَالَ: رَأيْتُ رَسُولَ الله ﷺ تَوَضَّأَ مِثْلَ وُضُوئي هَذَا، ثُمَّ قَالَ: «مَنْ تَوَضَّأ هكَذَا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ، وَكَانَتْ صَلاتُهُ وَمَشْيُهُ إِلَى المَسْجِدِ نَافِلَةً (أي: رفع درجات)». رواه مسلم.

(١٠٢٨/ ١٨٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إذَا تَوَضَّأ العبد المُسْلِمُ- أو المُؤْمِنُ- فَغسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ المَاءِ، أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ يَدَيْهِ، خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا (أي: البطش: التعدي والأخذ بغير حق) يَدَاهُ مَعَ المَاءِ، أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، فَإذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ، خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ المَاءِ، أو مَعَ آخِرِ قَطْرِ المَاءِ، حَتَّىٰ يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ». رواه مسلم.

(١٠٢٩/ ١٨٥) وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ أتىٰ المَقْبُرَةَ (أي: المراد: البقيع)، فَقَالَ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَومٍ مُؤْمِنِينَ، وَإنَّا إنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، وَدِدْتُ أنَّا قَدْ رَأيْنَا (أي: رأيناهم في الحياة) إخْوانَنَا» قالوا: أوَلَسْنَا إخْوَانَكَ يَا رسول الله؟ قَالَ: «أنْتُمْ أصْحَابِي، وَإخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأتُوا بَعْدُ». قالوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسولَ الله؟ فَقَالَ: «أرَأيْتَ لَوْ

أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيلٌ غُرٌّ (أي: شديدة بياض الجبهة) مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ (أي: الدهمة: السواد) بُهْمٍ (أي: جمع بهيم، وهو ما لا يخالط لونه لون آخر)، أَلا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟» قالوا: بَلَىٰ يَا رسول الله، قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الوُضُوءِ، وأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَىٰ الحَوْضِ».

رواه مسلم.

(١٠٣٠/ ١٨٥) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بلىٰ يَا رسولَ الله، قَالَ: «إِسْبَاغُ الوُضُوءِ (أي: إتمامه وإكماله) عَلَىٰ المَكَارِهِ (أي: ما تكرهه النفس كشدة البرد)، وَكَثْرَةُ الخُطَا إِلَىٰ المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ؛ فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ (أي: الحبس للنفس علىٰ هذه الطاعة)؛ فَذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلم.

(١٠٣١/ ١٨٥) وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الطُّهُورُ (أي: الطهر والطهارة) شَطْرُ الإِيمَانِ». رواه مسلم.

وَقَدْ سَبَقَ بطوله في باب الصبر، وفي البابِ حديث عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه السابق في آخر باب الرَّجَاءِ، وَهُوَ حديث عظيم؛ مشتمل عَلَىٰ جُمَلٍ مِنَ الخَيْرَاتِ.

(١٠٣٢/ ١٨٥) وعن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أحَدٍ يَتَوَضَّأُ فَيُبْلِغُ - أو: فَيُسْبِغُ - الوُضُوءَ، ثُمَّ يقول: أَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ إِلَّا فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الجَنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ». رواه مسلم.

وزاد الترمذي: «اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ المُتَطَهِّرِينَ».

* * *

(الوضـــوء وآدابه)

حكمة الوضوء:

الوضوءُ مِفتاحُ التعبُّد لله ربِّ العالمين، وهو من الطُّهور الذي هو شَطْر الإيمان.

ولما قال النبي ﷺ: «الطهور شطر الإيمان»، تفطن أصحاب البصيرة واليقين إلىٰ أن أهم ذلك يكون بتطهير القلب والسريرة؛ إذ إن نظافة الظاهر بإفاضة الماء وتخلية الأعضاء من النجاسات مع أنه أمر حميد إلا أن إبقاء القلب مشحونًا بالأخباث والأقذار من الحقد

والحسد والغيبة والنميمة لهو أشد بلاء وأشد سوءًا على العبد.

فمن هنا كانت الطهارة لها أربعة مراتب:

مراتب الطهارة:

المرتبة الأولى: تطهير الظاهر؛ أي البدن والثياب، عن أي حدث من النجاسات أو الخبائث أو الفضلات.

المرتبة الثانية: تطهير الجوارح عن فعل الآثام والذنوب والمنكرات.

المرتبة الثالثة: تطهير القلب عن كل أخلاق ذميمة ورذيلة بغيضة كالكبر والحقد والحسد واللؤم والغل.

المرتبة الرابعة: تطهير جوف العبد وسره عما سوى الله تبارك وتعالى، وهو ما كان عليه الأنبياء صلوات الله عليهم والصديقين.

إذ إن المقصود الأسمى من عمل السر أن ينكشف للعبد جلال الله تعالى وعظمته، ولن يكون ذلك إلا إذا ارتحلت عنه الرذائل والخبائث وعموم الأغيار. ولهذا كانت عناية الأكابر دائمًا بعد الأنبياء من الصحابة الكرام وأهل الفضل والعلم هي نظافة الباطن أولًا التي فهموها من قوله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان**».

فلا يستطيع العبد أن ينال مقامات الإيمان والطهارة مرة واحدة، ولكن ينال ذلك طبقة بعد أخرى، ولا ينال الطبقة العالية إلا إذا تجاوز الطبقة السافلة، فلا يصل إلى أعلى مقامات الطهارة وهي طهارة السر إذا لم يُفرِغ قلبَه من الآثام وجوارحَه من الجرائم والذنوب وظاهرِه من الأحداث والخبائث.

ولا يكون كمن يتزين في الظاهر بجميل الثياب والزينة وتغافل عن تزيين قلبه وروحه ونفسه، ليخفي عيوبا ونقائص ويجمل ظاهره متغافلًا عن تزيين باطنه وجمال قلبه وروحه وتطهير ما أُمِر به من قبل الشرع أولًا. وهو ما قد يفعله البعض؛ فيُطهِّر البدن الذي هو بالفعل واجب، وينسى أن يطهر قلبه وسره وجوارحه.

وحديثنا هنا عن طهارة الظاهر، حيث إن المراتب الأخرىٰ لها مواضع أخرىٰ غير هذا.

فرائض الوضوء:

١- النية في أول الوضوء، علىٰ خلاف بين من يراها فرضًا أو من شروط صحة الوضوء.

٢- غسل جميع الوجه ما بين منابت الشعر من الرأس إلىٰ اللحيين- وهما الفكان اللذان عليهما الأسنان، ويجتمع مقدمهما في الذقن عند الفم ومؤخرتهما في الأذنين- من شحمة الأذن إلىٰ شحمة الأذن.

وإذا كان علىٰ الوجه شعرُ لحيةٍ خفيف بحيث تُرَىٰ البَشَرةُ من خلاله وَجَب إيصالُ الماء إلىٰ باطنه مع البشرة التي تحته، أما إذا كانت اللحيةُ كثيفةً بحيث لا تُرَىٰ بَشَرَتُه من خلالها فيكفيه غسلُ ظاهرها مع غسل الوجه والوصول لـمُقدَّم الرأس وتحت الذَّقن إلىٰ الرقبة احتياطًا.

٣- غسل اليدين إلىٰ المَرْفِقَيْنِ، والمرفق هو المفصل الذي بين العضد والساعد، ويدخلان فيما يجب غسله، ويجب غسل كلِّ ما علىٰ اليدين من شعر وإصبع زائدة وأظفار.

٤- مسح الرأس، علىٰ خلاف في أنه هل يمسح جميع الرأس أو بعضه، فقال البعض يُكتفىٰ بمسح بعض الرأس، وقال آخرون: ينبغي مسح جميع الرأس.

ويجوز مسح الرأس أو غسله أو استعمال فوطة مبللة في مسحه.

٥- غسل الرجلين مع الكعبين، إن لم يكن المتوضئ لابسًا الخفين، ويجب غسلُ ما عليهما من شعر وإصبع زائدة كاليدين.

وكل ما سبق يكون فعله مرة واحدة فرضًا وأما تكراره ثلاثًا فسُنَّة.

٦- الترتيب في الوضوء كما سبق، وإن كان بعض الفقهاء يرىٰ أن الترتيب من السُّنَّة وليس فرضًا.

تنبيه: يرىٰ بعض الفقهاء أن هناك فرضًا آخر: هو الموالاة، وهي أن يكون غسل الأعضاء المذكورة متواليًا، بحيث لا يفصل بين غسل عضو وغسل العضو الذي قبله، بل يتابع غسل الأعضاء الواحد تلو الآخر قدر الإمكان.

ملحوظة: يرىٰ الحنابلة أن التسمية في أول الوضوء واجبة وغيرهم يرونها سُنَّة.

سنن الوضوء:

١- التسمية في أوله، وأقلُّها: بسم الله. وأكملها: بسم الله الرحمن الرحيم. فإن نسي في أوله يمكنه أن يأتي بها في أثناء الوضوء.

٢- غَسْل الكفين ثلاثًا، ويُسن له من هنا النية بالقلب.

٣- المضمضة ثلاثًا، وتحصل السُّنة فيه بإدخال الماء في الفم، سواء أداره فيه أم لا، والأكمل أن يُديره ثم يَمُجَّه ويدفعه خارجًا، ويُسَنُّ استعمالُ السواك.

٤- الاستنشاق ثلاثًا، وتَحصُل السُّنةُ فيه بإدخال الماء في الأنف، سواء جذبه إلىٰ خياشيمه ونَثَرَهُ أم لا، والمبالغة مطلوبة في المضمضة والاستنشاق، إلا للصائم فهي مكروهة؛ خشية وصول الماء إلىٰ الجوف.

والجمع بين المضمضة والاستنشاق بثلاث غُرَفٍ باليد يتمضمض من كلٍّ منها ثم يستنشق أفضل من الفصل بينهما، وبعض الصائمين يكتفي ببَلِّ شفتيه وأنفه خوفًا من وصول الماء للجوف، وهذا من وسوسة الشيطان، بل عليه أن يستنَّ بسُنة النبي ﷺ ويتمضمض ويستنشق بلا مبالغة.

ولا يبالغ الصائم المتوضئ بعد المضمضة والاستنشاق في التفل (البصاق) الكثير ظنًّا منه أن بَلْع الريق يُفطر الصائم، فهذا خطأ، ويكفيه أن يتفل مرة أو مرتين فقط.

٥- يُسن له مسح جميع الرأس خروجًا من الخلاف عند من أوجب ذلك، ويكون المسح مرتين- كما سيأتي بيانه- ببلة واحدة.

٦- مسح جميع الأذنين ظاهرًا وباطنًا بماء جديد غير ماء مسح الرأس.

٧- تخليل اللحية الكثيفة للرجال، بأن يُدخل أصابعه من أسفل اللحية وأعلاها.

٨- تخليل أصابع اليدين والرجلين وغسل ما بينهم.

٩- تقديم اليمنىٰ من يديه ورجليه علىٰ اليسرىٰ منهما.

١٠- الطهارة ثلاث مرات للعضو المغسول والممسوح أيضًا، وقد يترك التثليث إذا ضاق الوقت أو قلَّ ماء الوضوء أو خاف فوات جماعةٍ أو احتياج الماء للعطش.

١١- الموالاة بين كلِّ عضو والآخر حتىٰ نهاية الوضوء، فلا يفرق بينهما بحيث لا يجفُّ العضو المغسول قبله وبعض الفقهاء يراها فرضًا.

١٢- دَلْك الأعضاء عند الغسل، فيُمرِّر الكفَّ مع الماء علىٰ العضو كلِّه ليضمن تعميم العضو بالماء؛ لأن عدم التعميم يُبطل الوضوء والمالكية يرونه فرضًا.

١٣- لا يسرف في استعمال الماء.

١٤- الذِّكر والدعاء قبل الوضوء وبعده.

١٥- إطالة الغرة والتحجيل، وتكون إطالة الغرة بغسل جزءٍ من مُقدَّم الرأس زائدٍ علىٰ المفروض في غسل الوجه، وأما التحجيل فبغسل ما فوق المرفقين والكعبين.

١٦- تَرْك الكلام الذي ليس فيه أهمية أو حاجة.

١٧- يُباح تجفيف الأعضاء عند العذر، كالخوف من البرد الشديد والمرض وغيره، ويُسن له أن يترك التجفيف إن استطاع.

١٨- يسن له صلاة ركعتين سنة الوضوء.

نواقض الوضوء:

١- كلُّ شيءٍ يخرج من مجرىٰ البول أو الغائط، ويشمل البول والمذي والودي والمني والريح والغائط ودم الاستحاضة، وحتىٰ لو خرجت حصاة.

٢- كلُّ ما يُزيل العقل أو يغلب عليه، مثل النوم الثقيل والجنون والإغماء والسُّكْر والتخدير بالأدوية.

٣- لَمْس المرأة الأجنبية وهي تلك المرأة غير المُحرَّمة أبديًّا التي يجوز للرجل أن يتزوجها إذا انتفت الموانع بدون حائل، بأن تكون البشرة علىٰ البشرة.

ومن الفقهاء من يرىٰ أن لمس المرأة الأجنبية بشهوة ينقض الوضوء.

٤- لمس فرج الآدمي بباطن الكف من نفسه أو من غيره، ذكرًا أو أنثىٰ، صغيرًا أو كبيرًا، حيًّا أو ميتًا بدون حائل.

٥- مسُّ حلقة الدبر ينقض الوضوء أيضًا، والمراد بها فتحة الشرج، إن كان بباطن الكف مع بطون الأصابع، وليس ظاهر الكف وحروفه ولا رءوس الأصابع فلا ينقض المس بها.

٦- أَكْل لحم الإبل، علىٰ خلاف بين الفقهاء، حيث يرىٰ بعض الفقهاء أن الوضوء بعده مندوب وليس بواجب.

وأما القهقهة فإن دليل نقضها للوضوء ضعيف.

والقيء، والرُّعاف وهو الدم يخرج من الأنف، وما خرج من الحلق فملأ الفم أو بعضه، وخروج الدم من جسم الإنسان؛ كلها لا تنقض الوضوء.

ويرىٰ الإمام الصنعاني أن حمل الميت لا يجب الوضوء منه، ولا يندب به كذلك.

ويرىٰ أن من حمله مباشرة بلا حائل لبدنه يستحب له غسل يديه تعبدًا لله.

ما يَحرُم على المُحدِث حَدَثًا أَصْغَرَ:

صاحب الحدث الأصغر: هو غير المتوضئ. ويحرم عليه ما يلي:

١ – الصلاة مطلقًا، فرضًا أو نفلًا، ولو صلاة الجنازة.

٢ – الطواف بالبيت الحرام.

٣ – مسُّ المصحف، وذهب البعض إلىٰ أنه يجوز مسه، أما القراءة فيه بدون مس، فهي جائزة اتفاقًا بين الفقهاء.

كيف نتوضأ:

إذا أردتَ الوضوءَ فاستحضر نية الوضوء في قلبك ثم قم بما يلي:

١ – اغسل كفيك ثلاثَ مرات، وقُلْ: بسم الله والحمد لله، وإن كنت تتوضأ من إناء– طشت مثلًا– فلا تُدخل يدك فيه، بل صُبَّ بوعاء صغير مثلًا الماء علىٰ كفيك ثلاث مرات قبل وَضْع يدك فيه.

٢ – تمضمض ثلاثَ مرات باليد اليمنىٰ، وبالغ في المضمضة، واستعمل السواك أو الفرشاة، وإن كنت صائمًا فلا تبالغ.

٣ – استنشق ثلاث مرات واستنثر أي: أخرج الماء من أنفك في كل مرة لتبالغ في نظافة أنفك، إلا إذا كنت صائمًا.

والمضمضة والاستنشاق باليد اليمنىٰ، أما الاستنثار وإخراج الماء من الأنف فيكون باليد اليسرىٰ.

٤ – اغسل وجهك ثلاث مرات من منبت الشعر إلىٰ أسفل الذقن ومن شحمة الأذن إلىٰ شحمة الأذن الأخرىٰ، وإن كانت لك لحية كثيفة فخلِّلها بأن تُدخل أصابعك المبتلة بالماء بين شعرها، وقُلْ في أثناء الوضوء: اللهم اغفر لي ذنبي، ووَسِّع لي في داري، وبارك لي في رزقي.

٥ – اغسل ذراعيك مع المَرْفِقَيْن ثلاثَ مرات مع الدَّلْك والتأكُّد من تعميم الماء، وابدأ باليمنىٰ، وخلِّل أصابع يديك للتأكُّد من وصول الماء بينها.

٦- امسح رأسك كلَّه بكفيك من مُقدَّم الرأس إلىٰ مُؤخَّره، ثم عُدْ إلىٰ المُقدَّم، ولك أن تمسح بكفٍّ واحدة تُديرها علىٰ الشعر حتىٰ تَعُمَّه، ولك أن تمسح مُقدَّم الرأس بكفك ثم تكمل علىٰ العمامة أو القلنسوة.

وللمرأة أن تكمل علىٰ غطاء رأسها، كل ذلك بشرط أن يبقىٰ غطاء الرأس علىٰ حاله حتىٰ الانتهاء من الصلاة.

٧- امسح أذنيك بعد مسح رأسك بماء جديد أو بماء مسح الرأس إن وُجد، ويكون بإدخال الإصبع السبابة في داخل أذنك بينما تدور بالإبهام حول الأذن من الخارج لمسحها.

٨- اغسل كلَّ رِجْل ثلاثَ مرات مع الدَّلْك والتأكُّد من أن الماء أصاب كلَّ جزءٍ فيهما مع الكعبين وخلل أصابعهما بإدخال الماء فيها، وابدأ بالرِّجل اليمنىٰ ثم اليسرىٰ.

٩- قُلْ بعد الوضوء: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، اللهم اجعلني من التوابين، واجعلني من المتطهرين.

١٠- صَلِّ بعد الوضوء ركعتين، وإذا صليت بعد الوضوء فرضًا أو نافلةً أخرىٰ كصلاة الاستخارة أو الحاجة أو غير ذلك فإنها تكفي عن ركعتي الوضوء.

١١- علىٰ المتوضئ أن يُوالِيَ بين غسل الأعضاء، فإذا غسل عضوًا غسل الذي بعده بدون تأخيرٍ، فإن فَصَل بين العضوين بزمنٍ طويل جفَّ فيه العضو السابق بطل وضوؤه عند بعض الفقهاء، وعليه أن يبدأ من البداية.

١٢- وعليه أن يغسل الأعضاء بالترتيب السابق، فإذا أخلَّ بالترتيب بطل الوضوء عند بعض الفقهاء.

(التيمم)

شَرَع اللهُ التيممَ بالتراب الطهورِ تخفيفًا عن المسلم وتيسيرًا للقيام بما أراده، سواء كان مسافرًا أو مقيمًا، وذلك بشروط، وهذا من خصائص هذه الأمة:

الأسباب المبيحة للتيمم: يُباح التيمم بدلًا من الوضوء والغسل في الحضر أو السفر أو إذا عجز عن استعمال الماء للأسباب التالية:

الأول: إذا لم يجد الماء، أو وَجَده ولكنه قليل بحيث لا يكفيه للطهارة، وعليه أن يتأكد من ذلك بطلب الماء ممن حوله، حتىٰ لو اضطُر لشرائه بثمن يستطيعه، فإذا تيقَّن عدمه أو أنه بعيد عنه فلا يجب عليه الطلب.

الثاني: إذا كان به جراحة أو مرض وخاف من أن استعمال الماء قد يؤدي إلىٰ زيادة المرض أو تأخُّر الشفاء، سواء عرف ذلك بالتجربة أو بإخبار الثقة من الأطباء.

الثالث: إذا كان الماء شديد البرودة وغلب علىٰ ظنِّه حصولُ ضررٍ باستعماله، بشرط أن يعجز عن تسخينه ولو بالأجر.

الرابع: إذا كان الماء قريبًا منه إلا أنه يخاف علىٰ نفسه أو عِرضه أو ماله، أو كان في سفرٍ ويخاف فوات القافلة والرفقة، أو حال بينه وبين الماء عدوٌّ أو غاصب من إنسٍ أو حيوان، وحتىٰ لو عجز عن استخراج الماء من البئر أو غيرها لفقدان الآلة، وكذلك لو خاف إن اغتسل في مكانٍ ما أن تُلصق به تُهمةُ الزنا، كمن بات عند أحد الناس فأصبح جنبًا ويعلم يقينًا أن لو طلب الاغتسال لصار الشكُّ في قلب صاحب البيت، فله أن يتيمم.

الخامس: إذا احتاج إلىٰ الماء عاجلًا أو آجلًا للشرب أو حتىٰ لشرب غيره، سواء كان إنسانًا أو حيوانًا، أو احتاجه للعجن والطبخ، أو لإزالة نجاسة غيرِ مَعْفُوٍّ عنها.

قال ابنُ تيميَّة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن كان حاقنًا (أي: حابسًا للبول) عادمًا للماء (أي: فاقدًا للماء) فالأفضل له أن يبول ويتيمَّم ويصلي غير حاقن، فهو أفضل من الصلاة وهو حاقن.

السادس: إذا كان قادرًا علىٰ استعمال الماء لكنه خشي خروجَ الوقت باستعماله في الوضوء أو الغسل، فإنه يتيمم ويصلي ولا إعادة عليه، وأجاز الأحناف التيممَ لمن خاف فوت صلاة الجنازة أو صلاة العيد.

كيفية التيمم: في حال الرغبة في التيمم يجب عقْد النية، ثم ضَرْب التراب أو الرمل

الطاهر أو غيرهما من جنس الأرض بالكفين مسمِّيًا اللهَ تعالىٰ، ثم نَفْض التراب بنَفْخِه أو بهَزِّ الكفين، ثم المسح بهما علىٰ الوجه وتعميم المسح، ثم مسح اليد اليمنىٰ إلىٰ الرسغ باليد اليسرىٰ، ومسح اليد اليسرىٰ إلىٰ الرسغ باليد اليمنىٰ، ولك أن تمسح الكفين قبل الوجه من دون كراهة. والتيمم يقوم مقام الوضوء والغسل من الجنابة أو الحيض أو النفاس. ومِن الفقهاء مَن قال: التيمُّم ضربتان: ضربةٌ للوجه، وضربةٌ لليدين والمَرْفِقَيْنِ.

واعتبر ابنُ القيِّم التيممَ كالوضوء، لا يلزم منه التيمم لكل صلاة مفروضة إلا إذا أحدث. ومن الفقهاء من قال بالتيمم لكل صلاة مفروضة ويصلي به ما يشاء من السنن والنوافل. ومنهم مَن قال: التيمُّم لكلِّ وقت صلاة. وكل هذا صحيح.

نواقض التيمم:

١- يُنقَض بكلِّ ما يَنقُضُ الوضوء.

٢- يُنقَض بزوالِ سببِ الإباحة والعذر أوالضرر، بأن وُجد الماءُ وقُدِر علىٰ استعماله. وليس علىٰ المُتيمِّم إعادة لو وَجَد الماءَ بعد الصلاة، أما إذا وجدها في أثناء الصلاة فقال مالكٌ والشافعي: يُتِمُّ صلاتَه ولا شيء عليه، بل يَحرُم عليه الخروجُ من الصلاة. وقال غيرُهما: تبطل صلاتُه، ويجب عليه الوضوء.

فإذا دَخل وقتُ الصلاة ولا ماء معه، وكان في نَظَرِه أن الماءَ سيأتي بعد قليل، فماذا يفعل؟ هناك حالان: الأول: أن يُعجِّل الصلاةَ بالتيمم. الثاني: أن يُؤخِّر الصلاة قليلًا عن أول الوقت. فعُلم مما سبق أنه لا يجوز التيمم إلا بالتراب الطاهر أو شيء من جنس الأرض، فمن كان مريضًا بالمستشفىٰ ويريد التيمم علىٰ فرش السرير أو البلاط أو البلاستيك مما لا تراب عليه أو علىٰ حائط نظيف غالبًا وليس عليه تراب فلا يجوز له ذلك، وعليه أن يحضر بعضًا من التراب الطاهر ليسهل له التيمم عليه.

(المسح على الخفين)

الخُفُّ: هو ما يُلبس في الرِّجل مصنوعًا من الجلد، ويصل إلىٰ ما بعد الكعبين.

والجورب: هو ما يُلبس في الرِّجل مصنوعًا من أيِّ نوع من المنسوجات، ويصل إلىٰ ما بعد الكعبين، علىٰ أن يكون غير شفافٍ وسميكًا.

شروط المسح على الخفين:

١- أن يبتدئ لبسهما بعد كمال الطهارة والوضوء، فلو غَسَلَ رِجلًا ولبس خُفَّها دون أن يكون غَسَل رجله الأخرىٰ فلا يصح، وحتىٰ لو لبس واحدةً ثم أحدث ريحًا قبل أن يلبس الرجل الأخرىٰ لا يصح كذلك.

٢- أن يكون الخُفَّان ساترين للكعبين، فلو كانا دون الكعبين لم يصح.

٣- أن يكون الخفان مما يمكن المشيُ عليهما.

٤- أن يكون الخُفَّان طاهرين ليس عليهما نجاسة.

ولكن بعض العلماء، أخذوا بظاهر النص وأجازوا المسح علىٰ الجورب مطلقًا: رقيقًا وسميكًا، ساترًا ومخرقًا. وعليه فالمسح علىٰ الجورب الشفاف ممنوع عند الجمهور، جائز عند قليل من العلماء.

والمسح للمُقيم يومٌ وليلة، وللمسافر ثلاثةُ أيام بلياليها، وتُحسب المدة من أولِ مرةٍ مَسَح فيها علىٰ الخفين، هذا عند بعض الفقهاء فلو أن أحدهم لبس خفين- أو جوربين- بعد أن توضأ للفجر ولكنه لم يبدأ المسح عليهما إلىٰ وقت دخول صلاة الظهر فإن وقت صلاة الظهر هو الذي تحسب المدة ابتداء منه فيمسح المصلي المقيم من ذلك الظهر إلىٰ ما بعد فجر اليوم التالي. وقال بعض الفقهاء: إن ابتداءَ المسح من أولِ حَدَثٍ يُحدثه الإنسانُ بعد أن يلبس الخف.

كيفية المسح:

الواجب في المسح أن يكون علىٰ ظاهر الخف أو الجورب، وذلك بأن يبلَّ المتوضئ كَفَّيْه بالماء ثم يمر باليمنىٰ علىٰ ظاهر القدم اليمنىٰ ابتداءً من الأصابع حتىٰ الساقين،

وكذلك يفعل باليسرىٰ علىٰ اليسرىٰ أو باليمنىٰ علىٰ اليسرىٰ كلاهما يصح، ويكتفي بمسح الظاهر. وقال البعض: يستحب مسح الأسفل كذلك.

ما يَنقُض المسح:

١ – كلُّ ما ينقض الوضوء ينقض المسح.

٢ – انتهاء المدة المقررة للمسح.

٣– خلع الخفين أو الجوربين أو خرقهما بحيث لا يصلحان للاستعمال.

٤ – إذا حدث ما يوجب الغسل كالجنابة والحيض والنفاس.

الجبيرة والعصابة والعضو المتضرر بالغسل:

إذا أراد المسلم الوضوءَ أو الغسل وكان علىٰ أحد أعضائه جبيرة– جبس– بسبب كَسْرٍ مثلًا فإن الواجب عليه المسح علىٰ الجبيرة، وإن كان بالعضو مرضٌ ألجأه إلىٰ ربطه بعِصابة أو خرقة وكان فكُّ العصابة وغسل العضو يضرُّه جاز له المسح علىٰ العصابة بحيث لا تزيد العصابة علىٰ العضو، وهذا يُحدِّده الطبيب المتخصص، فإن زادت بطل الوضوء. وإذا كان أحد الأعضاء يتضرَّر بالغسل ولكن لا يتضرر بالمسح عليه جاز المسح بدل الغسل، وإذا كان المسح يضره جاز له أن يلبس علىٰ العضو شيئًا ثابتًا ليمسح عليه كالخرقة مثلًا أو القفاز ونحوهما، وإذا شفي الجُرح بطل المسح، وإذا سقطت الجبيرة أو الخرقة كذلك بطل المسح ووجب غسل العضو، إلا إذا كان الغسل يضرُّه فيربطه مرة أخرىٰ ويمسح عليه.

(الغسل)

الغسل: هو تعميم البدن بالماء.

موجبات الغسل:

الأول: إذا حدث اتصال جنسي بين الرجل والمرأة ولو لم ينزل منيٌّ، وذلك بإدخال الحشفة

في فرج المرأة، فيجب الغسل علىٰ كل من الرجل والمرأة، وهو ما يعرف بالتقاء الختانين.

الثاني: إذا حدث اتصالٌ جنسي بين رجل ودبر امرأة أو رجل أو بهيمة أو صبي من الدبرأو صبية، سواء كان المدخول فيه حيًّا أو ميتًا، راضيًا أو مُكرَهًا، عاقلًا أو مجنونًا، مباحًا أو محرمًا، ويجب الغسل علىٰ الفاعل والمفعول به.

الثالث: إذا خرج المني بشهوة وتدفق، سواء بجماع أو احتلام أو استمناء باليد أو حتىٰ بمجرد النظر أو التفكير في الأمور الجنسية، والرجل والمرأة في ذلك سواء.

الرابع: من احتلم ولم يجد بللًا فلا غسل عليه، رجلًا كان أو امرأة، وإن وجد الرجل منيًّا ولم يذكر احتلامًا لزمه الغسل، وإذا شكَّ فعليه الغسل احتياطًا، وإلا فإن لم يتيقن أنه منيٌّ فلا غسل عليه.

الخامس: إذا خرج منه مني بعد الاغتسال من الجنابة بغير شهوة ولا تدفق فقد قال الشافعية: يجب عليه إعادة الغسل. وقال غيرهم: لا غسل عليه؛ لأنه بدون شهوة ولا تدفق.

السادس: إذا رأىٰ علىٰ ثوبه منيًّا لا يعلم وقت حصوله فيلزمه إعادة الصلاة من آخر نومة له.

السابع: إذا مات المسلم وجب غسله إجماعًا، إلا الشهيد فإنه يحرم غسله.

الثامن: الكافر إذا أسلم يجب عليه الغسل.

التاسع: انقطاع الحيض أو النفاس عند المرأة.

فرائض الغسل:

الأول: النية، حيث ينوي رَفْع الجنابة أو الحدث الأكبر.

الثاني: إيصال الماء إلىٰ جميع البشرة والشعر، ولا فرق بين شعر الرأس وغيره ولا بين الخفيف منه والكثيف، والشعرُ المضفور إن لم يصل الماء إلىٰ باطنه إلا بفَكِّه ونَقْضِه وجب نَقْضُه،ويجب غسل ما ظهر من صماخي الأذن.

سنن الغسل:

١. التسمية.

٢. أن يغسل فرجه أولًا.

٣. ثم يتوضأ كوضوء الصلاة قبل الغسل.

٤. دَلْك اليد علىٰ ما استطاع من سائر الأعضاء.

٥. الموالاة والترتيب؛ فيغتسل دفعة واحدة ولا يفصل بين الأعضاء بوقت يجف فيه العضو الذي تم فيه الوضوء بل عليه أن يوالي بين الأعضاء مرة واحدة، ويحافظ أيضًا علىٰ الترتيب الذي وضعه الشارع ولا يخالف ذلك.

٦. التيمن بتقديم اليمين علىٰ اليسار؛ أي البدء دائمًا بالعضو الأيمن قبل العضو الأيسر.

٧. تثليث غسل الأعضاء، بحيث يغسل كل عضو ثلاث مرات.

٨. تخليل الشعر بالماء؛ أي إدخال الماء خلاله باليدين.

٩. غسل سائر الإبط والأذنين والسرة وأصابع الرجلين.

ما يحرم على الجُنُب:

١. الصلاة، فرضًا كانت أم نفلًا.

٢. الطواف حول الكعبة.

٣. مسُّ المصحف أو حَمْلُه.

٤. قراءة القرآن عند الجمهور، وذهب البخاري والطبراني وداود وابن حزم إلىٰ جواز القراءة للجنب، من دون مس ورق المصحف.

٥. البقاء في المسجد إلا لضرورة، كمن احتلم في مسجد وتعذَّر عليه الخروج منه لخوفٍ علىٰ نفسه أو ماله، أما عبور المسجد من غير مُكْثٍ فيه فلا يحرم إذا احتاج لذلك.

ما يجوز للجُنُب:

١. جواز تأخير الاغتسال حتىٰ حضور وقت الصلاة.

٢. الذهاب للسوق ومصافحة الناس ومخالطتهم.

٣. لا بأس إذا عرق الجُنُب في ثيابه ثم تطهَّر وصلىٰ فيها دون أن يغسلها.

٤. للجنب أن يحتجم إذا احتاج، وأن يُقلِّم أظفاره ويحلق رأسه حتىٰ لو لم يتوضأ.

٥. للجنب أن يستريح وينام وإن كان يُسَنُّ له الوضوء قبل النوم إن استطاع، وله أن يأكل ويشرب.

* * *

١٨٦- باب فضل الأذان

(١٠٣٣/ ١٨٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ** (أي: الأذان) **والصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إِلَّا أَنْ يَسْتَهِمُوا عَلَيْهِ لَاسْتَهَمُوا عَلَيْهِ، ولو يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي العَتَمَةِ** (أي: وقت صلاة العشاء الأخيرة) **وَالصُّبْحِ لَأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا** (أي: مشيًا علىٰ اليدين والركبتين أو علىٰ المقعدة)». متفق عليه. «**الاسْتِهَامُ**»: الاقْتِرَاعُ. و«**التَّهْجِيرُ**»: التَّبْكِيرُ إِلَىٰ الصَّلاةِ.

(١٠٣٤/ ١٨٦) وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «**الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه مسلم.

(١٠٣٥/ ١٨٦) وعن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي صَعْصَعَةَ: أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ رضي الله عنه قَالَ لَهُ: «**إِنِّي أُرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ والبَادِيَةَ** (أي: الصحراء التي لا عمارة فيها) **فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ- أو: باديتك- فَأَذَّنْتَ للصَّلَاةِ، فارفَعْ صَوْتَكَ بالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَىٰ** (أي: غاية أو نهاية) **صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**». قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سمعتُهُ مِنْ رَسولِ الله ﷺ. رواه البخاري.

(١٠٣٦/ ١٨٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِذَا نُودِيَ بالصَّلاةِ، أَدْبَرَ الشَّيْطَانُ، وَلَهُ ضُرَاطٌ** (أي: ريح بصوت تخرج من أسفل الإنسان) **حَتَّىٰ لَا يَسْمَعَ التَّأْذِينَ، فَإِذَا قُضِيَ النِّدَاءُ**

أقْبَلَ، حَتَّىٰ إِذَا ثُوِّبَ (أي: أقيمت الصلاة) للصَّلاةِ أدْبَرَ (أي: هرب)، حَتَّىٰ إِذَا قُضِيَ التَّثْويبُ أقْبَلَ، حَتَّىٰ يَخْطِرَ (أي: يوسوس) بَيْنَ المَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا واذكر كَذَا- لِمَا لَمْ يَذْكُرْ مِنْ قَبْلُ- حَتَّىٰ يَظَلَّ الرَّجُلُ مَا يَدْرِي كَمْ صَلَّىٰ». متفق عليه. «التَّثويبُ»: الإقَامَةُ.

(١٠٣٧/ ١٨٦) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ النداءَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّه مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللهَ لِيَ الوَسِيلَةَ؛ فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الجَنَّةِ لا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللهِ وَأَرْجُو أَنْ أكونَ أنَا هُوَ، فَمَنْ سَألَ لِيَ الوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ». رواه مسلم.

(١٠٣٨/ ١٨٦) وعن أبي سعيدٍ الخُدريِّ رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إِذَا سَمِعْتُمُ النِّدَاءَ، فَقُولُوا كَمَا يَقُولُ المُؤَذِّنُ». متفق عليه.

(١٠٣٩/ ١٨٦) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاةِ القَائِمَةِ، آتِ مُحَمَّدًا الوَسِيلَةَ، وَالفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه البخاري.

(١٠٤٠/ ١٨٦) وعن سعدِ بن أبي وقَّاص رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ أنَّه قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ المُؤَذِّنَ: أشْهَدُ أنْ لا إلٰهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالإسْلامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ». رواه مسلم.

(١٠٤١/ ١٨٦) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الدُّعَاءُ لا يُرَدُّ بَيْنَ الأذَانِ وَالإقَامَةِ».

رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

١٨٧- باب فضل الصلوات

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

(١٠٤٢/ ١٨٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «أرَأيْتُمْ لَوْ أنَّ نَهْرًا بِبَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَوْمٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ، هَلْ يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ (أي: وسخه) شَيْءٌ؟» قَالُوا: لا يَبْقَىٰ مِنْ دَرَنِهِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَذلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا». متفق عليه.

(١٠٤٣/ ١٨٧) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ كَمَثَلِ نَهْرٍ جَارٍ غَمْرٍ عَلَىٰ بَابِ أَحَدِكُمْ يَغْتَسِلُ مِنْهُ كُلَّ يَومٍ خَمْسَ مَرَّاتٍ». رواه مسلم.

«الغَمْرُ» بفتح الغين المعجمة: الكثير.

(١٠٤٤/ ١٨٧) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا أصاب مِن امْرَأَةٍ قُبْلَةً، فَأتَىٰ النبيَّ ﷺ فَأخْبَرَه، فَأنْزَلَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ الرَّجُلُ: أَلِي هَذا؟ قَالَ: «لِجَمِيعِ أُمَّتِي كُلِّهِمْ». متفق عليه.

(١٠٤٥/ ١٨٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إِلَىٰ الجُمُعَةِ، كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُنَّ، مَا لَمْ تُغش (أي: ترتكب وتقترف، والمعنىٰ: إذا اجتنبت) الكَبَائِرُ». رواه مسلم.

(١٠٤٦/ ١٨٧) وعن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِن امْرِئٍ مُسْلِم تَحْضُرُهُ صَلاةٌ مَكْتُوبَةٌ فَيُحْسِنُ وُضُوءَها؛ وَخُشُوعَهَا، وَرُكُوعَهَا، إِلَّا كَانَتْ كَفَّارَةً لِمَا قَبْلَهَا مِنَ الذُّنُوبِ مَا لَمْ تُؤتَ كَبِيرةٌ، وَذلِكَ الدَّهْرَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

* * *

(الصلاة)

شروط صحة الصلاة: وهي الواجبات المطلوبة قبل الدخول في الصلاة.

فيجب علىٰ مَن أراد الصلاة أمورٌ، هي:

١ - العلم والتأكد من دخول وقت الصلاة؛ لأن صلاة الفريضة قبل دخولِ وقتها لا تصح، ويكفي غلبةُ الظن، فمن تيقَّن أو غلب عليه الظن في دخول الوقت أُبيحت له الصلاة، ويكون ذلك بأحد الأمور التالية:

أ- بإخبار إنسان ثقة في دينه وعلمه.

ب- أذان المؤذن المؤتمن الموثوق في تديُّنه وأمانته.

جـ- الاجتهاد الشخصي فيما وَسِعَ المرء.

٢- الطهارة من الحدث الأصغر الموجب للوضوء، والطهارة من الحدث الأكبر الموجب للغسل.

٣- طهارة بدن المُصلِّي وثوبه والمكان الذي يصلي عليه من النجاسات الحسية متىٰ كان قادرًا علىٰ إزالتها، فإن عجز صلىٰ معها ولا إعادة عليه، وتطهير البدن والثوب ومكان الصلاة أمرٌ واجب، ومن صلىٰ مُتلبِّسًا بنجاسةٍ فصلاته صحيحة ولكنه قد أخلَّ بواجب.

٤- ستر العورة، وحد العورة من الرجل والتي يجب عليه سترها عند الصلاة من السُّرَّة إلىٰ الركبة، أما السرة والركبة فليستا بعورة عند البعض، وهما عورةٌ عند آخرين.

وحد العورة من المرأة بدنُ المرأة كله، فيجب عليها ستره ما عدا الوجه والكفين علىٰ خلافٍ بين الفقهاء. وذهب بعض الفقهاء إلىٰ أن بدنها عورة إلا الوجه والكفين والقدمين وموضع الخلخال. وقال بعضهم: كلها عورة إلا الوجه. وقال بعضهم: جميعها عورة بدون استثناء.

ولا يُعتبر الثوبُ ساترًا للعورة إذا وَصَفَ لونَ الجلد، ولا تصح الصلاة فيه، وإن كان الثوب ضيِّقًا يحدد أعضاء العورة فإنه يكون حرامًا أمام من يراه من الناس ممن لا تحل له الرؤية، ولكن لا تبطل به الصلاة.

ومن انكشفت عورته في أثناء الصلاة شيئًا يسيرًا فسترها في الحال لم تبطل صلاته ولو كانت امرأة. وكشف اليسير من عورة الرجل أو المرأة لا تبطل به الصلاة، ولكن يأثم فاعله إن تعمد ذلك، واليسير حسب ما وصفه الفقهاء وجرىٰ به العرف والعادة.

والتجمُّل في الثياب للصلاة أمر مستحب؛ قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

كشف الرأس في الصلاة:

روىٰ ابن عباس **أن النبي ﷺ ربما نزع قلنسوته فجعلها سترة بين يديه**. ويرىٰ الأحناف أنه لا بأس بصلاة الرجل حاسرًا الرأس، نازعًا غطاء الرأس، في الصلاة، واستحبوا ذلك إذا كان للخشوع في الصلاة. ولم يرد في الشرع دليل علىٰ أفضلية تغطية الرأس في الصلاة.

استقبال القبلة:

ومن خَفِيَتْ عليه القِبلة وجب عليه أن يسأل من يدلُّه عليها، فإن لم يجد اجتهد وصلىٰ إلىٰ الجهة التي أدَّاه إليها اجتهاده، وصلاته صحيحة ولا إعادة عليه، حتىٰ لو تبيَّن خطؤه بعد ذلك، أما إذا تبين الخطأ في أثناء الصلاة استدار ناحية القبلة ولا يقطع صلاته.

متى يسقط استقبال القبلة؟

استقبال القبلة فريضة، ويسقط في الأحوال الآتية:

١ - صلاة النافلة للراكب، فقِبْلته حيث اتجهت دابته، من طائرة أو سيارة مثلًا ونحو ذلك.

٢ - صلاة المُكرَه والمريض والخائف، فيجوز لهم الصلاة لغير القبلة إذا عجزوا عن استقبالها.

أركان الصلاة:

١ - **النية** ومحلها القلب.

٢ - **القيام في الفرض مع القدرة عليه**، فإن عجز عن القيام لمرض أو غيره قعد كيف شاء أو علىٰ جَنْبه، ويجوز لمن أراد صلاة النفل أن يصلي قاعدًا مع قدرته علىٰ القيام، وله حينئذ نصفُ أجر القائم.

٣ - **تكبيرة الإحرام**، ويجب النطقُ بها بأن يقول: **الله أكبر**.

٤ - **قراءة الفاتحة** في كل ركعة من رَكَعات الفرض والنافلة، للمنفرد وللإمام، علىٰ أن يُسمع نفسه ولا يكتفي فقط بتحريك لسانه، وإلا بطلت صلاته. ومن جهل قراءة الفاتحة لعذر ما فعليه أن يقرأ سبع آيات متوالية عوضًا عنها أو متفرقة، وإن عجز عن القرآن جاء بِذِكْرٍ بدلًا منها بعدد حروفها، فإن لم يُحسن قرآنًا ولا ذِكْرًا كمن أسلم حديثًا ولا يعرف العربية مثلًا فله أن يقف بمقدار قراءة الفاتحة، و«**بسم الله الرحمن الرحيم**» آية من الفاتحة.

٥- **الركوع**: ويتحقق الركوع بمجرد الانحناء بحيث تصل اليدان إلىٰ الركبتين، ولابد من الطمأنينة، وهي بمقدار سبحان الله بعد سكون الجسم من الحركة.

٦- **الرفع من الركوع** والاعتدال قائمًا علىٰ الهيئة التي كان عليها قبل ركوعه حتىٰ تستقر أعضاؤه، وإلا بطلت صلاته.

٧- **السجود**: ويتحقق السجود عند أكثر الفقهاء بأن يكبر المصلي للسجود بلا رَفْعٍ لليدين، ويهوي بركبتيه ثم يديه ثم جبهته وأنفه. وأعضاء الجسم التي يتم السجود عليها سبعة: الركبتان، وباطن الكفين، وباطن أصابع الرجلين، والجبهة. فيجب علىٰ المصلي وَضْعُ هذه الأعضاء كلها، ومما هو منتشر بين العوام رفع أصابع الرجلين عن الأرض وهذا مما يبطل صلاتهم.

وكَشْفُ أعضاء السجود التي تُكشف عادة كالجبهة واليدين غيرُ واجب علىٰ الراجح، ويرىٰ البعض أن كشف الجبهة واجب تبطل الصلاة بدونه، والشافعية يقولون بوجوب كشف اليدين جميعًا. وظاهر الأدلة علىٰ أنه يجوز تغطية اليدين أثناء السجود لعذر، كما يجوز أن يسجد المصلي علىٰ ثوبه أو غطاء رأسه النازل علىٰ جبهته إذا كانت الأرض شديدةَ الحرارة أو شديدة البرودة أو بها شيء يُخشىٰ ضرره مثل الزجاج المكسور ونحوه.

ويشترط ألا يُسجَد علىٰ شيءٍ مرتفع ارتفاعًا يُخِلُّ بالصلاة بغير عذر، فلو سجد بجبهته علىٰ كرسيٍّ أو علىٰ شيء مرتفع بحيث يكون الرأس مساويًا للمؤخرة أو أعلىٰ منها فإنه لا يصح، إلا إذا حدث ذلك لعذر، كأن كانت المرأة حبلىٰ وتتضرر بالسجود فوضعت شيئًا عاليًا تسجد عليه، أو كان زحام شديد فسجد المصلي علىٰ ظهر مُصلٍّ أمامه. والسجود المفروض في الصلاة سجدتان في كل ركعة، فإن سجد في أية ركعة سجدة واحدة بطلت تلك الركعة وعليه إعادتها داخل الصلاة، وإلا فلو خرج من الصلاة بطلت صلاته.

٨- **الرفع من السجود والجلوس بين السجدتين** حتىٰ تستقر أعضاؤه ويطمئن حاله، وأقله السكون بعد حركة أعضائه، والأكمل أن يدعو فيه بالدعاء الآتي: ربِّ اغفر لي

وارحمني وعافني واهدني وارزقني.

٩- **الطمأنينة في الأركان كلها**؛ لأنها ركن في الركوع وفي الرفع منه وفي السجود وفي الجلوس بين السجدتين، وما يفعله كثيرٌ من الناس عند الصلاة من السرعة المخلة بالطمأنينة يُضيِّع الصلاة.

١٠- **القعود الأخير للتشهد**.

١١- **التشهد الأخير**، ويقول المالكية إنه سنة كالتشهد الأول.

وأقلُّ التشهد: «التحيات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله».

وأكمله كما سيأتي في كيفية الصلاة.

١٢- **السلام للخروج من الصلاة**، والواجب فيه التسليمة الأولىٰ، أما الثانية فهي سنة، فإن سلَّم واحدة فالمستحب أن يُسلِّمها تلقاء وجهه، ناظرًا جهة القبلة، وإن سلم اثنتين جعل الأولىٰ عن يمينه ويلتفت بها وجعل الثانية عن يساره كذلك. ويقصد بالسلام نية الخروج من الصلاة والتسليم علىٰ الملائكة وعلىٰ الصالحين من الإنس والجن.

هذه هي أركان الصلاة وما زاد عليها فهو من السنن.

سنن الصلاة:

السنة هي الأمر الذي يُطلب فِعلُه طلبًا غير جازم.

وعلىٰ هذا فإن فاعلَها يُثاب علىٰ فعلها، وتاركها لا يُعاقب علىٰ تركها، ويُحرَم ثوابها.

ومن سنن الصلاة:

١- رفع اليدين، وله أربعة مواضع: عند تكبيرة الإحرام، وعند الركوع، وعند الرفع من الركوع، وعند القيام إلىٰ الركعة التالية بعد التشهد الأول. وهذه سنن يشترك فيها الرجال والنساء.

٢- وضع اليد اليمنىٰ علىٰ كف اليد اليسرىٰ، والرسغ والساعد تحت الصدر، فوق السرة أو تحت السرة، وذلك حال القيام في الصلاة كما يكون حال القعود للعاجز عن القيام، ولمن أراد التنفل قاعدًا، ويبدأ وضعهما بعد تكبيرة الإحرام.

٣- يُفرِّق بين رجليه بشكل مقبول كالمعتاد، وأما «فرشحة» الرجلين فلا أصل لها.

٤- يقول دعاء الاستفتاح سرًّا بعد تكبيرة الإحرام.

٥- يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم سرًّا بعد دعاء الاستفتاح.

٦- الإسرار في الصلاة السرية، كالظهر والعصر، والجهر في الصلاة الجهرية كالفجر والمغرب والعشاء والجمعة والعيدان، وذلك عند قراءة الفاتحة والسورة إن كان إمامًا أو كان يصلي منفردًا. وقيل: إن المنفرد مُخيَّرٌ في صلاته بين الجهر والإسرار، وأما المأموم فيُسِرُّ دائمًا في القراءة، وكذلك المسبوق وهو من أدرك جزءًا من الصلاة خلف الإمام فيُسِرُّ في أداء ما سبق به.

٧- التأمين، أي قول: آمين عقب الفاتحة لقارئها بصوت مسموع في الصلاة الجهرية، ويُؤمِّن المأموم مع تأمين إمامه ويجهر به، ويُستحب أن يوافق تأمين الإمام؛ لأن الملائكة تقول آمين مع الإمام، وفي هذا إجابة للدعاء.

٨- قراءة سورة أو شيء من القرآن بعد الفاتحة في ركعتي الصبح والجمعة والعيدين والاستسقاء والكسوف والخسوف والركعتين الأوليين من الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وفي جميع ركعات السنن والنوافل.

٩- الجهر بالقراءة في ركعتي الفجر، وفي الأوليين من المغرب والعشاء، وفي صلاة العيدين وفي صلاة الكسوف والخسوف والاستسقاء، ويُسِرُّ في الظهر والعصر والركعة الثالثة في المغرب والأخريين في العشاء.

أما السنن والنوافل: فإن صلىٰ نهارًا أسرَّ، وإن صلىٰ ليلًا فهو مُخيَّر، وإن نسي فأسرَّ في موضع الجهر أو العكس فلا شيء عليه. ويجوز له الجهر في موضع الإسرار لتعليم الغير.

القراءة خلف الإمام: الأصل أن الصلاة لا تصح إلا بقراءة سورة الفاتحة في كل ركعة من رَكَعات الفرض والنافلة، إلا أن المأمومَ تَسقُط عنه القراءة ويجب عليه الاستماع والإنصات في الصلاة الجهرية في الركعات الجهرية فقط، أما الصلاة السرية والركعات السرية في الصلوات الجهرية فالقراءة فيها واجبة علىٰ المأموم.

وتجب علىٰ المأموم القراءة في الصلاة الجهرية التي لا يتمكَّن فيها من سماع قراءة الإمام.

١٠- تكبيرات الانتقال، يكبر في كلِّ خَفْضٍ ورَفْع وقيام وقعود، إلا في الرفع من الركوع؛ فإنه يقول: سمع الله لمن حمده، فإذا اعتدل قائمًا قال: ربَّنا ولك الحمد.

١١- هيئة الركوع، الواجب في الركوع مجرد الانحناء بحيث تصل اليدان إلىٰ الركبتين، والسنة تسوية مستوىٰ الرأس مع العَجُز والاعتماد علىٰ اليدين بالضغط الخفيف بهما علىٰ الركبتين مع إبعادهما عن الجنبين بحيث لا يضرُّ من يصلي بجانبه، وتفريج الأصابع علىٰ الركبة والساق كأنه قابض عليها، وجَعْل الظهر مبسوطًا لا مُقوَّسًا.

١٢- الذكر والدعاء في الركوع، يستحب الذكر في الركوع بلفظ: سبحان ربي العظيم.

١٣- أذكار الاعتدال والرفع من الركوع، فإنه يقول: سمع الله لمن حمده عند الرفع من الركوع، فإذا استوىٰ قائمًا فليقل: ربنا ولك الحمد.

١٤- كيفية الهُوِيِّ إلىٰ السجود والرفع منه: يجوز للمصلي أن ينزل إلىٰ السجود بركبتيه قبل يديه، وعند القيام من السجود إلىٰ الركعة التي بعدها أن يقوم أولًا بيديه قبل ركبتيه، أو العكس فينزل بيديه قبل ركبتيه ويقوم بركبتيه قبل يديه، كل هذا جائز.

١٥- هيئة السجود، يُستحَبُّ للساجد أن يُراعي في سجوده ما يأتي:

أ- تمكين أنفه وجبهته ويديه من الأرض مع إبعادهما عن جنبيه.

ب- وضع الكفين حَذْوَ الأذنين أو المنكبين، ويجوز الجمع بينهما فيجعل طرف الإبهام حذو الأذنين وراحتيه حذو منكبيه.

جـ- أن يبسط أصابعه مضمومة عكس حال الركوع حيث يقبض علىٰ ركبتيه.

د- أن يستقبل بأطراف أصابع يديه ورجليه القبلة قدر المستطاع.

١٦- أذكار السجود، ومقدارها أن يقول الساجد حين سجوده: سبحان ربي الأعلىٰ، ثلاث مرات، وأما أدنىٰ ما يُجزئ فمقدار تسبيحة واحدة مع الطمأنينة؛ لأنها فرض.

وأما كمال التسبيح فقدره بعض العلماء بعشر تسبيحات، وقال بعضهم: ينبغي لكل إمام أن يخفف كما أمر النبي وإن علم قوة من خلفه فإنه لايدري ما يحدث لهم من طارئ أو حادث وشغل عارض وحاجة وغير ذلك. قال ابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يستحب للإمام أن يسبح خمس تسبيحات ليدرك من خلفه ثلاث تسبيحات، والمستحب ألَّا يقتصر المصلي علىٰ التسبيح فقط، بل يزيد عليه ما شاء من الدعاء.

١٧- صفة الجلوس بين السجدتين: السنة في الجلوس بين السجدتين أن يجلس مفترشًا بأن يثني رِجلَه اليسرىٰ فيبسطها ويجلس عليها وينصب رجله اليمنىٰ جاعلًا أطراف أصابعها إلىٰ القبلة. ويجوز له الإقعاء وهو أن يفرش قدميه ويجلس علىٰ مؤخرته.

ويُستحب للجالس بين السجدتين أن يضع يده اليمنىٰ علىٰ فَخِذه اليمنىٰ ويده اليسرىٰ علىٰ فخذه اليسرىٰ، بحيث تكون الأصابع مبسوطة تُجاه القبلة مُفرَّجة قليلًا مع ملامسة الركبتين.

١٨- الدعاء بين السجدتين: يستحب الدعاء بين السجدتين بأحد دعاءين: «رب اغفر لي. والثاني: اللهم اغفر لي وارحمني، وعافني واهدني وارزقني». أبو داود برقم (٨٥٠).

١٩- جلسة الاستراحة، وهي جلسة قصيرة يجلسها المصلي بعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الأولىٰ قبل النهوض إلىٰ الركعة الثانية، وبعد الفراغ من السجدة الثانية من الركعة الثالثة قبل النهوض إلىٰ الركعة الرابعة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن هدي النبي ﷺ لم يكن فعلها دائمًا، ولم تذكر وصفًا لصلاته، ومجرد فعله لها لا يدل علىٰ كونها من سنن الصلاة، وقد يفعلها المصلي لحاجته إليها،

فهي تدور بين الاستحباب أو الفعل لحاجة أو الترك لها.

٢٠- صفة الجلوس للتشهد: ينبغي عند الجلوس في التشهد مراعاة السنن التالية:

أ- أن يقعد للتشهد واضعًا يده اليسرىٰ علىٰ ركبته اليسرىٰ واليمنىٰ علىٰ اليمنىٰ عاقدًا ثلاثًا وخمسين باليمنىٰ ويُشير بإصبعه السبابة، فيقبض أصابعه كلها ويشير بالسبابة.

ب- أن يضع كفَّه اليسرىٰ علىٰ فخذه وركبته اليسرىٰ وجعل حد مرفقه الأيمن علىٰ فخذه اليمنىٰ ثم يقبض بين أصابعه فيحلق حلقة، يحلق بالوسطىٰ والإبهام ويشير بالسبابة يحركها يدعو بها.

جـ- أن يضع يده اليمنىٰ علىٰ فَخِذه اليمنىٰ ويده اليسرىٰ علىٰ فخذه اليسرىٰ، ويشير بالسبابة، ولا يُجاوز بَصَرُه إشارته بدون قبض لليد.

وهذه الكيفيات الثلاث صحيحة، والعمل بأية كيفية منها جائز.

- أن يُشير بسبابته اليمنىٰ مع انحنائها قليلًا حتىٰ يسلم.

- رأي الشافعية أن يُشير بالإصبع مرة واحدة عند قوله: إلا الله، من الشهادة.

- رأي الحنفية أن يرفع سبابته عند النفي عند قوله: لا إله، ويضعها علىٰ فَخِذه عند الإثبات: إلا الله، من الشهادة.

- رأي المالكية أن يحركها يمينًا وشمالًا إلىٰ أن يفرغ من الصلاة.

- رأي الحنابلة أن يشير بإصبعه كلما ذكر اسم الجلالة ولا يحركها.

- أن يفترش في التشهد الأول، وأن يتورَّك في التشهد الأخير.

والتورك أن ينصب رجله اليمنىٰ موجهًا إصبعه إلىٰ القبلة، ويثني رجله اليسرىٰ تحتها ويجلس بمقعدته علىٰ الأرض.

د- التشهد الأول، وهو سنة، ويُستحب التخفيف فيه.

هـ- الصلاة علىٰ النبي ﷺ: ويستحب للمصلي أن يصلي علىٰ النبي ﷺ في

التشهد الأخير.

و- الدعاء بعد التشهد الأخير وقبل السلام: ويستحب الدعاء بعد التشهد وقبل السلام بما شاء من خيري الدنيا والآخرة، سواء كان مأثورًا أو غير مأثور، وإن كان المأثورُ أفضلَ.

ز- الأذكار والأدعية بعد السلام: ويُسَنُّ للمصلي أن يأتي ببعض الأذكار والأدعية بعد الصلاة.

مبطلات الصلاة:

١- الأكل والشرب عمدًا.

٢- الكلام عمدًا في غير مصلحة الصلاة، فإن تكلم جاهلًا بالحكم أو ناسيًا فالصلاة صحيحة. وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من تكلَّم في صلاته عامدًا بشيء يُريد به إصلاح الصلاة لم تبطل صلاته، فمثلًا لو صلىٰ رجلٌ إمامًا في العصر فجهر بالقراءة، فقال رجل من ورائه: إنها صلاة العصر، أو إنها صلاة سرية، أو ما شابه- فلا تبطل صلاته.

٣- العمل الكثير عمدًا. والقلة والكثرة مختلف فيها بين العلماء، وقال النوويُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن الفعلَ الذي ليس من أعمال الصلاة إن كان كثيرًا بحيث لو رآه إنسانٌ ظنَّ أنه ليس في صلاة أبطلها بلا خلاف. وأما إن كان قليلًا ولم يكن حتىٰ من جنس الصلاة (أي: يعني أعمال الصلاة) لم يبطلها بلا خلاف. وهذا في رأيه الضابط للقلة والكثرة.

وقال جمهور العلماء: الرجوع في ضابط القلة أو الكثرة عموم العادة بين الناس.

٤- تَرْك ركن أو شرط عمدًا وبدون عذر. كمن صلىٰ بغير طهارة أو لغير القبلة عمدًا أو نسيانًا، أو ترك الطمأنينة عمدًا أو نسيانًا. وعلىٰ العموم يَحرُم علىٰ المصلي أن يفعل ما يُفسد صلاته بدون عذر؛ فإن وجد سببًا، كإغاثةِ ملهوفٍ أو إنقاذ غريق ونحو ذلك فإنه يجب عليه أن يخرج من الصلاة، ويرىٰ الأحناف والحنابلة أنه يُباح له قَطْع الصلاة لو خاف ضياعَ مالٍ حتىٰ لو كان قليلًا له أو لغيره، أو خافت إن تألَّم ولدُها من

البكاء، أو فار قِدْرُ الطبيخ، أو هربت دابةٌ ونحو ذلك.

٥- التبسم والضحك في الصلاة: قال العلماء: لا بأس في التبسم، أما من ضحك بصوت فبان منه حرفان (أي: تحركت شفتاه بحرفين) بطلت صلاته، أما من غلبه الضحك ولم يَقْوَ علىٰ دفعه فلا تبطل الصلاة به إن كان يسيرًا، وتبطل به إن كان كثيرًا، بحسب العرف والعادة.

ما يُباح في الصلاة:

١- البكاء والتأوه والأنين، سواء كان من خشية الله، أو من المصائب والأوجاع مما لا يُمكن دفعه.

٢- الالتفات عند الحاجة، فإن كان لغير حاجة كُره تنزيهًا؛ لمنافاته الخشوعَ والإقبال علىٰ الله، وهذا في الالتفات بالوجه، أما الالتفات بجميع البدن والتحول عن القبلة فهو مبطل للصلاة.

٣- قتل الحية والعقرب والزنابير ونحو ذلك من كلِّ ما يضرُّ، وإن أدَّىٰ قتلها إلىٰ عمل كثيرٍ ويُكمل صلاته.

٤- المشي اليسير لحاجةٍ، قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: **كان رسول الله ﷺ يُصلي في البيت والبابُ عليه مغلق، فاستفتحتُ الباب (أي: طلبت فتحه) فمشىٰ ففتح لي ثم رجع إلىٰ مصلاه.** [أحمد في مسنده (٦/ ٢٣٤) برقم (٢٦٠١٤)]. وكان الباب تجاه القبلة، وحتىٰ لو كان عن اليمين أو اليسار فهو جائز علىٰ ألا يستدبر القبلة.

٥- حمل الصبي وتعلقه بالمصلي.

٦- إلقاء السلام علىٰ المصلي ومخاطبته: فيجوز للمصلي أن يردَّ السلامَ وغيرَه بالإشارة علىٰ من سلَّم عليه أو خاطبه، ويستوي في ذلك الإشارةُ بالإصبع أو اليد كلها أو بالإيماء بالرأس، فكل ذلك وارد عن رسول الله ﷺ.

٧- التسبيح والتصفيق: فالتسبيح للرجال بقول: سبحان الله. والتصفيق للنساء، وذلك إذا

عَرَضَ أمرٌ من الأمور كتنبيه الإمام إذا أخطأ وكإعطاء الإذن للداخل أو إرشاد الأعمىٰ.

٨- الفتح علىٰ الإمام إذا نسي: فله أن يُذكِّره بالآية.

٩- حمد الله عند العطس، أو عند حدوث نعمة، وأما كظم التثاؤب فمستحب.

١٠- السجود علىٰ ثياب المصلي أو عمامته لعذر: فللمصلي أن يتقي الحر والبرد بثوبه.

١١- القراءة من المصحف: ومذهب الشافعية يجيز أن يؤم المصلي بالناس بالقراءة من المصحف، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: ولو قلب أوراق المصحف أحيانًا في صلاته لم تبطل، وحتىٰ لو نظر في مكتوب غير القرآن وردد ما فيه في نفسه لم تبطل صلاته، وإن طال فعله، لكن يكره له ذلك.

١٢- شغل القلب بغير أعمال الصلاة: فمع أن الصلاة في هذه الحالة صحيحة وتجزئ إلا أنه ينبغي للمصلي أن يُقبل بقلبه علىٰ ربه، ويصرف نفسه عن الشواغل، ويتفكر في الآيات ويتفهم حكمتها.

ما يكره في الصلاة:

١- يكره للمصلي أن يترك سنة من سنن الصلاة.

٢- العبث بالثوب أو البدن إلا إذا دعت إليه الحاجة.

٣- أن يضع يده علىٰ خاصرته في وسطه.

٤- رفع البصر إلىٰ السماء.

٥- النظر إلىٰ ما يُلهي عن الصلاة.

٦- تغميض العينين: كرهه البعض وجوزه البعض بلا كراهة، والأفضل أن يقال: إن كان فتح العينين لا يُخِلُّ بالخشوع فهو أفضل، وإن كان يحول بينه وبين الخشوع ويشوش عليه فلا يُكره التغميض.

٧- الإشارة باليدين يمينًا وشمالًا عند السلام للخروج من الصلاة.

٨- تغطية الفم والإسدال، والإسدال هو إرسال الثوب حتىٰ يُصيب الأرض.

٩- الصلاة بحضرة الطعام، أي إذا وضع الطعام، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يوضع له الطعام وتُقام الصلاة فلا يأتيها حتىٰ يفرغ وإنه يسمع قراءة الإمام، وذلك حتىٰ تأخذ النفسُ حاجتها منه، فلا تُنازع شهوة الطعام عن إتمام الركوع والسجود وباقي الواجبات.

١٠- الصلاة مع حبس البول والغائط ونحوهما مما يشغل القلب.

١١- الصلاة عند مغالبة النوم.

١٢- التقيد والالتزام بمكان مخصوص من المسجد للصلاة فيه، وهذا لغير الإمام.

السترة أمام المصلي:

يستحب للمصلي أن يتخذ سترة أمامه في الصلاة، ولا يجب عليه ذلك، فالسترة مستحبة وليست فرضًا. وذلك بأن يجعل المصلي بين يديه سترةً تمنع المرورَ أمامه، وتكف بصره عما وراءها، وتتحقق بأيِّ شيءٍ ينصبه المصلي تلقاء وجهه ولو اعتبرها عند نهاية فرشه السجادة أو المصلاة.

وتُعتبر سترةُ الإمام في صلاة الجماعة سترة لمن خلفه من المأمومين، ففي الحديث ما يدل علىٰ جواز المرور بين المأموم والإمام. فالسترة تشرع للإمام في الجماعة أو للمنفرد بصلاته.

ويستحب الدنوُّ من السترة بحيث يكون بينه وبينها قدر مكان السجود، وكذلك المسافاتُ التي بين الصفوف. والمرور المتعمد بين يدي المصلي وسترتِه يُعتبر من الكبائر، أما إذا لم يضع المصلي سترةً فلا يحرم المرور بين يديه، والأولىٰ ألا يمر.

وإذا اتخذ المصلي سترة يُشرع له أن يمنع المرورَ بين يديه من إنسان أو حيوان ولكن باللين والرفق. ولا يقطع صلاته لمرور الناس أمامه، سواء منعهم أو لم يستطع منعهم.

قضاء الصلاة:

اتَّفق العلماء علىٰ أن قضاء الصلاة واجب علىٰ الناسي والنائم، أما من غاب عن الوعي ثم أفاق فليس عليه قضاء. أما التارك للصلاة عمدًا فذهب جمهور العلماء إلىٰ أنه يأثم ويلزمه القضاء. ويرىٰ ابن تيمية أنه لا يُشرع له قضاؤها ولا تصح منه، بل يُكثر من التطوع، وكذلك قال ابن حزم. ولمن فاتته الصلاة أن يأخذ بأحد الأمرين.

صلاة المريض:

من حصل له عذرٌ من مرضٍ ونحوه لا يستطيع معه القيامَ في الفرض، يجوز له أن يصلي قاعدًا، فإن لم يستطع القعودَ صلىٰ علىٰ جنبه يومئ بالركوع والسجود ويجعل سجوده أخفض من ركوعه. والمعتبر في عدم الاستطاعة هو المشقة أو خوف زيادة المرض، أو تباطؤ شفائه أو خوف دوران الرأس.

وصفة الجلوس الذي هو بدل القيام أن يجلس متربعًا، وأما صفة مَن عجز عن القيام والقعود فقيل: يصلي علىٰ جنبه، فإن لم يستطع صلىٰ مستلقيًا ورجلاه إلىٰ القبلة علىٰ قدر طاقته، وإذا تعذر الإيماء من المستلقي لم يجب عليه شيءٌ بعد ذلك.

الجمع بين الصلاتين:

اتفق العلماء علىٰ أن الجمعَ بين الظهر والعصر بعَرَفة يوم عرفة جَمْعَ تقديمٍ والجمعَ بين المغرب والعشاء بالمُزدَلِفة يوم عرفة جمعَ تأخيرٍ جائزٌ، وهو السنة المؤكدة.

ومعنىٰ جمع تقديم أن يصلي الصلاتين في وقت الأولىٰ منهما.

ومعنىٰ جمع تأخير أن يصلي الصلاتين في وقت الثانية منهما.

وهذا للظهر مع العصر، والمغرب مع العشاء فقط، ولا جمع لصلاة الفجر أبدًا.

قال جمهور الفقهاء: يجوز جمعُ التقديم والتأخير بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء في أثناء السفر المعتبر شرعًا. فإن سافر بعد أذان الظهر جَمَع الظهر والعصر جَمْعَ تقديمٍ، وإن سافر قبل أذان الظهر جمعهما جمعَ تأخيرٍ، وكذلك بالنسبة للمغرب

والعشاء. وإن كان بعض الفقهاء لا يرىٰ الجمع إلا في أثناء حركة السفر الفعلية.

ويجوز جمع التقديم- ويقصد به صلاة الجماعة في المسجد- بين المغرب والعشاء بسبب المطر الشديد أو الظلمة المخيفة والوحل الشديد إذا تعذَّر علىٰ المصلين العودة للمنزل بعد صلاة المغرب مثلًا والذهاب مرة أخرىٰ للمسجد لصلاة العشاء جماعة فعلًا.

أما من يذهب بسيارته والمطر لا يؤثر فيه، أو كانت الظلمة شديدة ولكن مع وجود أنوارٍ، فلا يجوز الجمع لعدم العذر، ولا يجوز إلا جمع تقديم، أما التأخير فلا يجوز في المغرب والعشاء عند حدوث ذلك العذر. ويجوز للمريض الذي يشقُّ عليه أداء كل صلاة في وقتها أن يجمع بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء تقديمًا أو تأخيرًا رحمة له. كما أجاز كثير من الفقهاء الجمع في الحضر للحاجة والضرورة.

مثال: شرطي تبدأ حراسته بعد صلاة الظهر وتنتهي إلىٰ ما بعد المغرب، ولا يُسمح له أن يترك الحراسة للصلاة، فله أن يجمع بين الظهر والعصر معًا جمع تقديم.

ومثال: طالب يدخل امتحانًا قبل المغرب ولا ينتهي إلا بعد صلاة العشاء، فله أن يجمع جَمْعَ تأخيرٍ إذا لم يُسمح له بالصلاة في أثناء الامتحان.

ومثال: عامل أمام آلة كهربائية أو ميكانيكية، لو غفل عنها ربما أحدثت أضرارًا مادية به، أو لا يسمح له صاحبُ العمل بأن يصلي في أثناء العمل، وهو مضطر للعمل، فله أن يجمع.

سجود السهو:

ثبت أن النبيَّ ﷺ نسي في صلاته أكثرَ من مرة بزيادة أحيانًا ونقصان أحيانًا، فتدارك ذلك بأن سجد للسهو وعلَّم أصحابه كيف يسجدون للسهو إذا نسوا في الصلاة، فقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، أَنْسَىٰ كَمَا تَنْسَوْنَ، فَإِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْجُدْ سَجْدَتَيْنِ». متفق عليه.

ومن ترك ركنًا من أركان الصلاة ناسيًا ولم يتداركه فإن سجودَ السهو لا يَجبُره وتبطل صلاته بتَرْكِه للركن إلا أن يتداركه. وسجود السهو يكون من الزيادة في الصلاة أو

النقصان، فمن شك في صلاته بالزيادة أو النقصان فليسجد للسهو.

ومن ترك تكبيرة الإحرام بطلت صلاته، وعليه أن يبدأ بتكبيرة الإحرام من جديد.

أما مَنْ تَرَك ركنًا ناسيًا لزمه أن يعود لذلك الركن، كمن نسي الركوعَ مثلًا وتذكَّر في أثناء سجوده، فعليه أن يرجع للركوع وَلْيُتِمَّ صلاته بعد ذلك بنفس ترتيب أركان الصلاة ثم يسجد للسهو آخر الصلاة. ومَن لم يتذكر الركن الذي نسيه ولم يَعُد له سهوًا أو جهلًا بطلت الركعة فقط وصارت مُلغاةً كأن لم تكن ويُكمل صلاته علىٰ اعتبار أنه لم يُصلِّ هذه الركعة ثم يسجد للسهو في آخر الصلاة.

ومَن نسيَ التشهدَ الأول (الأوسط) وقام للركعة الثالثة قيامًا غيرَ كامل فله أن يجلس ويُتم صلاته، فإذا تمَّ قيامُه ورجع للتشهد الـمَنْسيِّ بعد تمام القيام قيل: تبطل صلاته، وقيل: يُكره فقط. والأولىٰ ألا يرجع من قيامه؛ لأنه فرضٌ، ويترك السنة وهي التشهد الأوسط، ويسجد للسهو. ومَن تَرَك سُنَّةً من سنن الصلاة سهوًا أو جهلًا فإن سجود السهو بالنسبة له سنة وليس واجبًا، أي أنه مُخيَّر في فعله.

ويجب علىٰ المأموم أن يُتابع الإمام في سجوده للسهو، وإن لم يكن يقتدي به حال سهوه، وحتىٰ لو كان مسبوقًا سجد للسهو مع الإمام، ولكن لا يُسلِّم بل يقوم لأداء ما فاته. وإذا سها المأموم في أثناء اقتدائه بإمامه فلا شيء عليه، ولا يسجد للسهو؛ لأن الإمام يتحمَّل عنه سهوه.

ومن شكَّ في صلاته فلم يَدْرِ ما عدد ما صلَّاه فإن عليه أن يبنيَ علىٰ الأقل المُتيقَّن ثم يسجد في آخر الصلاة للسهو، فمن كان لا يدري هل صلىٰ ثلاثًا أو أربعًا فإن عليه أن يعتبر أقل ما صلاه وهو ثلاثة ويأتي بركعة رابعة ثم يسجد للسهو. ويصح سجود السهو قبل السلام من الصلاة كما يصح بعد السلام، واختُلف في أيِّهما أفضل. أما صلاة النافلة فحكمها كحكم صلاة الفريضة في سجود السهو عند عامة الفقهاء.

كيفية سجود السهو:

أن يسجد الساهي سجدتين مثل سجدات الصلاة ثم يسلم، وله أن يُسلِّم بعد

السجدتين مباشرة أو يقرأ التشهد ويسلم بعدهما، وقيل: إن سجد المصلىٰ الساهي بعد السلام من الصلاة فليقرأ التشهد ويسلم، ومن سجد قبل التسليم لا يتشهد بل يسلم مباشرة.

ومن نسي أن يسجد للسهو ثم تذكَّر سجد إن كان لا يزال في مكان الصلاة حتىٰ لو تكلم بكلامٍ أو تحرَّك قليلًا بعيدًا عن مكان الصلاة، إلا إذا حصل فاصلٌ طويل حسب العُرف والعادة.

وقال بعض الفقهاء: لا يسقط وإن تذكَّره ولو بعد شهر، فليسجد ولا شيء عليه.

سجود الشكر:

سجود الشكر عند حدوث نعمة إذا كان العبد ينتظرها، أو اندفاعِ بلية كان يتمنَّىٰ انكشافها، أو رؤية مُبتلًىٰ بعلة أو معصية، وعليه أن يُخفي سجوده عن صاحب العلة أو المرض حتىٰ لا يحمله ذلك علىٰ كفران النعمة والقدر من الله، وله أن يُظهر سجود الشكر للعاصي لعله يتوب.

ويُشترط لسجود الشكر - في رأي بعض العلماء-ما يُشترط للصلاة من صحةٍ، كالطهارة من الحدث وطهارة المكان والثوب واستقبال القبلة كسجود التلاوة.

أما ابن حزم فيرىٰ أن السجود في قراءة القرآن، يقصد سجود التلاوة، ليس ركعة ولا صلاة، فهو جائز بلا وضوء، وحتىٰ جائز للجنب والحائض، وإلىٰ غير القبلة، كأنه ذِكْر ولا فَرْق. وكذلك في رأيه أن سجود الشكر سجدة واحدة فقط بتسبيحات السجود.

كيفية الصلاة:

١- استحضر بقلبك نية الصلاة التي تريد أن تصليها، واعزم عليها عند تكبيرة الإحرام، ولا يطلب منك التلفظ بالنية؛ لأنه لم يثبت عن رسول الله ﷺ ولا صحابته ولا عن الأئمة الأربعة وإنما قال بها بعض المتأخرين من أتباع المذاهب.

٢- قُلْ عند استحضار النية: الله أكبر. فهذه تكبيرة الإحرام التي تدخل بها الصلاة، وهي أيضًا تكبيرة التحريم التي تُحرَّم بها أشياءُ كانت مباحةً قبل الصلاة.

٣- ارفع يديك عند تكبيرة الإحرام ممدودةً الأصابع إلىٰ جهة القبلة، واجعل الرفع إلىٰ أذنيك أو إلىٰ مَنْكِبَيْك، أو اجعل باطن الكفين إلىٰ جهة القبلة وأطرافَ الأصابع واصلةً إلىٰ أعلىٰ الأذنين، والكَفَّين مقابل الكتفين، وهذه الكيفية تجمع بين القولين، وهي الأفضل.

٤- ضَعْ يدك اليمنىٰ علىٰ كَفِّ اليسرىٰ وساعدها، ثم ضعهما علىٰ صدرك أو تحت الصدر فوق السرة.

٥- اقرأ أيَّ دعاء من أدعية الاستفتاح، وفيها القصير والطويل، والمناسب أن تختار الدعاء القصير إذا كنت إمامًا، وهذه بعضُ الصيغ فاخترْ منها:

أ- **اللهم باعِدْ بيني وبين خطاياي كما باعدتَ بين المشرق والمغرب، اللهم اغسلني من خطاياي بالماء والثلج والبَرَد، اللهم نقِّني من الذنوب والخطايا كما يُنقَّىٰ الثوب الأبيض من الدَّنَس.** متفق عليه: البخاري برقم (٧٤٤)، ومسلم برقم (١٤٧).

ب- **اللهم ربَّ جبرائيل وميكائيل وإسرافيل، فاطِرَ السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختُلف فيه من الحقِّ بإذنك؛ إنك تهدي من تشاء إلىٰ صراطٍ مستقيم.** مسلم برقم (٢٠٠).

جـ- **الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا.** مسلم برقم (١٥٠).

د- **سبحانك اللهم وبحمدك، وتبارك اسمك، وتعالىٰ جَدُّك، ولا إلهَ غيرُك.** مسلم برقم (٥٢).

هـ- **وجَّهتُ وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا مسلمًا وما أنا من المشركين، إن صلاتي ونُسُكِي ومحياي ومماتي لله رب العالمين، لا شريك له وبذلك أُمِرْتُ وأنا أول المسلمين.** مسلم برقم (٢٠١).

٦- وبعد دعاء الاستفتاح قُل: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. أو قل: اللهم إني أعوذ بك من الشيطان الرجيم، من هَمْزه ونَفْخه ونَفْثِه. أحمد في مسنده برقم (١٦٧٤٠).

أو قل: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، مِن هَمْزه... إلىٰ آخره. أبو داود برقم (٧٧٥)، والترمذي برقم (٢٤٢).

٧- اقرأ بعد ذلك الفاتحة، وإن كنت إمامًا فلا تجهر بشكل دائم بالبسملة في الجهرية، فإن النبي ﷺ كان يجهر بها أحيانًا ويخفيها أكثر الأحايين وإن كنت مأمومًا فليس عليك قراءةُ الفاتحة في الرَّكَعات التي يجهر الإمامُ فيها بالقراءة عند أكثر الفقهاء، والأحوط أن تقرأها.

٨- فإذا فَرَغْتَ من قراءةِ الفاتحة فقُلْ: آمين. بمدِّ الألف أو بغير مَدٍّ، ومعناها: اللهم استَجِبْ. وكلمة «آمين» ليست من الفاتحة، ومطلوبٌ منك أن تَجْهَرَ بها إن كُنتَ تجهر بالقراءة، ويُستحب للمأمومين أن يقولوها مع الإمام ليغفر الله لهم.

٩- وإن كنت إمامًا فاسكت سكتةً خفيفةً بين قراءة الفاتحة وقراءة السورة، وسكتة خفيفة أخرىٰ بعد الانتهاء من القراءة حتىٰ لا تصل القراءة بالركوع.

١٠- فإذا فرغتَ من قراءة الفاتحة فاقرأ شيئًا من القرآن الكريم، سورة أو بعض سورة، وعلىٰ الإمام أن يُراعي حالةَ المأمومين فيُخفِّف في قراءة السورة، فإن فيهم الضعيفَ والكبير وصاحب الحاجة. متفق عليه.

١١- فإذا فرغتَ من القراءة فارفَعْ يديك كما فعلت عند تكبيرة الإحرام وكَبِّر وأنت تهبط للركوع، وضَعْ كَفَّيْكَ علىٰ ركبتيك كأنك قابضٌ عليهما وأَبعِد يديك عن جنبيك، واجعل ذراعيك مشدودتين، وابسط ظهرك واجعله ممدودًا، واعتدل في ركوعك فلا ترفع رأسك ولا تخفضه، ولكن اجعله في مستوىٰ ظهرك.

١٢- قُلْ في ركوعك: سبحان ربي العظيم. بأي عددٍ، وأقل الكمال ثلاث، وأوسطه خمسٌ أو سبع، وأكثره عشر. وإن كُنتَ وحدك فزِدْ ما شِئتَ وقُلْ مع ذلك إن شئت:

سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي. متفق عليه: البخاري برقم (٧٩٤)، ومسلم برقم (٢١٧).

أو قل: سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح. مسلم برقم (٢٢٣).

أو قل: اللهم لك ركعت، وبك آمنت، ولك أسلمت، خشع لك سمعي وبصري، ومخي وعظمي وعقبي. مسلم برقم (٢٠١).

١٣- ارفع رأسك من الركوع وأنت تقول عند رَفْع رأسك: سمع الله لمن حمده، وارفع يديك كما رفعتهما عند تكبيرة الإحرام.

١٤- فإذا وقفت معتدلًا فقل: ربَّنا ولك الحمد، [البخاري برقم (٦٨٩)].

أو: ربنا لك الحمد، [متفق عليه: البخاري برقم (٧٢٢)، ومسلم برقم (٦٢)].

أو: اللهم ربنا ولك الحمد. [البخاري برقم (٧٩٥)].

أو: اللهم ربنا لك الحمد، ملء السماوات وملء الأرض، وملء ما شِئتَ من شيءٍ بعدُ، أهل الثناء والمجد، أحقُّ ما قال العبد، وكلنا لك عبدٌ، لا مانع لما أَعْطَيْتَ، ولا مُعطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ. [مسلم برقم (١٩٤)].

وإن شِئتَ فَزِدْ عليها: اللهم طهِّرني بالثلج والبَرَد والماء البارد، اللهم طهِّرني من الذنوب والخطايا كما يُنقَّىٰ الثوب الأبيض من الوسخ. [مسلم برقم (٢٠٤)].

أو تقول: ربنا ولك الحمد، حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه. [البخاري برقم (٧٩٩)].

ويجب أن يُدرك المصلي أن الاطمئنان في الركوع وفي الرفع منه حتىٰ يعتدل تمامًا، وفي السجود حتىٰ يستقرَّ كلُّ عضوٍ، وفي الرفع منه حتىٰ يطمئن جالسًا، كلُّ ذلك من الواجبات التي مَن تَركها بطلت صلاته علىٰ الراجح.

١٥- ثم كبِّر وأنت تنزل للسجود، ولك أن تنزل بيديك قبل ركبتيك، أو تنزل بركبتيك قبل يديك، والخلاف في ذلك مشهور.

فإذا سجدتَ فاجعل سجودك علىٰ جبهتك وأنفك، وأبعد ذراعيك عن جنبيك،

وارفعهما عن الأرض، وأبعد بطنك عن فَخِذَيْكَ، واضمم أصابع كَفَّيْكَ، واجعل كفيك متجهتين إلىٰ القبلة وهما بحِذَاء أذنيك أو بحذاء كتفيك، واجعل أصابع رجليك متجهةَ الأطراف إلىٰ القبلة مع نَصْب القدمين.

ولا تسجد علىٰ عمامتك، ولا علىٰ شيءٍ وَضَعْتَه علىٰ رأسك، مثل القلنسوة.

١٦- قُلْ في سجودك: **سبحان ربي الأعلىٰ**، [مسلم برقم (٢٠٣)] والعدد كما ذُكر في الركوع، ولك أن تقول مع ذلك: **سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**، [متفق عليه: البخاري برقم (٧٩٤)، ومسلم برقم (٢١٧)] وأن تقول: **سُبُّوح قدوس رب الملائكة والروح**، [مسلم برقم (٢٢٣)] وأن تدعو بما شئت.

ومن الأدعية: **اللهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيت علىٰ نفسك**. [مسلم برقم (٢٢٢)].

ومنها: **اللهم اغفر لي ذنبي كله، دقَّه وجله، وأوله وآخره، وعلانيته وسِرَّه**. [مسلم برقم (٢١٦)].

١٧- ارفع رأسك من السجود وأنت تقول: **الله أكبر**، ثم اجلس علىٰ رجلك اليسرىٰ بعد أن تفترشها تحتك، وانصب رجلك اليمنىٰ واجعل أصابعها جهة القبلة، واجعل يديك علىٰ فَخِذَيك بحيث تكون أصابع كَفَّيْكَ علىٰ ركبتيك مُفرَّقة علىٰ هيئتها، وجوز البعض أن يجلس المصلي بين السجدتين علىٰ عَقبيه وقدماه منصوبتان.

١٨- قُلْ بين السجدتين: **ربِّ اغفر لي، رب اغفر لي**، أو قل: **اللهم اغفر لي، وارحمني، وعافني، واهدني، وارزقني**.

١٩- اطمئن في الجلسة بين السجدتين حتىٰ تستقرَّ جالسًا، واحذر السرعة التي تُفسد الصلاة.

٢٠- اسجد السجدة الثانية، وافعل فيها كما فعلت في الأولىٰ، ثم ارفع رأسك وقم للركعة الثانية وأنت تقول أثناء القيام: **الله أكبر**، ثم افعل في الركعة الثانية كما فعلت في الركعة

الأولىٰ من قراءة الفاتحة وسورة أو بعض سورة جهرًا في الصلاة الجهرية، وسرًّا في الصلاة السرية إن كنت إمامًا، أما إن كنت منفردًا فلك الحرية في الجهرية بأن تجهر فيها أو تُسِر، أما السرية فليس لك أن تجهر فيها، وكذلك القول في النوافل، فإنك تجهر أو تُسِر في النوافل والسنن الليلية، وتسر فقط في النهارية، مع العلم بأن كل النوافل والسنن يُسن فيها قراءة قرآن مع الفاتحة في كلِّ ركعة.

٢١- بعد الركعتين الأوليين تجلس للتشهد الأول إن كانت الصلاة ثلاث ركعات أو أربعًا، ويُعتبر التشهد الأخير إن كانت الصلاة ركعتين فقط، كصلاة الصبح والجمعة والعيدين والنافلة وغيرها.

٢٢- إذا جلست للتشهد الأول أو الأخير فإن لك أن تفرش رجلك اليسرىٰ وتجلس عليها وتنصب قدمك اليمنىٰ جاعلًا أصابعها جهةَ القبلة، ولك أن تجعل اليسرىٰ تحت ساق اليمنىٰ وتجلس علىٰ أَلْيَتَيْكَ، والجلوس الأول يُسمَّىٰ الافتراش، والثاني يُسمَّىٰ التورُّك، ولك أن تجعل الافتراش في التشهد الأول والتورك في التشهد الأخير، وقد اختار ذلك بعض الفقهاء والكلُّ سُنَّة، والأمر مُوسَّع فلا حرج.

وأما بالنسبة لوضع اليدين فإنك تضعهما كما وضعتهما بين السجدتين، غير أنك بالنسبة لليد اليمنىٰ يُستحب أن تفعل الآتي من أجل التشهد:

- أن تقبض الأصابع كلها إلا السبابة، فإنك تُشير بها إلىٰ الأمام ولا تقبضها.

- أن تقبض الخِنْصر والبِنْصر وتعمل حلقة بالوسطىٰ والإبهام، وتُشير بالسبابة كما سبق.

- أن تفعل ما ذكر في العنصر السابق، غير أنك تجعل جانب السبابة إلىٰ السماء وتُحرِّكها يمينًا وشِمالًا.

- أن تضع اليمنىٰ كما تضع اليسرىٰ وتُشير بالسبابة اليمنىٰ فترفعها في الشهادة عندما تقول: لا إله، وتضعها عندما تقول: إلا الله، وكلها كيفيات واردة،

فاعمل منها ما تُحِبُّ.

٢٣- اقرأ التشهد في هذه الجلسة إذا كنت تصلي صلاة رباعية أو ثلاثية، وصلِّ علىٰ النبي ﷺ في آخر التشهد صلاة خفيفة، كأن تقول: **اللهم صلِّ علىٰ محمد وآله وسلم**. وسيأتيك أنواع التشهد بعد ذِكر كيفية الصلاة.

٢٤- قُمْ إلىٰ الركعة الثالثة وأنت تُكبِّر، فإذا وقفت فارفع يديك كما رفعتهما عند تكبيرة الإحرام، ثم اقرأ الفاتحة فقط، ثم صلِّ الركعة الرابعة بالفاتحة فقط كالثالثة، ولو قرأت قرآنًا في الثالثة أو الرابعة فإنه لا يضر الصلاة ولكن لا تجعله عادة.

٢٥- اجلس للتشهد الأخير، واقرأ التشهد ثم صلِّ علىٰ النبي ﷺ بالصيغة الإبراهيمية ثم ادعُ الله بما شِئتَ، والدعاء بالوارد أفضل، واحرص علىٰ هذا الدعاء فإن النبيَّ ﷺ أمر به، وهو أن تقول كما قال النبي ﷺ: **«اللهم إني أعوذ بك من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر فتنة المسيح الدجال»**. [متفق عليه]، والبعض يرىٰ وجوب هذا الدعاء للأمر به في الحديث.

٢٦- بعد ذلك سلِّم عن يمينك ملتفتًا حتىٰ يرىٰ جارُك خَدَّك، قائلًا: **السلام عليكم ورحمة الله**، ثم عن يسارك كما سلمت عن يمينك، واقصد بالسلام الخروجَ من الصلاة والسلام علىٰ من معك من الملائكة والجن والإنس والمسلمين، ولك أن تزيد كلمةَ **وبركاته** في السلام عن يمينك، وقيل: عن يسارك.

٢٧- وإليك أهم صيغ التشهد الواردة عن رسول الله ﷺ فاختر منها ما شئت، غير أن الكثير يُفضِّلون صيغةَ عبد الله بن مسعود ﷺ لورودها في الصحيحين:

أ ـ صيغة ابن مسعود: **«التحيات لله، والصلوات والطيبات، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله»**. متفق عليه.

ب ـ صيغة ابن عباس: **«التحيات المباركات، الصلوات الطيبات لله، السلام**

عليك...» والباقي كالسابق. مسلم برقم (٤٠٣).

جـ- صيغة عمر بن الخطاب: «التحيات لله، الزاكيات لله، الطيبات لله، والصلوات لله...» وباقيه كابن مسعود. مالك في الموطأ (١/ ٩٠) برقم (٢٠٣).

د- صيغة أبي موسىٰ الأشعري: «التحيات الطيبات، الصلوات لله، السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام علينا وعلىٰ عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». مسلم برقم (٤٠٤).

٢٨- أما الصلاة علىٰ النبي ﷺ بعد التشهد الأخير الذي فيه السلام فإليك بعض الصيغ الواردة في ذلك:

«اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل بيتِه، وعلىٰ أزواجه وذرِّيَّته، كما صلَّيْتَ علىٰ آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ آل بيته وعلىٰ أزواجه وذريته، كما باركتَ علىٰ آل إبراهيم، إنك حميد مجيد». أحمد في مسنده (٥/ ٣٧٤) برقم (٢٣٢٢١).

«اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد، كما صليت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك علىٰ محمد وعلىٰ آل محمد كما باركت علىٰ إبراهيم وعلىٰ آل إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد». متفق عليه.

«اللهم صلِّ علىٰ محمد وعلىٰ أزواجه وذريته، كما صلَّيت علىٰ آل إبراهيم، وبارك علىٰ محمد وعلىٰ أزواجه وذريته كما باركت علىٰ آل إبراهيم، في العالمين إنك حميد مجيد». متفق عليه.

٢٩- أما الدعاء بعد التشهد فقد وردت فيه عدة صيغ، منها:

«اللهم إني أعوذ بك من شرِّ ما عملت، ومن شرِّ ما لم أعمل». مسلم برقم (٢٧١٦).

وعلَّم الرسولُ ﷺ الصديق أن يقول: «اللهم إني ظلمتُ نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم». متفق عليه.

وعلَّم عائشة أن تقول: «اللهم إني أسألك من الخير كلِّه، عاجله وآجله، ما علمت

منه وما لم أعلم، وأعوذ بك من الشرِّ كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم. اللهم إني أسألك الجنة وما قرَّب إليها من قول أو عمل، وأعوذ بك من النار وما قرَّب منها من قول أو عمل. اللهم إني أسألك من خيرِ ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأعوذ بك من شرِّ ما استعاذك به عبدك ورسولك محمد ﷺ، وأسألك ما قضيت لي من أمرٍ أن تجعل عاقبته لي رشدًا». أحمد في مسنده (٦/ ١٣٣) برقم (٢٥٠٦٣).

«اللهم إني أسألك يا الله الواحد الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، أن تغفر لي ذنوبي، إنك أنت الغفور الرحيم». أبو داود برقم (٩٨٥).

«اللهم إني أسألك بأن لك الحمد، لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك، المنان، يا بديع السماوات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم، إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار». فإن النبيَّ ﷺ لما سمع الرجل يدعو به قال: «والذي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ دَعَا باسم الله الأعظم، الذي إذا دُعِيَ به أجاب، وإذا سُئِلَ به أَعْطَىٰ». أبو داود برقم (١٤٩٥).

«اللهم اغفر لي ما قدَّمتُ وما أخَّرتُ، وما أسررتُ وما أعلنتُ، وما أسرفتُ وما أنت أعلمُ به مني، أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت». متفق عليه.

❋ ❋ ❋

١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر

(١٠٤٧/ ١٨٨) عن أَبي موسىٰ رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّىٰ البَرْدَيْنِ دَخَلَ الجَنَّةَ». متفق عليه. «البَرْدَانِ»: الصُّبحُ والعَصْرُ.

(١٠٤٨/ ١٨٨) وعن أَبي زهير عُمارة بن رُوَيْبَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَنْ يَلِجَ (أي: لن يدخل) النَّارَ أحَدٌ صَلَّىٰ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا». يعني: الفَجْرَ والعَصْرَ. رواه مسلم.

(١٠٤٩/ ١٨٨) وعن جُنْدُب بن سفيان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ فَهُوَ فِي ذِمَّةِ اللهِ (أي: في أمان الله)، فَانْظُرْ يَا بْنَ آدَمَ، لا يَطْلُبَنَّكَ اللهُ مِنْ ذِمَّتِهِ بِشَيْءٍ». رواه مسلم.

(١٠٥٠/ ١٨٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ الله ﷺ: «يَتَعَاقَبُونَ فِيكُمْ مَلائِكَةٌ بِاللَّيْلِ وَمَلائِكَةٌ بِالنَّهَارِ، وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلاةِ الصُّبْحِ وَصَلاةِ العَصْرِ، ثُمَّ يَعْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا فِيكُمْ، فَيَسْأَلُهُمُ اللهُ- وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ- كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي؟ فَيَقُولُونَ: تَرَكْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ، وَأَتَيْنَاهُمْ وَهُمْ يُصَلُّونَ». متفق عليه.

(١٠٥١/ ١٨٨) وعن جرير بن عبد الله البَجَليِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النبيِّ ﷺ فَنظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ فَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لا تُضَامُونَ (أي: لا تظلمون فيه برؤية بعضكم له دون بعض) فِي رُؤْيَتِهِ، فَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَلَّا تُغْلَبُوا (أي: لا تصيروا مغلوبين) عَلَىٰ صَلاةٍ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا، فَافْعَلُوا». متفق عليه.

وفي رواية: «فَنَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ لَيْلَةَ أَرْبَعَ عَشْرَةَ».

(١٠٥٢/ ١٨٨) وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَرَكَ صَلاةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ (أي: بطل) عَمَلُهُ». رواه البخاري.

١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد

(١٠٥٣/ ١٨٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ غَدَا إِلَىٰ المَسْجِدِ أَوْ رَاحَ، أَعَدَّ اللهُ لَهُ فِي الجَنَّةِ نُزُلًا (أي: ما يهيأ للضيف عند قدومه) كُلَّمَا غَدَا أَوْ رَاحَ». متفق عليه.

(١٠٥٤/ ١٨٩) وعنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ مَضَىٰ إِلَىٰ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ، لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللهِ، كَانَتْ خُطُوَاتُهُ، إِحْدَاهَا تَحُطُّ خَطِيئَةً، وَالأُخْرَىٰ تَرْفَعُ دَرَجَةً». رواه مسلم.

(١٠٥٥/ ١٨٩) وعن أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ لا أَعْلَمُ أَحَدًا أَبْعَدَ مِنَ المَسْجِدِ مِنْهُ، وَكَانَتْ لا تُخْطِئُهُ (أي: لا تفوته) صَلاةٌ، فَقِيلَ لَهُ: لَو اشْتَرَيْتَ حِمَارًا تَرْكَبُهُ فِي الظَّلْمَاءِ وَفِي الرَّمْضَاءِ (أي: شدة الحر)، قَالَ: مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَنْزِلِي إِلَىٰ جَنْبِ المَسْجِدِ، إِنِّي أُرِيدُ أَنْ يُكْتَبَ لِي مَمْشَايَ إِلَىٰ المَسْجِدِ، وَرُجُوعِي إِذَا رَجَعْتُ إِلَىٰ أَهْلِي. فَقَالَ رسول الله ﷺ: «قَدْ جَمَعَ اللهُ لَكَ ذَلِكَ كُلَّهُ». رواه مسلم.

(١٠٥٦/ ١٨٩) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: خَلَتِ البِقَاعُ حولَ المَسْجِدِ، فَأَرَادَ بَنُو سَلِمَةَ أَنْ يَنْتَقِلُوا

قُرْبَ المَسْجِدِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النبي ﷺ، فقَالَ لَهُمْ: «بَلَغَنِي أَنَّكُم تُرِيدُونَ أَنْ تَنْتَقِلُوا قُرْبَ المَسْجِدِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، يا رَسُول الله، قَدْ أَرَدْنَا ذلِكَ. فَقَالَ: «بَنِي سَلِمَةَ دِيَارَكُم؛ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ، دِيَارَكُمْ؛ تُكْتَبْ آثَارُكُمْ (أي: الزموا دياركم؛ فإنكم إذا لزمتموها كتبت آثاركم وخطاكم الكثيرة إلى المسجد)». فقالوا: مَا يَسُرُّنَا أَنَّا كُنَّا تَحَوَّلْنَا. رواه مسلم، وروى البخاري معناه من رواية أنس.

(١٠٥٧/ ١٨٩) وعن أبي موسى رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «إنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ أَجْرًا في الصَّلاةِ أَبْعَدُهُمْ إلَيْهَا مَمْشًى فَأَبْعَدُهُمْ، وَالَّذِي يَنْتَظِرُ الصَّلاةَ حَتَّى يُصَلِّيَهَا مَعَ الإمَامِ أعظَمُ أجْرًا مِنَ الَّذِي يُصَلِّيهَا ثُمَّ يَنَامُ». متفق عليه.

(١٠٥٨/ ١٨٩) وعن بُرَيدَة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «بَشِّرُوا المَشَّائِينَ (أي: جمع مشاء، وهو: كثير المشي) في الظُّلَمِ إلَى المَسَاجِدِ بالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه أبو داود والترمذي.

(١٠٥٩/ ١٨٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُول الله ﷺ قَالَ: «ألا أدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَمْحُو اللهُ بِهِ الخَطَايَا، وَيَرْفَعُ بِهِ الدَّرَجَاتِ؟» قالوا: بَلَى يَا رسول الله؟ قَالَ: «إسْبَاغُ الوُضُوءِ (أي: إتمامه وكماله) عَلَى المَكَارِهِ (أي: ما تكرهه النفس كشدة البرد)، وَكَثْرَةُ الخُطَا إلَى المَسَاجِدِ، وَانْتِظَارُ الصَّلاةِ بَعْدَ الصَّلاةِ، فَذلِكُمُ الرِّبَاطُ (أي: الحبس للنفس على هذه الطاعة)، فذَلِكُمُ الرِّبَاطُ». رواه مسلم.

(١٠٦٠/ ١٨٩) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا رَأَيْتُمُ الرَّجُلَ يَعْتَادُ المَسَاجِدَ (أي: يلازمها ويرجع إليها كرة بعد أخرى) فَاشْهَدُوا لَهُ بالإيمَانِ، قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ الآية [التوبة ١٨]». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة

(١٠٦١/ ١٩٠) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَزَالُ أحَدُكُمْ في صَلاةٍ مَا دَامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلَى أهلِهِ إلَّا الصَّلاةُ». متفق عليه.

(١٠٦٢/ ١٩٠) وَعَنْهُ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ». رواه البخاري.

(١٠٦٣/ ١٩٠) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ أَخَّرَ لَيْلَةً صَلاةَ العِشَاءِ إلَى شَطْرِ اللَّيْلِ (أي: جزء منه) ثُمَّ أقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ بَعْدَمَا صَلَّى، فَقَالَ: «صَلَّى النَّاسُ وَرَقَدُوا، وَلَمْ تَزَالُوا فِي صَلاةٍ مُنْذُ انْتَظَرْتُمُوهَا». رواه البخاري.

١٩١- باب فضل صلاة الجماعة

(١٠٦٤/ ١٩١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ الجَمَاعَةِ أَفْضَلُ مِنْ صَلاةِ الْفَذِّ (أي: المنفرد) بِسَبْعٍ وَعِشْرِينَ دَرَجَةً». متفق عليه.

(١٠٦٥/ ١٩١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُولُ اللهِ ﷺ: «صَلاةُ الرَّجُلِ في جَمَاعَةٍ تُضَعَّفُ عَلَىٰ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ وفي سُوقِهِ خَمْسًا وَعِشْرِينَ ضِعْفًا، وَذلِكَ أَنَّهُ إِذَا تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ، ثُمَّ خَرَجَ إِلىٰ المَسْجِدِ، لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاةُ، لَمْ يَخْطُ خَطْوَةً إِلَّا رُفِعَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَحُطَّتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، فَإِذَا صَلَّىٰ لَمْ تَزَلِ المَلائِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا دَامَ في مُصَلَّاهُ، مَا لَمْ يُحْدِثْ، تقولُ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيهِ، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، وَلا يَزَالُ في صَلاةٍ مَا انْتَظَرَ الصَّلاةَ».

متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(١٠٦٦/ ١٩١) وعنه قَالَ: أَتىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ أَعْمَىٰ، فقَالَ: يا رَسُولَ اللهِ، لَيسَ لِي قَائِدٌ يَقُودُنِي إِلىٰ المَسْجِدِ، فَسَأَلَ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنْ يُرَخِّصَ لَهُ فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ، فَرَخَّصَ لَهُ، فَلَمَّا وَلَّىٰ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ: «هَلْ تَسْمَعُ النِّدَاءَ بِالصَّلاةِ؟» قَالَ: نعم. قَالَ: «فَأَجِبْ». رواه مسلم.

(١٠٦٧/ ١٩١) وعن عبد الله- وقِيل: عَمْرِو بن قَيسٍ- المعروف بابن أُمِّ مكتوم المؤذن رضي الله عنه أنَّه قَالَ: يَا رسولَ الله، إنَّ المَدينَةَ كَثِيرةُ الهَوَامِّ (أي: المؤذيات من العقارب والحيات) وَالسِّبَاعِ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «تَسْمَعُ حَيَّ عَلَىٰ الصَّلاةِ حَيَّ عَلَىٰ الفَلاحِ، فَحَيَّهلًا». رواه أبو داود بإسناد حسن. ومعنىٰ «حَيَّهلًا» (أي: ابدأ بها وعجل، وهما كلمتان جعلتا كلمة واحدة. وفيها لغات. وهلا: حث واستعجال: تَعَالَ).

(١٠٦٨/ ١٩١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ آمُرَ بحطَبٍ فَيُحْتَطَبَ (أي: يكسر؛ ليسهل إشعال النار فيه)، ثُمَّ آمُرَ بِالصَّلاةِ فَيُؤَذَّنَ لها، ثُمَّ آمُرَ رَجُلًا فَيَؤُمَّ النَّاسَ، ثُمَّ أُخَالِفَ (أي: أذهب) إلىٰ رِجَالٍ فَأُحَرِّقَ عَلَيْهِمْ بُيُوتَهم». متفق عليه.

(١٠٦٩/ ١٩١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَىٰ اللهَ تَعالَىٰ غدًا مُسْلِمًا، فَلْيُحَافِظْ عَلَىٰ هؤُلاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَىٰ بِهِنَّ، فَإِنَّ اللهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكم ﷺ سُنَنَ الهُدَىٰ، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَىٰ، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكم كَمَا يُصَلِّي هذا المُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، ولقد رأيتُنَا وما يتخلَّف عنها إلا مُنَافِقٌ معلوم النِّفاق، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤتَىٰ بِهِ، يُهَادَىٰ (أي: يتمايل ويمسكه رجلان من جانبيه بعضديه يعتمد عليهما) بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّىٰ يُقَامَ فِي الصَّفِّ. رواه مسلم.

وفي رواية له قال: إنَّ رَسُول الله ﷺ عَلَّمَنَا سُنَنَ الهُدَىٰ؛ وإنَّ مِنْ سُنَنِ الهُدَىٰ الصَّلاةَ فِي المَسْجِدِ الَّذِي يُؤَذَّنُ فِيه.

(١٠٧٠/ ١٩١) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «**مَا مِنْ ثَلاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ، وَلابدو، لا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلاةُ إلَّا قَد اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمِ الشَّيْطَانُ. فَعَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، فَإنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ مِنَ الغَنَمِ القَاصِيَةَ** (أي: المنفردة عن القطيع، البعيدة عنه)». رواه أبو داود بإسناد حسن.

* * *

(حكم الصلاة بين السواري)

إن الأحاديث التي جاءت في شأن الصلاة بين السواري أي الأعمدة، لم يرد فيها النهي الذي يدل علىٰ التحريم، ولم يوجد من أهل العلم مَن حَمَل ذلك علىٰ التحريم.

وأما الحكم في هذه المسألة هو الكراهة إن لم يكن هناك حاجة للاصطفاف بين السواري، كالزحام ونحوه، وهو ما عليه الفتوىٰ بدار الإفتاء المصريَّة.

ذكر الإمام أبو بكر بن المنذر: أنه ليس في هذا الباب خبر يثبت عن النبي ﷺ أنه نهىٰ عنها، وأعلىٰ ما فيه قول أنس رضي الله عنه: كنا نَتَّقِيه (أي: نتجنبه)، وهذا أمرٌ حسن، ولا يأثم مَن فعله.

ومما سبق يعلم أنه يكره الصلاة بين السواري للمأمومين في صلاة الجماعة، ولا يتعلق هذا الحكم بصلاة المنفرد، وذلك إن لم يكن هناك حاجة تقتضي ذلك، ككثرة العدد وضيق المكان، وللخروج من الخلاف بين العلماء. والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

(صلاة المأموم متقدمًا على الإمام في صلاة الجماعة)

لا يجوز تقدم المأموم علىٰ الإمام عند جماهير أهل العلم من الأحناف والشافعية والحنابلة، حيث لا تصح الصلاة عندهم، كما أنها لا تضر المأموم أن يتساوىٰ في الصف مع الإمام ويندب له أن يتأخر عنه قليلًا.

ويرىٰ المالكيَّة جواز هذا الأمر أن يتقدم المأموم علىٰ الإمام، مع الكراهة، إلا عند الضرورة، عند ذلك يجوز عندهم بلا كراهة، ويرون صحَّة صلاة المأموم إذا استطاع أن

يتابع الإمام في الأركان؛ لأنه في نظرهم في حكم العفو، ما لم يخل وقوفه أمام الإمام بالصلاة ويمنعه من المتابعة. وقد ذكروا ذلك حتىٰ في صلاة الجنازة، حيث يتقدم بعضهم عن الجنازة، وحكم ذلك عندهم الكراهة وعلىٰ هذا يكون التقدم علىٰ الجنازة مكروهًا فقط وتصح الصلاة، سواء كان المتقدم إمامًا أو مأموما.

وبناء علىٰ ذلك فالوقوف خلف الإمام مستحب، والتقدم عليه مكروه، ومحاذاة الإمام بلا ضرورة أيضًا مكروهة، وإن تقدم المأموم لعذر كضيق المسجد جاز من غير كراهة، والتقدم والتأخر والمحاذاة إنما يكون بعَقِبِ الرِّجل أو القاعد بالأَلْيَة أو المضطجع بالجنب.

ومن تأخر من المصلين إلىٰ أن امتلأ المسجد ولم يجد مكانًا في داخله، له أن يصلي خارجه بحيث يكون خلف الإمام أو علىٰ الأقل محاذيًا له ولا يتقدم عليه إلا عند فَقْد الحيلة في الصلاة خلفه أو بحذائه، شريطة إمكان متابعته للإمام في الأركان، وينوي أن يكونَ متبعًا ومقلدًا في ذلك للسادة المالكيَّة، وصلاته حينئذٍ صحيحة لا شيء فيها. وكذلك تصح الصلاة من خلفه إن كان مسبوقا، والله سبحانه وتعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

* * *

١٩٢- باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء

(١٠٧١/ ١٩٢) عن عثمانَ بن عفان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُول الله ﷺ يقول: **«مَنْ صَلَّىٰ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّمَا قَامَ نِصْفَ اللَّيْلِ، وَمَنْ صَلَّىٰ الصُّبْحَ في جَمَاعَةٍ، فَكَأَنَّما صَلَّىٰ اللَّيْلَ كُلَّهُ»**. رواه مسلم.

وفي رواية الترمذي عن عثمان بن عفان رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: **«مَنْ شَهِدَ العِشَاءَ فِي جَمَاعَةٍ كَانَ لَهُ قِيَامُ نِصْفِ لَيلَةٍ، وَمَنْ صَلَّىٰ العِشَاءَ وَالفَجْرَ فِي جَمَاعَةٍ، كَانَ لَهُ كَقِيَامِ لَيْلَةٍ»**. قال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

(١٠٧٢/ ١٩٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُول الله ﷺ قال: **«وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا في العَتَمَةِ وَالصُّبْحِ لأَتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا»**. متفق عليه، وقد سبق بطوله.

(١٠٧٣/ ١٩٢) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَيْسَ صَلاةٌ أثْقَل عَلَىٰ المُنَافِقِينَ مِنْ صَلاةِ الفَجْرِ وَالعِشَاءِ، وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِيهِمَا لأتَوْهُمَا وَلَوْ حَبْوًا». متفق عليه.

١٩٣- باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة:٢٣٨].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

(١٠٧٤/ ١٩٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سألت رسول الله ﷺ: أيُّ الأعمالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ». قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ الله». متفق عليه.

(١٠٧٥/ ١٩٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «بُنِيَ الإسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَإقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(١٠٧٦/ ١٩٣) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أُمِرْتُ أنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإذَا فَعَلُوا ذَلِكَ، عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءهُمْ وَأمْوَالهمْ، إلَّا بحَقِّ الإسْلام، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ الله». متفق عليه.

(١٠٧٧/ ١٩٣) وعن معاذ رضي الله عنه قَالَ: بَعثنِي رَسُولُ الله ﷺ إلىٰ اليَمَنِ فَقَالَ: «إنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إلىٰ شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وأنِّي رَسُولُ الله، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ خَمْسَ صلوَاتٍ فِي كُلِّ يوم وَلَيلَةٍ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذَلِكَ، فَأعْلِمْهُمْ أنَّ اللهَ تَعَالَىٰ افْتَرَضَ عَلَيهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ، فَإنْ هُمْ أطَاعُوا لِذلِكَ، فَإيَّاكَ وَكَرَائِمَ (أي: جمع كريمة وهي: النفيسة ذات القيمة) أمْوَالِهِمْ، واتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ، فَإنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وبَيْنَ الله حِجَابٌ». متفق عليه.

(١٠٧٨/ ١٩٣) وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رَسُول الله ﷺ يقول: «إنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشِّرْكِ والكفر، تَرْكَ الصَّلاةِ». رواه مسلم.

(١٠٧٩/ ١٩٣) وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «العَهْدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ (أي: الضمير يعود

علىٰ المنافقين) الصَّلاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٠٨٠/ ١٩٣) وعن شقيق بن عبد الله التَّابعيِّ المُتَّفق عَلَىٰ جَلالَتِهِ رَحِمَهُ اللهُ قَالَ: كَانَ أَصْحَابُ محمَّدٍ ﷺ لا يَرَوْنَ شَيْئًا مِنَ الأَعْمَالِ تَرْكُهُ كُفْرٌ غَيْرَ الصَّلاةِ. رواه الترمذي في كتاب «الإيمان» بإسناد صحيح.

(١٠٨١/ ١٩٣) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «إنَّ أَوَّلَ مَا يُحَاسَبُ بِهِ العَبْدُ يَوْمَ القِيَامَةِ مِنْ عَمَلِهِ صَلاتُهُ، فَإِنْ صَلَحَتْ، فَقَدْ أَفْلَحَ وأَنْجَحَ (أي: حصل له الثواب)، وَإِنْ فَسَدَتْ، فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ، فَإِنِ انْتَقَصَ مِنْ فَرِيضَتِهِ شَيْءٌ، قَالَ الرَّب عَزَّ وَجَلَّ: انْظُرُوا هَلْ لِعَبدي من تطوُّعٍ، فَيُكَمَّلُ مِنهَا مَا انْتَقَصَ مِنَ الفَرِيضَةِ؟ ثُمَّ يكُونُ سَائِرُ أعْمَالِهِ عَلَىٰ هَذَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٩٤- باب فضل الصف الأول
والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها

(١٠٨٢/ ١٩٤) عن جابر بن سَمُرَة رضي الله عنهما قَالَ: خَرجَ عَلَيْنَا رَسُول الله ﷺ، فَقَالَ: «ألا تَصُفُّونَ كَمَا تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟» فَقُلْنَا: يَا رَسُول الله، وَكَيفَ تَصُفُّ المَلائِكَةُ عِندَ رَبِّهَا؟ قَالَ: «يُتِمُّونَ (أي: يُكمِلون) الصُّفُوفَ الأُوَلَ، وَيَتَرَاصُّونَ (أي: لا يتركون بينهم فرجة) في الصَّفِّ». رواه مسلم.

(١٠٨٣/ ١٩٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مَا فِي النِّدَاءِ وَالصَّفِّ الأَوَّلِ، ثُمَّ لَمْ يَجِدُوا إلَّا أنْ يَسْتَهِمُوا (أي: يقترعوا) عَلَيْهِ لاسْتَهَمُوا». متفق عليه.

(١٠٨٤/ ١٩٤) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيرُ صُفُوفِ الرِّجَالِ أوَّلُها، وَشَرُّهَا آخِرُهَا، وَخَيرُ صُفُوفِ النِّسَاءِ آخِرُهَا، وَشَرُّهَا أوَّلُهَا». رواه مسلم.

(١٠٨٥/ ١٩٤) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ رأىٰ في أصْحَابِهِ تَأَخُّرًا، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأْتَمُّوا بِي، وَلْيَأْتَمَّ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ، لا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّىٰ يُؤَخِّرَهُمُ اللهُ». رواه مسلم.

(١٠٨٦/ ١٩٤) وعن أبي مسعود رضي الله عنه قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ، يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاةِ، وَيقُولُ: «اسْتَوُوا ولا تَخْتَلِفُوا (أي: بالتقدم والتأخر عن الصف) فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ (أي: أن اختلاف الصفوف سبب في الفرقة واختلاف القلوب)، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأحْلامِ وَالنُّهَىٰ (أي: أصحاب العقول والألباب)، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». رواه مسلم.

(١٠٨٧/ ١٩٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ؛ فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصَّفِّ مِنْ تَمَامِ الصَّلاةِ». متفق عليه.

وفي رواية للبخاري: «فَإِنَّ تَسْوِيَةَ الصُّفُوفِ مِنْ إِقَامَةِ الصَّلاةِ».

(١٠٨٨/ ١٩٤) وعنه قَالَ: أُقِيمَتِ الصَّلاةُ فأقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ بِوَجْهِهِ، فقَالَ: «أَقِيمُوا صُفُوفَكُمْ وَتَرَاصُّوا (أي: تلاصقوا بغير خلل)؛ فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي». رواه البخاري بلفظه، ومسلم بمعناه.

وفي رواية للبخاري: وَكَانَ أَحَدُنَا يُلْزِقُ مَنْكِبَهُ بِمَنْكِبِ صَاحِبِهِ وَقَدَمَهُ بقَدَمِهِ.

(١٠٨٩/ ١٩٤) وعن النُّعمان بن بَشِير رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُسَوِّي صُفُوفَنا، حَتَّىٰ كَأَنَّمَا يُسَوِّي بِهَا القِدَاحَ (أي: يجعلنا مثل السهم في استقامته واستوائه) حَتَّىٰ رَأَىٰ أَنَّا قَدْ عَقَلْنَا عَنْهُ، ثُمَّ خَرَجَ يَومًا فَقَامَ حَتَّىٰ كَادَ يُكَبِّرُ، فَرَأَىٰ رَجُلًا بَادِيًا (أي: ظاهرًا خارجًا عن صدور أهل الصف) صَدْرُهُ مِنَ الصَّفِّ، فقَالَ: «عِبَادَ الله، لَتُسَوُّنَّ صُفُوفَكُمْ، أَوْ لَيُخَالِفَنَّ اللهُ بَيْنَ وُجُوهِكُمْ».

(١٠٩٠/ ١٩٤) وعن البراء بن عازب رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَتَخَلَّلُ الصَّفَّ (أي: يدخل خلاله) مِنْ نَاحِيَةٍ إِلَىٰ نَاحِيَةٍ، يَمْسَحُ صُدُورَنَا وَمَنَاكِبَنَا، وَيَقُولُ: «لا تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ». وكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَىٰ الصُّفُوفِ الأُوَلِ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

(١٠٩١/ ١٩٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقِيمُوا الصُّفُوفَ، وَحَاذُوا (أي: اجعلوا بعضها حذاء بعض) بَيْنَ المَنَاكِبِ، وَسُدُّوا الخَلَلَ (أي: الفرجة بين الصفوف)، وَلِينُوا (أي: كونوا لينين هينين) بِأَيْدِي إِخْوانِكُمْ، ولا تَذَرُوا فُرُجَاتٍ للشَّيْطَانِ، وَمَنْ وَصَلَ صَفًّا وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَ صَفًّا قَطَعَهُ اللهُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٠٩٢/ ١٩٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «رُصُّوا صُفُوفَكُمْ، وَقَارِبُوا بَيْنَهَا، وَحَاذُوا بالأَعْنَاقِ (أي: أن يكون عنق كل منكم موازيًا ومحازيًا لبقية الصف)؛ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنِّي لأَرَىٰ الشَّيْطَانَ يَدْخُلُ مِنْ خَلَلِ الصَّفِّ، كَأَنَّهَا الحَذَفُ». حديث صحيح؛ رواه أبو داود بإسناد على شرط

مسلم. «الحَذَفُ» بحاء مهملةٍ وذالٍ معجمة مفتوحتين ثُمَّ فاء، وهي: غَنَمٌ سُودٌ صِغَارٌ تَكُونُ بِاليَمَنِ.

(١٠٩٣/ ١٩٤) وعنه: أنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَتِمُّوا الصَّفَّ المُقَدَّمَ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِ، فَمَا كَانَ مِنْ نَقصٍ فَلْيَكُنْ فِي الصَّفِّ المُؤَخَّرِ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

(١٠٩٤/ ١٩٤) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رَسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى مَيَامِنِ (أي: جمع ميمنة) الصُّفُوفِ». رواه أبو داود بإسناد علىٰ شرط مسلم، وفيه رجل مختلف في توثيقه.

(١٠٩٥/ ١٩٤) وعن البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا إِذَا صَلَّيْنَا خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ أَحْبَبْنَا أَنْ نَكُونَ عَنْ يَمِينِهِ، يُقْبِلُ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ -أو تَجْمَعُ- عِبَادَكَ». رواه مسلم.

(١٠٩٦/ ١٩٤) وعن أَبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «وَسِّطُوا الإِمَامَ (أي: ابدءوا الصفوف من الوسط إلىٰ اليمين)، وَسُدُّوا الخَلَلَ (أي: املئوا الأماكن الخالية في الصف السابق)». رواه أبو داود.

١٩٥- باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما

(١٠٩٧/ ١٩٥) وعن أُمِّ المُؤْمِنِينَ أُمِّ حَبِيبَةَ رَمْلَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سمعت رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يُصَلِّي للهِ تَعَالَىٰ كُلَّ يَوْمٍ ثِنْتَيْ عَشرَةَ رَكْعَةً تَطَوُّعًا غَيرَ الفَرِيضَةِ، إِلَّا بَنَىٰ اللهُ لَهُ بَيْتًا فِي الجَنَّةِ»، أو: «إِلَّا بُنِيَ لَهُ بَيْتٌ فِي الجَنَّةِ». رواه مسلم.

(١٠٩٨/ ١٩٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتينِ بَعْدَهَا، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ، وَرَكْعَتَينِ بَعدَ المَغْرِبِ، وَرَكْعَتَينِ بَعدَ العِشَاءِ. متفق عليه.

(١٠٩٩/ ١٩٥) وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كل أذانين صَلاَة». قال في الثالثة: «لِـمَنْ شَاءَ». متفق عليه.

المُرَادُ بِالأَذَانَيْنِ: الأَذَانُ وَالإِقَامَةُ.

١٩٦- باب تأكيد ركعتي سنة الصبح

(١١٠٠/ ١٩٦) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أَرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الغَدَاةِ (أي: ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس). رواه البخاري.

(١١٠١/ ١٩٦) وعنها قالت: لَمْ يكن النبي ﷺ عَلَىٰ شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُدًا مِنهُ عَلَىٰ رَكْعَتَي الفَجْرِ. متفق عليه.

(١١٠٢/ ١٩٦) وعنها: عن النبي ﷺ قَالَ: «**رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدنْيَا وَمَا فِيهَا**». رواه مسلم.

وفي روايةٍ: «**لَهُمَا أَحَبُّ إليَّ مِنَ الدنْيَا جَمِيعًا**».

(١١٠٣/ ١٩٦) وعن أبي عبد الله بلالِ بن رَبَاح ؓ مُؤَذِّن رَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ أَتَىٰ رَسُول الله ﷺ، لِيُؤْذِنَه (أي: ليعلمه) بِصَلاةِ الغَدَاةِ، فَشَغَلَتْ عَائِشَةُ بِلالًا بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ، حَتَّىٰ أَصْبَحَ جِدًّا، فَقَامَ بِلالٌ فَآذَنَهُ بِالصَّلاةِ، وَتَابَعَ أَذَانَهُ، فلم يخرج رسول الله ﷺ، فَلَمَّا خَرَجَ صَلَّىٰ بِالنَّاسِ، فَأَخْبَرَهُ أَنَّ عَائِشَةَ شَغَلَتْهُ بِأَمْرٍ سَأَلَتْهُ عَنْهُ حَتَّىٰ أَصْبَحَ جِدًّا، وَأَنَّهُ أَبْطَأَ عَلَيْهِ بِالخُرُوجِ، فقال يعني النبي ﷺ: «**إِنِّي كُنْتُ رَكَعْتُ رَكْعَتَي الفَجْرِ**». فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، إِنَّكَ أَصْبَحْتَ جِدًّا؟ فَقَالَ: «**لَوْ أَصْبَحْتُ أَكْثَرَ مِمَّا أَصْبَحْتُ، لَرَكَعْتُهُمَا، وَأَحْسَنْتُهُمَا وَأَجْمَلْتُهُمَا**». رواه أبو داود بإسناد حسن.

١٩٧- باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان ما يقرأ فيهما وبيان وقتهما

(١١٠٤/ ١٩٧) عَنْ عَائِشَةَ ؓ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ بَيْنَ النِّدَاءِ وَالإِقَامَةِ مِنْ صَلاةِ الصُّبْحِ. متفق عليه.

وفي روايةٍ لَهُما: يُصَلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَيُخَفِّفُهُمَا حَتَّىٰ أَقُولَ: هَلْ قَرَأَ فِيهما بِأُمِّ القُرْآنِ.

وفي رواية لمسلم: كَانَ يُصلِّي رَكْعَتَي الفَجْرِ إِذَا سَمِعَ الأَذَانَ وَيُخَفِّفُهُمَا.

وفي رواية: إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ.

(١١٠٥/ ١٩٧) وعن حفصة ؓ: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِلصُّبحِ وَبَدَا الصُّبْحُ، صَلَّىٰ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: كَانَ رسول الله ﷺ إِذَا طَلَعَ الفَجْرُ لا يُصَلِّي إِلَّا رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ.

(١١٠٦/ ١٩٧) وعن ابن عمر ؓ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْل مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، وَيُصَلِّي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صلاةِ الغَدَاةِ، وَكَأَنَّ الأَذَانَ بِأُذُنَيْهِ (أي: أوشك أن يُؤَذَّن به). متفق عليه.

(١١٠٧/ ١٩٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن رسول الله ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي رَكْعَتَي الفَجْرِ فِي الأُولَىٰ مِنْهُمَا: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦] الَّتي في البقرة، وفي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ۝٥٢﴾ [آل عمران: ٥٢].

وفي رواية: وفي الآخِرَةِ الَّتي في آل عِمْران: ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾

[آل عمران: ٦٤]. رواهما مسلم.

(١١٠٨/ ١٩٧) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قرأ في رَكْعَتَي الفَجْرِ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه مسلم.

(١١٠٩/ ١٩٧) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَمَقْتُ (أي: نظرت إليه) النَّبيَّ ﷺ، شَهْرًا فَكَانَ يَقْرَأُ في الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ الفَجْرِ: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وَ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

١٩٨- باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تهجَّد بالليل أم لا

(١١١٠/ ١٩٨) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كَانَ النَّبيُّ ﷺ إذَا صَلَّىٰ ركعتي الفجر اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَن. رواه البخاري.

(١١١١/ ١٩٨) وعنها قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ العِشَاءِ إلَى الفَجْرِ إحْدَىٰ عَشرَةَ رَكْعَةً، يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَإذَا سَكَتَ المُؤَذِّنُ مِن صَلاَةِ الفَجْرِ، وَتَبَيَّنَ لَهُ الفَجْرُ، وَجَاءَهُ المُؤَذِّنُ، قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَينِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَىٰ شِقِّهِ الأَيْمَنِ، هكَذَا حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ المُؤَذِّنُ (أي: يستأذنه) لِلإقَامَةِ. رواه مسلم.

قَوْلُهَا: «يُسَلِّمُ بَيْنَ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ». هكذا هو في مسلم، ومعناه: بَعْدَ كُلِّ رَكْعَتَيْن.

(١١١٢/ ١٩٨) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إذا صَلَّىٰ أحَدُكُمْ رَكْعَتَي الفَجْرِ، فَلْيَضْطَجعْ عَلَىٰ يَمِينِهِ». رواه أبو داود والتِّرمذي بأسانيد صحيحة، قال التِّرمذي: «حديث حسن صحيح».

١٩٩- باب سنة الظهر

(١١١٣/ ١٩٩) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهَا. متفق عليه.

(١١١٤/ ١٩٩) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ لا يَدَعُ أرْبَعًا قَبْلَ الظُّهْرِ. رواه البخاري.

(١١١٥/ ١٩٩) وعنها قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يُصَلِّي في بَيْتي قَبْلَ الظُّهْرِ أرْبَعًا، ثُمَّ يَخْرُجُ فيُصَلِّي بالنَّاسِ، ثُمَّ يَدْخُلُ فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَانَ يُصَلِّي بالنَّاسِ المَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَيُصَلِّي بالنَّاسِ العِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بيتي فيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. رواه مسلم.

(١١١٦/ ١٩٩) وعن أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَافَظَ** (أي: داوم وواظب) **عَلَىٰ أرْبَعِ رَكَعَاتٍ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَأرْبَعٍ بَعْدَهَا، حَرَّمَهُ اللهُ عَلَىٰ النَّارِ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١١١٧/ ١٩٩) وعن عبد الله بن السائب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي أرْبَعًا بَعْدَ أنْ تَزُولَ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ، وقَالَ: «**إنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيها أبْوابُ السَّمَاءِ، فَأُحِبُّ أنْ يَصْعَدَ لِي فيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١١١٨/ ١٩٩) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ كَانَ إذا لَمْ يُصَلِّ أربعًا قَبلَ الظُّهرِ، صَلَّاهُنَّ بَعْدَهَا. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

٢٠٠- باب سنة العصر

(١١١٩/ ٢٠٠) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبيُّ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بالتَّسْلِيمِ عَلَىٰ المَلائِكَةِ المُقَرَّبينَ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ المُسْلِمِينَ وَالمُؤْمِنِينَ. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١١٢٠/ ٢٠٠) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ امْرأً صَلَّىٰ قَبْلَ العَصْرِ أرْبَعًا**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١١٢١/ ٢٠٠) وعن عليِّ بن أبي طالبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبلَ العَصرِ رَكْعَتَيْنِ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها

تَقَدَّمَ في هذه الأبواب حديثُ ابن عمر وحديث عائشة، وهما صحيحان: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي بَعدَ المَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ.

(١١٢٢/ ٢٠١) وعن عبد الله بن مُغَفَّلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**صَلُّوا قَبْلَ المَغْرِبِ**». قال في الثالثة: «**لِمَنْ شَاءَ**». رواه البخاري.

(١١٢٣/ ٢٠١) وعن أنس ﷺ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ كِبَارَ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ، يَبْتَدِرُونَ السَّوَارِيَ (أي: يستبقون إلىٰ أعمدة المسجد ليصلوا) عِندَ المَغْرِبِ. رواه البخاري.

(١١٢٤/ ٢٠١) وعنه قَالَ: كُنَّا نصلِّي عَلَىٰ عهدِ رسولِ الله ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ قَبْلَ المَغْرِبِ، فَقِيلَ: أَكَانَ رسول الله ﷺ صَلَّاهما؟ قَالَ: كَانَ يَرَانَا نُصَلِّيهِمَا فَلَمْ يَأْمُرْنَا وَلَمْ يَنْهَنَا. رواه مسلم.

(١١٢٥/ ٢٠١) وعنه قَالَ: كُنَّا بِالمَدِينَةِ فَإِذَا أَذَّنَ المُؤَذِّنُ لِصَلاةِ المَغْرِبِ، ابْتَدَرُوا السَّوَارِيَ، فَرَكَعُوا رَكْعَتَيْنِ، حَتَّىٰ إِنَّ الرَّجُلَ الغَرِيبَ لَيَدْخُلُ المَسْجِدَ فَيَحْسَبُ أَنَّ الصَّلاةَ قَدْ صُلِّيَتْ مِنْ كَثْرَةِ مَنْ يُصَلِّيهِمَا. رواه مسلم.

٢٠٢- باب سنة العشاء بعدها وقبلها

فِيهِ حديث ابن عمرَ السابق: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ العِشَاءِ. وحديثُ عبد الله بنِ مُغَفَّلٍ: «بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ». متفق عليه كما سبق.

٢٠٣- باب سنة الجمعة

فِيهِ حَديثُ ابن عمرَ السابق أنَّه صَلَّىٰ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الجُمُعَةِ. متفق عليه.

(١١٢٦/ ٢٠٣) عن أَبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُم الجُمُعَةَ، فَلْيُصَلِّ بَعْدَهَا أَرْبعًا». رواه مسلم.

(١١٢٧/ ٢٠٣) وعن ابن عمر ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لا يُصَلِّي بَعْدَ الجُمُعَةِ حَتَّىٰ يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ. رواه مسلم.

٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام

(١١٢٨/ ٢٠٤) عن زيد بن ثابت ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «صَلُّوا أَيُّهَا النَّاسُ فِي بُيُوتِكُمْ؛ فَإِنَّ أَفْضَلَ الصَّلاةِ صَلاةُ المَرْءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا المَكْتُوبَةَ». متفق عليه.

(١١٢٩/ ٢٠٤) وعن ابن عمرَ ﷺ: عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «اجْعَلُوا مِنْ صَلاتِكُمْ فِي بُيُوتِكُمْ، وَلا تَتَّخِذُوهَا قُبُورًا». متفق عليه.

(١١٣٠/ ٢٠٤) وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا قَضَىٰ أَحَدُكُمْ صَلاتَهُ فِي مَسْجِدِهِ فَلْيَجْعَلْ لِبَيْتِهِ نَصِيبًا مِنْ صَلاتِهِ؛ فَإِنَّ اللهَ جَاعِلٌ فِي بَيْتِهِ مِنْ صَلاتِهِ خَيْرًا». رواه مسلم.

(١١٣١/ ٢٠٤) وعن عمر بن عطاء: أَنَّ نَافِعَ بْنَ جُبَيْرٍ أَرْسَلَهُ إِلَىٰ السَّائِبِ ابن أُخْتِ نَمِرٍ يَسأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ رَآهُ مِنْهُ مُعَاوِيَةُ فِي الصَّلاةِ، فَقَالَ: نَعَمْ، صَلَّيْتُ مَعَهُ الجُمُعَةَ فِي المَقْصُورَةِ (أي: حجرة خاصة من المسجد مفصولة عنه)، فَلَمَّا سَلَّمَ الإمَامُ، قُمْتُ فِي مَقَامِي، فَصَلَّيْتُ، فَلَمَّا دَخَلَ أَرْسَلَ إِلَيَّ، فَقَالَ: لا تَعُدْ لِمَا فَعَلْتَ. إِذَا صَلَّيْتَ الجُمُعَةَ فَلا تَصِلْهَا بِصَلاةٍ حَتَّىٰ تَتَكَلَّمَ أَوْ تَخْرُجَ؛ فإن رسول الله ﷺ أَمَرَنَا بِذلِكَ، أَلا نُوصِلَ صلاةً بصلاة حتىٰ نتكلم أو نخرج. رواه مسلم.

٢٠٥- باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته

(١١٣٢/ ٢٠٥) عن عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: الوِتْرُ لَيْسَ بِحَتْمٍ كَصَلاةِ المَكْتُوبَةِ، وَلَكِنْ سَنَّ رسولُ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ وِتْرٌ (أي: واحد فرد لا نظير له في ذاته) يُحِبُّ الوِتْرَ، فَأَوْتِرُوا يَا أَهْلَ القُرْآنِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١١٣٣/ ٢٠٥) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ قَدْ أَوْتَرَ رسول الله ﷺ، مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَمِنْ أَوْسَطِهِ، وَمِنْ آخِرِهِ، وَانْتَهَىٰ وِتْرُهُ إِلَىٰ السَّحَرِ (أي: قبيل الصبح). متفق عليه.

(١١٣٤/ ٢٠٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اجْعَلُوا آخِرَ صَلاتِكُمْ بِاللَّيْلِ وِتْرًا». متفق عليه.

(١١٣٥/ ٢٠٥) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «أَوْتِرُوا قَبْلَ أَنْ تُصْبِحُوا». رواه مسلم.

(١١٣٦/ ٢٠٥) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يُصَلِّي صَلاتَهُ بِاللَّيْلِ، وَهِيَ مُعْتَرِضَةٌ (أي: مضطجعة) بَيْنَ يَدَيْهِ، فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، أَيْقَظَهَا فَأَوْتَرَتْ. رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: فَإِذَا بَقِيَ الوِتْرُ، قال: «قُومِي فَأَوْتِري يَا عَائِشَةُ».

(١١٣٧/ ٢٠٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «بَادِرُوا (أي: أسرعوا بأداء الوتر قبل الصبح) الصُّبْحَ بِالوِتْرِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١١٣٨/ ٢٠٥) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَافَ أَلَّا يَقُومَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، فَلْيُوتِرْ أَوَّلَهُ، وَمَنْ طَمِعَ أَنْ يَقُومَ آخِرَهُ فَلْيُوتِرْ آخِرَ اللَّيلِ، فَإِنَّ صَلاةَ آخِرِ اللَّيْلِ مَشْهُودَةٌ، وذَلِكَ أفْضَلُ». رواه مسلم.

٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها والحث على المحافظة عليها

(١١٣٩/ ٢٠٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أوْصَاني خَلِيلي ﷺ بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَىٰ، وَأنْ أُوتِرَ قَبْلَ أنْ أرْقُدَ. متفق عليه.

وَالإيتَارُ قَبْلَ النَّوْمِ إنَّما يُسْتَحَبُّ لِمَنْ لا يَثِقُ بالاسْتِيقَاظِ آخِرَ اللَّيلِ فَإنْ وَثِقَ، فَآخِرُ اللَّيْلِ أفْضَلُ.

(١١٤٠/ ٢٠٦) وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قَالَ: «يُصْبحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلامَىٰ (أي: مفصل) مِنْ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبيحَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وَأَمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيُجْزِئ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ». رواه مسلم.

(١١٤١/ ٢٠٦) وعن عائشة رضي الله عنها قالَت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُصَلِّي الضُّحَىٰ أرْبَعًا، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ الله. رواه مسلم.

(١١٤٢/ ٢٠٦) وعن أُمِّ هَانِئٍ فَاخِتَةَ بنتِ أَبي طالب رضي الله عنها قالت: ذَهَبْتُ إلَىٰ رَسولِ الله ﷺ، عَامَ الفَتْحِ (أي: فتح مكة) فَوَجَدْتُهُ يَغْتَسِلُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ غُسْلِهِ، صَلَّىٰ ثَمَانِي رَكَعَاتٍ، وَذَلِكَ ضُحًىٰ. متفق عليه وهذا مختصر لفظ إحدىٰ روايات مسلم.

٢٠٧- باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى

(١١٤٣/ ٢٠٧) عن زيد بن أرْقم رضي الله عنه: أنَّهُ رَأَىٰ قَوْمًا يُصَلُّونَ مِنَ الضُّحَىٰ، فَقَالَ: أمَا لَقَدْ عَلِمُوا أنَّ الصَّلاةَ في غَيْرِ هذِهِ السَّاعَةِ أفْضَلُ، إنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «صَلاةُ الأوَّابِينَ (أي: الأواب: المطيع، وقيل: الراجع إلىٰ الطاعة) حِينَ تَرْمَضُ الفِصَالُ (أي: حين تحترق خفاف الإبل الصغار من شدة حر الرمل)». رواه مسلم. «تَرْمَضُ» بفتح التاء والميم وبالضاد المعجمة، يعني: شدة الحر. و«الفِصَالُ» جَمْعُ فَصِيلٍ وَهُوَ: الصَّغيرُ مِنَ الإبلِ.

٢٠٨- باب الحث على صلاة تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها

(١١٤٤/ ٢٠٨) عن أبي قتادة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمُ المَسْجِدَ، فَلا يَجْلِسْ حَتَّىٰ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ». متفق عليه.

(١١٤٥/ ٢٠٨) وعن جابر ﷺ قَالَ: أتيت النبيَّ ﷺ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَقَالَ: «صَلِّ رَكْعَتَيْنِ». متفق عليه.

* * *

(حكم تحية المسجد)

إذا دخل المسلم في المسجد وقد وجد الصلاة قد أُقيمت، فليدخل في الفريضة ولا يصلي تحية المسجد. وإذا دخل وخرج أكثر من مرة قبل ذلك في وقت متقارب، فتكفيه صلاة تحية المسجد مرة واحدة. ولا حرج عليه إن جلس قبل تحية المسجد لحاجة أو لتناول شيء من الطعام أو الماء القليل أو التحدث اليسير أو الاستراحة من التعب ونحو ذلك، فله أن يقوم لتحية المسجد حيث لا تفوت بالجلوس؛ لأن المقصود بذلك هو عمارة المسجد بالصلاة، وألا يرتاده الناس لغير صلاة، فهي ليست مقصودة لذاتها.

فمن دخل المسجد ليصلي الوتر أو فريضة ما، فإن ذلك يجزئ عن تحية المسجد.

وهي ركعتان، ومن أراد الزيادة فليصل ركعتين فركعتين.

وتكره تحية المسجد في حالين: إذا دخل والإمام في الفريضة يصلي، أو إذا دخل المسجد الحرام فعليه أن ينشغل بالطواف حول الكعبة المشرفة.

* * *

٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء

(١١٤٦/ ٢٠٩) عن أبي هريرة ﷺ: أنَّ رسول الله ﷺ قال لبلال: «يَا بِلالُ، حَدِّثْنِي بِأَرْجَىٰ عَمَلٍ

(أي: أفضل عمل عملته ترجو الله به) عَمِلْتَهُ فِي الإسْلامِ، فَإنِّي سَمِعْتُ دَفَّ نَعْلَيْكَ بَيْنَ يَدَيَّ فِي الجَنَّةِ». قَالَ: مَا عَمِلْتُ عَمَلًا أرْجَى عِنْدِي مِنْ أنِّي لَمْ أتَطَهَّرْ طُهُورًا فِي سَاعَةٍ مِنْ لَيْلٍ أوْ نَهَارٍ إلَّا صَلَّيْتُ بِذلِكَ الطُّهُورِ مَا كُتِبَ لِي أنْ أُصَلِّيَ. متفق عليه، وهذا لفظ البخاري. «الدَّفُّ» بالفاءِ: صَوْتُ النَّعْلِ وَحَرَكَتُهُ عَلَى الأرْضِ. والله أعلَم.

٢١٠- باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها والتطيب والتبكير إليها والدعاء يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ فيه وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد الجمعة

قَالَ الله تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

(١١٤٧/ ٢١٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «خَيْرُ يومٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمُ الجُمُعَةِ: فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا». رواه مسلم.

(١١٤٨/ ٢١٠) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأ فَأَحْسَنَ الوُضُوءَ ثُمَّ أتَى الجُمُعَةَ، فَاسْتَمَعَ وأنْصَتَ، غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ وَزِيادَةُ ثَلاثَةِ أيَّامٍ، وَمَنْ مَسَّ الحَصَى، فَقَدْ لَغَا (أي: تكلم أو فعل ما لا يشرع له)». رواه مسلم.

(١١٤٩/ ٢١٠) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الصَّلَوَاتُ الخَمْسُ، وَالجُمُعَةُ إلَى الجُمُعَةِ، وَرَمَضَانُ إلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّراتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إذَا اجْتُنِبَتِ الكَبَائِرُ». رواه مسلم.

(١١٥٠/ ٢١٠) وعنه، وعن ابن عمر رضي الله عنهم: أنهما سَمِعَا رسولَ الله ﷺ يقول على أعواد منبره: «لَيَنْتَهِيَنَّ أقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ (أي: تركهم) الجُمُعَاتِ أوْ لَيَخْتِمَنَّ (أي: ليطبعن) اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الغَافِلِينَ». رواه مسلم.

(١١٥١/ ٢١٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إذَا جَاءَ أحَدُكُمُ الجُمُعَةَ فَلْيَغْتَسِلْ». متفق عليه.

(١١٥٢/ ٢١٠) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «غُسْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُحْتَلِمٍ». متفق عليه. المراد بِالمُحْتَلِمِ: البَالِغُ. وَالمُرادُ بِالوجُوبِ: وُجُوبُ اخْتِيارٍ، كَقَولِ الرَّجُلِ لِصَاحِبهِ: حَقُّكَ وَاجِبٌ عَلَيَّ. والله أعلم.

(١١٥٣/ ٢١٠) وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَوَضَّأَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فبِها وَنِعْمَتْ، وَمَن اغْتَسَلَ فَالغُسْلُ أَفْضَلُ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١١٥٤/ ٢١٠) وعن سلمان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يَغْتَسِلُ رَجُلٌ يَومَ الجُمُعَةِ، وَيَتَطَهَّرُ مَا اسْتَطَاعَ مِن طُهْرٍ، وَيَدَّهِنُ مِنْ دُهْنِهِ، أَوْ يَمَسُّ مِنْ طِيبِ بَيْتِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ فَلا يُفَرِّقُ بَيْنَ اثنَيْنِ، ثُمَّ يُصَلِّي مَا كُتِبَ لَهُ، ثُمَّ يُنْصِتُ إِذَا تَكَلَّمَ الإِمَامُ، إِلَّا غُفِرَ لَهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الجُمُعَةِ الأُخْرَىٰ». رواه البخاري.

(١١٥٥/ ٢١٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «مَن اغْتَسَلَ يَومَ الجُمُعَةِ غُسْلَ الجَنَابَةِ، ثُمَّ رَاحَ فِي السَاعةِ الأولىٰ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَدَنَةً (أي: بعيرًا، ذكرًا كان أو أنثىٰ)، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الثَّانِيَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَقَرَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَاعةِ الثَّالِثَةِ فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ كَبْشًا أَقْرَنَ، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الرَّابِعَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ دَجَاجَةً، وَمَنْ رَاحَ فِي السَّاعَةِ الخَامِسَةِ، فَكَأَنَّمَا قَرَّبَ بَيْضَةً، فَإِذَا خَرَجَ الإِمَامُ، حَضَرَتِ المَلائِكَةُ يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ». متفق عليه. قَوْله: «غُسْلَ الجَنَابَةِ» أي: غُسلًا كغُسْلِ الجَنَابَةِ فِي الصِّفَةِ.

(١١٥٦/ ٢١٠) وعنه: أَنَّ رسول الله ﷺ ذَكَرَ يَوْمَ الجُمُعَةِ فَقَالَ: «فِيهَا سَاعَةٌ لا يُوافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ (أي: يصادفها وهو يصلي ويدعو)، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللهَ شَيْئًا، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ». وَأَشَارَ بيدِهِ يُقَلِّلُهَا. متفق عليه.

(١١٥٧/ ٢١٠) وعن أَبي بُرْدَةَ بن أبي موسىٰ الأشعريِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أسمعت أباك يحدث عن رسول الله ﷺ، في شأنِ سَاعَةِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: قلتُ: نَعَمْ، سَمِعْتُهُ يقُولُ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «هِيَ مَا بَيْنَ أَنْ يَجْلِسَ الإِمَامُ إِلَىٰ أَنْ تُقْضَىٰ الصَّلاةُ». رواه مسلم.

(١١٥٨/ ٢١٠) وعن أوس بن أوسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُم مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

* * *

(آداب الجمعة)

يلزم كلَّ امرئٍ مسلم بعضٌ من الآداب التي تُعينه علىٰ الطاعة والاستفادة من الأجر والثواب من الله تعالىٰ في يوم الجمعة، ومنها:

١- الإكثار من الصلاة والسلام علىٰ خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

٢- الاغتسال والتطهر والتطيب بالسواك.

٣- قص الأظافر والأخذ من الشعر الذي يجب إزالته كالإبط وغيره.

٤- التبكير في الحضور إلىٰ الصلاة بالسكينة والوقار.

٥- أن يتجنب عند دخوله المسجد أن يتخطىٰ رقاب الناس الذين استووا في الصفوف فيجلس حيث ينتهي الصف وإلا فليذهب إلىٰ المكان الفارغ.

٦- أن يحاول الدنو من الإمام والقبلة ما أمكن؛ ليحسن الإنصات للخطبة من دون أن يُحدِث أذًىٰ للناس.

٧- أن يصلي ركعتين تحيةً للمسجد، وأن يخفف فيهما إذا صعد الإمام المنبر.

٨- أن يقرأ سورة الكهف يوم الجمعة.

٩- أن يتجنب الجلوس بطريقة تجلب له النعاس أو النوم فيُعرِّض نفسه لنقض طهارته، مثل الاحتباء حيث يجلس علىٰ أليتيه رافعًا ساقيه ووركيه إلىٰ بطنه بثوب أو بيديه.

١٠- ألا ينشغل بمس وتسوية الحصىٰ، أو الانشغال بما يلهيه عن الطاعة.

* * *

٢١١- باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة

(١١٥٩/ ٢١١) عن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه قَالَ: خرجنا مَعَ رسُولِ الله ﷺ مِنْ مَكَّةَ نُرِيدُ المَدِينَةَ، فَلَمَّا كُنَّا قَرِيبًا مِنْ عَزْوَرَاء (أي: مكان بين مكة والمدينة) نَزَلَ ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ فَدَعَا اللهَ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا، فَمَكَثَ طَويلًا، ثُمَّ قَامَ فَرَفَعَ يَدَيْهِ سَاعَةً، ثُمَّ خَرَّ سَاجِدًا- فَعَلَهُ ثَلاثًا- وقال: «إِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي، وَشَفَعْتُ لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا

لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي ثُلُثَ أُمَّتِي، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي شُكْرًا، ثُمَّ رَفَعْتُ رَأْسِي، فَسَأَلْتُ رَبِّي لأُمَّتِي، فَأَعْطَانِي الثُّلُثَ الآخِرَ، فَخَرَرْتُ سَاجِدًا لِرَبِّي». رواه أبو داود.

٢١٢- باب فضل قيام الليل

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا ۝٧٩﴾ [الإسراء: ٧٩].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمۡ عَنِ ٱلۡمَضَاجِعِ يَدۡعُونَ رَبَّهُمۡ خَوۡفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝١٦﴾ [السجدة: ١٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ۝١٧﴾ [الذاريات: ١٧].

(١١٦٠/ ٢١٢) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ النبيُّ ﷺ يَقُومُ مِنَ اللَّيلِ حَتَّىٰ تَتَفَطَّرَ (أي: تتشقق) قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللهِ وَقَدْ غُفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا!». متفق عليه.

وَعَنِ المُغِيرَةِ بنِ شُعبةَ نَحْوهُ. متفق عليه.

(١١٦١/ ٢١٢) وعن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ طَرَقَهُ وَفَاطِمَةَ لَيلًا، فَقَالَ: «أَلَا تُصَلِّيَانِ؟». متفق عليه.

«طَرَقَهُ»: أَتَاهُ لَيْلًا.

(١١٦٢/ ٢١٢) وعن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، عن أبيه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «نِعْمَ الرَّجُلُ عبد الله، لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيلِ». قال سالم: فَكَانَ عبد الله بَعْدَ ذَلِكَ لا يَنامُ مِنَ اللَّيلِ إِلَّا قَلِيلًا. متفق عليه.

(١١٦٣/ ٢١٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَا عبد الله، لا تَكُنْ مِثْلَ فُلانٍ؛ كَانَ يَقُومُ اللَّيلَ فَتَرَكَ قِيَامَ اللَّيلِ». متفق عليه.

(١١٦٤/ ٢١٢) وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ رَجُلٌ نَامَ لَيْلَةً حَتَّىٰ أَصْبَحَ، قَالَ: «ذَاكَ رَجُلٌ بَالَ الشَّيطَانُ فِي أُذُنَيْهِ» أَوْ قَالَ: «فِي أُذُنِهِ». متفق عليه.

(١١٦٥/ ٢١٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «يَعْقِدُ الشَّيطَانُ عَلَىٰ قَافِيَةِ رَأْسِ

أحدِكُمْ، إذَا هُوَ نَامَ، ثَلاثَ عُقَدٍ، يَضْرِبُ عَلَىٰ كُلِّ عُقْدَةٍ: عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ فَارْقُدْ. فَإنِ اسْتَيقَظَ، فَذَكَرَ اللهَ انحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإنْ تَوَضَّأ انْحَلَّتْ عُقدَةٌ، فَإنْ صَلَّىٰ انْحَلَّتْ عُقَدُهُ كُلُّهَا، فَأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ، وَإلَّا أصْبحَ خَبيثَ النَّفْسِ كَسْلانَ». متفق عليه.

«قافِيَةُ الرَّأس»: آخره.

(١١٦٦/ ٢١٢) وعن عبد الله بن سَلَام رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «أيُّهَا النَّاسُ، أفْشُوا السَّلامَ، وَأطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١١٦٧/ ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(١١٦٨/ ٢١٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «صَلاةُ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، فَإذَا خِفْتَ الصُّبْحَ فَأوْتِرْ بِوَاحِدَةٍ». متفق عليه.

(١١٦٩/ ٢١٢) وعنه قَالَ: كان النبيُّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ مَثْنَىٰ مَثْنَىٰ، وَيُوتِرُ بِرَكْعَةٍ. متفق عليه.

(١١٧٠/ ٢١٢) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسولُ الله ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّىٰ نَظُنَّ أنْ لا يَصُومَ مِنْهُ، وَيَصُومُ حَتَّىٰ نَظُنَّ أنْ لا يُفْطِرَ مِنْهُ شَيْئًا، وكَانَ لا تَشَاءُ أنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيلِ مُصَلِّيًا إلَّا رَأيْتَهُ، وَلا نَائِمًا إلَّا رَأيْتَهُ. رواه البخاري.

(١١٧١/ ٢١٢) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ كَانَ يُصَلِّي إحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً - تَعْنِي في اللَّيلِ - يَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذَلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أنْ يَرْفَعَ رَأسَهُ، وَيَرْكَعُ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الفَجْرِ، ثُمَّ يَضْطَجِعُ عَلَىٰ شِقِّهِ الأيْمَنِ حَتَّىٰ يَأتِيَهُ المُنَادِي لِلصَّلاةِ. رواه البخاري.

(١١٧٢/ ٢١٢) وعنها قالت: مَا كَانَ رسول الله ﷺ يَزِيدُ - في رَمَضَانَ وَلا في غَيْرِهِ - عَلَىٰ إحْدَىٰ عَشْرَةَ رَكْعَةً: يُصَلِّي أرْبَعًا فَلا تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أرْبَعًا فَلا تَسْألْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاثًا. فقلتُ: يَا رسولَ الله، أتَنَامُ قَبْلَ أنْ تُوتِرَ؟ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي». متفق عليه.

(١١٧٣/ ٢١٢) وعنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَنَامُ أوَّلَ اللَّيلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي. متفق عليه.

(١١٧٤/ ٢١٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبيِّ ﷺ لَيْلَةً، فَلَمْ يَزَلْ قائِمًا حَتَّىٰ هَمَمْتُ

بِأَمْرِ سوءٍ! قيلَ: مَا هَمَمْتَ؟ قَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أَجْلِسَ وَأَدَعَهُ. متفق عليه.

(١١٧٥/ ٢١٢) وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قال: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ لَيلَةٍ فَافْتَتَحَ البقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ المائَةِ، ثُمَّ مَضَىٰ، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا في ركعة فَمَضَىٰ، فقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فقَرَأَهَا، يَقرَأُ مُتَرَسِّلًا (أي: يقرأ بترتيل الحروف فيعطيها حقها ومستحقها): إِذَا مَرَّ بآيةٍ فِيهَا تَسبيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ العَظِيمِ**». فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحوًا مِنْ قِيامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ**». ثُمَّ قَامَ طَويلًا قَريبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَىٰ**». فَكَانَ سُجُودُهُ قَريبًا مِنْ قِيَامِهِ. رواه مسلم.

(١١٧٦/ ٢١٢) وعن جابر رضي الله عنه قال: سُئِلَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ الصَّلاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «**طُولُ القُنُوتِ**». رواه مسلم. المراد بـ«القنوتِ»: القِيام.

(١١٧٧/ ٢١٢) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**أَحَبُّ الصَّلاةِ إِلَىٰ الله صَلاةُ دَاوُدَ، وَأَحبُّ الصِّيَامِ إِلَىٰ الله صِيَامُ دَاوُدَ، كَانَ يَنَامُ نِصْفَ اللَّيلِ وَيَقُومُ ثُلُثَهُ وَيَنَامُ سُدُسَهُ وَيَصُومُ يَومًا وَيُفْطِرُ يَوْمًا**». متفق عليه.

(١١٧٨/ ٢١٢) وعن جَابِرٍ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**إِنَّ في اللَّيْلِ لَسَاعَةً، لا يُوَافِقُهَا** (أي: يصادفها وهو يصلي ويدعو) **رَجُلٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ، وَذلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ**». رواه مسلم.

(١١٧٩/ ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيلِ فَلْيَفْتَتِحِ الصَّلَاةَ بركْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ**». رواه مسلم.

(١١٨٠/ ٢١٢) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ لِيُصَلِّي افْتَتَحَ صَلاتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رواه مسلم.

(١١٨١/ ٢١٢) وعنها رضي الله عنها قالت: كَانَ رسول الله صلى الله عليه وسلم إِذَا فَاتَتْهُ الصَّلاةُ مِنَ اللَّيلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيرِهِ، صَلَّىٰ مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. رواه مسلم.

(١١٨٢/ ٢١٢) وعن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ نَامَ عَنْ حِزْبِهِ** (أي: الجزء من القرآن أو الورد الذي يجعله في الليل ليقرأه)، **أَوْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ، فَقَرَأَهُ فيما بَيْنَ صَلاةِ الفَجْرِ وصلاةِ الظُّهْرِ، كُتِبَ لَهُ كَأَنَّمَا قَرَأَهُ مِنَ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

(١١٨٣/ ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللهُ رَجُلًا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّىٰ وَأَيْقَظَ امْرَأَتَهُ، فَإِنْ أَبَتْ نَضَحَ (أي: رش) فِي وَجْهِهَا المَاءَ، رَحِمَ اللهُ امْرَأَةً قَامَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَصَلَّتْ وَأَيْقَظَتْ زَوْجَهَا، فَإِنْ أَبَىٰ نَضَحَتْ (أي: رفضت) فِي وَجْهِهِ المَاءَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١١٨٤/ ٢١٢) وعنه وعن أبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا أَيْقَظَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّيَا- أَوْ صَلَّىٰ- رَكْعَتَيْنِ جَمِيعًا، كُتِبَا فِي الذَّاكِرِينَ وَالذَّاكِرَاتِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١١٨٥/ ٢١٢) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَعَسَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاةِ، فَلْيَرْقُدْ حَتَّىٰ يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا صَلَّىٰ وَهُوَ نَاعِسٌ، لَعَلَّهُ يَذْهَبُ يَسْتَغْفِرُ (أي: يدعو) فَيَسُبَّ نَفْسَهُ». متفق عليه.

(١١٨٦/ ٢١٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا قَامَ أَحَدُكُمْ مِنَ اللَّيْلِ، فَاسْتَعْجَمَ (أي: استغلق واستبهم ولم ينطق به لسانه لغلبة النعاس) القُرْآنَ عَلَىٰ لِسَانِهِ، فَلَمْ يَدْرِ مَا يَقُولُ، فَلْيَضْطَجِع». رواه مسلم.

❋ ❋ ❋

(آداب قيام الليل)

بعض الأسباب التي يتيسر بها قيام الليل: إن قيام الليل أمر عسير علىٰ الخلق، إلا علىٰ مَن وفَّقه الله للقيام به، وذلك إذا تحقّقت فيه شروطٌ، ظاهرة وباطنة.

أما الشروط الظاهرة فأربعة:

١- ألا يُكثر الأكل والشرب فيغلب عليه النوم ويثقل عليه القيام؛ فقد كان بعض الشيوخ يقف علىٰ مائدة طعامه كلَّ ليلة ويقول لتلامذته: لا تأكلوا كثيرًا فتشربوا كثيرًا فترقدوا كثيرًا فتتحسروا عند الموت كثيرًا. فتخفيف المعدة عن ثقل الطعام هو الأمر الأول.

٢- ألا يُجهد نفسه بالنهار في الأعمال الشاقة التي تعيا بها جوارحه وتخور بها أعصابه من غير ضرورة معتبرة أو حاجة ملحة، فإن في هذا مجلبةً للنوم والراحة؛ ليعوض ما فاته بسبب مشقة الأعمال في نهاره.

٣- أن يحاول ألا يترك نوم القيلولة بالنهار إذا توفر له ذلك؛ لأنها تُعينه علىٰ قيام الليل، وفي الحديث: «اسْتَعِينُوا بِقَائِلَةِ النَّهَارِ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ» [الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٤٥) حديث (١١٦٢٥)]، وفي الحديث أيضًا: «اسْتَعِينُوا بِطَعَامِ السَّحَرِ عَلَىٰ صِيَامِ النَّهَارِ، وَالْقَيْلُولَةِ عَلَىٰ قِيَامِ اللَّيْلِ» [ابن ماجَهْ في «سننه» كتاب «الصيام» باب «ما جاء في السحور» حديث (١٦٩٣)].

٤- ألا ينغمس في المعاصي والأوزار نهارًا، فإن ذلك مما يُقسِّي القلب ويَحُول بينه وبين أعمال الطاعات، قال رجلٌ للحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يا أبا سعيد، إني أبيت مُعافًى، وأحبُّ قيامَ الليل، وأعدُّ طَهُوري، فما بالي لا أقوم؟ قال: ذنوبك قيَّدتك.

وكان الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ إذا دخل السوقَ فسمع اللَّغَط ولَغْوَ الناس يقول: أظنُّ أن ليلَ هؤلاء ليلُ سوءٍ؛ فإنهم لا يَقِيلون ظُهْرًا.

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حُرِمْتُ قيامَ الليل خمسة أشهر بذنبٍ أذنبته. قيل: وما ذاك الذنب؟ قال: رأيت رجلًا يبكي، فقلت في نفسي: هذا مُراءٍ (أي: يتصنع البكاء).

وقال فُضَيل بن غَزْوان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلتُ علىٰ كُرْز بن وَبَرَة وهو يبكي، فقلت: أتاكَ نَعْيُ بعضِ أهلك؟ فقال: أشدُّ. فقلت: وَجَعٌ يؤلمك؟ قال: أشد. قلت: فما ذاك؟ قال: بابي مُغلَق وسِتْري مُسبَل ولم أقرأ حزبِيَ البارحةَ، وما ذلك إلا لذنبٍ أحدثتُه.

وهذا لأن الخير يدعو إلىٰ الخير، والشر يدعو إلىٰ الشر، والقليل من كلِّ واحدٍ منهما يجر إلىٰ الكثير. فالذنوب كلُّها تورث قساوةَ القلب وتمنع من قيام الليل، وأخص تلك الذنوب بالتأثير هو تناول الطعام والشراب الحرام، حيث تؤثِّر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحريكه إلىٰ الخير ما لا يُؤثِّر غيرُها، ويَعرف ذلك أهلُ مراقبة القلوب، وذلك بالتجربة والانصياع للشرع الحكيم.

وقيل: كم من أَكْلة منعَتْ قيامَ ليلة، وكم من نظرةٍ منعت قراءةَ سورة، إن العبدَ لا يأكل أكلةً أو يفعل فعلة فيُحرم بها قيامَ سنةٍ.

وكما أن الصلاةَ تنهىٰ عن الفحشاء والمنكر، فكذلك الفحشاء تنهىٰ عن الصلاة وسائر الخيرات.

أما المُيسِّرات لقيام الليل الباطنة فأربعة أمور:

الأول: سلامة القلب عن أمراضه، مثل الحقد علىٰ المسلمين، وعن هموم الدنيا المختلفة، فالمنشغل والمُستغرَق في دنياه بحدٍّ يفوق عن حدِّ الاعتدال لا يتيسَّر له قيامُ الليل، حتىٰ وإن قام فلا يتدبَّر ولا يتفكَّر في صلاته، إلا فيما يشغله من مُهمَّات حياته، ويُحيطه الشيطان بوساوسه.

الثاني: الخوف الذي يلزم القلب من المعاصي والذنوب، ومن لقاء الله تبارك وتعالىٰ، ومن أهوال الآخرة، فلا يستطيع أن يغلبه النوم لشدة خوفه وحذره؛ قال طاوس رَحِمَهُ اللَّهُ: إن ذِكر جهنم طيَّر نومَ العابدين.

وحُكي: أن غلامًا بالبصرة اسمه صُهَيب كان يقوم الليل كلَّه، فقالت له سيدته: إن قيامَك الليلَ يضرُّ بعملك بالنهار؟ فقال: إن صُهَيبًا (أي: يقصد نفسه) إذا ذَكَر النار لا يأتيه النوم.

وقيل لغلام آخر وكان يقوم كلَّ الليل، فقال: إذا ذكرتُ النارَ اشتدَّ خوفي، وإذا ذكرتُ الجنة اشتد شوقي فلا أقدر أن أنام.

وقال ذو النون المصري رَحِمَهُ اللَّهُ:

مَنَــعَ القُــرَانُ بوَعْــدِهِ ووعيــدِهِ ... مُقَــلَ العُيُــونِ بلَيْلِهَــا أن تَهْجَعَــا
فَهِمُـوا عـنِ المَلِـكِ الْجَلِيلِ كلامَهِ ... فرِقَــابُهِمْ ذُلَّــتْ إليــه تَخَضُّــعَا

الثالث: أن يعرف فضيلةَ قيام الليل بسماع الآيات والأحاديث والأخبار والآثار؛ حتىٰ يتعلَّق رجاؤه وشوقه إلىٰ ثواب ذلك القيام، فيدفعه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات الجنان.

وحُكِي عن بعض الصالحين: أنه رجع من غزوته فمهَّدت امرأته فراشًا وجلست تنتظره، فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتىٰ أصبح، فقالت له زوجته: كنا ننتظرك مدةً، فلما قدمتَ صلَّيْتَ إلىٰ الصبح؟ قال: والله إني كنت أتفكَّر في حوراء من حور الجنة طول الليل، فنسيت الزوجة والمنزل فقمت طول ليلتي شوقًا إليها.

الرابع: وهو أشرف الأسباب، وهو الحب لله وقوة الإيمان به، حيث يؤمن أنه في قيامه لا يتكلَّم بحرف إلا وهو يعرف أنه يناجي ربَّه، وأن ربَّه مُطَّلع عليه يشاهده ويعلم ما في

قلبه، ويدري ما الخطرات التي تدور في قلبه، وأن الله تعالىٰ يتولَّىٰ شأنه، فإذا أحبَّ الله تعالىٰ عبدًا يسَّر له الخلوة به، وأن يتلذَّذ بالمناجاة معه، فتحمله تلك اللَّذة بالحبيب علىٰ طول القيام والسهر.

قال عليُّ بن بكَّار رَحِمَهُ ٱللَّهُ: منذ أربعين سنةً ما أحزنني شيءٌ سوىٰ طلوع الفجر (يقصد انتهاء قيام الليل).

وقال الفُضَيْل بن عِيَاض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا غرُبت الشمسُ فرحتُ بالظلام؛ لخلوتي بربي، وإذا طلعَتْ حزنت لدخول الناس عليَّ.

وقال أبو سليمان الداراني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أهل الليل في ليلهم ألذُّ من أهل اللهو في لهوهم، ولولا الليل ما أحببتُ البقاء في الدنيا.

وقد قيل: ليس في الدنيا وقت يُشبه نعيمَ أهل الجنة إلا ما يجده أهل التملُّق في قلوبهم بالليل من حلاوة المناجاة. وقيل: لذة المناجاة ليست من الدنيا، وإنما هي من الجنة أظهرها الله تعالىٰ لأوليائه، لا يجدها سواهم.

وعن جابر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا عَبْدٌ مُسْلِمٌ يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ إِلَّا أَعْطَاهُ إِيَّاهُ» [مسلم كتاب «صلاة المسافرين وقصرها» باب «في الليل ساعة مستجاب فيها الدعاء» حديث (٧٥٧)].

* * *

٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح

(١١٨٧/ ٢١٣) عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إيمانًا وَاحْتِسَابًا (أي: يريد به الأجر والثواب من الله وحده ولا يقصد الرياء، ولا غير ذلك مما يخالف الإخلاص) غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه.

(١١٨٨/ ٢١٣) وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُرَغِّبُ في قِيَامِ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ أنْ يَأْمُرَهُمْ فِيهِ بِعَزِيمَةٍ (أي: لا يأمرهم أمر إيجاب وتحتيم، بل أمر ندب وترغيب)، فيقولُ: «مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». رواه مسلم.

٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ إِلَىٰ آخرِ السورة [سورة القدر].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ الآيات [الدخان: ٣].

(١١٨٩/ ٢١٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ قَامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه.

(١١٩٠/ ٢١٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رِجالًا مِنْ أصْحَابِ النَّبيِّ ﷺ أُرُوا لَيْلَةَ القَدْرِ في المَنَامِ في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «أرَىٰ رُؤْيَاكُمْ قَدْ تَوَاطَأَتْ (أي: توافقت) في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ، فَمَنْ كَانَ مُتَحَرِّيهَا فَلْيَتَحَرَّهَا في السَّبْعِ الأَوَاخِرِ». متفق عليه.

(١١٩١/ ٢١٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسول الله ﷺ يُجَاوِرُ (أي: يعتكف) في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ، ويقول: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(١١٩٢/ ٢١٤) وعنها رضي الله عنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ». رواه البخاري.

(١١٩٣/ ٢١٤) وعنها رضي الله عنها قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إذَا دَخَلَ العَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ، أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأيْقَظَ أهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ المِئْزَرَ (أي: كناية عن اعتزال النساء للاستعداد للاشتغال بالعبادات). متفق عليه.

(١١٩٤/ ٢١٤) وعنها قالت: كان رَسُولُ الله ﷺ يَجْتَهِدُ في رَمَضَانَ مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ، وَفي العَشْرِ الأَوَاخِرِ مِنْهُ مَا لا يَجْتَهِدُ في غَيْرِهِ. رواه مسلم.

(١١٩٥/ ٢١٤) وعنها قالت: قلت: يَا رسولَ الله، أرَأيْتَ إنْ عَلِمْتُ أيَّ لَيلَةٍ لَيْلَةُ القَدْرِ مَا أقُولُ فِيهَا؟ قَالَ: «قُولِي: اللَّهُمَّ إنَّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ العَفْوَ فَاعْفُ عَنِّي». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٢١٥- باب فضل السواك وخصال الفطرة

(١١٩٦/ ٢١٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَوْلا أنْ أشُقَّ عَلَىٰ أُمَّتِي- أو عَلَىٰ النَّاسِ- لأَمَرْتُهُمْ بِالسِّوَاكِ مَعَ كُلِّ صَلاةٍ». متفق عليه.

(١١٩٧/ ٢١٥) وعن حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ إذَا قَامَ مِن اللَّيْلِ يَشُوصُ فَاهُ بِالسِّوَاكِ. متفق عليه. «الشَّوْصُ»: الدَّلْكُ.

(١١٩٨/ ٢١٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كُنَّا نُعِدُّ لرسولِ الله ﷺ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللهُ مَا شَاءَ أنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ وَيُصَلِّي... الحديث. رواه مسلم.

(١١٩٩/ ٢١٥) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَكْثَرْتُ عَلَيْكُمْ في السِّوَاكِ». رواه البخاري.

(١٢٠٠/ ٢١٥) وعن شريح بن هانئ قَالَ: قلت لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: بِأَيِّ شَيْءٍ كَانَ يَبْدَأُ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ؟ قالت: بِالسِّوَاكِ. رواه مسلم.

(١٢٠١/ ٢١٥) وعن أبي موسىٰ الأشعريِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: دَخَلْتُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ وَطَرَفُ السِّوَاكِ عَلَىٰ لِسَانِهِ. متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(١٢٠٢/ ٢١٥) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «السِّوَاكُ مَطْهَرَةٌ لِلْفَمِ (أي: آلة لطهارة الفم) مَرْضَاةٌ للرَّبِّ». رواه النسائي وابن خزيمة في «صحيحه» بأسانيد صحيحة.

(١٢٠٣/ ٢١٥) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «الفِطْرَةُ خَمْسٌ، أو خَمْسٌ مِنَ الفِطْرَةِ: الخِتَانُ، وَالاسْتِحْدَادُ، وَتَقْلِيمُ الأظْفَارِ، وَنَتْفُ الإبْطِ، وَقَصُّ الشَّارِبِ». متفق عليه.

«الاستحْدَادُ»: حَلقُ العَانَةِ، وَهُوَ حَلْقُ الشَّعْرِ الَّذِي حَولَ الفَرْجِ.

(١٢٠٤/ ٢١٥) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «عَشْرٌ مِنَ الفِطْرَةِ: قَصُّ الشَّارِبِ، وَإعْفَاءُ اللِّحْيَةِ، وَالسِّوَاكُ، وَاسْتِنْشَاقُ المَاءِ، وَقَصُّ الأظْفَارِ، وَغَسْلُ البَرَاجِمِ، وَنَتفُ الإبْطِ، وَحَلْقُ العَانَةِ، وَانْتِقَاصُ المَاءِ». قَالَ الراوي: وَنَسِيتُ العَاشِرَةَ إلَّا أنْ تَكُونَ المَضْمَضَةَ. قَالَ وَكِيعٌ وَهُوَ أحَدُ رُوَاتِهِ: انْتِقَاصُ المَاءِ يَعْنِي الاسْتِنْجَاءَ. رواه مسلم.

«البَرَاجِم» بالباء الموحدةِ والجيم، وهي: عُقَدُ الأَصَابِعِ. و«إعْفَاءُ اللِّحْيَةِ» مَعْنَاهُ: لا يَقُصُّ مِنْهَا شَيْئًا.

(١٢٠٥/ ٢١٥) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «أَحْفُوا (أي: قصوا ما طال من الشوارب علىٰ الشفتين) الشَّوارِبَ وَأعْفُوا (أي: اتركوها علىٰ حالها) اللِّحَىٰ». متفق عليه.

٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها

قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

(١٢٠٦/ ٢١٦) وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإسْلامُ عَلَىٰ خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَإقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(١٢٠٧/ ٢١٦) وعن **طلحة بن عبيد الله** ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رسول الله ﷺ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ ثَائِرِ الرَّأْسِ، (أي: قائم شعره منتفش) نَسْمَعُ دَوِيَّ صَوْتِهِ (أي: شدة صوته) وَلا نَفْقَهُ مَا يَقُولُ، حَتَّىٰ دَنَا مِنْ رسولِ الله ﷺ، فَإذا هُوَ يَسأَلُ عَنِ الإسْلام، فَقَالَ رسول الله ﷺ: «**خَمْسُ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُنَّ؟ قَالَ: «**لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**وَصِيامُ شَهْرِ رَمَضَانَ**». قَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهُ؟ قَالَ: «**لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». قَالَ: وَذَكَرَ لَهُ رسول الله ﷺ الزَّكَاة، فَقَالَ: هَلْ عَلَيَّ غَيْرُهَا؟ قَالَ: «**لا، إِلَّا أَنْ تَطَوَّعَ**». فَأدْبَرَ الرَّجُلُ وَهُوَ يَقُولُ: وَالله لا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا وَلا أَنْقُصُ مِنْهُ. فقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ**». متفق عليه.

(١٢٠٨/ ٢١٦) وعن **ابن عباس** ﵄: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ بعث مُعاذًا ﵁ إِلَىٰ اليَمَنِ، فَقَالَ: «**ادْعُهُمْ إِلَىٰ شَهَادَةِ أَنْ لا إله إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رسول الله، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أن اللهَ تَعَالَىٰ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذلِكَ، فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَىٰ فُقَرَائِهِمْ**». متفق عليه.

(١٢٠٩/ ٢١٦) وعن **ابن عمر** ﵄ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رسول الله، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ، وَيُؤتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا** (أي: منعوا) **مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُمْ، إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ**». متفق عليه.

(١٢١٠/ ٢١٦) وعن **أبي هريرة** ﵁ قَالَ: لَمَّا تُوُفِّيَ رسولُ الله ﷺ - وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ ﵁ - وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ العَرَبِ، فَقَال عُمَرُ ﵁: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ وَقَدْ قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّىٰ يَقُولُوا: لا إلهَ إِلَّا اللهُ. فَمَنْ قَالَهَا فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ، وَحِسَابُهُ عَلَىٰ اللهِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ لأُقَاتِلَنَّ مَنْ فَرَّقَ بين الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ، فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ المَالِ، وَاللهِ لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا (أي: الحبل الذي يُربط به البعير) كَانُوا يُؤدُّونَهُ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَىٰ مَنْعِهِ. قَالَ عُمَرُ ﵁: فَوَاللهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ رَأَيْتُ اللهَ قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أَبِي بَكْرٍ لِلقِتَالِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ الحَقُّ. متفق عليه.

(١٢١١/ ٢١٦) وعن **أبي أيّوب** ﵁: أَنَّ رجلًا قَالَ للنبيِّ ﷺ: أَخْبِرْنِي بعمل يُدْخِلُنِي الجَنَّةَ، قَالَ: «**تَعبدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ**». متفق عليه.

(١٢١٢/ ٢١٦) وعن **أبي هريرة** ﵁: أَنَّ أعرابيًّا أتى النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَىٰ

عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُهُ دَخَلْتُ الجَنَّةَ. قَالَ: «تعبدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وتُقِيمُ الصَّلاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ المَفْرُوضَةَ، وَتَصُومُ رَمَضَانَ». قَالَ: والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لا أَزِيدُ عَلَىٰ هَذَا، فَلَمَّا وَلَّىٰ، قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَىٰ هَذَا». متفق عليه.

(١٢١٣/ ٢١٦) وعن جَرِيرِ بن عبد الله رضي الله عنه قال: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَىٰ إِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ. متفق عليه.

(١٢١٤/ ٢١٦) وعن أَبِي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ صَاحِبِ ذَهَبٍ، وَلا فِضَّةٍ، لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا (أي: زكاتها) إِلَّا إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ صُفِّحَتْ (أي: صنعت له صفائح) لَهُ صَفَائِحُ مِنْ نَارٍ، فَأُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيُكْوَىٰ بِهَا جَنْبُهُ، وَجَبِينُهُ، وَظَهْرُهُ، كُلَّمَا بَرَدَتْ أُعِيدَتْ لَهُ فِي يَومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ العِبَادِ فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ». قِيلَ: يا رسول الله، فالإبلُ؟ قَالَ: «وَلا صَاحِبِ إِبلٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا حَلْبُهَا يومَ وِرْدِهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يومُ القِيَامَةِ بُطِحَ (أي: سوي) لها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ (أي: بمكان مستو واسع) أَوْفَرَ مَا كَانَتْ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا فَصِيلًا (أي: ولد الناقة إذا فصل عن أمه) وَاحِدًا، تَطَؤُهُ بِأَخْفَافِهَا، وَتَعَضُّهُ بِأَفْوَاهِهَا، كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ». قِيلَ: يَا رَسولَ الله، فَالبَقَرُ وَالغَنَمُ؟ قَالَ: «وَلا صَاحِبِ بَقَرٍ وَلا غَنَمٍ لا يُؤَدِّي مِنْهَا حَقَّهَا، إِلَّا إِذَا كَانَ يَومُ القِيَامَةِ، بُطِحَ لها بِقَاعٍ قَرْقَرٍ، لا يَفْقِدُ مِنْهَا شَيْئًا، لَيْسَ فِيهَا عَقْصَاءُ (أي: ملتوية القرن)، وَلا جَلْحَاءُ (أي: التي لا قرن لها)، وَلا عَضْبَاءُ (أي: العضباء: الناقة المشقوقة الأذن، أو الشاة التي انكسر أحد قرنيها)، تَنْطَحُهُ بِقُرُونِها، وَتَطَؤُهُ بِأَظْلافِهَا (أي: الظلف للبقر والغنم والظباء، وهو المنشق من القوائم، والخف للبعير، والقدم للآدمي، والحافر للفرس والبغل والحمار)، كُلَّمَا مرَّ عَلَيْهِ أُولاهَا، رُدَّ عَلَيْهِ أُخْرَاهَا، فِي يومٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَة حَتَّىٰ يُقْضَىٰ بَيْنَ العِبَادِ، فَيَرَىٰ سَبِيلَهُ، إِمَّا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِمَّا إِلَىٰ النَّارِ». قيل: يَا رسول الله، فالخَيْلُ؟ قَالَ: «الخَيلُ ثَلاثَةٌ: هِيَ لِرَجُلٍ وِزْرٌ (أي: ذنب أو إثم)، وَهِيَ لِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَهِيَ لِرَجُلٍ أَجْرٌ. فَأَمَّا الَّتِي هي لَهُ وِزْرٌ؛ فَرَجُلٌ ربطها رِيَاءً وَفَخْرًا وَنِوَاءً (أي: مناوأة ومعاداة) عَلَىٰ أَهْلِ الإِسْلامِ، فَهِيَ لَهُ وِزْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هي لَهُ سِتْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ الله، ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللهِ فِي ظُهُورِهَا، وَلا رِقَابِهَا، فَهِيَ لَهُ سِتْرٌ، وَأَمَّا الَّتِي هي لَهُ أَجْرٌ، فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ لأَهْلِ الإِسْلامِ فِي مَرْجٍ (أي: أرض واسعة ذات نبات ومرعىٰ للدواب)، أَوْ رَوْضَةٍ فَمَا أَكَلَتْ مِنْ ذَلِكَ

المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا كُتِبَ لَهُ عَدَدَ مَا أَكَلَتْ حَسَنَات وكُتِبَ لَهُ عَدَدَ أَرْوَاثِهَا وَأَبْوَالِهَا حَسَنَات، وَلا تَقْطَعُ طِوَلَهَا (أي: ويقال: طيلها، والطول والطيل: الحبل الذي تربط فيه الدابة) فَاسْتَنَّتْ (أي: جرت) شَرَفًا (أي: الشرف: العالي من الأرض) أَوْ شَرَفَيْنِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ آثَارِهَا وَأَرْوَاثِهَا حَسَنَاتٍ، وَلا مَرَّ بِهَا صَاحِبُهَا عَلَىٰ نَهرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ، وَلا يُرِيدُ أَنْ يَسْقِيَهَا إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَدَدَ مَا شَرِبَتْ حَسَنَاتٍ». قِيلَ: يَا رسولَ الله، فالحُمُرُ؟ قَالَ: «مَا أُنْزِلَ عَلَيَّ فِي الحُمُرِ شَيْءٌ إِلَّا هٰذِهِ الآيَة الفَاذَّةُ (أي: القليلة النظير) الجَامِعَةُ: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

٢١٧- باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾ إِلَىٰ قَوْلِه تعالَىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ﴾ الآية [البقرة: ١٨٣- ١٨٥].

وَأما الأَحاديث فقد تقدمت في الباب الَّذِي قبله.

(١٢١٥/ ٢١٧) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَام، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ (أي: وقاية لصاحبه مما يؤذيه من الشهوات)، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحدِكُمْ فَلا يَرْفُثْ (أي: لا يفحش في الكلام) وَلا يَصْخَبْ (أي: لا يرفع صوته ولا يغضب علىٰ أحد) فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ. وَالذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ (أي: رائحة الفم) فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بفطرِه، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ». متفق عليه، وهذا لفظ رواية البخاري.

وفي روايةٍ لَهُ: «يَتْرُكُ طَعَامَهُ، وَشَرَابَهُ، وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِي، الصِّيَامُ لي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا».

وفي رواية لمسلم: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يضاعفُ، الحسنةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ. قَالَ الله تَعَالَىٰ: إِلَّا الصَّوْمَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ

مِنْ أَجْلِي. للصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فِيهِ (أي: فمه) أَطْيَبُ عِنْدَ الله مِنْ رِيحِ المِسْكِ».

(١٢١٦/ ٢١٧) وعنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ (أي: إنفاق شيئين من صنف من أصناف المال من نوع واحد) في سَبِيلِ الله نُودِيَ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ: يَا عبد الله، هَذَا خَيرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الرَّيَّانِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ». قَالَ أَبُو بكر رضي الله عنه: بِأَبي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رسولَ الله! مَا عَلَىٰ مَنْ دُعِيَ مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضرورةٍ، فهل يُدْعىٰ أحَدٌ مِنْ تِلْكَ الأبوَابِ كُلِّهَا؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». متفق عليه.

(١٢١٧/ ٢١٧) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يومَ القِيَامَةِ، لا يَدْخُلُ مِنْهُ أحدٌ غيرُهُمْ، يقال: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ لا يدخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ». متفق عليه.

(١٢١٨/ ٢١٧) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا في سَبِيلِ الله إِلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذَلِكَ اليَوْمِ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيفًا (أي: عامًا)». متفق عليه.

(١٢١٩/ ٢١٧) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا، غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». متفق عليه.

(١٢٢٠/ ٢١٧) وعنه رضي الله عنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ، فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ (أي: قيدت وأوثقت بالأغلال) الشَّيَاطِينُ». متفق عليه.

(١٢٢١/ ٢١٧) وعنه: أن رسولَ الله ﷺ قَالَ: «صُومُوا لِرُؤْيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤْيَتِهِ، فَإِنْ غَبِيَ عَلَيْكُمْ، فَأَكْمِلُوا عِدَّةَ شَعْبَانَ ثَلاثِينَ». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

وفي رواية مسلم: «فَإِنْ غُمَّ عَلَيْكُمْ فَصُومُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا».

❋ ❋ ❋

(حكمة الصيام)

لماذا نصوم شهرًا واحدًا في السنة؟ ولماذا نصوم أصلًا؟

لما خلق الله تبارك وتعالىٰ الإنسان جعل رتبته ومكانته فوق رتبة البهائم والأنعام، فأعطاه القدرة بنور الشرع والعقل علىٰ كَسْر شهواته، وجعله أيضًا دون رتبة الملائكة؛ وذلك لاستيلاء الشهوات عليه، فهو ممتحن ومبتلىٰ لمجاهدة شهواته.

فإذا انهمك في التلذذ والاستمتاع بالشهوات انحطَّ إلىٰ أسفل سافلين، ومن ثم التحق إلىٰ رتبة البهائم؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان: ٤٤]، ولكنه إذا قمع شهواته وضبط بعقل وحكمةٍ ارتفع بنفسه إلىٰ أعلىٰ عِلِّيِّين والتحق برتبة الملائكة والمقربين. هذا، وقد تعلَّم الإنسانُ من تجربة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ في الجنة أن له عدوًّا اسمه إبليس يريد أن يستولي عليه وعلىٰ قلبه.

ومعلوم أن الإنسانَ مُكوَّن من قلبٍ وجوارحَ، فالقلب هو الأصل والجوارح تبعٌ له؛ ولذلك فالقلب هو محلُّ العبودية والطاعة والانقياد لله، يحاول الشيطان الاستيلاءَ عليه والتمكُّنَ منه، وله في ذلك أبوابٌ كثيرة، منها باب عظيم هو باب التُّخمة والشِّبَع من الطعام، وإن كان حلالًا صافيًا؛ ذلك أن الشِّبَع يُقوِّي الشهوات، وهي من أسلحة الشيطان.

وفي كثرة الشِّبع وامتلاء البطون خصالٌ مذمومة قد تلتحق بالإنسان، منها: التثاقل عن عبادة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وضياع الأوقات في كثرة النوم والبول وقضاء الحاجات، ومنها أيضًا: ضَعْف التأثُّر بكلام الله تعالىٰ وكلام الرسول ﷺ، وكذلك ذَهاب الرحمة وقلة الاكتراث بحال الفقراء والمساكين ظنًّا منه أنهم مثله في حالٍ من الشِّبَع والهناء، وأخيرًا وليس آخرًا كثرة الأمراض التي قيل فيها: المَعِدة بيت الداء.

ومن رحمة الله وعنايته ورعايته لنا أن كتب علينا الصيام؛ لتزكية نفوسنا، وتطهير قلوبنا؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة: ١٨٣]، وقال النبيُّ ﷺ: «كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ يُضَاعَفُ: الحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا إِلَىٰ سَبْعِمَائَةِ ضِعْفٌ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ؛ يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ: فَرْحَةٌ عِنْدَ فِطْرِهِ، وَفَرْحَةٌ عِنْدَ لِقَاءِ رَبِّهِ. وَلَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ المِسْكِ» [متفق عليه بنحوه من طريق أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ].

فالصيام هو الإمساك عن الشهوات، واجتناب المنهيات، من الفجر إلىٰ المغرب، وهو كفُّ الفرج والبطن عن قضاء الشهوة. وقد جعله الله تعالىٰ أيضًا شهرًا واحدًا في العام، تنبيهًا لنا أن الحياة الدنيا كلها مع طولها ليست إلا كشهرٍ واحد في حياة البشر بالنسبة للحياة الأخرىٰ عند الله، فإن يوم القيامة طوله فقط خمسون ألف سنة، فما بالك بأبد الآبدين. وكما يفرح الصائم بقدوم المغرب يفرح العابد بقدوم لقاء الله؛ «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» [متفق عليه من طريق عبادة بن الصامت رضي الله عنه].

فالذي عاش علىٰ مِزاج أو روح الصيام تبعًا لأمر الله تعالىٰ، فيكون يومُ موته أشبهَ بيوم العيد؛ أي: يوم الإفطار، ومع أن عيد الدنيا يومٌ واحد، ولكن في القيامة أبد الآبدين في النعيم. وليس المطلوب في الحقيقة تَرْك الطعام والشراب، بل المطلوب تَرْك ترتيبات وأهواء النفس، فهو سبحانه لم يمنع الطعام والشراب كلية، وإنما أعاد لنا ترتيب الأولويات وَفْق الترتيب الرباني والمنهج النبوي، فقدَّم طعام الفطور إلىٰ ما قبل الفجر، وأخَّر طعام الغداء أو العَشاء إلىٰ ما بعد المغرب.

وهكذا، فمَن أحسن في صيامه بتقييد شهواته علىٰ وَفْق المنهج النبوي الكريم، أعانه الله علىٰ صيام جوارحه، فيحفظ له جوارحه فلا تشتغل إلا بالطاعات، ومَن أحسن في جوارحه أيضًا كافأه الله بصيام قلبه فلا ينشغل إلا بخالقه ولا ينشغل بشواغل الدنيا التافهة، بل يصبح عبدًا ربَّانيًا، فيقول في حقِّه سبحانه وتعالى: «كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، ويَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَإِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» [متفق عليه من حديث أبي هُرَيرة رضي الله عنه].

وهذا هو مزاج ومقصود الصوم؛ أي: كلما اصطدمت الشهوات في أوقات الحياة المختلفة وألحت علىٰ صاحبها، متعارضةً مع أوامر الله تبارك وتعالىٰ، كما تصطدم مع الصائم شهوتُه ورغبته للطعام اللذيذ- كان واجبًا عليه أن يملك نفسه ويُقيد شهواته وينفذ الأمر الإلهي والهدي النبوي، وهذا هو المطلوب من شهر رمضان وسائر الصيام في كل السنة، فإنما هو تمرين علىٰ مخالفة الشهوات في العمر كله.

وتلك هي مشاعر العبودية المرجوة من الصيام، حياة وَفْق الشريعة، نراعي فيها أوامرَ الله تعالىٰ ومنهج الرسول ﷺ، ونُقدمها علىٰ أمور أنفسنا وشهواتنا.

ويا لِفرحة من كان كذلك يوم القيامة! فعاش مقيدًا لشهوات وأهواء نفسه بتلك الأوامر، ولم يغضب من تلك القيود، فيقف بين الخلائق قائلًا: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: ١٩- ٢٤].

وانظر إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾، وكأنه إشارة إلىٰ حالة الصيام والكف عن ترتيبات النفس التي كان يعيشها الإنسان في الحياة، فتلك هي المكافأة.

ويا لِحَسْرة مَن عاش متحررًا من قيود الشرع رافضًا أوامر ربه وهدي نبيه ﷺ ومتبعًا لشهواته ونزواته! فيقول: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحاقة: ٢٥- ٣٢].

فيُعذَّب هذا المتحرِّر في قيود جهنم عقابًا له علىٰ تلك الفوضىٰ التي عاشها في حياته، ضاربًا بأوامر ربِّه عُرْض الحائط.

* * *

٢١٨- باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه

(١٢٢٢/ ٢١٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ (أي: أكثر الناس كرمًا) مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ، فَلَرَسُولُ الله ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جبرِيلُ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ (أي: المستمرة الهبوب بالرحمة). متفق عليه.

(١٢٢٣/ ٢١٨) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ إِذَا دَخَلَ العَشْرُ أَحْيَا اللَّيلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَشَدَّ المِئْزَر. متفق عليه.

٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا لمن وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه

(١٢٢٤/ ٢١٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَتَقَدَّمَنَّ أَحَدُكُم رَمَضَانَ بِصَوْمِ يَوْمٍ أَوْ يَوْمَيْنِ، إلَّا أنْ يَكُونَ رَجُلٌ كَانَ يَصُومُ صَومَهُ، فَلْيَصُمْ ذَلِكَ اليَوْمَ». متفق عليه.

(١٢٢٥/ ٢١٩) وعنِ ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «لا تَصُومُوا قَبْلَ رَمَضَانَ؛ صُومُوا لِرُؤيَتِهِ، وَأَفْطِرُوا لِرُؤيَتِهِ، فَإنْ حَالَتْ دُونَهُ غَيَايَةٌ فَأكْمِلُوا ثَلاثِينَ يَوْمًا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح». «الغَيَايَةُ» بالغين المعجمة وبالياءِ المثناةِ من تَحت المكررةِ، وهي: السحابة.

(١٢٢٦/ ٢١٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا بَقِيَ نِصْفٌ مِنْ شَعْبَانَ فَلا تَصُومُوا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٢٧/ ٢١٩) وعن أبي اليقظان عمار بن ياسِرٍ رضي الله عنهما قَالَ: مَنْ صَامَ اليَوْمَ الَّذِي يُشَكُّ فِيهِ، فَقَدْ عَصَىٰ أَبَا القَاسِمِ ﷺ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٢٢٠- باب ما يقال عند رؤية الهلال

(١٢٢٨/ ٢٢٠) عن طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إِذَا رَأىٰ الهِلاَلَ، قال: «اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بِالأَمْنِ وَالإيمانِ، وَالسَّلامَةِ وَالإسْلامِ، رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، هِلالُ رُشْدٍ وخَيْرٍ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر

(١٢٢٩/ ٢٢١) عن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «تَسَحَّرُوا؛ فَإنَّ في السُّحُورِ بَرَكَةً». متفق عليه.

(١٢٣٠/ ٢٢١) وعن زيدِ بن ثابتٍ رضي الله عنه قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَىٰ الصَّلاةِ. قيل: كَمْ كَانَ بينهما؟ قَالَ: قَدْرُ خَمْسِين آيَةً. متفق عليه.

(١٢٣١/ ٢٢١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ لرسول الله ﷺ مُؤَذِّنَانِ: بِلالٌ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَالَ رَسولُ الله ﷺ: «إنَّ بلالًا يُؤَذِّنُ بِلَيلٍ، فَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يُؤَذِّنَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ». قَالَ: وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمَا إِلَّا أنْ يَنْزِلَ هَذَا وَيَرْقَىٰ هَذَا. متفق عليه.

(١٢٣٢/ ٢٢١) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وصِيَامِ أهْلِ الكِتَابِ، أكْلَةُ السَّحَرِ». رواه مسلم.

٢٢٢- باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر عليه وما يقوله بعد الإفطار

(١٢٣٣/ ٢٢٢) عن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لا يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ». متفق عليه.

(١٢٣٤/ ٢٢٢) وعن أبي عطِيَّة قَالَ: دَخَلْتُ أنَا وَمَسْرُوقٌ عَلَىٰ عائشة رضي الله عنها، فَقَالَ لَهَا مَسْرُوق: رَجُلانِ مِنْ أصْحَابِ محمَّدٍ ﷺ، كِلاهُمَا لا يَألُو عَنِ الخيْرِ؛ أحَدُهُمَا يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ، وَالآخَرُ يُؤَخِّرُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ فَقَالَتْ: مَنْ يُعَجِّلُ المَغْرِبَ وَالإفْطَارَ؟ قَالَ: عبد الله- يعني ابنَ مسعودٍ- فَقَالَتْ: هكذا كان رسولُ الله يصنعُ. رواه مسلم.

قَوْله: «لا يَألُو» أي: لا يُقَصِّرُ في الخَيْرِ.

(١٢٣٥/ ٢٢٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ عز وجل: أَحَبُّ عِبَادِي إلَيَّ أعْجَلُهُمْ فِطْرًا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٢٣٦/ ٢٢٢) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إذَا أقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هاهُنا (أي: من جهة المشرق)، وَأدْبَرَ النهارُ مِنْ هَاهُنَا، وَغَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَدْ أفطَرَ الصَّائِمُ». متفق عليه.

(١٢٣٧/ ٢٢٢) وعن أَبي إبراهيم عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما قَالَ: سِرْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ، وَهُوَ صَائِمٌ، فَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ قَالَ لِبَعْضِ القَوْمِ: «يَا فُلانُ، انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». فقَالَ: يَا رسولَ الله، لَوْ أمْسَيْتَ؟ قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: إنَّ عَلَيْكَ نَهَارًا، قَالَ: «انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا». قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ لَهُمْ فَشَرِبَ رسولُ الله ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «إذَا رَأيْتُمُ اللَّيْلَ قَدْ أقْبَلَ مِنْ هاهُنَا، فَقَدْ أفْطَرَ الصَّائِمُ». وَأشَارَ بِيَدِهِ قِبَلَ المَشْرِقِ. متفق عليه.

قَوْله: «اجْدَحْ» بجيم ثُمَّ دال ثُمَّ حاءٍ مهملتين، أي: اخْلِطِ السَّوِيقَ بالمَاءِ.

(١٢٣٨/ ٢٢٢) وعن سَلْمان بن عامرٍ الضَّبِّيِّ الصحابي رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إذَا أفْطَرَ أحَدُكُمْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَىٰ تَمْرٍ، فَإنْ لَمْ يَجِدْ، فَلْيُفْطِرْ عَلَىٰ مَاءٍ؛ فَإنَّهُ طَهُورٌ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٣٩/ ٢٢٢) وعن أنس ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يُفْطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّي عَلَىٰ رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ رُطَبَاتٌ فَتُمَيْرَاتٌ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تُمَيْرَاتٌ حَسَا (أي: شرب) حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها

(١٢٤٠/ ٢٢٣) عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلا يَرْفُثْ (أي: لا يفحش في الكلام) وَلا يَصْخَبْ (أي: لا يرفع صوته ولا يغضب علىٰ أحد)، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ». متفق عليه.

(١٢٤١/ ٢٢٣) وعنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ». رواه البخاري.

٢٢٤- باب في مسائل من الصوم

(١٢٤٢/ ٢٢٤) عن أبي هريرة ﷺ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا نَسِيَ أَحَدُكُمْ، فَأَكَلَ، أَوْ شَرِبَ، فَلْيُتِمَّ صَوْمَهُ، فَإِنَّمَا أَطْعَمَهُ اللهُ وَسَقَاهُ». متفق عليه.

(١٢٤٣/ ٢٢٤) وعن لَقِيط بن صَبِرَةَ ﷺ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أَخْبِرْني عَنِ الوُضُوءِ؟ قَالَ: «أَسْبغِ الوُضُوءَ (أي: أتم فرائضه وسننه)، وَخَلِّلْ بَيْنَ الأَصَابِعِ، وَبَالِغْ فِي الاسْتِنْشَاقِ (أي: بإيصال الماء إلىٰ باطن الأنف)، إِلَّا أَنْ تَكُونَ صَائِمًا». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٤٤/ ٢٢٤) وعن عائشة ﷺ قالت: كَانَ رسُولُ الله ﷺ يُدْرِكُهُ الفَجْرُ وَهُوَ جُنُبٌ مِنْ أَهْلِهِ، ثُمَّ يَغْتَسِلُ وَيَصُومُ. متفق عليه.

(١٢٤٥/ ٢٢٤) وعن عائشة وأم سلمة ﷺ قالتا: كَانَ رسولُ الله ﷺ يُصْبِحُ جُنُبًا مِنْ غَيْرِ حُلُمٍ (أي: احتلام)، ثُمَّ يَصُومُ. متفق عليه.

* * *

(أحكام الصيام)

تميز الصوم بكونه ركنًا في الإسلام، كما تميز بفضائل كثيرة؛ ولذلك اختار الله تعالىٰ

أفضل الأوقات ليكون محلًّا لأداء هذه العبادة الشريفة، وهو شهر رمضان، فاختصه بعظيم الفضائل الكونية والربانية العميمة، وجعله سيدًا للشهور كلها.

فأكثر فيه من الغفران، ومحو السيئات، وإقالة العثرات، ورفع الدرجات، ومضاعفة الحسنات، واستجابة الدعوات، ونجَّىٰ فيه من النار كثيرًا ممن استوجبوا دخولها، وأفاض فيه علىٰ الصائمين نعيم الرضوان والنفحات، فكثر فيه العفو، وعظمت فيه البركة، وعم فيه الخير، وتنزلت فيه الرحمة، فكان سيدًا للشهور كلها، لا يعدله سواه من الأوقات.

كما فضله بليلة القدر، وهي الليلة التي أنزل الله ﷻ فيها القرآن علىٰ النبي ﷺ، وميَّزها عن سائر الليالي كافة، فصرح بذكرها في القرآن الكريم، ووصفها بأنها مباركة وبأنها خير من ألف شهر، فالعمل الصالح فيها خير من العمل في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر.

تعريف الصوم: الصوم لغة: هو الإمساك. وشرعًا: هو الإمساك والامتناع عن كل ما يكون مُفطِرًا علىٰ وجهٍ مخصوصٍ من طلوعِ الفجر إلىٰ غروب الشمس.

ويقصد بالإمساك علىٰ وجه مخصوص اجتماع الشروط والأركان التي يجب مراعاتها حتىٰ يُعتبر الصوم صحيحًا، وانتفاء وعدم وجود الأمور التي تمنع من الصيام.

والصوم وسيلة للتحلي بتقوىٰ الله ﷻ وبالإخلاص، وهو وسيلة أيضًا للشكر، كما أنه وسيلة لدفع وساوس الشيطان.

فالمقصود من الصوم: إمساك النفس عن خسيس عاداتها، وحبسها عن شهواتها، ومنعها عن مألوفاتها، ولما كانت النفس مائلة إلىٰ حب الرفعة علىٰ سائر المخلوقات والتكبر عليهم، وغير ذلك من العوائق الحاجبة لها من أن تصل إلىٰ الأنوار الإلهية، جعل الله الصوم سببًا قويًّا في إزالة تلك العوائق، حتىٰ إن أرباب المكاشفات لا يصلون إليها إلا بالصوم؛ لأنه سبب في تواضع النفس، وبتواضعها لا يحوم الشيطان حولها، فتصل إلىٰ تلك الأنوار الصمدية.

وحكمة وجوبه شهرًا؛ ليكون مع الأيام الستة من شوال بعدد أيام السنة؛ لأن الحسنة بعشر أمثالها، فصيام رمضان بعشرة أشهر، وصيام الأيام الستة من شوال بصيام شهرين، فجملة ذلك اثنا عشر شهرًا؛ فلذلك كان المداوم علىٰ فعل ذلك في كل عام كأنه صام الدهر كله.

وخص شهر شَوَّال بالذكر لقربه من شهر رمضان، فيكون صوم الستة في شهر شوال جابرًا لما يقع من خلل في شهر رمضان.

أركان الصوم: للصوم الواجب ركنان، هما:

١- النية: ويشترط أن تكون ليلًا قبل الفجر عند جمهور العلماء.

ولكنها عند الأحناف يصح استحضارها لصيام الفرض في شهر رمضان، وذلك حتىٰ قبل صلاة الظهر؛ أي الزوال، بل ومجرد التسحُّر بشيءٍ من الطعام أو الماء من أجل الصوم يُعد نية مجزئة في صحَّة الصيام؛ لأن السَّحُورَ في نفسه إنما جُعِلَ للصوم، بشرط ألا ينوي المرء بعد طعام السحور أنه لا يصوم، فإن نوىٰ لم يكن السحور مجزئًا للصيام.

ويكون لكل يوم من رمضان نية مستقلة تسبقه، وأجاز الإمام مالك صوم الشهر كله بنية واحدة في أوله. أما إذا كان الصوم غير واجب، أي من النوافل، وليس بفرض كما في شهر رمضان، فيجوز تأخير النية لما بعد الفجر إلىٰ قبيل صلاة الظهر أي الزوال، وذلك في حق من لم يأتِ بفعلٍ من المفطرات وأراد أن يكمل اليوم صائمًا تطوعًا، فله ذلك.

٢- الإمساك عن المفطرات التي يبطل بها الصوم، وهذا الركن لابد منه في الصوم مطلقًا، سواء كان واجبًا أو تطوعًا.

مبطلات الصوم (المفطرات): تنحصر مبطلات الصوم فيما يلي:

١- تعمد إدخال شيء إلىٰ الجوف من منفذ مفتوح كالفم والأنف، ولا تعتبر العين منفذًا مفتوحًا من الناحية الشرعيَّة ولا مسام الجلد. والجوف عند الفقهاء: هو ما يلي حُلْقوم الإنسان كالمعدة والأمعاء والمثانة- علىٰ اختلاف بينهم فيما يتعلق بالمثانة- وباطن الدماغ؛ أي داخله، فإذا تجاوز الـمُفطِّر الحلقوم ودخل الجوف إلىٰ أيِّ واحدة منها من منفذٍ مفتوح ظاهرًا حِسًّا، فإنه يكون مفسدًا للصوم.

٢- تعمد الإيلاج في فرج- قُبُل أو دبر- ولو بلا إنزال.

٣- خروج الـمَنِيِّ- وهو السائل المتعلق بالشهوة- بعد تلامس أو قبلة ونحو ذلك.

٤- الاستقاءة أو التقيؤ، وهو تعمُّد إخراج القيء، أما مَن غلبه القيء بلا تعمد فلا يفطر به.

٥- خروج دم الحيض من المرأة.

٦- خروج دم النفاس بعد الولادة.

٧- الجنون، أن يصاب المرء بجنون في نهار رمضان.

٨- الرِّدَّة، وذلك برفض أحكام الإسلام والارتداد عنها.

الأعذار المبيحة للفطر وحكم من أفطر لعذر منها

١- العجز عن الصيام: لكبر سن، أو مرض مزمن دائم لا يمكن معه الصيام، وحكم ذلك أن يُخرِج فدية عوضًا عن صيام كلِّ يومٍ أفطره، وقدر ذلك مُدٌّ من الطعام، والمُدُّ يساوي بالوزن ٥١٠ جرامات من القمح عند جمهور الفقهاء، أو ما يساويه من النقود بحسب عُرْف كل زمان ومكان.

٢- المشقة الزائدة غير المعتادة: كأن يَشُقَّ عليه الصوم لمرضٍ يُرجىٰ شفاؤه، أو أصابه جوع أو عطش شديد وخاف علىٰ نفسه الضرر، أو كان منتظمًا في عمل شاقٍّ هو مصدر نفقته ولا يمكنه تأجيله ولا يمكنه أداؤه مع الصوم، وحكمه جواز الفطر ووجوب القضاء أي بصومه فيما بعدُ.

٣- السفر: إذا كان السفر مباحًا ليس فيه معصية متعمدة، ومسافة السفر الذي يجوز معه الفطر نحو ثلاثة وثمانين (٨٣) كيلو مترًا فأكثر، سواء كان معه مشقة أم لا، والواجب عليه حينئذٍ قضاء الأيام التي أفطرها بعد ذلك.

٤- الحمل والرضاعة: فإذا خافت الحامل أو المرضع من الصوم علىٰ نفسها جاز لها الفطر ووجب عليها القضاء؛ لكونها في معنىٰ المريض، أما إذا كانت تخاف علىٰ

الجنين دون نفسها، أو عليهما معًا، فإنها تفطر، ويجب عليها القضاءُ في وقتٍ لاحقٍ، والفديةُ كما تقدم عن كل يوم، وعند الحنفيَّة أنه لا يجب عليها إلا القضاء فقط.

٥ - إنقاذ كل ما اعتبر الشرع له حرمة وشرفًا: فإنه إذا توقف إنقاذ إنسان أو نفس ما أو حتىٰ إنقاذ جزء من ذلك الإنسان، كَيَدٍ أو رِجْل أو ما شابه ذلك، علىٰ إفطار الصائم الذي يستطيع إنقاذه وإبعاده عن الهلاك، جاز للصائم الفطر دفعًا لأشد المفسدتين وأكبر الضررين التي هي هلاك تلك النفس أو حتىٰ جزء منها. بل قد يكون واجبًا عليه ذلك، إذا كان من واجباته أن ينقذ نفس إنسان لا منقذ له غيره، ويجب عليه القضاء بعد ذلك في وقت لاحق.

مستحبات الصوم: يستحب في الصوم التسحر بشيء من الطعام أو حتىٰ الماء، وتأخير السُّحور، وتعجيل الفطر، والدعاء عند الفطر وفي أثناء الصيام.

ومما رُوي من دعائه ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «ذَهَبَ الظَّمَأُ وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللهُ» [أبو داود كتاب «الصيام» باب «القول عند الإفطار» حديث (٢٣٥٧) من طريق عبد الله بن عمر رضي الله عنهما].

ويستحب الإفطار علىٰ رُطَبات، فإن لم يكن فعلىٰ تمرات، فإن لم يكن فعلىٰ ماء.

كما يستحب الكفُّ عما يتنافىٰ مع الصيام وروحانيته. فعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»

[البخاري في كتاب «الصوم» باب «من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم» حديث (١٨٠٤)].

أشياء يباح للصائم فعلها: يباح للصائم الاكتحال حتىٰ ولو وجد طعم الكحل في حلقه، واستعمالُ أنواع القطر المختلفة في العين حتىٰ ولو وصل إلىٰ الحلق، وذلك هو المختار في الفتوىٰ. ويباح الادِّهان بالزيوت والمستحضرات الطبية المختلفة علىٰ الجسم والشعر، حتىٰ ولو وصل إلىٰ جوفه من خلال مسام الجلد والبشرة.

واستعمال السواك قبل الزوال، أي قبل الظهر، وكذلك يباح له الاغتسال طوال النهار. ويباح للصائم استعمال الحقن عن طريق الجلد، سواء كان في العضل أو في

الوريد، بخلاف الحقنة الشرجية فإنها مفطرة، وإن كانت عند المالكيَّة مكروهة فقط فلا يجب القضاء عندهم بالحقنة الشرجية.

ويباح للصائم النوم ولو استغرق جميع النهار، بشرط ألا يتعمد بذلك تضييع الصلوات، فإن ذلك حرام، وكذلك يباح له بَلْع ما لا يمكن الاحتراز منه كبلع الريق، وغبار الطريق، كما يباح شم الروائح الطيبة.

مكروهات الصيام: يكره للصائم أمور، يُثاب علىٰ تركها، ولكنه إذا فعلها لا يبطل صومه، منها: المبالغة في المضمضة والاستنشاق، وتذوُّق الطعام حتىٰ ولو بغير حاجة. ويكره له أن يجمع رِيقَه ويبتلعه مُتعمِّدًا.

كما يُكره له القُبْلة للذي لا يأمن أن تُحرِّك شهوته. كما يكره له الملامسة أو المباشرة ودواعي الوطء والجماع. ويكره له الحجامة؛ لأنها تُضعف الصائم. كما يكره له شَمُّ ما لا يأمن أن تجذبه أنفاسه إلىٰ حَلْقه إذا كان له جِرْم كالتراب، كمسحوق المِسْك والبخور وما شابهه.

ويكره للصائم الانشغال باللهو واللعب وتَرْك الطاعات في أثناء الصيام. كما يكره استعمال السواك بعد الزوال أي بعد الظهر، وذلك عند الشافعيَّة ورواية عند الحنابلة، خلافًا للجمهور فليس عندهم مكروهًا في استعماله طول النهار.

ما يتعلق بهذا الشهر الكريم من طاعات:

يستحب في هذا الشهر الكريم تعليم وتعلم القرآن الكريم وتلاوته وختمه، تأسيًا به ﷺ. كما يستحب كذلك تعليم وتعلم كل ما يتعلق بسنة المصطفىٰ ﷺ وسيرته الحميدة، وسيرة أصحابه الكرام والسادة العلماء الأفاضل؛ ليدفعنا ويستحثنا ذلك إلىٰ متابعتهم والاقتداء بهم. كما يستحب قيام ليل رمضان بصلاة التراويح والتهجد، وقد اتفق المسلمون علىٰ سنية قيام ليالي رمضان.

وصلاة التراويح عشرون ركعة من غير الوتر، وثلاث وعشرون ركعة بالوتر، وهذا بإجماع الصحابة منذ عهد عمر رضي الله عنه، وهو ما عليه عمل المسلمين سلفًا وخلفًا في اجتماعهم لهذه الصلاة، وهو معتمد المذاهب الفقهية الأربعة.

وأما فيما يتعلق بصلاة التراويح إحدىٰ عشرة ركعة فهو قولٌ لبعض المتأخرين، حيث فهموا ذلك من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رسولَ الله ﷺ ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدىٰ عشرة ركعة... الحديث. فهو يحكي عن هَدْيه ﷺ في قيام الليل عمومًا، ولم يتعرض لصلاة التراويح، وهي التي كانت سنة سنها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من تجميع الناس علىٰ قيام رمضان، وعلىٰ عدد الركعات التي جَمَعَ الناس عليها، وراء أبي بن كعب، عملًا بقوله ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي».

فما عليه الأئمة والعلماء والمذاهب الفقهية سلفا وخلفًا، أن صلاة التراويح عشرون ركعة. وهي سنة مؤكدة، وليست واجبة، فمن تركها حُرِمَ أجرًا عظيمًا، ومن زاد عليها فلاحرج، ومن نقص عنها فلا حرج عليه. والله تعالىٰ أعلم.

ويستحب في رمضان الاعتكاف أيضًا، وهو شرعًا: المكوث واللبث في المسجد ممن أراد ذلك بنية الاعتكاف. وقد أجمعت الأمة علىٰ أنه من سنة المصطفىٰ ﷺ، وهو في العشر الأواخر من رمضان أفضل منه في غيره؛ لطلب ليلة القدر بالصلاة والقراءة وكثرة الدعاء، فإنها أفضل ليالي السنة.

وإحياء ليلة القدر مستحب، وهي ليلة من ليالي شهر رمضان، تنزل فيها مقادير الخلائق إلىٰ السماء الدنيا، ويستجيب الله فيها الدعاء، وهي الليلة التي نزل فيها القرآن العظيم. وقد اختلف أهل العلم في أرجىٰ هذه الليالي، فرُوي أنها ليلة إحدىٰ وعشرين، وروي أيضًا أنها ليلة ثلاث وعشرين، وليلة أربع وعشرين، وليلة خمس وعشرين، وليلة سبع وعشرين، وليلة تسع وعشرين، وآخر ليلة، فقد وردت في كل هذه الليالي روايات، وجمع بعض أهل العلم بين هذه الروايات بأنها تنتقل في ليالي العشر.

كما يستحب فيه العمرة، وهي تعدل حجَّةً في الثواب إذا أُديت في رمضان، لا أنها تقوم مقامها في إسقاط الفرض. كما يستحب فيه الإكثار من فعل النوافل بأنواعها المختلفة، فإن ثوابها فيه مضاعف، ومن النوافل كثرة الذكر، فإنه ينير القلب والجوارح.

كما يستحب فيه دعوة الناس إلىٰ الله تعالىٰ، وتعليمهم دينَهم وأحكامَه المختلفة وحكمته العظيمة، وتقريبهم إلىٰ الله تعالىٰ في هذه الأوقات العظيمة، ودَفْعهم وحثُّهم وترغيبهم علىٰ الإقبال عليه بلا تردد، وهو من أعظم القربات عند الله تبارك وتعالىٰ، اقتداءً بالأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وعلىٰ رأسهم سيدنا محمد ﷺ، تحقيقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

أحكام صدقة أو زكاة الفطر:

زكاة الفطر: هي الزكاة التي يجب إخراجها علىٰ المسلم قبل صلاة عيد الفطر بمقدار محدد، صاع من غالب قُوت البلد، علىٰ كل نَفْس من المسلمين. ويُخرِجها عائلُ الأسرة عمن تلزمه نفقته، سواء كان زوجة أو أولادًا أو حتىٰ إخوة أو آباء وأمهات ملزمًا بالنفقة عليهم. وقد شرعها الله تعالىٰ طُهرة للصائم من اللغو والرفث، وإغناء للمساكين عن السؤال في يوم العيد.

متى تجب زكاة الفطر على الصائم؟

تجب زكاة الفطر بدخول فجر يوم العيد عند الحنفيَّة. بينما يرىٰ الشافعيَّة والحنابلة أنها تجب بغروب شمس آخر يوم من رمضان. وأجاز المالكيَّة والحنابلة إخراجها قبل وقتها بيوم أو يومين. ولا مانع شرعًا من تعجيل زكاة الفطر من أول دخول رمضان، كما هو الصحيح عند الشافعيَّة. وإخراجُ زكاة الفطر طعامًا كما في السنة النبوية المطهرة، وعليه جمهور فقهاء المذاهب المتبعة.

وإخراج قيمة زكاة الفطر نقودًا أمر جائز ومجزئ للصائم، حيث قال بذلك فقهاء الحنفيَّة، وجماعة من كبار التابعين، وطائفة من أهل العلم قديمًا وحديثًا، وهو أيضًا رواية مُخرَّجة عن الإمام أحمد، وهو المفتىٰ به بدار الإفتاء المصرية. وذلك لأن مقصود الزكاة هو إغناء الفقراء يومهم هذا حتىٰ يصبح لهم عيدًا، وهذا يحصل بإخراج القيمة النقدية،

وذلك لمن يقيم في المدينة وما شابهها ممن يستعملون النقود وكانت الأصل في حياتهم، فيكون بذلك هو الأقرب إلىٰ منفعة الفقير؛ حيث يتمكن بها من شراء ما يحتاج إليه.

أما إخراج الزكاة علىٰ شكل طعام فلا شك هو الأفضل في حق المزارعين، والذين يتعاملون بالحبوب وما شابهها في حياتهم بالمقايضة ونحو ذلك.

ويجوز إعطاء زكاة الفطر لهيئة خيرية معتمدة أمينة سبق أن نبه عليها أهل الاختصاص حيث تكون وكيلة عن صاحب الزكاة في إخراجها إلىٰ مستحقيها.

(صيام ست من شوال)

ومن الأعمال الصالحة المستحبة المتعلقة بشهر رمضان صيام ستة أيام من شوال، ويستحب أن يصومها متتابعة في أول الشهر بعد يوم العيد؛ لما في ذلك من المسارعة إلىٰ الخير، فإن فرقها أو أخرها عن شوال جاز له ذلك، وكان فاعلًا لأصل هذه السنة؛ لعموم الحديث وإطلاقه، ولا يجوز صوم يوم العيد.

* * *

٢٢٥- باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم

(١٢٤٦/ ٢٢٥) عن أبي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الصِّيَامِ بَعْدَ رَمَضَانَ شَهْرُ اللهِ المُحَرَّمُ، وَأَفْضَلُ الصَّلاةِ بَعدَ الفَرِيضَةِ صَلاةُ اللَّيْلِ**». رواه مسلم.

(١٢٤٧/ ٢٢٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ مِنْ شَهْرٍ أَكْثَرَ مِنْ شَعْبَانَ، فَإنَّهُ كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ كُلَّهُ.

وفي رواية: كَانَ يَصُومُ شَعْبَانَ إلَّا قَلِيلًا. متفق عليه.

(١٢٤٨/ ٢٢٥) وعن مُجِيبَةَ البَاهِلِيَّة عن أبيها أو عمها: أنه أتىٰ رسولَ الله ﷺ، ثُمَّ انطَلَقَ فَأَتَاهُ بَعْدَ سَنَةٍ- وَقَدْ تَغَيَّرَتْ حَالُهُ وَهيئَتُهُ- فَقَالَ: يَا رسولَ الله، أمَا تَعْرِفُنِي؟ قَالَ: «**وَمَنْ أَنْتَ؟**» قَالَ: أَنَا البَاهِلِيُّ الَّذِي جِئْتُكَ عام الأَوَّلِ. قَالَ: «**فَمَا غَيَّرَكَ، وَقَدْ كُنْتَ حَسَنَ الهَيْئَةِ؟**» قَالَ: مَا أكَلْتُ طَعَامًا مُنْذُ فَارَقْتُكَ إلَّا بِلَيْلٍ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «**عَذَّبْتَ نَفْسَكَ**» ثُمَّ قَالَ:

«صُمْ شَهْرَ الصَّبْرِ، وَيومًا مِنْ كُلِّ شَهْرٍ». قَالَ: زِدْنِي، فَإِنَّ بِي قُوَّةً. قَالَ: «صُمْ يَوْمَيْنِ». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ». قَالَ: زِدْنِي. قَالَ: «صُمْ مِنَ الحُرُمِ (أي: الأشهر الحرم، وهي أربعة أشهر: رجب، وذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم) وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ، صُمْ مِنَ الحُرُمِ وَاتركْ». وَقَالَ بأصابعه الثَّلاثِ فَضمَّها، ثُمَّ أَرْسَلَهَا (أي: أشار ﷺ بأصابعه الثلاث إلىٰ أنه لا يزيد علىٰ الثلاث المتواليات، أو أنه يصوم ثلاثًا ويترك ثلاثًا). رواه أبو داود. و«شَهْرِ الصَّبرِ»: رَمَضَان.

٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأُوَل من ذي الحجة

(١٢٤٩/ ٢٢٦) عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ أَيَّامٍ العَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَحَبُّ إِلَىٰ اللهِ مِنْ هذِهِ الأَيَّامِ». يعني: أيام العشر. قالوا: يا رسولَ الله، ولا الجِهَادُ في سَبيل الله؟ قَالَ: «وَلا الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ». رواه البخاري.

٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء

(١٢٥٠/ ٢٢٧) عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سُئِلَ رسول الله ﷺ عن صَومِ يَوْمِ عَرَفَةَ، قَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ وَالبَاقِيَةَ». رواه مسلم.

(١٢٥١/ ٢٢٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ صَامَ يَومَ عاشوراءَ وَأَمَرَ بِصِيامِهِ. متفق عليه.

(١٢٥٢/ ٢٢٧) وعن أَبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صِيامِ يَوْمِ عَاشُوراءَ، فَقَالَ: «يُكَفِّرُ السَّنَةَ المَاضِيَةَ». رواه مسلم.

(١٢٥٣/ ٢٢٧) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَئِنْ بَقِيتُ إِلَىٰ قَابلٍ (أي: إلىٰ العام التالي) لأَصُومَنَّ التَّاسِعَ». رواه مسلم.

٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال

(١٢٥٤/ ٢٢٨) عن أَبي أيوب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ رَمَضَانَ ثُمَّ أَتْبَعَهُ سِتًّا مِنْ شَوَّالٍ كَانَ كَصِيَامِ الدَّهْرِ». رواه مسلم.

٢٢٩- باب استحباب صوم الإثنين والخميس

(١٢٥٥/ ٢٢٩) عن أبي قتادة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ سُئِلَ عَنْ صَومِ يَوْمِ الإِثْنَيْنِ، فَقَالَ: «ذَلِكَ

يَومٌ وُلِدْتُ فِيهِ، وَيَومٌ بُعِثْتُ، أَوْ أُنْزِلَ عَلَيَّ فِيهِ (أي: القرآن)». رواه مسلم.

(١٢٥٦/ ٢٢٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قَالَ: «**تُعْرَضُ الأَعْمَالُ يَومَ الإِثْنَيْنِ وَالخَميسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَملي وَأَنا صَائِمٌ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». ورواه مسلم بغير ذكر الصوم.

(١٢٥٧/ ٢٢٩) وَعَنْ عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رَسُول الله ﷺ يَتحَرَّىٰ صَومَ الإِثْنَيْنِ وَالخَمِيس. رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر

والأفضل صومُها في الأيام البيض، وهي الثالثَ عشر والرابعَ عشر والخامسَ عشر، وقيل: الثاني عشر، والثالِثَ عشر، والرابعَ عشر، والصحيح المشهور هُوَ الأول.

(١٢٥٨/ ٢٣٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أَوْصَانِي خَلِيلي ﷺ بِثَلاثٍ: صِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَي الضُّحَىٰ، وَأَنْ أُوتِرَ قَبْلَ أَنْ أَنَامَ. متفق عليه.

(١٢٥٩/ ٢٣٠) وعن أبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: أوصاني حَبِيبي ﷺ بِثَلاثٍ لَنْ أَدَعَهُنَّ مَا عِشتُ: بِصِيَامِ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَصَلاةِ الضُّحَىٰ، وبِألا أنامَ حتىٰ أُوتِرَ. رواه مسلم.

(١٢٦٠/ ٢٣٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العَاصِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**صَومُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ صَومُ الدَّهْرِ كُلِّهِ**». متفق عليه.

(١٢٦١/ ٢٣٠) وعن مُعاذَةَ العدويةِ: أنها سألت عائشةَ رضي الله عنها: أكان رسول الله ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أيَّامٍ؟ قالت: نَعَمْ. فقلتُ: مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ كَانَ يَصُومُ؟ قالت: لَمْ يَكُنْ يُبَالِي مِنْ أَيِّ الشَّهْرِ يَصُومُ. رواه مسلم.

(١٢٦٢/ ٢٣٠) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «**إِذَا صُمْتَ مِنَ الشَّهْرِ ثَلاثًا، فَصُمْ ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٢٦٣/ ٢٣٠) وعن قتادة بن مِلْحَان رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَأْمُرُنَا بِصِيَامِ أَيَّامِ البِيضِ: ثَلاثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ. رواه أبو داود.

(١٢٦٤/ ٢٣٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ لا يُفطِرُ أَيَّامَ البِيضِ فِي حَضَرٍ وَلا سَفَرٍ. رواه النسائي بإسناد حسن.

٢٣١- باب فضل من فطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده

(١٢٦٥/ ٢٣١) عن زيد بن خالد الجُهَنيِّ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ فَطَّرَ صَائِمًا، كَانَ لَهُ مِثْلُ أجْرِهِ، غَيْرَ أنَّهُ لا يُنْقَصُ مِنْ أجْرِ الصَّائِمِ شَيْءٌ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٦٦/ ٢٣١) وعن أُمِّ عُمَارَةَ الأنصاريَّةِ رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا، فَقَدَّمَتْ إلَيْهِ طَعَامًا، فَقَالَ: «كُلِي». فَقَالَتْ: إنِّي صَائِمَةٌ. فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الصَّائِمَ تُصَلِّي عَلَيْهِ (أي: تستغفر له) المَلائِكَةُ إذَا أُكِلَ عِنْدَهُ (أي: ومالت نفسه إلىٰ المأكول واشتد صومه عليه) حَتَّىٰ يَفْرغُوا». وربما قال: «حَتَّىٰ يَشْبَعُوا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٢٦٧/ ٢٣١) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ جاءَ إلَىٰ سعد بن عُبَادة رضي الله عنه فَجاءَ بِخُبْزٍ وَزَيْتٍ، فَأكَلَ، ثم قال النبي ﷺ: «أفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ؛ وَأكَلَ طَعَامَكُمُ الأبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ المَلائِكَةُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

❋ ❋ ❋

٩- كتاب الاعتكاف

٢٣٢- باب فضل الاعتكاف في رمضان

(١٢٦٨/ ٢٣٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ. متفق عليه.

(١٢٦٩/ ٢٣٢) وعن عائشة رضي الله عنها: أنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يَعْتَكِفُ العَشْرَ الأوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ، حَتَّىٰ تَوَفَّاهُ اللهُ تَعَالَىٰ، ثُمَّ اعْتَكَفَ أزْوَاجُهُ مِنْ بَعْدِهِ. متفق عليه.

(١٢٧٠/ ٢٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كان النبي ﷺ يَعْتَكِفُ فِي كُلِّ رَمَضَانَ عَشْرَةَ أيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ العَامُ الَّذِي قُبِضَ فِيهِ اعْتَكَفَ عِشْرِينَ يَوْمًا. رواه البخاري.

❋ ❋ ❋

١٠- كتاب الحج

٢٣٣- باب وجوب الحج وفضله

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [آل عمران: ٩٧].

(١٢٧١/ ٢٣٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «بُنِيَ الإِسْلامُ عَلَى خَمْسٍ: شَهَادَةِ أنْ لا إلهَ إِلَّا اللهُ، وَأنَّ مُحَمَّدًا رسولُ الله، وَإقَامِ الصَّلاةِ، وَإيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَحَجِّ البَيْتِ، وَصَوْمِ رَمَضَانَ». متفق عليه.

(١٢٧٢/ ٢٣٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: خَطَبَنَا رسولُ الله ﷺ فَقَالَ: «يا أَيُّهَا النَّاسُ، قَدْ فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمُ الحَجَّ فَحُجُّوا». فَقَالَ رَجُلٌ: أكلَّ عام يا رسول الله؟ فَسكَت، حتىٰ قالها ثلاثًا. فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَوْ قُلْتُ: نَعَمْ. لَوَجَبَتْ، ولَمَا اسْتَطَعْتُمْ». ثُمَّ قَالَ: «ذَرُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ؛ فَإنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِكَثْرَةِ سُؤالِهِمْ، وَاخْتِلافِهِمْ عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِمْ، فَإذَا أمَرْتُكُمْ بِشَيءٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ، وَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَدَعُوهُ». رواه مسلم.

(١٢٧٣/ ٢٣٣) وعنه قَالَ: سُئِلَ النَّبيُّ ﷺ: أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمَانٌ بالله ورسولِهِ». قِيلَ: ثُمَّ مَاذا؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ الله». قيلَ: ثم ماذا؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفق عليه.

«المبرور» هُوَ: الَّذِي لا يرتكبُ صاحِبُهُ فِيهِ معصيةً. (أي: وقد قدم النبي ﷺ الجهاد علىٰ الحج لأنه كان واجب الوقت آنذاك، فكانت المدينة المنورة مستهدفة ممن حولها جميعًا. والأمر واسع ويرجع فيه إلىٰ ولي الأمر).

(١٢٧٤/ ٢٣٣) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ حَجَّ، فَلَمْ يَرْفُثْ (أي: اسم للفحش من القول، أو هي جامعة لكل ما يريده الرجل من المرأة)، وَلَمْ يَفْسُقْ (أي: يقترف معصية)، رَجَعَ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». متفق عليه.

(١٢٧٥/ ٢٣٣) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «العُمْرَةُ إلَىٰ العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةَ». متفق عليه.

(١٢٧٦/ ٢٣٣) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، نَرَىٰ الجِهَادَ أَفْضَلَ العَمَلِ، أفَلا نُجَاهِدُ؟ فقَالَ: «لَكِنَّ أفْضَلَ الجِهَادِ: حَجٌّ مَبْرُورٌ». رواه البخاري.

(١٢٧٧/ ٢٣٣) وعنها: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ أكْثَرَ مِنْ أنْ يُعْتِقَ اللهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ». رواه مسلم.

(١٢٧٨/ ٢٣٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «عُمْرَةٌ في رَمَضَانَ تَعْدِلُ حَجَّةً- أو- حَجَّةً مَعِي». متفق عليه.

(١٢٧٩/ ٢٣٣) وعنه: أنَّ امْرأةً قالت: يَا رسولَ الله، إنَّ فَرِيضَةَ الله عَلَىٰ عِبَادِهِ في الحَجِّ أدْرَكَتْ أَبِي شَيْخًا كَبِيرًا لا يَثْبُتُ (أي: لا يستطيع أن يستوي) عَلَىٰ الرَّاحِلَةِ، أفَأحُجُّ عَنْهُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». متفق عليه.

(١٢٨٠/ ٢٣٣) وعن لَقِيطِ بن عَامِرٍ رضي الله عنه: أنَّه أتىٰ النبيَّ ﷺ فقَالَ: إنَّ أَبِي شَيْخٌ كَبِيرٌ، لا يَسْتَطِيعُ الحَجَّ، وَلا العُمْرَةَ، وَلا الظَّعْنَ. قَالَ: «حُجَّ عَنْ أَبِيكَ وَاعْتَمِرْ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٨١/ ٢٣٣) وعن السائب بن يزيد رضي الله عنه قَالَ: حُجَّ بِي مَعَ رسولِ الله ﷺ، في حَجةِ الوَدَاعِ وَأنَا ابنُ سَبعِ سِنِينَ. رواه البخاري.

(١٢٨٢/ ٢٣٣) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ لَقِيَ رَكْبًا (أي: أصله أن يستعمل في عشرة أفراد فما دونها) بالرَّوْحَاءِ (أي: مكان علىٰ ستة وثلاثين ميلًا من المدينة)، فَقَالَ: «مَنِ القَوْمُ؟» قَالُوا: المُسْلِمُونَ. قالوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: «رسولُ الله». فَرَفَعَتِ امْرَأةٌ صَبيًّا، فَقَالَتْ: ألِهَذَا حَجٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَلَكِ أجْرٌ». رواه مسلم.

(١٢٨٣/ ٢٣٣) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ حَجَّ عَلَىٰ رَحْلٍ وَكانت زَامِلَتَهُ (أي: الزاملة: البعير الذي يحمل عليه الطعام والمتاع). رواه البخاري.

(١٢٨٤/ ٢٣٣) وعن ابن عباسٍ رضي الله عنهما قَالَ: كَانَتْ عُكَاظُ (أي: سُوقٌ بين مكة والطائف)، وَمَجِنَّةُ (أي: سوق بأسفل مكة)، وَذُو المَجَازِ (أي: سوق بناحية) أَسْوَاقًا في الجَاهِلِيَّةِ، فَتَأثَّمُوا (أي: تركوا التجارة في الحج حذرًا من الإثم) أن يَتَّجِرُوا في المَوَاسِمِ، فَنَزَلَتْ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] في مَوَاسِمِ الحَجِّ. رواه البخاري.

❊ ❊ ❊

(حكمة الحج)

إن اللهَ تبارك وتعالىٰ جعل الوصولَ إلىٰ محبته بالتنزُّه عن الشهوات والكفِّ عن اللذات والتجرُّد له في جميع الحركات والسكنات؛ ولهذا فرض علينا الحجَّ قربة له.

وقد شرَّف البيت العتيق بالإضافة لنفسه ﷻ، وجعله مقصدًا لعباده، وجعل ما حَوَالَيْهِ حرمًا لبيته تفخيمًا لأمره. فكما أن للزكاة حكمة في الرفق بالفقراء، وللصوم كسرًا للشهوات وتفرُّغًا للعبادات، وفي الصلاة من الركوع والسجود ما هو تواضعٌ للنفوس وأنسٌ بتعظيم الله ﷻ، فللحج أيضًا كذلك من أعمال تُظهر كمالَ الرِّق والعبودية لربِّ الأرض والسماء.

فأعمال الحجِّ، من تردُّدات السعي، ورمي الجمار، وأمثال هذه الأعمال، القيام عليها والباعث إليها فقط هو الأمر المجرد والاتباع المطلق والانقياد الكامل تعبدًا لله ورِقًّا، حتىٰ لو عجز العقل عن بعض حكمته ومنافعه إيمانًا بحكمة الله المطلقة وثقة في أنه ينفعنا بذلك، فإذا استأنس العبدُ ببعض أسرار هذه التعبُّدات، في تفهُّم أصل الحج، فقد يبعثه الشوقُ بعد الفهم والتحقُّق إلىٰ التجهز لبيت الله ﷻ، قاصدًا مولاه، طالبًا عفوه ورضاه.

فإن اللهَ وضع لنا البيت، وهي الكعبة المشرفة، علىٰ مثال حضرة الملوك ليتيسر لعباده استحضار التعظيم والاحترام في مثل هذه الأماكن مع أنه ﷻ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير؛ ليزداد التعظيم والشوق إلىٰ لقاء الله فيها، فالقاصد إلىٰ البيت الحرام إنما هو في الحقيقة زائرٌ لله تبارك وتعالىٰ في الدنيا، وجديرٌ بأن يُرزَق بحسن لقاء الله يوم القيامة والنظر إلىٰ وجهه الكريم في الدار المعمورة في جنات عدن.

فيعزم الحاجُّ قاصدًا مفارقةَ الأهل والأوطان، مهاجرًا الشهوات واللذات، متوجهًا لزيارة بيت الله ﷻ، خالصًا وجهه لله، بعيدًا عن الرياء والسمعة، فيقوم بردِّ المظالم، والتوبة والإنابة الخالصة لله تعالىٰ عن جملة المعاصي.

فإن من يرغب في قبول الزيارة من الله، عليه أن يُنفِّذ أوامرَه أولًا، ويردَّ المظالم لأصحابها، ويعلن توبته من جميع المعاصي، ويقطع علائق قلبه عن المخلوقين، ويتوجَّه إلىٰ بيته الكريم، وإلا لن يُصيبه من السفر إلا التعب والشقاء. وَلْيكتبْ وصيَّته لأولاده وأهله، وليتجهَّز لسفره بالزاد الحلال متذكرًا سفر الآخرة الذي هو أطول من هذا السفر، وأن زاده الحقيقي هو التقوىٰ، فهو لن يبقىٰ معه عند ذلك الموقف العظيم من لقاء الله تعالىٰ طعام ولا شراب، وإنما هي الأعمال الصالحة والدعوات الكريمة.

وَلْيتذكر عند ركوبه الراحلةَ أيًّا كانت، أنه كأنما يركب إلىٰ الدار الآخرة، وكأنه في جنازة يُحمل عليها، ويَنظر في أعماله التي يصحبها معه إلىٰ الآخرة كما ينظر إلىٰ أدواته التي يصحبها إلىٰ سفره الكريم، فزادُ ذلك السفر أدواتٌ للحياة، وزاد الآخرة الأعمال الصالحة والتقوىٰ.

وَلْيتذكر بثوبي الإحرام عند ارتدائهما ذلك الكفنَ الذين سيرتديه ويلقىٰ به ربه يوم القيامة؛ لأنه لن يتم سفره إلا به، وأنه لن يلقىٰ الله ﷻ إلا ملفوفًا في ثياب الكفن كما يَلْقىٰ بيتَ الله ﷻ بثوبي الإحرام مخالفًا عاداته في الزِّي والهيئة، لا مَخِيط فيه ولا زينة، لِيَذكر حالَ وقوفه بين يدي الله ﷻ بلا مالٍ ولا جاهٍ، وإنما تقوىٰ الله في القلوب. وأما سفرُه وخروجه من بلده فكأنه مفارق للأهل والوطن، متوجِّه إلىٰ الله ﷻ في سفرٍ يُضاهي سفرَ يومِ القيامة، فَلْيُحضِر ذلك في قلبه، وأنه مسافرٌ قاصدًا ربَّه في الحجِّ وفي الموت.

وأما الإحرام والتلبية من الميقات فَلْيعلم أنها إجابةٌ لنداء الله ﷻ الذي ناداه منذ زمن إبراهيم، فيكون بين الرجاء والخوف مترددًا شاكرًا لربه علىٰ تيسير ذلك الأمر عليه.

وأما دخول مكة المكرمة فليتذكر عند ذلك أنه انتهىٰ إلىٰ حَرَمِ الله تعالىٰ آمنًا، وَلْيَرْجُ عند ذلك أن يأمن بدخولِه من عقاب الله ﷻ حين يلقاه يوم القيامة، فليدخل ذليلًا متواضعًا معظمًا للبيت وأهله مراعيًا لحقِّه عليه، فإذا وقع بصره علىٰ البيت فَلْينبغي أن يستحضر عند ذلك عظمة أن يُرزَق النظر إلىٰ وجه الله الكريم يوم القيامة.

وأما الطواف بالبيت فهو صلاةٌ خاصة بذلك البيت، فليستحضر في قلبه التعظيمَ والخوف والرجاء والمحبة، متشبهًا بالملائكة المقربين الحافين حول العرش الطائفين به.

واعلم أن المقصودَ هو طواف قلبك مع طواف جسمك، فطواف القلب بحضرة الربوبية والبيت مثال ظاهر في عالم المُلك والدنيا، والأسباب لتلك الحضرة التي لا تُشاهد بالبصر، وإنما هي عالم الملكوت والقدرة الغيبية. فالبيت المعمور في السموات بإزاء الكعبة في الأرض، وطواف الملائكة به كطواف الإنس بهذا البيت، فأُمرنا بالتشبُّه بهم بحسب الإمكان علىٰ أن يرزقنا الله تبارك وتعالىٰ أن نرىٰ بيتَه المعمور يوم أن نلقاه.

ثم إن استلام الحجر إنما هو مبايعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ علىٰ الطاعة، بالعزيمة علىٰ الوفاء، وترك المعصية والمخالفات. ثم إن التعلُّق بأستار الكعبة المشرفة والالتصاق بباب الملتزم، وهو باب دخول الكعبة، كأنه طلبٌ للقرب حبًّا وشوقًا للبيت ولربِّ البيت وتبركًا به؛ رجاء التحصُّن عن النار مع الإلحاح في طلب المغفرة وسؤال الأمن والأمان، كالمذنب المتعلق بثيابِ مَن أذنب إليه متضرعًا طالبًا عَفْوه، فلا ملجأ من الله إلا إليه.

وأما السعي بين الصفا والمروة بعد الطواف حول الكعبة، فإنه يُذكِّرنا بسَعْي العبد بدار ملك الملوك خوفًا من عقابه وطلبًا لثوابه، كالذي دَخَل علىٰ الملك وخرج وهو لا يدري ما يقضي به الملكُ في حقِّه مِن قَبول أو رفض، فلا يزال يتردَّد في فناء الدار مرةً بعد أخرىٰ يرجو رحمةَ الله ويخشىٰ عقابه.

وَلْيتذكر عند تردُّده بين الصفا والمروة حَيْرته بين كفتي الميزان في عَرَصات يوم القيامة، كفة الحسنات وكفة السيئات، مترددًا بين الربحان والنقصان وبين العذاب والغفران.

وأما الوقوف بعرفة بما فيه من ازدحام الخلق وارتفاع الأصوات واختلاف اللغات، إنما يذكرنا باجتماع الأمم يوم القيامة مع الأنبياء والأئمة والشرفاء، واقتداء كلِّ أمةٍ بنبيها، وطمعهم في شفاعته، والحيرة في ذلك الصعيد بين الردِّ والقبول، عند ذلك يلهج قلبه في الضراعة والابتهال أن يُحشَر مع زمرة الفائزين المرحومين.

وعليه أن يُحسِن الظنَّ بعفو الله تعالىٰ في ذلك الموقف الذين يقفه بعرفات؛ حيث إن فيه طبقاتٍ من الصالحين وأرباب القلوب العارفين الذين اجتمعت هِمَمُهم وتجرَّدت للضراعة والابتهال وارتفعت أيديهم إلىٰ السماء وامتدت أعناقهم إلىٰ رب الأرض والسماء؛ طلبًا للرحمة والعفو، فلا يظن أن الله يضيع أملهم ويخيب سعيهم ويُشقي صاحبهم وجليسهم؛ لأن ذلك من أعظم الذنوب أن يحضر عرفات ويظن أن الله تعالىٰ بعد أن وفقه إلىٰ ذلك أنه لا يغفر له ويرجعه خائبًا حسيرًا.

وأما رَمْي الجمار فالقصد به إظهارُ الرِّق والعبودية، والتشبُّه بإبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما عرض له إبليس لعنه الله تعالىٰ في ذلك الموضع ليفتنه عن أمر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فرماه بالحجارة

طردًا وقطعًا لأمره، حتىٰ يتعلَّم العبدُ أن يطرد عن نفسه شبهات ووساوس إبليس، ويُرغم أنفه، وذلك بالامتثال لأمر الله تعالىٰ في كل وقت وحين.

وفي الظاهر ترمي الحصىٰ إلىٰ جمرة العقبة، وإنما في الحقيقة ترمي به وجهَ إبليس وتقصِم به ظهره وتُرغم به أنفه تحقيرًا لأمر إبليس وتعظيمًا لأمر الله تعالىٰ.

وأما ذَبْحُ الهدي فهو التقرُّب إلىٰ الله تعالىٰ بالامتثال لأمره، بأنه يُبدي استعدادَه لِأَنْ يذبح كلَّ شهواتِ نفسه وكلَّ أهوائها تبعًا لأمر الله ﷻ، ولا يذبح أمرَ الله ﷻ أيًّا كان.

ثم إذا وفَّقه الله لزيارة المدينة المنورة- وليحرص علىٰ ذلك ما أمكنه- فَلْيذكر أنها البلدة التي اختار الله ﷻ لنبيِّه ﷺ وجعلها دار هجرته والمكان الذي شرع فيه الفرائض والسنن ومجاهدة العدو وأظهر فيها دينه، وهي المكان الذي توفَّاه الله ﷻ وجعل فيها تربته الشريفة وتربة وزيريه القائمين بالحق بعده ﷺ.

وعليك أن تتمثَّل في نفسك أيها الحاجُّ مواقع أقدام رسول الله ﷺ عند سَعْيه ومشيه وتردُّده في كلِّ موضع تَطؤه قدمك، فتعلم أنك شَرُفت بذلك المكان، فتتذكَّر مَشْيه وخَطْوه في كلِّ مكان، حتىٰ تُدرك ما الذي أدركه أصحابه الكرام وسعدوا بمشاهدته واستماع كلامه، ويعظم تأسُّفُك علىٰ ما فاتك فيه من الصحبة واللقاء.

وعليك أن تستدعي الخشوعَ من قلبك عند زيارة الرسول ﷺ، فتقف بين يديه، وتزوره ميتًا كما لو أنك تزوره حيًّا، ولا تقترب من قبره إلا كما لو كنت تقترب من شخصه الكريم لو كان حيًّا، فتقف ماثلًا بين يديه متأدبًا مُسلِّمًا عليه وعلىٰ وزيريه الصالحين.

فإذا فرغت من أعمال الحج كلها، عليك أن تَلْزم التوبة والاستغفار حيث لا تدري أقُبل منك حجُّك أم لا، بأن تحسن الظن في عفو ربك ورحمته وتسيء الظن بنفسك التي تأمرك بالسوء، فإذا وجدت قلبك ازداد تعلقًا بالله بعد ذلك الحج، وانصرف متجافيًا عن دار الغرور، ووجدت أعمالك قد تزينت بميزان الشرع الحكيم، فَلْتثق بقبول الله تعالىٰ حجَّك، وأنه كف عنك سَطْوَ عدوِّه إبليس لعنه الله، فإذا ظهر ذلك عليك دل علىٰ القبول.

(سلام على إبراهيم)

سلام علىٰ ذلك الرجل الذي قال اللهُ في حقِّه: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٥]، وقال أيضًا: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [البقرة: ١٣٠].

وهذه العائلة التي ضرب الله بها المثل في كمال التسليم والانقياد لرب العالمين، والتي أحيت معنىٰ العبودية والإسلام. فهذا إبراهيم الفتىٰ الشاب يدعو الناس إلىٰ الإيمان بالله وتوحيده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ويقول لأبيه: ﴿إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٧٤﴾﴾ [الأنعام: ٧٤].

وإنما بُعث الأنبياء ليدلوا الناس علىٰ قوة الله الغيبية التي ينصر بها أهل التقوىٰ والإيمان؛ فمعية الله العامة بعلمه وقدرته وإحاطته للبشر جميعًا، وهذا للمسلم وغير المسلم، أما معيته الخاصة وتأييده وحفظه ونصرته لا تكون إلا لمن قام علىٰ دينه قيامًا صحيحًا ودعا الناس إلىٰ الله تعالىٰ وألزم نفسه بذلك.

وهكذا قام إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بدعوته ولم يتأثر بقوة النمرود ملك ذلك الزمان ولا خاف من سطوته وسطوة قومه، وهو الفتىٰ الشاب الوحيد، متيقنًا في قوة وتأييد الله له.

ولما ناظرهم وغلبهم وأوقعهم في الحيرة، فأرادوا أن يحرقوه مستعملين أسبابهم المادية القوية في نظرهم، وتلك سنة أصحاب الباطل، وهي إرهاب أصحاب الحق دائمًا، وجمعوا له حطبًا وأوقدوا له نارًا عظيمة ووضعوه في المنجنيق أي: المقلاع، ليلقىٰ به في وسط النار متجردًا من جميع الأسباب، وجاءه الملَك وسأله: ألك حاجة؟ فأجاب قائلًا: أما إليك فلا، وأما إلىٰ ربي فحسبي الله ونعم الوكيل.

فأعلن أنه متوكلٌ علىٰ رب الأرض والسماء، لا يخاف في الله لومة لائم، واثق في ربه متأكدٌ من نصره، عند ذلك جاء الأمر الإلهي الغيبي: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنبياء: ٦٩]، فمع كمال الانقياد والتسليم والثقة في رب العالمين تأتي نصرة الله وتأييداته الغيبية.

ثم كان الامتحان الثاني علىٰ قلب إبراهيم عليه السلام حيث ولد له إسماعيل عليه السلام ولإبراهيم من العمر ست وثمانون سنة، فامتحن الله قلبه وحبه للولد هل هو مقدم علىٰ حبه لأمر ربه؛ لأن الله تبارك وتعالىٰ مدحه وقال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا ١٢٥﴾ [النساء: ١٢٥].

فأمره أن يفارق بزوجه هاجر وولده إسماعيل الشام إلىٰ حيث أمر الله بوادي مكة، وجاء إبراهيم عليه السلام بأم إسماعيل وبابنها إسماعيل وهي تُرضعه حتىٰ وضعها عند البيت فوق زمزم في أعلىٰ المسجد، وليس بمكة يومئذ أحد، وليس بها ماء.

فوضعهما هناك ووضع عندهما جرابًا فيه تمر، وسقاء فيه ماء، ثم رجع إبراهيم عليه السلام منطلقًا، فتبعته أم إسماعيل فقالت: يا إبراهيم، أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه أنيس ولا شيء؟ فقالت له ذلك مرارًا، وجعل لا يلتفت إليها، فقالت له: آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قالت: إذًا لا يضيعنا.

فانظر إلىٰ كمال الانقياد والتسليم، وإلىٰ المعنىٰ الصحيح للإسلام والعبودية لله، طاعة مطلقة وثقة كاملة وانقياد تام لرب العالمين؛ ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ١٢٣﴾ [النحل: ١٢٣].

وانطلق إبراهيم عليه السلام، حتىٰ إذا كان عند الثنية وهي جبل صغير، استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات فهو أب رحيم ومحب لأسرته لا شك في ذلك، ولكنه الإيمان والثقة في أن الفوز والنجاح في امتثال الأمر الإلهي لا في مخالفته، فرفع يديه وقال: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِيٓ إِلَيْهِمْ وَٱرْزُقْهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ٣٧﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وجعلت أم إسماعيل تُرضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء، حتىٰ إذا نفد ما في السقاء عطشت وعطش ابنها، وجعلت تنظر إليه يتلوىٰ- أو قال: يتلبط- فانطلقت كراهيةَ أن تنظر إليه، فوجدت الصفا أقرب جبل في الأرض يليها، فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترىٰ أحدًا، فلم ترَ أحدًا، فهبطت من الصفا، حتىٰ إذا بلغت

الوادي رفعت طرف دِرْعها ثم سعت سَعْي الإنسان المجهود، حتىٰ جاوزت الوادي، ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترىٰ أحدًا، فلم ترَ أحدًا، ففعلت ذلك سبع مرات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما : قال النبي ﷺ: «فَلِذَلِكَ سَعَىٰ النَّاسُ بَيْنَهُمَا» [البخاري في كتاب «الأنبياء» باب «يزفون» حديث (٣١٨٤)].

وهكذا جعل الله سلوك هذه المرأة الشريفة شريعةً لنا، فلا يُقبل حج ولا عمرة ممن كان من رجال أو نساء- ملوكًا كانوا أو فقراء- إلا أن يقلدوا هذه المرأة العظيمة في السعي بين الصفا والمروة؛ ليتذكروا تلك الثقة الكاملة وهذه العبودية الخالصة وهذا الانقياد الكامل لرب العالمين.

فلما أشرفت علىٰ المروة سمعت صوتًا، فقالت: صه- تريد نفسها- ثم تسمَّعت فسمعت أيضًا، فقالت: قد أسمعت إن كان عندك غِوَاث. فإذا هي بالملَك عند موضع زمزم، فبحث بعقبه- أو قال: بجناحه- حتىٰ ظهر الماء، فجعلت تحوضه وتقول بيدها هكذا، وجعلت تغرف الماء في سقائها وهو يفور بعدما تغرف.

قال ابن عباس قال: النبي ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ» أو قال: «لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا» [البخاري في كتاب «الأنبياء» باب «يزفون» حديث (٣١٨٤)].

قال: فشربت وأرضعت ولدها، فقال لها الملَك: لا تخافوا الضيعة، فإن هاهنا بيتًا لله يبنيه هذا الغلام وأبوه، وإن الله لا يضيع أهله. نعم، فإن الله لا يضيع أهل اليقين والتوكل.

ثم جاء الامتحان الأكبر حيث رأىٰ إبراهيم في المنام أنه يؤمر بذبح ولده، ورؤيا الأنبياء حق، وأنه لاختبار عظيم تحتار في فهمه العقول ولا تستأنس به كل النفوس، وإنما هو امتحان تسليم وانقياد وثقة في أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين.

فهذا الأب يعرض الأمر علىٰ ابنه فيقول: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: ١٠٢]، عازمًا علىٰ ذبحه، وليس مستشيرًا له كما يظن البعض؛ فإن الأنبياء لا يخالفون أمر الله تبارك وتعالىٰ، وإنما التسليم والانقياد.

ويرد الابن البار بأبيه المطيع لربه: ﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات: ١٠٢].

وذهب بابنه إلىٰ وادي منىٰ ليذبحه، وجاء الشيطان اللعين ليصدهما عن التسليم، مع أن في الذبح هلاكَ الولد ورَوْعة وفزع الأب والأم، ولكن إبليس يعرف أن تنفيذ الأمر الإلهي أعظم مثوبة وفضلًا من هلكة الولد وروعة الأهل والأحباب.

وهذا مما يخفىٰ علىٰ كثيرٍ منا، فإن نجاح العبد وفلاحه في استسلامه وانقياده لرب العالمين، حتىٰ لو كان الأمر في شكل الهلاك والخسارة.

فرجمه عند ذلك إبراهيم عليه السلام ثلاث مرات عند الجمرة الكبرىٰ والوسطىٰ والصغرىٰ، وفي كل مرة يغوص الشيطان في الأرض؛ ولهذا يرمي المسلمون الجمارَ في الحج.

ولما أَمَرَّ إبراهيمُ السِّكِّين علىٰ حَلْق ولده لم تقطع شيئًا، ونُودي من قِبَل الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦﴾ [الصافات: ١٠٣- ١٠٦]. وجعل فداءه ذبحًا عظيمًا، قيل: إنه الكبش الذي قربه ابن آدم الصالح إلىٰ ربه فتُقُبل منه، وقد رعاه ربُّه في خريف الجنة إلىٰ أن استحق أن يكون فداء لإسماعيل عليه السلام: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾ [الصافات: ١٠٧].

وهكذا، مِن حال إلىٰ حال، مضىٰ إبراهيم وأهلُه في مقامات العبودية والتسليم والانقياد بالحب الكامل لرب العالمين، والذل والخضوع والتواضع، وقد أذَّن في الناس بالحج إحياءً لهذه الملة العظيمة، ملة التضحية بالغالي والنفيس، والنفس والمال والولد، حيث تستعد النفوس أن تذبح كل شيء ولا تذبح أوامر رب العالمين، ونقول له كما قال ربه: ﴿وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ٧٨ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ٧٩﴾ [الصافات: ٧٨- ٧٩].

* * *

١١- كتاب الجهاد

٢٣٤- باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [التوبة: ٣٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [التوبة: ٤١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ [التوبة: ١١١].

وقال الله تعالىٰ: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾﴾ [الصف: ١٠-١٣].

والآيات في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

وأما الأحاديث في فضل الجهاد فأكثر من أنْ تُحْصَر، فمن ذلك:

(١٢٨٥/ ٢٣٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سُئِلَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: أيُّ العَمل أفْضَلُ؟ قَالَ: «إيمَانٌ بِالله وَرَسُولِهِ». قيل: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «الجهادُ في سَبيلِ الله». قِيلَ: ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفق عليه.

(١٢٨٦/ ٢٣٤) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أَحبُّ إِلَىٰ الله تَعَالَىٰ؟ قَالَ: «الصَّلاةُ عَلَىٰ وَقْتِهَا». قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «بِرُّ الوَالِدَيْنِ». قلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ في سَبيلِ الله». متفق عليه.

(١٢٨٧/ ٢٣٤) وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ العَمَلِ أفضلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِالله، وَالجِهَادُ في سَبيلِه». متفق عليه.

(١٢٨٨/ ٢٣٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «لَغَدْوَةٌ (أي: السير من أول النهار إلىٰ الزوال) في سَبيلِ الله، أَوْ رَوْحَةٌ (أي: السير من الزوال إلىٰ آخر النهار)، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا». متفق عليه.

(١٢٨٩/ ٢٣٤) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَىٰ رَجُلٌ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: أيُّ النَّاسِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ يُجَاهِدُ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ في سَبيلِ الله». قَالَ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «مُؤْمِنٌ في شِعبٍ مِنَ الشِّعَابِ (أي: جمع شعب: وهو الطريق في الجبل) يَعبدُ اللهَ، وَيَدَعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ». متفق عليه.

(١٢٩٠/ ٢٣٤) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «رِبَاطُ يَوْمٍ فِي سَبِيلِ الله خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَمَوْضِعُ سَوْطِ أَحدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا، وَالرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ في سَبيلِ الله تَعَالَىٰ، أَو الغَدْوَةُ، خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا عَلَيْهَا». متفق عليه.

(١٢٩١/ ٢٣٤) وعن سلمان رضي الله عنه قال: سَمعتُ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإنْ مَاتَ فِيهِ جَرَىٰ عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الفُتَّانَ (أي: جمع فاتن، مبالغة من الفتنة)». رواه مسلم.

(١٢٩٢/ ٢٣٤) وعن فَضَالَةَ بن عُبَيْدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «كُلُّ مَيِّتٍ يُخْتَمُ عَلَىٰ عَمَلِهِ إلَّا المُرَابِطَ فِي سَبِيلِ الله، فَإنَّهُ يُنْمَىٰ لَهُ عَمَلهُ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَيُؤَمَّنُ فِتْنَةَ القَبْرِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٩٣/ ٢٣٤) وعن عثمان رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقول: «رِبَاطُ يَوْمٍ في سَبيلِ الله خَيْرٌ

مِنْ أَلْفِ يَوْمٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ المَنَازِلِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٢٩٤/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «تَضَمَّنَ اللهُ لِمَنْ خَرَجَ في سَبيلِهِ، لا يُخْرِجُهُ إلَّا جِهادٌ في سَبيلي، وَإيمَانٌ بي، وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي، فَهُوَ عَلَيَّ ضَامِنٌ أنْ أُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، أَوْ أَرْجِعَهُ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ الَّذِي خَرَجَ مِنْهُ بِمَا نَالَ مِنْ أجْرٍ، أَوْ غَنيمَةٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا مِنْ كَلْمٍ يُكْلَمُ فِي سَبيلِ اللهِ إلَّا جَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ كُلِمَ؛ لَوْنُهُ لَوْنُ دَمٍ، وَرِيحُهُ رِيحُ مِسْكٍ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلا أنْ أشُقَّ عَلَىٰ المُسْلِمِينَ مَا قَعَدْتُ خِلافَ (أي: خلفها وبعدها) سَرِيَّةٍ تَغْزُو فِي سَبيلِ اللهِ أَبَدًا، وَلكِنْ لا أجِدُ سَعَةً فأحْمِلَهُمْ وَلا يَجِدُونَ سَعَةً، وَيَشُقُّ عَلَيْهِمْ أنْ يَتَخَلَّفُوا عَنِّي. وَالَّذِي نَفس مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوَدِدْتُ أنْ أغْزُوَ فِي سَبيلِ اللهِ، فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ، ثُمَّ أغْزُوَ فَأُقْتَلَ». رواه مسلم، وروىٰ البخاري بعضه.

«الكَلْمُ»: الجُرْحُ.

(١٢٩٥/ ٢٣٤) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ مَكْلُومٍ يُكْلَمُ فِي سَبِيلِ اللهِ إلَّا جَاءَ يَومَ القِيَامَةِ وَكَلْمُهُ يَدْمَىٰ: اللَّوْنُ لَوْنُ دَمٍ، وَالرِّيحُ رِيحُ مِسكٍ». متفق عليه.

(١٢٩٦/ ٢٣٤) وعن معاذ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ فِي سَبيلِ اللهِ مِنْ رَجُلٍ مُسْلِم فُوَاقَ نَاقَةٍ (أي: هو قدر ما بين الحلبتين من الوقت، أو ما بين فتح يدك وقبضها علىٰ الضرع)، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ، وَمَنْ جُرِحَ جُرْحًا فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ نُكِبَ نَكْبَةً (أي: الجراحات من غير فعل الكفار؛ من وقوعه من علىٰ دابته، أو وقوع سلاح عليه، أو غير ذلك) فَإنَّهَا تَجِيءُ يَوْمَ القِيَامَةِ كَأَغْزَرِ مَا كَانَتْ: لَوْنُهَا الزَّعْفَرَانُ، وَرِيحُهَا كَالمِسْكِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٢٩٧/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ رَجُلٌ مِنْ أصْحَابِ رسولِ الله ﷺ بِشِعْبٍ فِيهِ عُيَيْنَةٌ مِنْ مَاءٍ عَذْبَةٍ، فَأَعْجَبَتْهُ، فَقَالَ: لَوِ اعْتَزَلْتُ النَّاسَ فَأقَمْتُ فِي هَذَا الشِّعْبِ، وَلَنْ أفْعَلَ حَتَّىٰ أسْتَأْذِنَ رسولَ الله ﷺ، فذكَرَ ذَلِكَ لرسول الله ﷺ فَقَالَ: «لا تفعلْ؛ فَإنَّ مُقامَ أحَدِكُمْ فِي سَبيلِ اللهِ أفْضَلُ مِنْ صَلاتِهِ فِي بَيْتِهِ سَبْعِينَ عَامًا، ألا تُحِبُّونَ أنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ، وَيُدْخِلَكُمُ الجَنَّةَ؟ اغْزُوا فِي سَبيلِ اللهِ، من قَاتَلَ فِي سَبيلِ اللهِ فُوَاقَ نَاقَةٍ وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». و«الفُوَاقُ»: مَا بَيْنَ الحَلْبَتَيْن.

(١٢٩٨/ ٢٣٤) وعنه قَالَ: قِيلَ: يَا رسولَ الله، مَا يَعْدِلُ الجهادَ فِي سَبيلِ الله؟ قَالَ: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ». فَأعَادُوا عَلَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاثًا كُلَّ ذَلِكَ يَقُولُ: «لا تَسْتَطِيعُونَهُ». ثُمَّ قَالَ: «مَثَلُ المُجَاهِدِ فِي سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ الصَّائِمِ الْقَائِمِ الْقَانِتِ بِآيَاتِ اللهِ لا يَفْتُرُ مِنْ صِيَامٍ، وَلا

صَلاةٍ، حَتَّىٰ يَرْجِعَ الْمُجَاهِدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

وفي رواية البخاري: أَنَّ رجلًا قَالَ: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ يَعْدِلُ الجِهَادَ؟ قَالَ: «لا أَجِدُهُ». ثُمَّ قَالَ: «هَلْ تَسْتَطِيعُ إِذَا خَرَجَ الْمُجَاهِدُ أَنْ تَدْخُلَ مَسْجِدَكَ فَتقومَ وَلا تَفْتُرَ، وَتَصُومَ وَلا تُفْطِرَ؟» فَقَالَ: وَمَنْ يَسْتَطِيعُ ذَلِكَ؟!

(١٢٩٩/ ٢٣٤) وعنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مِنْ خَيْرِ مَعَاشِ النَّاسِ لهم، رَجُلٌ مُمْسِكٌ بعِنَانِ (أي: حبل تقاد به الدابة) فَرَسِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، يَطِيرُ (أي: يسارع) عَلَىٰ مَتْنِهِ (أي: علىٰ ظهره)، كُلَّمَا سَمِعَ هَيْعَةً (أي: الصوت عند حضور العدو) أَوْ فَزْعَةً طَارَ عَلَيْهِ يَبْتَغِي الْقَتْلَ وَالْمَوْتَ مَظَانَّهُ (أي: يطلبه في مواطنه) أَوْ رَجُلٌ فِي غُنَيْمَةٍ فِي رَأسِ شَعَفَةٍ (أي: أعلىٰ الجبل) مِنْ هَذَا الشَّعَفِ، أَوْ بَطْنِ وَادٍ مِن الأَوْدِيَةِ، يُقِيمُ الصَّلاةَ، وَيُؤتِي الزَّكَاةَ، وَيَعْبُدُ رَبَّهُ حَتَّىٰ يَأْتِيَهُ اليَقِينُ، لَيْسَ مِنَ النَّاسِ إِلَّا فِي خَيْرٍ». رواه مسلم.

(١٣٠٠/ ٢٣٤) وعنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ أعَدَّهَا اللهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». رواه البخاري.

(١٣٠١/ ٢٣٤) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَجَبَتْ لَهُ الجَنَّةُ»، فَعَجِبَ لَهَا أَبُو سَعِيدٍ، فَقَالَ: أَعِدْهَا عَلَيَّ يَا رسولَ الله، فَأَعَادَهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأُخْرَىٰ يَرْفَعُ اللهُ بِهَا العَبْدَ مِائَةَ دَرَجَةٍ فِي الجَنَّةِ، مَا بَيْنَ كُلِّ دَرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ». قَالَ: وَمَا هِيَ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ، الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». رواه مسلم.

(١٣٠٢/ ٢٣٤) وعن أَبي بكر بن أَبي موسىٰ الأشعريِّ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي رضي الله عنه وَهُوَ بِحَضْرَةِ العَدُوِّ يقول: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَبْوَابَ الجَنَّةِ تَحْتَ ظِلالِ السُّيُوفِ». فَقَامَ رَجُلٌ رَثُّ الهَيْئَةِ، فَقَالَ: يَا أَبَا مُوسَىٰ، أَأَنْتَ سَمِعْتَ رسولَ الله ﷺ يقول هَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. فَرَجَعَ إِلَىٰ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَقرأُ عليكم السلامَ، ثُمَّ كَسَرَ جَفْنَ (أي: غمد السيف وهو غلافه الذي يدخل فيه فيغطيه) سَيْفِهِ فَأَلْقَاهُ، ثُمَّ مَشَىٰ بِسَيْفِهِ إِلَىٰ العَدُوِّ فَضرب بِهِ حَتَّىٰ قُتِلَ. رواه مسلم.

(١٣٠٣/ ٢٣٤) وعن أَبي عبسٍ عبد الرحمن بن جَبْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «ما اغْبَرَّتْ قَدَمَا عَبْدٍ فِي سَبِيلِ اللهِ فَتَمَسَّهُ النَّارُ». رواه البخاري.

(١٣٠٤/ ٢٣٤) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَىٰ مِنْ خَشْيَةِ

الله حَتَّىٰ يَعُودَ اللَّبَنُ فِي الضَّرْعِ، وَلا يَجْتَمِعُ عَلَىٰ عَبْدٍ غُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَدُخَانُ جَهَنَّمَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٠٥/ ٢٣٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «عَيْنَانِ لا تَمَسُّهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ الله، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ الله». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٠٦/ ٢٣٤) وعن زيد بن خالد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، وَمَنْ خَلَفَ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيْرٍ فَقَدْ غَزَا». متفق عليه.

(١٣٠٧/ ٢٣٤) وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَفْضَلُ الصَّدَقَاتِ ظِلُّ فُسْطَاطٍ (أي: الخيمة الكبيرة) فِي سَبِيلِ اللهِ وَمَنِيحَةُ خَادِمٍ (أي: عطية، والمراد أن يتصدق بخادم) فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ طَرُوقَةُ فَحْلٍ (أي: هي الناقة التي صلحت لطرق الفحل) فِي سَبِيلِ اللهِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٠٨/ ٢٣٤) وعن أنس رضي الله عنه: أن فتىً من أسلم قال: يا رسول الله، إنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ مَعِي مَا أَتَجهَّزُ بِهِ، قَالَ: «ائْتِ فُلانًا فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ». فَأَتَاهُ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ، ويقول: أَعْطِنِي الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ. قَالَ: يَا فُلانَةُ، أَعْطِيهِ الَّذِي كُنْتُ تَجَهَّزْتُ بِهِ، وَلا تَحْبِسِي عَنْهُ شَيْئًا، فَوَاللهِ لا تَحْبِسِي مِنْهُ شَيْئًا فَيُبَارَكَ لَكِ فِيهِ. رواه مسلم.

(١٣٠٩/ ٢٣٤) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ بَعَثَ إِلَىٰ بَنِي لِحْيَانَ فَقَالَ: «لِيَنْبَعِثْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا، وَالأَجْرُ بَيْنَهُمَا». رواه مسلم.

وفي روايةٍ له: «لِيَخْرُجْ مِنْ كُلِّ رَجُلَيْنِ رَجُلٌ». ثُمَّ قَالَ للقاعد: «أَيُّكُمْ خَلَفَ الخَارِجَ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ بِخَيْرٍ كَانَ لَهُ مِثْلُ نِصْفِ أَجْرِ الخَارِجِ».

(١٣١٠/ ٢٣٤) وعن البَرَاءِ رضي الله عنه قَالَ: أَتَىٰ النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مُقَنَّعٌ (أي: كناية عن تغطية الوجه بآلة الحرب) بالحَدِيدِ، فَقَالَ: يا رسول الله، أُقَاتِلُ وَأُسْلِمُ؟ قَالَ: «أَسْلِمْ، ثُمَّ قَاتِلْ». فَأَسْلَمَ، ثُمَّ قَاتَلَ فَقُتِلَ. فَقَالَ رسول الله ﷺ: «عَمِلَ قَلِيلًا وَأُجِرَ كَثِيرًا». متفق عليه، وهذا لفظ البخاري.

(١٣١١/ ٢٣٤) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَا أَحَدٌ يَدْخُلُ الجَنَّةَ يُحِبُّ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا وَلَهُ مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا الشَّهِيدُ، يَتَمَنَّىٰ أَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الدُّنْيَا، فَيُقْتَلَ عَشْرَ مَرَّاتٍ؛ لِمَا يَرَىٰ مِنَ الكَرَامَةِ».

وفي روايةٍ: «لِـمَا يَرَىٰ مِنْ فَضْلِ الشَّهَادَةِ». متفق عليه.

(١٣١٢/ ٢٣٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «يَغْفِرُ اللهُ لِلشَّهِيدِ كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا الدَّيْنَ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «القَتْلُ في سبيلِ الله يُكَفِّرُ كُلَّ شيءٍ إِلَّا الدَّيْن».

(١٣١٣/ ٢٣٤) وعن أَبي قَتَادَة رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَامَ فِيهم فَذَكَرَ أَنَّ الجِهَادَ في سَبيل الله وَالإيمانَ بالله أفْضَلُ الأعْمَالِ، فَقامَ رَجُلٌ، فقَالَ: يَا رسولَ الله، أرأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيل الله، أتُكَفَّرُ عَنِّي خطَايَايَ؟ فَقَالَ لهُ رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، إنْ قُتِلْتَ في سَبيلِ الله وَأَنْتَ صَابِرٌ مُحْتَسِبٌ (أي: مخلص لله منتظر الأجر منه)، مُقْبِلٌ غَيْرُ مُدْبرٍ»، ثُمَّ قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «كيْفَ قُلْتَ؟» قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قُتِلْتُ في سَبيل الله، أتُكَفَّرُ عَنِّي خَطَايَايَ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «نَعَمْ، وَأنْتَ صابرٌ مُحْتَسِبٌ، مُقْبِلٌ غيرُ مُدْبِرٍ، إِلَّا الدَّيْنَ فَإنَّ جِبْريلَ قالَ لِي ذَلِكَ».

رواه مسلم.

(١٣١٤/ ٢٣٤) وعن جابرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: أيْنَ أنَا يَا رسول الله إنْ قُتِلْتُ؟ قَالَ: «في الجَنَّةِ». فَألْقَىٰ تَمَرَاتٍ كُنَّ فِي يَدِهِ، ثُمَّ قَاتَلَ حَتَّىٰ قُتِلَ. رواه مسلم.

(١٣١٥/ ٢٣٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: انْطَلَقَ رسولُ الله ﷺ وَأصْحَابُهُ حَتَّىٰ سَبقُوا المُشْرِكِينَ إِلَىٰ بَدْرٍ، وجاء المشركون فقال رسول الله ﷺ: «لا يَقْدمَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ أكُونَ أنَا دُونَهُ». فَدَنَا المُشْرِكُونَ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «قُومُوا إِلَىٰ جَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمواتُ وَالأرْضُ». قَال: يَقُولُ عُمَيْرُ بن الـحُمَامِ الأنْصَارِيُّ رضي الله عنه: يَا رسولَ الله، جَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأرْضُ؟ قَالَ: «نَعَمْ». قَالَ: بَخٍ بَخٍ (أي: كلمة تقال عند المدح والرضا بالشيء، وتكرر للمبالغة، ومعناها تعظيم الأمر وتفخيمه)! فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا يَحْمِلُكَ عَلَىٰ قَوْلِكَ بَخٍ بَخٍ؟» قَالَ: لا وَالله يَا رَسُولَ الله، إِلَّا رَجاءَ أنْ أكُونَ مِنْ أهْلِهَا. قَالَ: «فَإنَّكَ مِنْ أهْلِهَا». فَأخْرَجَ تَمَرَاتٍ مِنْ قَرَنِهِ، فَجعَلَ يَأكُلُ مِنْهُنَّ، ثُمَّ قَالَ: لَئِنْ أنَا حَيِيتُ حَتَّىٰ آكُلَ تَمَرَاتِي هذِهِ إنَّهَا لَـحَيَاةٌ طَوِيلَةٌ، فَرَمَىٰ بِمَا كَانَ مَعَهُ مِنَ التَّمْرِ، ثُمَّ قَاتَلَهُمْ حَتَّىٰ قُتِلَ. رواه مسلم.

«القَرَن» بفتح القاف والراء، هُوَ: جُعْبَةُ النشّابِ. (أي: سهام النبل والرمي)

(١٣١٦/ ٢٣٤) وعنه قَالَ: جَاءَ نَاسٌ إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ أن ابْعَثْ مَعَنَا رِجالًا يُعَلِّمُونَا القُرْآنَ وَالسُّنَّةَ، فبعث إليهم سبعين رجلًا من الأنصار يُقال لهم: القُرَّاءُ، فِيهِم خَالِي حَرَامٌ،

يقْرءون القُرْآن، ويتدارسُون باللَّيل يتعلَّمون، وكانُوا بالنَّهار يجيئُون بالماءِ، فيضعُونَهُ في المَسْجِد، ويحْتطِبُون فيبيعُونَهُ، ويشْتَرُون به الطَّعَامَ لأَهْل الصُّفَّة، ولِلفُقَراء، فبَعَثَهُم النَّبيُّ ﷺ، فعرَضُوا لَهُمْ فقتَلُوهُمْ قَبْل أنْ يبْلغُوا المكَانَ، فقالوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عنَّا نبيَّنَا أنَّا قدْ لَقِيناكَ فرَضِينا عَنْك ورضِيت عنَّا، وأتَىٰ رَجُلٌ حرامًا خَالَ أنَسٍ مِنْ خَلْفِهِ، فطَعَنَهُ برُمْحٍ حتَّىٰ أنْفَذه، فقَالَ حرَامٌ: فُزْتُ وربِّ الكعْبَةِ. فقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**إنَّ إخْوانَكُمْ قدْ قُتِلُوا وإنَّهُمْ قَالُوا: اللَّهُمَّ بَلِّغْ عَنَّا نَبِيَّنَا أَنَّا قدْ لَقِيناكَ فرَضِينا عَنْكَ ورَضِيت عَنَّا**». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(١٣١٧/ ٢٣٤) وعنه قالَ: غَابَ عَمِّي أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رضي الله عنه عن قِتالِ بدرٍ فقَالَ: يَا رسولَ الله، غِبْتُ عَنْ أوَّلِ قِتالٍ قَاتَلْتَ المُشْرِكِينَ، لَئِنِ اللهُ أشْهدَنِي قِتَالَ المُشرِكِين لَيُرِيَنَّ اللهُ مَا أصْنَعُ. فَلمَّا كَانَ يومُ أُحُدٍ انْكشَفَ المُسْلِمونَ فقَالَ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعْتَذِرُ إلَيْكَ مِمَّا صنَعَ هؤُلاءِ- يَعنِي: أصْحَابَهُ- وأبْرأُ إلَيْكَ مِمَّا صَنعَ هؤُلاءِ- يعني: المُشرِكِينَ- ثُمَّ تَقدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعدُ بْنُ مُعاذٍ فقَالَ: يَا سعدُ بنَ مُعاذٍ، الجَنَّة وربِّ النَّضْرِ، إنِّي أجِدُ رِيحَهَا منْ دُونِ أُحُدٍ. قَالَ سعدٌ: فَمَا اسْتَطَعتُ يَا رسولَ الله مَا صَنَعَ! قَالَ أنسٌ: فَوَجَدْنَا بِهِ بِضْعًا (أي: البضع ما بين الثلاث والتسع) وثَمانِينَ ضَربَةً بالسَّيفِ، أَوْ طَعْنَةً برمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بسَهْمٍ، وَوَجَدْنَاهُ قَدْ قُتِلَ ومَثَّلَ بِهِ المُشْرِكونَ، فما عَرَفَهُ أحَدٌ إلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ (أي: الإصبع، وقيل: طرف الإصبع). قَالَ أنس: كُنَّا نُرَىٰ- أَوْ نَظُنُّ- أن هذِهِ الآية نزلت فِيهِ وفي أشباهه: ﴿**مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ**﴾ إلى آخرها [الأحزاب:٢٣]. متفق عليه، وقد سبق في باب المجاهدة.

(١٣١٨/ ٢٣٤) وعن سَمُرَة رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتيَانِي، فَصَعِدَا بِي الشَّجرةَ فأدْخَلانِي دَارًا هِيَ أحْسَنُ وأفضَلُ، لَمْ أرَ قطُّ أحْسَنَ مِنْهَا، قالَا: أمَّا هذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ**». رواه البخاري، وهُو بعض من حديث طويل فِيهِ أنواع من العلم سيأتي في باب تحريم الكذب إنْ شاء الله تعالَىٰ.

(١٣١٩/ ٢٣٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه: أنَّ أمَّ الرُّبيعِ بنتَ البَراءِ وهي أُمُّ حَارِثة بن سُرَاقَةَ، أتَتِ النبيَّ ﷺ، فقَالَتْ: يَا رسولَ الله، ألا تُحدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ- وكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ- فإنْ كَانَ في الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وإنْ كَانَ غَيرَ ذلِكَ اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ في البُكَاءِ. فَقَالَ: «**يَا أُمَّ حَارِثَةَ إنَّها جِنَانٌ في الجَنَّةِ، وَإنَّ ابْنَكِ أصابَ الفِرْدَوْسَ الأعْلَىٰ**». رواه البخاري.

(١٣٢٠/ ٢٣٤) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قَالَ: جِيءَ بِأَبِي إِلَىٰ النَّبيِّ ﷺ وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ؛ فَذَهَبْتُ أكْشِفُ عَنْ وَجْهِهِ فنَهَانِي قَوْمِي، فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «**مَا زَالَتِ المَلائِكَةُ**

تُظِلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا». متفق عليه.

(١٣٢١/ ٢٣٤) وعن سَهْل بن حُنَيف رضي الله عنه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قالَ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَىٰ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَىٰ فِرَاشِهِ». رواه مسلم.

(١٣٢٢/ ٢٣٤) وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا ولو لَمْ تُصِبْهُ». رواه مسلم.

(١٣٢٣/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «مَا يَجِدُ الشَّهِيدُ مِنْ مَسِّ القَتْلِ إِلَّا كَمَا يَجِدُ أَحَدُكُمْ مِنْ مَسِّ القَرْصَةِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٢٤/ ٢٣٤) وعن عبد الله بن أبي أَوْفَى رضي الله عنهما: أَنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم فِي بَعْضِ أَيَّامِهِ الَّتِي لَقِيَ فِيهَا العَدُوَّ انْتَظَرَ حَتَّىٰ مَالَتِ الشَّمْسُ، ثُمَّ قَامَ فِي النَّاسِ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ، لا تَتَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَسَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُموهُمْ فَاصْبِروا؛ وَاعْلَمُوا أَنَّ الجَنَّةَ تَحتَ ظِلالِ السُّيُوفِ». ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الكِتَابِ، وَمُجْرِيَ السَّحَابِ، وَهَازِمَ الأَحْزَابِ، اهْزِمْهُم وَانْصُرْنَا عَلَيْهِمْ». متفق عليه.

(١٣٢٥/ ٢٣٤) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ثِنْتَانِ لا تُرَدَّانِ، أَوْ قَلَّمَا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النِّدَاءِ (أي: عند الأذان) وَعِنْدَ البَأْسِ حِيْنَ يُلْحِمُ بَعْضُهُم بَعْضًا». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٣٢٦/ ٢٣٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه قالَ: كَانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا غَزَا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ عَضُدِي (أي: معتمدي) وَنَصِيرِي، بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أُقَاتِلُ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٢٧/ ٢٣٤) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ إِذَا خَافَ قومًا، قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنَّا نَجعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٣٢٨/ ٢٣٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا (أي: الشعر المسترسل علىٰ الجبهة) الخَيْرُ إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ». متفق عليه.

(١٣٢٩/ ٢٣٤) وعن عُرْوة البارِقيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «الخَيْلُ مَعقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيرُ إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ: الأَجْرُ، وَالمَغْنَمُ». متفق عليه.

(١٣٣٠/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن احْتَبَسَ (أي: وقفه وربطه) فَرَسًا

فِي سَبِيلِ اللهِ، إيمَانًا بِاللهِ، وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإنَّ شِبَعَهُ، وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ، وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ». رواه البخاري.

(١٣٣١/ ٢٣٤) وعن أَبي مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رجلٌ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ بناقةٍ مَخْطُومَةٍ (أي: في أنفها خطام تسحب منه) فَقَالَ: هذِهِ فِي سَبيلِ اللهِ. فقالَ رسولُ اللهِ ﷺ: «لَكَ بِهَا يَوْمَ القِيامَةِ سَبْعُمِائَةِ نَاقَةٍ كُلُّهَا مَخْطُومَةٌ». رواه مسلم.

(١٣٣٢/ ٢٣٤) وعن أَبي حمادٍ - ويقال: أَبُو سعاد ويقال: أَبُو أسدٍ، ويقال: أَبُو عامِرٍ، ويقال: أَبُو عمرو، ويقال: أَبُو الأسود، ويقال: أَبُو عبس - عُقبة بن عامِرٍ الجُهَنِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ وهو علىٰ المنبر يقول: «﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: ٦٠]، أَلا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ، ألا إنَّ القُوَّةَ الرَّمْيُ». رواه مسلم.

(١٣٣٣/ ٢٣٤) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «سَتُفْتَحُ عَلَيْكُمْ أَرَضُونَ، وَيَكْفِيكُمُ اللهُ، فَلا يَعْجِزْ أَحَدُكُمْ أنْ يَلْهُوَ بِأَسْهُمِهِ». رواه مسلم.

(١٣٣٤/ ٢٣٤) وعنه أنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عُلِّمَ الرَّمْيَ، ثُمَّ تَرَكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، أَوْ فَقَدْ عَصَىٰ». رواه مسلم.

(١٣٣٥/ ٢٣٤) وعنه رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللهَ يُدْخِلُ بِالسَّهْمِ الوَاحِدِ ثَلاثَةَ نَفَرٍ الجَنَّةَ: صَانِعَهُ يَحْتَسِبُ فِي صَنْعَتِهِ الخَيْرَ، وَالرَّامِيَ بِهِ، وَمُنَبِّلَهُ (أي: مناول النبل). وَارْمُوا وَارْكَبُوا، وَأَنْ تَرْمُوا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ تَرْكَبُوا. وَمَنْ تَرَكَ الرَّمْيَ بَعْدَمَا عُلِّمَهُ رَغْبَةً عَنْهُ فَإنَّهَا نِعْمَةٌ تَرَكَهَا». أَوْ قَالَ: «كَفَرَهَا». رواه أبو داود.

(١٣٣٦/ ٢٣٤) وعن سَلَمة بن الأكْوَعِ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ النَّبيُّ ﷺ عَلَىٰ نَفَرٍ يَنْتَضِلُونَ (أي: يترامون، والتناضل: الترامي للسبق) فَقَالَ: «ارْمُوا بَنِي إسماعِيلَ فَإنَّ أَبَاكُمْ كَانَ رَامِيًا». رواه البخاري.

(١٣٣٧/ ٢٣٤) وعن عمرو بن عَبَسَة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ رَمَىٰ بِسَهمٍ فِي سَبيلِ اللهِ فَهُوَ لَهُ عِدْلُ مُحَرَّرَةٍ (أي: مثل ثواب معتق)». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٣٨/ ٢٣٤) وعن أَبي يحيىٰ خُرَيْم بن فاتِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فِي سَبيلِ اللهِ كُتِبَ لَهُ سَبْعُمِائَةِ ضِعْفٍ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٣٩/ ٢٣٤) وعن أَبي سعيد رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَصُومُ يَوْمًا فِي سَبيلِ اللهِ إلَّا بَاعَدَ اللهُ بِذلِكَ اليَوْمِ وَجهَهُ عَنِ النَّارِ سَبْعِينَ خَرِيْفًا (أي: عامًا)». متفق عليه.

(١٣٤٠/ ٢٣٤) وعن أبي أُمامة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قَالَ: «مَنْ صَامَ يَوْمًا في سَبيلِ الله جَعَلَ اللهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّارِ خَنْدَقًا كما بَيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٤١/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بالغَزْوِ، مَاتَ عَلَىٰ شُعْبَةٍ (أي: خصلة) مِنَ النِّفَاقِ». رواه مسلم.

(١٣٤٢/ ٢٣٤) وعن جابر رضي الله عنه قال: كنا مَعَ النبيِّ ﷺ في غَزاةٍ فقالَ: «إنَّ بِالمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا، وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إلَّا كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ المَرَضُ».

وفي رواية: «حَبَسَهُمُ العُذْرُ».

وفي رواية: «إلَّا شَرِكُوكُمْ في الأَجْرِ». رواه البخاري من رواية أنس، ورواه مسلم من رواية جابر واللفظ له.

(١٣٤٣/ ٢٣٤) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه: أن أَعْرابيًّا أتىٰ النبيَّ ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ الله، الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقاتِلُ لِيُذْكَرَ، وَالرَّجُلُ يُقاتِلُ لِيُرَىٰ مَكَانُهُ.

وفي رواية: يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً (أي: الحمية: الأنفة والغيرة).

وفي رواية: يُقَاتِلُ غَضَبًا- فَمَنْ فِي سَبِيلِ الله؟ فَقَالَ رسولُ الله: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ الله هِيَ العُلْيَا، فَهُوَ في سَبيلِ الله». متفق عليه.

(١٣٤٤/ ٢٣٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ غَازِيَةٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ تَغْزُو، فَتَغْنَمُ وَتَسْلَمُ، إلَّا كَانُوا قَدْ تَعَجَّلُوا ثُلُثَيْ أُجُورِهِمْ، وَمَا مِنْ غَازِيَةٍ أَوْ سَرِيَّةٍ تُخْفِقُ (أي: تغزو ولا تغنم) وَتُصَابُ إلَّا تَمَّ لهم أُجُورُهُمْ». رواه مسلم.

(١٣٤٥/ ٢٣٤) وعن أبي أُمامة رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يَا رسولَ الله، ائْذَنْ لي في السِّيَاحَةِ (أي: الذهاب في الأرض قهرًا للنفس بترك المألوفات، والمباحات، واللذات) فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّ سِيَاحَةَ أُمَّتِي الجِهَادُ في سَبيلِ الله عز وجل». رواه أبو داود بإسناد جيد.

(١٣٤٦/ ٢٣٤) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «قَفْلَةٌ كَغَزْوَةٍ». رواه أبو داود بإسناد جيد.

«القَفْلَةُ»: الرُّجوعِ، وَالمراد: الرُّجوعُ مِنَ الغَزْوِ بَعدَ فَرَاغِهِ؛ ومعناه: أنه يُثَابُ في رُجُوعِهِ بعد فَرَاغِهِ مِنَ الغَزْوِ.

(١٣٤٧/ ٢٣٤) وعن السَّائِبِ بنِ يَزِيدَ رضي الله عنه قَالَ: لَـمَّا قَدِمَ النبيُّ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوك تَلَقَّاهُ النَّاسُ،

فَتَلَقَّيتُهُ مَعَ الصِّبْيَانِ عَلَىٰ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ (أي: مكان بالمدينة يمر به المسافر إلىٰ مكة ويودع عنده). رواه أبو داود بإسناد صحيح بهذا اللفظ.

ورواه البخاري قَالَ: ذَهبنا نَتَلَقَّىٰ رسولَ الله ﷺ مَعَ الصِّبْيَانِ إِلَىٰ ثَنِيَّةِ الوَدَاعِ.

(١٣٤٨/ ٢٣٤) وعن أبي أُمامَة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ لَمْ يَغْزُ، أَوْ يُجَهِّزْ غَازِيًا، أَوْ يَخْلُفْ غَازِيًا فِي أَهْلِهِ بِخَيرٍ، أَصَابَهُ اللهُ بِقَارِعَةٍ (أي: بداهية مهلكة) قَبْلَ يَوْمِ القِيَامَةِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٣٤٩/ ٢٣٤) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «جَاهِدُوا المُشْرِكِينَ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٣٥٠/ ٢٣٤) وعن أبي عمرو- ويقال: أَبُو حكيم- النُّعْمَانِ بن مُقَرِّن رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ رسولَ الله ﷺ إِذَا لَمْ يُقَاتِلْ من أَوَّلِ النَّهَارِ أَخَّرَ القِتَالَ حَتَّىٰ تَزُولَ الشَّمْسُ، وَتَهُبَّ الرِّيَاحُ، وَيَنْزِلَ النَّصْرُ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٥١/ ٢٣٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَتَمَنَّوْا لِقَاءَ العَدُوِّ، وَاسْأَلُوا اللهَ العَافِيَةَ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاصْبِرُوا». متفق عليه.

(١٣٥٢/ ٢٣٤) وعنه وعن جابر رضي الله عنهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الحَرْبُ خَدْعَةٌ (أي: الخدع: إظهار أمر وإضمار خلافه)». متفق عليه.

٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسَّلون ويُصلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار

(١٣٥٣/ ٢٣٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «الشُّهَدَاءُ خَمْسَةٌ: المَطْعُونُ (أي: الذي يموت في الطاعون) وَالمَبْطُونُ (أي: هو الذي يموت بداء في باطنه مطلقًا)، وَالغَرِيقُ، وَصَاحِبُ الهَدْمِ (أي: الذي يموت تحته)، وَالشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللهِ». متفق عليه.

(١٣٥٤/ ٢٣٥) وعنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَا تَعُدُّونَ الشُّهَدَاءَ فِيكُمْ؟» قالوا: يَا رسول الله، مَنْ قُتِلَ فِي سَبيل الله فَهُوَ شَهِيدٌ. قَالَ: «إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي إِذًا لَقَلِيلٌ!» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قَالَ: «مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي سَبِيلِ اللهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي الطَّاعُونِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ مَاتَ فِي البَطْنِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَالغَرِيقُ شَهِيدٌ». رواه مسلم.

(١٣٥٥/ ٢٣٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». متفق عليه.

(١٣٥٦/ ٢٣٥) وعن أَبي الأعْوَر سعيد بن زيد بن عَمْرو بن نُفَيْل أحَدِ العَشَرَةِ المَشْهُودِ لَهُمْ بالجَنَّةِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ». رواه أبو داود والترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٥٧/ ٢٣٥) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ فَقَالَ: يَا رسول الله، أرَأيتَ إنْ جَاءَ رجلٌ يُرِيدُ أخْذَ مَالِي؟ قَالَ: «فَلا تُعْطِهِ مَالَكَ». قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قَاتَلَنِي؟ قَالَ: «قَاتِلْهُ». قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قَتَلَنِي؟ قَالَ: «فَأنْتَ شَهِيدٌ». قَالَ: أرَأيْتَ إنْ قَتَلْتُهُ؟ قَالَ: «هُوَ فِي النَّارِ». رواه مسلم.

(الجهــــاد)

إن اللهَ تعالىٰ أرسل رسولَه الكريم للناس كافةً بشيرًا ونذيرًا؛ قال تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]. وكلَّفه بمهمتين عظيمتين:

أولاهما: بيان أحكام هذا الدين العظيم وتفصيلها وتثبيتها في قلوب الناس من عقيدةٍ وأوامرَ ونواهٍ؛ قال تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿١٦٤﴾﴾ [آل عمران: ١٦٤].

وثانيهما: نَشْر هذا الدين العظيم وتوصيله إلىٰ ربوع الأرض، لكل الناس ولآخر الزمان؛ قال الله تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [التوبة: ٣٣].

فكان مِن لوازم نَشْره أن يَعْلَمَ أصحابُه ومَن بعدهم كيف ينشرونه في الناس؛ وذلك

بدعوةِ مَن يجهلونه، وتعليمِ مَن يقبلونه، ومجاهدةِ مَن يمنعونه عن غيرهم من الناس كالضعفاء والمساكين والمغلوبين علىٰ أمرهم. وكان من لوازم نَشْر دين الله في الأرض حمايةُ الضعفاء والمساكين المُقبِلين علىٰ الإيمان به من الجُوع والعُرْي ونصرتهم علىٰ من يعاديهم، كي يُقبِلوا علىٰ الإيمان بالإسلام. ولهذا كان رسولُ الله ﷺ يدعو قومَه منذ بدايات أمره فيُنادي في تجمُّعاتهم وأنديتهم: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ». أحمد في مسنده (٢٢/٣٤٦) برقم (١٤٤٥٦)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

فعُلم مِن ذلك أن دينَ الله لا بد له من نصرة لأهله علىٰ من يمنعهم من الإيمان به ويصدُّهم عنه. ولما شمَّر- أي: كشف وأظهر- رسولُ الله عن ساق الدعوة ودعا قومَه ليلًا ونهارًا اشتدَّ أذىٰ قريشٍ له ولمن استجاب لدعوته، مما عطَّل انتشارَها في ربوع الجزيرة، بل في قريشٍ نفسها. وعند ذلك أَذِن اللهُ ﷻ لهم بالهجرة الأولىٰ إلىٰ أرض الحَبَشة، وحاولت قريشٌ تتبُّعهم ومَنْعهم، لولا رعايةُ الله لهم. ثم اشتدَّ البلاءُ مِن قريشٍ علىٰ مَن عاد مِن مُهاجِري الحَبَشة وغيرهم، ولَقُوا منهم أذًىٰ شديدًا، فأَذِن لهم رسولُ الله ﷺ في الخروج مرةً أخرىٰ إلىٰ أرض الحبشة، وكان ذلك أشقَّ عليهم وأصعبَ.

فعن أَبِي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يا رسولَ الله، أَيُّ العَمَلِ أفْضلُ؟ قَالَ: «الإِيمَانُ بِاللهِ، وَالجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ». متفق عليه، واللفظ لمسلم. فالأصل في رسالة النبيِّ هو دعوة الناس إلىٰ الإيمان بالله والقيام علىٰ شريعته، ثم دعوتهم إلىٰ تعلُّم أوامر الله ونواهيه، وكان الجهاد إما لمجاهدة مَن يمنع نَشْر دين الله بين البسطاء والضعفاء وعامة الناس، وإما لحماية مَن آمن منهم ونصرته؛ مِن أجل هذا كان الجهادُ ذِرْوةَ سَنَام الإسلام وقُبَّته.

وقد أمر اللهُ المسلمين أن يُجاهدوا فيه حقَّ جهاده، كما أمرهم أن يتَّقوه حقَّ تُقاتِه؛ وكما أن حقَّ تقاته أن يُطاعَ فلا يُعصىٰ، ويُذكَر فلا يُنسىٰ ويُشكَر فلا يُكفَر، فحقُّ جهادِه أن يُجاهِدَ العبدُ نفسَه أولًا ليُسلِمَ قلبَه ولسانه وجوارحه لله، فيكون كلُّه لله وبالله، لا لنفسه ولا بنفسه. فالجهادُ هو أَخْذ النفس ببَذْل الوُسع والطاقة، وتحمُّل المشقة، وهو الدعوة إلىٰ الدين الحق؛ قال رسولُ الله ﷺ: «الْمُجَاهِدُ مَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ الخَطَايَا وَالذُّنُوبَ» أحمد في مسنده (٦/ ٢١) برقم (٢٤٠٠٤)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وجهادُ النفس والشيطان مُقدَّمٌ علىٰ جهاد أعداء الدين في الخارج الذين يمنعون انتشاره في الأرض، بل هو الأصل؛ لأن مَن لم يجاهد نفسَه أولًا لتقومَ بأوامر الله تعالىٰ وتترك ما نهىٰ عنه لا يَلتفت ولا ينشغل بمجاهدة مَن يمنع نَشْر دينِ الله بين خَلْقه في الخارج، فكيف يُمكنه الالتفاتُ لعداوة الخارج وهو الذي لم يلتفت لعدوِّه الذي بين جَنْبَيْه ولا لشيطانه الذي صَرَفه عن مقصود حياته ومُرادِ ربِّه؟

أقسام الجهاد: قسَّم ابنُ القيم رَحِمَهُ اللَّهُ الجهادَ إلىٰ أربعِ مراتبَ: جهاد النفس، وجهاد الشيطان، وجهاد الكفار، وجهاد المنافقين.

أما جهادُ النفس: فهو محاربةُ النفس الأَمَّارة بالسُّوء، وذلك بتحميلها ما يشقُّ عليها من أوامر الشرع الحنيف، وتَرْك المنهيات، وهو كذلك حَمْل النفس علىٰ المشاقِّ البدنية ومخالفة الهوىٰ، فيبذل المستطاعَ في أمر المطاع وهو المولىٰ عَزَّ وَجَلَّ.

مراتب جهاد النفس: قال ابنُ القيِّم رَحِمَهُ اللَّهُ: جهاد النفس علىٰ أربع مراتب:

الأولىٰ: مجاهدتها علىٰ تعلُّم الهدىٰ ودين الحق.

والثانية: مجاهدتها علىٰ العمل به (أي: بالهدىٰ ودين الحق) بعد علمه.

والثالثة: مجاهدتها علىٰ الدعوة إلىٰ الحقِّ.

والرابعة: مجاهدتها علىٰ الصبر علىٰ مشاقِّ الدعوة إلىٰ الله وأذىٰ الخلق، وليتحمَّل ذلك كلَّه لله. ثم قال: فإذا استكمل المسلمُ هذه المراتبَ الأربع صار من الرَّبَّانيين. فإن السلف مجمعون علىٰ أن العالِمَ لا يستحقُّ أن يُسمَّىٰ رَبَّانيًّا حتىٰ يعرفَ الحقَّ ويعمل به ويُعلِّمه للناس، فمَن عَلِم وعَمِل وعلَّم فذاك يُدعىٰ عظيمًا في ملكوت السموات.

وعلىٰ المُجاهِدِ أن يَكُفَّ نفسَه عن إرادتها الانشغالَ بغير الطاعة والعبادة.

قال الغزاليُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: قد اتَّفق العلماءُ علىٰ أنه لا طريق إلىٰ سعادة الآخرة إلا بنَهْي النفس عن الهوىٰ ومخالفة الشهوات، فالإيمان بهذا واجبٌ.

وقال ابن بطَّال رَحِمَهُ اللَّهُ: جهادُ المرءِ نفسَه هو الجهاد الأكبر، قال اللهُ تعالىٰ:

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ۝٤٠ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ۝٤١﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

فيمنع نفسَه عن المعاصي والشُّبُهات، ويمنعها أيضًا من الإكثار من الشهوات المباحة؛ لئلا يعتادَ ذلك، فقد يجرُّه إلىٰ الحرام.

قال أبو بكر ﵁ في وصيَّته لعمر بن الخطاب ﵁ حين استخلفه: إن أولَ ما أُحذِّرك نفسُك التي بين جَنْبَيك.

وقال سفيان الثَّوريُّ ﵀: ما عالجتُ شيئًا أَشَدَّ عليَّ من نفسي، مرةً لي ومرةً عليَّ.

وقال ابن القيم ﵀: لا يُسيء الظنَّ بنفسه إلا مَن عَرَفها، ومَن أحسن الظنَّ بنفسه فهو مِن أجهل الناس بنفسه.

وقال الغزاليُّ ﵀: إن النفسَ عدوٌّ مُنازِعٌ، يجب علينا مجاهدتُها.

وقال يحيىٰ بن معاذ ﵀: أعداءُ الإنسان ثلاثةٌ: دنياه، وشيطانه، ونفسه؛ فاحترس من الدنيا بالزهد فيها، ومن الشيطان بمخالفته، ومن النفس بترك الشهوات.

وأما جهاد الشيطان: يقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝٦﴾ [فاطر: ٦]. فهو العدوُّ المبين للإنسان، ومِن ثَمَّ وجبت مجاهدتُه تمهيدًا لمجاهدة النفس في الداخل ومجاهدة الكفر والنفاق في الخارج، وتعني هذه المجاهدة مقاومة ما يأتي به الشيطان مِن الشُّبُهات وما يُزيِّنه من الشهواتن ولجهاد الشيطان كما يقول ابن القيم ﵀ مرتبتان:

الأولىٰ: جهاده ومقاومته علىٰ دَفْع ما يُلقي إلىٰ العبد من الشُّبهات والشكوك في أسماء الله وصفاته وأقداره وأفعاله وعَدْله وحكمته ورحمته.

الثانية: جهاده علىٰ ما يُلقي إليه من الرغبات الفاسدة والشهوات الدنيئة، فإذا جاهده علىٰ الشبهات رزقه اللهُ بعدها اليقين، وإذا قاوم شهواتِه رزقه الصبرَ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ ۝٢٤﴾ [السجدة: ٢٤].

فبيَّن ﷻ أن شَرَفَ وإمامةَ الدين إنما تُنال بالصبر واليقين؛ فالصبر يدفع الشهوات والرغبات والإرادات الفاسدة، واليقينُ يدفع الشكوك والشبهات.

ولما كان لا يخلو قلبٌ من شهوةٍ وغضب وحرص وطمع وطول أمل إلىٰ غير ذلك من صفات الشر المتشعبة عن الهوىٰ فلا جرم ألا يخلو قلب من أن يكون فيه جولان بالوسوسة؛ يقول النبي ﷺ: «مَا مِنكُم مِن أحدٍ إلَّا ولَه شَيطَانٌ». قالوا وأنت يا رسول الله؟ قال: «وأنَا. إلا أنَّ اللهَ أعانَنِي عَلَيه فأسلَمَ فلا يأمُر إلا بخيرٍ» مسلم برقم (٦٩).

وهذا لأن الشيطان لا يتملك علىٰ الإنسان إلا إذا تصرف بمقتضىٰ الشهوة، فمن أعانه الله تعالىٰ علىٰ شهوته حتىٰ صارت لا تهيج إلا عند حد الاعتدال الذي ينبغي له فهنا شهوته لا تدعو إلىٰ الشر، فلا سبيل للشيطان عليه، فلا يأمر إلا بخير، فإذا غلب علىٰ القلب طلب الدنيا وذكرها وحب الهوىٰ، وجد الشيطان ميدانًا له، وإذا غلب علىٰ القلب حب الآخرة وذكر الله، ارتحل الشيطان وجاء الملك وألهم الإنسان الخيرَ، فالقلب الخالي من الهوىٰ لا يدخله الشيطان كالبيت الفارغ لا يدخله اللصوص، قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢].

فمن اتبع الهوىٰ فقد عبد الهوىٰ وما عبد الله فلذلك سلط الله عليه الشيطان، قال الله تعالىٰ: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ [الجاثية: ٢٣]، ففيه إشارة إلىٰ أن الهوىٰ إلهه ومعبوده فهو عبد الهوىٰ لا عبد الله. ولهذا فإن الوقوف علىٰ خدع النفس ومكايد الشيطان هو فرض عين علىٰ كل مُكَلَّف، وهو للأسف علم أهمله الناس.

جهادُ الكفار والمنافقين: وهو علىٰ أربع مراتب: بالقلب، واللسان، والمال، والنفس. وجهادُ الكفارِ أخصُّ باليد (أي: القوة)، وجهادُ المنافقين أخصُّ باللسان؛ قال اللهُ تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ٧٣﴾ [التوبة: ٧٣].

جهادُ أرباب الظلم وأصحاب البِدَع والمُنكَرات: وهو علىٰ ثلاث مراتب: باليد إذا قَدَر، فإن عَجَز انتقل إلىٰ اللسان، فإن عجز جاهد بقلبه، كما قال المصطفىٰ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الإِيمَانِ». مسلم برقم (٤٩).

فإذا جُمِع كل ذلك وُجد أنه ثلاث عَشْرَةَ مَرْتَبةً مِن الجهاد، ولا يتمُّ الجهادُ إلا

بالهجرة، ولا الهجرةُ والجهادُ إلا بالإيمان. والراجون رحمةَ الله هم الذين قاموا بهذه الثلاثة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨﴾ [البقرة: ٢١٨].

وكما أن الإيمانَ فُرِض علىٰ كلِّ أحدٍ فكذلك فَرَض اللهُ علىٰ المؤمن هجرتين:

الأولىٰ: الهجرة إلىٰ الله ﷻ بتوحيده سبحانه، والإخلاص له، والتوبة، والرجوع إليه، والتوكُّل عليه، والخوف منه، والرجاء والمحبة له.

والثانية: الهجرة إلىٰ رسوله بالاتباع الكامل له، والانقياد لأمره، والتصديق بكلامه، وتقديمه علىٰ نفوسنا وأهوائنا، وكمال المحبة له، كما قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ اللهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ لِدُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَنْكِحُهَا فَهِجْرَتُهُ إِلَىٰ مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ». متفق عليه.

وأكملُ الخلق عند الله مَن كمَّل مراتبَ الجهاد كلَّها. والخَلْقُ متفاوتون في منزلتهم عند الله، ومِن ثم فهم متفاوتون في مراتب الجهاد؛ ولهذا كان المصطفىٰ ﷺ خاتَمَ الأنبياء والمرسلين هو أكمل الخلق وأكرمهم علىٰ الله؛ لأنه كمَّل مراتبَ الإيمان وكمَّل مراتب الجهاد وجاهد في الله حقَّ جهاده منذ بعثه الله إلىٰ أن تَوفَّاه؛ فقد استجاب لربِّه حين نزَّل عليه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ١ قُمْ فَأَنذِرْ ٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ٣﴾ [المدثر: ١-٣] فقام في الدعوة أتَمَّ قيامٍ ودعا قومَه ليلًا ونهارًا وسرًّا وجهارًا، وهكذا إلىٰ أن أتم رسالته ولقي ربَّه وهو راضٍ عنه.

حكم الجهاد: أما جهادُ النفس وجهاد الشيطان ففَرْضُ عينٍ علىٰ كلِّ مسلمٍ ومسلمة، لا ينوب فيه أحدٌ عن أحدٍ، وأما جهادُ الكفار والمنافقين ومَن في حكمهم من أهل البِدَع فهو فَرْضُ كفايةٍ، قد يُكتفَىٰ فيه ببعض الأمة إذا حصل منهم مقصودُ الجهاد.

الرسالة المحمديَّة بالرحمة للعالمين:

لما قام الرسول ﷺ بدعوة الناس إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ قابلوه بالأذىٰ والتشكيك والرفض وكثيرًا ما منعوه من توصيل هذه الشريعة وهذا الدين الجديد إلىٰ الناس.

والإسلام بدأ سرًّا ثلاث سنوات ثم أراد الله أن يكونَ علنا فأمره بذلك فبدأ يعلن علىٰ

الملأ مما أغضب قريشا وجعلوا يعذبون أصحابه الذين لم تكن لهم منعة وقد حبسوهم في شعب أبي طالب ثلاث سنوات وأثر ذلك علىٰ قبول الدعوة في جزيرة العرب كثيرًا.

فمكث النبي ﷺ ثلاث عشرة سنة في مكة وما آمن معه إلا قليل من الناس من العشرات من الناس لصعوبة هذه البيئة فكان يقول: «مَنْ يُؤْوِينِي؟ مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّىٰ أُبَلِّغَ رِسَالَاتِ رَبِّي وَلَهُ الْجَنَّةُ» فكان يبحث عن المأوىٰ والنصرة.

وهكذا كان يدور بين القبائل لإيجاد البيئة التي يكون فيها المأوىٰ وتكون فيها النصرة لمن يسلم من المسلمين الجدد ليكون عونًا علىٰ قبول الدعوة وانتشارها، فالبيئة التي ليس فيها أمان وليس فيها سعة في الرزق تكون سببا في صد الناس عن دين الله.

وهكذا كان يفعل حتىٰ أراد الله أن تكونَ المدينة المنورة المكان الذي فيه الإيواء والنصرة، فآخىٰ بين المهاجرين والأنصار حيث كان يتكلف الأنصاري النفقة علىٰ أخيه المهاجري، وكان المهاجري يعلمه شئون دينه ويشترك الاثنان في النصرة والدفاع عن المدينة والمنورة.

وقد دخل الناس في دين الله أفواجًا، وكان النبي ﷺ يشيع بين الناس السعة في الرزق فكان يعطي عطاء من لا يخشىٰ الفقر، حتىٰ بلغ الناس أنه من دخل الدين لن تصيبه فاقة. وقد كوَّن السرايا ليدفع بها الخصوم الذين كانوا يكيدون له ويريدون أن يقضوا علىٰ هذه الدعوة مبكرًا.

فكان الجهاد في ذلك الوقت لنشر الدين إنما كان لإيجاد البيئة الآمنة، فاستدعىٰ ذلك إعداد القوة للدفاع عن المؤمنين الجدد الضعفاء المساكين الذي قد لا يمتلكون سلاحا يدافعون به عن أنفسهم وحرية اعتقادهم وأيضًا ليدفعوا عن نفسهم الجوع والفقر الذي أراده المشركون لهم ليمنعوا الناس من الدخول إلىٰ الدين الجديد.

ولما وجدت البيئة التي فيها الأمان وسعة الرزق كان من السهل أن ينتشر دين الله في الأرض، وقد وجدنا أنه في العشر السنوات التي مكث فيها النبي ﷺ في المدينة المنورة ارتفع العدد من عشرات المسلمين إلىٰ أن صاروا أكثر من مائة ألف يقفون أمامه في حجة الوداع في السنة العاشرة للهجرة.

ولما استتب الأمر في جزيرة العرب للنبيِّ ﷺ أصبح يرسل الوفود بدون جيوش

بل بأعداد قليلة حين أمن الناس وحين استتب الأمر لرسول الله ﷺ. فالدعوة إلىٰ الله هي الأصل، وقتال الذين يرفضون الدعوة ويهددون المسلمين هو سبيل الحماية للدعوة، فكل الوسائل إنما هي لهداية البشريَّة وليس لقتل الناس، فالأصل والمقصد هو الدعوة إلىٰ تبارك وتعالىٰ، فما أُرسل النبي ﷺ إلا رحمة للعالمين.

وعلىٰ الناس في هذا الزمان أن يحاولوا أن يكرروا هذه السيرة العطرة بإيجاد البيئة الآمنة والصحبة الصالحة والكرم والنفقة حتىٰ يتحقق دخول الناس في دين الله أفواجًا.

وكلنا يذكر قول الله تبارك وتعالىٰ الذي جاء علىٰ سبيل المن علىٰ قريش ليبين عظمة ما أعطاهم الله تبارك وتعالىٰ، فقال: ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ۝١ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝٣﴾ إلىٰ آخر الآيات [قريش: ١-٤].

فالجهاد الذي قصده الشارع الكريم هو تيسير الحياة علىٰ الناس لحفاظة أمنهم، ثم إيجاد البيئة الصالحة ليقيموا شرع الله تبارك وتعالىٰ في هذا الجو الآمن اليسير من السعة في الرزق والأمان علىٰ الحياة.

وقد حدثت في حياة الناس أحداث كثيرة ساعدت علىٰ وجود الأمان بين الدول بالوسائل المتقدمة، من التأشيرات وخلافها، ويستطيع المسلم أن يدعو الناس إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ في جو آمن حاملًا معه ما يريد من طعام وشراب، بل يستطيع أن يقدم معونة من ذلك الطعام والشراب لمن ذهب إليهم ودعاهم إلىٰ الإيمان فيتحقق بذلك الكرم والسعة وقد تحقق الأمان من قبل.

ومن هنا انتشر الدين في كثيرٍ من ربوع الأرض في زماننا الحديث. وأما الذين يقومون بتفزيع الناس وترهيبهم يصيبون الدعوة في مقتل ويصدون عن سبيل الله تبارك وتعالىٰ، فليس المقصود تفزيع الناس وقتلهم تحت أي مسمىٰ؛ لأن هذا ينافي الفكر الأصيل من هداية البشريَّة؛ فإذا وُجد الأمان والسعة في الحياة فلا يكون هناك داع إلىٰ قتل الناس وتفزيعهم وإرجافهم تحت مسمىٰ الدفاع عن الدين.

❃ ❃ ❃

٢٣٦- باب فضل العتق

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾﴾ [البلد: ١١- ١٣].

(١٣٥٨/ ٢٣٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَعْتَقَ رَقَبَةً مُسْلِمَةً أعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْوًا مِنْهُ من النَّارِ، حَتَّىٰ فَرْجَهُ بِفَرْجِهِ». متفق عليه.

(١٣٥٩/ ٢٣٦) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، أيُّ الأعْمالِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «الإيمَانُ بِالله، وَالجِهادُ في سَبيلِ الله». قَالَ: قُلْتُ: أيُّ الرِّقَابِ أفْضَلُ؟ قَالَ: «أنْفَسُهَا عِنْدَ أَهْلِهَا، وَأكْثَرُهَا ثَمَنًا». متفق عليه.

٢٣٧- باب فضل الإحسان إلى المملوك

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ﴾ [النساء: ٣٦].

(١٣٦٠/ ٢٣٧) وعن المَعْرُورِ بنِ سُوَيْدٍ قَالَ: رَأيْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه وَعَلَيهِ حُلَّةٌ (أي: ثوبان من جنس واحد) وَعَلَىٰ غُلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذَكَرَ أنَّهُ سَابَّ رَجُلًا عَلَىٰ عَهْدِ رسول الله ﷺ، فَعَيَّرَهُ بأُمِّهِ، فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «إنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ (أي: خصلة من خصال الجاهلية) هُمْ إخْوانُكُمْ وَخَوَلُكُمْ (أي: خَدَمُكم، فهم يتخوَّلون الأمورَ ويصلحونها) جَعَلَهُمُ الله تَحْتَ أيدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبَسُ، وَلا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ فَأَعِينُوهُمْ». متفق عليه.

(١٣٦١/ ٢٣٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَتَىٰ أَحَدَكُمْ خَادِمُهُ بِطَعَامِهِ، فَإنْ لَمْ يُجْلِسْهُ مَعَهُ، فَلْيُنَاوِلْهُ لُقْمَةً أَوْ لُقْمَتَيْنِ أَوْ أُكْلَةً أَوْ أُكْلَتَيْنِ؛ فَإنَّهُ وَلِيَ عِلاجَهُ (أي: طبخه وحصل الآته)». رواه البخاري. «الأُكْلَةُ» بضم الهمزة، وَهِيَ: اللُّقْمَةُ.

٢٣٨- باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه

(١٣٦٢/ ٢٣٨) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ العَبْدَ إِذَا نَصَحَ لِسَيِّدِهِ، وَأَحْسَنَ عِبَادَةَ الله، فَلَهُ أَجْرُهُ مَرَّتَيْنِ». متفق عليه.

(١٣٦٣/ ٢٣٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لِلْعبد المَمْلُوكِ المُصْلِحِ أجْرَانِ». والذي نفسُ أبي هُريرة بيده، لولا الجهادُ في سبيل الله والحجُّ، وَبِرُّ أُمِّي، لأَحْبَبْتُ أنْ أَمُوتَ وَأنَا مَمْلُوكٌ. متفق عليه.

(١٣٦٤/ ٢٣٨) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «المَمْلُوكُ الَّذِي يُحْسِنُ عِبَادَةَ رَبِّهِ، وَيُؤَدِّي إِلَىٰ سَيِّدِهِ الَّذِي عَلَيْهِ مِنَ الحَقِّ وَالنَّصِيحَةِ وَالطَّاعَةِ، لَهُ أجْرَانِ». رواه البخاري.

(١٣٦٥/ ٢٣٨) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ثَلاثَةٌ لهم أجْرَانِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَآمَنَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، وَالعبد المَمْلُوكُ إِذَا أَدَّىٰ حَقَّ الله وَحَقَّ مَوَالِيهِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَأَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ تَأدِيبَهَا، وَعَلَّمَهَا فَأَحْسَنَ تَعْلِيمَهَا، ثُمَّ أعْتَقَهَا فَتزَوَّجَهَا؛ فَلَهُ أَجْرَانِ». متفق عليه.

٢٣٩- باب فضل العبادة في الهَرْج، وهو الاختلاط والفتن ونحوها

(١٣٦٦/ ٢٣٩) عن مَعْقِل بن يَسَار رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «العِبَادَةُ في الهَرْجِ كَهِجْرَةٍ إلَيَّ». رواه مسلم.

٢٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسر المعسر والوضع عنه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾﴾ [البقرة: ٢١٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ﴾ [هود: ٨٥].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: ١-٦].

(١٣٦٧/ ٢٤٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا أَتَىٰ النَّبيَّ ﷺ يَتَقَاضَاهُ (أي: يطلب منه قضاء الدين) فَأغْلَظَ (أي: الرَّجُلُ) لَهُ، فَهَمَّ به أصحابُه، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «دَعُوهُ؛ فَإِنَّ لِصَاحِبِ الحَقِّ

مَقَالًا». ثُمَّ قَالَ: «**أَعْطُوهُ سِنًّا** (أي: يقصد الجمل أو الناقة) **مِثْلَ سِنِّهِ**». قالوا: يَا رسولَ اللهِ، لا نَجِدُ إِلَّا أَمْثَلَ مِنْ سِنِّهِ (أي: لا نجد إلا ما هو أكبر سنًّا) قَالَ: «**أَعْطُوهُ، فَإِنَّ خَيْرَكُمْ أَحْسَنُكُمْ قَضَاءً**». متفق عليه.

(١٣٦٨/ ٢٤٠) وعن جابر رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللهُ رَجُلًا سَمْحًا** (أي: سهلا) **إِذَا بَاعَ، وَإِذَا اشْتَرَىٰ، وَإِذَا اقْتَضَىٰ**». رواه البخاري.

(١٣٦٩/ ٢٤٠) وعن أبي قتادة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنَجِّيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ القِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ** (أي: المعنىٰ: يمد، ويؤخر المطالبة) **عَنْ مُعْسِرٍ أَوْ يَضَعْ عَنْهُ**». رواه مسلم.

(١٣٧٠/ ٢٤٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**كَانَ رَجُلٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، وَكَانَ يَقُولُ لِفَتَاهُ: إِذَا أَتَيْتَ مُعْسِرًا فَتَجَاوَزْ عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا، فَلَقِيَ اللهَ فَتَجَاوَزَ عَنْهُ**». متفق عليه.

(١٣٧١/ ٢٤٠) وعن أبي مسعودٍ البَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**حُوسِبَ رَجُلٌ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَلَمْ يُوجَدْ لَهُ مِنَ الخَيْرِ شَيْءٌ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ يُخَالِطُ النَّاسَ** (أي: يعامل الناس في التجارة وغيرها) **وَكَانَ مُوسِرًا، وَكَانَ يَأْمُرُ غِلْمَانَهُ أَنْ يَتَجَاوَزُوا عَنِ المُعْسِرِ. قَالَ اللهُ عز وجل: نَحْنُ أَحَقُّ بِذلِكَ مِنْهُ؛ تَجَاوَزُوا عَنْهُ**». رواه مسلم.

(١٣٧٢/ ٢٤٠) وعن حُذَيفَةَ رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ اللهُ تَعَالَىٰ بِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَقَالَ لَهُ: مَاذَا عَمِلْتَ فِي الدُّنْيَا؟ قَالَ: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۝٤٢﴾ [النساء: ٤٢]. قَالَ: يَا رَبِّ، آتَيْتَنِي مَالَكَ، فَكُنْتُ أُبَايِعُ النَّاسَ، وَكَانَ مِنْ خُلُقِي الجَوَازُ (أي: إعفاء غير المستطيع)، فَكُنْتُ أَتَيَسَّرُ عَلَىٰ المُوسِرِ، وَأُنْظِرُ المُعْسِرَ. فَقَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: «**أَنَا أَحَقُّ بِذا مِنْكَ، تَجَاوَزُوا عَنْ عَبْدِي**». فَقَالَ عُقْبَةُ بن عامِرٍ، وأبو مسعودٍ الأنصاريُّ رضي الله عنهما: هكذا سَمِعْنَاهُ مِنْ فِي رسولِ الله ﷺ. رواه مسلم.

(١٣٧٣/ ٢٤٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَنْظَرَ** (أي: أمهل) **مُعْسِرًا أَوْ وَضَعَ لَهُ** (أي: لان وتسامح) **أَظَلَّهُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ تَحْتَ ظِلِّ عَرْشِهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ**». رواه التِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٧٤/ ٢٤٠) وعن جابر رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ اشْتَرَىٰ مِنْهُ بَعِيرًا، فَوَزَنَ لَهُ فَأَرْجَحَ. متفق عليه.

(١٣٧٥/ ٢٤٠) وعن أَبي صَفْوان سُوَيْدِ بن قيسٍ رضي الله عنه قَالَ: جَلَبْتُ أَنَا وَمَخْرَمَةُ العَبْدِيُّ بَزًّا (أي: البز: الثياب، أو متاع البيت من الثياب) مِنْ هَجَرَ، فَجاءنا النبيُّ ﷺ فَساوَمَنَا بِسَرَاوِيلَ، وَعِنْدِي وَزَّانٌ يَزِنُ بِالأَجْرِ، فَقَالَ النبيُّ ﷺ لِلْوَزَّانِ: «زِنْ وَأَرْجِحْ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

* * *

١٢ - كتاب العلم

٢٤١ - باب فضل العلم

قَالَ الله تعالَىٰ: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ١١٤﴾ [طه: ١١٤].

وقال تعالَىٰ: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر: ٩].

وقال تعالَىٰ: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال تعالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ﴾ [فاطر: ٢٨].

(١٣٧٦/ ٢٤١) وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ». متفق عليه.

(١٣٧٧/ ٢٤١) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الحِكْمَةَ، فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفق عليه. والمراد بالحسدِ: الغِبْطَةُ، وَهُوَ أنْ يَتَمَنَّىٰ مِثلَهُ.

(١٣٧٨/ ٢٤١) وعن أَبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَثَلُ مَا بَعَثَنِي الله بِهِ مِنَ الهُدَىٰ وَالعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ (أي: الغيث هو المطر) أَصَابَ أَرْضًا؛ فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ طَيِّبَةٌ قَبِلَتِ المَاءَ فَأَنْبَتَتِ الكَلأَ، وَالعُشْبَ الكَثِيرَ، وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ المَاءَ، فَنَفَعَ اللهُ بِهَا النَّاسَ، فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَزَرَعُوا، وَأَصَابَ طَائِفَةً مِنْهَا أُخْرَىٰ إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ (أي: أرض مسطحة مستوية)؛ لا تُمْسِكُ مَاءً وَلا تُنْبِتُ كَلأً، فَذلِكَ مَثَلُ مَنْ فَقُهَ فِي دِينِ الله، وَنَفَعَهُ مَا بَعَثَنِي اللهُ بِهِ، فَعَلِمَ وَعَلَّمَ، وَمَثَلُ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذلِكَ رَأسًا، وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَىٰ الله الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ». متفق عليه.

(١٣٧٩/ ٢٤١) وعن سهل بن سعد رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال لعليٍّ رضي الله عنه: «فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ (أي: الإبل الحمراء وهي أنفس أموال العرب)». متفق عليه.

(١٣٨٠/ ٢٤١) وعن عبد الله بن عَمْرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلا حَرَجَ (أي: لا ضيق عليكم في الحديث عنهم)، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». رواه البخاري.

(١٣٨١/ ٢٤١) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قال: «وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا، سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ». رواه مسلم.

(١٣٨٢/ ٢٤١) وعنه أيضًا رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ دَعَا إِلَىٰ هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ لا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا». رواه مسلم.

(١٣٨٣/ ٢٤١) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ». رواه مسلم.

(١٣٨٤/ ٢٤١) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ (أي: مبغوضة من الله)، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا، إِلَّا ذِكْرَ الله تَعَالَىٰ، وَمَا وَالاهُ، وَعَالِمًا، أَوْ مُتَعَلِّمًا». رواه التِّرمذي، وقال: «حديث حسن». قَوْله: «وَمَا وَالاهُ» أي: طَاعَة الله.

(١٣٨٥/ ٢٤١) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَرَجَ فِي طَلَبِ العِلْمِ كَانَ فِي سَبِيلِ الله حَتَّىٰ يَرْجِعَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٨٦/ ٢٤١) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «لَنْ يَشْبَعَ مُؤْمِنٌ مِنْ خَيْرٍ حَتَّىٰ يَكُونَ مُنْتَهَاهُ الجَنَّةَ». رواه التِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٨٧/ ٢٤١) وعن أَبي أُمَامَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «فَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِي عَلَىٰ أَدْنَاكُمْ». ثُمَّ قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ حَتَّىٰ النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّىٰ الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَىٰ مُعَلِّمِي النَّاسِ الخَيْرَ». رواه التِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٨٨/ ٢٤١) وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَبْتَغِي فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَإِنَّ المَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ العِلْمِ رِضًا بِمَا يَصْنَعُ، وَإِنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّموَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ حَتَّىٰ الحِيتَانُ فِي المَاءِ، وَفَضْلُ العَالِمِ عَلَىٰ العَابِدِ كَفَضْلِ القَمَرِ عَلَىٰ سَائِرِ الكَوَاكِبِ، وَإِنَّ العُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا وَإِنَّمَا وَرَّثُوا العِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ

وَافِرٍ». رواه أبو داود والتِّرمذي.

(١٣٨٩/ ٢٤١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقولُ: «نَضَّرَ اللهُ امْرَأً (أي: زاده نضارة وحسنا وبهاء) سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا، فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَهُ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَىٰ مِنْ سَامِعٍ». رواه التِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٣٩٠/ ٢٤١) وعنْ أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عن عِلْمٍ فكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٩١/ ٢٤١) وعنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ الله لا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ». يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٣٩٢/ ٢٤١) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ اللهَ لا يَقْبِضُ العِلْمَ انْتِزَاعًا يَنْتَزِعهُ مِنَ النَّاسِ، وَلكِنْ يَقْبِضُ العِلْمَ بِقَبْضِ العُلَمَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يُبْقِ عَالِمًا، اتَّخَذَ النَّاسُ رُءوسًا جُهَّالًا، فَسُئِلُوا فَأَفْتوا بِغَيْرِ عِلْمٍ، فَضَلُّوا وَأَضَلُّوا». متفق عليه.

* * *

(العلم)

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران: ١٨]. وقال رسول الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِمٍ». ابن ماجه برقم (٢٢٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩١٣).

وقال ﷺ: «يَحْمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ (أي: العُدُول هم الثِّقَاتُ، جمع عَدْل، وهو صاحب التقوىٰ والديانة مقبول الشهادة وليس بفاسق ولا فاقدٍ للمروءة)، يَنْفُونَ عَنْهُ (أي: يُزيلون منه) تَحْرِيفَ الغَالِينَ (أي: المتشددين الذين يَتَجاوزون في كتاب الله وسنة رسوله عن المعنَىٰ المراد منهما، فينحرفون عن جهة الحق) وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ (أي: جمع مبطل وهو الذي ينسب قولًا من العلم إلىٰ نفسه ليستدل به علىٰ الباطل) وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ (أي: وهم الذين يفسرون ويؤولون العلم إلىٰ غير الصواب)».

(البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٢٤٨).

وهذا إخبار منه ﷺ بصيانة العلم وحفظه وعدالة ناقليه، وأن الله تعالىٰ يُوفِّق له في كل

عصر خَلَفًا من العُدُول يَحملونه وينفون عنه التحريف وما بعد فلا يضيع، وهذا تصريح بعدالة حامليه في كل عصر. فالعلم كالغيث الذي فيه حياة الأرض ومصالح العباد، وهو كذلك فيه مصالح ومنافع العباد والبلاد.

والملائكة تجالس طالب العلم وتفضل مجلسه، قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ الله لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَمَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ الله يَتْلُونَ كِتَابَ الله وَيَتَدَارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ وَحَفَّتْهُمُ المَلَائِكَةُ وَذَكَرَهُمُ الله فِيمَنْ عِنْدَهُ». مسلم برقم (٢٦٩٩).

قال صفوان بن عسال: أتيتُ النبيَّ ﷺ وهو في المسجد مُتَّكِئٌ، فقلت: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم. فقال: «مَرْحَبًا طَالِبَ الْعِلْمِ، إِنَّ طَالِبَ العِلْمِ تَحُفُّهُ الملائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا، ثُمَّ يَرْكَبُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّىٰ يَبْلُغُوا السَّمَاءَ الدُّنْيَا مِنْ مَحَبَّتِهِمْ لما يَطْلُبُ».

الطبراني في المعجم الكبير حديث (٧٣٤٧)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٣٣٩٧).

وكان بعض السلف إذا مر بمثل لا يفهمه يبكي ويقول: لستُ من العالمين لقول الله تعالىٰ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والعلم أشرف ما في الإنسان، ومع أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ كان جميل الصورة، فإنه لم يشفع له ذلك وحُبِسَ في السجن، أما عِلْمُه بتأويل الرؤيا فكان سببًا لجعله وزيرًا علىٰ خزائن الأرض، فصورة العلم عند بني آدم أفضل من صورة الوجه والجمال الحسيِّ، والجهل قبيح، وأهل الجهل مُبغَضون، ويتبرأ الناس عادة من الجهل وأهله، وقلب العبد ميت بالجهل، والعلم نورٌ وحياة له.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَـٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَـٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٢٢] وفي الآية الكريمة: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

فالقرآن والإيمان هما نور يجعله الله في قلب من يشاء من عباده وإنهما أصل كل خير في الدنيا والآخرة وعلمهما أجلُّ وأعظم العلوم وأفضلها. قال عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: محبة العلماء دِينٌ يُدانُ به.

وفي ذلك تنبيهٌ للعلماء أيضًا علىٰ اتباع ما وَرَثُوه عن النبي ﷺ من دعوة الناس وتبليغهم دِينَ الله والصبر والاحتمال عليهم ومقابلة إساءتهم بالإحسان والرفق وبذل النصح لهم بأحسن الطرق وأيسرها، وتربية الأمة بالتدريج والترقي من صغار العلوم إلىٰ كبارها، وتحميلهم ما يُطيقون. ولولا العلماء لكان الناس كالأنعام.

وقال ابن عباس رضي الله عنه: للعلماء درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة خمسمائة عام.

وروىٰ: أن أقرب الناس من درجة النبوة أهل العلم والجهاد، أما أهل العلم فدلوا الناس علىٰ ما جاءت به الرسل، وأما أهل الجهاد فجاهدوا بأسيافهم علىٰ ما جاءت به الرسل.

وعن عثمانَ بنِ عفانَ رضي الله عنه أيضًا: «يشفعُ يومَ القيامةِ ثلاثةٌ: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداءُ». ابن ماجه برقم (٤٣١٣). فمرتبة العلماء تلو النبوة وفوق الشهادة.

وروي أيضًا: إن قليل العمل ينفع مع العلم بالله، وإن كثير العمل لا ينفع مع الجهل بالله.

إذًا فَلِمَ كان الفقيه أشدَّ علىٰ الشيطان من ألف عابد؟

عن ابن عباس رضي الله عنه: «فَقِيهٌ أَشَدُّ عَلَىٰ الشَّيطَانِ مِنْ أَلْفِ عَابِدٍ» [الترمذي برقم (٢٦٨١)]؛ ذلك أن العالِمَ يُفسد علىٰ الشيطان ما يجتهد ويسعىٰ فيه ليغوي بني آدم، فكلما أراد إبليس أن يُحييَ باطلًا أو بدعة أو ضلالة حَالَ العالمُ الفقيه بينه وبين ذلك، فلا شيءَ أشدُّ عليه من بقاء العالم في الأمة، ولا شيء أحب إليه من موته؛ ليتمكن من إفساد الدين وإغواء الأمة.

وأما العابد فغايته مجاهدة نفسه ليطلب السلامة، وقد يكون أو لا يكون؛ لأن السلامة مرتبطة بالعلم أيضًا. ولهذا كان قِوامُ الدين بالعلم والجهاد، فالأئمة يُجاهدون بعلمهم في مقاومة الكفر والنفاق وسائر المنكرات، وأما المجاهدون بأيديهم فهم كثيرٌ، ولكن المجاهدين بألسنتهم وأقلامهم قليل، وهم أفضل المجاهدين.

قال أبو الدرداء رضي الله عنه: من رأىٰ الغُدُوَّ والرَّواحَ إلىٰ العلمِ ليس بجهادٍ فقد نقص في عقله ورأيه.

وقال بعضُ الصحابةِ: إذا جاء الموتُ طالبَ العلمِ وهو علىٰ هذه الحالِ مات وهو شهيدٌ.

ويقول سفيانُ الثوريُّ رحمه الله: من طلب العلم فقد بايع الله عز وجل.

وطلبُ العلم يُلازمُ الإنسان إلىٰ المماتِ، فقد قال النبيُّ ﷺ: «مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ:

مَنْهُومٌ فِي عِلْمٍ لَا يَشْبَعُ، وَمَنْهُومٌ فِي دُنْيَا لَا يَشْبَعُ» [الحاكمُ في المستدركِ (١/ ١٦٩) برقم (٣١٢)، وقال: حديثٌ صحيحٌ علىٰ شرط الشيخين، ووافقه الذهبي].

فلا يشبعُ مؤمنٌ من خير حتىٰ يكون منتهاه الجنةَ، وقلبُ المؤمنِ حريصٌ علىٰ طلبِ العلم أكثرَ من حرصٍ من فَقَد ضالَّةً. وطلب العلمِ من أفضل الحسناتِ، والحسناتُ يذهبنَّ السيئاتِ.

قال الإمامُ أحمدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الناسُ محتاجون الىٰ العلمِ أكثرَ من حاجتِهم إلىٰ الطعامِ والشرابِ، لأن الطعامَ والشرابَ يحتاجُ إليه في اليوم مرة أو مرتين، والعلمُ يحتاجُ إليه بعددِ الأنفاسِ.

ويقولُ عمر بنُ الخطابِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن الرجلَ ليخرجُ من منزلِه وعليه من الذنوب مثلُ جبالِ تِهَامة فإذا سمع العلمَ خاف ورجع وتاب فانصرف إلىٰ منزلِه وليس عليه ذنبٌ فلا تفارقوا مجالسَ العلماءِ.

وقال أيضا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: موت ألف عابد قائم الليل صائم النهار أهون من (أقل خسارة للأمة) موتِ عالمٍ بصيرٍ بحلالِ الله وحرامِه.

وقال بعضُ العلماءِ: ليت شعري أيُّ شيءٍ أدرك من فاته العلمُ وأيُّ شيءٍ فاته من أدركَ العلمَ.

عن معاذِ بنِ جبلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يرفعهُ: «مَنْ حَفِظَ عَلَى أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ». ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» برقم (٢٠٩).

وقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: تَعَلَّمِ الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَك مَالٌ كَانَ لَك جَمَالًا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَك مَالٌ كَانَ لَك مَالًا.

وليس يجهل فضل العلم إلا جاهل لأن فضل العلم إنما يعرف بالعلم نفسه.

وفي منثور الحكم: الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ؛ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا.

وهذا يفسر لنا انصرافَ الجهالِ عن طلبِ العلمِ وأهلِه ذلك لأن مَنْ جهلَ شيئًا عاداه واتخذه عدوًّا.

وقال الحسنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يوزنُ مدادُ العلماءِ بدمِ الشهداءِ فيرجحُ مدادُ العلماءِ بدمِ الشهداءِ.

كما أن الإنسانَ يتميز عن الحيوانات بالعلم والبيان من خلال حاسة السمع، وله في

القرآن معانٍ ثلاثة:

الأول: سمع الفهم، كقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٣﴾ [الأنفال: ٢٢-٢٣].

الثاني: إدراك الصوت، كقول الله تعالىٰ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَـٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ۝١﴾ [المجادلة: ١].

والثالث: سَمْع القبول والإجابة، كقول الله تعالىٰ: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَـٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّـٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ۝٤٧﴾ [التوبة: ٤٧].

فالإنسانُ من دونِ العلمِ الذي يُصلحُ دنياهُ وآخرتَه ويعيشُ علىٰ شهواتِه وغرائزه، مَثَلُه في ذلك كمثل البهائِم، قال اللهُ تعالىٰ: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَـٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤﴾ [الفرقان: ٤٤].

ومع أن طالبَ العلم قد يكونُ أقلَّ جهدًا وعملًا من ناحية البدن من الجهاد والمقاتلةِ، ولكنه مع ذلك الأكثر أجرًا، فقد روىٰ أبو هريرة رضي الله عنه قال: سئل رسولُ الله ﷺ: أيُّ العمل أفضلُ؟ قال: «إِيمَانٌ بِاللهِ وَرَسُولِهِ». قيل: ثم أي شيء؟ قال: «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ». قيل: ثم أيٌّ؟ قال: «حَجٌّ مَبْرُورٌ». متفق عليه.

فالجهادُ فيه مشقةٌ وبذلٌ للنفسِ والمالِ، ومع ذلك، فالإيمانُ وهو علمُ القلبِ وعملُه وتصديقُه هو الأفضلُ في الأعمالِ، والعاملُ المجتهدُ بلا علمٍ يظنُّ أن الفضيلةَ في كثرةِ المشقةِ.

والعلم هو القائد للأعمال، والأعمال تابعة للعلم حيث تعتمد علىٰ العلم في الأحكام والتفصيلات؛ قال بعض السلف: مَن عَبَدَ اللهَ بغير علمٍ كان ما يُفسدُ أكثرَ مما يُصلحُ.

فالعلم هو ميزان صحة الأعمال وقبولها، فإن لم يتعلم المرء ما جاء به الرسول لما استطاع أن يعمل عملًا صالحًا، فالعلم هو دليل يدلك علىٰ الإخلاص والاتباع.

قال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: العامل (أي: للأعمال الصالحة) علىٰ غير علم كالسالك علىٰ غير طريق، والعامل علىٰ غير علم ما يُفسد أكثر مما يُصلح. وقيل: فاطلبوا العلم طلبًا لا

تضرُّوا بالعبادة، واطلبوا العبادة طلبًا لا تضروا بالعلم.

ومعلوم أن ما يجهله العبد أضعاف أضعاف ما يعلمه وحاجة العبد إلىٰ الهداية مقرونة بأنفاسه والهداية هي أعظم حاجات العبد. وشرفُ العلمِ تابعٌ لنوع العلم نفسه، فلا ريب أن أفضل العلوم وأشرفها هي العلوم الشرعية، التي تزيد العلم بالله وبأسمائه وصفاته وأفعاله، ومَن عَرَف الله عرف ما سواه، ومن جهل ربَّه فهو لِمَا سواه أَجْهَلُ، فمن عَرَف ربَّه عرف مصالحه وسعادته في الدنيا والآخرة، ومن جهل ربه جهل بمصالح نفسه وسعادتها.

فالعلم بالله أصل كل سعادة، والجهل به أصلُ كلِّ شقاوة، وكمال العبد في معرفتِهِ ربَّه، وأعرف الخلق بالله أشدهم حبًّا له، فكلُّ من عرف الله أحبَّه وداوم علىٰ ذكره وسعىٰ في مرضاته، ومن عرف الدنيا وأهلها زهد فيها، والعلم سبب هذا أو ذاك. ولا ريب أن الجهل أصلُ كلِّ فسادٍ، وكل ضرر يلحق بالعبد في دنياه وأخراه فهو نتيجة الجهل.

قال علي ﵁: الفقيه حقَّ الفقيه الذي لا يُقنِّط الناس من رحمة الله، ولا يُؤمِّنهم من عذاب الله، ولا يُرخِّص لهم في معاصي الله، إنه لا خيرَ في عبادة لا علم فيها، ولا خير في علم لا فهم فيه، ولا خير في قراءة لا تدبُّر فيها.

ولم يكن السلف يطلقون اسم الفقه إلا علىٰ العلم الذي يصحبه العمل.

وقال ابن مسعود ﵁: كفىٰ بخشية الله تعالىٰ علمًا، وبالاغترار جهلًا.

وقال ابن عباس ﵄: ذنب المؤمن جهلٌ منه (أي: وقع فيه بسبب جهله).

وقال السُّدِّيُّ: كلُّ مَن عصىٰ الله فهو جاهل. ولهذا قيل: ما عُصي الله إلا بالجهل، وما أطيع إلا بالعلم.

وقال بعض السلف: كنا نستعين علىٰ حفظ العلم بالعمل به.

فتَرْكُ العمل بالعلم من أقوىٰ الأسباب في ذِهابه ونسيانه، ومن علم ولم يعمل فهو بمنزلة الجاهل الذي لا يعمل، كمن يملك الذهب والفضة لكنه جائع وعارٍ لم يشترِ ما يأكل ويلبس، فهو بمنزلة الفقير مع أنه ليس فقيرًا.

والعلم الذي لا يُنتفع به علم مبتور سُلبت حقيقته، فقد نفىٰ الله ﷻ عن الكفار الأسماع والأبصار والعقول بعدم انتفاعهم بها، فقال الله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ

﴿كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال يحيي بن أبي كثير: لا يُنال العلم براحة الجسم (أي: يقصد الكسل).

وكل صفةٍ مُدِح بها العبد في القرآن فهي ثمرة العلم ونتيجته، وكلُّ ذمٍّ ذُمَّه فهو ثمرة الجهل ونتيجته، وكلُّ خيرٍ يكون في العالم وإلىٰ قيام الساعة فهو من بركات وآثار العلم الذي جاءت به الرسل، وكلُّ شرٍّ وفساد حصل في العالم إلىٰ قيام الساعة فسببه مخالفة ما جاءت به الرسل من العلم والعمل.

قال رسول الله ﷺ: «إذا مَرَرْتُم بِرِياضِ الجنَّةِ فَارْتَعُوا». قالوا: وَمَا رِيَاضُ الْجَنَّةِ؟ قَالَ: «حِلَقُ الذِّكْرِ» الترمذي برقم (٣٥١٠)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٢٥٦٢).

وقال عطاء رَحِمَهُ اللَّهُ: مجالسُ الذكرِ مجالسُ الحلال والحرام (أي: معرفة الحلال والحرام)، كيف يشتري ويبيع ويصوم ويصلي ويتصدق وينكح ويطلق ويحج.

وقال سفيان بن عُيينة رَحِمَهُ اللَّهُ: أَرْفَعُ الناس عند الله منزلةً مَن كان (أي: واسطة ودليلًا) بين الله وبين عباده وهم الأنبياء والعلماء.

وهذا لأن العلماء خلفاء الرسل في أممهم ووارثوهم في عملهم، فمجالسهم مجالس خلافة النبوة.

وقال الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ: ليس شيءٌ بعد الفرائض أفضلَ من طلب العلم. وبهذا صرَّح كثيرٌ من الأئمة.

اجتمع في الصحابة أمورٌ ثلاثةٌ، وتفرَّقت فيمن بعدهم وهي: الصلاة والعلم والجهاد، وهي التي أشار إليها عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لولا ثلاث في الدنيا لما أحببت البقاء فيها (أي: يقصد الدنيا): لولا أن أَحمِلَ أو أُجهِّز جيشًا في سبيل الله، ولولا مُكابدةُ هذا الليل (أي: يقصد قيام الليل)، ولولا أقوام ينتقون أطايب الكلام كما يُنتقىٰ أطايب التمر (أي: يقصد مجلس العلم)، لما أحببت البقاء.

وقال معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: تعلَّموا العِلْمَ؛ فإن تعليمَه لله خشيةٌ، وطَلَبَه عبادةٌ، ومذاكرتَه تسبيحٌ، والبحثَ عنه جهادٌ، وتعليمَه لمن لا يَعْلَمه صدقةٌ، وبَذْلَه لأهله قُرْبةٌ؛ لأنه مَعَالِمُ

الحلال والحرام، ومَنَارُ سُبُل أهل الجنة، وهو الأُنْس في الوحشة، والصاحب في الغُرْبة، والمُحدِّث في الخَلْوة، والدليلُ علىٰ السراء والضراء، والسِّلاحُ علىٰ الأعداء، والزَّيْنُ عند الأَخِلَّاءِ، يرفع اللهُ به أقوامًا فيجعلهم في الخير قادةً وأئمةً تُقتَصُّ آثارُهم، ويُقتدىٰ بفَعَالِهم، ويُنتهىٰ إلىٰ رأيهم، تَرْغَبُ الملائكةُ في خدمتهم، وبأجنحتها تمسحهم، يستغفر لهم كلُّ رَطْبٍ ويابس... يبلغ العبدُ بالعلم منازلَ الأخيار والدرجات العلا في الدنيا والآخرة، والتفكُّر فيه يَعْدِل الصيامَ، ومُدَارَسَتُه تَعْدِلُ القيامَ، به تُوصَل الأرحامُ، وبه يُعرَف الحلالُ مِن الحرام، هو إمامُ العمل، والعملُ تابِعُهُ، ويُلهَمُه السُّعَداءُ ويُحرَمُه الأشقياء.

وقال عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: موت ألف عابد أهون علىٰ إبليس من موت عالم بصير بحلال الله وحرامه، فالعالم يهدم علىٰ إبليس ما يفعله بالناس، وأما العابد فنفعه مقصور علىٰ نفسه.

وإن العلماء هم ورثة الأنبياء، قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**». أبو داود برقم (٣٦٤١)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٩٧)

فضل العلم على المال:

وفَضْلُ العلم علىٰ المال كبيرٌ، منه:

- أن العلمَ ميراثُ الأنبياء، والمالَ ميراثُ الملوك والأغنياء، وشَتَّانِ ما بينهما.
- أن العِلم يحرس صاحبَه، ويَزِيد بإنفاقِه وتعليمِه، ولكن المالَ الذي يحرسه أصحابُه يُذهِبه الإنفاقُ، والمالُ يُفارِقُ صاحبَه عند الموت، أما العلم فيدخل معه قبره.
- أن المال يَحْصُل للمؤمن والكافر والبرِّ والفاجر، أما العلم الرباني النافع فلا يَحصُل إلا للمؤمن.
- أن العالِمَ يحتاج إليه الملوكُ فمَن دونهم، أما صاحب المال فلا يحتاج إليه إلا الفقراء والمحتاجون.
- أن النفسَ تزيد إيمانًا ونورًا بتحصيل العلم، وقد تنقص النفس بحرصها علىٰ جمع المال فتشح وتبخل؛ فالحِرْص علىٰ العلم عَيْنُ الكمال، والحِرْص علىٰ المال عين النقص.
- أن العلمَ يدعو إلىٰ التواضع والرأفة وصفات العبيد، أما المال فيدعو إلىٰ صفات الملوك من الطغيان والفخر والخيلاء.

- أن غِنَىٰ العبد بعلمه دائم ويزيد أبدًا فهو الغنىٰ الحقيقي، أما غِنَىٰ المال بأمرٍ خارج عن إرادة الإنسان قد يزول في ليلةٍ فيصبح فقيرًا.
- أن العلم يجعلك عبدًا لربك وحده، والمال قد يستعبدك فتصبح عبدًا له كما في الحديث: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ». البخاري برقم (٢٨٨٦).
- أن حُبَّ العلم وطلبه أصلُ كلِّ طاعةٍ وخير، أما حب الدنيا والمال وطلبه أصل كل سيئة وسوء.
- أن قيمةَ الغَنِيِّ بماله؛ فإذا ضاع المال ضاعت قيمته، أما العالِم فقيمته بعلمه الداخلي فلا تزول بسبب خارجي فهي في زيادة. فالمال مادة كالبدن، قيمته بقيمة البدن، والعلم كمادة الروح، والفرق بينهما كالفرق بين قيمة الروح وقيمة البدن.
- أن العالِم لا يبيع علمه بدنيا كبيرة أو صغيرة، لكن صاحب المال لو عَرَف قيمة العلم لَتَمنَّىٰ أن يبيع ماله ويحصل علىٰ العلم.
- أن الطاعةَ لا تكون إلا بسبب العلم، وأغلب المعاصي تكون بسبب المال.
- أن العالِم يدعو الناس إلىٰ الله بعلمه وحاله، أما جامِعُ المال يدعوهم إلىٰ الدنيا بحاله وماله.
- أن الناسَ غالبًا يسعون في محاربة وإهلاك صاحب المال لتصارُعِهم عليه، أما صاحبُ العلم فمحبوبٌ ومرغوبٌ عند الناس.
- أن الزهدَ في المال شرفٌ، وأما الزهد في العلم فمذمة.
- أن غَنِيَّ المال خائفٌ عند الجمع وعند النفقة، أما غني العلم فآمِن عند الجمع وعند النفقة، أي عند التعلم والتعليم والدعوة.
- أن المالَ يُمدَح صاحبُه بتخليه عنه وإخراجه فيوصف بالكرم، أما العلم فإنما يُمدَح صاحبُه بتحَلِّيه به واتِّصافه به.

- أن مَن رأىٰ أن غناه بالمال فقط فهو فقيرُ النفس، وأما مَن رأىٰ غناه بالعلم فهو غنيُّ النفس.
- أن صاحبَ المال قد يُكرَم ويُقدَّم لماله، فإذا زال مالُه زالت مكانته، أما صاحبُ العلم فيُكرم ويُقدَّم ولا يزداد إلا تقديمًا وإكرامًا يومًا بعد يوم.
- أن صاحبَ المال يتأرجح بين أمرين: فهو يريد الكمال بجَمْع المال وإمساكه ليفتخر علىٰ الناس به، ويريد شكر الناس ومدحهم ببذل ماله وإنفاقه عليهم، وهما أمران متناقضان؛ فيعيش تعيسًا لا يقدر أن يَنقُص ولا يرغب أن يُذَم بإمساكه وبُخْله. أما صاحب العلم فكماله في إنفاقه وتعليمه ويُمدح بذلك دومًا.
- أن صاحبَ المال لن يَسَعَ الناس بماله؛ فالذي حُرِمَ غَضْبَانُ، والذي أخذ طامِعٌ في المزيد، وإلا أفضىٰ ذلك به إلىٰ العداوة والمذمة، أما صاحب العلم فيسع الناس جميعًا ولا يُذَم من جانبهم.
- أن صاحبَ المال مهمومٌ عند جَمْعه، وعند حِفْظه وحراسته، وعند نَقْصه وفنائه، أما صاحب العلم فمسرور عند جمعه وعند حفظه وعند نفقته، ولا يخاف إلا حسد الأعداء.
- أن صاحبَ المال لا يتلذَّذ به إلا بمخالطة الناس، وهذا منشأ العداوات والآفات والآلام لاختلاف طباع الناس وأمزجتهم وتضاد مصالحهم، بل قد يتسبَّب بذلك في العداوة بين الأقارب والجيران، أما صاحب العلم فبعيد عن هذا.
- أن غنيَّ المال يكره الموت وسيرته ليتمتع بماله، وغني العلم يُحب لقاء الله ويزهد في الحياة.
- أن الأغنياءَ قد يموت ذِكْرهم بموتهم، والعلماء يموتون بأجسادهم فقط ويبقىٰ ذكرهم، فجامعو الأموال أحياء كأموات، والعلماء بعد موتهم أموات كأحياء.
- أن المال زينة للبدن، والعلم زينة للقلب أصلًا، والفرق بينهما كالفرق بين القلب والبدن، فالقلب هو الملك والبدن والجوارح عبيده.
- أن المال يَشْغَل صاحبه عن السفر إلىٰ الله، والعلم يجهز صاحبه للسفر إلىٰ الله.

وعلم هذه الأمة محمولٌ باعتدال ووسطية، فكما قال ﷺ: «**يَحمِلُ هَذَا العِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الغَالِينَ وَانْتِحَالَ المُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الجَاهِلِينَ**». البيهقي في الكبرىٰ (١٠/ ٢٠٩) برقم (٢٠٧٠٠)، وصححه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٢٤٨)

فضيلة نقل العلم ودعوة الناس إليه وتعليمهم:

والعلوم الدينية وهي فقه الآخرة إنما تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء والعقل أشرف صفات الإنسان؛ إذ به تقبل أمانة الله، وبه يتوصل إلىٰ جوار الله سبحانه، وتعليم العلم والدعوة إليه هو عبادة لله تعالىٰ وكذلك قيام بخلافة الله في أرضه وتعليم الناس ما يجهلون واجب علىٰ من يعلم لقول الله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧].

وقال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ [فصلت: ٣٣].

فالدعوة والتعليم وجهان لعملة واحدة، فأما دعوة الناس إلىٰ الله تعالىٰ وإلىٰ نبيه الكريم فدعوة دلالة، كمن دل الناس علىٰ الطريق وأعلمهم أن نجاحهم وفلاحهم في هذا الطريق بالترغيب والترهيب والحيلة والدعوة، ثم جلس بعد ذلك معهم ليعلمهم ويرشدهم إلىٰ الأعمال الصالحة داخل الطريق، مثل الطهارة والصلاة والصيام، فهي إرشاد وتعليم كذلك.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣]. قال الحسن مفسرًا: هو المؤمن الذي استجاب لربه ودعا الناس إليه وعمل صالحًا فهو حبيب الله، وهوولِيُّ الله، ومقام الدعوة إلىٰ الله أفضل مقامات العبد، والدعوة مراتب بحسب حال الناس: ففي قول الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فجعل ﷻ الحِكْمة هي سبيل دعوة المقبل علىٰ الحق والمستجيب لدينه الذي لا يعاند. وهي كلام الله تعالىٰ وهَدْي رسوله الكريم وأقوال العلماء، وأما المؤمن الذي يعيش في غفلة وكسل؛ فله الموعظة الحسنة بين الترغيب والترهيب ليعلم أمر الله ونواهيه، وأما المعاند الجاحد فله المجادلة بالتي هي أحسن.

فالدعوة إلىٰ الله أشرف مقامات العبد وأجلُّها وأفضلها، ولا تكون إلا بالعلم الذي يدعو به وإليه. والعلم أول درجات اليقين؛ لهذا قيل: العلم يستعملك (أي: يدفعك للعمل بمقتضاه)، واليقين يحملك (أي: يلهب حماسك فتندفع محمولا به).

ولابد كذلك لكمال الدعوة البلوغ في العلم لحد كريم، وثمرة العلم اليقين: وهو العلم الذي لا شك فيه واطمئنان القلب وقوته ونشاطه.

العلم الواجب شرعًا: العلم من حيث وجوبُه ينقسم إلىٰ:

• **أولًا: فَرْض عَيْن:** وينقسم إلىٰ أربعة أقسام:

القسم الأول: العلم بأصول الإيمان الستة: الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره. فإن من لم يؤمن بهذه الأصول الستة لم يدخل في باب الإيمان ولا يستحق اسم المؤمن.

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

القسم الثاني: العلم بشرائع الإسلام وأحكامه، والمفروض منها ما يلزم العبد في الحياة اليومية من عبادات ومعاملات، كالوضوء والصلاة والصيام والحج والزكاة وتوابعها وشروطها ومبطلاتها... إلخ.

القسم الثالث: العلم بالمحرمات الخمسة، وهي متفق عليها بين الرسل والشرائع والكتب السماوية جميعًا، وهي مذكورة في قول الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأعراف: ٣٣]، فهي مُحرَّمة تحريمًا مطلقًا.

القسم الرابع: العلم بأحكام المعاشرة والمعاملة، وهي ما يحدث بين الناس علىٰ وجه العموم والخصوص، والواجب فيها يختلف باختلاف أحوال الناس وظروفهم، فهناك واجب علىٰ الحاكم تُجاه الرعية قد يختلف عن الرجل مع أهله وجيرانه ومن يبيع ويشتري عليه واجبات ليست علىٰ غيره.

• **ثانيًا فرض كفاية:** وهو إذا ما قام به البعض سقط فَرْضُه عن الباقين، ولا يُعلم له ضوابط محددة، وإنما كما يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن المطلوبَ الواجبَ من العبد من العلوم

والأعمال هو مُكلَّف بالقيام به، وإذا احتاج هذا الواجب إلىٰ شيء كان تعلُّم هذا الشيء واجبًا أيضًا من بابِ ما لا يتمُّ الواجب إلا به فهو واجب، ولكن وجوب وسائل لا وجوب غايات، وهو يختلف باختلاف الأشخاص والأزمان والأمكنة والأحوال، وليس لذلك قدر محدد. والله أعلم.

قال أبو يزيد البِسْطامي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لو نظرتم إلىٰ رجل أُعطِيَ من الكرامات حتىٰ يُرفع في الهواء فلا تغترُّوا به حتىٰ تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة.

وقال أبو حمزة البغداديُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن عَلِم طريقَ الحق تعالىٰ سهل عليه سلوكُه، ولا دليل علىٰ الطريق إلىٰ الله تعالىٰ إلا متابعةُ الرسولِ في أحواله وأفعاله وأقواله.

وقال محمد بن فضل الزاهدُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذَهاب الإسلام علىٰ أيدي أربعة أصناف من الناس: صنف لا يعملون بما يعلمون، وصنف يعملون بما لا يعلمون، وصنف لا يعملون ولا يعلمون، وصنف يمنعون الناس من التعلم.

فالصنف الأول هم أضرُّ شيء علىٰ العامة، فهم العلماء الذين لا يعملون بعلمهم.

والصنف الثاني العابد الجاهل، فالناس يُحسنون الظن به ويقتدون به كأنه عالم، وهذا مما حذَّر منه السلف الصالح بقولهم: احذروا فتنة العالم الفاجر، والعابد الجاهل، فإن فتنتهما فتنة لكلِّ مفتون، فإن الناس إنما يقتدون بعلمائهم وعُبَّادهم، فإذا كان العلماء فجرةً، والعُبَّاد جهلةً، عمَّت المصيبة بهما وعظمت الفتنة علىٰ الخاصة والعامة.

والصنف الثالث الذين لا علم لهم ولا عمل، فهم كالأنعام السائمة.

والصنف الرابع فهؤلاء هم نوَّاب إبليس في الأرض، وهم أضرُّ عليهم من شياطين الجن، فيمنعون الناس ويثبطونهم عن طلب العلم والتفقه في الدين.

قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الكِتَابِ أَقْوَامًا وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ». مسلم برقم (٨١٧).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أرفعُ الناس منزلةً عند الله من كان بين الله وبين عباده، وهم الأنبياء والعلماء. فالعلم غِنًىٰ بلا مال، ونموٌّ بلا عشيرة، وسلطان بلا رجال.

قال بعض العلماء: لا ينال العلم مُستحٍ، ولا متكبر. فهذا يمنعه حياؤه من التعلم،

وهذا يمنعه كِبْره. وخير خصال الرجل السؤالُ عن العلم. وإذا جلستَ إلىٰ عالم فَسَلْ تفقُّهًا لا تعنُّتًا؛ أي: مستفسرًا لا مُختبرًا له.

مراتب العلم: وللعلم ست مراتب:

أولها: حسُن السؤال؛ أي: حسن الاستفسار.

الثانية: حُسن الإنصات والاستماع؛ أي: التأدب في الاستماع والإنصات.

الثالثة: حُسن الفهم؛ أي: الحرص علىٰ الفهم الصحيح من العلماء.

الرابعة: حُسن الحفظ؛ أي: حفظ العلم والمعلومات.

الخامسة: التعليم؛ أي: يُعلِّم غيرَه ما تعلَّمه إن استطاع ولو في دائرة مسئوليته.

السادسة: العمل به ومراعاة حدوده، وهو ثمرة العلم.

وقد يُحرَم الإنسانُ العلمَ بسبب عدم سؤاله، أو لأنه يسأل عن أشياء ليست مهمة ولا هي أساسية مما يجب عليه معرفته ويهتم بفضول الكلام كحال كثير من الجهال، أو يُحرَم العلم لسوء استماعه وإنصاته، فيُكثر الكلام أمام العلماء والجدال والمماراة.

قال ابن جريج رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لم أستخرج العلم الذي استخرجت من عطاء إلا برفقي به.

وقال بعض السلف: إذا جالستَ العالِمَ فكُنْ علىٰ أن تسمع أَحْرَصَ منك علىٰ أن تقول.

فقد يُحرَم العبدُ العلمَ من ستة وجوه:

أحدها: ترك السؤال؛ أي: ترك الاستفسار.

الثاني: سوء الإنصات وعدم إلقاء السمع.

الثالث: سوء الفهم؛ ولهذا يحتاج أن يراجع فهمه مع أستاذه وشيخه.

الرابع: عدم الحفظ؛ أي: إهمال الحفظ للعلم.

الخامس: عدم نشره وتعليمه، فيُبتلىٰ بنسيانه وذَهابه منه، وهو جزاءٌ من جنس العمل.

السادس: عدم العمل به، وإلا نسيه؛ قال بعض السلف: كنا نستعين علىٰ حفظ العلم بالعمل به.

والعلم يبعث على الجرأة والشجاعة، كهدهد سليمان الذي تجرَّأ على سليمان بسبب علمه؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ٢٠ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٢١ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ٢٢﴾ [النمل: ٢٠- ٢٢].

قال سفيانُ الثوريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما من عمل أفضل من طلب العلم إذا صحَّت فيه النية.

قال رسولُ الله ﷺ: «طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِم» [ابن ماجه برقم (٢٢٤)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٣٩١٣)]. فهو فرض عين. وينقسم العلم الذي هو فرض إلىٰ ثلاثة أقسام: اعتقاد وفعل وترك، أو اعتقاد وأمر ونهي.

العلوم الشرعية:

الأول: الأصول وهي أربعة: كتاب الله، وسنة رسوله الكريم ﷺ وإجماع الأمة، والقياس.

الثاني: الفروع: أحدها المتعلق بمصالح الدين ويتكفل به الفقهاء، والثاني المتعلق بمصالح الآخرة وهو علم أحوال القلوب.

الثالث: المقدمات للعلم: وهي كالآلات للمهنة مثل اللغة والنحو، فإنهما وسيلة لتعلم كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وليست اللغة والنحو من العلوم الشرعية في أنفسهما.

الرابع: المتممات للعلم: كتعلم القراءات ومخارج الحروف وكالتفسير والناسخ والمنسوخ وأصول الفقه، وكعلم الجرح والتعديل في معرفة أسماء وأنساب الرجال وصفاتهم.

وكان الصحابة يحترزون عن الفتوىٰ ولا يحترزون إذا سُئلوا عن علم القرآن وطريق الآخرة. ولما مات عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: مات تسعة أعشار العلم فقيل له: أتقول ذلك وفينا جُلَّة (أي: معظم) الصحابة؟ فقال: لم أرد علم الفتيا والأحكام، وإنما أريد العلم بالله تعالىٰ.

وكان الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ يقسم ليله ثلاثة أجزاء؛ ثلثًا للعلم وثلثًا للعبادة وثلثًا للنوم وقال: ما شبعت منذ ست عشرة سنة، لأن الشبع يُثقل البدن ويُقسي القلب ويزيل الفطنة ويجلب النوم، ورأس التعبد تقليل الطعام. وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من ادعىٰ أنه جمع بين حب الدنيا

وحب خالقها في قلبه فقد كذب.

وقال أحدهم للشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: تُعلِّمني مما علمك الله شيئًا؟ فقال لي: اعلم أن مَن صَدَقَ اللهَ نجا، ومَن أشفق علىٰ دينه سَلِمَ من الرَّدَىٰ (أي: الهلاك)، ومَن زَهِدَ في الدنيا قَرَّت عيناه بما يراه من الثواب لله تعالىٰ غدًا. قال: أفلا أَزِيدُكَ؟ قلت: نعم. قال: مَن كان فيه ثلاثُ خِصالٍ فقد استكمل الإيمان؛: مَن أَمَرَ بالمعروف وائتمر، ونَهَىٰ عن المنكر وانتهىٰ، وحافَظَ علىٰ حدود الله تعالىٰ. قال: ألا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: كُنْ في الدنيا زاهدًا، وفي الآخرة راغبًا، واصدُقِ الله تعالىٰ في جميع أمورك، تَنْجُ مع الناجين.

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من لم يَصُنْ نفسه (أي: عن الآثام والخطايا) لم ينفعه عمله.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وددت أن الناس انتفعوا بهذا العلم، ولا ينسب إليَّ منه شيء، وما ناظرت أحدًا قط فأحببت أن يخطئ، وما كلمت أحدًا قط إلا وأحببت أن يوفق ويسدد ويعان ويكون عليه رعاية من الله تعالىٰ وحفظ، وما كلمت أحدًا قط وأنا أبالي أن يبين الله الحق علىٰ لساني أو علىٰ لسانه، وما أوردت الحق والحجة علىٰ أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت محبته، ولا كابرني (أي: تكبر علىٰ قبول الحق) أحد علىٰ الحق ودافع الحجة (أي: لم يقبلها) إلا سقط من عيني ورفضته.

وكان أحمد بن حنبل رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يصف الشافعي كالشمس للدنيا وكالعافية للناس وما مس أحد محبرة إلا وللشافعيِّ في رقبته مِنَّة!...

وقيل للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلىٰ الذي يلزمك من حين تصبح إلىٰ حين تمسي فالزمه.

وكان مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تعظيم علم الدين مبالغًا، حتىٰ كان إذا أراد أن يحدث حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ توضأ وجلس علىٰ مقدمة فراشه، وسرح لحيته واستعمل العطر وجلس علىٰ وقار وهيبة، ثم بدأ في سرد الأحاديث، فقيل له في ذلك (أي: استفسارًا) فقال: أحب أن أعظم حديث رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية.

وقال الشافعيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يصف مالكًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا ذكر العلماء فمالك النجم الثاقب، وما من أحد أمنُّ (أي: صاحب فضل) عليَّ من مالك.

ومما يدل علىٰ إرادة مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ بالعلم وجه الله تعالىٰ واستحقار الدنيا ما روي أنه قال: دخلت علىٰ هارون الرشيد فقال: يا أبا عبد الله ينبغي أن تختلف (أي: تأتي) إلينا حتىٰ يسمع صبياننا منك الموطأ. قال: فقلت: أعز الله مولانا الأمير، إن هذا العلم منكم (أي: يقصد أن العباسيين أعمام النبي ﷺ) خرج، فإن أنتم أعززتموه عزَّ، وإن أنتم أذللتموه ذلَّ، والعلم يُؤتىٰ ولا يَأتي. فقال: صدقت. وقال لأولاده: اخرجوا إلىٰ المسجد حتىٰ تسمعوا الموطأ مع عامة الناس.

العلوم المحمودة: وهي الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة. فعن عبد الله بن عمرو يرفعه: «**إِنَّما العِلْمُ ثَلاثَةٌ: آيَةٌ مُحْكَمَةٌ أَوْ فَرِيضَةٌ عَادِلَةٌ أَوْ سُنَّةٌ قَائِمَةٌ، وَمَا خَلاهُنَّ فَهُو فَضْلٌ**». أبو داود برقم (٢٨٨٥)، وابن ماجه برقم (٥٤) وما أكثر العلوم وليس كلها بنافع.

أولًا: الفقه: كان اسم الفقه في العصر الأول مطلقًا علىٰ علم طريق الآخرة ومعرفة دقائق آفات النفوس ومفسدات الأعمال وقوة الإحاطة بحقارة الدنيا وشدة التطلع إلىٰ نعيم الآخرة واستيلاء الخوف علىٰ القلب؛ ولما قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿**لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا**﴾ [الأعراف: ١٧٩] إنما أراد معاني الإيمان دون الفتاوىٰ.

ولما سُئل الزهريُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أي أهل المدينة أفقه؟ فقال: أتقاهم لله تعالىٰ. فالتقوىٰ هي ثمرة الفقه.

وقال علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: ألا أنبئكم بالفقيه كل الفقيه؟ قالوا: بلىٰ. قال: من لم يُقنِّط الناس من رحمة الله ولم يُؤْيِسْهم من رَوْح الله، ولم يُؤَمِّنهم من مكر الله، ولا يَدَعِ القرآن رغبة عنه إلىٰ ما سواه، ألا لا خَيْرَ في عبادةٍ ليس فيها تَفَقُّه، ولا عِلْمَ ليس فيه تفهُّم، ولا قراءة ليس فيها تريُّث.

وسأل فَرْقَد السَّنْجي رَحِمَهُ ٱللَّهُ الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن شيء؛ فأجابه، فقال فرقد: إن الفقهاء يخالفونك! فقال الحسن: ثكلتك أمك فُريقد، وهل رأيت بعينيك فقيهًا؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا، الراغب في الآخرة، البصير بدينه، المداوم علىٰ عبادة ربه، الورع،

الكاف نفسه عن أعراض المسلمين، العفيف عن أموالهم، الناصح لجماعتهم. ولم يقل في جميع ذلك الحافظ لفروع الفتاوىٰ.

ومع أن الفقه يتضمن- لا شك- معرفة الفتاوىٰ في الأحكام الظاهرة المختلفة ولكن علىٰ وجه العموم، أما تخصيص اسم الفقيه علىٰ الفتاوىٰ فقط، فهذا تلبيس علىٰ الناس وصرف لهم عن علوم الآخرة، وأما الفتاوىٰ فلعلها توصل صاحبها إلىٰ المراتب العالية في الجاه والمال ما يتعذر ذلك في علوم الآخرة.

ثانيًا: العلم: قد كان يطلق ذلك علىٰ معرفة الله تعالىٰ وآياته وأفعاله في عباده وخلقه، ولهذا لما مات عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال ابن مسعود رضي الله عنه: مات تسعة أعشار العلم.

ومع ذلك خصصوا العلم بالتناظر مع الخصوم في المسائل الفقهية.

ثالثًا: التوحيد: كان العلم بالقرآن هو العلم كله، وأن الأمور كلها من الله عز وجل دون التفات للوسائط والأسباب في الفاعلية، حيث لا تعدو أن تكون أسبابًا، بل يعبد ربه عبادة يفرده بها فلا يعبد غيره وليس اتباع الهوىٰ والمألوفات.

رابعًا: الذكر والتذكير: وهو الترغيب والترهيب والوعظ والإرشاد ودعوة الخلق إلىٰ الله وليس القصص والشطحات. وكان الحسن البصري يتكلم مع الناس في علم الآخرة والتفكر بالموت والتنبيه علىٰ عيوب النفس وآفات الأعمال وخواطر الشيطان وكيفية الحذر منها، ويذكر بآلاء الله ونعمائه وتقصير العبد في شكره، والتنبيه علىٰ حقارة الدنيا وعيوبها وخطر الآخرة وأهوالها، وهذا معنىٰ التذكير المحمود والدعوة الصحيحة.

ولهذا قال عطاء رحمه الله: مجلس ذكر يكفرُ سبعين مجلسًا من مجالس اللهو.

والبعد عن السجع مطلوب والأشعار تكثيرها في المواعظ مذموم مع حرص المتكلم ألا يفتح بابًا من التشويش علىٰ أذهان وقلوب العوام مما يحير أذهانهم.

وقد حذَّرنا ابن مسعود رضي الله عنه: ما حدث أحدكم قومًا بحديث لا يفقهونه إلا كان فتنة عليهم.

وقال عيسىٰ عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء.

وقيل أيضًا: من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد ظلم، فإن للحكمة حقًّا وإن لها أهلًا فأعط كلَّ ذي حق حقه.

وليحذر الواعظ والداعي من صرف الألفاظ الشرعية والمعاني الواضحة إلىٰ تأويلات تعارض الشرع والعقل طلبًا لغريب الألفاظ والمعاني وتزيين الكلام للتأثير في القلوب، ذلك لأن النفوس تميل للغريب منه وتتأثر له، مع أن في هذا هدمًا للشريعة وإفسادًا للدين، ولم ينقل شيء من ذلك عن الصحابة ولا عن التابعين ولا عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ الذي اشتهر بكثرة وعظه ودعوته للخلق ولأن في هذا أيضًا فقدانًا للثقة في الألفاظ.

خامسًا: الحكمة: كانت الحكمة تعني قال الله وقال الرسول وقال العلماء والآن صارت تؤخذ من أفواه علماء السوء، واعلم أخي أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا كما في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: **«بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبىٰ للغرباء»** قيل: يا رسول الله، من الغرباء؟ قال: **«الذين يصلحون ما أفسده الناس من سنتي والذين يحيون ما أماتوه من سنتي»**. مسلم برقم (٢٣٢).

والغرباء ناس قليل صالحون بين ناس كثير، من يبغضهم في الخلق أكثر ممن يحبهم؛ ولذلك قال سفيان الثوري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إذا رأيتَ العالم كثير الأصدقاء (أي: وهذا غير كثرة الأتباع) فاعلم أنه مُخلِّط (أي: يفعل الخير مع الشر) لأنه إن نطق بالحق أبغضوه.

آفات العلم:

روىٰ الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ يرفعه البعض: **«العلم علمان: علم في القلب فذاك العلم النافع، وعلم علىٰ اللسان فتلك حجة الله علىٰ عباده»**. الدارمي برقم (٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٦).

وروي عن أنس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: **«من ازداد علمًا ولم يزدد هدًىٰ لم يزدد من الله إلا بعدًا»**.

ابن حمدان في «جزء من الأمالي» برقم (١٤٨).

وقال عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: إن أخوف ما أخاف علىٰ هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تكن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء ويجري في

العمل مجرىٰ السفهاء.

وقال رجل لأبي هريرة رضي الله عنه: أريد أن أتعلم العلم وأخاف أن أضيعه. فقال: كفىٰ بترك العلم إضاعة له.

وقيل لإبراهيم بن عيينة رحمه الله: أي الناس أطول ندمًا؟ قال:أما في عاجل الدنيا فصانع المعروف إلىٰ من لا يشكره، وأما عند الموت فعالم مفرط.

وقال ابن المبارك رحمه الله: لا يزال المرء عالمًا ما طلب العلم فإذا ظن أنه قد علم فقد جهل.

وقال الحسن رحمه الله: عقوبة العلماء موت القلب وموت القلب طلب الدنيا بعمل الآخرة.

وإنما يضاعف عذاب العالم في معصيته لأنه عصىٰ عن علم؛ لذلك قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾[النساء: ١٤٥]؛ لأنهم جحدوا الحق بعد العلم به وكذلك جعل اليهود شرًّا من النصارىٰ مع أنهم ما جعلوا لله سبحانه وتعالى ولدًا ولا قالوا: ثالث ثلاثة إلا أنهم أنكروا بعد المعرفة فقال الله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[البقرة: ٨٩].

قال يحيىٰ بن معاذ الرازي رحمه الله: إنما يذهب بهاءُ العلم والحكمة إذا طُلب بهما الدنيا.

وكتب رجلٌ لأخيه: إنك قد أُوتيت عِلمًا، فلا تُطْفِئَن نُورَ عِلْمك بظُلْمَة الذُّنوب، فتبقىٰ في الظُّلمة يوم يسعىٰ أهل العلم في نور علمهم.

واعلم أن الجاه، وهو المكانة في قلوب الناس، أَضَرُّ علىٰ العلماء من المال؛ لأن التلذذ بتعليم الناس ومنصب الإرشاد الذي يتولاه المعلم أعظم لذة من كل تنعم في الدنيا، ومن هنا فقد استجاب لشهوته فهو من أبناء الدنيا.

يقول سفيان الثوري رحمه الله: فتنةُ التحدث للناس أشد فتنة من الأهل والمال والولد.

وقال عيسىٰ عليه السلام: كيف يكون من أهل العلم من مسيره إلىٰ آخرته وهو مقبل علىٰ طريق دنياه؟! وكيف يكون من أهل العلم من يطلب الكلام ليخبر به لا ليعمل به؟!

وقال صالح بن كَيْسَان البَصْري رحمه الله: أدركتُ الشيوخ وهم يتعوَّذون بالله من الفاجر العالم بالسُّنة.

وقد وصف الله علماء السوء بأكل الدنيا بالعلم ووصف علماء الآخرة بالخشوع والزهد. فقال ﷻ في علماء الدنيا: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧]. وقال تعالىٰ في علماء الآخرة: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَـٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

واعلم أن من فتنة العالم أن يقع في حب الكلام أكثر من حبه للاستماع والتعلم.

قال حاتم الأصم رحمه الله: ليس في القيامةِ أَشَدُّ حَسْرَةً مِن رَجُلٍ عَلَّم الناسَ علمًا فعملوا به ولم يعمل هو به، ففازوا بسببه وهلك هو.

وقال حذيفة رحمه الله: إنكم في زمان من ترك فيه عشر ما يعلم هلك وسيأتي زمان من عمل فيه بعشر ما يعلم نجا.

وقال كعب رحمه الله: يكون في آخر الزمان علماء يُزَهِّدُون الناس في الدنيا ولا يَزهدُون، ويُخوفون الناس ولا يَخافون، وينهونَ عن غشيان (أي: كثرة التردد والدخول علىٰ) الولاة ويأتونهم، ويُؤثرون الدنيا علىٰ الآخرة يأكلون بألسنتهم، يقربون الأغنياء دون الفقراء، يتغايرون (أي: يتحاسدون غيرة) علىٰ العلم كما تتغاير النساء علىٰ الرجال؛ يغضب أحدهم علىٰ جليسِه إذا جالس غيره، أولئك الجبارون أعداء الرحمن.

وقال الحسن رحمه الله: تعلموا ما شئتم أن تعلموا فوالله لا يأجركم الله حتىٰ تعملوا، فإن السفهاء هِمتهُم الرواية (أي: حفظ الأحاديث وروايتها فقط ليظهر علمهم) والعلماء همتهم رعاية العمل بما في العلم والقيام عليه عملًا ونشرًا.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: نزل القرآن لِيُعمل به فاتخذتم دراسته عملًا.

والعالم الذي لا يعمل كالمريض الذي يصف الدواء وكالجائع الذي يصف لذيذ الطعام ولا يجده. إن التجمل والتزين بالمباحات ليس بحرام، ويَحسُن من أهل العلم ألا يخوضوا فيه ولا يركنوا إليه؛ فقد يدعو إلىٰ الأنس به والتمسك بلذته حتىٰ يصعب تركه، وهو خلاف الزهد.

وقد حُكِيَ أن يحيىٰ بن يزيد رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتب للإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما بعد، فقد بلغني أنك تلبس الرِّقاقَ (أي: اللباس الناعم)، وتأكل الرُّقاق (أي: الأكل الشهي الرفيع المستوىٰ)، وتجلس علىٰ الوِطاء (أي: المراتب والوسائد اللينة)، وتجعل علىٰ بابك حجابًا (أي: حيث يدخل الناس بالإذن)، وقد جلستَ مجلس العلم، وضُربت إليك آباط المطي(أي: الإبل والخيل)، وارتحل إليك الناسُ، فاتخذوك إمامًا، ورضوا بقولك، فاتق الله يا مالك، وعليك بالتواضع، كتبت إليك بالنصيحة مني كتابًا، ما اطلع عليه إلا الله، والسلام.

فكتب إليه مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: بسم الله الرحمن الرحيم، من مالك بن أنس إلىٰ يحيىٰ ابن يزيد، سلام عليك؛ أما بعد، فقد وصل إليَّ كتابُك، فوقع مني موقع النصيحة من المُشفِق، أمتعك الله بالتقوىٰ، وجزاك وخوَّلك (أي: متَّعك) بالنصيحة خيرًا، وأسأل الله التوفيق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وأما ما ذكرت من أني آكل الرُّقاق، وألبس الرِّقاق، وأجلس علىٰ الوِطاء، فنحن نفعل ذلك ونستغفر الله تعالىٰ، وقد قال الله سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وإني لأعلم أن ترك ذلك خير من الدخول فيه، فلا تدعنا من كتابك، فإنا ليس ندعك من كتابنا والسلام.

وقال أبو ذر لسلمة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: يا سلمة لا تَغْشَ (أي: لا تتردد كثيرًا علىٰ) أبواب السلاطين؛ فإنك لا تُصيب من دنياهم شيئًا إلا أصابوا من دينك أفضل منه.

وفي هذا طلب عمر بن عبد العزيز رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ من الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أما بعد، فأشر عليَّ بأقوام أستعين بهم علىٰ أمر الله تعالىٰ (أي: يقصد توظيفهم علىٰ الولايات والأموال). فكتب إليه الحسن: أما أهل الدين فلا يريدونك (أي: يخافون القرب من السلطان) وأما أهل الدنيا فلن تريدهم ولكن عليك بالأشراف (أي: أصحاب النسب والشرف) فإنهم يصونون شرفهم أن يدنسوه بالخيانة.

والناس في الفتوىٰ مختلفون، فهذا ابن عمر يُسْأَل عن عشر مسائل فيجيب عن واحدة ويسكت عن تسعٍ، وأما ابن عباس فيجيب عن تسعٍ ويسكت عن واحدة.

وكان شغل الصحابة والتابعين في خمسة أشياء: قراءة القرآن، وعمارة المسجد، وذكر الله تعالىٰ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

واعلم أنه إذا كثر العلم عند العبد قلَّ كلامه وإذا كثر كلامه قلَّ علمه.

وقال عمر رضي الله عنه: تعلموا العلم وتعلموا للعلم السكينة والوقار والحلم وتواضعوا لمن تتعلمون منه وليتواضع لكم من يتعلم منكم ولا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يقوم علمكم بجهلكم.

ويقال في الأثر: ما آتىٰ الله عبدًا علمًا إلا آتاه معه حلمًا وتواضعًا وحسن خلق ورفقًا فذلك هو العلم النافع.

وقال الحسن رحمه الله: الحلم وزير العلم والرفق أبوه والتواضع سرباله.

وقيل: إذا جمع المعلم ثلاثًا تمت النعمة بها علىٰ المتعلم: الصبر، والتواضع، وحسن الخلق، وإذا جمع المتعلم ثلاثًا تمت النعمة بها علىٰ المعلم: العقل، والأدب، وحسن الفهم.

وقال ابن عمر رضي الله عنه: لقد عشنا برهة من الدهر وإن أحدنا يؤتىٰ الإيمان قبل القرآن، وتنزل السورة فيتعلم حلالها وحرامها وأوامرها وزواجرها وما ينبغي أن يقف عنده منها، ولقد رأيت رجالًا يؤتىٰ أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلىٰ خاتمته لا يدري ما آمره وما زاجره وما ينبغي أن يقف عنده ينثره نثر الدقل.

وكان يقال: فلان من أوعية العلم؛ فلا يسمىٰ عالـمًا إذا كان من شأنه الحفظ من غير اطلاع علىٰ الحكم والأسرار.

وقال بعض السلف: ما جاءنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قبلناه علىٰ العين والرأس وما جاءنا عن الصحابة رضي الله عنهم فنأخذ منه ونترك، وما جاءنا عن التابعين فهم رجال ونحن رجال.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أنتم اليوم في زمان الهوىٰ فيه تابع للعلم، وسيأتي زمان يكون العلم فيه تابعًا للهوىٰ، واعلم أن الحق ثقيل فمن جاوزه فقد ظلم ومن قصر عنه فقد عجز ومن وقف معه فقد اكتفىٰ.

العلم للتدين والعلم للتخصص:

روىٰ الحسن رحمه الله ويرفعه البعض: «العلم علمان: علم في القلب فذاك العلم

النافع، وعلم على اللسان فتلك حجة الله على عباده». الدارمي برقم (٣٧٦)، والبيهقي في شعب الإيمان برقم (١٦٨٦).

وروي عن أنس رضي الله عنه يرفعه: «من ازداد علمًا ولم يزدد هدًى لم يزدد من الله إلا بعدًا». ابن حمدان في «جزء من الأمالي» برقم (١٤٨).

وقال عمر رضي الله عنه: إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون منافقًا عليمًا؟ قال: عليم اللسان جاهل القلب والعمل.

أصل العلم للتدين:

علَّم الله تبارك وتعالى آدم الأسماء كلها ليصير عبدًا ربانيًّا متدينًا، فالمقصود هو التقوى والخوف من الله والبعد عن المعاصي. فها هو إبليس الذي كان يطوف بين الملائكة وكان في العلم كما قال أهل العلم:

لو كان في العلم دون التقى شرفٌ ... لكان أشرف خلق الله إبليس

فلم ينفعه علمه؛ لأنه لم يكن متحليًا بالتقوى؛ أي: لم يكن متدينًا كما يقول العامة. وهؤلاء علماء بني إسرائيل، كانوا علماء في كتابهم، وكانوا أفضل علمًا من المشركين، لكنهم رفضوا الحقَّ مع علمهم، وقال الله تبارك وتعالى فيهم: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾﴾[الشعراء:١٩٧]، وقال في حقِّهم أيضًا: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[النساء: ٥٤]. فوقعوا في الحسد والضلال، على الرغم من علمهم، فمع أنهم أهل تخصص إلا أن ذلك لم يشفع لهم لمعاندتهم للتقوى والتدين.

وهذا أمية بن الصلت من الطائف ومن كبار العرب، كان يعتقد أن هناك من يأتي في آخر الزمان في تلك البقعة المباركة، ويظن أنه هو المؤهل لتلك النبوة لما له من الشرف والمكانة في قومه، فلما رآها جاءت في بني هاشم لمحمد بن عبد الله ﷺ حَسَد ورفض.

فمع عِلْمه لم يقبل الحق، وفي ذلك دليل على أن علمه لم يشفع له بدون أن

يكونَ تقيًّا. وفي قول الله تبارك وتعالىٰ: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ١٤﴾ [النمل: ١٤]؛ فالأصل في الناس أن يتعلموا ليعيشوا في تقوىٰ وصلاح.

فالإنسان يحتاج إلىٰ صالة الألعاب الرياضية (الجيم) لتحسين الصحة والجسم وحركة الحياة، ولا يشترط بالضرورة فيمن يدخل تلك الصالة ويمارس تلك الألعاب أن يكونَ طبيبًا أو عالمًا بالطب حتىٰ تتحسن صحته وجسمه، وإنما عليه أن يتبع متدربًا ليس بالضرورة أن يكونَ طبيبًا أيضًا، بل سبق له أن تدرب وأصبح في ذلك قديمًا عالمًا ببعض الألعاب والحركات والمعلومات التي يعرفها عامةُ مَن دخلوا في تلك الصالات؛ ليساعد غيره في الوصول إلىٰ الصحة والجسم المناسب.

كما أنه لا يُشتَرط فيمن يدخل كلية الطب أن يكونَ مفتول العضلات ذا صحة سليمة مائة بالمائة، ولا أن يكونَ من ملوك كمال الأجسام. ومن البديهي أن الناس يحتاجون في علاج أمراضهم إلىٰ الأطباء والعلماء المتخصصين لما يعلمون من فضلهم وكرامتهم، كذلك يحتاجون إلىٰ إلىٰ علم الأنبياء وأهل الفقه والصلاح ليخرجوهم من أمراض القلوب إلىٰ رحمة الله الواسعة.

ومن المعلوم أن أهل العلم النافع الشريف أصحاب التخصص يحملون أشرف العلوم، فعليهم كذلك أن يتحلوا بالتقوىٰ والصلاح ليفوزوا في الدارين.

فلا يحتاج الناس عند العلاج أن يكونوا أطباء، بل يحتاجون إلىٰ أن يذهبوا إلىٰ أماكن تساعدهم علىٰ الصحة العامة، فإذا احتاجوا إلىٰ علاج خاص فيذهبون إلىٰ أهل التخصص في المشافي ودور العلاج الخاصة التي قد تقوم ببعض الجراحات. ولا يحتاج الأطباء أنفسهم إلىٰ أن يكونَ أصحاء حتىٰ يكونوا أطباء مميزين في مهنتهم، فقد يكون الطبيب عليلًا ولكنه ماهر في تخصصه ينتفع به الكثير من الناس.

فطلب العلم للتدين هو الأصل، أما طلبه للتخصص فحسب حاجة الناس

وقدرة من نراه مؤهلًا لذلك، فلا يشترط فيمن يريد أن يتدين أن يكونَ حافظًا لكل العلوم أو المتون الدينيَّة المتخصصة، ولا أن يكونَ فقيهًا متخصصا في الأحكام ليصبح متدينًا، فحفظ اليسير من الدين بشكل صحيح قد ينجو به العبد يوم القيامة.

فعن معاذِ بنِ جبل رضي الله عنه يرفعهُ: «مَنْ حَفِظَ عَلَىٰ أُمَّتِي أَرْبَعِينَ حَدِيثًا مِنْ أَمْرِ دِينِهَا بَعَثَهُ الله عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي زُمْرَةِ الْفُقَهَاءِ وَالْعُلَمَاءِ». ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» برقم (٢٠٩).

ولما كان الإسلام يدعونا إلىٰ عبادة الله تعالىٰ وعمارة الأرض وتزكية النفوس، كان من الطبيعيِّ ألا نكلف جموع الناس من العوام بالتفرغ لطلب العلم الشرعي المتخصص مما قد يحول بينهم وبين وظائفهم وأعمالهم وسعيهم علىٰ أرزاقهم وأولادهم مما يسرهم الله لذلك من أصحاب المهن والحرف التي تقوم بهم حياة الناس من فروض الكفايات وغيرها، التي كلفنا الله تعالىٰ نحن البشر في أن نجتهد من خلالها لنحصل علىٰ أرزاقنا حيث جعل كل امرئ ميسرًا لما خُلِقَ له.

ولما أن دفعنا العوام ممن لا طاقة لهم بطلب العلم المتخصص ورغبناهم في الخوض في طلب ذلك وحفظ المتون المختلفة حدث أمران:

أولهما: جرأنا هؤلاء العوام علىٰ اقتحام أمهات كتب العلم الشرعيَّة التي يقف أمامها فحول العلماء متأدبين متفكرين متبعين. فنظروا فيها مع قلة بضاعتهم في الفهم والتحصيل، فعابوا عليها وتجرءوا علىٰ نقدها بسبب جهلهم وبسبب دفعنا لهم. وذلك مثل صحيحي البُخَاري ومسلم وسائر الكتب الشرعيَّة المتخصصة، إنما بدعوتنا لذلك قد أهدرنا قيمة العلم؛ حيث وضعناها فيمن لا يجوز أن نضع له ذلك، وفي ذلك إهانة كبيرة للعلم الشرعي.

قال عيسىٰ عليه السلام: لا تضعوا الحكمة عند غير أهلها فتظلموها، ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم، كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء في موضع الداء.

وقيل أيضًا: من وضع الحكمة في غير أهلها فقد جهل، ومن منعها أهلها فقد

ظلم، فإن للحكمة حقًّا وإن لها أهلًا فأعط كلَّ ذي حق حقه.

قال الإمام أحمد ﷺ: لا ينبغي أن يُحدِّث (أي: بعلم الحديث) من لا يستأهل (أي: من ليس أهلًا لذلك).

قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ذل وإهانة للعلم أن تتكلم به عند من يضيعه.

فالعلم كالسيف إن أعطيته لعبدٍ تَقِيٍّ قاتل به في سبيل الله نشرًا وهداية، وإن ألقيته لعبدٍ شقي قطع به الطريق وأضل عباد الله ضلالة وغواية.

قال عكرمة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إن لهذا العلم ثمنا. قيل: وما هو؟ قال: أن تضعه فيمن يحسن حمله ولا يضيعه.

وقد قيل: لا تمنعوا العلم أهله فتظلموه، ولا تضعوه في غير أهله فتأثموا.

ورُوِيَ عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «**واضع العلم في غير أهله كمقلد الخنازير اللؤلؤ والجوهر والذهب**». رواه ابن ماجه.

وتلك آفة نعاني منها الآن، مِن تجرؤ العوام علىٰ أمهات الكتب والعلم الشرعي الرفيع بسبب دفع غير العقلاء لهم في تقلد علم ليسوا له بأهل، وإنما كان يكفيهم كما قال الإمام مالك ما يحتاج المرء إليه في اليوم والليلة.

والأمر الثاني: أننا حينما دفعنا العوام وأدخلناهم في دائرة التخصص في العلوم الشرعية وهم غير مؤهلين لذلك، فإنما قد جرأناهم أيضًا علىٰ أهل العلم المتخصصين، وبسبب جهل هؤلاء العوام وقلة بضاعتهم تجرءوا علىٰ أهل العلم ورموهم بالزندقة، إذ مع التفاوت البائن في القدرة علىٰ الفهم وتحصيل العلوم والمعارف بين أهل العلم الذين سلكوا المسلك الصحيح والمبكر للعلم الشرعي في معاقله، وبين الذين اقحموا العوام في أماكن قد لا تكون مهيئة أصلا كذلك لتعليمهم ما يحتاجون، مع عدم قدرتهم علىٰ استيعاب مدركات هؤلاء العلماء،

فتسرعوا إلىٰ رميهم بالزندقة وقلة العلم والضلال وغير ذلك من ظواهر التبديع التي عمت بها البلوىٰ في عصرنا الحالي. فالمطلوب في الحقيقة تعليم الناس كيف يكونون متدينين، أما تعليم الناس للتخصص فله قنواته التي يجب أن تحترم.

وعلينا أن ننشر علم التدين داخل مساجدنا وبيوتنا لصلاح قلوبنا وجوارحنا، مستعملين في ذلك الكتب البسيطة التي تناسب العوام والتي ألفها أهل العلم الفحول يبتغون بها توصيل تلك العلوم البسيطة إلىٰ سائر الأمة حيث كفوهم البحث والتنقيب وسهلوا لهم أن يكونوا من الصالحين، مثل كتاب رياض الصالحين هذا للعلامة الإمام النَّوَوي وغيره من الكتب النافعة لعموم المسلمين جميعًا. ولنجعلها كأنها صالات دينيَّة يتريض فيها المسلمون ويُعلِّم فيها كل فرد أخاه ما تعلمه ليشد أزره ويرفع مكانته أمام الله تبارك وتعالىٰ، كما كان يفعل سائر الصحابة الكرام.

فلا يجوز تعليم علم الطب والجراحة التخصصي في الصالات الرياضية، وإنما في كلياته ومعامله وأماكنه المتخصصة، كما لا يجوز أيضًا أن نعلم علوم الدين في غير مواضعه ولا علىٰ يد غير المؤهلين لذلك. وإنما علىٰ كل ولي أمر أو أب أو مسئول أن يعلم من حوله كيف يكون إنسانًا متدينًا خلوقًا يحسن أن يعيش في مجتمعه بشكل حضاري راق.

وهذا هو الإمام الشافعي رضي الله عنه: جاءه من يطلب علمًا فبالنظر إلىٰ حاله وجهه إلىٰ ما يحتاجه من التدين لا من التخصص، حيث روي أنه قال أحدهم للشافعيِّ: تُعلِّمني مما علمك الله شيئًا؟ فقال لي: اعلم أن مَن صَدَق اللهَ نجا، ومَن أشفق علىٰ دينه سَلِمَ من الرَّدَىٰ (الهلاك)، ومَن زَهِدَ في الدنيا قَرَّت عيناه بما يراه من الثواب لله تعالىٰ غدًا. قال: أفلا أَزِيدُكَ؟ قلت: نعم. قال: مَن كان فيه ثلاثُ خِصالٍ فقد استكمل الإيمان: مَن أَمَرَ بالمعروف وائتمر، ونَهَىٰ عن المنكر وانتهىٰ، وحافَظَ علىٰ حدود الله تعالىٰ. قال: ألا أزيدك؟ قلت: نعم. قال: كُنْ في الدنيا زاهدًا، وفي الآخرة راغبًا، واصدُقِ الله تعالىٰ في جميع أمورك، تَنْجُ مع الناجين.

وقيل للإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: ما تقول يا مالك في طلب العلم؟ فقال: حسن جميل ولكن انظر إلىٰ الذي يلزمك من حين تصبح إلىٰ حين تمسي فالزمه.

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ: العلم نور يجعله الله حيث يشاء وليس بكثرة الرواية.

* * *

١٣- كتاب حمد الله تعالى وشكره

٢٤٢- باب فضل الحمد والشكر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالىٰ: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقال تعالىٰ: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ [الإسراء: ١١١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾ [يونس: ١٠].

(١٣٩٣/ ٢٤٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ أُتِيَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ بِقَدَحَيْنِ مِنْ خَمْرٍ وَلَبَنٍ، فَنظَرَ إِلَيْهِمَا فَأَخَذَ اللَّبَنَ. فَقَالَ جِبريلُ ﷺ: الحمدُ لله الذي هداك للفِطْرة، لو أَخَذْتَ الخمرَ غَوَتْ أُمَّتُك. رواه مسلم.

(١٣٩٤/ ٢٤٢) وعنه: عن رسول الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ أَمْرٍ ذِي بَالٍ (أي: شريف مهتم به) لا يُبْدأُ فِيهِ بِالحَمْدُ لله فَهُوَ أَقْطَعُ (أي: مقطوع البركة)». حديث حسن، رواه أبو داود وغيره.

(١٣٩٥/ ٢٤٢) وعن أبي موسىٰ الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِذَا مَاتَ وَلَدُ العَبْدِ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ لِـمَلائِكَتِهِ: قَبَضْتُمْ وَلَدَ عَبْدِي؟ فَيقولون: نَعَمْ، فيقول: قَبَضْتُمْ ثَمَرَةَ فُؤادِهِ؟ فيقولون: نَعَمْ، فيقول: ماذا قَالَ عَبْدِي؟ فَيقولون: حَمِدَكَ وَاسْتَرْجَعَ (أي: قال: إنا لله وإنا إليه راجعون)، فيقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: ابْنُوا لِعَبْدِي بَيْتًا في الجَنَّةِ، وَسَمُّوهُ بَيْتَ الحَمْدِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٩٦/ ٢٤٢) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَيَرْضَىٰ عَنِ العَبْدِ يَأْكُلُ الأَكْلَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا، وَيَشْرَبُ الشَّرْبَةَ، فَيَحْمَدُهُ عَلَيْهَا». رواه مسلم.

١٤- كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ

٢٤٣- باب الأمر بالصلاة عليه وفضلها وبعض صيغها

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ٥٦﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١٣٩٧/ ٢٤٣) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أنهُ سَمِعَ رسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ صَلَّىٰ عَلَيَّ صَلاةً، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا». رواه مسلم.

(١٣٩٨/ ٢٤٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَوْلَىٰ النَّاسِ بِي يَومَ القِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلاةً». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٣٩٩/ ٢٤٣) وعن أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُم يَومَ الجُمُعَةِ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ». قَالَ: قالوا: يَا رسول الله، وَكَيفَ تُعْرَضُ صَلاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ (أي: صرت ترابًا كالرميم)؟! قَالَ: يقولُ بَلِيتَ. قَالَ: «إِنَّ اللهَ حَرَّمَ عَلَىٰ الأَرْضِ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٠٠/ ٢٤٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ (أي: أُلصِق أنفه بالتراب ذلًّا) ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٠١/ ٢٤٣) وعنه رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا تَجْعَلُوا قَبْرِي عِيدًا، وَصَلُّوا عَلَيَّ؛ فَإِنَّ صَلاتَكُمْ تَبْلُغُنِي حَيْثُ كُنْتُمْ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٠٢/ ٢٤٣) وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّىٰ أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلامَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٠٣/ ٢٤٣) وعن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «البَخِيلُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٠٤/ ٢٤٣) وعن فَضَالَةَ بنِ عُبَيْدٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ رسُولُ الله ﷺ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللهَ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، فقال رسُولُ الله ﷺ: «عَجِلَ هَذَا». ثم دعاه فقال له- أَوْ لِغَيْرِهِ: «إِذَا صَلَّىٰ أَحَدُكُمْ فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ رَبِّهِ سُبْحَانَهُ، وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَىٰ النَّبيِّ ﷺ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدُ بِمَا شَاءَ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٠٥/ ٢٤٣) وعن أبي محمدٍ كعب بن عُجْرَة رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا النبيُّ ﷺ فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجيدٌ. اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**». متفق عليه.

(١٤٠٦/ ٢٤٣) وعن أبي مَسعودٍ البدريِّ رضي الله عنه قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ الله ﷺ وَنَحنُ فِي مَجْلِسِ سَعدِ بن عُبَادَةَ رضي الله عنه، فَقَالَ لَهُ بَشيرُ بْنُ سَعدٍ: أمَرَنَا اللهُ تَعَالَىٰ أنْ نُصَلِّي عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ فَسَكَتَ رَسُولُ الله ﷺ، حَتَّىٰ تَمَنَّيْنَا أنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثم قال رسولُ الله ﷺ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ، إنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلامُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ**». رواه مسلم.

(١٤٠٧/ ٢٤٣) وعن أبي حُمَيدٍ السَّاعِدِيِّ رضي الله عنه قال: قالوا: يَا رسولَ الله كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ أزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَىٰ آلِ إبْرَاهِيمَ إنَّكَ حَميدٌ مَجِيدٌ**». متفق عليه.

❁ ❁ ❁

(واجب الأمة نحو المصطفى ﷺ)

إن اللهَ اصطفىٰ لهذه الأمة نبيها الكريم سيدنا محمد بن عبد الله ﷺ، ليكون آخر رسالات السماء إلىٰ الأرض، وألزمهم بأمور تجاه نبيهم الكريم ﷺ.

وأول هذه الواجبات: هو وجوب الإيمان به، وفرضيته عليها وعلىٰ الناس جميعًا، فلن يدخل الجنة إلا من آمن به، وهذا أمر قطعي لا جدال فيه، ومن شك في ذلك فقد رفض أمر الله وكفر به؛ قال الله تعالىٰ: ﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [النساء: ١٣٦]، وقال الله سبحانه وتعالى أيضًا: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الفتح: ١٣] والأحاديث في ذلك كثيرة.

وثاني هذه الواجبات: هو وجوب الطاعة له والاتباع والانقياد لسنته من أقوال وأفعال

وتقريرات، كما قال الله سُبحانه وتعالى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال ﷺ: «مَنْ أَحْيَا سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ»، وقال أيضًا: «مَثَلِي كَمَنْ بَنَىٰ دَارًا وَجَعَلَ فِيهَا مَأْدُبَةً، فَمَنْ أَجَابَ الدَّاعِيَ دَخَلَ الدَّارَ وَأَكَلَ مِنَ المَأْدُبَةِ، وَمَنْ لَمْ يُجِبِ الدَّاعِيَ لَمْ يَدْخُلِ الدَّارَ (أي: الجنة) وَلَمْ يَأْكُلْ مِنَ المَأْدُبَةِ (أي: نعيم الجنة)».

وثالث هذه الواجبات: التحذير من مخالفة أمره وتبديل سنته الشريفة؛ فإن الصحابة الكرام وهم أجلُّ الناس وأفضلهم، لمَّا خالف بعضهم أمره في غزوة أحد حدثت لهم محنة عظيمة قُتل فيها سبعون شهيدًا وجُرح مثلهم؛ ولهذا قال الله تعالىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣]، وقال عن نفسه ﷺ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَىٰ». قيل: ومن يأبىٰ يا رسول الله؟ قال: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَىٰ». وقال أيضًا ﷺ: «كَفَىٰ بِقَوْمٍ حُمْقًا أو ضلالًا، أَنْ يَرْغَبُوا عَمَّا جَاءَهُمْ به نَبِيُّهُم إلىٰ ما جاء به غَيْرُ نَبِيِّهِم أو إلىٰ كتابٍ غير كتابهم».

وهذا أبو بكر الصديق رضي الله عنه يقول: لست تاركًا شيئًا كان رسول الله ﷺ يعمل به إلا عملت به، إني أخشىٰ إن تركت شيئًا من أمره أن أزيغ (أي: أضل).

ورابع هذه الواجبات: لزوم محبة رسول الله ﷺ؛ فقد قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الإِيمانِ: مَنْ كَانَ اللهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»، وقال أيضًا ﷺ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا ناسٌ يكونون بَعْدِي يَوَدُّ أحدُهم لو رآني بأهله وماله».

وإن من علامات حبه ﷺ أن يكون حبُّه مُقدَّمًا علىٰ كلِّ حُبٍّ، وذلك بحرص المحب علىٰ الاقتداء به واتباع أقواله وأفعاله وامتثال أوامره واجتناب نواهيه والتأدب بآدابه في كل عسر ويسر، وحتىٰ في حال النشاط والتعب، وشَاهِدُ هذا قولُه تعالىٰ: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣١]، وتفضيل شرعه أيضًا وتقديمه علىٰ هوىٰ نفسه.

وكذلك من علامات المحبة كثرة ذكره هو وسيرته الشريفة، فمن أحب شيئًا أكثر ذكره. ومنها كثرة الشوق إلىٰ لقائه والقرب منه يوم القيامة فكل حبيب يحب لقاء حبيبه ومن علامة حبه أيضا بغض وكره من أبغض الله ورسوله والبعد عن من خالف سنته الشريفة ﷺ.

وخامس هذه الواجبات: وجوب النصح له ﷺ، كما ورد في الحديث: «**إن الدِّينَ النَّصِيحَةُ**». قيل: لمن يا رسول الله؟، قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**». ومعنىٰ النصح له: هو التصديق بأنه نبيُّ آخر الزمان، وبأن ننصره ونؤازره ونحميه ونحمي شرفه وعرضه، سواءٌ كان حيًّا أو ميتًا، والعمل علىٰ إحياء سنته والدفاع عنها، ونشرها، والتخلق بأخلاقه الكريمة وآدابه الجميلة.

وأما نصيحة المسلمين بعد وفاته فالتزام التوقير والإجلال، والرغبة له، والمواظبة علىٰ تعليم سنته، والتفقه في شريعته، والمحبة لآل بيته وأصحابه، ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها وبُغْضُه والتحذير منه، والشفقة علىٰ أمته، والبحث عن تعرف أخلاقه وسيرته وآدابه والصبر علىٰ ذلك.

وسادس هذه الواجبات: وجوبُ تعظيم شأنه وتوقيره والبر به، فقد كان ﷺ يخرج علىٰ أصحابه من المهاجرين والأنصار وهم جلوس، وفيهم أبو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم إليه بصره مهابة له إلا أبو بكر وعمر، فانهما كانا ينظران إليه وينظر اليهما، ويبتسمان إلي ويبتسم اليهما.

وهذا عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: ما كان أحدٌ أحبَّ إليَّ من رسول الله ﷺ ولا أَجَلَّ (أي: أعظم) في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملأ عيني منه (أي: احترامًا ومهابة له).

ومن تعظيم شأنه وتوقيره ﷺ توقير أصحابه الكرام ومعرفة حقوقهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والإمساك والسكوت عما وقع بينهم فقال ﷺ: «**اللهَ اللهَ في أصحابي، لا تَتَّخِذُوهم غَرَضًا** (أي: لا تقذفوهم بالتهم) **بعدي، فمَنْ أَحَبَّهُم فبِحُبِّي أَحَبَّهم، ومَن أبغضهم فبِبُغْضي أَبْغَضَهم، ومَن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذىٰ الله، فيوشك أن يأخذه**». وقال ﷺ: «**لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدُكم مِثْلَ أُحُدٍ ذهبًا ما أَدْرَكَ مُدَّ** (أي: امتلاء كف) **أحدهم ولا نصيفه** (أي: نصفه)».

قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من أبغض الصحابة وسبهم فليس له في المسلمين شيء ونزع من الإيمان بقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠]. وقال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خصلتان من كانتا فيه نجا: الصدق وحب أصحاب محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ.

* * *

١٥- كتاب الأذكار

٢٤٤- باب فضل الذكر والحث عليه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ٢٠٥﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٤٥﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ﴾ إِلَىٰ قَوۡلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ٣٥﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ٤١ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ٤٢﴾ الآية [الأحزاب: ٤١-٤٢]، والآيات في الباب كثيرةٌ معلومة.

(١٤٠٨/ ٢٤٤) وعن أبي هُرَيرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قال: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرحمن: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ الله العظيمِ». متفق عليه.

(١٤٠٩/ ٢٤٤) وعنه رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ قَالَ: قال رسولُ الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: «لأَنْ أَقُولَ: سُبْحَانَ الله؛ وَالحَمْدُ لله؛ وَلا

إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبَرُ، أَحَبُّ إلَيَّ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ». رواه مسلم.

(١٤١٠/ ٢٤٤) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ قَالَ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ؛ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ، في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ (أي: رقاب جمع رقبة والمقصود بها هنا العبيد) وكُتِبَتْ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّىٰ يُمْسِي، وَلَمْ يَأتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ إلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أكْثَرَ مِنْهُ». وَقَالَ: «مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، في يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، حُطَّتْ خَطَايَاهُ، وَإنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ (أي: الزبد هو ما يعلو الماء وغيره من الرغوة والوضر والخبث، وهو هنا دلالة على المبالغة في الكثرة)». متفق عليه.

(١٤١١/ ٢٤٤) وعن أبي أَيُّوبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ؛ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، عَشْرَ مَرَّاتٍ. كَانَ كَمَنْ أَعْتَقَ أَرْبَعَةَ أَنْفُسٍ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ». متفق عليه.

(١٤١٢/ ٢٤٤) وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ألا أُخْبِرُكَ بِأَحَبِّ الكَلامِ إلَىٰ الله؟ إنَّ أَحَبَّ الكَلامِ إلَىٰ الله: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ». رواه مسلم.

(١٤١٣/ ٢٤٤) وعن أَبي مالك الأشعري رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «الطُّهُورُ (أي: التطهر) شَطْرُ (أي: نصف) الإيمانِ، وَالحَمْدُ للهِ تَمْلأُ المِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَالحَمْدُ للهِ تَمْلآنِ- أو: تَمْلأُ- مَا بَيْنَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ». رواه مسلم.

(١٤١٤/ ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وَقَّاص رضي الله عنه قَالَ: جاءَ أَعْرَابيٌّ إلَىٰ رَسولِ الله ﷺ فَقَالَ: عَلِّمْنِي كَلامًا أَقُولُهُ. قَالَ: «قُلْ لا إلهَ إلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا، وَالحَمْدُ للهِ كَثيرًا، وَسُبْحَانَ اللهِ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ العَزِيزِ الحَكِيمِ». قَالَ: فهؤُلاءِ لِرَبِّي، فَمَا لِي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم.

(١٤١٥/ ٢٤٤) وعن ثَوْبانَ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُول الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاثًا، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإكْرَامِ». قِيلَ لِلأَوْزَاعِيِّ- وَهُوَ أَحَدُ رواة الحديث: كَيْفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قَالَ: تقول: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم.

(١٤١٦/ ٢٤٤) وعن المُغيرَة بن شُعْبة رضي الله عنه: أن رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنَ الصَّلاةِ وَسَلَّمَ

قَالَ: «لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ (أي: الحظ والغنىٰ والجاه) مِنْكَ الجَدُّ». متفق عليه.

(١٤١٧/ ٢٤٤) وعن عبد الله بن الزُّبَيْر رضي الله تَعَالَىٰ عنهما: أَنَّه كَانَ يَقُولُ دُبُرَ (أي: آخر) كُلِّ صَلاةٍ حِيْنَ يُسَلِّمُ: «لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، لا إلهَ إِلَّا اللهُ، وَلا نَعبد إِلَّا إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ وَلَهُ الفَضْلُ وَلَهُ الثَّنَاءُ الحَسَنُ، لا إلهَ إِلَّا اللهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الكَافِرُونَ». قال ابن الزبير: وكان رسولُ الله ﷺ يُهَلِّلُ (أي: التهليل هو رفع الصوت) بِهِنَّ دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ. رواه مسلم.

(١٤١٨/ ٢٤٤) وعن أَبي هُرَيرة رضي الله عنه: أَنَّ فُقَراءَ المُهَاجِرِينَ أَتَوْا رَسُولَ الله ﷺ، فقالوا: ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثورِ بِالدَّرَجَاتِ العُلَىٰ، وَالنَّعِيمِ المُقِيمِ، يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي، وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ، وَلَهُمْ فَضْلٌ مِنْ أَمْوَالٍ، يَحُجُّونَ، وَيَعْتَمِرُونَ، وَيُجَاهِدُونَ، وَيَتَصَدَّقُونَ. فَقَالَ: «أَلا أُعَلِّمُكُمْ شَيْئًا تُدْرِكُونَ بِهِ مَنْ سَبَقَكُمْ، وَتَسْبِقُونَ بِهِ مَنْ بَعْدَكُمْ، وَلا يَكُونُ أَحَدٌ أَفْضَل مِنْكُمْ إِلَّا مَنْ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُمْ؟». قالوا: بلَىٰ يَا رَسولَ الله، قال: «تُسَبِّحُونَ، وَتَحْمَدُونَ، وَتُكَبِّرُونَ، خَلْفَ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ». قَالَ أَبُو صالح الراوي عن أَبي هُرَيرة لَمَّا سُئِلَ عَنْ كَيْفِيَّةِ ذِكْرِهِنَّ قَالَ: يقول: سُبْحَانَ اللهِ، وَالحَمْدُ للهِ، واللهُ أَكْبَرُ، حَتَّىٰ يَكُونَ مِنهُنَّ كُلُّهُنَّ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ. متفق عليه.

وزاد مسلمٌ في روايته: فَرَجَعَ فُقَرَاءُ المُهَاجِرينَ إِلَىٰ رسولِ الله ﷺ، فقالوا: سَمِعَ إِخْوَانُنَا أَهْلُ الأَمْوَالِ بِمَا فَعَلْنَا فَفَعَلُوا مِثْلَهُ؟ فقال رَسُولُ الله ﷺ: «ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ». «الدُّثُورُ» جمع دَثْر -بفتح الدال وإسكان الثاء المثلثة- وَهُوَ: المال الكثير.

(١٤١٩/ ٢٤٤) وعنه: عَنْ رسول الله ﷺ قَالَ: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وحَمِدَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَكَبَّرَ اللهَ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وقال: تَمَامَ المِائَةِ: لا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحدهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ البَحْرِ». رواه مسلم.

(١٤٢٠/ ٢٤٤) وعن كعب بن عُجْرَةَ: عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «مُعَقِّبَاتٌ (أي: تسبيحات تفعل عقب الصلاة) لا يَخِيبُ قَائِلُهُنَّ -أو فَاعِلُهُنَّ- دُبُرَ كُلِّ صَلاةٍ مَكْتُوبَةٍ: ثَلاثٌ وَثَلاثون تَسْبِيحَةً.

وَثَلاثٌ وثَلاثونَ تَحْميدَةً، وَأَرْبَعٌ وَثَلاثون تَكْبيرَةً». رواه مسلم.

(١٤٢١/ ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وقّاص رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ كانَ يَتَعَوَّذُ دُبُرَ الصَّلَواتِ بهؤلاءِ الكَلِماتِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعوذُ بكَ مِنَ الجُبْنِ وَالبُخْلِ، وأعوذُ بكَ مِنْ أَنْ أُرَدَّ إِلَىٰ أَرْذَلِ العُمُرِ، وَأعوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيا، وَأَعوذُ بكَ مِنْ فِتْنَةِ القَبْرِ**». رواه البخاري.

(١٤٢٢/ ٢٤٤) وعن مُعاذ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذ بيده وقال: «**يا مُعاذُ، واللهِ إنّي لأُحِبُّكَ**». فَقالَ: «**أُوصِيكَ يا مُعاذُ لا تَدَعَنَّ في دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَىٰ ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبادَتِكَ**». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٢٣/ ٢٤٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «**إذا تَشَهَّدَ أَحَدُكُم فَلْيَسْتَعِذْ باللهِ مِنْ أَرْبَعٍ، يقول: اللَّهُمَّ إنِّي أَعوذُ بكَ مِنْ عَذابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذابِ القَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ المَحْيا وَالمَماتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ المَسيحِ الدَّجّالِ**». رواه مسلم.

(١٤٢٤/ ٢٤٤) وعن عليٍّ رضي الله عنه قالَ: كانَ رَسُولُ الله ﷺ إذا قامَ إلَىٰ الصَّلاةِ يَكُونُ مِنْ آخِرِ ما يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْليمِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ما قَدَّمْتُ وَما أَخَّرْتُ، وَما أَسْرَرْتُ وَما أَعْلَنْتُ، وَما أَسْرَفْتُ، وَما أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وَأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ**». رواه مسلم.

(١٤٢٥/ ٢٤٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يقولَ في ركوعِه وسُجودِهِ: «**سُبْحانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنا وبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي**». متفق عليه.

(١٤٢٦/ ٢٤٤) وعنها: أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يقولُ في رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ** (أي: المُسَبَّح المقدَّس) **رَبُّ المَلائِكَةِ وَالرُّوحِ**». رواه مسلم.

(١٤٢٧/ ٢٤٤) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «**فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَمَّا السُّجُودُ فاجْتَهِدُوا في الدُّعاءِ، فَقَمِنٌ** (أي: جدير أو خليق) **أَنْ يُسْتَجابَ لَكُمْ**». رواه مسلم.

(١٤٢٨/ ٢٤٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قالَ: «**أَقْرَبُ ما يَكُونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ ساجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعاءَ**». رواه مسلم.

(١٤٢٩/ ٢٤٤) وعنه: أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يَقُولُ في سجودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لي ذَنْبي كُلَّهُ: دِقَّهُ** (أي: قليله) **وَجِلَّهُ** (أي: كثيره)، **وَأَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، وَعلانِيَتَهُ وَسِرَّهُ**». رواه مسلم.

(١٤٣٠/ ٢٤٤) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: افْتَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَتَحَسَّسْتُ فإذا هُوَ راكِعٌ- أَوْ سَاجِدٌ- يقولُ: «سُبْحَانَكَ وَبِحَمْدِكَ، لا إلهَ إِلَّا أنت».

وفي رواية: فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَىٰ بَطْنِ قَدَمَيْهِ، وَهُوَ فِي المَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وأعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَىٰ نَفْسِكَ». رواه مسلم.

(١٤٣١/ ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وقَّاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا عِندَ رَسُولِ الله ﷺ، فقال: «أيعجِزُ أَحَدُكُمْ أنْ يَكْسِبَ فِي كلِّ يوم أَلْفَ حَسَنَةٍ؟!». فَسَأَلَهُ سَائِلٌ مِنْ جُلَسائِهِ: كَيْفَ يَكْسِبُ ألفَ حَسَنَةٍ؟ قَالَ: «يُسَبِّحُ مِائَةَ تَسْبِيحَةٍ فَيُكْتَبُ لَهُ أَلْفُ حَسَنَةٍ، أَوْ يُحطُّ عَنْهُ أَلفُ خَطِيئَةٍ». رواه مسلم. قَالَ الحُمَيْدِيُّ: كذا هُوَ فِي كتاب مسلم: «أَوْ يُحطُّ». قَالَ البَرْقانيُّ: ورواه شُعْبَةُ، وأبو عَوَانَة، ويحيىٰ القَطَّان عن موسىٰ الذي رواه مسلم من جهته، فقالوا: «ويحط» بغير أَلِفٍ.

(١٤٣٢/ ٢٤٤) وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «يُصْبِحُ عَلَىٰ كُلِّ سُلامَىٰ (أي: عظام البدن ومفاصله) مِنْ أَحِدِكُمْ صَدَقَةٌ: فَكُلُّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقةٌ، وَكُلُّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةٌ، وَكُلُّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةٌ، وأمْرٌ بالمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ، وَنَهْيٌ عَنِ المُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَيجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ رَكْعَتَانِ يَرْكَعُهُمَا مِنَ الضُّحَىٰ». رواه مسلم.

(١٤٣٣/ ٢٤٤) وعن أُمِّ المُؤمِنِينَ جُوَيْرِيَةَ بنتِ الحارث رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ النَّبيَّ ﷺ خرجَ مِنْ عِنْدِهَا بُكْرَةً (أي: أول النهار) حِينَ صَلَّىٰ الصُّبْحَ وَهِيَ فِي مَسْجِدِها، ثُمَّ رَجَعَ بَعدَ أنْ أضْحَىٰ وَهِيَ جَالِسَةٌ، فقالَ: «مَا زِلْتِ عَلَىٰ الحالِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قالت: نَعَمْ. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَقَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ اليَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ (أي: بامتداد وازدياد وكثرة) كَلِمَاتِهِ». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «سُبْحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ الله مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

وفي رواية الترمذي: «ألا أُعَلِّمُكِ كَلِمَاتٍ تَقُولِينَهَا؟ سُبحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ؛ سُبحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبحانَ الله عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ الله رِضَا نَفْسِهِ،

سُبْحَانَ اللهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، سُبْحَانَ اللهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ».

(١٤٣٤/ ٢٤٤) وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**مَثَلُ الَّذِي يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لا يَذْكُرُهُ مَثَلُ الحَيِّ وَالمَيِّتِ**». رواه البخاري.

ورواه مسلم فَقَالَ: «مَثَلُ البَيْتِ الَّذِي يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، وَالبَيْتِ الَّذِي لا يُذْكَرُ اللهُ فِيهِ، مَثَلُ الحَيِّ والمَيِّتِ».

(١٤٣٥/ ٢٤٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أنا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وإِنْ ذَكَرَنِي فِي ملأٍ ذَكرتُهُ فِي مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ**». متفق عليه.

(١٤٣٦/ ٢٤٤) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**سَبَقَ المُفَرِّدُونَ**». قالوا: وَمَا المُفَرِّدُونَ يا رسول الله؟ قَالَ: «**الذَّاكِرُونَ اللهَ كثيرًا والذَّاكِرَاتُ**». رواه مسلم. وَرُوِيَ: «**المُفَرِّدُونَ**» بتشديد الراءِ وتخفيفها، والمشهُورُ الَّذِي قَالَهُ الجمهُورُ: التَّشْدِيدُ.

(١٤٣٧/ ٢٤٤) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ: لا إلهَ إلَّا اللهُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٣٨/ ٢٤٤) وعن عبد الله بن بُسْر رضي الله عنه: أن رجلًا قال: يَا رسولَ الله، إنَّ شَرَائِعَ الإسْلامِ قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ، فَأَخْبِرْنِي بِشَيءٍ أَتَشَبَّثُ (أي: أتعلق به) بِهِ قَالَ: «**لا يَزالُ لِسَانُكَ رَطبًا مِنْ ذِكْرِ اللهِ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٣٩/ ٢٤٤) وعن جابر رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**من قَالَ: سُبْحانَ اللهِ وبِحمدِهِ، غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الجَنَّةِ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٤٠/ ٢٤٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لَقِيتُ إبْرَاهِيمَ لَيلَةَ أُسْرِيَ بِي، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ، عَذْبَةُ الماءِ، وأَنَّها قِيعَانٌ** (أي: جمع قاع وهي: الأرض المستوية الخالية من الشجر) **وأَنَّ غِرَاسَهَا: سُبْحَانَ اللهِ، والحَمْدُ للهِ، وَلا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكْبَرُ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٤١/ ٢٤٤) وعن أَبي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «ألا أُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرِ أعْمالِكُمْ، وأزْكَاهَا عِنْدَ مَلِيكِكُمْ، وأرْفَعِهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ، وَخَيرٍ لَكُمْ مِنْ إنْفَاقِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ أنْ تَلْقَوا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أعْنَاقَهُمْ وَيَضْرِبُوا أعْنَاقَكُمْ؟» قالوا: بَلَىٰ، قَالَ: «ذِكْرُ الله تَعَالَىٰ». رواه الترمذي، قال الحاكم أبو عبد الله: «إسناده صحيح».

(١٤٤٢/ ٢٤٤) وعن سعد بن أبي وَقَّاصٍ رضي الله عنه: أنَّه دخل مَعَ رَسُولِ الله ﷺ عَلَىٰ امْرأةٍ وَبَيْنَ يَدَيْهَا نَوًىٰ - أَوْ حَصًىٰ - تُسَبِّحُ بِهِ فَقَالَ: «أُخْبِرُكِ بما هُوَ أيْسَرُ عَلَيْكِ مِنْ هَذَا - أَوْ أفْضَلُ». فَقَالَ: «سُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي السَّمَاءِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا خَلَقَ فِي الأرْضِ، وسُبْحَانَ الله عَدَدَ مَا بَيْنَ ذَلِكَ، وسُبحانَ الله عَدَدَ مَا هُوَ خَالِقٌ، واللهُ أكْبَرُ مِثْلَ ذَلِكَ، والحَمْدُ لله مِثْلَ ذَلِكَ، وَلا إلَهَ إلَّا اللهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ مِثْلَ ذَلِكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٤٣/ ٢٤٤) وعن أَبي موسىٰ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «ألا أدُلُّكَ عَلَىٰ كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الجَنَّةِ؟» فَقُلْتُ: بَلَىٰ يَا رسولَ الله قَالَ: «لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا باللهِ». متفق عليه.

❊ ❊ ❊

(الذكــــر)

إن العبوديةَ لله تعالىٰ تدور علىٰ قاعدتين: الحبِّ الكامل لله تعالىٰ، والذُّلِّ الكاملِ له أيضًا؛ وذلك أن معرفةَ ومشاهدةَ مِنَّةِ وعطاءِ الله لنا من آياتٍ عظيمةٍ وأدلةٍ حكيمةٍ ونِعَمٍ لا تُعَدُّ ولا تُحصَىٰ تُورِث محبةَ الله والاعترافَ بعيبِ النفس وذنوبِها، ومشاهدةَ التقصير في الطاعات، والوقوع في الزَّلَّات يُورِث الذِّلَّةَ لله تعالىٰ.

إن المقصودَ من هذا هو القلبُ الذي تدور عليه العبوديةُ، فهو سلطان الجوارح وأميرها، وهو المقصود في الحقيقة بالمحبة الكاملة لله تعالىٰ، والذلة الكاملة لله تعالىٰ؛ ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢﴾ [الأنفال: ٢]، وإنما الجوارح خَدَمٌ للقلب، تدور حيثما دار، واستقامة القلب هي المراد والمقصود، وتكون بشيئين:

الأول: أن تكون محبةُ الله تعالىٰ مُتقدِّمةً علىٰ جميع المحابِّ، ويسبق حبُّ الله تعالىٰ غيرَه، كائنًا مَن أو ما كان.

الثاني: أن يُعظِّم القلبُ الأمرَ والنهيَ الربانيَّ، فهذا من علامة تعظيم الآمِرِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويكون ذلك بالانقياد الكامل لشرعه الكريم واحترام أهل العلم وفتواهم؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١-٤٢].

أنواع القلوب: والقلوب ثلاثة:

١- قلبٌ خالٍ من الإيمانِ وجميعِ الخير، فذلك قلبٌ مظلمٌ قد استراح الشيطانُ من إلقاء الوساوس إليه؛ لأنه قد اتخذه بيتًا ووطنًا وتحكَّمَ فيه وتمكَّن منه غايةَ التمكُّن.

٢- قلبٌ قد استنار بنور الإيمان وأُوقِدَ فيه مِصباحُه، لكن عليه ظلمة الشهوات والأهواء، فللشيطان هناك إقبالٌ وإدبارٌ ومطامعُ ومجالات وكَرٌّ وفَرٌّ، وأصحابه أصنافٌ ثلاثةٌ:

فمنهم من يغلب عدوَّه إبليسَ أكثرَ الوقت، فلا يفوز إبليسُ إلا بالقليل. ومنهم من ينهزم لعدوِّه إبليسَ أكثرَ الوقت. ومنهم من هو بين الغلبة لعدوِّه والهزيمةِ له.

٣- قلبٌ امتلأ بالإيمان واستنار بنوره وانقشعت عنه حُجُبُ الشهوات والظُّلُّمات، فهو قلبٌ مُشرِقٌ، لو دنا منه إبليس لاحترق.

ومثال تلك القلوب: كثلاثة بيوتٍ: بيت للملك مليء بالكنوز والجواهر، وبيت لرجلٍ من الناس فيه شيءٌ من الكنوز والجواهر ليست كأشياء الملك، وبيت خالٍ لا شيء فيه. فجاء اللِّصُّ ليسرق من أحد تلك البيوت، فمِن أيِّها يسرق؟

فإن مِن الطبيعيِّ ألا يذهب اللِّصُّ ليسرق من بيتٍ خالٍ لا شيء فيه؛ ولهذا لما قيل لابن عباس: إن اليهودَ تزعم أن الشياطين لا توسوس لها في الصلاة؟ قال: وما يصنع الشيطانُ بالبيتِ الخَرِب؟ وإن قُلتَ: يسرق من بيت الملك. كان ذلك كالمستحيل؛ لأنه محاطٌ بالحُرَّاس والجنود، مما يُصعِّب علىٰ اللص الاجتراءَ عليه أو حتىٰ الاقتراب منه، فلا يبقىٰ لِلِّصِّ إلا البيتُ الثالث فهو الذي يحاول دائمًا الهجومَ عليه ومحاولة الاستيلاء علىٰ محتوياته. وهكذا لا يستطيع العبدُ أن يحميَ نفسه من الشيطان الوسواس الخَنَّاس

إلا بذكر الله تعالىٰ. والقلب يصدأ بأمرين: بالغفلة، والذنب. وصفاؤه ونقاؤه بشيئين: بالاستغفار، والذكر. والذِّكر هو التخلص من الغفلة والنسيان.

والذكر قد يعني الشرفَ مجازًا؛ ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ﴾ [الزخرف: ٤٤]، أي: القرآنُ شرفٌ لك ولهم، وقولُه تعالىٰ: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ ٤﴾ [الشرح: ٤] أي: شرفك.

ويُطلق الذِّكر علىٰ معانٍ أُخر، منها: الصلاةُ لله تعالىٰ، والدعاء إليه، ويُطلق أيضًا علىٰ الطاعة، والشكر، والدعاء، والتسبيح، وقراءة القرآن، وتمجيد الله وتهليله وتسبيحه والثناء عليه بجميع محامده.

والذكر أيضًا: الكتاب الذي فيه تفصيل الدين ووضع الملل، وكلُّ كتاب من الأنبياء ذكرٌ، ومنه قولُه تعالىٰ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩﴾ [الحجر: ٩]، وحُمل علىٰ خصوص القرآن وحده أيضًا.

وفي كل جارحة من الجوارح- عضو من أعضاء الجسم- عبودية مؤقتة، والذكر عبودية القلب واللسان، وهي غير مؤقتة، بل العباد يُؤمرون بذِكر معبودِهم ومحبوبهم في كل حالٍ، قيامًا وقعودًا وعلىٰ جُنُوبِهم، ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

وكما أن الجنةَ قيعانٌ، الذِّكر غِرَاسُها، فكذلك في القلوب بُورٌ وخرابٌ، الذِّكرُ عمارتها وأساسها. وهو جلاء القلوب وصفاؤها، ودواؤها إذا غشيها مَرَضُها واعتلالها، وكلما ازداد الذاكرُ في ذكره استغراقًا ازداد المذكورُ محبةً إلىٰ لقائه واشتياقًا.

وبالذِّكر يزول الصَّمَم عن الأسماع، والبكم عن الألسُن، وتنقشع الظلمة عن الأبصار. وزيَّن اللهُ به ألسنةَ الذاكرين، كما زيَّن بالنور أبصارَ الناظرين.

فاللسان الغافل كالعين العمياء والأذن الصماء واليد الشَّلَّاء. وهو بابُ الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده، ما لم يُغلقه العبد بغفلته.

قال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والمراد بالذكر: الإتيانُ بالألفاظ التي ورد الترغيبُ في قولِها والإكثارِ منها، مثل الباقيات الصالحات، وهي «سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر»، وما يلتحق بها من الحوقلة (أي: قول: لا حول ولا قوة إلا بالله) والبسملة (أي: قول: بسم الله) والحسبلة (أي: قول: حسبي الله) والاستغفار ونحو ذلك. والدعاءُ بخيري الدنيا والآخرة. ويُطلق ذِكر الله أيضًا ويُراد به المواظبة علىٰ العمل بما أوجبه أو نَدَب إليه، كتلاوة القرآن، وقراءة الحديث، ومدارسة العلم، والتنفل بالصلاة. ثم الذِّكر يقع تارةً باللسان ويُؤجَر عليه الناطق، ولا يُشترط استحضارُه لمعناه، ولكن يُشترط ألا يقصد به غيرَ معناه، وإن انضاف إلىٰ النطقِ الذكرُ بالقلب فهو أكمل، فإن انضاف إلىٰ ذلك استحضارُ معنىٰ الذِّكر وما اشتمل عليه من تعظيم الله تعالىٰ ونَفْي النقائص عنه ازداد كمالًا، فإن وقع ذلك في عملٍ صالح مما فرض من صلاةٍ أو جهاد أو غيرهما ازداد كمالًا، فإن صحَّ التوجه وأخلص لله تعالىٰ في ذلك فهو أبلغ الكمال.

وقال الفخر الرازي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: المراد بذكر اللسان: الألفاظُ الدالة علىٰ التسبيح والتحميد والتمجيد. والذكر بالقلب: التفكرُ في أدلة الذات والصفات، وفي أدلة التكاليف، من الأمر والنهي؛ حتىٰ يطَّلِعَ علىٰ أحكامها، وفي أسرار مخلوقات الله. والذكر بالجوارح: هو أن تصير مُستغرَقةً في الطاعات، ومن ثم سمَّىٰ اللهُ الصلاةَ ذكرًا فقال تعالىٰ: ﴿فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩].

ونُقل عن بعضهم، قال: الذِّكر علىٰ سبع هيئات: فذكر العينين بالبكاء، وذكر الأذنين بالاستماع، وذكر اللسان بالشكر، وذكر اليدين بالإعطاء، وذكر البدن بالوفاء، وذكر القلب بالخوف والرجاء، وذكر الروح بالتسليم والرضاء.

والفرق بينه وبين التفكر أن التفكر لتحصيل العلم النافع، أما الذكر فهو لتثبيت ذلك العلم في القلوب ليُطبَع علىٰ الجوارح وتصلح به الأحوال.

والذكر هو قوت القلوب وغذاؤها، وعمارة الأجساد ودواء الأبدان، وهو سلاح المؤمنين، وهو سُلَّم الوصول لعَلَّام الغيوب. والذكر هو صفاء القلوب، وهو باب الله الأعظم المفتوح بينه وبين عبده ما لم يُغلقه العبدُ بغفلته، قال رسول الله ﷺ: «إِذَا مَرَرْتُمْ

بِرِيَاضِ الجَنَّةِ فَارْتَعُوا». قالوا: يا رسول الله، وما رِيَاض الجنة؟ قال: «حِلَقُ الذِّكْرِ» الترمذي برقم (٣٥١٠)، وقال: حديث حسن، وصححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٢٥٦٢).

وعن النبيِّ ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِابْنِ آدَمَ لَا يَذْكُرُ فِيهَا إِلَّا تَحَسَّرَ عَلَيْهَا يَوْمَ القِيَامَةِ». الطبراني في «الأوسط» (٨/ ١٧٥) برقم (٨٣١٦)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٧٢٠).

قال الحسن البصريُّ رحمه الله: تفقَّدوا الحلاوةَ في ثلاثةِ أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن. فإن وجدتم وإلَّا فاعلموا أن البابَ مغلقٌ.

والذكر هو روح الأعمال، فإذا خلا العملُ من الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه.

الذكر في القرآن: وقال ابنُ القيم: جاء الذِّكْرُ في القرآن على عشرة أوجهٍ:

الأول: الأمرُ به مطلقًا ومُقيَّدًا، وذلك كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

الثاني: النهي عن ضدِّه من الغفلة والنسيان، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

الثالث: تعليق الفلاح باستدامته وكثرته، كقوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنفال: ٤٥].

الرابع: الثَّناءُ على أهله، والإخبار بما أعدَّ اللهُ لهم من الجنة والمغفرة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾﴾ [الأحزاب: ٣٥].

الخامس: الإخبار عن خسران مَن لَهَا- من اللهو واللعب والغفلة- عنه بغيره، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩﴾﴾ [المنافقون: ٩].

السادس: أنه سبحانه جعل ذِكرَه لهم جزاءً لذكرهم له، كقوله تعالىٰ: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة: ١٥٢].

السابع: الإخبار أنه أكبر من كلِّ شيءٍ، كقوله تعالىٰ: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

الثامن: أنه جعله خاتمةَ الأعمال الصالحة كما كان مِفتاحَها، وذلك كما خَتَم به الحج في قوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ﴾ [البقرة: ٢٠٠]، وخَتَم به الصلاةَ كقوله: ﴿فَإِذَا قَضَيۡتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمۡۚ﴾ [النساء: ١٠٣]، وختم به الجمعة كقوله تعالىٰ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠﴾ [الجمعة: ١٠].

التاسع: الإخبار عن أهله بأنهم هم أهل الانتفاع بآياته وأنهم أولو الألباب دون غيرهم، كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٠ ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٩١﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

العاشر: أنه جعله قرينَ جميعِ الأعمال وروحَها، فقد قرنه بالصلاة، كقوله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ ١٤﴾ [طه: ١٤]، وكذلك قرنه بالصيام وبالحج وغيرها.

عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبيِّ ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ اللهُ دُعَاءَهُم: الذَّاكِرُ اللهَ كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ المَظْلُوم، وَالإِمَامُ المُقْسِطُ» البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٩) برقم (٥٨٨)، حسنه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٣٠٦٤).

وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ سُئِلَ: أيُّ الكلام أفضل؟ قال: «مَا اصْطَفَى اللهُ لملائِكتِه أَوْ لِعِبَادِهِ: سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ» مسلم برقم (٢٧٣١).

وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: أن رسولَ الله ﷺ كان إذا قام إلىٰ الصلاة من جوف

الليل يقول: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ. أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ الْحَقُّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ. اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ» متفق عليه.

عن ابن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: إن رَفْعَ الصوت بالذكر حين ينصرف الناسُ من المكتوبة (أي: الصلاة المكتوبة) كان على عهد النبي ﷺ.

وقال أيضا: كنت أعلم إذا انصرفوا بذلك إذا سمعتُه.

وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبيُّ ﷺ يذكر الله على كلِّ أحيانه.

قال أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ذهب الذاكرون اللهَ بالخير كلِّه.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن الجبلَ لَيُنادي الجبلَ باسمه: يا فلان، هل مَرَّ بك أحدٌ ذَكَرَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ؟ فإذا قال: نعم، استبشر.

وقال ابنُ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله تعالىٰ: ﴿اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾﴾ [الأحزاب:٤١]: إن اللهَ تعالىٰ لم يفرض علىٰ عباده فريضةً إلا جعل لها حدًّا معلومًا، ثم عَذَرَ أهلها في حال العُذر، غير الذِّكر؛ فإن اللهَ تعالىٰ لم يجعل له حدًّا ينتهي إليه، ولم يعذر أحدًا في تركه إلا مغلوبًا علىٰ تركه، فقال: ﴿فَاذْكُرُوا اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ﴾ [النساء:١٠٣] بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحَضَر، والغِنَىٰ والفقر، والسَّقَم والصحة، والسر والعلانية، وعلىٰ كل حالٍ.

قال ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: الذِّكر للقلب مثل الماء للسمك، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: الذِّكر بابُ المحبة وشارعها الأعظم وصراطها الأقوم. وقال أيضًا: وأفضلُ الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان (أي: ما تشارك فيه القلب واللسان) وكان من الأذكار النبوية وشهد الذاكرُ معانيَه ومقاصده.

أنواع الذكر: الذكر خمسةُ أنواع:

النوع الأول: ذِكرُ الثناء علىٰ الله تعالىٰ، فيُنشئ الذاكرُ الثناءَ علىٰ الله، كما ورد في الأحاديث، مثل قول النبيِّ ﷺ: «قُلْ سُبْحَانَ الله، وَالحَمْدُ لله، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله، وَالله أَكْبَرُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله» أحمد في مسنده (٤/ ٣٥٣) برقم (١٩١٣٣)، حسنه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٨٥٨).

وقولِه أيضًا: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَىٰ اللِّسَانِ، ثَقِيلَتَانِ فِي المِيزَانِ، حَبِيبَتَانِ إِلَىٰ الرَّحْمَنِ: سُبْحَانَ الله العَظِيم، سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ» متفق عليه.

النوع الثاني: الإخبار عن الرب تعالىٰ بأحكام أسمائه وصفاته، نحو قولك عند تعليم الناس ودعوتهم: الله ﷻ يسمع أصوات عباده ويرىٰ حركاتهم، ولا تخفىٰ عليه خافية من أعمالهم، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم، وهو علىٰ كلِّ شيء قدير، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقدِ راحلتَه.

وأفضلُ هذا النوع الثناء عليه بما أثنىٰ به علىٰ نفسه، وبما أثنىٰ به رسولُ الله ﷺ من غير تحريفٍ ولا تعطيل، ومن غير تشبيهٍ ولا تمثيل. وهذا النوع أيضًا ثلاثة أنواع: حمد، وثناء، ومجد. فقول الحمد لله: هو إخبار عن الله سبحانه وتعالى بصفات كماله مع محبته والرضاء به، فلا يكون المحب الساكتُ حامدًا، ولا الشاكر بلا محبة حامدًا، حتىٰ تجتمع له المحبة والثناء. فإن كرَّر المحامد الشيءَ بعد الشيء كانت ثناءً.

فإن كان المدحُ بصفات الجلال والعظمة والكبرياء والملك كان مجدًا.

وقد جمع اللهُ تعالىٰ لعبده الأنواعَ الثلاثة في أول الفاتحة، فقد ورد عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢]. قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: حَمِدَنِي عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣]. قَالَ: أَثْنَىٰ عَلَيَّ عَبْدِي. وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤]. قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي». مسلم برقم (٣٩٥).

النوع الثالث: وهو تذكير الناس بأمره ونهيه وأحكام شريعته، فيذكر أمره بكذا، ونهيه عن كذا، إخبارًا عنه سبحانه وتعالى.

النوع الرابع: المبادرة إلىٰ الحق، فإذا ذكر أمره بادر إليه، وإذا ذكر نهيه هرب منه.

النوع الخامس: ذِكْر آلائه وإنعامه وإحسانه وفضله علىٰ عبيده.

درجات الذكر: الذِّكر علىٰ ثلاثِ دَرَجاتٍ: الذِّكر بالقلب واللسان وهو أفضل الذكر، والذكر بالقلب وحده وهي الدرجة الثانية، والذكر باللسان وحده وهي الدرجة الثالثة.

القرآن والذكر والدعاء: الذكر أفضلُ من الدعاء؛ لأن الذِّكرَ ثناءٌ علىٰ الله ﷻ بجميل أوصافه وآلائه ونعمه وإحسانه.

والدعاء هو سؤال العبد حاجتَه ومُرَادَه من ربِّه، فأين الثناءُ من الطلب فيما رُوي: «مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» الترمذي برقم (٢٩٢٦).

وقراءة القرآن أفضلُ من الذكر، والذكرُ أفضلُ من الدعاء، وهذا من حيث النظر إلىٰ كلٍّ منها مجردًا، وكلُّها من أشكال العبودية المتنوعة.

آداب الذاكرين: قال الإمامُ النوويُّ رَحِمَهُ اللهُ: ينبغي أن يكونَ الذاكرُ علىٰ أكمل الصفات:

فإن كان جالسًا في موضع استقبل القبلةَ وجلس مُتخشِّعًا مُتذلِّلًا بسكينةٍ ووقارٍ، مُطرِقًا رأسَه، ولو ذَكَر علىٰ غير هذه الأحوال جاز، ولو كان ذلك (أي: ترك الذاكر ذلك) بغير عذرٍ كان تاركًا للأفضل.

وينبغي أن يكونَ الموضع الذي يذكر فيه خاليًا نظيفًا؛ ولهذا مدح الذِّكر في المساجد والأماكن الشريفة، وقد جاء عن أبي ميسرة قال: ما أحب أن أذكر الله تعالىٰ إلا في مكان طيبٍ.

وينبغي للذاكر أيضًا أن يكون فمُه نظيفًا، فإن كان فيه تغيُّر أزاله بالسواك ونحوه، وإن كان فيه نجاسةٌ أزالها بالماء، فإن ذَكَر ولم يفعل فهو مكروهٌ وليس بحرام، وهو محبوبٌ في جميع الأحوال، إلا في أحوالٍ ورد الشرعُ باستثنائها، منها: عند الجلوس لقضاء الحاجة، وفي حالة الجماع، وفي حالة الخُطْبة لمن يسمع صوت الخطيب، وفي القيام في الصلاة؛ لأن عليه الاشتغالَ بالقراءة، وفي حالة النُّعاس، ولا يُكرَه في الطريق، ولا في الحَمَّام (أي: مكان الاغتسال وليس مكان الغائط إذا كان منفصلًا).

فوائد الذكر: ذكر ابنُ القيم رَحِمَهُ اللهُ أن في الذِّكر أكثرَ من مائةِ فائدةٍ، منها:

١ - أنه يطرد الشيطان ويقمعه.

٢- أنه يُرضي الرحمنَ عَزَّ وَجَلَّ.

٣- أنه يُزيل الهمَّ والغمَّ عن القلب.

٤- أنه يجلب للقلب الفرحَ والسرور.

٥- أنه يُقوِّي القلبَ والبدنَ.

٦- أنه يُنير الوجهَ والقلب.

٧- أنه يجلب الرزق.

٨- أنه يكسو الذَّاكِرَ المهابةَ والحلاوة والنضرة.

٩- أنه يُورث الذاكرَ المحبةَ التي هي روح الإسلام ومدار السعادة والنجاة.

١٠- أنه يُورث الذاكرَ المراقبةَ حتىٰ يُدخله في باب الإحسان، فيعبد اللهَ كأنه يراه، ولا يستطيع الغافل عن الذكر الوصول إلىٰ مقام الإحسان، كما لا سبيل للقاعد المتكاسل إلىٰ الوصول إلىٰ البيت.

١١- أنه يورث الذاكر الإنابة، وهي الرجوع إلىٰ الله عَزَّ وَجَلَّ.

١٢- أنه يُورث الذاكر القربَ منه، فعلىٰ قَدْر ذِكْره لله عَزَّ وَجَلَّ يكون قربه منه.

١٣- أنه يفتح للذاكر بابًا عظيمًا من أبواب المعرفة.

١٤- أنه يُورث الذاكر الهيبةَ لربه عَزَّ وَجَلَّ وإجلاله؛ لشدة استيلائه علىٰ قلبه وحضوره مع الله تعالىٰ، بخلاف الغافل؛ فإن حجابَ الهيبة رقيقٌ في قلبه.

١٥- أنه يورثه ذِكْرَ الله تعالىٰ له، كما قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]. ولو لم يكن في الذكر إلا هذه وحدها لكفىٰ بها فضلًا وشرفًا.

١٦- أنه يُورث الذاكر حياة القلب.

١٧- أنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبدُ صار بمنزلة الجسم إذا حِيلَ بينه وبين غذائه.

١٨- أنه يُورث صفاء القلب من صدئه.

١٩- أنه يَحُطُّ الخطايا ويُذهبها.

٢٠- أنه يُزيل الوحشةَ بين العبد وبين ربِّه تبارك وتعالىٰ.

٢١- أن العبدَ إذا تعرَّف إلىٰ الله تعالىٰ بذكره في الرخاء عرفه في الشدة.

٢٢- أنه يُنجي من عذاب الله تعالىٰ.

٢٣- أنه سببُ تنزيل السكينة، وغشيان الرحمة، وحفوف الملائكة بحَلَقات الذِّكر.

٢٤- أنه سببُ انشغال اللسان عن الغِيبة والنميمة والكذب والفحش والباطل.

٢٥- أنه يُسعد الذاكرَ بذكره ويُسعد به جليسه، وهذا هو المبارك أينما كان.

٢٦- أنه يُؤمِّن العبدَ من الحسرة يوم القيامة.

٢٧- أن الاشتغالَ به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يُعطي السائلين، وقد روي عن أبي سعيد الخدري مرفوعا: «قَالَ اللهُ ﷻ: مَنْ شَغَلَهُ ذِكْرِي عَنْ مَسْأَلَتِي أَعْطَيْتُهُ أَفْضَلَ مَا أُعْطِي السَّائِلِينَ» الترمذي برقم (٢٩٢٦).

٢٨- أنه أيسرُ العبادات، وهو من أجلِّها وأفضلها.

٢٩- أن العطاءَ والفضل الذي رُتِّب عليه لم يُرتَّب علىٰ غيره من الأعمال.

٣٠- أن دوامَ ذِكر الربِّ تبارك وتعالىٰ يُوجب الأمانَ من نسيانه، الذي هو سببُ شقاء العبد في معاشه ومعاده.

قال ابنُ القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: كان شيخُ الإسلام ابن تيمية قدَّس الله رُوحه يقول: إن في الدنيا جنةً مَن لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة. وقال لي مرةً: ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رُحْت فهي معي لا تُفارقني، إن حَبْسي خلوةٌ وقَتْلي شهادة وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان بعضُ العارفين يقول: لو عَلِم الملوكُ وأبناءُ الملوك ما نحن فيه لَجَالَدُونا عليه (أي: قاتلونا) بالسيوف.

وقال آخر: مساكينُ أهلُ الدنيا؛ خرجوا منها وما ذاقوا أطيبَ ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال: محبة الله تعالىٰ ومعرفته وذِكره.

٣١- أن الذِّكرَ نورٌ للذاكر في الدنيا، ونورٌ له في قبره، ونورٌ له في معاده، يسعىٰ بين يديه علىٰ الصراط.

٣٢- لما كان الذِّكر متيسرًا للعبد في جميع الأوقات والأحوال، فإن الذاكر وهو مستلقٍ علىٰ فراشه يسبق (أي: في الفضل والخير) القائمَ الغافل.

٣٣- الذِّكر يفتح بابَ الدخول إلىٰ الله ﷻ، فإذا فُتِح الباب ووَجَد الذاكرُ ربَّه فقد وجد كلَّ شيءٍ.

٣٤- أن الذكر يُنبِّه القلب من نومه، ويُوقظه من غفلته.

٣٥- أن الذِّكرَ شجرةٌ تُثمر المعارفَ والأحوال التي شمَّر إليها السالكون.

٣٦- أن في القلب قسوةً لا يُذيبها إلا ذِكر الله تعالىٰ.

٣٧- أن الذِّكر شفاء القلب ودواؤه، والغفلة مرضه، فالقلوب مريضة وشفاؤها ودواؤها في ذكر الله تعالىٰ.

٣٨- أنه ما استُجلِبَتْ نِعَم الله ﷻ واستُدفِعَتْ نِقَمه بمثل ذِكر الله تعالىٰ.

٣٩- أن الذِّكر يُوجب صلاة الله ﷻ وملائكته علىٰ الذاكر، ومَن صلىٰ اللهُ تعالىٰ عليه وملائكته فقد أفلح كلَّ الفلاح وفاز كلَّ الفوز.

٤٠- أن اللهَ ﷻ يُباهي بالذاكرين ملائكتَه.

٤١- مَن داوم علىٰ الذِّكر دخل الجنة مستبشرًا فرحًا بما أنعم اللهُ عليه.

٤٢- إدامة الذِّكر تنوب عن التطوعات وتقوم مقامها ممن لا يقدر عليها، سواء كانت هذه التطوعات بدنيةً كالجهاد أو مالية كالصدقة أو بدنية ومالية كحَجِّ التطوع.

٤٣- ذِكر الله ﷻ من أكبر العون علىٰ طاعته ﷻ، فإنه يُحبِّبها للعبد ويُسهِّلها عليه، ويجعل قرة عينه فيها.

٤٤- أن ذِكر الله ﷻ يُذهب عن القلب مخاوفه كلها، فليس للخائف الذي قد اشتد خوفه أنفعُ مِن ذِكر الله ﷻ.

٤٥ – الملائكةُ تبني للذاكر دورًا في الجنة ما دام يذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء.

٤٦ – الذِّكر سَدٌّ بين العبد وبين جهنم والعياذ بالله تعالىٰ، فإذا كان ذِكرًا دائمًا محكمًا كان سَدًّا محكمًا لا منفذ فيه.

٤٧ – الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب.

٤٨ – كثرة الذكر أمان من النفاق، فإن المنافقين قليلو الذكر لله تعالىٰ، كما أخبر عنهم سبحانه بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾[النساء: ١٤٢].

٤٩ – الذكر يجعل الدعاءَ مستجابًا.

* * *

٢٤٥ – باب ذكر الله تعالى قائمًا وقاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾[آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

(١٤٤٤/ ٢٤٥) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَذْكُرُ الله عَلَىٰ كُلِّ أَحيَانِهِ. رواه مسلم.

(١٤٤٥/ ٢٤٥) وعن ابنِ عبَّاس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَىٰ أهلَهُ قَالَ: بِسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ، لَمْ يَضُرَّهُ شيطَانٌ». متفق عليه.

٢٤٦ – باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه

(١٤٤٦/ ٢٤٦) عن حُذَيفَةَ وأبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قالا: كَانَ رسول الله ﷺ إذا أَوَىٰ إِلَىٰ فراشه قال: «باسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحيَا وَأموتُ». وَإِذَا اسْتَيقَظَ قَالَ: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَحْيَانَا بعدَ مَا أَماتَنَا وإِلَيْهِ النُّشُورُ». رواه البخاري.

٢٤٧- باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨].

(١٤٤٧/ ٢٤٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ لله تَعَالَىٰ مَلائِكَةً يَطُوفُونَ في الطُّرُق يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الذِّكْرِ، فإذا وَجدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ، تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَىٰ حَاجَتِكُمْ، فَيَحُفُّونَهُمْ بِأَجْنِحَتِهِم (أي: يدنون بأجنحتهم حول الذاكرين) إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ- وَهُوَ أعْلَم: مَا يقولُ عِبَادي؟ قَالَ: يقولون: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونكَ، وَيَحْمَدُونكَ، ويُمَجِّدُونكَ، فيقول: هَلْ رَأَوْنِي؟ فيقولونَ: لا واللهِ مَا رَأَوْكَ. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْنِي؟! قَالَ: يقُولُونَ: لَوْ رَأوْكَ كَانُوا أَشَدَّ لَكَ عِبادَةً، وَأَشَدَّ لَكَ تَمْجِيدًا، وأكْثَرَ لَكَ تَسْبِيحًا. فَيقُولُ: فماذا يَسْألونَ؟ قَالَ: يقُولُونَ: يَسْأَلُونَكَ الجَنَّةَ. قَالَ: يقولُ: وَهل رَأَوْها؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ يَا رَبِّ مَا رَأَوْهَا. قَالَ: يقول: فكَيفَ لَوْ رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لَوْ أنَّهُمْ رَأوْهَا كَانُوا أَشَدَّ عَلَيْهَا حِرْصًا، وأشدَّ لها طَلَبًا، وأعْظَمَ فِيهَا رَغْبَةً. قَالَ: فَمِمَّ يَتَعَوَّذُونَ؟ قَالَ: يقولون: يَتَعَوَّذُونَ مِنَ النَّارِ؛ قَالَ: فيقولُ: وَهَلْ رَأوْهَا؟ قَالَ: يقولون: لا واللهِ مَا رَأوْهَا. فيقولُ: كَيْفَ لَوْ رَأَوْهَا؟! قَالَ: يقولون: لَوْ رَأَوْهَا كانوا أشَدَّ مِنْهَا فِرَارًا، وأشَدَّ لها مَخَافَةً. قَالَ: فيقولُ: فَأُشْهِدُكُمْ أنِّي قَدْ غَفَرْتُ لهم، قَالَ: يقولُ مَلَكٌ مِنَ المَلائِكَةِ: فِيهم فُلانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ، إنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ، قَالَ: هُمُ الجُلَسَاءُ لا يَشْقَىٰ بِهِمْ جَلِيسُهُمْ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إن لله مَلائِكَةً سَيَّارَةً (أي: سياحون في الأرض) فُضُلًا (أي: زائدون علىٰ الحفظة مقصودهم حِلَق الذكر) يَتَتَبَّعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ، قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَحَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ حَتَّىٰ يَمْلَئُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّماءِ الدُّنْيَا، فإذَا تفرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَىٰ السَّمَاءِ، فَيَسْأَلُهُم اللهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ أَعْلَمُ: مِنْ أيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبادٍ لَكَ في الأرْضِ: يُسَبِّحُونَكَ، ويُكَبِّرُونَكَ، وَيُهَلِّلُونَكَ، وَيَحْمَدُونَكَ، وَيَسْأَلُونَكَ. قَالَ: وَمَاذا يَسْأَلُونِي؟ قالوا: يَسْأَلُونَكَ

جَنَّتَكَ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قالوا: لا، أَيْ رَبِّ. قَالَ: فكيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتي؟! قالوا: ويستجيرونكَ. قَالَ: ومِمَّ يَسْتَجِيرُونِي؟ قالوا: مِنْ نَارِكَ يا رَبِّ. قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قالوا: لا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟! قالوا: وَيَسْتَغفِرُونكَ؟ فيقولُ: قَدْ غَفَرْتُ لهم، وَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجَرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا. قَالَ: فيقولون: ربِّ فيهم فُلانٌ عَبْدٌ خطَّاءٌ إِنَّمَا مَرَّ، فَجَلَسَ مَعَهُمْ. فيقُولُ: ولهُ غَفَرْتُ، هُمُ القَوْمُ لا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ».

(١٤٤٨/ ٢٤٧) وعنه وعن أَبي سعيدٍ رضي الله عنهما قالا: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ المَلائِكَةُ (أي: أحاطت بهم) وغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ (أي: غطتهم) وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ؛ وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ». رواه مسلم.

(١٤٤٩/ ٢٤٧) وعن أَبي واقِدٍ الحارث بن عوْفٍ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ في المَسْجِدِ، والنَّاسُ مَعهُ، إِذْ أَقْبَلَ ثَلاثَةُ نَفرٍ، فأقْبلَ اثْنَانِ إِلَىٰ رسُولِ الله ﷺ، وَذَهَبَ واحِدٌ؛ فَوَقَفَا عَلَىٰ رسولِ الله ﷺ. فأمَّا أحدُهُما فَرَأَىٰ فُرْجةً في الحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الآخرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وأَمَّا الثَّالثُ فأدْبَرَ ذاهِبًا. فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ الله ﷺ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلاثَةِ: أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَىٰ إِلَىٰ الله فآوَاهُ اللهُ إِلَيْهِ، وَأَمَّا الآخَرُ فاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللهُ مِنْهُ، وأَمَّا الآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(١٤٥٠/ ٢٤٧) وعن أَبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: خرج معاوية رضي الله عنه عَلَىٰ حَلْقَةٍ في المَسْجِدِ، فَقَالَ: مَا أَجْلَسَكُمْ؟ قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ اللهَ. قَالَ: آللهِ (أي: أستحلفكم بالله) مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذاك؟ قالوا: مَا أَجْلَسَنا إِلَّا ذَاكَ، قَالَ: أما إِنِّي لَم اسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، وَمَا كَانَ أَحَدٌ بِمَنْزِلَتِي مِنْ رَسولِ الله ﷺ أَقَلَّ عَنْهُ حَديثًا مِنِّي: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ خَرجَ عَلَىٰ حَلْقَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ: «مَا أَجْلَسَكُمْ؟» قالوا: جَلَسْنَا نَذْكُرُ الله وَنَحْمَدُهُ عَلَىٰ مَا هَدَانَا للإِسْلام؛ وَمَنَّ بِهِ عَلَيْنَا. قَالَ: «آللهِ مَا أَجْلَسَكُمْ إِلَّا ذَاكَ؟». قالوا: واللهِ مَا أَجْلَسَنَا إِلَّا ذَاكَ. قَالَ: «أَمَا إِنِّي لَمْ أَسْتَحْلِفْكُمْ تُهْمَةً لَكُمْ، ولكِنَّهُ أَتَانِي جِبرِيلُ فَأَخْبَرَنِي أَنَّ اللهَ يُبَاهِي بِكُمُ المَلائِكَةَ». رواه مسلم.

٢٤٨- باب الذكر عند الصباح والمساء

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥]: قَالَ أهلُ اللُّغَةِ: «الآصَالُ»: جَمْعُ أَصِيلٍ، وَهُوَ مَا بَيْنَ العَصْرِ والمَغْرِبِ.

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾ [طه: ١٣٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾ [غافر: ٥٥]: قال أهل اللُّغَةِ «العشي»: مَا بَيْنَ زَوَالِ الشَّمْسِ وغُرُوبِهَا.

وقال تعالىٰ: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ الآية [النور: ٣٦، ٣٧].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾﴾ [ص: ١٨].

(١٤٥١/ ٢٤٨) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ قَالَ حِينَ يُصبِحُ وَحِينَ يُمْسِي: سُبْحَانَ الله وَبِحَمْدِهِ، مِائَةَ مَرَّةٍ، لَمْ يَأتِ أَحَدٌ يَوْمَ القِيَامَةِ بِأفْضَلَ مِمَّا جَاءَ بِهِ، إلَّا أحَدٌ قَالَ مِثْلَ مَا قَالَ أوْ زَادَ**». رواه مسلم.

(١٤٥٢/ ٢٤٨) وعنه قَالَ: جاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم فَقَالَ: يَا رسولَ الله، مَا لَقِيتُ مِنْ عَقْرَبٍ لَدَغَتْنِي البَارِحَةَ. قَالَ: «**أمَا لَوْ قُلْتَ حِيْنَ أمْسَيْتَ: أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ الله التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ: لَمْ تَضُرَّكَ**». رواه مسلم.

(١٤٥٣/ ٢٤٨) وعنه: عن النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم أنَّه كَانَ يقولُ إِذَا أصْبَحَ: «**اللَّهُمَّ بِكَ أصْبَحْنَا، وَبِكَ أمْسَيْنَا، وَبِكَ نَحيَا، وَبِكَ نَمُوتُ، وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**». وإذا أمسىٰ قال: «**اللَّهُمَّ بِكَ أمْسَيْنَا، وبِكَ نَحْيَا، وبِكَ نَمُوتُ وَإِلَيْكَ النُّشُورُ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٥٤/ ٢٤٨) وعنه: أنَّ أبَا بكرٍ الصديق رضي الله عنه قَالَ: يَا رسول الله، مُرْنِي بِكَلِمَاتٍ أقُولُهُنَّ إِذَا أَصْبَحْتُ وإذا أَمْسَيْتُ. قَالَ: «**قُلْ: اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَواتِ والأرْضِ** (أي: مخترعهما وموجدهما علىٰ غير مثال سبق) **عَالِمَ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ؛ رَبَّ كُلِّ شَيْءٍ وَمَلِيكَهُ، أشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إِلَّا أنْتَ، أعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ نَفْسِي وَشَرِّ الشَّيْطَانِ وَشِرْكِهِ** (أي: ما يدعو إليه من الإشراك بالله، وروي بفتح الشين والراء: أي: مصائده وفتنه)». قَالَ: «**قُلْهَا إِذَا أصْبَحْتَ، وإِذَا أمْسَيْتَ، وإِذَا أخَذْتَ مَضْجَعَكَ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٥٥/ ٢٤٨) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ نبيُّ الله صلى الله عليه وسلم إِذَا أَمْسَىٰ قَالَ: «**أَمْسَيْنَا وأَمْسَىٰ المُلْكُ لله، والحَمْدُ لله، لا إلَهَ إلَّا اللهُ وَحدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ**». قَالَ الراوي: أُرَاهُ قَالَ فِيهِنَّ: «**لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، رَبِّ أسْألُكَ خَيْرَ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَخَيرَ مَا**

بَعْدَهَا، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا فِي هذِهِ اللَّيْلَةِ وَشَرِّ مَا بَعْدَهَا، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكَسَلِ، وَسُوءِ الكِبَرِ (أي: آفات التقدم في العمر)، رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابٍ فِي النَّارِ، وَعَذَابٍ فِي القَبْرِ». وَإِذَا أَصْبَحَ قَالَ ذَلِكَ أيضًا «أَصْبَحْنَا وأَصْبَحَ المُلْكُ لله». رواه مسلم.

(١٤٥٦/ ٢٤٨) وعن عبد الله بن خُبَيْب -بضم الخاء المعجمة- رضي الله عنه قالَ: قَالَ لي رَسُولُ الله ﷺ: «اقْرَأْ: قُلْ هُوَ اللهُ أحَدٌ، والمُعَوِّذَتَيْنِ حِينَ تُمْسِي وَحِينَ تُصْبحُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ تَكْفِيكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٥٧/ ٢٤٨) وعن عثمان بن عفَّان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ عَبْدٍ يَقُولُ فِي صَبَاحِ كُلِّ يَوْمٍ وَمَسَاءِ كُلِّ لَيْلَةٍ: بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، إِلَّا لَمْ يَضُرَّهُ شَيْءٌ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٢٤٩- باب ما يقوله عند النوم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآيات [آل عمران: ١٩٠، ١٩١].

(١٤٥٨/ ٢٤٩) وعن حُذَيْفَةَ وأبي ذرٍّ رضي الله عنهما: أنَّ رسُولَ الله ﷺ كان إذا أَوَىٰ إلىٰ فراشه قال: «بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَحْيَا وأَمُوتُ». رواه البخاري.

(١٤٥٩/ ٢٤٩) وعن علي رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال له ولفاطمة رضي الله عنها: «إِذَا أَوَيْتُمَا إِلَىٰ فِرَاشِكُمَا- أو إِذَا أَخَذْتُمَا مَضَاجِعَكُمَا- فَكَبِّرَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، وَسَبِّحَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ، واحْمَدَا ثَلاثًا وَثَلاثِينَ».

وفي روايةٍ: التَّسْبِيحُ أرْبعًا وثلاثينَ. وفي روايةٍ: التَّكْبِيرُ أرْبعًا وَثَلاثينَ. متفق عليه.

(١٤٦٠/ ٢٤٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَوَىٰ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ فِرَاشِهِ

فَلْيَنْفُضْ فِرَاشَهُ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ (أي: طرفه وحاشيته من الداخل) فإِنَّهُ لا يَدْرِي مَا خَلَفَهُ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِاسمِكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبِي، وَبِكَ أَرْفَعُهُ، إِنْ أَمْسَكْتَ نَفْسِي فَارْحَمْهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فاحْفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِهِ عِبَادَكَ الصَّالِحِينَ». متفق عليه.

(١٤٦١/ ٢٤٩) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كَانَ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ نَفَثَ فِي يَدَيْهِ، وَقَرَأَ بالمُعَوِّذَاتِ، ومَسَحَ بِهِمَا جَسَدَهُ. متفق عليه.

وفي رواية لهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ إذا أَوَىٰ إِلَىٰ فِرَاشِهِ كُلَّ لَيْلَةٍ جَمَعَ كَفَّيْهِ ثُمَّ نَفَثَ فِيهِمَا فَقَرَأَ فيهما: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ». ثُمَّ مَسَحَ بِهِما مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، يَبْدَأُ بهما عَلَىٰ رَأسِهِ وَوجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ. متفق عليه. قَالَ أهلُ اللغةِ: «النَّفْثُ»: نَفْخٌ لَطِيفٌ بلا رِيقٍ.

(١٤٦٢/ ٢٤٩) وعن البراء بن عازب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَتَيتَ مَضْجعَكَ فَتَوَضَّأْ وَضُوءكَ لِلصَّلاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَىٰ شِقِّكَ الأَيْمَنِ، وَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوضْتُ أَمْرِي إليكَ، وأَلجَأْتُ ظَهرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرهْبَةً إليكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنجا مِنْكَ إِلَّا إليكَ، آمَنْتُ بِكِتابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فإِنْ مِتَّ مِتَّ عَلَىٰ الفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَقُولُ».

متفق عليه.

(١٤٦٣/ ٢٤٩) وعن أنسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن النَّبيَّ ﷺ كان إذا أوىٰ إلىٰ فراشه قال: «الحَمْدُ لله الَّذِي أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا، وكفَانَا وآوانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لا كَافِيَ لَهُ وَلا مُؤْوِيَ». رواه مسلم.

(١٤٦٤/ ٢٤٩) وعن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسول الله ﷺ كَانَ إِذا أَرَادَ أَنْ يَرْقُدَ وَضَعَ يَدَهُ اليُمْنَىٰ تَحْتَ خَدِّهِ ثُمَّ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». ورواه أَبُو داود من رواية حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وفيهِ: أنه كَانَ يقوله ثلاث مراتٍ.

* * *

١٦- كتاب الدعوات

٢٥٠- باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ۝٥٥﴾ [الأعراف: ٥٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢].

(١٤٦٥/ ٢٥٠) وعن النُّعْمان بن بَشِير رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «الدُّعاءُ هُوَ العِبادَةُ». رواه أبو داود، والتِّرْمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٦٦/ ٢٥٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَسْتَحِبُّ الجَوامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوىٰ ذَلِكَ. رواه أبو داود بإسناد جيد.

(١٤٦٧/ ٢٥٠) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: كَانَ أكثرُ دعاءِ النبيِّ ﷺ: «اللَّهُمَّ آتِنا في الدُّنْيا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنا عَذابَ النَّارِ». متفق عليه.

زاد مسلم في روايتِهِ قالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذا أرادَ أَنْ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ دَعا بِها، وَإِذَا أرادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعاءٍ دَعا بِها فِيهِ.

(١٤٦٨/ ٢٥٠) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَىٰ، والتُّقَىٰ، والعَفَافَ، والغِنَىٰ». رواه مسلم.

(١٤٦٩/ ٢٥٠) وعن طارق بن أَشْيَم رضي الله عنه قَالَ: كَانَ الرَّجُلُ إِذا أَسْلَمَ عَلَّمَهُ النَّبِيُّ ﷺ الصَّلاةَ ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَ بِهؤلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي». رواه مسلم.

وفي روايةٍ له عن طارق: أَنَّه سمع النبيَّ ﷺ وأتاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رسول الله، كَيْفَ أَقُولُ

حِينَ أَسْأَلُ رَبِّي؟ قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَعَافِنِي، وارْزُقْنِي، فإنَّ هؤلاءِ تَجْمَعُ لَكَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ».

(١٤٧٠/ ٢٥٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ القُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبنا عَلَىٰ طَاعَتِكَ». رواه مسلم.

(١٤٧١/ ٢٥٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ جَهْدِ البَلاءِ (أي: قلة المال وكثرة المسئوليات)، وَدَرَكِ الشَّقَاءِ (أي: أن يدركني شقاء)، وَسُوءِ القَضَاءِ (أي: الأقدار المؤلمة)، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ». متفق عليه.

وفي رواية قال سفيان: أَشُكُّ أنِّي زِدْتُ واحدةً مِنْهَا.

(١٤٧٢/ ٢٥٠) وعنه قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَقُول: «اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتي فِيهَا مَعَاشِي، وأَصْلِحْ لِي آخِرتِي الَّتي فِيهَا مَعَادي، وَاجْعَلِ الحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ المَوتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ». رواه مسلم.

(١٤٧٣/ ٢٥٠) وعن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لي رسولُ الله ﷺ: «قُلْ: اللَّهُمَّ اهْدِنِي، وسَدِّدْنِي».

وفي روايةٍ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَسْأَلُكَ الهُدَىٰ والسَّدَادَ (أي: الاستقامة والقصد في الأمور)». رواه مسلم.

(١٤٧٤/ ٢٥٠) وعن أنس رضي الله عنه قال: كَانَ رسولُ الله ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ، وَالكَسَلِ، وَالجُبْنِ، والهَرَمِ، والبُخْلِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وأعوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَالمَمَاتِ».

وفي رواية: «وَضَلَعِ الدَّيْنِ (أي: ثقله وشدته)، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ (أي: شدة تسلطهم)». رواه مسلم.

(١٤٧٥/ ٢٥٠) وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه: أَنَّه قَالَ لرسُولِ الله ﷺ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي، قَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي ظَلَمتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وارْحَمْنِي، إنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». متفق عليه.

وفي روايةٍ: «وفي بيتي». وَرُوِيَ: «ظُلْمًا كثيرًا»، ورُوِي: «كبيرًا» بالثاء المثلثة وبالباء الموحدة؛ فينبغي أنْ يُجمع بينهما فيُقال: كثيرًا كبيرًا.

(١٤٧٦/ ٢٥٠) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ: أَنَّه كَانَ يدْعُو بهذا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وإسرافِي في أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي

وَهَزْلِي؛ وَخَطَئِي وَعَمْدِي؛ وَكُلُّ ذَلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، وأَنْتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ». متفق عليه.

(١٤٧٧/ ٢٥٠) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يقول في دُعائِهِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ ومِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ». رواه مسلم.

(١٤٧٨/ ٢٥٠) وعن ابنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِن دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوالِ نِعْمَتِكَ، وتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وفُجَاءةِ نِقْمَتِكَ، وَجَميعِ سَخَطِكَ». رواه مسلم.

(١٤٧٩/ ٢٥٠) وعن زَيْدِ بنِ أَرْقَمَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رسولُ الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ العَجْزِ وَالكَسَلِ، والبُخْلِ والهَرَمِ، وَعَذابِ القَبْرِ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّها أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلاَهَا، اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لا يُسْتَجابُ لها». رواه مسلم.

(١٤٨٠/ ٢٥٠) وعن ابنِ عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وإلَيْكَ أَنَبْتُ (أي: أقبلت)، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وإلَيْكَ حَاكَمْتُ. فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ، وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ، وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنتَ المُقَدِّمُ، وأَنْتَ المُؤَخِّرُ، لا إلهَ إلَّا أَنْتَ».

زَادَ بَعْضُ الرُّوَاةِ: «وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بالله». متفق عليه.

(١٤٨١/ ٢٥٠) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ يدعو بهؤُلاءِ الكَلِمَاتِ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ النَّارِ، وَعَذَابِ النَّارِ، وَمِنْ شَرِّ الغِنَىٰ وَالفَقْرِ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح»؛ وهذا لفظ أبي داود.

(١٤٨٢/ ٢٥٠) وعن زِيادِ بنِ عِلاقَةَ، عن عَمِّهِ وَهُوَ قُطْبَةُ بنُ مالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كان النبيُّ ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ مُنْكَرَاتِ الأَخْلاقِ، وَالأَعْمَالِ، والأَهْواءِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٨٣/ ٢٥٠) وعن شَكَلِ بنِ حُمَيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله، علِّمْنِي دعاءً، قال: «قُلْ: اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي (أي: يعني فرجه)». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٨٤/ ٢٥٠) وعن أنس رضي الله عنه: أن النَّبيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ البَرَصِ، والجُنُونِ، والجُذَامِ، وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٨٥/ ٢٥٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رسول الله ﷺ يقول: «اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الجُوعِ، فَإنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ (أي: ما يلازم صاحبه في المضجع)، وأعوذُ بِكَ مِنَ الخِيَانَةِ، فَإنَّهَا بِئْسَتِ البِطَانَةُ (أي: الخصلة الباطنة في النفس)». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٤٨٦/ ٢٥٠) وعن عليٍّ رضي الله عنه: أنَّ مُكَاتبًا جاءهُ فَقَالَ: إنِّي عَجِزْتُ عَنْ كِتَابَتِي (أي: عن أداء المال لإعتاق نفسي) فَأَعِنِّي. قال: ألا أُعَلِّمُكَ كَلِماتٍ عَلَّمَنِيهُنَّ رَسُولُ الله ﷺ، لَوْ كَانَ عَلَيْكَ مِثْلُ جَبَلٍ دَيْنًا أدَّاهُ اللهُ عَنْكَ؟ قُلْ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِي بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ، وَأغْنِنِي بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِواكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٨٧/ ٢٥٠) وعن عِمْرَانَ بن الحُصَين رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ عَلَّمَ أبَاهُ حُصَينًا كَلِمَتَيْنِ يَدْعُو بهما: «اللَّهُمَّ ألْهِمْنِي رُشْدِي، وأعِذْنِي مِنْ شَرِّ نَفْسي». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٨٨/ ٢٥٠) وعن أبي الفَضْلِ العَبَّاس بن عبد المطلب رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله عَلِّمْنِي شَيْئًا أسْأَلُهُ اللهَ تَعَالَىٰ. قَالَ: «سَلوا اللهَ العَافِيَةَ». فَمَكَثْتُ أيَّامًا، ثم جئتُ فقلتُ: يا رسولَ الله، عَلِّمني شيئًا أسألُه اللهَ تعالىٰ. قَالَ لِي: «يَا عَبَّاسُ، يَا عَمَّ رسول الله، سَلُوا اللهَ العَافِيَةَ فِي الدُّنيَا والآخِرَةِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٨٩/ ٢٥٠) وعن شَهْرِ بن حَوشَب قَالَ: قلتُ لأُمِّ سلمة رضي الله عنها: يَا أمَّ المؤمِنينَ، مَا كَانَ أكثَرُ دعاءِ رَسُولِ الله ﷺ، إِذَا كَانَ عِندَكِ؟ قالت: كَانَ أكْثَرُ دُعائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَىٰ دِينِكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٩٠/ ٢٥٠) وعن أبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «كَانَ مِنْ دُعاءِ دَاوُدَ: اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَالعَمَلَ الَّذِي يُبَلِّغُنِي حُبَّكَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ حُبَّكَ أحَبَّ إلَيَّ مِنْ نَفْسِي، وأهْلِي، وَمِنَ الماءِ البارِدِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٩١/ ٢٥٠) وعن أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَلِظُّوا بـ: يَا ذا الجَلالِ والإكْرامِ». رواه الترمذي، ورواه النسائي من رواية ربيعة بن عامر الصحابي، قال الحاكم: «حديث صحيح الإسناد».

«أَلِظُّوا»: بكسر اللام وتشديد الظاء المعجمة، معناه: الزَمُوا هذِهِ الدَّعْوَةَ وأكْثِرُوا مِنْهَا.

(١٤٩٢/ ٢٥٠) وعن أبي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: دعا رسُولُ الله ﷺ بدُعاءٍ كَثيرٍ، لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا،

قُلْنَا: يَا رسول الله، دَعَوْتَ بِدُعاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: «**أَلا أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ؟ تقول: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسَأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ مِنْهُ نَبِيُّكَ محمَّدٌ ﷺ؛ وأعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا استَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وأنتَ المُسْتعانُ، وَعَلَيْكَ البَلاغُ، وَلا حَولَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا باللهِ**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٤٩٣/ ٢٥٠) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ من دعاءِ رسُولِ الله ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مُوجِبَاتِ** (أي: ما يوجب) **رَحْمَتِكَ، وَعَزَائِمَ** (أي: بواعث) **مَغْفِرَتِكَ، والسَّلامَةَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ، والغَنِيمَةَ مِنْ كُلِّ بِرٍّ، والفَوْزَ بالجَنَّةِ، والنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ**». رواه الحاكم أبو عبد الله، وقال: «حديث صحيح علىٰ شرط مسلم».

* * *

(الدعاء)

الدعاءُ هو إظهار غاية التذلل والافتقار إلىٰ الله والاستكانة له.

أقسام الدعاء: يتناول لفظُ الدعاءِ والدعوة في القرآن الكريم معنيين: **الأول**: دعاء العبادة، (أي: التعبد والتذلل) **والآخر** دعاء المسألة (أي: الطلب).

فدعاء العبادة هو الذي يتضمن الثناءَ علىٰ الله بما هو أهله، ويكون مصحوبًا بالخوف والرجاء. أما دعاء المسألة: فهو طلب ما ينفع الداعي من حاجات الدنيا والآخرة، ودفع ما يضره. وكلُّ مَن يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود بحقٍّ.

والدعاء في القرآن يُراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فالعبدُ يدعو للنفع أو دَفْعِ الضر دعاءَ المسألة، ويدعو خوفًا ورجاءً دعاءَ العبادة.

فكلُّ دعاءِ عبادةٍ مستلزمٌ لدعاء المسألة ولا ينفصل عنه، وكلُّ دعاءِ مسألةٍ مُتضمِّن لدعاء العبادة. وقد ورد المعنيان جميعًا في قوله سبحانه: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۝٥٥ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٥٦﴾ [الأعراف: ٥٥-٥٦].

أما قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[البقرة: ١٨٦] فإنه يتناول نوعي الدعاء أيضًا، وبكلٍّ منهما فُسِّرت الآية، قيل: المعنىٰ: أُعطيه إذا سألني. وقيل: أُثيبه إذا عبدني. والقولان متلازمان ولا ينفصلان.

فوائد إخفاء الدعاء: لقد أَمر اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بإخفاء الدعاء في آية الأعراف: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥]، والدعاءُ هنا وإن كان يشمل نوعَي الدعاء إلا أنه ظاهرٌ في دعاء المسألة والطلب المُتضمِّن دعاءَ العبادة، ولهذا أَمَر بإخفائه وإسراره، وفي هذا الإخفاءِ فوائدُ عديدةٌ، منها:

١ – أنه أعظمُ إيمانًا، لعلم صاحبه أن اللهَ يسمع الدعاءَ الخفيَّ.

٢ – أنه أعظمُ في الأدب والتعظيم والتضرع والخشوع والذلة في الدعاء.

٣ – أنه أبلغ في الإخلاص.

٤ – أنه دليلٌ علىٰ قرب الداعي من مولاه القريب منه، وليس من مسألة البعيد للبعيد، وهذا القرب من الداعي إنما هو قربٌ خاص، وليس قربًا عامًّا من كلِّ أحدٍ، فهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ قريبٌ من داعيه وقريب من عابديه.

٥ – أنه أبعدُ للداعي من القواطع التي تقطع عليه خشوعه، والمشوشات التي تشغله.

٦ – أن فيه إخفاءً لنعمة الذكر والتعبد عن أعين الحاسدين.

٧ – أن الدعاءَ نوعٌ من الذكر مُتضمِّنٌ للطلب منه والثناء عليه بأسمائه الحسنىٰ وأوصافه العلىٰ، فهو ذِكْرٌ وزيادة، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾[الأعراف: ٢٠٥]، فأمر اللهُ نبيَّه في هذه الآية أن يذكره في نفسه.

قال مجاهدٌ وابن جُرَيج: أَمَر أن يُذكر في الصدر (أي: في القلب) بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح.

الاعتداءُ في الدعاء: قال القرطبيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الإعتداءُ في الدعاء علىٰ وجوهٍ، منها الجهرُ الكثير والصياح، ومنها أن يدعوَ الإنسانُ لنفسه (أي: بما لا يجوز أو يحدث)، بأن تكونَ له منزلةُ نبيٍّ،

أو يدعو في أمر محالٍ (أي: مستحيل)، أو أن يدعو طالبًا معصيةً، أو أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة (أي: يخالفهما).

وقال الإمام مالكٌ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَكْره للرجل أن يقولَ في دعائه: يا سيدي، يا سيدي، يا حنان، يا حنان، ولكن يدعو بما دَعَتْ به الأنبياءُ: ربَّنا، ربَّنا.

وقال ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الاعتداءُ في الدعاء يكون تارةً بأن يسألَ ما لا يجوز له سؤالُه من المعونة علىٰ المحرمات، وتارة بأن يسأل ما لا يفعله اللهُ، كأن يسأل تخليده إلىٰ يوم القيامة، أو بأن يرفع عنه منازلَ البشرية من الحاجة إلىٰ الطعام والشراب ونحو ذلك مما فيه اعتداءٌ لا يحبه الله ولا يُحِبُّ سائله. وأعظمُ المعتدين عدوانًا هم الذين يدعون معه غيرَه؛ إذ إن أعظمَ العدوان الشِّركُ، ومن العدوان أن يدعوه غيرَ مُتضرِّعٍ، ومن لم يسأل مسألةَ مسكينٍ مُتضرِّعٍ خائفٍ فهو معتدٍ. ومن الاعتداء أيضًا أن يعبده بما لم يشرع، أو يُثني عليه بما لم يُثْنِ علىٰ نفسه، ولا أَذِنَ فيه، فإن هذا اعتداءٌ في دعائه الذي هو ثناء وعبادة، وهو نظير الاعتداء في دعاء المسألة والطلب.

عن عبد الله بن مغفل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنه سمع ابنَه يقول: اللهم إني أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتُها. فقال: أَيْ بُنَيَّ، سَلِ اللهَ الجنة، وتعوَّذ به من النار؛ فإني سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إِنَّهُ سَيَكُونُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ فِي الطُّهُورِ وَالدُّعَاءِ». أبو داود برقم (٩٦)، وأحمد في المسند برقم (١٦٧٩٦)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

وقال الأوزاعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: خرج الناسُ يستسقون، فقام فيهم بلال بن سعد فحَمِدَ اللهَ تعالىٰ وأثنىٰ عليه، ثم قال: يا معشر مَن حَضَر، ألستم مُقرِّين بالإساءة؟ قالوا: بلىٰ. فقال: اللهم إنا سمعناك تقول ﴿مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ﴾ [التوبة: ٩١]، وقد أقررنا بالإساءة، فهل تكون مغفرتك إلا لمثلنا؟ اللهم اغفر لنا وارحمنا واسقنا. فرفع يديه ورفعوا أيديهم فسُقُوا.

آداب الدعاء: من آداب الدعاء كما ذُكِر عن الإمام الغزالي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أن يترصَّد لدعائه الأوقاتِ الشريفةَ، كيوم عرفة من السَّنة، ورمضان من الأشهر، ويوم الجمعة من الأسبوع، ووقت السَّحَر (أي: الجزء الآخر من الليل) من ساعات الليل.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُسْتَجَابَ لَهُ عِنْدَ الكَرْبِ وَالشَّدَائِدِ فَلْيُكْثِرْ مِنَ الدُّعَاءِ فِي الرَّخَاءِ» الترمذي برقم (٣٣٨٢)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٢٩٠).

قال القاضي حسين رحمه الله: يُستحَبُّ لمن وقع في شدة أن يدعو بصالح عمله.

وأن يغتنم الأحوالَ الشريفة (أي: التي يمر بها العبد)، كحال الزحف (أي: لقتال العدو)، وعند نزول الغيث (أي: المطر)، وعند إقامة الصلاة، وعند إفطار الصائم، وحالة السجود، وفي حال السفر.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثَةٌ لَا تُرَدُّ دَعْوَتُهُم: الصَّائِمُ حَتَّىٰ يُفْطِرَ، وَالْإِمَامُ العَادِلُ، وَدَعْوَةُ المَظْلُوم يَرْفَعُهَا اللهُ فَوْقَ الغَمَامِ وَيَفْتَحُ لَهَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ وَيَقُولُ الرَّبُّ: وَعِزَّتِي لَأَنْصُرَنَّكِ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ» أحمد في مسنده (٢/ ٣٠٤) برقم (٨٠٣٠).

وأن يدعو مُستقبِلَ القبلة، مع خَفْض الصوت بين المخافتة والجهر، وألا يتكلف السَّجْع في الدعاء (أي: الإتيان بنهايات متشابهة للكلمات)، فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال مُتضرِّعٍ، والتكلُّف لا يُناسبه.

وأن يخلص في الدعاء والتضرع والخشوع والرغبة والرهبة، وأن يجزم الدعاء ويوقن بالإجابة ويصدق رجاؤه فيه.

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ، وَلَكِنْ لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ (أي: يجزم الطلب) وَلْيُعَظِّمِ الرَّغْبَةَ (أي: يطلب أفضل الأمور وأحسنها وأعظمها)؛ فَإِنَّ اللهَ عز وجل لَا يَتَعَاظَمُهُ (أي: يكثر عليه) شَيْءٌ أَعْطَاهُ» متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وأن يُلِحَّ في الدعاء، ويكون ثلاثًا، كما ينبغي له ألا يستبطئ الإجابة.

وأن يفتتح الدعاء ويختتمه بذكر الله تعالىٰ والصلاة علىٰ النبي صلى الله عليه وسلم ثم يبدأ بالسؤال.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: إن الدعاءَ موقوفٌ بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيءٌ حتىٰ تُصلِّي علىٰ نبيِّك صلى الله عليه وسلم.

وأن يتوب ويرد المظالم ويقبل علىٰ الله عز وجل بكامل الهمة، وهو الأدب الباطن، وهو الأصل في الإجابة، مع تَحَرِّي أكل الحلال.

قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يَرُدُّ اللهُ دُعَاءَهُم: الذَّاكِرُ اللهَ كَثِيرًا، وَدَعْوَةُ المَظْلُومِ، وَالْإِمَامُ المُقْسِطُ» البيهقي في شعب الإيمان (١/ ٤١٩) برقم (٥٨٨)،حسنه الألباني (السلسة الصحيحة) حديث (٣٠٦٤).

الدعاء في القرآن الكريم: ولفظ الدعاء ورد في القرآن علىٰ وجوهٍ، منها:

الأول: بمعنىٰ القول: ﴿فَمَا زَالَت تِّلْكَ دَعْوَىٰهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَٰهُمْ حَصِيدًا خَٰمِدِينَ ١٥﴾ [الأنبياء: ١٥].

الثاني: بمعنىٰ العبادة: ﴿قُلْ أَنَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [الأنعام: ٧١].

الثالث: بمعنىٰ النداء: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ [النمل: ٨٠، الروم: ٥٢].

الرابع: بمعنىٰ الاستعانة والاستغاثة: ﴿وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم﴾ [البقرة: ٢٣].

الخامس: بمعنىٰ العذاب والعقوبة: ﴿تَدْعُوا۟ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧﴾ [المعارج: ١٧] أي: تُعذِّب.

السادس: بمعنىٰ العَرْض: ﴿وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١] أي: أعرضها عليكم.

السابع: بمعنىٰ السؤال نحو: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

الثامن: التسمية نحو: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا﴾ [النور: ٦٣].

قال بعضُ الصحابة في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠]: أي: لا ترفع صوتَك في دعائك فتَذْكُر ذنوبَك فتُعيَّر بها (أي: يسمعها غيرك فيعيرك بها).

قال بعضُ أهل العلم: ادعُ بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة والانطلاق.

ومن فوائد الدعاء سرعة الفرج وتفريج الكرب، ويَشغَل العبدَ بذنبه وعَيْبِه عن عيب غيره، مع مداومة الشعور بالضعف والحاجة، فلا يزال يدعو حتىٰ ينال حاجته، ويُعَدُّ من أَجَلِّ أنواع العبادة، فيُتعبَّد به لذاته كما يُقصَد لقضاء الحاجة ولدفع المضرة، ويشعر المسلم بأنه في معية الحقِّ دومًا.

❋ ❋ ❋

٢٥١- باب فضل الدعاء بظهر الغيب

قَالَ اللهُ تعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩].

وقـال تَعَـالَىٰ إخْبَـارًا عَـن إبْـرَاهِيم ﷺ: ﴿رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡحِسَابُ ۝٤١﴾ [إبراهيم: ٤١].

(١٤٩٤/ ٢٥١) وعن أَبي الدَّرْدَاء رضي الله عنه: أَنَّه سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَا مِنْ عَبْدٍ مُسْلِمٍ يدعُو لأَخيه بِظَهْرِ الغَيْبِ إلَّا قَالَ المَلَكُ: وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم.

(١٤٩٥/ ٢٥١) وعنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كَانَ يقولُ: «دَعْوَةُ المَرْءِ المُسْلِمِ لأَخيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ، عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لأَخِيهِ بِخَيرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بِهِ: آمِينَ، وَلَكَ بِمِثْلٍ». رواه مسلم.

٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء

(١٤٩٦/ ٢٥٢) وعن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ صُنِعَ إلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللهُ خَيرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الثَّنَاءِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٤٩٧/ ٢٥٢) وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تَدْعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ؛ وَلا تدعُوا عَلَىٰ أَوْلادِكُمْ، وَلا تَدْعُوا عَلَىٰ أموالِكُمْ، لا تُوافِقُوا مِنَ الله سَاعَةً يُسأَلُ فِيهَا عَطَاءً فَيَسْتَجِيبَ لَكُمْ». رواه مسلم.

(١٤٩٨/ ٢٥٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يكونُ العَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأكْثِرُوا الدُّعَاءَ». رواه مسلم.

(١٤٩٩/ ٢٥٢) وعنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «يُسْتَجَابُ لأَحدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ: يقُولُ: قَدْ دَعَوتُ رَبِّي، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «لا يَزالُ يُسْتَجَابُ لِلعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بإِثْمٍ، أَوْ قَطِيعَةِ رحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ». قيلَ: يَا رسولَ الله مَا الاستعجال؟ قَالَ: «يقول: قَدْ دَعوتُ، وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَيسْتَجِيبُ لي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدَعُ الدُّعَاءَ».

(١٥٠٠/ ٢٥٢) وعن أَبي أُمامة ﷺ قَالَ: قيل لِرسولِ الله ﷺ: أيُّ الدُّعاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفُ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٥٠١/ ٢٥٢) وعن عُبَادَةَ بن الصامت ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا عَلَىٰ الأَرْضِ مُسْلِمٌ يَدْعُو الله تَعَالَىٰ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللهُ إِيَّاها، أَوْ صرف عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْم، أَوْ قَطِيعَةِ رَحِم». فقال رجلٌ من القوم: إِذَنْ نُكْثِرَ (أي: من الدعاء). قَالَ: «اللهُ أَكْثَرُ (أي: أن الله أكثر إجابة من دعائكم)». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

ورواه الحاكم من روايةِ أبي سعيدٍ وزاد فِيهِ: «أَوْ يَدخِرَ لَهُ مِن الأَجْرِ مِثْلَها».

(١٥٠٢/ ٢٥٢) وعن ابن عباس ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إلهَ إِلَّا اللهُ العَظِيمُ الحَلِيمُ، لا إلهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ العَرْشِ العَظِيم، لا إلهَ إِلَّا اللهُ رَبُّ السَّمواتِ، وَرَبُّ الأَرْضِ، وَرَبُّ العَرْشِ الكَرِيمِ». متفق عليه.

٢٥٣- باب كرامات الأولياء وفضلهم

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [يونس: ٦٢-٦٣].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِى وَٱشْرَبِى﴾ [مريم: ٢٥-٢٦].

وقال تعالَىٰ: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾﴾ [آل عمران: ٣٧].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓا۟ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾ ۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٦-١٧].

(١٥٠٣/ ٢٥٣) وعن أَبي محمد عبد الرحمن بن أَبي بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ: أَنَّ أَصْحَابَ الصُّفَّةِ (أي: الصُّفَّة: مكان في مؤخر المسجد النبوي مظلل أعد لنزول الغرباء فيه ممن لا مأوىٰ له ولا أهل) كَانُوا أُنَاسًا فُقَرَاءَ وَأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال مَرَّةً: «مَنْ كَانَ عِنْدَهُ طَعَامُ اثْنَيْنِ، فَلْيَذْهَبْ بثَالِثٍ، وَمن كَانَ عِنْدَهُ

طَعَامُ أَرْبَعَةٍ، فَلْيَذْهَبْ بِخَامِسٍ بِسَادِسٍ». أَوْ كما قَالَ، وأَنَّ أَبَا بكرٍ ﵁، جَاءَ بِثَلاثَةٍ، وانْطَلَقَ النبيُّ ﷺ بعَشَرَةٍ، وأَنَّ أَبَا بَكرٍ تَعَشَّىٰ عِنْدَ النبيِّ ﷺ، ثُمَّ لَبِثَ حَتَّىٰ صَلَّى العِشَاءَ، ثُمَّ رَجَعَ، فجاءَ بَعْدَ مَا مَضَىٰ مِنَ اللَّيْلِ مَا شَاءَ اللهُ. قالت له امرأتُه: مَا حَبَسَكَ عَنْ أَضْيَافِكَ؟ قَالَ: أَوَمَا عَشَّيْتِهِمْ؟ قالت: أَبَوْا حَتَّىٰ تَجِيءَ، وَقَدْ عَرَضُوا عَلَيْهِمْ. قَالَ: فَذَهَبتُ أَنَا فَاخْتَبَأْتُ. فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ (أي: يا ثقيل أو يا جاهل). فَجَدَّعَ وَسَبَّ (أي: دعا علىٰ ابنه عبد الرحمن بقطع الأذن أو الأنف أو الشفة، حيث ظنَّ تقصير ابنه مع الأضياف)، وقالَ: كُلُوا لا هَنِيئًا وَاللهِ لا أَطْعَمُهُ أَبَدًا (أي: وذلك لِـمَا حصل له من الحرج والغيظ بتركهم العشاء بسببه).

قَالَ: وايْمُ اللهِ، مَا كُنَّا نَأْخُذُ مِنْ لُقْمَةٍ إِلا رَبَا (أي: زاد) من أسفلِها أكثرُ منها حتىٰ شَبِعُوا، وصارتْ أكثرَ مما كانتْ قبلَ ذلكَ، فنظرَ إليها أبو بكر فقالَ لامرأتِهِ: يا أختَ بني فِرَاسٍ (أي: وهي امرأته أم رومان)، ما هذا (أي: متعجبًا من كثرة ما بقي من الطعام)! قَالَتْ: لا وَقُرَّةِ عيني، لَـهِيَ الآنَ أكثرُ منها قبلَ ذلكَ بثلاثِ مراتٍ! فأكل منها أبو بكرٍ وقال: إنَّما كانَ ذلكَ من الشيطانِ، يعني: يمينَهُ. ثم أكلَ منها لقمةً، ثُمَّ حَمَلَهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ فأصبحت عنده. وَكَانَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمٍ عَهْدٌ، فَمَضَىٰ الأَجَلُ، فَتَفَرَّقْنَا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا، مَعَ كُلِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ أُنَاسٌ، اللهُ أَعْلَمُ كَمْ مَعَ كُلِّ رَجُلٍ فَأَكَلُوا مِنْهَا أَجْمَعُونَ.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَحَلَفَ أَبُو بَكْرٍ لا يَطْعَمُهُ، فَحَلَفَتِ المَرْأَةُ لا تَطْعَمُهُ، فَحَلَفَ الضَّيْفُ- أَو: الأَضْيَافُ- ألا يطعمه أو يطعموه حتىٰ يطعمه. فَقَالَ أَبُو بكر: هذِهِ مِنَ الشَّيْطَانِ. فَدَعَا بالطَّعَامِ فَأَكَلَ وأَكَلُوا، فَجَعَلُوا لا يَرْفَعُونَ لُقْمَةً إِلَّا رَبَتْ مِنْ أَسْفَلِهَا أَكْثَرَ مِنْهَا، فَقَالَ: يَا أُخْتَ بَنِي فِرَاسٍ، مَا هَذَا؟ فَقَالَتْ: وَقُرَّةِ عَيْنِي إِنَّهَا الآنَ لأَكْثَرُ مِنْهَا قَبْلَ أَنْ نَأْكُلَ. فَأَكَلُوا، وَبَعَثَ بِهَا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَذَكَرَ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا.

وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ لِعبد الرحمن: دُونَكَ أَضْيَافَكَ، فَإِنِّي مُنْطَلِقٌ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَافْرُغْ مِنْ قِرَاهُم (أي: إعطاء واجب الضيافة لهم) قَبْلَ أَنْ أَجِيءَ. فَانْطَلَقَ

عبد الرحمن فَأَتَاهُمْ بما عِنْدَهُ، فَقَالَ: اطْعَمُوا. فقالُوا: أين رَبُّ مَنْزِلنا؟ قالَ: اطْعَمُوا. قَالُوا: مَا نحنُ بآكِلِينَ حَتَّىٰ يَجِيءَ رَبُّ مَنْزِلِنَا. قَالَ: اقْبَلُوا عَنَّا قِرَاكُمْ؛ فَإِنَّهُ إنْ جَاءَ وَلَمْ تَطْعَمُوا لَنَلْقَيَنَّ مِنْهُ. فأبَوْا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَجِدُ عَلَيَّ، فَلَمَّا جَاءَ تَنَحَّيْتُ عَنْهُ، فَقَالَ: مَا صَنَعْتُمْ؟ فَأَخْبَرُوهُ فَقَالَ: يَا عبد الرحمن. فَسَكَتُّ: ثُمَّ قَالَ: يَا عبد الرحمن. فَسَكَتُّ، فَقَالَ: يَا غُنْثَرُ، أَقْسَمْتُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ تَسْمَعُ صَوتِي لَـمَا جِئْتَ. فَخَرَجْتُ، فَقُلْتُ: سَلْ أَضْيَافَكَ. فَقَالُوا: صَدَّقَ، أَتَانَا بِهِ. فَقَالَ: إِنَّمَا انْتَظَرْتُمُونِي، والله لا أَطْعَمُهُ اللَّيْلَةَ. فَقَالَ الآخَرُونَ: والله لا نَطْعَمُهُ حَتَّىٰ تَطْعَمَهُ. فَقَالَ: وَيْلَكُمْ، مَا لَكُمْ لا تَقْبَلُونَ عَنَّا قِرَاكُمْ؟ هَاتِ طَعَامَكَ، فَجَاءَ بِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فَقَالَ: بِسْمِ الله، الأولَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ، فَأَكَلَ وَأَكَلُوا. متفق عليه. قَوْله: «غُنْثَرُ» بغينٍ معجمةٍ مضمُومَةٍ ثُمَّ نُونٍ ساكِنَةٍ ثُمَّ ثاءٍ مثلثةٍ، وَهُوَ: الغَبِيُّ الجَاهِلُ. وقولُهُ: «فَجَدَّعَ» أَيْ: شَتَمَهُ، والجَدْعُ القَطْعُ. قولُه «يَجِدُ عَلَيَّ» هُوَ بكسرِ الجِيمِ، أي: يَغْضَبُ.

(١٥٠٤/ ٢٥٣) وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: **«لَقَدْ كَانَ فيما قَبْلَكُم مِنَ الأُمَمِ نَاسٌ مُحَدَّثُونَ، فَإِنْ يَكُ فِي أُمَّتِي أحدٌ فإنَّهُ عُمَرُ»**.

رواه البخاري، ورواه مسلم من رواية عائشة، وفي روايتهما قَالَ ابن وهب: «**مُحَدَّثُونَ**» أي: مُلْهَمُونَ.

(١٥٠٥/ ٢٥٣) وعن **جابر بن سمرة** رضي الله عنهما قَالَ: شَكَا أَهْلُ الكُوفَةِ سَعْدًا- يعني: ابنَ أَبي وَقَّاص رضي الله عنه- إِلَىٰ عمر بن الخَطَّاب رضي الله عنه فَعَزَلَهُ، واسْتَعْمَلَ عَلَيْهِمْ عَمَّارًا، فَشَكَوا حَتَّىٰ ذَكَرُوا أَنَّهُ لا يُحْسِنُ يُصَلِّي، فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا إِسْحَاق، إِنَّ هَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّكَ لا تُحْسِنُ تُصَلِّي؟ فَقَالَ: أَمَّا أنا والله فَإِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي بِهِمْ صَلَاةَ رسولِ الله ﷺ، لا أَخْرِمُ (أي: لا أنقص) عَنْهَا، أُصَلِّي صَلَاتَي العِشَاءِ فَأَرْكُدُ (أي: أطيل) فِي الأُولَيَيْنِ، وَأُخِفُّ فِي الأُخْرَيَيْنِ. قالُ: ذَلِكَ الظَّنُّ بِكَ يَا أَبَا إِسْحَاقَ. وأَرْسَلَ مَعَهُ رَجُلًا- أَوْ رِجَالًا- إِلَىٰ الكُوفَةِ يَسْأَلُ عَنْهُ أَهْلَ الكُوفَةِ، فَلَمْ يَدَعْ مَسْجِدًا إِلَّا سَأَلَ عَنْهُ، وَيُثْنُونَ مَعْرُوفًا، حَتَّىٰ دَخَلَ مَسْجِدًا لِبَنِي عَبْسٍ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يقال له أسامة

بن قتادة يُكَنَّىٰ أَبَا سَعْدَةَ، فَقَالَ: أَمَا إِذْ نَشَدْتَنَا (أي: طلبت منا القول) فَإِنَّ سَعْدًا كَانَ لا يَسِيرُ بالسَّرِيَّةِ (أي: لا يصاحب الجيش في خروجه)، وَلَا يَقْسِمُ بالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ في القَضِيَّةِ. قَالَ سَعْدٌ: أَمَا وَاللهِ لَأَدْعُونَّ بِثَلَاثٍ: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطِلْ عُمُرَهُ، وَأَطِلْ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ لِلْفِتَنِ. وَكَانَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا سُئِلَ يَقُولُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْتُونٌ، أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعْدٍ.

قال عبدُ الملك بن عُمَير الراوي عن جابر بن سَمُرة: فَأنا رَأَيْتُهُ بَعْدُ قَدْ سَقَطَ حَاجِبَاهُ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ مِنَ الكِبَرِ، وإِنَّهُ لَيَتَعَرَّضُ لِلْجَوارِي فِي الطُّرُقِ فَيَغْمِزُهُنَّ. متفق عليه.

(١٥٠٦/ ٢٥٣) وعن **عُرْوة بن الزُّبَير**: أَنَّ سعيدَ بن زيد بن عمرو بن نُفَيل ﷺ خَاصَمَتْهُ أَرْوَىٰ بِنْتُ أَوْسٍ إِلَىٰ مَرْوَانَ ابْنِ الحَكَمِ، وادَّعَتْ أَنَّهُ أَخَذَ شَيْئًا مِنْ أَرْضِهَا، فَقَالَ سعيدٌ: أنا كُنْتُ آخُذُ مِنْ أَرْضِهَا شَيئًا بَعْدَ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْ رسول الله ﷺ؟! قَالَ: مَاذَا سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ: «**مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا، طُوِّقَهُ إِلَىٰ سَبْعِ أَرَضِينَ**». فقال له مَرْوان: لا أَسْأَلُكَ بَيِّنَةً بَعْدَ هَذَا. فَقَالَ سعيد: اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً، فَأَعْمِ بَصَرَهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا. قَالَ: فَما مَاتَتْ حَتَّىٰ ذَهَبَ بَصَرُهَا، وَبَيْنَما هِيَ تَمْشِي في أَرْضِهَا إِذ وَقَعَتْ فِي حُفْرَةٍ فَمَاتَتْ. متفق عليه.

وفي روايةٍ لِمُسْلِمٍ: **عَن مُحمد بن زيد بن عبد الله بن عُمَرَ** بِمَعْنَاهُ: وأنه رآها عَمْيَاءَ تَلْتَمِسُ الجُدُرَ تقولُ: أَصَابَتْنِي دَعْوَةُ سَعِيدٍ. وأنها مَرَّتْ عَلَىٰ بِئْرٍ فِي الدَّارِ الَّتِي خَاصَمَتْهُ فِيهَا، فَوَقَعَتْ فِيهَا، فكانت قَبْرَهَا.

(١٥٠٧/ ٢٥٣) وعن **جابر بن عبد الله** ﷺ قال: لَـمَّا حَضَرَتْ أُحُدٌ دعانِي أَبِي من اللَّيلِ فَقَالَ: مَا أُرَانِي (أي: ما أظنني) إِلَّا مَقْتُولًا فِي أَوَّلِ مَنْ يُقْتَلُ من أصْحابِ النَّبِيِّ ﷺ، وإِنِّي لا أَتْرُكُ بَعْدِي أَعَزَّ عَلَيَّ مِنْكَ غَيْرَ نَفْسِ رسول الله ﷺ، وإِنَّ عَلَيَّ دَيْنًا فَاقْضِ، وَاسْتَوْصِ بِأَخَوَاتِكَ خَيْرًا، فَأَصْبَحْنَا، فَكَانَ أَوَّلَ قَتِيلٍ، وَدَفَنْتُ مَعَهُ آخَرَ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ لَمْ تَطِبْ نَفْسِي أَنْ أَتْرُكَهُ مَعَ آخَرَ، فَاسْتَخْرَجْتُهُ بَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ، فإِذا هُوَ كَيَوْمِ وَضَعْتُهُ غَيْرَ أُذُنِهِ، فَجَعَلْتُهُ فِي قَبْرٍ عَلَىٰ حِدَةٍ. رواه البخاري.

(١٥٠٨/ ٢٥٣) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رجلين مِنْ أصحاب النَّبيِّ ﷺ خَرَجا مِنْ عِنْدِ النَّبيِّ ﷺ في لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ وَمَعَهُمَا مِثْلُ المِصْبَاحَيْنِ بَيْنَ أَيْديهِمَا. فَلَمَّا افْتَرَقَا، صَارَ مَعَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا وَاحِدٌ حَتَّىٰ أَتَىٰ أَهْلَهُ. رواه البخاري من طرق؛ وفي بعضها أن الرجلين أسيد بن حضير، وعباد بن بشر رضي الله عنهما.

(١٥٠٩/ ٢٥٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بعث رسول الله ﷺ عَشْرَة رَهْطٍ عَيْنًا سَرِيَّة، وأَمَّرَ عَلَيْهَا عاصِمَ بنَ ثَابِتٍ الأَنْصارِيَّ رضي الله عنه، فانطلقوا حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بالهَدْأَةِ؛ بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ، ذُكِرُوا لِـحَيٍّ مِنْ هُذَيْل يُقالُ لَهُمْ: بَنُو لِـحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ بِقَرِيبٍ مِنْ مِائَةِ رَجُلٍ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا أَحَسَّ بِهِمْ عَاصِمٌ وأَصْحَابُهُ، لَجَئُوا إِلَىٰ مَوْضِعٍ، فَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فقَالُوا: انزلوا فأعطوا بأيديكم ولكم العهد والميثاق ألا نقتل منكم أحدًا. فَقَالَ عَاصِمُ بنُ ثَابِتٍ: أَيُّهَا القَوْمُ، أَمَّا أنا، فَلَا أَنْزِلُ عَلَىٰ ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ ﷺ.

فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ عَلَىٰ العَهْدِ والمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ، وَزَيدُ بنُ الدَّثِنَةِ وَرَجُلٌ آخَرُ. فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ، فَرَبطُوهُمْ بِهَا. قَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ واللهِ لا أَصْحَبُكُمْ إِنَّ لِي بِهؤُلاءِ أُسْوَة (أي: قدوة)، يُريد القتلىٰ، فَجَرُّوهُ وعَالَجُوهُ، فأبىٰ أَنْ يَصْحَبَهُمْ، فَقَتَلُوهُ، وانْطَلَقُوا بِخُبَيبٍ وزَيْدِ بنِ الدَّثِنَةِ، حَتَّىٰ بَاعُوهُما بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فابْتَاعَ (أي: اشترىٰ) بنو الحارث بن عامر بن نَوْفل بن عبد مَنَاف خُبَيْبًا، وكان خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ يَوْمَ بَدْرٍ.

فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا حَتَّىٰ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِهِ، فَاسْتَعَارَ مِنْ بَعْضِ بَنَاتِ الحَارِثِ مُوسَىٰ يَسْتَحِدُّ بِهَا (أي: يَقُصُّ بها شعره) فَأَعَارَتْهُ، فَدَرَجَ بُنَيٌّ لَهَا وَهِيَ غَافِلَةٌ حَتَّىٰ أَتَاهُ، فَوَجَدَتْهُ مُجْلِسَهُ عَلَىٰ فَخْذِهِ وَالموسَىٰ بِيَدِهِ، فَفَزِعَتْ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ، فَقَالَ: أَتَخْشَيْنَ أن أَقْتُلَهُ، مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ! قالت: واللهِ مَا رَأَيْتُ أسيرًا خَيرًا مِنْ خُبَيْبٍ، فواللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يومًا يَأْكُلُ قِطْفًا مِنْ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وإِنَّهُ لَـمُوثَقٌ بِالحَدِيدِ، وَمَا

بِمكَّةَ مِنْ ثَمَرَةٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إنَّهُ لَرِزْقٌ رَزَقَهُ اللهُ خُبَيْبًا. فَلَمَّا خَرجُوا بِهِ مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ، قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: دَعُونِي أُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، فتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ فَقَالَ: واللهِ لَوْلَا أنْ تَحْسَبُوا أنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَزِدْتُ: اللَّهُمَّ أحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلهُمْ بِدَدًا، وَلَا تُبْقِ مِنْهُمْ أَحَدًا. وقال:

فلستُ أُبالي حين أُقتَل مسلمًا ... علىٰ أيِّ جَنْب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإلٰه وإن يَشَأ ... يُبَارك علىٰ أوصال شِلْوٍ مُمزَّعِ

وكان خُبَيبٌ هُوَ سَنَّ لِكُلِّ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا الصَّلَاةَ، وأخْبَرَ- يعني: النبيَّ ﷺ- أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُصِيبُوا خَبَرَهُمْ، وبعث ناسٌ من قريش إلىٰ عاصم بن ثابت حين حُدِّثوا أنه قُتل أن يُؤْتوا بشيءٍ منه يُعرف، وكَانَ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ، فَبَعَثَ اللهُ لِعَاصِمٍ مِثْلَ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ فَحَمَتْهُ مِنْ رُسُلِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِروا أنْ يَقْطَعُوا مِنْهُ شَيْئًا. رواه البخاريُّ.

قولُهُ: «**الهَدْأَةُ**»: مَوْضِعٌ. «**والظُّلَّةُ**»: السَّحَابُ. «**والدَّبْرُ**»: النَّحْلُ. وَقَوْلُهُ: «**اقْتُلْهُمْ بِدَدًا**» بِكَسْرِ الباءِ وفتحِهَا، فَمَنْ كَسَرَ قَالَ: هُوَ جمع بِدَّةٍ بكسر الباء وهي النصيب ومعناه: اقْتُلْهُمْ حِصَصًا مُنْقَسِمَةً لِكُلِّ واحِدٍ مِنْهُمْ نَصِيبٌ. وَمَنْ فتَحَ قَالَ معناهُ: مُتَفَرِّقِينَ فِي القَتْلِ واحدًا بَعْدَ واحِدٍ مِنَ التَّبْدِيد.

وفي الباب أحاديث كثيرةٌ صَحيحةٌ سَبقَتْ فِي مَوَاضِعِهَا مِنْ هَذَا الكِتَابِ، مِنْهَا:

حديثُ الغُلامِ الَّذِي كَانَ يأتِي الرَّاهِبَ والسَّاحِرَ، ومنْها حَدِيثُ جُرَيْجٍ.

وحديثُ أصْحابِ الغَارِ الذين أُطْبِقَتْ عَلَيْهِم الصَّخْرَةُ.

وَحديثُ الرَّجُلِ الَّذِي سَمِعَ صَوْتًا فِي السَّحَابِ يَقُولُ: اسْقِ حَدِيقَةَ فُلَانٍ.

وَغَيْرُ ذَلِكَ. وَالدلائِلُ فِي البابِ كثيرةٌ مشهُورةٌ.

وبالله التَّوفيق.

(١٥١٠/ ٢٥٣) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا سَمِعْتُ عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يقولُ لِشَيءٍ قَطُّ: إنِّي لَأظُنُّهُ كَذَا، إلَّا كَانَ كَمَا يَظُنُّ. رواه البخاري.

❋ ❋ ❋

١٧ - كتاب الأمور الـمَنْهِيِّ عنها

٢٥٤ - باب تحريم الغِيبَة والأمر بحفظ اللسان

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ ۚ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

اعلَمْ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِكُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَحْفَظَ لِسَانَهُ عَنْ جَمِيعِ الكَلامِ إِلَّا كَلامًا ظَهَرَتْ فِيهِ المَصْلَحَةُ، ومَتَىٰ اسْتَوَىٰ الكَلامُ وَتَرْكُهُ فِي المَصْلَحَةِ، فالسُّنَّةُ الإمْسَاكُ عَنْهُ، لأَنَّهُ قَدْ يَنْجَرُّ الكَلَامُ المُبَاحُ إِلَىٰ حَرَامٍ أَوْ مَكْرُوهٍ، وذَلِكَ كَثِيرٌ في العَادَةِ، والسَّلَامَةُ لا يَعْدِلُهَا شَيْءٌ.

(١٥١١/ ٢٥٤) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عليه.

وهذا صريح في أنه ينبغي ألا يتكلم إلا إذا كان الكلامُ خيرًا، وَهُوَ الَّذِي ظَهَرَتْ مَصْلَحَتُهُ، ومَتَىٰ شَكَّ فِي ظُهُورِ المَصْلَحَةِ، فَلَا يَتَكَلَّم.

(١٥١٢/ ٢٥٤) وعن أبي موسىٰ رضي الله عنه قال: قلتُ: يا رسُولَ الله، أَيُّ المُسْلِمِينَ أفْضَلُ؟ قَالَ: «مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ». متفق عليه.

(١٥١٣/ ٢٥٤) وعن سهل بن سعدٍ، قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنْ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ (أي: لسانه الذي بين فكَّيْه) وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنْ لَهُ الجَنَّةَ». متفق عليه.

(١٥١٤/ ٢٥٤) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه: أَنَّه سمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا يَزِلُّ بِهَا إِلَىٰ النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ». متفق عليه. ومعنَىٰ «يَتَبَيَّنُ»: يُفَكِّرُ أَنَّها خَيْرٌ أم لا.

(١٥١٥/ ٢٥٤) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَىٰ مَا يُلْقِي لها بَالًا يَرْفَعُهُ اللهُ بِهَا دَرَجاتٍ، وإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ الله تَعَالَىٰ لا يُلْقِي لها بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ». رواه البخاري.

(١٥١٦/ ٢٥٤) وعن أبي عبد الرحمن بلالِ بن الحَارِثِ المُزَنِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ رِضْوَانِ الله تَعَالَىٰ مَاكَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا رِضْوَانَهُ إِلَىٰ يَوم يَلْقَاهُ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخطِ الله مَا كَانَ يَظُنُّ أَنْ تَبْلُغَ مَا بَلَغَتْ يَكْتُبُ اللهُ لَهُ بِهَا سَخطَهُ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ». رواه مالك في «الموطأ»، والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٥١٧/ ٢٥٤) وعن سُفيَان بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يا رسول الله، حدِّثني بأمرٍ أعتصم به. قال: «قلْ: رَبِّيَ اللهُ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». قُلْتُ: يَا رسول الله، مَا أَخْوَفُ مَا تَخافُ عَلَيَّ؟ فَأَخذَ بِلِسانِ نَفْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٥١٨/ ٢٥٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تُكْثِرُوا الكَلَامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله؛ فَإِنَّ كَثْرَةَ الكَلَامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ الله تَعَالَىٰ قَسْوَةٌ لِلقَلْبِ! وإِنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ القَلْبُ القَاسِي». رواه الترمذي.

(١٥١٩/ ٢٥٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ وَقَاهُ اللهُ شَرَّ مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ (أي: لسانه الذي بين فَكَّيْهِ)، وَشَرَّ مَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ دَخلَ الجَنَّةَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٥٢٠/ ٢٥٤) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسولَ الله مَا النَّجاةُ؟ قَالَ: «أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وابْكِ عَلَىٰ خَطِيئَتِكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٥٢١/ ٢٥٤) وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «إِذَا أَصْبَحَ ابْنُ آدَمَ، فَإِنَّ الأَعْضَاءَ كُلَّهَا تُكَفِّرُ اللِّسانَ، تَقُولُ: اتَّقِ اللهَ فِينَا، فَإِنَّما نَحنُ بِكَ، فَإِنِ اسْتَقَمْتَ اسْتَقَمْنَا، وإِنِ اعْوَجَجْتَ اعْوَجَجْنَا». رواه الترمذي. معنىٰ «تُكَفِّرُ اللِّسَانَ» أي: تَذِلُّ وَتَخْضَعُ لَهُ.

(١٥٢٢/ ٢٥٤) وعن معاذٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رسول الله، أَخبِرْني بِعَمَلٍ يُدْخِلُني الجَنَّةَ وَيُبَاعِدُني مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: «لَقَدْ سَأَلتَ عَنْ عَظِيمٍ، وإِنَّهُ لَيَسِيرٌ عَلَىٰ مَنْ يَسَّرَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: تَعبُدُ اللهَ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وتُؤتِي الزَّكَاةَ، وتَصُومُ رَمَضَانَ، وتَحُجُّ البَيْتَ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أَدُلُّكَ عَلَىٰ أَبْوابِ الخَيْرِ؟ الصَّوْمُ جُنَّةٌ، وَالصَّدَقَةُ تُطْفِئُ الخَطِيئَةَ كَما يُطْفِئُ المَاءُ النَّارَ، وَصَلَاةُ الرَّجُلِ مِنْ جَوْفِ اللَّيْلِ». ثُمَّ تَلَا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾ حَتَّىٰ بَلَغَ ﴿يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٦-١٧] ثُمَّ قَالَ: «أَلا أُخْبِرُكَ بِرَأسِ الأَمْرِ، وَعَمُودِهِ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ (أي: الذروة: أعلىٰ الشيء، والسنام: ما ارتفع من ظهر الجمل)». قُلْتُ: بَلَىٰ يَا رسولَ الله. قَالَ:

«رَأسُ الأمْرِ الإسْلامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلاَةُ، وَذِرْوَةِ سَنَامِهِ الجِهادُ». ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ بِمِلاكِ ذَلِكَ كُلِّهِ!» قُلْتَ: بَلَىٰ، يَا رسول الله. فأخذ بلسانه وقال: «كُفَّ عَلَيْكَ هَذَا». قُلْتُ: يَا رسول الله، وإنَّا لَمُؤاخذُونَ بما نَتَكَلَّمُ بِهِ؟ فقالَ: «ثَكِلَتْكَ (أي: فقدتك) أُمُّكَ! وَهَلْ يَكُبُّ الناسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح». وَقَدْ سبق شرحه في باب قبل هذا.

(١٥٢٣/ ٢٥٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟». قالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أعْلَمُ. قال: «ذِكْرُكَ أخَاكَ بِما يَكْرَهُ». قِيلَ: أفَرَأيْتَ إنْ كَانَ فِي أخِي مَا أقُولُ؟ قَالَ: «إنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ، فقد اغْتَبْتَهُ، وإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدْ بَهَتَّهُ». رواه مسلم.

(١٥٢٤/ ٢٥٤) وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال في خطبته يوم النحر بمنىٰ في حجة الوداع: «إنَّ دِماءَكُمْ، وَأمْوالَكُمْ، وأعْرَاضَكُمْ، حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا، فِي شَهْرِكُمْ هَذَا، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، ألا هَلْ بَلَّغْتُ». متفق عليه.

(١٥٢٥/ ٢٥٤) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفيَّةَ (أي: من عيوبها البدنية) كذَا وكَذَا. قَالَ بعضُ الرواةِ: تَعْنِي قَصيرَةً. فقالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ البَحْرِ لَمَزَجَتْهُ!». قالت: وَحَكَيْتُ (أي: قلّدت) لَهُ إنْسَانًا. فَقَالَ: «مَا أُحِبُّ أنِّي حَكَيْتُ إنسانًا وإنَّ لِي كَذَا وَكَذَا». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

ومعنىٰ «مَزَجَتْهُ»: خَالَطَتْهُ مُخالَطَةً يَتَغَيَّرُ بِهَا طَعْمُهُ أَوْ رِيحُهُ لِشِدَّةِ نَتَنِها وَقُبْحِهَا. وهذا الحديث مِنْ أبلَغِ الزَّواجِرِ عَنِ الغِيبَةِ، قَالَ الله تَعالَىٰ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾ [النجم: ٣، ٤].

(١٥٢٦/ ٢٥٤) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بي مَرَرْتُ بِقَوم لهم أظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمِشُونَ وُجُوهَهُمْ (أي: يخدشونها) وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هؤُلاءِ يَا جِبريلُ؟ قَالَ: هؤُلاءِ الَّذِينَ يَأكُلُونَ لُحومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أعْرَاضِهِمْ!». رواه أبو داود.

(١٥٢٧/ ٢٥٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ وَعِرْضُهُ وَمَالُهُ». رواه مسلم.

٢٥٥- باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه

قَالَ اللهُ تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ﴾ [القصص: ٥٥].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

(١٥٢٨/ ٢٥٥) وعن أَبي الدَّرْداءِ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أخيه، رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يومَ القِيَامَةِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٥٢٩/ ٢٥٥) وعن عِتبَانَ بن مَالكٍ رضي الله عنه في حديثه الطويل المشهور الذي تقدم في باب الرجاء قال: قام النبيُّ ﷺ يُصلِّي فَقَالَ: «أيْنَ مالِكُ بنُ الدُّخْشُمِ؟» فَقَالَ رَجلٌ: ذَلِكَ مُنَافِقٌ لا يُحِبُّ اللهَ ولا رَسُولَهُ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لَا تَقُلْ ذَلِكَ أَلا تَرَاهُ قَدْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ يُرِيدُ بِذَلك وَجْهَ الله! وإنَّ الله قَدْ حَرَّمَ عَلَىٰ النَّارِ مَنْ قَالَ: لا إلهَ إلَّا اللهُ يَبْتَغي بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ». متفق عليه.

«وَعِتْبان» بكسر العين عَلَىٰ المشهور وحُكِيَ ضَمُّها وبعدها تاءٌ مثناة مِن فوق ثُمَّ باءٌ موحدة. و«الدُّخْشُم» بضم الدال وإسكان الخاء وضم الشين المعجمتين.

(١٥٣٠/ ٢٥٥) وعن كعب بن مالك رضي الله عنه في حديثه الطويل في قصة توبته- وقد سبق في باب التوبة- قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ وَهُوَ جالِسٌ في القَومِ بِتَبُوكَ: «مَا فَعَلَ كَعبُ بن مالكٍ؟» فقال رجل من بني سَلِمة: يَا رسولَ الله، حَبَسَهُ بُرْدَاهُ والنَّظَرُ في عِطْفَيْهِ. فَقَالَ لَهُ مُعاذُ بنُ جبل رضي الله عنه: بِئْسَ مَا قُلْتَ، والله يَا رسولَ الله مَا علمنا عَلَيْهِ إلَّا خَيرًا، فَسَكَتَ رسُولُ الله ﷺ. متفق عليه.

«عِطْفَاهُ»: جَانِبَاهُ، وهو إشارةٌ إلىٰ إعجابِهِ بنفسِهِ.

٢٥٦- باب ما يباح من الغيبة

اعلَمْ أنَّ الغِيبَةَ تُبَاحُ لِغَرَضٍ صَحيحٍ شَرْعِيٍّ لا يُمْكِنُ الوُصُولُ إلَيْهِ إلَّا بِهَا، وَهُوَ سِتَّةُ أسْبَابٍ:

الأَوَّلُ: التَّظَلُّمُ، فَيَجُوزُ لِلمَظْلُومِ أنْ يَتَظَلَّمَ إِلَىٰ السُّلْطَانِ والقَاضِي وغَيرِهِما مِمَّنْ لَهُ وِلَايَةٌ، أَوْ قُدْرَةٌ عَلَىٰ إنْصَافِهِ مِنْ ظَالِمِهِ، فيقول: ظَلَمَنِي فُلَانٌ بكذا.

الثَّانِي: الاسْتِعانَةُ عَلَىٰ تَغْيِيرِ المُنْكَرِ، وَرَدِّ العَاصِي إِلَىٰ الصَّوابِ، فيقولُ لِمَنْ يَرْجُو قُدْرَتَهُ عَلَىٰ إزالَةِ المُنْكَرِ: فُلانٌ يَعْمَلُ كَذا، فازجره عنه ونحو ذلك ويكون مقصوده التوصل إلىٰ إزالة المنكر، فَإنْ لَمْ يَقْصِدْ ذَلِكَ كَانَ حَرَامًا.

الثَّالِثُ: الاسْتِفْتَاءُ، فيقُولُ لِلمُفْتِي: ظَلَمَنِي أَبِي أَوْ أخي، أَوْ زوجي، أَوْ فُلانٌ بكَذَا فَهَلْ لَهُ ذَلِكَ؟ وَمَا طَرِيقِي في الخلاصِ مِنْهُ، وتَحْصِيلِ حَقِّي، وَدَفْعِ الظُّلْمِ؟ وَنَحْو ذَلِكَ، فهذا جَائِزٌ لِلْحَاجَةِ، ولكِنَّ الأحْوطَ والأفضلَ أنْ يقول: مَا تقولُ في رَجُلٍ أَوْ شَخْصٍ، أَوْ زَوْجٍ، كَانَ مِنْ أَمْرِهِ كذا؟ فَإنَّهُ يَحْصُلُ بِهِ الغَرَضُ مِنْ غَيرِ تَعْيينٍ، وَمَعَ ذَلِكَ، فالتَّعْيينُ جَائِزٌ كَمَا سَنَذْكُرُهُ في حَدِيثِ هِنْدٍ إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

الرَّابِعُ: تَحْذِيرُ المُسْلِمينَ مِنَ الشَّرِّ وَنَصِيحَتُهُمْ، وذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: جَرْحُ المَجْرُوحينَ مِنَ الرُّواةِ والشُّهُودِ، وذلكَ جَائِزٌ بإجْمَاعِ المُسْلمينَ، بَلْ وَاجِبٌ للْحَاجَةِ.

ومنها: المُشَاوَرَةُ في مُصاهَرَةِ إنْسانٍ أو مُشاركتِهِ، أَوْ إيداعِهِ، أَوْ مُعامَلَتِهِ، أَوْ غيرِ ذَلِكَ، أَوْ مُجَاوَرَتِهِ، ويجب علىٰ المشاور ألا يخفي حاله، بل يذكر المساوي التي فيه بنية النصيحة.

ومنها: إِذَا رأىٰ مُتَفَقِّهًا (أي: طالبا للعلم) يَتَرَدَّدُ إِلَىٰ مُبْتَدِعٍ، أَوْ فَاسِقٍ يَأْخُذُ عَنْهُ العِلْمَ، وخَافَ أَنْ يَتَضَرَّرَ المُتَفَقِّهُ بِذَلِكَ، فَعَلَيْهِ نَصِيحَتُهُ بِبيانِ حَالِهِ، بِشَرْطِ أَنْ يَقْصِدَ النَّصِيحَةَ، وَهَذا مِمَّا يُغلَطُ فِيهِ. وَقَدْ يَحمِلُ المُتَكَلِّمَ بِذلِكَ الحَسَدُ، وَيُلَبِّسُ الشَّيطانُ عَلَيْهِ ذَلِكَ، ويُخَيِّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ نَصِيحَةٌ فَلْيُتَفَطَّنْ لِذلِكَ.

وَمِنها: أنْ يكونَ لَهُ وِلايَةٌ لا يقومُ بِهَا عَلَىٰ وَجْهِها: إمَّا بألَّا يكون صالحًا لها، وإما بأنْ يكونَ فَاسِقًا، أَوْ مُغفَّلًا، وَنَحوَ ذَلِكَ فَيَجِبُ ذِكْرُ ذَلِكَ لِمَنْ لَهُ عَلَيْهِ ولايَةٌ عامَّةٌ لِيُزيلَهُ، وَيُوَلِّيَ مَنْ يُصْلِحُ، أَوْ يَعْلَمَ ذَلِكَ مِنْهُ لِيُعَامِلَهُ بِمُقْتَضَىٰ حالِهِ، وَلَا يَغْتَرَّ بِهِ، وأَنْ يَسْعَىٰ فِي أَنْ يَحُثَّهُ عَلَىٰ الاسْتِقَامَةِ أَوْ يَسْتَبْدِلَ بِهِ.

الخامِسُ: أَنْ يَكُونَ مُجاهِرًا بِفِسْقِهِ أَوْ بِدْعَتِهِ كالمُجاهِرِ بِشُرْبِ الخَمْرِ، ومُصَادَرَةِ

النَّاسِ، وأَخْذِ المَكْسِ (أي: أخذ أموال الناس ظلمًا)، وجِبَايَةِ الأَمْوَالِ ظُلْمًا، وَتَوَلِّي الأُمُورِ الباطِلَةِ، فَيَجُوزُ ذِكْرُهُ بِمَا يُجاهِرُ بِهِ، وَيَحْرُمُ ذِكْرُهُ بِغَيْرِهِ مِنَ العُيُوبِ، إِلَّا أَنْ يكونَ لِجَوازِهِ سَبَبٌ آخرُ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ.

السَّادِسُ: التعريفُ، فإذا كَانَ الإنْسانُ مَعْرُوفًا بِلَقَبٍ، كالأعْمَشِ، والأعرَجِ، والأصَمِّ، والأعْمىٰ، والأحْوَلِ، وغَيْرِهَا جاز تَعْرِيفُهُ بذلِكَ، وَيَحْرُمُ إطْلاقُهُ عَلَىٰ جِهَةِ التَّنَقُّصِ، ولو أمكَنَ تَعْرِيفُهُ بِغَيرِ ذَلِكَ كَانَ أوْلَىٰ، فهذه ستَّةُ أسبابٍ ذكَرَهَا العُلَمَاءُ وأكثرُها مُجمَعٌ عَلَيْهِ، وَدَلائِلُهَا مِنَ الأحادِيثِ الصَّحيحَةِ مشهورَةٌ، فمن ذَلِكَ:

(١٥٣١/ ٢٥٦) عن **عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: أنَّ رجلًا اسْتَأذَنَ عَلَىٰ النبيِّ ﷺ فقَالَ: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أخُو العَشِيرَةِ** (أي: المراد بالعشيرة: الجماعة أو القبيلة)». متفق عليه. احتجَّ بِهِ البخاري في جوازِ غِيبَةِ أهلِ الفسادِ وأهلِ الرِّيَبِ.

(١٥٣٢/ ٢٥٦) وعنها قالت: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**مَا أظُنُّ فُلانًا وفُلانًا يَعْرِفانِ مِنْ دِينِنَا شَيْئًا**».

رواه البخاري قال: قال الليث بن سعد أحد رواة هذا الحديث: هذان الرجلان كانا من المنافقين.

(١٥٣٣/ ٢٥٦) وعن **فاطمة بنتِ قيسٍ** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: أتَيْتُ النبيَّ ﷺ فقلت: إنَّ أَبَا الجَهْمِ وَمُعَاوِيَةَ خَطَبَانِي؟ فَقَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**أمَّا مُعَاوِيَةُ، فَصُعْلُوكٌ** (أي: الفقير) **لا مَالَ لَهُ، وأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَلَا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**وَأمَّا أَبُو الجَهْمِ فَضَرَّابٌ لِلنِّسَاءِ**». وَهُوَ تفسير لرواية: «**لا يَضَعُ العَصَا عَنْ عَاتِقِهِ**». وقِيلَ: معناه: كثيرُ الأسفارِ.

(١٥٣٤/ ٢٥٦) وعن **زيد بن أرقم** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رسولِ الله ﷺ فِي سَفَرٍ أصَابَ النَّاسَ فِيهِ شِدَّةٌ، فَقَالَ عبد الله بنُ أُبَيٍّ لأصحابه: لَا تُنْفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِنْدَ رسولِ الله ﷺ حَتَّىٰ يَنْفَضُّوا (أي: يتفرقوا). وقال: لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَىٰ المَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأعَزُّ مِنْهَا الأذَلَّ. فَأَتَيْتُ رسُولَ الله ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ بذلِكَ، فَأرْسَلَ إِلَىٰ عبد الله بن أُبَيٍّ، فَاجْتَهَدَ يَمِينَهُ: مَا فعلَ، فقالوا: كَذَبَ زيدٌ رَسُولَ الله ﷺ فَوَقَعَ فِي نَفْسِي مِمَّا قَالُوهُ شِدَّةٌ (أي: هم وحزن) حَتَّىٰ أنْزلَ اللهُ تعالَىٰ تَصْدِيقِي: ﴿**إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ**﴾ [المنافقون: ١] ثُمَّ دعاهُمُ النبيُّ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُمْ فَلَوَّوْا رُءُوسَهُمْ. متفق عليه.

(١٥٣٥/ ٢٥٦) وعن **عائشة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: قالت هِنْدُ امرأةُ أبي سفيان للنبيِّ ﷺ: إنَّ أَبَا سُفْيَانَ

رَجُلٌ شَحِيحٌ (أي: الشح: البخل مع الحرص)، وَلَيْسَ يُعْطِينِي مَا يَكْفِينِي وولَدِي إِلَّا مَا أَخَذْتُ مِنْهُ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ؟ قَالَ: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالمَعْرُوفِ**». متفق عليه.

* * *

(الغِيبة)

الغِيبة: هي ذِكْر مَسَاوي وعيوب إنسانٍ هي فيه بالحقيقة أمام الآخرين، ولكن في غير حضوره، في أثناء غيبته، وأنت تعلم أنه يكره ذلك، فهي ذكر العيب بظهر الغيب، سواء كان نقصانًا في بدنه أو لبسه أو خلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو في دنياه أو في ولده أو في ثوبه أو في داره أو في دابته.

وكما تكون الغِيبة قولًا قد تكون بالفعل أيضًا، كالحركات الدالة علىٰ ما ذكرناه من نقص أو عيب أو إشارة أو كناية، كذلك مَن استمع وصدَّق هذه المساوي والغيبة فهو مغتابٌ أيضًا؛ لأن مَن أظهر التعجب والاندهاش للمغتاب يشجعه علىٰ أن يزداد في غِيبته، فهو شريكه في الغِيبة، بل مَن سكت علىٰ الغيبة دون رد عرض أخيه فهو مغتاب أيضًا.

الفرق بين الغِيبة والبُهتان والشَّتْم:

الغِيبة أن تذكر مساوي الإنسان التي هي فيه حقيقة من دون كذب وفي غير حضوره. أما البهتان فهو أن تذكر مساوي لإنسان كذبًا وليست فيه علىٰ الحقيقة وفي غير حضوره أيضًا، أما الشتم فهو أن تذكر مساوي الإنسان في حضوره ومواجهته.

وعند الفقهاء أن الغيبة من الكبائر، وهي تعادل غصب المال وقتل النفس؛ لقوله ﷺ: «**كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَى الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**». مسلم برقم (٢٥٦٤).

وقال ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَرْبَى الرِّبَا الاسْتِطَالَةُ** (أي: التطاول بالعيب) **فِي عِرْضِ الْـمُسْلِمِ بِغَيْرِ حَقٍّ**». أحمد في مسنده (١/ ١٩٠) برقم (١٦٥١)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٢٢٠٣).

وقال ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْـمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنِ اتَّبَعَ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي**

بَيْتِهِ». أحمد في مسنده (٤/ ٤٢٠) برقم (١٩٧٩١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

واعلم أن أي إشارة، بالمحاكاة أو بطريقة يفهمها المخاطب، تُفيد التنقص للإنسان الغائب عن المجلس صارت غِيبة، سواءٌ كانت بالكلام أو الغَمْز بالعين أو حتىٰ كتابة بالقلم، فإنه كما يُقال: أحد اللسانين.

ومن ذلك أيضًا التنقص والغيبة بطريقة أهل الدين، وذلك حين يذكر أخاه فيقول عنه: نسأل الله العافية، أو ربنا يتوب علينا وعليه، أو غلبان مسكين مبتلىٰ. فهو في الحقيقة يذم صاحبه ويمدح نفسه، ويبدو كأنه يدعو له وإن كان يُخفي رغبته في اتهامه بالنقص والعيب.

ومن الغيبة كذلك: الاشتراك في الاستماع لها أو السكوت عنها، إلا أن يدافع عن المغتاب إن استطاع، فإن خاف قام من المجلس أو قطع الكلام بكلام آخر أو علىٰ الأقل أنكر ذلك بقلبه.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨].

قال ﷺ: «مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أحمد في مسنده (٦/ ٤٥٠) برقم (٢٧٥٨٣)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

وقيل: نَزِّه سمعك عن استماع الغيبة كما تنزه لسانك عن الخوض فيها.

حد الغيبة وضابطها:

حد الغيبة وضابطها هو: تفهيمك المخاطب نقص وعيب إنسان بعينه غائب عن المجلس بإحدىٰ الطرق التي ذكرناها سابقًا، والغيبة صدق ليست كذبًا ولكنها أضر وأقبح من الكذب، لما فيها من العار والضرر والأذىٰ، فالغيبة هي أقبح الصدق.

قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: والغيبة أيضًا خيانة وهتك ستر بسبب حسد أو غدر.

وقال عَدِيُّ بن حاتمٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغِيبةُ رَعْيُ اللئام (أي: شبههم بالغنم التي ترعىٰ).

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الغِيبة فاكهة النساء (أي: يتلذذون بها).

وقال رجل لابن سيرين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: إني اغتبتك فاجعلني في حِلٍّ. فقال: ما أحب أن أحلَّ لك ما حرم الله عليك (أي: أراد ألا يتساهل معه حتىٰ يخاف من تكرارها).

وقال ابن السَّمَّاك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: لا تُعِنِ الناسَ علىٰ عَيبِك بسوء غَيْبِك (أي: فلا تدفع الناس إلىٰ أن يعيبوك بسبب تطاولك عليهم بالغيبة والسب).

الأسباب الباعثة على الغيبة:

١-أن تكون بينهما شحناء، فيحاول أحدهما أن يشفي غيظه، فإنه كلما ذكر غريمه تَشَفَّىٰ بذكر عيوبه ونقائصه، فيشفي ذلك غيظه، وهذا للأسف من قلة الدين.

وقد لا يجد فرصة فلا يستطيع التشفي، فيحتقن الغضب في داخله ليتحول إلىٰ حقد ورغبة في الانتقام، فالحقد والغضب من بواعث الغيبة كذلك.

٢-الرغبة في مجاملة الأصحاب والزملاء في ذكر مساوي مَن يكرهون: فبعض الناس يجامل أصحابه، وإلا نفروا عن صحبته، ويظن ذلك للأسف من حسن العشرة مع أصحابه؛ فيغضب لغضبهم في الباطل مجاملة لهم.

٣-رغبة التكبر وإرادة رفع نفسه فوق خصمه: فيقصد بذكر مساوي غيره إنقاص قدره ورفع قدر نفسه وأنه الأفضل والأتقىٰ والأعلم والأصدق.

٤-قد تكون محاولته في الغيبة هي لتبرئة نفسه من تهمة ما، فيذكر فعل أو مساوي أخيه، وكان الأولىٰ أن يُبرئ نفسه فقط ولا يفضح أخاه لتبرئة نفسه وإيجاد عذر لها.

٥-الحسد: فربما يحسد مَن يُثني الناس عليه ويذكرونه بخير، فيتمنىٰ زوال نعمته فلا يجد سبيلًا أمامه إلا القدح والذم فيه، وقد يكون هذا مع صديق له أو رفيق، وهذا عين الحسد؛ لأنه يكره أن يسمع الثناء عليه.

٦-رغبة التلهي «والهزار» والضحك والمسامرة: حتىٰ إن بعض الناس يتكسبون من ذلك.

٧-حب السخرية والاستهزاء من الآخرين.

واعلم أن المغتاب متعرض لسخط الله ﷻ، وأن حسناته تنتقل إلىٰ من اغتابه، وأن سيئات صاحبه تنتقل إليه.

ورُوي عن الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن رجلًا قال له: إن فلانًا قد اغتابك. فبعث إليه الحسن رطبًا علىٰ طبق وقال: قد بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك ما أردت أن أكافئك عليها، فاعذرني فإني لا أقدر أن أكافئك علىٰ التمام.

وهذا عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسخر ممن يضيع أعماله وحسناته بالغيبة يوم القيامة فيقول: لو كنت مغتابًا أحدًا لاغتبت والديَّ، لأنهما أحق الناس بحسناتي.

* * *

٢٥٧- باب تحريم النميمة
وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ۝١١﴾ [القلم: ١١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

(١٥٣٦/ ٢٥٧) وعن حُذَيْفَة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَـمَّامٌ (أي: حتىٰ يستوفي حسابه أولًا)». متفق عليه.

(١٥٣٧/ ٢٥٧) وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بِقبْرَيْنِ فَقَالَ: «إنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبيرٍ! بَلَىٰ إنَّهُ كَبِيرٌ: أَمَّا أَحَدُهُمَا، فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ، وأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ». متفق عليه وهذا لفظ إحدىٰ روايات البخاري.

قَالَ العُلَمَاءُ: مَعْنَىٰ «وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» أي: كَبير في زَعْمِهِمَا. وَقِيلَ: كَبيرٌ تَرْكُهُ عَلَيْهِمَا.

(١٥٣٨/ ٢٥٧) وعن ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ مَا العَضْهُ؟ هي النَّمِيمَةُ، القَالَةُ بَيْنَ النَّاسِ». رواه مسلم.

«العَضْهُ»: بفتح العين المهملة، وإسكان الضاد المعجمة، وبالهاء عَلَىٰ وزن الوجهِ، ورُوِي «العِضَةُ» بكسر العين وفتح الضاد المعجمة عَلَىٰ وزن العِدَة، وهي: الكذب والبُهتان، وعلىٰ الرِّواية الأولىٰ: العَضْهُ مصدرٌ يقال: عَضَهَهُ عَضهًا، أي: رماهُ بالعَضْهِ.

* * *

(النميمة)

وهي نَقْلُ الكلام بين الناس بعضهم إلىٰ بعض بقصد الإفساد، وحكمها أنها من الكبائر العظام، وهي أيضًا تعني إفشاءَ الأسرار وهتكها، مما يكره كَشْفُه مما فسد بين الناس أيضًا؛ قال ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ نَمَّامٌ» وفي رواية: «قَتَّاتٌ». متفق عليه.

والنَّمَّام هو الذي يكون مع الناس يتحدَّثون فيكشف بعض أسرارهم، وينمُّ عليهم ويُخبر عنهم ما يكرهون، سواء كان الكشف بالكلام أو الإشارة أو بغيرهما.

أما **القَتَّات**: فهو الذي يستمع لحديث الآخرين وهم لا يعلمون ثم ينمُّ عليهم، وقد قيل إنه آخر الناس خروجًا من النار أو دخولًا للجنة.

وحدُّ النميمة هو كشفُ ما يكره كشفه عن الآخرين، سواء كان ذلك من الأقوال أو من الأعمال، كمن كشف عملًا أو مالًا يُخفيه شخص عن الآخرين أو مستتر عن آخر.

والنميمة من أسوأ الصفات والخلال الذميمة، وتدل علىٰ نفس سقيمة مريضة، وطبيعة لئيمة مشغوفة بهتك الأستار وإفشاء الأسرار وإدخال الأضرار، مما قد يؤدي إلىٰ سفك الدماء وانتهاك المحارم واستباحة الأموال.

وقيل في قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ۝٤﴾ [المسد: ٤] أنها كانت تمشي بالنميمة، فالنميمة تجمع بين مَذَمَّة الغِيبة رداءةً وشرًّا ولؤمًا ودناءةً وغدر النَّمَّام.

وقيل: النميمة سيفٌ قاتل. وقال أديبٌ: لم يمشِ ماشٍ شرٌّ مِن واشٍ (الذي يفشي سر أخيه مما يكره).

فالنَّمَّام يجمع بين خُبث الغِيبة، ورغبة الإفساد بين الناس، وهذا من اللؤم والدناءة والغدر مما يتسبب عنه التقاطع والتدابر والتباغض، حتىٰ بين المتحابين أو المتقاربين أو المتزوجين. وكان يقال: ظُلْم منك لأخيك أن تقول أسوأ ما تعلم فيه.

وقال حكيم: إياك والنميمةَ؛ فإنها تزرع الضغائن وتُورث الأحقاد. فالنمام يُفسد في ساعة ما لا يُفسد الساحر في شهر. قال الحسن: مَن نمَّ إليك نمَّ عليك.

(السعايــة)

وهي نَقْلُ الحديث إلىٰ السلطان أو الحاكم أو الكبير عمومًا للإيقاع عند الحاكم، وهي شرُّ أنواع النميمة، لأنها تجمع بين مفسدة الغيبة ولؤم النميمة والتغرير بالنفوس والأموال والقدح في الهيئات والبيوت والأحوال.

والسعاية في الحقيقة إنما هي نقلٌ لكلام صحيح، فهي صدقٌ أقبح عند الله من الكذب. وقد قيل: الصدق يُزيِّن كلَّ أحد إلا في السعاية؛ فإن الساعي فيها مذموم وآثم، والنميمة دناءة، والسعاية رداءة، وهما رأس الغدر وأساس الشر.

وقبول السعاية من قائلها شرٌّ من فعلها، لأن السعاية دلالة وتوجيه، والقبول بها إجازة وإقرار، فاتقوا الساعي بالوشاية، فإن كان صادقًا كان آثمًا؛ إذ لم يحفظ حرمةً ولم يستر عورة.

وحُكي أن رجلًا سعىٰ بوشايةٍ إلىٰ الإسكندر الأكبر في رجل آخر، فقال: أتحب أن نقبل منه ما يقول فيك أيضًا؟ قال: لا. قال: فكُفَّ عن الشرِّ يكف عنك الشر.

وقيل إن المطر مُنِع عن موسىٰ وقومه لأن بينهم واشيًا أو ساعيًا بالسوء، فقال موسىٰ: يا رب، دلني عليه حتىٰ أُخرجه من بيننا. قال: يا موسىٰ أكره النميمة وأفعلها.

عن عبد الله بن مسعود يرفعه: «لَا يُبَلِّغْنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ». أحمد في مسنده (١/ ٣٩٥) برقم (٣٧٥٩).

علاج النميمة:

- ألا نصدق النمام والساعي والواشي بها إلىٰ الحاكم؛ لأنه فاسق مردود الشهادة عند الله، فقد قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦﴾ [الحجرات: ٦].
- أن ينهاه عن ذلك ويقبح عليه فعله.
- أن يُبغِضه في الله ولله تعالىٰ.
- ألا تظن بأخيك الغائب سوءًا؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ﴾ [الحجرات: ١٢].

- ألا يحملك النمام علىٰ أن تتجسَّس علىٰ أخيك؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

- ألا ترضىٰ لنفسك أن تكون نمامًا، فتحكي نميمةَ مَن نمَّ لك، فتصير نمامًا ومغتابًا، وتفعل ما نهيت غيرَك عنه.

قصص في النميمة:

قصة: رُوي عن عمر بن عبد العزيز أنه دخل عليه رجلٌ فنمَّ له عن رجل شيئًا، فقال له عمر: إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقًا فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ١١﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك؟ فقال: العفوَ يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدًا. اهـ.

قصة: ذُكر أن حكيمًا من الحكماء زاره بعضُ إخوانه فأخبره بخبر سيئ عن بعض أصدقائه، فقال له الحكيم: قد أبطأت في الزيارة، وأتيت بثلاث جنايات: بغَّضت أخي إليَّ، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة. أي بفعل السعاية والوقيعة. اهـ.

قصة: ورُوي أن سليمان بن عبد الملك كان جالسًا وعنده الإمام الزُّهري، فجاءه رجلٌ فقال له سليمان: بلغني أنك وقعت فيَّ وقلت كذا وكذا. فقال الرجل: ما فعلت ولا قلت. فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق. فقال الزهري: لا يكون النمام صادقًا. فقال سليمان: صدقت. ثم قال للرجل: اذهب بسلام. اهـ.

وقال رجل لعمرو بن عبيد: إن فلانًا (أي: يشير إلىٰ عالم وصديق) ما يزال يذكرك في قصصه بسوء. فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حق مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أعلمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالىٰ يحكم بيننا وهو خير الحاكمين.

وقال لقمان لابنه: يا بني، أوصيك بصفات إن تمسكت بها لم تزل سيدًا علىٰ الناس: أحسن خلقك للقريب والبعيد، وأمسك غضبك وجهلك عن الكريم واللئيم، واحفظ إخوانك، وصِل أقاربك وأمِّنهم من قبول وشايةِ واشٍ أو سِعَاية ساعٍ بالنميمة أو سماع باغٍ أو ظالم يريد فسادك

ويرجو خداعك، واختر من الأصحاب من إذا فارقتهم وفارقوك لم تعبهم ولم يعيبوك.

وقال بعضهم: لو صح ما نقله النمام إليك لكان هو في الحقيقة المجترئ بالشتم عليك، والمنقول عنه النميمة أقل سوءًا وأولىٰ بالعفو منك؛ لأنه علىٰ الأقل لم يجترئ أن يَسُبَّك في وجهك.

قصة: وسأل رجلٌ عبد الملك بن مروان أن يكلمه سرًّا، فقال لجلسائه: إذا شئتم قوموا. فلما تهيأ الرجل للكلام قال له: إياك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي، أو تكذبني فإنه لا رأي لكذوب، أو تسعىٰ (أي: يقصد وشاية أو سعاية بأحد الناس)، وإن شئت أَقَلْتُكَ (أي: عذرتك من الحديث الخاص معي). قال: أقلني. اهـ.

قصة: ودخل رجل علىٰ الوليد بن عبد الملك وكان واليًا علىٰ دمشق، فقال: عندي نصيحة. فقال: إن كانت لنا فاذكرها، وإن كانت لغيرنا فلا حاجة لنا فيها. قال: لي جارٌ عصىٰ أمرك وفرَّ مِن بَعْثه (أي: يعني: تجنيده في العسكر والجيش). فقال له: أما أنت فإنك جار سوء، فإن شئت أرسلنا معك رسولًا من العسكر، فإن كنت صادقًا أقضيناك، وإن كنت كاذبًا عاقبناك، وإن شئت أقلناك. قال: أقلني. اهـ.

وعاتب مصعبُ بن الزبير الأحنفَ في شيءٍ فأنكره، فقال: أَخْبَرَنِي الثقةُ. فقال الأحنفُ: لو كان ثقةً ما بلَّغك عنا شيئًا.

وجاء رجلٌ لابن سيرين يُعاتبه ويقول: بلغني أنك نِلتَ مني. قال: نفسي أعز عليَّ من ذلك.

❊ ❊ ❊

٢٥٨- باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وفي الباب الأحاديث السابقة في الباب قبله.

(١٥٣٩/ ٢٥٨) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رَسُول الله ﷺ: «لا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فإنِّي أُحِبُّ أنْ أخْرُجَ إِلَيْكُمْ وأنا سَليمُ الصَّدْرِ». رواه أبو داود والتِّرْمذي.

٢٥٩- بابُ ذمِّ ذي الوجهين

قَالَ الله تعَالَىٰ: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾﴾ [النساء: ١٠٨].

(١٥٤٠/ ٢٥٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ مَعادِنَ (أي: أصول): خِيَارُهُم في الجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ في الإسْلَامِ إِذَا فَقُهُوا (أي: صاروا فقهاء وعلماء)، وتَجِدُونَ خِيَارَ النَّاسِ في هَذَا الشَّأنِ أَشَدَّهُمْ له كَرَاهِيَةً، وَتَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الوَجْهَينِ، الَّذِي يَأتِي هؤُلاءِ بِوَجْهٍ، وَهؤُلاءِ بِوَجْهٍ». متفق عليه.

(١٥٤١/ ٢٥٩) وعن محمد بن زيدٍ: أنَّ ناسًا قالوا لِجَدِّهِ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إنَّا نَدْخُلُ عَلَىٰ سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُمْ بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِمْ. قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَىٰ عَهْدِ رسُولِ الله ﷺ. رواه البخاري.

* * *

(النفاق)

الكذب في القول هو فعل اللسان، أما الكذب في القلب والجوارح فيسمىٰ نفاقًا، حيث يُظهر الإنسانُ الخيرَ ويُبطن السوء، فالنفاق هو الكذب في الأفعال، وهو أيضًا المكر والخديعة.

أنواع النفاق: والنفاق نوعان:

الأول: النفاق الأكبر، وهو أن يُظهر الإنسان الإيمان في اعتقاده ويُبطن الكفر، وهذا الذي نزل القرآن بذم أهله وتكفيرهم، وأخبر أنهم في الدرك الأسفل من النار.

الثاني: وهو النفاق الأصغر، وهو نفاق العمل، وهو أن يُظهر الإنسانُ الخيرَ والصداقة في عمله ويُبطِن ويُخفي الشرَّ والعداوة، وهذا الذي أراده حنظلة حينما قال: نافق حنظلة. [مسلم برقم (٢٧٥٠)]، فأراد أنه إذا كان عند النبي أخلص وزهد في الدنيا، وإذا خرج من عنده نسي ورغب فيها، فاتَّهم نفسه بالنفاق العملي.

والرياءُ داخل في معنىٰ النفاق العمليِّ، الذي هو إظهارُ التعبُّد لله من أجل أن يراه الناسُ فيحترموه ويحمدوه عليها؛ فإنه بهذا يطلب الجاه والمنزلة في قلوب الناس لا يقصد ثوابًا من الله في الآخرة.

ومِن أشدِّ أنواع نفاق العمل أن يُظهر الإنسانُ الخيرَ لا ليُحمد فقط، بل أيضًا ليتوصل به إلىٰ غرض سيِّئ مُستعمِلًا المكرَ والخديعة، فكلُّ مَن يظهر بمظهرٍ مُنافٍ حقيقتَه فهو منافق مذموم، وهذا خلاف التجمل للناس الذي يُظهر فيه المرءُ الخيرَ الذي في نفسه متعمدًا احترامًا ومحبةً لأخيه.

والنفاق في الإيمان والعقيدة كفر، بل أشد منه خطرًا؛ لأنه لا يظهر خطره للناس بسبب مكره وخبثه؛ ولهذا كان مصير صاحبه الدرك الأسفل من النار. أما النفاق في العمل فهو كالمرء الذي يُظهر خيرًا ويُبطن سوءًا، فينطبق عليه حكم الرياء، والرياء من الكبائر.

المداهنة: والمداهنة لون من النفاق العملي أيضًا؛ لأن المداهن يُخفي شرًّا ويدهن ظاهره بقشرة من الخير؛ لخداع الآخرين بعمله، فهو خدَّاع. فالمُداهِنُ يتلطَّف ويتجمَّل ويمدح أهل السوء والفجور ليُقرَّهم علىٰ باطلهم وهواهم؛ طمعًا في مال أو منصب أو جاه.

وقد أمرنا الله عَزَّ وَجَلَّ بجهادهم فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة: ٧٣]، والسُّنَّة تأمرنا بالإعراض والابتعاد عنهم وعدم التعاون أو التعامل معهم؛ ففي الحديث: «آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ» [متفق عليه]، وفي الحديث: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ ذُو الوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَأْتِي هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ». متفق عليه.

قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إن أخوف ما أخاف عليكم المنافق العليم. قالوا: وكيف يكون المنافق عليمًا؟ قال: يتكلم بالحكمة ويعمل بالجور (أي: الظلم والتجاوز).

وقال حُذَيفة بن اليَمَان: إن المنافقين اليوم شرٌّ منهم علىٰ عهد النبي، كانوا يومئذ يُسِرُّون واليوم يجهرون.

وقال ابن مسعود: إنكم ترون الكافرَ من أصحِّ الناس جسمًا وأمرضهم قلبًا.

وسئل الإمام أحمد: ما تقول فيمن لا يخاف علىٰ نفسه النفاق؟ قال: ومَن يأمن

علىٰ نفسه النفاق؟

والمنافق مريضُ القلب، يفرح إذا أصاب المسلمين ضرٌّ أو مصيبةٌ أو أذًىٰ، ويحزن إذا انتصروا أو نالوا خيرًا.

التملق: وهو مدح الآخرين، غير المستحقين، ممن هم أعلىٰ منه مكانة، بما ليس فيهم؛ لإدخال السرور عليهم؛ طلبًا ورغبة لمصلحة أو نحو ذلك، ولا يدخل في هذا التشجيع للأولاد أو رفع همة المساكين والضعفاء.

والمتملق شرٌّ عليك من صاحب العداوة؛ لأن هذا يَسهُل اتِّقاء شرِّه، فهو معروفٌ وظاهر، أما المُتملِّق فيُورِد الإنسانَ مواردَ الهلاك دون أن يتنبَّه له إلا بعد فوات الأوان.

الصراحة: وهي عكس النفاق، فهي فتح قلوبنا وبواطننا لمن نخاطبهم، فالصريح من الناس مَن يُخلِّص نفسه من الغش ويُظهر لـمُحدِّثه حقيقةَ ما في باطنه، ولكن ليس من الصراحة المحمودة أن تقول كلَّ ما تعرف، فهناك مجال للقول وآخر للسكوت، وليس من الصراحة جرح أحاسيس الناس ومشاعرهم من غير حاجة تدعو لذلك، وليس من الصراحة أن تفخر بأعمالك أو تُفشي ما تعرفه من أسرار نفسك أو بيتك أو جيرانك أو أصدقائك ولو كان حقًّا. فهناك فرقٌ بين الصراحة والوقاحة.

خُلْف الوعد: مَن وَعَد وفي نيته عدم الوفاء فقد كذب، وكذلك الذي كان يُريد الوفاء ولكن أخلف بعذر يستطيع التغلب عليه، فهو كاذب، وإذا أخلف بغير عذر فهو كاذب أيضًا، فالوعد دَيْن؛ ولهذا كانت النصيحة: قلِّل وُعودَك إلا بما تستطيع.

وعلينا ألا نُلِح في اتصالاتنا علىٰ معرفة كل الحقيقة، ولنسمح للبيوت أن تستر شيئًا من أسرارها، ولنسمح بذلك ممن لجأ للتورية في الكلام ولم يصرح بمراده كله، فلا نُلجئ امرأة أو طفلًا إلىٰ الكذب أو الحلف الكاذب لإخفاء أحد والديه، فهذا ليس من المروءة أو الأدب.

❊ ❊ ❊

٢٦٠- باب تحريم الكذب

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

(١٥٤٢/ ٢٦٠) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَىٰ البِرِّ (أي: اسم جامع لجميع أنواع الخير)، وإِنَّ البِرَّ يَهْدِي إِلَىٰ الجَنَّةِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله صِدِّيقًا. وإِنَّ الكَذِبَ يَهْدِي إِلَىٰ الفُجُورِ، وإِنَّ الفُجُورَ يَهْدِي إِلَىٰ النَّارِ، وإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّىٰ يُكْتَبَ عِنْدَ الله كَذَّابًا». متفق عليه.

(١٥٤٣/ ٢٦٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ، كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْ نِفَاقٍ حَتَّىٰ يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

وَقَدْ سبق بيانه مَعَ حديث أَبي هريرة بنحوه في باب «الوفاء بالعهد».

(١٥٤٤/ ٢٦٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ تَحَلَّمَ بِحُلْمٍ لَمْ يَرَهُ، كُلِّفَ أَنْ يَعْقِدَ بَيْنَ شَعِيرَتَيْنِ وَلَنْ يَفْعَلَ، وَمَنِ اسْتَمَعَ إِلَىٰ حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ، صُبَّ فِي أُذُنَيْهِ الآنُكُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَنْ صَوَّرَ صُورَةً عُذِّبَ وَكُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ وَلَيْسَ بنافِخٍ». رواه البخاري. «تَحلم» أي: قَالَ أنَّه حلم في نومه ورأىٰ كذا وكذا، وَهُوَ كاذب. و«الآنك» بالمدِّ وضم النون وتخفيف الكاف، وَهُوَ: الرَّصاصُ المذاب.

(١٥٤٥/ ٢٦٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «أَفْرَىٰ الفِرَىٰ (أي: أعظم الكذب) أَنْ يُرِيَ الرَّجُلُ عَيْنَيْهِ مَا لَمْ تَرَيَا». رواه البخاري. ومعناه: يقُولُ: رأيتُ فيما لَمْ يَرَهُ.

(١٥٤٦/ ٢٦٠) وعن سَمُرَةَ بن جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: كان رسول الله ﷺ مِمَّا يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ لِأَصْحَابِهِ: «هَلْ رَأَىٰ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنْ رُؤْيَا؟» فَيَقُصُّ عَلَيْهِ مَنْ شَاءَ اللهُ أَنْ يَقُصَّ، وإنه قال لنا ذات غداةٍ: «إِنَّهُ أَتَانِي اللَّيْلَةَ آتِيَانِ، وإِنَّهُمَا قَالا لِي: انْطَلِقْ، وإِنِّي انْطَلَقْتُ مَعَهُمَا، وإِنَّا أَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِصَخْرَةٍ، وَإِذَا هُوَ يَهْوِي بِالصَّخْرَةِ لِرَأْسِهِ، فَيَثْلَغُ رَأْسَهُ، فَيَتَدَهْدَهُ الحَجَرُ هَاهُنَا، فَيَتْبَعُ الحَجَرَ فَيَأْخُذُهُ فَلا يَرْجِعُ إِلَيْهِ حَتَّىٰ يَصِحَّ رَأْسُهُ كَمَا كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ مَا فَعَلَ المَرَّةَ الأُولَىٰ!» قَالَ: «قُلْتُ لهما: سُبْحَانَ الله! مَا هَذَانِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ مُسْتَلْقٍ لِقَفَاهُ، وَإِذَا آخَرُ قَائِمٌ عَلَيْهِ بِكَلُّوبٍ (أي: حديدة معوجة الرأس) مِنْ حَدِيدٍ، وَإِذَا هُوَ يَأْتِي أَحَدَ شِقَّيْ وَجْهِهِ فَيُشَرْشِرُ شِدْقَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَمِنْخَرَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنَهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ثُمَّ يَتَحَوَّلُ إِلَىٰ الجَانِبِ الآخَرِ، فَيَفْعَلُ بِهِ مِثْلَ

مَا فَعَلَ بالجَانِبِ الأوَّلِ، فَمَا يَفْرَغُ مِنْ ذَلِكَ الجانبِ حَتَّىٰ يَصِحَّ ذَلِكَ الجانبُ كما كَانَ، ثُمَّ يَعُودُ عَلَيْهِ فَيَفْعَلُ مِثْلَ مَا فعَلَ فِي المرَّةِ الأُولَىٰ». قَال: «قُلْتُ: سُبْحَانَ اللهِ! مَا هذانِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ مِثْلِ التَّنُّورِ- فَأَحْسِبُ أَنَّهُ قَالَ- فإذا فِيهِ لَغَطٌ، وأَصْواتٌ، فَاطَّلَعْنَا فِيهِ فإذا فِيهِ رِجَالٌ وَنِساءٌ عُرَاةٌ، وَإِذَا هُمْ يَأْتِيهِمْ لَهَبٌ مِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، فإذا أتاهُمْ ذَلِكَ اللَّهَبُ ضَوْضَوْا- قُلْتُ: مَا هَؤلاءِ؟ قَالا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ نَهَرٍ- حسبتُ أنه كان يقول- أَحْمَرَ مِثْلِ الدَّمِ، وَإِذَا فِي النَّهَرِ رَجُلٌ سابحٌ يَسْبَحُ، وَإِذَا عَلَىٰ شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ حِجَارَةً كثيرةً، وَإِذَا ذَلِكَ السَّابِحُ يَسْبَحُ مَا يَسْبَحُ، ثُمَّ يَأْتِي ذَلِكَ الَّذِي قَدْ جَمَعَ عِنْدَهُ الحِجَارَةَ، فَيَفْغَرُ لَهُ فاهُ، فَيُلْقِمُهُ حجَرًا، فينطَلِقُ فَيَسْبَحُ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِ، كُلَّمَا رَجَعَ إِلَيْهِ فَغَرَ لَهُ فَاهُ، فَأَلْقَمَهُ حجَرًا، قُلْتُ لَهُما: مَا هذانِ؟ قالَا لِي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَجُلٍ كَرِيهِ المَرْآةِ، أَوْ كَأَكْرَهِ مَا أنت رَاءٍ رجُلًا مَرْأًىٰ، فإذا هُوَ عِنْدَهُ نَارٌ يَحُشُّها وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا. قُلْتُ لهما: مَا هَذَا؟ قالَا لي: انْطَلِقِ انْطَلِقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا عَلَىٰ رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ فِيهَا مِنْ كُلِّ نَوْرِ (أي: زهر) الرَّبيعِ، وَإِذَا بَيْنَ ظَهْرَي الرَّوْضَةِ رَجُلٌ طَوِيلٌ لا أَكادُ أَرَىٰ رَأْسَهُ طُولًا في السَّماءِ، وَإِذَا حَوْلَ الرَّجُلِ مِنْ أَكْثَرِ وِلدانٍ رَأَيْتُهُمْ قَطُّ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ وَمَا هؤلاءِ؟ قالا لي: انْطَلِقِ انطلقْ، فَانْطَلَقْنَا، فَأَتَيْنَا إِلَىٰ دَوْحَةٍ عَظِيمةٍ لَمْ أَرَ دَوْحَةً قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهَا، وَلَا أَحْسَنَ! قالا لي: ارْقَ فِيهَا، فارْتَقَيْنَا فِيهَا إِلَىٰ مَدِينَةٍ مَبْنِيَّةٍ بِلَبِنِ (أي: ما يبنىٰ به من طين) ذَهَبٍ وَلَبِنِ فِضَّةٍ، فَأَتَيْنَا بَابَ المَدِينَةِ فَاسْتَفْتَحْنا، فَفُتِحَ لَنَا فَدَخَلْنَاها، فَتَلَقَّانَا رِجَالٌ شَطْرٌ مِنْ خَلْقِهِمْ كَأَحْسَنِ مَا أنت راءٍ! وَشَطْرٌ مِنْهُمْ كأَقْبَحِ مَا أنتَ راءٍ! قالا لهم: اذْهَبُوا فَقَعُوا فِي ذَلِكَ النَّهَرِ، وَإِذَا هُوَ نَهَرٌ مُعْتَرِضٌ يَجْرِي كأَنَّ ماءَهُ المَحْضُ فِي البَيَاضِ، فَذَهَبُوا فَوَقَعُوا فِيهِ. ثُمَّ رَجَعُوا إِلَيْنَا قَدْ ذَهَبَ ذَلِكَ السُّوءُ عَنْهُمْ، فَصَارُوا فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ. قَال: «قالا لِي: هذِهِ جَنَّةُ عَدْنٍ، وهذاك مَنْزِلُكَ، فسَمَا بَصَري صُعُدًا، فإذا قَصْرٌ مِثْلُ الرَّبَابَةِ البَيضاءِ، قالا لي: هذاكَ مَنْزِلك، قلتُ لهما: باركَ اللهُ فيكُما، فذَراني فأدخلَه. قالا لي: أَمَّا الآنَ فَلَا، وأنتَ دَاخِلُهُ، قُلْتُ لهما: فَإِنِّي رَأيتُ مُنْذُ اللَّيْلَة عَجبًا، فما هَذَا الَّذِي رأيتُ؟ قالا لي: أما إنَّا سَنُخْبِرُكَ: أَمَّا الرَّجُلُ الأوَّلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُثْلَغُ رَأْسُهُ بالحَجَرِ، فإنَّهُ الرَّجُلُ يَأْخُذُ القُرآنَ فَيَرفِضُهُ، وينَامُ عَنِ الصَّلاةِ المَكْتُوبَةِ. وأَمَّا الرَّجُلُ الَّذِي أَتَيْتَ عَلَيْهِ يُشَرْشَرُ شِدْقُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، ومِنْخَرُهُ إِلَىٰ قَفَاهُ، وَعَيْنُهُ إِلَىٰ قفاهُ، فإنَّهُ

الرَّجُلُ يَغْدُو مِنْ بَيْتِهِ فَيَكْذِبُ الكَذْبَةَ تَبْلُغُ الآفاقَ. وأَمَّا الرِّجَالُ والنِّسَاءُ العُراةُ الَّذِينَ هُمْ في مِثْلِ بناءِ التَّنُّورِ، فَإِنَّهُمُ الزُّناةُ والزَّواني، وأما الرجلُ الذي أتيتَ عليهِ يَسْبَحُ في النهرِ، ويلقم الحجارةَ، فإنَّهُ آكلُ الربا، وأَمَّا الرَّجُلُ الكَرِيهُ المَرْآةِ الَّذِي عِنْدَ النَّارِ يَحُشُّهَا وَيَسْعَىٰ حَوْلَهَا، فإنَّهُ مالكٌ خازنُ جَهَنَّمَ، وأَمَّا الرَّجُلُ الطَّوِيلُ الَّذِي في الرَّوْضَةِ، فإِنَّهُ إبراهيم ﷺ، وأَمَّا الوِلْدَانُ الَّذِينَ حَوْلَهُ، فكلُّ مَوْلُودٍ ماتَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ».

وفي رواية البَرْقانِيِّ: «وُلِدَ عَلَىٰ الفِطْرَةِ». فَقَالَ بعض المُسلمينَ: يَا رسول الله، وأولادُ المُشركينَ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وأولادُ المشركينَ، وأما القومُ الذينَ كانُوا شَطْرٌ مِنْهُمْ حَسَنٌ، وشَطْرٌ مِنْهُمْ قَبيحٌ، فإِنَّهُمْ قَومٌ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وآخَرَ سَيِّئًا، تَجاوَزَ اللهُ عنهم». رواه البخاري.

وفي روايةٍ لَهُ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أتَيَانِي فأخْرَجَانِي إِلَىٰ أَرْضٍ مُقَدَّسَةٍ».

ثُمَّ ذَكَرَهُ وقال: «فَانْطَلَقْنَا إِلَىٰ نَقْبٍ مثلِ التَّنُّورِ، أعْلاهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ واسِعٌ؛ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نارًا، فإذا ارْتَفَعَتِ ارْتَفَعُوا حَتَّىٰ كَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا، وَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وفيها رِجالٌ ونِساءٌ عراةٌ».

وفيها: «حَتَّىٰ أَتَيْنَا عَلَىٰ نَهرٍ مِنْ دَمٍ – ولم يَشُكَّ – فِيهِ رَجُلٌ قائِمٌ عَلَىٰ وَسَطِ النَّهْرِ وعلىٰ شطِّ النَّهرِ رجلٌ، وبينَ يديهِ حِجارةٌ، فأقبلَ الرجلُ الذي في النَّهرِ، فَإِذَا أَرادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَىٰ الرَّجُلُ بِحَجَرٍ في فِيهِ، فَرَدَّهُ حيثُ كَانَ، فَجعَلَ كُلَّمَا جاءَ لِيَخْرُجَ جعَلَ يَرْمِي في فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كما كَانَ».

وفيها: «فَصَعِدَا بي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلَانِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ».

وفيها: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ فَكَذَّابٌ، يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّىٰ تَبْلُغَ الآفاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ مَا رَأَيْتَ إِلَىٰ يومِ القِيَامَةِ».

وَفِيهَا: «الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ، وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بالنَّهارِ، فَيُفْعَلُ بِهِ إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ، والدَّارُ الأولَىٰ الَّتي دَخلْتَ دارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وأَمَّا هٰذِهِ الدَّارُ فَدارُ الشُّهَداءِ، وأنا جِبْرِيلُ، وهذا مِيكائيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا فَوْقِي

مِثْلُ السَّحابِ، قالا: ذاكَ مَنزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أدْخُلُ مَنْزِلي، قالا: إنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ، فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَهُ أتَيْتَ مَنْزِلَكَ». رواه البخاري.

قَوْله: «يَثْلَغ رَأسَهُ» هُوَ بالثاءِ المثلثةِ والغينِ المعجمة، أي: يَشدَخُهُ ويَشُقُّهُ. قوله: «يَتَدَهْدَهُ» أي: يَتَدَحْرجُ. و«الكَلُّوبُ» بفتح الكاف وضم اللام المشددة، وَهُوَ معروف. قَوْله: «فَيُشَرْشِرُ» أي: يُقَطِّعُ. قَوْله: «ضَوْضَوْا» وَهُوَ بضادين معجمتين، أي: صاحوا. قَوْله: «فَيَفْغَرُ» هُوَ بالفاء والغين المعجمة، أي: يفتح. قَوْله «المَرآة» هُوَ بفتح الميم، أي: المنظر. قَوْله: «يَحُشُّها» هُوَ بفتح الياءِ وضم الحاء المهملة والشين المعجمة، أي: يوقِدُها. قَوْله: «رَوْضَةٍ مُعْتَمَّةٍ» هُوَ بضم الميم وإسكان العين وفتح التاء وتشديد الميم، أي: وافية النَّباتِ طَويلَته. قَوْلُهُ: «دَوْحَةٌ» وهي بفتحِ الدال وإسكان الواو وبالحاءِ المهملة: وهي الشَّجَرَةُ الكَبيرةُ. قَوْلهُ: «المَحْضُ» هُوَ بفتح الميم وإسكان الحاء المهملة وبالضَّادِ المعجمة، وَهُوَ: اللَّبَنُ. قَوْلهُ «فَسَمَا بَصَرِي» أي: ارْتَفعَ. و«صُعُدًا» بضم الصاد والعين، أي: مُرْتَفعًا. و«الرَّبَابَةُ» بفتح الراءِ وبالباء الموحدة مكررةً، وهي: السَّحابَة.

٢٦١- باب بيان ما يجوز من الكذب

اعلَمْ أنَّ الكَذِبَ، وإنْ كَانَ أصْلُهُ مُحَرَّمًا، فَيَجُوزُ فِي بَعْضِ الأحْوَالِ بِشُروطٍ قَدْ أوْضَحْتُهَا في كتاب «الأذكار»، ومُخْتَصَرُ ذَلِكَ: أنَّ الكلامَ وَسيلَةٌ إِلَىٰ المَقَاصِدِ، فَكُلُّ مَقْصُودٍ مَحْمُودٍ يُمْكِنُ تَحْصِيلُهُ بِغَيْرِ الكَذِبِ يَحْرُمُ الكَذِبُ فِيهِ، وإنْ لَمْ يُمْكِنْ تَحْصِيلُهُ إلَّا بالكَذِبِ، جازَ الكَذِبُ. ثُمَّ إنْ كَانَ تَحْصِيلُ ذَلِكَ المَقْصُودِ مُبَاحًا كَانَ الكَذِبُ مُبَاحًا، وإنْ كَانَ وَاجِبًا، كَانَ الكَذِبُ وَاجِبًا. فإذا اخْتَفَىٰ مُسْلِمٌ مِنْ ظَالِمٍ يُرِيدُ قَتْلَهُ، أَوْ أَخذَ مَالِهِ وأخفىٰ مالَه وَسُئِلَ إنْسَانٌ عَنْهُ، وَجبَ الكَذِبُ بإخفَائِه.

وكذا لو كانَ عِندَهُ وديعَةٌ، وأراد ظالمٌ أخذها، وجبَ الكذبُ بإخفائها.

وَالأحْوَطُ فِي هَذَا كُلِّهِ أنْ يُوَرِّيَ، ومعنىٰ التورية: أنْ يَقْصِدَ بِعِبَارَتِهِ مَقْصُودًا صَحيحًا لَيسَ هُوَ كَاذِبًا بالنِّسْبَةِ إلَيْهِ، وإنْ كَانَ كَاذِبًا فِي ظَاهِرِ اللَّفْظِ، وبالنِّسْبَةِ إِلَىٰ مَا يَفْهَمُهُ المُخَاطَبُ، وَلَوْ تَرَكَ التَّوْرِيَةَ وَأطْلَقَ عِبَارَةَ الكَذِبِ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ فِي هَذَا الحَالِ.

وَاسْتَدَلَّ العُلَمَاءُ بِجوازِ الكَذِبِ فِي هذه الحَالِ بِحَديثِ أُمِّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سمعت

رسول الله ﷺ يَقولُ: «لَيسَ الكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ، فَيَنْمِي خَيْرًا (أي: يبلغ على وجه الإصلاح وطلب الخير) أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». متفق عليه. زاد مسلم في رواية: قالت أُمُّ كُلْثُوم: وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ في شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُ النَّاسُ إِلَّا في ثَلَاثٍ. تَعْنِي: الحَرْب، والإِصْلَاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَديثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

٢٦٢- باب الحث على التثبت فيما يقوله ويحكيه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالَىٰ: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

(١٥٤٧/ ٢٦٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «كَفَىٰ بالمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ». رواه مسلم.

(١٥٤٨/ ٢٦٢) وعن سَمُرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنْ حَدَّثَ عَنِّي بِحَديثٍ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذِبٌ فَهُوَ أَحَدُ الكَاذِبِينَ». رواه مسلم.

(١٥٤٩/ ٢٦٢) وعن أسماءَ رضي الله عنها: أن امرأةً قالت: يا رسولَ الله، إنَّ لِي ضَرَّةً (أي: الزوجة الأخرىٰ) فهل عَلَيَّ جُنَاحٌ إنْ تَشَبَّعْتُ مِنْ زَوْجِي غَيْرَ الَّذِي يُعْطِيني؟ فَقَالَ النبيُّ ﷺ: «المُتَشَبِّعُ بما لَمْ يُعْطَ كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ». متفق عليه. «وَالمُتَشَبِّعُ»: هُوَ الَّذِي يُظْهِرُ الشِّبَعَ وَلَيْسَ بِشَبْعَان. ومعناهُ هُنَا: أَنْ يُظْهِرَ أَنَّهُ حَصَلَ لَهُ فَضِيلَةٌ وَلَيْسَتْ حَاصِلَةً. «وَلابِسُ ثَوْبَي زُورٍ» أَي: ذِي زُورٍ، وَهُوَ الَّذِي يُزَوِّرُ عَلَىٰ النَّاسِ، بِأَنْ يَتَزَيَّا بِزيِّ أَهْلِ الزُّهْدِ أَو العِلْمِ أَو الثَّرْوَةِ، لِيَغْتَرَّ بِهِ النَّاسُ وَلَيْسَ هُوَ بِتِلْكَ الصِّفَةِ. وقيل غير ذلك. والله أعلَمُ.

* * *

(الكذب)

إن الكذبَ مِن أقبح الصفات والخلال وأوضعها؛ لهذا نهت عنه الشريعة الغراء، والكذب نقيض الصدق، وصاحبه محتقر لا يصدقه الناس وإن صدق؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي ٱلْكَذِبَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [النحل: ١٠٥].

قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يَضْمَنُ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ (أي: لسانه الذي بين فكّيه) وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ أَضْمَنُ لَهُ الجَنَّةَ» [البخاري برقم (٦٤٧٤)].

وقال رسولُ الله ﷺ: «وَهَلْ يَكُبُّ النَّاسَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ». أحمد في مسنده (٥/ ٢٣١) برقم (٢٢٠٦٩)، وقال الأرنؤوط: صحيح بطرقه وشواهده.

وروي عن صفوان بن سليم مرسلًا: يَا رَسُولَ الله، أيَكُونُ الْمُؤْمِنُ جَبَانًا؟ قَالَ: «نَعَمْ». أيَكُونُ الْمُؤْمِنُ بَخِيلًا؟ قَالَ: «نَعَمْ». قِيلَ: أيَكُونُ الْمُؤْمِنُ كَذَّابًا؟ قَالَ: «لا». مالك في الموطأ (٢/ ٩٩٠) برقم (١٧٩٥).

وقيل في منثور الحكم: الكذاب لص؛ لأن اللص يسرق مالَكَ، والكذاب يسرق عقلك. وقيل: الخَرَس (أي: الصمت) خير من الكذب. وقيل: الصادق مَصُونٌ جليل، والكاذب مَهِينٌ ذليل.

فالكذب هو جِماع كلِّ شر، ورأس الذنوب، وأصل كل ذم؛ لسوء عواقبه، وخبث نتائجه، والكذب يجر إلىٰ النميمة، ومنها إلىٰ البغضاء، ثم إلىٰ العداوة، وليس مع العداوة أمن ولا راحة؛ لهذا قيل: من قلَّ صِدقه قلَّ صديقه (أي: المقصود صديق الحق وليس الباطل).

فالكذب عكس الصدق؛ لأنه إخبار أو إبلاغ عن الشيء بخلاف ما هو عليه، واتفاق الناس علىٰ نقل الأخبار الصادقة أمر ممكن؛ لأن الصدق مقبول شرعًا وعقلًا ومروءة وخلقًا، ولكن لا يجوز اجتماع الناس واتفاقهم علىٰ نقل الأخبار الكاذبة؛ لأن الكذب غير نافع ولا مقبول شرعًا ولا عقلًا ولا خلقًا، فحِرْصُ الناس علىٰ أن ينتسبوا لفضيلةِ الصدق شرفٌ لهم يوجب عليهم المحافظة عليه وإن أعقب ذلك شرًّا عليهم.

والخسة والمهانة التي تُصيب المرء بنقل الأخبار الكاذبة أولىٰ بالاطراح والترك وإن أعقب ذلك خيرًا ماديًّا، والناس لا يحبون بالفطرة الانتساب للكاذبين. فقال ابن السماك: ما أحْسَبني أُؤْجَرُ علىٰ تَرْك الكذب؛ لأني أترُكه أَنَفةً (أي: تعففًا).

فهو علىٰ ما فيه من الموبقات تأباه النفوس الأبية والطباع السليمة؛ لأنه مُذِلٌّ للنفس مُضيِّع للمروءة، ولو لم يترك العاقل الكذب إلا مروءة لكان بذلك جديرًا، فكيف وفيه الإثم والعار؟!

الأسباب الداعية إلى الكذب:

أولا: رغبة الكاذب في اجتلاب منفعة أو دفع مضرة، فتُوهمه نفسه الأَمَّارة بالسوء أن الكذبَ أسلمُ وأضمن لمنفعته وسلامته، وأكثر ما يكون ذلك في البيع والشراء أو في التقرب إلىٰ أهل السلطان أو رئيس مجلسٍ من المجالس، وذلك بالنفاق والكذب من أجل دفع المضرات عن نفوسهم التي يتوهمونها.

قال عمر رضي الله عنه: لَأَن يضعني الصدق (أي: ينزل قدري)، وقلما يضع، أحبُّ إليَّ من أن يرفعني الكذب وقلما يفعل.

وقيل: الصِّدق مُنجيك وإن خِفْتَه، والكذبُ مُردِيك (أي: مُهلِكُك) وإن أَمِنْتَه (أي: أمنت العقاب بسببه).

قال الجاحظ: الصدق والوفاء توءمان، والصبر والحِلم توءمان، فيهن تمام كل دين وصلاح كل دنيا، وأضدادهما (أي: الكذب والخيانة) سبب كل فُرْقة وأصل كل فساد.

ثانيا: رغبة المرء في أن يكون حديثه مستظرفًا وكلامه عذبًا، وليكون سببًا في إضحاك الناس منه لاستخفاف دمه، وهذا لأن بعض الصدق لا يكون لذيذًا ولا ظريفًا في الكلام، فبسبب هذا يُستحلىٰ كلام الكذب، مع أنه صادر عن مهانة نفسه وانحطاط قدره وهمته، أو عن احتيال لطلب رزق بطريقة مهينة أو لرغبة منفعة من أصحاب الثراء الذين يحبون التلهي بسماع الأحاديث المضحكة المسلية، فيُحِب أن يكون لهم بهلوانًا «بلياتشو» فيُستدعَىٰ فقط للتسلية بكذبه ثم يُشتَهر بالكذب ويُنسب إليه حتىٰ وإن لم يفعله، وكفىٰ بذلك مهانةً وذلًّا.

قال الجاحظ: لم يكذب أحد قط إلا لصغر قدر نفسه عنده.

ثالثا: التشفي من عدوه والنكاية به، فيصفه بقبائح ليست فيه انتقاصًا لقدره بين الناس وحطًّا من شأنه، وهذا أسوأ من السابقين؛ لأنه جَمَع بين كذبٍ مشين وشرٍّ مهين.

رابعا: أن يصير الكذب له عادة أَلِفَتْها نفسه مُنقادَةً، حتىٰ لو أحب تركها عسر ذلك عليه؛ لأن العادة طبعٌ ثان والعادة أملك.

قال حكيم: من استحلىٰ رضاع الكذب عَسُر فِطامُه.

وبعد ذلك يُصدِّق الكاذبُ نفسَه فيؤدي بها إلىٰ الهلاك؛ لأنه لا يستطيع حتىٰ في الحقيقة أن يُصدِّق نفسه.

خامسا: قلة دينه ونقص مروءته، فإنه لا يجد من دينه الضعيف ما يمنعه من الكذب مع قلة مروءته، وتُنسَب للكاذب نوادر الكذب المجهولة، وتضاف له كذبات، حتىٰ يصير مكذوبًا.

أنواع الكذب:

أولا: الكذب المتعلق بأموال وأعراض الناس، وهو من أشد الكبائر، فقد قال رسولُ الله ﷺ: «أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟». قلنا: بلىٰ يا رسول الله. قال: «الشِّرْكُ بِاللهِ، ثُمَّ عُقُوقُ الوَالِدَيْنِ» وكان متكئًا فجلس ثم قال: «أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ» فما زال يكررها حتىٰ قلنا: ليته سكت. متفق عليه.

وقال ﷺ: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ (أي: بالحلف الكاذب) فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ» فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: وَإِنْ كَانَ شَيْئًا يَسِيرًا يا رسولَ الله؟ قَالَ: «وَإِنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ». مسلم برقم (١٣٧).

وفي هذا الكذب والجرأة علىٰ الله باستعمال اسمه ﷻ كذب واعتداءٌ علىٰ حق الناس، فعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». فقال أبو ذَرٍّ: خَابُوا وَخَسِرُوا، خَابُوا وَخَسِرُوا، خَابُوا وَخَسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُولَ الله؟ فقال ﷺ: «الْمُسْبِلُ إِزَارَهُ، وَالْمُنْفِقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ، وَالْمَنَّانُ». مسلم برقم (١٠٦).

ثانيا: ما لا يتعلق بحقوق العباد، ولكنه يؤكد كلامه حلفًا باليمين، ففيه جرأة علىٰ الله واستهانة بالكذب، فعن النبي ﷺ أنه قال: «مَا حَلَفَ حَالِفٌ بِاللهِ يَمِينًا صَبْرًا (أي: قسمًا مُلزمًا مجبرًا عليه) فَأَدْخَلَ فِيهَا مِثْلَ جَنَاحِ بَعُوضَةٍ إِلَّا جَعَلَهُ اللهُ نُكْتَةً (أي: أثرًا أو نقطة سوداء) فِي قَلْبِهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ». أحمد في مسنده (٣/ ٤٩٥) برقم (١٦٠٨٦)، والحاكم برقم (٧٨٠٨)، وقال صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

ثالثا: ما ليس متعلقًا بحقوق الناس ولا يحلف بالله فيه، ولكن لِيُضحِك الناس والأطفال بالسخرية، فعن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «وَيْلٌ لِلَّذِي يُحَدِّثُ فَيَكْذِبُ لِيُضْحِكَ بِهِ الْقَوْمَ، وَيْلٌ لَهُ، وَيْلٌ لَهُ». أحمد في مسنده (٥/ ٧) برقم (٢٠٠٨٥)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

فقد استهان بأمر الكذب من استلذَّه ليشجع به الأولاد والصبيان ليقلدوه، فتعم البلوىٰ كما نرىٰ.

رابعا: الكذب علىٰ الله والرسول، وهذا من أفحش الكبائر وأشدها خطرًا علىٰ الدين؛ قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

لكن الشرع أباح لنا ارتكاب بعض المنهيات للضرورة، فأجاز للمُضطَرِّ أكلَ مال

الغير لدفع الجوع الذي يصل إلىٰ حد الهلاك، فقد تقرَّر من مبادئ الشريعة أن الضرورات تُبيح المحظورات.

كما أجاز ارتكابَ أخفِّ المفسدتين وأهونِ الشَّرَّيْن متىٰ كان بينهما تعارض، فمن هُدِّد بالقتل إكراهًا ليتكلم بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان رُخِّص له في ذلك، ولكن الشرع قيَّد ذلك بالقدر المعتبر، وليس علىٰ هوىٰ الناس، وذلك أيضًا مما تقرر من بدهيات الشريعة من أن الضرورات تقدر بقدرها ويسعىٰ في إزالتها؛ فلا يجوز للجائع أن يأكل من مال غيره إلا بالقدر الذي يحفظ حياته ويدفع عنه الهلاك.

وكذلك الأمر للمُكرَه متىٰ استطاع تحمُّل التهديد والتخوف، دون مرحلة القتل، فلا يتكلم بالكفر؛ لأن القدر الزائد عن حدِّ الضرورة كأنه اعتداء علىٰ صاحب الحق، فلا يجوز ارتكاب ما نهىٰ الشرع عنه والتساهل في الرخص الشرعية لأجل المصالح والتمتع بالشهوات تحت ستار الضرورة.

ولهذا فإن الكذب وإن كان حرامًا فهو يُباح في بعض الأحيان متىٰ كان في الجهر بالصدق خشيةُ ضررٍ أو فتنةٍ أو هلكة أشد شرًّا من الكذب، ويُرجَع في ذلك لأهل العلم والفقه والاختصاص.

والكذب تجري عليه الأحكام الخمسة: فيكون حينًا حرامًا، وحينًا مكروهًا، وحينًا مباحًا جائزًا، وحينًا مندوبًا، وحينًا واجبًا. فلو سعىٰ واحدٌ لقتل آخر بالسلاح، يجب عليك إخفاءُ الشخص المطلوب قتله وستره متىٰ استطعت؛ لأن في ذلك حقنًا للدم، وهذا أمر واجب شرعًا، فإن كان قولُكَ الصِّدْقَ سينجم عنه سفك دم أحدهما فالكذب في إخفائه واجب.

وأما الكذب المباح فمثل قوله ﷺ: «لَيسَ الْكَذَّابُ الَّذِي يُصْلِحُ بَيْنَ النَّاسِ فَيَنْمِي خَيْرًا أَوْ يَقُولُ خَيْرًا». متفق عليه. وفي رواية مسلم [حديث (٢٦٠٥)] زيادة، عن أُمِّ كُلْثُوم بنتِ عُقْبَةَ بن أبي مُعَيْطٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ وَلَمْ أَسْمَعْهُ يُرَخِّصُ فِي شَيْءٍ مِمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ إِلاَّ فِي ثَلاثٍ. تَعْنِي: الحَرْبَ، وَالإِصْلاحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَحَدِيثَ الرَّجُلِ امْرَأَتَهُ، وَحَديثَ المَرْأَةِ زَوْجَهَا.

وشبيه ذلك أن يأخذك ظالم أو حاكم جبار يُريد مالَك، فللمرء أن يُنكر ماله ويكذب، وكذلك إخفاء بعض أسرار أخيك، مثل ماله وسِنه وتطييب قلب مَن تعتذر إليه تجملًا بإنكار الذنب، ولكن بالاعتدال والقسط. والميل إلىٰ الصدق أولىٰ دائمًا، ولكن من دون المساس بحقوق الغير مع حفظ أسرارهم.

وأكثرُ كذبِ الناس لزيادة الجاه والمكانة الاجتماعية، أو الحصول علىٰ الأموال، أو لحظوظ النفس والشهوات الأخرىٰ، فيجب ألا تتعدىٰ في استخدام الرخصة المسموح بها شرعًا حدود الضرورة.

والالتجاء لاستعمال المعاريض، أي عدم الإفصاح بكل مراده، أولىٰ، وقد روي عن عمران بن الحصين: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيضِ لَمَنْدُوحَةً (أي: فُسحة ومُتَّسع) عَنِ الْكَذِبِ». [البخاري في الأدب المفرد برقم (٨٥٧)]، وذلك مما تمس الحاجة إليه في تأديب الصغار والاحتراس من الظَّلَمة وعند لقاء العدو والقتال اضطرارًا؛ لأن الصدق إنما للدلالة علىٰ الحق والدعوة إليه، فالعبرة بالقصد لا بالشكل والصورة، فيتجه إلىٰ المعاريض.

والمِزَاحُ أُبيح فيه استعمال المعاريض بحيث لا يتجاوز حد الاعتدال، مثل قوله ﷺ لامرأة عجوز: «لَا يَدْخُلُ الجَنَّةَ عَجُوزٌ». العراقي في «المغني عن حمل الأسفار» (٢/ ٧٩٥) برقم (٢٩٢٠) وعزاه للترمذي في «الشمائل».

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن في المعاريض ما يكفي أن يُعِفَّ الرجلَ عن الكذب. وقد كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه يسير خلف الرسول ﷺ ليحميه في الهجرة، والعرب يعرفونه ولا يعرفون الرسول ﷺ، فقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: من هذا؟ قال: هادٍ يهديني. [أحمد في مسنده (٣/ ١٢٢) برقم (١٢٢٥٦)].

فصدق أبو بكر في قوله، ووَرَّىٰ وأخفىٰ وأوهم عن مراده.

قال ابن سيرين رضي الله عنه: الكلامُ أوسعُ من أن يُصرَّح فيه بالكذب. وقيل: الكذب في مواطنه كالصدق في مواضعه، ولكن الشأن فيمن يُحسنه ويعرف مداخله ومخارجه، ولا يجهل مضايقه ولا ينساه، بل يحفظه.

ومعلوم أن مِن أعظم الأمور في الدين هما الحربَ والصلحَ، والكذب مباح فيهما

للضرورة. وعلينا أن نسمح لمن لجأ للمعاريض بذلك، فلا نلح في اتصالاتنا لمعرفة كل الحقيقة، ولنسمح للبيوت أن تستر شيئًا من أسرارها، فلا نُلجئ امرأة أو طفلًا إلىٰ الكذب أو الحلف الكاذب لإخفاء أحد والديه أو ما شابه بالإلحاح علىٰ معرفة مكانه أو أحواله، فهذا ليس من المروءة أو الأدب.

* * *

٢٦٣- باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱجۡتَنِبُواْ قَوۡلَ ٱلزُّورِ ۝٣٠﴾ [الحج: ٣٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ۝١٨﴾ [ق: ١٨].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر: ١٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَشۡهَدُونَ ٱلزُّورَ﴾ [الفرقان: ٧٢].

(١٥٥٠/ ٢٦٣) وعن أبي بَكْرَةَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**أَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِأَكْبَرِ الكَبَائِرِ؟**» قُلْنَا: بَلَىٰ يَا رسول الله. قَالَ: «**الإِشْرَاكُ بالله، وعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ**». وكَانَ مُتَّكِئًا فَجَلَسَ، فَقَالَ: «**أَلَا وَقولُ الزُّورِ**». فما زال يُكَرِّرُهَا حَتَّىٰ قلنا: لَيْتَهُ سَكَتَ. متفق عليه.

* * *

(شهادة الزور)

الزور: هو الكذب الذي قد سُوِّيَ وَحَسُنَ في الظاهر ليحسب أنه صدق.

وشهادة الزور: هي الشهادة بالكذب؛ ليتوصل بها إلىٰ الباطل من إتلاف نفس، أو أخذ مال، أو تحليل حرام، أو تحريم حلال، وشهادة الزور من الكبائر.

كبائر شاهد الزور: وشاهِد الزُّور قد ارتكب عظائمَ، وهي:

أحدها: الكذب والافتراء.

الثاني: أنه ظَلَم الذي شهد عليه حتىٰ أخذ بشهادته مالَه وعِرْضه ورُوحه أحيانًا.

الثالث: أنه ظَلَم الذي شهد له، بأن ساق له المال الحرام، فأخذه بشهادته؛ فوجبت له النار؛ مصداقًا لقوله ﷺ: «**مَنْ قَضَيْتُ لَهُ مِنْ مَالِ أَخِيهِ بِغَيْرِ حَقٍّ فَلا يَأْخُذْهُ؛ فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ**». متفق عليه، واللفظ للبخاري.

الرابع: أنه أباح ما حرَّم الله تعالىٰ من المال والدم والعرض، فقد قَالَ رَسُول الله ﷺ: «**الْمُسْلِمُ أَخُو الْـمُسْلِمِ، لا يَخُونُهُ، وَلا يَكْذِبُهُ، وَلا يَخْذُلُهُ، كُلُّ الْـمُسْلِمِ عَلَىٰ الْـمُسْلِمِ حَرَامٌ: عِرْضُهُ، وَمَالُهُ، وَدَمُهُ، التَّقْوىٰ هَاهُنَا، بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْـمُسْلِمَ**». متفق عليه، واللفظ لمسلم.

وأجمع الفقهاء علىٰ أن شهادة الزور كبيرة. ولا فرق بين أن يكون المشهود به قليلًا أو كثيرًا، فضلًا عن المفسدة القبيحة الشنيعة جدًّا. وعَدَّ ابنُ حجر العسقلانيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ أن شهادة الزور وقبولها كلاهما من الكبائر.

وشهادة الزور سبب لسخط الله تعالىٰ، وضياع لحقوق الناس وظلمهم، وفيها تقوية للظالم وإضعاف للمظلوم، وهي سبب للحقد والكراهية.

❋ ❋ ❋

٢٦٤- باب تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة

(١٥٥١/ ٢٦٤) عن أَبي زَيْدٍ ثابتِ بن الضَّحَّاك الأنصاريِّ رضي الله عنه، وَهُوَ من أهلِ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ، قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمِينٍ بِمِلَّةٍ غَيرِ الإسْلَام كاذبًا مُتَعَمِّدًا، فَهُوَ كَما قَالَ، وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيءٍ، عُذِّبَ بِهِ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ عَلَىٰ رَجُلٍ نَذْرٌ فيما لا يَمْلِكُهُ، وَلَعْنُ المُؤْمِنِ كَقَتْلِهِ**». متفق عليه.

(١٥٥٢/ ٢٦٤) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «**لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أنْ يَكُونَ لَعَّانًا**». رواه مسلم.

(١٥٥٣/ ٢٦٤) وعن أَبي الدرداءِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لا يَكُونُ اللَّعَّانُونَ شُفعَاءَ، وَلا شُهَدَاءَ يَوْمَ القِيَامَةِ**». رواه مسلم.

(١٥٥٤/ ٢٦٤) وعن سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «**لا تَلاعَنُوا بلَعْنَةِ الله، وَلا بِغَضَبِهِ، وَلا بِالنَّارِ**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٥٥٥/ ٢٦٤) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَيْسَ المُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ (أي: الوقاع في أعراض الناس بالذم والغيبة والطعن في النسب)، وَلَا اللَّعَّانِ، وَلَا الفَاحِشِ، وَلَا البَذِيء». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٥٥٦/ ٢٦٤) وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ العَبْدَ إِذَا لَعَنَ شَيْئًا، صَعِدَتِ اللَّعْنَةُ إِلَىٰ السَّماءِ، فَتُغْلَقُ أبْوابُ السَّماءِ دُونَهَا، ثُمَّ تَهْبِطُ إِلَىٰ الأرْضِ، فَتُغْلَقُ أبوابُهَا دُونَهَا، ثُمَّ تَأخُذُ يَمِينًا وَشِمالًا، فَإذا لَمْ تَجِدْ مَسَاغًا (أي: مدخلًا وطريقًا) رَجَعَتْ إِلَىٰ الَّذِي لُعِنَ، فإنْ كَانَ أهْلًا لِذلِكَ، وإلَّا رَجَعَتْ إِلَىٰ قَائِلِهَا». رواه أبو داود.

(١٥٥٧/ ٢٦٤) وعن عِمْران بن الحُصَيْن رضي الله عنهما قَالَ: بَيْنَمَا رسُولُ الله ﷺ فِي بَعْضِ أسْفَارِه، وَامْرأةٌ مِنَ الأنْصَارِ عَلَىٰ نَاقَةٍ، فَضَجِرَتْ فَلَعَنَتْهَا، فَسَمِعَ ذَلِكَ رسُولُ الله ﷺ فقالَ: «خُذُوا مَا عَلَيْهَا وَدَعُوهَا؛ فَإنَّهَا مَلْعُونَةٌ». قال عِمْران: فَكَأنِّي أرَاهَا الآنَ تَمْشِي في النَّاسِ مَا يَعْرِضُ لَهَا أحَدٌ. رواه مسلم.

(١٥٥٨/ ٢٦٤) وعن أبي بَرْزة نَضْلة بن عُبَيد الأسلميِّ رضي الله عنه قَالَ: بَيْنَمَا جَارِيَةٌ عَلَىٰ نَاقَةٍ عَلَيْهَا بَعْضُ مَتَاعِ القَوْمِ. إِذْ بَصُرَتْ بالنَّبيِّ ﷺ، وتضايق بهم الجبل فقالت: حَلْ، اللَّهُمَّ الْعَنْهَا. فَقَالَ النَّبيُّ ﷺ: «لَا تُصَاحِبْنَا نَاقَةٌ عَلَيْهَا لَعْنَةٌ». رواه مسلم. قَوْلُهُ: «حَلْ» بفتح الحاء المهملة وَإسكانِ اللَّام: وَهِيَ كَلِمَةٌ لِزَجْرِ الإبِلِ. وَاعْلَمْ أنَّ هَذَا الحَدِيثَ قَدْ يُسْتَشكَلُ مَعْنَاهُ، وَلَا إشْكَالَ فِيهِ، بَلِ المُرَادُ النَّهْيُ أنْ تُصَاحِبَهُمْ تِلْكَ النَّاقَةُ، وَلَيْسَ فِيهِ نَهْيٌ عَنْ بَيْعِهَا وَذَبْحِهَا وَرُكُوبِهَا فِي غَيْرِ صُحْبَةِ النَّبيِّ ﷺ، بَلْ كُلُّ ذَلِكَ وَمَا سِوَاهُ مِنَ التَّصَرُّفَاتِ جَائِزٌ لا مَنْعَ مِنْهُ، إلَّا مِنْ مُصَاحبَتِه ﷺ بِهَا؛ لأنَّ هذِهِ التَّصَرُّفَاتِ كُلَّهَا كَانَتْ جَائِزَةً فَمُنِعَ بَعْضُ مِنْهَا، فَبَقِيَ البَاقِي عَلَىٰ مَا كَانَ. واللهُ أعلم.

٢٦٥- باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين

(أي: ويُقصَد بالتعيين ذِكْر شخصٍ بعينه واسمه تحديدًا)

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾ [هود: ١٨].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ [الأعراف: ٤٤].

وثبت في الصحيح: أن رسولَ الله ﷺ قال: «لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ (أي: التي تصل شعر المرأة بشعر آخر) وَالمُسْتَوْصِلَةَ (أي: التي تطلب من يصل لها شعرها)». وأنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ آكِلَ الرِّبَا».

وأنه لعن المصورين. وأنه قال: «لَعَنَ اللهُ مَنْ غيَّرَ مَنَارَ الأَرْضِ». أي: حُدُودهَا.

وأنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ السَّارِقَ يَسْرِقُ البَيْضَةَ».

وأنَّهُ قَالَ: «لَعَنَ اللهُ مَنْ لَعَنَ وَالِدَيهِ». و«لَعَنَ اللهُ من ذَبَحَ لِغَيْرِ الله».

وَأنّه قَالَ: «مَنْ أَحْدَثَ فِيهَا (أي: ارتكب الآثام والمعاصي) حَدَثًا أَوْ آوىٰ مُحدِثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَة والنَّاسِ أجْمَعينَ». وأنَّه قَالَ: «اللَّهُمَّ الْعَنْ رِعْلًا، وَذَكْوانَ، وعُصَيَّةَ: عَصَوُا الله وَرَسُولَهُ». وهذِهِ ثَلَاثُ قَبَائِلَ مِنَ العَرَبِ.

وأنَّه قَالَ: «لَعَنَ اللهُ اليَهُودَ اتَّخَذُوا قُبورَ أَنْبِيائِهِمْ مَسَاجِدَ».

وأنهُ لَعَنَ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّساءِ والمُتَشَبِّهاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجالِ.

وَجَميعُ هذِهِ الألفاظِ في الصحيح؛ بعضُها في صَحيحَيِ البُخاري ومسلمٍ، وبعضها في أحَدِهِمَا، وإنما قصدتُ الاختِصَارَ بالإشارةِ إلَيهِمَا، وسأذكر معظمها في أبوابها من هَذَا الكتاب، إن شاء الله تَعَالَىٰ.

٢٦٦- باب تحريم سب المسلم بغير حق

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٥٥٩/ ٢٦٦) وعن ابن مسعودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سِبَابُ (أي: السب والشتم الشديد) المُسْلِمِ فُسُوقٌ، وَقِتالُهُ كُفْرٌ». متفق عليه.

(١٥٦٠/ ٢٦٦) وعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّه سَمِعَ رسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ: «لَا يَرْمِي رَجُلٌ رَجُلًا بِالفِسْقِ أَوِ الكُفْرِ، إِلَّا ارْتَدَّتْ عَلَيْهِ، إنْ لَمْ يَكُنْ صَاحِبُهُ كذَلِكَ». رواه البخاري.

(١٥٦١/ ٢٦٦) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «المُتَسَابَّانِ مَا قَالَا (أي: كل ما قالوه) فَعَلَىٰ البَادِي منهُما حَتَّىٰ يَعْتَدِيَ المَظْلُومُ». رواه مسلم.

(١٥٦٢/ ٢٦٦) وعنه قَالَ: أُتِيَ النَّبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَجُلٍ قَدْ شرِبَ (أي: خمرا) قَالَ: «اضربوهُ». قَالَ أَبُو هريرة: فَمِنَّا الضارِبُ بيدِه، والضَّارِبُ بِنعْلِهِ، والضَّارِبُ بثَوْبِهِ. فَلَمَّا انْصرَفَ، قَالَ بَعْضُ القَوْمِ: أخْزَاكَ اللهُ! قَالَ: «لا تَقُولُوا هَذَا، لا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ». رواه البخاري.

(١٥٦٣/ ٢٦٦) وعنهُ قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ قَذَفَ مَمْلُوكَهُ بِالزِّنَا يُقَامُ عَلَيْهِ الحَدُّ يومَ القِيَامَةِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ كما قَالَ». متفق عليه.

٢٦٧- باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية

وَهُوَ التَّحْذِيرُ مِنَ الاقْتِدَاءِ بِهِ فِي بِدْعَتِهِ، وَفِسْقِهِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَفِيهِ الآيَةُ والأَحادِيثُ السَّابِقَةُ فِي البَابِ قَبْلَهُ.

(١٥٦٤/ ٢٦٧) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَسُبُّوا الأَمْوَاتَ، فَإِنَّهُمْ قَدْ أَفْضَوْا (أي: وصلوا) إِلَىٰ مَا قَدَّمُوا». رواه البخاري.

٢٦٨- باب النهي عن الإيذاء

قال الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٥٦٥/ ٢٦٨) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قالَ: قال رسول الله ﷺ: «المُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ المُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، والمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا نَهَىٰ اللهُ عَنْهُ». متفق عليه.

(١٥٦٦/ ٢٦٨) وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَحبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، ويُدْخَلَ الجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ باللهِ وَاليومِ الآخِرِ، وَلْيَأْتِ (أي: يؤدي) إِلَىٰ النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَىٰ إِلَيْهِ». رواه مسلم، وَهُوَ بعض حديثٍ طويلٍ سبق في بابِ طاعَةِ وُلَاةِ الأُمُورِ.

٢٦٩- باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩].

(١٥٦٧/ ٢٦٩) وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا (أي: لا تتهاجروا)، وَلَا تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عليه.

(١٥٦٨/ ٢٦٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «تُفْتَحُ أَبْوابُ الجَنَّةِ يَوْمَ الإِثْنَيْنِ

ويَوْمَ الخَميسِ، فَيُغْفَرُ لِكُلِّ عَبْدٍ لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، إِلَّا رَجُلًا كَانَتْ بينَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْناءُ فَيُقَالُ: أَنْظِرُوا هَذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا! أَنْظِرُوا هَذَينِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا!». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: «تُعْرَضُ الأعْمالُ في كُلِّ يَوْمِ خَميسٍ واثْنَيْن». وذَكَرَ نَحْوَهُ.

٢٧٠- باب تحريم الحسد

وَهُوَ تَمَنِّي زوال النعمة عن صاحبها، سواءٌ كانت نعمةَ دِين أو دُنْيا.

قال الله تعالىٰ: ﴿أَمۡ يَحۡسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۖ﴾ [النساء: ٥٤].

وفيه حديث أنس السابق في الباب قبله.

(١٥٦٩/ ٢٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالحَسَدَ؛ فَإِنَّ الحَسَدَ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحطَبَ- أو قالَ: العُشْبَ». رواه أبو داود.

* * *

(الحسد)

إذا غضبَ الإنسان ممن هو فوقه في المقام، كمن يغضب من رئيسه أو مديره مثلًا، يُسمَّىٰ ذلك الغضب غيظًا، فإذا كَظَم المرء منا غيظه وعجز عن التشفِّي انقلب شعورُه ذلك إلىٰ الباطن فتحوَّل في داخله إلىٰ الحقد، وهو رغبة الانتقام، ومن علامته دوام بغض وكره الشخص والنفور منه. فالغضب ثمرته الحقد، والحقد يؤدي إلىٰ الحسد وهو تمني زوال نعمة المحسود.

فعن الزبير بن العوام رضي الله عنه يرفعه: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، وَالْبَغْضَاءُ هِيَ الْحَالِقَةُ، لا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ». أحمد في مسنده (١/ ١٦٧) برقم (١٤٣٠).

وقال رسولُ الله ﷺ: «لا تَبَاغَضُوا، وَلا تَقَاطَعُوا، وَلا تَحَاسَدُوا، وَلا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا». متفق عليه.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تعادوا نعم الله تعالىٰ. قيل: ومن يعادي نعم الله؟ قال: الذين يحسدون الناس علىٰ ما آتاهم الله من فضله. فاعلم أن الحاسد إذا رأىٰ نعمة بُهِت واغتاظ، وإذا رأىٰ عَثْرة ومصيبة شمت. فإياك والحسدَ فإن ابنَ آدم حسد أخاه فقتله.

واعلم أن أقدر ما يكون إبليس علىٰ ابن آدم عند الغضب.

الحسد المحمود والحسد المذموم: والحسد حالتان:

أما المذمومة: فهي أن تكره النعمة علىٰ أخيك وتحب زوالها منه.

وأما المحمودة: فهي ألا تكره وجود النعمة علىٰ أخيك، ولا تكره زوالها منه، ولكن تشتهي لنفسك مثلها أو أحسن منها، وتُسمىٰ الغِبْطَة، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَسَلَّطَهُ عَلَىٰ هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا». متفق عليه.

وقال ابنُ سِيرين رحمه الله: ما حسدتُ أحدًا علىٰ شيءٍ مِن أَمْر الدنيا؛ لأنه إن كان من أهل الجنة فكيف أحسده علىٰ شيءٍ مِن أَمْر الدنيا وهو يصير إلىٰ الجنة، وإن كان من أهل النار فكيف أحسده علىٰ شيءٍ مِن أَمْر الدنيا وهو يصير إلىٰ النار.

وقال تعالىٰ: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦﴾ [المطففين: ٢٦]؛ لأن النفسَ تُحِبُّ الارتفاعَ عن غيرها، وهذا في طبع الإنسان، والمنافسة من الفضائل؛ لأنها طلبُ التشبه بالأفاضل من غير محاولة إيذائهم أو إدخال الضرر عليهم، وبحسب فضل الإنسان وظهور النعمة عليه يكون حسد الناس له، فإن كثر فضله كثر حساده.

ومما يروىٰ في هذا الباب: «ثَلاثَةٌ لا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطِّيَرَةُ، وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ، فَإِذَا تَطَيَّرْتَ فَلا تَرْجِعْ، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلا تَبْغِ، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ». البيهقي في الشعب (٢/ ٦٣) برقم (١١٧٣).

أسباب الحسد:

أولا: العداوة والبغضاء: فالعداوة تُورِث البُغْض، فالحاسد يكره المحسود لظهور فضل للمحسود أو نعمة تثير عنده حسدًا وبغضًا، فينشأ الحقدُ وهو رغبة الانتقام، فالحاسد حاقد يُريد التَّشفِّي والانتقام، فإذا تحصَّل عدوه علىٰ نعمة ساءه ذلك، وإذا أصابه بلاء فرح وظن أن ذلك من الله مكافأة له.

ثانيا: الكِبْر: فقد يحدث أن بعضًا من معارفه قد تحصَّل علىٰ مال أو سلطة أو جاهٍ، فلعله

يخشىٰ أن يتكبر عليه فلا يُطيق فكرةَ أن يتكبَّر صاحب النعمة عليه، حيث يراه في نظره دونه في القدر والمقام، فلا يحتمل ترفُّعه عليه أو مساواته، وكان هذا قريبًا من حسد الكفار للرسول ﷺ؛ قال تعالىٰ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ۝٣١﴾ [الزخرف:٣١]، وقال تعالىٰ: ﴿أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ۝٥٣﴾ [الأنعام:٥٣]، وقال تعالىٰ: ﴿وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ۝٣٤﴾ [المؤمنون:٣٤] أي: استكبروا أن يكون الرسول بشرًا مثلهم فحسدوه.

ثالثا: حب الرياسة وطلب الجاه: ويكون ممن ابتغىٰ أن يكون وحيد زمانه وفريد عصره وأوانه، حيث يظهر من المحسود فضلٌ يعجز عنه الحاسد، فإذا سمع الحاسد بمساوٍ له في القدر ساءَه ذلك وأحبَّ موتَه وزوالَ نعمتِه مهما كانت، ويكره تقدُّمه وتميُّزَه فيحسده، ولولا ذلك لكَفَّ عنه، وهو أيضًا يحسد مَن علا عنه في الرتبة وقد عجز عن منافسته، حتىٰ لو كانت عبادة لله، بسبب حب الحاسد للتفرد والرياسة، مثلما كره اليهود التصديق بالنبي ﷺ لئلا تبطل رئاستهم لقومهم.

رابعا: خُبْث النفس والشُّح بالخير علىٰ الناس: وهو مَن لا يريد رياسة ولا علوًّا، وإنما يشق عليه إنعام الله علىٰ الناس، ويفرح بتكدُّر حالِهم، فهو أبدًا يحب إدبار النعمة عن غيره؛ كأنهم يأخذونها من ماله وخزائنه. فهنا يكون الحاسد شحيحًا بالفضائل، وبخيلًا بالنعم، ولا يحب أن يراها علىٰ غيره، وهي ليست له فيُعطيها أو يمنعها، وإنما هي ملك لله وحده. وبهذا هو مُتسخِّط علىٰ الله في منحه وعطائه، ليست له راحة ولا غاية لرضاه.

وبحسب فضل الإنسان ونعم الله عليه الظاهرة يكون حسد الناس له، إن كثر فضله كَثُر حُسَّاده، وإن قَلَّ قَلُّوا؛ لأن ظهورَ الفضل يثير الحسد وحدوث النعم يضاعف الكمد، ولهذا قيل: استعينوا علىٰ قضاء حوائجكم بالكتمان؛ فإن كلَّ ذي نعمةٍ محسودٌ.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لكلِّ نعمةٍ حاسدٌ، فلو كان الرجلُ أَقْوَمَ من الرُّمح ما عَدِمَ غامزًا (أي: ما عدم من يريد له أن يميل وينكسر وتزول نعمه). والحسد غالبًا يكون بسبب فضيلة المحسود ونقص الحاسد. والبخيل مَن يبخل بماله، وأما الشحيح فهو الذي يبخل بمال غيره، فهذا بخيل بنعمة الله علىٰ عباد الله حتىٰ ولو كان ليس بينه وبينهم عداوة أو رابطة،

بل بسبب خبث النفس، فهذا مما يصعب علاجه، فكأنه مثل السرطان.

ويكثر الحسد بين الأمثال والأقران كالإخوة وبني العم والجيران والشركاء، وسبب هذا الحسد هو التنافس علىٰ مصالح مشتركة، فيأتي التنافر والتباغض، فالعالم قد يحسد العالم، والعابد قد يحسد العابد، والتاجر قد يحسد التاجر؛ لاشتراك مقاصدهم في الحياة.

فأصل العداوة التزاحم علىٰ غرض واحد، فلا يجتمع متباعدان، أما لو كانوا بين بلدين فلا حسد بينهم، اللهم إلا طالب التفرد والرياسة، ومنشأ جميع ذلك التعلق بحب الدنيا؛ لأنها تضيق علىٰ المتزاحمين بعكس الآخرة فلا تضيق.

فالعلماء إذا قصدوا وجه الله والتقرب إليه بالتعرف إليه وبالإيمان به، وسائر أعمال الإسلام فهذا بحرٌ واسع لا ضِيق فيه، وليس لنعيم ربنا مزاحمة ولا ضيق حتىٰ للناظرين إليه، أما إذا قصدوا الدنيا وجاهها فهذا هو التحاسد، فالعلم يزيد في غيرك دون أن يرتحل منك إليه، بعكس المال فهو يرتحل إلىٰ غيرك إذا ارتحل منك، فمعرفة الله هي الأصل.

دواء وعلاج الحسد:

أولًا: العلم النافع: وهو معرفة أن الحسدَ داءٌ يُؤذي صاحبه ولا يُؤذي المحسود؛ لأنه ألمٌ في القلب مع عدم المنفعة، ثم الآخرة أشدُّ؛ لأن النعمة تدوم علىٰ المحسود بقَدَر الله، ويوم القيامة ينتقم من الحاسد إذا خرج حسده إلىٰ القول والفعل. أما الدنيا فالحاسد مُبتلًىٰ بالغمِّ والعذاب.

ثانيًا: العمل: حيث يفعل نقيض ما يأمر به الحسد؛ فيكلف نفسه المدح للحاسد والثناء عليه، بل ويتواضع له، ويُلزم نفسه الإنعام عليه.

وكان السلف الصالح يهدون الهدية لمن اغتابهم، ورُوي عن الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: أن رجلًا قال له: إن فلانًا قد اغتابك. فبعث إليه الحسن رُطبًا علىٰ طبقٍ وقال: قد بلغني أنك أهديت إليَّ من حسناتك ما أردتُ أن أكافئك عليها، فاعذرني؛ فإني لا أقدر أن أكافئك علىٰ التمام. قال تعالىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ [الفلق: ٥].

قال بعضُ السلف: الحسد أول ذنب عُصِيَ اللهُ به في السماء (أي: حسد إبليس لآدم)،

الحسد أول ذنب عُصِيَ الله به في الأرض (أي: حسد ابن آدم لأخيه حتىٰ قتله).

وقال حكيم: مَن رضي بقضاء الله تعالىٰ لم يُسخِطه أحد، ومَن قَنَع بعطائه لم يَدخُله حَسَدٌ. والحسدُ منتشرٌ كثيرًا بين الناس.

قال حكيم: الناس حاسدٌ ومحسود، ولكلِّ نعمةٍ حَسُود. وقيل: ما رأيتُ ظالمًا أشبهَ بمظلوم من الحسود: تعسٌ دائم، وهمٌّ لازم، وقلب هائم.

وقال معاوية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ليس في خصال الشرِّ أَعْدَلَ من الحسد؛ يَقتل الحاسدَ قبل أن يصل إلىٰ المحسود.

وقيل: يكفيك من الحاسد أنه يغتمُّ في وقت سرورك. وقيل: عقوبة الحاسد من نفسه.

سأل أعرابيٌّ الأصمعيَّ: ما سبب طول عُمُرِك؟ قال: تَرَكْتُ الحسدَ فبَقِيتُ.

قال رجل لشُرَيح القاضي: إني لأحسدك علىٰ ما أرىٰ من صبرك علىٰ الخصوم، ووقوفك علىٰ غامض الحكم. قال: ما نَفَعك اللهُ بذلك ولا ضرَّني.

الحسد والمنافسة: حقيقة الحسد هي شدة الأسىٰ والحزن علىٰ فوات خيراتٍ صارت لأناس أفاضل، أما المنافسة فهي طلب التشبه بهؤلاء الأفاضل من غير إدخال الضرر عليهم. والحسد يؤدي بصاحبه إلىٰ الضرر؛ لأن غايته أن يُذهب عن الأفاضل فضلهم من غير أن يصير الفضلُ إلىٰ الحاسد، فالمنافسة فضيلة؛ لأنها تدعو لاكتساب الفضائل والاقتداء بالأخيار. وقيل: المؤمن يَغبِطُ، والمنافق يَحسُد.

عقاب الحاسد إذا تمكن الحسد منه:

١- حسراتٌ وأسقامٌ بالجسد، ليس لها انتهاء ولا شفاء، فالحسد داء الجسد.

٢- انخفاض منزلته بين الناس إذا اشتهر بذلك، وانصراف الناس عنه، ونفورهم منه، فالحسود لا يسود.

٣- مَقْت الناس له؛ فلا يجد فيهم مُحِبًّا، بل عداوة، ولا يرىٰ فيهم صديقًا أو وليًّا، وقد روي عن ابن عباس أنه لما سئل النبيُّ ﷺ عن شرِّ الناس قال: «مَن يُبْغِضُ النَّاسَ

وَيُبْغِضُونَهُ». الطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٣١٨) برقم (١٠٧٧٥).

٤- التسخُّط والاعتراض علىٰ قدر الله وقضائه، فلا يرىٰ قضاء الله عدلًا، ولا يتنبه لحكمة الله في نعمه علىٰ غيره من الناس، فعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: **«الحَسَدُ يَأْكُلُ الحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الحَطَبَ»** [أبو داود برقم (٤٩٠٣)].

فالحاسد مغتاظ علىٰ مَن لا ذنب له، وبخيل بما لا يملكه، وطامع فيما ليس له، فحاسد النعمة لا يرضيه إلا زوالها والحاسد مكروه من الناس، عدو لهم، لا يحب أحدًا جواره ولا قربه؛ فهو مِعْوَلُ هدمٍ في المجتمع.

❊ ❊ ❊

(الإصابة بالعين)

كثيرٌ من الناس لا يُفرِّقون بين العين والحسد، وهو مُهِمٌّ بالنسبة للعلاج وكيفية التخلص منهما. **فالحاسد** قد يحسد ما لم يَرَهُ أصلًا، وحتىٰ في الأمور المتوقَّعة قبل وقوعها، حيث يستكثر النعمة علىٰ المحسود ويتمنىٰ زوالها أو عدم حصولها.

أما العائن؛ أي الذي يصيب بعينه، فإنه لا يصيب بعينه إلا ما يراه والموجود بالفعل، بنظرةِ عينِه نفسها، وهي نظرةٌ إلىٰ المنظور إليه علىٰ وجه الإعجاب وعلىٰ رغبة الضرر به أيضًا، ولا تكون إلا من نفسٍ خبيثة، حيث تؤثر بمجرد نظرة فيسقط المنظور إليه مريضًا يتحير فيه الطب. ولا شك أن فعله حرام علىٰ الفاعل؛ لشدة ضرره علىٰ المصاب بالعين، وقد نهىٰ النبي ﷺ علىٰ الإنسان أن يضر نفسه أو يضر غيره.

والحسد لا يقع في الأهل والمال، بعكس نظرة العين التي قد تصيب الأهل والمال.

والعين علاجها أيسر من الحسد، وذلك لسهولة معرفة العائن في كثيرٍ من الحالات، ويتم ذلك بالحصول علىٰ أثر منه كبقايا وضوئه أو اغتساله أو شربة ماء، ويتم الاغتسال بها.

والاستعاذة من شر الحسد يدخل فيها ضمنًا الاستعاذة من العين، لبلاغة القرآن الكريم.

❊ ❊ ❊

٢٧١- باب النهي عن التجسس
والتسمع لكلام من يكره استماعه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالىٰ: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٥٧٠/ ٢٧١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ؛ فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، ولاتحسَّسوا وَلَا تَجَسَّسُوا (أي: تُفتِّشوا عن بواطن الأمور بحثًا عن الشر فيها) وَلَا تَنَافَسُوا (أي: في الباطل)، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا كَمَا أَمَرَكُمْ. المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِم، لَا يَظْلِمُهُ، وَلَا يَخْذُلُهُ (أي: يترك إغاثته ونصرته) وَلَا يَحْقِرُهُ، التَّقْوَىٰ هاهُنَا، التَّقْوَىٰ هاهُنَا» ويُشير إِلَىٰ صدره: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ، كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَعِرْضُه، وَمَالُه. إِنَّ اللهَ لا يَنظُرُ إِلَىٰ أَجْسَادِكُم، ولا إِلَىٰ صُوَرِكُم، ولكن يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُم وأَعْمَالِكُم».

وفي رواية: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا (أي: لا تخدعوا المشترين بتزيين السلعة والزيادة الفاحشة في ثمنها) وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانًا».

وفي رواية: «لَا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوانًا».

وفي رواية: «لَا تَهَاجَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ». رواه مسلم بكل هذه الروايات، وروىٰ البخاري أكثرها.

(١٥٧١/ ٢٧١) وعن معاوية رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّكَ إِنِ اتَّبَعْتَ عَوْرَاتِ المُسْلِمِينَ أَفْسَدْتَهُمْ، أَوْ كِدْتَ أَنْ تُفْسِدَهُمْ». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٥٧٢/ ٢٧١) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أَنَّهُ أُتِيَ بِرَجُلٍ فَقِيلَ لَهُ: هَذَا فُلَانٌ تَقْطُرُ لِحْيَتُهُ خَمْرًا، فَقَالَ: إِنَّا قَدْ نُهِينَا عَنِ التَّجَسُّسِ، ولكِنْ إِنْ يَظْهَرْ لَنَا شَيْءٌ نَأْخُذْ بِهِ. حديث حسن صحيح، رواه أبو داود بإسنادٍ عَلَىٰ شَرْطِ البخاري ومسلم.

* * *

(التجسس)

التجسس: هو التفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يُقال عن التجسس أنه يكون في الشر، وهو السؤال عن عورات غيره من الناس؛ يعني أن تَتَبَّعَ عورةَ وعيبَ أخيك فتطَّلِعَ علىٰ سرِّه.

التجسس والتحسس: قال بعض العلماء: هما بمعنًىٰ واحد، وهو طلب معرفة الأخبار.

ولكن جمهور العلماء علىٰ أن هناك فرقًا بينهما: فالتجسس أن يطلب الخبر لحساب غيره، والتحسس أن يطلبه لنفسه. وهذا رأيٌ. ورأيٌ آخر أن التجسُّس هو البحث عن عورات الآخرين، والتحسُّس هو التسمُّع أو التنصت والاستماع. وقيل: التجسس هو البحث عما يُكتَم عنك، والتحسس هو طلب الأخبار والبحث عنها. والتجسس هو البحث عن الأخبار، ومنه الجاسوس. والتحسس هو ما أدركه الإنسان ببعض حواسه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التجسس غالبًا يُطلق في الشر، ومنه الجاسوس، أما التَّحسس فيكون غالبًا في الخير؛ لقوله تعالىٰ: ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ [يوسف: ٨٧].

قال رسول الله ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الإِيمَانُ قَلْبَهُ، لا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ؛ فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ». أحمد في «مسنده» (٤/ ٤٢٠) برقم (١٩٧٩١)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

قصـــة: كان عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قد حرس مع عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ ليلة في المدينة، فبينما هم يمشون ظَهَر لهم ضوءٌ في بيتٍ في وقت متأخر، فانطلقوا يقصدونه، فلما دَنَوا منه إذا بابٌ مغلق علىٰ قومٍ لهم فيه أصوات مرتفعة ولَغَطٌ، فقال عمر وأخذ بيد عبد الرحمن: أتدري بيتَ مَن هذا؟ قال: هذا بيت ربيعة بن أمية بن خَلَف، وهم الآن سكَارَىٰ من الشراب، فما ترىٰ؟ قال: أرىٰ أن قد أتينا ما نهىٰ اللهُ عنه؛ قال اللهُ: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ [الحجرات: ١٢] فقد تجسَّسنا. فانصَرفَ عنهم وتركهم. اهـ.

قال الأوزاعيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: التجسس: البحث عن الشيء، والتحسُّس: الاستماع إلىٰ حديث القوم وهم له كارهون. أو يتسمع علىٰ أبوابهم.

والتجسس من نتائج سوء الظن، ويورد صاحبه المهالك، وهو دليل علىٰ دناءة النفس وخِسَّتها، ويُؤدِّي إلىٰ فساد المجتمع وكَشْف عورات الناس، ويُوغر صدورَهم، ويُؤدِّي إلىٰ انتشار الفجور وشيوعه، ويستحقُّ صاحبه غضب الله ورسوله ﷺ.

* * *

٢٧٢- بابُ النهي عن سوءِ الظنِّ بالمسلمين من غيرِ ضرورةٍ

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

(١٥٧٣/ ٢٧٢) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «**إيَّاكُمْ والظَّنَّ؛ فإنَّ الظَّنَّ أكْذَبُ الحَدِيثِ**». متفق عليه.

* * *

(سوءُ الظنِّ)

سوء الظن: هو اعتقادُ جانبِ الشر وترجيحه علىٰ جانب الخير فيما يحتمل الأمرين معًا. وهو من الكبائر الباطنة، ومما يجب علىٰ الإنسان معرفتها؛ ليتمكن من إزالتها من قلبه حتىٰ يلقىٰ الله بقلب سليم، ولِعِظَم مفسدة سوء الظن فهو أشد إثمًا من كبائر البدن كالزنا والسرقة وشرب الخمر، فأثر هذه الكبيرة يدوم ويرسخ في القلب، ويُفسد حياة الناس، بخلاف معاصي الأبدان فإنها سريعة الزوال.

فسوء الظنِّ بالمسلمين أشد معصية من الزنا والسرقة وشرب الخمر، والتوبة والاستغفار هما سبيل النجاة من مثل هذه الذنوب. قال ابن النجار: من أساء الظن بأخيه فقد أساء بربه؛ لأن الله تعالىٰ يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

أنواعُ سوءِ الظنِّ: قال سفيان الثَّوريُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: الظنُّ ظَنَّانِ: ظنٌّ إثمٌ ومعصية، وظنٌّ ليس بإثمٍ ولا معصية: فأما الظنُّ الذي هو إثمٌ فالذي يظنُّ ظنًّا ويتكلَّم به (أي: يُفتِّش ليتحقَّق من ذلك الظنِّ ويرتابَ في الناس بلا مُبرِّر) وأما الظنُّ الذي ليس بإثمٍ فالذي يظنُّ ولا يتكلَّم به (أي: فهو قد وقع في الظن السيئ ولكن لا يتحقق ولا يرتاب).

والظنُّ في كثيرٍ من الأمور مذمومٌ، ولابن قُدَامة كلامٌ معناه: ليس لأحدٍ أن يظنَّ بأخيه المسلم شرًّا إلا في حالةٍ واحدة، وهي أن يظهر له أمرٌ لا يحتمل التأويلَ أو الأعذار، خاصةً لو أخبره بذلك شخصٌ عَدْلٌ ثقةٌ أمينٌ فمال قلبُه إلىٰ تصديق الظن فهو معذور؛ لأنه لو كَذَّب ذلك الشخص العدل لوقع أيضًا في إساءة الظن به، فلا ينبغي أن تُحسِن الظنَّ بواحدٍ وتُسيئَه بالآخر، ولكن انظر هل بينهما عداوة أو حسد.

وإذا ظهر لك خاطرُ سوءٍ علىٰ مسلم فينبغي لك أن تدعو له بالخير وتراعيه بالحسنىٰ؛ لأن ذلك يَغِيظ الشيطانَ فلا يُلقي إليك خاطرَ السوءِ مرةً أخرىٰ؛ خوفًا من أن تنشغلَ بالدعاء له والمراعاة الحسنة، وكذلك لو حدثت هفوةٌ من أخيك المسلم فانصحه سرًّا.

ومن نتائج سوء الظنِّ أن يتجسَّسَ ويتتبَّعَ غيرَه؛ لأن القلبَ دائمًا لا يقنع بالظنِّ فقط، بل يُريد أن يتحقَّقَ فيشتغل بالتجسُّس، وهو مَنْهيٌّ عنه؛ لأن فيه هَتْكًا لعَوْرة أخيك المسلم، والسلامةُ في عدم هَتْك الأسرار.

أقسام سوء الظن: سوء الظن قسمان:

الأول: سوء الظن بالله: ويقول في هذا ابن القيم كلامًا معناه: أكثر الناس يظنون بالله ظن السوء فيما يختص بهم من الأقدار التي قد لا يفهمون حكمتها، فقَلَّ من يسلم من ذلك إلا مَن عرف الله وأسماءه، وكان يؤمن بحكمته ويرجو رحمته، وعليه أن يتوب إلىٰ الله ويستغفره من سوء ظنه به. ولو فتَّشتَ في حال أحد هؤلاء لرأيت عنده سخطًا وتعنُّتًا علىٰ الأقدار ويقول: إنه ينبغي أن يكون كذا وكذا، فقد يرىٰ الكثير قليلًا أو العكس، وعلىٰ كل منا أن يُفتِّش في قلبه عن هذا.

فالظن المُحَرَّم هنا: هو سوء الظن بالله تعالىٰ، ويقابله وجوب حسن الظن بالله.

الثاني: سوء الظن بالمسلمين: وذلك أن مَن حَكَم بالشرِّ علىٰ غيره بمجرد سوء الظن فقد حمله الشيطان علىٰ احتقاره وعدم القيام بحقوقه والتواني في إكرامه، بل والوقوعِ في الغِيبة والنميمة فيه وفي عِرْضه، وكل مَن رأيته سيئ الظن بالناس طالبًا إظهار معايبهم فاعلم أن ذلك من خبث باطنه وسوء نفسه، فالمؤمن يطلب المعاذير لأخيه المسلم وذلك لسلامة قلبه، والمنافق يطلب ويبحث عن العيوب لخبث باطنه. ويحرم الظن السيئ بالمسلمين الذين ظاهرهم التقوىٰ والإيمان، والمطلوب حسن الظن بهم.

الظن المُباح: هو ظن يمر علىٰ قلب المسلم في أخيه المسلم بسبب بعض الريبة والشك، ثم لا يجتهد في التحقق منه، فهو ظن مباح لا شيء فيه. قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَمِيرَ إِذَا ابْتَغَىٰ الرِّيبَةَ فِي النَّاسِ أَفْسَدَهُمْ**». أحمد في مسنده (٦/ ٤) برقم (٢٣٨٦٦)، وقال الأرنؤوط: حديث حسن، وصححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (١٥٨٥).

فإن الحاكم لو شك في الرعية لسلطهم علىٰ بعضهم البعض يتجسسون؛ وهذا مما يفسد الود والمحبة بينهم. وشك رجلٌ في نسب ابنه فجاء يشكو لرسول الله ﷺ فقال: إن امرأتي ولدت غلامًا أسود (أي: شكًّا منه في عبيده السود) فقال النبي ﷺ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قال: نعم. قال: «**مَا أَلْوَانُهَا؟**» قال: حُمْر. قال: «**هَلْ فِيهَا مِنْ أَوْرَقٍ؟**» (أي: وهو الأحمر المخلوط بالسواد أقرب إلىٰ الرمادي). قال: نعم. قال: «**فَأَنَّىٰ أَتَاهُمْ ذَلِكَ؟**» قال: عسىٰ أن يكون نزعه عرق. (أي: انجذب إلىٰ نسبه البعيد في عرق النسب). قال ﷺ: «**وَهَذَا عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ نَزَعَهُ عِرْقٌ**». متفق عليه.

قصـــة: يقول ستيفن ر. كوفي: كنت في صباح أحد الأيام في قطار الأنفاق بمدينة نيويورك، كان الركاب جالسين في سَكِينة؛ بعضهم يقرأ الصحف وبعضهم مُستَغْرَقٌ بالتفكير، وآخرون في حالة استرخاء، كان الجوُّ ساكنًا مفعمًا بالهدوء، فجأة صعد رجل بصحبة أطفاله الذين سرعان ما ملأ ضجيجهم وهرجهم عربة القطار، جلس الرجل إلىٰ جانبِي وأغلق عينيه غافلًا عن الموقف كلِّه، كان الأطفال يتبادلون الصياح ويتقاذفون بالأشياء، بل ويجذبون الصحف من الركاب، وكان الأمر مثيرًا للإزعاج، ورغم ذلك استمرَّ الرجل في جلسته إلىٰ جواري دون أن يُحرِّك ساكنًا، لم أكن أُصدِّق أن يكون علىٰ هذا القدر من التبلد والسماح لأبنائه بالركض هكذا دون أن يفعل شيئًا.

يقول كوفي بعد أن نَفِدَ صبره: التفتُّ إلىٰ الرجل قائلًا: إن أطفالك يا سيدي يُسبِّبون إزعاجًا للكثير من الناس، وإني لأَعْجَبُ أنك لم تستطع أن تكبح جماحهم أكثرَ من ذلك! إنك عديم الإحساس. فتح الرجل عينيه كما لو كان يعي الموقف للمرة الأولىٰ وقال بلطف: نعم، إنك علىٰ حقٍّ، يبدو أنه يتعين عليَّ أن أفعل شيئًا إزاء هذا الأمر، لقد قَدِمْنا لتوِّنا من المستشفىٰ، حيث لَفِظَتْ والدتهم أنفاسها الأخيرة منذ ساعة واحدة، إنني عاجز عن التفكير، وأظن أنهم لا يدرون كيف يواجهون الموقف أيضًا.

يقول كوفي: تخيَّلوا شعوري آنذاك، فجأة امتلأ قلبي بآلام الرجل، وتدفقت مشاعر التعاطف والتراحم دون قيود، قلت له: هل ماتت زوجتك للتوِّ؟ إنني آسف، هل يُمكنني المساعدة؟ لقد تغيَّر كلُّ شيء، في لحظة انتهت القصة، ولكن ما انتهت المشاعر المرتبطة بهذا الموقف في نفوسنا.

نعم، كم ظلمنا أنفسنا حين ظَلَمْنا غيرنا في الحكم السريع المبنيِّ علىٰ سوء فهمٍ، وحتىٰ من دون أن نبحث عن الأسباب التي أدَّت إلىٰ تصرُّف غير متوقع من إنسان قريب أو بعيد في حياتنا. وسبحان الله! يوم تنكشف الأسباب وتتضح الرؤية نعرف أن الحكم الغيبيَّ غير العادل الذي أصدرناه في لحظةِ غضبٍ، كان مؤلمًا علىٰ النفس، ويتطلب منا شجاعةً للاعتذار والعودة إلىٰ الله، والتوبة عن سوء الظن.

أيها الأعزاء، هذه القصة، تُذكِّرنا بحوادثَ كثيرةٍ في حياتنا، كنا في أحيانٍ ظالمين، وفي أحيان مظلومين، ولكن المهم في الأمر ألا نتسرع في إصدار الأحكام علىٰ الغير، وعندما نُخطئ نعتذر، وعندما يقع علينا الظلم نغفر، وهذه هي الشجاعة وحسن الخلق مع مَن حولنا من الناس. اهـ.

ويقول الإمام الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: سامِحْ صديقك إن زلَّت به قدم فَليس يَسْلَمُ إنسانٌ من الزلل. ويقول أيضًا رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: لما عفوتُ ولم أحقد علىٰ أحدٍ أَرَحْتُ نفسيَ مِن همِّ العداوات

وفي حادثة الإفك الشهيرة دَرْسٌ كبير في مغبة سوء الظن ومصيبته علىٰ الأمة.

وسوء الظن دليل علىٰ فساد النية والقلب، ويتولد منه الشحناء والبغضاء بين الناس، ويؤدي إلىٰ غضب الله وسخطه.

* * *

٢٧٣- باب تحريم احتقار المسلمين

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾﴾ [الحجرات: ١١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾﴾ [الهمزة: ١].

(١٥٧٤/ ٢٧٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ المُسْلِمَ». رواه مسلم، وقد سبق قريبًا بطوله.

(١٥٧٥/ ٢٧٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يَدْخُلُ الجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِن كِبْرٍ!» فَقَالَ رَجلٌ: إنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُون ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنةً. فَقَالَ: «إنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ، الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». رواه مسلم.

ومعنىٰ «بَطَرُ الحَقِّ»: دَفْعُه. و«غَمْطُهُم»: احْتِقَارُهُمْ، وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُهُ أَوْضَحَ مِنْ هَذَا فِي باب الكِبْرِ.

(١٥٧٦/ ٢٧٣) وعن جُنْدُب بن عبد الله رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «قَالَ رَجُلٌ: وَاللهِ لا يَغْفِرُ اللهُ لِفُلانٍ، فَقَالَ اللهُ عز وجل: مَنْ ذا الَّذِي يَتَأَلَّىٰ (أي: يحلف ويُقسِم يمينًا) عَلَيَّ أَلَّا أَغْفِرَ لِفُلانٍ! فَإِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُ، وَأَحْبَطْتُ عَمَلَكَ». رواه مسلم.

٢٧٤- باب النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم

قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ فِى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [النور: ١٩].

(١٥٧٧/ ٢٧٤) وعَن وَاثِلَة بْنِ الأَسْقَعِ رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ لِأَخِيكَ فَيَرْحَمَهُ اللهُ وَيَبْتَلِيكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

وفي الباب حديث أبي هريرة السابق في باب التَّجسُّس: «كُلُّ المُسْلِمِ عَلَىٰ المُسْلِمِ حَرَامٌ».

* * *

(الشماتة)

الشماتة: هي الفرح ببلية أو مصيبة تصيب العدو. ولما قال رسولُ الله ﷺ في دعائه: «لا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ» إنما أراد ألا تفعل بي ما تشمت من أجله الأعداء، ولا تسرهم بذلك.

والشماتة أيضًا هي السرور بما يصيب أخاك من مصائب الدنيا والدين، أو السرور بمكاره الأعداء. عن أبي هُريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يتعوذ من جهد البلاء ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء. رواه البخاريُّ. وقد روي: «من عير أخاه بذنب لم يمت حتىٰ يعمله».

وقد شرح الإمام أحمد رحمه الله ذلك بأنه ذنب قد تاب صاحبه منه، فلا ينبغي تعييره بذلك. وحدوث الفرح في قلب الإنسان بسبب خسران العدو وبليته، أمر طبعي لا يستطيع أن يمنعه بسهولة؛ ولهذا كان النهي عن إظهار تلك الشماتة خوفًا من الضرر الذي قد يلحق الجانبين، من الشامت ومن الذي تعلقت المصيبة به، وخاصة إذا كانت متعلقة بأخ لك وليس عدوًّا.

* * *

٢٧٥- باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٥٧٨/ ٢٧٥) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بهم كُفْرٌ (أي: من أعمال الكفر): الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ». رواه مسلم. (أي: ويقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحق صاحبه العذاب إن بقي علىٰ ذلك دون توبة، ولكن لا يخلد في النار).

٢٧٦- باب النهي عن الغش والخداع

قال اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُواْ فَقَدِ ٱحْتَمَلُواْ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٥٧٩/ ٢٧٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلَاحَ فَلَيْسَ مِنَّا، وَمَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا». رواه مسلم.

وفي روايةٍ لَهُ: أنَّ رسولَ الله ﷺ، مَرَّ عَلَىٰ صُبْرَةِ طَعَامٍ (أي: كومة من طعام) فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أصابِعُهُ بَلَلًا، فقَالَ: «مَا هذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟» قَالَ: أصابته السماء يا رسول الله. قَالَ: «أفَلَا جَعَلْتَهُ فوقَ الطَّعَامِ حَتَّىٰ يراهُ النَّاسُ! مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

(١٥٨٠/ ٢٧٦) وعنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَنَاجَشُوا (أي: لا تخدعوا المشترين بتزيين السلعة والزيادة الفاحشة في ثمنها)». متفق عليه.

(١٥٨١/ ٢٧٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ نَهىٰ عن النَّجَش. متفق عليه.

(١٥٨٢/ ٢٧٦) وعنه قال: ذَكَرَ رَجُلٌ لِرَسُولِ الله ﷺ: أَنَّهُ يُخْدَعُ في البُيُوعِ؟ فقالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ بَايَعْتَ، فَقُلْ: لا خِلَابَةَ». متفق عليه. «الخِلَابَةُ» بخاءٍ معجمةٍ مكسورةٍ وباءٍ موحدة، وهي: الخديعة.

(١٥٨٣/ ٢٧٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ خَبَّبَ زَوْجَةَ امْرِئٍ، أَوْ مَمْلُوكَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا». رواه أبو داود. «خَبَّبَ» بخاءٍ معجمة، ثُمَّ باءٍ موحدة مكررة، أي: أفْسد وخدع.

❁ ❁ ❁

(الخداع والغش)

أولا: الخداع: الخداع: هو إظهارُ خيرٍ وصورةٍ حَسَنةٍ، مع إبطانِ شرٍّ في داخلها؛ ليتوصَّل صاحبُها بتلك الصورة الظاهرة إلىٰ ضررٍ يلحق بالآخرين. وقيل: هو إظهارُ ما يخالف الضميرَ. فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ خَبٌّ لَئِيمٌ» [أحمد في «مسنده» (٢/ ٣٩٤) حديث (٩١٠٧) من طريق أبي هُرَيرة رضي الله عنه].

(وغِرٌّ: أي: سليم الصدر حسن الباطن. وخَبٌّ: أي: مخادع خبيث).

ثانيًا: الغش: الغش: هو أن يخلط المرء الشيء الرديء بالجيد، أو أن يُظهر خلافَ ما يُضمر، فهو الغِلُّ والحقد الدفين في الصدر. والغش نقيض النصح، فاللَّبَن المغشوش هو المخلوط بالماء؛ أي: الذي ليس بخالصٍ، فالغاشُّ لا يعطي النصيحة والرأي بصدقٍ.

فالغِش هو سواد في القلب، وفي الحديث من قول النبي ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ غَشَّنَا»

[أحمد في «مسنده» (٣/ ٤٦٦) حديث (١٥٨٧١) من طريق أبي بردة بن نيار رضي الله عنه].

أنواع الغش: للغشِّ أنواعٌ عديدة، أهمها: الغش في البيع والشراء وغيرهما من المعاملات

المالية. و الغش في النصيحة وعدم الإخلاص فيها. و الغش للمرءوسين والمحكومين ومن هم تحت الرياسة والسطوة.

وفي الحديث: «أَيُّمَا رَاعٍ غَشَّ رَعِيَّتَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ» [ابن عساكر في «تاريخه» (٣٧/ ٤٤٩) حديث (٧٥٦٣) من طريق معقل بن يسار ﵁]. وقد عد الإمامُ ابن حجر غِشَّ البيع والشراء من الكبائر.

أما النوع الثاني فعدَّه العلماء من الكبائر الباطنة؛ لأن مرجعها هو سواد القلب، فينطبق عليه ما ينطبق علىٰ سائر الكبائر الباطنة التي يُذم عليها العبد أكثر مما يذم علىٰ الكبائر الظاهرة، كالزنا والسرقة وشرب الخمر.

أما النوع الثالث فقد عدَّه الإمام الذهبي من الكبائر أيضًا، حيث يغش المديرُ مرءوسيه، ويغش المسئول موظفيه، ومثل ذلك.

(المدارة والمداهنة)

المداراة: هي خَفْض الجَنَاح للناس، ولِين الكلام، وتَرْك الإغلاظ لهم في القول.

فهي الملاينة والملاطفة والدفع برِفقٍ ولِين، والمداراة لابد منها في حياة الناس.

قال ابنُ حِبَّان ﵀: إن الواجبَ علىٰ كلِّ عاقل أن يُداري الناس، وهي صدقة منه علىٰ الناس. فمن لم يعاشر الناس ويتغاضَ عن بعضٍ ما يأتونه من المكروهات التي تؤذيه صار مُتكدِّر العيش، وقد يدفعه ذلك إلىٰ العداوة والبغضاء معهم بدلًا من الوُدِّ والتراحم فيما بينهم. ومن لم يدارِ صديقَ السوء كما يُداري صديق الصِّدْق فليس بحازم.

وإذا كان كلما رأىٰ من أحد زلةً أو جفوةً رفضه لزَلَّته بقي بعد ذلك وحيدًا، فلن يجد من يعاشره، ويصبح فريدًا لا يجد من يصاحبه، وعليه أن يتغاضىٰ عن زلات الأخ الصادق، ولا يناقش الصديق السيئ علىٰ عثرته.

وإذا كان للإنسان عدوٌّ مشاحنٌ ظالم لئيمُ الطبع، فالبعد عنه غنيمة؛ لأنه لا يَسْلم من عواقب شره، حيث لا سلامة من مثله إلا بالبعد عنه، وحتىٰ بالصفح والإعراض؛ لأنه كالوحش الضاري لا يستحيي من فِعل مشين ولا قبيح. ولا تعارضه بالشر وافعل كما قال لقمان لابنه: يا بني، كذب من قال: إن الشر بالشر يُطْفَأ. فإن كان صادقًا فليوقد نارين ولينظر هل تُطْفِئ إحداهما الأخرىٰ، وإنما يطفئ الخير الشر كما يطفئ الماءُ النارَ.

الفرق بين المداراة والمداهنة: وفي معنىٰ الكلام لابن القيم أن المداراة صفةُ مدحٍ، والمداهنة صفةُ ذَمٍّ، وأما الفرق بينهما: فإن المُدارِيَ يتلطف بصاحبه حتىٰ يستخرج منه الحق في الأقوال والأفعال والصفات، أو يرده عن الباطل بأنواعه، والمداهن يتلطف بصاحبه ليقره علىٰ الباطل، وقد يُحَسِّنه له ويتركه علىٰ هواه.

فالمداراة لأهل الإيمان صفة، والمداهنة لأهل النفاق صفة.

وقد ضُرب لذلك مثالٌ ليفهم منه هذا الفرق، وهو حال رجل أصابته قرحةٌ في جسمه- دُمَّل- قد آلمته، فجاءه الطبيب المعالج الرفيق فتعرف علىٰ حالها وشخَّصها وتلطف معه وطمأنه، ثم أخذ في علاجها حتىٰ أخرج ما فيها، ووضع علىٰ مكانها الدواء والمراهم ما يمنع فسادها، ثم تابع عليها بالمراهم حتىٰ نبت اللحم مكانها، ثم شد عليها الرباط حتىٰ صلحت، فذلك مَثَل المداري.

أما المداهن فهو الذي يقول لصاحب القرحة: لا بأس عليك منها، وهذه لا شيء، واسترها عن أعين الناس بخرقة، واصرف فكرك عنها. فلا تزال تزداد سوءًا حتىٰ يعظم فسادها.

وقد شرحها ابنُ بَطَّال أيضًا بما معناه: المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي من أقوىٰ أسباب الألفة بينهم.

والمداراة غير المداهنة؛ لأن المداراة مندوب إليها شرعًا، والمداهنة محرمة شرعًا، والفرق بينهما: أن المداهنة من الدهان، وهو الذي يُظهر شيئًا ويستر باطنه، وقد فسرها ووضحها العلماء بأنها معاشرة أهل الفسق في الأكل والشرب والصحبة معهم، وإظهار الرضا بفسقهم من غير إنكار عليهم.

فالمداراة هي الرِّفق بالإنسان الجاهل في أثناء تعليمه، وكذلك الرفق بالفاسق في أثناء دعوته ونهيه عن فعل المنكرات، وترك الإغلاظ عليه، فيُنكِر عليه بلُطف في القول والفعل؛ لتأليفه وترغيبه في الحق ودين الله تعالىٰ.

وقدر روي عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه يرفعه: «مُدَارَاةُ النَّاسِ صَدَقَةٌ». ابن حبان في صحيحه (٢/ ٢١٦) برقم (٤٧١). ومن المداراة ما فعله أبو الدرداء وقال: إِنَّا لَنُكَشِّرُ (أي: نضحك) فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا تَلْعَنُهُمْ.

وروي أن داود عليه السلام جلس كئيبًا خاليًا، فأوحىٰ الله إليه: يا داود، ما لي أراك خاليًا؟ قال: هجرت الناس فيك (أي: من أجلك لسوء أخلاقهم). قال: أفلا أدلك علىٰ شيء تبلغ به رضائي؟ خالِقِ الناسَ بأخلاقهم (أي: بالمداراة) واحتجز الإيمان فيما بيني وبينك.

وقال أبو الدرداء لأمِّ الدرداء رضي الله عنهما: إذا غضبتُ فرَضِّيني، وإذا غَضِبْتِ رَضَّيتُكِ، فإن لم نكن هكذا ما أسرعَ ما نفترق.

وقال معاوية رضي الله عنه: لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت. قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إن مَدُّوها خَلَّيتُها، وإن خَلَّوْها مَدَدتُها.

وقال ابن مُفلِح رحمه الله: أعطىٰ الحسنُ بن عليٍّ شاعرًا عَطِيَّةً جَزْلة فقيل له: لِمَ تُعطي مَن يقول البهتانَ (أي: الكذب) ويعصي الرحمن؟ فقال: إن خيرَ ما بَذَلْتَ مِن مالك ما وَقَيْتَ به مِن عِرْضك، ومَن ابتغىٰ الخيرَ اتَّقىٰ الشرَّ.

وقال محمد ابن الحنفيَّة رحمه الله: ليس بحكيمٍ مَن لا يُعاشِر بالمعروف مَن لا يجد مِن معاشرته بُدًّا حتىٰ يجعل الله فرجًا أو مخرجًا.

وقال الحسنُ البصريُّ رحمه الله: كانوا يقولون: المداراة نصف العقل، وأنا أقول: هي العقل كلُّه.

وقال أبو يوسف رحمه الله: خمسة يجب علىٰ الناس مداراتهم: الملك المُسلَّط، والقاضي المُتأوِّل، والمريض، والمرأة، والعالم ليقتبس من علمه.

وقال ابن حِبَّان رحمه الله: مَن التمس رضا الناس التمس ما لا يُدرَك، ولكن يلتمس رضا مَن لابد من معاشرته، كالزوجة والولد والأخ والجار والشريك وغيره.

وقد يُضطَرُّ لبعض العادات التي لم تكن جميلة في حقه ما لم تكن إثمًا ومعصية، أو لترك بعض العادات الجميلة لمداراة الناس ما لم يكن في تركها إثم ولا معصية أيضًا، فإن كل ذلك من المداراة. ومع كل المداراة قد لا يسلم المرء من شرور الناس، فكيف بمن لم يدارِ؟ وقد يحتاج الرجلُ الصالح إلىٰ مداراة الظالم والتردُّد عليه، وإلىٰ مخالطة مَن لا يصلح، وإلىٰ أعمالٍ لا تليق به؛ خوفًا مِن ظُلْمه وسطوته وجبروته، وقد لا يستطيع أن يُنكِر عليه منكراته فيحتاج إلىٰ المعاريض والمداراة، وهذه من الفتن التي نسأل الله منها السلامة.

وقال بعضُ العلماء: رأسُ المداراة تَرْك المماراة (أي: الجدل).

والمداراة تكون في الأمور الدنيوية فقط، وتحرم إذا كانت في أمور الدين، وهذه هي المداهنة. وفي المداراة دليلٌ علىٰ كمال العقل وحُسن الخلق والفهم الصحيح لدين الله، وهي لابد منها لاتقاء الأشرار ودوام معاشرة الأخيار.

❋ ❋ ❋

٢٧٧- باب تحريم الغدر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَأَوۡفُواْ بِٱلۡعَهۡدِۖ إِنَّ ٱلۡعَهۡدَ كَانَ مَسۡـُٔولٗا ٣٤﴾ [الإسراء: ٣٤].

(١٥٨٤/ ٢٧٧) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّىٰ يَدَعهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ». متفق عليه.

(١٥٨٥/ ٢٧٧) وعن ابن مسعودٍ، وابن عمر، وأنس رضي الله عنهم قالُوا: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لِكُلِّ غادرٍ لِواءٌ (أي: علامة يعرف بها) يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ: هذِهِ غَدْرَةُ فلانٍ». متفق عليه.

(١٥٨٦/ ٢٧٧) وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لِكُلِّ غادرٍ لِوَاءٌ عِنْدَ اسْتِهِ (أي: موضع مؤخرته) يومَ القِيَامَةِ يُرْفَعُ لَهُ بِقَدْرِ غَدْرِه، أَلا وَلا غادِرَ أَعْظَمُ غَدْرًا مِنْ أَمِيرِ عَامَّةٍ». رواه مسلم.

(١٥٨٧/ ٢٧٧) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «قَالَ الله تَعَالَىٰ: ثَلَاثَةٌ أَنا خَصْمُهُم يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَىٰ بي (أي: حلف بالله) ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجيرًا، فَاسْتَوْفَىٰ مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِهِ أَجْرَهُ». رواه البخاري.

❋ ❋ ❋

(الغـــدر)

الغدر: هو الرجوع عما يُلزِم به الإنسانُ نفسَه ويضمن الوفاء به، وهو خُلُق مُستقبَحٌ، وهو في الكبار والمسئولين أقبح وأضرن وهو نقضٌ للعهد، وترك للوفاء به، ويقال

للذئب: غادر؛ لأنه لا عهد له، والغدر يعقبه استفادة للغادر، ولكنها لؤم وخبث وخديعة، وهو ضمن الكبائر التي اعتبرها أهل العلم، فمن أُعطِي أمانًا أو ذمةً أو عهدًا فلا يجوز الإخلال بها، فلا يَظلم ولا يَقتل وهذا من الغدر.

وقد اعتبر اعليٌّ رضي الله عنه نكث العهد مع أهل الذمة غدرًا وكبيرة من الكبائر. والغدر من صفات النفاق: «وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ». متفق عليه.

ولما رجعَ إلىٰ رسول الله ﷺ الذين هاجروا بالبحر قال: «أَلا تُحَدِّثُونِي بِأَعْجَبِ مَا رَأَيْتُمْ بِأَرْضِ الْـحَبَشَةِ؟» قال فتيةٌ منهم: بلىٰ يا رسول الله، بينما نحن جلوسٌ مرَّت بنا عجوزٌ من عجائز رهابينهم، تحمل علىٰ رأسها قُلَّةً من ماء، فمَرَّت بفتًىٰ منهم فدفعها بين كتفيها حتىٰ خرَّت علىٰ ركبتها وانكسرت القُلَّة، فلما قامت التفتت إليه وقالت: سوف تعلم يا غُدَرُ إذا وضَع الكرسيَّ وجمع الأولين والآخرين وتكلمت الأيدي والأرجل بما كانوا يكسبون، فسوف تعلم أمري وأمرك عنده غدًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «صَدَقَتْ، صَدَقَتْ، كَيْفَ يُقَدِّسُ اللهُ أُمَّةً لا يُؤْخَذُ لِضَعِيفِهِمْ مِنْ شَدِيدِهِمْ». ابن ماجه برقم (٤٠١٠).

وقال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَمَّنَ رَجُلًا عَلَىٰ دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ لِوَاءَ غَدْرٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

أحمد في مسنده (٥/ ٢٢٣) برقم (٢١٩٩٦).

وقال أيضًا ﷺ: «أَلا مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَدًا، أَوِ انْتَقَصَهُ، أَوْ كَلَّفَهُ فَوْقَ طَاقَتِهِ، أَوْ أَخَذَ مِنْهُ شَيْئًا بِغَيْرِ طِيبِ نَفْسٍ؛ فَأَنَا حَجِيجُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». أبو داود برقم (٣٠٥٢).

وقال ﷺ: «مَنْ قَتَلَ نَفْسًا مُعَاهَدًا لَمْ يُرِحْ رَائِحَةَ الْـجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ أَرْبَعِينَ عَامًا». البخاري برقم (٦٩١٤).

وقال أيضًا: «خَيْرُكُمْ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ». ثم قال ﷺ: «إِنَّ بَعْدَكُمْ قَوْمًا يَخُونُونَ وَلا يُؤْتَمَنُونَ، وَيَشْهَدُونَ وَلا يُسْتَشْهَدُونَ، وَيَنْذِرُونَ وَلا يَفُونَ، وَيَظْهَرُ فِيهِمُ السِّمَنُ». متفق عليه.

وقال أيضًا ﷺ: «الْـمُسْلِمُونَ تَتَكَافَأُ دِمَاؤُهُمْ، وَيَسْعَىٰ بِذِمَّتِهِمْ أَدْنَاهُمْ، وَيُجِيرُ عَلَيْهِمْ أَقْصَاهُمْ، وَهُمْ يَدٌ عَلَىٰ مَنْ سِوَاهُمْ، يَرُدُّ مُشِدُّهُمْ عَلَىٰ مُضْعِفِهِمْ، وَمُتَسَرِّعُهُمْ عَلَىٰ قَاعِدِهِمْ». أبو داود برقم (٢٧٥١)، حسنه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٦٧١٢).

وقال أيضًا ﷺ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ وَفَارَقَ الْـجَمَاعَةَ فَمَاتَ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ

قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ (أي: عمياء لا يستبان الحق فيها) يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَىٰ عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً؛ فَقُتِلَ فَقِتْلَهُ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَىٰ أُمَّتِي يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا وَلا يَتَحَاشَىٰ مِنْ مُؤْمِنِهَا وَلا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ». مسلم برقم (١٨٤٨).

قصة: لما حلف محمدٌ الأمين ابن هارون الرشيد لأخيه المأمون في بيت الله الحرام وهما وَلِيًّا العهد، طالبه جعفر بن يحيىٰ أن يقول أيضًا: خذلني الله إن خذلته. فقال ذلك ثلاث مرات، فقال الفضل بن الربيع: قال لي الأمين بعد خروجه من بيت الله الحرام: يا أبا العباس، أجد نفسي أنَّ أمري لا يتم. فقلت له: وَلِمَ؟ أعز الله الأمير. قال: لأني كنت أحلف وأنا أنوي الغدر. وكذلك كان الأمر فلم تتم له الخلافة. اهـ.

وقال الأَبْشَيْهِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: أيُّ سوءٍ أقبح من غَدْرٍ يسوق إلىٰ النفاق، وأيُّ عارٍ أفضحُ من نَقْض العهد إذا عُدَّت مساوي الأخلاق. والغادر يحمل لواء غدره يوم القيامة مفضوحًا بين الخلائق، والله خصيمه يوم الحساب، تمقته الملائكة والناس أجمعون، وهو خسيس النفس حقيرها، ولا شك أن الله سيعامله بعكس مقصوده، ولن يُتِمَّ له أمرًا.

❊ ❊ ❊

٢٧٨- باب النهي عن المَنِّ بالعطية ونحوها

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تعالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ مَنّٗا وَلَآ أَذٗى﴾ [البقرة: ٢٦٢].

(١٥٨٨/ ٢٧٨) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاثَةٌ لا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَلا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ». قال: فقرأها رسول الله ﷺ ثلاث مَرَّاتٍ. قال أبو ذَرٍّ: خابوا وخسروا مَنْ هم يا رسول الله؟ قَالَ: «المُسْبِلُ، وَالمَنَّانُ، وَالمُنَفِّقُ (أي: المُرَوِّج) سِلْعَتَهُ بِالحَلِفِ الكَاذِبِ». رواه مسلم.

وفي رواية لَهُ: «المُسْبِلُ إِزَارَهُ». يَعْنِي: المُسْبِلَ إِزَارَهُ وَثَوْبَهُ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ لِلخُيَلاءِ.

❊ ❊ ❊

(المَنُّ)

والمنة هي النعمة الثقيلة العظيمة، فيقال: منَّ فلان علىٰ فلان؛ أي: أثقله بنعمة كبيرة، ومن ذلك قوله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وذلك في الحقيقة لا يكون إلا لله تعالىٰ فقط. أما أن يقالَ: منَّ فلان علىٰ فلانٍ بنعمة كبيرة، فمن الأفضل ألا يحدث ذلك، حتىٰ لا تضيع الأجور وتوغر الصدور بين الناس؛ فقد قيل: إن المنة تهدم الصنيعة. أما إذا حدث كفران للنعمة من المُنعَم عليه تجاه الذي أنعم عليه، فهذا أمر قبيح؛ ولهذا قيل: إذا كُفِرَت النعمة حَسُنَتِ المنة، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟﴾ [الحجرات: ١٧]- فيجوز أن تُذكِّر الجاحد بالنعمة عند ذلك ليحسن فعله وشكره ويكون ذلك سببًا لمروءة الناس بالإنعام علىٰ غيرهم ولا يكون سببًا للصد عن المن والإنعام.

وفي الحقيقة فالمنة من البشر هي قول وليست فعلًا، حيث المنة لله وللرسول ﷺ، وإنما كان التذكير بالسبب الذي كان استعمله الله في العطاء والمنة.

وفي الحديث: «ثلاثة يشنؤهم الله (أي: يبغضهم) منهم البخيل المنان».

والمَنُّ من الكبائر، حيث إن المانَّ أحد الثلاثة الذين لا ينظر الله إليهم ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم؛ لأنه يطلب الشكر والثناء، فكأنه طلب الرياء، أو أنه التمس الجزاء فأصبح تاجرًا لا يستحق الحمد ولا الشكر. فعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله عَزَّوَجَلَّ إليهم يوم القيامة: العاقُّ لوالديه، والمرأة المترجِّلة، والدَّيُّوث. وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاقُّ لوالديه، والمدمن علىٰ الخمر، والمنَّان بما أعطىٰ». رواه النَّسائي. وعن أبي بكر الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل الجنة خِبٌّ (أي: خادع غاش) ولا مَنَّانٌ ولا بخيل». رواه التِّرمذي.

والمن ينقص الأجر وقد يذهب به بالكلية، حيث إنه مظهر من مظاهر سوء الخلق والتباغض بين الناس، فيوغر الصدور ويحبط الأعمال، ويتشبه صاحبه بأهل النفاق، ويُحرَم يومَ القيامة من نعيم النظر إلىٰ وجهه الكريم.

❁ ❁ ❁

٢٧٩- باب النهي عن الافتخار والبغي

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾﴾ [النجم: ٣٢].

وقال تعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾﴾ [الشورىٰ: ٤٢].

(١٥٨٩/ ٢٧٩) وعن عياض بن حِمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله تَعالَىٰ أَوحَىٰ إلَيَّ أنْ تَواضَعُوا حَتَّىٰ لا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَىٰ أحدٍ، وَلا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَىٰ أَحَدٍ». رواه مسلم.

قَالَ أهلُ اللُّغة: البَغْي: التَّعَدِّي والاستطالَةُ.

(١٥٩٠/ ٢٧٩) وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إِذَا قَالَ الرجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ. فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ». رواه مسلم.

والرواية المشهورة: «أَهْلَكُهُمْ» بِرَفعِ الكاف وروي بنصبها: وذلكَ النَّهيُ لِمَنْ قَالَ ذَلِكَ عُجْبًا بِنَفْسِه، وتَصَاغُرًا للنَّاسِ، وارْتِفاعًا عَلَيْهِمْ، فَهَذَا هُوَ الحَرامُ، وَأَمَّا مَنْ قَالَهُ لِمَا يَرَىٰ في النَّاسِ مِنْ نَقْصٍ في أمرِ دِينِهم، وقَالَهُ تَحزُّنًا عَلَيْهِمْ وعَلَىٰ الدِّينِ، فَلَا بَأْسَ بِهِ. هكَذَا فَسَّرَهُ العُلَماءُ وفَصَّلُوهُ، وَمِمَّنْ قَالَهُ مِنَ الأئِمَّةِ الأَعْلامِ: مالِكُ بن أنس، وَالخَطَّابِيُّ، والحُمَيْدِيُّ وآخرونَ، وَقَدْ أَوْضَحْتُهُ في كتاب «الأذكار».

* * *

(البغــي)

البغيُ: هو طلبُ الاستعلاء علىٰ الناس بغير حقٍّ. أو هو: مجردُ طلب تجاوزِ قَدْر الاستحقاق، سواء تجاوزه فعلًا أو لم يتجاوزه، فبمجرد الطلب صار باغيًا. ويُستعمل هذا في المتكبِّر؛ لأنه يطلب منزلة ليس لها بأهلٍ.

وقال بعضُ العلماء: البغيُ هو الخروجُ عن طاعة ولي الأمر الحقِّ.

أنواع البغي: والبغي علىٰ نوعين:

الأول: المحمود شرعًا: فإن طلب تجاوز الحق إلىٰ أحسن منه محمود ولا شك.

فمَن طلب في معاملاته تجاوزَ العدل بين الناس إلىٰ الإحسان لهم؛ فهذا أمر محمود، ومن طلب زيادة العبادات فوق المفروضات بفعل التطوعات؛ فهذا أمر محمود أيضًا.

الثاني: المذموم شرعًا: وهو طلب تجاوز الحق إلىٰ الباطل أو الشبهات: كما قال النبيُّ ﷺ: «إنَّ الحلالَ بيِّنٌ والحرامَ بيِّنٌ، وبينهما أُمورٌ مُشْتَبِهاتٌ لا يَعْلَمُهُنَّ كثيرٌ مِن النَّاسِ، فمَنِ اتَّقىٰ الشُّبُهاتِ فقَدِ اسْتبْرَأَ لِدِينِه وَعِرْضِه». متفق عليه.

وقد فصَّل الله تعالىٰ ذلك في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٤٢﴾ [الشورىٰ: ٤٢] فجعل العقوبة للبغي المذموم وهو بغير الحق.

أما البغي الذي هو بمعنىٰ الخروج علىٰ الإمام الصالح بلا عِلَّةٍ مقبولة شرعًا بين أهل العلم فهو إحدىٰ الكبائر. وأما البغي بمعنىٰ تجاوُز قدرِ الاستحقاق، أو طلب الاستعلاء بغير حق؛ فهو أيضًا من الكبائر الباطنة التي يجب علىٰ العبد معرفتها وإزالتها من نفسه، وهي أعظم جرمًا وإثمًا عند الله من المعاصي البدنية كالزنا والسرقة وشرب الخمر.

وقد جاء البغي في القرآن علىٰ خمسة أوجه:

الأول: بمعنىٰ الطلب: ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [الأعراف: ٤٥]؛ أي يطلبون لها اعوجاجًا.

الثاني: بمعنىٰ المعصية: ﴿فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ﴾ [يونس: ٢٣]؛ أي يعصون الله.

الثالث: بمعنىٰ الظلم: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ﴾ [الأعراف: ٣٣]، وقال أيضًا: ﴿وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ﴾ [النحل: ٩٠] أي الظلم.

الرابع: بمعنىٰ الحسد: ﴿بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

الخامس: بمعنىٰ الزنا: ﴿وَلَا تُكْرِهُواْ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ﴾ [النور: ٣٣] أي: لا يُكرِه أحدُكم فتاته علىٰ تجاوز ما ليس لها أن تتجاوزه في طلب الفساد وتصير بَغِيًّا؛ أي: فاجرة.

قال رسولُ الله ﷺ: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الأُمَمِ». فقالوا: يا رسول الله، وما داء الأمم؟ قال: «الأَشَرُ (أي: المرح والتجبر)، والبَطَرُ (أي: الطغيان في النعمة)، والتَّكَاثُرُ، والتَّنَاجُشُ فِي الدُّنْيَا

(أي: الخداع في المعاملات والبيوع)، **وَالتَّبَاغُض، وَالتَّحَاسُد، حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ** (أي: الظلم والتعدي)». الحاكم في «مستدركه» (٤/ ١٨٥) برقم (٧٣١١)، وقال: حديث صحيح الإسناد، ووافقه الذهبي.

وقيل: يا رسول الله، أيُّ الناس أفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**». قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مَخْمُومُ القلب؟ قال: «**هُوَ التَّقِيُّ، النَّقِيُّ، لا إِثْمَ فِيهِ وَلا بَغْيَ وَلا غِلَّ وَلا حَسَدَ**». ابن ماجه برقم (٤٢١٦)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩٤٨).

وقال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدَّخَرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**». أبو داود برقم (٤٩٠٢)، صححه الألباني (السلسلة الصحيحة) حديث (٩١٨).

وقال أيضًا ﷺ: «**وَإِنَّ مِنَ الْخُيَلاءِ** (أي: الكبر واحتقار الغير) **مَا يُبْغِضُ اللهُ، وَمِنْهَا مَا يُحِبُّ اللهُ: فَأَمَّا الْخُيَلاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ نَفْسَهُ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ. وَأَمَّا الَّتِي يَبْغَضُ اللهُ فَاخْتِيَالُهُ فِي الْبَغْيِ**». أبو داود برقم (٢٦٥٩).

وقال أيضًا ﷺ: «**لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعَ اللهُ فِيهِ أَعْجَلَ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلَ عِقَابًا مِنَ الْبَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ وَالْيَمِينِ الْفَاجِرَةِ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاقِعَ**». [البيهقي في «السنن الكبرىٰ» (١٠/ ٣٥) برقم (١٩٦٥٥)، صححه الألباني (صحيح الجامع الصغير) حديث (٥٣٩١)].

وكلمة بَلَاقِع جمع بَلْقَع، وهي الدار الخَرِبة لا شيء فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لو بغىٰ جبلٌ علىٰ جبلٍ لجعل الله عَزَّ وَجَلَّ الباغي منهما دكًّا.

ويقول محمد بن كعب القُرَظيُّ رحمه الله: ثلاث خصال مَن كُنَّ فيه كن عليه: البغي، والنَّكْث، والمكر. وقرأ: ﴿إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم﴾ [يونس: ٢٣]، و﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣]، و﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ﴾ [الفتح: ١٠].

* * *

٢٨٠- باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر بفسق أو نحو ذلك

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [المائدة: ٢].

(١٥٩١/ ٢٨٠) وعن أنسٍ ﷺ قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَقَاطَعُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا، وَلَا يَحِلُّ لِـمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ». متفق عليه.

(١٥٩٢/ ٢٨٠) وعن أَبِي أيوبَ ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لا يَحِلُّ لِـمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ: يَلْتَقِيَانِ، فَيُعْرِضُ هَذَا، وَيُعْرِضُ هَذَا، وخَيْرُهُما الَّذِي يَبْدَأُ بِالسَّلَامِ». متفق عليه.

(١٥٩٣/ ٢٨٠) وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «تُعْرَضُ الأعْمَالُ فِي كُلِّ إِثْنَيْنِ وَخَمِيسٍ، فَيَغْفِرُ اللهُ لِكُلِّ امْرِئٍ لا يُشْرِكُ بِالله شَيْئًا، إِلَّا امْرَأً كَانَتْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَخِيهِ شَحْنَاءُ، فَيقُولُ: اتْرُكُوا هذَيْنِ حَتَّىٰ يَصْطَلِحَا». رواه مسلم.

(١٥٩٤/ ٢٨٠) وعن جابرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ المُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ العَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ». رواه مسلم.

«التَّحْرِيشُ»: الإفْسادُ وتَغيِيرُ قُلُوبِهِمْ وتَقَاطُعُهُم.

(١٥٩٥/ ٢٨٠) وعن أَبِي هريرة ﷺ قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يَحِلُّ لِـمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ، فَمَنْ هَجَرَ فَوْقَ ثَلَاثٍ فَمَاتَ، دَخَلَ النَّارَ». رواه أبو داود بإسنادٍ علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(١٥٩٦/ ٢٨٠) وعن أَبِي خِراشٍ حَدْرَدِ بن أَبِي حَدْرَدٍ الأسلميِّ. ويقالُ: السُّلَمِيُّ الصحابي ﷺ: أَنَّهُ سَمِعَ النبيَّ ﷺ يقول: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٥٩٧/ ٢٨٠) وعن أَبِي هريرة ﷺ: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِـمُؤْمِنٍ أَنْ يَهْجُرَ مُؤْمِنًا فَوقَ ثَلَاثٍ، فَإِنْ مَرَّتْ بِهِ ثَلَاثٌ، فَلْيَلْقَهُ فَلْيُسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَإِنْ رَدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ فَقَدِ اشْتَرَكَا فِي الأَجْرِ، وَإِنْ لَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ فَقَدْ بَاءَ بِالإِثْمِ، وَخَرَجَ المُسَلِّمُ مِنَ الهِجْرَةِ». رواه أبو داود بإسناد حسن.

قال أبو داود: إِذَا كَانَتِ الهِجْرَةُ لله تَعَالَىٰ فَلَيسَ مِنْ هَذَا فِي شَيْءٍ.

* * *

(الهجر والهجران)

الهجرُ أو الهجران هو مفارقةُ الإنسانِ غيرَه، إما بالبدن كالقطيعة والخصام أو

باللسان كأن يقول فيه قولًا شديدًا أو باطلًا أو بالقلب، فالهَجْر هو التَّرْك والقطيعة، وهو ضدُّ الوصل.

أنواع الهجر:

الأول: هَجْر الرجل زوجته ونساءه: وهو جائز بشروط، وذلك عند النشوز أو خوف وقوع النشوز نفسه؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهۡجُرُوهُنَّ فِي ٱلۡمَضَاجِعِ﴾ [النساء: ٣٤]. وغايته عند العلماء شهر، وهو ألا يُضاجِعَها، ويُوليها ظهره ولا يجامعها.

الثاني: هجر الأقارب، وهو نوع من قطيعة الرحم: وقطيعة ذوي الرحم من الكبائر، حتىٰ وإن لم تبلغ مدة ثلاثة أيام؛ لأن الهجر هنا أُضيف إليه قطيعة الرحم وهي من الكبائر.

الثالث: هجر أهل البدع والأهواء: وهو أمر مطلوب إذا تحقق أنهم من أهلها، فإذا ظهرت منهم التوبة والإنابة ورغبة الرجوع إلىٰ الحق وجب عدم هجرتهم والعودة للمواصلة معهم.

الرابع: هجرة المسلمين بعضهم بعضًا وهو التهاجر: وهو من الكبائر شريطة أن يكون فوق ثلاثٍ، وليس لغرضٍ شرعيٍّ؛ لأنه تقاطع وتدابر وإيذاء وفساد وتقطيع لأوصال الأمة.

وقيل: إن الهجر فوق ثلاث جائز في موضعين:

أحدهما: أن يرىٰ في هذا الهجر إصلاحًا للمهجور فوق ثلاثة أيام.

الثاني: أن يرىٰ لنفسه سلامة في هذا الهجر لما يخاف علىٰ نفسه الفتنة بالاتصال بهذا المهجور إما لبدعته أو لفسقه أو لفجوره.

والهجر يكون بالأبدان كما بين الأزواج أو باللسان كما كان بين النبي ﷺ وكفار قريش حينما عابوا في القرآن لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ قَوۡمِي ٱتَّخَذُواْ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ مَهۡجُورٗا ٣٠﴾ [الفرقان: ٣٠] فقد قالوا فيه غير الحق وهجروه أيضًا بقلوبهم، فالهجرة

أيضًا بالقلب كما سبق؛ ولقوله تعالىٰ أيضًا: ﴿وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ١٠﴾ [المزمل: ١٠] أي: بالبدن والقول والقلب.

واعلم أن الحق لا يتعارض؛ فالهجر حرام إلا بالشروط التي عينها الشارع الحكيم.

قال رسول الله ﷺ: «مَنْ هَجَرَ أَخَاهُ سَنَةً فَهُوَ كَسَفْكِ دَمِهِ». أحمد في مسنده (٤/ ٢٢٠) برقم (١٧٩٦٤)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح. وحذر ابن مسعود رضي الله عنه من التهاجر فقال: ما اهتجر رجلان في الإسلام إلا خرج أحدهما منه. وهذا محمول علىٰ الشروط التي أشرنا إليها.

قال ابن مُفلح رحمه الله: يُسَنُّ هجر مَن جهر بالمعاصي الفعلية والقولية والاعتقادية.

وقال ابن تيمية رحمه الله: هجران أهل البدع والأهواء كافرهم وفاسقهم والمتظاهرين بالمعاصي وترك السلام عليهم فرض كفاية، ومكروه لسائر الناس، ولا يُسَلِّم أحدٌ علىٰ فاسقٍ مُعْلِنٍ لفسقه، ولا مبتدعٍ معلنٍ لبدعته داعيًا لها. والهجر والتهاجر بلا سببٍ شرعيٍّ سببٌ في تفكك المجتمع وخرابه وضعفه، وتتأخر به مغفرة الله للمتهاجرين في غير حقٍّ.

❃ ❃ ❃

٢٨١- باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة وهو أن يتحدثا سرًّا بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه

قال اللهُ تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ﴾ [المجادلة: ١٠].

(١٥٩٨/ ٢٨١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا كانُوا ثَلاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَىٰ (أي: لا يتسارَّان منفردين عنه) اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ». متفق عليه.

ورواه أَبُو داود وزاد: قَالَ أَبُو صالح: قلت لابن عمر: فَأَرْبَعَةً؟ قَالَ: لا يَضُرُّكَ.

ورواه مالك في «الموطأ»: عن عبد الله بن دينارٍ، قَالَ: كُنْتُ أَنَا وابْنُ عُمَرَ عِنْدَ دَارِ خَالِدِ بنِ عُقْبَةَ الَّتي في السُّوقِ، فَجاءَ رَجُلٌ يُريدُ أنْ يُنَاجِيَهُ، وَلَيْسَ مَعَ ابْنِ عُمَرَ أَحَدٌ غَيْري، فَدَعَا ابْنُ عُمَرَ رَجُلًا آخَرَ حَتَّىٰ كُنَّا أَرْبَعَةً، فقال لي وللرجل الثالث الذي دعا: اسْتَأْخِرَا شَيْئًا، فإني سمعت رسول الله ﷺ يَقُولُ: «لا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ وَاحِدٍ».

(١٥٩٩/ ٢٨١) وعن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا كُنْتُمْ ثَلَاثَةً، فَلَا يَتَنَاجَىٰ اثْنَانِ دُونَ الآخَرِ حَتَّىٰ تَخْتَلِطُوا بِالنَّاسِ، مِنْ أَجْلِ أَنَّ ذَلِكَ يَحْزُنُهُ». متفق عليه.

٢٨٢- باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

(١٦٠٠/ ٢٨٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسولَ الله صلى الله عليه وسلم، قال: «عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ (أي: قِطَّة) سَجَنَتْهَا حَتَّىٰ مَاتَتْ، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ، لَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا وَسَقَتْهَا، إِذْ حَبَسَتْهَا، وَلَا هِيَ تَرَكَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ». متفق عليه. «خَشَاشُ الأرضِ» بفتح الخاءِ المعجمة وبالشين المعجمة المكررة، وهي: هَوَامُّها وَحَشَرَاتُها.

(١٦٠١/ ٢٨٢) وعنه: أَنَّهُ مَرَّ بِفِتْيَانٍ مِنْ قُرَيْشٍ قَدْ نَصَبُوا طَيْرًا وَهُمْ يَرْمُونَهُ (أي: جعلوه هدفًا للرمي بالنبال)، وَقَدْ جَعَلُوا لِصَاحِبِ الطَّيْرِ كُلَّ خَاطِئَةٍ مِنْ نَبْلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْا ابْنَ عُمَرَ تَفَرَّقُوا، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَنْ فَعَلَ هَذَا؟ لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، إِنَّ رسُولَ الله صلى الله عليه وسلم لَعَنَ مَنِ اتَّخَذَ شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا. متفق عليه. «الغرض» بفتح الغين المعجمة والراءِ، وَهُوَ: الهَدَفُ وَالشَّيءُ الَّذِي يُرْمَىٰ إِلَيْهِ.

(١٦٠٢/ ٢٨٢) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: نَهَىٰ رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ تُصْبَرَ البَهَائِمُ. متفق عليه.

ومعناه: تُحْبَسُ لِلقَتْلِ.

(١٦٠٣/ ٢٨٢) وعن أبي عليٍّ سويدِ بن مُقَرِّنٍ رضي الله عنه قال: لقد رَأَيْتُنِي سابعَ سبعةٍ من بني مُقَرِّن ما لنا خادمٌ إلا واحدةٌ لَطَمَها أَصْغَرُنا فأَمَرَنا رسولُ الله صلى الله عليه وسلم أَنْ نُعْتِقَهَا. رواه مسلم.

وَفِي روايةٍ: سابعَ إخوةٍ لي.

(١٦٠٤/ ٢٨٢) وعن أبي مسعود البَدْرِيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَضْرِبُ غُلامًا لِي بالسَّوْطِ، فَسَمِعْتُ صَوْتًا مِنْ خَلْفِي: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ». فَلَمْ أَفْهَمِ الصَّوْتَ مِنَ الغَضَبِ، فَلَمَّا دَنَا مِنِّي إِذَا هُوَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم، فإذا هو يقول: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ». قال: فألقيتُ السَّوْط

من يدي، فَقَالَ: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعودٍ أنَّ اللهَ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْك عَلَىٰ هَذَا الغُلامِ». فَقُلْتُ: لا أَضْرِبُ مَمْلُوكًا بَعْدَهُ أَبَدًا.

وفي روايةٍ: فَسَقَطَ مِنْ يَدِي السَّوْطُ مِنْ هَيْبَتِهِ.

وفي رواية: فَقُلْتُ: يا رسولَ الله، هُوَ حُرٌّ لِوَجْهِ الله تَعالَىٰ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ، لَلَفَحَتْكَ النَّارُ، أَوْ لَمَسَّتْكَ النَّارُ». رواه مسلم بهذه الروايات.

(١٦٠٥/ ٢٨٢) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ ضَرَبَ غُلَامًا لَهُ حَدًّا لَمْ يَأْتِهِ، أَوْ لَطَمَهُ، فإنَّ كَفَارَتَهُ أنْ يُعْتِقَهُ». رواه مسلم.

(١٦٠٦/ ٢٨٢) وعن هِشام بن حكيم بن حِزامٍ رضي الله عنهما: أَنَّهُ مَرَّ بالشَّامِ عَلَىٰ أُنَاسٍ مِنَ الأَنْبَاطِ، وَقَدْ أُقِيمُوا فِي الشَّمْسِ، وَصُبَّ عَلَىٰ رُؤُوسِهِمُ الزَّيْتُ! فَقَالَ: مَا هذَا؟ قِيلَ: يُعَذَّبُونَ فِي الخَرَاجِ - وفي روايةٍ: حُبِسُوا فِي الجِزْيَةِ - فقال هشام: أشهدُ لَسَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إنَّ اللهَ يُعَذِّبُ الَّذِينَ يُعَذِّبُونَ النَّاسَ في الدُّنْيَا». فَدَخَلَ عَلَىٰ الأَمِيرِ، فَحَدَّثَهُ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَخُلُّوا. رواه مسلم. «الأنباط»: الفلاحون مِنَ العَجَمِ.

(١٦٠٧/ ٢٨٢) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: رأىٰ رسُولُ الله ﷺ حِمَارًا مَوْسُومَ الوَجْهِ (أي: مُعلَّمًا بعلامةٍ في الوجه)، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «والله لا أَسِمُهُ إلَّا أَقْصَىٰ شَيْءٍ مِنَ الوَجْهِ». وأَمَرَ بِحِمَارِهِ فَكُوِيَ في جَاعِرَتَيْهِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ كَوَىٰ الجَاعِرَتَيْنِ. رواه مسلم.

«الجاعرتان»: نَاحِيَةُ الوَرِكَيْنِ حَوْلَ الدُّبُرِ.

(١٦٠٨/ ٢٨٢) وعنه: أنَّ النبيَّ ﷺ مَرَّ عَلَيْهِ حِمَارٌ قَدْ وُسِمَ في وَجْهِهِ، فَقَالَ: «لَعَنَ اللهُ الَّذِي وَسَمَهُ». رواه مسلم.

وفي رواية لمسلم أيضًا: نهىٰ رسول الله ﷺ عَنِ الضَّرْبِ في الوَجْهِ، وَعَنِ الوَسْمِ في الوَجْهِ.

٢٨٣- باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى النملة ونحوها

(١٦٠٩/ ٢٨٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: بعثنا رسولُ الله ﷺ في بَعْثٍ، فَقَالَ: «إنْ وَجَدْتُمْ فُلَانًا وَفُلَانًا» لِرَجُلَيْنِ مِنْ قُرَيْشٍ سَمَّاهُمَا، «فَأَحْرِقُوهُمَا بالنَّارِ». ثم قال رسول الله ﷺ حِينَ

أَرَدْنَا الخرُوجَ: «إنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ أنْ تُحْرِقُوا فُلانًا وفُلانًا، وإنَّ النَّارَ لا يُعَذِّبُ بِهَا إلَّا الله، فإنْ وَجَدْتُمُوهُما فاقْتُلُوهُما». رواه البخاري.

(١٦١٠/ ٢٨٣) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كنَّا مَعَ رَسُولِ الله ﷺ في سَفَرٍ، فانْطَلَقَ لحَاجَتِهِ، فَرَأَيْنَا حُمَّرَةً مَعهَا فَرْخَانِ، فَأَخَذْنَا فَرْخَيهَا، فَجاءتِ الحُمَّرَةُ فَجَعلَتْ تَعْرِشُ (أي: ترفرف بأجنحتها) فَجاءَ النَّبيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ فَجعَ هذِهِ بوَلَدِهَا؟ رُدُّوا وَلَدَهَا إلَيْها». ورأَىٰ قَرْيَةَ نَمْلٍ قَدْ حَرَّقْنَاهَا، فَقَالَ: «مَنْ حَرَّقَ هذِهِ؟» قُلْنَا: نَحْنُ. قَالَ: «إنَّهُ لا يَنْبَغِي أنْ يُعَذِّبَ بالنَّارِ إلَّا رَبُّ النَّارِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح. قَوْله: «قرية نمل» مَعنَاهُ: مَوضِعُ النَّمْلِ مَعَ النَّمْلِ (أي: النمل علىٰ ضربين: أحدهما: مؤذ ضار فدفعُ عاديته جائز، والضرب الآخر: لا ضرر فيه وهو الطوال الأرجل لا يجوز قتله).

٢٨٤- باب تحريم مطل الغني بحق طلبه صاحبه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء:٥٨].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنۡ أَمِنَ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا فَلۡيُؤَدِّ ٱلَّذِي ٱؤۡتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣].

(١٦١١/ ٢٨٤) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «مَطْلُ (أي: المراد هنا تأخير ما استحق أداؤه بغير عذر) الغَنِيِّ ظُلْمٌ، وَإِذَا أُتْبعَ أَحَدُكُمْ عَلَىٰ مَلِيءٍ (أي: غني) فَلْيَتْبَعْ». متفق عليه.

مَعْنَىٰ «أُتبع»: أُحِيل.

٢٨٥- باب كراهة عود الإنسان في هبة لم يسلمها إلى الموهوب له وفي هبة وهبها لولده وسلمها أو لم يسلمها، وكراهة شرائه شيئًا تصدق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه

(١٦١٢/ ٢٨٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «الَّذِي يَعُودُ فِي هِبَتِهِ كَالكَلْبِ يَرْجِعُ فِي قَيْئِهِ». متفق عليه.

وفي روايةٍ: «مَثَلُ الَّذِي يَرْجِعُ فِي صَدَقَتِهِ، كَمَثَلِ الكَلْبِ يَقِيءُ، ثُمَّ يَعُودُ فِي قَيْئِهِ فَيَأكُلُهُ».

وفي روايةٍ: «العائِدُ فِي هِبَتِهِ كالعائِدِ فِي قَيْئِهِ».

(١٦١٣/ ٢٨٥) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قَالَ: حَمَلْتُ عَلَىٰ فَرَسٍ فِي سَبيلِ الله فَأَضَاعَهُ الَّذِي

كَانَ عِندَهُ، فَأَرَدْتُ أن أشْتَرِيَهُ، وَظَنَنْتُ أَنَّهُ يَبِيعُهُ بِرُخْص، فَسأَلْتُ النَّبيَّ ﷺ، فقال: «لا تَشْتَرِهِ وَلَا تَعُدْ فِي صَدَقَتِكَ وإنْ أعْطَاكَهُ بِدِرْهَم؛ فَإنَّ العَائِدَ في صَدَقَتِهِ كَالعَائِدِ في قَيْئِهِ». متفق عليه. قَوْلُهُ: «حَمَلْتُ عَلَىٰ فَرسٍ فِي سَبيلِ الله» مَعْنَاهُ: تَصَدَّقْتُ بِهِ عَلَىٰ بَعْضِ المُجَاهِدِينَ.

٢٨٦- باب تأكيد تحريم مال اليتيم

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ۝١٠﴾ [النساء: ١٠].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢].

وقال تعالَىٰ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَٰمَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠].

(١٦١٤/ ٢٨٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ!» قالُوا: يا رَسُولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بالله، والسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إلَّا بالحَقِّ، وأكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيم، والتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ». متفق عليه. «المُوبِقَاتِ»: المُهْلِكات.

٢٨٧- باب تغليظ تحريم الربا

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰا۟ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٢٧٥ يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰا۟ وَيُرْبِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥- ٢٧٨].

وأما الأحاديث فكثيرة في الصحيح مشهورة، مِنْهَا حديث أَبي هريرة السابق في الباب قبله.

(١٦١٥/ ٢٨٧) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ آكِلَ الرِّبَا وَمُوكِلَهُ. رواه مسلم.

زاد الترمذي وغيره: وَشَاهِدَيْهِ وَكَاتِبَهُ.

٢٨٨- باب تحريم الرياء

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

وقال تَعَالَىٰ: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾ [النساء:١٤٢].

(١٦١٦/ ٢٨٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «قَالَ الله تعالَىٰ: أَنَا أَغْنَىٰ الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ». رواه مسلم.

(١٦١٧/ ٢٨٨) وعنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ يومَ القِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعْمَتَهُ، فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ العِلْمَ وَعَلَّمَهُ، وَقَرَأَ القُرآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ العِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ، وَقَرَأْتُ فِيكَ القُرآنَ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ! وَقَرَأْتَ القُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ؛ فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ. وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ المَالِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ، فَعَرَفَهَا. قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ. قَالَ: كَذَبْتَ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: جَوَادٌ! فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ثم أُلْقِيَ فِي النَّارِ». رواه مسلم.

«جَرِيءٌ» بفتح الجيم وكسر الراء وبالمد، أي: شُجَاعٌ حَاذِقٌ.

(١٦١٨/ ٢٨٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أن ناسًا قالوا له: إِنَّا نَدْخُلُ عَلَىٰ سَلَاطِينِنَا فَنَقُولُ لَهُم بِخِلَافِ مَا نَتَكَلَّمُ إِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِندِهِمْ؟ قَالَ ابنُ عُمَرَ رضي الله عنهما: كُنَّا نَعُدُّ هَذَا نِفَاقًا عَلَىٰ عَهْدِ رسول الله ﷺ. رواه البخاري.

(١٦١٩/ ٢٨٨) وعن جُنْدُب بن عبد الله بن سُفْيان رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النبيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرائِي يُرائِي اللهُ بِهِ». متفق عليه ورواه مسلم أيضًا من رواية ابن عباس رضي الله عنهما.

«سَمَّعَ» بتشديد الميم، ومعناهُ: أظهر عمله للناس رياءً. «سَمَّعَ اللهُ بِهِ» أي: فَضَحَهُ يومَ القِيَامَةِ. ومَعْنَىٰ: «مَنْ رَاءَىٰ»

أي: مَنْ أظْهَرَ لِلنَّاسِ العَمَلَ الصَّالِحَ لِيَعْظُمَ عِنْدَهُمْ. «رَاءَىٰ اللهُ بِهِ» أي: أظْهَرَ سَرِيرَتَهُ عَلَىٰ رُءُوسِ الخَلائِقِ.

(١٦٢٠/ ٢٨٨) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ اللهِ عز وجل لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ».

يَعْنِي: رِيحَهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح. والأحاديث في الباب كثيرةٌ مشهورةٌ.

٢٨٩- باب ما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء

(١٦٢١/ ٢٨٩) وعن أبي ذرٍّ رضي الله عنه قَالَ: قِيلَ لِرسولِ الله ﷺ: أرأيْتَ الرَّجُلَ الَّذِي يَعْمَلُ العَمَلَ مِنَ الخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَىٰ المُؤْمِنِ». رواه مسلم.

* * *

(الريـــاء)

الرياءُ أصلُه طلبُ الجاه والمنزلة في قلوب الناس، بالتظاهرِ أمامهم بخصال الخير، من عباداتٍ وطاعاتٍ وأعمال أخرىٰ، وهو حرام، وصاحبُه عند الله ممقوت، وقد شهدت بذلك الآيات والأخبار والآثار، أما الآيات فقوله تعالىٰ: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦﴾ [الماعون: ٤-٦].

قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: إني أقف الموقفَ أبتغي وَجْهَ الله (أي: أطلب الآخرة بعباداتي وأعمالي) وأُحِبُّ أن يرىٰ موطني؟ فلم يردَّ عليه النبيُّ ﷺ حتىٰ نزلَتْ هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف: ١١٠]. الحاكم في المستدرك (٢/ ١٢٢) برقم (٢٥٢٧).

وقال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَىٰ فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثَلَاثَةٌ: رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ فَأُتِيَ اللهُ بِهِ، فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فما عَمِلْتَ فيها؟ قال: قَاتَلْتُ فِيكَ حتىٰ اسْتُشْهِدْتُ. قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ. ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ علىٰ وَجْهِهِ حَتَّىٰ أُلْقِيَ فِي النَّارِ». الحديث مسلم برقم (١٩٠٥).

وعن شداد بن أوس رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ صَلَّىٰ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ صَامَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ، وَمَنْ تَصَدَّقَ يُرَائِي فَقَدْ أَشْرَكَ...» الحديث. أحمد في مسنده (٤/ ١٢٥) برقم (١٧١٨٠).

ويُروىٰ أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأىٰ رجلًا يطأطئ رقبته، فقال: يا صاحب الرقبة،

ارفع رقبتك، ليس الخشوع في الرقاب، إنما الخشوع في القلوب.

ورأىٰ أبو أُمَامة الباهليُّ رجلًا في المسجد يبكي في سجوده، فقال: أنتَ، أنتَ، لو كان هذا في بيتك.

وقال عليٌّ رضي الله عنه: للمرائي ثلاثُ علامات: يكسل إذا كان وحده، وينشط إذا كان في الناس، ويزيد في العمل إذا أُثني عليه، وينقص إذا ذُمَّ.

وسأل رجلٌ سعيدَ بن المُسيِّب فقال: إن أحدَنا يصطنع المعروفَ يحب أن يُحمَد ويُؤجَر؟ فقال له: أتحب أن تُمقَت؟ قال: لا. قال: فإذا عملتَ لله عملًا فأخلصه.

وضرب عمرُ رجلًا بالدِّرَّة (أي: السوط) ثم قال له: اقتصَّ مني. فقال: لا بل أَدَعُها لله ولك. فقال له عمر: ما صنعتَ شيئًا، إما أن تدعها لي فأعرف ذلك، أو تدعها لله وحده. فقال: ودعتها لله وحده. فقال: فنعم إذَنْ.

وقال الفُضَيل بن عياض رحمه الله: كانوا يُراءون بما يعملون، وصاروا اليوم يراءون بما لا يعملون.

وقال عِكْرِمة رحمه الله: إن اللهَ يُعطي العبدَ علىٰ نيَّته ما لا يُعطيه علىٰ عمله؛ لأن النيةَ لا رياءَ فيها.

وقال قتادة رحمه الله: إذا راءىٰ العبدُ يقول الله تعالىٰ: انظروا إلىٰ عبدي يستهزئ بي!

وقال ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ». متفق عليه.

قال الخطابي في شرحه لهذا الحديث: مَن عمل عملًا علىٰ غير إخلاص، وإنما يُريد أن يراه الناسُ ويسمعوه، جُوزِيَ (أي: كوفئ) علىٰ ذلك بأن يُشهِّره الله ويفضحه ويُظهر ما كان يُبطنه.

ويقال: إن المُرائي يُنادىٰ يوم القيامة بأربعة أسماء: يا مرائي، يا غادر، يا خاسر، يا فاجر، اذهب فَخُذْ أَجْرَك ممن عملتَ له، فلا أجر لك عندنا.

وقيل: أقربُ الناس إلىٰ الرياء آمَنُهم منه.

وقال يوسف بن الحسين: أعزُّ شيءٍ في الدنيا الإخلاص، وكم أجتهد في إسقاط الرياء عن قلبي فكأنه ينبت علىٰ لونٍ آخر.

وقال سَهْلٌ التُّسْتَرِيُّ: لا يعرف الرياءَ إلا مُخلِصٌ، ولا النفاق إلا مؤمن، ولا الجهل إلا عالم، ولا المعصية إلا مطيع.

بيان حقيقة الرياء وما يُراءىٰ به: الرياء مشتق من الرؤية، أما السُّمْعَةُ فمشتقة من السماع، وبينهما فرق؛ قال التهانوي: الفرق بين الرياء والسمعة أن الرياءَ يكون في الأفعال، والسمعة تكون في الكلام والأقوال.

وقال ابن عبد السلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الرياء أن يعمل لغير الله، والسمعة أن يُخفي عملَه حين يقوم به ثم يُخبِر ويُحدِّث به الناسَ بعد ذلك.

أما الفرقُ بين النِّفاق والرياء فيتمثَّل في أن الأصلَ في الرياء الإظهارُ، والأصل في النفاق الإخفاء، فالمرائي يُظهِر نيَّته الحقيقية في طلب المنزلة عند الناس، وأما المنافق فإنه يُخفي علىٰ الناس ما بداخله ويُظهِر خلافَه.

وأما الرياء والنفاق الأصغر فقد يتلاقيان، كما قال الله عَزَّ وَجَلَّ في شأن المنافقين: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾[النساء: ١٤٢]، أي: بإظهار مجرد الطاعة، ولكنهما يختلفان: فالمنافقون إذا قاموا إلىٰ الصلاة قاموا كسالىٰ ولا يذكرون الله إلا قليلًا، وأما المُرَاءُون فيُظهِرون النشاط في العبادة والذكر لينالوا المكانة عند الناس.

الفرق بين الرياء (الشرك الأصغر) والشرك الأكبر: إن المرائي يكون رياؤه سببًا باعثًا ودافعًا له علىٰ العمل، وهو تارة يقصد بعمله تعظيمَ الله تعالىٰ، وتارة أخرىٰ لا يقصد ذلك، فلا يكون هذا ولا ذاك مُكفِّرًا له، وأما الشرك الأكبر فلا يحدث إلا إذا قصد تعظيم غير الله تعالىٰ. فالمرائي قد حدث له ذلك النوع من الشرك، بتعظيمه قدر المخلوق عنده حتىٰ حمله ذلك علىٰ الركوع والسجود طلبًا للمكانة والشرف عنده، وهذا من جهله، فالرياء إذَنْ هو تَرْك الإخلاص في العمل بمراعاة غير الله فيه.

أقسام الرياء: وما تتم به المراءاة كثير، ويجمعه خمسة أقسام، هي مجموع ما يتزيَّن به العبد للناس، فقد يرائي أهلُ الدنيا بهذه الأسباب الخمسة إلا أَنَّ طلبَ الجاه وقَصْد الرياء بأعمالٍ ليست من جملة الطاعات أهونُ عند الله من الرياء بالطاعات.

القسم الأول: الرياء في الدين بالبدن: حيث يقصد بعضُهم إظهارَ النحول والصَّفار ليُوهم بذلك شدةَ الاجتهاد والعبادة، وعِظَم الحزن علىٰ أمر الدين، وغلبة خوف الآخرة، وسهر الليل وكثرة الاجتهاد، وقد يجتهد كي يبدو نحيلًا أشعثَ الشعر غير مُرتَّب؛ ليُوهم الناسَ عدم الاهتمام به والتفرُّغ للدين.

ومثل ذلك أيضًا خَفْض الصوت عند الكلام وذبول الشفتين ليستدل بذلك علىٰ أنه مواظب علىٰ الصوم، وأن وقار الشرع هو الذي خفض من صوته أو أن الجوع هو الذي أضعف من قوته. أما أهل الدنيا فيراءون بإظهار النضارة والسِّمَن وصفاء اللون واعتدال القامة وحسن الوجه ونظافة البدن وقوة الأعضاء وتناسبها إظهارًا لغناهم.

القسم الثاني: الرياء بالهيئة والزي: ويقصد به الرياء بتشعيث شعر الرأس، وإطراق الرأس في المشي، والهدوء في الحركة، وإبقاء أثر السجود علىٰ الوجه، وتقصير الثياب المُبالَغ فيه، وتَرْك تنظيف الثوب وتركه مُخرَّقًا أو غير منظم.

كل ذلك يرائي به المرء ليُظهر مِن نفسه أنه مُتَّبعٌ للسُّنَّةِ ومقتدٍ فيها بعباد الله الصالحين، وكتعمد ارتداء لباس شبيه بلباس أهل العلم وصاحبه خالٍ من العلم، حتىٰ يظن العامَّةُ أنه من أهل العلم، ليطلب المنزلة عند أهل الدين والصلاح بإظهار الزهد. وأما مراءاة أهل الدنيا الأغنياء والتُّجَّار فيلبسون ثيابًا غالية، ويركبون سيارات باهظة الثمن، ويتوسَّعون ويتجملون في ملابسهم وفي بيوتهم وقصورهم.

القسم الثالث: الرياء بالقول: ورياءُ أهل الدين في هذا يكون بالتكلُّف في الوعظ والتذكير، واستعمالِ كلام الحكماء، وحِفظ الأخبار والآثار؛ لاستعماله في المحاورة، ولإظهار غزارة العلم وشدة العناية بأحوال السلف الصالحين، وتحريك الشفتين بالذكر في محضرِ الناس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أمام الخلق، ولإظهار الغضب للمنكرات والأسف علىٰ مقارفة الناس المعاصي.

وتضعيفُ الصوت في الكلام وترقيقُ الصوت بقراءة القرآن ليدل بذلك علىٰ الخوف والحزن، وادِّعاء لقاء العلماء أو انتقاد مَن يروي الحديث ببيان خللٍ في لفظه ليُعرَف أنه

بصيرٌ بالأحاديث الصحيحة أو غير الصحيحة، لإظهار الفضل فيه والمجادلة علىٰ قَصْد إفحام الخصم ليُظهِر للناس قوته في علوم الدين.

وأما أهل الدنيا فبعضهم يُرائي بالقول بحفظ الأشعار والأمثال والتفاصح في العبارات وحفظ الغريب للإغراب علىٰ أهل الفضل، وبعضهم بالتشدُّق باللغات الأجنبية لإظهار التودد إلىٰ الناس لاستمالة القلوب.

القسم الرابع: الرياء بالعمل: كمراءاة المصلي بتعمُّد إطالة القيام والركوع والسجود، وإطراق الرأس، وتَرْك الالتفات، وإظهار الهدوء والسكون، وتسوية القدمين واليدين، وكذلك بكثرة الصوم التطوعي، والحرص دائمًا علىٰ الحج، وتعمُّد إظهار الصدقة، وإطعام الطعام، والوقار في المشي عند اللقاء، كإرخاء الجفون وتنكيس الرأس والوقار في الكلام. ومع أن المرائي قد يُسرِع في المشي إلىٰ حاجته إذا كان منفردًا وبعيدًا عن أعين الناس، فإنه إذا اطَّلع عليه أحدٌ من أهل الدين رجع إلىٰ الوقار وإطراق الرأس خوفًا من أن ينسبه إلىٰ العجلة وقلة الوقار، فإن غاب الرجل عاد إلىٰ عجلته، فإذا رآه عاد إلىٰ خشوعه.

ومنهم مَن إذا سمع هذا استحيا مِن أن تُخالِف مشيته في الخلوة مشيته بمرأىٰ من الناس، فيُعوِّد نفسه المشية الحسنة في الخلوة، حتىٰ إذا رآه الناس لم يفتقر إلىٰ التغيير ويظن أنه يتخلَّص بذلك من الرياء وقد تضاعف للأسف به رياؤه، فإنه صار في خلوته أيضًا مرائيًا، فإنه إنما يُحسِّن مشيتَه في الخلوة ليكون كذلك في الملأ لا لخوفٍ مِن الله وحياءٍ منه. وأما أهل الدنيا فمراءاتهم بالتبختر والاختيال والزهو وتحريك اليدين وتقريب الخُطىٰ والأخذ بأطراف الذيل ليدلُّوا بذلك علىٰ الجاه والحشمة.

القسم الخامس: المراءاة بالأصحاب والزائرين والمخالطين: وذلك بأن يحرص علىٰ أن يزوره العلماء ليقال بين الناس: إن بيته للعلماء، وإن أهل الدين يتبرَّكون بزيارته ويترددون إليه. أو يحرص علىٰ ملاقاة أكبر عدد من العلماء والصالحين بهذه النية حتىٰ يظن الناس أنهم أصحابه فيحمدونه علىٰ ذلك. وكالذي يُكثِر ذِكْر الشيوخ ليُرىٰ أنه لقي شيوخًا كثيرة واستفاد منهم فيُباهي بشيوخه، وعند مخاصمته، فيقول لغيره: مَن لقيتَ مِن الشيوخ فأنا قد لقيتُ فلانًا وفلانًا، ودُرْتُ البلاد وخدمت الشيوخ، متباهيًا ومرائيًا.

ومنهم مَن يحرص علىٰ أن يزوره ملكٌ من الملوك أو عاملٌ من عمال السلطان ليقال: إنهم يتبرَّكون به لعِظَم رتبته في الدين. ومِن أنواع المرائين مَن يرضىٰ بجميل رأي الناس فيه، ويعتزلهم للتعبُّد، ولو ظهر له أنهم لا يعتقدون فيه صلاحًا غَضِبَ واضطربت عبادته، وقد يكون زاهدًا في أموالهم، ولكنه طامعٌ ومتطلعٌ إلىٰ حب المكانة في قلوبهم.

ومن المرائين من لا يقنع فقط بعلوِّ منزلته عند الناس، بل يلتمس من ذلك إطلاق الألسنة بالثناء والحمد له، وقد يرغب في انتشار صيته وسمعته في البلاد حتىٰ يأتيه الناس من كل مكان. ومنهم مَن يريد الاشتهارَ عند أصحاب النفوذ والسلطة لتُقبَل شفاعتُه وتُنجَز الحوائج علىٰ يده فيقوم له بذلك جاهٌ ومكانة عند العامة.

ومنهم من يقصد التوصُّل بذلك إلىٰ جمع حُطَام وكسب مال ولو من الأوقافِ وأموال اليتامىٰ وغير ذلك من الحرام، وهؤلاء شرُّ طبقات المرائين.

حكم الرياء: هل عموم الرياء حرام أم مكروه أم مباح؟

إن الرِّياءَ هو طلب الجاه، وهو إما أن يكون بالعبادات أو بغير العبادات، فإن كان بغير العبادات فهو كطلب المال فلا يَحرُم من حيث إنه طلبُ منزلة في قلوب العباد.

فكسبُ المال الذي يحتاج إليه الإنسان أمرٌ محمود، وكسبُ قليل من الجاه، والذي يَسْلَم به من الأذىٰ ويدفع به الأزمات والآفات أيضًا أمرٌ محمود، وهو كالذي طلبه يوسفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث قال: ﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ۝٥٥﴾ [يوسف: ٥٥].

وكما أن كثيرَ المال يُلهي ويُطغي ويُنسي ذِكْر الله والدار الآخرة، فكذلك كثير الجاه، بل هو أشدُّ، وفتنة الجاه أعظمُ من فتنة المال. وكما أن تملُّكَ المال الكثير ليس بحرام، فإن تملُّكَ القلوب الكثيرة ليس بحرام أيضًا، إلا إذا حملته كثرةُ الجاه علىٰ فِعل ما لا يجوز فعله للانتفاع منهم بشيء حرام.

وأما سَعَة الجاه من غير حرص منك علىٰ طلبه، ومن غير اهتمام بزواله، فلا ضرر فيه، فلا جاهَ أوسع من جاهِ ومكانة رسول الله ﷺ وجاه الخلفاء الراشدين ومَن بعدهم من علماء الدين، ولكن انشغال النفس بطلب الجاه نُقْصَانٌ في الدين، ولا يوصف بالتحريم.

فتحسين الثوب الذي يلبسه الإنسانُ عند الخروج إلىٰ الناس مراءاةٌ، وهو ليس بحرام؛ لأنه ليس رياء بالعبادة، بل بالدنيا، وقِسْ علىٰ هذا كلَّ من تجمَّل للناس وتزيَّن لهم. والدليل عليه ما روي عن عائشة- ولم يصح سنده-: أن رسول الله ﷺ أراد أن يخرج يومًا إلىٰ الصحابة، فكان ينظر في جُبِّ (أي: بئر) الماء ويُسوِّي عمامته وشعره، فقالت: أوَ تفعل ذلك يا رسول الله؟ قال: «نَعَمْ، إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يُحِبُّ مِنَ العَبْدِ أَنْ يَتَزَيَّنَ لِإِخْوَانِهِ إِذَا خَرَجَ إِلَيْهِمْ» ذكره العراقي في المغني عن حمل الأسفار، وعزاه لابن عدي في الكامل.

وكان رسولُ الله ﷺ مأمورًا بدعوة الخَلْق وترغيبهم في الاتِّباع واستمالة قلوبهم، ولو سقط من أعينهم لم يرغبوا في اتباعه، فكان يجب عليه أن يُظهِر لهم محاسنَ أحواله لئلا تزدريه أعينهم؛ فإن أعينَ عوامِّ الخلق تمتدُّ إلىٰ الظواهر دون السرائر، فكان ذلك قصد رسول الله ﷺ.

وأما لو قصد قاصد أن يُحسِّن نفسَه في أعينهم حتىٰ يستجلب مَدْحَهم واحترامهم، ويَحْذَر ذَمَّهم ولَوْمهم كان أمرًا مباحًا؛ إذ للإنسان أن يحترز من ألم المذمَّة ويطلب راحة الأُنس بالإخوان، ومهما استثقلوه واستقذروه لم يأنس بهم.

وفي الحديث: أن رجلًا قال للنبيِّ ﷺ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا، وَنَعْلُهُ حَسَنَةً؟ فَقَالَ ﷺ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الجَمَالَ؛ الكِبْرُ: بَطَرُ الحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ». مسلم برقم (٩١).

فالمراءاة إذَنْ بما ليس من العبادات قد تكون مباحةً، وقد تكون طاعة، وقد تكون مذمومة، وذلك بحسب الغرض المطلوب منها. فإذا أنفق الرجل مالَه علىٰ جماعة من الأغنياء، لا في معرض العبادة أو الصدقة، ولكن ليعتقد الناس أنه سخيٌّ، فهذا مُراءٍ وإن كانت مراءاته ليست بحرام.

أما المراءاة بالعبادات، كالصدقة والصلاة والصيام والحج فللمرائي فيها حالتان:

إحداهما: أن يقصد الرياء المحض، وهذا يُبطل عبادته؛ لأن الأعمالَ بالنيات، بل يصير بذلك آثمًا عاصيًا. وهنا أمران:

الأمر الأول يتعلق بالعباد: فقد يخدع الناس فيظهر لهم أنه مخلص مطيع لله وأنه من أهل الدين وليس كذلك، والتلبيس عليهم في أمر الدنيا حرام أيضًا، حتىٰ لو قام بقضاء دَيْن

لأحد الناس وأظهر إليهم أنه متبرع عليه ليعتقدوا سخاوته أَثِمَ به؛ لما فيه من التلبيس وتملُّك القلوب بالخداع والمكر.

والأمر الثانىٰ يتعلّق بالله: لأنه صار مستهينًا بجزاء الله له يوم القيامة، فهو مستهزئ بالله يقصد المخلوقين دونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال قتادة: إذا راءىٰ العبدُ قال اللهُ لملائكته: انظروا إليه كيف يستهزئ بي.

فأيُّ استحقارٍ يزيد علىٰ أن يقصد العبدُ بطاعة الله تعالىٰ مراءاةَ عبدٍ ضعيف لا يملك له ضرًّا ولا نفعًا؟! وهل ذلك إلا لأنه يظنُّ أن ذلك العبدَ أقدرُ علىٰ تحصيل أغراضِه من الله، وأنه أولىٰ بالتقرب إليه من الله؛ إذ آثره علىٰ ملك الملوك، فجعله مقصود عبادته.

وأيُّ استهزاء يزيد علىٰ رفع العبد فوق المولىٰ؟! فهذا من كبائر المهلكات؛ ولهذا سماه رسولُ الله ﷺ **الشِّركَ الأصغر** في الحديث [أحمد في مسنده (٥/ ٤٢٨) برقم (٢٣٦٨٠)]؛ لأن المرائي عَظُم في قلبه الناسُ فاقتضت تلك العظمة أن يسجد ويركع، فكأن الناسَ هم المُعظَّمون بالسجود، وكان ذلك قريبًا من الشرك. فلا ينبغي أن نشكَّ في أن المرائي بطاعة الله في سخط الله إذا لم يقصد الأجر والثواب من الله.

والثانية: أن يقصد الأجرَ والثواب من الله والحمد والثناء من الناس جميعًا، أي مراءاة الخلق في صدقته أو صلاته فهذا هو الشرك الذي يُناقض الإخلاص؛ قال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ عَمِلَ لِي عَمَلًا فَأَشْرَكَ فِيهِ غَيْرِي فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ وَهُوَ لِلَّذِي أَشْرَكَ**». أحمد في مسنده (٢/ ٣٠١) برقم (٧٩٨٧)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط مسلم.

الإسرار والإظهار في الطاعات والمعاصي:

أولا: في الطاعات: قد يكون للإسرار أو إخفاء الأعمال فائدة، وهو سهولة الإخلاص والنجاة من الرياء، وإن كان في الإظهار فائدة الاقتداء به وترغيب الناس في فِعل الخيرات، مع أنه ينطوي علىٰ آفة الرياء التي تُصيب صاحبها؛ قال الله تعالىٰ: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾﴾ [البقرة: ٢٧١].

• **إظهار العمل**: فأما إظهار العمل للناس فينقسم إلىٰ قسمين:

١ - إظهار العمل نفسه أثناء فعله.

٢ - إظهار العمل نفسه ولكن بعد فعله بالتحدث عنه.

القسم الأول: إظهار العمل نفسه، مثل الصدقة أمام الناس في الملأ للترغيب في مثل هذا الفعل: فعندما جاء الأنصاريُّ الفقيرَ بصُرَّةٍ أمام الناس لَـمَّا أمرهم النبيُّ ﷺ ورغَّبهم في ذلك، فبدأ هو بإظهار فعله فاقتدىٰ الناس به، قال النبيُّ ﷺ في حقِّه: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيءٌ». مسلم برقم (١٠١٧).

وهكذا سائر الأعمال، كالصلاة والصيام والحج والجهاد، وإن كانت رغبةُ الاقتداء في الصدقة علىٰ الطباع أغلب؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾﴾ [البقرة: ٢٧٤].

فالأصل في الفرائض والأركان الإظهار والإعلان، وأما في النوافل والتطوعات فالأصل فيها الإخفاء والكتمان؛ ذلك أن الفرائض والأركان هي شعائر الإسلام، فيجب إظهارها وإظهار التمسُّك بها، حتىٰ لا يُتَّهم من أخفاها بتضييع عُرَىٰ الإسلام التي فرضها الله عليه، ويمنع عن نفسه التُّهمَةَ السيئة، وكذلك ليتشبَّه به الآخرون. فالصلاحُ يبعث علىٰ الصلاحِ والخيرُ إلىٰ الخيرِ داعٍ. فعلىٰ مَن أراد أن يُظهِر عملَه أمران:

أولهما: أن ينوي أن يُقتدَىٰ به، بأن يعلم أو يظن ذلك من أهله أو جيرانه أو زملائه أو أهل قريته، وكلما كان معروفًا ومشهورًا كان ذلك أحرىٰ له، فإن كان للناس قدوةً فعليه أن يحرص علىٰ ذلك، ويُذكِّرنا هذا بموقف الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه في محنة خَلْق القرآن، حيث أعلن رأيه واضحًا ولم يستعمل التَّقِيَّة أو الإخفاء أو التعريض؛ لما يعلمه من أن الناسَ يقتدون به وينتظرون موقفه ورأيه، فقد رأىٰ أن ذلك واجبٌ في حقِّه، فكان إظهارُه لموقفه من أعظم الأعمال في حقِّه. والله أعلم.

فهكذا يصحُّ الإظهارُ بنية القدوة ممن هو في محل القدوة، ولكن لا يقول كلُّ واحدٍ عن نفسه إنه يفعل ذلك للاقتداء به؛ إذ لعله ليس ممن يُقتدَىٰ به عند الناس، فربما نسبوه للرياء والنفاق.

ثانيًا: علىٰ كلِّ مَن أراد إظهارَ عمله لسببٍ شرعي مقبول أن يراعي قلبَه؛ خوفًا من الرياء الخفي الذي يدفع الإنسانَ لإظهار العمل وكأنه ينوي أن يُقتدىٰ به ولكنه، في الحقيقة، لشهوته في أن يتجمَّل بالعمل ويوصف به وبكونه من أهل الاقتداء وليس طمعًا في الأجر والثواب من الله.

فالضعيف يخاف علىٰ نفسه، كالغريق الذي لا يُحسِن إلا السباحة الضعيفة، ومع ذلك يريد أن ينقذ غيره رحمةً منه، فيهلكوا جميعًا، فحب الجاه علىٰ القلب غالب.

القسم الثاني: وهو إظهارُ نفس العمل، ولكن بعد الفراغ منه، وخطورة هذا الأمر هو سهولة فعله؛ حيث إن الأمرَ سهلٌ علىٰ اللسان. ولا شك أن الكلامَ باللسان قد يحمل المبالغةَ في وَصْف الفعل.

ولا شك أن للنفس لذةً عظيمة في إظهار هذه الأفعال الصالحة بالمبالغات والزيادات، ولا شك أن الرياء قد يتطرق إلىٰ العبد في ذلك وإن كان لا يُفسِد العبادة الماضية بعد الفراغ منها، ولكنه يُعاقَب علىٰ قصد الرياء بعد ذلك وينقص ذلك من أجره من هذا الوجه.

أما مَن صَغُر الناس في عينه واستوىٰ عنده مَدْحهم وذمُّهم، وقام بالإخلاص في عمله، وإنما أراد بإظهار عمله الاقتداءَ به وترغيبَ الناس في فِعل الخيرات، ففعله مندوبٌ إليه، وقد رغَّب الشارعُ الحكيم الناسَ في الخير، ولا يكون الترغيب والدعوة للناس إلا بالإظهار، إما قولًا أو فعلًا أو بكلا الأمرين؛ فالله تعالىٰ يقول: ﴿وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [الحج: ٦٧]، ويقول: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ دَلَّ عَلَىٰ خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ». مسلم برقم (١٨٩٣).

وقد أظهر جماعةٌ من السلف الصالح بعضًا من أحوالهم الصالحة الشريفة، وإذا نظرنا إليها وجدناها غاية المراءاة لو صدرت الأعمال بنية المراءاة، وإلا فإننا نجدها غايةَ الترغيب في فعل الخيرات إذا صدرت بنية الاقتداء بها؛ وذلك لأن الطباعَ مجبولةٌ علىٰ حُبِّ التشبُّه والاقتداء بالآخرين ممن لهم في النفوس قَدْرٌ ومكانة.

ولهذا استعمل الشرعُ هذه الجِبِلَّة والطَّبْع في جَلْب الناس إلىٰ الخير فقال توجيهًا

للأمة في ذلك وحكاية عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

ولسوء حظِّ المرائي فإن إظهارَ أحواله مع أنه شرٌّ وإثم فلا يُؤجَر عليه بسبب سوء نيته، فإنه يُشجِّع الناسَ على الخيرات، دون نية ولا قصد منه، وكم مِن إنسانٍ صار صالحًا مُخلصًا، ولعل ذلك بسبب رؤيته وسماعه بعض المرائين، وفي الحديث: «إِنَّ اللهَ يُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الْفَاجِرِ». متفق عليه.

وقد تكلَّم العلماءُ في هذه المسألة: أيُّهما أولىٰ وأفضل: إخفاء الطاعة، أم إظهارها؟

فقال العزُّ بن عبد السلام في كتابه «قواعد الأحكام»: إن قيل: هل الإخفاء أفضل من الإعلان لما فيه من اجتناب الرياء أم لا؟ فالجواب أن الطاعاتِ ثلاثةُ أنواع:

أحدها: أن هناك أعمالًا قد شُرعت للجهر بها، كالأذان والإقامة، والتكبير، والجهر بالقراءة في الصلاة، والخطب المشروعة كالجمعة والعيدين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة الجمع والجماعات والأعياد، والدعوة والجهاد، والذهاب للمرضىٰ لعيادتهم وتشييع الأموات، فهذه الأعمال مما لا يُمكن إخفاؤها، وعلىٰ فاعلها أن يجتهد في استحضار النية الصالحة والإخلاص فيها، وأن يجتهد أيضًا في إبعاد الرياء عن نفسه ما استطاع، فيتحصَّل علىٰ أجر الفعل الخالص وكذلك علىٰ أجور مَن تبعه فيها، والله أعلم.

الثاني: أن هناك أعمالًا الإسرار بها خيرٌ من الإعلان، كإسرار القراءة في الصلاة المسنون فيها ذلك، وكذلك أذكار تلك الصلوات، فهذا إسراره خير من إعلانه.

الثالث: أن هناك أعمالًا قد تخفىٰ تارة وقد تظهر تارة، مثل الصدقات، فمَن خاف علىٰ نفسه الرياءَ أو ظنَّ بها ذلك كان الإخفاءُ في حقِّه أفضل؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٧١].

ومَن أَمِن الرياءَ فله حالان:

أولًا: ألا يكون من أهل القدوة والاقتداء من عموم الناس، فلعل الإخفاءَ في حقِّه أفضل من الإظهار.

الثاني: أن يكون ممن يُقتدَىٰ به، فلا شك أن الإعلانَ في حقِّه أولىٰ؛ لما في ذلك من تشجيع الأغنياء علىٰ التصدُّق علىٰ الفقراء، وهذا مما يُرغِّب فيه الشارع الحكيم، وفيه ما فيه من مصلحةٍ للفقراء، فبهذا يكون قد نفع الفقراء بسدِّ خلَّتهم ونفع الأغنياء بتسبُّبه إلىٰ اقتدائهم به في نفع الفقراء.

ولذلك فإن جماعة من السلف الصالح الأقوياء قد تكلَّموا وأظهروا أحوالهم الشريفة للناس. قال سعدُ بن مُعَاذٍ رضي الله عنه: ما صلَّيتُ صلاةً منذ أسلمتُ فحدَّثتُ نفسي بغيرها، ولا تبعتُ جنازةً فحدَّثتُ نفسي بغير ما هي قائلة وما هو مقولٌ لها، وما سمعتُ النبيَّ يقول قولًا قط إلا علمتُ أنه حقٌّ.

وقال عمر رضي الله عنه: ما أُبالي أصبحتُ علىٰ عُسْر أو يُسْر؛ لأني لا أدري أيُّهما خيرٌ لي.

وقال ابنُ مسعود رضي الله عنه: ما أصبحتُ علىٰ حالٍ فتمنَّيتُ أن أكونَ علىٰ غيرها.

وقال أبو سفيان لأهله حين حضره الموت: لا تبكوا عليَّ؛ فإني ما أحدثتُ ذنبًا منذ أسلمتُ.

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ما قضىٰ اللهُ فيَّ بقضاءٍ قط فسرَّني أن يكون قضىٰ لي بغيره، وما أصبح لي هوىٰ إلا في مواقع قدر الله.

ثانيًا: في المعاصي والذنوب: الأصل في الإخلاص هو استواء السرِّ والعلانية في الأعمال، وتفسير ذلك ما قاله عمر لرجل: عليك بعمل العلانية. قال: يا أمير المؤمنين، وما عمل العلانية؟ قال: ما إذا اطُّلع عليك لم تستحِ منه.

وكما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم: «**الْبِرُّ: حُسْنُ الْخُلقِ، والإِثْمُ: مَا حاك فِي صَدْرِكَ، وكَرِهْتَ أَن يَطَّلِعَ عَلَيْهِ النَّاسُ**». مسلم برقم (٢٥٥٣).

وقال أبو مسلمٍ الخُرَاسانيُّ: ما عملتُ عملًا أُبالي أن يطَّلع الناسُ عليه إلا إتياني أهلي والبول والغائط.

ومع ذلك لا يخلو الإنسانُ عن ذنوبٍ بقلبه أو بجوارحه، وهو يُخفيها ويكره اطِّلاع الناس عليها، خاصة ما يدور بخواطره من شهوات وأماني، والله سبحانه مُطَّلِعٌ، ورغبة العبد في إخفاء ذلك ليس من الرياء المحظور، وإنما المحظور هو رغبة إخفاء العيوب

والنقص من أجل أن يظن الناس فيه الورع والخوف من الله، مع أنه ليس كذلك.

وأما العبدُ الصادق الذي لا يرائي فله أن يستر معاصيه، وله كذلك أن يغتمَّ ويغضب باطلاع الناس عليها، وعليه أن يُصحِّح مقصده في سترها كالآتي:

الأول: أن يسترها، ويفرح بستر الله عليه، فقد قيل: إن مَن سَتَرَ اللهُ عليه في الدنيا ذنبًا ستره الله عليه في الآخرة. فإن الفضيحةَ بهتك ستره تغمُّ الإنسان ويخاف أن يُهتَك ستره يوم القيامة.

الثاني: أن يستر المعصية ويعلم أن الله يكره ظهور المعاصي ويحب سترها، كما روي: «اجْتَنِبُوا هَذِهِ القَاذُورَاتِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ عَنْهَا، فَمَنْ أَلَمَّ بِهَا فَلْيَسْتَتِرْ بِسِتْرِ الله تعالىٰ».

مالك في الموطأ (٢/ ٨٢٥) برقم (١٥٠٨).

فلا يخلو قلبٌ صادقٌ من محبةِ الله ومحبةِ ما يحبه الله، وهذا لقوة الإيمان بكراهة الله لظهور المعاصي، وعلامة الصدق في هذا الشعور أن يكره ظهورَ الذنب، حتىٰ ولو من غيره، بل ويغتم لذلك، كما في الحديث: «لا يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّىٰ يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحبُّ لِنَفْسِهِ». متفق عليه.

الثالث: أن يكونَ ستره للذنوب ورغبته في ذلك لكراهته ذَمَّ الناس، فكما أن الضَّرْب مؤلمٌ للجسد فإن الذمَّ مؤلم للقلب، وليعلم أن الخوفَ من تألُّم القلب بالذمِّ ليس بحرام ولا يعصي بذلك، وإنما يصير عاصيًا إذا دعاه ضررُه من ذلك إلىٰ فِعل ما لا يجوز.

والذمُّ إذا جاءك من أهل البصيرة والحقِّ يؤلم أكثرَ لأنهم صادقون، وهم شهداء الله في الأرض، وذمُّهم تنبيهٌ علىٰ ذَمِّ الله تعالىٰ للعبد وعلىٰ نقصان الدين. فكراهة سماع الذمِّ علىٰ المعصية لا محذور فيها، إلا أمرًا واحدًا، وهو أن يشغله غمُّه باطلاع الناس علىٰ ذنبه عن اطلاع الله عليه، فالواجب أن يغتمَّ للذنب أمام الله تبارك وتعالىٰ.

الرابع: أن يستر ذنبه، بحيث لا يتسبب في ذم الناس له فيقعون في المعصية بسبب هذا الذم؛ إذ قد يذمُّه الناس فيبالغون في وَصْف ذنوبه كذبًا وبهتانًا، فهو بستر المعصية قد كفَّ عنهم هذه المعصية فيجب ألَّا أن يُعصَىٰ الله بسببه.

الخامس: أن يستر ذنبه خوفًا من معاملة الناس له بسوءٍ أو شدة إذا ظهرت معصيته، فلا حرج علىٰ المسلم أن يتجنب أسباب الأذىٰ، كما رُوي في الحديث: «لا يَنْبَغِي لِمُسْلِمٍ أَنْ يُذِلَّ نَفْسَهُ». قِيلَ:

وَكَيْفَ يُذِلُّ نَفْسَهُ؟ قال: «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ لِـمَا لَا يُطِيقُ». أحمد في المسند (٥/ ٤٠٥) برقم (٢٣٤٩١).

السادس: أن يستر معصيته حياءً؛ فإنَّ رسولَ الله ﷺ مَرَّ علىٰ رجل من الأنْصَار وهو يَعِظُ أخاهُ في الحَيَاءِ، فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ الْـحَيَاءَ مِنَ الإيمَانِ». [متفق عليه].

ولكن عليه أن يعلمَ أن الحياءَ يمترج بالرياء أحيانًا لاشتباهه به اشتباهًا عظيمًا، حيث يستطيع كلُّ مُراءٍ أن يدَّعِيَ الحياءَ، فيتصرف رياءً في بعض الأحيان مدعيًا الحياءَ من الناس.

السابع: أن يكتم سرَّه ليدخل في زمرة أهل العفو، فالمتفاخر والمتباهي بمعصيته قد خرج من دائرة العفو الإلهي، كما في الحديث: «كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًىٰ إلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ باللَّيلِ عَمَلًا ثُمَّ يُصْبِحُ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيهِ فَيَقُولُ: يَا فُلانُ، عَمِلتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ الله عَنْه». متفق عليه.

الثامن: أن يستر ذنبَه مخافة أنه لو ظهر ذنبُه لتجرَّأ الناسُ بسبب ذلك علىٰ الذنوب، فيقتدون به في فِعل المعاصي، فينبغي أن يُخفي المعاصيَ حتىٰ عن أقرب الناس إليه، كأهله وولده وخدمه، حتىٰ لا يتأسَّوْا به.

وهذا مما تعمُّ به البلوىٰ في صعوبة تربية الأبناء، حيث يُقلِّدون آباءهم وأمهاتهم في معاصيهم وتفلُّتهم في دينهم، مما يسبب صعوبة شديدة في تغيير قلوبهم وعاداتهم بعد ذلك إلىٰ الحقِّ، كما في الحديث: «مَنْ سَنَّ في الإِسْلامِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيهِ وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيءٌ». مسلم برقم (١٠١٧). وقال أيضًا: «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا إلَّا كَانَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ القَتلَ». متفق عليه.

إِذًا ليس في إظهار الطاعة عذرٌ إلا للاقتداء ودعوة الناس إلىٰ فعل الخيرات وتقليد الصالحين في ذلك، وأما الأعذار الثمانية السابقة فهي لستر الذنوب، ولكن لا يطلب من الناس إظهار الورع بترك الذنب.

وهنا سؤال: هل يجوز للعبد أن يحب وصف الناس له بالصلاح؟

جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النبي ﷺ فقال: يَا رسولَ الله، دُلَّنِي عَلَىٰ عَمَلٍ إذا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ. فقال: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللهُ، وَازْهَدْ فِيمَا عِنْدَ النَّاسِ يُحِبَّكَ النَّاسُ».

ابن ماجه برقم (٤١٠٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٧٨٧٣)، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

فحُبُّك- أن يحبك الناس- قد يكون مباحًا أو مذمومًا أو محمودًا:

فالمحمود: أن تحب ذلك لأنه علامة على حب الله لك، كما في الحديث: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «إذا أَحبَّ اللهُ تَعالَىٰ العَبْدَ نَادَىٰ جِبْرِيلَ: إنَّ اللهَ تَعالَىٰ يُحِبُّ فُلانًا فَأَحْبِبْهُ. فَيُحِبُّهُ جبريلُ، فَيُنَادِي في أَهْلِ السَّمَاءِ: إنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلانًا، فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ في الأَرْضِ». متفق عليه.

وأما المذموم: أن تُحِبَّ ذلك الحبَّ أكثرَ مِن حبِّك للأعمال الصالحة، فكأنك تعمل صالحًا فقط حتىٰ يُحبَّك الناس، وهذه هي المراءاة، فكأنك طلبت أجرًا في الدنيا على عمل الآخرة؛ وفي الحديث: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَىٰ بِهِ وَجْهُ الله ﷻ لا يَتَعَلَّمُهُ إلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا لَمْ يَجِدْ عَرْفَ (أي: رائحة) الجَنَّةِ يَوْمَ القِيَامَةِ». أبو داود برقم (٣٦٦٤)، صححه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٢٢٧).

وأما المباح: أن تحبَّ أن يُحِبُّوكَ للصِّفاتِ المحمودة فيك، وليس لعين الطاعات، مثل حب الإنسان للمال، فهو مباح مادام لا يبعث على الباطل.

قال ابنُ عطاء الله: إلهي، إن ظهرت المحاسن منِّي فبفضلك ولك المنة، وإن ظهرت المساوي منِّي فبعَدْلِك ولك الحجة عليَّ.

وقال أيضًا: الستر على قسمين: ستر عن المعصية، وستر فيها. والعامةُ يطلبون من الله تعالىٰ السترَ فيها خشيةَ سقوط مرتبتهم عند الخلق، والخاصةُ يطلبون من الله تعالى الستر عنها خشية سقوطهم من نظر الملك الحق.

وقال أيضًا: مَن وجد ثمرة عمله عاجلًا فهو دليل على وجود القبول آجلًا.

❊ ❊ ❊

٢٩٠- باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ٣٦﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ١٩﴾ [غافر: ١٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ١٤﴾ [الفجر: ١٤].

(أي: **المرأة الأجنبية**: هي كل امرأة ليست من محارم الرجل، ويحل له التزوج بها إذا خلت من الموانع الشرعية. **والأمرد الحسن**: هو كل شابٍّ جميل خلا وجهه من الشعر).

(١٦٢٢/ ٢٩٠) وعن أبي هُرَيرة رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**كُتِبَ عَلَىٰ ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا مُدْرِكٌ ذَلِكَ لا مَحَالَةَ: العَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلَامُ، وَاليَدُ زِنَاهَا البَطْشُ، وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الخُطَا، والقَلْبُ يَهْوَىٰ وَيَتَمَنَّىٰ، وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الفَرْجُ أَوْ يُكَذِّبُهُ**». مُتَّفق عليه وهذا لفظُ مسلم، ورواية البخاري مختصرة.

(١٦٢٣/ ٢٩٠) وعن أَبي سعيد الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «**إيَّاكُمْ والجُلُوسَ فِي الطُّرُقَاتِ!**» قالوا: يَا رسولَ الله، مَا لَنَا مِنْ مَجَالِسِنَا بُدٌّ، نَتَحَدَّثُ فِيهَا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**فَإذَا أبَيْتُمْ إِلَّا المَجْلِسَ، فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**». قَالُوا: وَمَا حَقُّ الطَّرِيقِ يَا رسولَ الله؟ قَالَ: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ الأَذَىٰ، وَرَدُّ السَّلَامِ، والأمرُ بالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عنِ المُنْكَرِ**». متفق عليه.

(١٦٢٤/ ٢٩٠) وعن أَبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا قُعُودًا بالأَفْنِيَةِ (أي: الأفنية: جمع فناء، وهو المتسع أمام الدار) نَتَحَدَّثُ فِيهَا فَجاءَ رسولُ الله ﷺ فقَامَ عَلَيْنَا، فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ وِلِـمَجالِسِ الصُّعُدَاتِ؟ اجْتَنِبُوا مَجَالِسَ الصُّعُدَاتِ**». فقُلْنَا: إنَّمَا قَعَدْنَا لِغَيرِ مَا بَأْسٍ، قَعَدْنَا نَتَذَاكَرُ، وَنَتَحَدَّثُ. قَالَ: «**إمَّا لا فَأَدُّوا حَقَّهَا: غَضُّ البَصَرِ، وَرَدُّ السَّلَامِ، وَحُسْنُ الكَلَامِ**». رواه مسلم.

«**الصُّعُدات**» بضمِّ الصاد والعين، أي: الطُّرقَات.

(١٦٢٥/ ٢٩٠) وعن جرير رضي الله عنه قَالَ: سأَلتُ رسُولَ الله ﷺ عن نَظَرِ الفَجْأَةِ فَقَالَ: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**». رواه مسلم.

(١٦٢٦/ ٢٩٠) وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: كنتُ عِنْدَ رسول الله ﷺ، وعندهُ مَيْمُونَة، فَأَقْبَلَ ابنُ أُمِّ مَكْتُوم، وذلك بعد أن أُمِرنا بالحجاب، فقال النبيُّ ﷺ: «**احْتَجِبَا مِنْهُ**». فقُلْنَا: يَا رسولَ الله، أَلَيْسَ هُوَ أعمَىٰ! لَا يُبْصِرُنَا، وَلَا يَعرِفُنَا؟ فقال النبيُّ ﷺ: «**أفَعَمْيَاوَانِ أنتما أَلَسْتُمَا تُبْصِرَانِهِ؟!**». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٦٢٧/ ٢٩٠) وعن أبي سعيد رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «لَا يَنْظُرُ الرَّجُلُ إِلَىٰ عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلَا المَرْأَةُ إِلَىٰ عَوْرَةِ المَرْأَةِ، وَلَا يُفْضِي (أي: يلامس) الرَّجُلُ إِلَىٰ الرَّجُلِ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، وَلَا تُفْضِي المَرْأَةُ إِلَىٰ المَرْأَةِ فِي الثَّوْبِ الواحِدِ». رواه مسلم.

٢٩١- باب تحريم الخلوة بالأجنبية

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

(١٦٢٨/ ٢٩١) وعن عُقْبَةَ بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالدُّخُولَ عَلَىٰ النِّسَاءِ!» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصارِ: أفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: «الحَمْوُ المَوْتُ». متفق عليه.

«الحَمْو»: قَرِيبُ الزَّوْجِ كَأَخِيهِ، وابْنِ أَخِيهِ، وَابْنِ عَمِّهِ.

(١٦٢٩/ ٢٩١) وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَخْلُوَنَّ أَحدُكُمْ بامْرَأَةٍ إِلَّا مَعَ ذِي مَحْرَمٍ». متفق عليه.

(١٦٣٠/ ٢٩١) وعن بُرَيدَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ المُجَاهِدِينَ عَلَىٰ القَاعِدِينَ كَحُرْمَةِ أُمَّهَاتِهِمْ، مَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ القَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلًا مِنَ المُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ إِلَّا وَقَفَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ مَا شَاءَ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ». ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْنَا رسولُ الله ﷺ فقَالَ: «مَا ظَنُّكُمْ؟». رواه مسلم.

٢٩٢- باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك

(١٦٣١/ ٢٩٢) عن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ المُخَنَّثِينَ (أي: يقصد: التشبه المذموم بالنساء) مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُتَرَجِّلاتِ (أي: يقصد: التشبه المذموم بالرجال) مِنَ النِّسَاءِ.

وفي رواية: لَعَنَ رسُولُ الله ﷺ المُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بالنِّسَاءِ، والمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بالرِّجَالِ. رواه البخاري.

(١٦٣٢/ ٢٩٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: لَعَنَ رَسُولُ الله ﷺ الرَّجُلَ يَلْبِسُ لِبْسَةَ المَرْأَةِ، والمَرْأَةَ تَلْبِسُ لِبْسَةَ الرَّجُلِ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٦٣٣/ ٢٩٢) وعنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ البَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلاتٌ مَائِلاتٌ،

رُؤُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ المائِلَةِ، لا يَدْخُلْنَ الجَنَّةَ، وَلا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وإنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكذَا». رواه مسلم.

معنىٰ «كَاسِيَاتٌ» أي: مِنْ نِعْمَةِ الله. «عَارِيَاتٌ» مِنْ شُكْرِهَا، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: تَسْتُرُ بَعْضَ بَدَنِهَا، وَتَكْشِفُ بَعْضَهُ إظْهارًا لِجَمَالِهَا وَنَحْوِهِ. وَقيلَ: تَلْبَسُ ثَوبًا رَقيقًا يَصِفُ لَوْنَ بَدَنِهَا. ومَعْنَىٰ «مائِلاتٌ» قِيلَ: عن طاعة الله وما يلزمهن حفظه. «مميلاتٌ» أي: يُعَلِّمْنَ غَيْرَهُنَّ فِعْلَهُنَّ المَذْمُومَ. وَقِيلَ: مَائِلَاتٌ يَمْشِينَ مُتَبَخْتِرَاتٍ، مُمِيلَاتٌ لِأَكْتَافِهِنَّ، وقيلَ: مائلاتٌ يَمْتَشِطْنَ المِشْطَةَ المَيلاءَ: وهي مِشطةُ البَغَايا. و«مُميلاتٌ»: يُمَشِّطْنَ غَيْرَهُنَّ تِلْكَ المِشْطَةَ. «رُءوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ البُخْتِ» أي: يُكَبِّرْنَهَا وَيُعَظِّمْنَهَا بِلَفِّ عِمَامَةٍ أَوْ عِصَابَةٍ أَوْ نَحْوِه.

٢٩٣ - باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار

(١٦٣٤/ ٢٩٣) عن جابر رضي الله عنه قَالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لا تَأْكُلُوا بِالشِّمَالِ، فَإنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ ويَشربُ بِالشِّمَالِ». رواه مسلم.

(١٦٣٥/ ٢٩٣) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لا يَأْكُلَنَّ أَحَدُكُمْ بِشِمَالِهِ، وَلَا يَشْرَبَنَّ بِهَا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْكُلُ بِشِمَالِهِ وَيَشْرَبُ بِهَا». رواه مسلم.

(١٦٣٦/ ٢٩٣) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اليَهُودَ وَالنَّصَارىٰ لا يَصْبغُونَ، فَخَالِفُوهُمْ». متفق عليه. المُرادُ: خِضابُ شَعْرِ اللِّحْيَةِ والرَّأسِ الأبْيَضِ بِصُفْرَةٍ أَوْ حُمْرَةٍ؛ وأَمَّا السَّوَادُ، فَمَنْهِيٌّ عَنْهُ كَما سَنَذْكُرُهُ في البَابِ بَعْدَهُ، إنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَىٰ.

* * *

(النهي عن التشبه بالشيطان والكفار)

أما التشبه بالشيطان، فيقصد به: أفعاله الدنيئة الخبيثة، وليس كما يظن البعض شكله، فهو مخفيٌّ عنا وليس له ملامح نعرفها علىٰ وجه اليقين، وإنما هي تصورات تصورها البعض من أهل الكتب السابقة ورسموا للشيطان صورة ليس هناك دليل عليها؛ ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

فالنهي متعلق بأفعاله الخبيثة، كالمكر والخديعة والإيقاع بين الناس، والتفريق بين الصالحين والأزواج، وإشاعة الباطل، والترغيب في المعاصي، وتزيين فعل المحرمات... إلخ مما هو من أفعال إبليس.

أما النهي عن التشبه بالكفار، فيقصد به أيضًا ما تعلق بمظهر يدل علىٰ الكفر كلباس رهبان البوذية وغيرهم مما تعرف به ديانتهم. وهذا يختلف عن الثياب التي عمت بين عموم الدنيا ولم ترتبط بديانة خاصة حتىٰ لو كان الأغلب والأعم فيها لغير المسلمين، طالما أنها ليست دليلًا علىٰ دين معين.

والنهي يشمل التشبه بأي فعل من أفعال الكفر، التي تخالف الشرع الحكيم، في العقائد والعبادات والمعاملات حسب ما بين أهل الفقه والشرع الكريم.

وإذا اتفقت بعض العادات الاجتماعيَّة، بين الشعوب والأقوام أو حتىٰ بين أصحاب الديانات المختلفة، وكانت علىٰ سبيل العادة، فلا بأس بها؛ لأنها لا تدل علىٰ دين معين إن كان ليس فيها شعار ديني، ويجب عند ذلك الرجوع فيها لأهل الفتوىٰ المعتبرين.

❋ ❋ ❋

٢٩٤- باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد

(١٦٣٧/ ٢٩٤) عن جابر رضي الله عنه قَالَ: أُتِيَ بِأَبِي قُحَافَةَ والِدِ أَبي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنهما، يَومَ فَتْحِ مَكَّةَ وَرَأْسُهُ وَلِحْيَتُهُ كَالثَّغَامَةِ (أي: الثغامة: نوع من النبات أبيض الزهر والثمر يشبه به الشيب، وقيل: هي شجرة تبيض كأنها الثلج) بَيَاضًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «**غَيِّرُوا هَذَا وَاجْتَنِبُوا السَّوَادَ**». رواه مسلم.

❋ ❋ ❋

(صبغ الشعر للرجال)

إن صَبْغَ شعر الرجال جائزٌ، بأيِّ لونٍ ما عدا الأسود؛ فقد اختلف أهل العلم في اللون الأسود، فمِنهُم من قال بالكراهةِ ومِنهُم مَن حَرَّمه إلا أن يكون في جِهادِ العدُوِّ.

وقد أجاز بعضُ العلماء ذلك للشباب دون غيرِهم.

❋ ❋ ❋

٢٩٥- باب النهي عن القزع

وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة

(١٦٣٨/ ٢٩٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نَهَىٰ رسولُ الله ﷺ عَنِ الْقَزَعِ. متفق عليه.

(١٦٣٩/ ٢٩٥) وعنه قَالَ: رأى رسولُ الله ﷺ صَبيًّا قَدْ حُلِقَ بَعْضُ شَعْرِ رَأسِهِ وَتُرِكَ بَعْضُهُ، فَنَهَاهُمْ عَنْ ذَلِكَ، وقال: «احْلِقُوهُ كُلَّهُ، أَوِ اتْرُكُوهُ كُلَّهُ». رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(١٦٤٠/ ٢٩٥) وعن عبد الله بن جعفر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ أمْهَلَ آلَ جعْفَرٍ ثَلاثًا ثُمَّ أتاهُمْ فَقالَ: «لا تَبْكُوا عَلَىٰ أخِي بَعْدَ اليَوْمِ». ثُمَّ قال: «ادعوا لي بني أخي». فَجِيءَ بِنَا كَأنَّا أفْرُخٌ (أي: جمع فرخ، وهو: ولد الطائر يشبه به الصغير) فَقَالَ: «ادْعُوا لِيَ الحَلَّاقَ». فَأمرَهُ، فَحَلَقَ رُءوسَنَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح علىٰ شرط البخاري ومسلم.

(١٦٤١/ ٢٩٥) وعن عليٍّ رضي الله عنه قَالَ: نَهَىٰ رسُولُ الله ﷺ أنْ تَحْلِقَ المَرْأةُ رَأسَهَا. رواه النسائي.

٢٩٦- باب تحريم وصل الشعر والوشم والوَشْرُ

قال تعالىٰ: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١١٧-١١٩].

(١٦٤٢/ ٢٩٦) وعن أسماء رضي الله عنها: أنَّ امْرَأةً سَألَتِ النَّبيَّ ﷺ فَقَالَتْ: يا رسولَ الله، إن ابنتي أصابتها الحَصْبة (أي: الحصبة: هي بَثَرَاتٌ حُمْر تخرج في الجلد متفرقة)، فَتَمَرَّقَ شَعْرُهَا، وإنِّي زَوَّجْتُهَا، أفَأَصِلُ فِيهِ؟ فقالَ: «لَعَنَ اللهُ الوَاصِلَةَ وَالمَوْصُولَةَ». متفق عليه.

وفي روايةٍ: «الوَاصِلَةَ، والمُسْتَوْصِلَةَ». قولها: «فتمرق» هو بالراء ومعناه: انْتَثَرَ وَسَقَطَ. و«الوَاصِلَةُ»: التي تَصِلُ شَعْرَهَا، أو شَعْرَ غَيْرِهَا بِشَعْرٍ آخَرَ. و«المَوْصُولَةُ»: التي يُوصَلُ شَعْرُهَا. و«المُسْتَوْصِلَةُ»: التي تَسْألُ مَنْ يَفْعَلُ لها ذلك.

وعن عائشة رضي الله عنها نَحوه. متفق عليه.

(١٦٤٣/ ٢٩٦) وعن حُميد بن عبد الرحمن: أنَّهُ سَمِعَ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه، عامَ حَجَّ علىٰ المِنْبَرِ وَتَنَاوَلَ قُصَّةً مِنْ شَعَرٍ (أي: خصلة من الشعر، وهي: الشعر المجتمع) كَانَتْ فِي يَدِ حَرَسِيٍّ (أي: نسبة إلىٰ الحرس، وهم: خدم الأمير الذين يحرسونه، ويقال للواحد: حرسي) فَقَالَ: يَا أهْلَ المَدِينَةِ أيْنَ عُلَمَاؤُكُمْ؟! سَمِعتُ النَّبيَّ ﷺ، يَنْهَىٰ عَنْ مِثْلِ هذِهِ، وَيَقُولُ: «إنَّمَا هَلَكَتْ بَنُو إسْرَائِيلَ حِينَ اتَّخَذَ هذه نِسَاؤُهُمْ». متفق عليه.

(١٦٤٤/ ٢٩٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّ رسولَ الله ﷺ لَعَنَ الوَاصِلَةَ والمُسْتَوْصِلَة، والوَاشِمَةَ والمُسْتَوشِمَةَ. متفق عليه.

(١٦٤٥/ ٢٩٦) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: لَعَنَ اللهُ الوَاشِماتِ والمُسْتَوشِماتِ وَالمُتَنَمِّصَاتِ، والمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ (أي: فيه إشارة إلىٰ أن الحرام هو المفعول لطلب الحسن، أما لو احتاجت إليه لعلاج أو عيب في السن ونحوه فلا بأس)، المُغَيِّرَاتِ خَلْقَ الله، فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَةٌ في ذَلِكَ فَقَالَ: وما لي لا أَلْعَنُ مَن لَعَن رسولُ الله ﷺ، وَهُوَ فِي كِتَابِ الله؟ قالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧]. متفق عليه.

«المتفلجة» هي: الَّتي تَبْرُدُ مِنْ أَسْنَانِهَا لِيَتَبَاعَدَ بَعْضُها مِنْ بَعْضٍ قَلِيلًا، وتُحَسِّنُها وَهُوَ الوَشْرُ. و«النامصة»: الَّتي تَأخُذُ مِنْ شَعْرِ حَاجِبِ غَيْرِهَا، وتُرَقِّقُهُ لِيَصِيرَ حَسَنًا. و«المتنمصة»: الَّتي تَأمُرُ مَنْ يَفْعَلُ بِهَا ذَلِك.

* * *

(وَصْل وزَرْع الشعر)

ذهب جمهور الفقهاء إلىٰ أن وَصْل الشعر بشعرِ آدميٍّ حرامٌ، سواءٌ كان شعر امرأة أو شعر رجل، وسواء كان شعر مَحْرَم أو زوج أو غيرهما. وفي رأيٍ عند الحنفيَّة وقولٍ عند الحنابلة بالكراهة فقط في أصل المسألة. وذهب الشافعيَّة علىٰ الصحيح إلىٰ حرمة الوصل إن لم تكن ذات زوج، أما إن كانت ذات زوج فثلاثة أوجه: أصحها إن وصلت بإذنه جاز. وفي قولٍ عند الحنابلة: يجوز وَصْل الشعر بشعر الآدمي إذا كان بإذن الزوج.

وذكرت هيئة الإفتاء الكويتية أنه يجوز عند الحاجة للرجل والمرأة زراعةُ الشعر إن كان ذلك من بصيلات شعر الإنسان نفسه أو من غيرها؛ لأنه نوعٌ من العلاج.

وإن كان بشعرِ غيرِ آدميٍّ، فإنه يجوز للحاجة ما لم يكن فيه تدليس أو خداع. كذا حكم الرموش الصناعية.

(الوشم الثابت والمؤقت)

الوشم: هو تغيير لون الجلد عن طريق غَرْس إبرة فيه حتىٰ يسيل الدم ثم يوضع في المكان كحل أو أي مادة ملونة. فكل ما يغير لون الجلد بشكل دائم- وهي الزينة الثابتة الدائمة- يعتبر مُحرَّمًا؛ لأنه يُغيِّر خَلْق الله تبارك و تعالىٰ؛ والوشم محرم لأنه يغير لون الجلد. وسواء كان ذلك للنفس أو للغير.

أما الملونات التي تزول مع الزمن- وهي الزينة المؤقتة- علىٰ ألا يكون فيها ضررٌ علىٰ الجلد أو الصحة ولا تحمل شعارات فيها تحقيرٌ لدين أو إنسان، مثل الحناء والمناكير وغيرها، فهي جائزة لمن يباح النظر إليه، علىٰ ألا تنكشف فيها عورة للغير.

(النامصة والمتنمصة)

يجوز للمرأة المتزوجة أن تأخذ من حاجبيها إذا كان ذلك بإذن الزوج؛ لأنه من الزينة، والزينة مطلوبة لإعفاف الزوج، والمرأة مأمورة بها شرعًا لزوجها. أما المرأة المنهية عن استعمال الزينة، كالمعتدة في طلاق وغير المتزوجة بصفة عامة، فلا يجوز لها أن تتنمص في حاجبيها، إلا إذا احتاجت إليه لعلاجٍ أو عيب، بشرط ألا يكون فيه تدليس أو خداع علىٰ من أراد التزوج بها. أما شعر غير الحاجبين مما يظهر علىٰ وجه المرأة كشعر الشارب واللحية فلا يدخل في النهي، بل تستحب إزالته، وهو المعتمد والمفتىٰ به في دار الإفتاء المصرية.

(تفليج وتقويم الأسنان)

ذكرت دار الإفتاء المصرية أن تقويم الأسنان لا يكون تغييرًا لخلق الله، وبناء عليه فيجوز القيام به علىٰ أن يكونَ تحت إشراف طبيب ماهر أمين،، كما يجوز القيام بتبييض الأسنان بالليزر كذلك. ويجوز أيضًا تفليج الأسنان إن احتاج المرء إلىٰ تفليج أسنانه؛ لقُبح منظرها أو لمرضٍ ألَمَّ بها.

❁ ❁ ❁

٢٩٧- باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه

(١٦٤٦/ ٢٩٧) عن عمرو بن شُعَيب، عن أبيه، عن جَدِّه رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قالَ: «لَا تَنْتِفُوا الشَّيْبَ؛ فَإِنَّهُ نُورُ المُسْلِمِ يَوْمَ القِيَامَةِ». حديث حسن، رواه أبو داود، والتِّرمذي، والنسائي بأسانيد حسنة، قال التِّرمذي: «هو حديث حسن».

(١٦٤٧/ ٢٩٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالَت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ». رواه مسلم.

٢٩٨- باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر

(١٦٤٨/ ٢٩٨) عن أبي قتادة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا بَالَ أَحدُكُمْ، فَلَا يَأْخُذَنَّ ذَكَرَهُ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَسْتَنْجِ بِيَمِينِهِ، وَلَا يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ». متفق عليه. وفي الباب أحاديثُ كثيرةٌ صحيحة. (أي: الاستنجاء: هو تطهير القبل أو الدبر، وإزالة النجاسة عنهما، ويكون بالماء وأما الاستجمار فيكون بالحجارة أو ما ينوب عنها).

٢٩٩- باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائمًا لغير عذر

(١٦٤٩/ ٢٩٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَمشِ أَحَدُكُمْ فِي نَعْلٍ وَاحِدَةٍ، لِيَنْعَلْهُمَا جَمِيعًا، أَو لِيَخْلَعْهُمَا جَمِيعًا».

وفي روايةٍ: «أو لِيُحْفِهِمَا جَمِيعًا». متفق عليه.

(١٦٥٠/ ٢٩٩) وعنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إذا انْقطَعَ شِسْعُ نَعْلِ أَحَدِكُمْ (أي: وهو أحد سيور النعل الذي يدخل بين الإصبعين)، فَلَا يَمْشِ فِي الأُخْرَىٰ حَتَّىٰ يُصْلِحَهَا». رواه مسلم.

(١٦٥١/ ٢٩٩) وعن جابرٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَىٰ أَنْ يَنْتَعِلَ الرَّجُلُ قَائِمًا. رواه أبو داود بإسناد حسن.

٣٠٠- باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره

(١٦٥٢/ ٣٠٠) عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا تَتْرُكُوا النَّارَ فِي بُيُوتِكُمْ حِينَ تَنَامُونَ». متفق عليه.

(١٦٥٣/ ٣٠٠) وعن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قال: احْتَرقَ بَيْتٌ بالمَدِينَةِ عَلَىٰ أَهْلِهِ مِنَ اللَّيلِ، فَلَمَّا حُدِّثَ رسولُ الله ﷺ بشَأنِهِم، قَالَ: «إِنَّ هذِهِ النَّارَ عَدُوٌّ لَكُمْ، فَإِذا نِمْتُمْ، فَأَطْفِئُوهَا». متفق عليه.

(١٦٥٤/ ٣٠٠) وعن جابرٍ رضي الله عنه: عن رسولِ الله ﷺ قَالَ: «غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا (أي: شدوا واربطوا) السِّقَاءَ، وَأَغْلِقُوا البَابَ، وَأَطْفِئُوا السِّرَاجَ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَحِلُّ سِقَاءً، وَلَا يَفْتَحُ بَابًا، وَلَا يَكْشِفُ إِنَاءً. فَإِنْ لَمْ يَجِدْ أَحَدُكُمْ إِلَّا أَنْ يَعْرُضَ عَلَىٰ إِنَائِهِ عُودًا، وَيَذْكُرَ اسْمَ اللهِ، فَلْيَفْعَل، فإِنَّ الفُوَيْسِقَةَ تُضْرِمُ عَلَىٰ أَهْلِ البَيْتِ بَيْتَهُمْ». رواه مسلم.

«الفُوَيْسِقَةُ»: الفَأرَةُ. و«تُضْرِمُ»: تُحْرِقُ.

٣٠١- باب النهي عن التكلف
وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة

قال الله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص:٨٦].

(١٦٥٥/ ٣٠١) عن عمر رضي الله عنه قَالَ: نُهِينا عَنِ التَّكلُّفِ. رواه البخاري.

(١٦٥٦/ ٣٠١) وعن مسروق، قال: دَخَلْنا علىٰ عبد الله بْنِ مَسعُودٍ رضي الله عنه فقال: يا أَيُّها النَّاسُ، مَنْ عَلِمَ شَيئًا فَلْيَقُلْ بِهِ، وَمَنْ لَمْ يَعلَمْ، فَلْيَقُلْ: اللهُ أَعْلَمُ، فَإِنَّ مِنَ العِلْمِ أَنْ تَقُولَ لِمَا لَا تَعْلَمُ: اللهُ أَعْلَمُ. قال الله تعالىٰ لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾. رواه البخاري.

* * *

(التَّكلُّف)

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: نُهينا عن التكلُّف. يقصد: نُهينا عن كثرة السؤال بلا داعٍ، والبحث عن الأشياء الغامضة التي لا يجب البحث عنها، بل علينا أن نأخذ بظاهر الشريعة ونقبل ما جاءت به. فالتكلف: هو تحمل الأمر علىٰ المشقة وخلاف العادة والطبع. والتكلف قد يكون محمودًا: وهو ما يحاول به الإنسان أن يُعوِّدَ نفسه علىٰ الطاعات حتىٰ تصبح سهلة ميسرة، تصديقًا لقول الله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾﴾ [الليل: ٥-٧]. حتىٰ يصير العملُ الصالح محبوبًا لديه، ويتعلَّق به قلبُه، وتشتاق إليه جوارحُه. ولهذا سُمِّيتِ العباداتُ تكاليفَ، وإنما يقصد به معنىٰ الكَلَف، وهو الولوع بالشيء مع شغل القلب وحدوث المشقة.

أما التكلُّف المذموم: فهو ما يتحرىٰ الإنسان فعله ليرائي به الناس، ويتباهىٰ أمامهم بصلاحه. وهذا في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦]، وقوله ﷺ: «أَنَا وَأَتْقِيَاءُ أُمَّتِي بُرَآءُ مِنَ التَّكَلُّفِ» يعني من الرياء.

روىٰ أنس رضي الله عنه أن النبي ﷺ رَأَىٰ شَيْخًا يُهَادَىٰ (أي: يُقام) بَيْنَ ابْنَيْه، فَقَالَ: «مَا بَالُ هَذَا؟» قَالُوا: نَذَرَ أَنْ يَمْشِي. قَالَ: «إِنَّ اللهَ عَنْ تَعْذِيبِ هَذَا نَفْسَهُ لَغَنِيٌّ» وَأَمَرَهُ أَنْ يَرْكَبَ. متفق عليه.

وكان رسول الله ﷺ في سَفرٍ فرأىٰ رَجُلًا قد اجْتَمعَ الناس عليه، وقد ظُلِّلَ عليه، فقال: «مَا لَهُ؟» قالوا: رجلٌ صائمٌ. فقال ﷺ: «لَيْسَ مِنَ الْبِرِّ أَنْ تَصُومُوا فِي السَّفَرِ». متفق عليه.

فاعتبر النبي ﷺ ذلك تكلُّفًا، وتحمل الأمر بمشقةٍ لا يجب على العبد؛ فقد قال ﷺ: «إِنَّ أَعْظَمَ الْمُسْلِمِينَ جُرْمًا مَنْ سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ لَمْ يُحَرَّمْ فَحُرِّمَ مِنْ أَجْلِ مَسْأَلَتِهِ». متفق عليه.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس، مَن علم شيئًا فليقل به، ومَن لم يعلم فليقل: الله أعلم. فإن من العلم أن يقول الرجل لما لا يعلم: الله أعلم. فإن الله عز وجل قال لنبيكم ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ٨٦﴾ [ص: ٨٦].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في وصف بني إسرائيل لما طَلَب منهم موسىٰ عليه السلام أن يذبحوا بقرة: لو أخذوا أدنىٰ بقرة لاكتفوا بها، ولكنهم شدَّدوا فشُدِّدَ عليهم.

وقال البخاري رحمه الله: باب: مَدْح النبيِّ ﷺ صاحبَ الحكمة حين يقضي بها ويُعلمها ولا يتكلَّف من قِبله، ومشاورةِ الخلفاء وسؤالِهم أهلَ العلم.

وقال ابن عقيل رحمه الله: قال لي رجل: أَنْغَمِسُ في الماء مرارًا كثيرةً وأَشُكُّ هل صح لي الغسل أم لا؟ فما ترىٰ في ذلك؟ فقلت له: اذهب فقد سقطت عنك الصلاة. قال: كيف؟ قلت: لأن النبي ﷺ قال: «رُفِعَ الْقَلَمُ عَنْ ثَلَاثَةٍ: الْمَجْنُونِ حَتَّىٰ يُفِيقَ، وَالنَّائِمِ حَتَّىٰ يَسْتَيْقِظَ، وَالصَّبِيِّ حَتَّىٰ يَبْلُغَ» [أحمد في «مسنده» حديث (٩٤٠)]. ومَن ينغمس في الماء مرارًا ويشك هل أصابه الماء أم لا فهو مجنون.

وقال أيضًا: لا يتعمق (أي: يتشدد) أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز (أي: صَعُب عليه الأمر) وانقطع (أي: فشل) فيُغلب (أي: لا يستطيع).

وقال أيضًا: الأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطُّع (أي: تشدُّد)، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيُفضي به استعماله (أي:الماء) إلىٰ حصول الضرر (أي: يتسبب في إيذاء نفسه، خلافًا لمقصود الشرع).

قال ابن المُنيِّر رحمه الله: رأينا ورأىٰ الناس قبلنا أن كل تَنَطُّعٍ (أي: تشدد في غير الموضع) في الدين ينقطع (أي: يعجز وتفتر همته).

وليس المراد من هذا منع طلب الأكمل في العبادة، فإنه من الأمور المحمودة، بل المقصود منع الإفراط المؤدي إلىٰ الملل، ومنع المبالغة في التطوع المفضي إلىٰ ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلىٰ أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح في الجماعة، أو إلىٰ أن فاته الوقت المختار للصلاة، أو إلىٰ أن طلعت الشمس فخرج وقت الفريضة.

وقيل في الأمثال: لا يكن حبك كَلَفًا (أي: حبًّا مبالغًا فيه تصاحبه مشقة علىٰ المحبوب) ولا بُغْضك تَلَفًا (أي: يصاحبه الضرر علىٰ المُبْغَض). وقيل: علامة المتكلِّف ثلاث: أن يُصارع مَن فوقه في القَدْر (أي: المقام والرتبة) ويطلب ما لا ينال، ويقول ما لا يعلم. والتكلف أقرب للرياء منه إلىٰ الحق، وقد يؤدي إلىٰ إحباط عمل صاحبه؛ فيصبح هباءً منثورًا.

* * *

٣٠٢- باب تحريم النياحة على الميت
ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور

(١٦٥٧/ ٣٠٢) عن عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: قال النبيُّ ﷺ: «المَيِّتُ يُعَذَّبُ فِي قَبْرِهِ بِمَا نِيحَ عَلَيْهِ».

وَفِي روايةٍ: «مَا نِيحَ عَلَيْهِ». متفق عليه.

(١٦٥٨/ ٣٠٢) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ ضَرَبَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَىٰ الجَاهِلِيَّةِ». متفق عليه.

(١٦٥٩/ ٣٠٢) وَعَنْ أبي بُرْدَةَ، قال: وَجعَ أبو مُوسَىٰ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ امْرَأَةٍ مِنْ أَهْلِهِ، فَأَقْبَلَتْ تَصِيحُ بِرَنَّةٍ (أي: بصوت) فَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يَرُدَّ عَلَيْهَا شَيْئًا، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: أَنَا بَرِيءٌ مِمَّنْ بَرِئَ مِنْهُ رسُولُ الله ﷺ: إِنَّ رسول الله ﷺ بَرِيءٌ مِنَ الصَّالِقَةِ، والحَالِقَةِ، والشَّاقَّةِ. متفق عليه. «الصالقة»: الَّتِي تَرْفَعُ صَوْتَهَا بِالنِّيَاحَةِ والنَّدْبِ. و«الحالقة»: الَّتِي تَحْلِقُ رَأْسَهَا عِنْدَ المُصِيبَةِ. و«الشاقة»: الَّتي تَشُقُّ ثَوْبَهَا.

(١٦٦٠/ ٣٠٢) وعن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ نِيحَ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ يُعَذَّبُ بِمَا نِيحَ عَلَيهِ يومَ القِيَامَةِ». متفق عليه.

(١٦٦١/ ٣٠٢) وعن أُمِّ عَطِيَّةَ نُسَيْبَةَ- بِضَمِّ النون وفتحها- رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: أَخَذَ عَلَيْنَا رسُولُ الله ﷺ عند البَيْعة ألا نَنُوحَ. متفق عليه.

(١٦٦٢/ ٣٠٢) وعن النُّعْمان بن بَشِير رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قال: أُغْمِي عَلَىٰ عبد الله بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، فَجَعَلَتْ أُخْتُهُ تَبْكِي، وَتَقُولُ: وَاجَبَلاهُ، وَاكَذَا، وَاكَذَا: تُعَدِّدُ عَلَيْهِ. فقَالَ حِينَ أَفَاقَ: ما قلت شيئًا إلا قيل لي أنت كذلك؟! رواه البخاري.

(١٦٦٣/ ٣٠٢) وعن ابن عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا قَالَ: اشْتَكَىٰ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ شَكْوَىٰ، فَأَتَاهُ رسُولُ الله ﷺ، يَعُودُهُ مَعَ عبد الرحمن بْنِ عَوفٍ، وَسَعْدِ بن أبي وَقَّاصٍ، وعبد الله بن مسعودٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمْ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ، وَجَدَهُ فِي غَشْيَةٍ (أي: إغماءة) فقَالَ: «أَقَضَىٰ؟ (أي: هل مات؟)». قالُوا: لا يا رَسُولَ الله. فَبَكَىٰ رسولُ الله ﷺ، فَلَمَّا رَأَىٰ القَوْمُ بُكَاءَ النَّبيِّ ﷺ بَكَوْا، قال: «**أَلَا تَسْمَعُونَ؟ إِنَّ اللهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلكِنْ يُعَذِّبُ بِهذَا**- وَأَشَارَ إِلَىٰ لِسَانِهِ- **أَو يَرْحَمُ**». متفق عليه.

(١٦٦٤/ ٣٠٢) وعن أَبي مالك الأشعري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**النَّائِحَةُ إِذا لَمْ تَتُبْ قَبلَ مَوْتِهَا تُقَامُ يَومَ القِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِربَالٌ** (أي: قميص أو ثوب) **مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ** (أي: هو ما كان لاصقًا بالبدن) **مِنْ جَرَبٍ**». رواه مسلم.

(١٦٦٥/ ٣٠٢) وعن أَسِيد بن أبي أَسِيدٍ التابعيِّ، عن امْرَأَةٍ مِنَ المُبَايعاتِ، قَالَتْ: كان فيما أخذ علينا رسولُ الله ﷺ، في المعروف الذي أخذ علينا، ألا نَعْصِيَه فيه: ألا نَخْمِشَ وجهًا، وَلَا نَدْعُوَ وَيْلًا، وَلَا نَشُقَّ جَيْبًا، وألا نَنْشُرَ شَعَرًا. رواه أبو داود بإسناد حسن.

(١٦٦٦/ ٣٠٢) وعن أَبي موسىٰ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «**مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيَقُومُ بَاكِيهِمْ فَيَقُولُ: وَاجَبَلَاهُ، واسَيِّدَاهُ، أو نَحوَ ذلِكَ إِلَّا وُكِّلَ بِهِ مَلَكَانِ يَلْهَزَانِهِ: أَهكَذَا كُنْتَ؟**». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «**اللَّهْزُ**»: الدَّفْعُ بِجُمْعِ اليَدِ فِي الصَّدْرِ.

(١٦٦٧/ ٣٠٢) وعن أَبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قَالَ: قال رسول الله ﷺ: «**اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَىٰ المَيِّتِ**». رواه مسلم. (أي: ويقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحق صاحبه العذاب إن بقي علىٰ ذلك دون توبة، ولكن لا يخلد في النار).

٣٠٣- باب النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك

(١٦٦٨/ ٣٠٣) عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: سأل رسُولَ الله ﷺ أَنَاسٌ عَنِ الكُهَّانِ، فَقَالَ: «لَيْسُوا بِشَيءٍ». فقالوا: يَا رسُولَ الله إنَّهُمْ يُحَدِّثُونَا أحيَانًا بشَيءٍ، فَيَكُونُ حَقًّا؟ فقالَ رَسُولُ الله ﷺ: «تِلْكَ الكَلِمَةُ مِنَ الحَقِّ يَخطَفُهَا الجِنِّيُّ فَيَقُرُّهَا فِي أُذُنِ وَلِيِّهِ، فَيَخلِطُونَ مَعَهَا مائَةَ كَذْبَةٍ». متفق عليه.

وفي روايةٍ للبخاري عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أنها سَمِعَتْ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «إنَّ المَلائِكَةَ تَنْزِلُ فِي العَنَانِ- وهو السحاب- فَتَذْكُرُ الأمْرَ قُضِيَ فِي السَّماءِ، فَيَسْتَرِقُ الشَّيْطَانُ السَّمْعَ، فَيَسْمَعُهُ، فَيُوحِيَهُ إِلَىٰ الكُهَّانِ، فَيَكْذِبُونَ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ».

قوله: «فَيَقُرُّهَا» هو بفتح الياء وضم القاف والراء، أي: يُلْقِيها. و«العَنَان» بفتح العين.

(١٦٦٩/ ٣٠٣) وعن صَفِيَّةَ بنتِ أَبِي عُبيدٍ، عن بعض أزواجِ النَّبيِّ ﷺ و رضي الله عنها: عن النبيِّ ﷺ قال: «مَنْ أَتَىٰ عَرَّافًا فَسَألَهُ عَنْ شَيْءٍ فَصَدَّقَهُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ أَرْبَعِينَ يَومًا». رواه مسلم.

(أي: العراف: هو الذي يزعم معرفة الأمور بمقدمات وأسباب استدل بها).

(١٦٧٠/ ٣٠٣) وعَنْ قَبِيصَةَ بنِ المُخَارِقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قالَ: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «العِيَافَةُ، وَالطِّيَرَةُ، والطَّرْقُ، مِنَ الجِبْتِ (أي: السحر والكهانة)». رواه أبو داود بإسناد حسن.

وقال: «الطَّرْقُ» هُوَ: الزَّجْرُ، أي: زَجْرُ الطَّيْرِ، وهُوَ أَنْ يَتَيَمَّنَ أو يَتَشَاءمَ بطَيَرَانِه، فإنْ طَارَ إلَىٰ جِهَةِ اليمين تَيَمَّنَ، وإنْ طَارَ إِلَىٰ جِهَةِ اليَسَارِ تَشَاءمَ. قال أبو داود: «والعِيَافَةُ»: الخَطُّ. قال الجوهري في «الصحاح»: الجِبْتُ كَلِمَةٌ تَقَعُ عَلَىٰ الصَّنَمِ وَالكاهِنِ والسَّاحِرِ وَنَحْوِ ذلِكَ.

(١٦٧١/ ٣٠٣) وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قالَ رسُولُ الله ﷺ: «مَنِ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُوم، اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السِّحرِ زَادَ ما زَادَ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٦٧٢/ ٣٠٣) وعن مُعاوِيَةَ بنِ الحَكَمِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قُلْتُ: يا رسول الله إني حديث عهد بالجاهلية، وَقَدْ جاءَ اللهُ تَعالَىٰ بالإسْلام، وإنَّ مِنَّا رِجالًا يَأْتُونَ الكُهَّانَ؟ قال: «فَلَا تَأْتِهِمْ». قُلْتُ: وَمِنَّا رِجالٌ يَتَطَيَّرُونَ؟ قَالَ: «ذَلِكَ شَيْءٌ يَجِدُونَهُ فِي صُدُورِهِم، فَلَا يَصُدُّهُمْ». قلتُ: وَمِنَّا رِجَالٌ يَخُطُّونَ؟ قَالَ: «كَانَ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِياءِ يَخُطُّ، فَمَنْ وَافَقَ خَطَّهُ، فَذَاكَ». رواه مسلم.

(١٦٧٣/ ٣٠٣) وعن أبي مسعود البَدْري رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم نَهَىٰ عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، وَمَهْرِ البَغِيِّ (أي: أجرة الزانية)، وَحُلْوَانِ الكاهِنِ (أي: هو ما يعطاه من الأجر والرشوة علىٰ كهانته). متفق عليه.

٣٠٤- باب النهي عن التطير

فِيهِ الأحاديثُ السابقة في الباب قبله.

(١٦٧٤/ ٣٠٤) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُني الفَأْلُ». قالوا: وَمَا الفَأْلُ؟ قَالَ: «كَلِمَةٌ طَيِّبَةٌ». متفق عليه.

(١٦٧٥/ ٣٠٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لا عَدْوَىٰ وَلا طِيَرَةَ، وإنْ كَانَ الشُّؤمُ في شَيْءٍ فَفِي الدَّارِ، وَالمَرْأَةِ، والفَرَسِ». متفق عليه.

(١٦٧٦/ ٣٠٤) وعن بُرِيدَةَ رضي الله عنه: أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ لا يَتَطَيَّرُ. رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٦٧٧/ ٣٠٤) وعن عُروة بن عامر رضي الله عنه قال: ذُكِرَتِ الطِّيَرَةُ عِنْدَ رَسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقالَ: «أحْسَنُهَا الفَأْلُ. وَلا تَرُدُّ مُسْلِمًا، فإذا رَأىٰ أحَدُكُمْ ما يَكْرَهُ، فَلْيَقلْ: اللَّهُمَّ لا يَأتِي بِالحَسَناتِ إلَّا أنْتَ، وَلا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إلَّا أنتَ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلَّا بِكَ». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

❋ ❋ ❋

(التَّطَيُّر)

ومما يروىٰ في هذا الباب: «ثَلاثٌ لا يَسْلَمُ مِنْهُنَّ أَحَدٌ: الطِّيَرَةُ (أي: التشاؤم)، وَالظَّنُّ، وَالْحَسَدُ». قيل: وما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: «إِذَا تَطَيَّرْتَ فَلا تَرْجِعْ (أي: عما قصدت ولا يصدك التشاؤم)، وَإِذَا ظَنَنْتَ فَلا تُحَقِّقْ (أي: تحكم بظنك في الواقع)، وَإِذَا حَسَدْتَ فَلا تَبْغِ (أي: إذا وجدت في قلبك حسدًا وبغضًا لأحد فلا تعمل به)». ابن عبد البر في «التمهيد» (٦/ ١٢٥).

والتطير هو التشاؤم من طير أو حيوان أو شيء كائنًا ما كان. وأصل التطير أنهم كانوا في الجاهلية يعتمدون علىٰ الطير في حياتهم، فإذا خرج أحدهم لأمرٍ ما فإنه يتبع حركة الطائر؛ فإن رأىٰ الطير يطير يمينًا تَيَمَّنَ به واستمر في حاله، وإن رآه يطير يسارًا تشاءم ورجع.

والتطير كما يقول ابن القيم رحمه الله: إنما يضر مَن أشفق منه وخاف، وأما من لم يبالِ به ولم يعبأ به شيئًا لم يضره البتة، ولاسيما إذا قال عند رؤية شيءٍ يتطير منه الناس: اللَّهُمَّ لا طَيْرَ إلا طَيْرُكَ، ولا خَيرَ إلا خَيرُكَ، ولا إلهَ غيرُك، اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا

يذهب بالسيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك.

والطيرة باب من أبواب الشرك، والشيطان يفسد علىٰ العبد بوسوسته دينه وينكد عليه عيشته، فالمتطير متعب القلب، متكدر الصدر، كَاسِفُ البال، سيئ الخلق، يتخوف من كل ما يراه ويسمعه؛ فيصير أشد الناس وجلًا، وأنكدهم عيشًا، وأضيقهم صدرًا، وأخوفهم قلبًا، وكم صرف نفسه بذلك عن حظوظها، ومنعها من رزق أو فائدة.

وقال رسول الله ﷺ: «الطِّيَرَةُ شِرْكٌ، وَمَا مِنَّا إِلَّا (أي: إلا ويخطر له شيء من التشاؤم)، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ». أحمد في «مسنده» (١/ ٣٨٩) برقم (٣٦٨٧)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

وقال العلماء في الحديث: إن كلًّا منَّا قد وقع في قلبه شيء من ذلك، ولكن الله تعالىٰ يُذهب ذلك عن قلب كل مَن يتوكل علىٰ الله.

وقال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ: إن قوله: «وَمَا مِنَّا إِلَّا، وَلَكِنَّ اللهَ يُذْهِبُهُ بِالتَّوَكُّلِ» هذا من قول ابن مسعود، والله أعلم.

وعمومًا فترك السفر لأجل الطيرة من الكبائر، وينبغي لمن أصابه التطير أن يصرف نفسه عن دواعي الوسوسة الشيطانية، ولا يجعل له سلطانًا عليه في نقض عزائمه وحركته في الحياة. ويعلم أن قضاء الله نافذ، وأمره غالب، وأن رزقه له طالب، والحركة سبب للحياة والرزق، ولا يعتقد أن خوار بقرة أو نعيب غراب يرد قضاء الله أبدًا، فليمضِ علىٰ بركة الله واثقًا به ومتوكلًا عليه.

قال رسول الله ﷺ: «الطَّيْرُ تَجْرِي بِقَدَرٍ». وكان يُعجبه الفأل الحسن. أحمد في «مسنده» (أي: ٦/ ١٢٩) برقم (أي: ٢٥٠٢٦)، حسنه الألباني (أي: صحيح الجامع الصغير) حديث (أي: ٣٩٥٩).

وروي عن قبيصة مرفوعًا: «العِيَافَةُ (أي: وهي تهييج الطير ليطير ويتفاءل به) وَالطِّيَرَةُ وَالطَّرْقُ (أي: الخط في الرمل لمعرفة الغيب) مِنَ الْجِبْتِ». أحمد في «مسنده» (٥/ ٦٠) برقم (٢٠٦٢٣).

وقال رسول الله ﷺ: «لا طِيَرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ». قالوا: وما الفأل؟ قال: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ». متفق عليه.

قال عكرمة: كنا جلوسًا عند ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر. أراد الإنكار عليه لئلا يعتقد أن له تأثيرًا في الخير أو الشر.

وخرج طاوس مع صاحب له في سفر فصاح غراب؛ فقال الرجل: خير. فقال طاوس: وأي خير عنده، والله لا تصحبني.

والتطير يُنافي الإيمان الصحيح، ويضاد التوكل، ولا يدفع مكروهًا، ولا يجلب محبوبًا، وهو دليل علىٰ اضطراب النفس، وقلة الفهم والعقل، وكأنه دعوة للكفر بقضاء الله وقدره.

* * *

٣٠٥- باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصورة في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر بإتلاف الصور

(١٦٧٨/ ٣٠٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «**إنَّ الَّذين يَصْنعُونَ هذِهِ الصُّوَرَ يُعَذَّبُونَ يَوْمَ القِيامَةِ، يُقَالُ لَـهُم: أَحْيُوا مَا خَلَقْتُمْ**». متفق عليه.

(١٦٧٩/ ٣٠٥) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَدِمَ رسُولُ الله ﷺ مِنْ سَفَرٍ، وَقَدْ سَتَرْتُ سَهْوَةً لي بِقِرامٍ فِيهِ تَماثِيلُ، فَلَمَّا رَآهُ رَسُولُ الله ﷺ تَلَوَّنَ وَجْهُهُ، وقالَ: «**يا عَائِشَةُ، أَشَدُّ النَّاسِ عَذَابًا عِنْدَ الله يَوْمَ القِيَامَةِ الذين يُضَاهُونَ بِخَلْقِ الله!**». قالت: فَقَطَعْنَاهُ فَجَعَلْنَا مِنهُ وِسَادَةً أوْ وِسَادَتَيْنِ. متفق عليه. «القِرام» بكسر القاف، هو: السِّتْرُ. و«السهوة» بفتح السينِ المهملة، وهي: الصُّفَّةُ تكُونُ بَيْنَ يَدَي البَيْتِ، وقيلَ: هِيَ الطَّاقُ النَّافِذُ في الحائِطِ.

(١٦٨٠/ ٣٠٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «**كُلُّ مُصَوِّرٍ في النَّارِ يُجْعَلُ لَهُ بِكُلِّ صُورَةٍ صَوَّرَهَا نَفْسٌ، فَيُعَذِّبُهُ في جَهَنَّمَ**». قَالَ ابن عباس: فإنْ كُنْتَ لابد فَاعِلًا، فَاصْنعِ الشَّجَرَ وَمَا لَا رُوحَ فِيهِ. متفق عليه.

(١٦٨١/ ٣٠٥) وعنه قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**مَنْ صَوَّرَ صُورَةً فِي الدُّنْيَا كُلِّفَ أَنْ يَنْفُخَ فِيهَا الرُّوحَ يَومَ القِيَامَةِ، وَلَيْسَ بِنَافِخٍ**». متفق عليه.

(١٦٨٢/ ٣٠٥) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعتُ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «**إنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَومَ القِيَامَةِ المُصَوِّرُونَ**». متفق عليه.

(١٦٨٣/ ٣٠٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**قال اللهُ تَعالَىٰ: وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَهَبَ يَخْلُقُ كَخَلْقِي؟ فَلْيَخْلُقُوا ذَرَّةً أَوْ لِيَخْلُقُوا حَبَّةً، أَوْ لِيَخْلُقُوا شَعِيرَةً**». متفق عليه.

(١٦٨٤/ ٣٠٥) وعن أبي طلحة رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا تَدْخُلُ المَلَائِكَةُ بَيْتًا فيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ». متفق عليه.

(١٦٨٥/ ٣٠٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: وَعَدَ رسُولَ الله ﷺ جِبْرِيلُ أَنْ يَأتِيَهُ، فَرَاثَ عَلَيْهِ حَتَّى اشْتَدَّ عَلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ جِبريلُ فَشَكَا إليه، فقَالَ: إنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواه البخاري. «راث»: أَبْطَأَ، وهو بالثاء المثلثة.

(١٦٨٦/ ٣٠٥) وعن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: واعدَ رسولَ الله ﷺ، جبريلُ عليه السلام، في سَاعَةٍ أنْ يَأتِيَهُ، فَجَاءتْ تِلْكَ السَّاعَةُ وَلَمْ يَأتِهِ! قَالَتْ: وَكَانَ بِيَدِهِ عَصًا، فطَرَحَهَا مِنْ يَدِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «ما يُخْلِفُ اللهُ وَعْدَهُ وَلَا رُسُلُهُ». ثُمَّ التَفَتَ، فإذَا جِرْوُ كَلْبٍ (أي: كلب صغير) تَحْتَ سَرِيرِهِ. فقالَ: «مَتَىٰ دَخَلَ هَذَا الكَلْبُ؟». فقلتُ: والله مَا دَرَيْتُ بِهِ. فَأَمَرَ بِهِ فَأُخْرِجَ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ، فقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «وَعَدْتَنِي، فَجَلَسْتُ لَكَ وَلَمْ تَأْتِني». فَقَالَ: مَنَعَنِي الكَلْبُ الَّذِي كانَ في بَيْتِكَ، إنَّا لَا نَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلَا صُورَةٌ. رواه مسلم.

(١٦٨٧/ ٣٠٥) وعن أبي الهَيَّاجِ حَيَّانَ بْنِ حُصَيْنٍ، قال: قال لي عَلِيُّ بن أبي طالب رضي الله عنه: أَلَا أَبْعَثُكَ عَلَىٰ مَا بَعَثَنِي عَلَيْهِ رَسُولُ الله ﷺ؟ ألا تدع صورة إلا طمستها، وَلَا قَبْرًا مُشْرفًا إلَّا سَوَّيْتَهُ. رواه مسلم.

٣٠٦- باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع

(١٦٨٨/ ٣٠٦) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنِ اقْتَنَىٰ كَلْبًا إلَّا كَلْبَ صَيْدٍ أَوْ مَاشِيَةٍ فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ كُلَّ يومٍ قِيرَاطَانِ». متفق عليه.

وفي رواية: «قِيرَاطٌ».

(١٦٨٩/ ٣٠٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ أَمْسَكَ كَلْبًا، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ كُلَّ يَومٍ مِنْ عَمَلِهِ قِيرَاطٌ إلَّا كَلْبَ حَرْثٍ أَوْ مَاشِيَةٍ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَن اقْتَنَىٰ كَلْبًا لَيْسَ بِكَلْبِ صَيْدٍ، وَلَا مَاشِيَةٍ وَلَا أَرْضٍ، فَإِنَّهُ يَنْقُصُ مِنْ أَجْرِهِ قِيرَاطَانِ كُلَّ يَوْمٍ».

٣٠٧- باب كراهة تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر

(١٦٩٠/ ٣٠٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَصْحَبُ المَلَائِكَةُ رُفْقَةً (أي: جماعة من الناس) فِيهَا كَلْبٌ أَوْ جَرَسٌ». رواه مسلم.

(١٦٩١/ ٣٠٧) وعنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «الجَرَسُ مَزَامِيرُ الشَّيْطَانِ». رواه مسلم.

٣٠٨- باب كراهة ركوب الجلَّالة

وَهِيَ الْبَعِيرُ أَوِ النَّاقَةُ الَّتِي تَأْكُلُ العَذِرَةَ (أي: الغائط)، فَإِنْ أَكَلَتْ عَلَفًا طَاهِرًا فَطَابَ لَحْمُهَا، زَالَتِ الْكَرَاهَةُ.

(١٦٩٢/ ٣٠٨) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نَهَىٰ رسولُ الله ﷺ عَنِ الجَلَّالَةِ في الإِبِلِ أَنْ يُرْكَبَ عَلَيْهَا. رواه أبو داود بإسناد صحيح. (أي: والنهي عن ركوبها إنما هو لخوف أن تكونَ قد تلطخت أجسادها بالعَذِرَة والنجاسات، فتنتقل إلىٰ ثياب المصلين، أو أن عَرَق الدابة الجلَّالة قد صار نتنًا ونجسًا، فكَرِهَ الشرع الكريم لنا ركوبها كراهةَ تنزيه وليس للتحريم، أما إذا غَلَب علىٰ طعامها وعلفها الطهارة عُفي عن قليل النجاسات التي تكون مختلطة بها، والعِبْرة دائمًا للأعم الأغلب، وتصير صالحة للطعام والركوب).

٣٠٩- باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار

(١٦٩٣/ ٣٠٩) عن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قَالَ: «البُصَاقُ فِي المَسْجِدِ خَطِيئَةٌ، وَكَفَّارَتُهَا دَفْنُهَا». متفق عليه. والمرادُ بدَفْنِهَا إذَا كانَ المَسْجِدُ تُرَابًا أَوْ رَمْلًا ونَحْوَهُ، فَيُوَارِيهَا تَحتَ تُرَابِهِ. قَالَ أَبُو المحاسِنِ الرُّويَانِي مِنْ أصحابنا في كِتابِهِ «البحر» وقِيلَ: المُرَادُ بدَفْنِهَا إخْراجُهَا مِنَ المَسْجِدِ، أَمَّا إذَا كَانَ المَسْجِدُ مُبَلَّطًا أَوْ مُجَصَّصًا، فَدَلَكَهَا عَلَيْهِ بِمَدَاسِهِ أَوْ بِغَيْرِهِ كَمَا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِنَ الجُهَّالِ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بدَفْنٍ، بَلْ زِيَادَةٌ فِي الخَطِيئَةِ وَتَكْثِيرٌ لِلقَذَرِ في المَسْجِدِ، وَعَلَىٰ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ أَنْ يَمْسَحَهُ بَعْدَ ذَلِكَ بِثَوْبِهِ أَوْ بِيَدِهِ أَوْ غيرِهِ أَوْ يَغْسِلَهُ.

(١٦٩٤/ ٣٠٩) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ رَأَىٰ فِي جِدَارِ القِبْلَةِ مُخَاطًا، أَوْ بُزَاقًا، أَوْ نُخَامَةً، فَحَكَّهُ. متفق عليه.

(١٦٩٥/ ٣٠٩) وعن أنس رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ هذِهِ المَسَاجِدَ لَا تَصْلُحُ لِشَيءٍ مِنْ هَذَا البَوْلِ وَلَا القَذَرِ، إِنَّمَا هِيَ لِذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ وَقِراءةِ القُرْآنِ». أو كما قال رسول الله ﷺ.

رواه مسلم.

٣١٠- باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات

(١٦٩٦/ ٣١٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّه سَمِعَ رَسُولَ الله ﷺ يقول: «مَنْ سَمِعَ رَجُلًا يَنْشُدُ ضَالَّةً (أي: شيئًا ضائعًا ومفقودًا منه) فِي المَسْجِدِ فَلْيَقُلْ: لا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّ المَسَاجِدَ لَمْ تُبْنَ لِهَذَا». رواه مسلم.

(١٦٩٧/ ٣١٠) وعنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَبِيعُ أَوْ يَبْتَاعُ فِي المَسْجِدِ، فَقُولُوا: لا أَرْبَحَ اللهُ تِجَارَتَكَ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ مَنْ يَنْشُدُ ضَالَّةً فَقُولُوا: لا رَدَّهَا اللهُ عَلَيْكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٦٩٨/ ٣١٠) وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه: أنَّ رَجُلًا نَشَدَ فِي المَسْجِدِ فَقَالَ: مَنْ دَعَا إِلَى الجَمَلِ الأَحْمَرِ؟ فَقَالَ رسولُ الله ﷺ: «لا وَجَدْتَ؛ إِنَّمَا بُنِيَتِ المَسَاجِدُ لِمَا بُنِيَتْ لَهُ». رواه مسلم.

(١٦٩٩/ ٣١٠) وعن عمرو بن شُعَيْب، عن أبيه، عن جَدِّه رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ نَهَى عَنِ الشِّرَاءِ والبَيْعِ فِي المَسْجِدِ، وَأَنْ تُنْشَدَ فِيهِ ضَالَّةٌ؛ أَوْ يُنْشَدَ فِيهِ شِعْرٌ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٧٠٠/ ٣١٠) وعن السائب بن يزيدَ الصحابيِّ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي (أي: رماني بالحصباء) رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ فَقَالا: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، فَقَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ، لأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ الله ﷺ! رواه البخاري.

٣١١- باب نهي من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثًا أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة

(١٧٠١/ ٣١١) عن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ (يعني: الثُّومَ) فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا». متفق عليه. وفي رواية لمسلم: «مساجدنا».

(١٧٠٢/ ٣١١) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قال النبيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلا يَقْرَبَنَّا، وَلا يُصَلِّيَنَّ مَعَنَا». متفق عليه.

(١٧٠٣/ ٣١١) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ أَكَلَ ثُومًا أَوْ بَصَلًا فَلْيَعْتَزِلنا، أو فَلْيَعْتَزِلْ مَسْجِدَنَا». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «مَنْ أَكَلَ البَصَلَ، والثُّومَ، والكُرَّاثَ، فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَتَأَذَّىٰ مِمَّا يَتَأَذَّىٰ مِنْهُ بَنُو آدَمَ».

(١٧٠٤/ ٣١١) وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: أَنَّه خَطَبَ يومَ الجمُعَةِ فَقَالَ في خطبته: ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ تَأْكُلُونَ شَجرتَيْنِ مَا أَرَاهُمَا إِلَّا خَبِيثَتَيْنِ: البَصَلَ، وَالثُّومَ. لَقَدْ رَأَيْتُ رسولَ الله ﷺ إِذَا وَجدَ رِيحَهُمَا مِنَ الرَّجُلِ فِي المَسْجِدِ أَمَرَ بِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَىٰ البَقِيعِ، فَمَنْ أَكَلَهُمَا، فَلْيُمِتْهُمَا طَبْخًا (أي: فليمت رائحتهما بالطبخ). رواه مسلم.

٣١٢- باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب
لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء

(١٧٠٥/ ٣١٢) عن مُعاذ بن أنس الجُهَنِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَنِ الحُبْوَةِ (أي: ضمِّ الإنسان لرجليه إلىٰ بطنه) يومَ الجُمُعَةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ. رواه أبو داود والتِّرمذي، وقالا: «حديث حسن».

٣١٣- باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي
عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي

(١٧٠٦/ ٣١٣) عن أُمِّ سَلَمَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كَانَ لَهُ ذِبْحٌ (أي: حيوان يريد ذبحه) يَذْبَحُهُ، فَإِذَا أَهَلَّ هِلَالُ ذِي الحِجَّةِ، فَلَا يَأْخُذَنَّ من شَعرِهِ وَلَا مِنْ أَظْفَارِهِ شَيْئًا حَتَّىٰ يُضَحِّيَ». رواه مسلم.

٣١٤- باب النهي عن الحلف بمخلوق
كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهيًا

(١٧٠٧/ ٣١٤) عن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «إِنَّ الله تَعَالَىٰ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِالله، أَوْ لِيَصْمُتْ». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيح: «فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلَا يَحْلِفْ إِلَّا بِالله، أَوْ لِيَسْكُتْ».

(١٧٠٨/ ٣١٤) وعن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تَحْلِفُوا بِالطَّوَاغِي، وَلَا بِآبَائِكُمْ». رواه مسلم. «الطَّوَاغِي»: جَمْعُ طَاغِيَةٍ، وهِيَ: الأَصنَامُ، ومنه الحديث: «هٰذِهِ طَاغِيَةُ دَوْسٍ (أي:

لم نقف عليه بهذا اللفظ)». أي: صَنَمُهُمْ وَمَعْبُودُهُمْ. وروي في غير مسلم: «بِالطَّوَاغِيتِ» جَمعُ طَاغُوت، وهو الشيطان والصنم.

(١٧٠٩/ ٣١٤) وعن بُرَيدَةَ رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ بِالأَمَانَةِ فَلَيْسَ مِنَّا». حديث صحيح، رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(١٧١٠/ ٣١٤) وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ: إنِّي بَرِيءٌ مِنَ الإسْلَامِ، فَإنْ كَانَ كَاذِبًا، فَهُوَ كمَا قَالَ، وإنْ كَانَ صَادِقًا، فَلَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ الإسْلَامِ سَالِـمًا». رواه أبو داود.

(١٧١١/ ٣١٤) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يقُولُ: لَا وَالكَعْبَةِ. فَقَالَ ابنُ عُمَرَ: لَا تَحْلِفْ بَغَيْرِ الله، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقولُ: «مَنْ حَلَفَ بِغيرِ الله، فقد كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». وفَسَّرَ بَعْضُ العُلَمَاءِ قولَهُ: «كفَرَ أَوْ أَشْرَكَ» عَلَىٰ التَّغْلِيظِ، كما روي أن النبي ﷺ قَالَ: «الرِّيَاءُ شِرْكٌ». أخرجه ابن ماجه برقم (٣٩٨٩) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه.

٣١٥- باب تغليظ اليمين الكاذبة عمداً

(١٧١٢/ ٣١٥) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ مَالِ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِغَيرِ حَقِّهِ لَقِيَ اللهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ». قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ، مِصْدَاقَهُ مِنْ كِتَابِ الله عز وجل: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ إلىٰ آخر الآية [آل عمران: ٧٧]. متفق عليه.

(١٧١٣/ ٣١٥) وعن أَبي أُمَامَةَ إياس بن ثعلبة الحارثي رضي الله عنه: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ قال: «مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ بِيَمِينِهِ (أي: بقَسَمٍ وحَلِفٍ منه)، فَقَدْ أَوْجَبَ اللهُ لَهُ النَّارَ، وَحَرَّمَ عَلَيْهِ الجَنَّةَ». فقال له رجلٌ: وإن كان شيئًا يسيرًا يا رسولَ الله؟ قال: «وإنْ كَانَ قَضِيبًا مِنْ أَرَاكٍ». رواه مسلم.

(١٧١٤/ ٣١٥) وعن عبد الله بن عَمْرِو بن العاص رضي الله عنهما: عن النَّبيِّ ﷺ قَالَ: «الكَبَائِرُ: الإشْرَاكُ بِالله، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، واليَمِينُ الغَمُوسُ». رواه البخاري.

وفي رواية لَهُ: أَنَّ أَعْرابِيًّا جاءَ إِلَىٰ النبيِّ ﷺ، فَقَالَ: يا رسولَ الله مَا الكَبَائِرُ؟ قَالَ: «الإشْرَاكُ بِالله». قَالَ: ثُمَّ ماذا؟ قَالَ: «اليَمِينُ الغَمُوسُ». قُلْتُ: وَمَا اليَمِينُ الغَمُوسُ؟ قَالَ: «الَّذِي يَقْتَطِعُ مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ». يعني بِيَمِينٍ هُوَ فِيهَا كَاذِبٌ.

٣١٦- باب نَدْب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه

(١٧١٥/ ٣١٦) عن عبد الرحمن بن سَمُرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُول الله ﷺ: «وَإِذَا حَلَفْتَ عَلَىٰ يَمِينٍ، فَرَأَيْتَ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيرٌ وَكَفِّرْ عَنْ يَمِينِكَ». متفق عليه.

(١٧١٦/ ٣١٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَىٰ يَمينٍ، فَرَأَىٰ غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ، وَلْيَفْعَلِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». رواه مسلم.

(١٧١٧/ ٣١٦) وعن أَبي موسىٰ رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إنِّي واللهِ- إنْ شاءَ اللهُ- لا أَحْلِفُ عَلَىٰ يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَىٰ خَيرًا مِنهَا إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ». متفق عليه.

(١٧١٨/ ٣١٦) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رَسُول الله ﷺ: «لَأَنْ يَلَجَّ (أي: يصر ويعاند ولو تبين له خطؤه) أَحَدُكُمْ في يَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ آثَمُ لَهُ عِنْدَ الله تَعَالَىٰ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتي فَرَضَ الله عَلَيْهِ». متفق عليه. قَوْله: «يَلَجَّ» بفتح اللام وتشديد الجيم، أي: يَتَمَادَىٰ فِيهَا، وَلَا يُكَفِّرُ. وقولُهُ: «آثَمُ» هُوَ بالثاء المثلثة، أي: أَكْثَرُ إثْمًا.

❊ ❊ ❊

(من حلف على يمين ورأى غيرها خيرًا منها)

المراد: أن الرجل إذا حلف يمينًا تتعلق بأهله أو بغير أهله كما ذكر أهل العلم، بحيث يتضرر المحلوفُ عليه من ذلك ومن عدم رجوعه وحِنْثه فيه، فإن الشارعَ الحكيم يريد منه أن يحنث ويكفر عن يمينه. فإن قال: لا أحنث، بل أتورَّع عن ارتكاب الحنث خشية الوقوع في الإثم. فهو مخطئ بهذا القول، بل إن استمراره علىٰ عدم الحنث وإقامة الضرر علىٰ من حلف عليه، أكثر إثمًا من الحنث. حيث جعل اللهُ عُرْضةً ليمينه، أي مانعًا من تنفيذ الخير، حيث يُعتبر عند ذلك أن الحِنْثَ في اليمين عند الله أفضل من التمادي والتعلق بحلفه.

❊ ❊ ❊

٣١٧- باب العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه وهو ما يجري على اللسان بغير قصد اليمين كقوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك

قال الله تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ الْأَيْمَانَ ۖ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٩].

(١٧١٩/ ٣١٧) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: أُنْزِلَتْ هذِهِ الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قَوْلِ الرَّجُلِ: لا والله، وَبَلَىٰ والله. رواه البخاري.

٣١٨- باب كراهة الحلِف في البيع وإن كان صادقًا

(١٧٢٠/ ٣١٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سَمِعتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «الحَلِفُ مَنْفَقَةٌ لِلسِّلْعَةِ (أي: مظنة وسبب لرواجها في ظن الحالف)، مَمْحَقَةٌ لِلْكَسْبِ (أي: سبب لذهاب بركة المكسوب)».

متفق عليه.

(١٧٢١/ ٣١٨) وعن أبي قتادة رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسُول الله ﷺ يقولُ: «إيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ؛ فَإنَّهُ يُنَفِّقُ (أي: يُروِّج السلعة) ثُمَّ يَمْحَقُ (أي: البركة)». رواه مسلم.

٣١٩- باب كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عز وجل غير الجنة وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به

(١٧٢٢/ ٣١٩) عَن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لا يُسْأَلُ بِوَجْهِ الله إلا الجَنَّةُ». رواه أبو داود.

(١٧٢٣/ ٣١٩) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنِ اسْتَعَاذَ بِالله (أي: من توسل بالله في شيء) فَأَعِيذُوه، وَمَنْ سَأَلَ بالله فَأَعْطُوه، وَمَنْ دَعَاكُم فَأَجِيبُوه، وَمَنْ صَنَعَ إلَيْكُمْ مَعْرُوفًا فَكَافِئُوه، فَإنْ لَمْ تَجِدُوا ما تُكَافِئُونَهُ؛ فَادْعُوا لَهُ حَتَّىٰ تَرَوْا أنَّكُمْ قَد كَافَأْتُمُوهُ». حديث صحيح

رواه أبو داود والنسائي بأسانيد الصحيحين.

٣٢٠- باب تحريم قول: شاهنشاه للسلطان وغيره
لأن معناه ملك الملوك ولا يوصف بذلك غير الله سبحانه وتعالى

(١٧٢٤/ ٣٢٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إنَّ أَخْنَعَ (أي: أفجر، وقيل: أقبح، وقيل: أكذب) اسْمٍ عِنْدَ الله عَزَّ وَجَلَّ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلاكِ». متفق عليه. قال سفيان بن عيينة: «مَلِكُ الأَمْلاكِ» مِثْلُ: شَاهِنْشَاهِ.

٣٢١- باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه

(١٧٢٥/ ٣٢١) عن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه قالَ: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَقُولُوا لِلْمُنَافِقِ سَيِّدٌ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ سَيِّدًا فَقَدْ أَسْخَطْتُمْ (أي: أغضبتم) رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ». رواه أبو داود بإسناد صحيح. (أي: كره الشارع الحكيم أن نطلق على منافق معلوم النفاق إجماعًا سيدًا، لئلا يكون تشريفًا وتعظيمًا له، حيث إن مكانه هذا في السيادة قد يورطنا ويوجب علينا طاعته فيما قد يعصي الله فيه، وذلك مما يغضب الله تبارك وتعالى).

٣٢٢- باب كراهة سب الحُمَّى

(١٧٢٦/ ٣٢٢) عن جابر رضي الله عنه: إنَّ رسولَ الله ﷺ دخلَ على أُمِّ السَّائِبِ- أو أُمِّ المُسَيَّبِ- فقَالَ: «مَا لَكِ يَا أُمَّ السَّائِبِ- أو يَا أُمَّ المُسَيَّبِ- تُزَفْزِفِينَ؟» قالت: الحُمَّى لَا بَارَكَ اللهُ فِيهَا! فقَالَ: «لَا تَسُبِّي الحُمَّى فَإِنَّهَا تُذْهِبُ خَطَايَا بَنِي آدَمَ كَمَا يُذْهِبُ الكِيرُ (أي: الزق الذي ينفخ فيه الحداد) خَبَثَ الحَدِيدِ (أي: وسخه الذي تخرجه النار)». رواه مسلم.

«تُزَفْزِفِينَ» أي: تَتَحَرَّكِينَ حَرَكَةً سريعةً، وَمَعْنَاهُ: تَرْتَعِدُ، وَهُوَ: بِضَمِّ التاء وبالزاي المكررة والفاء المكررة، وَرُوِيَ أيضًا بالراء المكررة والقافين.

٣٢٣- باب النهي عن سب الريح وبيان ما يقال عند هبوبها

(١٧٢٧/ ٣٢٣) عن أبي المنذِرِ أُبَيِّ بن كعب رضي الله عنه قال: قالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الرِّيحَ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ مَا تَكْرَهُونَ، فَقُولُوا: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ هذِهِ الرِّيحِ وَخَيْرِ مَا فِيهَا وخَيْرِ مَا أُمِرَتْ بِهِ. وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ هذِهِ الرِّيحِ وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُمِرَتْ بِهِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

(١٧٢٨/ ٣٢٣) وَعَن أبي هريرةَ رضي الله عنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يَقُولُ: «الرِّيحُ مِنْ رَوحِ الله، تَأْتِي بِالرَّحْمَةِ، وَتَأْتِي بِالعَذَابِ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهَا فَلَا تَسُبُّوهَا، وَسَلُوا اللهَ خَيْرَهَا، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ شَرِّهَا». رواه أبو داود بإسناد حسن. قوله ﷺ: «مِنْ رَوْحِ الله» هو بفتح الراء، أي: رَحْمَته بِعِبَادِهِ.

(١٧٢٩/ ٣٢٣) وعن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان النبي ﷺ إذا عَصَفَتِ الرِّيحُ قال: «اللَّهُمَّ إنِّي أسْأَلُكَ خَيْرَهَا وَخَيْرَ مَا فِيهَا وَخَيْرَ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ، وأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّهَا وَشَرِّ مَا فِيهَا وَشَرِّ مَا أُرْسِلَتْ بِهِ». رواه مسلم.

٣٢٤- باب كراهة سب الديك

(١٧٣٠/ ٣٢٤) عن زيد بن خالد الجُهَنِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلَاةِ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

٣٢٥- باب النهي عن قول الإنسان: مطرنا بنوء كذا

(١٧٣١/ ٣٢٥) عن زيد بن خالد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: صلَّىٰ بنَا رَسُولُ الله ﷺ صَلَاةَ الصُّبْحِ بِالحُدَيْبِيَةِ فِي أَثَرِ سَمَاءٍ كَانَتْ مِنَ اللَّيْلِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ أَقْبَلَ عَلَىٰ النَّاسِ، فقالَ: «هَلْ تَدْرُونَ مَاذَا قالَ رَبُّكُمْ؟» قالوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قال: «قالَ: أَصْبَحَ مِنْ عِبَادِي مُؤْمِنٌ بِي وَكَافِرٌ، فَأَمَّا مَنْ قَالَ: مُطِرْنَا بِفَضْلِ الله وَرَحْمَتِهِ فَذلِكَ مُؤْمِنٌ بِي كَافِرٌ بالكوكَبِ، وأما مَنْ قَالَ مُطِرْنَا بِنَوْءِ كَذَا وَكَذَا فَذلكَ كَافِرٌ بِي مُؤْمِنٌ بِالكَوْكَبِ». متفق عليه. وَالسَّماءُ هُنَا: المطَرُ.

٣٢٦- باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر

(١٧٣٢/ ٣٢٦) عن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا، فَإِنْ كَانَ كَمَا قَالَ وَإِلَّا رَجَعَتْ عَلَيْهِ». متفق عليه.

(١٧٣٣/ ٣٢٦) وعن أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ سَمِعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «مَنْ دَعَا رَجُلًا بِالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ الله، وَلَيْسَ كَذلك إِلَّا حَارَ عَلَيْهِ». متفق عليه. «حَارَ»: رَجَعَ.

❋ ❋ ❋

(الكفــر)

الكفر ضد الإيمان؛ لأن الكفر معناه الستر، فمَن ستر شيئًا أو أخفاه فقد كفر؛ ولهذا كان الكفر هو ستر الإيمان؛ لقوله تعالىٰ: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ٧-١٠]، فمن دسَّاها فقد كفر الإيمان والتقوىٰ فيها، فصار كافرًا لتغطية الحقِّ فيها. وكفران النعمة هو جحودها أو

سترها أو ترك شكرها، وهو حُسن التعامل معها بما يُرضي الله تبارك وتعالىٰ.

فكُفر النعمة هو نقيض الشكر، والإنسان الكفور هو المبالغ في كفر النعمة، كما في قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ ﴿٦٦﴾﴾ [الحج: ٦٦]. والكَفَّار هو المبالغ في اعتقاده الكفر. فالكفر إذنْ هو الإنكار المتعمد لما جاء به محمد رسول الله ﷺ أو حتىٰ بعض ما جاء به الرسول، أما الكفران ففي سَتْر نعمة المُنعِم وتَرْك شكرها. وأعظم الكفر جحود الوَحْدانية أو جحود النبوة أو جحود الشريعة، ويُستعمل الكفر أكثر في هذا، أما الكفران فيُستعمل أكثر في جحود النعمة، أما الكَفُور فهو في كليهما.

أنواع الكفر: قسَّم بعضُ أهل العلم الكفرَ إلىٰ أربعة أقسام:

أولها: كفر الإنكار: وهو أن يكفر الإنسان بقلبه ولسانه جميعًا، ولا توحيد له أبدًا، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ [البقرة: ٦]، فهم كفروا بتوحيد الله ﷻ.

الثاني: كفر الجحود: وهو أن يعرف الإنسان بقلبه ولكن لا يُقِرُّ بلسانه، فهذا كافر جاحد، ككفر إبليس، وكفر أُمَيَّة بن أبي الصَّلْت الذي كان يقول لقومه: سيأتي في آخر الزمان، وسأكون أنا. فلما علم أن النبوة لمحمد بن عبد الله رفض وجحد؛ لقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] يعني جحدوا.

الثالث: كفر المعاندة: فهو يعرف بقلبه ويُعبِّر بلسانه، ولكنه يأبىٰ الانقياد، وذلك مثل من قال في ذلك شعرًا، حيث يقول:

ولقد علمتُ بأن دينَ محمدٍ ... من خيرِ أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذارُ مسبَّة ... لوجدتني سمحًا بذاك مُبينا

الرابع: كفر النفاق: فيكفر بقلبه ولكن يُقِرُّ ويُظهر الإسلام بلسانه.

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الكفر نوعان: كفرٌ أكبر وكفر أصغر، فالكفر الأكبر هو المُوجب للخلود في النار: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾ [النساء: ٤٨]. ومثال الكفر الأصغر حديث المصطفىٰ ﷺ: «اثْنَتَانِ فِي النَّاسِ هُمَا بِهِمْ كُفْرٌ: الطَّعْنُ فِي النَّسَبِ، وَالنِّيَاحَةُ عَلَى المَيِّتِ». مسلم برقم (٦٧).

وقوله: «لَا تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ». متفق عليه.

فإنه يقصد بهذا الكفر الأصغر الذي يستحقُّ صاحبُه العذابَ إن بقي علىٰ ذلك دون توبة، ولكن لا يخلد في النار.

حكم الكفر: أما الكفر الأكبر فهو نقيض الإيمان، وقد أشار القرآن لحكمه، فقال تعالىٰ: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ حَصِيرًا ۝٨﴾ [الإسراء:٨]، وهذا مصيرهم في الآخرة، أما معاملتهم في الدنيا فتختلف علىٰ تفصيل مذكور في كتب الفقه.

وأما الكفر الأصغر فهو ككفران النعم.

وذَكَر ابنُ الجوزيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ الكفرَ في القرآن علىٰ خمسة أوجه:

أولها: الكفر بالتوحيد: كقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾ [البقرة: ٦].

والثاني: كفران النعمة، كقوله تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢]، أي لا تكفروا بالنعمة فتصبحوا غير شاكرين.

والثالث: التبرؤ، كقوله تعالىٰ: ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ [العنكبوت: ٢٥] أي يتبرأ بعضكم من بعض.

والرابع: الجحود، كقوله تعالىٰ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة ٨٩]، فهم يعرفون الحق ولكن جحدوه وأنكروه.

الخامس: التغطية، كقوله تعالىٰ: ﴿أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ﴾ [الحديد: ٢٠] فالزراع حينما يسترون الحبوب في الأرض فهم يكفرونها، أي يسترونها، فسماهم القرآن كُفَّارًا.

الحكم على الناس: إن الحكمَ علىٰ الناس في الدنيا يكون بحسَب ما يظهر لنا، دون أن نُفشي سرائرهم، فيُعتبر في هذا أمران: فمَن كان ظاهره الإيمان حُكم له به، ومن كان ظاهره خلاف ذلك حُكم عليه به، والمعتبر في ذلك آخر حياته وخاتمته.

فالأول: أننا نحكم بظاهر الأمر، ولا ننظر في البواطن.

فقد قال ﷺ: «مَنْ صَلَّىٰ صلاتَنَا، واستَقْبَلَ قِبْلَتَنَا، وأَكَلَ ذَبِيحَتَنَا، فذَلِكَ المُسْلِمُ الَّذِي لَهُ ذمَّةُ اللهِ وَذِمَّةُ رَسُولِهِ، فَلَا تُخْفِرُوا اللهَ فِي ذِمَّتِهِ». البخاري برقم (٣٩١). وقال ﷺ: «إِنِّي لم أُومَرْ أَنْ أَنْقُبَ قُلُوبَ النَّاسِ وَلَا أَشُقَّ بُطُونَهُمْ». متفق عليه. ومما يدلُّ علىٰ أصل قبول الظاهر قولُه ﷺ: «فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلَّا بِحَقِّ الْإِسْلَامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَىٰ اللهِ». متفق عليه.

وذلك لأن الإيمانَ الظاهرَ للناس والذي تُجرَىٰ عليه الأحكام في الدنيا لا يستلزم الإيمان في الباطن حتىٰ نحكم عليه بأحكامٍ أخرىٰ. بل لقد اتفق أئمةُ السنة علىٰ جواز أن نصلي خلف المسلم الذي لا نعرف له حالَ إيمان صحيح، بل يبدو لنا أنه صاحب إيمان وإسلام، فمن قال: لا أصلي جمعة إلا خلف من أعرف عقيدته في الباطن. فهذا مبتدع مخالف للصحابة والتابعين لهم بإحسان وأئمة المسلمين الأربعة وغيرهم.

الثاني: أن العبرة بخاتمة حياته ونهاية أمره؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ١٦١﴾ [البقرة ١٦١]، وقوله تعالىٰ: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧﴾ [البقرة: ٢١٧].

وفي الحديث قال النبي ﷺ: «لَا عَلَيْكُمْ أَلَّا تَعْجَبُوا بِأَحَدٍ حَتَّىٰ تَنْظُرُوا بِمَ يُخْتَمُ له».

أحمد في مسنده (٣/ ١٢٠) برقم (١٢٢٣٥)، قال الأرنؤوط: إسناده صحيح علىٰ شرط الشيخين.

ونفس الأمر أيضًا أننا لا نستطيع أن نجزم لإنسانٍ ما بأنه من أهل الجنة إلا بعد موته وخاتمته، إلا من ورد في حقِّهم نصٌّ، كالعَشَرة المُبشَّرين بالجنة، والله هو علام الغيوب، حيث يقول: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦﴾ [البقرة: ٢١٦].

وقد نهىٰ الشرع الحكيم أن ننسب إلىٰ إنسان بعينه الكفر أو الفسق أو المعصية إلا إذا قامت عليه حجة شرعية قطعية، فقد صحَّ أن النبيَّ ﷺ لَعَن شارب الخمر دون تعيينِ شخصٍ باسمه [الطبراني في الكبير (١٢/ ٤٥١) برقم (١٣٦٤١)]، فهو علىٰ وجه الإطلاق،

ولكن لما لَعَن بعضُ الصحابة رضوان الله عليهم جميعًا رجلًا كان يشرب الخمر كثيرًا ويُجلَد فيها كثيرًا نهاهم النبيُّ ﷺ فقال: «لا تَلْعَنُوهُ؛ فَوَاللهِ مَا عَلِمْتُ إلا أَنَّهُ يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ». البخاري برقم (٦٧٨٠).

وعلىٰ العموم فمِن عقيدة أهل السنة أن يضع أهل العلم والفقه الضوابط للأحكام الشرعية علىٰ الناس، فلا يحكموا بكفر ولا فسق ولا بدعة إلا بعد قيام الحجة وظهورها تحقيقًا للعلم ونفيًا للجهل وخطأ التأويل وعدم وجود إكراه.

❋ ❋ ❋

٣٢٧- باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان

(١٧٣٤/ ٣٢٧) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بالطَّعَّانِ (أي: العَيَّاب للناس)، وَلا اللَّعَّانِ، وَلا الفَاحِشِ، وَلا البَذِيءِ (أي: الذي لا يستحي في فحشه قولًا)». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

(١٧٣٥/ ٣٢٧) وعن أنس رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا كَانَ الفُحْشُ فِي شَيْءٍ إلَّا شَانَهُ، وَمَا كَانَ الحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إلَّا زَانَهُ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن».

❋ ❋ ❋

(الفُحش والبذاءة)

الفحش: هو كل ما يَنفُر عنه الطبع السليم ويَسْتَنقِصُه العقل المستقيم.

وهو أيضًا ما يَكْرَهُه الطبع من رذائل الأعمال الظاهرة، ويُنكره العقل ويَستخبثه الشرع؛ فهو مرفوض من الشرع والعقل والطبع.

ونستطيع أن نقول أيضًا: إن كل شيء تجاوز قدره فهو فاحش، فقد يطلق علىٰ البخيل جدًّا قول الفاحش، وكل أمر لا يكون موافقًا للحق فهو فاحش. والمُتفحِّش هو الذي يَتكلَّف سبَّ الناس ويَتعمَّدُه، والذي يأتي بالفاحشة المَنْهيِّ عنها.

والفُحش كلُّ ما يَشتَدُّ قُبحه من الذنوب والمعاصي، وكل ما نهىٰ الله عنه، والزنا يسمىٰ فاحشة؛ لقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ﴾ [النساء: ١٩].

وكل فحشاء ذكرت في القرآن فالمراد منها الزنا إلا في قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلۡفَقۡرَ

﴿وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ﴾[البقرة: ٢٦٨]، فإن المراد البخل في إخراج الزكاة.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ: مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ». متفق عليه. ولم يكن رسول الله ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا، وكان يقول: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا». متفق عليه.

وأما البذاءة فهي أيضًا الفحش والقبح في المنطق، حتىٰ لو كان الكلام صدقًا وليس بكذبٍ، فإذا اجتمع الفحش والقبح مع الكذب فهي الوقاحة، فالبذيء يُعبر عن الأمور المستقبحة بعبارات صريحة بذيئة.

فالوقاحة- وهي ترك الحياء- هي أصل الجهل ومنبع الشر في الناس، وكلما اتصف الإنسان بالوقاحة والبذاءة كان بعيدًا عن الخير قريبًا من الشر؛ لأن الحياء هو الحائل بينه وبين الشرور.

وقال ابنُ حِبَّان رَحِمَهُ اللهُ: مَن ذَهَب حَيَاؤه ذَهَب سروره وسعادته، ومَن ذهب سروره هان علىٰ الناس ومُقِتَ وكُرِهَ، ومَن مُقِتَ أوذي، ومَن أوذي حزن، ومَن حزن فقد عقله، ومَن أُصيب في عقله كان أكثر كلامه محسوبًا عليه لا له، ولا دواء لمَن لا حياء له، ولا حياء لمن لا وفاء له، ولا وفاء لمَن لا إخاء له، ومَن قلَّ حياؤه صنع ما شاء وقال ما أحب.

وأما أسباب الفحش والبذاءة: فهي إما بسبب رغبة الفاحش في إيذاء الآخرين، وإما لتعوده علىٰ البذاءة والفحش نتيجة مخالطة الفساق وأهل الخبث واللؤم؛ لأن عادتهم السب والشتم، وسبب كل ذلك فساد النفس وأخلاقها، ومصدر ذلك الخبث واللؤم.

وعلىٰ كل واحد أن يتلطف في ألفاظه ولا يصرح بالفحش والبذاءة، وحتىٰ عند ذكر العيوب التي يُستحيا منها فلا ينبغي أن يعبر عنها بصريح اللفظ.

فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه قال: إن رجلًا وقع في أبٍ للعباس (أي: ذكره بسوء أو شتم أو إهانة) كان في الجاهلية (أي: يعني أحد أجداده) فلطمه، فقال النبيُّ تصحيحًا وتوضيحًا لأدب التعاملات: «لَا تَسُبُّوا أَمْوَاتَنَا فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا». أحمد في مسنده (١/ ٣٠٠) برقم (٢٧٣٤).

وقال رسول الله ﷺ: «الْـحَيَاءُ، وَالْعِيُّ (أي: السكوت عجزًا عن الرد على فيه إثم) شُعْبَتَانِ مِنَ الإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ (أي: التصريح الوقح للعيوب) شُعْبَتَانِ مِنْ شُعَبِ النِّفَاقِ». أحمد في مسنده (٥/ ٢٦٩) برقم (٢٢٣٦٦).

وقال رسول الله ﷺ أيضًا: «الْـحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الْـجَنَّةِ، وَالْبَذَاءُ مِنَ الْـجَفَاءِ، وَالْجَفَاءُ فِي النَّارِ». أحمد في مسنده (٢/ ٥٠١) برقم (١٠٥١٩).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّعَّانِينَ لا يَكُونُونَ شُهَدَاءَ وَلَا شُفَعَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». مسلم برقم (٢٥٩٨).

ورُوي أن رجلًا على عهد النبي ﷺ قد لعن الريح لأنها آذته في ردائه، فقال النبي ﷺ: «لا تَلْعَنْهَا؛ فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَإِنَّ مَنْ لَعَنَ شَيْئًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ رَجَعَتِ اللَّعْنَةُ عَلَيْهِ». أبو داود برقم (٤٩٠٨)، صححه الألباني (تحقيق المشكاة) حديث (٤٨٥١).

وقال رسول الله ﷺ: «مَا كَانَ الْفُحْشُ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا شَانَهُ (أي: صار به معيبًا) وَلا كَانَ الْـحَيَاءُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ». الترمذي برقم (١٩٧٤)، وقال: حديث حسن غريب.

وقال ﷺ: «لا تَسُبُّوا الدِّيكَ؛ فَإِنَّهُ يُوقِظُ لِلصَّلاةِ». أحمد في مسنده (٥/ ١٩٢) برقم (٢١٧٢٣).

وقال ﷺ: «لا يَنْبَغِي لِصِدِّيقٍ أَنْ يَكُونَ لَعَّانًا». مسلم برقم (٢٥٩٧).

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن أبغض الناس إلى الله كلُّ طَعَّانٍ لَعَّانٍ.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: أَلْأَمُ شيءٍ في المؤمن الفحش.

وقال الأحنف بن قيس رحمه الله: ألا أخبركم بأردأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء.

وقال عطاء رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]: كان في خُلُقها سوء، وكان في لسانها طول، وهؤلاء بذاء فأصلح له ذلك منها.

ورأى أبو الدرداء رضي الله عنه امرأة سليطة اللسان فقال: لو كانت هذه خرساء كان خيرًا لها.

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: خمسٌ من علامات الشقاء: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل.

والفاحش البذيء قليل أصحاب الخير، وهو سبب لانتشار وإشاعة الفاحشة في المجتمع، ويؤذي بلسانه المسلمين.

❋ ❋ ❋

٣٢٨- باب كراهة التقعير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم

(١٧٣٦/ ٣٢٨) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «هَلَكَ المُتَنَطِّعُونَ (أي: المتعمق في الشيء المتكلف للبحث عنه على مذاهب أهل الكلام، الداخل فيما لا يعنيه، الخائض فيما لا يبلغه عقله)». قَالَهَا ثَلَاثًا. رواه مسلم. «المُتَنَطِّعُونَ»: المُبَالِغُونَ فِي الأُمُورِ (أي: المتشددون تكلفًا فيما لا ينبغي فيه التشدد).

(١٧٣٧/ ٣٢٨) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ البَلِيغَ مِنَ الرِّجَالِ الَّذي يَتَخَلَّلُ بِلِسَانِهِ كَمَا تَتَخَلَّلُ البَقَرَةُ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن». (أي: إن الله يُبغِضُ مَن يريد أن يظهر بمظهر الفصيح مُتكلِّفًا ومتعاظمًا على غيره من الناس؛ ليصل بذلك إلى تعظيم نفسه وتصغير وتحقير من حوله ممن يسمعونه).

(١٧٣٨/ ٣٢٨) وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يومَ القِيامَةِ أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا، وإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يومَ القِيامَةِ الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن»، وقد سبق شرحه في بَابِ حُسْنِ الخُلُقِ. (الثرثار: هو كثير الكلام تكلفًا. والمتشدق: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فمه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه. والمتفيهق: هو الذي يملأ فمه بالكلام ويتوسع فيه، ويُغرِب به تكبرًا وارتفاعًا، وإظهارًا للفضيلة على غيره).

٣٢٩- باب كراهة قوله: خبثت نفسي

(١٧٣٩/ ٣٢٩) عن عائشة رضي الله عنها: عن النبيِّ ﷺ قال: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: خَبُثَتْ (أي: ضعفت وفترت) نَفْسِي، وَلكِنْ لِيَقُلْ: لَقِسَتْ (أي: ضعفت وفترت، ولكن كَرِهَ لفظ الخبث) نَفْسِي». متفق عليه.

قَالَ العلماءُ: مَعنَى «خَبُثَتْ»: غَثَتْ، وهو معنى: «لَقِسَتْ»، وَلَكِنْ كَرِهَ لَفْظَ الخُبْثِ.

٣٣٠- باب كراهة تسمية العنب كرمًا

(١٧٤٠/ ٣٣٠) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تُسَمُّوا العِنَبَ الكَرْمَ، فَإِنَّ الكَرْمَ المُسْلِمُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم. وفي رواية: «فَإِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤمِنِ».

وفي رواية للبخاري ومسلم: «يَقُولُونَ الكَرْمُ، إِنَّمَا الكَرْمُ قَلْبُ المُؤْمِنِ».

(١٧٤١/ ٣٣٠) وعن وائلِ بنِ حُجرٍ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: الكَرْمُ، وَلكِنْ قُولُوا: العِنَبُ، والحَبَلَةُ (أي: وهي شجرة العنب)». رواه مسلم. «الحَبَلَةُ» بفتح الحاء والباء، ويقال أيضًا بإسكان الباء. (أي: الكرم والسخاء من صفات المؤمن ودليل علىٰ نقاء قلبه وشرف صفاته، وأراد العرب أن يربطوا ذلك الأمر بما كانوا يقدمونه من الخمر المستخرج من العنب إكرامًا لأضيافهم، فأطلقوا لفظ الكرم علىٰ شجرة العنب، فأراد الشرع أن يفصل لفظ الكرم عن شجرة العنب ويرجع التسمية إلىٰ أصلها أنها قلب المؤمن).

٣٣١- باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه

(١٧٤٢/ ٣٣١) عن ابن مسعودٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رسُولُ الله ﷺ: «لَا تُبَاشِرِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ، فَتَصِفَهَا لِزَوْجِهَا كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا». متفق عليه. (أي: لا تسمح امرأة لامرأة أخرىٰ أن ترىٰ منها أو تلمس ما قد يُورِّطها في أن توصف لرجلٍ آخر كأنه ينظر إليها).

٣٣٢- باب كراهة قول الإنسان: اللهم اغفر لي إن شئت بل يجزم بالطلب

(١٧٤٣/ ٣٣٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي إِنْ شِئْتَ: اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي إِنْ شِئْتَ، لِيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ، فَإِنَّهُ لَا مُكْرِهَ لَهُ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «وَلكِنْ لِيَعْزِمْ وَلْيُعْظِمِ الرَّغْبَةَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَتَعَاظَمُهُ شَيْءٌ أَعْطَاهُ».

(١٧٤٤/ ٣٣٢) وعن أنسٍ رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعْزِمِ المَسْأَلَةَ (أي: فَلْيُلِحَّ في طَلَبِها)، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي؛ فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرِهَ لَهُ». متفق عليه.

٣٣٣- باب كراهة قول: ما شاء الله وشاء فلان

(١٧٤٥/ ٣٣٣) عن حُذَيْفَةَ بنِ اليَمَانِ رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَقُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ وَشَاءَ فُلَانٌ. وَلكِنْ قُولُوا: مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ شَاءَ فُلَانٌ». رواه أبو داود بإسناد صحيح.

٣٣٤- باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة

والمُرادُ بِهِ الحَدِيثُ الذي يَكُونُ مُبَاحًا في غيرِ هذا الوَقْتِ، وَفِعْلُهُ وَتَرْكُهُ سواءٌ. فَأَمَّا الحَدِيثُ المُحَرَّمُ أو المَكْرُوهُ (أي: مثل الحديث في الغيبة والنميمة والاستماع إلىٰ اللهو والغناء ومشاهدة ما لا يحل مشاهدته) في غير هذا الوقتِ، فَهُوَ في هذا الوقت أَشَدُّ تحريمًا وَكَرَاهَةً.

وأَمَّا الحَديثُ في الخيْرِ كَمُذاكَرةِ العِلْمِ وَحِكاياتِ الصَّالِحِينَ، وَمَكارِمِ الأَخْلَاقِ، والحَديث مع الضَّيفِ، ومع طالبِ حَاجَةٍ، ونحو ذلك، فلا كَرَاهَة فيه، بل هُوَ مُسْتَحَبٌّ، وكَذَا الحَديثُ لِعُذْرٍ وعَارِضٍ لا كَراهَةَ فِيه. وقد تظاهَرَتِ الأَحَاديثُ الصَّحيحةُ علىٰ كُلِّ ما ذَكَرْتُهُ.

(١٧٤٦/ ٣٣٤) عن أبي بَرْزَةَ ﵁: أَنَّ رسُولَ الله ﷺ كان يكرهُ النَّومَ قَبْلَ العِشاءِ والحَديث بَعْدَهَا. متفق عليه.

(١٧٤٧/ ٣٣٤) وعن ابن عمر ﵄: أَنَّ رسول الله ﷺ صَلَّىٰ العِشَاء في آخِرِ حَيَاتِهِ، فلما سَلَّم قال: «أرأيْتكُم لَيْلتكُمْ هذِهِ؟ فَإِنَّ عَلَىٰ رَأسِ مِائَةِ سَنَةٍ لَا يَبْقَىٰ مِمَّنْ هُوَ علَىٰ ظَهْرِ الأَرْضِ اليومَ أحَدٌ». متفق عليه.

(١٧٤٨/ ٣٣٤) وعن أنس ﵁: أَنَّهم انتظروا النَّبيَّ ﷺ، فَجاءهُمْ قَريبًا مِنْ شَطْرِ اللَّيْلِ، فَصَلَّىٰ بِهِمْ -يَعْنِي: العشَاءَ- ثمَّ خَطَبَنا فقالَ: «أَلَا إِنَّ النَّاسَ قَدْ صَلُّوا، ثُمَّ رَقَدُوا، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلَاةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلَاةَ». رواه البخاري.

٣٣٥- باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي

(١٧٤٩/ ٣٣٥) عن أبي هريرة ﵁ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «إِذَا دَعَا الرَّجُلُ امْرَأَتَهُ إِلَىٰ فِرَاشِهِ فَأَبَتْ، فَبَاتَ غَضْبَانَ عَلَيْهَا، لَعَنَتْهَا المَلَائِكَةُ حَتَّىٰ تُصْبِحَ». متفق عليه.

وفي روايةٍ: «حَتَّىٰ تَرْجِعَ».

٣٣٦- باب تحريم صوم المرأة تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه

(١٧٥٠/ ٣٣٦) عن أبي هريرة ﵁: أَنَّ رسول الله ﷺ قال: «لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ (أي: حاضر) إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ». متفق عليه.

٣٣٧- باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام

(١٧٥١/ ٣٣٧) عن أبي هريرة ﵁: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «أَمَا يَخْشَىٰ أَحَدُكُمْ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ قَبْلَ الإِمَامِ أَنْ يَجْعَلَ اللهُ رَأْسَهُ رَأْسَ حِمَارٍ، أَوْ يَجْعَلَ اللهُ صُورَتَهُ صُورَةَ حِمَارٍ». متفق عليه.

٣٣٨- باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة

(١٧٥٢/ ٣٣٨) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: أن رسولَ الله ﷺ نهىٰ عن الخَصْرِ (أي: وضع اليد علىٰ وسط البدن) في الصَّلَاةِ. متفق عليه.

٣٣٩- باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إليه أو مع مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط

(١٧٥٣/ ٣٣٩) عن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «لا صَلَاةَ بِحَضْرَةِ طَعَامٍ، وَلَا هُوَ يُدَافِعُهُ الأَخْبَثَانِ (أي: البول والغائط)». رواه مسلم.

(أي: نبَّه الشارع الحكيم علىٰ كراهة الصلاة بحضرة الطعام الذي يشتهيه؛ وذلك لاشتغال قلبه به، مما قد يُذهب الخشوع من قلبه، كما كره له أن يتكلف المحافظة علىٰ الوضوء فيدافع نزول البول والغائط وهما الأخبثان، مما قد يُذهِب كمالَ خشوعِه، إلا إذا ضاق الوقت وخاف خروجَ وقتِ الصلاة، فلا يجوز له التأخير وليذهب لصلاته حينئذٍ).

٣٤٠- باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة

(١٧٥٤/ ٣٤٠) عن أنس بن مالك رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «مَا بَالُ أقْوامٍ يَرْفَعُونَ أَبْصَارَهُمْ إِلَىٰ السَّمَاءِ فِي صَلَاتِهِمْ!» فاشتدَّ قولُه في ذلك حتىٰ قال: «لَيَنْتَهُنَّ عَنْ ذَلِكَ، أَوْ لَتُخْطَفَنَّ أَبْصَارُهُمْ!». رواه البخاري.

٣٤١- باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر

(١٧٥٥/ ٣٤١) عن عائشة رضي الله عنها قَالَتْ: سألتُ رَسُولَ الله ﷺ عَنْ الالتفَاتِ في الصَّلَاةِ، فَقَالَ: «هُوَ اخْتِلَاسٌ يَخْتَلِسُهُ الشَّيْطَانُ مِنْ صَلَاةِ العَبْدِ». رواه البخاري.

(١٧٥٦/ ٣٤١) وعن أنس رضي الله عنه قال: قَالَ لي رسول الله ﷺ: «إيَّاكَ والالتِفَاتَ فِي الصَّلَاةِ، فَإِنَّ الالتفَات في الصَّلَاةِ هَلَكَةٌ، فَإِنْ كَانَ لابد، فَفِي التَّطَوُّعِ لَا في الفَرِيضَةِ». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن صحيح».

٣٤٢- باب النهي عن الصلاة إلى القبور

(١٧٥٧/ ٣٤٢) عن أَبي مَرْثَدٍ كَنَّازِ بْنِ الحُصَيْنِ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لا تُصَلُّوا إِلَىٰ القُبُورِ، وَلَا تَجْلِسُوا عَلَيْهَا». رواه مسلم.

❋ ❋ ❋

(الصلاة في المساجد التي بها أضرحة)

أما الصلاة في المساجد التي بها أضرحة، فالمُفتَىٰ به أن الصلاةَ في المساجد التي يوجد بها أضرحة الأولياء والصالحين صحيحةٌ ومشروعة، بل إنها تصل إلىٰ درجة الاستحباب؛ أي: يؤجر عليها المصلي، وذلك بالدليل من الكتاب والسنة وفِعل الصحابة وإجماع الأمة الفعلي.

وقد أجمعت الأمة وأقر علماؤها بصلاة المسلمين سلفًا وخلفًا في مسجد رسول الله ﷺ والمساجدِ التي بها أضرحةٌ من غير نكير، وأقرَّ العلماءُ مِن لَدُنِ الفقهاء السبع بالمدينة المنورة الذين وافقوا علىٰ إدخال الحجرة النبوية الشريفة إلىٰ المسجد النبوي سنة ثمانٍ وثمانين من الهجرة، في زمن ولاية عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

وقد اعترض فقط سعيد بن المسيب رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأنه كان يريد بقاء حجرات النبي ﷺ كما هي ليرىٰ الناس زُهْده في الحياة وكيف كان يعيش نبيُّنا ﷺ، ولا يرىٰ حرمة الصلاة في المساجد التي بها قبور.

وأما في قولِه ﷺ: «لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ؛ اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِم مَسَاجِدَ»، فإنما فسره في حديثه المرفوع عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ لا تَجْعَلْ قَبْرِي وَثَنًا، لَعَنَ اللهُ قَوْمًا اتَّخذوا قُبُورَ أنبيائهم مَسَاجِدَ». والمعنىٰ: اللهم لا تجعل قبري صنمًا أو وثنًا يَسجُد له الناس ويتعبدونه مثل الكعبة المشرفة، كما كان في الأمم السابقة الذين كانوا يسجدون لقبور أنبيائهم تعظيمًا لهم.

أما مَن اتخذ مسجدًا بجوار قبرٍ صالح، أو صلىٰ تبركًا لا تعظيمًا للقبر، فلا حرج، فالمسلمون يصلون في الكعبة المشرفة وقبر إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالحطيم وهو أفضل الصلاة.

والمفتىٰ به من دار الإفتاء بمصر أن الصلاةَ في المساجد التي بها أضرحة الأولياء والصالحين جائزة ومشروعة، بل ومستحبة أيضًا، والقول بتحريمها أو بطلانها قول باطل لا يلتفت إليه ولا يعول عليه. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعلىٰ وأعلم.

❊ ❊ ❊

٣٤٣- باب تحريم المرور بين يدي المصلي

(١٧٥٨/ ٣٤٣) عن أَبي الجُهَيْم عبد الله بن الحارِثِ بن الصِّمَّةِ الأنْصارِيِّ ﵁ قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «لَوْ يَعْلَمُ المَارُّ بَيْنَ يَدَي المُصَلِّي مَاذَا عَلَيْهِ لَكَانَ أنْ يَقِفَ أرْبَعِينَ خَيْرًا لَهُ مِنْ أنْ يَمُرَّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال الراوي: لا أَدْرِي قَالَ: أَرْبَعينَ يومًا، أَوْ أرْبَعِينَ شَهْرًا، أَوْ أَرْبَعِينَ سَنَةً. متفق عليه.

❊ ❊ ❊

(سترة صلاة الجماعة)

قال رسولُ الله ﷺ: «إذَا كان أحدكم يُصلِّي، فلا يَدَعْ أَحَدًا يَمُرُّ بَيْنَ يَدَيْهِ». قال العلماءُ: إن ذلك مخصوصٌ بالإمام في الجماعة أو الذي يصلي منفردًا، حيث إن المأمومَ لا يضرُّه مَن مر بين يديه، ولا خلاف في هذا بين العلماء.

فالسترة وهي التي توضع أمام المُصلِّي علىٰ مسافةٍ تسمح له بالسجود- مشروعة فقط للذي يصلي منفردًا أو للإمام في الجماعة إن كان يصلي في فراغ قد يمر أمامه الناس.

فلا مانع إذًا من المرور بين يدي صفوف المأمومين، بناء علىٰ أن سترة الإمام تُعَد شرعًا سُتْرةً للمأمومين، علىٰ أن يكونَ المرور بين الصفوف عند وجود الحاجة إليه، كأن لا يستطيع أحدهم الوصول إلىٰ مكان الوضوء، أو إلىٰ شيءٍ من متاعه كالنعل وما شابهه، إلا أن يمر بين يدي المصلين، أو ليسد مكانًا خاليًا أو فرجة في الصف الذي أمامه، أو غير ذلك. وهذا الضابط حتىٰ لا يشغل المصلين بالحركة بغير حاجة معتبرة. هذا هو المُفتَىٰ به من دار الإفتاء بمصر. والله تعالىٰ أعلىٰ وأعلم.

❊ ❊ ❊

٣٤٤- باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها

(١٧٥٩/ ٣٤٤) عن أبي هريرة ﵁: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ فَلَا صَلاَةَ إِلَّا المَكْتُوبَةَ (أي: المفروضة وهي الصلوات الخمس)». رواه مسلم.

٣٤٥- باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي

(١٧٦٠/ ٣٤٥) عن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لا تَخُصُّوا لَيْلَةَ الجُمُعَةِ بِقِيَامٍ مِنْ بَيْنِ اللَّيَالِي، وَلَا تَخُصُّوا يومَ الجُمُعَةِ بِصِيَامٍ مِنْ بَيْنِ الأيَّامِ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِي صَومٍ يَصُومُهُ أَحَدُكُمْ». رواه مسلم.

(١٧٦١/ ٣٤٥) وعنه قال: سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لَا يَصُومَنَّ أَحَدُكُمْ يَوْمَ الجُمُعَةِ إِلَّا يَوْمًا قَبْلَهُ أَوْ بَعْدَهُ». متفق عليه.

(١٧٦٢/ ٣٤٥) وعن محمدِ بنِ عَبَّادٍ قَالَ: سَأَلْتُ جابرًا رضي الله عنه: أَنَهَى النَّبِيُّ ﷺ عَنْ صَومِ الجُمُعَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ. متفق عليه.

(١٧٦٣/ ٣٤٥) وعن أم المؤمنين جُوَيْرِيَةَ بنت الحارث رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دخل عليها يوم الجمعة وهي صائمة، فَقَالَ: «أَصُمْتِ أَمْسِ؟» قالت: لا، قَالَ: «تُرِيدِينَ أَنْ تَصُومِي غَدًا؟» قالتْ: لَا. قَالَ: «فَأَفْطِرِي». رواه البخاري.

٣٤٦- باب تحريم الوصال في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما

(١٧٦٤/ ٣٤٦) عن أبي هريرة وعائشة رضي الله عنهما: أَنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن الوِصَالِ (أي: تتابع الصوم من غير إفطار بالليل). متفق عليه.

(١٧٦٥/ ٣٤٦) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نَهَى رَسُولُ الله ﷺ عَنِ الوِصَالِ. قالوا: إِنَّكَ تُواصِلُ؟ قَالَ: «إِنِّي لَسْتُ مِثْلَكُمْ، إِنِّي أُطْعَمُ وَأُسْقَى». متفق عليه وهذا لفظ البخاري.

٣٤٧- باب تحريم الجلوس على قبر

(١٧٦٦/ ٣٤٧) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لأَنْ يَجْلِسَ أَحَدُكُمْ عَلَى جَمْرَةٍ، فَتُحْرِقَ ثِيَابَهُ فَتَخْلُصَ إِلَى جِلْدِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَجْلِسَ عَلَى قَبْرٍ». رواه مسلم.

٣٤٨- باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه

(١٧٦٧/ ٣٤٨) عن جابر رضي الله عنه قَالَ: نَهَى رسول الله ﷺ أن يُجَصَّصَ (أي: يزين ويبنى عليه) القَبْرُ، وأَنْ يُقْعَدَ عَلَيْهِ، وَأَنْ يُبْنَى عَلَيْهِ. رواه مسلم.

٣٤٩- باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده

(١٧٦٨/ ٣٤٩) عن جرير رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «أَيُّمَا عَبْدٍ أَبَقَ (أي: هرب من سيده)، فَقَدْ بَرِئَتْ مِنْهُ الذِّمَّةُ». رواه مسلم.

(١٧٦٩/ ٣٤٩) وعنهُ: عن النبيِّ ﷺ: «إِذَا أَبَقَ العَبْدُ، لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلَاةٌ». رواه مسلم.

وفي رواية: «فَقَدْ كَفَرَ».

٣٥٠- باب تحريم الشفاعة في الحدود

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النور: ٢].

(١٧٧٠/ ٣٥٠) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ المَرْأَةِ المَخْزُومِيَّةِ الَّتي سَرَقَتْ، فقالوا: مَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ. فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله تَعالَىٰ؟!» ثُمَّ قَامَ فاخْتَطَبَ (أي: خطب خطبة بليغة)، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ، أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا». متفق عليه.

وفي رواية: فَتَلَوَّنَ (أي: تغير لون وجهه إعظامًا لشفاعة أسامة في حد الله) وَجْهُ رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالَ: «أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله؟!» فَقَالَ أُسَامَةُ: استغفر لي يا رسول الله. قال: ثُمَّ أَمَرَ بِتِلْكَ المَرْأَةِ فَقُطِعَتْ يَدُهَا.

٣٥١- باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها

قَالَ اللهُ تَعالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾﴾ [الأحزاب: ٥٨].

(١٧٧١/ ٣٥١) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «اتَّقُوا اللَّاعِنَيْنِ». قالُوا: وَمَا اللَّاعِنَانِ؟ قال: «الَّذِي يَتَخَلَّىٰ (أي: يتغوط أو يقضي حاجته) فِي طَرِيقِ النَّاسِ أَوْ فِي ظِلِّهِمْ». رواه مسلم.

٣٥٢- باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد

(١٧٧٢/ ٣٥٢) عن جابر ﷺ: أَنَّ رسول الله ﷺ نَهَىٰ أَنْ يُبَالَ فِي الْمَاءِ الرَّاكِدِ. رواه مسلم.

٣٥٣- باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة

(١٧٧٣/ ٣٥٣) عن النُّعمان بن بَشِير ﷺ: أَنَّ أباه أَتَىٰ بِهِ رسُولَ الله ﷺ فقالَ: إِنِّي نَحَلْتُ (أي: وهبت) ابْنِي هَذَا غُلامًا كَانَ لِي، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَكُلَّ وَلَدِكَ نَحَلْتَهُ مِثْلَ هَذَا؟» فَقَالَ: لا. فقال رسول الله ﷺ: «فَارْجِعهُ».

وفي رواية: فقال رسول الله ﷺ: «أَفَعَلْتَ هذَا بِوَلَدِكَ كُلِّهِمْ؟» قَالَ: لا، قَالُ: «اتَّقُوا اللهَ واعْدِلُوا فِي أَوْلادِكُمْ». فَرَجَعَ أَبِي، فَرَدَّ تِلْكَ الصَّدَقَةَ.

وفي روايةٍ: فقال رسول الله ﷺ: «يَا بَشِيرُ، أَلَكَ وَلَدٌ سِوَىٰ هَذَا؟» فقالَ: نَعَمْ. قَالَ: «أَكُلَّهُمْ وَهَبْتَ لَهُ مِثْلَ هذَا؟» قالَ: لَا، قالَ: «فَلَا تُشْهِدْنِي إِذًا؛ فَإِنِّي لَا أَشْهَدُ عَلَىٰ جَوْرٍ».

وفي رواية: «لَا تُشْهِدْنِي عَلَىٰ جَوْرٍ (أي: ظلم)».

وفي رواية: «أَشْهِدْ عَلَىٰ هذَا غَيْرِي!» ثُمَّ قَالَ: «أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَواءً؟» قال: بَلَىٰ، قال: «فَلا إِذًا». متفق عليه.

(ينظر في «شرح حقوق الأبناء علىٰ الوالدين»، الحق الخامس: العدل بين الأبناء).

٣٥٤- باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام

(١٧٧٤/ ٣٥٤) عن زينب بنت أبي سلمة ﷺ قالَتْ: دَخَلْتُ عَلَىٰ أُمِّ حَبِيبَةَ ﷺ، زَوجِ النَّبِيِّ ﷺ، حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بنُ حرب ﷺ، فَدَعَتْ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةُ خَلُوقٍ (أي: طيب مخلوط) أَوْ غَيرِهِ، فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً، ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللهِ مَا لِي بالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ، غَيرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسُولَ الله ﷺ يقُولُ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ (أي: تترك التزين) علىٰ مَيِّتٍ فَوقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، إِلَّا عَلَىٰ زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا». قالت زينب: ثُمَّ دَخَلْتُ عَلَىٰ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ ﷺ حِينَ تُوُفِّيَ

أَخُوهَا، فدعت بطِيبٍ فمسَّتْ منه ثم قالت: أما والله ما لي بالطِّيب من حاجة، غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رسولَ الله ﷺ يقُولُ عَلَىٰ المِنْبَرِ: «لا يَحِلُّ لامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ باللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أنْ تُحِدَّ على مَيِّتٍ فوقَ ثَلاثٍ، إلَّا علَىٰ زَوْجٍ أرْبَعَةَ أشْهُرٍ وَعَشْرًا». متفق عليه.

٣٥٥- باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخطبة على خطبته إلا أن يأذن أو يرد

(١٧٧٥/ ٣٥٥) عن أنس رضي الله عنه قال: نَهَىٰ رسُولُ الله ﷺ أنْ يَبيعَ حَاضِرٌ (أي: إنسان من أهل البلد) لِبَادٍ (أي: إنسان من البادية) وإنْ كانَ أخَاهُ لأبِيهِ وَأُمِّهِ. متفق عليه.

(١٧٧٦/ ٣٥٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا السِّلَعَ حَتَّىٰ يُهْبَطَ بِهَا إِلَىٰ الأَسْوَاقِ». متفق عليه.

(١٧٧٧/ ٣٥٥) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «لَا تَتَلَقَّوُا الرُّكْبَانَ، وَلَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ». فقال له طاوس ما قوله: لَا يَبِعْ حَاضِرٌ لِبَادٍ؟ قال: لَا يَكُونُ لَهُ سِمْسَارًا (أي: من يتولىٰ البيع والشراء لغيره). متفق عليه.

(١٧٧٨/ ٣٥٥) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: نَهَىٰ رسُولُ الله ﷺ أنْ يَبِيعَ حَاضِرٌ لِبَادٍ، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا يَبِيعِ الرَّجُلُ عَلَىٰ بَيْعِ أخِيهِ، وَلَا يَخْطُبُ عَلَىٰ خِطْبَةِ أخيهِ، وَلَا تَسْأَلُ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا لِتَكْفَأَ مَا فِي إنائِهَا (أي: لتنفرد به وحدها).

وفي روايةٍ قَالَ: نَهَىٰ رسُولُ الله ﷺ عَنِ التَّلَقِّي، وَأَنْ يَبْتَاعَ المُهَاجِرُ لِلأعْرَابِيِّ، وَأَنْ تَشْتَرِطَ المَرْأَةُ طَلَاقَ أُخْتِهَا، وأنْ يَسْتَامَ الرَّجُلُ على سَوْمِ أخِيهِ، وَنَهَىٰ عَنِ النَّجْشِ والتَّصْرِيَةِ (أي: جمع اللبن في الضرع حتىٰ يَعظُم فيُخدع المشتري بكثرة اللبن). متفق عليه.

(١٧٧٩/ ٣٥٥) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «لَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَيْعِ بَعْضٍ، وَلَا يَخْطُبْ عَلَىٰ خِطْبَةِ أخيهِ إلَّا أنْ يَأذَنَ لَهُ». متفق عليه، وهذا لفظ مسلم.

(١٧٨٠/ ٣٥٥) وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المُؤْمِنُ أَخُو المُؤْمِنِ، فَلَا يَحِلُّ لِـمُؤْمِنٍ أنْ يَبْتَاعَ عَلَىٰ بَيْعِ أخِيهِ وَلَا يَخْطُبَ عَلَىٰ خِطْبَةِ أخِيهِ حَتَّىٰ يذَرَ (أي: يدع أو يترك)». رواه مسلم.

٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها

(١٧٨١/ ٣٥٦) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنَّ اللهَ تعالىٰ يَرْضَىٰ لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا: فَيَرْضَىٰ لَكُم أَنْ تَعْبُدُوهُ، وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ الله جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ: قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وإِضَاعَةَ المَالِ». رواه مسلم، وتقدم شرحه.

(١٧٨٢/ ٣٥٦) وعن ورَّادٍ كاتب المغيرة، قال: أَمْلَىٰ عَلَيَّ المُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ فِي كِتَابٍ إِلَىٰ مُعَاوِيَةَ رضي الله عنه: أنَّ النبيَّ ﷺ كان يقول في دُبُر كُلِّ صلاةٍ مكتوبة: «لَا إلهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِـمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِيَ لِـمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ (أي: الحظ والغنىٰ والعظمة والسلطان) مِنْكَ الجَدُّ». وَكَتَبَ إِلَيْهِ: أَنَّهُ كَانَ يَنْهَىٰ عَنْ قِيلَ وَقَالَ، وَإِضَاعَةِ المَالِ، وَكَثْرَةِ السُّؤَالِ، وَكَانَ يَنْهَىٰ عَنْ عُقُوقِ الأُمَّهَاتِ، وَوَأْدِ البَنَاتِ، وَمَنْعٍ وَهَاتِ. متفق عليه، وسبق شرحه.

* * *

(الإسراف)

الإسراف أو السرف: هو تجاوز الحد المعتبر شرعًا وعقلًا في كلِّ نفقةٍ أو فعلٍ يفعله الإنسان، سواء في الكمِّ أو الكيف، فما تمَّ إنفاقه أو صُنْعه في غير مصلحة البشر ومعاكسًا لطاعة الله فهو إسراف، حتىٰ وإن كان يبدو قليلًا؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣].

والمسرف هو الذي غفل عن الحق والحدِّ الواجب في النفقة أو الفعل، فهو إما أن يتجاوزه ويزيد علىٰ ما يجب ويعتبر، أو يقصر عنه وقد تجاوز القصد المطلوب. فالسرف أيضًا هو الإغفال والخطأ، ومن تعدَّىٰ حدودَ الله سُمِّي مُسرِفًا؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾ [غافر: ٤٣].

والمسرف هو أيضًا الذي ينفق المالَ الكثير في شيءٍ خسيس لا يستحق، كما يقال عن الذي يأكل مما لا يحل له أو يأكل مما يحل له ولكن فوق حدِّ الاعتدال ومقدار الحاجة: إنه رجلٌ مسرف. فمن تجاوز في النفقة أو الاستهلاك في الكم وجهل مقدار الحقوق

المعتبرة فيها فهو مسرف أيضًا؛ لأنه ابتعد عن الحدِّ وجاوزه.

مظاهر الإسراف: الإنفاق عمومًا نوعان: ممدوح ومذموم.

أما الإنفاق الممدوح: فهو ما امتدحه العقلاء والصالحون من الناس في كل زمان ومكان، وقد أوجبت الشريعة بَذْله في محله الضروري والمعتبر، كالنفقة علىٰ الأهل والعيال، وإخراج الزكوات والصدقات علىٰ الفقراء والمساكين والأرامل واليتامىٰ، وعلىٰ كل ما ينفع الناس عمومًا من منشآت تصلح بها الحياة وتنفع صاحبها عند لقاء الله تعالىٰ. فمن أنفق في مثل هذا مالًا كثيرًا في موضعه المعتبر لم يُسَمَّ مسرفًا ولا مبذرًا.

وأما الإنفاق المذموم: فهو نوعان:

أولهما: الإفراط تبذيرًا وإسرافًا، حيث يعطي وينفق أكثر مما يجب أو يحتمل الأمر والحال، أو في غير الموضع المطلوب والمعتبر.

فمن أعطىٰ شخصًا فاجرًا شيئًا بسيطًا ليشتري به خمرًا أو مخدرًا أو ما شابه ذلك، فهو عند الله مسرف. وقد قيل لبعضهم: متىٰ يكون بَذْل القليل إسرافًا مذمومًا؟ ويكون بذل الكثير اقتصادًا محمودًا؟ قال: إذا أنفق القليلَ في باطل وضرر علىٰ الناس فيكون مذمومًا، وإذا أنفق الكثير في الحق ومنفعة الناس صار اقتصادًا ومحمودًا.

والثاني: هو التفريط، وهو الإمساك والتقتير والبخل، إما في الكيف أو في الكم.

والإسراف لا يتعلق بالمال وحده، بل بكلِّ شيء وُضِع في غير موضعه اللائق به؛ فقد وصف الله تعالىٰ قومَ لوط ومعصيتهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النمل: ٥٥]، وكان الأمر لا يتعلق بالمال، وإنما يتعلق بالفعل المنافي للشرع والفطرة، ووصف فرعون وظلمه وجبروته فقال تعالىٰ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الدخان: ٣١].

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جدِّه: أن رجلًا أتىٰ النبيَّ ﷺ فقال: إني فقير ليس لي شيء، ولي يتيم؟ قال: «كُلْ مِنْ مَالِ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَذِّرٍ وَلَا مُتَأَثِّلٍ» [أحمد في «مسنده» (٢/ ٢١٥) حديث (٧٠٢٢)]. متأثل؛ أي: جامعٌ للمال مُدَّخِرٌ له.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كَانَ رَجُلٌ يُسرِفُ عَلَىٰ نَفْسِه، فَلَمَّا حَضَرَهُ الْمَوْتُ قَالَ لِبَنِيهِ: إِذَا أَنَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي ثُمَّ اطْحَنُونِي ثُمَّ ذَرُّونِي فِي الرِّيحِ، فَوَاللهِ لَئِنْ

قَدَرَ عَلَيَّ رَبِّي لَيُعَذِّبَنِّي عَذابًا مَا عَذَّبَهُ أَحَدًا. فَلَمَّا مَاتَ فُعِلَ بِهِ ذَلِكَ، فَأَمَرَ اللهُ الأَرْضَ فَقَالَ: اجْمَعِي مَا فِيكِ مِنْهُ. فَفَعَلَتْ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ عَلَىٰ مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ، خَشْيَتُكَ. فَغَفَرَ لَهُ». متفق عليه بنحوه.

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا مَخِيلَةٍ (أي: عُجْب وخُيَلاء)». أحمد في مسنده (٢/ ١٨١) برقم (٦٦٩٥).

وعن مُعاذ بن جبَل رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ لما بعثه إلىٰ اليمن قال: «إِيَّاكَ وَالتَّنَعُّمَ؛ فَإِنَّ عِبَادَ اللهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ» [أحمد في مسنده (٥/ ٢٤٤) حديث (٢٢١٧١)]. يقصد به الترف الزائد عن حد الحاجة والضرورة والعرف المعتبر الذي يغمس صاحبه في حب الدنيا وملاذها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ [سبأ: ٣٩]: يعني: في غير إسرافٍ ولا تقتير.

وقال عطاء بن أبي رباح رحمه الله في معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿وَءَاتُواْ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ وَلَا تُسْرِفُوٓاْ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾﴾ [الأنعام: ١٤١]: نُهُوا عن الإسراف في كلِّ شيء.

وقال السُّدِّيُّ رحمه الله في هذه الآية أيضًا: لا تعطوا أموالكم (أي: كلها) فتقعدوا (أي: فتصيروا) فقراء.

وقال ابن كثير رحمه الله: لا تُسرفوا في الأكل؛ لما فيه من مضرة العقل والبدن.

قال إياس بن معاوية رحمه الله: ما جاوزتَ به أمر الله تعالىٰ فهو سَرَفٌ.

وقال سفيان رحمه الله: ما أنفقتَه في غير طاعة الله تعالىٰ فهو سَرَفٌ وإن كان قليلًا.

قال ابن القيم رحمه الله: إن مجاوزة الحدِّ في كلِّ أمرٍ يضر بمصالح الدنيا والآخرة، بل يُفسد البدن أيضًا؛ إذ إنه متىٰ زادت أخلاطه عن حدِّ العدل والوسط ذهب من صحته وقوته بحسب ذلك، وهذا مضطرد أيضًا في الأفعال الطبيعية، كالنوم والسهر، والأكل والشرب... وغير ذلك.

وقال أيضًا رحمه الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ﴾ [الفرقان: ٦٧]: أي: ليسوا بمبذرين في إنفاقهم ويسرفون في غير الحاجة، ولا بخلاء علىٰ أهليهم فيُقصِّرون في حقهم فلا يكفونهم، بل عدلًا خيارًا، وخير الأمور أوسطها، لا هذا ولا هذا.

قال الفِيرُوزَآبادِيُّ رحمه الله في قوله تعالىٰ: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾

[غافر: ٤٣]: هم المتجاوزون في أمورِهم الحدَّ.

وقال بعض السلف: جمع الله الطبَّ كلَّه في نصف آية؛ ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾ [الأعراف: ٣١].

(التبذير)

التبذير: هو إنفاقُ أو تفريقُ المال علىٰ وجه الإسراف؛ لأن المُبذِّر إنما يُبذِّر المالَ ويُفرِّقه بلا وَعْيٍ ولا إدراكٍ ولا فائدةٍ، وحتىٰ الذي يُبذِّر كلامه بين الناس كبَذْرِ الحبوب متفرقةً في الأرض، فهو لا يستطيع أن يُمسك سِرَّه ولا يكتمه عن الناس؛ سُمي بذيرًا لأنه قد فرَّق سره وبَذَره علىٰ غيره. وفي حديث فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عند وفاة النبي ﷺ: قالت عائشةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: إني إذًا لبَذِرَةٌ. وقَصَدَتْ إفشاءَ السرِّ وإظهارَ ما سمع.

فالتبذير هو النفقة في غير وجوه الخير والبر التي يتقرَّب بها إلىٰ الله تعالىٰ. والتبذير أيضًا هو تفريق المال بإسراف، فكلُّ مَن ضيَّع ماله تفريقًا، وقد تشبَّه بمن ألقىٰ بذوره وحبوبه من غير أن يعرف مآلها ومكانها، فهو مبذر؛ قال مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التبذير هو أخذ المال من حقه ووضعه في غير حقه.

وقال الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التبذير هو إنفاق المال في غير حقِّه... ولا تبذير في عمل الخير.

(الفرق بين التبذير والإسراف)

إذا اجتمع الإسرافُ والتبذير في جملةٍ كان لهما نفس المعنىٰ أحيانًا، وإن كان الإسراف هو الأعمُّ معنًىٰ. قال الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التبذير هو الإسراف المتلِف للمال.

وروي عن الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: إن التبذير هو الإسراف. وقال الكفوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: الإسراف هو صرف الشيء فيما لا ينبغي وزيادة علىٰ ما ينبغي أيضًا، والتبذير هو صرف الشيء فيما لا ينبغي.

فالإسراف هو تجاوز في الكمية؛ لجهل الفاعل بمقادير الحقوق، أما التبذير فهو تجاوز في مكان وَضْع الحقوق. والتبذير من المحرمات كما قال الإمام مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ لقول الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ﴾ [الإسراء: ٢٧].

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: مَن أنفق درهما في حرام فهو مُبذِّر، ويُحجَر عليه في نفقته في ذلك الحرام، ولا يحجر عليه إن بذله في الشهوات، إلا إذا خيف عليه النفاد.

وكذلك يرىٰ الإمام الماوردي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن المبذِّر يُحجَر عليه؛ للآية السابقة، حيث يقول: وإن من واجب الإمام أو المسئول عن الأمر أن يمنعه من التبذير، وذلك بالحجر عليه والحيلولة بينه وبين المال، إلا بقَدْر النفقة المناسبة علىٰ نفسه.

أما الإمام أبو حنيفة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فيرىٰ: أن التبذير حرام ومنهي عنه، وإن كان لا يرىٰ أن يُحجَر (أي: والحجر هو منع المحجور عليه من التصرف في ممتلكاته) علىٰ المبذِّر.

(الفرق بين الجود والتبذير)

الجواد والكريم هو الذي يتوخىٰ ويتحرىٰ بماله أداءَ الحقوق الواجبة عليه، حسب مقتضىٰ المروءة والإنسانية والعرف الكريم المتعارف عليه، والعادات الفاضلة، كإكرام الضيف، ومكافأة صاحب الهدية، وما يُنفقه اتِّقاءً لعِرضه، من باب الكمال والرفعة والنبل، طيِّبةً بذلك نفسه قاصدًا بذلك وجه الله تعالىٰ في الدنيا والآخرة.

أما المبذِّر فهو الذي يُنفق بحسب شهوته وهوىٰ نفسه، دون مراعاةِ شرعٍ ولا مصلحةِ بشرٍ، ولا تقديرِ أمرٍ، وحتىٰ لا يريد بذلك أداء الحقوق الواجبة عليه.

فالفرق واضح بين الأمرين، في أن الجوادَ شخصٌ حكيم يضع العطاء في موضعه وبقدره، بعكس المبذر أو المسرف فإنه لا يصادف الموضع المناسب ولا القدر ولا الحق المناسب.

فعن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: ما أنفقتَ علىٰ نفسك وأهلِ بيتك في غيرِ سَرَفٍ ولا تبذير، وما تصدَّقتَ به- فهو لك، وما أنفقتَ رياءً وسمعة فذلك حظ الشيطان.

وعن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قال: لا تُنفق في الباطل؛ فإن المبذر هو المنفق في غير حق.

وقال عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: الـمُرَّان (أي: جمع الـمُرِّ): الإمساك في الحياة (أي: البخل والتقتير)، والتبذير عند الموت (أي: الإنفاق في غير حق قبيل الموت).

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: التبذير: النفقة في معصية الله تعالىٰ وفي غير الحق وفي الفساد.

وقال مجاهد رَحِمَهُ اللَّهُ: لو أنفق إنسانٌ مالَه كله في الحق (أي: جميع أوجه الحق) لم يكن مبذرًا، ولو أنفق مُدًّا (أي: مقدار ملء اليد) في غيرِ حقٍّ كان مبذِّرًا.

وعن السُّدِّي رَحِمَهُ اللَّهُ: في قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝٢٦﴾ [الإسراء: ٢٦]: أي: لا تُعْطِ مالَكَ كله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: مَن أنفق ماله في الشهوات زائدًا علىٰ قدر الحاجات، وعرَّضه بذلك للنفاد، فهو مُبذِّر، ومَن أنفق رِبح ماله في شهواته وحَفِظَ الرَّقبة (أي: أصل ماله) فليس بمبذر.

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧]: إنهم في حكمهم شرعًا؛ إذ المبذِّر ساعٍ في إفسادٍ كالشياطين، أو أنهم يفعلون ما تُسوِّل لهم أنفسهم (أي: كما تسول الشياطين فعل الشر)، أو أنهم يُقرَنون (أي: يُجمَعون) بهم غدًا في النار.

قال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: العاقل يُدبِّر بعقله معيشته في الدنيا، فإن كان فقيرًا اجتهد في كَسْبٍ وصناعة تكفُّه عن الذُّلِّ للخلق، وقلَّل العلائق (أي: الارتباط بالشهوات والطموحات العالية)، واستعمل القناعة فعاش سليمًا من مِنَن الناس عزيزًا بينهم، وإن كان غنيًّا فينبغي له أن يُدبِّر في نفقته خوفَ أن يفتقر فيحتاج إلىٰ الذل للخلق.

ومن البلية أن يُبذِّر في النفقة ويُباهي بها ليكمد أو يغيظ الأعداء، كأنه يتعرض بذلك -إن أكثر- لإصابته بالعين (أي: الحسد)، وينبغي التوسط في الأحوال، وكتمان ما يصلح كتمانه، وإنما التدبير هو حفظ المال والتوسط في الإنفاق وكتمان ما لا يصلح إظهاره.

فمن مضار التبذير والإسراف أنه يباعد صاحبه من الجنة ويقربه من النار؛ حيث إن فيه إتلافًا للمال، وهو عصب الحياة، وتضييع له، فيؤدي بصاحبه إلىٰ الفقر والذل للخلق، وقد يعرضه للحسد والحقد عليه، وقد يشعر صاحبه إذا افتقر بالمرارة، خاصة إذا اقترب أجله، فيقعد ملومًا محسورًا.

❊ ❊ ❊

٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جادًّا أو مازحًا والنهي عن تعاطي السيف مسلولا

(١٧٨٣/ ٣٥٧) عن أَبي هريرة رضي الله عنه: عن رسُولِ الله ﷺ قال: «لَا يُشِرْ أَحَدُكُمْ إِلَىٰ أَخِيهِ بِالسِّلاحِ، فَإِنَّهُ لا يَدْرِي لَعَلَّ الشَّيْطَانَ يَنْزِعُ فِي يَدِهِ، فَيَقَع فِي حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم قال: قال أبو القاسم ﷺ: «مَنْ أَشَارَ إِلَىٰ أَخِيهِ بِحَدِيدَةٍ، فَإِنَّ المَلَائِكَةَ تَلْعَنُهُ حَتَّىٰ يَنْزِعَ، وَإِنْ كَانَ أَخَاهُ لأَبِيهِ وَأُمِّهِ».

قوله ﷺ: «يَنْزِع» ضُبِطَ بالعين المهملة مع كسر الزاي، وبالغين المعجمة مع فتحها، ومعناهما مُتقَارِبٌ، وَمَعنَاهُ بالمهملةِ يَرْمِي، وبالمعجمةِ أيضًا يَرْمِي وَيُفْسِدُ. وَأصْلُ النَّزْعِ: الطَّعْنُ وَالفَسَادُ.

(١٧٨٤/ ٣٥٧) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: نَهَىٰ رَسُولُ الله ﷺ أَنْ يُتَعَاطَىٰ (أي: يُتناول) السَّيْفُ مَسْلُولًا (أي: بدون غطاء الحماية). رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن».

٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة

(١٧٨٥/ ٣٥٨) عن أبي الشَّعْثاءِ، قالَ: كُنَّا قُعُودًا مَع أبي هريرة رضي الله عنه في المَسْجِدِ، فَأَذَّنَ المُؤَذِّنُ، فَقَامَ رَجُلٌ مِنَ المَسْجِدِ يَمْشِي، فَأَتْبَعَهُ أَبُو هُرِيرَةَ بَصَرَهُ حَتَّىٰ خَرَجَ مِنَ المَسْجِدِ، فقال أبو هريرة: أما هذا فقد عصىٰ أبا القاسم ﷺ. رواه مسلم.

* * *

(حكم خروج المصلي من المسجد بعد الأذان)

يَحرُم الخروجُ من المسجد بعد الإقامة للمتطهر من الحدث الأصغر والأكبر، إلا أن يكونَ قد صلىٰ تلك الصلاة. أما إذا كان الخروج بعد الأذان بنية الرجوع إليه فهو مكروه ولا يصل إلىٰ التحريم، ويُباح له أن يتحرَّك من مسجدٍ إلىٰ مسجدٍ آخر في داخل حَيِّه إن كانت هناك مصلحة في ذلك معتبرة كما أفتىٰ بذلك الحنفية. أما في حال صلاة النفل أو التطوع، كصلاة العيدين وأمثالها، فيجوز له الخروج حتىٰ قبل أدائها من غير كراهة.

* * *

٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر

(١٧٨٦/ ٣٥٩) عن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ رَيْحَانٌ (أي: ما طاب من العطر وغلا ثمنه)، فَلَا يَرُدَّهُ، فَإِنَّهُ خَفِيفُ المَحْمِلِ، طَيِّبُ الرِّيحِ». رواه مسلم.

(١٧٨٧/ ٣٥٩) وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ كَانَ لَا يَرُدُّ الطِّيبَ. رواه البخاري.

٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه

(١٧٨٨/ ٣٦٠) عن أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه قَالَ: سَمِعَ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا يُثْنِي عَلَىٰ رَجُلٍ وَيُطْرِيهِ فِي المِدْحَةِ، فقالَ: «أَهْلَكْتُمْ- أو قَطَعْتُمْ- ظَهْرَ الرَّجُلِ». متفق عليه. «وَالإِطْرَاءُ»: المُبَالَغَةُ فِي المَدْحِ.

(١٧٨٩/ ٣٦٠) وعن أبي بكرة رضي الله عنه: أن رجلًا ذُكِرَ عند النبيِّ ﷺ، فَأَثْنَىٰ عَلَيْهِ رَجُلٌ خَيْرًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَيْحَكَ! قَطَعْتَ عُنُقَ صَاحِبِكَ». يَقُولُهُ مِرارًا: «إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ مَادِحًا لَا مَحَالَةَ فَلْيَقُلْ: أَحْسِبُ كَذَا وَكَذَا إِنْ كَانَ يَرَىٰ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَحَسِيبُهُ اللهُ، وَلَا يُزَكَّىٰ عَلَىٰ اللهِ أَحَدٌ». متفق عليه.

(١٧٩٠/ ٣٦٠) وعن هَمَّام بن الحارث، عن المِقْدَادِ رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا جَعَلَ يَمْدَحُ عُثْمَانَ رضي الله عنه، فَعَمِدَ المِقْدَادُ، فَجَثَا عَلَىٰ رُكْبَتَيْهِ، فَجَعَلَ يَحثو فِي وَجْهِهِ الحَصْبَاءَ (أي: الحصىٰ الصغيرة). فقالَ لَهُ عُثْمَانُ: مَا شَأْنُكَ؟ فقال: إنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ المَدَّاحِينَ، فَاحْثُوا (أي: ألقوا) فِي وُجُوهِهِمُ التُّرَابَ». رواه مسلم. فهذهِ الأحاديث في النهي، وجاء في الإباحة أحاديث كثيرة صحيحة.

قَالَ العلماء: وطريق الجمع بين الأحاديث أن يقال: إنْ كان المَمْدُوحُ عِنْدَهُ كَمَالُ إيمانٍ وَيَقِينٍ، وَرِيَاضَةُ نَفْسٍ، وَمَعْرِفَةٌ تَامَّةٌ بِحَيْثُ لَا يَفْتَتِنُ، وَلَا يَغْتَرُّ بِذَلِكَ، وَلَا تَلْعَبُ بِهِ نَفْسُهُ، فَلَيْسَ بِحَرَامٍ وَلَا مَكْرُوهٍ، وإِنْ خِيفَ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ هذهِ الأمورِ، كُرِهَ مَدْحُهُ فِي وَجْهِهِ كَرَاهَةً شَدِيدَةً، وَعَلَىٰ هَذا التَّفصِيلِ تُنَزَّلُ الأحاديثُ المُخْتَلِفَةُ فِي ذَلكَ. وَمِمَّا جَاءَ فِي الإِبَاحَةِ: قَوْلُهُ ﷺ لأبي بكرٍ رضي الله عنه: «أَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ». أي: مِنَ الَّذِينَ يُدْعَونَ مِنْ جَمِيعِ أَبْوابِ الجَنَّةِ لِدُخُولِهَا.

وَفِي الحَدِيثِ الآخر: «لَسْتَ مِنْهُمْ». أي: لَسْتَ مِنَ الَّذِينَ يُسْبِلُونَ أُزُرَهُمْ خُيَلَاءَ.

وَقالَ ﷺ لِعُمَرَ رضي الله عنه: «مَا رَآكَ الشَّيْطَانُ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ».

والأحاديثُ في الإباحة كثيرةٌ، وقد ذكرتُ جملةً مِنْ أطرافِهَا في كتاب «الأذكار».

٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارًا منه وكراهة القدوم عليه

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨].

وَقال تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

(١٧٩١/ ٣٦١) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عمرَ بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ خرج إِلَىٰ الشَّام حَتَّىٰ إذا كَانَ بِسَرْغ (أي: قرية في طرف الشام مما يلي الحجاز) لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ- أَبُو عُبَيْدَةَ بنُ الجَرَّاحِ وأصْحَابُهُ- فَأخْبرُوهُ أنَّ الوبَاءَ قَدْ وَقعَ بِالشَّام. قَالَ ابن عباس: فقال لي عمر: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ، فَدعَوتُهُم فَاسْتَشَارَهُمْ وَأخبرَهُم أنَّ الوبَاءَ قَدْ وَقعَ بالشَّام، فَاخْتَلَفُوا، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: خَرَجْتَ لأَمْرٍ، وَلَا نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ. وَقَالَ بعضهم: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وأَصْحَابُ رسُولِ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلَا نَرَىٰ أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الوَبَاء. فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي الأَنْصارَ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَاسْتَشَارَهُمْ، فَسَلَكُوا سَبيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلَافِهِمْ، فقال: ارْتَفِعُوا عَنِّي. ثُمَّ قَالَ: ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هاهُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ، فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ عَلَيْهِ مِنْهُمْ رَجُلَانِ، فقالوا: نَرَىٰ أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ، وَلَا تُقْدِمَهُمْ عَلَىٰ هَذَا الوبَاءِ، فَنَادَىٰ عُمَرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في النَّاسِ: إِنِّي مُصْبِحٌ عَلَىٰ ظَهْرٍ، فَأَصْبِحُوا عليهِ، فقال أبو عبيدة بْنُ الْجَرَّاح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أَفِرارًا مِن قَدَرِ الله؟ فقالَ عُمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لَوْ غَيرُكَ قَالَهَا يا أبا عبيدَةَ!- وَكَانَ عُمرُ يَكْرَهُ خِلَافَهُ- نَعَمْ، نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ الله إِلَىٰ قَدَرِ الله، أرأيتَ لو كَانَ لَكَ إِبِلٌ، فَهَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ، إِحْدَاهُمَا خَصْبَةٌ، وَالأُخْرَىٰ جَدْبَةٌ، أَلَيسَ إنْ رَعَيْتَ الخصْبَةَ رَعَيْتَهَا بقَدَرِ الله، وَإِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ الله؟ قَالَ: فَجاءَ عبد الرحمن بنُ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ مُتَغَيِّبًا في بَعْضِ حاجَتِهِ، فَقَالَ: إنَّ عِنْدِي من هَذَا عِلْمًا، سمعتُ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول: «**إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلَا تَقْدِمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلَا تَخْرُجُوا فِرارًا مِنْهُ**». فحمِدَ اللهَ تَعَالَىٰ عمرُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وانصَرَفَ. متفق عليه. و«**العُدْوَة**»: جانِب الوادِي.

(١٧٩٢/ ٣٦١) وعن أسامة بن زيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النَّبيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الطَّاعُونَ بِأَرْضٍ، فَلَا تَدْخُلُوهَا، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ، وأَنْتُمْ فِيهَا، فَلَا تَخْرُجُوا مِنْهَا**». متفق عليه.

٣٦٢- باب التغليظ في تحريم السحر

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

(١٧٩٣/ ٣٦٢) وعن أَبِي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ المُوبِقَاتِ (أي: المهلكات)». قالوا: يَا رَسولَ الله، وَمَا هُنَّ؟ قَالَ: «الشِّرْكُ بالله، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وأَكْلُ الرِّبَا، وأكْلُ مَالِ اليَتِيم، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ (أي: العفائف الغافلات عن الفواحش وما قذفن به)». متفق عليه.

* * *

(السحر)

السِّحر: عملٌ يتقرَّب فيه الإنسان من الشيطان ليعاونه فيه؛ ليصرف الأشياء عن حقيقتها إلىٰ شيء آخر. والسحر: هو محاولةُ الإتيان بأمور خارقة بقولٍ أو فعل مُحرَّم في الشرع، حيث يُزاول أصحابُ النفوس الخبيثة أفعالًا وأحوالًا يترتب عليها أمور خارقة للعادة. وتعلُّم السِّحر حرامٌ.

قال الذهبيُّ: الساحر ولابد أن يَكفُر (أي: ولا بد أنه سيصل إليه الكفر بسبب تعلم السحر)؛ إذ ليس للشيطان الملعون غرض في تعليم الإنسان السحر إلا ليشرك بالله، وترىٰ خلقًا كثيرًا يدخلون في تعلم السحر، ويظنونه حرامًا فقط، وما يشعرون أنه الكفر. ويرىٰ الذهبي أنه يجب قتل الساحر؛ لأنه كَفَر بالله، والسحر من السبع الموبقات، ولكن اعتبره الإمام ابن حجر من الكبائر.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: مَن أتىٰ عرَّافًا أو ساحرًا أو كاهنًا يؤمن بما يقول فقد كفر بما أنزل علىٰ محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال النووي رحمه الله: عمل السحر حرام، وهو من الكبائر بالإجماع، وقد عده النبي صلى الله عليه وسلم من السبع الموبقات، ومنه ما يكون كفرًا، ومنه ما لا يكون كفرًا بل معصية كبيرة، فإن كان فيه قول أو فعل يقتضي الكفر فهو كافر، وإلا فلا، وأما تعلمه وتعليمه فهو حرام، والساحر لا يأتي منه خير، ولا يستعمل في جلب الخير.

ويحمي الإنسان نفسه من السحر والسحرة بتقوىٰ الله، والجلوس في مجالس تقوية الإيمان والتذكير بالآخرة، وتعلم العلم الشرعي الذي يجعل الإنسان بعيدًا عن الحيل الشيطانية، ويفهم أحكام الله المتعددة في شئون حياته، وأن يواظب علىٰ ذكر الله في كل حال، وقراءة القرآن، والاستعاذة بالله تعالىٰ.

وعلىٰ العبد أن يتوب من ذنوبه، ويُحسن التوكل علىٰ الله والاعتماد عليه، ويستعمل الطرق المشروعة في إبطال السحر واستخراجه.

❊ ❊ ❊

٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو

(١٧٩٤/ ٣٦٣) عن ابن عمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: نهىٰ رسولُ الله ﷺ أَنْ يُسَافَرَ بالقُرْآنِ إِلَىٰ أَرْضِ العَدُوِّ. متفق عليه.

٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال

(١٧٩٥/ ٣٦٤) عن أُمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أن رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**الَّذِي يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ، إنَّمَا يُجَرْجِرُ** (أي: يُلقي) **فِي بَطْنِهِ نَارَ جَهَنَّمَ**». متفق عليه.

وفي رواية لمسلم: «**إنَّ الَّذِي يَأْكُلُ أَوْ يَشْرَبُ فِي آنِيَةِ الفِضَّةِ والذَّهَبِ**».

(١٧٩٦/ ٣٦٤) وعن حُذَيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ نَهَانَا عَن الحَرِير، وَالدِّيباجِ، والشُّربِ في آنِيَة الذَّهَب والفِضَّةِ، وقال: «**هُنَّ لهم في الدُّنْيَا، وَهِيَ لَكُمْ فِي الآخِرَةِ**». متفق عليه.

وفي رواية في الصحيحين عن حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «**لَا تَلْبَسُوا الحَرِيرَ وَلَا الدِّيبَاجَ** (أي: نوع من الحرير)**، وَلَا تَشْرَبُوا فِي آنِيَةِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلَا تَأْكُلُوا فِي صِحَافِهَا**».

(١٧٩٧/ ٣٦٤) وعن أنس بن سيرين، قَالَ: كنتُ مَعَ أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ نَفَرٍ مِنَ المَجُوسِ؛ فَجِيءَ بفَالُوذَج (أي: نوع من الحلوىٰ) عَلَىٰ إنَاءٍ مِنْ فِضَّةٍ، فَلَمْ يَأْكُلْهُ، فقيل لَهُ: حَوِّله. فَحَوَّلَهُ عَلَىٰ إنَاءٍ مِنْ خَلَنْجٍ وَجِيءَ بِهِ فَأَكَلَهُ. رواه البيهقي بإسناد حسن. «الخلنج»: الجفْنَةُ (أي: أعظم ما يكون من القصاع جمع قصعة).

٣٦٥- باب تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا

(١٧٩٨/ ٣٦٥) عن أنس ﵁ قَالَ: نَهَىٰ النبيُّ ﷺ أَنْ يَتَزَعْفَرَ (أي: أن يصبغ الرجل ثيابه أو جسده بالزعفران) الرجُلُ. متفق عليه.

(١٧٩٩/ ٣٦٥) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ﵄ قَالَ: رأىٰ النَّبيُّ ﷺ عَلَيَّ ثَوْبَيْنِ مُعَصْفَرَيْنِ (أي: مصبوغين بالعصفر، وهو صبغ أحمر)، فَقَالَ: «أُمُّكَ أَمَرَتْكَ بِهَذا؟» قُلْتُ: أَغْسِلُهُمَا؟ قَالَ: «بَلْ أَحْرِقْهُمَا».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَالَ: «إِنَّ هَذَا مِنْ ثِيَابِ الكُفَّارِ فَلَا تَلْبَسْهَا». رواه مسلم.

٣٦٦- باب النهي عن صمت يوم إلى الليل

(١٨٠٠/ ٣٦٦) عن علي ﵁ قَالَ: حَفِظْتُ عَنْ رَسُولِ الله ﷺ: «لَا يُتْمَ بَعْدَ احْتِلَامٍ، وَلَا صُمَاتَ (أي: سكوت) يَومٍ إِلَىٰ اللَّيْلِ». رواه أبو داود بإسناد حسن. (أي: المراد: لا يطلق مُسمَّىٰ اليتم علىٰ مَن بلغ واحتلم وجرىٰ عليه حكم البالغين). قال الخطابي في تفسير هذا الحديث: كَانَ مِنْ نُسُكِ الجَاهِلِيَّةِ الصُّمَاتُ. فَنُهُوا فِي الإِسْلَامِ عَنْ ذَلِكَ وَأُمِرُوا بالذِّكْرِ وَالحَدِيثِ بالخَيْرِ.

(١٨٠١/ ٣٦٦) وعن قيس بن أبي حازم، قَالَ: دَخَلَ أَبُو بكر الصِّدِّيق ﵁ عَلَىٰ امْرَأَةٍ مِنْ أَحْمَسَ (أي: قبيلة من بجيلة) يُقَالُ لَهَا: زَيْنَبُ، فَرَآهَا لَا تَتَكَلَّمُ. فَقَالَ: مَا لَهَا لا تتكلمُ؟ فقالوا: حَجَّتْ مصمِتةً (أي: ساكتة)، فقالَ لها: تَكَلَّمِي، فَإِنَّ هَذَا لَا يَحِلُّ، هَذَا مِنْ عَمَلِ الجَاهِلِيَّةِ، فَتَكَلَّمَتْ. رواه البخاري.

٣٦٧- باب تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتوليه إلى غير مواليه

(١٨٠٢/ ٣٦٧) عن سعد بن أَبي وَقَّاص ﵁: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «مَنِ ادَّعَىٰ (أي: انتسب ورضي أن ينسبه الناس) إِلَىٰ غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فالجَنَّةُ عَلَيْهِ حَرَامٌ». متفق عليه.

(١٨٠٣/ ٣٦٧) وعن أبي هريرة ﵁: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «لَا تَرْغَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أبيه، فَهُوَ كُفْرٌ». متفق عليه.

(١٨٠٤/ ٣٦٧) وعن يَزيد بن شَريك بن طارِق، قَالَ: رَأيتُ عَلِيًّا ﵁ عَلَىٰ المِنْبَرِ يَخْطُبُ، فسمعته يقول: لَا واللهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ نَقْرَؤُهُ إِلَّا كِتَابَ اللهِ، وَمَا فِي هذِهِ الصَّحِيفَةِ، فَنَشَرَهَا فَإِذَا

فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ الجِرَاحَاتِ، وَفِيهَا: قال رسُولُ الله ﷺ: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مَا بَيْنَ عَيرٍ إِلَىٰ ثَوْرٍ (أي: عير وثور: جبلان)، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَىٰ مُحْدِثًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَىٰ بِهَا أَدْنَاهُم، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا. وَمَن ادَّعَىٰ إِلَىٰ غَيرِ أَبِيهِ، أَوِ انْتَمَىٰ إِلَىٰ غَيرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ الله وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ لَا يَقْبَلُ اللهُ مِنْهُ يومَ القِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا». متفق عليه. «ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ» أَي: عَهْدُهُمْ وأَمَانَتُهُمْ. و«أَخْفَرَهُ»: نَقَضَ عَهْدَهُ. و«الصَّرْفُ»: التَّوْبَةُ، وَقِيلَ: الحِيلَةُ. و«العَدْلُ»: الفِدَاءُ.

(١٨٠٥/ ٣٦٧) وعن أَبي ذَرٍّ رضي الله عنه: أَنَّهُ سمِعَ رسُولَ الله ﷺ يقولُ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَىٰ لِغَيرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنِ ادَّعَىٰ مَا لَيسَ لَهُ، فَلَيْسَ مِنَّا، وَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَمَنْ دَعَا رَجُلًا بالكُفْرِ، أَوْ قَالَ: عَدُوَّ الله، وَلَيْسَ كَذَلِكَ إِلَّا حَارَ (أي: رجع) عَلَيْهِ». متفق عليه، وهذا لفظ رواية مسلم.

٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله عَزَّ وَجَلَّ أو رسوله ﷺ عنه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [النور: ٦٣].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٣٠].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾﴾ [البروج: ١٢].

وَقالَ تَعالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود: ١٠٢].

(١٨٠٦/ ٣٦٨) وعن أَبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ يَغَارُ، وَغَيْرَةُ الله أَنْ يَأْتِيَ المَرْءُ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ». متفق عليه.

٣٦٩- باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيا عنه

قَالَ الله تَعَالَىٰ: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [فصلت: ٣٦].

وقال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ٢٠١﴾ [الأعراف: ٢٠١].

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ١٣٦﴾ [آل عمران: ١٣٥، ١٣٦].

وَقَالَ تعالىٰ: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

(١٨٠٧/ ٣٦٩) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ فَقَالَ في حَلفِهِ: بِاللَّاتِ وَالعُزَّىٰ، فَلْيَقُلْ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَمَنْ قَالَ لِصَاحِبِهِ: تَعَالَ أُقَامِرْكَ فَلْيَتَصَدَّقْ». متفق عليه.

١٨- كتاب المنثورات والمُلَح

(جمع «ملحة»، وهي: ما يستملح ويستعذب)

٣٧٠- باب أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيرها

(١٨٠٨/ ٣٧٠) عن النَّوَّاس بن سَمْعان رضي الله عنه قال: ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ الدَّجَّالَ ذَاتَ غَدَاةٍ، فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَّعَ حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ. فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ، عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا، فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله، ذَكَرْتَ الدَّجَّالَ الغَدَاةَ، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَّعْتَ (أي: هوَّنْتَ من أمره حينًا وهوّلت من أمره حينًا أخرىٰ)، حَتَّىٰ ظَنَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخلِ، فقالَ: «غَيْرُ الدَّجَّالِ أَخْوَفُنِي عَلَيْكُمْ، إنْ يَخْرُجْ وَأَنَا فِيكُمْ، فَأَنَا حَجِيجُهُ دُونَكُمْ؛ وَإِنْ يَخْرُجْ وَلَسْتُ فِيكُمْ، فَامْرُؤٌ حَجِيجُ نَفْسِهِ، واللهُ خَلِيفَتِي عَلَىٰ كُلِّ مُسْلِم. إِنَّهُ شَابٌّ قَطَطٌ (أي: شديد خشونة الشعر) عَيْنُهُ طَافِيَةٌ (أي: جاحظة وبارزة إلىٰ الأمام)، كَأَنِّي أُشَبِّهُهُ بعبدالعُزَّىٰ بنِ قَطَنٍ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقْرَأْ عَلَيْهِ فَوَاتِحَ سُورَةِ الكَهْفِ؛ إِنَّهُ خَارِجٌ خَلَّةً بَيْنَ الشَّامِ وَالعِرَاقِ، فَعَاثَ يَمِينًا وَعَاثَ شِمالًا، يَا عِبَادَ الله فَاثْبُتُوا». قُلْنَا: يا رسول الله، وَمَا لُبْثُهُ في الأَرْضِ؟ قال: «أَرْبَعُونَ يومًا: يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ أَيَّامِهِ كَأَيَّامِكُمْ». قُلْنَا: يَا رسُولَ الله، فَذلكَ اليَوْمُ الَّذِي كَسَنَةٍ أَتَكْفِينَا فِيهِ صَلاةُ يَوْمٍ؟ قَالَ: «لا، اقْدُرُوا لَهُ قَدْرَهُ». قُلْنَا: يا رسول

اللهِ، وَمَا إِسْراعُهُ فِي الأَرْضِ؟ قال: «كَالغَيْثِ (أي: المراد: كالغيم) اسْتَدْبَرَتْهُ الرِّيحُ، فَيَأتِي عَلَىٰ القَوْمِ، فَيَدْعُوهُم فَيُؤمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَجِيبُونَ لَهُ، فَيَأمُرُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ، وَالأَرْضَ فَتُنْبِتُ، فَتَرُوحُ (أي: ترجع آخر النهار) عَلَيْهِمْ سَارِحَتُهُمْ (أي: ماشيتهم) أَطْوَلَ مَا كَانَتْ ذُرىً (أي: أكبر ما يمكن أن تكونه في الحجم) وَأَسْبَغَهُ ضُرُوعًا (أي: أكثر ما يمكن أن تكونه في اللبن)، وأَمَدَّهُ خَوَاصِرَ (أي: أكثر ما يمكن أن تكونه في الشبع)، ثُمَّ يَأتِي القَوْمَ فَيَدْعُوهُمْ (أي: للإيمان به)، فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِ قَولَهُ (أي: يرفضون دعوته)، فَيَنْصَرِفُ عَنْهُمْ، فَيُصْبِحُونَ مُمْحِلِينَ (أي: مجدبين) لَيْسَ بِأيْدِيهِمْ شَيْءٌ مِنْ أَمْوَالِهِمْ، وَيَمُرُّ بِالخَرِبَةِ (أي: الأرض الخراب) فَيَقُولُ لها: أَخْرِجِي كُنُوزَكِ، فَتَتْبَعُهُ كُنُوزُهَا كَيَعَاسِيبِ النَّحْلِ، ثُمَّ يَدْعُو رَجُلًا مُمْتَلِئًا شَبَابًا فَيَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ، فَيَقْطَعُهُ جَزْلَتَيْنِ رَمْيَةَ الغَرَضِ (أي: يرميه بشيء يشقه إلىٰ جزأين)، ثُمَّ يَدْعُوهُ، فَيُقْبِلُ، وَيَتَهَلَّلُ وَجْهُهُ (أي: يستنير وتظهر عليه أمارات السرور) يَضْحَكُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذلِكَ إِذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ المَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَنْزِلُ عِنْدَ المَنَارَةِ البَيْضَاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ، وَاضِعًا كَفَّيْهِ عَلَىٰ أَجْنِحَةِ مَلَكَيْنِ، إذا طَأطَأَ رَأسَهُ قَطَرَ (أي: سال العَرَق)، وَإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنهُ جُمَانٌ كَاللُّؤْلُؤِ (أي: المراد: يتساقط منه الماء علىٰ هيئة اللؤلؤ في صفاته)، فَلَا يَحِلُّ لِكَافِرٍ يَجِدُ رِيحَ نَفَسِهِ إِلَّا مَاتَ، وَنَفَسُهُ يَنْتَهِي إِلَىٰ حَيْثُ يَنْتَهِي طَرْفُهُ (أي: بصره)، فَيَطْلُبُهُ حَتَّىٰ يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدٍّ (أي: قرية قرب بيت المقدس، من نواحي فلسطين) فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَأتِي عِيسَىٰ ﷺ، قومًا قَدْ عَصَمَهُمُ اللهُ مِنهُ، فَيَمْسَحُ عَنْ وُجُوهِهِمْ وَيُحَدِّثُهُمْ بِدَرَجَاتِهِمْ فِي الجَنَّةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ عِيسَىٰ ﷺ: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لا يَدَانِ (أي: لا قدرة وطاقة) لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَىٰ الطُّورِ (أي: ضمهم واجعله لهم حرزًا). وَيَبْعَثُ اللهُ يَأجُوجَ وَمَأجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ (أي: يسرعون)، فَيَمُرُّ أوائِلُهُمْ عَلَىٰ بُحيرَةِ طَبَرِيَّةَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهذِهِ مَرَّةً ماءٌ، وَيُحْصَرُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ ﷺ وأَصْحَابُهُ حَتَّىٰ يَكُونَ رَأْسُ الثَّوْرِ (أي: مع قلة اللحم فيه) لأَحَدِهِمْ خَيْرًا مِنْ مِائَةِ دينارٍ لأَحَدِكُمُ اليَوْمَ (أي: المراد: أنهم يتعرضون لمجاعة تغلو فيها الأثمان غلوًّا فاحشًا)، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ ﷺ وأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِمُ النَّغَفَ (أي: دُودٌ يكون في أنوف الإبل والغنم) فِي رِقَابِهِمْ (أي: في قبض أرواحهم)، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَىٰ (أي: موتىٰ) كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، ثُمَّ يَهْبِطُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ ﷺ، وأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَىٰ الأَرْضِ، فَلَا يَجِدُونَ فِي الأَرْضِ مَوْضِعَ شِبْرٍ إِلَّا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ (أي: دسمهم ورائحتهم الكريهة) وَنَتْنُهُمْ، فَيَرْغَبُ نَبِيُّ اللهِ عِيسَىٰ ﷺ وَأَصْحَابُهُ رضي الله عنهم إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، فَيُرْسِلُ اللهُ تَعَالَىٰ طَيْرًا كَأَعْنَاقِ البُخْتِ، فَتَحْمِلُهُمْ، فَتَطْرَحُهُمْ حَيْثُ

شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ مَطَرًا لَا يُكِنُّ مِنهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ (أي: لا يمنع من نزول الماء بيت)، فَيَغْسِلُ الأَرْضَ حَتَّىٰ يَتْرُكَهَا كَالزَّلَقَةِ، ثُمَّ يُقَالُ للأرْضِ: أَنْبتي ثَمَرتكِ، وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأكُلُ العِصَابَةُ (أي: الجماعة) مِنَ الرُّمَّانَةِ، وَيَسْتَظِلُّونَ بِقَحْفِهَا (أي: مقعر قشرها)، وَيُبَارَكُ فِي الرِّسْلِ حَتَّىٰ إنَّ اللِّقْحَةَ مِنَ الإبِلِ لَتَكْفِي الفِئَامَ مِنَ النَّاسِ؛ وَاللِّقْحَةَ مِنَ البَقَرِ لَتَكْفِي القَبِيلَةَ مِنَ النَّاسِ، وَاللِّقْحَةَ مِنَ الغَنَمِ لَتَكْفِي الفَخِذَ مِنَ النَّاسِ؛ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إذْ بَعَثَ اللهُ تَعَالَىٰ رِيحًا طَيِّبَةً فَتَأخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ؛ وَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا (أي: يجامع فيها الرجال والنساء علانية بحضرة الناس) تَهَارُجَ الحُمُرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ». رواه مسلم. قَولُهُ: «خَلَّةً بَينَ الشَّامِ والعِرَاقِ»: أي: طَرِيقًا بَيْنَهُمَا. وقوله: «عَاثَ» بالعين المهملة والثاء المثلثة، وَالعَيْثُ: أشَدُّ الفَسَاد. وَ«الذُّرَىٰ» بضم الذال المعجمة، وهو: أعالي الأَسْنِمَةِ وهوَ جمعُ ذِروةٍ بضمِّ الذالِ وكَسْرِها. وَ«اليَعَاسِيبُ»: ذُكُورُ النَّحْلِ. وَ«جزلَتَيْنِ» أي: قِطْعَتَيْنِ. وَ«الغَرَضُ»: الهَدَفُ الَّذِي يُرْمَىٰ إلَيْهِ بالنُّشَّابِ، أي: يَرْمِيهِ رَمْيَةً كَرَمْيِ النُّشَّابِ إلَىٰ الهَدَفِ. و«المَهْرُودَةُ» بالدال المهملة والمعجمة، وهي: الثَّوْبُ المَصْبُوغُ. قَولُهُ: «لَا يَدَانِ» أي: لَا طَاقَةَ. وَ«النَّغَفُ»: دُودٌ. وَ«فَرْسَىٰ»: جَمْعُ فَرِيسٍ، وَهُوَ القَتِيلُ. و«الزَّلَقَةُ»: بفتح الزاي واللام وبالقاف، وَرُوِي: الزُّلْفَةُ بضم الزاي وإسكان اللام وبالفاء وهي المِرْآةُ. وَ«العِصَابَةُ»: الجَمَاعَةُ. وَ«الرِّسْلُ» بكسرِ الراء: اللَّبَنُ. وَ«اللِّقْحَةُ»: اللَّبُونُ. وَ«الفِئَامُ» بكسر الفاء وبعدها همزة ممدودة: الجماعةُ. وَ«الفَخِذُ» مِنَ النَّاسِ: دُونَ القَبِيلَةِ.

(١٨٠٩/ ٣٧٠) وعن رِبْعِيِّ بن حِرَاشٍ قَالَ: انطلقتُ مع أبي مسعودٍ الأنصاريِّ إلىٰ حُذَيفة بن اليَمَان رضي الله عنهما، فقال له أبو مسعودٍ: حَدِّثني ما سَمِعْتَ مِنْ رَسُولِ الله ﷺ، في الدَّجَّالِ، قال: «إنَّ الدَّجَّالَ يَخرُجُ، وإنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وأمَّا الَّذِي يَرَاهُ النَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ. فَمَنْ أدْرَكَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي الَّذي يَرَاهُ نَارًا، فَإنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ». فقال أبو مسعود: وَأنَا قَدْ سَمِعْتُهُ. متفق عليه.

(١٨١٠/ ٣٧٠) وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «يَخرُجُ الدَّجَّالُ في أُمَّتِي فَيَمْكُثُ أرْبَعِينَ، لا أدري أرْبَعِينَ يومًا أو أرْبَعِينَ شَهْرًا، أو أرْبَعِينَ عَامًا، فَيَبْعَثُ اللهُ تَعَالَىٰ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ ﷺ، فَيَطْلُبُهُ فَيُهْلِكُهُ، ثُمَّ يَمْكُثُ النَّاسُ سَبْعَ سِنِينَ لَيسَ بَيْنَ اثْنَينِ عَدَاوَةٌ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ ﷻ، رِيحًا بَارِدَةً مِنْ قِبَلِ الشَّامِ، فَلَا يَبْقَىٰ عَلَىٰ وَجْهِ الأرْضِ أحَدٌ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ خيرٍ أو إيمَانٍ إلَّا قَبَضَتْهُ، حَتَّىٰ لو أنَّ أحَدَكُمْ دَخَلَ فِي كَبِدِ جَبَلٍ، لَدَخَلَتْهُ عَلَيهِ حَتَّىٰ تَقْبِضَهُ، فَيَبْقَىٰ شِرَارُ النَّاسِ فِي خِفَّةِ الطَّيْرِ (أي: كالطير في الحركة

والسرعة)، وأَحْلام السِّبَاعِ (أي: كالسباع في خبث العقول والفساد والعدوان)، لَا يَعْرِفُونَ مَعْرُوفًا، ولا يُنْكِرُونَ مُنْكَرًا، فَيَتَمَثَّلُ لهم الشَّيْطَانُ، فيَقُولُ: أَلَا تَسْتَجِيبُونَ؟ فَيَقُولُونَ: فَمَا تأْمُرُنَا؟ فَيَأْمُرُهُم بِعِبَادَةِ الأَوْثَانِ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارٌّ رِزْقُهُمْ، حَسَنٌ عَيشُهُمْ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ (أي: الصُّور: قَرْنٌ علىٰ هيئة البوق، دائرةُ رأسِه كعَرْض السموات والأرض، وإسرافيل واضعٌ فمَه عليه ينظر نحو العرش أن يؤذن له حتىٰ ينفخ فيه)، فَلَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلَّا أَصْغَىٰ لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا، وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ (أي: يطين ويصلح) حَوْضَ إِبِلِهِ فَيُصْعَقُ ويُصْعَقُ النَّاسُ حولَهُ، ثُمَّ يُرْسِلُ اللهُ- أو قال: يُنْزِلُ اللهُ- مَطَرًا كَأَنَّهُ الطَّلُّ أو الظِّلُّ، فَتَنْبُتُ مِنهُ أَجْسَادُ النَّاسِ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: يا أَيُّهَا النَّاسُ هَلُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم، وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ، ثُمَّ يُقَالُ: أَخْرِجُوا بَعْثَ النَّارِ فَيُقَالُ: مِنْ كَمْ؟ فَيُقَالُ: مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعمائَةٍ وَتِسْعَةً وتِسْعِينَ؛ فَذلِكَ يومَ يَجْعَلُ الوِلْدَانَ شِيبًا، وَذلِك يَومَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ». رواه مسلم.

«اللِّيتُ»: صَفْحَةُ العُنُقِ. ومَعْنَاهُ يَضَعُ صَفْحَةَ عُنُقِهِ وَيَرْفَعُ صَفْحَتَهُ الأُخْرَىٰ.

(١٨١١/ ٣٧٠) وعن أنسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: «لَيسَ مِنْ بَلَدٍ إِلَّا سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلَّا مَكَّةَ وَالمَدِينَةَ؛ وَلَيْسَ نَقْبٌ (أي: طريق بين جبلين) مِنْ أَنْقَابِهِمَا إِلَّا عَلَيْهِ المَلَائِكَةُ صَافِّينَ (أي: تقف صفوفًا) تَحْرُسُهُمَا، فَيَنْزِلُ بالسَّبَخَةِ (أي: مكان قُرْب المدينة)، فَتَرْجُفُ (أي: تهتز وتضطرب) المَدِينَةُ ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، يُخْرِجُ اللهُ مِنْهَا كُلَّ كافِرٍ وَمُنَافِقٍ». رواه مسلم.

(١٨١٢/ ٣٧٠) وعنه رضي الله عنه: أنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَتْبَعُ الدَّجَّالَ مِنْ يَهُودِ أَصْبَهَانَ (أي: هي مدينة معروفة من مدن إيران) سَبْعُونَ أَلْفًا عَلَيْهِم الطَّيَالِسَةُ (أي: جمع طيلسان، ثوب يلقىٰ علىٰ الرأس ويغطي الكتفين)». رواه مسلم.

(١٨١٣/ ٣٧٠) وعن أُمِّ شَرِيكٍ رضي الله عنها: أنها سَمِعَتِ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقولُ: «لَيَنْفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَّالِ فِي الجِبَالِ». رواه مسلم.

(١٨١٤/ ٣٧٠) وعن عِمْرَانَ بن حُصَينٍ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم يقولُ: «مَا بَيْنَ خَلْقِ آدَمَ إِلَىٰ قِيَامِ السَّاعَةِ أَمْرٌ أَكْبَرُ مِنَ الدَّجَّالِ». رواه مسلم.

(١٨١٥/ ٣٧٠) وعن أَبِي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: عن النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «يَخْرُجُ الدَّجَّالُ فَيَتَوجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ مِنَ المُؤْمِنِينَ فَيَتَلَقَّاهُ المَسَالِحُ: مَسَالِحُ الدَّجَّالِ. فَيقُولُونَ لَهُ: إِلىٰ أَيْنَ تَعمِدُ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلىٰ هذَا الَّذِي خَرَجَ. فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِرَبِّنَا؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ! فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ. فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ

إلىٰ الدَّجَّالِ، فَإذَا رَآهُ الـمُؤْمِنُ قالَ: يا أيُّهَا النَّاسُ، إنَّ هذَا الدَّجَّال الَّذي ذَكَرَ رَسُولُ الله ﷺ؛ فَيَأمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ فَيُشَبَّحُ (أي: يمد علىٰ بطنه)؛ فَيَقُولُ: خُذُوهُ وَشُجُّوهُ (أي: الشج: هو الجرح في الرأس). فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، فيقولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: أَنْتَ المَسِيحُ الكَذَّابُ! فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُؤْشَرُ بالمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ حَتَّىٰ يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ. ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ القِطْعَتَيْنِ ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ، فَيَسْتَوِي قَائِمًا. ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: ما ازْدَدْتُ فِيكَ إلَّا بَصِيرَةً. ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ؛ فَيَأخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ اللهُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إلَىٰ تَرْقُوَتِهِ (أي: هي العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق) نُحَاسًا، فَلَا يَسْتَطِيعُ إلَيهِ سَبيلًا، فَيَأخُذُهُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّهُ قَذَفَهُ إلَىٰ النَّارِ، وَإنَّمَا أُلْقِيَ فِي الجَنَّةِ». فقال رسولُ الله ﷺ: «هذا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِندَ رَبِّ العَالَـمِينَ». رواه مسلم وروىٰ البخاري بعضه بمعناه. «**المسالِح**»: هُمُ الخُفَرَاءُ والطَّلائِعُ.

(١٨١٦/ ٣٧٠) وعن **المُغِيرةِ بنِ شُعْبَةَ** رضي الله عنه قال: ما سأَلَ أَحَدٌ رسولَ الله ﷺ عَنِ الدَّجَّالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُهُ؛ وإنه قال لي: «مَا يَضُرُّكَ (أي: ما يشق عليك ويتعبك منه)» قلتُ: إنَّهُم يَقُولُونَ: إنَّ مَعَهُ جَبَلَ خُبْزٍ وَنَهرَ مَاءٍ. قالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَىٰ اللهِ مِنْ ذَلِكَ». متفق عليه.

(١٨١٧/ ٣٧٠) وعن **أنسٍ** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَا مِنْ نَبِيٍّ إلَّا وَقَدْ أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلَا إنَّهُ أَعْوَرُ، وإنَّ رَبَّكُمْ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ك ف ر (أي: كافر)».

متفق عليه.

(١٨١٨/ ٣٧٠) وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «ألا أُحدِّثُكمْ حديثًا عن الدجالِ ما حدَّث بِهِ نبيٌّ قومَهُ! إنَّهُ أعورُ، وَإنَّهُ يجيءُ مَعَهُ بِمِثالِ الجنَّةِ والنَّارِ، فالتي يقولُ إنها الجَنَّةُ هي النَّار». متفق عليه.

(١٨١٩/ ٣٧٠) وعن **ابن عمر** رضي الله عنهما: أنَّ رسولَ الله ﷺ ذَكَرَ الدَّجَّالَ بَيْنَ ظَهْرَانَي النَّاسِ (أي: جالسًا في وسط الناس)، فَقَالَ: «إنَّ اللهَ لَيْسَ بِأعْوَرَ، أَلَا إنَّ المَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ العَيْنِ اليُمْنَىٰ، كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ (أي: جاحظة وبارزة إلىٰ الأمام)». متفق عليه.

(١٨٢٠/ ٣٧٠) وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه: أَنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ المُسْلِمُونَ اليَهُودَ، حَتَّىٰ يَخْتَبِئَ اليَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الحَجَرِ وَالشَّجَرِ. فَيَقُولُ الحَجَرُ وَالشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ هذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي تَعَالَ فَاقْتُلْهُ؛ إلَّا الغَرْقَدَ (أي: نوع من شجر الشوك معروف ببلاد بيت المقدس) فَإنَّهُ مِنْ شَجَرِ اليَهُودِ». متفق عليه.

(١٨٢١/ ٣٧٠) وعنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّىٰ يَمُرَّ الرجُلُ بالقَبْرِ، فَيَتَمَرَّغَ عَلَيْهِ وَيَقُولُ: يَالَيْتَنِي مَكَانَ صَاحِبِ هٰذَا القَبْرِ، ولَيْسَ بِهِ الدِّينُ، ما بِهِ إِلَّا البَلَاءُ». متفق عليه.

(١٨٢٢/ ٣٧٠) وعنه ﷺ قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّىٰ يَحْسِرَ الفُرَاتُ (أي: يقل ماؤه حتىٰ يكشف) عَنْ جَبَلٍ مِنْ ذَهَبٍ يُقْتَتَلُ عَلَيْهِ، فَيُقْتَلُ مِنْ كُلِّ مِائَةٍ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، فَيَقُولُ كُلُّ رجُلٍ مِنْهُمْ: لَعَلِّي أَنْ أَكُونَ أَنَا أَنْجُو».

وفي رواية: «يُوشِكُ أَنْ يَحْسِرَ الفُرَاتُ عَنْ كَنْزٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَمَنْ حَضَرَهُ فَلَا يَأْخُذْ مِنْهُ شَيْئًا». متفق عليه.

(١٨٢٣/ ٣٧٠) وعنه قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «يَتْرُكُونَ المَدِينَةَ عَلَىٰ خَيْرِ مَا كَانَتْ، لَا يَغْشَاهَا إِلَّا العَوَافِي - يريد عوافي السباع والطير (أي: العوافي جمع عافية وهي التي تبحث عن طعامها)- وَآخِرُ مَنْ يُحْشَرُ رَاعِيَانِ مِنْ مُزَيْنَةَ يُرِيدَانِ المَدِينَةَ يَنْعِقَانِ بِغَنَمِهِمَا (أي: يصيحان) فَيَجِدَانِهَا وُحُوشًا، حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَا ثَنِيَّةَ الوداعِ خَرَّا عَلَىٰ وُجُوهِهِمَا». متفق عليه.

(١٨٢٤/ ٣٧٠) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَكُونُ خَلِيفَةٌ مِنْ خُلَفَائِكُمْ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَحْثُو (أي: الحثو: هو الحفن باليدين) المَالَ وَلَا يَعُدُّهُ». رواه مسلم.

(١٨٢٥/ ٣٧٠) وعن أبي موسىٰ الأشعري ﷺ: أَنَّ النبيَّ ﷺ قَالَ: «لَيَأْتِيَنَّ عَلَىٰ النَّاسِ زَمَانٌ يَطُوفُ الرَّجُلُ فِيهِ بالصَّدَقَةِ مِنَ الذَّهَبِ فَلَا يَجِدُ أَحَدًا يَأْخُذُهَا مِنهُ، وَيُرَىٰ الرَّجُلُ الوَاحِدُ يَتْبَعُهُ أَرْبَعُونَ امْرَأَةً يَلُذْنَ (أي: ينتمين إليه، ليقوم بحوائجهن ويذب عنهن) بِهِ مِنْ قِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسَاءِ». رواه مسلم.

(١٨٢٦/ ٣٧٠) وعن أبي هريرة ﷺ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «اشْتَرَىٰ رَجُلٌ مِنْ رَجُلٍ عَقَارًا، فَوَجَدَ الَّذِي اشْتَرَىٰ العَقَارَ فِي عَقَارِهِ جَرَّةً فِيهَا ذَهَبٌ، فَقَالَ لَهُ الَّذِي اشْتَرَىٰ العَقَارَ: خُذْ ذَهَبَكَ، إِنَّمَا اشْتَرَيْتُ مِنْكَ الأَرْضَ وَلَمْ أَشْتَرِ الذَّهَبَ، وَقَالَ الَّذِي لَهُ الأَرْضُ: إِنَّمَا بِعْتُكَ الأَرْضَ وَمَا فِيهَا، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ رَجُلٍ، فَقَالَ الَّذِي تَحَاكَمَا إِلَيْهِ: أَلَكُمَا وَلَدٌ؟ قال أَحَدُهُما: لِي غُلَامٌ، وقالَ الآخَرُ: لِي جَارِيَةٌ قال: أَنْكِحَا الغُلَامَ الجَارِيَةَ، وأَنْفِقَا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمَا مِنْهُ وَتَصَدَّقَا». متفق عليه.

(١٨٢٧/ ٣٧٠) وعنه رضي الله عنه: أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «كانت امْرَأَتَانِ مَعهُمَا ابْنَاهُمَا، جَاءَ الذِّئْبُ فَذَهَبَ بِابْنِ إِحْدَاهُمَا. فَقَالَتْ لِصَاحِبَتِهَا: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، وقالتِ الأخرَىٰ: إِنَّمَا ذَهَبَ بِابْنِكِ، فَتَحَاكَمَا إِلَىٰ دَاوُدَ ﷺ فَقَضَىٰ بِهِ لِلْكُبْرَىٰ، فَخَرَجَتَا عَلَىٰ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُدَ ﷺ فَأَخْبَرَتَاهُ. فقالَ: ائْتُونِي بِالسِّكِّينِ أَشُقُّهُ بَيْنَهُمَا. فَقَالَتِ الصُّغْرَىٰ: لَا تَفْعَلْ! رَحِمَكَ اللهُ، هُوَ ابْنُهَا. فَقَضَىٰ بِهِ لِلصُّغْرَىٰ». متفق عليه.

(١٨٢٨/ ٣٧٠) وعن مِرْداس الأسلميِّ رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَذْهَبُ الصَّالِحُونَ الأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، وَيَبْقَىٰ حُثَالَةٌ كَحُثَالَةِ (أي: الحثالة: الرديء من كل شيء) الشَّعِيرِ أَوِ التَّمْرِ لَا يُبَالِيهِمُ اللهُ بَالَةً (أي: لا يرفع لهم قدرًا ولا يقيم لهم وزنًا)». رواه البخاري.

(١٨٢٩/ ٣٧٠) وعن رفاعة بن رافع الزُّرَقيِّ رضي الله عنه قال: جاء جبريلُ إلىٰ النبيِّ ﷺ قال: مَا تَعُدُّونَ أَهْلَ بَدْرٍ فِيكُمْ؟ قال: «مِنْ أَفْضَلِ الْمُسْلِمِينَ». أَوْ كَلِمَةً نَحْوَهَا. قال: وَكَذَلِكَ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ. رواه البخاري.

(١٨٣٠/ ٣٧٠) وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسُولُ الله ﷺ: «إِذَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ بِقَومٍ عَذَابًا، أَصَابَ العَذَابُ مَنْ كَانَ فِيهِمْ، ثُمَّ بُعِثُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ». متفق عليه.

(١٨٣١/ ٣٧٠) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: كَانَ جِذْعٌ (أي: جذع نخلة) يَقُومُ إِلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ -يعني في الخطبة- فَلَمَّا وُضِعَ المِنبَرُ سَمِعْنَا لِلجِذْعِ مِثْلَ صَوْتِ العِشَارِ (أي: كصوت الناقة التي تتألم في نهاية حملها)، حَتَّىٰ نَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، فوضعَ يَدَهُ عَلَيهِ فَسَكَنَ.

وفي روايةٍ: فَلَمَّا كَانَ يَومُ الجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ المِنْبَرِ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّىٰ كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ.

وفي رواية: فصَاحَتْ صِيَاحَ الصَّبيِّ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ ﷺ، حَتَّىٰ أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّىٰ اسْتَقَرَّتْ، قال: «بَكَتْ عَلَىٰ مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ». رواه البخاري.

(١٨٣٢/ ٣٧٠) وعن أبي ثعلبة الخُشَنيِّ جُرْثوم بن ناشر رضي الله عنه: عن رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ فَرَضَ فَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا، وَحَدَّ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا، وَحَرَّمَ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا، وَسَكَتَ عَنْ أَشْيَاءَ رَحْمَةً لَكُمْ غَيرَ نِسْيَانٍ فَلَا تَبْحَثُوا عَنْهَا». حديث حسن، رواه الدارقُطْني وغيره.

(١٨٣٣/ ٣٧٠) وعن عبد الله بن أَبِي أَوْفَى رضي الله عنهما قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسولِ الله ﷺ سَبعَ غَزَوَاتٍ نَأكُلُ الجَرَادَ.

وفي روايةٍ: نَأْكُلُ مَعَهُ الجَرَادَ. متفق عليه.

(١٨٣٤/ ٣٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «**لَا يُلْدَغُ المُؤْمِنُ مِن جُحْرٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ**». متفق عليه.

(١٨٣٥/ ٣٧٠) وعنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُم اللهُ يومَ القِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلهم عَذابٌ أَلِيمٌ: رَجُلٌ عَلَىٰ فَضْلِ مَاءٍ بِالفَلَاةِ يَمْنَعُهُ مِن ابْنِ السَّبِيلِ، وَرَجُلٌ بَايَعَ رَجُلًا سِلْعَةً بَعْدَ العَصْرِ فَحَلَفَ باللهِ لأخذَهَا بِكذا وَكذَا فَصَدَّقَهُ وَهُوَ عَلَىٰ غَيْرِ ذلِكَ، وَرَجُلٌ بَايَعَ إمَامًا لا يُبَايِعُهُ إِلَّا لِدُنْيَا فَإِنْ أَعْطَاهُ مِنْهَا وَفَىٰ وَإِنْ لَمْ يُعْطِهِ مِنْهَا لَمْ يَفِ**». متفق عليه. (أي: خص وقت العصر بتعظيم الإثم فيه، وإن كانت اليمين الفاجرة مُحرَّمةً في كلِّ وقتٍ؛ لأن الله عظم شأن هذا الوقت بأن جعل ملائكة الليل والنهار تجتمع فيه، وهو وقت ختام الأعمال).

(١٨٣٦/ ٣٧٠) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**». قالوا: يَا أَبَا هُرَيرَةَ، أَرْبَعُونَ يومًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ. قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قال: أَبَيْتُ. قالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قالَ: أَبَيْتُ (أي: أبيت أن أجزم أن المراد أربعون يومًا، أو سنة، أو شهرًا، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة) «**وَيَبْلَىٰ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الإنْسَانِ إِلَّا عَجْبَ الذَّنَبِ** (أي: العظم الذي في أسفل العمود الفقري، وهو رأس العصعص)، **فِيهِ يُرَكَّبُ الخَلْقُ، ثُمَّ يُنَزِّلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ كَمَا يَنْبُتُ البَقْلُ** (أي: كل نبات اخضرت به الأرض)». متفق عليه.

(١٨٣٧/ ٣٧٠) وعنه قال: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ يُحَدِّثُ القَومَ، جاءه أعرابيٌّ فقال: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ فَمَضَىٰ رسولُ الله ﷺ يُحدِّثُ، فَقَالَ بَعْضُ القَومِ: سَمِعَ مَا قَالَ فَكَرِهَ مَا قَالَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ لَمْ يَسْمَعْ، حَتَّىٰ إِذَا قَضَىٰ حَدِيثَهُ قَالَ: «**أَيْنَ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**إِذَا ضُيِّعَتِ الأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». قال: كَيفَ إضَاعَتُهَا؟ قال: «**إذَا وُسِّدَ** (أي: أسند) **الأَمْرُ إِلَىٰ غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». رواه البخاري.

(١٨٣٨/ ٣٧٠) وعنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «**...يُصَلُّونَ لَكُمْ، فَإِنْ أَصَابُوا فَلَكُمْ، وإِنْ أَخْطَئُوا فَلَكُمْ وَعَلَيْهِمْ**». رواه البخاري.

(١٨٣٩/ ٣٧٠) وعنه رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال: خَيْرُ النَّاسِ لِلنَّاسِ يَأْتُونَ بِهِمْ فِي السَّلاسِلِ فِي أَعْنَاقِهِمْ حَتَّىٰ يَدْخُلُوا فِي الإِسْلَامِ.

(١٨٤٠/ ٣٧٠) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «عَجِبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ قَوْمٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ فِي السَّلاسِلِ». رواهما البخاري. معناه: يُؤْسَرُونَ وَيُقَيَّدُونَ ثُمَّ يُسْلِمُونَ فَيَدْخُلُونَ الجَنَّةَ.

(١٨٤١/ ٣٧٠) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قال: «أَحَبُّ البِلادِ إِلَىٰ اللهِ مَسَاجِدُهَا، وَأَبْغَضُ البِلادِ إِلَىٰ اللهِ أَسْوَاقُهَا». رواه مسلم.

(١٨٤٢/ ٣٧٠) وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه من قوله: قال: لَا تَكُونَنَّ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا، فَإِنَّهَا مَعْرَكَةُ الشَّيْطَانِ، وَبِهَا يَنْصِبُ رَايَتَهُ. رواه مسلم هكذا.

ورواه البرقاني في «صحيحه» عن سلمان، قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا تَكُنْ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ السُّوقَ، وَلَا آخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْهَا. فِيهَا بَاضَ الشَّيْطَانُ وَفَرَّخَ». (أي: حذَّر النبيُّ ﷺ من أن يَنْكَبَّ المرءُ علىٰ شئون دنياه لا يُفرِّق فيها بين حلال وحرام، ويستعمل فيها أدوات الشيطان من الغش والخداع، منصرفًا بذلك عن أمور آخرته وفروض الله التي فرضها عليه، ومن هنا جاء النهي).

(١٨٤٣/ ٣٧٠) وعن عاصم الأحوَلِ، عن عبد الله بن سَرْجِس رضي الله عنه قال: قلتُ لرسول الله ﷺ: يا رسولَ الله، غَفَرَ اللهُ لَكَ، قَالَ: «وَلَكَ». قال عاصمٌ: فَقُلْتُ لَهُ: اسْتَغْفَرَ لَكَ رسُولُ الله ﷺ؟ قال: نَعَمْ، وَلَكَ. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]. رواه مسلم.

(١٨٤٤/ ٣٧٠) وعن أبي مسعودٍ الأنصاري رضي الله عنه قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الأُولَىٰ: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ». رواه البخاري

(١٨٤٥/ ٣٧٠) وعن ابن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «أَوَّلُ مَا يُقْضَىٰ بَيْنَ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي الدِّمَاءِ». متفق عليه.

(١٨٤٦/ ٣٧٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ رسول الله ﷺ: «خُلِقَتِ المَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الجَانُّ مِنْ مَارِجٍ من نَارٍ (أي: مارج النار: لهبها المختلط بسوادها)، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ». رواه مسلم.

(١٨٤٧/ ٣٧٠) وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: كان خُلُقُ نَبِيِّ الله ﷺ القُرْآن. رواه مسلم في جملة حديث طويل.

(١٨٤٨/ ٣٧٠) وعنها قالت: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ الله أَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ الله كَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ**». فَقُلْتُ: يَا رسولَ الله، أكَراهِيَةُ المَوتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ المَوتَ، قال: «**لَيسَ كَذَلِكَ، ولكِنَّ المُؤْمِنَ إذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ الله وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ أَحَبَّ لِقَاءَ الله فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءهُ، وإنَّ الكَافِرَ إذَا بُشِّرَ بِعَذابِ الله وَسَخطِهِ كَرِهَ لِقَاءَ الله وكَرِهَ اللهُ لِقَاءهُ**». رواه مسلم.

(١٨٤٩/ ٣٧٠) وَعَنْ أُمِّ المُؤْمِنِينَ صَفِيَّةَ بنتِ حُيَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالتْ: كان النبيُّ ﷺ مُعْتَكِفًا، فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلًا، فَحَدَّثْتُهُ ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ (أي: ليردني إلىٰ منزلي) فَقَامَ مَعِي لِيَقْلِبَنِي، فَمَرَّ رَجُلَانِ مِنَ الأَنْصارِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فلما رَأَيا النبيَّ ﷺ أَسْرَعَا. فقال ﷺ: «**عَلَىٰ رِسْلِكُمَا** (أي: تمهلا علىٰ هيئتكما في المشي)، **إنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ**». فَقَالَا: سبحان الله يا رسول الله، فقالَ: «**إنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ ابْنِ آدَمَ مَجْرَىٰ الدَّمِ، وَإنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرًّا- أو قال: شَيْئًا**». متفق عليه.

(١٨٥٠/ ٣٧٠) وعن أبي الفضل العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ الله ﷺ يوم حُنَيْنٍ (أي: حنين: هي اسم مكان غزا به النبي ﷺ ثقيفًا)، فَلَزِمْتُ أنا وأبو سُفْيَانَ بن الحارثِ بن عبد المطلب رَسُولَ الله ﷺ، فَلَمْ نُفارِقْهُ، وَرسُولُ الله ﷺ، عَلَىٰ بَغْلَةٍ لَهُ بَيْضاءَ، فَلَمَّا التَقَىٰ المُسْلِمُونَ وَالمُشْرِكُونَ، وَلَّىٰ المُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ، فَطَفِقَ رَسُولُ الله ﷺ، يَرْكُضُ بَغْلَتَهُ قِبَلَ الكُفَّارِ، وأنا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَةِ رَسُولِ الله ﷺ، أكفُّها إرادةَ ألَّا تسرع، وأَبُو سُفْيَانَ آخِذٌ بِرِكَابِ رَسُولِ الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «**أَيْ عَبَّاسُ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمُرَةِ** (السمرة: هي الشجرة التي بايع الصحابة عندها رسول الله ﷺ في الحديبية علىٰ ألا يفروا)». قَالَ العَبَّاسُ- وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا (أي: شديد الصوت)- فَقُلْتُ بِأَعْلَىٰ صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمُرَةِ، فَوَالله لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ (أي: إقبالهم إليَّ) حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ البَقَرِ عَلَىٰ أَوْلَادِهَا، فقالُوا: يَا لَبَّيْكَ يَا لَبَّيْكَ، فَاقْتَتَلُوا هُمْ وَالكُفَّارُ، والدعوة في الأنصار يقولون: يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ، ثُمَّ قُصِرَتِ الدَّعْوَةُ عَلَىٰ بَنِي الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ، فَنَظَرَ رَسُولُ الله ﷺ، وَهُوَ عَلَىٰ بَغْلَتِهِ كَالمُتَطَاوِلِ عَلَيْهَا إلَىٰ قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: «**هَذَا حِينَ حَمِيَ الوَطِيسُ**»، ثُمَّ أَخَذَ رَسُولُ الله ﷺ، حَصَيَاتٍ فَرَمَىٰ بِهِنَّ وُجُوهَ الكُفَّارِ، ثُمَّ قَالَ: «**انْهَزَمُوا وَرَبِّ مُحَمَّدٍ**»، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ فَإذَا القِتَالُ عَلَىٰ هَيْئَتِهِ فِيما أَرَىٰ، فَوَالله مَا هُوَ إلَّا أَنْ رَمَاهُمْ بِحَصَيَاتِهِ، فَمَا زِلْتُ أَرَىٰ حَدَّهُمْ (أي: بأسهم وشدتهم) كَلِيلًا (أي: ضعيفًا) وَأَمْرَهُمْ مُدْبِرًا. رواه مسلم.

«الوَطِيسُ»: التَّنُّورُ، ومعناهُ: اشْتَدَّتِ الحَرْبُ. وقوله: «حَدُّهُمْ» هو بالحاء المهملة، أي: بَأْسُهُمْ.

(١٨٥١/ ٣٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «أَيُّها النَّاسُ، إنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقبلُ إلَّا طَيِّبًا، وإنَّ اللهَ أَمَرَ المُؤمِنينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ المُرْسَلِينَ. فَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ تَعالَىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]». ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعثَ (أي: مغبر الشعر ملبده) أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ: يَا رَبِّ يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وملبسُهُ حرامٌ، وَغُذِّيَ بالْـحَرَامِ، فَأَنَّىٰ يُسْتَجابُ لِذَلِكَ؟ رواه مسلم.

(١٨٥٢/ ٣٧٠) وعنه رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ القِيامَةِ، وَلَا يُزَكِّيهِمْ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَلهم عَذَابٌ أَلِيمٌ: شَيْخٌ (أي: رجل طاعن في السن) زَانٍ، وَمَلِكٌ كَذَّابٌ، وَعَائِلٌ مُسْتَكبِرٌ». رواه مسلم. «العَائِلُ»: الفَقِيرُ.

(١٨٥٣/ ٣٧٠) وعنه رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «سَيْحَانُ وَجَيْحَانُ (أي: نهران من أنهار الجنة في بلاد الأرمن) وَالفُرَاتُ وَالنِّيلُ كُلٌّ مِنْ أَنْهَارِ الجَنَّةِ». رواه مسلم.

(١٨٥٤/ ٣٧٠) وعنه قال: أخذ رسول الله ﷺ بِيَدِي فَقَالَ: «خَلَقَ اللهُ التُّرْبَةَ يومَ السَّبْتِ، وَخَلَقَ فيها الجِبَالَ يومَ الأحَدِ، وَخَلَقَ الشَّجَرَ يومَ الإثْنَينِ، وَخَلَقَ المَكْرُوهَ يومَ الثُّلَاثَاءِ، وَخَلَقَ النُّورَ يَوْمَ الأربعاءِ، وَبَثَّ فِيهَا الدَّوابَّ يومَ الخَمِيسِ، وَخَلَقَ آدمَ ﷺ، بَعْدَ العَصْرِ مِنْ يومِ الجُمُعَةِ فِي آخِرِ الخَلْقِ فِي آخِرِ سَاعَةٍ مِنَ النَّهَارِ فِيمَا بَيْنَ العَصْرِ إِلَىٰ اللَّيْلِ». رواه مسلم.

(١٨٥٥/ ٣٧٠) وعن أبي سليمان خالد بن الوليد رضي الله عنه قَالَ: لَقَدِ انْقَطَعَتْ فِي يَدِي يَوْمَ مُؤْتَةَ تِسْعَةُ أَسْيَافٍ، فَمَا بَقِيَ فِي يَدِي إِلَّا صَفِيحَةٌ يَمَانِيَّةٌ. رواه البخاري.

(١٨٥٦/ ٣٧٠) وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إِذَا حَكَمَ الحَاكِمُ فَاجْتَهَدَ، ثُمَّ أَصابَ، فَلَهُ أجْرَانِ، وَإِنْ حَكَمَ وَاجْتَهَدَ، فَأَخْطَأَ، فَلَهُ أَجْرٌ». متفق عليه.

(١٨٥٧/ ٣٧٠) وعن عائشة رضي الله عنها: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «الحُمَّىٰ مِنْ فَيْحِ (أي: شدة الحر واللهب) جَهَنَّمَ فَأَبْرِدُوهَا بِالمَاءِ». متفق عليه.

(١٨٥٨/ ٣٧٠) وعنها رضي الله عنها: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَومٌ، صَامَ عَنْهُ وَلِيُّهُ». متفق عليه.

وَالمُخْتَارُ جَوازُ الصَّومِ عَمَّنْ مَاتَ وَعَلَيْهِ صَومٌ لِهَذَا الحَدِيثِ، والمراد بالولي: القَرِيبُ وَارِثًا كَانَ أَوْ غَيرَ وَارِثٍ.

(١٨٥٩/ ٣٧٠) وعن عوف بن مالك بن الطفيل: أَنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حُدِّثَتْ أَنَّ عبدَ الله بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال في بيع أو عطاء أعطته عائشة رضي الله تعالىٰ عنها: والله لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ لَأَحْجُرَنَّ عَلَيْهَا. قَالَتْ: أَهُوَ قَالَ هَذَا؟ قالوا: نَعَم. قَالَتْ: هو لله عليَّ نذرٌ ألا أُكلِّم ابنَ الزُّبير أبدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا حِيْنَ طَالَتِ الهِجْرَةُ. فَقَالَتْ: لَا، والله لَا أَشْفَعُ فِيهِ أبدًا، وَلَا أَتَحَنَّثُ إِلَىٰ نَذْرِي (أي: لا آثم فيه). فَلَمَّا طَالَ ذَلِكَ عَلَىٰ ابْنِ الزُّبَيْرِ كَلَّمَ المِسْوَرَ بْنَ مَخْرَمَةَ، وَعبد الرحمن بْنَ الأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوث وقَالَ لهما: أَنْشُدُكُمَا اللهَ لَمَا أَدْخَلْتُمَانِي عَلَىٰ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَإِنَّهَا لَا يَحِلُّ لَهَا أَنْ تَنْذِرَ قَطِيعَتِي، فَأَقْبَلَ بِهِ المِسْوَرُ، وَعبد الرحمن، حَتَّىٰ اسْتَأْذَنَا عَلَىٰ عَائِشَةَ فَقَالَا: السَّلَامُ عَلَيْكِ وَرَحْمَةُ الله وَبَرَكَاتُهُ، أَنَدْخُلُ؟ قَالَتْ عائشة: ادْخُلُوا. قالوا: كُلُّنَا؟ قالَتْ: نعم، ادخلوا كلُّكم.

وَلَا تَعْلَمُ أَنَّ معهُمَا ابْنَ الزُّبَيرِ، فَلَمَّا دَخلُوا دَخَلَ ابْنُ الزُّبَيْرِ الحِجَابَ فَاعْتَنَقَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَطَفِقَ يُنَاشِدُهَا وَيَبْكِي، وَطَفِقَ المِسْوَرُ، وَعبد الرحمن يُنَاشِدَانِهَا إِلَّا كَلَّمَتْهُ وَقَبِلَتْ مِنْهُ، ويَقُولَانِ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ عَمَّا قَدْ عَلِمْتِ مِنَ الهِجْرَةِ؛ وَلَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوقَ ثَلَاثِ لَيَالٍ، فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَىٰ عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكِرَةِ وَالتَّحْرِيجِ، طَفِقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي، وَتَقُولُ: إِنِّي نَذَرْتُ وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ، فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّىٰ كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيرِ، وأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً، وَكَانَتْ تَذْكُرُ نَذْرَهَا بعدَ ذَلِكَ فَتَبْكِي حَتَّىٰ تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. رواه البخاري.

(١٨٦٠/ ٣٧٠) وعن عُقْبَةَ بن عامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ خَرَجَ إِلَىٰ قَتْلَىٰ أُحُدٍ، فَصَلَّىٰ عَلَيْهِمْ بَعْدَ ثَمَانِي سِنِينَ كَالمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ إِلَىٰ المِنْبَرِ، فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ** (أي: سابق ومتقدم) **وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُم وإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الحَوْضُ، وإِنِّي لَأَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنْ مَقَامِي هَذَا، أَلَا وإِنِّي لَسْتُ أَخْشَىٰ عَلَيْكُم أَنْ تُشْرِكُوا، وَلَكِنْ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوهَا**». قَالَ: فَكَانَتْ آخِرَ نَظْرَةٍ نَظَرْتُهَا إِلَىٰ رَسُولِ الله ﷺ. متفق عليه.

وَفِي رواية: «**وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا، وَتَقْتَتِلُوا فَتَهْلِكُوا كما هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**». قال عُقْبة: فكان آخرَ ما رأيتُ رسولَ الله ﷺ عَلَىٰ المِنْبَرِ.

وَفِي رواية قال: «إنِّي فَرَطٌ لَكُمْ وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ وإنِّي واللهِ لأَنْظُرُ إلَىٰ حَوْضِي الآنَ، وإنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزائِنِ الأرْضِ، أَوْ مَفاتِيحَ الأرْضِ، وإنِّي واللهِ مَا أخافُ عَلَيْكُمْ أنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخافُ عَلَيْكُمْ أنْ تَنَافَسُوا فِيهَا».

وَالمُرَادُ بِالصَّلَاةِ عَلَىٰ قَتْلَىٰ أُحُدٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ، لَا الصَّلَاةُ المَعْرُوفَةُ.

(١٨٦١/ ٣٧٠) وعن أبي زيد عمرو بن أخطَبَ الأنصاريِّ رضي الله عنه قَالَ: صَلَّىٰ بِنَا رسول الله ﷺ الفَجْرَ، وَصَعِدَ المِنْبَرَ، فَخطَبَنَا حَتَّىٰ حضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصلَّىٰ، ثُمَّ صَعِدَ المِنبَرَ فَخطَبَنَا حَتَّىٰ حَضَرَتِ العَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصلَّىٰ، ثُمَّ صَعِدَ المِنبَرَ فَخطَبَنَا حَتَّىٰ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا. رواه مسلم.

(١٨٦٢/ ٣٧٠) وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قَالَ النَّبيُّ ﷺ: «مَنْ نَذَرَ أنْ يُطِيعَ اللهَ فَلْيُطِعْهُ، وَمَنْ نَذَرَ أنْ يَعْصِيَ اللهَ فَلَا يَعْصِهِ». رواه البخاري.

(١٨٦٣/ ٣٧٠) وعن أمِّ شَريكٍ رضي الله عنها: أنَّ رسول الله ﷺ أمرها بِقَتْلِ الأَوْزَاغِ (أي: نوع من الزواحف شبيه بالسحلية، يسمىٰ عند العامة «البُرْص») وقال: «كَانَ يَنْفُخُ عَلَىٰ إبْرَاهِيمَ». متفق عليه.

(١٨٦٤/ ٣٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغَةً فِي أَوَّلِ ضَرْبَةٍ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً، وَمَنْ قَتَلَهَا في الضَّرْبَةِ الثَّانِيَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً دُونَ الأولَىٰ، وَإنْ قَتَلَهَا فِي الضَّرْبَةِ الثَّالِثَةِ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا حَسَنَةً».

وَفِي رِوَايَةٍ: «مَنْ قَتَلَ وَزَغًا في أَوَّلِ ضَربَةٍ كُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وفي الثَّانِيَةِ دُونَ ذَلِكَ، وفي الثَّالِثَةِ دُونَ ذَلِكَ». رواه مسلم. قال أهل اللغة: «الوَزَغُ»: العِظَامُ مِنْ سَامٍّ أَبْرَصَ.

(١٨٦٥/ ٣٧٠) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ سَارِقٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدِ زَانِيَةٍ؛ فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَىٰ زَانِيَةٍ! فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ زَانِيَةٍ! لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا في يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَىٰ غَنِيٍّ؟ فَقَالَ: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ عَلَىٰ سَارِقٍ وَعَلَىٰ زَانِيَةٍ وعلىٰ غَنِيٍّ! فَأُتِيَ فقيل لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ عَلَىٰ سارقٍ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَسْتَعِفَّ عَنْ سَرِقَتِهِ، وأَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا أن تَسْتَعِفَّ عَنْ زِنَاهَا، وأَمَّا الغَنِيُّ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَعْتَبِرَ فَيُنْفِقَ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ». رواه البخاري بلفظه ومسلم بمعناه.

(١٨٦٦/ ٣٧٠) وعنه قال: كنا مَعَ رسول الله ﷺ في دَعْوَةٍ (أي: مَدْعُوين لطعام وليمة)، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الذِّرَاعُ (أي: ذراع الشاة)، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَنَهَسَ مِنْهَا نَهْسَةً (أي: النهس: الأخذ بأطراف الأسنان) وقال: «أنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ القِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذَاكَ؟ يَجْمَعُ اللهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو مِنْهُمُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الغَمِّ وَالكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا أَنْتُمْ فِيهِ إِلَىٰ مَا بَلَغَكُمْ، أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ أَنْتَ أَبُو البَشَرِ، خَلَقَكَ اللهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وأَمَرَ المَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وأَسْكَنَكَ الجَنَّةَ، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؟ أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَا يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نوحًا فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ، أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَىٰ أَهلِ الأَرْضِ، وَقَدْ سَمَّاكَ اللهُ عَبْدًا شَكُورًا، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا بَلَغَنَا، أَلَا تَشْفَعُ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَىٰ قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ فَيَقُولُونَ: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَنْتَ نَبِيُّ اللهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ لهم: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلَاثَ كَذَبَاتٍ؛ نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُوسَىٰ، فَيَأْتُونَ مُوسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَىٰ أَنْتَ رَسُولُ اللهِ، فَضَّلَكَ اللهُ بِرِسَالَاتِهِ وَبِكَلَامِهِ عَلَىٰ النَّاسِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَدْ قَتَلْتُ نَفْسًا لَمْ أُومَرْ بِقَتْلِهَا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي؛ اذْهَبُوا إِلَىٰ عِيسَىٰ. فَيَأْتُونَ عِيسَىٰ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَىٰ، أَنْتَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي المَهْدِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَيَقُولُ عِيسَىٰ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ اليَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْبًا، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَىٰ مُحَمَّدٍ ﷺ».

وفي روايةٍ: «فَيَأْتُونِي فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ أنتَ رَسُولُ الله وخَاتَمُ الأَنْبِياءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللهُ لَكَ مَا تقدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَىٰ رَبِّكَ، أَلَا تَرَىٰ إِلَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ العَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِدًا لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَىٰ أَحدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لَا حِسَابَ عَلَيْهِمْ مِنَ البَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَىٰ ذَلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ». ثُمَّ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ مَا بَيْنَ المِصْرَاعَيْنِ مِنْ مَصَارِيعِ (أي: أبواب) الجَنَّةِ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَهَجَرَ (أي: موضع بالبحرين)، أَوْ كَمَا بَيْنَ مَكَّةَ وَبُصْرَىٰ (أي: موضع بالشام)». متفق عليه.

(١٨٦٧/ ٣٧٠) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قَالَ: جَاءَ إبراهيم ﷺ بِأُمِّ إِسْمَاعِيلَ وَبِابْنِهَا إِسْمَاعِيلَ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّىٰ وَضَعَهَا عِنْدَ البَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَىٰ المَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَاكَ، وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ، وَسِقَاءً فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَّىٰ إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فتبعته أمُّ إسماعيل فقالت: يَا إِبْرَاهِيمُ، أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا بِهَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، قَالَتْ لَهُ: آللهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إذن لَا يُضَيِّعُنَا. ثم رجعت، فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، حَتَّىٰ إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ حَيْثُ لَا يَرَوْنَهُ، اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ البَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَؤُلَاءِ الدَّعَوَاتِ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وَجَعَلَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا نَفِدَ مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ، وَعَطِشَ ابْنُهَا، وَجَعَلَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهِ يَتَلَوَّىٰ - أَوْ قَالَ يَتَلَبَّطُ (أي: يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض) - فَانْطَلَقَتْ كَرَاهِيَةَ أَنْ تَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَوَجَدَتِ الصَّفَا أَقْرَبَ جَبَلٍ فِي الأَرْضِ يَلِيهَا، فَقَامَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَتِ الوَادِي تَنْظُرُ هَلْ تَرَىٰ أَحَدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحَدًا. فَهَبَطَتْ مِنَ الصَّفَا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَتِ الوَادِي، رَفَعَتْ طَرَفَ دِرْعِهَا، ثُمَّ سَعَتْ سَعْيَ الإِنْسَانِ المَجْهُودِ (أي: الذي أصابه الجهد) حَتَّىٰ جَاوَزَتِ الوَادِي، ثُمَّ أَتَتِ المَرْوَةَ فَقَامَتْ عَلَيْهَا، فَنَظَرَتْ هَلْ

تَرىٰ أحدًا؟ فَلَمْ تَرَ أَحدًا، فَفعَلَتْ ذَلِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ. قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ النبيُّ ﷺ: «**فَلذَلِكَ سَعْيُ النَّاسِ بَيْنَهُمَا**»، فَلَمَّا أَشْرَفَت عَلَىٰ المَرْوَةِ سَمِعَت صَوْتًا، فَقَالَتْ: صَهْ- تُرِيدُ نَفْسَهَا- ثُمَّ تَسَمَّعَتْ، فَسَمِعَتْ أَيضًا، فَقَالَتْ: قَدْ أَسْمَعْتَ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غُوَاثٌ (أي: إغاثة وعون)، فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَمَ، فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ- أَوْ قَالَ بِجَنَاحِهِ- حَتَّىٰ ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ تُحَوِّضُهُ (أي: تجعله مثل الحوض) وَتَقُولُ بِيَدِهَا هَكَذَا، وَجَعَلَتْ تَغْرِفُ مِنَ المَاءِ فِي سِقَائِهَا وَهُوَ يَفُورُ بَعْدَ مَا تَغْرِفُ.

وفي رواية: بِقَدْرِ مَا تَغْرِفُ. قَالَ ابن عباس رضي الله عنهما: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «رَحِمَ اللهُ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَمَ- أو قال: لَوْ لَمْ تَغْرِفْ مِنَ المَاءِ- لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْنًا مَعِينًا (أي: ظاهرة جارية علىٰ وجه الأرض)».

قال: «**فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ وَلَدَهَا، فَقَالَ لها المَلَكُ: لا تَخَافُوا الضَّيْعَةَ** (أي: الهلاك) **فَإِنَّ هاهُنَا بَيْتًا لله يَبْنِيهِ هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ، وإِنَّ اللهَ لَا يُضَيِّعُ أَهْلَهُ، وكان البَيْتُ مُرْتَفِعًا مِنَ الأَرْضِ كَالرَّابِيَةِ، تَأْتِيهِ السُّيُولُ، فَتَأْخُذُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، فَكَانَتْ كَذَلِكَ حَتَّىٰ مَرَّتْ بِهِمْ رُفْقَةٌ مِنْ جُرْهُم** (أي: قبيلة وحَيٌّ من اليمن)، **أَوْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنْ جُرْهُم مُقْبِلِينَ مِنْ طَرِيقِ كَدَاءَ، فَنَزَلُوا فِي أَسْفَلِ مَكَّةَ؛ فَرَأَوْا طَائِرًا عَائِفًا** (أي: يحوم علىٰ الماء)، **فَقَالُوا: إِنَّ هَذَا الطَّائِرَ لَيَدُورُ عَلَىٰ مَاءٍ، لَعَهْدُنَا بهذا الوَادِي وَمَا فِيهِ مَاء. فَأَرْسَلُوا جَرِيًّا** (أي: رسولًا) **أَوْ جَرِيَّيْنِ، فَإِذَا هُمْ بِالمَاءِ. فَرَجَعُوا فَأَخْبَرُوهُمْ؛ فَأَقْبَلُوا وَأُمُّ إِسْمَاعِيلَ عِنْدَ المَاءِ، فقالوا: أَتَأْذَنِينَ لَنَا أَنْ نَنْزِلَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، وَلَكِنْ لَا حَقَّ لَكُمْ فِي المَاءِ، قَالُوا: نَعَمْ**».

قال ابن عباس: قَالَ النبيُّ ﷺ: «**فَأَلْفَىٰ ذَلِكَ أُمَّ إِسْمَاعِيلَ، وهي تُحِبُّ الأُنْسَ فنَزَلُوا، فَأَرْسَلُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ فَنَزَلُوا مَعَهُمْ، حَتَّىٰ إِذَا كَانُوا بِهَا أَهْلَ أَبْيَاتٍ وَشَبَّ الغُلَامُ وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ مِنْهُمْ** (أي: فيه إشعار بأن لسان أمه وأبيه لم يكن عربيًّا)، **وَأَنْفَسَهُمْ** (أي: من النفاسة، أي: كثرت رغبتهم فيه) **وَأَعْجَبَهُمْ حِينَ شَبَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَ زَوَّجُوهُ امْرَأَةً مِنْهُمْ: وَمَاتَتْ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ، فَجَاءَ إِبْرَاهِيمُ بَعْدَمَا تَزَوَّجَ إِسْمَاعِيلُ يُطَالِعُ تَرِكَتَهُ** (أي: يتفقد حال ما تركه)، **فَلَمْ** يَجِدْ إِسْمَاعِيلَ؛ فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: خرَجَ يَبْتَغِي لَنَا.

وفي رواية: يَصِيدُ لَنَا- ثُمَّ سَأَلَها عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِشَرٍّ، نَحْنُ فِي ضِيقٍ وَشِدَّةٍ؛ وَشَكَتْ إِلَيْهِ، قَالَ: فَإِذَا جَاءَ زَوْجُكِ اقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ، وَقُولِي لَهُ يُغَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ كَأَنَّهُ آنس شَيْئًا، فقَالَ: هَلْ جَاءكُمْ مِنْ أَحدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، جَاءنا شَيْخٌ كَذَا وكَذا، فَسَأَلَنا عَنْك فَأَخبَرْتُهُ، فَسَأَلَنِي: كَيْفَ عَيْشُنا، فَأَخْبَرْتُهُ أَنَّا في جَهْدٍ وَشِدَّةٍ. قَالَ: فَهَلْ أَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ السَّلامَ، وَيَقُولُ: غَيِّرْ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ: ذَاكَ أَبِي وَقَدْ أَمَرَنِي أَنْ أُفَارِقَكِ! الْحقِي بِأَهْلِكِ. فَطَلَّقَهَا وَتَزَوَّجَ مِنْهُمْ أُخْرَىٰ، فَلَبِثَ عَنْهُمْ إِبْرَاهِيمُ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ أَتَاهُمْ بَعْدُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَخَلَ عَلَىٰ امْرَأَتِهِ فَسَأَلَ عَنْهُ. قَالَتْ: خَرَجَ يَبْتَغِي لَنَا قَالَ: كَيفَ أَنْتُمْ؟ وَسَأَلَهَا عَنْ عَيْشِهِمْ وَهَيْئَتِهِمْ، فَقَالَتْ: نَحْنُ بِخَيرٍ وَسَعَةٍ، وَأَثْنَتْ عَلَىٰ الله. فَقَالَ: مَا طَعَامُكُمْ؟ قَالَتْ: اللَّحْمُ، قَالَ: فَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَت: الماءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهم فِي اللَّحْمِ وَالمَاءِ». قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَلَمْ يَكُنْ لهم يَوْمَئِذٍ حَبٌّ وَلَوْ كَانَ لهم دَعَا لهم فِيهِ، قَالَ: فَهُمَا لا يَخْلُو عَلَيْهِمَا أَحَدٌ بِغَيْرِ مَكَّةَ إِلَّا لَمْ يُوَافِقَاهُ (أي: أن اللحم والماء لم يكونا من الأطعمة المحببة عند أحدٍ غير أهل مكة)».

وفي رواية: «فجاء فَقَالَ: أَيْنَ إِسْمَاعِيلُ؟ فَقَالَت امْرأَتُهُ: ذَهَبَ يَصِيدُ؛ فَقَالَت امْرأَتُهُ: أَلَا تَنْزِلُ، فَتَطْعَمَ وَتَشْرَبَ؟ قَالَ: وَمَا طَعَامُكُمْ وَمَا شَرَابُكُمْ؟ قَالَتْ: طَعَامُنَا اللَّحْمُ وَشَرَابُنَا المَاءُ، قَالَ: اللَّهُمَّ بَارِكْ لهم فِي طَعَامِهِمْ وَشَرابِهِمْ». قَالَ: فقَالَ أَبُو القاسم ﷺ: «بَرَكَةُ دعوة إبْرَاهِيمَ. قال: فإذا جَاءَ زَوْجُكِ فَاقْرَئِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتْ عَتَبَةَ بَابِهِ. فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ: هَلْ أَتاكُمْ مِنْ أَحَدٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، أتانا شَيْخٌ حَسَنُ الهَيْئَةِ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ، فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخبرتُهُ، فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنا فأَخبَرْتُهُ أَنَّا بِخَيْرٍ. قَالَ: فَأَوْصَاكِ بِشَيءٍ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ. قَالَ: ذَاكَ أَبِي، وأَنْتِ العَتَبَةُ، أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكِ. ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ جَاءَ بَعدَ ذَلِكَ وإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا (أي: يقلمه) لَهُ تَحتَ دَوْحَةٍ قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ، فَلَمَّا رَآهُ قَامَ إِلَيْهِ، فَصَنَعَا كَمَا يَصْنَعُ الوَالِدُ بِالوَلَدِ وَالوَلَدُ بِالوَالِدِ (أي: من الاعتناق والمصافحة وتقبيل

اليد ونحو ذلك). قَالَ: يَا إسْمَاعِيلُ، إنَّ اللهَ أمَرَنِي بِأمْرٍ، قَالَ: فَاصْنَعْ مَا أمَرَكَ رَبُّكَ؟ قَالَ: وَتُعِينُنِي، قَالَ: وَأُعِينُكَ، قَالَ: فَإنَّ اللهَ أمَرَنِي أنْ أبْنِي بَيْتًا هاهُنَا، وأشَارَ إلَىٰ أكَمَةٍ مُرْتَفِعَةٍ عَلَىٰ مَا حَوْلها، فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَ القَوَاعِدَ مِنَ البَيْتِ، فَجَعَلَ إسْمَاعِيلُ يَأتِي بِالحِجَارَةِ وَإبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّىٰ إذَا ارْتَفَعَ البِنَاءُ، جَاءَ بِهذَا الحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ، وَهُوَ يَبْنِي وَإسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الحجارة وَهُمَا يَقُولَانِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ١٢٧﴾ [البقرة: ١٢٧]».

وفي روايةٍ: «إنَّ إبْرَاهِيمَ خَرَجَ بِإسْمَاعِيلَ وَأُمِّ إسْمَاعِيلَ، مَعَهُمْ شَنَّةٌ (أي: قربة قديمة) فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ فَيَدِرُّ لَبَنُهَا عَلَىٰ صَبِيِّهَا، حَتَّىٰ قَدِمَ مَكَّةَ، فَوَضَعَهَا تَحْتَ دَوْحَةٍ، ثُمَّ رَجَعَ إبْرَاهِيمُ إلَىٰ أهْلِهِ، فَاتَّبَعَتْهُ أُمُّ إسْماعيلَ حَتَّىٰ لَمَّا بَلَغُوا كَدَاءَ نَادَتْهُ مِنْ وَرَائِهِ: يَا إبْرَاهِيمُ إلَىٰ مَنْ تَتْرُكُنَا؟ قَالَ: إلَىٰ اللهِ، قَالَتْ: رَضِيتُ باللهِ، فَرَجَعَتْ وَجَعَلَتْ تَشْرَبُ مِنَ الشَّنَّةِ وَيَدُرُّ لَبَنُهَا عَلَىٰ صَبِيِّهَا، حَتَّىٰ لَمَّا فَنِيَ المَاءُ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحَدًا. قَالَ: فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ وَنَظَرَتْ هَلْ تُحِسُّ أحدًا، فَلَمْ تُحِسَّ أحَدًا، فَلَمَّا بَلَغَتِ الوَادِي سَعَتْ، وأتَتِ المَرْوَةَ، وَفَعَلَتْ ذَلِكَ أشْوَاطًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ الصَّبِيُّ، فَذَهَبَتْ فَنَظَرَتْ فَإذَا هُوَ عَلَىٰ حَالِهِ، كَأنَّهُ يَنْشَغُ لِلْمَوْتِ، فَلَمْ تُقِرَّهَا نَفْسُهَا فَقَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ لَعَلِّي أُحِسُّ أحَدًا، فَذَهَبَتْ فَصَعِدَتِ الصَّفَا، فَنَظَرَتْ ونظرت فَلَمْ تُحِسَّ أحَدًا، حَتَّىٰ أتَمَّتْ سَبْعًا، ثُمَّ قَالَتْ: لَوْ ذَهَبْتُ فَنَظَرْتُ مَا فَعَلَ، فَإذَا هِيَ بِصَوْتٍ، فَقَالَتْ: أغِثْ إنْ كَانَ عِنْدَكَ خَيْرٌ، فَإذَا جِبْرِيلُ فَقَالَ بِعَقِبِهِ هَكَذَا، وَغَمَزَ بِعَقِبِهِ عَلَىٰ الأرْضِ، فَانْبَثَقَ المَاءُ فَدَهِشَتْ أُمُّ إسْمَاعِيلَ، فَجَعَلَتْ تَحْفِنُ (أي: تغترف من الماء بيدها)». وذكر الحديث بطوله. رواه البخاري بهذه الروايات كلها. «الدَّوْحَةُ»: الشَّجَرَةُ الكَبِيرَةُ. قولُهُ: «قَفَّىٰ» أي: وَلَّىٰ. و«الجَرِيُّ»: الرَّسُولُ. و«ألْفَىٰ» معناه: وَجَدَ. قولُهُ: «يَنْشَغُ» أي: يَشْهَقُ.

(١٨٦٨/ ٣٧٠) وعن سعيد بن زيد رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «الكَمْأةُ (أي: نبات يوجد في الأرض من غير أن يُزرع) مِنَ المَنِّ، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ». متفق عليه.

١٩ - كتاب الاستغفار

٣٧١- باب الأمر بالاستغفار وفضله

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩].

وقال تَعالَىٰ: ﴿وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾﴾ [النساء: ١٠٦].

وقال تَعالَىٰ: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾﴾ [النصر: ٣].

وقال تَعالَىٰ: ﴿لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ﴾ إِلَىٰ قولِهِ ﷻ: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾﴾ [آل عمران: ١٥- ١٧].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾﴾ [النساء: ١١٠].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣].

وَقَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وَالآيات في الباب كَثيرةٌ معلومة.

(١٨٦٩/ ٣٧١) وعن الأغرِّ المزني ﵁: أنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي (أي: يصيب قلبه ما يُلهيه)، وإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ فِي اليَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ». رواه مسلم.

(١٨٧٠/ ٣٧١) وعن أبي هريرة ﵁ قَالَ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً». رواه البخاري.

(١٨٧١/ ٣٧١) وعنه ﵁ قال: قَالَ رسولُ الله ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللهُ تَعَالَىٰ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ تَعَالَىٰ، فَيَغْفِرُ لهم». رواه مسلم.

(١٨٧٢/ ٣٧١) وعن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا نَعُدُّ لِرسولِ الله ﷺ في المَجْلِسِ الواحِدِ مائةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ». رواه أبو داود والتِّرمذي، وقال: «حديث حسن صحيح غريب».

(١٨٧٣/ ٣٧١) وعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: «مَنْ لَزِمَ الاسْتِغْفَارَ جَعَلَ اللهُ لَهُ مِنْ كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجًا، وَمِنْ كُلِّ هَمٍّ فَرَجًا، وَرَزَقَهُ مِنْ حَيثُ لا يَحْتَسِبُ». رواه أبو داود.

(١٨٧٤/ ٣٧١) وعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «مَنْ قَالَ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيهِ، غُفِرَتْ ذُنُوبُهُ، وإِنْ كَانَ قَدْ فَرَّ مِنَ الزَّحْفِ». رواه أبو داود والتِّرمذي والحاكم، وقال: «حديث صحيح على شرط البخاري ومسلم».

(١٨٧٥/ ٣٧١) وعن شَدَّادِ بْنِ أَوسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ العَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لا إِلهَ إِلَّا أَنْتَ خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَىٰ عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وأَبُوءُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ. مَنْ قَالها مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِي، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالها مِنَ اللَّيْلِ، وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ». رواه البخاري. «أَبُوءُ» بباءٍ مَضمومةٍ ثم واوٍ وهمزة ممدودة، ومعناه: أُقِرُّ وَأَعْتَرِفُ.

(١٨٧٦/ ٣٧١) وعن ثوبان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: كان رسول الله ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاتِهِ، اسْتَغْفَرَ اللهَ ثَلاثًا وَقَالَ: «اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلامُ، وَمِنْكَ السَّلامُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الجَلالِ وَالإِكْرَامِ». قيل للأوزاعي وهو أحد رواته: كَيفَ الاسْتِغْفَارُ؟ قال: يَقُولُ: أَسْتَغْفِرُ اللهَ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ. رواه مسلم.

(١٨٧٧/ ٣٧١) وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: كان رسول الله ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ قَبْلَ مَوْتِهِ: «سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللهَ، وأَتوبُ إِلَيْهِ». متفق عليه.

(١٨٧٨/ ٣٧١) وعن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يقول: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْكَ وَلا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي، غَفَرْتُ لَكَ وَلا أُبَالِي، يا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقِيتَنِي لا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، لأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً». رواه الترمذي، وقال: «حديث حسن». «عَنَانَ السَّمَاءِ» بفتح العين، قِيلَ: هُوَ السَّحَابُ، وَقِيلَ: هُوَ مَا عَنَّ لَكَ مِنْهَا، أَي: ظَهَرَ. وَ«قُرَابُ الأَرْضِ» بضم القاف، ورُوِيَ بكسرِها، والضم أشهر. وَهُوَ ما يُقَارِبُ مِلْئَهَا.

(١٨٧٩/ ٣٧١) وعن ابن عمر رضي الله عنهما: أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم قال: «يا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ، وأكْثِرْنَ مِنَ الاسْتِغْفَارِ؛ فَإنِّي رَأَيْتُكُنَّ أكْثَرَ أهْلِ النَّارِ». قالت امرأةٌ مِنْهُنَّ: مَا لَنَا أكْثَر أهْلِ النَّارِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ (أي: التلفظ باللّعن)، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ (أي: تُنكِرْنَ نعمة الزوج)، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أغْلَبَ لِذِي لُبٍّ (أي: اللب: العقل) مِنْكُنَّ». قالت: ما نُقْصَانُ العَقْلِ وَالدِّينِ؟ قال: «شَهَادَةُ امْرَأتَيْنِ بِشَهَادَةِ رَجُلٍ، وَتَمْكُثُ الأيَّامَ لا تُصَلِّي (أي: لما ابتلاهن الله به من الحيض والنفاس)». رواه مسلم.

٣٧٢- باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [الحجر: ٤٥-٤٨].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٣].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾﴾ [الدخان: ٥١-٥٧].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢-٢٨].

والآيات في الباب كثيرة معلومة.

(١٨٨٠/ ٣٧٢) وعن جابر رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «يَأكُلُ أَهْلُ الجَنَّةِ فِيهَا، وَيَشْرَبُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، وَلَا يَبُولُونَ، وَلكِنْ طَعَامُهُمْ ذَلِكَ جُشَاءٌ (أي: التجشؤ: هو تنفس المعدة عند الامتلاء) كَرَشْحِ المِسْكِ، يُلْهَمُونَ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ، كَمَا يُلْهَمُونَ النَّفَسَ». رواه مسلم.

(١٨٨١/ ٣٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رسول الله ﷺ: «قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِيَ الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ، وَاقْرَءوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السجدة: ١٧]». متفق عليه.

(١٨٨٢/ ٣٧٢) وعنه قال: قَالَ رسول الله ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ عَلَىٰ صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ عَلَىٰ أَشَدِّ كَوْكَبٍ دُرِّيٍّ فِي السَّمَاءِ إضَاءةً، لَا يَبُولُونَ، وَلَا يَتَغَوَّطُونَ، وَلَا يَتْفُلُونَ، وَلَا يَمْتَخِطُونَ، أَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَمَجَامِرُهُمُ (أي: مباخرهم) الأَلُوَّةُ (أي: عُودُ الطِّيب)، أَزْوَاجُهُمُ الحُورُ العِينُ، عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، عَلَىٰ صُورَةِ أَبِيهِمْ آدَمَ سِتُّونَ ذِرَاعًا فِي السَّمَاءِ». متفق عليه.

وفي رواية البخاري ومسلم: «آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ. وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ يُرَىٰ مُخُّ سَاقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لَا اخْتِلَافَ بَيْنَهُمْ، وَلَا تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبُ وَاحِدٍ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا».

قَوْلُهُ: «عَلَىٰ خَلْقِ رَجُلٍ واحِدٍ». رواه بعضهم بفتح الخاء وإسكان اللام وبعضهم بضمهما وكلاهما صحيح.

(١٨٨٣/ ٣٧٢) وعن المغيرةِ بن شعبة رضي الله عنه: عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «سأَلَ مُوسَىٰ ﷺ رَبَّهُ: ما أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قال: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الجَنَّةَ. فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلهم، وأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟ فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيقُولُ: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَيقُولُ فِي الخَامِسَةِ. رَضِيتُ رَبِّ، فَيقُولُ: هذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ. فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ. قَالَ: رَبِّ فَأَعْلاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ؛ غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ». رواه مسلم.

(١٨٨٤/ ٣٧٢) وعن ابن مسعود ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُول الله ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةَ. رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا (أي: الحبو: المشي على اليدين والرجلين)، فَيقُولُ اللهُ ﷻ له: اذْهَبْ فادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَىٰ، فَيَرْجِعُ، فَيقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَىٰ! فَيَقُولُ اللهُ ﷻ له: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فيأتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إليهِ أَنَّها مَلأىٰ، فيَرْجِعُ. فَيَقولُ: يا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلأىٰ، فيقُولُ اللهُ ﷻ لَهُ: اذهبْ فادخُلِ الجنَّةَ. فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا؛ أَوْ إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا، فيقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي، أَوْ تَضْحَكُ بِي وَأَنْتَ المَلِكُ». قَالَ: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضَحِكَ حَتَّىٰ بَدَتْ نَوَاجِذُهُ (أي: أنيابه) فَكَانَ يقولُ: «ذلِكَ أَدْنَىٰ أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً». متفق عليه.

(١٨٨٥/ ٣٧٢) وعن أبي موسىٰ ﷺ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ لِلمُؤْمِنِ فِي الجَنَّةِ لَخَيْمَةً مِنْ لُؤْلُؤَةٍ وَاحِدَةٍ مُجَوَّفَةٍ طُولُها في السَّماءِ سِتُّونَ مِيلًا. لِلمُؤْمِنِ فِيهَا أَهْلُونَ يَطُوفُ عَلَيْهِمِ المُؤْمِنُ فَلَا يَرَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا». متفق عليه. «المِيلُ»: ستة آلافِ ذِراعٍ.

(١٨٨٦/ ٣٧٢) وعن أَبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الجَوَادَ المُضَمَّرَ (أي: الراكب على الفرس السريع المعتاد على حمل الأثقال) السَّرِيعَ مِائَةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا». متفق عليه.

وروياه في الصحيحين أيضًا من رواية أبي هريرة ﷺ قال: «يَسِيرُ الرَّاكِبُ فِي ظِلِّها مائةَ سَنَةٍ مَا يَقْطَعُهَا».

(١٨٨٧/ ٣٧٢) وعنه: عن النبيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ أَهلَ الغُرَفِ مِن فَوقِهِم كَمَا تَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ (أي: الذاهب) فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أو المَغْرِبِ لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ». قالوا: يا رسول الله؛ تِلْكَ مَنَازِلُ الأنبياء لَا يَبْلُغُها غيرُهُم قال: «بَلَىٰ والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ». متفق عليه.

(١٨٨٨/ ٣٧٢) وعن أبي هريرة ﷺ: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «لَقَابُ (أي: مقدار) قَوْسٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِمَّا تَطْلُعُ عَلَيْهِ الشَّمْسُ أو تَغْرُبُ». متفق عليه.

(١٨٨٩/ ٣٧٢) وعن أنس رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ فِي الجَنَّةِ سُوقًا (أي: المراد بالسوق مجمع لهم يجتمعون كما يجتمع الناس في الدنيا في السوق) يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ. فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ، فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِم وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسنًا وَجَمَالًا فَيَرْجِعُونَ إلَىٰ أَهْلِيهِمْ، وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمالًا، فيَقُولُ لهم أَهْلُوهُمْ: وَالله لقدِ ازْدَدْتُم حُسْنًا وَجمالًا! فيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَالله لَقَدِ ازْدَدْتُم بَعْدَنَا حُسْنًا وَجمالًا!». رواه مسلم.

(١٨٩٠/ ٣٧٢) وعن سهلِ بن سعدٍ رضي الله عنه: أنَّ رسول الله ﷺ قَالَ: «إنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ لَيَتَرَاءَوْنَ الغُرَفَ فِي الجَنَّةِ كَمَا تَتَرَاءَوْنَ الكَوكَبَ فِي السَّمَاءِ». متفق عليه.

(١٨٩١/ ٣٧٢) وعنه رضي الله عنه قَالَ: شَهِدْتُ مِنَ النبيِّ ﷺ مَجْلِسًا وَصَفَ فِيهِ الجَنَّةَ حَتَّىٰ انْتَهَىٰ، ثم قال في آخر حديثه: «فيهَا مَا لَا عَينٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَىٰ قَلْبِ بَشَرٍ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ إلىٰ قوله تعالىٰ ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٦- ١٧]. رواه البخاري.

(١٨٩٢/ ٣٧٢) وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إذَا دَخَلَ أَهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يُنَادِي مُنَادٍ: إنَّ لَكُمْ أنْ تَحيَوْا، فَلَا تَمُوتُوا أَبَدًا، وإنَّ لَكُمْ أنْ تَصِحُّوا فلا تَسْقَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكمْ أنْ تَشِبُّوا فلا تَهْرَمُوا أبدًا، وإنَّ لَكُمْ أَنْ تَنْعَمُوا، فَلَا تَبْأَسُوا أَبَدًا». رواه مسلم.

(١٨٩٣/ ٣٧٢) وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ أَدْنَىٰ مَقْعَدِ أَحَدِكُمْ مِن الجَنَّةِ أَنْ يَقُولَ لَهُ: تَمَنَّ، فَيَتَمَنَّىٰ وَيَتَمَنَّىٰ فَيقُولُ لَهُ: هَلْ تَمَنَّيتَ؟ فيقولُ: نَعَمْ، فيقُولُ لَهُ: فَإنَّ لَكَ ما تَمَنَّيت وَمِثْلَهُ مَعَهُ». رواه مسلم.

(١٨٩٤/ ٣٧٢) وعن أبي سعيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسولَ الله ﷺ قَالَ: «إنَّ الله عز وجل يَقُولُ لأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيقولُونَ: لَبَّيكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، وَالخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُم؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لَا نَرْضَىٰ يَا رَبَّنَا وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أحدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَلَا أُعْطِيكُمْ أفْضَلَ مِنْ ذلِكَ؟ فيَقُولُونَ: وَأَيُّ شَيءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذلِكَ؟ فيَقُولُ: أُحِلُّ (أي: أنزل) عَلَيكُمْ رِضْوَانِي فَلَا أَسْخَطُ عَلَيْكُم بَعْدَهُ أَبَدًا». متفق عليه.

(١٨٩٥/ ٣٧٢) وعن جرير بن عبد الله ﵁ قَالَ: كنا عِنْدَ رسول الله ﷺ فنظر إلَىٰ القمرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَقَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ عَيَانًا كما تَرَوْنَ هَذَا القَمَرَ، لَا تُضَامُونَ (أي: لا تتضررون ولا يشق عليكم) فِي رُؤْيَتِهِ». متفق عليه.

(١٨٩٦/ ٣٧٢) وعن صُهَيْب ﵁: أنَّ رسولَ الله ﷺ قَالَ: «إذا دَخلَ أهْلُ الجَنَّةِ الجَنَّةَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: تُرِيدُونَ شَيئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ فَيَكْشِفُ الحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ». رواه مسلم.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩- ١٠].

الحَمْدُ لله الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهُ. اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَأزواجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما صَلَّيْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وعلىٰ آلِ إِبْراهِيمَ، وَبَارِكْ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ، وَعَلَىٰ آلِ مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كما بَارَكْتَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَعَلَىٰ آل إبراهيمَ في العالَمِينَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

قال مُؤَلِّفُه:

فرغتُ منه يومَ الإثنين الرابعَ عَشَرَ من شَهْرِ رمضانَ سنةَ سَبْعين وسِتِّمائةٍ

بِدِمَشْق

الفهرس

تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد عمر هاشم ٣
تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور عبد الغفار حامد هلال ٦
تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي رَحِمَهُ اللَّهُ ٨
تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور سيد السيلي ٩
تقريظ فضيلة الأستاذ الدكتور أحمد ربيع يوسف ١١
مقدمة الشارح ١٣
مُقدِّمةُ الطبعةِ الرابعة ١٣
عَمَلُنا في الكتاب ١٧
مُقدِّمةُ المُؤلِّفِ (الإمامِ النوويِّ) ٢٣
١- بابُ الإخلاصِ وإحضارِ النِّيَّة في جميعِ الأعمالِ والأقوالِ والأحوالِ البارزةِ والخفيَّةِ ٢٥
(الإخلاص) ٢٨
حقيقة الإخلاص ٣٢
الفرق بين المُخلَص والمُخلِص ٣٢
الأعمالُ المُتعلِّقةُ بالنيةِ ٣٣
٢- بابُ التوبةِ ٣٧
(التوبة) ٤٦
شروط التوبة ٤٧
التوبةُ النَّصُوحُ ٥٠
الصفاتُ المُثيرةُ للذنوبِ في الإنسانِ ٥٠
الكبائرُ ٥١
أقسامُ الناسِ في الآخرة ٥٢
التوبةُ والإنابةُ والإيابةُ ٥٤
٣- بابُ الصبرِ ٥٥
(الصبرُ) ٦٣

أقسامُ الصبرِ ٦٤
حُكْمُ الصبرِ ٦٧
أنواعُ الصبرِ ٦٨
الفَرْقُ بينَ الصَّبْرِ والرِّضا ٦٩
كيفيَّةُ الصبرِ ٦٩
الأمورُ التي تُعينُ على الصبرِ ٧١
٤- بابُ الصِّدْقِ ٧٢
(الصدقُ) ٧٣
معانِيَ الصِّدقِ ٧٥
كلماتٌ في حقيقةِ الصدقِ ٨١
قِصَّةٌ ٨٢
٥- بابُ المراقبةِ ٨٥
(المُرَاقَبَةُ) ٨٨
٦- بابٌ في التَّقْوى ٩٢
(التَّقْوىٰ) ٩٤
الفَرْقُ بين التَّقْوى والوَرَعِ ٩٥
الفَرْقُ بين الوقايةِ والتَّقْوى ٩٥
قِصَّةٌ ٩٦
٧- بابٌ في اليقينِ والتَّوكُّلِ ٩٧
(اليَقِينُ) ١٠١
أنواعُ اليقينِ ١٠٣
دَرَجاتُ اليقينِ ١٠٣
قِصَّةٌ ١٠٤
(التوكُّلُ) ١٠٥
التَّوكُّلُ والتَّواكُلُ أو الاتِّكالُ ١٠٦

قَصَصٌ في التَّوكُّلِ ١٠٩
٨- بابٌ في الاستقامةِ ١١١
(الاستقامةُ) ١١٢
٩- بابٌ في التَّفكُّرِ في عظيم مخلوقاتِ الله تعالى، وفناءِ الدُّنيا، وأهوالِ الآخرةِ وسائرِ أمورِهما، وتقصيرِ النفسِ وتهذيبِها وحَمْلِها على الاستقامةِ ١١٥
(عبادةُ التفكُّرِ في عظيمِ مخلوقاتِ اللهِ تعالىٰ) ١١٦
الصِّفاتُ المُهلِكةُ والصِّفاتُ المُنجِيةُ ١١٩
١٠- بابٌ في المُبادَرةِ إلى الخَيْراتِ وحَثِّ مَن تَوَجَّه لِخَيرٍ على الإقبالِ عليه بالجِدِّ مِن غيرِ تَرَدُّدٍ ١٢١
١١- بابٌ في المُجاهَدة ١٢٣
(المجاهدة) ١٢٦
مجاهدة النفس ١٢٦
أنواعُ النَّفْسِ ١٢٧
مَرَاتِبُ جهادِ النَّفْسِ ١٢٧
مجاهدة الشيطان ١٢٨
مراتب مجاهدة الشيطان ١٢٨
أعظم أبواب الشياطين ١٣٠
١٢- بابُ الحَثِّ على الازديادِ مِنَ الخيرِ في أواخرِ العُمُرِ ١٣٤
١٣- بابٌ في بيانِ كَثْرةِ طُرُقِ الخير ١٣٦
(كَثْرةُ طُرُقِ الخير) ١٤١
حال الكمال وحال الجواز ١٤٤
١٤- بابٌ في الاقتصادِ في العبادةِ ١٤٥
(الاقتصادُ في العبادةِ) ١٤٩
(الرُّخَصُ الشرعيَّة: أحكامُها وضوابِطُها) ١٥١
خصائصُ الشريعةِ الإسلاميَّة ١٥٢

العَزيمةُ والرُّخْصَة ١٥٣
أقسامُ العزيمةِ ١٥٣
أنواع الرُّخَص ١٥٣
الأسبابُ المُبيحةُ للرُّخْصةِ الشرعيَّةِ ١٥٤
ملخص ١٦٣
١٥- باب في المحافظة على الأعمال ١٦٤
١٦- باب في الأمر بالمحافظة على السُّنَّة وآدابها ١٦٤
(السُّنَّة النبوية الشريفة) ١٦٧
• السُّنَّة لغة ١٦٧
• السُّنَّة شرعًا ١٦٨
مصادر التشريع ١٦٩
منزلة السُّنَّة في الإسلام ١٧٠
واجب المسلمين نحو السُّنَّة ١٧٠
شبهة أعداء السُّنَّة ١٧٢
ما ليس تشريعًا من أقوال الرسول ﷺ وأفعاله ١٧٣
الخلاصة ١٧٤
١٧- باب في وجوب الانقياد لحكم الله وما يقوله من دعي إلى ذلك وأمر بمعروف أو نهي عن منكر ١٧٥
(أقسام الحكم التكليفي للأمة) ١٧٦
الوجوب ١٧٦
الندب ١٧٦
التحريم ١٧٦
الكراهة ١٧٦
الإباحة ١٧٧
١٨- باب في النهي عن البدع ومحدثات الأمور ١٧٧

(الابتداع).. ١٧٨
أحكام البدعة ١٧٨
أسباب البدعة ١٨٢
١٩- باب فيمن سنَّ سُنَّة حسنة أو سيئة ١٨٧
٢٠- باب في الدلالة على خير والدعاء إلى هدى أو ضلالة ١٨٨
(الدعوة إلىٰ الله تبارك وتعالىٰ)... ١٨٩
آداب الدعوة إلى الله.. ١٩٤
٢١- باب في التعاون على البر والتقوى ١٩٧
(التعاون علىٰ البر والتقوىٰ)... ١٩٧
أقسام الأخوة.. ١٩٨
٢٢- باب في النصيحة ٢٠٠
٢٣- باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٠٠
(الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) ٢٠٤
٢٤- باب تغليظ عقوبة من أمر بمعروف أو نهى عن منكر وخالف قوله فعله ٢٠٩
٢٥- باب الأمر بأداء الأمانة.. ٢٠٩
(الأمانة).. ٢١٢
قصة.. ٢١٥
قصة.. ٢١٥
٢٦- باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم ٢١٦
(الظلم) ٢١٩
كيف يظلم العبد نفسه ٢٢٠
دواوين العباد يوم القيامة ٢٢٢
قصة.. ٢٢٢
٢٧- باب تعظيم حرمات المسلمين وبيان حقوقهم والشفقة عليهم ورحمتهم ٢٢٤
٢٨- باب قضاء حوائج المسلمين... ٢٢٧

٢٩- باب ستر عورات المسلمين والنهي عن إشاعتها لغير ضرورة ٢٢٧
(الستر) ٢٢٨
الفرق بين الستر والغفران ٢٢٩
قصة ٢٣١
(حقوق الأُخُوَّة والصحبة)... ٢٣٢
قواعد الصحبة.. ٢٣٣
حقوق الأُخُوَّة.. ٢٣٣
٣٠- باب الشفاعة ٢٣٩
٣١- باب الإصلاح بين الناس ٢٣٩
٣٢- باب فضل ضعفة المسلمين والفقراء والخاملين................................. ٢٤١
٣٣- باب ملاطفة اليتيم والبنات وسائر الضعفة والمساكين والمنكسرين والإحسان إليهم
والشفقة عليهم والتواضع معهم وخفض الجناح لهم.................................. ٢٤٣
(كفالة اليتيم)... ٢٤٦
٣٤- باب الوصية بالنساء.. ٢٤٨
(حقوق الزوجة والوصية بها) ٢٥٠
تعليم الإيمان والإسلام ٢٥٠
النفقة ٢٥٢
حسن الخلق.. ٢٥٤
ملخَّص حقوق الزوجة والعشرة الحسنة ٢٥٥
(أدوار الحياة الزوجية)... ٢٥٧
٣٥- باب حق الزوج على المرأة ٢٦١
(حق الزوج علىٰ زوجته) ٢٦٣
حقوق الزوج ٢٦٣
مُلخَّص حقوق الزوج على زوجته والعشرة الحسنة ٢٦٧
نصائح للزوجات ٢٦٨

الوصية للزوجة ٢٦٩
٣٦- باب النفقة على العيال ٢٧٠
٣٧- باب الإنفاق مما يحب ومن الجيد ٢٧١
٣٨- باب وجوب أمره أهله وأولاده المميزين وسائر من في رعيته بطاعة الله تعالى ونهيهم
عن المخالفة وتأديبهم ومنعهم من ارتكاب منهي عنه ٢٧٢
(حقوق الأبناء علىٰ الوالدين) ٢٧٣
حقوق الأولاد على آبائهم ٢٧٤
ملخص لحقوق الولد ٢٨٣
٣٩- باب حق الجار والوصية به ٢٨٤
(حق الجار) ٢٨٥
جملة حق الجار ٢٨٨
٤٠- باب بر الوالدين وصلة الأرحام ٢٨٨
(بر الوالدين) ٢٩٣
بر الوالدين ٢٩٤
آداب التعامل مع الوالدين ٢٩٤
تحريم العقوق ٢٩٦
ما العقوق ٢٩٦
٤١- باب تحريم العقوق وقطيعة الرحم ٢٩٨
(صلة الأرحام) ٢٩٩
تنبيهات ٣٠١
٤٢- باب فضل بر أصدقاء الأب والأم والأقارب والزوجة وسائر من يندب إكرامه ٣٠١
٤٣- باب إكرام أهل بيت رسول الله ﷺ وبيان فضلهم ٣٠٣
(عقيدة أهل السُّنَّة في آل البيت رضوان الله عليهم) ٣٠٤
٤٤- باب توقير العلماء والكبار وأهل الفضل وتقديمهم على غيرهم ورفع مجالسهم وإظهار
مرتبتهم ٣٠٥

(آداب العالم والمتعلم) ٣٠٧
آداب المتعلم أو طالب العلم ٣٠٨
آداب المعلم ٣٠٩
٤٥- باب زيارة أهل الخير ومجالستهم وصحبتهم ومحبتهم وطلب زيارتهم والدعاء منهم وزيارة المواضع الفاضلة ٣١٠
٤٦- باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه أنه يحبه، وماذا يقول له إذا أعلمه ٣١٤
(الحب في الله والبغض في الله) ٣١٦
أولا: الحب في الله ٣١٦
الفرق بين الزمالة في الدنيا والأخوة في الله ٣١٩
أقسام الحب بين الأصحاب ٣٢٠
قصة ٣٢١
ثانيًا: البغض في الله ٣٢٧
٤٧- باب علامات حب الله تعالى للعبد والحث على التخلق بها والسعي في تحصيلها ٣٢٩
٤٨- باب التحذير من إيذاء الصالحين والضعفة والمساكين ٣٣٠
٤٩- باب إجراء أحكام الناس على الظاهر وسرائرهم إلى الله تعالى ٣٣٠
٥٠- باب الخوف ٣٣٢
(الخوف) ٣٣٦
(الأمن من مكر الله تعالىٰ) ٣٤٠
أنواع المكر ٣٤٠
حكم المكر ٣٤٠
حكم الأمن من مكر الله تعالى ٣٤١
٥١- باب الرجاء ٣٤٣
(الرجاء) ٣٥١
الفرق بين الأمل والطمع والرجاء ٣٥١

الفرق بين الرجاء والتمني ٣٥١
الفرق بين الطموح وعلوِّ الهمة ٣٥٣
٥٢- باب فضل الرجاء ٣٥٤
٥٣- باب الجمع بين الخوف والرجاء ٣٥٤
٥٤- باب فضل البكاء من خشية الله تعالى وشوقًا إليه ٣٥٦
(البكاء من خشية الله تعالىٰ) ٣٥٨
(الخشية) ٣٥٩
٥٥- باب فضل الزهد في الدنيا والحث على التقلل منها وفضل الفقر ٣٦١
(الزهد) ٣٦٧
أقسام الزهد ٣٦٨
قصص في الزهد ٣٧٠
٥٦- باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات ٣٧٢
(البذاذة وحسن السمت) ٣٨١
٥٧- باب القناعة والعفاف والاقتصاد في المعيشة والإنفاق وذم السؤال من غير ضرورة ٣٨٣
(القناعة) ٣٨٦
(العفة والعفاف) ٣٨٧
أنواع العفة ٣٨٧
تمام العفة ٣٨٨
قصة ٣٩٠
٥٨- باب جواز الأخذ من غير مسألة ولا تطلع إليه ٣٩١
٥٩- باب الحث على الأكل من عمل يده والتعفف به عن السؤال والتعرض للإعطاء ٣٩١
(آداب الكسب والمعاش) ٣٩١
٦٠- باب الكرم والجود والإنفاق في وجوه الخير ثقة بالله تعالى ٣٩٧
(الإنفاق والكرم والجود) ٤٠١

أولا: الإنفاق ٤٠١
ثانيا: الكرم ٤٠١
ثالثًا: الجُود ٤٠٤
مَرَاتِبُ الجُودِ ٤٠٤
الفرق بين الكرم والجود ٤٠٦
٦١- باب النهي عن البخل والشح ٤٠٧
(البخل والحرص والطمع) ٤٠٧
أولا: البخل ٤٠٧
أسبابُ البُخلِ ٤٠٧
مصيبة المال ٤٠٨
قصة ٤٠٩
ثانيا: الحرص ٤٠٩
أسبابُ ذَمِّ المالِ ٤١١
ثالثا: الطمع ٤١٢
قصة ٤١٢
٦٢- باب الإيثار والمواساة ٤١٤
(الإيثار) ٤١٥
درجاتُ الإيثارِ ٤١٥
الأسباب المعينة على الإيثار ٤١٦
السخاء والجود والإيثار ٤١٧
قصص في الإيثار ٤١٨
٦٣- باب التنافس في أمور الآخرة والاستكثار مما يتبرك به ٤١٩
٦٤- باب فضل الغني الشاكر، وهو من أخذ المال من وجهه وصرفه في وجوهه المأمور بها ٤١٩
(الشُّكْرُ) ٤٢٠
حقيقةُ الشكر ٤٢١

أيهما أفضل، فضيلة الصبر أم فضيلة الشكر ٤٢٥
درجات الشكر ٤٢٦
أنواع الشكر ٤٢٦
٦٥- باب ذكر الموت وقصر الأمل... ٤٢٧
(الغرور) ٤٣٠
الجهل والغرور... ٤٣٠
أصناف المغترين... ٤٣٠
الثقة بالله والغرور والعجز... ٤٣١
٦٦- باب استحباب زيارة القبور للرجال وما يقوله الزائر........................... ٤٣٢
٦٧- باب كراهة تمني الموت بسبب ضُرٍّ نزل به ولا بأس به لخوف الفتنة في الدين ٤٣٣
٦٨- باب الورع وترك الشبهات ٤٣٣
(الورع) ٤٣٥
قصص في الورع... ٤٤٠
٦٩- باب استحباب العزلة عند فساد الناس والزمان أو الخوف من فتنة في الدين ووقوع في
حرام وشبهات ونحوها ٤٤٠
(آدابُ العُزْلَةِ وآفاتُها)... ٤٤١
فوائد العزلة ٤٤٣
فوائد الاختلاط بالناس وآفات العزلة ٤٤٨
آداب العزلة... ٤٥٢
٧٠- باب فضل الاختلاط بالناس وحضور جُمعهم وجماعتهم، ومشاهد الخير، ومجالس
الذكر معهم، وعيادة مريضهم، وحضور جنائزهم، ومواساة محتاجهم، وإرشاد جاهلهم،
وغير ذلك من مصالحهم لمن قدر على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقمع نفسه
عن الإيذاء وصبر على الأذى ٤٥٤
(آداب الصحبة والاختلاط بالناس)... ٤٥٤
حقوق المرء على أخيه ٤٥٥

آداب معاشرة الناس ٤٥٦
٧١- باب التواضع وخفض الجناح للمؤمنين ٤٥٧
(التواضع) ٤٥٩
درجات التواضع ٤٦٠
التواضع لله ٤٦٠
قصة ٤٦٢
٧٢- باب تحريم الكبر والإعجاب ٤٦٣
(الكِبْر) ٤٦٥
أقسام الكبر ٤٦٥
أسباب الكبر ٤٦٦
درجات الكبر ٤٦٩
بعض مظاهر التكبر ٤٦٩
(العُجْب) ٤٧٢
أنواع العجب ٤٧٤
٧٣- باب حُسن الخلق ٤٧٥
(حسن الخلق) ٤٧٧
أقسام حسن الخلق ٤٧٧
أركان حسن الخلق ٤٧٨
أسباب تغير أخلاق الناس ٤٨٠
(كيف تعرف عيوب نفسك؟) ٤٨١
٧٤- باب الحلم والأناة والرفق ٤٨٤
(الحِلم) ٤٨٥
أسباب الحلم الباعثة على ضبط النفس ٤٨٦
الفرق بين الغضب والحزن ٤٨٨
قصص في الحلم ٤٩٠

أقسام الحلم ٤٩١
(الرفق) ٤٩٢
٧٥- باب العفو والإعراض عن الجاهلين ٤٩٤
(العفو والصفح والغفران) ٤٩٥
الفرق بين العفو والصفح والمغفرة ٤٩٥
قصة ٤٩٨
٧٦- باب احتمال الأذى ٤٩٩
٧٧- باب الغضب إذا انتُهكت حرمات الشرع والانتصار لدين الله تعالى ٤٩٩
(الغضب) ٥٠٠
الغضب المحمود والغضب المذموم ٥٠١
أسباب الغضب ٥٠٣
علاج الغضب ٥٠٣
قصة ٥٠٥
٧٨- باب أمر ولاة الأمور بالرفق برعاياهم ونصيحتهم والشفقة عليهم والنهي عن غشهم والتشديد عليهم وإهمال مصالحهم والغفلة عنهم وعن حوائجهم ٥٠٦
٧٩- باب الوالي العادل ٥٠٧
٨٠- باب وجوب طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم طاعتهم في المعصية ٥٠٨
(اختيار الوالي العادل ووجوب طاعته) ٥١٠
أولا: أداء الأمانات من قبل الحكام ٥١٠
ثانيًا: الحكم بالعدل ٥١١
استعمال الأصلح ٥١٢
المقصودُ بالواجب الشرعي على الوالي والحاكم في الولايات ٥١٥
وجوب اتخاذ الإمارة أو الرياسة ٥١٦
٨١- باب النهي عن سؤال الإمارة واختيار ترك الولايات إذا لم يتعين عليه أو تدعُ حاجة إليه ٥٢٠

٨٢- باب حَثِّ السلطان والقاضي وغيرهما من ولاة الأمور على اتخاذ وزير صالح وتحذيرهم
من قرناء السوء والقبول منهم ٥٢٠
٨٣- باب النهي عن تولية الإمارة والقضاء وغيرهما من الولايات لمن سألها أو حرص عليها
فعرَّض بها ٥٢١
١- كتاب الأدب ٥٢١
(الأدب) ٥٢١
الفرق بين طلب العلوم الشرعية والتأدب ٥٢١
أولا: الأدب مع الله ٥٢٢
ثانيًا: الأدب مع الرسول عليه الصلاة والسلام ٥٢٦
ثالثًا: الأدبُ مع الخَلْقِ ٥٢٦
٨٤- باب الحياء وفضله والحث على التَّخلُّقِ به ٥٢٩
(الحياء) ٥٢٩
أقسام الحياء ٥٣٠
أوجهُ الحياءِ في الإنسانِ ٥٣٣
٨٥- باب حفظ السر ٥٣٤
(كتمان السر) ٥٣٥
٨٦- باب الوفاء بالعهد وإنجاز الوعد ٥٣٨
(الوفاء) ٥٣٩
أنواع الوفاء ٥٣٩
٨٧- باب الأمر بالمحافظة على ما اعتاده من الخير ٥٤٠
٨٨- باب استحباب طيب الكلام وطلاقة الوجه عند اللقاء وإيضاحه للمخاطب وتكريره
ليفهم إذا لم يفهم إلا بذلك ٥٤١
(أدب الكلام) ٥٤١
شروط الكلام ٥٤٢
آداب المتكلم ٥٤٤

شروط ضرب الأمثال ٥٤٦
٩٠- باب إصغاء الجليس لحديث جليسه الذي ليس بحرام واستنصات العالِم والواعظ حاضري مجلسه ٥٤٦
٩١- باب الوعظ والاقتصاد فيه ٥٤٦
(الوعظ) ٥٤٧
صفات الواعظ ٥٤٨
٩٢- باب الوقار والسكينة ٥٤٩
(الوقار) ٥٤٩
(السكينة) ٥٥٠
٩٣- باب الندب إلى إتيان الصلاة والعلم ونحوهما من العبادات، بالسكينة والوقار ٥٥١
(الخشوع) ٥٥٢
٩٤- باب إكرام الضيف ٥٥٤
٩٥- باب استحباب التبشير والتهنئة بالخير ٥٥٤
٩٦- باب وداع الصاحب ووصيته عند فراقه لسفرٍ وغيره، والدعاء له وطلب الدعاء منه ... ٥٥٧
٩٧- باب الاستخارة والمشاورة ٥٥٨
(الاستخارة) ٥٥٩
(الشورىٰ) ٥٦٠
صفات المستشار ٥٦٢
الفرق بين الشورى والديمقراطية ٥٦٦
٩٨- باب استحباب الذهاب إلى العيد وعيادة المريض والحج والغزو والجنازة ونحوها من طريقٍ والرجوع من طريق آخر لتكثير مواضع العبادة ٥٦٨
٩٩- باب استحباب تقديم اليمين في كل ما هو من باب التكريم ٥٦٨
٢- كتاب أدب الطعام ٥٧٠
(آداب الاجتماع للطعام والضيافة) ٥٧٠
آداب الاجتماع على الطعام ٥٧٠

آداب الضيافة ٥٧٢
آداب الحضور في المأدُبةِ ٥٧٥
آداب إحضار الطعام ٥٧٥
١٠٠- باب التسمية في أوله والحمد في آخره ٥٧٧
١٠١- باب لا يعيب الطعام واستحباب مدحه ٥٧٨
١٠٢- باب ما يقوله من حضر الطعام وهو صائم إذا لم يُفطر ٥٧٨
١٠٣- باب ما يقوله من دُعي إلى طعام فتبعه غيره ٥٧٨
١٠٤- باب الأكل مما يليه ووَعْظه وتأديبه من يسيءُ أكلَهُ ٥٧٨
١٠٥- باب النهي عن القِرَانِ بين التمرتين ونحوهما إذا أكل جماعة إلا بإذن رفقته ٥٧٩
١٠٦- باب ما يقوله ويفعله من يأكل ولا يشبع ٥٧٩
١٠٧- باب الأمر بالأكل من جانب القصعة والنهي عن الأكل من وسطها ٥٧٩
١٠٨- باب كراهية الأكل متَّكِئًا ٥٧٩
١٠٩- باب استحباب الأكل بثلاث أصابع واستحباب لعق الأصابع وكراهة مسحها قبل لعقها واستحباب لعق القصعة وأخذ اللقمة التي تسقط منه وأكلها ومسحها بعد اللعق بالساعد والقدم وغيرها ٥٨٠
١١٠- باب تكثير الأيدي على الطعام ٥٨١
١١١- باب آداب الشرب واستحباب التنفس ثلاثًا خارج الإناء، وكراهة التنفس في الإناء، واستحباب إدارة الإناء على الأيمن فالأيمن بعد المبتدئ ٥٨١
١١٢- باب كراهة الشرب من فم القِربة ونحوها وبيان أنه كراهة تنزيه لا تحريم ٥٨٢
١١٣- باب كراهة النَّفْخِ في الشراب ٥٨٢
١١٤- باب بيان جواز الشرب قائمًا وبيان أن الأكمل والأفضل الشرب قاعدًا ٥٨٢
١١٥- باب استحباب كون ساقي القوم آخرهم شربًا ٥٨٣
١١٦- باب جواز الشرب من جميع الأواني الطاهرة غير الذهب والفضة، وجواز الكرع وهو الشرب بالفم من النهر وغيره بغير إناء ولا يد، وتحريم استعمال إناء الذهب والفضة في الشرب والأكل والطهارة وسائر وجوه الاستعمال ٥٨٣

٣- كتاب اللباس ٥٨٤

١١٧- باب استحباب الثوب الأبيض وجواز الأحمر والأخضر والأصفر والأسود وجوازه من قطن وكتان وشعر وصوف وغيرها إلا الحرير ٥٨٤

١١٨- باب استحباب القميص ٥٨٦

١١٩- باب صفة طول القميص والكم والإزار وطرف العمامة وتحريم إسبال شيء من ذلك على سبيل الخيلاء وكراهته من غير خيلاء ٥٨٦

١٢٠- باب استحباب ترك الترفع في اللباس تواضعًا ٥٨٨

١٢١- باب استحباب التوسط في اللباس ولا يقتصر على ما يزري به لغير حاجة ولا مقصود شرعي ٥٨٩

١٢٢- باب تحريم لباس الحرير على الرجال، وتحريم جلوسهم عليه واستنادهم إليه وجواز لبسه للنساء ٥٨٩

١٢٣- باب جواز لبس الحرير لمن به حكة ٥٨٩

١٢٤- باب النهي عن افتراش جلود النمور والركوب عليها ٥٩٠

١٢٥- باب ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا أو نعلا أو نحوه ٥٩٠

١٢٦- باب استحباب الابتداء باليمين في اللباس ٥٩٠

٤- كتاب آداب النوم والاضطجاع والقعود والمجلس والجليس والرؤيا ٥٩٠

١٢٧- باب ما يقوله عند النوم ٥٩٠

١٢٨- باب جواز الاستلقاء على القفا ووضع إحدى الرجلين على الأخرى إذا لم يُخَفِ انكشافُ العورة وجواز القعود متربعًا ومحتبيًا ٥٩١

١٢٩- باب في آداب المجلس والجليس ٥٩٢

(آداب المجلس والجليس) ٥٩٤

قصة ٥٩٧

١٣٠- باب الرؤيا وما يتعلق بها ٥٩٩

٥- كتاب السلام ٦٠٠

١٣١- باب فضل السلام والأمر بإفشائه ٦٠٠

١٣٢- باب كيفية السلام ٦٠١
١٣٣- باب آداب السلام ٦٠٢
١٣٤- باب استحباب إعادة السلام على من تكرر لقاؤه على قرب بأن دخل ثم خرج ثم دخل في الحال، أو حال بينهما شجرة ونحوها ٦٠٢
١٣٥- باب استحباب السلام إذا دخل بيته ٦٠٣
١٣٦- باب السلام على الصبيان ٦٠٣
١٣٧- باب سلام الرجل على زوجته والمرأة من محارمه وعلى أجنبية وأجنبيات لا يخاف الفتنة بهن وسلامهن بهذا الشرط ٦٠٣
١٣٨- باب تحريم ابتدائنا الكفَّار بالسلام وكيفية الرد عليهم واستحباب السلام على أهل مجلس فيهم مسلمون وكفار ٦٠٣
(بعض آداب السلام) ٦٠٤
١٣٩- باب استحباب السلام إذا قام من المجلس وفارق جلساءه أو جليسه ٦٠٥
١٤٠- باب الاستئذان وآدابه ٦٠٥
١٤١- باب بيان أن السُّنَّة إذا قيل للمستأذن: من أنت؟ أن يقول: فلان، فيسمي نفسه بما يعرف به من اسم أو كنية وكراهة قوله: «أنا» ونحوها ٦٠٥
١٤٢- باب استحباب تشميت العاطس إذا حمد الله تعالى وكراهة تشميته إذا لم يحمد الله تعالى وبيان آداب التشميت والعطاس والتثاؤب ٦٠٦
١٤٣- باب استحباب المصافحة عند اللقاء وبشاشة الوجه وتقبيل يد الرجل الصالح وتقبيل ولده شفقة ومعانقة القادم من سفر وكراهية الانحناء ٦٠٧
(آداب اللقاء) ٦٠٨
٦- كتاب عيادة المريض وتشييع الميت والصلاة عليه وحضور دفنه والمكث عند قبره بعد دفنه ٦٠٩
١٤٤- باب عيادة المريض ٦٠٩
(عيادة المريض) ٦١٠
آداب عيادة المريض ٦١٠
آداب المريض ٦١١

١٤٥- باب ما يدعى به للمريض ٦١٢

١٤٦- باب استحباب سؤال أهل المريض عن حاله ٦١٣

١٤٧- باب ما يقوله من أيس من حياته ٦١٣

١٤٨- باب استحباب وصية أهل المريض ومن يخدمه بالإحسان إليه واحتماله والصبر على ما يشق من أمره وكذا الوصية بمن قرب سبب موته بحد أو قصاص ونحوهما ٦١٤

١٤٩- باب جواز قول المريض: أنا وجع، أو شديد الوجع، أو موعوك، أو وارأساه ونحو ذلك، وبيان أنه لا كراهة في ذلك إذا لم يكن على سبيل التسخط وإظهار الجزع ٦١٤

١٥٠- باب تلقين المحتضر: لا إله إلا الله ٦١٤

١٥١- باب ما يقوله بعد تغميض الميت ٦١٥

١٥٢- باب ما يقال عند الميت وما يقوله من مات له ميت ٦١٥

١٥٣- باب جواز البكاء على الميت بغير ندب ولا نياحة ٦١٦

١٥٤- باب الكف عمّا يَرَى من الميت من مكروه ٦١٦

١٥٥- باب الصلاة على الميت وتشييعه وحضور دفنه وكراهة اتباع النساء الجنائز ٦١٧

١٥٦- باب استحباب تكثير المصلين على الجنازة وجعل صفوفهم ثلاثة فأكثر ٦١٧

١٥٧- باب ما يقرأ في صلاة الجنازة ٦١٨

١٥٨- باب الإسراع بالجنازة ٦١٩

(آداب الجنائز والتعزية) ٦٢٠

آداب تشييع الجنازة ٦٢٠

آداب المُعزِّي ٦٢٠

١٥٩- باب تعجيل قضاء الدين عن الميت والمبادرة إلى تجهيزه إلا أن يموت فجأة فيترك حتى يتيقن موته ٦٢١

١٦٠- بابُ الموعظةِ عند القبرِ ٦٢١

١٦١- باب الدعاء للميت بعد دفنه والقعود عند قبره ساعة للدعاء له والاستغفار والقراءة ٦٢١

١٦٢- باب الصدقة عن الميت والدعاء له ٦٢٢

١٦٣- باب ثناء الناس على الميت ٦٢٢

١٦٤- باب فضل من مات له أولاد صغار ٦٢٢
١٦٥- باب البكاء والخوف عند المرور بقبور الظالمين ومصارعهم وإظهار الافتقار إلى الله تعالى والتحذير من الغفلة عن ذلك ٦٢٣
٧- كتاب آداب السفر ٦٢٣
(السفر والاغتراب والتوديع والفراق) ٦٢٣
أقسام السفر ٦٢٤
أنواع السفر ٦٢٥
صفات أمير السفر ٦٢٥
آداب السفر ٦٢٦
رخص السفر ٦٢٧
(صلاة السفر) ٦٢٨
مسافة السفر المعتبرة شرعًا ٦٢٨
قصر الصلاة في السفر ٦٢٩
١٦٦- باب استحباب الخروج يوم الخميس واستحبابه أول النهار ٦٣٢
١٦٧- باب استحباب طلب الرفقة وتأميرهم على أنفسهم واحدًا يطيعونه ٦٣٢
١٦٨- باب آداب السير والنزول والمبيت والنوم في السفر، واستحباب السرى والرفق بالدواب ومراعاة مصلحتها، وأمر من قصَّر في حقها بالقيام بحقها، وجواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك ٦٣٣
١٦٩- باب إعانة الرفيق ٦٣٥
١٧٠- باب ما يقول إذا ركب دابة للسفر ٦٣٥
١٧١- باب تكبير المسافر إذا صعد الثنايا وشبهها وتسبيحه إذا هبط الأودية ونحوها والنهي عن المبالغة برفع الصوت بالتكبير ونحوه ٦٣٦
١٧٢- باب استحباب الدعاء في السفر ٦٣٧
١٧٣- باب ما يدعو به إذا خاف ناسًا أو غيرهم ٦٣٨
١٧٤- باب ما يقول إذا نزل منزلا ٦٣٨

١٧٥- باب استحباب تعجيل المسافر في الرجوع إلى أهله إذا قضى حاجته................ ٦٣٨
١٧٦- باب استحباب القدوم على أهله نهارًا وكراهته في الليل لغير حاجة................ ٦٣٨
١٧٧- باب ما يقول إذا رجع وإذا رأى بلدته.. ٦٣٩
١٧٨- باب استحباب ابتداء القادم بالمسجد الذي في جواره وصلاته فيه ركعتين.......... ٦٣٩
١٧٩- باب تحريم سفر المرأة وحدها.. ٦٣٩
٨- كتاب الفضائل.. ٦٣٩
١٨٠- باب فضل قراءة القرآن.. ٦٣٩
(تلاوة القرآن).. ٦٤١
القراءة والتلاوة والأداء.. ٦٤١
حكم قراءة القرآن.. ٦٤٣
مقدار ما يُقرأ... ٦٤٣
الأوقات المستحبة لقراءة القرآن.. ٦٤٣
١٨١- باب الأمر بتعهد القرآن والتحذير من تعريضه للنسيان.......................... ٦٤٥
(هجر القرآن).. ٦٤٥
مظاهر هجر القرآن وأحكامها.. ٦٤٥
١٨٢- باب استحباب تحسين الصوت بالقرآن وطلب القراءة من حسن الصوت والاستماع لها.......... ٦٤٨
١٨٣- باب الحث على سور وآيات مخصوصة.. ٦٤٨
(لطائف متعلقة بالقرآن الكريم)... ٦٥١
١٨٤- باب استحباب الاجتماع على القراءة.. ٦٥٨
(آداب قارئ القرآن)... ٦٥٩
١٨٥- باب فضل الوضوء.. ٦٦٢
(الوضوء وآدابه)... ٦٦٣
حكمة الوضوء... ٦٦٣
مراتب الطهارة... ٦٦٤

فرائض الوضوء ٦٦٥
سنن الوضوء ٦٦٦
نواقض الوضوء ٦٦٨
كيف نتوضأ ٦٦٩
(التيمم) ٦٧٠
الأسباب المبيحة للتيمم ٦٧١
كيفية التيمم ٦٧١
نواقض التيمم ٦٧٢
(المسح علىٰ الخفين) ٦٧٢
شروط المسح على الخفين ٦٧٣
كيفية المسح ٦٧٣
ما يَنقُض المسح ٦٧٤
الجبيرة والعصابة والعضو المتضرر بالغسل ٦٧٤
(الغسل) ٦٧٤
موجبات الغسل ٦٧٤
فرائض الغسل ٦٧٥
سنن الغسل ٦٧٦
ما يحرم على الجُنُب ٦٧٦
ما يجوز للجُنُب ٦٧٧
١٨٦- باب فضل الأذان ٦٧٧
١٨٧- باب فضل الصلوات ٦٧٨
(الصلاة) ٦٧٩
شروط صحة الصلاة ٦٧٩
كشف الرأس في الصلاة ٦٨٠
استقبال القبلة ٦٨١

متى يسقط استقبال القبلة ٦٨١
أركان الصلاة ٦٨١
سنن الصلاة ٦٨٣
مبطلات الصلاة ٦٨٨
ما يُباح في الصلاة ٦٨٩
ما يكره في الصلاة ٦٩٠
السترة أمام المصلي ٦٩١
قضاء الصلاة ٦٩٢
صلاة المريض ٦٩٢
الجمع بين الصلاتين ٦٩٢
سجود السهو ٦٩٣
سجود الشكر ٦٩٥
كيفية الصلاة ٦٩٥
١٨٨- باب فضل صلاة الصبح والعصر ٧٠٣
١٨٩- باب فضل المشي إلى المساجد ٧٠٤
١٩٠- باب فضل انتظار الصلاة ٧٠٥
١٩١- باب فضل صلاة الجماعة ٧٠٦
(حكم الصلاة بين السواري) ٧٠٧
(صلاة المأموم متقدمًا علىٰ الإمام في صلاة الجماعة) ٧٠٧
١٩٢- باب الحث على حضور الجماعة في الصبح والعشاء ٧٠٨
١٩٣- باب الأمر بالمحافظة على الصلوات المكتوبات والنهي الأكيد والوعيد الشديد في تركهن ٧٠٩
١٩٤- باب فضل الصف الأول والأمر بإتمام الصفوف الأول وتسويتها والتراص فيها ٧١٠
١٩٥- باب فضل السنن الراتبة مع الفرائض وبيان أقلها وأكملها وما بينهما ٧١٢
١٩٦- باب تأكيد ركعتي سنة الصبح ٧١٢

١٩٧- باب تخفيف ركعتي الفجر وبيان ما يقرأ فيهما وبيان وقتهما ٧١٣
١٩٨- باب استحباب الاضطجاع بعد ركعتي الفجر على جنبه الأيمن والحث عليه سواء كان تهجَّد بالليل أم لا ٧١٤
١٩٩- باب سنة الظهر ٧١٤
٢٠٠- باب سنة العصر ٧١٥
٢٠١- باب سنة المغرب بعدها وقبلها ٧١٥
٢٠٢- باب سنة العشاء بعدها وقبلها ٧١٦
٢٠٣- باب سنة الجمعة ٧١٦
٢٠٤- باب استحباب جعل النوافل في البيت سواء الراتبة وغيرها والأمر بالتحول للنافلة من موضع الفريضة أو الفصل بينهما بكلام ٧١٦
٢٠٥- باب الحث على صلاة الوتر وبيان أنه سنة مؤكدة وبيان وقته ٧١٧
٢٠٦- باب فضل صلاة الضحى وبيان أقلها وأكثرها وأوسطها والحث على المحافظة عليها ٧١٨
٢٠٧- باب تجويز صلاة الضحى من ارتفاع الشمس إلى زوالها والأفضل أن تصلى عند اشتداد الحر وارتفاع الضحى ٧١٨
٢٠٨- باب الحث على صلاة تحية المسجد بركعتين وكراهة الجلوس قبل أن يصلي ركعتين في أي وقت دخل وسواء صلى ركعتين بنية التحية أو صلاة فريضة أو سنة راتبة أو غيرها ٧١٩
(حكم تحية المسجد) ٧١٩
٢٠٩- باب استحباب ركعتين بعد الوضوء ٧١٩
٢١٠- باب فضل يوم الجمعة ووجوبها والاغتسال لها والتطيب والتبكير إليها والدعاء يوم الجمعة والصلاة على النبي ﷺ فيه وبيان ساعة الإجابة واستحباب إكثار ذكر الله بعد الجمعة ٧٢٠
(آداب الجمعة) ٧٢٢
٢١١- باب استحباب سجود الشكر عند حصول نعمة ظاهرة أو اندفاع بلية ظاهرة...... ٧٢٢
٢١٢- باب فضل قيام الليل ٧٢٣

(آداب قيام الليل) ٧٢٦
بعض الأسباب التي يتيسر بها قيام الليل.. ٧٢٦
٢١٣- باب استحباب قيام رمضان وهو التراويح ٧٢٩
٢١٤- باب فضل قيام ليلة القدر وبيان أرجى لياليها ٧٢٩
٢١٥- باب فضل السواك وخصال الفطرة ٧٣٠
٢١٦- باب تأكيد وجوب الزكاة وبيان فضلها وما يتعلق بها.. ٧٣١
٢١٧- باب وجوب صوم رمضان وبيان فضل الصيام وما يتعلق به ٧٣٤
(حكمة الصيام) ٧٣٥
٢١٨- باب الجود وفعل المعروف والإكثار من الخير في شهر رمضان والزيادة من ذلك في العشر الأواخر منه.. ٧٣٨
٢١٩- باب النهي عن تقدم رمضان بصوم بعد نصف شعبان إلا لمن وصله بما قبله أو وافق عادة له بأن كان عادته صوم الإثنين والخميس فوافقه ٧٣٩
٢٢٠- باب ما يقال عند رؤية الهلال ٧٣٩
٢٢١- باب فضل السحور وتأخيره ما لم يخش طلوع الفجر ٧٣٩
٢٢٢- باب فضل تعجيل الفطر وما يفطر عليه وما يقوله بعد الإفطار ٧٤٠
٢٢٣- باب أمر الصائم بحفظ لسانه وجوارحه عن المخالفات والمشاتمة ونحوها ٧٤١
٢٢٤- باب في مسائل من الصوم.. ٧٤١
(أحكام الصيام).. ٧٤١
تعريف الصوم.. ٧٤٢
أركان الصوم ٧٤٣
مبطلات الصوم (المفطرات).. ٧٤٣
الأعذار المبيحة للفطر وحكم من أفطر لعذر منها ٧٤٤
مستحبات الصوم.. ٧٤٥
أشياء يباح للصائم فعلها ٧٤٥
مكروهات الصيام.. ٧٤٦

ما يتعلق بهذا الشهر الكريم من طاعات ٧٤٦
أحكام صدقة أو زكاة الفطر ٧٤٨
متى تجب زكاة الفطر على الصائم ٧٤٨
(صيام ست من شوال) ٧٤٩
٢٢٥- باب بيان فضل صوم المحرم وشعبان والأشهر الحرم ٧٤٩
٢٢٦- باب فضل الصوم وغيره في العشر الأُوَل من ذي الحجة ٧٥٠
٢٢٧- باب فضل صوم يوم عرفة وعاشوراء وتاسوعاء ٧٥٠
٢٢٨- باب استحباب صوم ستة أيام من شوال ٧٥٠
٢٢٩- باب استحباب صوم الإثنين والخميس ٧٥٠
٢٣٠- باب استحباب صوم ثلاثة أيام من كل شهر ٧٥١
٢٣١- باب فضل من فَطَّر صائمًا وفضل الصائم الذي يؤكل عنده ودعاء الآكل للمأكول عنده ٧٥٢
٩- كتاب الاعتكاف ٧٥٢
٢٣٢- باب فضل الاعتكاف في رمضان ٧٥٢
١٠- كتاب الحج ٧٥٣
٢٣٣- باب وجوب الحج وفضله ٧٥٣
(حكمة الحج) ٧٥٤
(سلام علىٰ إبراهيم) ٧٥٩
١١- كتاب الجهاد ٧٦٣
٢٣٤- باب وجوب الجهاد وفضل الغدوة والروحة ٧٦٣
٢٣٥- باب بيان جماعة من الشهداء في ثواب الآخرة يغسَّلون ويُصَلى عليهم بخلاف القتيل في حرب الكفار ٧٧٣
(الجهاد) ٧٧٤
أقسام الجهاد ٧٧٦
حكم الجهاد ٧٧٩

الرسالة المحمديَّة بالرحمة للعالمين ٧٧٩
٢٣٦- باب فضل العتق ٧٨٢
٢٣٧- باب فضل الإحسان إلى المملوك ٧٨٢
٢٣٨- باب فضل المملوك الذي يؤدي حق الله وحق مواليه ٧٨٢
٢٣٩- باب فضل العبادة في الهَرْج،وهو الاختلاط والفتن ونحوها ٧٨٣
٢٤٠- باب فضل السماحة في البيع والشراء والأخذ والعطاء وحسن القضاء والتقاضي وإرجاح المكيال والميزان والنهي عن التطفيف وفضل إنظار الموسر المعسر والوضع عنه .. ٧٨٣
١٢- كتاب العلم ٧٨٥
٢٤١- باب فضل العلم ٧٨٥
(العلم) ٧٨٧
فضل العلم على المال ٧٩٤
فضيلة نقل العلم ودعوة الناس إليه وتعليمهم ٧٩٧
العلم الواجب شرعًا ٧٩٨
مراتب العلم ٨٠٠
العلوم الشرعية ٨٠١
العلوم المحمودة ٨٠٣
آفات العلم ٨٠٥
العلم للتدين والعلم للتخصص ٨٠٩
١٣- كتاب حمد الله تعالى وشكره ٨١٥
٢٤٢- باب فضل الحمد والشكر ٨١٥
١٤- كتاب الصلاة على رسول الله ﷺ ٨١٦
٢٤٣- باب الأمر بالصلاة عليه وفضلها وبعض صيغها ٨١٦
(واجب الأمة نحو المصطفى ﷺ) ٨١٧
١٥- كتاب الأذكار ٨٢٠
٢٤٤- باب فضل الذكر والحث عليه ٨٢٠

(الذكر) ٨٢٦
أنواع القلوب ٨٢٧
الذكر في القرآن ٨٣٠
أنواع الذكر ٨٣٣
درجات الذكر ٨٣٤
القرآن والذكر والدعاء ٨٣٤
آداب الذاكرين ٨٣٤
فوائد الذكر ٨٣٤
٢٤٥- باب ذكر الله تعالى قائمًا و قاعدًا ومضطجعًا ومحدثًا وجنبًا وحائضًا إلا القرآن فلا يحل لجنب ولا حائض ٨٣٨
٢٤٦- باب ما يقوله عند نومه واستيقاظه ٨٣٨
٢٤٧- باب فضل حلق الذكر والندب إلى ملازمتها والنهي عن مفارقتها لغير عذر ٨٣٩
٢٤٨- باب الذكر عند الصباح والمساء ٨٤٠
٢٤٩- باب ما يقوله عند النوم ٨٤٢
١٦- كتاب الدعوات ٨٤٤
٢٥٠- باب الأمر بالدعاء وفضله وبيان جمل من أدعيته ﷺ ٨٤٤
(الدعاء) ٨٤٨
أقسام الدعاء ٨٤٨
فوائد إخفاء الدعاء ٨٤٩
الاعتداءُ في الدعاء ٨٤٩
آداب الدعاء ٨٥٠
الدعاء في القرآن الكريم ٨٥٢
٢٥١- باب فضل الدعاء بظهر الغيب ٨٥٣
٢٥٢- باب في مسائل من الدعاء ٨٥٣
٢٥٣- باب كرامات الأولياء وفضلهم ٨٥٤

١٧- كتابُ الأمور المَنْهِي عنها ٨٦٠
٢٥٤- باب تحريم الغِيبَة والأمر بحفظ اللسان ٨٦٠
٢٥٥- باب تحريم سماع الغيبة وأمر من سمع غيبة محرمة بردها والإنكار على قائلها فإن عجز أو لم يقبل منه فارق ذلك المجلس إن أمكنه ٨٦٣
٢٥٦- باب ما يباح من الغيبة ٨٦٣
(الغِيبة) ٨٦٦
الفرق بين الغِيبة والبُهتان والشَّتْم ٨٦٦
حد الغيبة وضابطها ٨٦٧
الأسباب الباعثة على الغيبة ٨٦٨
٢٥٧- باب تحريم النميمة وهي نقل الكلام بين الناس على جهة الإفساد ٨٦٩
(النميمة) ٨٧٠
(السعاية) ٨٧١
علاج النميمة ٨٧١
قصص في النميمة ٨٧٢
٢٥٨- باب النهي عن نقل الحديث وكلام الناس إلى ولاة الأمور إذا لم تدع إليه حاجة كخوف مفسدة ونحوها ٨٧٣
٢٥٩- بابُ ذمِّ ذي الوجهين ٨٧٤
(النفاق) ٨٧٤
أنواع النفاق ٨٧٤
المداهنة ٨٧٥
التملق ٨٧٦
الصراحة ٨٧٦
خُلْف الوعد ٨٧٦
٢٦٠- باب تحريم الكذب ٨٧٦
٢٦١- باب بيان ما يجوز من الكذب ٨٨٠

٢٦٢- باب الحث على التثبت فيما يقوله ويحكيه ٨٨١
(الكذب) ٨٨١
الأسباب الداعية إلى الكذب ٨٨٢
أنواع الكذب ٨٨٤
٢٦٣- باب بيان غلظ تحريم شهادة الزور ٨٨٧
(شهادة الزور) ٨٨٧
كبائر شاهد الزور ٨٨٧
٢٦٤- باب تحريم لعن إنسان بعينه أو دابة ٨٨٨
٢٦٥- باب جواز لعن أصحاب المعاصي غير المعينين ٨٨٩
٢٦٦- باب تحريم سب المسلم بغير حق ٨٩٠
٢٦٧- باب تحريم سب الأموات بغير حق ومصلحة شرعية ٨٩١
٢٦٨- باب النهي عن الإيذاء ٨٩١
٢٦٩- باب النهي عن التباغض والتقاطع والتدابر ٨٩١
٢٧٠- باب تحريم الحسد ٨٩٢
(الحسد) ٨٩٢
الحسد المحمود والحسد المذموم ٨٩٣
أسباب الحسد ٨٩٣
دواء وعلاج الحسد ٨٩٥
الحسد والمنافسة ٨٩٦
عقاب الحاسد إذا تمكن الحسد منه ٨٩٦
(الإصابة بالعين) ٨٩٧
٢٧١- باب النهي عن التجسس والتسمع لكلام من يكره استماعه ٨٩٨
(التجسس) ٨٩٩
التجسس والتحسس ٨٩٩
قصة ٨٩٩

٢٧٢- بابُ النهي عن سوءِ الظنِّ بالمسلمين من غيرِ ضرورةٍ ٩٠٠
(سوءُ الظنِّ) ٩٠٠
أنواعُ سوءِ الظنّ ٩٠١
أقسام سوء الظن ٩٠١
الظن المُباح ٩٠٢
قصة ٩٠٢
٢٧٣- باب تحريم احتقار المسلمين ٩٠٤
٢٧٤- باب النهي عن إظهار الشماتة بالمسلم ٩٠٤
(الشماتة) ٩٠٥
٢٧٥- باب تحريم الطعن في الأنساب الثابتة في ظاهر الشرع ٩٠٥
٢٧٦- باب النهي عن الغش والخداع ٩٠٥
(الخداع والغش) ٩٠٦
أولا: الخداع ٩٠٦
ثانيًا: الغش ٩٠٦
أنواع الغش ٩٠٦
(المداراة والمداهنة) ٩٠٧
الفرق بين المداراة والمداهنة ٩٠٨
٢٧٧- باب تحريم الغدر ٩١٠
(الغدر) ٩١٠
٢٧٨- باب النهي عن المَنِّ بالعطية ونحوها ٩١٢
(المَنُّ) ٩١٣
٢٧٩- باب النهي عن الافتخار والبغي ٩١٤
(البغي) ٩١٤
أنواع البغي ٩١٤
٢٨٠- باب تحريم الهجران بين المسلمين فوق ثلاثة أيام إلا لبدعة في المهجور، أو تظاهر

بفسق أو نحو ذلك ٩١٦
(الهجر والهجران) ٩١٧
أنواع الهجر ٩١٨
٢٨١- باب النهي عن تناجي اثنين دون الثالث بغير إذنه إلا لحاجة وهو أن يتحدثا سرًّا بحيث لا يسمعهما وفي معناه ما إذا تحدثا بلسان لا يفهمه ٩١٩
٢٨٢- باب النهي عن تعذيب العبد والدابة والمرأة والولد بغير سبب شرعي أو زائد على قدر الأدب ٩٢٠
٢٨٣- باب تحريم التعذيب بالنار في كل حيوان حتى النملة ونحوها ٩٢١
٢٨٤- باب تحريم مطل الغني بحق طلبه صاحبه ٩٢٢
٢٨٥- باب كراهة عود الإنسان في هبة لم يسلمها إلى الموهوب له وفي هبة وهبها لولده وسلمها أو لم يسلمها، وكراهة شرائه شيئًا تصدق به من الذي تصدق عليه أو أخرجه عن زكاة أو كفارة ونحوها ولا بأس بشرائه من شخص آخر قد انتقل إليه ٩٢٢
٢٨٦- باب تأكيد تحريم مال اليتيم ٩٢٣
٢٨٧- باب تغليظ تحريم الربا ٩٢٣
٢٨٨- باب تحريم الرياء ٩٢٤
٢٨٩- باب ما يتوهم أنه رياء وليس هو رياء.. ٩٢٥
(الرياء) ٩٢٥
بيان حقيقة الرياء وما يُراءَى به ٩٢٧
الفرق بين الرياء (الشرك الأصغر) والشرك الأكبر.. ٩٢٧
أقسام الرياء ٩٢٧
حكم الرياء.. ٩٣٠
الإسرار والإظهار في الطاعات والمعاصي ٩٣٢
٢٩٠- باب تحريم النظر إلى المرأة الأجنبية والأمرد الحسن لغير حاجة شرعية.. ٩٣٩
٢٩١- باب تحريم الخلوة بالأجنبية ٩٤١
٢٩٢- باب تحريم تشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال في لباس وحركة وغير ذلك.. ٩٤١

٢٩٣- باب النهي عن التشبه بالشيطان والكفار ٩٤٢
(النهي عن التشبه بالشيطان والكفار) ٩٤٢
٢٩٤- باب نهي الرجل والمرأة عن خضاب شعرهما بسواد.. ٩٤٣
(صبغ الشعر للرجال) ٩٤٣
٢٩٥- باب النهي عن القزع وهو حلق بعض الرأس دون بعض، وإباحة حلقه كله للرجل دون المرأة ٩٤٣
٢٩٦- باب تحريم وصل الشعر والوشم والْوَشْرُ ٩٤٤
(وَصْل وزَرْع الشعر) ٩٤٥
(الوشم الثابت والمؤقت).. ٩٤٥
(النامصة والمتنمصة) ٩٤٦
(تفليج وتقويم الأسنان).. ٩٤٦
٢٩٧- باب النهي عن نتف الشيب من اللحية والرأس وغيرهما وعن نتف الأمرد شعر لحيته عند أول طلوعه.. ٩٤٦
٢٩٨- باب كراهة الاستنجاء باليمين ومس الفرج باليمين من غير عذر ٩٤٧
٢٩٩- باب كراهة المشي في نعل واحدة أو خف واحد لغير عذر وكراهة لبس النعل والخف قائمًا لغير عذر ٩٤٧
٣٠٠- باب النهي عن ترك النار في البيت عند النوم ونحوه سواء كانت في سراج أو غيره... ٩٤٧
٣٠١- باب النهي عن التكلف وهو فعل وقول ما لا مصلحة فيه بمشقة ٩٤٨
(التَّكلُّف).. ٩٤٨
٣٠٢- باب تحريم النياحة على الميت ولطم الخد وشق الجيب ونتف الشعر وحلقه والدعاء بالويل والثبور ٩٥٠
٣٠٣- باب النهي عن إتيان الكهان والمنجمين والعراف وأصحاب الرمل والطوارق بالحصى وبالشعير ونحو ذلك.. ٩٥٢
٣٠٤- باب النهي عن التطير ٩٥٣
(التَّطَيُّر).. ٩٥٣

٣٠٥- باب تحريم تصوير الحيوان في بساط أو حجر أو ثوب أو درهم أو مخدة أو دينار أو وسادة وغير ذلك، وتحريم اتخاذ الصورة في حائط وسقف وستر وعمامة وثوب ونحوها والأمر بإتلاف الصور ٩٥٥

٣٠٦- باب تحريم اتخاذ الكلب إلا لصيد أو ماشية أو زرع ٩٥٦

٣٠٧- باب كراهة تعليق الجرس في البعير وغيره من الدواب وكراهية استصحاب الكلب والجرس في السفر ٩٥٧

٣٠٨- باب كراهة ركوب الجلَّالة ٩٥٧

٣٠٩- باب النهي عن البصاق في المسجد والأمر بإزالته منه إذا وجد فيه والأمر بتنزيه المسجد عن الأقذار ٩٥٧

٣١٠- باب كراهة الخصومة في المسجد ورفع الصوت فيه ونشد الضالة والبيع والشراء والإجارة ونحوها من المعاملات ٩٥٨

٣١١- باب نهي من أكل ثومًا أو بصلا أو كراثًا أو غيره مما له رائحة كريهة عن دخول المسجد قبل زوال رائحته إلا لضرورة ٩٥٨

٣١٢- باب كراهة الاحتباء يوم الجمعة والإمام يخطب لأنه يجلب النوم فيفوت استماع الخطبة ويخاف انتقاض الوضوء ٩٥٩

٣١٣- باب نهي من دخل عليه عشر ذي الحجة وأراد أن يضحي عن أخذ شيء من شعره أو أظفاره حتى يضحي ٩٥٩

٣١٤- باب النهي عن الحلف بمخلوق كالنبي والكعبة والملائكة والسماء والآباء والحياة والروح والرأس وحياة السلطان ونعمة السلطان وتربة فلان والأمانة، وهي من أشدها نهيًا ٩٥٩

٣١٥- باب تغليظ اليمين الكاذبة عمدًا ٩٦٠

٣١٦- باب نَدْب من حلف على يمين فرأى غيرها خيرًا منها أن يفعل ذلك المحلوف عليه ثم يكفر عن يمينه ٩٦١

(من حلف علىٰ يمين ورأىٰ غيرها خيرًا منها) ٩٦١

٣١٧- باب العفو عن لغو اليمين وأنه لا كفارة فيه وهو ما يجري على اللسان بغير قصد

اليمين كقوله على العادة: لا والله، وبلى والله، ونحو ذلك ٩٦٢
٣١٨- باب كراهة الحَلِف في البيع وإن كان صادقًا ٩٦٢
٣١٩- باب كراهة أن يسأل الإنسان بوجه الله عَزَّوَجَلَّ غير الجنة وكراهة منع من سأل بالله تعالى وتشفع به........ ٩٦٢
٣٢٠- باب تحريم قول: شاهنشاه للسلطان وغيره لأن معناه ملك الملوك ولا يوصف بذلك غير الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٩٦٣
٣٢١- باب النهي عن مخاطبة الفاسق والمبتدع ونحوهما بسيد ونحوه........ ٩٦٣
٣٢٢- باب كراهة سب الحُمَّى ٩٦٣
٣٢٣- باب النهي عن سب الريح وبيان ما يقال عند هبوبها ٩٦٣
٣٢٤- باب كراهة سب الديك........ ٩٦٤
٣٢٥- باب النهي عن قول الإنسان: مطرنا بنوء كذا ٩٦٤
٣٢٦- باب تحريم قوله لمسلم: يا كافر ٩٦٤
(الكفر) ٩٦٤
أنواع الكفر ٩٦٥
حكم الكفر ٩٦٦
الحكم على الناس........ ٩٦٦
٣٢٧- باب النهي عن الفحش وبذاء اللسان ٩٦٨
(الفُحش والبذاءة) ٩٦٨
٣٢٨- باب كراهة التقعير في الكلام والتشدق فيه وتكلف الفصاحة واستعمال وحشي اللغة ودقائق الإعراب في مخاطبة العوام ونحوهم ٩٧١
٣٢٩- باب كراهة قوله: خبثت نفسي ٩٧١
٣٣٠- باب كراهة تسمية العنب كرمًا........ ٩٧١
٣٣١- باب النهي عن وصف محاسن المرأة لرجل إلا أن يحتاج إلى ذلك لغرض شرعي كنكاحها ونحوه ٩٧٢
٣٣٢- باب كراهة قول الإنسان: اللهم اغفر لي إن شئت بل يجزم بالطلب ٩٧٢

٣٣٣- باب كراهة قول: ما شاء الله وشاء فلان ٩٧٢
٣٣٤- باب كراهة الحديث بعد العشاء الآخرة.. ٩٧٢
٣٣٥- باب تحريم امتناع المرأة من فراش زوجها إذا دعاها ولم يكن لها عذر شرعي ٩٧٣
٣٣٦- باب تحريم صوم المرأة تطوعًا وزوجها حاضر إلا بإذنه ٩٧٣
٣٣٧- باب تحريم رفع المأموم رأسه من الركوع أو السجود قبل الإمام ٩٧٣
٣٣٨- باب كراهة وضع اليد على الخاصرة في الصلاة ٩٧٤
٣٣٩- باب كراهة الصلاة بحضرة الطعام ونفسه تتوق إليه أو مع مدافعة الأخبثين: وهما البول والغائط ٩٧٤
٣٤٠- باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة ٩٧٤
٣٤١- باب كراهة الالتفات في الصلاة لغير عذر ٩٧٤
٣٤٢- باب النهي عن الصلاة إلى القبور ٩٧٤
(الصلاة في المساجد التي بها أضرحة) ٩٧٥
٣٤٣- باب تحريم المرور بين يدي المصلي ٩٧٦
(سترة صلاة الجماعة) ٩٧٦
٣٤٤- باب كراهة شروع المأموم في نافلة بعد شروع المؤذن في إقامة الصلاة سواء كانت النافلة سنة تلك الصلاة أو غيرها ٩٧٦
٣٤٥- باب كراهة تخصيص يوم الجمعة بصيام أو ليلته بصلاة من بين الليالي ٩٧٧
٣٤٦- باب تحريم الوصال في الصوم وهو أن يصوم يومين أو أكثر ولا يأكل ولا يشرب بينهما ٩٧٧
٣٤٧- باب تحريم الجلوس على قبر.. ٩٧٧
٣٤٨- باب النهي عن تجصيص القبر والبناء عليه ٩٧٧
٣٤٩- باب تغليظ تحريم إباق العبد من سيده ٩٧٨
٣٥٠- باب تحريم الشفاعة في الحدود.. ٩٧٨
٣٥١- باب النهي عن التغوط في طريق الناس وظلهم وموارد الماء ونحوها.................. ٩٧٨
٣٥٢- باب النهي عن البول ونحوه في الماء الراكد.. ٩٧٩

٣٥٣- باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض في الهبة ٩٧٩
٣٥٤- باب تحريم إحداد المرأة على ميت فوق ثلاثة أيام إلا على زوجها أربعة أشهر وعشرة أيام ٩٧٩
٣٥٥- باب تحريم بيع الحاضر للبادي وتلقي الركبان والبيع على بيع أخيه والخطبة على خطبته إلا أن يأذن أو يرد ٩٨٠
٣٥٦- باب النهي عن إضاعة المال في غير وجوهه التي أذن الشرع فيها ٩٨١
(الإسراف) ٩٨١
مظاهر الإسراف ٩٨٢
(التبذير) ٩٨٤
(الفرق بين التبذير والإسراف) ٩٨٤
(الفرق بين الجود والتبذير) ٩٨٥
٣٥٧- باب النهي عن الإشارة إلى مسلم بسلاح ونحوه سواء كان جادًّا أو مازحًا والنهي عن تعاطي السيف مسلولا ٩٨٧
٣٥٨- باب كراهة الخروج من المسجد بعد الأذان إلا لعذر حتى يصلي المكتوبة ٩٨٧
(حكم خروج المصلي من المسجد بعد الأذان) ٩٨٧
٣٥٩- باب كراهة رد الريحان لغير عذر ٩٨٨
٣٦٠- باب كراهة المدح في الوجه لمن خيف عليه مفسدة من إعجاب ونحوه وجوازه لمن أمن ذلك في حقه ٩٨٨
٣٦١- باب كراهة الخروج من بلد وقع فيها الوباء فرارًا منه وكراهة القدوم عليه ٩٨٩
٣٦٢- باب التغليظ في تحريم السحر ٩٩٠
(السحر) ٩٩٠
٣٦٣- باب النهي عن المسافرة بالمصحف إلى بلاد الكفار إذا خيف وقوعه بأيدي العدو . ٩٩١
٣٦٤- باب تحريم استعمال إناء الذهب وإناء الفضة في الأكل والشرب والطهارة وسائر وجوه الاستعمال ٩٩١
٣٦٥- باب تحريم لبس الرجل ثوبًا مزعفرًا ٩٩٢

٣٦٦- باب النهي عن صمت يوم إلى الليل ٩٩٢
٣٦٧- باب تحريم انتساب الإنسان إلى غير أبيه وتوليه إلى غير مواليه.................. ٩٩٢
٣٦٨- باب التحذير من ارتكاب ما نهى الله ﷻ أو رسوله ﷺ عنه ٩٩٣
٣٦٩- باب ما يقوله ويفعله من ارتكب منهيا عنه ٩٩٣
١٨- كتاب المنثورات والمُلَح ٩٩٤
٣٧٠- باب أحاديث الدجال وأشراط الساعة وغيرها.. ٩٩٤
١٩- كتاب الاستغفار.. ١٠١٢
٣٧١- باب الأمر بالاستغفار وفضله.. ١٠١٢
٣٧٢- باب بيان ما أعد الله تعالى للمؤمنين في الجنة ١٠١٤
الفهرس.. ١٠١٩